مجلة الأزهر

٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف
ALAZHAR AL SHARIF

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٦٩

المجلد السابع والخمسون ـ القسم الأول

السنة ١٤٠٥هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

www. azhar. eg

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان ـ ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org

E-mail : info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

كانت الهجرة

تخطياً للعقبات وتخطيطاً للنصر

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

هؤلاء أهل مكة يتوعدون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتواعدون على الغدر به ، دبروا أمرهم بليل، وأجمعوا على أن يتفرق دمه فى القبائل ، فلا يثأر له قومه ، اذ لا طاقة لهم بحرب كل قريش .

عقبات ومطاردات من رعيل استبدت به الوثنية ، درجوا على الجهالة والعصبية ، وفشت بينهم الأنانية ، وقست قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، لا تلين لذكر أو تبصير .

الجزء الأول السنة السابعة والخمسون

* المحرم ١٤٠٥ هجرية *

* أكتوبر ١٩٨٤ ميلادية *

كانت الهجرة تخطيا للعقبات

استبدت بهم الأهواء وتنازعتهم الموبقات ، فانغلقت أفئدتهم على الظلام ، فلم تتفتح مغاليقها لنور الايمان الذى انبعث ، يذكرهم بأيام الله ، وحكمه وفضله وأنعمه عليهم ، ولكنهم أصموا آذانهم واستكبروا استكبارا ، وقالوا من أشد منا قوة وغاب عنهم أن الله الذى خلقهم أقوى وأعز •

تلك عقبات وصد عن سبيل الله قامت فى سبيل ابلاغ الرسالة واستشرت بأساليبها فى الكيد والصد والايذاء ، لكن الرسول لم ييأس حين صد عنه قومه وآذوه فيمن اتبعه ، فعذبوهم ، واضطروهم الى شعاب مكة ، والى الهجرة الى الحبشة ، فما وهنوا لما أصابهم وما ضعفوا وما استكانوا ولكن صبروا وصابروا فقد اطمأنت قلوبهم بالايمان ، فما أحسوا وجعا من ايذاء ، وما ابتأسوا من حرمان بل كان شعارهم عند الشدائد « **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** » فأحسنوا الثقة بالله والاقبال على ما عنده •

وعندما استبد بأولئك القوم ضلالهم ، وأحكموا تدبيرهم كان أمر الله لرسوله بالهجرة الى القوم الذين آمنوا به ، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه •

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فأمر بالهجرة الى المدينة وأنزل الله عليه (**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا**) •

لقد كان النبى ﷺ يعلم أنه لا طاقة له بهذا الأمر الا بسلطان ، فسأل الله ــ كما علمه ــ سلطانا نصيرا فأعطاه اياه •

وكانت المدينة هى المدخل الصدق لرسول الله ، أيده الله فيها بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم بعد العداوة ، ووحد كلمتهم بعد الفرقة ، وجعلهم أمناء على الوحى الكريم ، يبلغونه للناس ، فكانوا أوفياء لدينهم ، أمناء على أحكامه ، قائمين بالعدل الذى ارتضاه الله حكما بين الناس •

كانت الهجرة تحولا بالدعوة من أرض أجدبت الى أرض أخصبت وأثمرت وأفرخت ، ولم تكن الهجرة فكرة عابرة ، وانما ــ ومن حين أمر بها ــ فكر لها رسول الله وقدر ، فهى هجرة الى النصر ، وللنصر عدته وعتاده وسره وأسراره ، ولا بد للوصول الى النصر من تخطيط وتنفيذ ، وبهذا لم تكن الهجرة مغامرة ومقامرة أو مخاطرة ، ولكنها فى التخطيط البشرى مرتبة ، وبعون الله وبعنايته محفوظة وميسرة •

أطلع الله نبيه على كيد أعدائه ، وعلى أنهم قد دبروا أمرا ادا ، فهؤلاء فتية قد أعدوهم وأمدوهم ، وقفوا على باب دار الرسول مجمعين أمرهم على قتله ، انصياعا لرغبة كبرائهم ، فكانت الخطة أن يظلوا على غيهم ، مطمئنين الى أن أسيرهم أو قتيلهم بين أيديهم وتحت أعينهم وبأيمانهم .

وكان التخطيط الذى أفسد الله به خطتهم ، فأعمى أبصارهم ، كما عميت قلوبهم ، حيث أقدم على بن أبى طالب على المبيت فى فراش الرسول تحت أبصارهم ، حتى يتلهوا به عن متابعة الرسول عند خروجه بادئا رحلته التى أمره الله بها ، وخرج على القوم والسيوف مشرعة ولكن عناية الله ونصره وعصمته لرسوله كانت تحوطه وترعاه (**فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**) .

كان الخروج من دار الرسول الى غار ثور ، تحرسه عناية من الله ورحمة من أولئك الذين فجئوا بخروجه من داره سالما ، وهم له رصد ، فهرولوا متوعدين ، باذلين الجوائز لمن يلحق به ، يطلبونه بأى ثمن ، والرسول يتابع تنفيذ خطة الهجرة ، ويبوء أعداؤه بالخسران المبين .

ها هو ذا على فى مرقده حفيظ على ما ائتمن عليه من سر ، مؤد لما كان فى دار الرسول من أمانات الى أهلها ، غير ناكث ولا خائن للأمانة ، وها هو ذا صاحبه وأول الرجال اسلاما — أبو بكر — يرافقه فى هجرته لم يقعده مال ولا ولد ، بل ان ولديه عبد الله وأسماء كان لهما فى خطة الهجرة دور أى دور ، ينبغى أن نعلمه لأولادنا ، ونتدارسه معهم ، ليكونوا على ذكر به حين يكلفون بمهام ذات خطر لحماية الدين والوطن .

فماذا كانت مهمة عبد الله بن أبى بكر فى الخطة ؟ وكيف أداها بايمان وحرص واخلاص ؟ لم يفصح بلسانه ولا بفعاله عما وقر فى قلبه من أسرار بالرغم من رؤيته لفرسان قريش مقبلين ومدبرين ،كانت مهمته أن يجمع أنباء تحركات القوم ومكرهم وعبثهم ويفد بها على رسول الله وصاحبه ، حتى يكونا على علم بما يبيت لهما من مكر وسوء تدبير .

وماذا كانت مهمة عامر بن فهيرة الذى كان يرعى غنم أبى بكر حتى اذا جن الليل ، وهدأ السير ، واحتبست القوم بيوتهم ومغانيهم وربما بغضاؤهم ، وانحسرت أصواتهم عن بطحاء مكة وشعابها حتى اذا كان ذلك آب عامر بغنمه على رسول الله وصاحبه فى غار ثور فاحتلب لهما وذبح لطعامهما ، ثم أدبر بها

فأذهب بمسيرها آثار أقدام عبد الله بن أبى بكر حتى لا يستدل القوم على مسيرته ، فيسترشدون بها الى مقر الرسول وصاحبه •

وها هى أسماء بنت أبى بكر تأتيهما كل يوم من الطعام اذا أمست بما يصلحهما — حتى اذا مضت الليالى الثلاث أتتهما بسفرتهما وحين أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر •

ثم ذلك الذى قاد الرحلة — عبد الله بن أريقط — وهو بعد لم يدخل فى الاسلام ، وكيف أخفى فى صدره نبأها وتخطيطها •

لقد أوسعت كتب السيرة من صحفها لأنباء الهجرة ومسيرتها ، وعلينا نحن أن نستفيد ونستخلص من أحداثها الدروس التى تفيدنا فى حاضرنا الذى تعثرت خطواته ،وتوالت علينا — والعياذ بالله — ظلماته ، ولا نجاة لنا الا بالعودة الى قرآن ربنا ففيه الهدى والرشاد ، والى سنة رسولنا ﷺ ففيها كل ما يصلح أحوالنا الى يوم التناد •

خذوا أيها المسلمون من هجرة الرسول ﷺ الصبر والمصابرة والمثابرة حتى تصلوا الى نتائج ما خططتم من اصلاح تبتغون به صلاح أمتكم ، ولا تهنوا ، ولا تتعجلوا ثمرا لما لم تزرعوا شجره •

خذوا من الهجرة درسا فى تحديد أدوائكم الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية فما كانت الهجرة مجرد ارتحال من بلد الى آخر ، وانما مواجهة مدروسة ذات خط وخطط وأهداف محددة ، نجحت ووصلت الى غايتها بالاعداد والاستعداد •

اشترك فيها الرجال والصبيان والبنات ، وحمل كل مسئولية دوره ، فما أرجفوا بقول ، وما أفصحوا باشارة ، وما رضخوا لتهديد أو وعيد ، بالرغم من حداثة أعمار أكثر المشتركين فى الخطة وتعرضهم لمحن الاختبار من أعداء الرسول ، ولكن هذه المحن كانت جلاء لأنفسهم ، وتثبيتا لايمانهم ومضاء لعزائمهم ، فما وهنوا لما أصابهم وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين•

أيها المسلمون : هذه ذكرى الهجرة فهل لنا أن نخطط ، كما خطط رسول الله فنهاجر الى ما هو خير ؟ ، أليست الفرقة والمنازعات التى عمت الوطن الاسلامى منكرا يجب هجره ؟ أليست الحروب المستعرة هنا وهناك بين المسلمين ، وضد

المسلمين أمرا منهيا عنه يجب على أولى الأمر فى الأمة هجره بالعمـل على وقفها حقنا لدماء المسلمين وصـونا لأموالهم ؟ .

أليست الظروف الاقتصادية التى تمر بالمسلمين فى كل مكان مـن أرض الاسلام داعية لأن نخطط للتغلب عليها ، لا بالاستدانه والقروض ، وانمـا بالاستغناء بعض الوقت عما ليس من ضرورات الحياة .

ان الهجرة النبوية أقامت مجتمعا رشيدا أشاع العدل وواجه الشرور بالحسم والحزم ، مجتمعا قام على الدين واستمسك به ، فعز شأنه وعلا قدره ،اذ الأمة اذا ضعف فيها الدين ،اختل بناؤها الاجتماعى ذلك أن الدين هو استقامة الخلق والآداب والسلوك .

فى ذكرى الهجرة التى مجدها الله فى القرآن أهنىء المسلمين بدخول عام هجرى جديد .

أسأل الله أن يجعل هلاله ضوء هداية للأمة ، فتجتمع كلمتها وتتوحـد صفوفها .

تهنئة لشعوب الأمة الاسلامية عامة ولملوكها ورؤسائها وسـائر قـادتها ، مذكرا لهم بمسئوليتهم أمام الله وفى سجل التاريخ عما آلت اليه الحال مما يضيق بـه المقـال .

اللهم ان الملأ يأتمرون بهذه الأمة ، وهى حافظة لكتابك ، متابعة لرسـولك وسـنته ، فاحفظ عليها دينها واهدها الى رشـدها ، واربط على قلوب شـعوبها برباطك حتى يكونوا مسلمين عاملين بكتابك ، وانزع البغضاء والأحقاد من قلوب قادة المسلمين وساستهم حتى يفيئوا الى أمرك وينزلوا عند قولك :

« **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** » .

فتول عنهم فما أنت بملوم

نعم ، يا رسول الله ، وخير خلق الله .

لست ملوما أدنى ملامة ، فما قصرت فى واجب ، ولا تهاونت فى بلاغ ، ولا ركنت الى حقك فى كِمَام ، بل اندفعت محبا فى التبليغ شغوفا بهداية قومك أجمعين ، وضرعت الى ربك بها :

« اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون » .

لكنهم كانوا ضالين مضلين ،وإن تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل .

ثم انك ــ سيدى ــ يارسول الله ــ لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء .

وكيف يهدى الله قوما لا يرجون لقاءه ، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها .

وها هم ، ما منهم أحد بمستطيع أن ينكر بلاغك ، أو يدعى جهلا بشىء من عقيدتك ، وقد بذلوا جهدهم فى رَدِّ دعوتك بسفسطة القول ، والتلاعب باللفظ ، وما دروا أنهم بذلك قد أقاموا الحجة على أنفسهم مقتا لها ولمقت الله لهم أكبر .

فأعرض ــ سيدى يارسول الله ــ عن هؤلاء المشركين وول وجهك عن هذا البلد الحرام حتى يقضى الله أمره .

انها الهجرة ــ اذا ــ يارسول الله .

فاهجرهم ــ سيدى يارسول الله ،فليست الدعوة لهم وحدهم ، ولا هى وقف عليهم ، انها للناس كافة ، وينبغى أن تشق طريقها اليهم كافة فلا يمنعها المستكبرون عن المستضعفين ليظلوا تحت نيرهم مستضعفين فينهموا لحومهم ويكرعوا دماءهم ويلقوا بهم الى الجحيم .

شهد الله ألا لوم عليك • ولا تقصير إديك فقد أتممت البلاغ :

« فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ » •

وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا •

لقد رفض مشركو قريش أن يقروا لله بالوحدانية ، ثم ذهبوا الى أبعد ما يتصوره الشيطان من ألوان التحدى ، فقالوا :

« اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (١) •

ولو كانوا منصفين لقالوا :

اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه • ووفقنا اليه واجعلنا مؤمنين •

هكذا ضلوا وصدوا عن سبيل الله ، ولجوا معاندين وويل أمة هزل أفرادها من علمائها ، واستيأس علماؤها من صلاحها •

وماذا تفعل ــ يارسول الله ــ فى قوم لو أصعدهم ربك واحدا بعد الآخر الى السموات فطرقوها وشهدوا من جليل خلق الله مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر لقالوا : سحرنا محمد لنخضع له فيفعل بنا ما يريد •

« وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ » •

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ » (٢) •

فأعرض عنهم ، صلوات الله وسلامه عليك ، سيدى يارسول الله انهم يريدون مالا يخطر لأحد من الناس على بال •

يريد كل منهم كتابا يخصه وحده •••

يريد كل منهم أن يكون رسولا •

« بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً » (٣)

وربك ــ وحده ــ أعلم حيث يجعل رسالته فتول عنهم فما أنت بملوم ، وانشر دعوتك فى الافاق وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين •

فالى المدينة يا خير داع

مع صلوات الله وسلامه وتحياته ورحمته وبركاته •

د/ على أحمد الخطيب

(١) الانفال ٣٢ •
(٢) الحجر ١٤ ــ ١٥ •
(٣) المدثر ٥٢ •

من مشاهد العظمة

فى طريق الهجرة

من آن لآخر يحتاج الانسان الى النظر فى الماضى ليأخذ من دروس التاريخ ما عساه يعينه على تفادى الأخطاء ، ويحفزه على فعل المعالى .

وما أعرف أن أمة لها مثل تاريخ أمة الاسلام التى استعلت برجالها الى مستوى الانسان الحق القائم بمهمة الخلافة .

والحقيقة أننى كلما نظرت الى تاريخ سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أخذتنى نشوة فخر واعتزاز تدفعنى لأن أقول للعالمين ــ كل العالمين ــ :

« أولئك آبائى فجئنى بمثلهم !! » .

ولا يفيقنى من هذه النشوة سوى ذلك الفصام النكد بين هذا الواقع المر المخجل وبين ذلك التاريخ الحلو الرفيع ، وعندئذ أتذكر قول الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن الكواكبى رحمه الله :

« لقد مل آباؤكم من اطرائهم ، ولقد سمعتهم بالأمس يقولون : انكم ان كنتم تفخرون بنا ، فاننا لا نفخر بكم ، لأن العمالقة لا تلد أقزاما » .

حقا !! ان العمالقة لا تلد أقزاما ..

اننا ــ قبل أن نتفاخر بهم ــ محتاجون للتعلم منهم ، والتأسى بهم .

ان صفحة واحدة من صحائف تاريخهم البيضاء لتعطينا دروسا بليغة فى بناء المجد ومقومات العزة .

وان هذا البناء السامق الفريد الذى شيده الرسول ﷺ وأصحابه فى بضع سنوات ، وان هذه الحضارة التى أقامها أتباعهم ، ان هذا كله لهو نتيجة جهد مخلص دءوب ، وان من ورائه لرجالا ذوى عزائم ماضية وايمان متين ، وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم .

لم يكن هذا البناء « حتمية مادية » اقتضتها طبيعة الواقع وضرورة التطور ، كما يحلو لبعض أن يفهمه وأن يفهمنا اياه ..

ولكنه كان جهد رجال اشتروا الآخرة بالدنيا ، وما هو أبقى بما هو فان ، رجال ــ ونساء ــ باعوا لله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فربحت تجارتهم ، رجال صدقوا الله ما وعدوه ، فحملوا الرسالة عن رضا ويقين ، وجابهوا قوى الباطل المتكاثرة فما ضعفوا وما استكانوا ، فأبى الله الا أن يجعلهم

للأستاذ عبد الرحمن عبد الحميد البر

الأعلون وأن يمكن لهم فى الأرض وأن يجعلهم للأجيال منارا وهدى يضىء الدرب للسالكين ويوضح الطريق للسائرين .

وقد آن لنا ــ بعد طول ضياع وتيه ــ أن ننظر فى آثارهم مستبصرين ، وأن نسير على نهجهم مقتدين .

فتعالوا بنا ننظر الى صفحة من صفحات جهادهم وقف عندها التاريخ مندهشا متعجبا ، وهى صفحة الهجرة ، وحسبنا أن ننقل منها بضعة مشاهد كما هى ــ بلا تزويق ولا ترويق ــ ، وليحاول كل منا أن يأخذ الدرس والعبرة ، وأن يقارن الماضى بالحاضر وأن يحدد موقفه من حركة التاريخ كما حددها من قبل هؤلاء العظام الذين رووا شجرة الايمان بدمائهم ورعوها بمهجهم ، حتى رسخت فأثمرت وأينعت وآتت أكلها باذن ربها ، حضارة مؤمنة عاقلة دان لها الأولون والآخرون بالفضل ، عسى أن نترسم الخطا ونقتفى الأثر لنبلغ المنى الذى بلغوا ونقود حركة الحضارة كما قادوا .

هجرة صهيب بن سنان :

أول ما يطالعنا فى هذه الصفحة : موقف صهيب بن سنان الرومى . الذى تتجلى فيه روعة الايمان وبهاؤه ، والذى عبر عنه هوية أولئك النفر من الصحب الكرام . وسيظل هذا الموقف شجى فى حلوق أولئك الماديين الذين يزنون حركات التاريخ كلها بميزان المادة ، ويعتبرون الهجرة مجرد سعى الى وضع اقتصادى أحسن من ذى قبل ، وضرورة اقتضتها طبيعة المواجهة بين الغنى والفقر .

فقد كان صهيب روميا ، قدم الى مكة غلاما ، وعمل بصناعة السيوف ، فلما بعث رسول الله ﷺ كان صهيب من السابقين الى الاسلام .

ولما فرض الله الهجرة الى المدينة ضحى صهيب بكل ما يملك فى سبيل اللحوق بكتيبة الايمان والانحياز الى الصف المسلم ، داخلا مع الله فى تجارة لن تبور . فعنه ــ رضى الله عنه قال : ــ

قال رسول الله ﷺ « أريت دار هجرتكم ، سبخة بين ظهرانى حرتين ،فاما أن تكون هجر أو تكون يثرب » قال :

« وخرج رسول الله ﷺ الى المدينة وخرج

---

١ ــ رواه البيهقى (ذكره ابن كثير فى « البداية والنهاية » ج ٣ ص ١٧٣ ط ثالثة . مكتبة المعارف بيروت) ــ وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائدومنبع الفوائد » ط ١٩٧٢ . دار الكتاب/بيروت . ج ٦ ص ٦٠ « رواه الطبرانى وفيه جماعة لم اعرفهم »

ــ ورواه أبو نعيم الاصبهانى فى « حلية الاولياء » ط ثانية ١٣٧٨ هـ . دار الكتاب العربى بيروت/ ج ١ ص ١٥٢

ــ ورواه الحاكم فى «المستدرك على الصحيحين» ط ١٣٩٨ هـ . دار الفكر/بيروت . ج٣ ص ٤٠٠ وقال : « هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه على ذلك الذهبى فى الذيل فقال «صحيح».

معه أبو بكر ، وكنت قد هممت معه بالخروج ، فصدنى فتيان من قريش ، فجعلت ليلتى تلك أقوم ولا أقعد • فقالوا : قد شغله الله عنكم ببطنه – ولم أكن شاكيا – فناموا ، فخرجت، ولحقنى منهم ناس بعد ما سرت بريدا ليردونى ، فقلت لهم : ان أعطيتكم أواقى من ذهب وتخلو سبيلى وتوفون لى ؟ ففعلوا ، فتبعتهم الى مكة ، فقلت : احفروا تحت أسكفة الباب فان بها أواقى ، واذهبوا الى فلانة فخذوا الحلتين •

وخرجت ، حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقباء قبل أن يتحول منها ، فلما رآنى قال « يا أبا يحيى : ربح البيع » •

فقلت : يا رسول الله : ما سبقنى اليك أحد ، وما أخبرك الا جبرائيل عليه السلام ، وروى الحاكم عن عكرمة قال :

« لما خرج صهيب مهاجرا تبعه أهل مكة ، فنثل كنانته ، فأخرج منها أربعين سهما فقال : لا تصلون الى حتى أضع فى كل رجل منكم سهما ، ثم أصير بعد الى السيف ، فتعلمون أنى رجل • وقد خلفت بمكة قينتين فهما لكم •

وروى أنس بن مالك نحوه : قال :

« ونزلت على النبى ﷺ

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ •

الآية • فلما رآه النبى ﷺ قال « أبا يحيى : ربح البيع » قال : وتلا عليه الآية » (٢) •

لكأنى بصهيب رضوان الله عليه يضع الدليل القاطع على فساد عقل أصحاب التفسير المادى للتاريخ •• فأين هى المادة التى سيكسبها صهيب فى هجرته والتى ضحى من أجلها بكل ما يملك ؟! هل تراه ينتظر أن يعطيه محمد ﷺ منصبا يعوضه عما فقده ، أو هل ترى محمدا يمنيه بالعيش الفاخر فى جوار أهل يثرب ؟! •

اللهم انا نشهدك – ولا نزكى عليك الا مازكيت – أن صهيبا مافعل ذلك وما انحاز الى الفئة المؤمنة الا ابتغاء مرضاتك ، بالغا ما بلغ الثمن ، ليضرب لشباب الاسلام فى التضحية مثلا عزيز المنال ، عساهم يسيرون على الدرب ويقتفون الأثر •

هجرة آل أبى سلمة :

وهذا مشهد آخر يفوق المشهد السابق عظمة وجلالا ، انها أسرة مؤمنة باعت نفسها لله ،

---

٢ – رواه الحاكم فى المستدرك ج ٣ ص ٣٩٨ •
وقال « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » وسكت عنه الذهبى •• واللفظ للحاكم •
– وهو فى منتخب كنز العمال • بهامش مسند أحمد ط دار الفكر العربى ج ١ ص ٤٢٢ مع اختلاف يسير
– ورواه ابن سعد فى « الطبقات الكبرى » ط دار التحرير للطباعة والنشر • ج ٣ ص ٦٢ •
– وأبو نعيم فى الحلية ج١ ص١٥١ – وابن كثير فى التفسير ط حلبى ج١ ص ٢٤٧
– وأخرج ابن مردويه نحوه من وجه أخر عن أبى عثمان النهدى ((انظر ابن كثير فى التفسير ٢٤٧/١)
– ومن طريق أبى عثمان النهدى أخرجه ابن هشام فى السيرة ط محمد على صبيح بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ج٢ ص ٣٢٩ • وعنه نقل ابن كثير فى البداية ج٣ ص ١٧٣ •

تتكون الأسرة من أب وأم وطفل ، أصابهم فى الهجرة ما أصابهم ، فتحملوا صابرين ، وهاجروا مؤمنين ، وجاهدوا مثابرين :

انها أسرة تعطى القدوة وتضرب المثل لكل أسرة رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا •

وتعالوا بنا نسمع القصة على لسان أصحابها :

روى ابن اسحاق عن أم سلمة رضى الله عنها قالت :

« لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة رحل لى بعيره ، ثم حملنى عليه وحمل معى ابنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ثم خرج بى يقود بى بعيره ، فلما رأته رجال بنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم — (رهط أم سلمة) — قاموا اليه فقالوا :

هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟!

قالت : فنزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه •

قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد — رهط أبى سلمة — فقالوا :

لا والله : لانترك ابننا عندها ، اذ نزعتموها من صاحبنا •

قالت : فتجاذبوا بنى سلمة بينهم ، حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة الى المدينة •

قالت : ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى •

قالت : فكنت أخرج كل غداة ، فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكى حتى أمسى ، سنة أو قريبا منها !! ، حتى مر بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة ، فرأى ما بى ، فرحمنى **فقال لبنى المغيرة :** ألا تخرجون هذه المسكينة • فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها •

قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجك ان شئت•

قالت : ورد بنو عبد الأسد الى عند ذلك ابنى •

قالت : فارتحلت بعيرى ، ثم أخذت ابنى ، فوضعته فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة •

قالت : وما معى أحد من خلق الله •

قالت : فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجى ، حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، أخا بنى عبد الدار ، **فقال :** الى أين يابنت أبى أمية ؟

قالت : فقلت : أريد زوجى بالمدينة • **قال :** أو ما معك أحد ؟

قالت : فقلت : لا والله الا الله وبنى هذا •

قال : والله مالك من مترك فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معى يهوى بى ، فوالله ماصحبت رجلا من العرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان اذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى ، حتى اذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ، ثم قيده فى الشجرة ، ثم تنحى عنى الى شجرة فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الرواح قام الى بعيرى ، فقدمه ، فرحله ، ثم استأخر عنى وقال اركبى ، فاذا ركبت واستويت على بعيرى أتى ، فأخذ بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بى ، فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى

المدينة ، فلما نظر الى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك فى هذه القرية ، فادخليها على بركة الله • ثم انصرف راجعا الى مكة »•

فكانت أم سلمة تقول :

« والله ما أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة »(٣)

كان عثمان بن طلحة مازال مشركا ولم يسلم الا بعد الحديبية •

أرأيتم أثر الايمان حين يمتزج باليقين فيجرى فى الدماء وتخالط بشاشته القلوب !! أسرة تفرقت !! امرأة تبكى سنة أو قريبا منها !! طفل خلعت يده وحرم من أمه فهو يئن صباح مساء !! ومع ذلك استمسكوا بالايمان وصمموا على المضى فى طريقه !

« إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ !! »

هجرة ضمرة بن جندب :

وهذا مشهد آخر ، يرينا ما كان عليه الصحب رضوان الله عليهم من سرعة فى امتثال الأمر ، كائنة ما كانت ظروفهم •

فقد فرض الله الهجرة على المؤمنين ، بحيث ان « كل من أقام بين ظهرانى المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من اقامة الدين فهو ظالم مرتكب حراما بالاجماع ••• » (٤)•

ومع أن الله أعفى من هذا الفرض المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلا • مع ذلك فقد كان ضمرة بن جندب مريضا ، لكنه أراد أن يلحق بركب التوحيد الى أرض الايمان ، فطلب من أهله أن يحملوه الى رسول الله ﷺ فمات فى الطريق فوقع أجره على الله • وفى هذا يقول ابن عباس رضى الله عنهما :

« خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجرا • فقال لأهله : احملونى ، فأخرجونى من أرض المشركين الى رسول الله ﷺ ، فمات فى الطريق قبل أن يصل الى النبى ﷺ فنزل الوحى

« وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (٥) •

لقد رأى الرجل أنه موسر ، واذا فهو يستطيع الحيلة ، والآية انما أعذرت من لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا •

---

٣ ـ سيرة ابن هشام ج٢ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ • وعنه نقل ابن كثير فى البداية ج٣ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ وابن حجر فى « الاصابة فى تمييز الصحابة » ج١٢ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ط مكتبة الكليات الازهرية١٣٩٦ بتحقيق د• طه محمد الزينى •ونقل غيرهما من اصحاب السير •

٤ ـ تفسير ابن كثير ج١ ص ٥٤٢ •

٥ ـ قال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » ج٧ ص ١٠ « رواه أبو يعلى ورواته ثقات » •

ـ ورواه ابن أبى حاتم مختصرا (انظر تفسير ابن كثير ٥٤٣/١) • كما ذكر ابن كثير فى المكان نفسه عن سعيد بن جبير من طريق ابن ابى حاتم أن الآية نزلت فى ضمرة بن العيص الزرقى الذى كان مصاب البصر •

انه احساس أملاء الايمـان ، وفقه زكـاه اليقين •

هجرة أم أيمن :

أما أم أيمن ، بركة ــ حاضنة رسول الله ﷺ وزوج حبه : زيد بن حارثة ــ فقد كـان موقفها فى الهجرة عميق الدلالة على مضـاء العزيمة ، وقوة الارادة ، وعظمـة الايمـان ، فلقد قطعت رضى الله عنهـا رحلة الهجـرة وهى تناهز الخمسمائه كيلو متر أو تزيـد ــ على قدميها ، صائمة ، متحملـة قيظ البيـداء المتوهج ، حتى كادت تموت عطشا ، فسقاهـا الله عز وجل شربة ماظمئت بعـدها فى يـوم شديد الحر أبدا •

روى أبو نعيم عن عثمان بن القاسم قال :

« خرجت أم أيمن مهاجرة الى رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة ، وهى ماشـية ليس معها زاد ، وهى صائمة فى يوم شديد الحر ، فأصابها عطش شديد حتى كادت أن تموت من شدة العطش •

قال : وهى بالروحاء ــ أو قريبـا منها ــ فلما غابت الشمس قالت : اذا أنا بدلو مدلى برشاء أبيض •

قـالت : فدنـا منى ، حتى اذا كنت بحيث أستمكن منه تناولته ، فشربت منه حتى رويت•

قالت : « فلقد كنت بعد ذلك اليـوم الحار أطوف فى الشمس كى أعطش ، وما عطشـت بعدها » (٦) •

موقف أسماء بنت أبى بكر :

ولست أقصد هنا موقفها من ساكنى الغار ، حين شقت نطاقها نصفين ، انتطقت بنصـف وربطت الزاد بالآخر ، بل ان لها موقفا عظيما يدلك على شجاعة المؤمن وقوته واستهانتـه بالصعاب وتحمله للشدائد • كما أن لهـا موقفا آخر يدل على فطنة المؤمن وذكائـه وحنكته •

أما الموقف الأول فترويه رضى الله عنها لنا فتقول :

« لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهـل ابن هشام ، فوقفوا على أبى بكـر ، فخرجت اليهم •

فقالوا : أين أبوك يابنت أبى بكر ؟ !

قالت : قلت لاأدرى والله أين أبى !

قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشـا خبيثا ، فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى •

قالت : ثم انصرفوا •• الخ » (٧) •

لقد صدقت أسماء فيما قالته ، فهى ــ حقا ــ لم تكن نعرف أين رحل أبوها وصاحبه بعـد خروجهما من غار ثـور ، ولكنهـا ــ دون أن تكذب ــ كتمت أمر مكثهما فى الغار أياما ثلاثة، متحملة نصيبها من فحش الخبيث أبى جهل •

وانى لأراها تمسح عن وجهها أثر اللطمـة النجسة ، وقلبها من أعماقه يفيض سخرية من هذا الباطل المتهافت ، وضـحكا على هـؤلاء

---

٦ ــ أبو نعيم فى الحلية ج٢ ص ٦٧

٧ ــ السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص ٢٢٧• وعنه نقل ابن كثير فى البداية ج٣ ص ١٧٩ •

الصناديد الفارغين ، فقد انتصرت عليهم الصغيرة بذكائها •

فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم
كباطل من جلال الحق منهزم

أما الموقف الثانى الذى يشع فطنة وذكاء وحسن تدبير فتحكيه لنا أيضا فتقول : « لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله معه ، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ، قالت : وانطلق بها معه •

قالت : فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره ، فقال والله انى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه • قالت : كلا يا أبت • انه ترك لنا خيرا كثيرا •

قالت : فأخذت أحجارا ، فتركتها ، فوضعتها فى كوة فى البيت ، كان أبى يضع فيها ماله ، ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده ، فقلت : ياأبت ، ضع يدك على هذا المال •

قالت : فوضع يده عليه

فقال : لا بأس ، ان كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا لكم بلاغ •

قالت : لا والله ما ترك لنا شيئا ولكنى قد أردت أن أسكن الشيخ بذلك » (٨) •

وبهذه الفطنة والحكمة سكنت الفتاة قلب الشيخ العجوز الضرير ، كما سترت أباها دون أن تكذب فان أباها قد ترك لهم ــ حقا ــ هذه الأحجار التى كومتها وطمأنت بها نفس الشيخ !!

وظلت أسماء مع اخوتها فى مكة حتى بعث النبى ﷺ زيد بن حارثة وأبارافع مولاه ، فاحتملا آل رسول الله ﷺ وآل أبى بكر الى المدينة

وبعد :

فهذا غيض من فيض من مشاهد العظمة فى طريق الهجرة التى لا تنقضى عبرها ولا تنتهى دلالاتها ، وحسبنا أن نتأمل هذه المشاهد ، وأن نأخذ منها العبرة والزاد ، عسى أن يتمثل شباب الاسلام هذه النماذج وأن يسترشدوا بها ولعل الله أن يرزقهم مضاء العزيمة وقوة الارادة وحب التضحية وانكار الذات ، ليرتفع شأن الدعوة ولتعلو راية الاسلام خفاقة على أقطار البسيطة فى يوم يفرح فيه المؤمنون بنصر الله ، عسى أن يكون قريبا •

والله أسأل أن يجمع أمة الاسلام على كلمة سواء ، وأن يرزقنا الصدق والاخلاص فى القول والعمل • وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عبد الرحمن عبد الحميد أحمد البر

---

٨ ــ رواه أحمد فى المسند من طريق ابن اسحاق ج٦ ص ٣٥٠ • وابن اسحاق فى السيرة ج٢ ص ٣٣٨ • وعنه نقل ابن كثير فى البداية ج٣ ص ١٧٩ وقال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » ج٦ ص ٥٩ « رواه أحمد والطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير ابن اسحق وقد صرح بالسماع •

دراسات فى القرآن

من الاعجاز العلمى فى القرآن

اكثر الناس فى القرآن الكريم

من نفحات السنة المباركة

قاعدة الشورى والقيادة الحربية

حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

من الإعجاز العلمي في القرآن

قال تعالى فى سورة النور :

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ...» .

من الآية ٤١ .

وقال فى سورة النور أيضا :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ..» .

الآية ٤٣ .

البيـــان

لم يكن أحد قبل نزول القرآن يعلم أن للطير ادراكات علمية ، وكل ما كان يعرفه الناس عنها أن ادراكها لا يتجاوز معرفة كيف تطلب الرزق وتسعى اليه ، وحنينها الى التوالد ، وتربيتها لذرياتها وغير ذلك مما هو الى الغرائز أقرب ، أما أن يصل أمرها الى معرفة الخالق والصلاة له سبحانه ، فذلك لم يعرف قبل نزول القرآن على نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه .

فنحن حينما نقرأ الآية الأولى نعلم منها أنه تعالى يسبح له من فى السموات والأرض ، وتسبح الطير وهى صافات — أى باسطات أجنحتهن فى صفوف منتظمه فى جو السماء .

وحتى لا يجنح أحد الى المجاز فى فهم الآية ، بين الله سبحانه أن هذا التسبيح صادر منها عن علم بقوله :

« كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ » .

أى كل من ذكر من المسبحين من أهل السموات والأرض والطير قد علم كيفية صلاته وتسبيحه لله تعالى ، حسب لغته التى خلقه الله عليها ، فللملائكة لغتها فى التسبيح والصلاة ، ولكل من الانس والجن لغاتهم فى التسبيح والصلاة ، وللطير لغتها فى التسبيح والصلاة أيضا .

وكما أن للانس لغات تتفاوت مقاصدها تبعا لتفاوت عباراتها ، فكذلك الطير لها لغة تتفاوت مقاصدها ، تبعا لتفاوت حركات أصواتها ، وكما أنها بهذه الأصوات عالية أو خفيضة يعرف بعضها مقاصد بعض ، فهى بهذه الاصوات أيضا تستطيع أن تؤدى التسبيح والصلاة لربها .

واذا كان الله تعالى قد أعطاها الادراك لمصالحها وشئونها ، فلا يصعب عليه سبحانه

للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

أن يمنحها معرفته وتسبيحه والصلاة له ، بل ان حقه عليها أولى من حقها على نفسها ، فهو الذى منحها الحياة وأسبابها وعوامل بقائها ، فلهذا منحها ادراكا تعرفه به وتسبح وتصلى له على نوره .

ولقد وصل الأمر ببعضها الى النطق تقليدا للناطقين ، كما نراه فى الببغاوات وبحيوانات أخرى الى العمل ببعض الحرف كالقردة ، فقد قرأنا أن اليابانيين يدربونها على نسج الثياب فى الانوال اليدوية ، كما أن منها ما يدرب على مزاولة أنواع دقيقة من الرياضات ، وقضاء مصالح ربات البيوت ، فتقوم بذلك كله خير قيام ، وما ذاك الا لأن ادراكات فوق ما كان البشر يتصورونه عنها ، فلا غرابة فى أن يمنحها الله ادراكا تعرفه به ، وتسبح له وتصلى على نوره ، ولهذا ختم الله الآية بقوله سبحانه :

« وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ » .

فهذه الجملة ناطقة بأن التسبيح والصلاة منها وممن قبلها فعل من الأفعال ، وهما لكل صنف بحسبه ، وليس تسبيح دلالة فحسب .

ولقد وسع الله هذه الدائرة فى آية أخرى من القرآن العظيم ، اذ يقول سبحانه فى سورة الأنعام :

« وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم » (١) .

فمن هذه الآية عرفنا أن جميع الدواب والطيور أمم أمثالنا ، لها نظمها وادراكاتها ومعارفها التى تحفظ لها كيانها وتقيها شر الأخطار .

ووسعها مرة أخرى بقوله فى سورة ص :

« وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ . وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ »(٢)

فقد دلت هذه الآيات على أن الجبال والطير يسبحن ويؤوبن مع تسبيح داود عليه السلام ، ويدل على أن ذلك من باب الحقيقة أنهما فى وقتين عينهما الله تعالى بقوله :

« بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ » .

وأنهما مقترنان بتسبيح داود عليه السلام فى هذين الوقتين ، ولو كان التسبيح منها تسبيح دلالة ، لكان ذلك غير مشروط بتسبيح داود فيهما ، لأن تسبيح الدلاله عام فى جميع الأوقات .

وقصة الهدهد مع سليمان عليه السلام أغرب القصص فى بيان ادراك الحيوان لحق الله تعالى ، وفيها يقول الله تعالى فى سورة النمل :

« وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ

(١) الآية ٣٨ .

(٢) الآيات ١٧ ـ ١٩

أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ • فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ • إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ • وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ • أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ • اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » (١) •

فأنت ترى أن الهدهد قام برحلة استطلاعية فى مملكة سبأ وجاء منها بأخبار عجيبة لا علم لسليمان بها ، ولهذا قال له :

« أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ » •

وذكر له أن أخباره يقينية لا مجال للشك فيها ، خلاصتها أن مملكة سبأ تقوم على رأسها ملكة لها امكانيات عظيمة ، ولها عرش عظيم ، وأن أهل هذه المملكة يسجدون للشمس من دون الله ، وأن الشيطان زين لهم عقيدتهم ، فصدهم عن السبيل الأقوم ، فهم لقوة تأثير الشيطان عليهم لا يهتدون اليه ، وعاب عليهم تركهم لعبادة الله الذى يخرج المخبوء فى السموات والأرض ويعلم سرهم وجهرهم ، فهذا ادراك فائق لشئون المملكة السبئية ، وادراك دقيق لما ينبغى لله من التوحيد والعبادة ، ومعرفة ناضجة لبعض شئون الله تعالى •

وهذه مملكة النحل تحكمها نحلة أنثى كبيرة الحجم تسمى « اليعسوب » وتدير شئونها بكفاءة فائقة ، وتأمر صنف (الشغالة) منها بصنع بيوت مسدسة الاضلاع متشابكة لا يستطيع أمهر المهندسين أن يصنع مثلها الا باستعمال الأدوات الهندسية ، أما النحل فانها تصنعها بأفواهها فى دقة تامة ، واختيارها الشكل المسدس دون غيره ، لأنه هو الشكل الهندسى الوحيد الذى تتعانق وحداته دون فراغ أو اختلال بينها ، فهذا برهان قوى على أن لها ادراكات عالية تستطيع أن تعرف بها الله وتسبح له ، والمثل كثيرة وحسبنا ما ذكرناه ، وقد جاء القرآن العظيم بكل هذا منذ أربعة عشر قرنا ، وقد عرف العلم أخيرا خطورة ادراكاتها التى وصلت الى حد الاحساس بالزلازل قبل حدوثها ، كما عرف يقينا أن للنبات عواطف وادراكات ، فقد اخترع مهندس أجنبى جهازا دقيقا للتسجيل ، استطاع أن يسجل به أحاسيس النبات والشجر اذا قطع منه جزء أو نقل من جواره فسيلة أو شجيرة ، فانه يبرز منه أنينا خافتا ، حزنا على ما قطع منه أو نقل من جواره •

وهناك من النبات أو الأزهار مايدور مع الشمس كيفما دارت كزهرة النبات المعروف باسم عباد الشمس ، ومنها ما ينكمش اذا لمسته

(١) الآيات ٢٠ــ٢٦ •

وينطوى بعضه على بعض ويسميه البستانيون (المستحية) أى التى تستحى من لمسها وتنطوى .

وهذه الذرة أم العجائب ، فهى تمثل هذا الكون فى حركته ودورانه وارتباط بعضه ببعض ، ففى الذرة نواة ، ويدور حول هذه النواة وينجذب اليها بشدة (ألكترونات) فائقة السرعة ، وكذلك الكون تدور كواكبه حول شموسه ، فمن قدر على ذلك لا يعجز عن أن يجعل كل شىء يسبح بحمده ، كما قال سبحانه :

« وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » .
الاسراء ٤٤ .

معجزة علمية قرآنية فائقة

ويقول الله تعالى فى سورة النور أيضا :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّن يَشَاءُ » .

وازجاء السحاب سوقه وتسييره حيث أراد الله تعالى ، وفى هذا المعنى يقول النابغة الذبيانى :

انى أتيتك من أهلى ومن وطنى
أزجى حشاشة نفس ما بها رمق

ويقول أيضا :

أسرت عليه من الجوزاء سارية
تزجى الشمال عليها جامد البرد

وتأليف السحاب جمعه بعد انتشاره ليتصل ويتراكم بعضه فوق بعض .

والله الذى خلق كل شىء وهداه لما خلقه له ، سخر الشمس لتبخر الماء من مسطحاته الشاسعة فى أنحاء الأرض ، وهذا البخار ان بقى حولنا وكثف فهو الضباب ، وان ارتفع الى أعلى فهو السحاب ، وذلك قال العلماء : الضباب سحاب « أنت فيه » ، والسحاب ضباب لست فيه ، والركام المجتمع بعضه فوق بعض ، مأخوذة من ركم الشىء يركمه اذا جمعه وألقى بعضه فوق بعض ، والودق يطلق على البرق وعلى المطر ، ومن اطلاقه على البرق قول الشاعر :

أثرن عجاجه وخرجن منها
خروج الودق من خلل السحاب

ومن اطلاقه على المطر قول الشاعر :

فلا مزنة ودقت ودقها
ولا أرض أبقل أبقالها

ومعنى الآية : ألم تعلم ، أيها العاقل ، المتأمل فى آيات الله أن الله يسوق السحاب المتفرق ويجمعه بعضه الى بعض ، ويركمه بعضه فوق بعض ، حتى يصير ركاما عاليا يشبه الجبال فى منظره ، فتكون قاعدته الى أسفل وقمته الى أعلا ، وقد تعلو تلك السحب المتراكمة الى عشرين كيلو مترا ومن تلك السحب الركامية يخرج الودق — أى المطر أو البرق — وينزل الله من السماء (بمعنى الفضاء فكل ما علاك

سماء) ينزل الله منها — من سحب متراكمة تشبه الجبال بردا له لون الثلج وبرودته ، ويكون صغيرا أو كبيرا حسب مشيئة الله تعالى ، فيصيب به من يشاء ابتلاء ، ويصرفه عمن يشاء رحمة .

« يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ » والبرق ومضات ضوئية متتابعة تنبعث من بين السحب الركامية ، وسناه ضوؤه ، وفى هذا المعنى يقول الشماخ .

وما كادت اذا رفعت سناها
ليبصر ضوءها الا البصير

والمعنى : يقرب ضوء برق السحاب ووميضه المتتابع أن يذهب بالأبصار لشدته وتتابعه ، وبعد هذا العرض والتحليل لمعظم الآية الكريمة نقول : كيف استطاع محمد الأمى الناشىء فى أمة أمية أن يعلم أن السحاب يتكون على هيئة جبال ، ولم يكن فى العالم من يعرف ذلك ، ولا سبيل الى معرفته الا بالطيران فى الجو ، ومشاهدة جبال السحاب الشاهقة الارتفاع ، وكيف استطاع معرفة أن السحاب هو مصدر تلك الومضات الكهربية التى تسمى البرق ، ومصدر هذا البرد الذى ينزل مع الأمطار ، لا سبيل له الى القطع بذلك والجرأة على اعلانه للعالمين ، الا الوحى الذى نزل به الروح الأمين ، مؤيدا له من رب العالمين .

ولقد ختم الله الآية بقوله « يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ »

أى يأتى الله تعالى بأحدهما بعد الآخر ، أو يزيد فى أحدهما وينقص من مقابله ، أو يجعل الليل مظلما والنهار مضيئا ، ان فى ذلك الذى فى الآية من شئون السحاب وأمطاره وبرقه وبرده ، وتقليب الليل والنهار — ان فى ذلك كله لعظة بليغة لأهل البصائر النيرة ، والعقول الوضيئة ،هدى الله عباده الى سواء السبيل .

وقد رأينا أن نختم مقالنا هذا بتعليق خبراء المجلس الأعلى للشئون الاسلامية على هذه الآية الكريمة فى التفسير المنتخب قال الخبراء : نسبق هذه الآية ركب العلم ، فانها تتناول مراحل تكوين السحب الركامية وخصائصها وما عرف عنها فى العهد الأخير ، من أن السحب المطرة تبدأ على هيئة وحدات ، يتألف عدد منها فى مجموعات هى السحب الركامية التى تنمو فى الاتجاه الرأسى ، وترتفع قممها الى علو (١٥) أو (٢٠) كيلو مترا ، فتبدو كالجبال الشامخة ، كما أن هذه السحب هى وحدها التى تجود بالبرد وتشحن بالكهرباء ، وقد يتلاحق حدوث البرق فى سلسلة تكاد تكون متصلة (أربعين تفريغا فى الدقيقة الواحدة) فيذهب ببصر الراصد ، وهذا هو عين ما يحدث للملاحين والطيارين الذين يخترقون عواصف الرعد فى المناطق الحارة ، وينجم عن فقد البصر هذا أضرار بليغة تشكل خطرا حقيقيا على الطيران وسط العواصف الرعدية : أ هـ .

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

أكثر الناس فى القرآن الكريم

للدكتور محمد محمد خليفة

جاء التعبير بقوله تعالى : أكثر الناس خلال تذييل الآيات القرآنية فى عشرين آية فى القرآن ، وقد تنوع فيها الحكم على هذه الأكثرية من الناس :

فنفى عنهم العلم فى احدى عشرة آية جاءت بصيغة : أكثر الناس لا يعلمون .

ونفى عنهم الايمان فى أربع آيات : ثلاث منها جاءت بصيغة المضارع : « أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ » وآية منها جاءت بصيغة اسم الفاعل « وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ » .

ونفى عنهم الشكر فى ثلاث آيات جاءت بصيغة : أكثر الناس لا يشكرون .

ووصف أكثر الناس بالكفران فى آية جاءت بصيغة : فأبى أكثر الناس الا كفورا .

كما وصفهم بالنفور فى آية جاءت بصيغة : فأبى أكثر الناس الا نفورا .

واليك بيان كل نوع منها :

« أكثر الناس لا يعلمون »

١ ـ حول الساعة قال تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

الأعراف ١٨٧ .

سبب النزول :

روى عن ابن عباس أن بعض اليهود قالوا : يا محمد أخبرنا متى نقوم الساعة فنزلت الآية ، وروى عن الحسن وقتادة : أن قريشا

قالوا : يا محمد بيننا وبينك قرابة فاذكر لنا متى الساعة فنزلت الآية ، وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة ، أو لأنها على طولها كساعة واحدة ، أو لأن حساب الخلق يقضى فيها فى ساعة واحدة .

ومرساها : مصدر بمعنى الارساء ، ولثبات الشىء الثقيل كارساء الجبل ، وأى شىء أثقل على خلق الله من الساعة التى تتكور لوقعها الشمس وتنتثر النجوم .

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يجيب سائليه انما علمها عند ربى ، فقصر علم وقت قيامها على الله ، وفى أكثر من آية فى القرآن أخبر الله عن استئثاره بعلم الساعة فى مثل قوله :

(إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) :

وقوله :

« إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا » .

وقد سأل جبريل رسول الله ﷺ : متى الساعة ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : ليس المسئول عنها بأعلم من السائل ، فجبريل على سمو منزلته عند الله لا يعلم وقت قيام الساعة ، ويسأل رسول الله عن وقتها ، والرسول كجبريل ـ لا علم له بوقت قيامها .

وقد أخفى الله أمر قيامها ليكون ذلك حافزا على الطاعة وزاجرا عن المعصية ، وقد أكد الله أمر اخفائها بقوله : لا يجليها لوقتها الا هو) فلا يقدر على اظهار دقتها من حيث الاعلام عنه الا الله ثم وصف الساعة بالثقل على أهل السموات والأرض حيث يفنون عندها جميعا ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام ، أو ثقلها يكون على نفس السموات والأرض حيث تتشقق السموات . وتتبدل الأرض غير الأرض والسموات .

وقد وصف الله يوم القيامة بالثقل فى قوله :

(وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا)

ووصف زلزلة الساعة بالعظمة فى قولة : **إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا)** ، ووصف عذاب الساعه بالشدة فى قوله :

(وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)

وما أعظم ثقلها على قلوب الثقلين حين يرون أنهم صائرون الى الحساب فتدمى تلك القلوب خوفا من الله ومن عذاب الله .

وقد أكد الله اخفاءها فى أسلوب قصر : **لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً)** فقصر اتيانها على البغتة والمفاجأة .

وقد روى الحسن عن النبى ﷺ ـ أنه قال : والذى نفس محمد بيده لتقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك .

وفى قوله :

(يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) .

تقديم وتأخير ، والتقدير : يسألونك عنها كأنك حفى بها أو يسألونك كأنك حفى بهم ، والحفى : البار اللطيف العشرة ، وذلك يوافق

مقالة قريش . لنبى ﷺ :ان بيننا وبينك قرابة فاذكر لنا متى الساعة ؟ فقال الله لنبيه ﷺ : (يسألونك) أى كأنك صديق لهم بار بهم .

وقد يكون معنى الحفى المراد : الكثير السؤال الشديد الطلب من الالحاح والالحاف فى السؤال .

كقولهم : تحفى فى المسألة واستقصى البحث فيها ، والمعنى : يسألونك كأنك أكثرت السؤال عنها وبالغت فى طلب علمها ، والسؤال هنا عن حقيقة ثقلها ومقدار شدتها .

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

السبب الذى لأجله أخفيت معرفة وقت الساعة عن الخلق والقلة القليلة من الناس هم الذين يدركون حكمة كتمان الساعة ، وأن ذلك الكتمان يحمل المكلفين على المسارعة فى التوبة عند اقتراف الذنب حتى لا تفجؤهم الساعة قبل أن يتوبوا ، كما يحملهم على طاعة الله فى اتباع أوامره واجتناب نواهيه حتى لا تبغتهم زلزلة الساعة فلا ينفعهم ساعتئذ توبة ولا ندم أو أن أكثر الناس لا يعلمون أنه العالم المختص وحده بعلم وقت قيامها وعلم ثقلها .

٢ ـ وفى قصة يوسف عليه السلام قال تعالى :

وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) .

يوسف ٢١ .

قيل : ان الذى اشترى يوسف هو العزيز الذى كان يتولى خزائن مصر ، واختلف فى اسم المرأة التى ورد ذكرها فى قصة يوسف عليه السلام ، فقيل : زليخا ، وقيل : راعيل .

ومعنى أكرمى مثواه : منزله ومقامه ، أى : اجعلى منزله عندك كريما حسنا ، وعلل ذلك الاكرام برجاءين :

(عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا) .

أى يقوم بما نحتاج من خدمات .

(أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) .

وذلك يشير الى أنه كان حصورا لا يولد له وكما مكن الله ليوسف فأنعم عليه بالسلامة من الجب مكن له كذلك بأن جعل له مكانا فى قلب العزيز بعد خروجه من السجن فمكن له فى أرض مصر..

ثم أخبر الله عن يوسف أنه علمه من تأويل الأحاديث فأرسله الى الخلق بتبليغ التكاليف ودعوة الخلق الى الحق ، أو أن الله أوحى اليه بزيادات ودرجات تزداد يوما بعد يوم .

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ) أى أمر نفسه ، لأنه فعال لما يريد لا يدفع قضاءه دافع ولا يرد حكمه أحد فى الأرض ولا فى السماء .

أو غالب على أمر يوسف حيث ان أمر يوسف كان بتقدير الله ، وقد أراد اخوته به

السوء ، ولكن الله جعل له فى ذلك الخير حيث دبر له بذلك الانتقال الى مصر على يد من أنجوه من البئر •

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن الأمر كله بيد الله وأن تدبير الأمور بيد المدبر الحكيم والقلة من الناس هم الذين يدركون أن أمور الكون ومن فيه بيد الله الذى لا تخفى عليه خافية وهكذا نفى الله عن أكثر الناس علمهم بأن الله له الخلق والأمر فيما خلق يدبر الأمر وحده لا شريك له فى تدبير ذلك الملك •

***

٣ ــ وجاء فى حوار يوسف مع صاحبى السجن قوله تعالى :

(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) •

يوسف ٤٠ •

نادى يوسف عليه السلام رفيقيه فى السجن فهما صاحباه وان قلت مدة المرافقة ليبلغهما الدلائل والحجج التى تنطق بفساد عقيدة عباد الأصنام الذين يتوقعون حصول النضج والضرر منها ، وهى لا تنفع ولا تضر ، ولهذا كانت رسالة الأنبياء جميعا دعوة الناس الى البعد عن عبادة غير الله ، وأول هذه الدلائل جاء على صيغة الاستفهام الانكارى : أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار حيث ان كثرة الآلهة توجب فساد العالم (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) أما وجود الاله الواحد فهذا يقتضى حسن النظام ونفى الخلل فى التدبير •

وهذه الأصنام التى يعبدونها من صنع أيديهم فهى مصنوعة لا صانعة فهى لا تأثير لها ولا نفع يرجى منها ولا ضرر يخشى ، أما الاله الواحد رب العالمين فهو صانع كل شىء •

فكأنه يسأل هؤلاء فينكر عليهم معتقدهم : أأرباب متفرقون فى الشكل واللون والحجم مع أنها من صنع الناس خير أم الله الواحد القهار الصانع •

وان تعدد الآلهة يسوق الى حيرة الناس فى أيها خليق بالعبادة ؟ ومن منها خلق الخلق ؟ ومن رزق الناس والطير وعوالم البحر والبر ؟ ومن يرسل الخير وينزل من السماء ماء فيحيى به الزرع والضرع والكائنات ؟ •

ان وجود اله واحد ينجى من الحيرة ويزيل الشك ، ويدل على أنه وحده المستحق للعبادة •

وقد عبر بقوله : (أأرباب) فوصف الأصناف بالربوبية لأنهم يعتقدون منها ذلك كما يزعمون ، أو عبر بذلك على سبيل الفرض على معنى أنها ان كانت أربابا : أفهى خير أم الله الواحد القهار ؟ •

والتفاضل بينها وبين الله على سبيل الفرض كذلك والمعنى لو سلمنا أنه يحصل منها ما يوجب الخير أفهى خير أم الله الواحد القهار ؟ •

ثم بين أنهم ما يعبدون من دون الله الا أسماء سموها هم وآباؤهم وما أنزل الله فى شأن هذه التسمية حجة ولادليلا يدعو الى عبادتها ، ولم يأمر بشىء من ذلك ، وانما أمره الذى أوجبه على خلقه ألا يعبدوا الا اياه ، لأنه الخليق بالتعظيم والاجلال ، لأنه المنعم وحده على خلقه •

وذلك الدين الذى يدعو الى عبادة المنعم هو الدين القيم الثابت الذى تدل عليه البراهين الكثيرة •

وقد قيل : ان عبدة الأوثان يعتقدون أن الاله هو النور الأعظم ، وأن الملائكة أنوار صغيرة ووضعوا على صورة تلك الأنوار هذه الأوثان ، فهم يعبدون هذا الذى تخيلوه ، ووضعوا له الأسماء ، وبعد أن بين الله أن (تخصيصه بالعبادة) هو الدين الذى استقامت عليه الأدلة والبراهين أخبر أن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك الدين هو الدين القيم لعدم علمهم بتلك البراهين التى تدل على أنه الدين القيم •

أو نفى عن أكثر الناس العلم كله حيث يعبدون أسماء سموها هم بعد أن أعرضوا عن كل برهان عقلى أو نقلى •

٤ ـ وحول علم يعقوب عليه السلام قال تعالى :

« وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) •

يوسف ٦٨ •

لقد طلب يوسف من اخوته بعد أن عرفهم ولم يعرفوه أن يؤتوه بأخ لهم من أبيهم وهو شقيق يوسف الوحيد ، فقالوا : **(سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ)** ، وعادوا الى أبيهم يراودونه فى تحقيق ما طلب يوسف فأخذ عليهم أبوهم يعقوب ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام العهود والمواثيق ، وأمرهم أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة عند دخولها ، ودخلوا من حيث أمرهم أبوهم تحقيقا لحاجة فى نفس يعقوب ، وبين المفسرون تلك الحاجة فى أنها خوفه عليهم من اصابة العين والحسد ، أو يقصدهم ملك مصر بشر •

وأخبر الله : أنه لذو علم للشىء الذى علمه اياه ، وقد يراد بالعلم هنا : الحفظ ، والمعنى : انه لذو حفظ لما علمناه ، أو المعنى : انه لذو علم لفوائد ما علمناه ، فهو عالم عامل بعلمه **(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** مثل ما علم يعقوب ، أو لا يعلمون أن يعقوب بهذه الصفة من العلم والمراد بأكثر الناس : المشركون فانهم لا يعلمون ارشاد الله لأوليائه الى ما ينفعهم فى الدنيا والآخرة من العلوم المختلفة •

٥ ـ وحول موقف منكرى نبوة محمد ﷺ ساق الله ـ عز وجل ـ احدى شبههم ورد عليها فى قوله تعالى :

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) •

النحل ٣٨ ، ٣٩ •

لقد قال منكرو البعث : ان الانسان اذا مات وتناثرت أجزاؤه بعد حين امتنع عوده بعينه فلا يبعث ، ومحمد ﷺ يقول بالبعث وهو قول باطل عندهم ومن يقول قولا باطلا لم يكن رسولا صادقا .

وقد أقسم المنكرون أن الله لا يبعث الموتى ، ورد الله عليهم بقوله : بلى ، وهذا يفيد اثبات ما بعد النفى ، والمعنى : بلى يبعثهم ، ثم أكد ذلك بالمصدر ، والمعنى : وعد بالبعث وعدا حقا (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) لأنهم يجهلون علم الله وقدرته على البعث الذى وعد به ، ويقولون كما قال آباؤهم :(لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) .

ولا يعلمون أن الله وعدهم بالبعث (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) من أمور البعث ، (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله وأنكروا البعث وكذبوا وعده (أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) فى كل ما يقولون ولاسيما فيما أقسموا عليه بالله جهد أيمانهم أى جاهدين فى أيمانهم أنه لن يبعث الله من يموت .

وقد نفى الله العلم عن أكثر الناس فى هذا الموطن ، والمراد بأكثر الناس هنا ، أولئك الذين ينكرون البعث ويقسمون على ذلك ، ومرجع حكمهم الى أن الله لا يبعث الموتى جهلهم بقدرة القادر العظيم على احياء الموتى كما أنشأهم من قبل حيث لم يكونوا شيئا .

يتبع

د محمد محمد خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقوى الله « وحسن الخلق »

جمع النبى - ﷺ - بين تقوى الله ، وحسن الخلق ، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وربه .

وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه .

فتقوى الله توجب محبة الله ، وحسن الخلق يدعو الناس الى محبته .

عن « الفوائد » - « نوفل »

من نفحات السنة المباركة

العدل

للدكتور محمد محمود شعبان

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله · امام عادل · وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل » الحديث : متفق عليه ·

وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ قال : « ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وما ولوا : »

العدل : صفة من صفات ذى الجلال والاكرام وصف بها نفسه · وأمر بها عباده فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ : النحل (٩٠)

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ : الأنعام (١٥٢)

وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ : المائدة (٨)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ : النساء (٥٨)

والعدل : هو التوسط بين الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها وليس هناك صفة نوهت بها الشرائع والأديان على اختلافها كهذه الصفة ولذلك أمر الله بها فى جميع كتبه وجاء بها جميع أنبيائه ورسله ·

ولا توجد هناك صفة تجعل لصاحبها بين الناس مكانة علية وفى قلوبهم منزلة رفيعة الا صفة العدل ·

لذلك قال رسول الله ﷺ لعمل الامام العادل فى رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد فى أهله مائة عام أو خمسين عاما : رواه أبو نعيم ·

وقال ﷺ : « عدل ساعة خير من عبادة

◄

سبعين سنة » : رواه أبو نعيم •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء : رواه أبو داود •

ولقد جعل الرسول ﷺ الامام العادل من الذين يشملهم الله تعالى يوم القيامة برحمته فلا يذوقون حرارة الموقف ولكنهم يستظلون تحت ظل العرش ويكونون فى أمان من الفزع يوم القيامة •

بل يقفون على منابر من نور كما ورد فى الأحاديث الشريفة ويروى أن الاسكندر سأل حكماء بابل : أيهما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل ؟ قالوا : اذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة •

وقال بعض الحكماء : اذا رغب السلطان عن العدل رغبت رعيته عن طاعته •

وقيل : عدل السلطان أنفع للناس من خصب الزمان •

وقال الشاعر الحكيم •

فلم أر مثل العدل للمرء نافعا

ولم أر مثل الجور للمرء واضعا

والعدل أساس الدين والملك ، وعمران الدنيا فلا يتوفر الدين ولا يقوم العمران ولا يستقيم حال مملكة الا اذا وجد عدل يأمن به الخائف وينتصف به المظلوم • ويطمئن الى حصانته من ليس له ناصر ويأوى الى كنفه كل ضعيف وبائس ومحروم •

قال رسول الله ﷺ يا أيها الناس : اتقوا ربكم ولا يظلم أحد منكم مؤمنا الا انتقم الله منه يوم القيامة : البخارى ومسلم •

والعدل أنواع : العدل بين العبد وربه : ايثار حق الله تعالى على حظ نفسه وتقديم رضاه على هواه • وامتثال الأوامر واجتناب الزواجر •

قال تعالى : « **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** » : النساء (١٣ ــ ١٤)

وقال تعالى : « **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا • وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** » : الطلاق (٢ ــ ٣)

ثانيا : العدل بينه وبين نفسه : وهو أن يمنعها مما فيه هلاكها • وأن يلزمها القناعة فى كل حال ومعنى • وأن يسلك بها سبيل الاتباع لا الابتداع وأن يجعل صراطها الكتاب والسنه :

قال تعالى : « **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ • وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا • فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ • وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ • فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ** » : النازعات (٣٧ ــ ٤٠)

ثالثا : العدل بين العبد وبين الخلق : فيبذل النصيحة لهم • وترك الخيانة لهم فيما قل أو كثر • وانصافهم من نفسه بكل وجه • وعدم الاساءة الى أحد بقول أو فعل لا فى سر ولا فى علن • والصبر على أذاهم والأخذ على أيديهم بمنعهم من الظلم : قال تعالى :

« خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » : الأعراف (١٩٩) •

وقال — ﷺ — أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها :

« أوصانى بالاخلاص فى السر والعلن والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر • وأن أعفو عمن ظلمنى وأعطى من حرمنى وأصل من قطعنى : الحديث (١) •

وقال تعالى :

« وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » :

آل عمران (١٣٣ — ١٣٤) •

وعلى هذا فعدل العالم : تعليم الناس كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ ونصحهم بالمعروف وابعادهم عن المنكر •

قال تعالى :

« فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » :

التوبة •

وقال تعالى :

« كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »

آل عمران (١١٠)

وقال ﷺ : « خيركم من علم القرآن وعلمه » متفق عليه •

وان الملائكة لتصلى على معلم الناس الخير » (١) •

وعدل الحاكم : حكم بما أنزل الله فلا يميل الى هواه ولايحيف فى حكم ولايقرب جاهلا ظالما ليعاونه ولا جبارا ليبطش بالخلق قال تعالى :

« وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ » :

---

١ — الحديث اخرجه ابن قتيبة الدينورى فى عيون الاخبار فى كتاب الزهد ج ٢ ص ٣٦١ طبع المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر « تراثنا » بلفظ :

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمى عن الحسن ابن ذكوان — رفع الحديث الى النبى — صلى الله عليه وسلم قال : (أوصانى ربى بتسع خصال ، وانى موصيكم بها •• الحديث)

١ — الحديث اخرجه الترمذى فى السنن بلفظ : « ان الله وملائكته وأهل السموات والارضين حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير » وقال : حديث غريب •

سنن الترمذى كتاب العلم باب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة ج ٥ ص ٥٠ رقم ٢٦٨٥ ط مصطفى الحلبى •

ابراهيم (٤٢) وقال تعالى :

« وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » :

النساء (٥٨) •

وقال عليه السلام : ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته : متفق عليه •

لهذا جعل الخليفة الأول الصديق — رضى الله عنه • هذه الكلمات أساس حكمه التى لم يغادر فيها حرفا الا حققه بكل دقة واتقان كما علمه الاسلام وكما أدبه صاحب الشرع العظيم فقد خطب الناس عندما تولى الخلافة فقال :

أيها الناس : « انى وليت عليكم ولست بخيركم فأن كنت على حق فأعينونى وان كنت على باطل فقومونى • أعينونى ما أطعت الله ورسوله فان عصيته فلا طاعة لى عليكم • الضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه » •

ورحم الله عمر اذ يقول لأبى موسى الأشعرى وقد ولاه القضاء : آس بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لايطمع شريف فى حيفك • ولا ييأس ضعيف من عدلك • البينة على من ادعى • واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا •

وهكذا نجد أن تاريخ الاسلام كله لم يقم الا على العدل والمساواة بين الرعية مصداقا لقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » •

الحجرات (١٣) •

عرف المسلمون الأولون هذا المعنى الكريم وطبقوه على أنفسهم وعلى غيرهم تحقيقا لقوله تعالى :

« لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » •

الممتحنة (٨) •

وتنفيذا لما أمر الله تعالى به نبيه ﷺ :

« فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »

المائدة (٤٢) •

وهكذا نجد الاسلام يتحرى العدل فى كل شىء ويجعله أساسا لكل ظفر وقد لزم العدل أولئك الذين هداهم الله فانتصروا وظفروا وبارك الله حياتهم وجعل القلوب متعلقة بهم حتى قلوب أعدائهم الذين كانوا يرونهم فى حكمهم أحنى عليهم من آبائهم وأبر بهم من أبنائهم فكانوا يؤثرون سلطانهم ويتمنون خلود حكمهم وبقاء دولتهم •

ولقد كان ذلك العدل شاملا خالصا لارياء فيه ولا سمعة ولم يكن باطلا مزيفا **« ظَاهِرُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَبَاطِنُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ »** لم يكن عدلا كالذى يتظاهر به المستعمرون من أهل الشرق والغرب الذين يمتصون دماء الأبرياء

ويأكلون أموالهم ويسلبونهم حريتهم ويحاولون أن يجردوهم حتى من انسانيتهم . كما يحدث أمام أعيننا فى هذه الايام .

ولقد نهت الشرائع كلها عن الظلم الذى هو ضد العدل فقال تعالى :

« لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .

لقمان (١٣) .

وقال تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا » .

النساء (٤٠) .

ولقد بين القرآن الكريم عقاب الظالمين من الأمم السابقة فقال :

« فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » .

العنكبوت (٤٠) .

وقال تعالى :

« وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » .

هود (١٠٢) .

وقال تعالى :

« وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ . وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ . وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ » :

ابراهيم (٤٢ — ٤٥) .

ولقد نهى القرآن الكريم عن معاونة الظالمين والقرب منهم : فقال تعالى :

« وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ »

هود (١١٣) .

وقال تعالى :

« فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » .

هود (١١٦ — ١١٧) .

ووضح القرآن الكريم بأن الظالمين سيكونون حطبا لجهنم : فقال :

« وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا » .

الجن ١٥ .

وأنه لايحبهم ولايشملهم برحمته فقال :

« إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ :
الشورى (٤٠) •

وقال ﷺ : « اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب ••

يقول الله تعالى :

« وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين »
رواه مسلم •

وقال ﷺ : ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم تـــلا :

« وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القـرى وهى ظالمة » : متفق عليه •

ولقد بين الرسول ﷺ ان القضــاء للمرء والحكم لصالحه لايكون دليلا على أنه محــق ولا يبيح له أخذ مال أخيه فان القــاضى مجتهد يحكم بمقتضى ما قام عنده من الدليل وهو غير مؤاخذ عند الله انما المؤاخذ من يلبس عــلى القاضى ليأخذ أموال النــاس بغير حق فيأتى بشهود مأجورين يقولون مالا يعلمون ولذلــك قال ﷺ :

انكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقتضى له على نحو ما أعلم فمن قضيت له بشىء من مال أخيه فأنمــا اقتطع له قطعة من جهنم : متفق عليه •

وقال ﷺ : « من اغتصب قيد شبر مــن أرض طوقه من ســبع أرضــين يوم القيامة : متفق عليه •

وليعلم الظالم أنه لاشــفيع يوم القيامة :

قال تعــالى :

« مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ »
غافــر ١٨ •

وقال ﷺ : اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن ســـفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ، متفق عليه •

وقال ﷺ :

لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرنــاء : رواه مسلم •

وليس الظلم قاصرا على أكل أموال الناس بالباطل بل الظلم يتعدى الى أكثر من هذا فمن كان عنده امرأتان ومال الى احداهما وأعطاها أكثر من الأخرى فقد ظلم قــال رســول الله ﷺ :

من كان تحته امرأتان ومال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل •

ومن حرم بناته من الميراث أو أعطى بعض الأولاد أكثر من اخوته بدون رضاهم فقد جار وظلم •

قال ﷺ : اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم متفق عليه •

ومن ضرب انسانا أو سبه أو قذفه أو اغتابه أو كذب عليه أو اعتدى على عرضه أو ســلبه حقه أو وضعه فى مكان غيره أحق به منه فقــد ظلم •

ومن ارتشى أو قدم رشوة أو انتهك حرمات الله تعالى أو مال الى أحد الخصمين أو قــرب صاحب بدعة وغيره أفضل منه ، أو أنكر السنة ، أو سب الصحابة فقد جار وظلم •

قال رسول الله ﷺ :

أتدرون من المفلس ؟

قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع
فقال :

ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار • رواه مسلم •

وقال ﷺ :
قال الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لأنتقمن من الظالم فى عاجله وآجله • ولأنتقمن ممن رأى مظلوما فقدر أن ينصره فلم يفعل • رواه أصحاب السنن •

وقال ﷺ : لايقبل الله صلاة امام حكم بغير ما أنزل الله (١) •

وقد كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه يطلب منه مالا يصلح به ما خرب فى مدينته فكتب اليه عمر رضى الله عنه يقول له : قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابى فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فانه مرمتها والسلام •
ولقد كتب بعض الملوك ••

لاتظلمن اذا ما كنت مقتدرا
فالظلم يفضى الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

وليس للظالمين فداء ولا نجاة •
قال تعالى :

« وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَالَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَاكَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » •

الزمر (٤٨) •

فاللهم وفقنا للعمل بالعدل والاحسان • وجنبنا الزلل والخسران وأعنا على سلوك صراطك المستقيم حتى نحشر مع النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين : آمين •

« رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » •

« د • محمد محمود شعبان »

---

١ ـ الحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك فى كتاب الاحكام ج ٤ ص ٨٩ من رواية طلحة ابن عبيد الله ـ (رضى الله عنه) ـ وقال : حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه • قال الذهبى : قلت: سنده مظلم فيه « عبد الله بن محمد العدوى » متهم • الباجورى

قوانين التقاضي في مصر في نطاق الشريعة الإسلامية

ما دور الأزهر في مقاومة المبادئ الهدامة؟

الدستور والشريعة الإسلامية

زار مؤخرا فضيلة شيخ الأزهر « الشيخ جاد الحق على جاد الحق » المغرب بدعوة من جلالة الملك الحسن الثانى .

وقد اغتنمت (عكاظ) فرصة وجود فضيلة شيخ الأزهر فى المغرب فاجرى معه مندوبها فى الرباط الحديث التالى .

*** نحن نعرف ان الدستور المصرى يقول بالشريعة الاسلامية . باعتبارها المصدر الرئيسى للتشريع . وعلى مستوى مجلس الشعب (الهيئة التشريعية) تبذل جهودا لتطبيق الشريعة الاسلامية . الى أى مدى وصلت هذه الجهود .**

** الحقيقة التى يجب أن تكون واضحة ان قوانين مصر فى جملتها توافق الشريعة . فالقانون المدنى الصادر سنة ١٩٤٨ م والذى نفذ اعتبارا من عام ١٩٤٩ م توافق نصوصه فيما لا يقل عن سبعين بالمائة الشريعة الاسلامية . لا يخالفها فيه سوى النصوص التى تبيح الربا وعقود الغرض . قانون العقوبات المصرى بكامله يدخل فى باب التعازير الشرعية .

كل قوانين التقاضى تسير فى نطاق الشريعة الاسلامية . لا ينقص التطبيق سوى ما أطلق عليه علماء المسلمين الحدود ، فى باب العقوبات . وسوى ما يتعلق بتحريم الربا وعقود الغرض وغيرها .

هذه الامور التى تخرج فى التطبيق عن نطاق الشريعة عنى الأزهر من سنوات طويلة بأن يستعد ووضع فعلا مشروعات قوانين . ثم قامت الحكومة منذ سنة ١٩٧٤ م بتشكيل لجنة فى محكمة النقض اشترك فيها كبار رجال القضاء مع علماء الأزهر ووضعوا قوانين الحدود فعلا . ثم مجلس الشعب منذ سنة ١٩٧٨ قام بتشكيل عدة لجان اشترك فيها علماء الأزهر ورجال القانون أيضا . وكل لجنة تخصصت بفرع من فروع القانون . وأعدت هذه المشروعات . وراجعها الأزهر بصفة

رسمية • وبعضها مازال تحت المراجعة • ونأمل ان شاء الله من مجلس الشعب الجديد أن يواصل خطواته نحو اصدار هذه القوانين •

دور الأزهر

*** ما هو الدور الذى يضطلع به الأزهر لنشر التعاليم الاسلاميه داخل مصر أولا ، قبل أن أسألكم عن دوره على نطاق العالم الاسلامى ؟**

* الأزهر يتبعه معاهد تقارب الآن نحو ١٥٠٠ معهد انتشرت فى جميع انحاء مصر • وله جامعة الأزهر التى تمثل التعليم العالى لها الآن حوالى ٣٢ كلية منتشرة فى أنحاء مصر • الأزهر له هذا فى الداخل • وليس الأزهر فقط مؤسسة تعليمية وانما واجبه الأول هو الدعوة • أبناؤه وعلماؤه هم الذين يقومون بالدعوة فى الداخل اما عن طريق الأزهر • واما عن طريق الاوقاف • لأن حكومة مصر تقوم بالانفاق على المساجد من كل نواحيها • من حيث التعمير ، والأئمة ، اقامة الشعائر • ومن حيث القائمين بالدعوة بهذه المساجد • وهؤلاء هم من علماء الأزهر الذين تخرجوا فيه • ويتبع الأزهر ، أو بالأدق يتبع مجمع البحوث الاسلامية قسم الوعظ الذى يباشر الوعظ على الوجه العام بالمساجد فى جميع أنحاء القطر المصرى •

ومن حيث الخارج • فمن المعروف أن الأزهر له بعثات تعليمية • فمثلا فى الصومال بعثة تعليمية منذ سنة ١٩٥٢ م • وتتكون من نحو ١٦٠ عالما يقومون بتعليم نحو أربعة آلاف طالب فى معاهد أزهرية هناك تنفق عليها مصر • وله فى نيجيريا معهد يتبعه ، وله فى السنيغال • وفى الجملة ، فان لمصر ، من الأزهر فقط أكثر من خمسة آلاف عالم فى خارج مصر ، فى افريقيا وآسيا واوروبا وفى كل بلاد العالم • يقومون بواجبهم التعليمى والتثقيفى للمسلمين ثم الدعوة الى الاسلام •

تطوير الأزهر

*** هناك رأى يتردد يقول ان القانون الصادر سنة ١٩٦١ بشأن تحديث الأزهر ، خرج بالأزهر عن الخط الذى كان يجب أن يسير فيه •**

* القانون نظم وأدخل دراسات جديدة فى نظر هذا العصر • اذا رجعنا الى تاريخ الأزهر ، وباعتباره كان الجهة الثقافية الوحيدة المستمرة ، لا فى مصر وحدها ، بل فى العالم الاسلامى ، كان يدرس الطب وكان يدرس الفلك ، وكان يدرس كل العلوم المعاصرة فى هذا الوقت ، ثم هجر تلك العلوم بعد أن نشأت بجانبه المدارس الأخرى • نحن نذكر أن محمد على أثناء حكمه أنشأ مدارس متخصصة فى الطب ، وفى الهندسة ، وفى الحربية •• الخ • وكان الأزهر فى ذلك العصر هو مورد هذه المدارس الجديثة • كان محمد على يأخذ لبعوثه الى فرنسا طلبة الأزهر • حين يوجد أبناء وأحفادا واخوة لأى شخص لابد أن يشاركوه فى مهمته • وحين وجدت الجامعات

الحديثة ، والتعليم الحديث ، شارك الأزهر فى هذا التعليم وحمل عنه بعض أعباء • فقامت الجامعات ، وأقدم جامعة هى جامعة القاهرة ، وكانت تسمى الجامعة المصرية • درست الطب والهندسة وغيرهما ، فحملت عن الأزهر بعض هذه الأعباء • ونحن فى زمن التخصص وهكذا اقتصر الأزهر على مهمته الاساسية ، بعد أن قامت الجامعات المذكورة وهذه المهمة هى الدراسات الخاصة بعلوم اللغة والشريعة •

فاذا جاءت الفرصة ليشارك الأزهر فى العلوم المعاصرة ، لا لأن مصر كانت فى حاجة الى جامعة أخرى ، لأن فيها عدة جامعات ، وانما كان الهدف أن يتخرج من الأزهر عالم على نمط جديد ، يستطيع أن يقوم بالدعوة بأسلوب العصر ، فكان لابد من التفكير فى أن يكون هناك الطبيب العالم ، والمهندس العالم ، والصيدلى العالم ، الذى يعرف أصول الاسلام وأصول لغته وأصول العلوم •

هذا هو الهدف من قانون ١٩٦١ م الذى أطلق عليه قانون تحديث أو تطوير الأزهر •

هذا قصد لا شك قصد حسن ، وان كانت الثمرة المرتجاة لم تظهر حتى الآن ، لأن العمل فى مصر يستوعب الخريجين من كل هذه الجامعات ، سواء فى الطب أو فى غيره • ولم يتيسر الآن استثمار المتخرجين من الكليات التى نطلق عليها الكليات العملية فى الأزهر فى الدعوة بالخارج • ونرجو أن يتاح ذلك قريبا ان شاء الله •

التعاون بين الأوقاف والأزهر

*** ما مدى التعاون القائم بين وزارة الاوقاف المصرية والازهر الشريف ؟**

** التعاون تام جدا ولا يوجد أية مفارقة أو أى تناقض • لأن الوزارة تقوم فى جملتها بالدعوة والأزهر هو الأساس فى الدعوة • فهو جزء منها فى هذه الناحية • لا تناقض اطلاقا ، وانما منتهى التعاون •

استعادة الأوقاف

*** يتردد فى الصحافة المصرية نفسها الحديث عن مطالبة الأزهر باستعادة الأوقاف الخاصة به •• الى اين انتهت هذه المطالبة ؟**

** حين صدر قانون انهاء الاوقاف سنة ١٩٥٢ م وصدر قانون الاصلاح الزراعى حدثت هناك بعض التطورات انتهت بسببها بعض الاوقاف التى كانت موقوفة على الازهر • لكن الدولة قد تحملت عبء الأزهر كاملا • فهى لا تكتفى بموارد الاوقاف الموجودة وانما تعطيه ما يكفيه وزيادة • فهى فى الماضى أيام ان كان للأزهر أوقافه المحددة ، كانت ميزانية الأزهر تقوم على هذه الاوقاف ، ثم تستكمل الدولة بعض الشىء • أما الآن • فان الدولة تقوم بكل متطلبات المصاريف •

والأوقاف فى سبيل الاستعادة ، بمعنى ترتيبها وحصرها لتكون معروفة ، لأن القانون الذى صدر فى سنة ١٩٥٢ م وقانون الحكم

المحلى كان قد وزع هذه الاوقاف على المحافظات وغيرها ، وقد أضاع أو طمس بعض معالم الاوقاف التى كانت موجودة • وهذا ما تقوم وزارة الاوقاف الآن بحصره من جديد ليكون معروفا وبالتالى يمكن معرفة أوقاف الأزهر •

الأزهر هيئة مستقلة

*** هذا الحديث يجرنا الى السؤال التالى :**

الى متى يتمتع الأزهر بالاستقلال

** الأزهر هيئة تعليمية وثقافية من الهيئات المصرية • له استقلاله الذاتى فى ادارة شئونه • والقانون يكسبه هذه الصفة ، ويجعل شيخ الأزهر هو صاحب الرأى فى كل ما يتعلق به • والأزهر يتحرك فى نطاق هذا المفهوم المقنن فعلا ، سواء فى داخل مصر كهيئة تعليمية وسواء فى خارج مصر كجامعة أساسية للدعوة الاسلامية •

مجمع البحوث الاسلامية

*** نعرف أن مجمع البحوث الاسلامية فى مصر عوض به ما كان يعرف بهيئة كبار العلماء ، فما هى رسالة هذا المجمع ، وهل ينهض حقا بما كانت تقوم به الهيئة المذكورة ؟**

** نعم كانت فى الازهر هيئة كبار العلماء أو جماعة كبار العلماء كما كانت تسمى ثم لما صدر قانون ١٩٦١ م استبدلت بمجمع البحوث • مجمع البحوث الاسلامية له اختصاصاته الكثيرة • من بينها أن له مجلسا ، هو الذى يضم العلماء الذين يتولون الامور العلمية فيما يختص بالبحوث الاسلامية ، ومن ضمن مهامه ما كانت تقوم به جماعة كبار العلماء •

مدونة الأحوال الشخصية

*** فى مصر الآن جدل سياسى ودينى حول مدونة الاحوال الشخصية ، خاصة فيما يتعلق بجانب المرأة ، ما رأى الازهر فى هذا الموضوع ؟**

** الجدل القائم يعتبر جدلا شخصيا لا موضوعيا • فقانون الاحوال الشخصية الذى صدر فى سنة ١٩٤٤ م صدر بموافقة شيخ الأزهر ، ومفتى مصر ، ووزير الأوقاف ، وهو قانون مستقى من الفقه الاسلامى بوجه عام ، ونحن فى مصر منذ سنة ١٩٢٠ م لا نكتفى بالاخذ بمذهب واحد ، وانما نأخذ من جميع المذاهب الفقهية المعتمدة • أما فيما قبل سنة ١٩٢٠ م فقد كان العمل مقصورا فى القضاء على فقه أبى حنيفة فقط • أما منذ سنة ١٩٢٠ م فقد صدرت عدة قوانين متلاحقة فى مسائل الاحوال الشخصية تأخذ بفقه مالك وفقه

الشافعى وفقه أحمد ما دام الامر لا يخالف نصا مقطوعا به فى القرآن أو فى السنة •

الذين ينظرون الى القانون الاخير نظرة سيئة أعتقد أنهم غير محقين اذا عرفوا هذا المبدأ • لأنهم يتكلمون من منطلق ، نحن لا نقره الآن فى مصر •

مؤتمر السيرة النبوية

*** تستقبل مصر قريبا المؤتمر الرابع للسيرة والسنة النبوية •**
ما هى الاهداف المتوخاة من وراء استقبال مصر لهذا المؤتمر ؟

** تعلم أن المؤتمر الأول كان فى باكستان والمؤتمر الثانى كان فى تركيا ، والمؤتمر الثالث كان فى قطر • وقد عرضت قطر وهى التى تستضيف المؤتمر الثالث على مصر وعلى الأزهر استضافة المؤتمر ، وأرسلت بذلك وحين عرضت الأمر على السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رحب بذلك خدمة للسيرة والسنة النبوية الشريفة • وليس هناك أى هدف آخر سوى المزيد من الايضاح للسيرة والسنة النبوية •

فكر خاطىء

*** بمناسبة الحديث عن السنة والسيرة ، هناك بعض الدعوات المغرضة فى العالم العربى والاسلامى تقوم على تهميش السنة النبوية بدعوى الاكتفاء بالقرآن الكريم •**

** لا شك أن هذا فكر خاطىء ، لأن من الذى أبلغ القرآن • أليس رسول الله ؟ أليس الله قد عهد اليه بالبيان ؟ فكيف يفارقون بين القرآن والسنة • ان ذلك فكر خاطىء لا شك ، ومن يقل به ، انما يصدم المسلمين فى أساسيات الاسلام •

دور الأزهر فى مقاومة المبادىء الهدامة

*** من المذاهب التى تغزو العالم العربى والاسلامى الشيوعية والبهائية والقاديانية ، الى أى مدى يبذل الازهر من جهد من جل مقاومة هذه المذاهب ؟**

** ان الأزهر يقوم بايضاح حقائق هذه المذاهب وله جولات سواء فى الصحف أو فى الكتب التى صدرت يبين فيها حقائق هذه المذاهب الباطلة التى تناف الاسلام ويحذر المسلمين منها • وعلماؤه الذين ينتشرون فى مصر وفى الخارج ، وكما قلت عددهم يزيد عن الخمسة آلاف مبعوث ، هؤلاء يقومون بالبيان الصحيح لموقف هذه المذاهب من الاسلام أو موقف الاسلام من هذه المذاهب •

دعم القضايا العربية والاسلامية

*** لمصر فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك دور مهم فى دعم القضايا العربية**

والاسـلامية ، نطمع فى المزيـد مـن الايضاح لهذا الدور ؟

** لا شك أن موقف مصر من فلسـطين ومشكلتها منذ نشأت موقف ظاهر وواضح . لقد حملت عبء هذه القضية منذ كانت . وحين دخلت الجيوش العربية كان الجيش المصرى فى مقدمتها . ولعل الحوادث القريبة التى وقعت للفلسطينيين وموقف الرئيس محمد حسـنى مبارك منها موقف واضح ، لا نقول انه موقف مشكور من الفلسطينيين أو غيرهم . لأن مصر ، حين تتقدم بهذه المواقف انما تقوم بواجب تراه ملزما لها ألزمت نفسها به لأنهـا ترى أنهـا مسئولية أمام الله بوصفها شعب مسلما .

ومازالت . وأظن أن هذا أمر واضح ، مازالت مصر تؤدى واجبها فى هذا المضمار بالطـرق السياسية والسلمية .

قضية شعب أفغانسـتان

** بالنسبة لموقف مصر المسلمة من قضية شعب أفغانستان المسلم .

** أيضا . مصر لم تتخل عن أفغانستان وهى تسـاندها وتدعمها ، وقد لا يكون من الخير الاعلان عن تفاصيل هذه المساعدات .

عشرة أشياء ضائعة لا ينتفع بها

علم لا يعمل به وعمل لا اخلاص فيه ولا اقتداء .

ومالا لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه فى الدنيا ، ولا يقـدمه أمامه الى الآخرة .

وقلب فارغ من محبة الله والشوق اليـه والأنس به .

وبدن معطل من طاعته وخدمته .

ومحبة لا تتقيـد برضاء المحبـوب وامتثال أوامره .

ووقت معطل عن استدراك فارط ، أو اغتنام بر وقربة وفكر يجـول فيما لا ينفع .

وخدمة من لا تقـربك خدمته الى اللـه ، ولا تعود عليك بصلاح دنياك وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله ، وهو أسـير فى قبضـته و لايملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشـورا .

وأعظم هذه الاضاعات ، اضاعتان هما أصل كل اضاعة : اضاعة القلب ، واضاعة الوقت . فاضاعة القلب من ايثار الدنيا على الآخرة . واضاعة الوقت من طول الأمل .

فاجتمع الفساد كله فى اتباع الهوى وطول الأمـل والصـلاح كله فى اتبـاع الهـدى والاستعداد للقاء « والله المستعان »

عن « الفـوائد » ـ « نوفل »

قاعدة الشورى والقيادة الحربية

تستخدم الدول عادة فى تنظيم جيوشها نمطين من أنماط التنظيم يسمى الأول « التنظيم الرأسى » •
والثانى « التنظيم الرأسى الاستشارى » (١)

فأما التنظيم الرأسى :

وهو أقدم أنواع التنظيم ، ففيه تمتد السلطة من القائد الى مرءوسيه عن طريق التسلسل القيادى ، وعن طريق هذا التسلسل تصدر تعليمات القادة وقراراتهم الى مرءوسيهم ، وترفع اليهم تقارير المرءوسين ومطالبهم •• وهذا النوع من التنظيم يرتب « مسئولية مباشرة » متسلسلة من أعلى الى أسفل ، ويقتضى ذلك منح كل رئيس أو قائد « السلطات الضرورية » التى تتناسب مع مسئولياته •

وقد يتميز هذا النوع من التنظيم بالبساطة والوضوح والتحديد ، وبالسرعة فى اتخاذ القرارات ، وسهولة عمليات المتابعة والرقابة ، فضلا عن الاقتصاد فى النفقات •

لكن يعيبه أنه يخلو من عنصر المستشارين أو المساعدين المتخصصين ، مما يلقى على القائد وحده عبء الدراسة والبحث والتخطيط واتخاذ القرارات فى كل المجالات التى يشرف عليها ، كما أنه يؤدى عادة الى تركيز السلطة فى يد شخص واحد ، فتتراكم عنده الأعمال وتزداد أعباؤه ويتعرض للوقوع فى الأخطاء •

هذا من وجهة نظر علم الادارة •

أما من وجهة نظر علم النفس ، فانه مهما كانت شخصية القائد ، « فان من الخطر أن يترك وحده للتصرف التام فى جميع شئون الجماعة ، ففى الانفراد بالسلطة معنى التحكم الفردى والتسلط كما أن من المحتمل أن ينحرف القائد عن أهداف الجماعة تحت تغير ظروفه النفسية الخاصة ، كما أن الاعتماد التام على القائد الفرد يعرض الجماعة الى هزات عنيفة عند غيابه أو تغييره مما يؤثر فى استمرار خطة الجماعة » (٢)

(١) التنظيم الرأسى :
Line Organization

والتنظيم الرأسى الاستشارى :
Line And Staff Organization

(٢) د. محمد أبو العلا أحمد وآخر - علم النفس ص ٤٠٢

لواء أ ٠ ح
محمد جمال الدين محفوظ

وأما التنظيم الرأسى الاستشارى :

فهو يوفر عنصر المستشارين أو المساعدين المتخصصين الذين يقدمون للقائد المشورة والنصح ٠٠ وبطبيعة الحال فان عناصر المشورة ، تكبر أو تصغر بحسب حجم التنظيم ، فعلى المستويات الكبيرة تتولى مهام المشورة أجهزة وادارات متخصصة كالشئون المالية والبحوث والعلاقات العامة وغيرها ، أما على المستويات الصغيرة فيتولاها واحد أو أكثر من الخبراء أو المعاونين بحسب الأحوال ٠

وواضح أن هذا النمط من التنظيم يتميز على سابقه فى أنه يقيم قرارات القادة وخططهم على أسس من العلم والخبرة والتخصص ٠ ويمكن

التنظيم أو الجيش من أداء مهامه بطريقة أفضل ٠

الشـورى فى الاسـلام :

* والشورى فى الاسلام أمر مؤكد ، ومن علامات الايمان وقد سميت بها سورة من سور

القرآن الكريم لأن الله تعالى جعلها من شأن المؤمنين ٠ ومهـد لذكرها بتمهيد خاص حين

وصف المؤمنين بأنهم يستجيبون لله ٠ وبأنهم لا يقصرون فى فرائضه وأولها الصلاة ٠ فاذا تم لهم ذلك فهم جديرون بأن يجعلوا الشورى

قاعدة حياتهم وقانون أمرهم ٠ ولو أهملوا الشورى فيما بينهم لاختل شرط من شروط صلتهم بالله ٠ قال تعالى : « **فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٠ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ٠ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** » (الشورى ٣٦ — ٣٨)

* وقد أمر الله تعالى رسوله بأن يشاور أصحابه فقال : « **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** » (آل عمران ١٥٩) وقد جرت سنته ﷺ على تطبيق مبدأ الشورى حتى قال عنه أبو هريرة رضى الله عنه : « ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ »

ومع أنه عليه الصلاة والسلام معصوم من الخطأ وما ينطق عن الهوى ٠ فقد كان يشاور

أصحابه فى الأمور الحربية وغير الحربية ، لكى يعلمنا أن الشورى ركن من أركان المجتمع الاسلامى وأنها من عناصر الايمان ومن آيات الاستجابة لله . والباحث المدقق يستطيع أن يستخلص مبادىء الشورى وآثارها وفوائدها فيما يلى :

١ – الشورى فى الهيكل التنظيمى :

وأول ماتوجه اليه قاعدة الشورى فى الاسلام هو أن يكون نمط « التنظيم الرأسى الاستشارى » هو النمط السائد فى تنظيم الجيوش الاسلامية ، حتى تأتى قرارات القادة على جميع المستويات بعد دراسة وبحث وتقدير من قبل الخبراء والمتخصصين .

٢ – غرس وعى التخطيط ضرورة حيوية :

كذلك يوجه مبدأ الشورى الى أن غرس وعى التخطيط « ضرورة حيوية لاعداد قادة المستقبل » ، وأن على كل قائد أن يغرس هذا الوعى وينميه فى نفوس مرءوسيه عن طريق التعلم والملاحظة والتدريب والممارسة العملية :

*** التدريب على التفكير العلمى المنظم :**

فاذا جمع القائد مرءوسيه ليشاورهم فى أمر من الأمور ، فقد وضعهم فى موقف يقتضيهم التفكير والتقدير وتقليب الامر قبل أن يدلوا بآرائهم ، وبذلك يدربهم على العمليات العقلية التى يستخدم فيها الانسان عقله الذى يعد من أعظم نعم الله عليه .

والواقع أن الناس فى استخدام العقل درجات ، فمنهم من يقصر ذلك على تحصيل المعارف ، ومنهم من لا يكتفى بذلك بل يضيف اليه التأمل وتقدير احتمالات المستقبل ليس على أساس الرجم بالغيب ، ولكن على أساس من امعان النظر فى الحقائق والمعطيات والملاحظة الموضوعية والاحاطة بكل أبعاد المشكلة والقدرة على التصور والاستنتاج المنطقى وبعد النظر .

ولعل هذا هو الذى جعل علماء الادارة يعرفون التخطيط بأنه « عملية تصور لما سيكون عليه المستقبل مع الاستعداد لهذا المستقبل » .

وهكذا تؤدى الشورى الى تدريب القادة على هذا النوع من التفكير المنظم الذى يكفل للعمل المقرر أسباب النجاح .

والاسلام قد جعل التأمل والنظر والتفكير أهم وظائف العقل وجوهرا لعبادة الله كما يفهم من قوله تعالى : « **قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** » (يونس ١٠١)

كذلك فانه يعزى الى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » (١) لا يوحى بضرورة التخطيط للمستقبل القريب فحسب ، بل للمستقبل البعيد أيضا وهو أرقى درجات التخطيط .

*** اشراك المنفذين فى التخطيط :**

والشورى تنطوى على تدريب الأفراد على المشاركة فى العمل وتوثيق الروابط بين المجتمع

(١) هذا الاثر يعزى الى عبد الله بن عمرو بن العاص – الباجورى .

المؤمن وقياداته على أساس مستوى أخلاقى رفيع •

فاشتراك المنفذين فى عملية التخطيط من أهم دعائم الكفاية فى الأداء وفى انجاز الأعمال وتحقيق الأهداف •

وليس من شك فى أن هناك فرقا كبيرا بين أن تكتفى القيادة باصدار القرارات التى « يتعين » على المرءوسين تنفيذها ، وبين أن تحرص على اشراك هؤلاء المرءوسين فى عملية التخطيط قبل أن تصدر قرارات التنفيذ • وواضح أن الأسلوب الثانى يحقق فوائد جمة :

١ ــ فهو يجعل المنفذين أكثر تفهما للأهداف التى يراد تحقيقها •

٢ ــ ويضمن اهتمامهم وحماستهم وايجابيتهم فى تنفيذ الخطة التى « ساهموا » فى وضعها •

٣ ــ ويضمن كذلك « واقعية الخطة » لأنها انبثقت من الطبيعة والواقع الميدانى ومن فكر الذين سيناط بهم أمر تنفيذها ، وهذا بالتالى يضمن ألا تتعثر الخطة أثناء التنفيذ بسبب احتوائها على مهام « يصعب » تنفيذها • والواقع أن القيمة الحقيقية لأية خطة تكمن فى واقعيتها وامكانية تنفيذها . وقد أجمع علماء الادارة والخبراء العسكريون على أن « الخطط ذات الشأن هى التى يكون لديها فرصة أكبر فى التنفيذ ، وتأسيسا على هذا فان مسئولية أجهزة التخطيط لا تنحصر فى مجرد وضع الخطط ، وانما يلزم أن تتأكد من أن هذه الخطط قابلة للتنفيذ بحيث تتحقق الأهداف المتوخاة » (١)

٣ ــ الشورى تدريب على المبادأة :

ثم أن الشورى تدرب القادة على المبادأة والتصرف السليم فى المواقف التى تواجههم « دون الحاجة الى الرجوع الى القيادة العليا » ، وخاصة فى المواقف المفاجئة أو التى لا تحتمل التأخير ، وذلك لأن مشاركتهم فى مرحلة التخطيط تتيح لهم معرفة واسعة بنوايا القائد وأهدافه ، واحاطة وافية بجوانب الموضوع ، تمكنهم من اتخاذ القرار السليم فى المواقف بهدى تفكيرهم وحده ، والواقع أن طبيعة الحرب الحديثة بايقاعها السريع ، أصبحت تتطلب سرعة فائقة فى التصرف فى مواقفها ، وذلك أمر لا يستطيعه ولا يحسنه الا من لديه دراية شاملة بأبعاد الموقف •

من أجل ذلك تحرص الجيوش الحديثة على اشراك أكبر عدد ممكن من المرءوسين فى مراحل التخطيط عند التحضير للمعركة ، وطرح ما يهدى اليه التفكير من احتمالات للمواقف التى يتصور مواجهتها ، ومناقشة أساليب مواجهتها والتغلب عليها •

٤ ــ استشارة أهل الرأى :

والاسلام يوجه الى ما يضمن للقيادة الوصول الى المشورة الصالحة ، وذلك بأن يكون المستشارون من أهل الرأى الذين يصدر

---

(١) عبد الكريم درويش ــ اصول الادارة العامة

رأيهم عن سعة فى المعرفة وعمق فى التجربة والخبرة .

فليس كل انسان أهلا لأن يشاور ، وأن يستطلع رأيه .

وروى ابن مردويه عن على بن أبى طالب قال : سئل ﷺ عن العزم فقال : « شاور أهل الرأى » (١)

والشورى تبدأ ممن ولى أمرا من أمور المسلمين ، باستشارة أهل الرأى حتى يكون قراره موافقا للصواب ومحققا للمصلحة العامة .

ومن هنا قال خليفة رسول الله ﷺ يوم تولى أمر الناس : « أيها الناس ، انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فأن أحسنت فأعينونى، وأن أخطأت فقومونى » ..

وقال عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه : « اذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل : علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم على الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل الرأى » .

وقال عبد الله بن الحسن لابنه محمد :

« احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا ، كما تحذر عداوة العاقل اذا كان عدوا ، فانه يوشك أن يورطك بمشورته ، فيسبق اليك مكر العاقل وتوريط الجاهل » .

٥ — الرأى أمانة

ويقرر الاسلام ان ابداء الرأى « أمانة ومسئولية » ، وأن على من يستشار أن يقول رأيه « بصدق واخلاص » وفى ذلك يقول الرسول — ﷺ — « المستشار مؤتمن » (رواه ابن ماجه بسنده عن أبى هريرة) ويقول أيضا : « اذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » (رواه ابن ماجه بسنده عن أبى جابر) .

ويعتبر الاسلام الانحراف عن الصدق والاخلاص فى ابداء الرأى « من قول الزور » الذى أمر الله باجتنابه ، وقرنه بعبادة الأوثان فى قوله جل شأنه :

« فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ » (الحج ٣٠) .

كذلك يحذر الاسلام من الامتناع عن ابداء الرأى ، ويعده من شهادة الزور ، فعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من كتم شهادة اذا دعى اليها كان كمن شهد الزور » (٢) .

---

(١) الحديث فى مجمع الزوائد فى كتاب العلم باب الاجتهاد د ج ١ ص١٧٨ بلفظ : عن على قال : قلت يا رسول الله : ان نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهى فما تأمرنى . قال : شاوروا فيه الفقهاء والعابدين ولا تمضوا فيه ... الخ قال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الاوسط ورجاله موثقون من أهل الصحيح . الباجورى .

(٢) الحديث اخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد فى كتاب الاحكام باب فى الشهود ج ٤ ص ٢٠٠ طبع دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٢ سنة ١٩٨٢ بلفظ : عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم — قال : (من كتم شهادة .... الحديث وقال : رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط وفيه ، (عبد الله بن شعيب ابن الليث فقال : ثقة مأمون ، وضعفه جماعه .. ا . هـ مجمع .

ومن ناحية أخرى يوجه الاسلام القادة الى أن يحسنوا اختيار المستشارين فيختاروا المخلصين الأمناء الصادقين ، يقول الرسول ﷺ : « ما بعث الله من نبى ، ولا كان بعده من خليفة الا له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالا ، فمن وقى شرها فقد وقى (١) ٠٠ وقد ورد عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ، ان نسى ذكره ، وان ذكر أعانه ، واذا أراد به غير ذلك ، جعل له وزير سوء ، ان نسى لم يذكره ، وان ذكر لم يعنه »(٢) ٠

٦ ـ الأخذ بالمشورة الصالحة واجب

والاسلام لا يرضى عن القادة الذين يضربون عرض الحائط بآراء مستشاريهم ، ويوجب على القادة الأخذ بالمشورة الصالحة ، والنزول على الرأى الصواب ، كما فعل الرسول ﷺ مثلا فى غزوة بدر حين نزل على رأى الحباب بن المنذر ومشورته ونقل الجيش الى حيث أشار ٠٠٠

أنظر الى قول الرسول ﷺ للحباب : « أشرت بالرأى » ، انه قول ينطوى على مغزى رفيع ـ فوق النزول على الرأى ـ هو الاشادة بالرأى الصواب وتكريم صاحبه ، وحفز همة الأفراد ـ بالتالى ـ الى التفكير وابداء الرأى والمشورة ٠٠ وقد روى الامام أحمد بسنده أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر : « لو اجتمعتما فى مشورة لما خالفتكما »

ـ وجوب تنفيذ الخطة بعد المشورة

وبعد المشورة يصبح تنفيذ الخطة واجبا ، فمتى استقر الرأى على أمر ما ، فلا محل للتردد أو المناقشة من جديد ، لأن من شأن ذلك تعطيل التنفيذ والفشل فى تحقيق الأهداف ، وهذا التوجيه هو بعض ما يفهم من قوله تعالى: **« فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين »** ، وقد حدث فى غزوة أحد بعد أن استقر الرأى على لقاء قريش خارج المدينة وأخذ المسلمون فى الاستعداد للخروج ، أن شعر القوم الذين دعوا الى الخروج أنهم استكرهوا الرسول على اتخاذ القرار بالخروج ، فذهبوا الى بيته وأظهروا الرغبة فى النزول على رأيه بالبقاء فى المدينة ٠

لكن النبى صلى الله عليه وسلم حسم الموقف وقطع هذا التردد والاضطراب فقال : « ما ينبغى لنبى اذا لبس لأمته (درعه) أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ، انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ، والنصر لكم ما صبرتم » ٠

للواء أ ح : محمد جمال الدين محفوظ

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب الاحكام باب بطانة الانام ٠ الخ لواء محمد جمال الدين محفوظ ٠
عضو المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ٠
(٢) الحديث فى سنن ابى داود فى كتاب الخراج ٠٠٠ الخ باب فى اتخاذ الوزير ج ٣ ص ٣٤٥ رقم ٢٩٣٢ نشر وتوزيع محمد على السيد حمص بلفظ عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا اراد الله بالامير ٠٠٠ الحديث بلفظه» الباجورى

حول الاستراتيجية العسكرية الإسلامية

كان القرن السابع الميلادى قبل قيام الدولة الاسلامية يشهد معارك عسكرية بين الدولتين الموجودتين آنذاك : فارس المجوسية والرومان الوثنية ثم المسيحية .

فما هو الهدف من قيام هذه المعارك بين الدولتين ؟

ان واحدة منها لم تدع أنها ذات رسالة تجاه شىء من القيم والاخلاق فهموم كلا الامبراطورين : كسرى وقيصر محصورة فى استعباد الرعية وامتصاص خيرات البلاد .

اذن هى حرب الصلف ، والتوسع ، والقهر والجبروت لا تهدف لشىء من القيم الحضارية سوى نزوات الاباطرة والاكاسرة ولومات الناس جميعا ، عروا ... وجاعوا ...

أما الدولة الاسلامية فقد استخدمت الحرب كوسيلة من الوسائل الكثيرة التى توظفها فى تحقيق اهدافها وهى : نشر لواء التوحيد ، فقد ابتدأت الانسانية موحدة مؤمنة وعاشت البشرية فى طفولة حياتها راشدة بالايمان الصحيح الذى حمله سيدنا آدم معه وعلمه لأولاده حتى عبث الشيطان وصرف الناس عن هذا التوحيد الى الخرافات وذلك تبعا لتوعده منذ الازل : **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُم أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (١)** ، وضل الناس ونجح الشيطان فى غوايته فعبدوا الاصنام فأرسل الله سيدنا نوحا ليعيد البشرية الى التوحيد النقى الذى هبط به آدم عليه السلام ، وعلمه لأولاده ، وتعلمه أحفاده من بعد ... ثم كانت الاستحمامة الكبرى وتطهير الارض بالفيضانات التى علت قمم الجبال ، ومكث التوحيد بعد نوح عليه السلام ردحا ثم عبث الشيطان وضلت البشرية وجاء موكب الأنبياء يترى ليهدى الناس الى التوحيد النقى الخالص وفى كل مرة يتغلب الناس على الانبياء كانت السماء تتدخل بالخسف والزلزال ، والريح السموم والصرصر العاتية والحجارة السوداء والطير الأبابيل .. الخ .. حتى استقر أمر

---

(١) الحجر ٣٩ ــ ٤٠ .

● نقصد بـ « الاستراتيجية » : الأهمية ذات الوضع الخاص بالنسبة للموقع ، أو الزمان أو الخطة القريبة أو البعيدة .. الكاتب .

للدكتور رءوف شلبى

اعادة البشرية الى التوحيد عن طريق التعليم والتأديب فكانت الدولة الاسلامية هى الموكلة من قبل الله العلى بهذه الوظيفة التى ستستمر مسئولة عنها الى قيام الساعة ... فكان الجهاد فى الاسلام ضمانا لتأدية هذه الرسالة وضمانا لبقاء هذه الامة معافة من البلاء ، والهموم والضنك فما من قوم تركوا الجهاد الا ذلوا وضاعوا .

وبهذا لا تكون الدولة الاسلامية دولة نوع من البشر بل هى دولة الناس جميعا لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى .

* فالجهاد ليس لحساب امبراطور يتحكم ويتفكه ، ويتعالى على الناس ويتجبر ، ويحصد كسب الناس حصدا لشهواته ونزواته ...

* والجهاد ليس توسعا سياسيا للقهر والغلبة واذلال الشعوب وامتصاص خيراتها .

* وانما الجهاد ليتعلم الناس كيف يعودون الى نعمة التوحيد النقى وذلك اذا لم تجد معهم وسائل أخرى كثيرة فآخر الوسائل فى تبليغ الدعوة هو القتال .

* والقتال ليس همجية عاطفية يلجأ اليها لنزوةأو شهوة أو رغبة ولكنه قتال منهجى حضارى له أسسه وقواعده وتشريعاته ، ثم هو قتال مرتبط بأهداف الدولة الاسلامية ، ومرتبط بمبادئها فلا تنطلق عملية عسكرية الا اذا كان لها ميزان للباعث عليها ، وميزان للغاية التى تسير نحوها .

والذين يحاولون بعين الانصاف العلمى دراسة الحروب التى وقعت بالفعل فى الدولة الاسلامية الاولى يجدونها : —

* حروبا دفعت اليها ضرورة حماية سيادة الدولة وتتمثل فى : —

— حماية ممتلكات الرعية التى نهبها كفار قريش عند الهجرة .

— حماية الأفراد فى ذواتهم وأعراضهم فان تلك واحدة من مسئوليات الدولة المحترمة .

— حماية مجتمع الدولة من عبث المفسدين الذين يحاولون تخريب المجتمع وتحريف اهدافه . وافساد أخلاقه ، والعبث باقتصادياته والاعتداء على ثقافاته .

هذا الى حروب تتصل بهذه السيادة وهى حروب التأديب فان الدولة ذات الاهداف والمبادىء اذا عاهدت أو أبرمت اتفاقات مع طرف آخر كان عليها انتلتزم بما عاهدت عليه اولا ، ثم كان عليها كذلك ان تؤدب الطرف الآخر اذا حاول التملص من اتفاقاته أو الاساءة اليها .

فبين حرب السيادة وحرب التأديب صلة فى أن كلا منهما يصور مقدار تمتع الدولة بالسيادة والحصانة فى ادارة شئونها وحماية اتباعها ، والحفاظ على كرامتها ، وشخصيتها الدولية .

* ثم حرب الاجهاض أو الحرب الوقائية — وهى الحرب الثالثة — عندما تسمع الدولة

عن تجمع عسكرى يريد الاغارة عليها من واجبها الفطرى والشرعى أن تبادر لاجهاض هذه التجمعات قبل الغدر والخيانة •

* ويلحق بهذه الحرب حرب الدفاع عندما يهاجم الاعداء حمى من محارم الدولة الاسلامية وجب على الدولة أن تجند كل امكاناتها لصد هذا الهجوم الغادر حتى ان المرأة ليجب عليها ان تخرج للقتال من غير اذن زوجها فان القتال الذى يفرض فرض عين تحين ساعته يوم ان تتحول الامة الى مدافعة عن وطنها وعقيدتها •

أولا : حرب السيادة :

وسيادة الدولة الاسلامية تتمثل فى نشر لواء التوحيد وبسط سلطانها الادارى على كل اتباعها ، ومن لوازم ذلك أن يحترم الطرف الأخر سيادة الدولة فى كل ما تدعو اليه من مبادىء ، وكل من ينتمى اليها بصلة ايمان أو تحالف ، فمن خرج على ذلك فهضم المسلمين حقوقهم أو اعتدى على ذواتهم أو اعراضهم، أو صد عن دين الله أو جاهر بالعداء لتعاليم الدولة وعقيدتها ومبادئها جردت له الدولة حملة عسكرية حسب قوانينها لتضع سيادة الدولة فى موضعها الدولى الموقر •

ومن الحروب الاسلامية التى وقعت تعبيرا عن احترام هذه السيادة مجموعة من الغزوات والسرايا التالية :

حماية أملاك الرعية :

كانت قريش تعلم علم اليقين ان محمدا ﷺ لصادق وخاضت معه الحرب وهى تعلم أنه لصادق يروى المقريزى :

ان الاخنس بن شريق خلا بأبى جهل لما تراءى الجمعان — يوم بدر — فقال : أترى محمدا يكذب ؟ فقال أبو جهل : كيف يكذب على الله وقد كنا نسميه الامين !!! لانه ما كذب قط ، ولكن اذا كانت فى عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فأى شيء بقى لنا (١) •

فأسباب الكفر لا ترجع الى شك فى النبوة، ولا لضعف فى البراهين ولا لعدم تصديقهم سيدنا محمد ﷺ بل ترجع الى فهم طينى عرقى ليس فى حسبان الدعوة منه شيء ••• واذن فظلمهم لأهل الاسلام الذين هاجروا من مكة الى المدينة المنورة ظلم واضح سافر ، ونهبهم لاموال المسلمين الذين هاجروا عمل مشين ، وحق يجب ان يسترد ، وأمر ذلك واحد من مسئوليات الدولة الاسلامية ، ووجهة من وجهات ممارستها لسيادتها ، ولذلك نجد حرص النبى ﷺ على العمل لاسترداد حقوق المهاجرين من قريش الظالمة فقعد لتجارتها بالمرصاد وجرد لذلك مجموعة من السرايا :

— أولها سرية سيدنا حمزة بن عبد المطلب وكان أول لواء عقد فى الاسلام هو لواء حمزة على رأس سبعة أشهر من الهجرة وذلك ليلحقوا بعير قريش العائدة من الشام فبلغوا سيف

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٧٢ •

البحر واصطفوا للقتال وكان ابو جهل على رأس هذه القافلة فى ثلثمائة راكب ، ولم يقع قتال لتوسط مجدى بن عمرو الجهنى .

ــ ثم كانت سرية سعد بن أبى وقاص هى التالية فى هذا الاتجاه وكان أول من رمى فى الاسلام بسهم هو سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه وأرضاه وكانت وجهته الى «الخرار» موضع بالحجاز لكنها لم تصادف أحدا فقد أفلتت العير .

ــ ثم كانت الغزوة الاولى التى قادها سيدنا رسول الله ﷺ لممارسته هذه السيادة واسترجاع حقوق المهاجرين واتجه بها نحو (ودان) : جبل بين مكة والمدينة يبعد عن الأبواء بنحو ستة أميال فخرج فى شهر صفر على رأس أحد عشر شهرا من الهجرة ليعترض عير قريش ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يلق كيدا فوادع بنى حمزة بن بكر على ألا يكثروا عليه (يعينوا عليه) أحدا ، وكتب بذلك وثيقة ورجع بعد غيبة فمشى عشر ليال وتسمى هذه الغزوة : غزوة الأبواء وغزوة ودان .

ــ وكانت الغزوة الثانية لهذا الغرض هى غزوة (بواط) من ناحية رضوى فى (ربيع الأول) على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة فخرج ﷺ يعترض عير قريش وعلى رأسها أمية بن خلف ومعه مائة رجل من قريش لكنهم أفلتوا فلم يلق عليه الصلاة والسلام أحدا .

ــ وكانت الغزوة الثالثة لنفس الهدف هى (غزوة العشير) : فى جمادى الآخرة وقبل الاولى على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة. خرج عليه الصلاة والسلام ليعترض عير قريش حين خرجت من مكة تريد الشام ، فبلغ ﷺ ذا العشيرة ببطن ينبع فأقام بقية الشهر وليال مما بعده ، وصالح بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ولم يلحق بالعير وهى فى اتجاهها من مكة الى الشام فمازال ﷺ وسلم ينتظرها ليسترد حقوق المهاجرين من المغتصبين الظلمة حتى كانت أوبتها وكان حديث غزوة بدر الكبرى .

ــ وفى لحظات انتظار عير قريش حين تعود من الشام أرسل النبى ﷺ :

سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وهى بستان لابن عامر قريبا من مكة وكان ذلك على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة وكان عندها عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمى يريد العراق ودارت معركة قتل فيها رائد القافلة عمرو بن الحضرمى وأسر فيها الحكم بن كيسان واستاقوا العير فقالت قريش : قد استحل محمد الشهر الحرام فأوقف النبى ﷺ العير فلم يأخذ منها شيئا وأطلق سراح الاسيرين نظير اربعين اوقية للواحد منهما ، وفى هذه السرية نزل قول الله تعالى :

« يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ » (١) .

وفى هذه السرية سمى عبد الله بن جحش أمير المؤمنين (٢) .

(١) البقرة ــ ٢١٧

(٢) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٥٨ .

ــ ثم كانت غزوة بدر الكبرى حين رجع أبو سفيان بالعير من الشام وهى الموقعة العظيمة التى فرق الله تعالى فيها بين الحق والباطل فى شهر نزل فيه الحق فأعز الله المسلمين والاسلام ودمغ الكفر وأهله وكسب المسلمون من هذه المعركة : ــ

(أ) غنائم تعوضهم عما فاتهم من أملاكهم فى مكة التى اغتصبها الكفار .

(ب) أراحهم الله من رءوس الكفر فقد قتل ابو جهل فرعون هذه الامة ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة والاسود بن عبد الاسد المخزومى :

وأسر عقبة بن أبى معيط وسهل بن عمرو والنضر بن الحارث .

ثم أمر رسول الله ﷺ بضرب عنق عقبة ابن معيط لانه مجرم حرب ومرتد يهودى الأصل جاء ذلك فى السيرة الحلبية ــ الجزء الثانى ص ١٨٧ .

وقتل بلال بن رباح أمية بن خلف ، وقتل عمار بن ياسر ولد أمية بن خلف وكان يدعى عليا .

(جـ) أعلى الله كلمة الحق فبات اليهود والمنافقون فى المدينة فى وجل .

(د) ازداد المسلمون ايمانا بصدق الدين وصدق النبوة وصدق الوحى .

ومن أخبار هذه المعركة :

(أ) ان القرشيين استقسموا بالازلام فخرج لهم سهم الناهى ومع ذلك خالفوا أزلامهم وخرجوا .

(ب) ان ضمضم بن عمرو رأى رؤيا ان وادى مكة يسيل دما من أسفله وأعلاه .
ورأت عاتكة كذلك رؤيا أولها أهل الرأى عندهم بعدم المسيرة الى بدر وكان فى مقدمة هؤلاء : أمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبه أخوه ، وحكيم بن حزام ، وعلى بن امية بن خلف ، ولم يخرج أبو لهب لهذه الحرب تخوفا مما رأته أخته عاتكة بنت عبد المطلب .

(جـ) ولما نجا أبو سفيان بالعير اقترح عليهم العودة الى مكة وقال لهم : لا تجزروا أنفسكم أهل يثرب فرفض عمرو بن هشام ، وهو أبو جهل ، فقال أبو سفيان :

البغى منقصة وشؤم ، ان أصاب محمد النفير ذللنا .

واقتنع الاخنس بن شريق فرجع وذلك انه عندما حمى الوطيس سأل أبا جهل .

أترى محمدا يكذب فقال : لا ، فانخنس الاخنس ورجع ورجعت بنوعدى .

(د) بل ان النبى ﷺ عرض عليهم العودة بلا حرب فقد أرسل اليهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لهم :

ارجعوا فانه ان يل الامر من غيركم أحب الى من أن تلوه منى ، وان أليه من غيركم أحب الى من أن أليه منكم فقال حكيم بن حزام : قد عرض نصفا فاقبلوه والله لا تنتصرون عليه بعد ما عرض من النصف فقال أبو جهل : والله لا نرجع .

(هـ) ولما أرسلت قريش بعثة استطلاع لحرز المسلمين رجعت تقرر ــ كما يقول حكيم

ابن حزام : والله ما رأيت جلدا ولا عددا ولا حلقة ولا كراعا ولكن رأيت قوما لا يريدون أن يئوبوا الى أهليهم ، قوما مستميتين ليست لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، زرق العيون كأنها الحصر تحت الجحف .

ومشى حكيم بن حزام فى الناس لكى يرجعوا فوافقه عتبة بن ربيعة وأبى أبو جهل . وذلك من معنى قوله تعالى : —

« وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ • لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ » (١)

لقد كان قدرا من عند الله مقدورا ليحيا من حى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة .

(و) ومن دلائل النبوة فى هذه الغزوة : ما أخبر به النبى ﷺ عمه العباس بما استودعه العباس عند أم الفضل من الذهب عندما أراد أن يخرج الى الحرب مع قريش وقال لها : ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت .

يقول العلماء وأم الفضل من السابقات الى الاسلام بعد السيدة خديجة رضى الله عنها : أسلمت مع العباس سرا فقد كان العباس لا يحب أن يجاهر بمخالفة قومه (٢) .

ولم يزل استرداد حقوق المسلمين يشكل عنصرا من عناصر الاستراتيجية العسكرية بعد غزوة بدر فليست المسألة استرداد قدر من المال أو الضياع بقدر ما هى تحطيم تلك القوة التى تعتدى بجبروتها على الضعفاء الذين يخالفونهم فى الدين والاعتقاد ، فقريش اتخذت من وثنيتها (ابديولوجية) تسير بسلوكها تجاه المسلمين الضعاف فى مكة المكرمة ، فثبتت فى الملكة العسكرية عند المسلمين بعد قيام الدولة انه لابد من تحطيم هذه القوة الباغية سواء كانت قوة عسكرية أو قوة اقتصادية .

ولهذه الاستراتيجية الاسلامية أرسل النبى ﷺ بعد معركة بدر سرية زيد بن حارثة الى (القردة) فى جمادى الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهرا من الهجرة وهى أول مرة يخرج فيها زيد أميرا ، فسار يريد صفوان بن أمية وكان فى عير لقريش تريد الشام ونجحت السرية وأصابوا العير وأفلت صفوان وأعيان القوم معه فخمس النبى ﷺ الغنائم فبلغ خمسها عشرين الف درهم .

وكانت آخر سرية فى تنفيذ استراتيجية استرداد حق المسلمين المهاجرين من قريش هى سرية زيد بن حارثة الى (العيص) بعد طلب قريش وهزيمتهم المنكرة ونكستهم الاخيرة فى يوم الاحزاب فلم تعد لهم مهابة عسكرية بين القبائل ، ولم يعد لليهود بعد ذبح محاربيهم من بنى قريظة رباطة جأش يعاونون بها قريشا على النبى ﷺ وعلى المسلمين والاسلام فصار الامر بينا بين جماعة المسلمين والكفار وصارت الغلبة والسيادة على أمن الطريق بين مكة

---

(١) الانفال ٧ — ٨ .

(٢) راجع الحلبية جـ ٢ ص ١٨٨ ، ص ١٩٨ .

والشام تحت بريق السيف المسلم لا جبروت السيف المشرك .

وخبرها :

ان أبا العاص بن الربيع ، والمغيرة بن معاوية بن أبى العاص قادا عيرا لتجارة قريش فى سواد العراق فأرسل النبى — ﷺ — زيد ابن حارثة فى جمادى الاولى من السنة السادسة للهجرة ليأخذها غنيمة للمسلمين فما زالت حالة الحرب متأججة بين المسلمين والمشركين ومازالت أحداث عسكرية كثيرة تتلظى بين أحداث الخندق و (غزوة الغابة) فكيف تجرؤ قريش على تسيير تجارة لها وسط خط النار المتأجج .

وقد نجحت سرية زيد بن حارثة فى أسر أبى العاص بن الربيع والمغيرة بن أبى العاص ، وظفرت بكل مافى القافلة من فضة وأموال ومتاع .

وكانت هذه آخر عملية فى استراتيجية استرداد أموال المسلمين وحقوقهم من قريش فقد عقد بعد ذلك صلح الحديبية ثم دخلت قريش فى دين الله أفواجا .

ومن أخبار هذه السرية : ان أبا العاص ابن الربيع استجار بزوجته الطاهرة السيدة زينب وكانت قد هاجرت الى المدينة المنورة فقبل النبى — ﷺ — جوارها وقال :

« المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم ادناهم ، وقد أجرنا من أجارت »

فكان هذا مبدأ اسلاميا على أساسه أجارت أم هانى يوم فتح مكة رجلين من المشركين ، وأجارت أم حكيم زوجها عكرمة بن أبى جهل .

ثم ان أبا العاص بن الربيع بعد أن عاد الى مكة وأعطى كل ذى حق حقه أسلم وقدم المدينة مهاجرا فرد رسول الله — ﷺ — عليه زوجته زينب رضى الله عنها وارضاها وبذلك تتم عمليات استرداد حقوق المسلمين من قريش وتبدأ الدولة فى استخدام سيادتها لحماية أموال المسلمين من الاغارة عليها أو نهبها .

د / رءوف شلبى
رئيس قسم الدعوة بجامعة الأزهر وجامعة قطر

الإسلام في ضوء التاريخ

في مواجهة الاسلام العظيم

نحن والتاريخ " ديوان العبر "

من أعلام الأزهر

فى مواجهة الاسلام العظيم

انتصر العالم الاسلامى فى معركة حطين الخالدة على جيوش الصليبيين القوية العتيدة (فى السبت الخامس والعشرين من ربيع الثانى ٥٣٨ هـ ـ الخامس من يوليو ١١٨٧م) ، واستعاد بعدها بيت المقدس من أيديهم بعد احتلالهم الغاشم لها احتلالا دام نحو نصف قرن من الزمان (٤٩٢ ـ ٥٣٨ هـ : ١٠٩٩ ـ ١١٤٤ م) .

وانتصر فى معركة المنصورة الكبيرة (٦٤٨ هـ ـ ١٢٥٠ م) ، وهى التى أسر فيها لويس التاسع ملك فرنسا وهزم جيشه هزيمة مروعة .

وانتصر فى معركة عين جالوت العظيمة على التتار (فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان عام ٦٥٩ هـ ١٢٦٠ م) .

وفتحت القسطنطينية فى الثلاثين من مايو عام ثلاثة وخمسين وأربعمائة وألف للميلاد (٨٥٧ هـ) .

وانتشر الاسلام فى كل مكان . فى الهند والصين وجزر المحيط الهادى . وفى افريقية وأوربا نفسها انتشارا هائلا كبيرا .. وأخذت الشعوب تدخل فيه بطريقة جماعية غير مألوفة

ففى عام ٣٠٩ هـ (ثلاثمائة وتسع للهجرة) : ٩٢١ م اتصل ملك الفولجا بالخليفة العباسى المقتدر بالله . وبعث اليه المقتدر من يرشده الى الاسلام ، وأسلم هو وشعبه .

وفى عام ثمانية وثمانين وثلاثمائة للهجرة (٩٩٨ م) عرض أهل البلغار على الخلافة العباسية رغبتهم فى دراسة الاسلام ليدخلوا فيه : ولكن باباوات أوربا سبقوا المسلمين اليهم فاعتنقوا المسيحية .

وفى عام ستمائة وواحد وثمانين (١٢٨٢ م) أسلم أحد سلاطين المغول بأرض فارس ، وهو تكودار خان (٦٨١ ـ ٦٨٣ هـ : ١٢٨٢ ـ ١٢٨٤ م) وذلك فى عهد السلطان قلاوون بمصر (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ : ١٢٩٠ م) ، كما ذكر القلقشندى (١) .

---

(١) ١ ، ٦٥ ـ ٦٨ ، ٧ : ٢٣٧ ـ ٢٤٢ صبح الاعشى ، وراجع : المغول بين المسيحية والاسلام والمغول فى ايران وهما لمصطفى طبدر .

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

وفى الرابع من شعبان من عام ستمائة وأربعة وتسعين (التاسع عشر من يونيو ١٢٩٥ م) اعتنقت الاسلام شعوب المغول فى عهد ملكهم غازان خان . وصار هو الدين الرسمى لدولتهم . ودخل فيه فى يوم واحد من وجوههم مائة ألف أو يزيدون ، وباسلامهم أخذ العالم الاسلامى يسترد جانبا من أمنه وطمأنينته على حاضره . وبدأ العلماء المسلمون يبنون من جديد مراكز الحضارة الاسلامية التى سبق تدميرها . وأخذ ملوك المغول يرفعون المظالم عن كاهل الرعية يكفرون بذلك عما قدموا من سيئات فى حق الاسلام وشعوبه . وباسم الاسلام ضم تيمورلنك بعد ذلك البلاد الاسلامية الى ملكه . وان كانت حروبه قد دمرت مرة أخرى المراكز الجديدة للثقافة الاسلامية . كما دمر الأتراك فى فتوحاتهم ما نشأ من مراكز أخرى . ولكنهم حملوا مشاعل الاسلام الى قلب أوربا وبلغوا رسالته الى العالم المسيحى كما حملها الغزنويون من قبل الى الهند والصين .

وفى عام ألف وثمانمائة وثلاثة وستين كانت معركة تركيا الفاصلة مع الغرب أمام أسوار فينا . حيث ارتدت جيوشها مهزومة بعد الحصار الطويل الذى كانت قد فرضته على المدينة .

ومع ما أصابها من قبل ومن بعد من هزائم . فقد بقيت حصنا للاسلام ودرعا يحمى حوزة المسلمين . وما موقف السلطان عبد الحميد من الصهيونية ــ وحسبه ذلك فخرا عنا ببعيد .

ذهب اليه وفد يهودى من جمعية أحباء صهيون وعرضوا عليه بواسطة رئيس وزرائه تحسين باشا عروضا كثيرة مغرية ، هى :

١ ــ يتعهدون بسداد جميع ديون الخلافة ، البالغة مائة وثلاثة وثلاثين مليون ليرة انكليزية .

٢ ــ وبتأسيس أسطول بحرى تجارى الدولة يتكلف مائة وعشرين مليون فرنك فرنسى .

٣ ــ وبتقديم قرض للخلافة بمبلغ خمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة .

على أن يسمح الخليفة لليهود بانشاء مستعمرة لهم بالقرب من بيت المقدس ، وبدخول فلسطين فى أى يوم من أيام السنة .

وكان جواب الخليفة المسلم هو ما نصه : ياتحسين . قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلى :

١ ــ ديون الدولة ليست عارا عليها ، فغيرها من الدول مثل فرنسا مدينة ، وذلك لا يضيرها .

٢ ــ ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العلية لا يمكن ان تحتمى وراء حصون بنيت بأموال أعداء الاسلام .

٣ ــ بيت المقدس افتتحها للاسلام عمر ابن الخطاب . ولست مستعدا لأن أتحمل فى التاريخ وصمة بيعها لليهود . ولا لخيانة الأمانة التى كلفنى المسلمون بحملها .

٤ ـ وأخيرا ، مرهم فليخرجوا من عندى ولا يحاولوا بعدها مقابلتى أو الدخول الى هذا المكان أبدا .

وخرج اليهود ليأتمروا مع الاستعمار على السلطان عبد الحميد ، فقامت الثورة عليه وأقصى عن عرش الخلافة ، وكانت الأموال التي أنفقوها في هذا المضمار هى السبب الرئيسى لكل ما حدث . ولكنه لقى ربه راضيا مرضيا .

وما أكثر ما صادف الاسلام من انتصارات وهزائم . من آمال وآلام ، من أفراح وأحزان ، ومع المحن التى نزلت بشعوب الاسلام فلا تزال أوربا خائفة من يقظة المسلمين ، ومن قيام انطلاقة جديدة فى بلاد الاسلام .

يقول غوستاف لوبون : « الحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوربا من الأعداء ارهابا عدة قرون . وعندما كانوا لا يرهبوننا بأسلحتهم كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية السامقة ، ونحن لم نتحرر من نفوذهم الا بالأمس » .

هذا بتدارك الشاعر الايطالى فى القرن الرابع عشر الميلادى يصيح فى قومه قائلا : يا عجبا .

لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيبا بعد ديموستين (٣٨١ ـ ٣٢٥ ق م) .

واستطاع فرجيل أن يكون شاعرا بعد هوميروس (عاش فى القرن التاسع ق م) .

فهل قدر علينا ألا نؤلف بعد العرب ؟ لقد تساوينا نحن والاغريق وجميع الشعوب ، بل سبقناها أحيانا ، الا العرب .. فيالعبقرية ايطاليا الخاملة الخامدة ..

هذا بروتز مؤرخ الحروب الصليبيه يقول : ليس فى وسع الأدب الأوربى لذلك العهد ـ عهد حضارة الاسلام ـ أن يقدم مثالا يفضل مؤلفات العرب . ويكفى فى هذا تصفح ما خلفه المؤرخون العرب ، ومقارنة ذلك بأحسن ما أنتجه فن التاريخ فى أوربا (١) .

وهذا فيكتور هوجو شاعر فرنسا فى القرن التاسع عشر الميلادى يقف مذهولا مبهورا أمام حضارة الاسلام فى الأندلس ، ممثلة فى أثر من آثارها وهو قصر الحمراء الذى ظل مأخوذا بعظمته ، مما صوره فى احدى قصائده الخالدة .

ويقف اقبال شاعر الاسلام على أطلال الحضارة الاسلامية فى جزيرة صقلية ، ويغلبه التأثر فيبكى ويقول من قصيدة له :

ابك أيها الشاعر دما لادمعا فهذا هو مدفن الحضارة العربية .

أوربا ضد الاسلام :

وتدمير أوربا لمعالم الحضارة الاسلامية فى داخل وخارج بلادها رغبة منها فى القضاء

(١) ٢١ تاريخ الادب الجغرافى العربى لكراتشوفسكى ـ ترجمة ونشر جامعة الدول العربية .

على التراث الاسلامى العريق ، أمر واضح معروف .

وهذه هى نفسية أوربا وحقدها على الاسلام وشعوبه . وفزعها وقلقها الدائم خوفا من قيام بعث جديد فى العالم الاسلامى .

انها ترهب الأسد مكبلا بالأغلال . ومع ذلك تعمل بكل طاقاتها لمنع يقظته وليبقى راضيا بأغلاله التى صنعتها هى بيديها له ..

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١)

النصرانية والوثنية معا ضد الاسلام :

وأعجب العجب أن يمد الغرب المسيحى يديه الى الوثنية المادية والى الوثنيات الأخرى ، يستعين بها فى محاربة الاسلام وفى القضاء عليه فى بلاده وفى بلاد كانت اسلامية آمنة . مثل القرم والقوقاز وبخارى وسمرقند وخوارزم . ومثل الفيلبين وزنجبار وموزمبيق وغيرها ، ثم يمد يديه كذلك الى الصهيونية ويؤازرها ، ويؤازرها معه كل معاد للعرب وحاقد على الاسلام (٢) من اليساريين وغير اليساريين على السواء . وهذا كاسترو ينذ السفير الاسرائيلى فى بلاده ، كما ذكرته صحف كوبا واذاعتها ، وترجمته عنها صحفنا العربية ، فيقول له :

« .. على اسرائيل ألا تترك الحركة الفدائية تتخذ طابعا اسلاميا دينيا حتى لا يجعل من حركتهم شعلة من نار الحماس الدينى ، مما يجعل من المستحيل على اسرائيل أن تصون كيانها ، لأن الفداء اذا تملكته عقيدة دينية ، وبخاصة فى المجتمعات الاسلامية ، تلاشى أمامه كل العقائد الأخرى بما فيها الماركسية .

وسيعلم الناصح غير الأمين كاسترو أنه هو ومن ينصحهم سوف يبوءان بالخسران والذل المقيم باذن الله .

وهكذا تقف جميع القوى العالمية فى مواجهة الاسلام ترصد حركاته وتتعرف خطواته وتتسمع همساته خوفا وقلقا ، وجبنا وحذرا . وتحرص جميع وسائل الاعلام الصهيونية وغير الصهيونية على تمط أخباره وعلى تجسيم

---

(١) ٣٢ و ٣٣ سورة التوبة .

(٢) غرض الصهيونية العالمية هو تمييع التراث العربى والاسلامى فى منطقة الشرق الاوسط على الرغم من تمسكها هى بتراثها الدينى الاسرائيلى (الصفحة الثالثة من جريدة الحياة البيروتية عدد ١٠ـ١١ـ ١٩٧٠) .

وليس فى العالم كله دولة تخشى التحركات الاسلامية بمثل ما تخشاه روسيا لانها بدون المناطق الاسلامية فيها لا تستطيع اقتصاديا أن تظل دولة كبرى (٣ الحياة ـ ١٥ـ١١ـ١٩٧٠) .

وغرض أمريكا من نشاطها السياسى والثقافى والعلمى فى منطقة الشرق الاوسط طيلة المائة عام الاخيرة هو تمييع المبادىء والعقائد الروحية والدينية التى يؤمن بها سكان المنطقة (٣ الحياة ـ ٢٥ـ١١ـ١٩٧٠) .

ويقول ايدن فى مذكراته ص ٣٤٢ الطبعة الانجليزية : ان امريكا راحت تنفق أموالها بسخاء فى الخمسينيات على نطاق مسرف لاعانة الشيوعية فى منطقة الشرق الاوسط .

خطواته وكل خطوة يخطوها المسلمون ليلفتوا الانظار فى العالم الصليبى والشيوعى والصهيونى الى حركاته وخطواته • ويجتمع القادة بين الحين والحين للتخطيط لمستقبل الشرق الأوسط فى غياب الأسد الهصور عن عرينه ، ولكنهم سوف يفاجأون فى يوم من الايام باذن الله بما لم يكن لهم فى الحسبان وبما لم يدر فى خلدهم وتفكيرهم على طول الزمان • وصدق الله العظيم •

« **إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ • كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** » (١) •

« **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ • قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** » (٢) •

اذن كيف نصل الى الغد الذى نريده ونحلم بـه ؟

نقول :

كان ماضى الاسلام يرتكز فى العقيدة الالهية المحمدية التى حملها فى جوانحهم مسلمون يصنعون المعجزات بايمانهم •

أما حاضره اليوم فلا يعتمد على أساس مسلمون •

ولكن أين العقيدة •

وعرب •

ولكن أين الايمان ؟

حاضرنا كحاضر العرب حين بدء نزول الرسالة مما ينطق به قول الله عز وجل •

« **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** » •

وقول رسول الله ﷺ : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء »

ان الغد الذى نريده لن يكون لنا الا بالاسلام •

ولن نصل اليه الا اذا كنا مؤمنين بعد أن نكون مسلمين •

انه لا يمكن أن يكون غدا آخر مقطوع الصلة بماضينا لأن ذلك محال يأباه ديننا وتراثنا وتاريخنا وفكرنا من جانب ومحال الوصول به الى غاياتنا وأهدافنا من جانب آخر وفيه ما فيه من تفريق جهود المسلمين ودخولهم فى دائرة التبدد بالصراع الطبقى والحرب الاجتماعية بين الناس من جانب ثالث • وقد فشلت وتفشل كل المحاولات لبناء غد للاسلام يرتكز على أصول غير اسلامية ، من وثنية ومادية الحادية ووجودية وعلمانية وغيرها من المذاهب السائدة اليوم ••

ولا يوصى مفكرو الاسلام وعلماؤه شعوبهم اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم الا بشىء واحد فى مقدورهم ، وفى مقدورهم أن يفعلوه ، وهو سبيلهم الوحيد الى النجاح والنجاة لو فعلوه ،

(١) ٢٠ و ٢١ المجادلة •

(٢) ٤٨ و ٤٩ سورة سبأ •

ذلك هو عودة اليقظه الاسلامية من جديد ، نسير بها على ضوء البعث الاسلامى الكبير الذى صنعناه من قبل ، صنعنا به أعظم حضارة فى أعظم حقب التاريخ ، الى ما ننشده من غايات كريمة فى الحياة .

وذلك كان محور دعوات أئمة الاسلام وأعلامه فى العصر الحديث فى كل مكان ، وهو يكمن فى أساسه فى القيام بتوعية اسلامية حقة يقوم عليها جيل جديد يسير على بصيرة من الأمر الى فجر النور ، الى كبد الحقيقة ، الى سنا الأمل الى مشرق البعث الذى يود نحو سبعمائة مليون مسلم فى شتى أنحاء العالم أن يبصروا فى طريقهم الى السلام والرفاهية والمجد والعزة والسيادة فى الارض ، فالبعث الروحى هو منطقنا الى المجد ، ولن يصلح آخر هذه الامة الا ما صلح به أولها .

كان الامام محمد عبده فى ظلمات اليأس القاتلة وهو يرى بلاده تحتلها أعظم دولة فى عصره ، يقول لجمال الدين الافغانى :

أيها السيد ، أرى أن نترك السياسه ونذهب الى مجهل من مجاهل الأرض لا يعرفنا فيه أحد ، ونختار من هذه الامه عشرة غلمان — أى فتيان أو طلاب فنربيهم على منهجنا ، ونوجه وجوههم مقصدنا : فاذا أتيح لكل واحد منهم تربية عشرة آخرين لا يمضى بضع سنين الا ولدينا مائة قائد من قواد الجهاد فى سبيل الاصلاح ، ومن هؤلاء يرجى الفلاح .

ومعزى كلامه أن للتربية الاسلامية طاقتها الكبرى على العمل من أجل استعادة هذا المجد العريق ، ومن أجل الغد المشرق والمستقبل المأمول ، وهو ماكرر الدعوة اليه كاتب اسلامى مشهور هو محمد فريد وجدى فى كتابه « الاسلام فى عصر العلم »

عن طريق التربية الاسلامية الحقة يصبح بلوغ هذا الهدف ممكنا ، ويصير تبدل الحال حالنا اليوم الى حال أفضل أمراجائزا . ولن يتم ذلك الا بالاسلام .

الإسلام وحده .

وتقرير اليقين بامكان الوصول الى ذلك فى نفس كل مسلم واجب شرعا ، واليأس من بلوغ هذه الغاية قنوط من رحمة الله .

وما أحب الى نفس كل مسلم أن يعود المسلمون بالاسلام الى قيادة العالم ، والى استعادة مجدهم القديم ، والى الحياة فى ظلال حضارة اسلامية جديدة .

والاسلام تلقيناه عن الرسول عن الروح الأمين ، عن رب العزة والخالق المهيمن على ملكوت السموات والارض ، ولقد نطق به كتاب كريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وهو فى أصوله الكبرى دين الأنبياء من قبل ، وشريعة التوحيد التى وصى الله بها أنبياءه ورسله .

شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ (١)

« ووصى (١) بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون » .

الاسلام شريعة الله التى ارتضاها لخلقه واصطفاها لعباده .

« إن الدين عند الله الإسلام »(٢) .

« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (٣) .

«أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون »(٤) .

د . محمد عبد المنعم خفاجى

(١) ١٣٢ و ١٣٣ البقرة .
(٢) ١٩ آل عمران .
(٣) ٨٥ آل عمران .
(٤) ٨٣ آل عمران .

قال زيد بن أسلم :

كان يقال : من اتقى الله أحبه الناس وان كرهوا .

وقال الثورى لابن أبى ذئب :

ان اتقيت الله كفاك الناس ، وان اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئا .

وقال سليمان بن داود :

أوتينا مما أوتى الناس ومما لم يؤتوا ، وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا ، فلم نجد شيئا أفضل من تقوى الله فى السر والعلانية ، والعدل فى الغضب والرضا ، والقصد فى الفقر والغنى .

وفى « الزهد » للامام أحمد ــ أثر الهى :

« ما من مخلوق اعتصم بمخلوق دونى الا قطعت أسباب السموات والأرض دونه ، فان سألنى لم أعطه ، وان دعانى لم أجبه ، وان استغفرنى لم أغفر له .

وما من مخلق اعتصم بى دون خلقى الا ضمنت السموات والأرض رزقه ، فان سألنى أعطيته ، وان دعانى أجبته ، وان استغفرنى غفرت له .

عن « الفوائد » ــ « نوفل »

نحن والتاريخ..

.. ديوان العبر -١-

للشيخ محمد حسام الدين

مما يلفت النظر – لدى الباحثين فى تطور الفكر الاسلامى المعاصر – كثرة ما نشأ بالهند فى هذين القرنين ، من مذاهب ، وفرق وآراء ، يجنح أغلبها الى الحدة : ايجابا ، أو سلبا .

وأن كثيرا من هذه الآراء له أثر واضح فى الاتجاهات الاسلامية ، وبخاصة فى منطقة الشرق الاوسط .

وأهم ما تأثرت به المنطقة من هذه الاتجاهات فكر مدرستين : أولاهما : مدرسة اسلامية تقليدية ، نستطيع أن نسميها بمدرسة الفقه ، والحديث .

وهى المدرسة التى بدأها الامام الفاضل الشيخ أحمد بن عبد الرحيم ، المعروف بشاه ولى الله الدهلوى ، المتوفى سنة ١١٧٦ هـ – ١٧٤٢ م .

وتعهدها من بعده أبناؤه ، وأحفاده ، وتلاميذه وكان لها شأن فى التاريخ السياسى الهندى على يد السيد أحمد البريلوى المتوفى

◄

---

(١) رجعنا فى اثبات الاحداث التاريخية ، وفى كثير من التعليقات عليها فى هذا المقال الى مراجع باللغة العربية ، وبالانجليزية ، وقدترجمنا مانقلناه عن المراجع غير العربية ، واشرنا اليها .
وكان اهم المراجع :
١ – دائرة المعارف البريطانية
Ercyclopeadia Brilanica 1968.
٢ – تراث الاسلام
The legacy of Islam CHACHT - & Pross worth
فى اصله الانجليزى ، وترجمته الصادرة عن دار المعرفة بالكويت ١٩٧٨ .
٣ – Emergece of Palistan — CH-M-ALI- Palistan 1979.
٤ – Concepts of Muslim Culture in 196AL Pakistan 1970.
٥ – العقيدة والشريعة فى الاسلام – اجناس جولد تسهير – دار الكتاب المصرى ١٩٤٦ .
٦ – جامعة ديوبند الاسلامية – جمع محمد حبيب الله مختار – نشر جامعة العلوم الاسلامية – كراتشى – باكستان ١٩٨٠ م .

سنة ١٨٣١ م •

ولا تزال هذه المدرسة باقيـة حتى اليوم ، ممثلة فى مدرسة ديوبند « دار العلوم » ، وما يجرى على منهجها ، من مدارس ، وجمـاعات للعلماء بالهند ، وباكستان •

والمدرسة الثانية : مدرسة تتجه الى العقـل والتجديد بشـكل أكبر ، وبحيث يسـتطاع تسميتها بمدرسة التطبيق العقلى •

فهى فى منحاها تنزع الى اسـتخدام العقل على نطاق واسع لدى تطبيق الأحكام ، وهذه هى مدرسة عليكرة « جامعة عليكرة الآن » التى أسسها سيد أحمد خان ، وكـان مـن أبرز دعاتها سيد أمير على •

كما كانت آراء محمد اقبال الدينية موافقة لهذا الاتجاه •

وقد تطرف فى الرأى تبعا لهذه المدرسة عدد من المفكرين المسلمين بالهند وباكستان • برز منهم مؤخرا محمد أشرف فى باكستان •

والواقع أن طبيعة الهنـد الجغـرافية ، والسكانية تجعل منها مكانا ملائما لاحتضـان العديد من النحل والمذاهب ، والآراء الدينية ، المقبول منها ، والمردود •

فاتساع الرقعة ، واختلاف الأقاليم ، وتنوع الأجناس ، وخصائص الشـعوب فيها تجعل السـيادة عليها فكريا ، ومذهبيا ، ودينيا أمرا خارقا للعادة •

لذا فان أصدق ما توصف به الهند أنها خليط مرقش من المذاهب والنحـل ، والعقـائد ، والديانات •

وقد استغل الانجليز هذه الطبيعة فى الهند ، فجعلوها ، وما جاورها منبتا ، ومقر حضانة ، وابتداع للفرق الدينية الشـاذة ، من مثـل : القـاديانية ، وفروعها ، والبابية ، وفروعهـا أيضـا •

على أية حال فان ما يعنينا اليوم ، وفى هذا الموضـوع ، هو النظر فى العـلاقة بين آراء المدارس الهنـدية فى القرون الأخـيرة ، وبين الفكر الاسلامى لدى تناوله لعدد من القضايا المعاصرة •

ومما لا ريب فيـه أن العـلاقة بين هاتين المدرستين ، وبين الفكر الاسـلامى المعـاصر قائمة ، وواضحة ، وأن الهنـد ـ بحـدودها القديمه ـ وبظروفها السكانية ، والاقتصادية ، والثقـافية ، والدينيـة كانت ـ ولا تزال ـ مركزا مؤثرا ، بل وشديد التأثير بين البـلاد الاسلامية •

فهى بحدودها القديمة تتصل اتصالا مباشرا بأفغانستان ، وايران ، والصـين ، والبـلاد الاسلامية الواقعة تحت سـلطان روسـيا السوفيتية •

وكذلك جـزر ، وبلاد المحيط الهنـدى : ماليزيا ، وسريلانكا ، وتايلاند ، واندونيسيا ، والفلبين ، وجـزر القمـر ، ومالديف ، ومدغشقر ، وجنوب ، وشرق أفريقيا •

ثم تتصل مرة أخرى بطريق غير مباشر بعدد من البلاد الاسلامية •

واذا أردنا أن نتعـرف على طبيعـة الآراء الاسلامية النابتة فى الهند فى الآونة الأخيرة ، وجب علينا أن نبحث عن المؤثرات التاريخية ، والاجتماعية ، التى تعرض لها المسلمون فى هذه

البقعة من العالم .

اننا اذا نظرنا الى التاريخ الاسلامى فى الهند نظرة عامة ، ألفينا أن أهم المؤثرات الدينية ، والفكرية هناك تستند الى عاملين :

أولهما : أن الاسلام التقى هناك بديانة كبرى قديمة ، شديدة المراس ، تمتد جذورها الى أغوار التاريخ ، وتستكن طقوسها ، وتعاليمها ، وتتعمق وجدان أبنائها ، وهى الهندوسية .

ولئن تميز الاسلام بقدرته الفائقة على اذابة ما يعترضه من الثقافات والفلسفات ، بل والديانات ، ومحوها ، أو ازاحتها ، واخضاع حضارتها لحضارته .

الا أن الهندوسية كانت من نوع عنيد ، متحصن ، أبقى أهلها — الا قليلا منهم — على موقفهم ، فى ثقافاتهم ، وشعائرهم ، وتقاليدهم ، وفى مواجهة الاسلام .

وكان لهذا أخطر الأثر فى تاريخ الصدام الاجتماعى ، والدينى فى شبه القارة الهندية .

والعامل الثانى : أن المسلمين فى هذه العصور المتأخرة خضعوا — هناك — لاتجاهات الفكر والسياسة الغربية .

ووضعوا فى بوتقة الصراع والتفاعل بين المذاهب والآراء الفكرية ، قديمها ، وحديثها .

فقد رأى الانجليز أن المسلمين يمثلون العقبة فى سبيل استقرار الحكم لبريطانيا فى الهند .

فكانت السياسة الانجليزية على خطة تهدف الى تنحية المسلمين عن مكانتهم القيادية فى البلاد ، وتنبيه الثارات ، والأحقاد ضدهم ، واخضاع المبادىء الاسلامية هناك لمتطلبات العمل ، والأهداف الغربية .

موقفان شديدان اضطر المسلمون اليهما فى الهند : موقف المواجهة مع الهندوسية فى صراع طويل لم ينته بعد .

وموقف المواجهة مع الفكر والسياسة الغربية ، فى جولة لم تنته بعد أيضا .

ومن المؤسف أن نقرر أن العلماء المسلمين لم يظفروا فى أى من الموقفين بنصر حاسم ، وأن الأمر فى ساحة المواجهة لا يزال بين مد وجزر .

لقد دخل الاسلام الهند فى ثلاث موجات رئيسية :

موجة مبكرة تحمل التجار ، والعلماء ، والصوفية على السفن التجارية العربية الى هذه البلاد فى سواحلها الجنوبية .

وكانت لهم مستوطنات هناك لا تزال آثارها باقية حتى اليوم على سواحل (مالابار) .

وموجة أخرى عن طريق الفتح الاسلامى على يد محمد بن القاسم فى سنة ٧١٢ م ، وقد بعثه الحجاج بن يوسف الثقفى الى الهند ، ففتح منها بلاد السند ، وجزءا من البنجاب ، فانتظما فى سلك الخلافة الاسلامية فى عهد الأمويين .

وموجة ثالثة عن طريق ممرات أفغانستان الشمالية الشرقية — عبر جبال (الهيمالايا) .

وقد بدأت هذه الموجة بغزوات السلطان محمود الغزنوى ، الذى حكم فيما بين عامى ٩٩٨ و ١٠٣٠ م . وأصبحت (لاهور) قاعدة الامبراطورية الغزنوية فى الهند .

ثم انتقلت العاصمة الاسلامية بعد ذلك الى (دلهى) فى عهد السلاطين المماليك الغوريين .

ثم تتابعت الامبراطوريات ، والدول الاسلامية هناك ، بعد أن خضعت شبه القارة الهندية بكاملها لسلطان المسلمين .

وكان آخر الامبراطوريات الاسلامية بالهند امبراطورية المغول ، الى أن أعلنت بريطانيا رسميا فى سنة ١٧٨٤ م اسقاطها وضم الهند الى الامبراطورية البريطانية .

فى هذا العمر الطويل للسلطان الاسلامى فى الهند من سنة ٧١٢ م ، حتى سنة ١٧٨٤ م أى ما يزيد عن ألف عام ، عاش المسلمون ، والهندوس ، على أرض واحدة ، والتقوا فى المدن ، والقرى ، والمساكن ، والأسواق ، وفى ساحات القتال ، وأحفل الأعياد ، وفى وهاد الأرض ، وعلى قمم الجبال .

وجرى التفاعل بين الطائفتين ، فى مجالات العمل ، والتجارب ، والمعرفة ، واتحدا فى مجالات اللغة ، والموسيقى ، والشعر ، والفنون ، وأساليب السعى للرزق ، وطرق المعاش ، وترك كل فريق آثاره فى حياة الفريق الآخر .

لكنه مع كل هذا بقى لكل طائفة مظاهرها المميزة ، وهى مظاهر تؤكد انفصال كل طائفة منهما عن الأخرى .

لقد عاشت الأسر الاسلامية والهندوسية فى جوار قريب ، ولعدة أجيال ، ومع هذا فانه من اليسير أن تميز بينهما ، وأن تتعرف على أى منهما لأول وهلة .

انك تستطيع أن تتعرف عليها من الثياب ، ونوع الطعام ، والأثاث ، وترتيب البيت ، ومن أسلوب الخطاب ، وتعبير التحية ، من الشكل ، والهيئة ، والمشاعر والأحاسيس البادية .

هذا التغاير الظاهرى يعكس أبعاد التغاير الداخلى ، ويعبر عن المشاعر ، والعقائد المستكنة لكل منهما .

واننا لا نستطيع أن نتصور وجود اختلاف مميز بين أتباع ديانتين هو أبين ، وأشد حدة مما بين المسلمين ، والهندوس .

فالمجتمع الهندوسى مجتمع مغلق يعتمد على نظام الطبقات الدينية ، التى تقوم بينها فواصل قديمة متوارثة ، ولكل منها مرتبة محددة فى السلم الطبقى الاجتماعى .

وعلى هذا فان واقعة ميلاد الفرد فى طبقة معينة هى التى تحدد له وضعه طول حياته .

وعلى كل طبقة أن تلزم مرتبتها بين الطبقات ، فليس لها أن تطمح الى طبقة أعلى .

ذلك أن سمو الطبقة ، وترتيب مكانها ، وكذلك التقوى ، والصلاح ، وسلامة الطبع ، وحسن الخلق ، بل وما يقع على الفرد من مظالم اجتماعية ، كل هذا قدر ، وقانون سماوى محتوم .

والناس يجزون على أعمالهم بجمع حساب الفرد عبر الدهور ، وتطاول الأحقاب فى خط تناسخ الأرواح .

فتثاب الأرواح ، أو تعاقب بما تحل فيه من أجساد على مدى الأزمان .

ومن هنا يطالب الدين تابعيه بتقديس بعض الحيوانات ، لأن روح الانسان تحل فى أجسادها بالتناسخ .

فالأبقار فى قداستها ومرتبتها السامية مساوية — فى الاعتبار — للرهبان الهندوس (١) •

وهكذا نرى الفرد الهندوسى العادى يعيش مضطربا بين أحابيل هذه المعتقدات الاجتماعية ، التى تزكى فيه روح الولاء لطبقته ، وتنظم عبادته ، وعمله ، وزواجه ، ومهنته ، وعلاقاته الأخرى •

وهو منذ طفولته مقيد بظروف ، ونظام دينى معقد ، له تعاليم غريبة ، ومعتقدات خرافية شديدة التشاؤم ، وأحكام يقضى بها على الناس ، والأشياء بالنجاسة ، ويفرض على الهندوسى مباعدتها ، والنفور منها •

هذا النظام الدينى يحكم حياة الفرد حكما لا مراجعة فيه ، فيحدد له طبقته ، ويرسم له مسار نشاطه لا يتعداه اقتصاديا ، أو اجتماعيا •

وهو النظام الذى يربط بين الوحدات الطبقية ، فى وحدة عضوية متينة ، تنتمى الى المجتمع الهندوسى العام •

ثم يطالب الفرد منذ ساعة الميلاد بالولاء لهذا المجتمع ، وقبول معتقداته قبولا مطلقا •

فالرجل الهندوسى ينظر الى الحياة من خلال معتقداته الدينية ، لا يخرج عنها •

والناس تتحد أوضاعهم — فى نظره — وفقا لوقائع ميلادهم ، فاذا ولد امرؤ خارج حظيرة المجتمع الهندوسى ، فهو انسان نجس — فى اعتبارهم — نجاسة حسية بمعناها الدقيق •

من أجل هذا فليس من المستغرب أن الهندوس لا يدعون لدينهم بين قوم آخرين •

وليس هناك من سبيل لمن ولد خارج مجتمعهم أن تكون له علاقة بهذا المجتمع الا بما يشبه خيطا ضعيفا رفيعا جدا يتمثل فى نوع من التجرد ، والتحليل النفسى ، والفكر فيما وراء المادة •

وفى رياضة تستغل أقصى امكانات الجهاز العصبى للانسان ، وهى رياضة اليوجا ، فى أشكالها العديدة •

فليس لغير الهندوسى أن يطمع فى أن يكون له أى انتماء — بل أو أية مشاعر متخيلة بالانتماء — الى هذا المجتمع (٢) •

أما الاسلام فانه فى أصوله يتناول مختلف جوانب الفكر ، والعمل الانسانى •

ودعوته موجهة الى البشر جميعا ، بغض النظر عن ألوانهم ، وأجناسهم ، ولغاتهم •

انه يدعو الى الايمان بالله •• اله واحد هو قيوم السموات ، والأرض ، الخالق ، الرازق ، الذى بيده ملكوت الكون كله ، واليه يرجع الناس ، فيحاسبهم على ما قدموا من عمل •

والايمان باله واحد ، والاخاء الانسانى هما الأساس فى تعاليم رسل الله الذين أرسلهم الى الناس يهدونهم الى الحق ، والعدل •

والمرء لا يكتسب بنسبة أو بواقعة ميلاده أى ميزة ، أو وضع تجاه غيره ، فالكل سواء •

وعلى المسلمين أن يبذلوا أقصى مايستطيعون لاقرار العدل فى مجتمعهم ، ولو كلفهم هذا

---

(1) Emergence of Pakistan — CHAUDHRI M-ALI — 1979 — p. 2.

(٢) المصدر السابق ص ٢ .

تضحيات بالنفس أو بالمال .

ونصوص الاسلام لا تنتهى من تأكيد حق الانسان فى حرية العقيدة ، وحرية العمل .

والمسئولية فى الاسلام مسئولية مباشرة ، فاذا عاش قوم فى جهل ، أو فقر ، أو فساد فليس لهم أن يلقوا اللوم على غيرهم ، أو على حياة سبقت لهم من قبل فى أجيال مضت ، فى عالم تناسخ الأرواح .

وعليهم أن يتحملوا مسئولية ما هم فيه : اليوم ، وغدا فى الحياة الآخرة (١) .

هذه المبادىء الاسلامية العامة للنظام الاجتماعى فرضت على الهندوس بالقوة واقعا عمليا عبر التاريخ منذ بداية الفتح الاسلامى للهند على يد محمد بن القاسم سنة ٧١٢ م ، وحتى تاريخ النصر الذى ظفر به أحمد شاه العبدلى على اتحاد (ماراثاز الهندوسى) سنة ١٧٦١ م .

وفى خلال هذا العمر الطويل كانت الفتوحات الاسلامية ــ وقد استمرت لعدة قرون ــ فى شبه القارة ، حتى تمت السيطرة عليها .

وكانت مواقف القتال اخمادا لحركات الانفصال تبدو للمسلمين والهندوس من زاويتين مختلفتين .

فكان المسلمون يرون ملوك هذه الفتوح ، وقادتها أبطالا مؤمنين ، يطهرون الهند من الفساد والمظالم .

يرون الذين ناهضوا الإمبراطورية الاسلامية هناك عصاة مجرمين .

وعلى العكس من هذا كان الهندوس ينظرون الى هؤلاء الذين ناهضوا الامبراطورية الاسلامية فيرونهم أكثر الناس صدقا فى الوطنية .

ثم ظهر البريطانيون فى أفق الهند فرأوا من صالحهم أن يشعلوا نار الفتنة ، وأن يهيجوا الثارات بين أتباع هاتين الديانتين .

فعمدوا الى اعادة كتابة تاريخ الهند ، ليظهر المسلمون فيه ظلمة جبارين ، يسومون الناس ألوان الخسف ، والعذاب .

وليكون القصص التاريخى الهندى مثيرا للهندوس الذين يشكلون الكتلة السكانية الكبرى فى الهند ، ودافعا لهم أن يحمدوا فضل الحكام الانجليز (٢) .

وكانت الفرصه مهيأة للانجليز لكسب هذه الكتلة السكانية الضخمة الى جانبهم ، واستغلالها ضد المقاومة الاسلامية ، وتغيير المعادلة الاجتماعية بينهم وبين المسلمين .

لقد كان المسلمون قادة الهند ، وكانوا مع هذا أقلية سكانية قدمت فى جيوش فاتحة ، أو تبعا للجيوش الفاتحة ، ثم استقرت بالبلاد ، واستوطنتها ، وتبعها قوم من أهل البلاد ، اعتنقوا الاسلام ، واختلطوا بها .

ثم جرت عوامل التغيير فى تركيبة المجتمع الهندى السكانية تدريجيا ، وعلى مر الزمان أصبح المسلمون ربع سكان الهند ، فهم فى الشمال الشرقى ، والشمال الغربى يمثلون الأغلبية العظمى من السكان .

(١) المصدر السابق ص ٣ .

(٢) المصدر السابق .

لكنهم فى وسط الهند وجنوبه يتراجعون فيمثلون نسبة تتراوح بين ١٥ ، ٥ فى المائة من السكان •

ذلك لأن الحكام المسلمين لم يوجهوا من جهودهم الا قليلا لنشر الاسلام فى جنوب الهند (١) •

يقول راجاندا براساد ، وهو أول رئيس لجمهورية الهند بعد الاستقلال : « ان موقف الفاتحين المسلمين — فى عمومه — كان موقف التسامح ، وان الاسلام انتشر فى الهند بجهود القدوة من علماء الاسلام ، ومن الصوفية ، الذين كانوا يجوبون الهند ، من أطرافها الى أطرافها ، فيتعرضون لكثير من المصاعب والأخطار فى سبيل سعيهم لنشر الحقيقة » (٢)

لقد عاش المسلمون فى المدن والقرى بالهند ، وعملوا فى كافة الأعمال ، فكان منهم الحكام ، ورجال الادارة ، والجنود ، والمدرسون ، وملاك الأراضى ، والفلاحون ،ورجال المهن ، والصناعة ، والتجار •

وكان طبيعيا أن يعظم جانبهم فى ظل الحكم الاسلامى ، فى المجالات العسكرية ، والتشريعية ، والادراة المدنية •

وليس معنى هذا أن يكون الهندوس قد أبعدوا تماما عن التمثيل فى الادارة المدنية ، فقد اختصوا بالادارة المالية — فى غالب الأمر — فى ظل الحكومة الاسلامية ، كما عملوا فى الجوانب العسكرية ، فكان منهم قادة لجيوش تتكون جمهرتها من المسلمين •

ثم ان التجارة ظلت فى أصولها فى أيدى الهندوس أما ملاك الأرض الكبار فكانوا من الجانبين وكانت المدن مقسمة الى أحياء يقيم الهندوس فى بعضها ، ويقيم المسلمون فى البعض الآخر •

لكن الأسر المسلمة ، والهندوسية كانت تمارس شئونها فى الحياة — غالبا — جنبا الى جنب •

وبالرغم من كل هذا فان حدة الفرقة ، ومظاهرها لم تختف عبر القرون •

فقد عمد الهندوس الى مزيد من التشدد ، فى قيودهم الطبقية ، واحتياطات النجاسة ، ليضيق مجال الاتصال بالمسلمين •

وكان هذا نوعا من الدفاع التلقائى عن سلامة مجتمعهم خلال القرون التى خضعوا فيها للحكم الاسلامى •

فقد حكموا بالنجاسة على أى طعام ، أو شراب ، أو أدوات ، اذا مسها مسلم (٣) •

لقد كان هناك مجتمع نباتى ، وآخر لا يتقيد بالنباتيات ، وكانت هذه الظاهرة عقبة فى سبيل اللقاء الاجتماعى بينهما •

لكن أكبر العقبات ، وأشدها حدة فى هذا السبيل ، تمثلت فى معتقدات الهندوس وقيودهم الطبقية ، فكانت بمثابة ستار حديدى يقسم أبناء الهند الى شعبين ، ويفصل بينهما •

انه لا أحد ينكر أن الهندوس بالرغم من هذه الظروف تأثروا بكثير من المبادىء الاسلامية •

---

(١) المصدر السابق •
(٢) المصدر السابق ص ٤
(٣) المصدر السابق ص ٤ •

فقد تفجرت بينهم حركات عديدة تدعو الى التوحيد ، وتؤكد أن الاخلاص والعمل الصالح هما سبيل النجاة ، لا ما ورثه المرء من حياة سابقة .

وكان كثير من الحركات يدعو الى الوحدة بين الديانات ، والى اتباع سبيل الحب ، والتآخى بين الناس .

كما أن السلوك والعادات الهندوسية تأثرت بأسلوب الحياة ، ونماذجها لدى النبلاء المسلمين ، بوصفهم النموذج الاجتماعى الأعلى .

وتأثر المجتمع الهندى بأنماط الثياب الاسلامية ، وأسلوب الرسم ، وهندسة البناء الفارسية المسلمة .

وبمرور الزمن تأثرت اللغة الأوردية ــ لغة الهند ــ بمفردات ، وتعبيرات عربية وفارسية ، جرى تطعيم هذه اللغة بها ، فى تطبيق رائع ، ومزج جميل .

وقد جرت محاولة للربط بين الديانتين فى صورة مختارة منهما ، ابتدعها أكبر خان الامبراطور المغولى ، ليقدم بها دينا صناعيا يخدم السياسة والغايات الملكية .

لكن أسباب التقارب هذه لم تؤت ثمارا تجمع بين الشعبين ، وقد كان موت أكبر خان الذى حكم فيما بين سنة « ١٥٥٦ و ١٦٠٥ م » نهاية لمحاولته الدينية ، وايذانا برد فعل حاد عنيف ، بلغ أوجه فى عهد آخر الأباطرة العظام من المغول فى الهند « أورانجزيت » الذى عاش من « ١٦٥٨ حتى ١٧٠٧ م » فقد أعاد السيادة الدينية الاسلامية الكاملة ، والمذهب الحنفى بالذات الى ربوع الهند .

وكانت شمس الامبراطورية المغولية تؤذن بالمغيب ، فلم يكد يمضى على موت (أورانجزيب) وقت قصير حتى بدأ بناء السلطة بها يتهاوى ، ويتحطم ، فقد استقل حكام الولايات على أطراف الهند وتمتعوا بحكم ذاتى ، فلا يؤدون للحكومة المركزية الا مجرد رمز الولاء ، والاحترام .

وأصبحت الحكومة المركزية من الضعف ، والضنك بحيث تعجز عن أن تبسط سلطانها عليهم .

وزاد من شدة الموقف ، وحدة الصدام بين المسلمين والهندوس أن حكومة هندوسية اقتطعت عددا من الولايات الشمالية الشرقية للهند ، واستقلت بها تحت اسم « اتحاد ماراثاز » فى مطلع القرن الثامن عشر .

وكان انتصار أحمد شاه دورانى عليها سنة ١٧٦١ م (١) ، واخضاعها للحكم الاسلامى مرة أخرى بمثابة كارثة دينية لدى الهندوس ، ضاعفت من مشاعر الكراهية للمسلمين .

فى هذا الجو من الاضطراب والضعف دخل الانجليز الميدان طرفا ثالثا .

ومن قبل كانوا يعملون بالهند على مدى قرن ونصف لحساب شركتهم ، يأتمرون بأمر الحكومة الاسلامية ، فى تواضع ، وخضوع .

(١) دائرة المعارف البريطانية .

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴿١﴾ ألم يجعل كيدهم في تضليل ﴿٢﴾ وأرسل عليهم طيرا أبابيل ﴿٣﴾ ترميهم بحجارة من سجيل ﴿٤﴾ فجعلهم كعصف مأكول ﴿٥﴾

ويتقـــدمون الى الأباطرة المغول ، والى حكام الولايات بالرجاء ·

فلما استدارت الحوادث ، والأيام لصالح الانجليز فى منتصف القرن الثامن عشر عملوا خلال مائة سـنة من هـذا التاريخ على تفجير الامبراطورية الاسـلامية ، ونسف بنائها من جذوره ·

واستغلوا فى هذا السبيل جميع أسلحتهم : أسلحة الدبيلوماســية ، والقوة ، والغش ، والخديعة ، وسوء الأخلاق ·

وهى الأسلحه التى عملت من قبل لمثل هذه الغاية فى مجال التجارة مع الهند ·

وكان الهندوس بمنطق الأحداث والظروف ، وبحكم العلاقات التجارية حلفـاء للانجليز فى كل ما يفعلون ·

فلما كسب الانجليز المعركة عملوا بكل قوة على سـحق المسلمين ، وتدميرهم تماما (١) ، وبخاصة فى الجانب المعنوى من حياتهم ·

وكان على المسـلمين آن يواجهوا موقفـا جديدا ، هو أشد من كل مارأوه ، أو تصوروه من قبل ·

هذا : والحديث ذو شجون ، وله بقيـة ·

وبالله التـوفيق ·

محمد حسام الدين

---

(١) EMERGENCE OF PAKISTAN

الفتاوى

س : مـن المواطـن أ ٠ البهتيمى — القليوبية

وجب عليه الحج ولكنه مريض مرضـا مزمنا لا يستطيع معه الحج بنفسه ، فهل له أن ينيب غـيره ؟

ج : من وجب عليه الحج وعجز عن الحج بنفسه لمرض مزمن مثلا ، وجب عليه أن ينيب غيره ليحج عنه ، سواء دفع مصاريف من ينوب عنه أو تبرع النائب بالمصاريف ، وتسقط فريضة الحج عنه بأداء النائب •

س : من المواطن م ٠ س الطنطاوى — الغربية

لى جار اقام حظيرة ماشية بجـوار حائط دارى ، ووضع خشـب سـقف الحظيرة على الحائط الـذى أملكه دون اذنى وفى غيبتى ، وتسبب عن ذلك تصدع البناء ٠ فما الحكم وبعد تهدم البناء هل للجار أن يعيد وضع الخشب ؟

ج : ليس للجار اقامة حظيرة بجوار حائط جاره ، ولا أن يفعل شيئا ما يضر بالجار فـلا ضرر ولاضرار ، وليس له وضع خشب الحظيرة ولا غيره على الحائط الا باذن جاره والا كان متعديا أو ظالما •

وحيث انه قد تسبب عن فعله تصدع الجدار فهو ضامن له لأنه المتسبب فى تلفـه أمـا اذا انهدم الحائط فليس للجار اعادته ووضعه على الجدار ، لأنه كان ظالما بما فعله بوضعه الخشب على الجدار ، وسكوت صاحبه على ذلك لايكسبه حقا •

س : من المواطن ا ٠ ف ٠ عبد الرحمن

رضع من جدته أم والده مع عمتـه الصغرى ، فهل يجوز له أن يتزوج مـن بنت بنت عمته الكبرى ، علما بأن الرضاع خمس رضعات ، وعمته الكبرى أخت أبيه من والده وليست شقيقة ٠٠٠ ما الحكم ؟

ج : برضاع الشاب من جـدته أم والـده خمس رضعات ، صار ابنا لها وأخا لجميـع أولادها •

وعلى ذلك فلا يجوز له الزواج من بنـات أعمامه ولا من بنات عماته وان نزلوا ، ولا عبرة بأن عمته الكبرى أخت أبيه من الأب •

إعداد
عبد الحميد السيد شاهين

س : من المواطن ح . ر . ابراهيم
طلقت زوجتى قبل الدخول بها بقولى لها أنت طالق ، ثم راجعتها بقولى لها : راجعت زوجتي الى عصمتى .

ومرة ثانية بعد الدخول بها قلت لها : أنت طالق وراجعتها .

وفى المرة الثالثة قلت لوالدها : ابنتك طالق . فما الحكم ؟

ج : بقولك لزوجتك قبل الدخول : أنت طالق، يقع به طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى ، ولا تحل لك الا بعقد ومهر جديدين وبرضاها .

وحيث انك دخلت عليها قبل أن تعقد عليها فدخولك بها باطل شرعا .

وكذلك الطلقتان اللتان أوقعتهما بعد الدخول لا شيء فيهما ، حيث انها كانت أجنبية عنك .

وعليك أن تعقد عليها عقدا جديدا بمهر جديد وبرضاها ، وتبقى معك على طلقتين .

س : من المواطن / ع . م . المصرى الشرقية .

توفيت امرأة عن : أخت شقيقة ، أخ لأم وهو فى الوقت نفسه ابن عم شقيق ، وابن عم شقيق آخر ، وأولاد أخت شقيقة فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للأخت الشقيقة النصف فرضا لعدم من يعصبها أو يحجبها . وللأخ لأم السدس فرضا لعدم من يحجبه .

والباقى لابن العم الشقيق والأخ لام باعتباره ابن عم شقيق يقسم بينهما بالتساوى ولاشيء لأولاد الأخت الشقيقة لأنهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

والله أعلم

عبد الحميد السيد شاهين

... من الجهل

الجاهل يشكو الله الى الناس وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكو اليه فانه لو عرف ربه لما شكاه ، ولو عرف الناس لما شكا اليهم ، ورأى بعض السلف شاكيا ، فقال : ياهذا ، والله مازدت على أن شكوت من يرحمك الى من لا يرحمك .

طرائف

حقيقة العبادة

أتى أعرابى أبا جعفر بن محمد فقال له : هل رأيت ربك حين عبدته ؟ قال : لم أكن لأعبد شيئا لم أره .

فقال : كيف رأيته ؟ .

قال : لم تره الابصار بمشاهدة العيان ، بل رأته القلوب بحقائق الايمان .

لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات ، منعوت بالعلامات .

« هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ » .

الرازى والصبيان

حكى أبو على الرازى ، قال :

مررت بصبيان فى طريق الشام يلعبون بالتراب وقد ارتفع الغبار :

فقلت : مهلا قد غبرتم .

فقال صبى منهم : ياشيخ أين تفر اذا هيل عليك التراب فى القبر .

فغشى على فأفقت والصبى قاعد عند رأسى مع الصبيان يبكون .

فقلت له : أعندك حيلة فى الفرار من التراب ؟ .

قال : أنا لا أعلم ولكن سل غيرى .

فقلت : ومن غيرك ؟

قال : عقلك !! .

قالوا...

* ملاك الدين الورع ، وآفة الدين الطمع .

* من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه .

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

* ليس أخطر على الانسان من ادعاء ما ليس فيه ليس فقط خشية افتضاح أمره كما جاء فى قول عمرو بن العلاء :

من تحلى بغير ما هو فيه
فضحته شواهد الامتحان

وانما خشية مقت الله ــ عز وجل ــ ، كما جاء فى بعض معنى قوله الكريم : «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ**» .

* لم يهلك أحد من مشورة .

حقا

يقول خالد بن معدان :

ما من عبد الا وله أربع أعين : عينان فى وجهه يبصر بهما أمور الدنيا .
وعينان فى قلبه : يبصر بهما أمور الآخرة .
فاذا أراد الله بعبد خيرا فتح عينيه اللتين فى قلبه فيبصر بهما ما وعد بالغيب .

كيف تكون النصيحة

يقول الامام الشافعى :

تعهدنى بنصحك فى انفرادى
وجنبنى النصيحة فى الجماعة
فان النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

دعاء

اللهم ارحمنا بالقرآن واجعله لنا اماما ونورا وهدى ورحمة .
اللهم كن لنا ولا تكن علينا .
اللهم اختم بالسعادة آجالنا، وحقق بالزيادة آمالنا .
وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

من أعلام الأزهر

فى القرن الحادى عشر الهجرى

الشيخ أحمد هاشم المكاوى

الشهير بأحمد الأسيوطى

علم من رجال الازهر فى عهوده الاولى نهل من رحيق علومه وارتوى من بحور ثقافته ، ثم قام بالتدريس فيه لمدة خمسة عشر عاما حتى تطوع من قبل الازهر الشريف عندما لجأت اليه الحكومة العثمانية بطلب السفر الى مدينة جرجا بالصعيد الاوسط بمصر للاقامة بها واعادة تعميرها ، وافتتاح معهدها الدينى بعد خرابها وتوقف الحياة فيها بسبب ما ألم بها من وباء الطاعون سنة ٩٨٠ هـ ، ذلك الوباء الذى أهلك الحرث والنسل فى تلك المدينة اذ قضى على أربعة أخماس سكانها أما الباقى فقد هرب بعضه الى اقليم السلسلة ببلاد النوبة ثم واصل سيره حتى بلاد مالى بغرب افريقيا والبعض الآخر فر الى مدينة المحلة الكبرى حيث استقر بها .

ذلك هو الشيخ أحمد هاشم المكاوى الجد الاكبر لعائلة السيوطى (١) هناك والتى تنتسب اليه وأول مجدد لمعهد جرجا الدينى بعد توقفه عن مدارسة العلم والشريعة لما انحسرت الحياة عنها بسبب ما أصابها من ذلك الوباء الخطير فى ذلك الزمان .

مولده :

يذكر الحاج احمد عبد العزيز السيوطى (٢) وهو أحد أحفاد الشيخ أحمد هاشم المكاوى عن جده المذكور أن تاريخ مولده كان فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى بمدينة مكة المكرمة وهو من عائلة (آل أبو سريع) الذين هم من أولاد الشيخ عنبر أحد أحفاد الامام الحسن السبطى رضى الله عنه ابن الامام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، ولما شب عوده تلقى العلوم الدينية على يد العلماء من أسرته بالديار الحجازية ثم رحل الى الديار المصرية حيث استأنف دراسته على يد علماء الازهر

---

(١) وهذه العائلة هى خلاف عائلة السيوطى التى ينتمى اليها الامام الحافظ جلال الدين أبى الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيرى السيوطى الذى ينتسب الى مدينة أسيوط حيث كانت عائلته تقيم بها قبل نزوحها الى القاهرة .

(٢) هو وكيل نقابة الاشراف وصاحب مكتبة دار الهلال ومطبعتها بمدينة جرجا . .

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الشريف ثم قام بالتدريس فيه .

نزوله جرجا ووفاته :

وأما تاريخ نزوله بمدينه جرجا فكان فى سنه ١٠٠٥ هـ الموافق سنة ١٦٠٥ م وقد اصطحب معه ثلاثمائة نفر من طلاب العلم من أبناء الصعيد ليكونوا نواة نشاط المعهد الدينى عند اعادة افتتاحه ، وقد اتخذ من المسجد العمرى العتيق مكانا لالقاء دروس العلم والدين فيه ثم تزايد عدد الطلاب حتى بلغ عدد من يتلقى العلم فى ذلك المعهد بعد ذلك نحو ستة آلاف طالب تقريبا يمتون الى جنسيات مختلفه اذ كان منهم الاتراك والشوام والسودان والهنود ومن أهل العراق وغيرهم .

وبعد حياة حافلة فى خدمة العلم والدين توفى الشيخ أحمد هاشم المكاوى الى رحمة الله ودفن بتلك المدينة التى كان له شرف تعميرها بشخصه وعلمه .

كيف قام بذلك مع أنه لم يكن مصريا :

انما كان ذلك ، لأن شريعة الاسلام تجعل المسلمين أمة واحدة بسبب وحدة العقيدة التى تجمعهم حتى ولو اختلفوا فى الجنس أو اللغة أو الاقليم أو غير ذلك مما يختلف فيه الناس فى وقتنا الحاضر ، لأن عنصر العقيدة الاسلامية يغلب هذه الاختلافات ويجعل المسلمين ، ليسوا اخوة فى الدين فحسب ، بل انه ليصهرهم فى بوتقة واحدة هى دولة الاسلام قال تعالى : (**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**) (١) .

وقال جل شأنه (**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**)(٢)

ولهذا اقترن هذا التنظيم السياسى (أى الدولة) مع تكوين الجماعة الاسلامية الاولى عندما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى المدينة المنورة وصارت رابطة الفرد المسلم بدوله الاسلام هى رابطة قانونية بسبب كونه مسلما وهو ما نسميه بالجنسية فى زماننا المعاصر (٣) ، لذلك لم يكن هناك حرج فى ذلك الزمان أن ينتقل الشيخ احمد هاشم المكاوى صاحب الترجمة من موطنه الأصلى فى بلاد الحجاز فى يسر الى القاهرة ثم منها الى مدينة جرجا والاقامة بها دون أن تكون هناك عقبات تعترضه ، لأنه كان مسلما تابعا فى جنسيته لدولة الاسلام التى تتبعها مصر .

---

(١) الانبياء ـ ٩٢ .
(٢) آل عمران ـ ١١٠ .
(٣) كتاب أحكام الذميين والمستأمنين فى دار الاسلام ـ تأليف الدكتور عبد الحكيم زيدان ـ الاستاذ بكلية الآداب جامعة بغداد ونشرته الجامعة المذكورة سنة ١٣٩٦ هـ ـ سنة ١٩٧٦ م ص ٦١ المبحث الثانى الجنسية فى الشريعة الاسلامية .

من أعلام الأزهر

لمحة تاريخية عن مدينة جرجا :

كانت تلك المدينة حاضرة للاقليم المحيط بها فى الصعيد الأوسط منذ عصور المصريين القدماء لكنها لم تكن معروفة بهذا الاسم حينئذ بل كانت تدعى (أباذو) وذلك فى عهد الملك مينا (نارمر) أول ملوك الأسر المصرية القديمة •

وفى العهد الرومانى أطلق عليها الرومان (داجرجر) نسبة الى الأمير داجرجر ابن الملك داجرج ثم دعيت بعد ذلك (دا جرجا) نسبة الى الاميرة (داجرجا) ابنة الملك (داجرجر)، ثم سميت (جرجى) فى العهد القبطى خلال القرن الثالث والرابع الميلادى نسبة الى الأسقف (جرجى) الأريوس الذى نفى اليها بسبب اعتناقه لعقيدة (التوحيد) التى كان ينادى بها الأسقف (آريوس) ومعارضته لنحلة التثليث التى اعتنقتها الدولة الرومانيه والكنيسة القبطية منذ ٣٢٥ م اثر انعقاد مجمع (نيقيه) بواسطة الأمبراطور قسطنطين قيصر الرومان (١) •

ولما جاء الجيش الاسلامى فى عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وحارب الرومان وطردهم من مصر أرسل قائده عمرو بن العاص فرقة من جنوده تحت امرة أحد أعوانه الى بلاد الصعيد فتم له ضمن ما فتح من مدن مدينة (جرجى) وأعجبه فيها معبد فرعونى ضخم فحوله الى مسجد تقام فيه الصلاة سماه بالمسجد العمرى نسبة الى اسم الخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وكان ذلك عام ٢١ هجرية الموافق سنة ٦٤١ م ، وقد عنى به الولاة قبل الدولة الاسلامية اذ كانت مدينة جرجا عاصمة لأحدى تلك الولايات التابعة للديار المصرية (٢) فأقاموا له أربع منارات كان يتردد عليها الأذان للصلاة وتدرس فيه العلوم الاسلامية كما قدمنا واستمر على ذلك حتى حول النيل مجراه واخترق داخل المدينة عام ١١٧٢ هـ الموافق سنة ١٧٧٣ م فحطم ضمن ما حطم ذلك المسجد العمرى العتيق فأعيد مكانه بناء مسجد حديث صغير سمى باسمه وان كان يختلف عن المسجد القديم فى حجمه ورسمه •

هذا ومما تجدر الاشارة اليه أن الشيخ خالد بن عبد الله النحوى الشهير بـ (الأزهرى) صاحب متن النحو المعروف بالازهرية كان من مدينة جرجا (٣) •

عراقة معهد جرجا الدينى فى دراسة العلوم الاسلامية :

يعتبر ذلك المعهد من أقدم المعاهد الاسلامية فى الديار المصرية لانه منذ اعادة افتتاحه سنة ١٠٠٥ هـ بمعرفة الشيخ أحمد هاشم المكاوى يكون قد مضى عليه قرابة أربعة قرون حتى الآن

(١) كتاب جرجا بين القديم والحديث اعداد الاستاذين محمد فؤاد أحمد عبد العال وفاروق محمود بلاش بمديرية التربية والتعليم بمحافظة سوهاج •

(٢) كتاب المختار من تاريخ الجبرتى اختيار محمد قنديل البقلى الجزء الاول ـ نشر دار الشعب •

(٣) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الالفى للازهر ـ مقال (الازهر المعجزة الرباط) لسماحة الشيخ عبد الله كنون •

كان خلالها يبث العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية لكل من انتظم فيه من طلاب العلم ، والاقبال على العلم طابع المسلمين منذ عصورهم الاولى فقد تميز المسلمون بحرصهم البالغ على طلب العلم واستمر ذلك الحرص خلال تاريخهم الطويل وكان الطالب المسلم حديد العزم قوى الارادة ذلل كل الصعوبات التى اعترضته ، ولم يكترث بالعقبات ولم يبال بالمخاطر ،ماكان ذلك الا استجابة للوحى القرآنى الذى آمن به وامتثالا لتوجيهات النبى ﷺ التى تحث على العلم وترفع قدره وقدر من يشتغل به •

قال الله تعالى : (**قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**) •

(**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**) سورة المجادلة ١١ •

(**وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا**) سورة طه ١١٤ •

ويقول رسول الله ﷺ فى أحاديث كثيرة نجتزىء منها الآتى (١) :

(**من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين**) متفق عليه •

(لاحسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) متفق عليه •

(من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة) رواه مسلم •

(اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) رواه مسلم •

(من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع) رواه الترمذى وقال حديث حسن •

(فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، ثم قال رسول الله ﷺ ان الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير) رواه الترمذى •

وقال : حديث حسن •

استمرار المعهد الدينى تحت اشراف أولاده وأحفاده :

لما قام ذلك المعهد العتيد بأداء رسالته العلمية والدينية أشرف عليه الشيخ أحمد هاشم المكاوى اذ قد صار شيخا له حتى توفى الى رحمة الله فقام أولاده وأحفاده من العلماء بشرف ملاحظته والعناية به والتدريس فيه ، ينفقون فى ذلك عليه من حر مالهم الخاص ، وعلى طلاب العلم فيه خصوصا الفقراء منهم ونذكر من هؤلاء العلماء •

١ ــ المرحوم الشيخ مكى وهو ابن صاحب هذه الترجمة •

٢ ــ المرحوم الشيخ على مكى ويقول عنه صاحب كتاب تاريخ النواحى والأرجا فى ذكر علماء جرجا أنه كان من أقران العلامة الشيخ محمد الامير الكبير وحرر على مجموعة ، وكان

(١) كتاب رياض الصالحين من سلام سيد المرسلين للامام محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى •

يرجع اليه بعض العلماء فى حل معضلات المسائل (١) •

٣ ـ المرحوم الشيخ أبو بكر مكى وقد ورد عنه فى الكتاب المشار اليه فيما سبق أنه كان اماما شهيرا وعالما كبيرا أدرك من علماء بلده الجهابذة المرحوم الشيخ عبد المنعم بن عبد الرحمن الخياط والمرحوم الشيخ عبد الرحمن ابن أحمد الخياط وغيرهما من أفاضل العلماء ، كما أخذ عنه كثيرون من أجلهم مفتى الصعيد وقتئذ المرحوم العلامة الشيخ عبد الله عنانى والمرحوم العلامة الشيخ محمد بن أحمد المصرى الكبير ، وابن أخيه المرحوم العلامة الشيخ محمد على مكى (٢) •

٤ ـ المرحوم الشيخ محمد على مكى الذى تلقى العلم على يد عمه وأستاذه المرحوم الشيخ أبو بكر مكى •

٥ ـ المرحوم الشيخ أجمد على مكى وهو شقيق المرحوم الشيخ محمد على مكى السابق الاشارة اليه •

٦ ـ المرحوم الشيخ عبد الله محمد على مكى وقد أخذ العلوم على أفاضل علماء عصره نذكر منهم العلامة الشيخ حسن العدوى الحمزاوى والشيخ محمد ابراهيم الشهير بالابراشى وقد اشترك معه فى تصنيف بعض التآليف النحوية ومختصر ابن أبى جمرة وفى شرح الاحاديث النبوية فى بعض أجزاء من كتاب الامام البخارى وقد تتلمذ عليه كثير من العلماء ، وكان منهم الشيخ محمد البغدادى من مدينة بغداد عاصمة بلاد العراق •

٧ ـ المرحوم الشيخ احمد محمد على مكى •

٨ ـ المرحوم الشيخ عبد المنعم محمد على مكى •

٩ ـ المرحوم الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ عبد الرحمن السيوطى •

وهو اخر شيخ لذلك المعهد الدينى العتيد قبل ضمه لادارة الازهر ، داوم على العناية به وتدريس العلوم الشرعية فيه حتى تاريخ وفاته سنة ١٣٤٢ هـ وله مؤلفات كثيرة لكنها مازالت مخطوطة اطلع على بعضها المستشرق الألمانى بروكلمان وأعجب بها ونقل بعضامنها الى اللغة الألمانية •

وقد أحبه طلاب العلم وتلاميذه لغزارة علمه وسمو خلقه وعلو همته وسماحة طباعه حتى مدحه بعض تلاميذه بالقصائد الشعرية نجتزىء منها بالأبيات الآتية :

أصل العلوم وحافظ القرآن
آل السيوطى شعلة الأيمان

العلم ديدنهم والفضل مشربهم
فاحفظ الهى صائنو الاحسان
هم قد بنوا للدين شامخ معهد
يسقى من الآيات والقرآن
ذكراه للعطشى رحيق سائغ
حلو المذاق لتائه ظمآن

---

(١) كتاب تاريخ النواحى والارجا فى ذكر علماء جرجا لمؤلفه فضيلة المرحوم الشيخ محمد حامد المراغى ص ٣٢٦ وهو مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم (١) ـ ٢٤٨٧ •

(٢) المرجع السابق •

سكناه للمرضى دواء ناجع
يشفى عليل الحب والفرقان
أبناء جرجا يشهدون بفضلهم
بك ياسيوطى تسعد الارجاء
المعهد الدينى يشدو فرحة
وبدت على آفاقه الأضواء
لقد تفضل تسعة منهم على
برج الفضائل فالتقى الفضلاء
اليوم نذكر السيوطى واجبا
نسل السيوطى كلهم كرماء
من أرض مكة أصله وشعاره
للناس دوما لا يرد دعاء

ولا يفوتنا أن نشير أنه انتظم فى جامعة الأزهر وتخرج منها فى زماننا المعاصر نفر من تلك العائلة التى حمل علماؤها شرف رسالة العلم والدين نذكر منهم المرحوم الشيخ عبد الحليم عبد الرحيم السيوطى ابن آخر شيخ لذلك المعهد قبل ضمه لادارة الأزهر الشريف وقد تخرج من كلية الشريعة وقام بالتدريس فى المعاهد الدينية والداعيين الاسلاميين الشيخ عبد الوهاب عبد الرحيم السيوطى وشقيقه الشيخ حسين عبد الرحيم السيوطى وقد تخرجا من كلية أصول الدين ، والدكتور رمضان حافظ السيوطى الاستاذ المساعد بقسم الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر ٠

ادارة الأزهر تتسلم المعهد الدينى :

بعد وفاة الشيخ عبد الرحيم بن الشيخ عبد الرحمن السيوطى قامت ادارة الأزهر الشريف بضم المعهد الدينى اليها وكان ذلك عام ١٣٤٥ هـ وبذلك صار تحت اشراف الأزهر ليستأنف مسيرته المباركة رافدا جاريا مع باقى المعاهد الدينية الأخرى التى نبتت حوله من بذرته المباركة من اعدادية وثانوية ومعاهد البنات الأزهرية وحتى تكون برهانا شاهدا ودليلا ملموسا على ان الأزهر ومعاهده ظل وسيظل حارسا للدين ومعقلا للغة العربية وهاديا الى الصراط المستقيم ٠

(المستشار)
« محمد عزت الطهطاوى »

أصول المعاصى

أصول المعاصى كلها كبارها وصغارها ثلاثة : تعلق القلب بغير الله ، وطاعة القوة الغضبية ، والقوة الشهوانية ٠ وهى الشرك ، والظلم ، والفواحش٠

فغاية التعلق بغير الله شرك ٠٠ ، وغاية طاعة القوة الغضبية القتل ، وغاية طاعة القوة الشهوانية الزنا ولهذا جمع الله سبحانه بين الثلاثة فى قوله «والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون » ٠

كمال الايمان

ليس المؤمن بالـذي يؤدي فرائض العبادات صورة . ويتجنب المحظورات فحسب . انما المؤمن هو الكامل الايمان ولا يختلج في قلبـه اعتراض ، ولا يساكن فيما يجري وسوسة . وكلما اشتد البلاء عليه زاد ايمانه . وقوي تسليمه . وقـد يدعو فلا يرى للاجابة أثراً . وسره لا يتغير لأنه يعـلم أنه مملوك وله مالك يتصرف بمقتضى ارادته ، فان اختلج في قلبـه اعتراض خرج من مقام العبودية الى مقـام المناظرة ، كما جرى لابليس . والايمان القوي يبين أثره عند قـوة البلاء . فأما اذا رأينا مثل يحيى بن زكريا تسلط عليه فاجر فيأمر بذبحه فيذبح . وربما اختلج في الطبع أن يقول فهلاّ رد عنه من جعله نبياً ؟

وكذلك كل تسلط من الكفار على الانبياء والمؤمنين وما وقع رد عنهم . فان هجس بالفكر أن القدرة تعجز عن الرد عنهم كان كفراً . وان علم أن القدرة متمكنة من الرد وما ردت ، ويجـوّع المؤمنين ويشْبع الكفار . ويعافي العصاة ويُمرض المتقين ، لم يبق الا التسليم للمالك وان أمض وأرمض وقد ذهب يوسف بن يعقوب عليهما السلام فبكى يعقوب ثمانين سـنة ولم ييأس ، فقال : « عسى الله أن يأتيني بهم جميعـاً » .

وقد دعا موسى عليه السلام على فرعون . فأجيب بعد أربعين سنة .

وكان يذبح الأنبياء ولا ترده القـدرة القديمة العظيمة . وسلب السحرة . وقطـع أيديهـم .

وكم من بلية نزلت بمعظّم القدْر ، فما زاده ذلك الا تسليماً ورضىً ، فهناك يبين معنى قوله « ورضوا عنه » ، وههنا يظهر قدر قوة الايمان لا في ركعات ، قال الحسن البصري : استوى الناس في العافية فاذا نزل البلاء تباينوا .

---

(٢) حديثه مشهور .

شعر وشاعر

قصة الهجرة

صعب على منهاج البردة

ابراهيم طوقان "شاعر فلسطيني"

قصة الهجرة

للشاعر عبد العليم القبانى

خواطر من وحي السماء ترود … تفيض علينا من سنا وتجود

معطرة الأنسام نشوانة الصدى … لها الكون سمع والزمان شهيد

تجلت علينا بعد عشر وأربع … مئينا توالت همسهن رعود

فعدنا الى أرجاء مكة تلتقى … بنا نذر من أهلها ووعيد

وقد جابه الباغين فيها « محمد » … بعزم كحد السيف ليس يحيد

« ثلاثة عشر » كالحات سوافع … تكاد لها صم الجبال تميد

يمر قذى فى عين كل مكابر … ويبدىء فيها بالهدى ويعيد

وقد فوق العادون فيها سهامهم … ليصمى بها المختار وهو صمود

فلما تغالى الشر واستوثق الردى … وما ثم الا منكر وحقود

وأوشك ركب الدهر أن يجمع الخطى … ليشهد سهم البغى كيف يصيد

تولى رسول الله عنهم وحوله … من الله درع ـ لا ينال ـ شديد

* * *

من الساريان الليل : وشع [illegible]لاهما … نشيد بأرجاء الزمان عتيد ؟

تصيح له الصحراء [illegible] … قوافل فى رجع الصدى وجنود

وتعلو على صدر الزمان حواضر … وتشرق بالنور المقدس بيد

« أبا بكر » يا نعم الصديق تحية … اليك وصوتا بالوفاء يشيد

تخيرك المختار للرحلة التى … لها يوم تذكار المواقف عيد

وفاء كما ترجو المعالى وهمة … لها القلب نبع والحياة حدود

وأنت على الهادى ظلال وصاحب … أمين على رغم العداة حميد

ترود وتخشى أن ينال فتنثنى … بروحك ـ ان خان الطريق ـ تجود

فلا تحزنن اليوم ان « محمدا » … له حافظ من ربه ومميد

صعب على

للشاعرة جليلة رضا

صعب على أقول : كان . وأنت نبع العاطفات

أأقول كان ؟ وكيف كنت .. وأنت لى ماض وآت
أنا لا أحسك قد مضيت ولا أراك سوى حياتى
صعب على أخط اسمك فى سجل الذكريات

* * *

مازال نهر الحب يزخر بالمفاتن والجمال
ويشق قلب مدينتى العذراء فى جوف الليالى
مازال يدفق بالمنى متحديا سد المحال
ومراكبى تمشى عليه محملات بالغلال

* * *

ما زال شباكى يطل على الروابى والبطاح

وظلال مصباحى تراقص فى الدجى خصر الرياح

ومآذنى البيضاء تعلو الأفق فاردة الجناح

وخطاى تركض فى جنون خلف قاطرة الصباح

* * *

قد ألتقى بالريح تبكى فى نهايات الطريق
ولربما حرم المسافر فى الليالى من رفيق
ولقد تغوص سفينة الأيام فى غور المضيق
لكن لى (شالا) و (عكازا) .. وطوقا للغريق .

* * *

أنا عابد عشق التصوف لم يعد شىء لديه
أنا لست أملك من فضائى غير ما ترنو اليه
ومن الهوا سوى الذى قد ضم عطرك فى يديه
أنا ليس لى فى الأرض ركن غير ماتمشى عليه ..

* * *

أأقول : كان ! وأنت قد أوغلت فى روحى وذاتى
أأقول : كان . ؟ ولم أزل أهديك أحلى أغنياتى
أأقول : كان ؟ لمن أصب اذن كؤوسى المترعات ؟
صعب على أخط اسمك فى سجل الذكريات ..

* شيعت جنازة « جلال محمد مصطفى » نجل المستشار محمد مصطفى الدرديرى ، والشاعرة جليلة رضا ؟يوم الاربعاء ٢٤من ذى القعدة ١٤٠٤ ٢٢/٨/١٩٨٤ .

منهاج البردة

فتانة من ذوات الحلى والعصم ... صيغت من الفضل والعلياء والكرم
كأنها فى نهار المجد شمس سنى ... أو نجمة فى سماء النبل والحكم
طافت على وفى اقبالها شفق ... من السهو يجلى حندس الظلم
وفى ملاحتها روض يضوع شذا ... قد فتح الورد فيه غير محتشم
يسبى اذا أغمضت من طرفها فاذا ... تلفتت أسفرت عن خمرة الديم
فقلت : من أنت ؟ قالت وهى باسمة ... مالى حزينا غير مبتسم
أنا الفضيلة من تهوى وتعشقها ... ورحت تنشدها فى الناس من قدم
وأرسلت عبرة فوق الخدود جرت ... لم انتظرها جرت ممزوجة بدم
هذا لقاء وداع أو وداع لقى ... قد تم فى عالم الاطياف والحلم
تلك الفضيلة ما أشهى سأنظمها ... من وحى طه رسول الواحد العلم
وأبذل الحب والأشواق ملحمة ... فى مدح افضل خلق الله كلهم

للشاعر سليمان عبد الشافى العرب

فهـــو الذى شرف الدنيا بطلعته ... وعالج الأنفس المرضى من السقم

شوق لحب رسـول الله يـدفعنى ... كالبحر يـدفع للشـطان كل ظمى

أزجى صـــلاتى للمولى مطهـرة ... وشرعة المصـطفى نهجى وملتزمى

وأبذل النفس فى احيـاء سـننه ... والمـال فى غير تقصـير ولاسـأم

محمد هو هادى الكون سـيده ... المصطفى المجتبى المبعـوث للأمم

فهـو الذى قدر المولى شـفاعته ... يوم القيـامة قبل اللـوح والقلم

من يفعل الخير خـيرا نـال فعلته ... وفـاعل الشر فى قـاص من الالم

ياسيد الرسل ان يتمت فى صـغر ... وذقت شيئا مـن الآلام والسـقم

ولم تنـل عطف أم الخـير آمنـة ... وغاب عنك أب فى عالم السـبدم

فانما أنت للأخلاق مدرسـة ... للحلم والصبر وقتالحرب والسلم

يـارب هذا شذا الأزهـار أنظمه ... فى حب طـه فـأتبع حبـه هممى

واجعله خيرا اذا فكـرت فى عمـل ... وان مشـيت لمشروع على قـدم

يارب فاكتب لنـا نصرا بشرعتـه ... واجعله نورا لنا فى حالك الظـلم

ويسر الخـير لـلأهلين قـاطبة ... بفضـل أشرف خلـق اللـه كلهم

ابراهيم طوقان

شاعر فلسطيني

في ذكراة الثالثة والأربعين

حيـــاته :

لا نعرف شاعراً عاش مأساة وطنه ، مثلمـا اتفق ذلك لأكبر شعراء فلسطين المعاصرين في عشرينيـات وثلاثينيـات القـرن الحـالي : ابراهيم عبد الفتاح طوقان .

وبنظرة سريعة على سيرة حيـاته ، نتبين منها العوامل التي ساهمت في تكوينه ، وأثرت ، بالتالي في شعره .

ولد ابراهيم طوقان عـام ١٩٠٥ بمـدينة (نابلس) بفلسطين ، وتلقى تعليمـه الأولى بمدرسة الرشاد الغربيـة ، ثم انتقـل الى (القدس) على أثر الاحتـلال الانجليزى ، لاستكمال تعليمه بمدرسة المطران ، ثم التحق بالجامعة الامريكية ببيروت عام ١٩٢٣ ، وحصل منها على شهادة الآداب عام ١٩٢٩ .

واشتهر أثناء فترة الدراسة بلقب (شـاعر الجامعة) ، بعد اشتراكه في نـدوات بيروت الأدبية ، مع كبار شعرائها من أمثال : بشارة الخورى (الأخطل الصغير) ، وأمين تقـى الدين ، وجبر ضومط وغيرهم .

وقد ابتلى بداء وبيل في معدته وأمعـائه ، جعله ينقطع عن الدراسة خلال فترات اشتداد وطأة المرض عليه ، وظل الداء ملازما له بعـد تخرجه والتحاقه بالعمل في بلـدية نابلس ، الأمر الذى جعله يتجه الى مصر لعرض نفسه على أطبائها . وبعد اجراء جراحة ناجحـة ، بالغة الخطورة ، أطلق عليه الطبيب المعـالج اسم : (المولود الجديد) ، لنجاته مما كان يتهدده ..

وفاضت شاعريته بالأبيات التالية شـاكرا لله تعالى :

اليـك تـوجهت يـاخالقى
بشـكر على نعمـة العـافية
اذا هى ولت .. فمـن قـادر
سـواك على ردهـا ثـانية ؟
وما للطبيب يـد بالشـفاء
ولكنهـا يـدك الشـافية

تبارکت انت مُعيد الحياة
متى شئت .. فى الأعظم البالية

ونتبين تتمة حالته الصحية ، من قوله شاكيا – ومتندرا فى ذات الوقت – من مرض (فقر الدم) :

وطبيب رأى صحيفة وجهى
شاحبا لونها .. وعودى نحيفا
قال لابد من دم لك نُعطيه ، نقيا ملء العروق كثيفا
لك ماشئتَ ياطبيب ، ولكن
أعطنى من دم .. يكون .. خفيفا !

هذا ، وقد عبّ ابراهيم من الثقافة الخالصة، واطلع على أمهات كتبها ودواوينها الشعرية ، وأكثر من تلاوة كتاب الله ، وكان يختمه فى شهر رمضان من كل عام .

وعمل بمدرسة النجاح الوطنية بنابلس فى الفترة ما بين عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٢ ، وانتقل للتدريس بالجامعة الأمريكية فى بيروت ، ثم بالمدرسة الرشيدية بالقدس .

وكان خلال تدريسه يبث الروح الوطنية النضالية فى نفوس تلاميذه ، ومنهم الشاعر الجهير (عبد الرحيم محمود) ، الذى خر شهيدا على أرض المعركة فى عام النكبة – سنة ١٩٤٨ – بقرية (الشجرة) ، قريبا من مدينة (الناصرة) .

وعند انشاء دار الاذاعة بالقدس التحق ابراهيم بها سنة ١٩٣٦ لتوجيه الرأى العام توجيها أدبيا وقوميا ، ولكن الصهيونية والاستعمار كانا له بالمرصاد ،فأقصته حكومة الانتداب عن العمل بالاذاعة ، بعد أربع سنوات من العمل بها .. وتصف شقيقته الشاعرة الكبيرة (فدوى طوقان) ملابسات ما حدث ، بقولها : « فى الربيع الأخير من عام ١٩٤٠ ، وفى أكتوبر بالذات ، أقيل ابراهيم من عمله فى الاذاعة ، لأنه كان فى نظر تلك الجهات محرضا ، يتخذ من مركزه الكبير فى الاذاعة أداة للعمل ضد المصلحة الصهيونية .. كم وكم ثارت الصحافة العبرية ضده ، وكم وجهت اليه اصبع الاتهام بسبب الأحاديث التى كان يكتبها ويذيعها » (١) .

وأثرت اقالته فى نفسه تأثيرا عميقا ، فاتجه الى العراق لا متهان التدريس فى دار المعلمين الريفية فى « الرستمية » ، لمدة شهرين ، الى أن لاحقه المرض مرة أخرى ، فعاد الى نابلس، حيث قضى نحبه فيها فى الثانى من مايو سنة ١٩٤١ عن عمر يناهز ستة وثلاثين عاما .

فى اطار عصره :

يتبين لنا مما ذكرناه بايجاز عن سيرة

---

١ – مجلة الدوحة عدد أبريل سنة ١٩٨٤ ص ١٢٠ .

حياته ، أنه درج فى خضم الفترة التى شهدت ابتلاء فلسطين بالورم السرطانى الصهيونى ، الاستيطانى ، الذى أخذ يستشرى حثيثا فى كيانها ، مستهدفا التهام الأرض الفلسطينية ، وطرد شعبها منها ، بمساندة الاستعمار الانجليزى ، حين أصدر (بلفور) وعده المشئوم بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، على حساب شعبها ، ليصبح بمثابة دولة داخل الدولة ، فى أول الأمر ، وليسيطر عليها كلها بعد ذلك ، بأسلوب (المرابى) الذى •

يعيش بالسُّحت لا يرثى لذى وصب
ولا يبالى بغير الغُنْم من أرب

يعطيك قرشا ، ويبغى ضعفه بدلا
كأنه عائش للسلب والحَرَب

كحالب الشاة ، يمرى ضرعها نهما
وطفلها قُربها •• يثغو من السغب

وكانت ثالثة الأثافى ، حينما أقرت (عصبة **الأمم) فى الرابع والعشرين من يوليو سنة ١٩٢٢ صك الانتداب البريطانى على فلسطين ، على أساس وعد بلفور ، وبذلك تمت الرواية فصولا ، بتحالف الاستعمار مع الصهيونية ، على تصفية عروبة فلسطين ، مما حدا ببعض المنصفين من المفكرين الاوربيين الى شجب ما حدث ، ومنهم الكاتب الفرنسى (أوجين يونج) الذى يقول فى كتابه : (الاسلام وآسيا ــ أمام المطامع الأوربية) ــ وهو تتمه لكتاب : استعباد الاسلام : « لاتفتأ هذه البلاد التعيسة ، (يعنى فلسطين) ، ترفع كل سنة ظلامتها الى لجنة الانتدابات فى جنيف ، ساخطة على الانتداب البريطانى ، فانه تحول فى الحقيقة الى ادارة استعمارية بحتة » •**

« وطلبت أن توضع موضع التنفيذ المادة الثالثة من صك الانتداب ، ونصها : « تعاهد الدولة المنتدبة ــ ما ساعدتها الاحوال ــ على تنشيط الاستقلال الذاتى المحلى » •• وشددت فى طلب انشاء حكومة مستقلة وطنية »(١) •• ولكن •• دون جدوى •

وكان الصهيونى الانجليزى (هربرت صموئيل) هو أول مندوب سامى لبريطانيا فى فلسطين ، فعمل منذ اليوم الأول على نقل ملكية الأرض لليهود ، متخذا شتى الأساليب الملتوية، كاستيلاء حكومة الانتداب على أراضى العرب، وتمكين اليهود منها لاستغلالها ، ورفع قيمة الضريبة على الفلاحين العرب ، واصدار الأمر بسرعة تحصيلها منهم ، الأمر الذى اضطر

الكثيرين منهم ، من ذوى الفاقة ، الى التصرف فيها ، ببيعها لليهود . والأدهى من ذلك ،

قيامه بفتح باب الهجرة أمام اليهود الوافدين من شتى أنحاء العالم على مصراعيه ، فى موجات

كثيفة متتابعة ، ليحطوا حط الجراد المنتشر على أرض فلسطين ، لاستنزافها .. متوسلين فى

ذلك بالخديعة ، التى تبدو فى قول شاعرهم (مراد فرج) ، اذ يقول فى احدى قصائد

ديوانه (القدسيات) (١) ، التى لا تحمل عنوانا :

ان اليهود والعربْ
قرابة ثم نسب
أبناء عم .. جدهم
هو الخليل المنتسب

الى أن قيول :

فحققوا آمالنا
وأكْرمونا يا عرب
انا خطبنا ودكم
فلا تردُّوا من خطب ..

ثم يضع « السم فى الدسم » ، فيقول مخاتلا فى القصيدة الحادية عشرة :

وأرض الله واسعة فليست
(بنوموس) تقلها اتساعا !

وعمد المندوب السامى المذكور الى جعل اللغة العبرية لغة رسمية ، بجانب اللغتين : العربية والانجليزية ، وعين الكثير من اليهود فى حكومة الانتداب ، رؤساء للادارات المختلفة بها .

وحينما طفح الكيل وثار العرب على هذا الجور عام ١٩٢٩ ، وكبدوا الانجليز والصهيونيين خسائر فادحة ، عمدت بريطانيا الى امتصاص غضبهم ، فأصدرت (الكتاب الأبيض) ، الذى نص فى مجمله على تقييد هجرة اليهود وتملكهم للأراضى ، معترفا بأنه :

« لم يبق فى الوقت الحاضر شىء من الأراضى صالحا للزراعة أو لاستعمارمهاجرين آخرين ، عدا تلك التى أصلحت ، فمن الخطأ أن يظن أحد أن حكومة فلسطين (أى حكومة الانتداب) تملك مساحات واسعة من الأراضى الصالحة للاستعمار اليهودى » .

واذا كان العرب قد قابلوا صدور هذا الكتاب بعين الارتياب ، فان الصهيونية على الجانب الآخر ، سرعان ما ثارت عليه ، وأبطلت مفعوله ولم ينفذ منه حرف واحد .

شعره

وعلى ذلك فقد انصهر ابراهيم طوقان فى بوتقة المحنة التى كان وطنه يجتازها ، فصدر

---

١ – طبع فى اكتوبر سنة ١٩٢٣ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾
وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾
أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا
لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ
عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾
فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾
يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

عنها فى معظم نتاجه الشعرى ، وأصبح ترجمانا صادقا فى التعبير عن مشاعر السخط والثورة

التى تجتاح النفوس ٠٠ وعلى الرغم من أنه لم يعش ليشهد ختام المأساة الداوية عام ١٩٤٨

الا أنه كان على وعى واحساس شديدين ، بما انتهى اليه الأمر ٠٠ ونستشف ذلك بجلاء

ووضوح ، من قوله متوجها بالحديث الى حكومة الانتداب البريطانى بسخرية مريرة :

قد شهدنا لعهدكم بالعداله
وختمنا لجُنْدكم ٠٠ بالبساله

وعرفنا بكم صديقا وفيا
كيف ننسى انتدابه ٠٠ واحتلاله؟!
وخجلنا من (لطفكم)حين قلتم
وعد (بلفور) نافذٌ ٠٠ لا محاله
كل (أفضالكم) على الرأس والعيـ
ـن ٠٠ وليست فى حاجة للدلاله

وقد نبه شاعرنا الى ما يسببه النزاع والاختلاف بين زعماء وطنه ، فى هذا المنعطف التاريخى الخطير ، فقال يخاطبهم ناقما ، وملتاعا ساخرا ، بقوله :

أنتمو المخلصون للوطنية
أنتمو الحاملون عبء القضيه

أنتم العاملون من غير قول
بارك الله فى الزنود القويه
وبيان منكمو يعادل جيشا
بمعدات زحفه الحربيه

و (اجتماع) منكمو يردُّ علينا
غابر المجد ٠٠ من فتوح أُمَيَّه
ما جحدنا أفضالكم ، غير أنا
لم تزل فى نفوسنا أُمنيَّه :
فى يديكم بقية من بلاد
فاستريحوا ٠٠ كى لا تطير البقيه !

ويحدد برؤية واضحة ما توقعه — وأثبتته الأيام — حين قال مخاطبا ومحذرا (أخاه) العربى :

أمامك أيها العربى يوم
تشيب لهوله سود النواصى
فلا رحب القصور غدا بباق
لساكنها ، ولا ضيق الخصاص
لنا خصمان : ذو حول وطول
وآخر ، ذو احتيال واقتناص
تواصوا بينهم ، فأتى وبالا
واذلالا لنا ٠٠ هذا التواصى
مناهج للابادة ٠٠ واضحات
وبالحُسنىَ تُنفَّذ ٠٠ والرصاص !

وحينما جد الجد ، واندلعت نيران الثورة المسلحة ، نراه فى مواقف البذل والفداء ، ينتفض ثائرا ، ويسموا فكرا ويعلوا أفقا وتعبيرا ليتسنم ذروة الخلود ، فيقول بقصيدته الشامخة : (الفدائى) :

لا تسَلْ عن سلامته
روحه فوق راحته

بدّلتْه هموم
كفنًا من وسادته
يرقب الساعة التى
بعدها هول ساعته

***

هو بالباب واقفُ
والردى منه خائف
فاهدئى يا عواصف
خجلا من جراءته
.. صامتٌ لو تكلما
لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمْته
خُلق الحزمُ أبْكما

الى أن يقول بلوعة مذيبة :

لا تلوموه ، قد رأى
منهج الحق مُظلما
وبلادا .. أحبّها
ركنُها قد تهدّما

ثم يطالعنا بدرة شعر كله ، التى يصف فيها (الشهيد) الذى بذل روحه بذل السماح من أجل وطنه ، فيقول :

عَبَسَ الخطب .. فابْتسمْ
وطغى الهول .. فاقتحم
رابط الجأش والنُهَى
ثابت القلب والقدم

لم يثنه الأذى .. ولم
يُثْنِهِ طارئُ الألم
نفسه طوع همَّةٍ
وَجَمَتْ دونها الهمم

الى أن يقول :

ربما غاله الردى
وهو بالسجن مرتهن
لم يُشَيَّع بدمعه
مِن حبيب .. ولا سكن
ربما أُدرج الترا
بَ سليما .. من الكفن
لا تقل أين جسمه
واسمه فى فم الزمن
أنه كوكب الهدى
لاح فى غيهب المحن

وهنا يخجل التحليل والتشريح ، انها أنفاس شاعر ملهم ، بثها فى تضاعيف شعره ، ولم يستطع الا أن يفعل ذلك ، لفرط ما حمل بين جوانحه من اللواعج والمعاناة وصدوره عن التجربة الشعورية العميقة .

وبكلمة واحدة : لقد أضاء ابراهيم طوقان الدرب أمام المناضلين وَعَبَّدَه ، ليس فى الوطن العربى وحده فَحَسْب ، بل وفى كل بقعة من العالم ، ما برحت ترزح تحت الاستعمار والاستبداد .

يرحمه الله ..

أحمد مصطفى حافظ

من التراث

من نوادر مخطوطات مكتبة الازهر

مجلة الازهر من خمسين عاما

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب إرشاد الرحمن

لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن - للأجهوري

من العلماء الأجلاء الذين جاءت عقولهم بفيض عارم وبحر زاخر من العلوم والفنون الذين وقفوا أنفسهم لخدمة العلم واستقراء ما فيه من كنوز وذخائر الامام الهمام العالم البحر الفاضل النحرير الفهامه » (٢) عطية الله ابن عطية البرهانى الشافعى فقيه فاضل ،ضرير من أهل أجهور (بقرب القليوبية بمصر) تعلم وتوفى بالقاهرة . من كتبه « ارشاد الرحمن لاسباب النزول والنسخ والمتشابه من القرآن» و « كتاب الكوكبين النيرين فى حل ألفاظ الجلالين » و « حاشية على تفسير الجلالين » و « شرح مختصر السنوسى » فى المنطق و « حاشية على شرح البيقونية » فى مصطلح الحديث وغير ذلك . وكانت وفاته سنة ١١٩٠ هـ (سنة ١٧٧٦ م) .

قال عنه صاحب سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر الجزء الثالث صفحة ٢٦٥ انه أخذ عن الشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملوى ، وعن الشمس محمد العشماوى ، والسيد على العزيز وعن غيرهم وتصدر فى جامع الازهر الاقراء الدروس ، وورد عليه الطالبون وألف مؤلفات نافعة — منها حاشية على شرح منظومه فى أصول الحديث ، وكان علم الفضل المشهور نتيجة الإيام والدهور من لم تسمع الآذان ولم تر العيون بمثل تحقيقاته التى تستوضح الشمس للخاص والعام .

وكان يأتى كل يوم الى الجامع الازهر صبيحة النهار ويحضر دروس الشمس ثم بعد الدروس يذهب الى الرواق .... رواق (الريافة) بالأزهر .

والكتاب الذى نلقى بعض الضوء على تعريفه لقراء مجلة الأزهر هو « كتاب ارشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن » افتتحه بالحمد لله حمدا يوافى نعمه ،

(١) الكتاب بمكتبة الازهر برقم خاص ١٥٢ عام ١١٤٧ علوم قرآن .

(٢) الاعلام للزركلى جـ ٥ ص ٣٢ .

للأستاذ محمد عميرة علي

ويكافىء مزيده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ذى المآثر الحميدة وقال : وان أولى مايجب الوقوف عليه وأوجب ماتصرف العناية اليه • علوم القرآن ولاسيما علم أسباب النزول ، وعلم الناسخ والمنسوخ مما هـو منقول ، وان أشهر كتاب فى أسباب النزول « كتاب الامام أبى الحسن على بن محمد بن عبد الله الواحدى النيسابورى رحمه الله » وقد اختصره الامام الجعبرى رحمه الله وزاد عليه علم الناسخ والمنسوخ ، ثم جاء بعدهما الامام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابن الامام أبى بكر السيوطى رحمهما الله • فألف فى أسباب النزول كتابه الذى سماه كتاب « النقول » فى أسباب النزول وذكر فيه أنه يتميز عن كتاب الواحدى بستة امور •

أولها : الاختصار •

ثانيها : الجمع الكثير فانه حوى زيادات كثيرة على ما ذكره الواحدى •

ثالثها : عزو كل حديث الى من خرجه من أصحاب الكتب المعتبرة كالكتب الستة وغيرهما مما ذكره •

قال : وأما الواحدى فتارة يورد الحديث باسناده وفيه مع التطويل عدم العلم بمخرج الحديث ، وتارة يورده مقطوعا فلا يدرى هل له اسناد أم لا •

رابعها : تمييز الصحيح من غيره والمقبول من المردود •

خامسها : الجمع بين الروايات المتعارضة •

سادسها : تنحية ما ليس من أسباب النزول ، وقد سألنى من تجب على اجابته ولا تسعنى مخالفته حفظه الله ووفاه ، وزاد فى مجده وعلاه ، ان أجمع فى كتاب مقاصد ماذكره الأئمة الثلاثة مراعيا فى ذلك الاختصار ، بحذف الاسانيد وترك التكرار ، مع ما ذكره الامام (أبو القاسم محمد الكرمانى رحمه الله) من علم متشابه القرآن ، فى كتابه المسمى « بالبرهان ومع ما زاده عليه الامام شيخ الاسلام (زكريا الانصارى) فى كتابه المسمى « بفتح الرحمن » ومع ذكر فضل سور وآيات لها شأن • فلما رأيت هذا الأمر مقصدا عليا من مقاصد الدين ، ومطلبا سنيا من مطالب المتفهمين والمخلصين اهتممت بمطلوبه وأجبته لمرغوبه وان كنت لست أهلا لذلك سلك الله بنا وبه أحسن المسالك • وسميته « ارشاد الرحمن لاسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن » •

وتكلم رحمه الله على اسباب نزول كل سورة بمفردها ، وبعد الفراغ منها تكلم على الآيات المنسوخة منها ، ثم تكلم على المتشابه فيها ثم اختتم بما تيسر من فضلها من كتاب « التذكار » للامام أبى عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبى رحمه الله ، ثم ترجم كل نوع من ذلك بفصل بعد ترجمة كل سورة —

الفصل الأول : فى أسباب نزولها •

الفصل الثانى : فى المنسوخ منها •

الفصل الثالث : فى المتشابه منها .

ثم خاتمة فى فضلها . وقال ونذكر قبل ذلك مقدمة تشتمل على فوائد مناسبة للمقصود جعله الله خالصا لوجهه الكريم وفتح على من تلقاه بقلب سليم وقال ما ستذكره فى الاخراج عن غير الواحدى ، فان من « اللباب » وما فى يده ننسبه لقائله لدفع الارتياب . وان قولهم نزلت الآية فى كذا يراد به تارة أنه سبب النزول وتارة انذلك داخل فى معنى الآية ، وان لم يكن السبب ، ويشترط فى السبب ان نزلت الاية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الامام الواحدى فى سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به فان ذلك ليس من أسباب النزول فى شيء ، بل هو من باب الاخبار عن الوقائع الماضيه لذكر قصة نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك ، ذكر ذلك فى « لباب النقول » .

وقال فى المقدمة أول ما نزل وآخر ما نزل ، وتقسيم السور باعتبار الناسخ والمنسوخ أربعة أقسام ، وترتيب السور المكية والمدنية بحسب النزول أما أول ما نزل فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه ، وهو التعبد الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فاجأه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ فقال ما أنا بقارىء قال : فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد فأرسلنى فقال : اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد فقال : « **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** » .. الخ .

وقال ان آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ « **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ** » وعاش النبى ﷺ بعدها تسع ليال ، وذكر السيوطى رحمه الله فى كتابه الذى سماه بالتحبير فى علم التفسير عن ابن عباس بينها وبين موت النبى ﷺ أحد وثمانون يوما .. الى آخر ما ذكر من الروايات .

وأما النسخ فهو قسمان : نسخ الشرائع وموضعه أصول الدين ، ويعرف بأنه ابتداء شريعة دل على انتهاء السابق ، ونسخ الاحكام وموضعه اصول الفقه ويعرف بأنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع التراخى .

وأركان النسخ خمسة ، ناسخ ، ومنسوخ . ومنسوخ به ، ومنسوخ عنه ، ونسخ ـ فالناسخ هو الله ، والمنسوخ حكمه المنتهى ، والمنسوخ به خطابه الدال عليه وتسميته ناسخا مجازا ، والمنسوخ عنه المكلف ، والنسخ انزال الخطاب. ثم استطرد فشرح شروطهم .

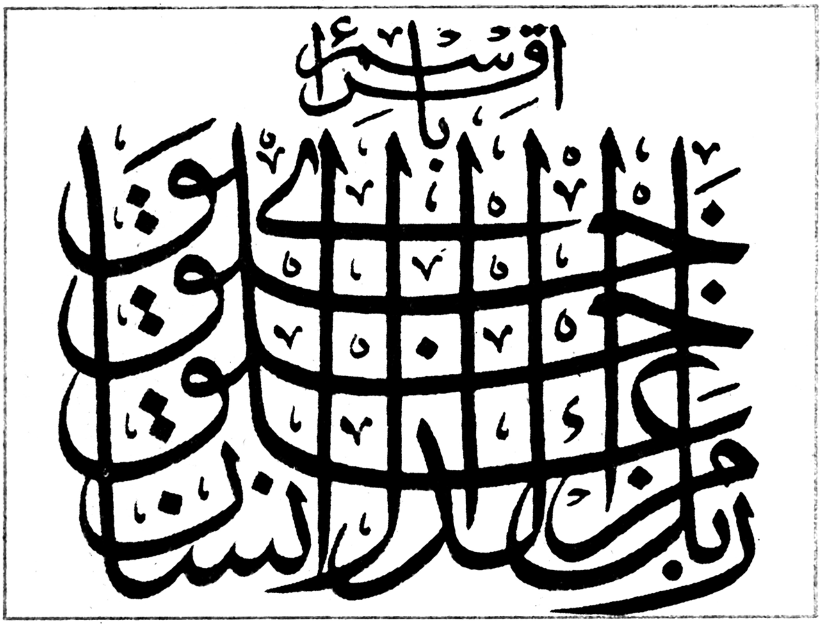
قال وأما السور باعتبار الناسخ والمنسوخ فهى أربعة أقسام : قسم ليس فيه منسوخ ولا ناسخ ثلاثة وأربعون نذكر منها الفاتحة ـ ويوسف ـ ويس ـ والحجرات ـ والرحمن ـ والحديد ـ الخ ، وقسم فيه منسوخ وناسخ

خمسة وعشرون منها : البقرة ـ وآل عمران ـ والنساء ـ والمائدة .. الخ. وقسم فيه منسوخ فقط أربعون منها : الانعام ـ والاعراف ـ ويونس ـ وهود ـ والرعد ـ والنحل ـ والاسراء .. الخ . وقسم فيه ناسخ فقط ستة : الفتح ـ والحشر ـ والمنافقون ـ والتغابن ـ والطلاق ـ والاعلى .

وأما ترتيب السور بحسب النزول وهو العمدة فى معرفة التقدم والتأخير وان لم يكن على ترتيب المصحف ، فقال جابر بن يزيد المكيات ست وثمانون والمدنيات ثمان وعشرون. وتحدث رحمه الله فى كل سورة عن المتشابه فيها وفى فضلها ، وقال فى فضل سورة الفاتحة اعلم ان الصحيح تفضيل بعض القرآن عن بعض كما نقله القرطبي عن كثيرين لظواهر الأحاديث الواردة فى ذلك كقوله ﷺ «يس قلب القرآن ، وفاتحة الكتاب أفضل سور القرآن وآية الكرسى سيدة آى القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن . وأن التفضيل راجع لذات اللفظ ، فان ما تضمنه قوله تعالى « والهكم اله واحد » وآية الكرسى ، وآخر سورة الحشر وسورة الاخلاص فى الدلالات على وحدانية الله تعالى وصفاته ليس موجودا مثلا فى « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ » وروى البخارى من حديث أبى سعيد بن المعلا أعظم سورة فى القرآن « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » قال بعضهم انما كانت أم القرآن أعظم السور لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن ، ولذلك سميت أم القرآن وقرر جماعة من العلماء ما تضمنته فاتحة الكتاب من العلوم ، وأنها مشتمله على علوم القرآن بعبارات مختلفة ذكرها السيوطى فى الاتقان

وقررها الامام محمد بن جزى الكلبى فى مقدمة تفسيره فقال : سورة الفاتحة جمعت معانى القرآن كله فكأنها نسخة مختصرة ، وكأن القرآن كله بعدها تفصيل لها ، وذلك لانها جمعت الالهيات فى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، والدار الآخرة فى مالك يوم الدين . والعبادات كلها من الاعتقاد والاحكام التى تقتضيها الأوامر والنواهى فى اياك نعبد ، والشريعة كلها فى الصراط المستقيم ، والانبياء وغيرهم فى قوله الذين أنعمت عليهم ، وذكر طوائف الكفار فى غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

ونهج الشيخ الأجهورى رحمه الله طريقة فى جميع سور القرآن على هذا المنوال الى أن ختم فى بيان التجويد وموضوعه وفائدته وغايته ، وقال : التجويد معناه فى اللغة التحسين يقال : هذا شىء جيد أى حسن واصطلاحا تلاوة القرآن باعطاء كل حرف حقه ومستحقه على حسب ما أنزل الله على نبيه ، وموضوعه الكلمات القرآنية . وفائدته الفوز بسعادة الدارين ، وغايته صون اللسان عن الخطأ فيما نزل من القرآن . وهو واجب بالكتاب والسنة ، قال ابن الجزرى التجويد فرض على كل مكلف . وقال رحمه الله انما قلت التجويد فرض لأنه متفق عليه بين الأئمة . بخلاف الواجب ، فانه مختلف فيه . اما وجوبه بالكتاب فقوله « وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » قال المفسرون أى ايت به على تؤده وطمأنينة وتأمل ، ورياضة اللسان على القراءة بترقيق المرقق وتفخيم



المفخم وقصر المقصور ومد الممدود ، واظهار المظهر ، وادغـــام المـــدغم ، وامـــا وجـــوبه بالســـــنة فقـــوله ﷺ (اقرأوا القرآن بلحون العرب واياكم ولحـون أهل الفسق والكبائر فانه سيجيء أقوام مـن بعدى يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلب من يعجبهم شأنهم) رواه مالك فى كتابه الموطأ والنسائى فى سننه .

وبآخر النسخة تعليق يقول : هذا ما تيسر جمعه للعلامة الحبر الهمام الشيخ عطيـــه الأجهورى وهذه النسخة نقلت من النســـخة التى أملاها الشيخ بفمه وقرأتها عليه رحمـــه الله تعالى على مر الزمان .

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة يـــوم السبت رابع عشر ذى القعدة الحرام من شهور سنة ١١٨١ من الهجرة .

ويوجد بمكتبة الازهر عدة نسخ من هـــذا الكتاب أقدمها التى عرفناها ، وتحتاج مـــن العلماء والباحثين المهتمين بدراسة هذا الفــن مراجعتها ومقابلتها وتمحيصها واســـتقرائها واستخراج ما فيها من كنوز علمية رائعة وصلت الى مراقى الكمال من علماء أفنوا حياتهم فى خدمه العلم ونشر الحضارة الاسلامية العريقة .

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد بخط اسماعيل البلبيسى سنة ١١٨١ هـ مجدولة بالمداد الأحمر **والازرق وبصفحتها الاولى زخرفة ذهبية فى ٣٠٨ ورقات ومسطرتها ٢١ سطرا .**

هذا وبالله التوفيق ..

محمد عميرة على

مدير دار الكتب الازهرية

مجلة الأزهر من خمسين عامًا

متى يستيقظ المسلمون لدينهم؟

للأستاذ طه حبيب

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

ونحن فى بداية عام جديد للهجرة المحمدية ينبغى علينا أن نقف وقفة مع النفس لنرى ما فعلته لدينها فى عامها الماضى هل أضاءت شمعة من تعاليم الاسلام الحنيف فهدت بها الضال وردت الشارد ؟

هل نادت بمبدأ من مبادىء الشريعة الاسلامية ـ وما أكثرها ـ والتى نسيناها فى سبيل سراب خادع من زخرف الحياة ومباهجها ؟

هل فعلت شيئا من احسان فأحيت بذلك سنة نادى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ..؟
لقد جاءت الديانات السماوية لاسعاد البشرية ، ونظرة واحدة الى الشريعة الاسلامية وما اشتملت عليه من مثل عالية ونظم سامية تدلك على سعة مداها وعطائها فى سخاء .

ثم أين مسلمو اليوم ...؟
هل وجدوا سلاما وأمنا فى بديل عن تلك الشريعة ..؟
واذا لم يجدوا ، فماذا هم قائلون لله الذى اختار لهم أكرم دين وأيسر شريعة ، وأرادهم خير أمة ؟ انا لله وانا اليه راجعون ...

يقول الأستاذ طه حبيب :(١)

متى يستيقظ المسلمون لدينهم

لقد استحوذ الجمود على المسلمين ، واستكانوا للراحة ، وشملهم الكسل ، حتى تقدمت الأمم وتأخروا ، واستيقظ الناس وناموا . تركوا كل طريق نافع من طرق العلم والعمل ، بينا أصغر الأمم قد نهضت تبحث فى

(١) لضيق المقام اقتصرنا بعض الفقرات دون المساس بنص الكاتب المنشور هنا

شئونها ومايرقيها علميا وعمليا ، حتى تتخذ لها مكانا بين الأمم الحية .

غير أن أحدا لم يكن يظن أن تصل الحال بالمسلمين الى الغفلة عن دينهم ، وهو الداعى الى الحق ، والموصل للسعادة . ولكن للأسف الشديد غفل المسلم عن دينه ، وعن الاسترشاد بتعاليمه ، وهذا هو علة تأخره وتقدم غيره .

ترك المسلم الأخذ بآداب الاسلام ، حتى أصبح بعيدا عنها ، وأجنبيا منها . نسى المسلم قواعد دينه واستهان بها ، ولو أنه تمسك بما دعا اليه الدين من خلق حسن ، وتباعد عما نهى عنه من خلق قبيح ، لما كانت تلك حاله ، ولما تقدم الناس وتأخر !

سها المسلم عن تعاليم دينه فجهلها ، وظن لجهله أن الخير كل الخير فى تقليد الأجنبى فقلده ، وليته قلده فى أخلاقه الحسنة ، وفى تمسكه بعاداته وقوميته ، ومحافظته على دينه وآدابه ، ولكنه قلده فى الضار دون النافع ، وفى القبيح دون الحسن .

بهرته بهارج المدنية واستولت على نفسه ، حتى ظن أن المدنية فى عدم التدين ، ولوتدبر ، لعلم أن المدنية لا تسمو الا بالدين ، وأن الفخر والجاه والمروءة ، اذا لم تعتصم بالدين فهى هباء ، غالى بعضهم فى ذلك حتى ساءت حاله ، وكان من أثر ذلك أن وهت قوة الدين فى نفوس البعض من الناس ، حتى وصل الأمر الى أسوأ الأحوال ، وأصبحوا ــ الا الخاصة منهم ــ فى غيابة من الجهل بدينهم ، ساهين لاهين عن تعلمه ، وعن الأخذ بأوامره ، حتى ضرب الجهل بجرانه فيهم ، وأخذهم من كل مكان ، فالأغنياء منهم يقذفون بأولادهم فى بعض مدارس التبشير ، ويتذرعون فى ذلك بأن معاهد التربية فى القطر تعلم البيئة التى لا تتناسب وأوساطهم ، والمتوسطون من الناس يقلدونهم فى ذلك ، والجميع غافلون عما نجم من هذا الشقاء المستور بثوب السعادة ظاهرا ، وما هو الا تعاسة وبؤس ، وغم وهم ، وبلاء وشقاء ، فان الناشئة هم رجال ونساء المستقبل ، فاذا نبتوا على الجهل بالدين وعدم المعرفة به ضاعت أخلاقهم ، ولا أمة دون خلق (وانما الأمم الأخلاق) .

غفلوا عن هذا وجهلوا أو تجاهلوا ما ينشأ عليه الطالب فى هذه المدارس ، وما يتلقاه فيها من بعض التعاليم التى تنافى دينه وتبعده عنه حتى ساءت العقبى ، وأصبح حديث الدين بين بعض أبناء الأمة وبناتها ، حديثا ثقيلا على الأسماع ، يعرضون عنه ولا يستمعون اليه .

والويل لمن دعا الى أمر دينى ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر . الويل له ، لأنه فى نظرهم الفاسد الجامد البعيد عن (اللياقة) وعن الذوق ، جامد يتكلم بالشىء العتيق ، ويدعو الى الشىء البالى القديم ! .

ينشأ الطالب فى بعض هذه المعاهد ، على جهل بدينه ، لأنه لا يتلقى تعاليمه ، ولا يستمع لنصائحه وارشاداته

ولوفَقُهَ هؤلاء الذين يرسلون أولادهم لما ينشأ عن صنيعهم من المفاسد ، لما أباحوا لأنفسهم ارسال أولادهم الى هذه المعاهد بحال . ولكن ما الحيلة والكثير من بعض الطبقات أصبح بعيدا عن العلم بالدين ، جاهلا

بتعاليه ، ومن جهل شيئا عاداه ؟! ولو أن هؤلاء الذين يرسلون أولادهم التفتوا لما عليه حال غير المسلمين من تمسك بالدين ، وقارنوا بين حال الكنائس وحال المساجد ، لقضت عليهم مروءتهم ونخوتهم بالابتعاد عن هذا الصنيع السيء .

لو تأمل المسلم فى شأن غيره ، فهو لا شك عالم بعد قليل من النظر أن تسليم أبنائه لهذه المعاهد لا نتيجة له الا أن يكونوا غير متدينين بالدين الاسلامى . ولو نظر فى الناشئة لعلم أن روح الدين قد فقدت منها ، فلا عبادة لله ، ولا حياء من الناس .

انظر الى شبابنا فى الطرقات ، فى المشارب ، فى الملاهى ، فى المقاهى ، تجدهم مكدسين يتزاحمون بالمناكب . وانظر الى محلات العبادة ، وهى المساجد ، فانك لا تكاد تظفر الا بالطفيف من هذه الجموع الحاشدة ، وما سبب ذلك الا الاستهانة بالدين ، لأنهم لم يتعلموه ، فلم يتمكن فى نفوسهم . انظر الى الشابات فى أكثر المحلات العمومية ، تجد البهرجة والزينة التى لا يحلها دين ، ولا تسمح بها مروءة ، وكل هذا من فقد العامل الدينى فى النفوس !

ان هذا الفساد العام لا سبب له الا جهل غالب الاباء والأمهات بالدين ، فالمنزل — وهو المدرسة الأولى — خلو من الارشادات الدينية ومن تاريخ النبوة ، وما قام به السلف الصالح من فضائل الأعمال . فالطالب يعلم من تاريخ « نابليون » الكثير ولا يعلم من تاريخ الرسول الا القليل . والطالب يعلم من تاريخ « لوثر » وغيره من رجال أوربا الشىء الكثير ، ويجهل الجهل كله فضلاء الرجال من المسلمين . فعمر وفتوحاته ، وعلى وقفازه(1) ، وعمرو بن العاص وما كان عليه من سياسة ، والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبى وقاص وغيرهم من كبار الرجال مجهولون لدى أبنائنا ، ولدى الكثير من آبائهم ....

لو عنى المسلمون بواجب الأمر بالمعروف وقاموا بالدعوة الى الرشد والنهى عن الغى مثل ما قام سلفهم الصالح ، لكانت الحال غير الحال . ولكن وا أسفاه علينا فان كثيرا من الناس قد بعد عن تعلم الدين كما قلنا . وارتكسوا فى الجهل به ارتكاسا هو أشبه بالجاهلية الأولى .

فواجبنا الآن هو الدعوة الى الاسترشاد بالدين حتى يفىء الناس الى الشرع ، ويثوبوا الى أحكامه . وحسبنا التمادى فى الترك ، فقد بانت المغبة ، وظهر ظهور الشمس أن ترك فضيلة الأمر بالمعروف أوجب ما نحن فيه الآن وما نشكوا منه .

وحبذا لو أن الحكومة السنية ضاعفت عدد الوعاظ حتى يكثر عددهم فى المدن والقرى ! فنحن الآن أحوج ما نكون الى هذا ، لأن العدو ليس على الباب فحسب بل فى وسط الصفوف ، فان لم يتدارك المسلمون الأمر كان الخطب مدلهما . فلنكثر من الوعاظ الدينيين . وليرشد كل منهم ما أمكنه الى العمل بالحق ، وقول الصدق ، وتبيان أصول الدين ومحاسنه ، ومزاياه وفضائله .

(١) لعلها : وفقاره .... مجلة الازهر

ولنعمد جميعا الى الدعوة الى الدين كما كان يدعو السلف الصالح • ندعو الى ما كان عليه الرسول الأعظم ﷺ من حسن الشيم وعظيم المكارم ، ونبين أن من أعماله أنه قام بالدعوة وحده ، حتى ملأ الكون نورا ، وعمت هدايته الخلق فى المشارق والمغارب • نعلمهم أن ذلك المبعوث الأعظم لم يترك فضيلة الا دعا اليها ، ولا رذيلة الا نهى عنها ، وأن من اتبع دينه وأخذ بما دعا اليه كان له الفوز الأعظم ، ومن نأى وأعرض باء بالخسران المبين • نعلمهم ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من صدق فى العزيمة واخلاص فى العمل • نعلمهم أن الصحابة رضوان الله عليهم قد نالوا فى سبيل المحافظة على الدين ما لا قبل لهم به ، وأن الرجل منهم كان يضرب ويعذب ويلقى فى الرمضاء وقت الظهيرة ليقول كلمة الكفر فلم يقلها ، وأن البعض مات من شدة العذاب ولم يظفر منه أعداء الدين بمنال ، وأن البعض ترك وطنه الى وطن آخر فى سبيل تلك المحافظة على الدين •

نعلمهم أن عزة الدين كعزة النفس بل أقوى ، فكما يجب على الشخص المحافظة على النفس ، كذلك يجب عليه المحافظة على الدين والذب عنه • نعلمهم أن المال عرض زائل ، وأن الدين هو الباقى ، وأن المرء بدينه ومروءته لا بماله ونشبه ، وأن من فقد دينه فقد ثروته ونفسه ، وكان شخصا عاطلا من كل فضيلة ، لا ينفع أحدا ولا ينتفع به أحد • نعلمهم أن الدين أساس الفضائل ، وأن الدين وحده كان السبب فى العظمة والمجد لأسلافنا ، وأن أبا بكر رضى الله عنه أنفق ماله فى نصرة الدين ، وعثمان ابن عفان لم يأل جهدا فى نيل الفضيلة بصرف ماله فى سبيل الدين ، وأن السيدة خديجة رضى الله عنها صرفت كثيرا من مالها فى سبيل الدين وحفظ أصحابه ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم لم ينالوا ما نالوه من سؤدد ورفعة يتحدث بها الناس جميعا الا بالدين ، وتمسكهم بارشاده وتعليمه ، فقد فتحوا الفتوح وعمروا الممالك بفضل تمسكهم بدينهم الذى هو عماد كل خير ، وأن الدين ليس سلعة تباع وتشترى ، وانما الدين يقين بالله واذعان له ، وهو أساس الفضيلة •

نرشدهم الى أن النبى ﷺ كان أعظم الناس جاها ، وكان أعظم الناس منزلة وكان أعظم الناس خلقا ، ولم يكن يعنى بالمال ، ولا كان فى نشأته كثير المال ولم يحتفظ بعد بعثته ﷺ بمال ، ولم يجد المال سبيلا الى نفسه الشريفة • وكذلك كان أصحابه لا يعنون الا بالفضائل ، ولم تجد المادة اليهم سبيلا ، وقد عظم شأنهم ، وحسن حالهم ، وقد أتاهم المال بكثرة بفضل الدين والعلم ، والخلق والعمل الصالح • فما كان المال وحده بالذى يكسب مجدا ويكفى لربح فضيلة • وان من العار الذى لا يماثله عار أن يفكر المسلم فى المال قبل الدين ، أو يفرط فى بعض فرائض الدين للمال ، ومن الخسران الذى لا يشبهه خسران أن يترك المرء دينه للمال لأن ذلك وأد للفضيلة •

فمن هذا الذى سفه نفسه ورضى بخسران الدنيا والآخرة من أجل المال ؟

نعلم المسلمين آباء وأبناء ماحاز المسلمون الأولون من الفضائل ، وما ورثوا من مجد بفضل الدين • نعلمهم أن العزة لله ولدين الله ، لا للمال ولا للنوال ، وأن الانسان الفاضل بدينه وخلقه يواتيه الله بالمال من حيث يدرى ولا يدرى ، بل ان الانسان بدينه وخلقه يميزه الله على غيره ، ويجعل له السلطان عليهم • وهاهم أولاء صحابة رسول الله لم يكونوا من أصحاب الأموال ، وقد أفاء الله عليهم المال ، وأغدق عليهم الرزق والعطاء ، وملكهم الأراضى والدور ، وجعلهم الحكام على الناس ، فكان منهم مع فقرهم فى المال أمراء الجند وقواد الجيوش ، وكان منهم مع هذا الأمراء والوزراء ، ومنهم القضاة والرؤساء ومنهم ومنهم ••• الى ما لا قبل للعدد بحصره ، وكل ذلك بفضل دينهم وتمسكهم به ، وجعل المال عرضا غير مقصود • نرشدهم الى ذلك ، ونسرد عليهم من سير الصحابة والتابعين ما فيه مزدجر لقوم لا يعقلون ، فضلا عن مسلمين يسترشدون •

نرشدهم الى أن المسلم الحق هو الذى يؤمن بربه ايمانا صادقا ، ويذعن بأن الله واجب الوجود يجب له كل كمال ، وأن من الكمال الواجب لذاته ألا يكون له شريك ، وألا يكون له ولد ولا صاحبة ، وأنه يتنزه عن أن يحل فى جسد ، أو يتصل اتصالا جسمانيا بمخلوق مهما علت منزلته ، وأن الأنبياء والمرسلين كلهم عبيده ، وكلهم نشأ بقدرته ، ومحتاج فى وجوده وبقائه اليه • فعيسى مثل موسى وغيره : عبد من عباد الرحمن ، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وأنه كغيره من بقية الرسل ليس له من الأمر شىء ، وأنه وكل المخلوقات كلهم مفتقر الى الله فى وجوده وبقائه ، وكل ما أظهره الله على يديه من معجزات فهو باذن الله وارادته وقدرته ، وأنه لا يقدر على الاتيان بأى واحدة منها لولا تأييد الله له ، فلا أبوة ولا بنوة ، لأن كل ذلك نقص يستحيل على الله ، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه وتعالى عما يشركون •

اذا عرف المسلم هذا على البساطة لا يكاد يفهم ألوهية لغير الله ، ولا يمكنه اجابة داع يدعوه الى غير التوحيد • واذا عرف المسلم ما كان من أمر الرسالة والدعوة ، وما كان من شأن المسلمين حين البعثة ، واجابتهم داعى الرسول ﷺ ، حيث دعاهم الى ما يحييهم ، عرفوا أن الخروج من الدين يستوجب الهلاك فى الدنيا والآخرة : أما فى الآخرة فالخلود فى النار ، وأما فى الدنيا فخروج عن الانسانية ، والبواء بالخسران العظيم ، وأن الخارج عن دينه يصبح فاقد الأهلية فى كثير من التصرفات ويترتب على خروجه من دينه أن تبين امرأته منه ، وان عاشرها بعد ذلك فأولاده منها غير ثابتى النسب ، وأنه مع هذا يجلب السبة والعار لنفسه وعائلته وقريته •

اذا أنشأنا النشء على معرفة محاسن الاسلام ومزاياه ، وأفهمنا العامة ما يجب عليهم لله ، وجعلناهم يدركون الحق بأسلوب بسيط لا عوج فيه ولا تعقيد ، وأيقظنا فيهم

قال تعالى : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ».

وازع الدين ، وسلكنا بهم طريق الحكمة ، وأوضحنا لهم ما فى عقيدة الاسلام من معارف وما فيها من حكم ، وما اشتملت عليه من أنواع الفضائل ، لاستيقظ المسلمون لدينهم ، وأمنا على الكبير منهم والصغير ، ولما استطاع مغرر جاهل من تجار الأديان أن يؤثر فيهم ، لأنهم يستطيعون أن يردوا شبه زيغه ، وأن يكبحوا جماحه بالحجة بفضل ما علموا .

لو رشدنا وأرشدنا لكان لنا من حسن ايمان المؤمنين وصدق اسلام المسلمين ما يجعلنا فى مأمن من المحن ، وأمان من الاحن ، ولباء تجار الأديان بالفشل . بل لو سار المسلمون على الصراط السوى الذى دعانا اليه الرسول صلى الله عليه وسلم لقلت أو عدمت الجرائم ، وأمن الناس على أنفسهم وأديانهم ، وأموالهم وأعراضهم ، ولما استطاع انسان أيا كان أن يطلب الى أحد من الدهماء تغيير دينه أو تبديل عقيدته ، بل لما وسعه المقام بينهم ، لأنهم بالعلم بما دعا اليه الرسول يعلمون أن الدين عند الله الاسلام ، وأنه لم يدع فضيلة من الفضائل ولا خلقا كريما الا ودعا اليه ونهى عن ضده . يعلمون أن من اتبع أوامره كان من الناجحين ، وأن من حاد كان من الهالكين .

وفقنا الله جميعا لما يحب ويرضى .

طه حبيب

مجلة نور الاسلام

المجلد الرابع ١٥هـ

عبد الفتاح حسين الزيات

اللغة والأدب والنقد

الـوقـف "اقسـامه"

اسم الفاعل

هل تجمع "معيشة" على "معايش"

مراجعات موسمية فى الثقافة الاسلامية

الوَقف

أقسامه

ينقسم الوقف الى ثلاثة أقسام :

الأول : اضطرارى ، ويكون عند قطع النفس .

الثانى : اختبارى ، ويكون لاختبار شخص هل يحسن الوقف أولا كأن يقال : كيف نقف على المنقوص أو المختوم بتاء التأنيث ؟

الثالث : اختيارى ، وينقسم الى أقسام

(أ) استثباتى ، وهو الواقع فى الاستثبات والسؤال المقصود به تعيين مبهم — فرد — كأن يقال : منو ؟ لمن قال : أعجبت برجل — أو جماعة — كأن يقال : أيون ؟ لمن قال : جاءنى جماعة ، وأيين ؟ لمن قال : صاحبت رفقة أو استعنت بهم (١) .

(ب) وانكارى ، وهو الواقع فى سؤال مقصود به انكار خبر المخبر أو كون الأمر على خلاف ما ذكر .

فان كانت الكلمة منونة حركنا التنوين بالكسر وأشبعنا الكسر بالياء المنتهية بهاء السكت — نحو : أزيدنيه ؟ بضم الدال — لمن قال : جاء زيد — وبفتحها — لمن قال : رأيت زيدا — وبكسرها لمن قال : مررت بزيد .

وان لم تكن الكلمة منونة — أتى بالمد المجانس لحركة آخر الكلمة — كأن يقال : أعثمانوه ، وأعثماناه ، وأحذامية لمن قال : جاء عثمان ، ورأيت عثمان ، ومررت بحذام — وحروف الاشباع هذه تسمى حروف انكار .

(د) وتذكرى ، وهو المقصود به تذكر باقى القول فيؤتى فى آخره بمدة مجانسة لحركة آخر الكلمة ، كأن يقال : ونحنو ، وأنتا ، وأنتى (٢) فان لم يقصد التذكر لم يأت بالمدة المجانسة .

---

(١) أى تأتى عند السؤال عن المفرد المرفوع بضمة مشبعة بالواو — وعن المنصوب بالفتحة المشبعة بالألف — وعن المجرور بالكسرة المشبعة بالياء — وعن الجماعة بالواو والنون رفعا ، وبالياء ونون جرا ونصبا — كما مثلنا .

(٢) الواو والياء هنا يسميان حرف تذكار والألف تسمى ألف التعايى — قال صاحب القاموس « فى باب الالف اللينة » : وألف التعايى بأن يقول : ان عمر ثم يرتج عليه فيقف قائلا : ان عمرا فيمدها مستمدا لما ينفتح له من الكلام .

للدكتور عبد العظيم الشناوي

(د) واما ترنمي ، كالوقف في قول جرير :

أقلي اللوم عاذل والعتابن
وقولي ان أصبت لقد أصابن

(هـ) واما غير ذلك وهو المقصود دراسته .
ويعرف : بأنه قطع النطق عند آخر الكلمة لغير ما ذكر .

ويقابل الوقف : الابتداء — والابتداء عمل فيكون الوقف استراحة من ذلك العمل ، ويتفرع عن قصد الاستراحة في الوقف ثلاثة مقاصد فيكون لتمام الغرض من الكلام ، ولتمام النظم في الشعر ، ولتمام السجع في النثر .

ويأتي الوقف في جميع أقسام الكلمة .
أما الحرف فلا يوقف عليه الا بالسكون

— قال ابن يعيش :

فالحرف الموقوف عليه لا يكون الا ساكنا كما أن الحرف المبدوء به لا يكون الا متحركا وذلك لأن الوقف ضد الابتداء ، فكما لا يكون المبدوء به الا متحركا فكذلك الموقوف عليه لا يكون الا بضده وهو السكون .

وأما الوقف على الأسماء والأفعال فله أحكام وهي :

١ — السكون .
٢ — الروم .
٣ — الاشمام .
٤ — الزيادة .
٥ — الابدال .
٦ — الحذف .
٧ — النقل .

الوقف على المقصور

المقصور قسمان : منون وغير منون .
فالمنون تسقط ألفه في الوصل لسكونها وسكون التنوين بعدها نحو قولك رأيت فتى يحمل عصا في يده .

فاذا وقفت عليه جئت بالألف — تبعا لأكثر العرب فقلت هذه عصا وجاء فتى وانما كان الوقف عليها بخلاف الياء في نحو قاض لخفتها — .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٩٠) ألا تراهم يفرون من الياء والواو الى الألف اذا كانت العين قبل واحدة منهما مفتوحة (١) . وفروا

(١) وذلك نحو غزا ورمى ، فانهم فروا من الواو في غزا والياء في رمى الى الألف لانفتاح العين قبلهما — وكذلك يفرون منهما الى الالف في نحو قال وباع فالالف في قال أصلها الواو وفي باع أصلها الياء .

اليها فى قولهم : قد رضاونها (١) وقال الشاعر (زيد الخيل) :

أفى كل عــام مأتم تبعثــونه
على محمر ثويتموه وما رضا (٢)

وقــال طفيــل الغنــوى :
ان الغــوى اذا نهـا لم يعتب

ويقولون فى فخــذ ــ بكسر الخــاء ــ فخذ ــ بسكونها ــ وفى عضد ــ بضم الضاد ــ عضد ــ بسكونها ولا يقولون فى جمل جمـل ولا يخففــون لأن الفتح أخف عليهم والألف أ هـ •

وفى ألف المقصور المنون الموقوف عليها ثلاثة مذاهب : ذكرها أبو حيان فى الارتشاف ونسبها لأصحابها فقال :

والمقصور المنون يوقف عليه بالألف ، وفيه مذاهب : أحدها : أن الألف بدل من التنوين (٣) واستصحب حذف الألف المنقلبة وصلا ووقفا (أى كما حذفت الألف الأصـلية فى الوصـل حذفت فى الوقف) وهــو مذهب أبى الحسن (الأخفش) والفـراء والمازنى وأبى على فى التذكرة •

والثانى : أنها الألف المنقلبة لما حذف التنوين عادت مطلقا ، وهــو مروى عن أبى عمــرو والكســائى والكوفيين وســيبويه فيما قال أبو جعفر الباذش •

والثالث : اعتباره بالصـحيح ، فالألف فى النصب بدل من التنوين وفى الرفع والجر هى بدل من لام الفعل ، وذهب اليه أبو على فى أحد قوليه ونسبه أكثر الناس الى سيبويه ومعظم النحويين أ هـ •

واختار المذهب الثانى وأيده الســيرافى ــ قال ابن يعيش : وبعضهم يزعم أن مذهب سيبويه أنها لام الكلمة فى الأحوال كلها ، قال السيرافى : وهو المفهوم من كلامه ، وهو قوله « أما الألفات التى تحـذف فى الوصـل فانها لا تحذف فى الوقف » (٤) ، ويؤيد هذا المذهب أنها وقعت رويا فى الشعر فى حال النصب نحو

---

(١) أصلهما : رضى ونهى • بالبناء للمجهول ففتحت الضاد والهاء ليتوصل الى قلب الواو فى رضى والياء فى نهى ألفا فرارا من الواو والياء ــ وهذه لغة فاشية فى طىء ــ •

(٢) الشاهد فيه فتح الضاد لتنقلب الواو ألفا ــ وذلك لخفـة الألف والفتحـة ــ والشــاهد فيما بعده فتح الهاء من نهى المبنية للمجهــول لتنقلب الياء الفــا ــ ومعنى لم يعتب لم يجب مرضيا لمن نهاه بانتهائه • يقال عتب يعتب اذا سخط ، وأعتب يعتب اذا صار الى العتبى وهى الرضــا •

(٣) وعللوا ذلك بأن التنوين واقع بعد الفتحة عند الوصل وشأن هذا التنوين أن يقلب ألفا عند الوقف ــ كما فى نحو رأيت زيدا ــ والتنــوين فى المقصود واقع بعد الفتح فى أحوال الاعراب كلها مثل موقع تنوين زيدا المنصوب ــ وقالوا ان قلب التنوين ألفا فى المقصور أولى لأن فتحة « زيدا » عارضة اعرابية ــ والفتحة فى المقصور لازمة ــ أقول : والمذهب الثانى أولى لما ذكره السيرافى •

(٤) جـ ٢ ص ٢٩٠ •

قوله (١) :

وربَ ضيف طرق الحى سرى
صادف زادا وحديثا ما اشتهى

فألف « سرى » هنا روى ، ولا خلاف بين أهل القوافى أن الألف المبدلة من التنوين لا تكون رويا أه •

وقوى هذا المذهب أيضا الرضى فقال :

وأيضا فانها تمال فى حال النصب كقوله تعالى :

(وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) •

وامالة ألف التنوين قليلة — وأيضا تكتب ياء ، وألف التنوين تكتب ألفا •

وثمرة هذا الخلاف تظهر فى الاعراب :

فعلى أن الألف منقلبة عن اللام يعرب المقصور بحركات مقدرة عليها لأنها محل الاعراب ، وعلى أنها بدل من التنوين يعرب بحركات مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين •

وأما المقصور غير المنون • نحو : أعلى • وسكرى ، والفتى — فألفه فى الوقف هى التى كانت فى الوصل بلا خلاف — لأنه ليس معنا تنوين حتى تبدل منه الألف •

هذا ولا يجوز حذف ألف المقصور فى الوقف الا اضطرارا •

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٩٠) : لم تحذف الألف الا أن يضطر شاعر فيشبهها بالياء لأنها أختها وهى قد تذهب مع التنوين قال لبيد حيث أضطر (٢) •

وقبيل من لكيز شاهد
رهط مرجوم ورهط ابن المعل

يريد المعلى — أه •

لغات أخرى فى الوقف على المقصور

ما ذكرناه من الوقف على المقصور بالألف هو الأكثر والأعرف •

وقد جاء عن بعض العرب قلب الألف عند الوقف همزة ، أو واوا ، أو ياء •

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٥) : وزعم الخليل أن بعضهم يقول : رأيت رجلأ ، وهذه حبلأ ••• فهمز لقرب الألف من الهمزة ••• وسمعناهم يقولون : هو يضربهأ فيهمز كل ألف فى الوقف ••• فاذا وصلت لم يكن هذا — أه •

وقال فى قلب الألف ياء ، أو واوا (جـ٢ ص ٢٨٧) : وذلك قول بعض العرب فى أفعى

---

(١) هذه أبيات من الرجز المشطور للشماخ فى عبد الله بن جعفر بن أبى طالب والاستشهاد ، على أن الالف من المقصور لام الكلمة لانها وقعت رويا — وليست مبدلة من التنوين فى الوقف لانها لو كانت كذلك ووقعت رويا لجاز أن تقع الألف المبدلة من التنوين فى الاسم المنصوب فى الروى أيضا — وكان يقع مثل رأيت زيدا مع مثل رأيت الفتى فى قصيدة واحدة — وهو مما لا يقول به أحد فثبت أن الألف فى سرى لام الكلمة — كالألف فى اشتهى — وانما قالوا رويا فى حال النصب ليكون ردا على المذهبين الآخرين •

(٢) قال الأعلم : الشاهد فيه حذف ألف المعلى فى الوقف ضرورة تشبيها بما يحذف من الياءات فى الأسماء المنقوصة نحو قاض وغاز وهذا من أقبح الضرورة لأن الألف لا تستثقل كما تستثقل الياء والواو وكذلك الفتحة لانها من الألف — ولكيز قبيلة من ربيعة وهم لكيز — بضم ففتح — بن أفصى بن عبد القيس •• وصف مقاما فاخر فيه قبائل ربيعة بقبيلته من مضر ، ومرجوم وابن المعلى سيدان من لكيز — وقوله « قبيل » مبتدأ و « من لكيز » صفته ، و « شاهد » خبره ، و « رهط مرجوم ورهط بن المعل » بدل منه •

الوقف "أقسامه"

أفعى ، وفى حبلى : حبلى ، وفى مثنى : مثنى — (باسكان الياء عند الوقف فى الجميع) فاذا وصلت صيرتها ألفا ، وكذلك كل ألف فى آخر الاسم ، حدثنا الخليل وأبو الخطاب أنها لغة لفزارة وناس من قيس ، وهى قليلة فأما الأكثر والأعرف فأن تدع الألف فى الوقف .

وأما طيىء فزعموا أنهم يدعونها فى الوصل على حالها فى الوقف .. حدثنا بذلك أبو الخطاب وغيره من العرب .. (أى أنهم يقلبون الألف ياء فى الوقف والوصل) وزعموا أن بعض طيىء يقول : أفعو (فى أفعى) لأنها أبين من الياء ولم يجيئوا بغيرها لأنها تشبه الألف فى سعة المخرج والمد ولأن الألف تبدل مكانها كما تبدل مكان الياء وتبدلان مكان الألف أيضا وهن أخوات — أه .

الوقف على المختوم بتاء التأنيث
ومافى حكمها (١)

يوقف على تاء التأنيث بالتاء الساكنة فيما يأتى .

أولا : اذا كانت متصلة بالفعل : نحو : قامت . وأدعت . ورمت .

ثانيا : اذا كانت متصلة بالحرف : نحو : ثمت — ربت ، ولات . عند الجمهور ووقف الكسائى على « لات » بالهاء ووقف الباقون بالتاء .

وقال ابن مالك : ويجوز عندى أن يوقف بالهاء على « ربت » و «ثمت» قياسا على قولهم فى « لات » : « لاه » واعترض عليه حفيده : بأن الوقف بالهاء على « لات » ليس قياسا فكيف يقاس عليه .

ثالثا : اذا كانت فى اسم وقبلها ساكن صحيح أو ياء ساكنة : نحو : أخت ، وبنت وكيت وكيت ، وذيت وذيت (٢) .

ويوقف عليها بالهاء ساكنة ان كان قبلها حركة سواء كانت فى مفرد نحو شجرة ، واقامة . أم فى جمع نحو : بررة ، وقادة ، للفرق بين الوقف عليها وعلى التاء الأصلية ويقل الوقف عليها بالتاء .

قال سيبويه : وزعم أبو الخطاب أن ناسا من العرب يقولون فى الوقف طلحت — بالتاء الساكنة — .

وقال ابن يعيش : على أن من العرب من يجرى الوقف مجرى الوصل فيقول فى الوقف : هذا طلحت . وهى لغة فاشية حكاها أبو الخطاب . ومنه قولهم وعليه السلام والرحمت ، ومنه قولهم . بل جوزيتها

---

(١) كتاء المبالغة فى نحو نابغة وراوية . وتاء زيادة المبالغة . كعلامة ، وفروقة .

(٢) يكنى عن الحديث : بكيت وكيت ، وذيت وذيت — بفتح التاء وكسرها — والفتح أشهر وهما مخففتان من . كية وكية ، وذية ، وذية — بتشديد الياء — وليس فيهما حينئذ الا البناء على الفتح ، ولا يقال : كان من الامر كيت بل لابد من تكررها وتكرر ذيت لانها كناية عن الحديث والتكرير مشعر بالطول — ا هـ الأشمونى .

كظهر الحجفت • (١) وأنشد قطرب (٢) :

الله نجاك بكفى مسلمت
من بعد ما وبعد ما وبعدمت
صارت نفوس القوم عند الغلصمت
وكادت الحرة أن تدعى أمت

وكل ذلك اجراء الوقف مجرى الوصل فأما قوله : وبعدمت : فالمراد بعد ما فأبدل الألف فى التقدير هاء فصارت بعدمه وقد أبدلت الهاء من الألف — قال الشاعر :

قد وردت من أمكنه
من ها هنا ومن هنه

يريد هنا ثم أبدل الألف هاء لتوافق بقية القوافى وشجعه على ذلك (٣) شبه الهاء المقدرة بتاء التأنيث وكانت هذه اللغة من قبيل اجراء الوقف مجرى الوصل — أ هـ ج ٩ ص ٨١ •

ومن ذلك قول بعضهم : يا أهل سورة البقرت : واجابة آخر له على لغته بقوله : ما أحفظ منها ولا آيت •

وكل تاء تأنيث كتبت فى المصحف « هاء » وقف عليها جميع القراء بالهاء ،وان رسمت « تاء » فمنهم من يقف بالهاء مراعاة للأصل كابن كثير وأبى عمرو والكسائى ، ومنهم من يقف بالتاء مراعاة للرسم العثمانى : كنافع وابن عامر وعاصم وحمزة •

ومما التزم رسمه بالتاء فى القرآن كل امرأة ذكرت مع زوجها فى القرآن وقد جاءت مع زوجها سبع مرات — وهى — **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ — وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ — قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ — وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ — امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ — وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ** •

وكلمة شجرة رسمت بالتاء مرة واحدة — فى الآية — **إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ** — وكلمة رحمة رسمت بالتاء سبع مرات — ولو تتبعت القرآن الكريم لوجدت كثيرا رسم بالتاء •

---

(١) هذا البيت من الرجز للشطور • وقد نسبه ابن برى فى أماليه على الصحاح لسؤر الذئب ضمن أبيات كثيرة وقبله :

ما ضرها أما عليها لو شفت
متيما بنظرة واسعفت

وبعده :

قطعتها اذا المها تجوفت
مآزقا الى ذراها أهدفت

والجوز — بفتح الجيم : — الوسط • والتيهاء : المفازة التى يتيه فيها السالك ، والحجفة — بفتحات — الترس • والمها البقر الوحشى مفرده مهاة • وتجوفت : دخلت • والمآزق : المضايق • وذراها بفتح الذال — ناحيتها ، وأهدفت من الاهداف وهو الدنو من الشىء واستقباله — يصف نفسه فيقول •رب مفازة يضل سالكها ملساء لا معالم فيها قطعتها فى الوقت الذى تهرب فيه الابقار الوحشية الى مخابئها •

(٢) نسبت هذه الابيات فى شرح التوضيح الى أبى النجم العجلى و « ما » فى قوله « من بعدما » يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون كافة مسوغة لبعد أن يليها الفعل ، لان من حق بعد أن تضاف الى المفرد لا الى الجمل وقد كرر « بعدما » لقصد التهويل وحينئذ يجوز أن تكون الثانية والثالثة توكيدا للاولى من توكيد المفرد بالمفرد ويجوز أن تكون كل واحدة منها مضافة الى فعل مثل المذكور (صارت) والغلصمة : رأس الحلقوم •

(٣) اى على قلب الهاء المنقلبة عن الالف تاء فى قوله « ما » •

الوقف "أقسامه"

وان كان قبلها ألف ساكنة فان كانت فى مفرد أو فى جمع تكسير — فالأرجح الوقف بالهاء أى أن حكمها حكم التى قبلها — قالوا : لأن الألف فى مثل هذا أصلها الحركة — وهذا ظاهر فى الألف الأصلية كفتاة وقضاة — فألفهما منقلبة عن ياء مفتوحة .

أما فى الزائدة — كألف قبعثراة — فلا — لأنها ليست منقلبة عن غيرها — ولعلهم عللوا للغالب .

وان كانت الألف الواقعة قبل تاء التأنيث فى جمع مؤنث سالم وما أشبهه وهو اسم الجمع .كأولات وما سمى به تحقيقا كعرفات ، أو تقديرا كهيهات فالأرجح الوقف بالتاء — (ولم يذكر سيبويه غيره قال — كما قالوا فى تاء الجمع قولا واحدا فى الوقف والوصل) جـ ٢ ص ٢٨١ .

ومن الوقف بالهاء قولهم : كيف الأخوة والأخواه — وكرواية بعضهم حديث دفن البنات من المكرمات — هكذا : دفن البناه من المكرماه — وسمع هيهاه (١) ، وأولاه — ونقل بعضهم أنها لغة طيىء — وقال فى الافصاح :

شاذ لا يقاس عليه — هذا وأكثر من وقف بالتاء يسكنها ولو كانت منصوبة منونة .

قال : والظاهر أن هؤلاء (الواقفين بالتاء) لا يقولون فى النصب « رأيت أمتا » كزيدا بالف بل « رأيت أمت » كما فى قوله « وكادت الحرة أن تدعى أمت » ، وذلك لحمله على « أمه » بالهاء فانه هو الأصل فى الوقف — أ هـ جـ ٢ ص ٢٩٠ .

وبعضهم — وهو قليل — يقف بالتاء منونة ويقلب التنوين الفا فيقول (رأيت فتاتا) كما يقف على المنون النصوب المجرد من التاء — أ هـ صبان .

عبد العظيم الشناوى

---

(١) فى المفصل وشرحه : ان هيهات فيها لغتان فتح التاء وكسرها فمن فتح جعلها مفردا ووقف عليها بالهاء ، ومن كسر جعلها جمعا ووقف عليها بالتاء ومثل هيهات فى احتمال الوجهين « استأصل الله عرقاتهم » والمراد أصلهم فمن فتح التاء فى عرقات جعلها مفردا ووقف بالهاء ، ومن كسر جعلها جمعا ووقف بالتاء — وقال الرضى : وقال بعض النحاة : ان مفتوحة التاء مفردة وأصلها هيهية قلبت الياء الاخيرة الفا ، والتاء للتأنيث ، فالوقف عليها بالهاء — وأما مكسورة التاء فجمع لمفتوحة التاء كمسلمات فالوقف عليها بالتاء وكان القياس هيهات . كما تقول : قوقيات فى جمع قوقاة لكنهم حذفوا الألف لكونها غير متمكنة كما حذفوا الف هذا وياء الذى فى المثنى — والمضمومة التاء تحتمل الافراد والجمع فيجوز الوقف عليها بالهاء والتاء وهذا كله تخمين بل لا مانع أن نقول : التاء والالف فيها زائدتان ولا منع أيضا من كونها فى جميع الاحوال مفردة مع زيادة التاء فقط . ونقول : فتح التاء نظرا الى أصله حين كان مفعولا مطلقا والكسر للساكنين لان أصل البناء السكون وأما الضم فللتنبيه بقوة الحركة على قوة معنى البعد فيه اذ معناه : ما أبعده — وكان القياس بناء على الوجه الاخير أن لا يوقف عليها الا بالهاء وانما يوقف بالتاء فى الاكثر تنبيها على التحاقها بقسم الافعال من حيث المعنى ا هـ .

اسم الفاعل

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالي

من الأمور البدهية المسلم بها أن الفعل يدل على الفاعل بمعناه ومفهومه لأنه حدث والحدث لا يصدر الا عن فاعل فلابد لكل فعل من فاعل أو ما ينوب عنه اما ظاهرا أو مضمرا فاشتق منه اسم يدل على الحدث والحدوث وفاعله هو ما يسمى فى الاصطلاح باسم الفاعل . فاسم الفاعل اسم مشتق من مصدر الفعل المتصرف المبنى للمعلوم للدلالة على من وقع منه الحدث أو قام به ، أو بتعبير آخر ليدل على الحدث والحدوث وفاعله .

فقولنا : ليدل على الحدث جنس يشمل جميع الأوصاف والأفعال ، وقولنا : والحدوث فصل يخرج الصفة المشبهة نحو ، حسن وبطل وشريف وشهم وجواد وشجاع ، واسم التفضيل نحو أكرم وأعظم وأرحم وأشجع وأحكم وأعقل ، وأسمى وأرقى وأقوى وأعلى فانهما لا يدلان على الحدوث ، وانما يفيدان الثبوت والدوام ، وقولنا : وفاعله يخرج اسم المفعول نحو : محمود ومعلوم ، ومنصور ، ومظلوم ومكتوب ومحفوظ ، ومكرم ومعظم ومحترم ، ومنتقد ، ومستحسن ومستهجن ومستورد ومستقبل فانه يدل على من وقع عليه الحدث لا من وقع منه ، ويخرج الفعل أيضا لأنه صيغ من المصدر ليدل على الحدث والزمان بالوضع لاعلى فاعل معين ، وان كان يدل على نسبة الحدث الى فاعل ما غير محدد ، فدلالته على الفاعل انما هى دلالة التزام . ويخرج كذلك اسماء الزمان والمكان نحو : مخرج ومنزل ومعرض ومعبر وموقف وموعد ومنتظر ومختبر ومعترك ومتوضأ ومفترق ومفتتح ومنطلق ومنحدر ، ومستوصف ومستودع ومستشفى ومستنبت ، أسماء لزمان الخروج والنزول والعرض والعبور والوقوف والوعد والانتظار والاختبار والاعتراك ، والتوضؤ والافتراق والافتتاح والانطلاق والانحدار ، والاستيصاف والاستيداع والاستشفاء والاستنبات فانها انما اشتقت للدلالة على

اسم الفاعل

ما وقع فيها لا لما وقع منها أوقامت به .

صوغ اسم الفاعل وأوزانه : يصاغ اسم الفاعل من مصدر الفعل المتصرف الثلاثي مفتوح العين فى الماضى على وزن (فاعل) بكسر العين وزيادة ألف بعد الفاء لازما كان ، كغذا الوادى بمعجمتين بمعنى سال فهو غاذ وذهب فهو ذاهب فهو جالس وخرج فهو خارج وسجد فهو ساجد ، وقنت فهو قانت وقام فهو قائم ، قال تعالى :

(أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) أو كان متعديا ، نحو غذا اللبن الصبى أى أشبعه ، أو غذا طفله باللبن أى أطعمه ورباه به فهو غاذ وضرب فهو ضارب وفتح فهو فاتح وأكل فهو آكل وصنع الآلة فهو صانع وحلب البقرة فهو حالب وكتب فهو كاتب وحفظ فهو حافظ وسرق فهو سارق وملك فهو مالك وجمع فهو جامع وحكم فهو حاكم وحرث الأرض فهو حارث ، وعبد ربه فهو عابد . كما يجىء على (فاعل) أيضا من فعل مكسور العين المتعدى كحفظ فهو حافظ وعلم فهو عالم وركب فهو راكب ، وسمع فهو سامع ، وحمد الله فهو حامد وشرب الدواء فهو شارب ، وامن عدوه فهو آمن ورحم الضعيف فهو راحم .

وقد يستغنى (فعل) بفتح العين اللازم عن صيغة (فاعل) بغيرها من الصيغ ، فيتركون القياس المطرد وهو وزن (فاعل) ويستعملون أوزانا أخرى ، منها مثلا : (فعل) بفتح الفاء وسكون العين كشيخ ، وعين للرجل السرى الشريف فى قومه ، ومنها (أفعل) بسكون الفاء وفتح العين نحو أشيب ، (وفيعل) بفتح الفاء وكسر العين بينهما ياء ساكنة نحو ، طيب ولين ، و (فعيل) بفتح الفاء وكسر العين مع المد مثل ، عفيف ، وخفيف . وانما يصح هذا الاستغناء اذا لم يستعمل له قياس مطرد ، أما اذا استعمل له قياس وسمع غيره فلا يصح الاستغناء بما سمع عن الأصل ، نحو ، مال يميل فهو مائل ، وسمع منه أميل ، فلا يستغنى به عن الوزن القياسى ، وهو مائل ويقل مجيئه على (فاعل) من (فعل) مضموم العين نحو طهر فهو طاهر التلب ، ونعم فهو ناعم ، وفره الفرس فهو فاره وكذلك من (فعل) مكسور العين اللازم ، نحو حاذر وفارح ، وجزع فهو جازع وسلم فهو سالم ، وندم فهو نادم وأسف فهو آسف ورغب فهو راغب ، وانما قياس الوصف (اسم الفاعل) من (فعل) بكسر العين اللازم (فعل)بفتح الفاء وكسر العين فيما دل على عرض ، وهو المعنى القائم بالذات غير الثابت فيها نحو ، أشر وبطر وفرح وكسل وشره ونهم . وجاء منه شذوذا فعل بفتح فسكون . وفعيل بفتح فكسر ممدود نحو كهل وسقيم ومريض و (أفعل) بفتح الهمزة والعين وسكون الفاء فيما دل على لون أو وصف ظاهر فى البدن يعيبه أو يزينه نحو احمر وأسود وابيض وأزرق واخضر وأصفر وأشهب وأحور وأحوى وأقنى وألمى واعين ، أعرج وأعور وأعمش وأجهر ، وأعمى وأبتر ، وأرعن وأحمق وأخرق وأعجف .

و (فعلان) فيما دل على امتلاء نحو ،

شبعان وسكران وريان ، أو على خلو البطن أو حرارة الباطن ، نحو عطشان وظمآن وصديان ، وقياس الوصف من (فعل) مضموم العين (فعيل) بفتح الفاء وكسر العين ممدودة و (فعل) بفتح الفاء وسكون العين كثيرا نحو ، جميل وعظيم وشريف وظريف ، وطويل وقصير وقريب وبعيد وخبيث ولئيم ورخيص وحليم ، ونحو ، ضخم وشهم وسهل ، ومنها بقلة (أفعل) بفتح وسكون وفتح نحو خرش أى خشن فهو أخرش ، و (فعل) بفتحتين ، نحو حسن وبطل ، و (فعال وفعال) بضم الفاء وفتحها نحو شجاع وفرات وجبان وجواد وحصان • و (فعل) بضمتين ، نحو جنب وحبك ، و (فعل) بكسر الفاء وضمها نحو عفر فهو عفر ، وغمر فهو غمر و (فعال) بضم الفاء وفتح العين مشددة نحو وضؤ فهو وضاء أى وضيء أو مشرق ، و (فعل) بكسر الفاء وفتحها وكسر العين نحو ، خشن فهو خشن ، و (فعول) نحو حصور من حصرت المرأة فهى حصور ملازم للبناء للمجهول فالتمثيل به لفعل مضموم العين باعتبار أصله واذا عورض بأن أصل المبنى للمجهول متعد ومضموم العين هنا لازم فالجواب ، أن المبنى للمجهول قد يأتى من اللازم سماعا نحو جن وبهت وحم وفلج وزكم ونحوها من الأفعال الملازمة للبناء للمجهول مع القصور • وقد أجاز ابن الحاجب مجيء الوصف من الثلاثى مضموم العين أو مكسورها على وزن (فاعل) مجيئا مطلقا ، ووافقه ابن مالك اذ قال : ويأتى اسم الفاعل من الثلاثى المجرد موازن فاعل ، وأبو على الفارسى فقال : ويأتى اسم الفاعل من الثلاثى مجيئا

واحدا مستمرا ، فأجازوا أن تصوغ الوصف من حسن وشرف وفرح ومرض وكرم وغضب وطال وقبح ، وهى كلها أفعال ثلاثية عينها مضمومة أو مكسورة والفعل لازم ، على وزن فاعل ، فتقول : حاسن وشارف وفارح ومارض وكارم وطائل الآن أو غدا ، وكذا بقية الأفعال، ومن ذلك قوله تعالى : (**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ**) وذلك على أساس أن المقصود به افادة التجدد والحدوث لأن وزن (فاعل) مصوغ أصلا للدلالة على ذلك المعنى أما بقية الأوزان عدا (فاعل) فانها مشتركة فى الاصل بين الحدوث والثبوت والدوام فمتى قصد بها الثبوت والدوام فهى صفات مشبهة وان لم تضف الى مرفوعها أو تنصبه على التشبيه بالمفعول به ان كان معرفة وعلى التمييز ان كان نكرة فانهم أرادوا بها أن يصفوا بالمعنى الثابت ، فاذا ما أريد بها معنى الفعل والجريان عليه ، أى الحدوث والتجدد صارت اسم فاعل وأتوا بالصفة جارية عليه وتحول الى وزنه ، فقالوا طائل الآن كما يقال يطول الآن ، وكارم اليوم كما يقال يكرم اليوم ، وحاسن غدا كما يقال يحسن غدا ، ومثل ذلك قوله تعالى : (**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**) وقولهم : أنت سيد لأنه قصد به الصفة الثابتة غير المتجددة ، أى أنك من الموتى وان كنت حيا، وأنك دائم السيادة مستقر فيها ، فاذا ما قصد أنك ستموت أو ستسود قيل : مائت ، وسائد ، ويقال : هذا جواد ، اذا ثبت واستقر له الوصف فاذا قصد حدوث الجود قالوا : جائد،

كما يقال فلان مريض اذا ثبت واستقر به المرض ، فاذا قصدوا أن المرض سيعتريه قيل : أنه مارض غدا وكذلك يفعلون فى مثل غضبان وغاضب ، وجميل وجامل ، وبخيل وباخل ، وكريم وكارم ، وجبان وجابن ، وغمر وغامر

وأطلق كثير من المتقدمين القول بمجيء الوصف من الثلاثى اللازم مكسور العين أو مضمومها على (فاعل) وعلى غيره بحسب السماع فيكون اللفظ مشتركا بين اسم الفاعل والصفة المشبهة .

ومنهم من يمنع صوغه من فعل مضموم العين على فاعل البتة ، ويقول : ان ما ورد منه على هذا الوزن انما هو من لغة أخرى فيكون من تداخل اللغتين . وربما هجرت اللغة المصوغ منها الوصف ، واستعمل اسم الفاعل مع اللغة الأخرى المستعملة نحو طهرت المرأة فهى طاهر وفره الدابة فهى فاره فاسم الفاعل هنا (طاهر ، وفاره) مصوغ من طهرت المرأة وفره الدابة بالفتح فيهما وهى اللغة التى هجرت ، لا من طهرت وفره بالضم وهى اللغة التى مازالت مستعملة ويأتى الوصف من الثلاثى اللازم مكسور العين أو مضمومها . وهو لازم بالوضع . على أوزان أخرى كثيرة غير ماذكر منها : حرام وجواد ورخيص وسخن وملح وسمج وعلج وفتح ، ومن الافعال الدالة على اللون أو الصفات الخلقية — المشعرة بعيب أو حلية يجيء الوصف على (أفعل) كثيرا ، نحو أصفر وأشتر ، وأسحم ، وأكمت ، وأشهب وأصهب ، وأحور وأقنى وألمى وأعين ، وأحمق وأرعن وأعمش وأجهر وأعجم وأعجف وأبتر .

ويأتى الوصف دالا على الكثرة والمبالغة مدحا أوذما على وزن (فعلة) بضم الفاء وفتح العين ، وهو قياسى من الثلاثى نحو حطمة وهمزة ولمزة ولعنة ، ومما سمع منه أيضا عذلة وهزأة وسخرة ولؤمة وحمدة وسبية وسؤلة ولججة (كثير اللجاج) وصرعة وعليه الحديث الشريف (ليس الشديد بالصرعة) ومنها هذرة وأكلة وشربة وعرقة قال صاحب القاموس فى مادة (عرق) : وأما عرقه كهمزة فبناء مطرد فى كل فعل ثلاثى كضحكة .

ويأتى الوصف أيضا من الثلاثى على أوزان أخرى عديدة ، نحو مدره ومسقر حرب (مفعل) بكسر الميم فيهما ، وحليم وخبير (فعيل) ، وعجزت المرأة تقدمت فى السن فهى عجوز (فعول) ، وعقرت المرأة قومها أى آذتهم فهى عقرى (فعلى) ، وعاد البعير عودا أى هرم فهو عود (فعل) وسقط الجنين من بطن أمه فهو سقط (فعل)مثلث الفاء ، وملك على الناس فهو ملك (فعل) ، وصقلته التجارب فهو صقيل (فعيل) . وجاء منه أيضا طاعون وناظور وفاروق وهاضوم وساكوت ، وسلف الشيء مضى فهو سلف (فعل) ، ومن تلك الأوزان المتنوعة (فعال) نحو خراب ، و (فعلان وفعلان) بضم الفاء وفتحها نحو عريان وسكران ، و (فعل) نحو ، هذا شراب مر ، و (فعل)كبعل ، أى زوج ، و (فعل) بكسر الفاء نحو ، هذا مكان خلو أى خال ، و (فعول) نحو هذا رجل جزوع . قال تعالى (**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ**

الْخَيْرُ مَنُوعًا) ، وضوى الصغير فهو ضاوى (فاعول)وكل هذه الأوصاف الواردة على هذه الأبنية والأوزان المختلفة هى صفات مشبهة اذ القصد منها فى الأصل الثبوت والدوام لا الحدوث ، فاذا ما أريد التجدد والحدوث صارت اسم فاعل حقيقة ، وتحول أوزانها حينئذ الى (فاعل) وتشاركه فى جميع أحكام ، وتعطى كل خصائصه ،فنهم ، وحسن وفرح وضجر ، وكريم وشريف وطويل وأبتر تصير ، ناهم وفارح وحاسن ، وضاجر ، وكارم وشارف وطائل وباتر الآن أوغدا كما أشرنا الى هذا فيما سلف • أما اسم الفاعل من الثلاثى أو غيره فلا يعود صفة مشبهة الا بتوفر شرطين

أولهما : أن يراد الثبوت والدوام لا الحدوث أى أن يكون القصد الوصف بالمعنى المستقر الثابت •

وثانيهما : أن يضاف الى مرفوعه اضافة حسنة كالصفة المشبهة أو ينصبه على التشبيه بالمفعول به ان كان معرفة وعلى التمييز ان كان نكرة ، نحو طاهر القلب ، وضامر البطن وراجح العقل ، ومعتدل القامة ومنطلق اللسان ومستنير الفكر •

ويمكن أن تقول : طاهر قلبه ، وطاهرُ القلب وطاهر القلبَ ، وطاهر قلبا ، ومعتدل قامته ومعتدل القامةِ ومعتدل القامةَ ومعتدل قامةً وكذلك يفعل هذا فى باقى الأوصاف المذكورة •

فان تخلف شرط من هذين الشرطين بقى اسم الفاعل على حاله يعمل عمل مضارعه تعديا ولزوما متى استوفى شروط عمله المبينة فى مبحث (عمل اسم الفاعل) كما سيأتى •

والفرق بين (فاعل) وغيره من تلك الصفات ، أن الأصل فى (فاعل) قصد الحدوث والتجدد ، وقصد الثبوت والدوام معه طارىء ، ولهذا فلا يكون (فاعل) صفة مشبهة الا اذا وجد ما يدل على خروجه عن الأصل واستعماله فى افادة الثبوت وذلك باضافته الى مرفوعه أو نصبه على شبه المفعولية معرفة والتمييز ان كان نكرة • أما غير فاعل من سائر الأوزان فمشترك فى الأصل بين الحدوث والثبوت فاكتفى فى اعتباره صفة مشبهة بقصد الثبوت فقط دون الشرط الآخر وهو الاضافة الى مرفوعه أو نصبه على شبه المفعولية معرفة وعلى التمييز لأن هذا من خصائص عمل الصفة عمل الصفة فلاحاجة اليه •

« يتبع »

احمد حسن عبد العواض هلالى

هل تجمع "معيشة" على "معائش"

للدكتور محمد زين العابدين سلامة

قرأ نافع بن أبى نعيم « وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَائِشَ » (١) والقياس كما قال علماء الصرف « معايش » لأن حرف المد فى المفرد أصلى ، وما كان كذلك امتنع قلبه همزة فى الجمع ، وانما يهمز اذا كان زائدا ، نحو : مدائن وصحائف ووظائف (٢) .

قال المازنى : « فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة (معائش) بالهمز فهى خطأ ، فلا يلتفت اليها ، وانما أخذت عن نافع بن أبى نعيم ، ولم يكن يدرى ما العربية ؟ وله أحرف يقرؤها لحنا نحو من هذا » (٢) .

وفى كتاب السبعة لابن مجاهد أن خارجة بن مصعب هو الذى روى هذه القراءة عن نافع ، ثم يحكم ابن مجاهد على القراءة بالغلط (٣) .

أما ابن جنى فيتمشى كلامه مع المازنى فيقول : « وانما كان همزها خطأ عنده ، لأنها لا تخلو من أن تكون جمع « معاش أو معيشة أو معيش » فقد قال رؤبة :

اليك أشكو شدة المعيش

يريد المعاش ، وكل واحد من هذه فعينه متحركة من الأصل ، فأصل معاش « معيش » وأصل معيشة « معيشة » أو «معيشة» على مذهب الخليل ، وأصل معيش « معيش » مكسور العين ليس غير ، وليس فى الآحاد اسم على وزن « مفعل » بضم العين . ثم قال : واذا كان الأمر كذلك فحق « معاش ومعيش ومعيشة » ألا تهمز فى الجمع ، لأنه قد كانت عينه متحركة فى الأصل ، فاذا احتاج الى حركتها فى الجمع حركها ولم يقلبها ،

(١) الأعراف ١٠ ، وانظر غيث النفع فى القراءات السبع للصفاقسى ١٣١ ـ المكتبة التجارية ، واتحاف فضلاء البشر فى قراءات الاربعة عشر للدمياطى ١٣٣ ـ المطبعة اليمنية .

(٢) المنصف لابن جنى على كتاب التصريف للمازنى ١ ـ ٣٠٧ ، وانظر البحر المحيط لأبى حيان ٤ ـ ٢٧١ .

(٣) كتاب السبعة فى القراءات ٢٧٨ ـ دار المعارف بمصر .

واحتملت الحركة لأنها قوية وهى من الأصل وقد كانت متحركة فى الواحد ، وانما يهمز فى الجمع حروف المد واللين التى لاحظ لها فى الحركة فى الواحد ، نحو ألف « رسالة » وياء « صحيفة » وواو « عجوز » اذا قلت : رسائل وصحائف وعجائز » (١) .

ويؤيد المبرد رأى أستاذه المازنى فيقول : « من قرأ (معائش) فهمز فانه غلط ، وانما هذه القراءة منسوبة الى نافع بن أبى نعيم ولم يكن له علم بالعربية ، وله فى القرآن حروف قد وقف عليها » (٢) .

وابن خالويه يقول : « من همز هذه الياء فقد لحن ، وقد روى خارجة عن نافع همزه وهو غلط . » (٣) .

ويقول عن القراءة الزجاج : « جميع نحاة البصرة تزعم أن همزها خطأ ، ولا أعلم لها وجها الا التشبيه بصحيفة وصحائف ، ولا ينبغى التعويل على هذه القراءة » (٤) .

وفى لسان العرب : فجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ (٥) .

والطبرى فى تفسيره جعلها شاذة (٦) .

ثم توالت أقوال العلماء بتلحين نافع ورد قراءته وتضعيفها عبر العصور (٧) .

وبعد : فنافع لم ترو عنه هذه القراءة وحده ، فقد رويت عن الأعرج عن شيخه عبد الرحمن بن هرمز ، وزيد بن على ، والأعمش ، وابن عامر (٨) وكلهم ثقات ، فابن عامر عربى صراح ، وقد أخذ القرآن عن عثمان بن عفان — رضى الله عنه — قبل ظهور اللحن ، وأم المسلمين فى الجامع الأموى سنين كثيرة ، وكان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يأتم به ، وجمع بين الامامة والقضاء ومشيخة الاقراء بدمشق (٩) والأعرج من كبار قراء

---

(١) المنصف ١ ـ ٣٠٨ ـ ٣١٠ ، وانظرمجلة مجمع اللغة العربية جـ ٣٤ ص ١٢٤ .

(٢) المقتضب ١ ـ ١١٢

(٣) اعراب ثلاثين سورة من القرآن ٢٩ .

(٤) البحر ٤ ـ ٢٧١

(٥) لسان العرب مادة «عيش» وانظر العربية بين أمسها وحاضرها د. ابراهيم السامرائى ٧٩ ـ من منشورات وزارة الثقافة بالعراق ـ سلسلة دراسات رقم ١٥٩ سنة ١٩٧٨ م .

(٦) انظر تفسيره ١٢ ـ ٣١٧ .

(٧) انظر شرح الشافية ٣ ـ ١٨٩ ، والمفصل ٣٨٣ ، والكشاف ٢ ـ ٥٤ ، والمثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير ١ ـ ١٥ ت الشيخ / محمد محيى الدين .

ط «١» مصطفى الحلبى ، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ليحيى ابن حمزة العلوى ١ ـ ٢٢ .

ط «١» مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩١٤ م

(٨) البحر ٤ ـ ٢٧١ .

(٩) البحر ٤ ـ ٢٢٩ ، والقواعد النحوية ـ مادتها وطريقها لعبد الحميد حسن ١٦٠ ـ مطبعة العلوم سنة ١٩٤٦ م ، والتيسير فى القراءات السبع للدانى ٥ ـ تصحيح / أوتو برتزل ـ طبعة استانبول، وطبقات القراء لابن الجزرى ١ ـ ٤٢٣ ـ ٤٢٥ نشر / ج . برجستراسر ـ دار الكتب العلمية ببيروت .

التابعين (١)، وزيد بن على من الفصاحة والعلم بالمكان الذى قل أن يدانيه فيه أحد (٢) والأعمش وهو من الضبط والاتقان والحفظ والثقة بمكان (٣) .

أما نافع فهو من القراء السبعة الأعلام، يصفه ابن الجزرى بأنه ثقة صالح صدوق، كما قرأ على سبعين من التابعين، وهم من الفصاحة والضبط والثقة والصدق بالمحل الذى لا يجهل، وفيه يقول أنس بن مالك : قراءة أهل المدينة سنة، قيل له : قراءة نافع، قال نعم، ويصفه قالون بأنه من أطهر الناس خلقا، ومن أحسن الناس قراءة، وكان زاهدا جوادا صلى فى مسجد النبى ﷺ ستين سنة (٤) فهو « من أكابر القراء السبعة قدرا، وأفخمهم شأنا» (٥) وقراءته « أوثق القراءات وأصحها سندا، وأفصحها فى العربية » .

ومع هذا فعلماء النحو قد غلطوا هذا القارىء الثبت نافع بن أبى نعيم فى قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ، على أساس مقاييسهم التى لا يجب أن نثبت أمام هذه القراءة المتواترة، ولذلك يقول أبو حيان : « فوجب قبول مانقلوه الينا، ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة فى مثل هذا » (٦) ولهذا كان موقف الكوفيين غير هذا الموقف الذى وقفه نحاة البصرة، فلذلك تحرج الفراء من أن يدلى بدلوه مع البصريين ويقول بمثل قولهم، ومن أجل هذا نراه يقول : « فربما همزت العرب هذا وشبهه، يتوهمون أنها « فعيلة » لشبهها بوزنها فى اللفظ وعدة الحروف ... وقد همزت العرب « المصائب » وواحدتها « مصيبة » شبهت بـ « فعيلة » لكثرتها فى الكلام »(٧) وقد حكى أبو عمر الجرمى أن ذلك جائز (٨) . ولم تكن هذه الكلمة ـ معائش هى الوحيدة التى همزت وخولف فيها القياس الذى ذكره الصرفيون، فلقد همزت العرب « منائر » و « مزائد » و «مصائب» وقياسها : مناور ومزاود ومصاوب (٩)، وقال ابن السكيت : « ويقال : أصابتهم مصيبة، فالجمع مصاوب ومصائب »(١٠).

وعلى هذا فقراءة نافع لها مثيلاتها، كما أن لها وجها فى العربية ـ الذى ذكره الفراء ـ ونقلت طبقة بعد طبقة من القراء الفصحاء، وهم فى الضبط والتحرى والأمانة بالمكان الذى لايجارى، واذا فـ « معائش » ليست غلطاولا خطأ ولا لحنا، ويلتفت اليها بحيث يكون لها استعمال، لأنه يتبين لنا مما ذكره ابن جنى فى فاتحة « المحتسب » أن ما يدعى من القراءات

---

(١) طبقات القراء ١ ـ ٣٨١، ٢ ـ ٣٣٠ .
(٢) مجلة المجمع جـ ٣٤ ص ١٢٥ .
(٣) مجلة المجمع جـ ٣٤ ص ١٢٥ .
(٤) طبقات القراء ٢ ـ ٣٣٠ ـ ٣٣٤ .
(٥) المثل السائر ١ ـ ١٥
(٦) البحر ٤ ـ ٢٧١ .
(٧) معانى القرآن ١ ـ ٣٧٣ ـ ٣٧٤، وانظر البحر ٤ ـ ٢٧١، ومجلة المجمع جـ ٣٤ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .
(٨) رسالة الملائكة للمعرى ١٧٥ ـ ت/ محمد الجندى ـ ط «١» مطبعة الترقى بدمشق .
(٩) أنظر الخصائص ١ ـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .
(١٠) اصلاح المنطق ١٤٠ ـ ت / شاكر وهارون ـ ط « ٢ » دار المعارف بمصر .

شاذا هو وجه قوى فى القراءة ، وهو جدير بالوقوف عنده والأخذ به ، على أنه معبر عن طريقة فى الأداء لجماعة من الناس ، وأن أصحاب هذه الشواذ من ثقات العلماء (١) ٠

ويقول ابن خالويه الذى سبق ووصف قراءة « معائش » بأنها غلط : « من العرب من يهمز ما لا يهمز تشبيها بما يهمز » (٢) ، كما يقول عن القراء السبعة فى أول كتابه « الحجة فى القراءات السبع » : « وبعد فانى تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة — مكة والمدينة ودمشق والكوفة والبصرة — المعروفين بصحة النقل ، واتقان الحفظ ، المأمونين على تأدية الرواية واللفظ ، فرأيت كلا منهم قد ذهب فى اعراب ما انفرد به من حرف مذهبا من العربية لا يدفع ، وقصد من القياس وجها لا يمنع ، فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية ، غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار » (٣) ٠

يقول ابن حزم فى هجومه على علل النحاة وقياسهم — الذى على أساسه ردت قراءة « معائش » — : « وانما الحق من هذا أن هذا سمع من أهل اللغة الذين يرجع اليهم فى ضبطها ، ومع عدا هذا — مع أنه تحكم فاسد متناقض — فهو أيضا كذب ، لأن قولهم كان الأصل كذا فاستثقل فنقل الى كذا ٠٠٠ شىء يعلمه كل ذى حس أنه كذب لم يكن قط ، ولا كانت العرب عليه مدة ثم انتقلت الى ما سمع منها بعد ذلك (٤) » ٠

فلا يصح الطعن على العربى أو رميه بالخطأ واللحن ، أو تقديم القياس النظرى على المادة اللغوية المسموعة ، وفى هذا يقول ابن ولاد ردا على المبرد : « ان كانت التخطئة لمن قال ذلك من العرب ، فهذا رجل يجعل كلامه فى النحو أصلا وكلام العرب فرعا ، فاستجاز أن يخطئها ان تكلمت بفرع يخالف أصله » ٠ ويقول :

« الذى للغوى أن يفعله أن يمثل ويعتل لما جاء عن العرب ، فاما أن يرده فليس ذلك له (٥) » ٠

وعلى هذا يجب الوقوف عند المادة اللغوية المسموعة عن العرب ولا نغيرها ، كما لا يجوز تصحيح ما لم يرد عن العرب بمقتضى القياس النحوى النظرى ، فهناك من الكلمات ما يصح فى القياس ولكنه لم يسمع ، يقول ابن ولاد : « لا ينظر الى القياس فقط دون ما تتكلم به العرب ، فان العرب يمتنعون من التكلم بالشىء وان كان القياس يوجبه ، ويتكلمون بالشىء وان كان القياس يمنعه » ٠ ويقول : « بسبيل النحويين اتباع كلام العرب اذا كانوا يقصدون الى التكلم بلغتهم ، فاما أن يعملوا قياسا — وان حسن — يؤدى الى غير لغتها فليس ذلك لهم ، وهو غير ما بنوا عليه صناعتهم » (٦) ٠

---

(١) أنظر العربية بين أمسها وحاضرها د/ابراهيم السامرائى ٧٥ — مع مقدمة المحتسب ٠

(٢) اعراب ثلاثين سورة من القرآن ٨٥ — مطبعة دار الكتب سنة ١٩٤١ م ٠

(٣) الحجة ٣٧ — ٣٨ — ط «١» مطبعة دار الشروق — بيروت سنة ١٩٧١ م ٠

(٤) نظرات فى اللغة عند ابن حزم د/ سعيد الافغانى ٤٤ — طبعة بيروت سنة ١٩٦٦ ، وانظر البحث اللغوى عند العرب د/ احمد عمر ١١٤ — مطبعة اطلس — مصر ٠

(٥) البحث اللغوى عند العرب ١١٢ ٠

(٦) نفسه ١١٢ — ١١٣ ٠

مراجعات موسمية في الثقافة الإسلامية

من عاداتنا الطيبة فى شهر رمضان بث الثقافة الاسلامية على نطاق واسع • وقد أتيح لها — وقد تعددت وسائل الاعلام فى حياتنا الحاضرة من صحافة واذاعة مسموعة ومرئية بجانب الوسيلة العتيقة « الكتاب » — أن تصل الى وفرة وافرة فى تناول الافكار والمعلومات الدينية مبسوطة فى موضوعات متعددة وأجناس فنية شائقة ، فهناك القصة والمقالة والقصيدة فى الصحيفة ، والتمثيل والأناشيد والذكريات فى الاذاعة • وكل هذا — لو أحسن القصد والأداء — يعطى مساحة واسعة من الثقافة الاسلامية التى تفيض على قلب الصائم وعقله فيوضا تسبح به فى السموات وتدنيه من الملا الاعلى •

ولقد تابعت — على قدر الطاقة — مانشر وأذيع ، وتلقيت تلك الثقافة مفتوح القلب متيقظ الذهن مفعم الرجاء فى نهضة رائدة ، ووثبة فى تمثل الحقائق الدينية والشريعة الاسلامية من منظور قريب ومسموع واضح •

ولم أتخذ موقف الناقد الراصد أو الخائف على الثقافة أن يدخل فيها ما ليس منها أو يشتط القلم أو اللسان فيعكر صفو الآمال المنشودة فى وسائل الاعلام وما يراد لها من نجاح وفلاح وازدهار • الا حين رأيت الاخطاء تأتى بقصد وغير قصد مما بعث فى نفسى القلق وفى عينى الأرق وحدثتنى فطرة التسامح أن أغض الطرف وأترك الأمر لغيرى أو أقول :

موسم يمر وينقضى وقلت فى نفسى ان السامعين والمشاهدين والقراء قد يقفون على الصواب فيتخذونه مكسبا لهم ، ويعرفون مواطن الخطأ بأنفسهم أو بمخالطيهم فيثقون بمعلوماتهم ، وفى ذلك رضا النفس ، وتأكيد المخزون من الدراسة والقراءة ، وينتهى الامر للثقافة الاسلاميه سيرة وعقيدة وشريعة وثمرة تتمثل فى فصل الخيرات وترك السيئات • ولكن حمل الى البريد رسالة من صديقى الشاعر سيد عبد الرءوف سيد ومن أسيوط يوجه نظرى فيها الى خلل فى بعض ما نشر وأرفق بالرسالة قصاصة من صحيفة بها مقال مثير يتحدث فيه

للأستاذ السيد حسن قرون

كاتبه عن « الحكم الاسلامى » والتوقيع « د. محمد أحمد خلف الله » وقرأت المقال

فحركنى .. ولما كنت لا أعرف الصحيفة التى نشرت راسلت صديقى طالبا منه تعيين تلك

الصحيفة ، فجاءنى رده مصحوبا بتعليق نجله المهندس الزراعى عبد الرءوف سيد ، يقول

فيه : قصاصة دكتور خلف الله ليست من الأهرام ، بل من جريدة الأهالى « حزب

التجمع » وقد نشرت من حوالى شهر « ولم يحدد تاريخ النشر تماما . ويغلب على ظنى

أن النشر كان فى رمضان ، والعنوان العام « دردشة دينية » والعنوان الخاص أو الفرعى

«الاسلام عقيدة وشريعة » والأستاذ سيد وابنه أحسنا بى الظن ورأيانى أهلا للرد وتبيين

الخطأ من الصواب ، ووجدت نفسى مكلفا أن أتتبع ما نشر وما شوهد على السواء فالأمر

ليس مقصورا على الدكتور خلف الله ، فأخذت أجمع ما تبقى عندى من صحف ومجلات وكتب

صدرت فى رمضان تتحدث عن مزايا الصيام

والقيام والصدقات وتعاطف المسلمين .. وزكاة الفطر .

وأول ما نبتدى به مقال الدكتور محمد أحمد خلف الله ، فهو الذى أثار المشكلات ودعانا الى تبادل الرسائل ، وهو كاتب يكتب بطريقة

المتحررين الذين يجعلون الافكار الوافدة رائدة والدكتور محمد أحمد خلف الله غير الدكتور محمد خلف الله أحمد — رحمه الله — فالأول

الذى نحن بصدده — أطال الله بقاءه وجعل الشهرة جزاءه — مجدد . أما المرحوم محمد خلف الله أحمد فهو محافظ مستنير ، أكمل دراسته فى لندن بعد تخرجه فى دار العلوم ورجع بزوجة انجليزية وعقل شرقى مسلم ؛

ودراساته وكتبه تنم عن وعى بثقافته الاسلامية الصافية بجانب بحوثه الأدبية واللغويه ، وكان عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندريه فرعى الطلاب كما رعى شداة الأدب بالاسكندرية

ومنهم الشاعر عبد العليم القبانى . وهذا تنبيه منى حتى لا يختلط اسم باسم واتجاه باتجاه ، فيقع القارىء فى دوامة نحن لا نريدها له . ومن

عجيب أمر الدكتور محمد أحمد خلف الله — أطال الله بقاءه — أنه يفسر القرآن تفسيرا جغرافيا واقتصاديا حسب أى لفظ يقع عليه

من القرآن الكريم ، لأن دوافع التجديد من مطلبها ذلك ، فمنذ وقت ليس ببعيد قرأت له مقالا بمجلة « العربى » سلك فيه هذا المسلك ؛

جعل القرآن يتأثر بالبيئة القرشية ، فالقرآن حين يذكر التجارة انما يتأثر بحال القرشيين فقد كانوا تجارا .. ولا يمكن أن يكون قوله

فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

تعالى من سورة الصف : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » دليلا على سيطرة البيئة فى القرآن الكريم لسبب لايخفى هو أن التجارة أمر طبيعى فى حياة الناس فى المدن والقرى ، وفى السهل والجبل ، وفى البر والبحر وفى البادية والحضر ، ولو طبقنا نظريته على سائر ما جاء فى القرآن لجعلناه فلكيا ، وملاحيا وزراعيا ، وحربيا ، وتاريخيا وهكذا ، ولو فطن لفهم كما فهم الأسلاف أنه صالح لكل زمان ومكان ، وفى عصرنا الحديث اتجه كثير من المستشرقين لتسليط الأضواء على آياته الكونية ليعرفوا مدى مسايرته للعلم الحديث ، وتبعهم بعض المحدثين من المسلمين .. ولكن الدكتور محمد أحمد خلف الله أجدب ولما يمض عليه الا أعوام منذ تحدث عن القصص فى القرآن الكريم ، ولذا اتخذ موقفه التجديدى ليلفت الأنظار اليه .

وأعود الى القصاصة لأقفك على ما فى مقاله من الجدة والطرافة والتطور ، ولا مانع من دق الطبول وتوزيع النشرات الحاملة لاسمه وعمله حتى يعرف العالم العربى والاسلامى أن هناك كاتبا مجددا ، فنريحه من التعب وطلب الشهرة — فماذا قال الدكتور عن « الاسلام عقيدة وشريعة » ؟ خيل اليه أنه مبتكر حين فرق بين مفهوم القدماء ومفهوم المحدثين ، لأن القدماء قالوا : ان الاسلام عقيدة وشريعة « وأقاموا دراستهم الدينية على هذا الاساس ، فدرسوا العقيدة فى كتب التوحيد وعلم الكلام .. ودرسوا الشريعة فى كتب الفقه .. ويمضى

المحدثـون من أصـحاب الجمـاعات الدينية المعاصرة على أن « الاسلام دين ودولة » وافق الكاتب على اتجاه الأقدمين ، وجعل لهم سندا من الكتاب والسنة ولم يوافق عـــلى رأى المحدثين واصطنع المنهج المنطقى ليعطى رأيه سمة من الاقناع المبنى على المقدمات ، لأنه جعل مقولتهم « الاسلام دين ودولة » تحتمـــل الجدل ، وفرع على ذلك « أن كون الاسلام دينا من الأمور التى نص عليها القرآن الكريم » « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » « إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ » وأن كون الاسلام دولة ليس له أساس من القرآن الكريم من حيث ان الدولة فى القرآن الكريم فى شأن تداول المال وتداول الأيام ، ولم ترد أبدا فى غير هذين ، ولم ترد أبدا فى المعنى الذى يراد من الدولة فى أمامنـا هـذه .. » .

ومضى على هذا المنوال ينسـج نسـيج العنكبوت ، فجعل الحكم الذى ورد فى القرآن الكريم يراد به « الحكم القضائى » والرجل حريص على أن يوفى البحث حقه فاعترض على نفســه بأن « الرســول ﷺ كان رئيس الدولة ، وأجـاب بأنه كـان يمارس هـذه السلطة بتفويض من الله باعتباره نبيا ورسولا .

وانتهى الى أن «الدولة نشـأت عنـدما نشأت الخلافة والخلافة اجتهاد بشرى وليس وضعا الهيـا » .

وما دام الكاتب المفكر يريد أن يجـادل فلنجادل ، ولن نحيد عن المبدأ الاسلامى وهو الجدال بالتى هى أحسن ، ولو أنني أكره الجدال وأراه من الاسباب التى فرقت بين المسلمين وقد نهى القرآن عنه الا أنى مساير المثل « مكره أخاك لابطل » وقد اعترف الكاتب بأن الاسلام دين وأيد رأيه بآيتين من القرآن الكريم فما مصير هذا الدين بعد غياب من جاء به ؟ وأعتقد أن الكاتب لا يخالفنى فى بقـــائه مادامت السموات والأرض ودليلى ودليلنا قوله تعالى :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » لأن القرآن يحوى منهج الدين وما فائدة بقـاء القرآن ان لم يعمل بمنهجه ؟ ان الدستور الذى يضعه البشر لا قيمة له ان لم يكن مصـدر القوانين التى تنفذ وتنظم الحياة بين الحـاكم والمحكوم ، أيراد من القرآن أن يكون موقوفا على تلاوته فى سرادقات المآتم والتبرك به فى المحافل ؟ واذا قبل الكاتب أن يكون الاسلام شريعة بجانب أنه دين فما موقف الشريعة من الحكم ؟ أنجعل الشريعة مقصورة على الحكم القضائى فقط ؟ واذا امتنع من حكم عليه عن تنفيذ ما أدين به فمن الذى يلزمه بالتنفيذ ؟

اتفقنا على أن الاسلام عقيدة فمن الـذى يدافع عن العقيدة ، واتفقنا على أن الحـكم القضائى هو المراد من الآيات القرآنية فمن ينفذ أحكام القضاء ؟ اذن لابد من شرطة ورجال جيش ، وكيف يتم ذلك ان لم يكن لهما رئيس عـام ؟

ومادامت الشريعة وأحكامها لاتنفذ الا برجال نسميهم الحكومة ، فالدين الاسلامى « ديـن ودولة » .

ولقد غالطنا الكاتب مغالطة محسوبة ، لأنه قصر معنى الدولة — كما جاءت فى القرآن الكريم على « تداول المال وتداول الايام » ولكن اللغة تكشف المخادعة وتظهر الحقيقة وتضع الأمر فى نصابه ، فماذا تقول كتب اللغة ؟ ان أصغر معجم مثل « مختار الصحاح » يورد المادة » دول « وفى أولها » الدولة « ويوضح المعنى : الدولة فى الحرب أن تدال احدى الفئتين على الأخرى يقال : كانت لنا عليهم الدولة بفتح الدال والجمع الدول بكسر الدال والدولة بضم الدال فى المال يقال : صار الفىء دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا ،

والجمع دولات ودول ، ويقول عمرو بن العلاء الدولة بضم الدال اسم الشىء الذى يتداول به بعينه ، والدولة بالفتح الفعل ، وبعضهم أراحنا فقال : هما لغتان بمعنى واحد • والادالة الغلبة • هكذا فى كتب اللغة فما تقول كتب

التفسير ؟ قال تعالى : « إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ » (١٤٠ من سورة آل عمران) •

يقول الزمخشرى فى تفسير « وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ » بعد اعرابها : المراد بالايام

أوقات الظفر والغلبة ، نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله

وهو من أبيات الكتاب :

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر •

ومن أمثال العرب « الحرب سجال » والآية نزلت فى موقعة أحد فهى تتحدث عن هزيمة المسلمين وجراحاتهم ومن ثم يقول ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم فى معنى هذا التداول « أى نديل عليكم الاعداء تارة وان كانت لكم العاقبة لما لنا فى ذلك من الحكمة » ومامعنى لكم العاقبة ؟ معناها الغلبة والانتصار وتثبيت أسس الدولة الناشئة • وقد جاءت كلمة « الدولة » فى شعر دريد بن الصمة حين تحدث عن حياة قبيلته وانها فى حرب مستمرة فيها النصر وفيها الهزيمة « منايانا ودولة آخرينا » واللغة كائن اجتماعى تأخذ مسيرتها فى تطور الأحداث والأعراف ، فقصر استعمالها على تداول المال وتداول الايام خداع للقراء وتمويه على القائلين بأن الاسلام دين ودولة • وقد جاءت العبارة فى القرآن عامة كأنها المثل الذى يضرب لكل شبيه •

ومن المغالطات المتعمدة قوله ان الدولة نشأت حين نشأت الخلافة ، ولو قرأت السيرة النبوية بوعى ثاقب والتاريخ الاسلامى بروح محايد لرأيت معالم الدولة الاسلامية واضحة على عهد النبوة ، فبعد فتح مكة سنة ثمان من الهجرة بدت تلك المعالم فقد دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وكان أن أصدر النبى قراره بتولية « عتاب بن أسيد الأموى » واليا على مكة ، وفى عام الوفود سنة تسع من الهجرة أرسل النبى — صلى الله عليه وسلم — ولاته على حواضر الدولة مثل اليمن وحضرموت ونجد ودومة الجندل ، وبم حكم هؤلاء الولاة ؟

أكانوا قضاة فقط ؟ لقد كان بجانب الولاة قضاة وسعاة لجمع أموال الزكاة ودعاة ينشرون الدين ويعلمون الناس الفرائض والسنن ويقرئونهم القرآن ، فالدولة اذن كانت قائمة حين تولى الخلفاء أمرها ، ومصطلح الخلافة والخليفة ليس من ابتكار الصحابة ولا من تولى الخلافة منهم ، انما القرآن الكريم خاطب الرسول وخاطبهم معه فى قوله تعالى :

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (٥٥ سورة النور) وقد تحقق لهم هذا الوعد بالاسس التى قررتها تلك الآية الكريمة بأنهم مؤمنون صادقو الايمان وموحدون لا يعرف الشرك سبيلا الى قلوبهم ومعترفون بنعمة الله عليهم يترجمونها اخلاصا فى أداء العبادات وحسن التعامل وتجنب للمعاصى وما يغضب الله . قال علماؤنا من السلف الصالح أول من كفر هذه النعمة قتلة عثمان رضى الله عنه ، اقتتلوا بعد ما كانوا اخوانا زال عنهم الخوف . قالوا : والآية دليل على صحة خلافة الخلفاء الراشدين . لأن المستضعفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم رضى الله عنهم .

ولمعرفتهم بأوامر الله ونواهيه وطاعتهم لله ورسوله قالوا وقد اختاروا أبا بكر رضى الله عنه خليفة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : أرتضاه رسول الله لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ؟ وليس الدين هو الصلاة فحسب ، وهى المأمور بقيام أبى بكر بها آن مرض الرسول بل رمز للتقوى وعماد الدين . وليس المقصود بدنياهم أنه يأتى بتشريع من عنده يوافق الدنيا دون — الدين .

وقد تحصل لنا بهذا ثلاثة مفاهيم للحكم الاسلامى : — الاسلام دين وشريعة ، الاسلام دين ودولة . الاسلام دين ودنيا ، والمعنى واحد فكلها مسميات لشأن الاسلام الذى جاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور .

والدكتور محمد أحمد خلف الله من «الامناء» نسبة للشيخ أمين الخولى رحمه الله وكان عليه أن يتبع منهجه فى التجديد ، فيسمى الاشياء بأسمائها لأن الشيخ أمين الخولى فى مقاله « الدين والحياة » — نشر بمجلة العربى سنة ١٩٥٨ وأعيد نشره فى أغسطس ١٩٨٤ — يذكر أن « من خصائص الاسلام تقدير تجدد الحياة المستمر وهو ما نجده واضحا فى مثل لفت الرسول — صلى الله عليه وسلم — لمن كان يوليهم الحكم على الجهات النائية عن الحجاز بعد ماتكون المجتمع الاسلامى . اذ كان يسألهم كيف يتصرفون فيما لا يجدونه مما تعلموه من شريعته . حتى يجيبوا بأنهم سيأخذون بفهمهم الحلول مما عرفوه ، وكذلك كان يفعل الذين خلفوه فى الدولة » .

وهذا كلام لا يحتاج الى بيان ، الدولة قامت فى عهد الرسول ووجه أصحابه للحكم والتصرف فى الأحكام بالرأى فى ضوء ما تعلموه من شريعته

لكن الدكتور يكتب وعينه تنظر الى ماتقوله أوربة من فصل الدين عن الدولة ، وهذا تطبيق لا نرى له وجها الى النظام الاسلامى ، ولذلك أرى أن الجدال فى الحكم الاسلامى بتلك المقولات لا يأتى بفائدة ، ولا ينتظم المسلمين فى قوانين موحدة ، انما يجمعهم الرجوع الى الشريعة الاسلامية منبيين الى قوله تعالى من سورة الحشر : « **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** » فلا يخاف الدكتور من تطبيق الشريعة الاسلامية فهى لا تقطع يد سارق الافكار المستوردة ، وينبغى أن يمتنع عن كل ما يوجب الخلاف فكفى المسلمين ماهم فيه وله مندوحة فى طرائق التفكير التى تدنيه من الناس ولا تبعده عنهم والدين النصيحة وقد فعلت .

(ب)

وقد قرأت فى ٢٣ من رمضان ١٤٠٤ هـ مقالا فى الأهرام للاستاذ محمد كمال الدين مراقب البرامج الدينية بالتليفزيون تحت عنوان « بين الزكاة والصدقة » ولقد راجعت المقال أكثر من مرة واتهمت ذهنى بالكلال ، وأخيرا عرفت أن الكاتب فى حاجة الى دراسة الفقه الاسلامى ولا سيما الزكاة ، وتذكرت الدكتور على محمد حسن العمارى ، فقد قرأت له مقالا وأظنه فى رمضان منذ نيف وعشرين سنة يقرر فيه أن الناس يفتون فى أمرين خطيرين : الدين والطب فما ان تعرض مسألة دينية ولو كانت موضع خلاف العلماء حتى تجد من يتطوع للافتاء وهو لم يعرف أسماء كتب الفقه ، وكذلك اذا شكا أحد الناس من علة وجد عند من حضره وصف الداء وتقديم الدواء . وقارىء مقال « بين الزكاة والصدقة » قد لايهمه أن يعرف الفرق بين زكاة الفطر وزكاة المال ولكن جمهورا كبيرا يحب الثقافة الاسلامية ويود فى معطياتها ، وكنت أود أن يهم بالعظات والثواب من أخراج زكاة الفطر ولا يتعرض للاحكام حتى يتجنب الزلل ولكنه أبى الا أن يميز بين الاشياء ، فبعد أن ذكر تاريخ فرض الزكاة ونوه بها فى الاسلام والديانات السابقة قال : وهناك فرق بين الزكاة وسائر الصدقات الاخرى ، فالزكاة لها وقت معلوم فى شهر رمضان وقبل صلاة عيد الفطر ولها كم معلوم من مال أو ثمار يخرجه رب الأسرة عن كل فرد فى أسرته بمقدار قد يصل فى زماننا الى جنيه عن كل فرد وهذا الكلام خاص بزكاة الفطر ولاشك فى أنها صدقة فرضها النبى — صلى الله عليه وسلم — طهرة للصائم وليست هى الزكاة المفروضة من الله والتى هى ركن من أركان الاسلام الخمسة ، والكاتب جعلها الزكاة فى الاسلام (ووقتها رمضان ، وأنا لا أتجنى عليه فهو جعل فى مقابلها الصدقة فقال : والصدقة كالزكاة طهرة للمرء يقول تعالى فى كتابه الكريم : « **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** » (١٠٣ سورة التوبة) .

وهذه الاية نزلت فى شأن «زكاة المال وزكاة المال هى الركن الثالث من أركان الاسلام وليس وقتها رمضان ، بل لكل نوع من الزرع والنعم والعين وعروض التجارة وقت تحدد كتب الفقه ، وما ذكره الكاتب من الزرع والث

فالله يقول : « وآتوا حقه يوم حصاده » وليس من اللازم أن يكون فى رمضان ، وأنا لا أستطيع هنا أن أفصل ما جاء فى كتب الفقه فى هذا المقال فهذا يحتاج الى كتاب، ولكنى أشير الى أن زكاة الفطر أو صدقة الفطر من سنة النبى صلى الله عليه وسلم ، أما زكاة المال فهى تشريع الله عز وجل .

ولو راجع حروب الردة فى اوائل حكم أبى بكر رضى الله عنه لعرف ماجرى بين الخليفة ومانعى الزكاة فهو يعلن :

والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لقاتلتهم على منعها « والعناق أنثى المعز التى لم تبلغ سنة » .

ومانعو الزكاة يقولون : لسنا ندفع زكاتنا الا الى من صلاته سكن لنا — يعنون النبى محمدا — صلى الله عليه وسلم — ، فهم لا يدفعونها لابى بكر . ويقول العقاد فى « عبقرية الصديق » أبوا أن يدفعوها وان علموا ان دفعها فريضة من فرائض الدين فهم لم ينكروا الفريضة ولكنهم — أنكروا الجباة . من فصل (اسلامه) .

فاطلاق هذه الآية على الصدقة بمعنى التبرع عدول عن الفهم الصحيح ، وخلط الامر بين زكاة الفطر وزكاة المال يوقع فى الحرج ، فالمسلمون المالكو النصاب يخرجون الزكاة عن أموالهم من أى نوع من الانواع التى عينها الشرع ، أما زكاة الفطر فالواجب فيها صاع من القمح أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الاقط أو الأرز أو الذرة أو نحو ذلك مما يعتبر قوتا ، وقد اختلف فى تحديد وقتها فجوز جمهور العلماء تعجيل صدقة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين وأرجو الرجوع الى كتب الفقه ففيها الشفاء لكل من أراد التبحر فى فهم الاحكام .

(جـ)

وفى مجلة الازهر لنا موقف ، فقد جاء فى عدد شوال ١٤٠٤ هـ مقال للدكتور محمد محمود شعبان بعنوان « الأمانه سر الفلاح » وهو مقال يقرأ لثمرته وفائدته ، ووجدت من الأمانة « أن أشير الى خطأ غير متعمد وقع فيه فضيلة الدكتور ، تحدث عن أمانات الناس المعروفة واستشهد بقوله تعالى » : « **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** » (النساء ٥٨) وعلق على ذلك بقوله : « وذلك لما أخذ النبى — صلى الله عليه وسلم — مفتاح الكعبة من عثمان بن مظعون وأراد العباس عم النبى ﷺ أن يأخذه ليضم الى نفسه « سدانة الكعبة » مع « سقاية الحاج » فنزلت الآية الكريمة فسلم النبى — صلى الله عليه وسلم — المفتاح الى عثمان فكان ذلك سببا فى اسلامه « وقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — « خذوها يا بنى طلحة بأمانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم » فهى فى ذريته حتى اليوم .

واضطراب الخبر وتغيير اسم صاحب المفتاح جعل المعنى المراد غريبا على الذهن ، ينتظر الثقافة والتصحيح ، وصديقى من أهدى الى عيوبى فلا يغض هذا التصحيح من فضيلة الدكتور ، ومعرفة الانساب والشخصيات هنا لازمة .

◄

وأبادر فأنفى أن يكون عثمان بن مظعون من سدنة الكعبة ، وأنفى تأخر اسلامه فهو من السابقين والمهاجرين الى الحبشة ثم المدينة وتوفى بعد ثلاثين شهرا من هجرته الى المدينة بعد أن حضر غزوة بدر ، وكان أول من دفن فى البقيع ، فلم يعش رضى الله عنه حتى يرى فتح مكة وهو من « بنى جمح » ويجتمع مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى « كعب ابن لؤى » .

أما عثمان صاحب المفتاح فهو من « بنى عبد الدار » وعبد الدار بن قصى كانت له وظائف أبيه قصى كلها من سدانة ولواء وسقاية الحاج والرفادة ودار الندوة فنازع أبناءه أبناء أخيه عبد مناف ثم استقرت الاوضاع على أن تكون دار الندوة وسدانة البيت واللواء لبنى عبد الدار ولبنى عبد مناف الرفادة وسقاية الحاج وتولى ذلك هاشم بن عبد مناف ، وفى زمن النبوة آلت سقاية الحاج الى العباس بن عبد المطلب بعد أن عجزت أموال أبى طالب أخيه عن الوفاء بنفقاتها فتركها للعباس لثرائه .

ولا مانع من ذكر الخبر كما أورده ابن اسحاق ورواه عنه ابن هشام فى السيرة النبوية

وفيها من الرواة احدى نساء بنى شيبة من بنى عبد الدار .

قال ابن اسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر ابن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن ثور عن صفية بنت شيبة « من بنى عبد الدار » أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما نزل مكة واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت « الكعبة » فطاف سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده فلما قضى طوافه دعا « عثمان بن طلحة » فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد بها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها .. ثم وقف على باب الكعبة ، وخطب خطبته المشهورة التى منها :

« ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج .. » « يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » . ثم جلس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فقام اليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده فقال : يارسول الله ـ صلى الله عليك ـ أجمع لنا الحجابة « السدانة » مع السقاية ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له فقال: هاك مفتاحك يا عثمان « اليوم يوم بر ووفاء » .

وأنا لا أزيف الرواية التى وضع فيها العباس مكان على ، ولكنى أعتمد على رواية ابن هشام لثقتى بروايته ورواية ابن اسحاق وماتناولته فى هذا المقال من حديث عن الاسلام دين وشريعة وعن الفرق بين زكاة الفطر وزكاة المال وتحرير الخبر فى شأن عثمان بن طلحة المراد من كل ذلك مراجعات أرجو أن تكون قد وضحت المبهم ووضعت الامور فى نصابها . والله الموفق .

السيد حسن قرون

الإسلام
الأمس والغد

تأليف
محمد أركون – لوى غارديه

ترجمة : على المقلد
عرض وتعليق : أ. د. طه مصطفى أبوكريشة

— ١ —

(الاسلام : الأمس والغد عنوان) الترجمة العربية لكتاب اشترك فى تأليفه باللغة الفرنسية كل من : محمد أركون والمستشرق الفرنسى لوى غارديه .

ويقوم الكتاب على ثلاثة أقسام رئيسية هى : التاريخ – الفكر – الحياة ، واحتوت الأقسام فى عرض موضوعاتها على ثلاثة عشر فصلا يليها ملحق فى نهاية الكتاب .

وجاء القسم الخاص بالتاريخ فى خمسة فصول :

الأول : عن الاسلام وأمة النبى ﷺ .

والثانى : عن التنوع ضمن الوحدة .

والثالث : عن الاسلام وقيمه الدينية .

والرابع : عن معالم فى خدمه التاريخ فى العهد الكلاسيكى .

والخامس : عن هذه المعالم فى عصور الانحطاط والتجديد والبعث . وتولى كتابة هذا القسم المستشرق لوى غارديه .

وجاء القسم الثانى الخاص بالفكر فى أربعة فصول ، من الفصل السادس الى الفصل التاسع ، وعالجت الموضوعات الآتية على الترتيب : كيف الكلام عن الاسلام – مفهوم الاسلام – اسلام الأمس واليوم – الاسلام فى مسيرة التنمية ... وهذا القسم بقلم محمد أركون .

أما القسم الثالث الخاص بالحياة فقد جاء فى أربعة فصول ، من الفصل العاشر الى الفصل

الثالث عشر ، وتناولت هذه الموضوعات : المسلمون فى العالم ــ الهوية الاسلامية ــ الدين والمجتمع والتاريخ ــ الكلى المجرد والكلية العيانية ، وكتب هذا القسم محمد أركون أيضا .

ثم جاء عقب هذا القسم ملحق بقلم لوى غارديه ، وبه ينتهى الكتاب .

وقد صدر النص الأصلى لهذا الكتاب باللغة الفرنسية ، وقامت دار التنوير ببيروت بنشر ترجمته الى العربية فى هذه الطبعة التى بين أيدينا سنة ١٩٨٣م .

ــ ٢ ــ

وتحت عنوان « التاريخ » حضور الاسلام منذ البدايات الى عصرنا الحاضر يأتى الحديث عن القسم الأول فى هذا الكتاب .

(أ) وفى الفصل الأول منه يتحدث المؤلف تحت عنوان : الاسلام وأمة النبى ﷺ عن مجموعة من النقاط الجزئية هى :

*** الرسالة المزدوجة للاسلام** : وفى هذا يبين أن للاسلام رسالة دينية تقوم على توحيد الله تعالى ، ونبذ عبادة الأوثان ، ومحاربتها فى كل محاولة للشرك بالله .

وله أيضا رسالة أممية جماعية ، ويعنى بذلك أن للاسلام رسالة فى الحياة الاجتماعية ، حيث يتولى اقامة هذه الحياة فى ضوء الدعوة الى الوحدانية الالهية (٨) .

*** أسس فلسفة سياسية واجتماعية** : وفى هذا يبين مبادىء الاسلام فى الجانب السياسى وفى الجانب الاجتماعى ، وفيما يتصل بالسياسة يذكر المؤلف أن المبادىء القرآنية الآمرة بفلسفة سياسية معينة قليلة عددا ومختصرة ، ويذكر من ذلك ماورد فى سورة النساء فيما يتعلق باطاعة الرسول وأولى الأمر فى الآية رقم ٥٩ « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** » والآية ٨٠ « **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ** » .وكذلك يشير الى ما ورد فى سورة آل عمران فيما يتصل بمبدأ الشورى فى الآية ١٥٩ « **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** »

أما الجانب الاجتماعى فى الحياة الاسلامية فان المؤلف يشير الى أن القرآن الكريم أفاض فى هذا الجانب أكثر من الجانب السياسى ، ثم يذكر من المبادىء الخاصة بالتعامل بعض الأمثلة التى منها : الزواج والأسرة ، أوضاع المرأة ، الارث والوصية ، ولاية الفقراء والأيتام الشهادة أمام القاضى ، الوظيفة الاجتماعية للملكية الفردية ، تحريم كل أنواع الربا ..الخ ثم يشير المؤلف الى أن الأحاديث النبوية فى هذا المجال كثيرة ، وهى توضح تطبيق المعانى القرآنية (٩) .

وينتقل المؤلف بعد ذلك الى بيان تعاليم القرآن ، ويذكر أنها تشمل مجالات أربعة : **الأول منها** : خاص بالعقائد الثابتة وهى

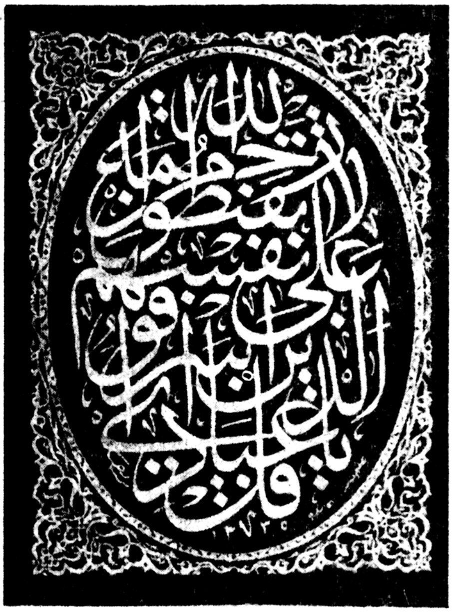
خمسة : الايمان بالله الواحد الأحد ، والايمان برسالة الأنبياء وكتبهم ، والايمـان بالملائكة ، والايمان بالبعث ، والايمان بقضاء الله وقدره •

والمجال الثانى : خاص بالعبادات المتمثلة فى الصلاة وصوم شهر رمضان ، والزكاة ، والحج وهنـا يذكر أنه الى جـانب هـذه الفرائض الفردية توجد واجبات أو فرائض اجتماعية ، مثل الجهاد فى سبيل الله لكى تسـود عـلى الأرض تعاليم القرآن ، ومن أجل الدفاع عن الأمة عندما تهاجم •

والمجال الثالث : خاص بالقواعد الأخلاقية: وهى قواعد ثابتة فى أساسها ، وقـد تخضـع للضرورات عند تطبيقها ، فالقتل محرم ، لكنه ليس كذلك فى الحرب العادلة أو فى حالة الدفاع المشروع عن النفس •

أما المجال الرابع : فهو مجال المعامـلات :

والقرآن الكريم يضع أساسها الثابت ويحـدد تطبيقها ، وتطبيق الشريعـة منوط بالعلمـاء أو الفقهـاء ، وعليهم فى كل عصر اسـتنباط الأحكام التى تحل المشكلات العارضة فى ضوء تعاليم القرآن ، وهذا هو الاجتهاد ، ثم يشير المؤلف الى أنه فى هذا المجـال نجد أن القرآن والسنة والقياس والاجماع هى أسس مصادر الحق (١٠) وكذلك يشـير الى أن المـدارس الفقهية المشهورة أربعة ، وهى تمثل مذاهب أهل السنة ، هذا الى جانب مدارس أخرى تمثـل الأقليات مثل المدارس الشيعية والخوارجية ، وهى كلها مدارس يحكمها اطار واحـد هـو



« المؤمنون اخوة »— وهو نفس الاطار الذى يحكم المسلمين مهمـا اختلفت أجناسـهم ومواطنهـم وطبقـاتهم وثقافاتهم ولغاتهم ومصائرهم التاريخية (١٢)

خطر الفتنة والشر الذى يجب تفاديه : وهنا يذكر أنه اذا كان المبدأ العام الذى يجمع بين المسلمين هو مبدأ الاخوة المشار اليه ، فـان النزاعات والحروب الدامية التى قامت بين المسلمين هى أشد البلايا وأعنف الفتن التـى صبت على الأمة الاسـلامية ، فالفتنة الكبرى هى الفتنة التى تمزق الامة ، ومن واجب أولى الأمر تفادى الفتنة ، واذا بدأت الأزمة فعليهم المسارعة الى اخمادها ، ومثل هذا ليس ممكنا الا اذا جهد المسـلمون فى علاقاتهم الشخصية بالسعى اليه دائما وباصرار ، ان « السلام »

من أسماء الله الحسنى ، وهو تحية الاسلام ، ومطلوب من المؤمن الحق أن يسالم اخوانه ، وأن يكون فى سلم مع نفسه •

وفى مجال سلام المسلم مع اخوانه ، يتعرض المؤلف لكثير من الجوانب التى نهى عنها الاسلام بحسبانها رذائل تؤدى الى تفريق المسلمين ، والى تقويض العلاقات الاخوية فيما بينهم ، ومن ذلك الغيبة والنميمة وقولة السوء والفرية والتجسس ، ويقدم من الآيات القرآنية قول الله تعالى :

« وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » الحجرات ١٢ •

وفى مجال سلام المسلم مع نفسه ، فان على المسلم أن ينظر الى نفسه على أنه عبد الله ، وعليه أن يحارب الرذائل النفسية مثل البغى والتكبر والحسد ، وهذه المحاربة هى الجهاد الأكبر ، وما الحرب الا الجهاد الأصغر ، ذلك لان الالتزام بأوامر القرآن يتطلب مجهودا مستمرا ودائما ، ولكن هذا المجهود وحده هو الذى يقيم حدود الله وحقوق الناس على الأرض ، وبهذا تؤدى أمة (محمد — ﷺ — رسالتها بأمانة •

حقبة الهجرة وسنوات المدينة ، وفى هذا المجال يتعرض المؤلف فى ايجاز سريع لمجموعة من أحداث الاسلام فى صدره الأول مثل الهجرة من مكة الى المدينة ، وكيف كانت مبدأ التاريخ للتقويم الاسلامى •

ومثل المؤاخاة بين المسلمين فى المدينة ، وسياسة النبى — ﷺ — مع اليهود •

ومثل غزواته ضد المشركين •

ومثل اتخاذ بيت المقدس قبلة للصلاة ، ثم تحويل القبلة بعد ذلك الى الكعبة •

ويتعرض المؤلف الى سياسة الاسلام نحو اليهود والنصارى ، ويذكر أن القرآن الكريم يشير الى موسى (عليه السلام) بأنه كليم الله والى عيسى (عليه السلام) بأنه المسيح وكلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه وقد ولد من غير أب كآدم ، وهو ليس ابن الله ولا الله ، بل عبده ، واليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه ، بل شبه لهم ، وهو لم يمت بل رفعه الله اليه ، لكن مع هذا فان اليهود والنصارى رفضوا تقبل الرسالة القرآنية •

ويورد المؤلف فيما يتصل بهذه العلاقة قول الله تعالى :

« لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » المائدة ٨٢ •

ويعقب على ذلك بأن القرآن كان قاسياً فى حق اليهود ، بينما لم يكن كذلك فى حق النصارى (١٦) ومن جانبنا لانجد مسوغا للتعقيب بالقسوة وعدمها فى مجال يصف فيه القرآن الواقع لهؤلاء وهؤلاء ، ان القسوة توجد اذا كان هناك افتئات والصاق لأمر غير موجود بالفعل أما والأمر على خلاف ذلك ، فان

ذكر الواقع حينئذ يكون هو الانصاف بعينه ، وان كان انصافا لايرفع لليهود مقاما فى نظر القرآن !!

ويختم المؤلف هذه الفقرة بأن الهجرة أدت الى وحدة المهاجرين والأنصار ، وأن رابط الايمان الدينى حل محل روابط الدم ، الذى كان سائدا فى الجاهلية قديما .

المثال المحدد الواقع وراء التاريخ : ويعنى المؤلف بذلك الصورة التى ستكون عليها أمة الاسلام فى الأرض ، وهو يرى أن الاسلام ينظر الى ذلك نظرة مثالية ، ويكون أمام المسلم المثل الأعلى الذى ينشده ، ويحاول الوصول اليه دائما ، ويعمل مخلصا على أن يجسده فى حياته الجماعية والاجتماعية والشخصية والعلائقية .

والأمة الاسلامية فى مجموعها عبر الصعود والهبوط ، لم تتخل عن النزوع نحو هذا المثال المحدد باستمرار ، ويظل الماضى فى نظرها ضمانا للمستقبل ، وهذا الماضى يتمثل بالذات فى مرحلة دولة المدينة ، وخصوصا عصر النبى — ﷺ — من الهجرة الى وفاته ، فهذه الفترة تعد فى نظر المسلمين مصباحا ينير الطريق ، ونقطة ارتكاز أو مرجع ، يمكن أن يلبى احتياجات الساعة . والتباعد الذى نراه بين هذا المثل الأعلى المحدد وبين الواقع المعاش هو الذى يعطى قيمة كبيرة لفكرة الاصلاح التى يقوم بها المصلحون بين الحين والحين (١٨) .

الولاء المزدوج : ويقصد المؤلف من ازدواج الولاء ، أن الأمة الاسلامية فى مجملها ، ورغم اختلافاتها الداخلية ، عرفت كيف تحتفظ بولاء مزدوج .

أولهما : الولاء للقرآن الكريم ، فالقرآن الكريم هو معجزة الاسلام .

« قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » .

الاسراء ٨٨ .

وهو يحمل فى ذاته آية اعجازه وهو موضع تبجيل وتمجيد عظيمين ، وسوف يظل احترامه حيا وعميقا ، ومع حفظه يظل مقروءا ومسموعا ومرتلا .

وقد جانب المؤلف التوفيق هنا حين خلط بين نظرة المسلمين الى السنة بوصفها المصدر الثانى فى التشريع الى جانب القرآن الكريم ، وبين نظرتهم الى النبى — ﷺ — وتوقيرهم له التوقير الذى يليق به بوصفه خاتم الانبياء والمرسلين ، فالولاء الذى أشار اليه المؤلف ليس هو الولاء الذى يعرفه المسلمون فقد ذكر أن الولاء الثانى هو ولاء المسلمين لشخص النبى — ﷺ — ولآل بيته ، ولكن لانظن أحدا من المسلمين يفصل بين النبى — ﷺ — وبين السنة التى تركها لتكون مصدر الهدى بعد القرآن الكريم . (٢٠) .

(ب) وتحت عنوان (التنوع ضمن الوحدة : العائلات الروحية) يأتى الحديث عن الفصل الثانى من هذا القسم ، وفيه يتناول المؤلف عدة نقاط هى :

بدايات التصدع : تحت هذا العنوان يتحدث المؤلف عن المذاهب والطوائف التى

تمثل الاتجاهات المذهبية والسياسية للمسلمين وقد وقع المؤلف فى خطأ هنا حين ذكر أن « الاسلام الواحد بكتابه المقدس وبمعتقداته الاساسية انقسم الى عدة مدارس أو طوائف روحية » ذلك لأن الطوائف والمذاهب لم تكن تقسيما للاسلام ، بحيث ترى اسلاما هنا واسلاما هناك ، وانما الأنسب للواقع أن تعد هذه التقسيمات سمات للمسلمين الذين كان لهم فكر أو اتجاه مذهبى أو سياسى معين فالقرآن الكريم لم ينقسم ، والمعتقدات الأساسية ثابتة ثبات مصدرها واذن فلا مجال لتوحيد الحديث عن الاسلام والمسلمين فى آن واحد ، فالمسلمون ليسوا دائما عنوانا مطابقا لجوهر الاسلام ، والنظرة المنصفة هى تلك التى تنظر الى المسلمين فى اطار اقترابهم من هذا الجوهر أو ابتعادهم عنه ، وليست تلك التى تنظر الى الاسلام من واقع رؤاها المتعددة للمسلمين فى كل زمان ومكان ، فذلك هو الخطر الحقيقى الذى يشوه جوهر الاسلام حين تقع العين على طائفة بعيدة كل البعد عن التطبيق الحق لما جاء به الاسلام •

الفرق : يتحدث المؤلف هنا عن نشأة الفرق بين المسلمين ، وفى مقدمة ذلك يتحدث عن أهل السنة والشيعة ، وعن محاولات التوفيق بينهما ، كذلك يؤرخ للخوارج ودعوتهم وفى مجال الحديث عن أهل السنة يسجل أنهم يشكلون الأكثرية المتزايدة عبر العصور ، وهم الاكثر تمثيلا للافكار الغالبة فى الاسلام ، وهم أيضا الاكثر احتراما للواقع والأحداث ، اذ جهد الفقهاء والعلماء السنيون فى تكييف المبادىء مع مقتضيات الزمان والمكان •

وفى حديث المؤلف عن الشيعة يتناول العقيدة الشيعية حول الامامة وحول محبة الأئمة ، ويعرض للفرق المتعددة التى تنضوى تحت المذهب الشيعى وفى مقدمتها الاماميون الذين يمثلون الاكثرية داخل الشيعة ، أما حديثه عن الخوارج فيتناول دعوتهم المتشددة ويذكر المراحل التى مرت بها هذه الدعوة والتى تتلخص فى مسلك العلانية ومسلك الدفاع ومسلك التضحية ومسلك التستر ، وهذا المسلك الاخير يعنى أنه يجب على من يذهب مذهبهم أن يخفى انتماءه للاسلام ، اذا كان يعيش ضمن المسلمين الذين ينحرفون عن العقيدة الحقة ، والمنتمون الى هذا المذهب عليهم أن يتكتلوا ضمن جماعات صغيرة مستقلة بدون امام ولا خطبة جمعة ، لان خطبة الجمعة حيث يجب ذكر الخليفة أو الامام الحاكم لها فى الاسلام معنى سياسى (٢٦ — ٣٤) •

السنة وروح الاصلاح :

وفى هذا يذكر المؤلف أنه باسم الاصلاح الضرورى ، ومن أجل العودة الى مبادىء الاسلام الأساسية والعيش فيها ، حصلت داخل الدولة الاسلامية انقلابات على الحكم ، وتغييرات كثيرة فى الأسر المالكة ، كما حصلت حركات تجديدية كثيرة ، ويشير فى هذا الصدد الى حركة المرابطين فى القرن الخامس الهجرى والى الحركة الوهابية فى العصر الحديث ، التى كان لها تأثير ملحوظ على الحركة الاصلاحية العربية المعاصرة ، ويذكر المؤلف ان

ذلك كله قد حصل داخل السنة نفسها ، ودون أن تتفسخ وحدتها المرنة ، وكانت المناداة بالعودة الى الينابيع ضمن التأكيد على المناداة بالله الواحد الأحد دون هوادة أو مهادنة من أى نوع ومع الانقياد لحرفية الكتاب المطلقة (٣٥ ــ ٣٨) .

وفى تفسير عبارة « التنوع ضمن الوحدة » يذكر المؤلف فى نهاية هذا الفصل أن التنوع حدث مع وجود أساس موحد للجميع ، وفى ذلك يقول ان كل فرقة فى جميع الأحوال تشارك وفقا لأسلوبها فى تكوين أمة النبى ﷺ .... هذه الوحدة الأعمق من كافة التنوعات ، نجدها ونجد رمزها واشارتها فى الحج الى مكة ، حيث يشترك كل سنة مسلمون من كل جنس وعرق ومن كل البلاد ، ومن كل النزعات السياسية أو الدينية ، ويرتدى الحجيج جميعهم نفس قطعة القماش الأبيض غير المخاطة (لباس الاحرام) غنيهم وفقيرهم ، رئيس الدولة والشحاذ السنى والخارجى والشيعى ، يطلقون نفس الأدعية والتلبيات ، والاستسلام لله ... ان الحج يوحى باحساس قوى بالتماسك وبالوحدة » (٤٠) .

ثم يذكر المؤلف ملحقا يبين فيه أن هناك فرقا هامشية يكفرها الفقهاء وعلماء الدين فى الأمة الاسلامية ، وهى فرق تعنى التفرقة بكل معانيها الذميمة ، ومن هذه الفرق الفرقة اليزيدية التى تؤمن بالثنائية المانوية والمزدكية وهم يشكلون احدى طوائف الأقليات فى العراق ومنها البابية والبهائية والقاديانية ، فهذه الفرق منها ماشك فى وحدانية الله ، ومنها ما دعا الى قرآن جديد ونبى جديد !!

(جـ) ويتناول المؤلف فى الفصل الثالث من كتابه « الاسلام من حيث قيمه الدينية » ..

وفى صدر هذا الفصل يعرض المؤلف للركن الأول من أركان الاسلام وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، ثم يتبع ذلك بالحديث عن عدة جوانب فى الاسلام ، شارحا لها ومعرفا بها ، منها :

الايمـان :

وهو يعنى الاطمئنان والثقة ، والايمان شهادة ، انه الاقرار بالشهادة فى أعماق النفس انه الشهادة المعلنة أمام الناس بالقول والفعل.

وهنا يتطرق المؤلف الى الحديث عن علماء علم الكلام وتعريفاتهم للايمان ، فيذكر مذهب الخوارج والمعتزلة ، ومذهب الحنفية والماتريدية ومذهب الأشاعرة ، وكذلك يذكر مواقفهم من مرتكب المعصية وما دار حول ذلك من خلاف مبسوط فى كتب التوحيد والعقائد . (٤٣) .

الاسلام :

ويذكر المؤلف أن الاسلام يعنى التسليم لله ، واطاعة أوامره والبعد عما نهى عنه ، والايمان الحق لايمكن ألا أن يؤدى الى التسليم الذى يتطلبه الاسلام . والاسلام الحق والايمان الحق يقتضيان النية الصادقة فالأعمال المادية تظهر الانسان مسلما أمام الناس ، أما النية فتعطى هذه الأعمال قيمة

أمام الله ، والنية الصادقة سبيل الى الاخلاص الذى يعنى الاتجاه الى الله عن قصد . وهو مطلوب من كل مسلم ، لأنه ركيزة الاسلام الحق (٤٥) .

الأسماء الحسنى :

فى هذا المجال يشير المؤلف الى عدد أسماء الله الحسنى والى منزلة ترديدها مع تأمل معانيها ، ويذكر أن ذلك يؤدى الى تأصيل روحانية الاسلام ، التى على كل مؤمن مخلص أن يتحمل مقتضياتها ، وهذه الروحانية تتغذى بالفضائل الأخلاقية الى جانب ما توحى به العبادات ، فأركان الاسلام ليست مجرد واجبات شرعية ، وانما لكل منها معناه ومداه الروحيان اللذان ينزعان الى تكميل وتعميق صلة المسلم بخالقه (٤٨) .

حب الله ــ الصوفية :

وفى هذا الجانب يعرض المؤلف لتاريخ التصوف ولتيارات الرفض والقبول لهذا الاتجاه ، ولأشهر أعلامه المتصوفين . ويخلص من عرض كل ذلك الى أن أى تاريخ للفكر الاسلامى يتجاوز الحديث عن الصوفية هو حديث مجتزأ ناقص ، ومع ذلك فان الحكم على الحياة الايمانية فى الاسلام من خلال الصوفية وحدها لايعطى حكما حقيقيا مطابقا للواقع ولحقائق الاسلام .

لكن لماذا لقيت الصوفية معارضة وصلت فى بعض الأحيان الى حد اراقة الدماء ؟

يجيب المؤلف عن ذلك بأن سبب هذه المعارضة راجع الى المغالاة والى الاسراف اللذين وقع فيهما كثير من رجال التصوف وبصفة خاصة فيما يتصل بشعار الوحدة والحلول ، وقد كانت هذه المعارضة من القائمين بها نوعا من الدفاع الذاتى تمارسه الجماعة المهددة فى أصولها التى أقرها الله بفعل سمو الرسالة التى جاء بها الرسول والتى كونت الأمة وأسستها (٤٨ ــ ٥٣) .

ثم يستطرد المؤلف الى الحديث عن الطرق الصوفية ودورها فى التأثير على الجماهير مشيرا الى أنها فى مجملها حافظت على الايمان الاسلامى وعلى القيم الروحية المنبثقة عنه ، وكانت تعبيرا عن حاجة عاطفية فى نفوس الجماهير المؤمنة ، لكن التجاوزات التى وقعت فيها هى التى سلطت عليها هجوم المعارضين لها وبخاصة عند أولئك الذين قاموا بحركات اصلاحية تجديدية ، تدعو الى تخليص الاسلام من كل ماينافى التوحيد الخالص لله (٥٤) .

وبعد . فليس ما ذكر فى هذا الفصل كافيا للابانة عن قيم الاسلام الدينية ، وهذا أمر واضح للقارىء المسلم ، لكنه ليس بمثل هذا الوضوح عند غيره من القراء ، ومن هنا يبدو القصور الذى وقع فيه المؤلف ، وهو قصور فيه خطورة عندما يظن البعيدون عن الاسلام أن هذا المعروض هو كل مافى الاسلام من قيم .

(د) وتحت عنوان (معالم فى خدمة التاريخ ــ فى العهد الكلاسيكى) :

يأتى حديث المؤلف فى الفصل الرابع من

هذا الكتاب ، الذى يلقى فيه الضـــوء على التاريخ الاسلامى القديم ، وما مر فيه مـن أحداث كبار :

المصدر الأول :

وفيه يذكر المؤلف أن عصر دولة المدينة يعد العصر الذهبى النموذجى للاســـــلام ، وفى اشارات عابرة يشير المؤلف الى بعض الجوانب فى سيرة النبى ـ ﷺ ـ ، وفى سيرة الخلفـــاء الراشدين رضوان الله عليهم ، وبخاصــــــة ماحدث فى أيامهم من فتوحات كبرى فى العراق وفارس والشام ومصر ، بجانب ما حدث مـن اضطرابات وصدامات داخلية (٥٨) ٠

يلى ذلك الحديث عن العصـــور السياسية الاسلامية من القرن السابع الميــــلادى حتى القرن الثالث عشر ، ويـرى المؤلف أن هـــذه الحقبة من الزمن هى حقبة القمم ٠

وفى مقدمة الحديث عن هذه العصور يأتى الحديث عن الدولة الأمـــوية ، وفيــه يعرض المؤلف لاتساع الفتوحات الاسلامية فى عهدها شرقا وغربا ، وهو اتساع يمتـــد من حدود الصين حتى حدود مراكش واسبانيا وجنوبى فرنسا ، كما يشير الى وضع الأقليات غـــير المسلمة فى ظل الاسلام فى البـــلاد المفتوحة ، ويذكر أن النصــارى واليهـود بتنظيماتهم الطائفية وشرائعهم قبلوا (ذميين) داخـــل الأمة الاسلامية ، كمـا بدأت الآداب والتآليف الدينية المسيحية واليهودية باللغة العربيـــة ترى النـــور ٠

أما نظام الدولة الادارى فقـــد استقرت الادارة وتركزت فى كـــل مكان ، ودخلت ضمن قواعد الحقوق الشرعية الاسلامية التى كانت سائدة فى المدينة عادات وأعراف مأخوذة عــن البلدان المفتوحـــة ، وكثـــر الداخلون فى دين الاسلام وكثر عــــدد الذميين فى الدواوين وادارات الدولة ٠

كما يشير المؤلف الى ازدهار الأدب والعلوم الدينية ، وظهور الترجمات الأولى الى العربية من السريانية للنصوص الفلســـفية الاغريقية (٦٠ ــ ٦٣) ٠

وينتقل الى الحديث عن الدولة العباسية ، وكيف استولت على الحكم من الأمويين وكيف توالت عليها عصور القوة والضعف ، ثم يبدى بعض الملاحظات العامة من خـــلال العرض ، ويذكر من ذلك أن مطلع الحقبة العباسية كــان عصر الترجمـــات الكبـــرى ، التى أعانت على نهضة علمية شاملة ، اغتنت منهـــــا الثقافة الاسلامية دون أن تفقد معها أصالتها ٠ ومــن ذلك أن الموالى أصبحـــوا مواطنيـــن كاملى الحقوق ، وقد قاموا بدور يعد من الدرجـــــة الأولى فى تاريخ الدولة العباسية ، لكنهم بعـــد قليل أصبحوا خطرا عليها ، حين صاروا قـــوة استطاعت أن تنفصل بدويلات انفصالا كاملا ، وحين صاروا أيضا القوة المسيطرة على الخليفة العباسى فى مقر خلافته ٠٠ ومـــن الملاحظـــات المفارقة بين العباسيين والأمويين أن البـــلاط الأموى كان أقرب الى البداوة بينما كان البلاط العباسى يموج بالأبهة وشتى مظاهر اللهـــو ، مما جر فى بعض الأحيان الى ثورات واضطربات شعبية ٠٠ ويضيف المؤلف الى هذه الملاحظات

أن الحضارة الاسلامية كانت أظهر فى المدينة أكثر منها فى الريف نظرا لتأخر فتح المدارس القرآنية فيه ، أو لعدم شمولها لكل القرى (٦٢ ـ ٦٨) .

ومن الحديث عن الدولة العباسية ينتقل المؤلف الى الحديث عن المغرب والأندلس ، ويعرض فيه لفتح الأندلس ، وكيف استولى عبد الرحمن الداخل ـ الذى نجا من العباسيين ـ على الحكم فى قرطبة ، ثم يذكر

ما كان فى قرطبة من حضارة مزدهرة فى الآداب والفنون والعلوم ، الى جانب تلك الانقسامات الداخلية من أجل الصراع على الحكم فى مراحل متعددة من مراحل الحكم فى الاندلس (٧٠) .

ويعقب الحديث عن الأندلس ، حديث عن الحروب الصليبية ، وعن عملية الاسترداد التى قام بها المسيحيون فى الأندلس . فأما الحروب الصليبية ، فقد انتهت حملاتها فى نهاية القرن الثالث عشر حيث قضى المسلمون على الصليبيين فى مصر قضاء نهائيا .

ويشير المؤلف الى أنه كان من نتائج الحروب الصليبية ولفترة محددة ، العودة الى تماسك الاسلام وتقويته .

ويختتم المؤلف هذا الفصل بعنوان : « مجتمع منفتح » والانفتاح صفة يطبعها على المجتمع الاسلامى خلال هذه الحقبة من الزمان ويشرح ذلك بأن العواصم الاسلامية فى الشرق والغرب كانت مراكز اشعاع علمى كونى ، وفى هذه الحقبة صدرت مؤلفات كبرى فى مجالات العلوم والفلسفة والأدب والفنون ومختلف علوم الدين . وقد كثرت المجالس العلمية المفتوحة التى كان يلتقى فيها المثقفون والعلماء فيتبارون فى مناظرات فكرية وأحاديث وحوارات فى كل فن ، وكان يشارك فى هذه المجالس ذميون من اليهود والمسيحيين . هذه اللقاءات بين العلماء والباحثين جعلت من المجتمع الاسلامى فى عصره الكلاسيكى مجتمعا منفتحا ، يقبل فيه العابرون من كل صوب ونوع ، وكان حب السفر طاغيا فى المجتمع الاسلامى ، وكتب الرحلات تدل على حرص المسلمين على الموضوعية العلمية الخالصة ، كما تدل على ولعهم بالغريب والعجيب ، وبنقل الأساطير عن البلدان المجهولة والى هذه الحقبة تنتمى دقائق الجغرافى المقدسى ، وكتاب البيرونى عن الهند وعلومها وحضارتها (٧٣) .

(ه) وينتقل المؤلف فى الفصل الخامس من الكتاب الى الجزء الثانى من معالم التاريخ ، وهو جزء يتصل بمرحلتى الانحطاط والتجديد والبعث . أما مرحلة الانحطاط فتشمل الحقبة من القرن الرابع عشر الى آخر القرن التاسع عشر ، ومن نهاية القرن التاسع عشر حتى الآن تمتد حقبة التجديد والبعث .

وعن مرحلة الانحطاط يصدر المؤلف الحديث عنها بهذا السؤال : بأى المعانى نتكلم عن الانحطاط ؟ ويجيب بأن هذا المجتمع الحيوى جدا فى العصر الكلاسيكى المنفتح جدا بالنسبة الى زمنه تحول فى العصور التالية الى مجتمع مغلق منكمش على نفسه ، حيث تراجع البحث العلمى والفلسفة والبحوث الدينية التى ازدهرت ازدهارا كبيرا فى الماضى ، أمام التفاسير والتأويلات ويذكر المؤلف أن هناك ظروفا سياسية واقتصادية جديدة ضاغطة جدا

أدت الى انغلاق المجتمع الاسلامى على نفسه ، ويضيف الى ذلك الدور الذى قام به الاستعمار فى توفير جو من الكراهية ضد المسلمين ، مما أدى الى ازدياد الجهالات وسوء الفهم للاسلام حتى وصل الى نقطة خطرة ، وجدنا فيها كثيرا من العلماء الغربيين يصفون الاسلام بأنه يعنى التعصب واحتقار العلم والغاء المجتمع المدنى ، ويعقب المؤلف على هذه الافتراءات بأن ذلك ظلم عجيب وأفكار مسبقة لاتبررها حالة العالم الاسلامى أيام رينان الذى تبنى اشاعة هذه الجهالات ، ان ذلك جهالة غريبة لتاريخ الزمن الماضى وقصور نظر عجيب غريب .

ومن الأسباب التاريخية التى فتحت باب التدهور ما أشار اليه المؤلف من استيلاء المسيحيين على أشبيلية فى الأندلس ، واستيلاء المغول على بغداد ، وكل من هذا وذاك حدث خلال قرن واحد هو القرن الثالث عشر الميلادى السابع الهجرى ، فقد فتحت هاتان الهزيمتان فى تاريخ الشعوب الاسلامية ثغرة ظلت تتفاقم فيما بعد . فقد أدى سقوط أشبيلية الى عنف قساوة المنتصرين ضد المسلمين ، مما جعل الكثيرين منهم يفضلون الهجرة بأعداد كبيرة نحو شمال أفريقية .. وكذلك كان لسقوط بغداد أمام جحافل المغول وقع فى نفوس الناس أشد أثرا من سقوط أشبيلية ، ويذكر المؤلف أنه على الرغم من الأثر السىء للغزو المغولى ، فان هذا الغزو لم يكن على حساب الاسلام عدديا ، اذ سرعان مادخل الغزاة فى الاسلام وأعلن الاسلام دين الدولة من قبل خان المغول وحكم المغول والاتراك المغول وذرياتهم المسلمة فى أفغانستان والهند (٧٥ — ٨٠) .

ويتابع المؤلف الحديث عن الممالك الاسلامية خلال هذه الحقبة من الزمان ، فيتحدث عن امبراطورية المغول فى الهند وأفغانستان ، وعن امبراطورية ايران ، وعن مراكش ، وعن وضع الاسلام فى أفريقيا السوداء وكذلك يتحدث عن الاستعمار وعن أثره فى الانحسار السياسى والاقتصادى والثقافى فى بلدان الاسلام ، وهنا يذكر أن عنف الصدمة أيقظ الضمائر ، حين قامت حركات اصلاحية تجديدية فى كثير من البلدان الاسلامية ، وكان التجديد الثقافى هو أولى مظاهر التجديد الى جانب ما واكبه من الدعوة الى الاصلاح الدينى ، فقد أخذت البلدان الاسلامية تحى ماضيها المجيد ، وقوتها الكامنة ، وما ينتظرها من مستقبل زاهر ، وهذا ما يؤكد حضور الاسلام فى قلوب المسلمين ووجدانهم ، ان الأجيال الجديدة فى البلدان الاسلامية ماتزال تهفو الى اشباع تعطشها بأية وسيلة الى الكرامة والعدالة ، ولكنها قد تعى يوما ما أن العودة الى الذات ، الى الايمان العميق هو الذى يفتح أمامها الدرب الحق الأصيل . (٨٠ — ٩٢) .

وهنا يأتى تساؤل المؤلف : هل سيتم ذلك فى اطار احترام القيم الموروثة وتجديدها ؟ أو فى اطار علمانى يدمج بين السياسى والروحى ؟ أو فى اطار اسلام محافظ شديد المحافظة ؟ وهذا ما يعالجه القسمان الثانى والثالث من الكتاب وهو موضوع المقال القادم ان شاء الله .

« يتبع »

أ . د طه مصطفى أبو كريشة

أنباء وآراء

معرض دولى للحضارة الاسلامية ..

افتتح المعرض الدولى للحضارة الاسلامية الذى يقام فى « المتحف الوطنى » الماليزى بـ « كوالالمبور » مما يتيح الفرصة لمواطنى ماليزيا لمشاهدة أعمال ثقافية هامة يرجع تاريخها الى العصر الذهبى للاسلام . وهذا هو أول معرض من نوعه فى آسيا ، وسيستمر لمدة مائة يوم وتعرض خلاله حوالى الف قطعة من المعروضات التى لاتقدر قيمتها بثمن والتى أعارها ستة عشر متحفا من احدى عشرة دولة من بينها متحف (توبكابى سارا) بأسطنبول ، وثلاثة متاحف فى لندن .

وتوضح الاعمال المعروضة مدى التقدم العلمى الذى أحرزه الدارسون والمفكرون المسلمون الأوائل ومن هذه الأعمال كتب ومخطوطات للعالم ابن سينا فى العلوم الطبية.

مصر والجامعة الاسلامية بباكستان

صرح الدكتور حسين حامد رئيس الجامعة الاسلامية بباكستان أن الحكومة المصرية وافقت على ارسال عشرين عضوا من أعضاء هيئة التدريس من جامعة الازهر والجامعات المصرية الأخرى الى باكستان كل عام .

ويقول فضيلة الدكتور محمد محمود مزروعة أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة اسلام أباد الاسلامية بباكستان : ان الجامعة الاسلامية بكلياتها الشرعية وأصول الدين واللغة تعد امتدادا لجامعة الأزهر وتأثيرها فى العالم الاسلامى ، كما أنها تربط الباكستان بمصر برباط الاخاء والتعاون .

افتتاح مركز اسلامى فى أريزونا

افتتح مؤخرا المركز الاسلامى فى مدينة « تمبى » بالقرب من « فينكس » بولاية أريزونا الأمريكية . ويضم المركز مسجدا ومدرسة لتحفيظ القرآن وسكنا للامام والمدرسين . وأقيم المركز الاسلامى ليقوم بنشر الاسلام وتصحيح المفاهيم المشوهة عن الاسلام فى أذهان بعض الغربيين .

يعتنقون الاسلام

أفادت الأنباء أن ألفا وخمسمائة شخص قد اعتنقوا الاسلام دفعة واحدة بولاية صباح

اعداد : حسن على رزيق
أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام

فى ماليزيا . وقد أقام المجلس الاسلامى بالولاية احتفالا كبيرا بهذه المناسبة حضره رئيس وزراء الولاية ووزير الشباب والرياضة بالحكومة المركزية وعدد من المسئولين بالدولة ، وقد أفادت الدراسات أن البلاد هناك تشهد عديدا من المعتنقين للاسلام يوميا .

تدريس الاسلام فى جميع المدارس الألمانية

تفيد بعض الانباء أن ميشيل ميلدين ممثل الكنيسة البروتستانتية بألمانيا أعلن أن الكنيسة تؤيد فكرة تدريس المواد الاسلامية فى المدارس الألمانية وأضاف ممثل الكنيسة : أنه بعد ثلاثة أعوام سيكون كل عشرة تلاميذ فى الصف الأول الابتدائى بمدارس المانيا من بينهم على الأقل تلميذ مسلم . وأنه لايجب أن نعزل أطفال المسلمين عن بقية التلاميذ فى المدارس الألمانية لأن ذلك ليس فى صالح المجتمع الألمانى .

ومن المعروف أنه يوجد فى ألمانيا أكثر من سبعمائة ألف طفل فى مرحلة الدراسة الابتدائية معظمهم من الأتراك الذين تعمل أسرهم فى المانيا الغربية .

تدريس اللغة العربية بافريقيا الوسطى

قررت جمهورية افريقيا الوسطى تدريس اللغة العربية والدين الاسلامى بالمدارس الحكومية .

هذه هى المرة الأولى التى تدرس فيها هذه المواد بجمهورية افريقيا الوسطى وصرح الحاج محمد عبد الحميد من اهالى البلاد بأن غالبية بلاده من المسلمين ، وأنهم فى حاجة الى العون المادى والعلمى من بلاد العالم الاسلامى حتى يتم تنفيذ البرامج العلمية التى تعمل على نشر اللغة العربية فى البلاد .

انشاء معهد لتخريج الكوادر الاسلامية

تجرى الأمانة العامة للغرف التجارية لدول العالم العربى والاسلامى اتصالات مع المسئولين فى الدول العربية والاسلامية والأمانة العامة لمؤتمر وزراء خارجية الدول العربية والاسلامية للعمل على انشاء معهد لتأمين تخريج الصفوف البشرية الاسلامية . وتأتى هذه الخطوة بناء على توصية مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد فى بنجلادش للتأمين على المؤسسات والمجمعات الاسلامية بحيث لا تتعرض الدول الاسلامية لأى نقص فى مجال الخدمات البشرية .

المركز الاسلامى الافريقى

أنهى المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم

أنباء وآراء

دورته التدريبية لمعلمي اللغة العربية والتربية الاسلامية داخل السودان وخارجه .

اقيمت الدورة بمدينة « بلانتايرى » عاصمة ملاوى واشترك فيها معلمون من ملاوى وزمبابوى وزامبيا وموزمبيق . ومن الجدير بالذكر أن المركز الاسلامي بالخرطوم يقدم خدمات اسلامية لمعظم دول افريقيا الاسلامية ومقره السودان .

المجلس الاسلامي بالقدس يطلب وقف الاعتداءات الاسرائيلية على الأماكن المقدسة

* طلب المجلس الاسلامي الاعلى بالقدس ، تدخل الأمم المتحدة فى الخلاف القائم بشأن ضابط بوليس اسرائيلى وضع العلم الاسرائيلى على مكتبه بنقطة البوليس الموجودة فى منطقة جبل المكبر حيث يوجد المسجدان الأقصى والصخرة ، الأمر الذى يخالف حياد المنطقة .

رئيس المجلس الاسلامي الاعلى فى القدس يحذر من الارهابى الاسرائيلى « كاهانا »

أعلن سماحة الشيخ سعد الدين العلمى ، رئيس المجلس الاسلامى الاعلى فى القدس انه سيكون اول من يصطدم بـ « كاهانا » وعصابته اذا اقتحم ساحة الحرم الشريف .

وقد وجه نداء دعا فيه المسلمين فى الأراضى الفلسطينية الى ضرورة الوجود الدائم فى ساحات المسجد الاقصى لمواجهة أى احتمال لاقتحام المسجد .

زيادة المنح الدراسية لابناء العالم الاسلامى

* أعلن الدكتور الأحمدى ابو النور وزير الأوقاف ، أن وزارة الأوقاف تسعى — الآن — الى زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء العالم الاسلامى ، فى قاراته الخمس ، وكذلك زيادة المطبوعات الاسلامية بلغات العالم المختلفة تلبية لاحتياجات كافة المسلمين فى بلاد العالم .

توحيد الاعياد الاسلامية

* تبحث لجنه الشئون الثقافية والاجتماعية والاقتصادية المنبثقة من منظمة المؤتمر الاسلامى خلال الفترة من ٢٢ الى ٢٥ سبتمبر وضع تقويم هجرى موحد لبداية الشهور القمرية وتوحيد الأعياد للعالم الاسلامى كله .

كذلك تبحث اللجنة دعم التعاون الفنى والتدريب المهنى والبحوث بين الدول الاسلامية ودعم التعاون فى مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية .

صندوق لتحفيظ القرآن بالشرقية

* تقرر انشاء صندوق لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة الشرقية لرفع مستوى معيشة المحفظين وصرف حوافز مجزية لهم . صرح بذلك الأستاذ رفعت

الهجرسى رئيس المجلس الشعبى المحلى للمحافظة .

انشاء كلية اسلامية وعربية بالسودان

* صرح فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر بأن اللجنة المشكلة من الجانب المصرى والسودانى قد انتهت من دراسة الاحتياجات اللازمة للبدء فى تصميمات المبانى المقترحة واعداد الكلية للدراسة .

* يبحث المجلس الأعلى للشئون الاسلامية عقد عدة مؤتمرات اسلامية داخل مصر وخارجها ، تستهدف انهاء الحرب بين ايران والعراق .

السيد /مصطفى السيد محمد ــ التل الكبير ــ الاسماعيلية .

ليست الكتابة فى المجلة قاصرة على أفراد معينين بل عليك أن ترسل لنا بعضا من كتاباتك واذا كانت صالحة للنشر نشرت ــ وعن كيفية الاشتراك فى المجلة عليك الاتصال بالعنوان التالى :

القاهرة ــ ادارة توزيع الأهرام ــ شارع الجلاء

السيد / محجوب عطية سليمان ــ السودان ــ أم درمان .

المجلة لا توزع كتبا مجانية غير هديتها الشهرية مع كل عدد وتستطيع أن تتصل بفضيلة الدكتور الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ــ القاهرة ــ ادارة الأزهر ــ بهذا الشأن .

* ردود خاصة :

الى السيد الفاضل الاستاذ بهاء المرى : نرجو إلقاء المزيد على موضوعكم "الألمان يهتمون بالشريعة الاسلامية "، فإن الموضوع فى حاجة الى استيعاب أشمل .

والى السيد الاستاذ محمود محمد عبده الشارود ــ أجا ــ دقهلية .

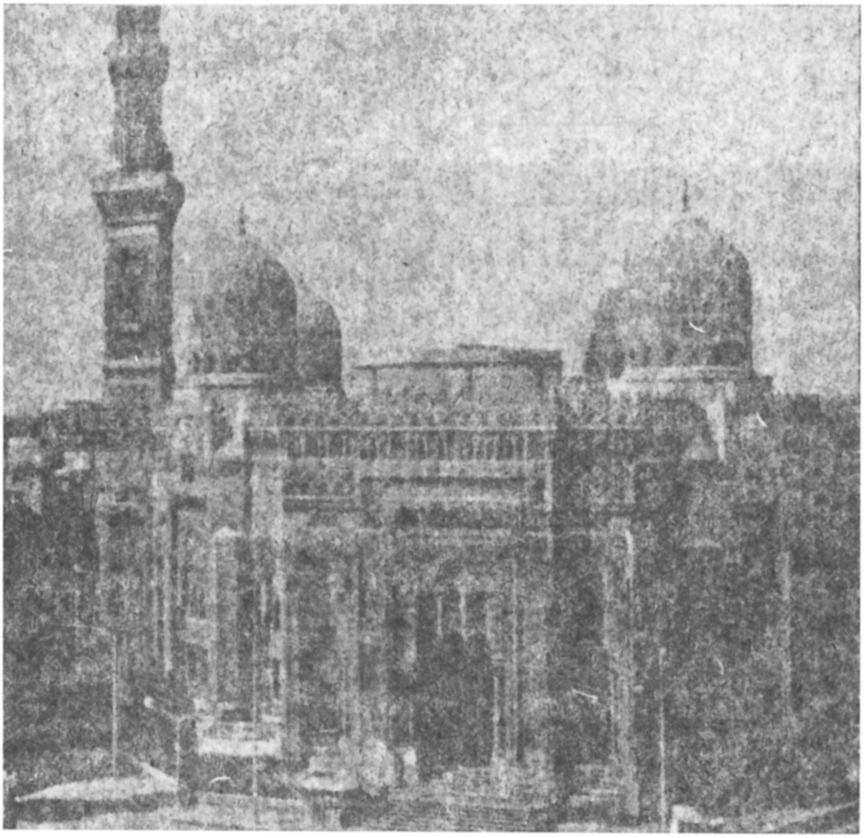
نعتذر المجلة لسيادتكم لعدم نشرها تمثيليات حتى تتم دراسة موضوع النشر .

الى السيد وزير الأوقاف .

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد :

فنتيجة لمعاناة الجماهير ، ثم اقتراح الأستاذ الصحفى عبد السلام داود ــ فى الأخبار ــ بتاريخ ١٩٨٤/٨/٣ صدر قرار سيادتكم أن تستغرق الخطبة خمس عشرة دقيقة فقط .

ويبدو أن اقتراح الأستاذ عبد السلام داود ، ومن يطالب بمثل طلبه قد بنى على أن الخطب التى تلقى بالمساجد جميعها سواء ، أو أنها تتناول موضوعات أصبحت معلومة فلا داعى للاطالة فيها .



وليس الأمر كذلك يا سيادة الوزير ، فان الخطبة تختلف من حال لحال ومن مشكلة الى أخرى ، وكلما كانت المشكلة من ذات البيئة والخطيب يتناولها فى ضوء الشرع ازداد تعلق المستمع بلا ضجر أو شكوى .

وهذا القرار ـ بهذا الزمن ـ يقيد الخطيب ولا يعطيه حرية التعبير التى تستوعب المشكلة .

هذه واحدة .

ثم كيف يذهب السيد وزير الأوقاف الى هذا التحديد ، ويجعله مطلقا ، فهل لذلك أصل تستوى معه جميع الموضوعات فيما تتطلب من زمن ؟

وهل لنا أن نطمع فى أن ينظر السيد وزير الأوقاف الى قراره مرة أخرى فلا يقيد ميول المصلين لخطيب له جمهوره بهذا الزمن »(١)

شعبان على حسين (طارق الديرى)

---

(١) تلقينا هذه الرسالة من السيد صاحب التوقيع ، وقد أعدنا صياغة مضمونها بقدر الامكان ، وبقدره ـ ايضا ـ حافظنا على الاصل او مضمونه .. مجلة الازهر .

بسم الله الرحمن الرحيم

تلقى رئيس التحرير الرسالة التالية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعـد :

فنحن حملة « العالمية مع تخصص التدريس » من الأربعينـات والخمسينات ، قد انتسبنا الى هذا القسم وشعورنا العام الذى أكده

لنا المسئولون من أساتذتنا أن اجازة « العالمية مع تخصص التدريس » معادلة تماما للماجسـتير ، وكانت المواد العلمية التى تدرس فى هـذا

القسم شاملة للمواد العربية والشرعية ٠٠ الأمر الذى أكد فى نفوسنا أن تلك الاجازة أنما هى « الماجسـتير » أو معـادلة له ، بل ان ادارة

الامتحانات تعطى تصديقا رسـميا بذلك لحملة هـذه العالمية ، وذلك لاقرار المجلس الأعلى للأزهر لهـذه المعادلة بنـاء على قرار لجنـة المعادلات فى مايو ١٩٥٩ ٠

ولقد مارسنا العمل بالتدريس أكثر من خمسة عشر عاما ، وقد سبق للأزهر الشريف ان اباح لمن يحمل هذه الاجازة وله انتاج علمى ومضى عليه هذا الوقت أن يتقدم بانتاجه العلمى لمعادلته بالماجستير وسمح لمن تتوفر له هذه الشروط أن يسجل رسالة الأستاذيه : الدكتوراه ٠ وقد تقدم فعـلا كثير من الزملاء ونالوا الدكتوراه بهذه الشروط ، ولم يحدث أن تبين خسارة للجـامعة أو للأزهـر من هذا الباب ، بل كان العكس هو الصحيح بسبب مباشرة هؤلاء الأساتذة للتعليم على كافة مستوياته مما قدم للجامعة أساتذة من طراز فريد ٠

ولقد كتب الأستاذ الزميل الفاضل عبد اللطيف محمد حشـاد ، وبسط هذه القضية بعدد ذى الحجة ١٤٠٤ هـ بمجلة الأزهر ٠ نقول ، ونحن نناشـد امامنا الأكبر ومدير الجامعة ؛ نقول :

ما على الجامعة من حرج اذا هى يسرت لنا هذا الأمر ، ووضعت من الشروط ما تراه كفيلا بضبط العمل وجديته وفرضت ما شاءت من رسوم ٠ حرصـا على الانتفاع بخبرتنا ، وهى خبرة أعطيناها أجيالا متابعة من أبنـائنا ، فان أدينـا الواجب فنعم الكسب للجامعة ٠

والله ولى التوفيق ٠

جابر منصور مغربى « من العلماء »

فهرس العدد

الموضوع	الصفحة

مراجعة وعناوين داخلية
الأستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا



بسم الله الرحمن الرحيم
الى السادة راغبى الاشتراكات فى :
« مجلة الأزهر »

* تقبل الاشتراكات لـــدى قطـــاع الاشتراكات :
مؤسسة الأهرام – شـــارع الجلاء – القاهرة .

وفيما يلى قيمة الاشتراك .
* جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك سنويا .

مليم	جنيه
٤٠٠	٢

* اتحاد البريد العربى والأفريقى ..
« بالبريد الجوى »
١٥ خمسة عشر دولارا أو مايعادلها .

* باقى دول العالم .
٣٠ ثلاثون دولارا أو مايعادلها .

يكتب بالاشتراك مباشرة الى مؤسســـه الأهرام كما هو مذكور وليس الى المجلة .

The source of energy is provided by air driven from the lungs which propagates sound waves resulting from vibrations of the vibrating bodies which are the vocal bands. These are situated at the top of the wind pipe to maintain a well sustained propagating air column.

In the oral cavity - the mouth, is the tongue which is the muscular organ of resonation. The tongue being highly anchored at its end acts both as a resonator and articulator. The mechanism of articulation is also carried out by the lips to add in the exact sound ejections of the different letters of speech. The crucial importance of the tongue and the two lips in the exact acoustic characterisation of utterance is understood.

Different languages have different phonetic difficulties, and certainly the Arabic Language ranks among the most precise in its phonetic characters. The proper use and practice of the organs of utterance and their harmonic function renders speech easy and facilitated.

The topic verse quoted from Surat Al-Balad mentioning the lips and tongue is a reminder from Allah of the superfluous blessings upon man. The eyes mentioned in the verse are another blessing; so anatomically and functionally complicated that necessitates their consideration under another heading.

Praise be to Allah, the Creator, the Merciful, the All Mighty. We pray to Him to help us use our body organs to His satisfaction.

CONTEMPLATING ON A QURANIC VERSE

BY:

MAHMOUDSAYED AHMAD

Have we not made for him a pair of eyes?
and a tongue and a pair of lips?
(Surat Al-Balad, XC, 8-9)

The second part of this verse is duely considered by reflecting on the mechanisms of speech and utterance. Let us consider that critical part of the human body called the mouth and its anatomical contents. Besides several vital functions the mouth performs, it undertakes the process of utterance.

The operation of utterance requires three basic fundamental elements for its completion. These are firstly a source of energy; secondly a vibrating body, and thirdly a resonator.

REFERENCES:

1. Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library, Cairo.

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo Printed, 1980.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo.

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and Commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty
7th., Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

The period from Badre to Uhud was approximately thirteen months from Ramadan of the second year after Hijrah to Shawal of the third year. Certainly the most salient aspect of this period was the conclusive decision of Koraysh to revenge their defeat at Badre and to put an end to the increasing strength, influence and stability the Muslims had achieved since their Hijrah to Al-Madina. The clans of Koraysh began to perceive that Muslims formulated a strong challenger to their superiority of the whole Arab tribes.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

dent west of Al-Madina to the sea coast. Since the economic and social structure of Koraysh was dependent on trade convoys, they decided to travel north taking the route of Najd east of Al-Madina. Safwan Ibn Umayah was in charge of the first trade convoy travelling by this route. On hearing such news, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent a contingent of hundred men under the command of Zayd Ibn Harithah who intersected the camel convoy at Al-Qardah in Najd, and was able to capture the camels, the first taking of Muslims from Koraysh.

All these events since the defeat of Koraysh at Badre accumulated the distressing situation and drove Koraysh to the inevitable adamant decision to confront the Muslims in wide scale armed combat. They prepared, planned and marched out from Mecca with the intention to conquer and subdue the Muslims at Al-Madina. Then was the battle of Uhud, named after the mountain of Uhud at the outskirts of Al-Madina.

Between Badre and Uhud, several social traditions were prescribed by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The most important was the prayers of Eid Al - Fitre after Ramadan and Eid Al-Adha during Haj. Such tradition certainly has great influence and psychological impact on Muslim coherence and validity. Such traditions are still practiced by Muslims in masses all over the world.

During that period Fatimah daughter of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was married to Ali Ibn Abi-Taleb.

two hundred of the companions to engage the raiding group. Abu Sufyan and his men retreated and fled towards Mecca throwing behind them their possessions and supplies; with no actual combat taking place.

The encounter of Khatafan came about when the Prophet (prayers and peace form Allah upon him) received news that Bani Thalaba and Muhareb from Khatafan gathered under the leadership of Dauthur Ibn Al-Harith and prepared to raid Al-Madina. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) went out to engage them with four hundred muslims. When the insurgents heard of the Muslim march, they escaped into the mountains with no confrontation.

The march to Bahran was against Bani Suleym who desired to attack Al-Madina. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched with three hundred men. Bani Sulaym dispersed and no combat took place.

The victory at Badre and the several minor incidents that followed which the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) headed in person had widespread repercussions among the Arab tribes particularly those around Al - Madina. They started to realise that the Muslim presence at Al-Madina was well established. Defeating Koraysh at Badre, expelling Banu Qaynuqaa from Al-Madina, pursuing Abu Sufyan, and marching out to encounter all tribes that entertained the idea of raiding Al-Madina. These successful events crowned the Muslims with more confident solidity, and certainly rooted their faith and belief to follow the path of "Jehad" to establish the words of Allah as supreme

The clans of Koraysh faced the problem that the road north to Damascus was blocked by Muslim presence at Al-Madina and affected their influence over the Arab tribes resi-

upon him) besieged them in their fortifications for fifteen days. They finally succumbed to defeat, and asked for liberation leaving Al-Madina with their women and children.

The death of Kaab Ibn Al-Ashraf from Banu Al-Nadeer a man of high position among all Jewish clans was an outstanding enemy to Muslims, and always spoke openly in obscene vulgar language against Islam and Muslims. After the battle of Badre, he was markedly distressed and went to Mecca to meet with the defeated clans of Koraysh. He motivated Koraysh and influenced them in urgency and insistence to retaliate their defeat by another confrontation in armed conflict with Muslims. When Kaab returned to Al-Madina he schemed and conspired to cause dispute among Muslims, and spoke with disrepute about Muslim women. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deputised Mohammad Ibn Mussalamah Al-Ansari to kill Kaab Ibn Al-Ashraf for his very vicious and poisonous intrigue against Muslims.

The incedent of Al-Saweyq came about when Abu-Safyan Ibn Harb who did not witness Badre was very distressed for the disgraceful defeat Koraysh had suffered on the hands of Muslims. He vowed that he will not wet his hair untill he defeats Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) and his friends. He rode out with two hundred horsemen to Al Madina. He arranged to meet chieftains of Jewish clans to plot against Muslims. Huyaii Ibn Al-Akhtab of Banu Al-Nadeer refused to meet him; he met Sallam Ibn Mishkum and councelled with him. Abu Sufyan then sent some men who burned some houses and palms at the outskirts of Al-Madina and killed two Ansari men. On hearing the news, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) rode out with

BETWEEN BADRE AND UHUD

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

After the battle of Badre, the second major confrontation between Muslims and Koraysh was the battle of Uhud which took place during Shawal of the third year after Hijrah. The intervening months between the great Badre and the battle of Uhud witnessed several events of importance that had their imprints in the times that followed.

Following the triumphant victory of Muslims at Badre, the Jewish clan of Banu Qaynuqaa resident at Al-Madina were the first to strain relations with Muslims by infringing upon previous agreements. They humiliated an Ansari woman indecntly, and killed a man from Al-Ansar. The Prophet (Prayers and peace from Allah upon him) summoned their leaders and addressed them in warning not to violate the agreement between the Jews and Muslims previously negotiated and contracted. They answered with insolent insurgent replies, defying the Muslims and challenging them in battle.

They fortified themselves and openly carried arms in offensive attitude. The prophet (prayers and peace from Allah

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر

فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



صفر .. والنسيء

كان النسيىء هو العامل الأول والأخير الذى أفسد التاريخ العربى ، وشوهه شهورا وأعواما قبل الاسلام .

وكان صفر فى مطلع الشهور التى حملت وزر النسيىء وتفشت فيه ــ أول ما تفشت ــ ألوانه وضروبه .

ولقد اتحدت عوامل ثلاثة ، تداخلت ــ فى وحدة صماء لتكون القاضية على سلامة التاريخ العربى فى الجاهلية، فَضَلَّت أعوامه سواء السبيل ، وفقدت آيامه معالم الزمن .

ان المذاهب الوثنية فى العقيدة الجاهلية .. الى العدوان .. فالأمية .

الجزء الثانى السنة السابعة والخمسون

* صفر ١٤٠٥ هجرية *

* نوفمبر ١٩٨٤ ميلادية *

كل كانت ــ سلبا أو ايجابا ــ هى عناصر تلك الوحدة الصماء التى عربدت فى تــاريخ القوم حتى طمــرت معالمه ٠

المذاهب الدينية :

ومذاهب القوم الدينية الأساســـية فى تلك الوثنيــة جعلت الجاهليين ثلاث جماعات هى : الحُمْس والطُلس ، والحِلّة ، نضيف إليها ما نستطيع ــ ان شاء الله ــ أن نجعله فئة من مذهب الحمس ــ ان لم نعده مذهبا رابعا تُمَثِّلُهُ طائفة « البُسْــل » التى تنتمى أصولها الى قريش،فان قريشا ومن جاورت أو صاهرت ، كُلٌّ كان من الحمس٠

وأنت واجد ــ بمشيئة الله ــ خطاك فى البحث عن المذاهب الرئيســية الثلاثة (١) ،ثم هذا ما وفقنى الله ــ سبحانه ــ اليه لمعرفة هؤلاء البســل :

البســل ــ جميعا ــ هم بنو عــوف بن لؤى بن غــالب بن فهــر،وفهر هو قريش ، وليس من فهر إلا قرشى ، وليس قرشى الا من فهر ٠

كل مافى الأمر أن هذا البطن من وَلَدِ عوف بن لؤى لم يستوطن مكة ، فقد استقر عوف ــ فى أحدى سفرياته بأرض غَطَفان بن سعد بن قيس عيلان ، فأتاه ثعلبة بن سعد وطلب اليه الاقامة بهذه البلاد ، ونشأت بين الرجلين أخوة كــان يقرها عرف القوم حينئذ ،فحمل عوف ــ الىنسبه ــ نسب ثعلبة واحتفظ وأولاده بالنَّسَبَيْن ، وكان الأمر هذا معلوما فى قريش كما هو معلوم « فى بنى ذبيــان من غطفان بن قيس عيلان » ٠

قال أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى :

« ٠٠٠٠ أما عوف فدخلوا فى بنى دبيان من غطفان بن قيس عيلان ، وهم بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان » (٢) ٠

ولك أن تقول : وهم أيضا بنو مرة بن عوف بن لؤى بن غالب بن فهر ٠

وسكن القوم بالهَبَاءَة من أرض غطفان ، وعرفوا بــ « الهبــاءات » (٣) وصاروا سادة فى غطفان ٠

---

١ ــ راجع لابى جعفر بن حبيب ــ المحبر ص ١٧٨ ــ ١٧٩ منشورات دار الآفاق الجــديدة ــ بيروت ٠

٢ ــ انظر لابن حزم ــ جمهرة انساب العــرب ص ١٣ طبع دار المعرفة مصر ١٩٧١ ٠

٣ــ راجع بلسان العرب مادتى : بسل وهبا ٠

هؤلاء هم البســل ، تستطيع ان شئت أن تجعلهم مذهبا وثنيــا رابعــا ، أو فرعا أحمسيا نبت بتلك البلاد البعيدة عن مكة •

وارتضت المذاهب الثلاثة الأولى بنسىء يواطىء — أى يوافق — عــدة أربعة أشهر حرمها الله — سبحانه — لكنها شاعت أن تغير فيها وتبــدل ، فــإذا أراد الله سبحانه الأشهر الأربعة أن تكون : ذا القعدة ، وذا الحجة والمحرم ثم رجب الذى بين جمادى الآخرة وشعبان ، رأى القوم أن تكون الأشــهر أربعــة ولو دارت فى السنة كلها •

فأما البُسْل فأرادوها ثمانية أشهر عرفت بــ (البَسْل) (١) قال العلامة ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : « مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ » هذا مما كانت العرب أيضا فى الجاهلية — تحرمه ، وهو الذى كان عليــه جمهورهم الا طائفة منهم يقال لهم : البسل كانوا يحرمون من السنة ثمانية أشهر تعمقا وتشديدا » •

وقال — رحمه الله — فى السيرة النبوية :

« ••• وفيهم كان البَسْل ، وهو تحريم ثمانية أشهر لهم من كل سنة من بين العرب ، وكانت العرب تعرف لهم ذلك ويأمنونهم فيها ويُؤَمّنونهم أيضا » (٢) •

ولم أعثر على تعيين بأسماء الاربعة الزائدة على الاربعة الاصــــلية المعروفة •

وعلاقة الجانب الدينى بالنسيىء واضــحة أمامنا ، فانها — كما ترى — منطلقة أساسا بالاشهر الحرم ومتعلقة بها • والأشهر الحرم كانت — ولن تزال — وعاء دينيا لشعيرة الحج أو العمرة •

ومع أولوية العلاقة بين المذاهب الدينية والنسيىء فانه ينبغى أن نسارع الى مصادرة استنتاج لقارىء يرى "أن رؤساء هذه المذاهب فى القبائل كان لِكُلِّ جماعة منهم اجتماع معين يحدد سنويا أمر النسيىء ، ثم يتفقون فى النهاية عليه" •

لا ، فان الواقع خلاف ذلك •

فانهم — جميعا — كانوا يرتضون بما يقرره النَّسَأَة من أسرة معينة توارث أولادها اعلان النسيىء ، ولا نستثنى من ذلك الا جماعة البسل ، فانه واضــح أنه كان لهم قرارهم الخاص على الوجه المتقدم (٣) •

---

١ — البسل — بضم الباء : القوم ، وبفتحها هو هذا التحريم •

٢ — راجع لابن كثير — السيرة النبوية ٩٢/١ مطبعة عيسى البابى الحلبى (١٣٨٤) •

٣ — انظر لمعرفة قبائل : الحمس والحــلة والطلس تاريخ اليعقوبى ٢١٣/١ مطبعة الغرى بالنجف ١٣٥٨ •

وراجــع لابن حبيب البغدادى — المحبر ص ١٧٨ — ١٧٩ •

صفر .. والنسيء

العـــدوان :

وهذا العنصر كان أساسا خلف التلاعب بحرمة الأشهر الحرم واســتطاع ــ فعلا ــ وعلى مدى أكثر من قرنين أن يطيح بتلك الحرمة ، ويخلى الطــريق لأطمــاعه .

كانت القبائل العربية فى صبغتها العامة ، ان لم نقل كلها تستطيل مـــدة الأشهر الحرم ، خاصة ما تعاقب منها ، وهى الثلاثة :

ذو القعــدة ، وذو الحجــة ، والمحــرم ، اذ كان لها قدسيتها فى النفوس وكان لها استجابة ذاتية عند العرب جميعا فى وجوب أن تكون الأرض ــ أرض الجزيرة ــ آمنة : لا يرتفع فيها ســلاح ، ولا تقع فيها غــارة ، ولا يطـــالب أثناءها بثأر ، لذا كانت الأشهر الحرم حجر عثرة أمام رغبــات المعتدين ، ومــن يريد النهبة والغارة ، اذ كيف يتأتى ذلك ، وقد ألقى السلاح ، ونبذ القتال .. ؟

لكن ، اذا أمكن ، والحال هذا ، اتخــاذ قرار بتأجيل التحريم انفســـح الطريق أمام من يريد فيمضى لمقصوده من بغى وثأر وعدوان .

واستطاع القوم تحقيق رغبتهم ، أليسوا قد غَيَّروا فى الدين ما هو أجـــل من ذلك وأعظم ، وابتدعوا فيه ما ليس منه ، وغيروه من توحيد خالص الى شرك أثيم ،ونصبوا حول الكعبة ثلاثمائة وستين وثنا ، وسطا بعضهم على المحــرمات فتزوج بامرأة أبيه ، ونبذ بعضهم الرحمة فوأد البنات .

فهل كان للأشهر الحرم ــ فى نفوس القوم ــ ما يجعلها فــوق التوحيـــد أو المحرمات ؟ !

الأميــة :

وبتكرار النسيىء على مدى لا يقل ــ بحال ــ عن قــرنين من الزمن ، وباختلاف ألوانه بين أصحاب الأشهر الأربعة أنفسهم .. الى جانب أصـــحاب الثمانية .. ... وما صاحب ذلك من تقديم وتأخير ، والقوم أميون ليس لديهم

ضبط عن طريق التدوين الخَطِّيّ ، صارت الأمية ثالثة الأثافى فى وقوع الخلط وعدم الضبط وضياع الميقات .

حتى اذا استعجم عليهم التوقيت لجأوا الى أخبث الناس ذمة القائلين : « لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ » (١) . . . . لجأوا إليهم ليضبطوا لهم الحساب فأضلوهم عنه شر ضلال ، وأوقعوهم فى « الكبس » الى جانب النسيىء ، فيقومون — فى كل ثلاث سنوات بتأخير شهر معين ، وليكن السابع مثلا مقابل أن يستمر الشهر الذى يسبقه مدة شهرين ، أى يزيدون شهرا قبل الشهر السابع فيجتمع النسيىء والكبس معا ، اذ « تأخير » السابع نسيىء ، وزيادة شهر قبله « كبس » وذلك ليحتفظوا بالخريف ما أمكن زمنا لشعيرة الحج (٢) .

الناسئون :

أول من عرف التاريخ من النَّسَأَةِ كانوا من « كِنْدَة » قال الأزرقى — رضى الله عنه : « لأنهم كانوا — قبل ذلك — ملوك العرب من ربيعة ومضر » (٣) .

وقد سطع التاريخ على كندة فى القرن الرابع للميلاد ، ويعتبر « حجر آكل المُرَار » بانى مجد تلك الدولة فى أواسط الجزيرة العربية ، وبلغت هذه الدولة أقصى قوتها فى عهد حفيده « الحارث » الذى أقام عرش الحِيرَةِ نحو سنة ٥٢٩ م . ولسنا نعلم — على وجه اليقين — متى قامت تلك الدولة ، ويعتبر « نونوسوس » أول من ذكرها من المؤرخين الاجانب دعاها باسم Kind ynoi أى كندة وذكر أنها قبيلة Maddynoi أى مَعَدّ ، وانتهى مُلْكُ كندة على يد « المنذر الثالث » من أمراء لخم عام ٥٢٩ م أى نفس العام الذى نصب فيه الحارث نفسه على عرش الحيرة (٤) .

ولسنا نشك فى أن نَسَأَةَ كندة ظلوا ينسأون والدولة لهم . ثم انتقلت منهم الى صهر لهم هو « مالك بن كنانة » من مضر ، فكان أول النسأة من المضريين ،

١ — آل عمران — الآية (٧٥)
٢ — راجع للاستاذ عبد الحميد لطفى — الشهور العربية (بحث بالعدد ٨٨ ص ٢٥ من مجلة الثقافة السنة الثانية ، أول شعبان ١٣٥٥ هـ ١٩٤٠/٩/٣ .
٣ — الازرقى — أخبار مكة شرفها الله ص ١٢٥ مصور عن الطبعة الاولى .
٤ — راجع د . جواد على — تاريخ العرب قبل الاسلام ٢١٧/٣ ود . فيليب حتى — تاريخ العرب مطول ١١٤/١ ، ١١٥ .

فكان ينسأ وهو بين ظهرانى الكتديين ، ثم نسأ ثعلبة بن مالك ، ثم الحارث بن مالك بن كنانة ، ويبدو أنه أول من لقب بـ « الْقَلَمَّس » ثم نسأ بعده ولده سرير بن القلمس .

ثم انتقلت النسأة الى بنى فقيم ، قال ابن كثير ـ رضى الله عنه : « قال ابن اسحاق : وكان النسيىء فى بنى فُقَيْم بن عدى بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر » .

ويتحدث ابن اسحاق عن أول الناسئين ومن بعده من بنى فُقَيْم فيما نقله ابن كثير : فيسميه الْقَلَمَّس قال ابن اسحاق : « وهو حذيفة بن عبد بن فقيم ابن عدى ، ثم قام بعده ابنه عبّاد ، ثم قلع بن عباد ، ثم أمية بن قلع ، ثم عوف ابن أمية ، ثم كان آخرهم أبو ثمامة : جنادة بن عوف بن قلع بن عباد ابن حذيفة ، وهو القلمس ، فعلى أبى ثمامة قام الاسلام » (١) .

والقلمس ، كما نرى ، انما هو لقب ، وهو فى معناه اللغوى يعنى : السيد العظيم ، والكثير الخير والعطية ، والداهية البعيد الغور من الرجال .. (٢) الخ.

وهكذا نجد النسيىء ضاربا فى عمق الجاهلية الى أكثر من ثلاثة قرون ـ على الأقل ـ قبل بعثة رسول الله ـ ﷺ ـ يدلك على هذا مباشرة هذه السلالة من الأجيال وذلك يعنى أنه وثيق الصلة بعصر طروء الوثنية التى استورد أصنامها عمرو بن لحى الخزاعى فى القرن الثالث الميلادى .

كيفية التنسيىء :

ونقدم صورة لتنسيىء القوم :

قال الأزرقى ـ رحمة الله عليه :

وكان أهل الجاهلية يسمون المحرم: صفر الأول ، وصفر: صفر الآخر ، فيقولون :

---

١ ـ راجع لابن كثير ـ السيرة النبوية ٩٦/١

٢ ـ انظر المادة فى لسان العرب

صفران ، وشهرا ربيع ، وجماديان ورجب وشعبان ، وشهر رمضان ، وشوال ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، فكان ينسأ (الناسىء) (١) الأنساء سنة ويترك سنة ليحلوا الشهور المحرمة ويحرموا الشهور التى ليست بمحرمة وكان ذلك من فعل ابليس ألقاه على السنتهم فرآوه حسنا ، فاذا كانت السنة التى ينسأ (الناسىء)(١) فيها يقوم فيخطب بفناء الكعبة ، ويجتمع الناس اليه يوم الصَّدَر (٢) فيقول :

« يأيها الناس ، انى قد أنسأت العام صفرا الأول ، يغنى المحرم » فيطرحونه (٣) من الشهور ولا يعتدون به ، ويبتدئون العدة ، فيقولون — لصفر وشهر ربيع الأول : صفرين ، ويقولون — لشهر ربيع الآخر ولجمادى الأولى : شهرى ربيع ، ويقولون — لجمادى الآخرة ولرجب : جماديين ، ويقولون — لشعبان : رجب ، ولشهر رمضان — شعبان ، ويقولون — لشوال : شهر رمضان ، ولذى القعدة : شوال ، ولذى الحجة : ذا القعدة ، ولصفر الأول — وهو المحرم الشهر الذى نسأه : ذا الحجة فيحجون تلك السنة فى المحرم ويبطل من هذه السنة شهرا » (٤) •

فاذا كان العام التالى هذا حرموا المحرم — وهو الشهر الذى وقع حجهم فيه ، ثم يستمرون على عد الشهور عدتها ، فاذا حجوا فى هذا العام الثانى وقع حجهم أيضا فى المحرم ، وبذلك يحجون فى كل شهر حجتين ثم ينسأ فى السنة التالية قال الأزرقى :

« فينسأ صفر الأول — فى عدتهم هذه ، وهو صفر الآخر فى عدتهم المستقيمة — حتى تكون حجتهم فى صفر أيضا حجتين ، وكذلك الشهور كلها حتى يستدير لحج فى كل أربع وعشرين سنة الى المحرم الذى ابتدءوا منه الانساء •

يحجون فى الشهور كلها فى كل شهر حجتين » (٥) •

ويرى الامام ابن كثير :

٥

---

١ — اللفظ بين القوسين مقحم ليتضح المعنى •

٢ — يوم الصدر : هو الرابع من ايام النحر يصدر فيه الناس عن مكة الى اماكنهم •

٣ — حديث الامام الأزرقى مستمر

(٤ — ٥) الامام الأزرقى ص ١٣٦ — ١٣٧

صفر.. والنسيء

« .... أن النسيء حاصل بدون هذا ، فانهم لما كانوا يحلون شهر المحرم عاما يحرمون عوضه صفرا ، وبعده ربيع وربيع الى آخر السنة بحالها على نظامها وعدتها وأسماء شهورها ، ثم فى السنة الثانية يحرمون المحرم (أى يعيدون الأمر الى نصابه (١)) ويتركونه على تحريمه ، وبعده صفر وربيع وربيع الى آخرها (**يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ**) أى فى تحريم أربعة أشهر من السنة الا أنهم تارة يقدمون تحريم الشهر الثالث من الثلاثة المتوالية ، وهو المحرم ، وتارة ينسئونه الى صفر » (٢) .

وما ذهب اليه الامام ابن كثير يرده — عندى — ما يترتب على رأيه هذا رحمه الله — من عدم دوران المحرم فى السنة كلها ودورانه فيها مقرر معروف .

قال الامام السندى — رضى الله عنه :

« .... فينتقل المحرم من شهر الى شهر حتى جعلوه فى السنة كلها .... » (٣) .

والله أعلم

حتى اذا كانت السنة العاشرة أعلن رسول الله — ﷺ بوحى من ربه — صحة تاريخها فقال — عليه الصلاة والسلام — يوم عرفة فى حجة الوداع :

ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض

السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات : ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » (٤) .

وبالله التوفيق ...

د/ على أحمد الخطيب

---

١ — ما بين القوسين مقحم للايضاح .

٢ — تفسير ابن كثير ٢/٣٥٧ .

٣ — حاشية السندى على صحيح البخارى ٣/٧٤ المطبعة البهية ١٢٩٩ هـ .

٤ — صحيح البخارى — باب حجة الوداع .

دراسات فى القرآن والسنة

الوعد الحق والنبوءة

أكثر الناس .. فى القرآن

من أعلام التفسير البيانى

أفضل الجهاد وأفضل الهجرة

الوعد الحق والنبوة التى نعيش فى واقعها

قال تعالى فى سورة النور

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا .. » الآية ــ ٥٥ .

تمهيد

فى جو صاخب بالوثنية ، حالك الظلام بالجاهلية ، معتم الفكر بانتشار الأمية .

فى هذا الجو الرهيب كلف الله نبيه محمدا ﷺ بالدعوة الى الحق « **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** » .

فيمارس النبى دعوة الله سرا فيتقبلها أفراد قليلون من الضعفاء وأبناء الأثرياء على مهل وفى تريث، وحينما ذاقوا حلاوتها اشتد تمسكهم بها وحبهم لها ، واشتركوا فى الدعوة اليها سرا حذرين خائفين .

وبعد ثلاث سنين من الدعوة سرا أمر الله نبيه ورسوله أن يجهر بدعوته بين عشيرته الأقربين ، ثم بين الناس أجمعين ، فدعا قومه الى حقيقة دين ابراهيم الذى يزعمون أنهم على دينه ويفخرون بأنهم من ذريته ، وأفهمهم أنه يقوم على التوحيد ونبذ عبادة الأوثان .

ولكنهم رفضوا دعوته قائلين « **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** » لكن محمدا ﷺ صبر على رفضهم وصابر ، وبين لهم أن الأوثان كبيوت العنكبوت « **وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** » .

وأنها مقدور عليها وليست بقادره ، فكيف يتخذونها آلهة وهى بهذا الهوان والضعف .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

فلم يكترثوا بنصحه ، وأمعنوا فى العكوف عليها ، وتقديم القرابين لها ، واعتقاد صدور النفع والضر عنها ، وظلوا يقولون **«مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»** .

وحينما أمعنوا فى اصرارهم على الكفر بالحق ، بالغ فى تهوين آلهتهم ، وسفه عقولهم وعقول آبائهم ، فاستعملوا الاستهزاء فى مواجهته ، والعنف فى مواجهة المؤمنين من حوله ، وكلما اشتدوا فى مواجهته ﷺ عاملهم باللين تارة وبالوعيد أخرى ، مبلغا فى ذلك قرآن ربه ، فعقدوا معاهدة بينهم على مقاطعته ومن يناصره من قرابته ، وسجلوها فى صحيفة ألصقوها بالكعبة لتكتسب القداسة عندهم .

فانحاز النبى ﷺ الى شعب أبى طالب عند جبل فاران ، وانحاز معه بنو هاشم وبنو المطلب ، ومكثوا فيه ثلاث سنين حتى جهدوا من آثار تلك المقاطعة وأكلوا أوراق الشجر ، ثم نهض جماعة من عقلائهم فمزقوا تلك الصحيفة الظالمة ، وعاد النبى ﷺ الى مكة بمن كانوا معه ، ولكن قريشا لم تنتزع عن ايذائهم الذى مارسته بعد الاستعلان بالدعوة لمدة عشر سنين .

ولما هاجر النبى ﷺ وأصحابه الى المدينة ، لاحتوهم بالايذاء والقتال والحجر على من لم يهاجر منهم .

(الوعد بالاستخلاف والتمكين فى ضباب الخوف واليأس) .

قال أبو العالية : مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعد ما أوحى اليه — أى بعد ما أمر بالجهر بالدعوة — خائفا هو وأصحابه ، يدعون الى الله سرا وجهرا ، ثم أمر بالهجرة الى المدينة وكانوا فيها خائفين ، يصبحون ويمسون فى السلاح .

فقال رجل : يارسول الله . أما يأتى يوم علينا نأمن ونضع السلاح ، فقال ﷺ **« لا تلبثون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبيا ليس عليه حديدة » (١)** وأنزل الله هذه الآية وأظهر الله نبيه على جزيرة العرب ، فوضعوا السلاح وأمنوا :

قال النحاس : فكان فى هذه الآية دلالة على نبوة رسول الله ﷺ ، لأن الله تعالى أنجز ذلك الوعد .

(بيان الاعجاز فى هذه الآية العظيمة) .

قد عرفت الحرج الذى كان فيه النبى ﷺ وأصحابه من أهل مكة ، ولم يقتصر الأمر على

(١) الاحتباء الجمع بين الظهر والساقين عند الجلوس بتطويق الساقين بالذراعين ، والمراد بالحديدة السلاح .

ذلك ، بل كانوا محاصرين بالعرب المشركين من كل جانب ، ومحاطين باليهود حول المدينة وهم أهل خيبر وبنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وسواهم •

ومن وراء هؤلاء وأولئك النصارى والوثنيون فى بقاع الأرض ، كما يعيش بينهم منافقون لهم مواقف أليمة سجلها القرآن والسنة عليهم •

وفى هذا الجو القاتم يبشر الرسول سائله بأنهم لا يلبثون الا زمنا يسيرا حتى يأمنوا ويضعوا السلاح ، ويجلس الرجل منهم فى الملأ العظيم محتبيا ليس عليه حديدة ، فلا دروع ولا سهام ولا غير ذلك من وسائل الحرب التى كانت متبعة وقتئذ •

ولا يكتفى بذلك ، بل يبلغ الناس أن ربه أوحى اليه أنه سيستخلف المسلمين فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وأن يمكن ويثبت لهم دينهم الذى ارتضاه لهم ، فلا يستطيع أحد مهما كان سلطانه أن يمحوه من الأرض ، وأن يبدلهم من بعد خوفهم الذى يعيشون فيه أمنا وطمأنينة •

فكيف يجرؤ داعية أن يبلغ الناس هذه الوعود البعيدة المدى ، ولا قبل للخيال بتقبلها ، فما لم يكن هذا الداعية واثقا من ربه وموعودا منه ، فانه لا يستطيع أن يقامر بمركزه وبدعوته بمثل تلك الوعود التى ستقابل بالتكذيب من خصومه قطعا ، ويخشى أن تقابل بالشك ان لم تقابل بالتكذيب ممن آمن به ، اذ يقولون : كيف كيف يحقق أهل المدينة ومن هاجر اليها من المسلمين بزعامة محمد وظروفهم مع العالم على النحو الذى حكيناه ، فهى تحكى اليأس وتنادى بالقنوط •

لكن هؤلاء المؤمنين عرفوا محمدا بالصدق والامانة قبل الرسالة ، وعرفوه بهما أكثر وأكثر بعد الرسالة والمعايشة ، وعرفوا أن الله معه فى أمره كله ، فصدقوه وآمنوا بصدق ما أخبرهم به عن ربه واثقين مخبتين ، وعاشوا حتى عاينوا تحقيقه ، ورأوه وعدا مفعولا ، فقد رأوا معظم الجزيرة العربية يدين بالاسلام فى عهده ﷺ بعد أن ذلت قريش ودالت دولة الأوثان فى مكة ، وعلت راية الاسلام فوق كعبتها ، ودوى من فوقها صوت المؤذن : الله أكبر الله أكبر •

وتحقق قوله ﷺ لخباب بن الأرت بمكة فى ذروة العذاب مسليا مصبرا والله ليتمن الله الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون أخرجه الامام مسلم •

وهكذا استخلف الله المسلمين على مكة وأرض العرب ، كما استخلف بنى اسرائيل على أرض الكنعانيين (باقليم ايلياء) بقيادة يوشع بعد موسى عليهما السلام ، وهى الأرض المباركة التى دعاهم موسى الى دخولها بما حكاه الله بقوله « **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** » •

فلما امتنعوا عن دخولها مدعين أن أهلها جبارون ولا يستطيعون قتالهم ، وقالوا له « **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** » حرمها الله عليهم أربعين سنة يتيهون فى

الأرض ، وبعدها فتح بهم يوشع أريحا وغيرها ، وقد صقلتهم العقوبة ونشأ بينهم جيل صالح ، وتحقق بذلك وعد الله لهم ، ولكن الله تعالى قد نزعها منهم مرة بعد أخرى فى عهود مختلفة بعدما أشركوا وأفسدوا فى الأرض وعبدوا آلهة الشعوب من حولهم ، وسوف تتكرر هذه العقوبة كلما بغوا فى الأرض وفقا لوعد الله « **وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا** » .

ما هى حدود الأرض الموعودة للمؤمنين

لقد وعد الله المؤمنين الصالحين — فى هذه الآية — وعدهم أن يستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، ولم يبين لهم الأرض التى سوف يستخلفهم عليها .

وقد ذهب العلماء فى تفسيرهم مذهبين ، فمن قائل : انها الأرض التى استولى عليها الخلفاء الأربعة بعد رسول الله ﷺ ، نقل النقاش عن الضحاك أنه قال : هذه الآية تتضمن خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، لأنهم خير من آمن وعمل الصالحات ، وقد قال ﷺ « الخلافة بعدى ثلاثون سنة » .

والى هذا الرأى ذهب ابن العربى فى كتابه (أحكام القرآن) .

وقال : قال علماؤنا هذه الآية دليل على صحة خلافة الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم ، وأن الله استخلفهم ورضى أمانتهم وكانوا على الدين الذى ارتضى لهم ، فاستقر الأمر لهم ، وقاموا بسياسة المسلمين ، وذبوا عن حوزة الدين ، فنفذ الوعد فيهم ، وليس بعدهم مثلهم الى يومنا هذا ، ولا يكون فيما بعدهم رضى الله عنهم : انتهى كلام ابن العربى بتصرف يسير .

وحكى النقاش هذا القول عن ابن عباس رضى الله عنهما ، واحتج أصحاب هذا القول بما رواه سفينة مولى رسول الله ﷺ قال : (سمعنا رسول الله ﷺ يقول « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » .

قال سفينة لسعيد بن حمدان راوى هذا الحديث عنه : أمسك عليك : خلافة أبى بكر سنتين ، وخلافة عمر عشر سنين ، وخلافة عثمان ثنتى عشرة سنة ، وخلافة على ستا) وبهذا تم العدد ثلاثين كما أخبر النبى ﷺ .

ومن قائل ان الآية وعد للأمة الاسلامية بملك الأرض كلها وسيطرتهم عليها ، واستشهدوا بقوله ﷺ « زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها » .

واختار ابن عطية فى تفسيره هذا الرأى ، حيث قال : والصحيح فى الآية أنها فى استخلاف الجمهور ، واستخلافهم هو أن يملكهم البلاد ويجعلهم أهلها ، كالذى جرى فى الشام والعراق وخراسان والمغرب : أ هـ .

ونحن نرجح عموم هذا الوعد المؤكد بالقسم للأمة الاسلامية ، بأنها ستملك الأرض كلها ، ولا يمكن تخصيصه بعصر الخلفاء أو غيرهم الا بخبر المعصوم ، فوجب الأخذ بعمومه وأماراته ظاهرة فيما يملكه المسلمون اليوم فى شتى بقاع الأرض ، وسوف يتحقق المزيد

٧

حتى يتم وعد الله الذى لا يتخلف بمشيئة الله تعالى .

واحتج الماوردى لعمومه بما رواه سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما على ظهر الأرض بيت حجر ولا مدر الا أدخله الله كلمة الاسلام ، بعز عزيز أو ذل ذليل ، أما بعزهم فجعلهم من أهلها ، وأما بذلهم فيدينون بها » أى يخضعون لها وهم على دينهم .

من بركات هذا الوعد التنبؤ بفتح الفرس

وكان من بركات هذا الوعد الالهى لعباده المؤمنين ما أخرجه البخارى بسنده عن عدى ابن حاتم قال « بينا أنا عند رسول الله ﷺ ، اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ، ثم أتى اليه أخر فشكا اليه قطع السبيل .

فقال ﷺ يا عدى هل رأيت الحيرة ؟

قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها .

فقال : ان طالت بك حياة لترين الظعينة (١) ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا الا الله .

قلت فى نفسى : فأين دعار (٢) طيىء الذين سعروا (٣) فى البلاد ، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى .

قلت : كسرى بن هرمز ؟

قال : كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل ملء كفيه ذهبا أو فضة ، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فليقولن : ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى ، فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى يارب ، فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم ، وعن يساره فلا يرى الا جهنم ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة :

ـ قال عدى رضى الله عنه : رأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت لا تخاف الا الله ، وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم الحياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ : يخرج الرجل ملء كفه ذهبا أو فضة فلا يجد من يقبله .

والتنبؤ بفتح مصر

فعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيرا ، فان لهم ذمة ورحما » أخرجه الامام مسلم .

وقد تم فتح الفرس ومصر وغيرهما من الأقطار العديدة التى أظلها الاسلام فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين .

سؤال هام وجوابه

قد يقول قائل : ما بالنا نرى الاسلام لم

---

(١) هى المرأة فى هودجها .

(٢) دعار جمع داعر وهو الخبيث الفاسق .

(٣) أى أوقدوا نيران الفتنة .

يمتد الى جميع أطراف الأرض حتى الآن — كما وعد الله ورسوله — وأن بعثات التبشير تؤثر على بعض المسلمين فى البلاد المتخلفة فتجعلهم يرتدون ، وأنهم عرضة لغزوات المستعمرين من الخارج ، وفتنتهم بالمؤامرات من الداخل فهم لا يأمنون على أنفسهم •

والجواب أن الله تعالى مكن للمؤمنين الصالحين من الاتساع العريض فى أرضه فى زمن قليل كانوا فيه معتصمين بحبل الله ، مجتمعين غير متفرقين ، عاملين بقوله تعالى « **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** » ويقوله « **خُذُوا حِذْرَكُمْ** » وكانوا حريصين على تبليغ الدعوة ، لا يغفلون عن مؤامرات أعدائهم ، ولا يقصرون فى اظهار البأس لهم ، حتى خافهم أعداؤهم وانكمشوا فى بلادهم •

وكان السلف الصالح يحسنون الدعوة الى دينهم فى غزواتهم أو فى رحلاتهم التجارية ، حتى دخل فى الاسلام أمم كثيرة ، بفضل الجد وصدق اللقاء ووحدة الأمة ، واعداد العدة ، واجادة الدعوة لله ، ابتغاء مرضاة الله ، لا لجمع المال والحرص على الدنيا •

ولما قصر الخلف فسلكوا سبيل الفرقة والتقصير فى الدعوة والعدة أصابهم ما أصابهم ، فلابد لهم من العمل بكتاب الله ، ليأخذ وعد الله مداه الواسع العريض •

لابد لهم من الاجتماع وعدم التفرق ، وتقوية أجهزة الدعوة ، وعمل مصرف لها يشترك فى تأسيسه جميع الدول الاسلامية تحت اسم « الدفاع عن الاسلام » أو أى اسم آخر « كصندوق الدعوة الى الله » ، ولابد من ترجمة معانى القرآن الى مختلف اللغات ترجمة سليمة تحافظ على معانيه وأهدافه •

فان الاسلام يبهر عقول علماء الغرب ومثقفيهم فى عصرنا هذا ، اذا عرفوا عقائده السديدة ومبادئه الرشيدة ممن يرشدهم اليه ، لابد للأمم الاسلامية من العمل بهمة وبذل وسخاء ، فان هذا الدين هو اكسير الحياة والشفاء لهذه الانسانية المعذبة •

وقد وعد الله به جميع عباده ، فحققوا أيها الغر الميامين وعد الله بالعمل بكتاب الله ، فان هذا الوعد انما أعطاه الله للمؤمنين الذين يعملون الصالحات •

وهو مشروط بأنهم يعبدونه لا يشركون به شيئا ، ومقترن بانذار فى نهاية الآية ، وذلك فى قوله تعالى « **وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** » أى ومن كفر النعمة بعد هذا الاستخلاف وتمكين الدين والأمن بعد الخوف فأولئكم هم الفاسقون •

وليعلم المسلمون أنهم على وعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقاء هذا الدين حتى تقوم الساعة •

فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ولن يزال أمر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة أو حتى يأتى أمر الله » •

فانهضوا أيها المسلمون من سباتكم ، واستعيدوا بصدق الايمان والاخلاص فى العمل مجدكم وعزكم ، واياكم والفرقة « فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية « الاهل بلغت اللهم فاشهد •

مصطفى محمد الحديدى
عضومجمع البحوث الاسلامية

أكثر الناس ..

في القرآن الكريم

٢

٦ ـ وعد الله فى سورة الروم ان الروم الكتابيين سيغلبون الفرس المجوس ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فقال تعالى :

﴿ الٓمٓ . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ . وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم ١ ـ ٦ .

(ألم) يرى بعض المفسرين أن من هذه الحروف (أ ل م) وأمثالها تألف القرآن الذى عجز العرب الفصحاء أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله ، وأتبع ذلك بمعجزة الاخبار بالغيب وهو نصر الكتابيين على المجوس ، والمراد بالأرض فى قوله : (أَدْنَى ٱلْأَرْضِ) أرض العرب ، لأنها المعهودة عندهم ، وشاء الله أن يغلب الروم الفرس بعد تغلب الفرس عليهم ليتفكروا ويتذكروا أن ذلك بأمر الله (لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ) (وَمِنۢ بَعْدُ) الغلب .

ويوم يقع ذلك ويغلب الروم الكتابيون الفرس المجوس يفرح المؤمنون من المسلمين بتغلبهم على الوثنيين المشركين ، وقد وقع ذلك وغلب المسلمون المشركين فى بدر ، وقد فرح المؤمنون (بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ) فالنصر بيده لمن أراد نصره (وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ) .

(وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ) وهذا مصدر مؤكد لنفسه ، لأن ما قبله فى معنى الوعد ، كأنه قيل وعد الله وعدا بأنهم سيغلبون ولن يخلف الله وعده (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) وعده وأنه لا يخلف وعده .

وهكذا نفى الله علم ما ذكر من الاخبار بالغيب فى أن الروم سيغلبون وينتصرون بعد هزيمة الفرس لهم وأنه يوم يتحقق نصر الروم على الفرس يتحقق نصر المسلمين على المشركين ، وأكثر الناس لا يعلمون ذلك ، وأراد بالكثرة المشركين .

أما المؤمنون وهم قلة فانهم يعلمون أن الله

للدكتور محمد محمد خليفه

سينصرهم ، لأنه وعد المؤمنين النصر ولن يخلف الله وعده .

***

٧ ـ الدين القيم دين الفطرة .

حول ذلك يقول الله تعالى :

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) الروم ٣٠ .

بعد أن بين الله فى الآية السابقة على هذه أن المشركين اتبعوا أهواءهم فأشركوا استجابة لتلك الأهواء على الرغم من ظهور دلائل الوحدانية أمام أبصارهم وبصائرهم ولكنهم عميت أبصارهم وبصائرهم بعد ذلك أمر الله نبيه ﷺ أن يقيم وجهه للدين ، وعبر بالوجه عن الذات كما قال فى آية أخرى : **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)** وأراد ذاته .

والمعنى : أقبل على الدين ، ومل عن كل شىء غيره فلا تجعل فى قلبك غيره **(فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)** والزم فطرة الله ، وهى التوحيد وقد فطر وخلق الله الناس عايها حين كانوا ذرا فى ظهر آدم ، وسألهم : **ألست بربكم) ؟**

فقالوا : بلى **(لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)** قيل : ساق الله قوله : **(لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)** لتسلية النبى ﷺ حيث لم يؤمن قومه ، على معنى أنهم خلقوا أشقياء ، وقدر الله لهم الشقاوة ، ولا تبديل لما قدر الله .

وقيل : ان الوحدانية راسخة فى قلوب الجميع حتى لو سئل أحد من المشركين : من خلق السموات والأرض ؟ لقالوا : الله ، فلا تغيير ولا تبديل لما فى القلوب من الاعتراف بأن الخالق هو الله : فهم لو تركوا وما خلقوا عليه لما تركوا الدين الحنيف وقد قال النبى ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه **(ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)** اشارة الى الدين الذى أمر الرسول ﷺ باقامة الوجه له .

أو الاشارة الى لزوم الفطرة التى يراد بها الملة ، فذلك هو الدين الذى لا عوج فيه ولا انحراف .

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن ذلك هو الدين المستنيم فيصدون عنه وهكذا نفى الله عن أكثر الناس العلم بأنه الدين المستقيم على الرغم من أنه دين الفطرة التى فطر الله الخلق عليها .

والقلة من الناس هم الذين يؤمنون بأنه دين الحق .

***

٨ ـ وحول رسالة محمد ﷺ قال تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) سبأ ٢٨ .

بين الله فى الآية رسالة محمد ﷺ من حيث

٧

عمومها لجميع الناس على اختلاف ألوانهم وأقطارهم ولغاتهم تقودهم الى الحق ، وتشدهم الى الايمان ، وتكفهم عن الكفر ليتحقق ما وعد الله المؤمنين من البشارة بجناته ورضوانه ، وتزجر العصاة ، وترهبهم من غضب الله وجحيمه الذى أعده لمن جحد وكفر (**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) أن محمدا ﷺ أرسل الى الناس كافة ، وذلك الجهل وتلك الغفلة تحمل أكثر الناس ممن أراد الله لهم الضلال ولم يشرح صدورهم للحق أن يتوهوا فى غيهم والقلة المؤمنة هى التى تعلم أن خاتم النبيين بعثه الله للناس كافة بشيرا ونذيرا ٠

* * *

٩ ــ وحول الرد على ما زعم مترفو مكة من أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا أن المؤمنين من أتباع محمد ﷺ هانوا عليه لما حرمهم من تلك الطيبات قال تعالى (**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) سبأ ٣٦ ٠

أمر الله نبيه ﷺ أن يقول لأولئك المترفين الهائمين فى الضلال ممن فسدت آراؤهم وتفكيرهم : ان الله يبسط الرزق لمن يشاء وأن يبسطه ، ويقدر على من يشاء أن يقدره عليه ، فلا تدل سعة الرزق وضيقه على أن ذلك مرتبط برضاء الله أو سخطه فقد يوسع على الجاحد ، ويضيق على المؤمن كما ترى ارادته وتقتضى مشيئته ، ثم استدرك فقال : (**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) ذلك فيزعمون أن مرجع البسط الى تشريف الله وتكريمه لمن بسط لهم٠ ومرجع التضييق الى اهانة الله لمن ضيق عليهم ، ونسوا أن الله قد يستدرج من بسط لهم ليتمادوا فى طغيانهم ، ثم ينكل بهم فى الدنيا أو الآخرة أو فيهما معا ٠

وقد يبتلى من يضيق عليهم ليشتد صبرهم على الابتلاء فيضاعف ثوابهم ٠

(**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**) ٠

وهكذا نفى الله عن أكثر الناس ممن خفيت عليهم حكمة الله وما أكثرهم ، نفى عنهم علمهم بأنه وحده الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر على من يشاء لحكمة تراها ارادته والقلة المؤمنة هم الذين يعلمون أن ضنك العيش وخصوبته يرجعان الى مشيئة الله دون اختصاص بما تكون فيه عقيدة الانسان من ايمان أو كفر أو طاعة وعصيان ٠

١٠ ــ وحول موقف المجادلين فى آيات الله بغير حجة يقول الله تعالى :

« **إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) غافر ٥٦ ، ٥٧ ٠

بين الله فى هذه الآية السبب الذى حمل الجاحدين على أن ينكروا نبوة محمد ﷺ من حيث جدلهم الباطل الذى لم يعتمد على حجة أو دليل ، وكان السبب فى موقفهم وجدالهم يرجع الى الكبر الذى ملأ صدورهم حتى كانت صدورهم ظرفا للكبر الذى ألهب أحقادهم لأنهم يرون أنهم لو سلموا بنبوة محمد ﷺ لكانوا تحت يده وأمره ونهيه جميعا لا فرق فيهم بين سيد ومسود لأن النبوة فوق الملوك والرياسات على اختلاف سلطانها ، وهم لا يرضون الخضوع لتلك النبوة التى ينقاد لها الناس جميعا حتى الملوك ، وما هم ببالغى ما أرادوا ، ولابد أن يصيروا يوما تحت أمرك يا محمد .

فاستعذ بالله ، والتجىء الى حماه من كيد من يجادلك من المشركين أو اليهود وهو السميع بما يقولون وتقول ، والبصير بما تفعل ويفعلون .

وبعد أن ساق موقف المنكرين وجدالهم بغير سلطان وحجة قدم الدليل المفحم للمنكرين على أن القادر على الأقوى والأعظم قادر على الأضعف والأقل ، فبين أن خلق السموات والأرض أكبر وأعظم من خلق الناس ، وهم لا ينكرون أن خالق السموات والأرض هو الله

(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) ، وكان الخليق بهم أن يقروا ويعترفوا بأن القادر على خلقهما قادر كذلك على اعادة الانسان الذى خلقه أولا .

ومن عجب أن هذا الدليل على قوته صار بحيث لا يعلمه أكثر الناس ، وأراد بأولئك الأكثر من ينكرون البعث والنشر .

وهكذا يتبين أن الذين يجادلون فى آيات الله ودلائل قدرته بغير حجة ولا دليل لم يحملهم على ذلك الجدل والانكار غير الكبر والجهل والحسد والتعصب الأعمى لآراء سادتهم الذين ملأ الحقد قلوبهم ، وما أكثر لحاقدين الجاهلين الذين أعماهم الجهل عن رؤية الحق وانكار البعث **(أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم)**

وهكذا نفى الله عن أكثر الناس علم ما لا يجهله أحد غير المعاندين الغافلين الذين قصرت أنظارهم وانساقوا وراء أهوائهم وأحقادهم .

١١ — وحول تعسف منكرى البعث فيما طلبوا والرد عليهم ، قال تعالى :

« وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » الجاثية ٢٥ ، ٢٦ .

لقد أنكر الجاحدون أن المحيى والمميت

٥

هو الله فى الآية السابقة وقالوا ان الاحياء والاماتة فعل الدهر فيما حكاه الله فى قوله :

«وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ» ، وبين فى هذه الآية أنهم اذا تليت عليهم الآيات الواضحة وسيقت اليهم الدلائل الناطقة بالحق ـ ومن جملة ماجاءت به البعث ـ لم يكن لهم من شىء يتمسكون به الا ان يقولوا : **« ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين »** فى أنا سنبعث بعد الموت ، وقد سمى هذا القول حجة ، لأنهم ساقوه مساق الحجة والدليل .

وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم بأن الله يحييهم من العدم ابتداء ثم يميتهم بعد انقضاء آجالهم ـ لا كما يدعون من أنهم يحيون ويموتون بفعل الدهر ـ ثم يجمعهم بعد أن يصيروا رميما الى يوم القيامة الذى لا ريب فيه أى فى الجمع ، لأن من قدر على الخلق والايجاد والابداع الأول قادر على الخلق الثانى والاعادة للجزاء **« وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »** أن شكوكهم مرجعها فرط الجهل وقصر النظر فى ادراك دلالة وجود الانسان والحيوان والنبات والارد وكل ما عليها والسموات وما فيها وما بين السماء والأرض من كواكب ومواد وعوالم أفلا يدل كل ذلك على وجود الاله القادر الحكيم الذى أوجدهم حيث لم يكونوا شيئا ، وهو القادر على ايجادهم وبعثهم ثانيا .

وهكذا نفى ـ سبحانه ـ العلم عن أكثر الناس ، وأراد أولئك الذين ينكرون البعث « ويقولون نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » وما أكثر الجاهلين ضعاف النظر والعقل والرأى الذين ينكرون على الله قدرته على احياء الخلق ثانيا وجمعهم يوم القيامة حيث السؤال والحساب والجزاء .

يتبع

د/ محمد محمد خليفة

من أعلام التفسير البيانى :

أبو السعود العمادى

حياته ، منهجه فى التفسير

للدكتور الشحات محمد عبد الرحمن

تقـــديم :

تعرض لتفسير القرآن الكريم علماء كثيرون ، فى القديم والحديث ، وهم مع مع وحدة الهدف الا أن كل واحـد منهم وجه عنايته فى تفسيره الى الفن الذى برع فيه .

فالفقيه اهتم باستنباط ما فى الآيات من أحكام فقهية .

والحكيم أظهر كنوز الحكمة وبـدائع الآيات الكونية .

والبليغ عنى بابراز بـلاغة القـرآن الكريم ، وكشف أسراره البيانية .

ومن العلماء الذين اتجهوا فى تفسير القرآن الكريم وجهة بيانية ، مبرزين اعجازه فى بديع نظمه ، وعجيب تأليفه ، ومظهرين سمو ألفاظه وعلو تراكيبه : شيخ الاسلام أبو السـعود محمد بن محمد بن مصطفى العمـادى (١) فى تفسيره العظيم : « ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم .

وسنلقى فى هذا البحث الضوء على حيـاة أبى السعود ، ومنهجه فى تفسيره .

أولا : معالم حياته :

ولادتـــه :

ولد أبو السعود فى التاسع عشر من صـفر سنة ٨٩٨ هـ فى قرية قريبة من القسطنطينيـة تسمى « اسكليب (٢) ، وذلك فى عهد السلطان العثمانى « بايزيد الثانى » الذى تولى عرش

(١) أبو السعود كنيته ، والعماد لقب أبيه ، وهو فى الاصل : الابنية الرفيعة ، والعمـاد قلعة شمالى الموصل . ينظر حاشية السقا على تفسير أبى السعود : ١ ـ ١١ .

(٢) ينظر العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم ، هامش وفيات الاعيان : ٢ ـ ٢٨٢ .

الخلافة العثمانية سنة ٨٨٦ هـ . بعد وفاة السلطان محمد الفاتح ، وشهد حكم السلاطين سليم الأول ، وسليمان القانونى ، وسليم الثانى ، وهذه الفترة يعتبرها المؤرخون عصر القوة فى تاريخ الدولة العثمانية .

أسرته :

ولد أبو السعود لأسرة مشهورة بالعلم والفضل والتقوى ، فوالده هو العالم العارف الشيخ محيى الدين محمد بن مصطفى ، الذى جمع بين العلم والعمل ، وأحبه السلطان بايزيد الثانى حتى اشتهر بين الناس بشيخ السلطان ، وبنى له زاوية بمدينة القسطنطينية ، وكان الأكابر يذهبون الى بابه ، ويأتيه الوزراء وقضاة العسكر لزيارته (١) .

وأمة سليلة بيت علم وفضل ، فهى بنت أخى العلامة علاء الدين على القوشجى الذى برع فى شتى العلوم ، وله فيها مصنفات عديدة (٢) .

وفى هذا البيت الزاخر بالعلم والفضل نشأ أبو السعود « وقد مهد له فى مهده الصواب ، وسخر له أبيات الخطاب ، وتربى فى حجر العلم حتى ربا ، وارتضع ثدى الفضل الى أن ترعرع وحبا ، ولازال يخدم العلوم الشريفة ، حتى رحب باعه ، وامتد ساعده واشتد اتساعه (٣) .

شيوخه :

تلقى أبو السعود العلم على أعلام عصره ، ولقد كان والده أول شيوخه وأكبرهم أثرا فيه ، حيث تعهده منذ نشأته بالتربية والتعليم ، وشرح له كثيرا من أمهات الكتب ، ومما نقل عن أبى السعود قوله : قرأت على والدى حاشية التجريد للسيد الشريف الجرجانى من أول الكتاب الى آخره مع جميع الحواشى المنقولة عنه ، وقرأت عليه شرح المفتاح ، وشرح المواقف له أيضا (٤) .

ومن شيوخه أبو المعالى عبد الرحمن بن على المؤيد ، وأبو الفضائل محمد بن محمد ، وهما من كبار الشيوخ فى هذا العصر (٥) .

وهو كثير الثناء على شيوخه ، عظيم التبجيل لهم ، مما يدل على تواضعه فى تلقى العلم ، وتخلقه بأخلاق العلماء .

وظائفه :

عمل أبو السعود فى التدريس لفترة طويلة ، وتنقل بين عدة مدارس ، ثم قلد قضاء « بروسة » ثم نقل الى قضاء القسطنطينية ، ثم الى قضاء العسكر فى ولاية « روم ايلى » ودام عليه ثمانى سنوات ، ثم سلم اليه زمام

(١) الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية هامش وفيات الاعيان : ١ ــ ٢٨٣
(٢) السابق : ١ ــ ١٧٧ والنور السافر : ٢٣٩
(٣) العقد المنظوم : ٢ ــ ٢٨٣
(٤) السابق : ٢ ــ ٢٨٣
(٥) السابق : ٢ ــ ١٤٤

الفتوى ، فصار مفتى « الدولة العثمانية ، وشيخ الاسلام فيها ، وذلك فى شعبان سنة ٩٥٢ هـ ، وظل فى هذا المنصب الرفيع نحوا من ثلاثين سنة الى أن لقى ربه » (١) .

ولقد كان منصب الافتاء أعلى المناصب الدينية والقضائية فى الدولة العثمانية ، اذ خضعت كل الهيئات القضائية والدينية بعد السلطان سليم الأول لسلطة المفتى ، بوصفه شيخ الاسلام ، وكان السلاطين شديدى الحرص على تأييد سلطته ، وكانوا يفزعون اليه كلما حزبهم أمر (٢) .

ومن هنا ندرك مدى المكانة التى تهيأت لأبى السعود بولايته منصب الافتاء ، ولاريب فى أن بقاءه فى هذا المنصب ثلاثين سنة حتى انتقل الى جوار ربه ، دليل أكيد على ما كان يتمتع به من تعظيم وتقدير .

علمه وفضله :

احتل أبو السعود مكانة سامقة فى العلم ، وتبوأ رتبة سامية فى الفضل ، فكان رحمه الله فقيها أصوليا مفسرا شاعرا عارفا باللغات العربية والفارسية والتركية ، وكان يكتب جواب الفتوى على منوال ما يكتبه السائل ، واقعا على لسان العرب والعجم والروم من المنثور والمنظوم (٣) . « فان كان السؤال منظوما كان الجواب منظوما ، وان كان السؤال نثرا كان الجواب مثله ، وان كان بلغة العرب فالجواب بلغة العرب ، وان كان بلغة الترك فالجواب بلغة الترك ... وهكذا مما يشهد للرجل بسعة أفقه ، وغزارة مادته »(٤) .

وقد أطنب مترجموه فى الثناء عليه فقال اللكنوى : شيخ كبير وعالم نحرير ، لا فى العجم له مثيل ولا فى العرب له نظير ، انتهت اليه رياسة الحنفية فى زمانه وبقى مدة العمر فى الجلالة وعلو الشأن .... (٥) . وقال عطى منوق : كان من الذين قعدوا من الفضائل والمعارف على سنامها وغاربها ، وضربت له نوبة الامتياز فى مشارق الأرض ومغاربها ، تفرد فى ميدان فضله فلم يجاره أحد ، وضاقت عن احاطته صدور الحصر والحد .... (٦) .

ومما أخذ عليه ميله الزائد الى أرباب الرياسة ، والاكتراث بمداراة الناس ، ولعل مما يؤكد هذا ما ذكره فى مقدمة تفسيره من مغالاة فى مدح السلطان سليمان ، واسراف فى خلع الألقاب عليه .

وهذا لا يقلل من شأنه وفضله ، ولا يضعف من جهوده فى خدمة الدين والعلم ، ويكفيه أنه استطاع مراجعة قانون الأراضى فى أوربا ، وأخذ فيه بمبادىء الشريعة الاسلامية ، ونجح وهو شيخ الاسلام فى أن يطوع القانون

(١) العقد المنظوم : ٢ ـ ٢٨٣ ـ ٢٨٦
(٢) الاتراك العثمانيون وحضارتهم : ١٠١ ـ بروكلمان .
(٣) معجم المؤلفين : ١١ ـ ٣٠١
(٤) التفسير والمفسرون : ١ ـ ٣٤٦ د . محمد حسين الذهبى .
(٥) الفوائد البهية : ٨١ .
(٦) العقد المنظوم : ٢ ـ ٢٨٩

الادارى فى الدولة العثمانية للشريعة الاسلامية (١) .

نثره وشعره :

ملك أبو السعود زمام التعبير بالعربية نثرا ونظما ، حتى تعجب معاصروه من ذلك قال الشيخ قطب الدين المفتى : اجتمعت به وهو قاضى اسطنبول سنة ٩٤٣ هـ ، فرأيته فصيحا ، وفى الفن رجيحا ، فتعجبت من تلك العربية ممن لم يسلك ديار العرب ، ولا محالة أنها من منح الرب (٢) . وكان رحمه الله واسع التقرير سائغ التحرير ، يلتقط الدر من كلمه ، ويتناثر الجوهر من حكمه ، اذا نثر تراه بحرا زاخرا ، واذا نظم قلد جيد البيان درا فاخرا ... (٣) .

وله بعض لرسائل الأدبية ، ومنها رسالة أرسلها الى أحبابه يقول فيها : وأما حال البعاد ، من آلام النأى والبعاد ، وما دهمه من تباريح الشوق والغرام ، واعتراه من لواعج الوجد والأوام (٤) مذغاب طلعتكم عن العين ، ونعب بيننا غراب البين ، وزمت الركاب للرحال ، وانبت من بيننا حبل الاتصال ، فلا يحيط بها نطاق التحرير ، ولا يعلمها الا العليم الخبير (٥)

ونلحظ فى هذه الرسالة شيوع السجع ، والجناس وغيرهما من فنون البديع ، ودوران الجمل حول معان متقاربة ، وهى لا تخرج عن الطريقة السائدة فى هذا العصر .

ولأبى السعود شعر كثير فى أغراض مختلفة ومن جيد شعره قصيدته فى رثاء السلطان سليمان القانونى ، ومطلعها :

أصوت صاعقة أو نفخة الصور
والأرض قد ملئت من نقر ناقور
أصاب منها الورى دهياء داهية
وذاق منها البرايا صعقة الطور

وهى قصيدة طويلة فيها تصوير لما أصاب الناس والبلاد من هول بموت سلطانهم ، وبيان لمكانته فى قلوب المسلمين ، وحديث عن أخلاقه ، وجهاده العظيم فى رفع راية الاسلام ... (٦) .

وشعر أبى السعود لا يخلو من عيوب فى شكله ، كما أنه ضعيف العاطفة ، محدود الخيال ولكنه اذا قورن بما قيل من شعر فى عصره فانه يحتل مكانة جيدة .

آثاره :

عمل أبو السعود منذ سن مبكرة فى التدريس ، وولى القضاء ، وارتقى منصب الافتاء ، وكانت هذه الأعمال سببا فى قلة مصنفاته ، وقد ذكرت له كتب التراجم عددا من الرسائل والكتب ، أهمها : (٧)

١ ــ تحفة الطلاب فى المناظرة .

٢ ــ رسالة فى المسح على الخفين .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : ١ ــ ٤٨٩
(٢) النور السافر : ٢٤٠ .
(٣) العقد المنظوم : ٢ ــ ٢٩١
(٤) الاوام بالضم : شدة العطش وحره
(٥) العقد المنظوم : ٢ ــ ٢٩٢
(٦) تنظر القصيدة كاملة فى حاشية السقا : ١ــ٢١
(٧) ينظر العقد المنظوم : ٢ ــ ٢٩٠ ، ومعجم المؤلفين : ١١ ــ ٣٠٢

٣ ــ رسالة فى مسائل الوقوف .

٤ ــ رسالة فى تسجيل الأوقاف .

٥ ــ قصة هاروت وماروت .

٦ ــ بعض الحواشى على الكشاف .

٧ ــ حاشية على العناية من أول كتاب البيع من الهداية .

٨ ــ بضاعة القاضى فى الصكوك .

٩ ــ تهافت الأمجاد فى فروع الفقه الحنفى

١٠ــ رسالة فى البنج والحشيش وتحريمهما

١١ــ ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، وهو تفسيره الجليل الذى سنعرض له بالتفصيل .

ومن التأمل فى مصنفاته نجد أكثرها فى الفقه وأمور القضاء فهى تتلاءم مع طبيعة الاعمال التى تولاها ومارسها .

وفاته :

ظل أبو السعود فى منصب الافتاء مكرما مهابا ، يفتح أقفال المشكلات ، ويسهل طرق المعضلات ، الى أن لقى ربه فى الثلث الأخير من ليلة الأحد ، خامس جمادى الأولى سنة ٩٨٢ هـ (١) .

وذكر الشيخ رشيد رضا أنه توفى سنة ٩٨٣ هـ ، وذكر الشهاب الخفاجى أنه توفى سنة ٩٨٥ هـ (٢) وهذا غير صحيح لأنه توفى فى حياة السلطان سليم الثانى وهو قد توفى فى الثامن عشر من رمضان سنة ٩٨٢ هـ (٣) أى بعد وفاة أبى السعود بفترة وجيزة .

وقد وهم صاحب النور السافر حين قال : ان وفاته كانت فى شهر جمادى الآخر سنة ٩٥٢ هـ وذلك لأنه من الثابت أن أبا السعود قلد منصب الافتاء فى عهد السلطان سليمان وعاش بعد وفاته ، والسلطان سليمان توفى سنة ٩٧٤ هـ (٤) .

ومما هو جدير بالتنبيه عليه ، أن الطبعات المتداولة من تفسير أبى السعود كتب عليها أنه توفى سنة ٩٥١ هـ وهذا غير صحيح كما بينا ، والصحيح ما ذكرنا أولا .

ونظرا لمكانة أبى السعود فقد حضر جنازته العلماء والوزراء وسائر أرباب الديوان وخلق لايحصون كثرة ، ودفن بجوار مرقد أبى أيوب الأنصارى ، وصلى عليه فى الحرم صلاة الغائب ... (٥) .

فرحمه الله رحمة واسعة ، وأنزله منازل الصديقين بما قدم للاسلام والمسلمين ...

وقد رثاه كثيرون ، منهم صاحبه السيد مصطفى بن السيد حسن الذى رثاه بقصيدة جاء فيها :

شمس البلاد وصدرها ورئيسها
مفتى الأنام وواحد الأقطاب

(١) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة : ٣ ــ ٣٦ .

(٢) ينظر تفسير المنار : ١٢ ــ ١٤٧ ، وحاشية السقا : ١ ــ ١٠ .

(٣) الكواكب السائرة : ٣ ــ ١٥٦ .

(٤) النور السافر : ٢٣٩ ، والفوائد البهية : ٨٢ ، والاعلام : ٧ ــ ٢٨٨ .

(٥) العقد المنظوم : ٢ ــ ٢٨٨ ، والنور السافر : ٢٤١ .

قد كنت بحرا للشريعة لم تزل
تلقى لنا در الكلام عجاب
ما لعلم الا ما حويت حقيقة
وعلوم غيرك فى الورى كسراب
أمسيت جارا للكريم وجاره
فى جنة ومكارم وشراب
يارب روح روحه بسعادة
وكرامة فى جنة وثواب (١)

ثانيا : تفسير أبى السعود ومنهجه :

تفسير أبى السعود المسمى « ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم « يحتل مكانة عظيمة فى مكتبة التفسير ، وهو يعد ثانى تفسير تناول القرآن الكريم من الناحية البيانية بعد تفسير « الكشاف » للزمخشرى ، وسنبين فيما يلى سبب تأليف هذا التفسير ، ومنهجه ومكانته .

سبب تأليفه:

يحدثنا العلامة أبو السعود فى مقدمة تفسيره عن البواعث التى جعلته ينهض لعمل تفسيره فيقول ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلات — القرآن الكريم — أساطين أئمة التفسير فى كل عصر من الأعصار ... أما المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعانى ، وتشييد المبانى وتبيين المرام ، وترتيب الأحكام ... وأما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقة وابداء خباياه الفائقة ، ليعاين الناس دلائل اعجازه ، ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه ... فدونوا أسفارا بارعة ، جامعة لفنون المحاسن الرائعة ... لا سيما « الكشاف » و « أنوار التنزيل » ... فان كلا منهما قد أحرز قصب السبق أى احراز ، كأنه مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز ... ولقد كان فى سوابق الأيام ... أوان اشتغالى بمطالعتهما وممارستهما ... يدور فى خلدى أن أنظم درر فوائدهما فى سمط دقيق ، وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق ، وأضيف اليهما ما ألفيته فى تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق ... وأسلك خلالها بطريق الترصيع ماسنح الفكر العليل ... وسمح به النظر الكليل من تحقيقات ... وتدقيقات ... وأبرز من وراء أستار الكمون من دقائق السر المخزون ، فى خزائن المكنون ، ماتطمئن اليه النفوس وتقر به العيون ... وأهديها الى الخزانة العامرة ... لجناب السلطان ... سليمان خان ... (٢)

فهذا النص يبين دافع أبى السعود على تأليف تفسيره ، وهو يتلخص فى رغبته فى تصنيف تفسير يجمع درر « الكشاف » للزمخشرى ، و « أنورار التنزيل » للبيضاوى وغيرهما من الكتب القيمة ، ويضيف الى ذلك ما يسمح به نظره ، ويجود به عقله من

(١) تنظر القصيدة كاملة فى المنظوم : ٢ — ٣٠٣

(٢) تفسير أبى السعود : ١ — ٤ ، ٥

تحقيقات وتدقيقات ، ويرتب هذه المادة على نسق بديع ، يبرز أسرار التنزيل ويظهر عظمة الكتاب الجليل ، ويهديها الى الخزانة السلطانية .

تحقق رغبة أبى السعود :

ظلت رغبة أبى السعود تراوده ، وكان يتردد فى الاقدام على تحقيقها ، ثم شغلته أعمال القضاء فترة من الزمان ، وتولى منصب الافتاء فزادت أعماله ، وتضاعفت مسئولياته ، ومع كل هذا فقد عزم على انفاذ بغيته ، واخراج أمله الى حيز الوجود .

ويحكى أبو السعود هذا فى مقدمة تفسيره فيقول : وكنت أتردد فى ذلك (١) بين احجام واقدام ... ومضت السنون ... فابتليت بتدبير مصالح العباد ، برهة فى قضاء البلاد ، وأخرى فى قضاء العساكر والأجناد ، فحال بينى وبين ما كنت اخال ، تراكم المهمات وتزاحم الأشغال .. وكنت أقدر فى نفسى أن أنتهز نهزة من الدهور ... وأتصدى لتحصيل ماعزمت عليه ... حتى بدا لى ما لم يخطر بالبال ... أمرت بحل مشكلات الأنام ... فلقيت معضلة طويلة الذيول ، وصرت كالهارب من المطر الى السيول ، فجعلت أتمثل بقول من قال :

لقد كنت أشكوك الحوادث برهة
واستمرض الأيام وهى صحائح
الى أن تغشتنى ـ وقيت ـ حوادث
تحقق أن السالفات منائح

فلما انصرمت عرى الآمال ، عن الفوز بفراغ البال ، ورأيت الفرصة على جناح الفوت ... ودنا الأجل من الحلول ، وأشرفت شمس الحياة على الافول ، عزمت على انشاء ما كنت أنويه ... ناويا أن أسميه عند تمامه .. « ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم » ... متضرعا الى رب العظمة والجبروت فى أن يعصمنى من الزيغ والزلل ... (٢) .

وتروى الكتب أنه بلغ فى تفسيره الى سورة « ص » وأرسل هذا القدر الى السلطان سليمان فى شعبان سنة ٩٧٣ هـ ، وبعد ذلك تيسر له تمامه فأرسله الى السلطان بكماله... (٣).

ومن هذا نرى أنه لم ينجز تفسيره مرة واحدة ، ولكنه كان يقتنص الفرصة تلو الأخرى ليكمل مشواره مع كتاب الله الكريم .

منهج أبى السعود فى تفسيره :

سلك أبو السعود فيه مسلكا دقيقا يتضح مما يلى :

١ ـ الاهتمام بذكر المناسبات ، فغالبا ما يبرز المناسبة بين الآية وما قبلها ، وفى بعض المواضع يبين ارتباط الجمل فى الآية ، وقد يوضح تلاؤم الفاصلة مع ماتقدم فى الآية (٤).

◄

(١) اسم الاشارة راجع الى ما حكاه من رغبته فى تفسير جامع ...
(٢) تفسير أبى السعود : ١ ـ ٥ ، ٦
(٣) كشف الظنون : ١ ـ ٦٧ ، والعقد المنظوم : ٢ ـ ٢٨٩ .
(٤) ينظر البلاغة فى تفسير أبى السعود : ٤٧٦ ـ ٤٩١ . مخطوطة بكلية اللغة العربية

٢ ــ الاهتمام بالمسائل النحوية ، فكثيرا ما يعرض لاعراب الكلمات ، ويبين مواقع الجمل ، واذا كانت الكلمة أو الجملة محتملة لأكثر من اعراب ذكره ، ويوضح المعنى على كل اعراب ، وقد يرجح اعرابا منها ، ويذكر علة الترجيح (١) .

٣ ــ الاهتمام الفائق بالمباحث البلاغية ، والعناية التامة بابراز أسرار التعبير القرآنى ، فلقد تأمل أبو السعود كتاب الله الكريم ، بعقل دقيق وحس مرهف ، ونظر ثاقب ، فوقف عند ألفاظه مبينا دقة مواقعها ، وروعة دلالاتها ، ونظر فى تراكيبه موضحا براعة نظمها ، وعظمة أسرارها واجتهد فى الكشف عن بدائع النظم القرآنى ، فجاء تفسيره مرآة تتجلى على صفحتها دلائل الاعجاز ، وتسطع على جبينها شواهد الفضل والامتياز ، ومن دلائل عنايته بهذه الناحية أنه قد يذكر فى الآية أكثر من عشر نكات بلاغية (٢) .

ويمكننا أن نقول : ان تفسير أبى السعود جاء تطبيقا بارعا لمسائل البلاغة فى ظلال القرآن الكريم ، والناظر فى تفسير أبى السعود يدرك أنه أمام أثر خالد من آثار البلاغة التطبيقية ، التى تقوم على تحليل الأساليب تحليلا دقيقا ، يكشف عن ابداعها الفنى ، وقيمها الجمالية ، وعوامل تأثيرها فى النفوس .

٤ ــ قلة اهتمامه بعرض القراءات القرآنية وذكر الأحكام الفقهية ، واذا عرض لشىء من ذلك ففى ايجاز وبقدر ما يوضح المراد .

٥ ــ الاقلال من ذكر الاسرائيليات التى ملأت كثيرا من كتب التفسير ، وفى بعض المواضع يصرح ببطلانها .

وفى ذكر قصة « هاروت وماروت » يحكى ماقيل فى شأنهما من اسرائيليات ثم يقول : وهذا مما لاتعويل عليه ، لما أن مداره رواية اليهود ، مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل (٣) .

وهذا مما يحمد لأبى السعود ، ويضاعف من مكانة تفسيره .

٦ ــ ذكر آراء العلماء منسوبة الى أصحابها أو غير منسوبة ، والاهتمام بمناقشتها ، وبيان الراجح منها بالدليل ، وعلى سبيل المثال ، فى تفسير قوله تعالى : « كل امرىء بما كسب رهين » يقول : « رهين » قيل : هو فعيل بمعنى مفعول ، والمعنى كل امرىء مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح ، فان عمله فكه ، والا أهلكه ، وقيل : بمعنى الفاعل ، والمعنى كل امرىء بما

---

(١) تفسير أبى السعود : ١ ــ ٣٦ ، ٤ ــ ١٥٢ ، ٨٧ .

(٢) السابق : ١ ــ ٥٢ ، ١٤١ . وغير ذلك .

(٣) السابق : ١ ــ ١٣٨ ، اية : ١٠٢ . البقرة

كسب راهن أى دائم ثابت ، وهذا أنسب بالمقام ، فان الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ... .

وقد ناقش أبو السعود كثيرا من آراء الزمخشرى والبيضاوى مناقشة تظهر مدى الاهتمام بالتدليل على مايذهب اليه من آراء (١) .

وعلى الجملة فمنهج أبى السعود فى تفسيره يتسم بالدقة والوفاء بالمقصود ، ولم يخرج فى تفسيره الى ابحاث جانبية الا ما كان متصلا بمضمون كلامه فى الآية .

وهناك بعض المآخذ التى وجهت الى تفسيره ومنها : ذكره فى آخر كل سورة حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضلها ، وما لقارئها من الأجر عند الله ، مع أن معظمها موضوع باتفاق أهل العلم (٢)

وروايته لبعض القصص من طريق الكلبى عن أبى صالح ، مع أن الكلبى متهم بالكذب (٣) .

ولاشك أنه تابع فى هذا من تقدمه من المفسرين ، وهو لايقلل من قيمة تفسيره ، بجانب مميزاته العديدة .

مكانة تفسير أبى السعود :

حظى تفسير أبى السعود بمكانة عظيمة بين كتب التفسير ، ونال شهرة واسعة لدى العلماء وطلاب العلم ، نظرا لدقة مباحثه ، وغزارة مادته ، وبعد عن التطويل فى المباحث الجانبية .

وقد أثنى عليه المتقدمون والمتأخرون ، فصاحب العقد المنظوم يقول : وقد أتى أبو السعود فى تفسيره بما لم تسمح به الأذهان ، ولم تقرع به الآذان ، فصدق المثل السائر ، كم ترك الأول للآخر (٤) .

وصاحب الفوائد البهية يقول : وقد طالعت تفسير أبى السعود وانتفعت به ، وهو تفسير حسن ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل متضمن لطائف ونكات ، مشتمل على فوائد واشارات (٥) .

وصاحب كشف الظنون يقول : وقد انتشرت نسخه فى الأقطار ، ووقع له التلقى بالقبول من الفحول والكبار ، لحسن سبكه ، ولطف تعبيره ، فصار يقال له خطيب المفسرين ، ومن المعلوم أن تفسير أحد سواه بعد الكشاف والقاضى لم يبلغ الى ما بلغ من رتبة الاعتبار والاشتهار ، والحق أنه حقيق به ... (٦) .

وبين الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مكانة تفسير أبى السعود فقال : ولقد تلقفه

(١) السابق : ٨ ــ ١٤٩ . آية ٢١ ــ الطور .
(٢) ينظر البلاغة فى تفسير أبى السعود : ٥٢٨ ــ ٥٤٦ .
(٣ ، ٤) التفسير والمفسرون : ١ ــ ٣٤٩ ، ٣٥١
(٥) العقد المنظوم : ٢ ــ ٢٨٩
(٦) الفوائد البهية : ٨٢
(٧) كشف الظنون : ١ ــ ٦٧ .

الناس منذ بروزه بالاعتناء ونظروا اليه بالاعجاب فشاعت نسخه الخطية شرقا وغربا وملأ برامج التعليم فى معاهد البلاد الاسلامية قاطبة ...(٤) .

وأثنى عليه الدكتور محمد حسين الذهبى فقال : والحق أن هذا التفسير غاية فى بابه ونهاية فى حسن الصوغ وجمال التعبير ، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد اليه ، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم ، وشهد له كثير من العلماء بأنه خير ما كتب فى التفسير (٥) .

وما سبق من ثناء العلماء وغيره مما لم نذكره يدلنا على المكانة الجليلة لتفسير أبى السعود ، ومما لا شك فيه أن أبا السعود بنظراته البيانة الدقيقة فى تفسيره يقف فى مصاف كبار العلماء الذين أسهموا فى ايضاح دلائل الاعجاز البياني للقرآن الكريم ، والكشف عن أسرار لغتنا العربية المجيدة ، التى تنزل بها الوحى الالهى على خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم .

د . الشحات محمد عبد الرحمن

---

(٤) التفسير ورجاله : ١١٣ .

(٥) التفسير والمفسرون : ١ ــ ٣٤٧

السنة .. علماً وحياة

مخالطة الناس

للأستاذ على أحمد على الزيدى

قال عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه :
« ... (١) خالط الناس ، ودينك لا تَكْلِمَنَّه »

قال الامام شهاب الدين ابن حجر العسقلانى:

« هذا الأثر وصله الطبرانى فى « الكبير » من طريق عبد الله بن باباه . عن ابن مسعود قال : خالطوا الناس وصافوهم بما يشتهون ، ودينكم لا تَكْلِمُنَّه وأخرجه ابن المبارك فى كتاب « البر والصلة » من وجه آخر عن ابن مسعود بلفظ : « خالقوا الناس ، وزايلوهم فى الأعمال » وعن عمر مثله لكن قال : ... وانظروا ألا تكلموا دينكم » .

* * *

الاسلام دين جامع ، وكيان كامل يتمثله المؤمن فى أعماقه ومسار فؤاده عن حب له ، وشغف به ، وتقدير لمقوماته .

والمسلم مؤتمن على هذا الدين ، فانه وديعة الله فى قلبه ، ان شاء عُنِىَ بها وحافظ عليها فأداها — الى ربه سبحانه — على خير حال .

وان شاء تلاعب بدينه وانتقص منه فطعن وديعة ربه وخان أمانته ، وجعل دين الله هُزُءَةً بين الناس .

والمسلم — كأى انسان - أكثر حاجة الى المجتمع منه اليه ، إذ يندر جدا أن يكون للمجتمع حاجة الى انسان — بعينه ، وانما يكون ذلك حين يتميز انسان — وحده — بتخصص دقيق فريد تشتد حاجة الانسانية اليه ، مثل هذا — اذا لقى ربه — تكون صدمة المجتمع فيه جليلة ، ورزؤه عظيما ، وتظل

(١) صحيح البخارى — كتاب الادب . الكلم : الجرح وزنا ومعنى .

مصيبته جاثمة ينوء بها المجتمع الى أن يحين حينُ الله ، فيملأ فراغه عالم .

ومن هنا كانت المصيبة فى فقد النبى ﷺ أعظم ، اذ لا نبى بعده .

* * *

المسلم — إذاً — فى حاجة الى المجتمع لسد حاجته ، ولكى تجد حياته — فى دنياه — سبيلها الى عيش يَسْلَمُ — بقدر الامكان — من المشقة،والى صداقة يسلم بها من السأم ، والى أكثر من علاقة لتشيع الطمأنينة — فى نفسه — من أجل الزوجة أو الأبناء.ثم ينبغى ألا ننسى أننا نعيش قرنا يَأْرِزُ العالم فيه بعضه الى بعض بسرعة مذهلة حتى ليكاد يكون العالم وطنا واحدا .

والمسلم — خاصة — ليست علاقته بالمجتمع الانسانى قاصرة على الأخذ والعطاء ، ولا العمل ذى « المقابل » وحده .

ان المسلم مطالب بـ « إضافة » خارجة عن مبدأ « المقابل » وهذه الاضافة تتمثل فى أمرين :

(أ) فى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة .

(ب) وفى ممارسته الشخصية لهذا المبدأ بداية من أدنى الأشياء وانتهاء بمستوى الذروة من الايمان .... من ممارسة إماطة الأذى عن الطريق إلى الْبَسْمَةِ للناس إلى ذروة حب الله ، والحب فى الله .

* * *

والأثر الشريف تجرى فيه أصول ثلاثة ، هى : الدين ... لمخالطة ... الناس .

فأما « المخالطة » فتنتشر بين الناس فى عديد من العلاقات التى ينبغى علينا تحديد بعضها ابتداء بالقرابة ونهاية بالمصاحبة ، فهى القرابة : وألصق الأقرباء الزوجة والولد ثم تتسع الى ما شاء الله ، فالجوار ، فالزمالة والصداقة ، والمعاملة والمصاحبة (١) ، والمعرفة الخ .

وأما الناس ، فأنت واقع بينهم على أصناف تختلف من حيث الْخُلُق ... والثقافة ... والتدين ... والصنعة ... والوطن .

وأما الدِّين فى الأثر الشريف فهو الاسلام ...

الاسلام الذى يجب ان تتمثله فى ضمير كيانك كله حتى تصيرَ « اسلاما متحركا » وحتى تكونَ « شخصية اسلامية » متميزة ، تعلن عن نفسها فى غير كبر ، وتعنى بكيانها بكل عزة ...

(١) المصاحبة مجرد لقاء شخصين أو أكثر فى أمر ، ولو اختلفت نظرة كل منهم اليه أو تباغضوا فيه ، من هنا صح أن تقول — لصديقك.وقد مر أمامكما عَدُوُّله ، تقول له:هذا صاحبك .

للناس منها بشاشة الوجه ، ومجال السريرة ، وحب النفع لهم وجمال المرح فيهم دون انقباض عنهم ، أو تجهم لهم ، أو كبر عليهم .

بهذا نخالط الناس ونتبسط معهم ، ونتلاقى بهم اجتماعيا ووجدانيا دون أن نُنْقِصَ من ديننا ، أو نجرحه لحساب هذا أو ذاك ، أو نتنازل عن شخصيته أمام أحد : نمتنع عما نهانا عنه ديننا ، لأن ديننا منعنا عنه ، ونُقْبِلُ على ما أباحه لنا باعتزاز به ، وفرح له .

* * *

وأولى الناس عندى بلفت أنظارهم الى هذا الأثر الشريف أهل التمثيل .. المسرحى والسينمائى فان منهم من يتجاوز قدره ويتناسى قيم الدين ومقدساته ، فيرسل النكات فيها ، يغفر الله لنا ولهم ويهدينا واياهم سواء السبيل ، وفى هذا العمل منهم كَلْمٌ للدين أى كَلْم ، فأسماء الله الحسنى ، وأوامر الدين ينبغى أن تكون فى دائرة جليلة القدر فى نفوسهم تحفظ وتصان لا أن تهدر ويستضحك بها .

وهذا الأثر الجليل جامع لقانون « الدبلوماسية الاسلامية » كلها وبخاصة لمن يمثل دولته الاسلامية خارج أرضها فالدبلوماسى المسلم الذى يمثل بلدا اسلاميا فى أوربا أو أمريكا أو غيرهما ينجح كل النجاح اذا تحرك بشخصية اسلامية تعكس باعتزاز — فى نفوس من يتعامل معهم — قيم بلده وروحها وأصالتها .

وهو يمثل شخصه فقط ،ويسفر عن جوهر نفسه ليس غير عندما يقيم عشاء غربيا مختلطا ، أو يحتسى خمرا ، أو يسمح بها ، أو يلبى دعوة من هذا القبيل ، اذ لا شىء من هذا كله له من مقومات البلاد الاسلامية (١) نصيب .

روى الامام أحمد — فى الزهد — بسنده الى أبى سلمة .

قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحرفين (٢) .. وكانوا يتناشدون الشعر فى مجالسهم ، ويذكرون أمر جاهليتهم، فاذا أريد أحدهم على شىء من دينه دارت محاليق عينيه كأنه مجنون (٣) .

« على الزيدى »

---

(١) انظر للوزير المفوض : محمد حسنى عمر بك — القانون الدبلوماسى . المطبعة الاميرية عام ١٩٤٦ .. ولعل ما فيه من أوضاع قد تغيرت الى أحسن — الكاتب .

(٢) كأنه يريد : متشددين ، أو متزمتين . بنفى عنهم ذلك .. رضوان الله عليهم .

(٣) الامام احمد بن حنبل — الزهد ص ٢١٥ ار عمر بن الخطاب للنشر بولكلى — الاسكندرية .

أفضل الجهاد وأفضل الهجرة

عن أم أنس قالت : قال رسول الله ﷺ (عليك بالصلاة فانها أفضل الجهاد ، واهجرى المعاصى فانها أفضل الهجرة) . رواه الطبرانى فى الكبير .

سبب الحديث :

عن أم أنس قالت : يارسول الله ، جعلك الله فى الرفيق الأعلى من الجنة وأنا معك ، علمنى عملا قال : عليك بالصلاة فانها أفضل الجهاد ، واهجرى المعاصى فانها أفضل الهجرة .

ما يشتمل عليه الحديث :

١ ــ معنى الهجرة .
٢ ــ أول هجرة فى الاسلام .
٣ ــ هجرة الرسول الى الطائف .
٤ ــ الهجرة الى المدينة .
٥ ــ الهجرة الى الله ، وهجرة السيئات أفضل الهجرة .
٦ ــ اقام الصلاة أفضل الجهاد .

البيان

١ ــ معنى الهجرة :

الهجرة من الهجر ، ضد الوصل ، وقد غلب على الخروج من أرض الى أرض ومن بلد الى آخر وترك الأولى للثانية .

والهجرة فى الاسلام : خروج المسلم من أرض مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينه الى أرض يمكنه فيها القيام بالشعائر الاسلامية .

٢ ــ أول هجرة فى الاسلام :

حينما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء ، وأنه لا يقدر على أن يحميهم ، ويمنعهم مما هم فيه ، قال لهم : (لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه) .

فخرج بعض المسلمين حينئذ الى أرض الحبشة فرارا بدينهم ، وكانت هذه أول هجرة فى الاسلام .

وحين يتعرض المسلم للفتنة ، أو يغلب على أمره ، فلا يستطيع اقامة الشعائر ، أو يتعرض لفقده دينه أو هلكته ، فان الهجرة تكون واجبة ، ذلك لأن الدين اذا فقد أو غلب عليه لم يغن من ورائه الوطن والمال والأرض ، اما اذا بقى الدين وقوى شأنه وارتفعت أعلامه ، وقامت فى المجتمع دعائمه ورسخت

للأستاذ محمد صابر البرديسى

فى الأفئدة عقيدته فان كل شىء يعود الى أقوى مما كان عليه .

٣ ــ هجرة الرسول الى الطائف :

لقد قضت حكمة الله تعالى أن يفقد الرسول عمه أبو طالب وزوجته خديجة بنت خويلد ، ويفقد من حوله ممن كان فى الظاهر حاميا له ومؤنسا .

ولما نالت قريش من النبى ما نالته من الأذى خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، ويدعوهم الى ما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى :

ولما وصل ﷺ الى الطائف جلس الى نفر من ثقيف ، وأبلغهم دعوته ، ودعاهم الى الله ، فردوا عليه ردا منكرا ، وأغلظوا له القول ، ثم أغروا به سفاءهم يرمونه بالحجارة حتى أدموا قدميه ، ولم يرجعوا عنه حتى وصل الى بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة فكفوا عنه ثم استراح ﷺ فى ظل شجرة ،وقد أنهكه التعب والجراح فرفع يده الى السماء يدعو بهذا الدعاء .

(اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ، أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

ولما رأى صاحبا البستان (ابنا ربيعة) حالته هذه ، تحركت الشفقة فى قلبيهما ، فدعوا غلاما لهما « نصرانيا » يقال له « عداس » فأرسلا اليه قطفا من العنب فى طبق فلما وضع عداس العنب بين يدى الرسول ﷺ وقال له « كل » ، مد الرسول ﷺ يده قائلا « بسم الله » ثم أكل ، فقال عداس متعجبا : والله ان هذا الكلام ، ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له الرسول :

ومن أى البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ قال : نصرانى من نينوى (١) فقال الرسول ﷺ من قرية الرجل الصالح ، يونس بن متى ؟ فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ ذلك أخى كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه » (٢) .

ثم عاد رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة الى مكة روى البخارى ومسلم عن عائشة (رضى الله عنها) أنها قالت لرسول الله ﷺ : يارسول الله : « هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ، فقال : (لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ،

(١) قرية بالموصل .

(٢) من سيرة ابن هشام بتصرف ١/ ٤٢٠ .

اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم ، يجبنى للى ما أردت ، فانطلقت « وأنا مهموم » على وجهى ، فلم أستفق الا « بقرن الثعالب » فرفعت رأسى فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى ، فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى فقال : ان الله عز وجل ، قد سمع قول قومك لك ،وماردوا عليك ، وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت ، قال : فنادانى « ملك الجبال ، وسلم على ثم قال : يا محمد ان الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثنى ربك اليك لتأمرنى بأمرك ، فما شئت ؟ ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين .

فقال رسول الله ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا .

٤ ــ الهجرة الى المدينة :

ما من رسول دعا الى توحيد الله وعبادته الا عاداه قومه وآذوه ، وبسطوا فيه وفيمن آمن به أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وأرادوا أن يحملوه على الخروج من وطنه هو ومن آمن به .

ولقد أخذ البلاء يشتد على المسلمين من المشركين ، فضيقوا عليهم وتعبثوا بهم ، وألحقوا بهم الأذى والضرر ، فشكا أصحاب رسول الله ﷺ ذلك اليه ، واستأذنوه فى الهجرة فقال : « قد أخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب (المدينة) فمن أراد الخروج فليخرج اليها » فهاجر كثير اليها .

فتتابع المسلمون فى الهجرة الى المدينة فلم يبق بمكة الا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلى أو من لا يستطيع الهجرة لحبسه أو مرضه أو ضعفه عن الخروج .

ورأت قريش أنه قد صارت لرسول الله وأصحابه بالمدينة منعة وقوة فخافوا من خروج رسول الله وأن يكون قد أجمع لحربهم .

فاجتمعوا فى دار الندوة (وهى دار قصى ابن كلاب) (وكانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها) .

وبعد مناقشات قرروا قتله ، فأخبره الله بذلك ، وأمره بالهجرة ، فامتثل الرسول ﷺ للامر .

وصل رسول الله ﷺ « قباء » وأقام فيها بضعة أيام وأسس النبى ﷺ هناك « مسجد قباء » وهو المسجد الذى وصفه الله بقوله « **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ** » الآية .

ثم واصل سيره الى المدينة ، فالتف من حوله الأنصار وأقام فيها وأسس فيها دولة الاسلام .

يقول أنس ــ رضى الله عنه : شهدت رسول الله ﷺ يوم دخل المدينة فما رأيت يوما قط أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا .

٥ ـ الهجرة الي الله وهجرة السيئات أفضل الهجرة :

المؤمن الصادق هجرته تكون خالصة لله وحده ، يبتغى بها مرضاة الله ورسوله ، صفت بها نفسه ، واطمأن لها قلبه ، وتمحصت هجرته لوجه الله الكريم .

المؤمن يعيش حياته فى هجرة الى الله ورسوله ، يهاجر الى الله بعلمه ، ويهاجر الى الله بعمله الخير ، بل ان عبادته كلها تتسم بالهجرة الى الله والانابة اليه ، والاتصال به ، فهو مهاجر الى الله فى كل ميادين الحياة .

والهجرة فى ميادين الحياة ، والهجرة من بلد الفتنة والشرك ، الى بلد الطاعة ، والهجرة لصالح الاسلام والمسلمين ، والهجرة لملاقاة العدو ، هذه هجرات لا تنقطع ، وتسد مكان الهجرة فى الأجر ولا ينقطع أجرها الى قيام الساعة ، يقول الرسول ﷺ (ان الهجرة لا تنقطع مادام الجهاد) (١) .

وقال ﷺ (لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية) (٢) .

ولئن كانت الهجرة قد فاز بها الأولون ، ولم يعد بعد الفتح لمكة هجرة الى المدينة فان هناك نوعا آخر من الهجرة لم يغلق بابها ، وهى أساس كل هجرة وروحها ، وهى هجرة القلوب ، عن الفحش والمنكر ، ولهذا يوصى رسول الله ﷺ أم أنس وايانا فيقول لها : « واهجرى المعاصى فانها أفضل الهجرة »

والمعاصى ، عصيان الله ورسوله ، ترين على قلوب أصحابها فتغلقها (**كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ**) (٣) .

ولا ثمرة فى اسلام بأذى ، ولا فى ايمان بفحشاء ومنكر ، ولا فى هجرة ببغى وعتو وغلظة ، قال رسول الله ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من آمنه الناس على أعراضهم وأموالهم ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) (٤) .

فالهجرة هجرتان : احداهما التى وعد الله عليها الجنة فى قوله تعالى : (**إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ**) (٥) .

فكان الرجل يأتى النبى ﷺ ويدع أهله وماله ، لايرجع فى شىء منه ، وينقطع بنفسه الى مهاجره ، وكان النبى ﷺ يكره أن يموت الرجل بالأرض التى هاجر منها ، وقال حين قدم مكة « اللهم لا تجعل منايانا بها » فلما فتحت مكة صارت دار اسلام كالمدينة ، وانقطعت الهجرة ، قال الرسول ﷺ لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) (٦) أى يسدان مكانها فى الأجر » .

والهجرة الثانية : من هاجر من الأعراب وجاهد وغزا مع المسلمين ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى ، فهو مهاجر ، وليس

(١) رواه احمد .
(٢) رواه احمد والنسائى .
(٣) سورة المطففين اية ١٤ .
(٤) رواه مسلم .
(٥) التوبة : آية ١١١ .
(٦) رواه احمد والنسائى .

بداخل فى فضل من هاجر تلك الهجرة ، وهو المراد بقوله ﷺ « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة) .

وقوله ﷺ (ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة ، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب ، فاذا طلعت طبع على كل قلب ، بما فيه ، وكفى الناس العمل) (١) .

فالهجرة بمعنى الجهاد بأوسع معانيه هجرة لا تنقطع ، ولا ينقطع أجرها ، وستبقى الى قيام الساعة .

اقام الصلاة أفضل الجهاد :

الصلاة عبادة روحية وجسدية ، وكانت أفضل الجهاد لأن كل العبادات فى جوف الصلاة ، فيها شهادة التوحيد ، وفيها الصبر ببعد المصلى عن كل شراب وطعام وشهوة وفيها الزكاة بالوقت الذى ينفقه المصلى بما يستغرق وضوءه وصلاته ودعاءه ، وفيها الحج باستقباله الكعبة التى جعلها الله مثابة للناس وأمنا .

وقد التزم رسول الله ﷺ السجود وألزمه أمته ، فكان يرى ساجدا آناء الليل وأطراف النهار ، ولما خوطب فى ذلك قال : (أفلا أكون عبدا شكورا) (٢) وطلب منه ربيعة بن كعب دعوة تنجيه من النار فأرشده الى كثرة السجود ، وقال ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » (٣) .

وصلاة تجمع هذه المزايا لا شك أن فضلها كبير وثوابها عظيم قال ﷺ .

أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شىء ، قالوا لا يبقى من درنه شىء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) (٤) .

لقد أعطانا الحديث الشريف معطيات جمة أهمها :

« ان الصلاة أفضل العبادات لأنها تنتظمها وتحتويها بما فى ذلك جهاد العدو لأنها روحه ووقوده ، ومدده ، تمده بالصبر حتى النصر .

وأن هجرة المعاصى أفضل الهجرات كلها بعد الهجرة من مكة الى المدينة فى ابانها فى عهد رسول الله ﷺ قبل الفتح .

والمسلمون اليوم فى حاجة الى الهجرة الى الله بامتثال أمره واجتناب ما نهى عنه والى العمل الجاد المخلص ، والتضحية بالنفس والمال وكل عزيز فى سبيل الله ، حتى يتحقق لهم الفوز والنصر .

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (٥) .

والله الموفق ..

محمد صابر البرديسى

وددنا لو أن الكاتب أورد مصدر الحديث .

(١) أخرجه الامام أحمد وابن كثير فى التفسير من رواية الامام أحمد وسنده حسن .

(٢) أخرجه مسلم ٢١٧١ ، ٢١٧٢ طبعة الحلبى .

(٣) مسلم عن أبى هريرة .

(٤) رواه مسلم .

(٥) سورة العنكبوت آية ٦٩ .

في الشريعة

حول طفل الانابيب

نحن والتاريخ.. ديوان العبر

الزكاة أداة للنهضة الاجتماعية

حول طفل الأنابيب

نشرت مجلة الوعى الاسلامى فى عددها رقم ٢٣٨ الصادر فى شوال ١٤٠٤ هـ يوليو ١٩٨٤ مقالا لأستاذنا الفاضل الشيخ بدر المتولى عبد الباسط تحت عنوان « طفل الأنابيب » .

ولقد كان الحديث فيما مضى عن مثل هذا الموضوع من قبيل الترف العلمى اذ كانت مثل هذه الامور من قبيل الافتراض . أما وقد أصبح الأمر حقيقة علمية ملموسة فلا بد اذا من بيان رأى الاسلام فيها وفيما يستجد من مثلها من قضايا ذات تأثير على حياة الناس .

وفضيلة الباحث من الأساتذة الذين لرأيهم وزنه وتقديره .

ذكر أستاذنا فى مقاله أنه « استطلع آراء أهل الذكر وهم الأطباء وتبين له أن تلقيح البييضة خارج الرحم له ثلاث صور :

أولاها : أن تؤخذ البييضة من المرأة وتلقح بماء زوجها ثم تعاد الى رحمها ويلجأ الى ذلك اذا كان هناك انسداد فى قناة (فالوب) يمنع وصول البييضة من المبيض الى الرحم .

وذكر فضيلته أن هذه الصورة مباحة حيث ان البييضة لقحت بماء الزوج وأعيدت الى نفس المرأة . ولا شبهة فى نسب الطفل الى كل من الأب والأم . وان كان لفضيلته تحفظ على هذا العمل حيث يرى وجوب الاحتياط حفاظا على الانساب وخوفا من وقوع خطأ — كما هو مشاهد فى المختبرات . والخطأ فى غير الانساب قد يحتمل ، أما فى الانساب فخطره كبير ، وضرره عظيم اذ يترتب عليه نسبة طفل الى غير والديه ،وما يتبع ذلك من حل ما حرم الله ، وحرمة وما أحل الله ، وأخذ حق ليس له من ميراث وغير ذلك من أحكام . وهذا التحفظ من أستاذنا الكبير نؤيده فيه ونؤكد علمه .

ثانيتها : أن تؤخذ البييضة من مبيض امرأة وتلقح بماء غير زوجها سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة وتعاد البييضة بعد التلقيح الى رحمها .

وهذا العمل محرم اذ لا علاقة بين صاحبة البييضة وبين الرجل صاحب الماء ومع هذه الحرمة فلا تأخذ حكم الزنا من وجوب الحد لعدم وجود صورة الزنا ، وان كانت تستوجب التعزير الشديد لكل من اشترك فى هذه العملية سواء فى ذلك المرأة والرجل والطبيب وهذا الرأى من الوضوح بمكان .

ثالثتها : أن تؤخذ البييضة من مبيض امرأة وتلقح بماء زوجها وتوضع فى رحم امرأة أخرى هى زوجة للرجل نفسه صاحب الماء . تتربى البييضة فى رحمها حتى يكتمل نموها ويولد الطفل . وانما يلجأ الى ذلك اذا كانت الزوجة الأولى سليمة المبيض ولكن رحمها غير مهيء للحمل .

ويرى فضيلته أنه لا حرمة فى هذه الصورة لوجود علاقة مشروعة بين الرجل وبين كل من صاحبة البييضة وصاحبة الرحم .

وينتهى فضيلته الى أنه لا شبهه فى ثبوت نسب الطفل الى أبيه حيث انه زوج لكلتا المرأتين ، والفراش قائم بينه وبينها .

ولكن الى من ينسب من ناحية الأم ؟

هل ينسب الى صاحبة البييضة ؟

أم الى صاحبة الرحم ؟

ويرى فضيلة الباحث أن الطفل ابن لمن حمله مستدلا على ذلك بقول الله تعالى : « إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ (١) » وكيفية الاستدلال أن هذا نص قطعى الدلالة والثبوت خاصة أنه جاء على صيغة الحصر .

ويقول الله تعالى : وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ (٢) » وصاحبة البييضة ما أحست بوهن فيه ولا مشقة .

ويقول الله تعالى « وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا » (٣) .

وليست صاحبة البييضة كذلك .

واعتبر فضيلته صاحبة البييضة كالدجاجة تبيض ولكن لا ينسب فرخها اليها بل الى الدجاجة التى حضنته .

وذكر أن البييضة الملقحة انما نمت وتغذت بدم التى حملتها وتحملت آلام الحمل وآلام المخاض فلا تقبل أن ينسب الولد لغيرها .

وبناء على ذلك يأخذ الطفل كل أحكام الولد بالنسبة لأمه التى حملته ونسب اليها : فيرثها وترثه .

وتأخذ كل أحكام الولد بالنسبة للنفقة والحضانة وامتداد الحل والحرمة الى اصول الأم وفروعها وحواشيها الى غير ذلك من الاحكام .

أما صاحبة البييضة فقد تأخذ أحكام الام المرضع حيث ان علة التحريم من الرضاع عند الحنفية هى الجزئية أو شبهتها . وهذا الطفل فيه جزئية من صاحبة البييضة فوجب حرمة الرضاع .

وصرح فضيلته بأنه لا يستريح الى هذا الرأى ويرى أن دور صاحبة البييضة هدر لا يترتب عليه أحكام .

وقاس ذلك على ما لوغذت المرأة طفلا رضيعا بدمها بالطرق المعروفه الآن ــ نقل الدم ــ حيث لا تترتب عليه أحكام الرضاع .

وكل ما فى الامر أن صاحبة البييضة لا تخرج عن كونها زوجة أب وما وراء ذلك أمر موهوم أكثر مما هو مظنون .

هذا ما انتهى اليه فضيلة الباحث .

ونظرا الى خطورة الامر ، وما قد يترتب

(١) الآية رقم ٢ من سورة المجادلة .
(٢) الآية رقم ١٤ من سورة لقمان .
(٣) الآية رقم ١٥ من سورة الأحقاف .

عليه من نسبة طفل الى غير أمـه فى الحقيقة ، واهدار أمومة حقيقية ، فانني أعـرض على فضيلته ما هو معلوم من حقائق علمية مؤكدة راجيا منه اعادة النظر فى الموضوع :

منها أن البييضة الملقحة هى أصـل الجنين تحمل صفات كل من الأب والأم فهى اذا أساس بنيته وتكوينه ، ونجد الجنين انما يكون بتوالد الخلايا التى تحمل نفس الصفات الوراثيـة للخلية الأولى التى تكونت من البييضة وماء الرجل .

فالبييضة كالبذرة للنبـات والـرحم الذى يستقبلها كالأرض التى توضـع فيهـا البذرة تساعدها على النمو بما تمدها به مـن غذاء فكيف تهدر علاقة صاحبة البييضـة بالجنين ، وهو دور محقق ومؤكد وليس موهـوما ولا مظنونا ؟ .

ثم اليست هذه الصورة شبيهة بمـا هـو معروف فى علم النبـات بالتطعيم وهـو أن يؤخذ غصن من شجرة ويوضع بطريقة خاصة فى ساق شجرة أخرى من نفس الفصـيلة ، وبعد فترة يلتئم الغصن مع الشجرة ويصبح جزءا منها تمده بالغذاء فينمو ويثمر ويظـل محتفظا بكل صفاته الأصلية مع بقاء الشجرة التى وضع عليها على حالها . وقد يكتسـب الغصن الوافد عـلى الشجرة بعضا مـن صفاتها ، ولكنها صفات لاتنال من جوهـره ، ولا تغير من طبيعتـه ، وهـذه هى شـبهة الجزئية .

ومن هنا نرى أن صاحبة البييضة هى الأم الحقيقية فينسب اليها ويرثها وترثه الى غير ذلك من الأحكام . ومن حملت تكون كالمرضـع التى تغذى وترعى وتحضن وتثبت لها الآثار المترتبة على الرضاع من حرمة الزواج بأصولها وفروعها . لأن كلا من المرأتين « مـن حملت ومن أرضعت » غذت الطفل احداهما بدمهـا والأخرى بلبنها .

واما استدلال فضـيلة البـاحث بالآيات القرآنية فمردود . اذ أن الآية الاولى « إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ » انما جاءت ردا على من يظاهرون من زوجاتهم ـ بتشبيـه الزوج بالام فى الحرمة ـ بأن الاومومة ليست قولا باللسان ، وانما هى حقيقة واقعة ترتب عليها أحكام معينة .

ونحن نقول ان صاحبة الرحم وصـاحبة البييضة أم غير أن احداها أم مـن النسـب وهى صاحبة البييضة ، والأخرى كالأم مـن الرضاع وهى صاحبة الرحم .

والحصر فى الآية ليس حصرا حقيقيا بدليل أن هناك أمهـات لم تلـد . وهى الام مـن الرضاع «وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ» (١) « وَأُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ » « وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ »(٢) ولكل أحكام خاصة بها .

وقول الله تعالى « وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ » وقوله

(١) الآية رقم ٢٣ من سـورة النساء .

(٢) الآية رقم ٦ من سـورة الاحزاب .

« حَمَلَتْهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا » انما جاء لبيان سبب تخصيص الأم بالرعاية والاحسان ، وليس لبيان حقيقة الامومة .

والتنظير بالدجاجة التى تحضن البيض بأنها أم تنسب الفراخ اليها بعيد كل البعد عما نحن فيه ، فليس هناك آثار تترتب على على هذا النسب ، ومع ذلك اذا كان فى البيض الذى تحضنه الدجاجة بيضا لطيور أخرى كالبط والحمام ، هل تنسب البطة أو الحمامة الى الدجاجة .

واذا قيل ادعاء فهل هذا نسب صحيح ؟

والقول باهدار دور صاحبة البييضة بحيث لا يترتب عليه أحكام يحتاج الى نظر :

وذلك اذا أخذت بييضة من امرأة ما ولقحت بماء رجل غير زوجها ، ثم وضعت فى رحم امرأة أخرى هى زوجة للرجل صاحب الماء « وهذه الصورة لم ترد من بين الصور التى ذكرها أستاذنا » هل نستطيع أن نقول بجواز هذه الصورة ؟ واثبات النسب الى صاحبة الرحم .

أعتقد أن ذلك محرم كل التحريم .

وقياس دور صاحبة البييضة على دور المرأة التى تغذى طفلا رضيعا بدمها بالطرق المعروفة بنقل الدم ، حيث لا تترتب عليه أحكام الرضاع . قياس مع الفارق حيث ان البييضة ليست تغذية للجنين ، وانما هى أساس بنيته وتكوينه .

وانطلاقا من القاعدة الأصولية المقررة ــ درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، يكون القول بتحريم هذه الصورة ــ لوجود الاشتباه فى نسب الطفل الى الأم ــ أقرب الى الاحتياط لاسيما فى أمر يمس كيان الانسان ووجوده .

وهناك صور عديدة أخرى للتلقيح الصناعى غير ما ذكره فضيلة الباحث وتحتاج الى بيان حكم الله فيها .

والبحث فى نظرى يحتاج الى بيان مناط الحل والحرمة فى التلقيح الصناعى .

هل هو فى وجود علاقة مشروعة بين الرجل وصاحبة البييضة ؟

أو بين الرجل وصاحبة الرحم ؟

أو بين الرجل وبين الاثنتين ؟

وأرى أن اشتراط العلاقة المشروعة بين الرجل وصاحبة البييضة على أن تكون هى صاحبة الرحم هو شرط الحل والجواز درءا للمفاسد واحتياطا للأنساب .

وقد جاء فى المجلد التاسع من الفتاوى الاسلامية الصادرة عن دار الافتاء المصرية الفتوى رقم ١٢٢٥ فى التلقيح الصناعى ردا على استفسار تلقته الدار عن حكم الله فى التلقيح الصناعى عامة . وفى بعض صور معينة منه .

وانتهت الفتوى الى جواز التلقيح الصناعى اذا دعت داعية لذلك كان يكون بواحد من الزوجين ما يمنع حدوث الحمل بالطريق الطبيعى ، وأباحت الفتوى من الصور المستفسر عنها صورة واحدة ، وهى ما اذا كان تلقيح بييضة الزوجة بماء زوجها دون شك فى استبداله أو اختلاطه بماء غيره ثم اعادة هذه البييضة بعد التلقيح الى رحم نفس الزوجة .

◄

وما عدا ذلك من الصـــور التى وردت و الاستفسار فهى محرمة اما لأنها فى معنى الزنا واما درءا للمفاسد التى تحملها .

ولما كانت قضية الأنساب من القضايا الهـامة التى أولاها الاسلام كل الرعـاية ، وحـافظ عليها من العبث ، وصانها من الضياع .

وفى سبيلها حرم التبنى لما فيه من دخـول عنصر غريب عن الأسرة يستبيح منها ما حرم الله عليه ، ويأخذ منها ما لاحـق له فيـه ، كمـا حـرم الزنـا وجعل له من العقوبات ما يصل به الى الرجم عند الاحصان ، وطالب المسلمين بالحزم وعدم التهـاون فى تنفيـذ العقوبة متى ثبتت الجريمة بشروطها المعروفة فى كتب الفقه ودعا الى أن يشهد الناس هـذا العذاب .

« وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَـا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ » (١) .

بينما دعا الى العفو عن القصاص فى القتل ورغب فيه بعد ثبوت الجريمة وصدور الحكم بالقتل **« كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَـنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْـهِ بِإِحْسَـــانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّـن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ » (٢)** .

لما كانت قضية الانساب لهـا كـل هـذا الاهتمام ، وكان موضوع التلقيح الصناعى ذا صلة وثيقة بها فقد أصبح أمره لا يحتمـل الخلاف فى الرأى خاصة بعد أن أصبح التقاء العلماء والباحثين وتبادل الرأى أمرا ميسورا وانها لفرصة مواتية لنطالب مجمع البحـوث الاسلامية (وهو معقد الأمل وموئل الرجـاء فى حل مشكلات العصر) أن يخصص دورة من دوراته لبحث هذا الموضوع الهام الخطير قبل أن يستفحل الخطر ويستشرى الشر ونسمع فى بلادنا الاسلامية مانسمعه فى غـيرها عـن افتتاح بنوك لحفظ نطف الرجال ابتغاء نجـابة النسل أو غير ذلك من الاغراض كما هو متبع فى تهجين الحيوانات وهى صور شبيهة بما كان فى الجاهلية من أنكحـــة باطلة حرمهـــا الاسلام وقضى عليها . على أن يدعى الى هذا المؤتمر الجامع كل الباحثين والمتخصصـين فى المؤسسات العلمية ذات الصلة بهذا الموضوع عسى أن ينتهى المؤتمر الى اجماع أو شـبهه يضمن للمسلمين سلامة السلوك واســتقامة الحياة

والتقصـير والتهـاون فى بيان رأى الاسلام فى هذه القضايا أصبح أمرا غير مقبول ولا مستساغ .

نسأل الله لعلمائنا التوفيق والسـداد ولأمتنا الاسـلامية الهداية والرشاد . والله ولى التوفيق

محمد محمد عباس

(١) الآية رقم ٢ من ســورة النور .

(٢) الآية رقم ١٧٨ من ســورة البقرة .

نحن والتاريخ .. ديوان العبر

-٢-

مع القصة الباكية

للشيخ محمد حسام الدين

عندما تنبه المسلمون الى ما يدبر لهم فى الهند على يد شركة الهند الشرقية الانجليزية كان الزمام قد أفلت من أيديهم ، وكانت الغفلة قد طالت بحيث تمكن الانجليز من السيطرة على نواصى الأمور ، وأصبح للشركة قوات أوربية مقيمة بالهند ، بل وقوات من أبناء الهند أنفسهم ومن المسلمين ، تهيمن بها الشركة ، وتحكم البلاد .

وفى سنة ١٨٥٧ م انتفضت القوات الاسلامية التابعة لجيش شركة الهند الشرقية فى البنغال ، لأسباب كثيرة ، من أهمها : أن الشركة تتخذ من الاجراءات ما يهدر حقوق المسلمين ، ولا يراعى المشاعر الاسلامية .

ومن أبسطها : أنها تقدم الطعام للجيش مخلوطا بدهن الخنزير (١) .

واتسعت هذه الانتفاضة حتى غطت شمال وشرق البلاد ، وتوحدت الحركة الاسلامية بقيادة بقايا الأباطرة المغول فى دلهى .

لكن الانجليز — بعد معارك عنيفة فى مواقع عديدة — انتصروا بقواتهم ، ومعداتهم الأوربية ، وسقطت دلهى فى أيديهم مرة أخرى سنة ١٨٥٧ م (٢) .

وكانت هذه الهزيمة من أشد الكوارث على المسلمين ، فقد انتهى بها الأمل فى بقاء السلطان الاسلامى فى الهند .

وفى أعقاب هذه الانتفاضة(٣)أعلن الانجليز انهاء حكم الأباطرة المغول ، وضم الهند الى البرلمان والامبراطورية البريطانية ، لتصبح أغلى جوهرة فى التاج البريطانى (٤) .

وسارع الانجليز بعد ذلك الى تنحية

◄

---

(١) دائرة المعارف البريطانية .
(٢) المصدر السابق .
(٣) وهى الانتفاضة التى اشتهرت بانتفاضة « سيبوى » يراجع تراث الاسلام — شاخت ص ٢٠٥ حـ ١ « عالم المعرفة » ١٩٧٨ م الكويت .
(٤) دائرة المعارف البريطانية .

القيادات الاسلامية عن ادارة الشئون فى البلاد ، وكانوا يتولونها فى مختلف الجوانب : السياسية ، والعسكرية ، والمدنية .

وعمد الانجليز الى تدمير الشخصيات الاسلامية البارزة تدميرا ماديا ومعنويا .

ثم الى تدمير الطبقة المتوسطة — فى المجتمع الاسلامى — وهى التى كانت تدير الأعمال المالية ، والمهن العامة الحرة ، وتمسك بزمام المجتمع الهندى .

وكان الانجليز على معرفة بأن حرارة الايمان لا تخبو فى قلوب المؤمنين ، وأن وقدته تظل كامنة فى الجوانح تدعو الى المقاومة .

ومن ثم فقد وضعوا فى خطتهم أن يعملوا على سحق المجتمع الاسلامى ، وتجريدة ماديا ، ومعنويا (١) .

لقد عبر هنتر (٢) عن رأى الانجليز ، فكتب فى سنة ١٨٧١ م يقول :

« ان المسلمين فى الهند كانوا ، ولا يزالون مصدر الخطر الحقيقى ، والدائم على السلطان البريطانى فى الهند .

وانهم — لسبب أو لآخر — يرفضون خطتنا ، ويعتزلون نظامنا هناك ، وان التغييرات المرنة التى نجريها فى الهند ، والتى يتقبلها الهندوس فى ترحيب ، وسرور ، ينظر اليها المسلمون على أنها من أفسد النظم وأشدها خطرا عليهم » (٣) .

لقد كانت الاجراءات التى اتخذتها شركة الهند الشرقية « البريطانية » منذ سنة ١٧٥٧م معبرة عن نوايا الانجليز تجاه المسلمين .

ففى هذا التاريخ وقعت معركة « بلاسى » بين قوات الشركة والسلطان سراج الدولة حاكم البنغال المغولى ، وهزم السلطان ، وأقامت الشركة سلطتها فى هذه الولاية .

وبعد ذلك بقليل فى سنة ١٧٦٣ م قام السلطان المغولى الضعيف « شاه علم » الثانى بمنح عائدات الأرض بالولايات الشمالية الهندية لشركة الهند الشرقية ، فمكن للشركة فى هذه الولايات ، وأعطاها سلطة قانونية على مساحة واسعة من البلاد (٤) .

وكانت اجراءات الشركة فى هذه الولايات جامحة مثيرة للقلق الاسلامى .

فلما صدر قرار الحكومة البريطانية فى ١٨٥٧ م بضم الهند الى البرلمان والتاج البرياطنى كانت اجراءات الحاكم العام الانجليزى بالهند منذ هذا التاريخ ، وحتى نهاية القرن التاسع عشر تستهدف قلب أوضاع المجتمع الهندى ، وتغيير الظروف للمجتمع الاسلامى هناك ، لتنتهى أحواله الى أسوأ حال (٥) .

لقد احتفظ الانجليز لأنفسهم فى الهند بالمناصب العليا القيادية فى المناصب

---

(١) Emergence of Pakistan — P. 6.

(٢) مؤرخ بريطانى .

(٣) Emergence of Pakistan — P. 6.

(٤) راجع دائرة المعارف البريطانية — وتراث الاسلام — شاخت — ص ٢٠٥ ج ١ — ترجمة السمهودى — عالم المعرفة ١٩٧٨ الكويت .

(٥) Emergence of Pakistan — CH-M-Ali — LAHOR 1979.

العسكرية ، والتشريعية ، والادارية المدنية •

وكان المسلمون من قبل ، فى عز الدولة الاسلامية يسيطرون على هذه الوظائف •

لكنهم لم يكونوا يحتكرونها لأنفسهم تماما ، ويركزونها فى أيديهم كاملة كما فعل الانجليز •

وكان الوضع الاجتماعى والاقتصادى لهذه القيادات الاسلامية العالية يعتمد على هذه الوظائف الحكومية •

فلما فقدوها فقدوا الوضع الاجتماعى ، بل وفقدوا وسيلة كسب المعاش •

أما الهندوس — وكانوا فى ظل الحكم الاسلامى يعملون فى الوظائف الثانوية من المناصب الادارية ، والعسكرية ، والمدنية — فقد أخذوا يتقدمون ليملئوا الوظائف التى تركها البريطانيون لأبناء الهند •

وكان أمرهم على ما وصفه أحد الكتاب الهنود بقوله : « لقد تدفق الهنود الى المناصب الرسمية ، يتمتعون بها دون قيود ، شاكرين للانجليز أصحاب هذا الفضل العظيم » (١) •

ولم تقف عقائد الهندوس تجاه الأجانب ، وفى التمييز بين الطبقات ، حائلا بينهم ، وبين الانجليز أصحاب الفضل عليهم •

بل ان الأمر كان على العكس من هذا ، فقد استغلت هذه العقائد لاعلاء طبقة الانجليز وتمييزها بين طبقات الناس فى الهند •

وعندئذ وقع المسلمون بين شقى الرحى : بين الطبقة الانجليزية العالية ، وطبقة الهندوس .

وقد تسلمت زمام الحكم ، وكثيرا من الشئون الرسمية ، والاجتماعية •

ولم تكن المشكلة أن ينزل المسلمون الى مضمار السباق ، وعلى قدم المساواة مع الهندوس فى شئون الحياة •

ولكن المشكلة أن المسلمين حجبوا عن حلبة السباق مع غيرهم ، وأبعدوا عن المضمار فلا يصلون الى الأعمال العامة •

وعندئذ تحولوا فى الهند الى شعب بغير مستقبل ، شعب لا يعرف له مصيرا ، وقد حمل من عناصر العراقة ، والأصالة ، ونبيل التقاليد ما يجعل الذل قاسيا عليه •

ثم عمل الانجليز منذ مطلع القرن التاسع عشر على احلال الثقافة الأوربية ، محل الثقافة الاسلامية بالهند •

وبدأوا بابعاد اللغة الفارسية ، وكانت هى اللغة الرسمية للبلاد أيام الحكم الاسلامى •

وظلت كذلك فى عهد الانجليز حتى صدرت توصيات مستر زاخارى ماكاولاى — رئيس مجلس مستشارى الحاكم العام فى الهند فى الفترة من ١٨١٣ — ١٨٣٥ — (٢) •

بشأن التعليم ، وجاء فيها : « انه يجب أن نهدف الى ايجاد طبقة متعلمة ذات دم هندى ، ولون هندى ، ولها ادراك ورأى انجليزى ، وهى كذلك انجليزية فى السلوك والفكر » (٣) •

وأخذت هذه السياسة طريقها الى الواقع ، ففى سنة ١٨٣٥ صدر اعلان الحاكم العام بأن

---

(١) المصدر السابق .

(2) Encyclopaedia Britanica.

(3) Emergence of Pakistan.

اللغة الانجليزية منذ هذا التاريخ هى لغة التعليم ، والقضاء بالبلاد ، وهى اللغة الرسمية فى دوائر الحكومة (١) .

وكان رد الفعل لهذا القرار لدى الهندوس هينا ، فان الأمر لديهم لا يعدوا أن يكون تبديل لغة أجنبية ، بأخرى أجنبية أيضا ، ولذا فقد سارعوا للانتقال الى الانجليزية ، وبكل ترحيب .

أما المسلمون فقد رأوا أن القرار يحمل أخطارا بعيدة المدى عليهم ، وهو فى رأى كثير من أولى الرأى منهم انما يهدف الى القضاء على الثقافة الاسلامية ، والى فصل المسلمين عن تراثهم ، وتعاليم دينهم ، بل والى تحريف هذه التعاليم .

ونأى المسلمون بالهند آنئذ عن الثقافة الانجليزية ، وكانت النتيجة أنه فى الفترة من سنة ١٨٨٠ حتى سنة ١٨٨١ كان عدد الطلاب الهندوس فى المدارس الانجليزية العالية ٣٦٦٨٦ طالبا ، وكان الطلاب المسلمون بها ٣٦٣ طالبا فقط (٢) .

واتجه الانجليز بعد ذلك الى تعديل القانون ، وكان الشريعة الاسلامية قانون البلاد ، فيما عدا قواعد الأحوال الشخصية ، فقد كانت تترك لكل طائفة هندية ، لتحكم فى مسائلها ، وفق عقائدها ، ونظمها الخاصة .

فحلت القوانين ذات السمة الاوربية محل الشريعة الاسلامية ، وصدر قانون العقوبات الهندى سنة ١٨٦٠ م ، ثم قانون المرافعات المدنية والجنائية سنة ١٨٦١ (٣) .

ثم صدر القانون « الانجليزى الاسلامى » ليطبق فى شئون الأحوال الشخصية على المسلمين .

وكذلك صدر فى سنة ١٨٦١ قانون يعيد تنظيم القضاء ، وينشىء محكمة عليا ، ومجلسا أعلى للنظر فى التشريعات .

ولم يكن للمسلمين نصيب فى هذه المناصب القضائية والتشريعية الكبرى (٤) .

وكان من أثر هذه القوانين أن أبعد الفقهاء والأصوليون ، والقضاة المسلمون عن مجال العمل القضائى الا فى قليل مما يتصل بشئون الأحوال الشخصية . فكان فى هذه القوانين تدمير لرجال الفقه والشريعة فى المجتمع الاسلامى .

ثم أخذ الانجليز فى مصادرة الاقطاعات ، والأراضى المؤجرة من الدولة لكبار الشخصيات الاسلامية فى الولايات المختلفة ، فى ظل الحكم الاسلامى ، وكذلك أخذ الانجليز فى مصادرة الأراضى الموقوفة على وجوه الخير ، وأغراض البر ، والتعليم ، وتحول دخل هذه الأراضى الواسعة الى خزانة الحكومة (٥) .

فلما انتزعت أراضى الأوقاف ، والاقطاعات،

---

(١) Encyclopaedia Britanica.

(٢) Emergence of Pakistan.

(٣) دائرة المعارف البريطانية .

(٤) المصدر السابق .

(٥) Emergence of Pakistan.

والايجارات الثابتة ، تحول كثير من كبـــار الأثرياء المسلمين الى فقراء معدمين ، والـــى عمال زراعيين ، واختنق التعليم الاســـلامى ، وتهاوت الطبقات الوسطى فى المجتمـع الى الفقر والحاجة ، والمذلة .

فى هذه الفترة الأليمة من تاريخ الاســلام فى الهند ، وفى العقود التى تلت ســنة ١٨٥٧ سنة الهزيمة النهائية ، كان المجتمع الاسلامى يتجرع الغصص ، ويعانى الارهـــاق ، وآلام العزلة والضياع .

وكان فى نفس الوقت يتشبث بطبائع العزة ، فخورا شديد الكبرياء فلا يتعاون مع المحتل ، عظيم الحزن فلا يتكيف مع الظروف الجديدة ، مشحون العاطفة بالماضى فلا ينساه حين يخط للمستقبل .

وكان الهنـــدوس على العكس من هـــذا : كانوا فى طـــريقهم الى الامـــام فى جميـــع المجالات .

ونهضـــت منهم طبقـــة من مـــلاك الأرض الكبار ، وكان مما يسر لهم هـــذا النـــوال أن اللورد كرونويلز الحاكم البريطانى فى البنغال أصدر فى سنة ١٧٩٣ قـــرارا بتثبيت قيمـــة الضريبـــة التى تجبى عن الأرض الزراعيـــة الحكومية ـــ وكـــانت ضريبـــة زهيـــدة ـــ ، وبتمليك هذه الأرض لزارعيهـــا ، وكانوا فى جمهرتهم من الهندوس (١) .

فنشأت طبقة أورستقراطية جديدة فيهم ، بالاضافة الى طبقة التجار الأثريـــاء منهم ، وكانوا خبراء التجارة منذ العهد الاسلامى .

ولما فتحت أبواب التعليم الانجليزى أقبلوا عليه فى شغف ، ففتح لهم طريق التقـــدم الى الوظائف الرسمية ، والمراكز الاجتماعية العالية فى مجالات الطب ، والصيدلة ، والهندســـة ، والصحافة ، والتدريس ، وغيرها .

ونهضت بهذا طبقة متوسطة هندوســـية تمسك بزمام الأمور فى الهنـــد تحت امـــرة الحكومة البريطانية .

ففى سنة ١٨٧٨ م كان الذين يمسكون بزمام الوظائف العامة ممن يحملون الدرجات الجامعة ٣١٥٥ من الهندوس ، يقـــابلهم ٥٧ رجلا من المسلمين (٢) .

وكان للأفكار السياسية الانجليزية أثرهـــا فى تنبيه الوعى الهندوسى ، وقيـــام الدعوة الى القومية الهندوسية ، بل والى تزايد هذه الدعوة ، والحماس لها ، فكانت عاملا مـــن عوامل القـــوة ، والتضـــــامن فى المجتمـــع الهندوسى .

فى هذه الساعات الرهيبة ، المظلمة فى حياة المجتمع الاسلامى فى الهند ، ولد رجل عظيم ، وقائد شجاع هو السيد أحمد خان ، فـــرأى ما نزل بالمسلمين من كوارث ، وما صـــاروا اليه من حال مريع سيء .

وأدرك بذكائه مدى الصعوبات فى طـــريق الصعود بالمسلمين مـــرة أخـــرى ، ورأى أن الخطوة الأساسية فى هذا الاتجـــاه يجب أن تبدأ باستعادة الثقة ، وتبادلها بين المسلمين والانجليز .

◄

(١) دائرة المعارف البريطانية .

(٢) Emergence of Pakistan.

وأيقن أن أى خطة لانهاض المسلمين لا تراعى هذا الأساس سوف تكون عملا ، أو بناء يدخل فى دائرة سوء الظن ، فيلقى به الانجليز ، وبأصحابه الى البحر .

ورأى كذلك أن أول عمل حيوى لترقية المسلمين يجب أن يبدأ باصلاح نظام التعليم الاسلامى ، ليفتح لهم النوافذ إلى المعارف العلمية الجديدة ، فتكون سبيلهم الى أن يتبوأوا مكانهم اللائق بهم فى رحاب الهند الجديدة .

وصمم السيد أحمد خان على تنفيذ برنامجه المزدوج ، المكون من شقين :

اصلاح التعليم ، والتعاون وتبادل الثقة مع الحكام الانجليز .

وبالرغم من المعارضة العنيفة التى أبدتها الكثرة الغالبة من القوى الاسلامية ، المحافظة فقد مضى السيد أحمد خان الى خطته .

فأسس جمعية علمية للنهوض بالتعليم ، وأنشأ المدارس الحديثة ، وأصدر الصحف الاسلامية من مثل صحيفة : « تهذيب الأخلاق » وكان لها رواج عظيم ، وصدى واسع يتردد باللغة الأوردية .

واجتهد للاصلاح التشريعى ، ولتصنيف الكتب التاريخية وإصدارها التى تصل الحاضر بالماضى ، وتضع الحقائق التاريخية بين أيدى الأجيال الجديدة .

وكان أعظم انجاز له هو تأسيس « الكلية الاسلامية الانجليزية الشرقية » فى عليكره سنة ١٨٧٧ م .

وكانت أمنيته أن تكون هذه الكلية نواة لجامعة اسلامية ، لكن هذه الأمنية لم تتحقق الا بعد وفاته باثنين وعشرين عاما (١) ، عندما نمت هذه الكلية ، وأصبحت الجامعة الاسلامية فى عليكره .

كانت هذه الكلية عند نشأتها مجرد معهد تعليمى : مجرد نموذج للعمل الجماعى ، والحركة الجماعية لاصلاح مناحى الحياة الاسلامية : اجتماعيا ، واقتصاديا ، وسياسيا ، وفكريا ، ودينيا : مجرد نموذج يحمل رسالة الاصلاح للمجتمع الاسلامى بجميع طوائفه .

ثم دعا السيد أحمد خان الى عقد « مؤتمرات للتعليم الاسلامى » فى أنحاء الهند ، فاستجاب المسلمون لهذه الدعوة ، وعقدت مؤتمرات بالفعل فى مواقع عديدة بالولايات المختلفة .

وكان أعظم ما أثمرت عنه هذه المؤتمرات هو ايقاظ روح العمل ، والاعتماد على النفس لدى المسلمين .

---

(١) توفى السيد أحمد خان فى عام ١٨٩٨ م

فقامت حركة لبناء المدارس فى أنحاء الهند على نظام كلية عليكره .

لقد كان السيد أحمد خان عميق الرؤية ، بعيد النظر ، فاعترف له الجميع بالعظمة ، حتى العلماء والفقهاء الذين اتهموه أحيانا بأنه يخرج عن الأصول الاسلامية فى آرائه الدينية (١) اعترفوا له كذلك .

وما من شك فى أن ثقافة السيد أحمد خان الواسعة ، وهمته العالية ، وروحه المتوقدة حماسا وتصميما ، وما أشاعه من طموح ، وأمل لانهاض المسلمين فى الهند بعث الثقة فى أنفسهم .. وأنار السبيل للتنظيم والعمل المتعاون فيما بينهم ، وفتح الابواب والنوافذ على الثقافة العالمية الجديدة ، وهيأ الفرصة للتقدم الاقتصادى .

لقد وقف السيد أحمد خان حياته للعمل الاسلامى ، ولترقية المسلمين ماديا ، ومعنويا .. ومع هذا كان بعيدا عن التعصب الدينى .

وكان له أصدقاء كثيرون من الهندوس يعمل متعاونا معهم فى المجالات الاجتماعية العامة ، وكان منهم من يعمل فى كلية عليكره ، وكانت الكلية ذاتها مفتوحة للطلبة الهندوس .

لكنه كرجل دولة : كرجل أمة : لم يكن يجهل أخلاقهم ، ومكونات عقائدهم ، وفطرتهم .

ولم يفقد الادراك للفرق الشاسع بين المجتمعين الاسلامى ، والهندوس فى مجالات التعليم والاقتصاد .

وكان على علم بأن الهندوس يسبقون المسلمين بنحو خمسين عاما فى مجال التعليم .

ويسبقونهم أيضا بمراحل كثيرة فى سوق المال ،وآفاق ادارة الأعمال ، وفى الخبرة بالعمل الحكومى ، وبالمهن الحرة كالطب ، والهندسة ، والمحاماة ، والصحافة وغيرها .

وكان السيد أحمد خان على معرفة بالمشاعر الدفينة للهندوس تجاه المسلمين ، وعندما قامت حركة هندوسية فى سنة ١٨٦٧ لاحلال اللغة الهندية المكتوبة بحروف « دفناجريه هندية » محل اللغة الأوردية التى تحمل كثيرا من التراث الاسلامى والهندوسى معا ، وتكتب بحروف عربية ، تأكد للسيد أحمد خان أن هذين المجتمعين لا يمكن أن يعيشا معا كأمة واحدة .

وقال : «اننى مقتنع بأن هذين المجتمعين لا يجتمعان أبدا على عمل مشترك فى صدق واخلاص ، وأن بواعث الصدام والكراهية التى قد نراها اليوم هينة ضعيفة فيما بينهما سوف تزيد على الأيام وتتضاعف آثارها ، وبخاصة لدى الطبقات المتعلمة » (٢) .

---

(١) نرجو أن ييسر الله لنا أن نعرض آراءه الدينية ونناقشها ، ونوضح آثارها فى المجتمعات الاسلامية .

(2) Emergence of Pakistan. p. g.

وفى سنة ١٨٨٥ دعا الانجليز الى عقد مؤتمر قومى هندى يشترك فيه كبار رجال الرأى فى البلاد كل عام تحت اشراف الحاكم العام الانجليزى ، لينظر المؤتمر فى المسائل الادارية، والسياسية ، والاقتصادية العامة ، فيوصى الى الحكومة بشأنها •

هذا المؤتمر تطور وعظم شأنه فيما بعد حتى

أصبح أكبر ، وأقوى منظمة سياسية مؤثرة فى الهند •

وكانت اجابة السيد أحمد خان لدعوة الانجليز أنه يعارض المؤتمر ، ويدعو المسلمين الى مقاطعته .

واستجاب المسلمون لرأى السيد أحمد خان، وجانبوا المؤتمر لعدد من السنوات •

ففى دورته لسنة ١٨٨٥ م فى بومباى لم يشترك فيه من المسلمين الا رجلان ، فى مقابل سبعين عضوا من الهندوس •

وفى دورته لسنة ١٨٨٦ م فى بومباى أيضا ، كان عدد أعضائه أربعمائة وأربعين عضوا ، لم يكن بينهم سوى ثلاثة وثلاثين عضوا مسلما (١) •

ولم تكن مناهضة السيد أحمد خان للمؤتمر فى دوراته الأولى راجعة الى استنكار منه لخضوع ذوى الرأى فى البلاد لرأى الحاكم العام الانجليزى ، أو راجعة الى معارضة منه للنظم والاشكال الديموقراطية فى الحكم •

لم تكن هذه هى أسباب المناهضة للمؤتمر ، فان السيد أحمد خان كان مقتنعا بأن التعاون مع الحاكم الانجليزى هو مفتاح العمل السياسى فى الهند فى تلك الفترة ، وكان من أكثر الناس ترحيبا بالنظم والمؤسسات الديموقراطية •

وقد جاء فى بعض كتاباته : « اننى قوى الايمان بالاسلام ، وبأن تعاليمه الأساسية تعارض الحكم الفردى ، ولاتقبل نظام الوراثة المطلقة للحكم ، وانما تقر نظام الانتخاب »(٢)

لكنما عارض السيد أحمد خان هذا المؤتمر لما رأى فيه من خطر على المسلمين فى الهند •

هذا : والحديث موصول •

وبالله التوفيق •

محمد حسام الدين

---

(١) Emergence of Pakistan. p. g.

(٢) Encyclopaedia Britanica.

الزكاة
أداة للنهضة الاجتماعية

للدكتور عبد الله مبروك النجار

من أهم السمات التى تحدد مشروعية الزكاة فى الاسلام ، أن اثرها لايقتصر على رعاية حقوق الفقراء ، والقيام بمصالح المجتمع ، من خلال تشريع محكم يضمن للفرد حقه فى العمل والكسب ، ويحفظ للمجتمع واجبه عليه فى المعونة والتضامن ، بل يتجاوز ذلك لتكون الزكاة وسيلة لترشيد تداول المال فى المجتمع على النحو الذى يحفظ أمنه ويحقق آماله واداة للنهضة الاجتماعية والرقى الانسانى ، بما تكفله من وسائل تحقق ذلك المقصد ، وبما تتيحه لكثير من الطاقات البشرية من فرص النمو والارتقاء لتمارس دورها فى الحياة سعيا فى مناكب الارض بالاصلاح والعمران ، هذا بجانب أنها تقى المجتمع شر الحقد القاتل والانحراف المقيت الذى قد يقضى على أمنه ويضيع أموال الناس فيه .

جاءت مشروعية الزكاة فى الاسلام لتكون طريقا يوصل الى كمال التنعم بالمال ، ليؤدى رسالته فى الحياة ويكون كما أراد الله ، أداة بناء ، ومصدر عطاء ، وسفير سلم بين الاغنياء والفقراء ، وقامت على أساس صحيح من كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه ﷺ ، وانعقد عليها اجماع الامة فهى ركن من أركان الاسلام ، وأمر معلوم من الدين بالضرورة ، بل هى فرض فى كل شرائع السماء ، والالتزام بها حكم يقترن بمعنى التعبد ، وهذان الامران ينبغى النظر اليهما بشىء من الاهتمام ، لأن وجودهما فى الزكاة ، يقرر حقيقة تدفع عن شريعة الله تقولا يحاول أن ينال منها ، حين يزعم أن نظام الزكاة فى الاسلام قد يدفع فئة من المجتمع الى الكسل والبطالة اعتمادا على ما سيحصلون عليه من مصارفها ، ولا شك ان هذا زعم خاطىء ، وتصور باطل لان الحق سبحانه حين شرع الزكاة ، وضع الضوابط المحددة ، التى تضمن تحقيق ثمار المشروعية فيها على أكمل وجه ، بحيث لا يكون لمثل هذا الزعم معها ادنى وجود ، وقبل ان نبين ضوابط استحقاق الزكاة ◄

فى الاسلام ينبغى أن نبين أمرين على درجة كبيرة من الاهمية ينبغى النظر اليهما فى هذا الخصوص .

أولهما : أن الزكاة فريضة فى كل شرائع السماء:

لم يكن أمر مشروعية الزكاة قصرا على الاسلام وحده ، بل هى فريضة اجتماعية فى كل شرائع السماء ، لا يتحقق اخاء انسانى الا بها ، ولا تقوم حياة طيبة الا بآدائها ، جاءبها الرسل والانبياء قبل سيدنا محمد ﷺ كما حكى القرآن الكريم ، فقد مدح الله اسماعيل عليه السلام فى صورة مريم بقوله « **وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا** » (١) .

وذكر عن عيسى عليه السلام « **وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَادُمْتُ حَيًّا** » (٢) وفى وصايا الله لبنى اسرائيل قوله تعالى « **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَاتَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** » (٣) ، وتحدث القرآن الكريم عن ابراهم واسماعيل واسحاق ويعقوب عليهم السلام فقال « **وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ** » (٤) ، كما قال فى أهل الكتاب عامة « **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** » (٥) ، وعلى هدى تلك السنة القويمة ، جاء الاسلام فجعلها فرضا من فرائضه الهامة وقرنها فى عدة آيات بالايمان والصلاة اهتماما بشأنها ، وبيانا لخطرها ، قال تعالى « **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** » (٦) ، وقال تعالى : « **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** (٧) ثم هدد اصحاب الاموال اذا هم قصروا فى حقوق الفقراء ، قال تعالى :

« **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** » (٨) ، وعلى هذا النحو كانت الزكاة أمرا مقررا فى الاسلام وفى كل رسالات السماء ، ومن ثم كان كل عمل يستهدف جحودها والاستخفاف بأمرها عملا لا يستهدف الاسلام وحده بل يكشف عن تمرد طائش على كل قيم السماء ، ويفصح عن استخفاف سافر بأمر جاء به جميع الأنبياء .

---

(١) سورة مريم ـ آية ٥٥
(٢) سورة مريم ـ آية ٣١
(٣) سورة البقرة ـ آية ٨٣
(٤) سورة الانبياء ـ آية ٧٣
(٥) سورة البينة ـ آية ٥
(٦) سورة البقرة ـ آية ٤٣
(٧) سورة الذاريات ـ آية ١٩
(٨) سورة البقرة ـ آية ٢٧٦

جاء تشريع الزكاة فى الاسلام على نحو ماورد فى الكتاب والسنة وانعقد عليه اجماع الامة ، ليتسنى أداؤها ، ويستمر القيام بها ، فيخرج الغنى القدر الواجب عليه للفقير اذا توافرت شروط الأداء ، ويلاحظ فى هذا الصدد أن تشريع الزكاة قد جاء كاملا متكاملا ، يراعى جانب الفقير ، ولا يهضم حق الغنى فكانت مصدر خير لهما معا وللمجتمع ككل ، ومن يتتبع مسائل الزكاة فى كتب الفقه يلمس ذلك التوازن بين الفئتين ، فالقدر الواجب على الغنى قليل بالنسبة لماله الذى تجب فيه الزكاة ، وقد راعى الشارع فى اكتساب النصاب مقدار ما بذل فيه من عناء وما اقترن به من مشقة ، فاذا كان المال يحتاج فى تثميره الى انفاق وجهد كالزرع يسقى بالآلة ففيه نصف العشر ، فان كان يسقى بالسماء وفعل الطبيعة ففيه العشر (١)، وهذا القدر لا يجب الا بعد اكتمال النصاب فى كلتا الحالتين خاليا من الديون ، ونفقات المزكى ومن يعولهم من أصحاب النفقات الواجبة ، وبعد أن يحول الحول على اكتمال النصاب ، كما ينبغى أن يكون المال المأخوذ من أوسط المال لا من خياره ، فقد نهى رسول الله ﷺ عن أخذ كرائم أموال الناس ، وذلك حتى لا يكون فى تشريع الزكاة ما يبعث فى حياة الاغنياء الاحساس بالغبن ، فقد روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ حين بعث معاذا الى اليمن ، قال له : « اياك وكرائم أموال الناس ، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب » (٢) فقد دل هذا الحديث الشريف على انه لا يجوز للمصدق أخذ خيار المال ، لأن الزكاة لمواساة الفقراء فلا يناسب ذلك الاجحاف بالمالك الا برضاه (٣) ، وهى مع مراعاتها لجانب الغنى أيضا استهدفت جانب الفقير ايضا مع وجوبها له ، حيث يتكرر الوجوب فى كل عام ، وفى أنواع كثيرة من المال كالذهب والفضة والمواشى وقد يتكرر ذلك الوجوب عند الحصاد فى زكاة الزورع والثمار ، كما أن عائد الزكاة يصرف لعديد من أصحاب الحاجة وكثير من المعوذين على نحو ما ورد فى آية المصارف ، كالفقراء والمساكين وابن السبيل والغارمين وفى سبيل الله ، الامر الذى يدل على اتساع دائرة الخير فيها لتراعى جانب الاغنياء ، وتكلأ برعاية الله ورحمته حاجة الفقراء .

ثانيهما : انها تقترن بمعنى التعبد :

والزكاة مع كل تلك المعانى الجليلة تعتبر ركنا من أركان الاسلام وأمرا جاء عن الشارع سبحانه ، ويجب الامتثال له ، لأن الالتزام به يدخل فى اطار الامور التى تعبد الحق بها عباده ، ومثل هذه الامور ينبغى أن يتقيد العقل فيها بدائرة الايمان ، حتى لايتطاول على حكم من أحكام الله ، ولأن اطلاق العنان لعمل العقل كثيرا ما يجر صاحبه

(١) راجع بداية المجتهد ـ حـ ١ ص ٢٥٦

(٢) رواه الجماعة ، راجع نيل الاوطار للشوكانى ـ حـ ٤ ص ١٣٠

(٣) نفس المرجع ـ ص ١٣١

الى مجال الغرور المهلك والاستخفاف بقيم الدين ، وفى ذلك ما لايخفى من الضياع والهلاك

٠٠٠فى مجال الزكاة أراد الحق سبحانه أن يبرز لعباده هذا المعنى ، ليكون هديا ونبراسا يسترشد به المؤمنون عند تناول قضايا الاسلام بالدراسة ومنها مشروعية الزكاة ، ليربأ قوم بأنفسهم عن الطعن فى دين الله ، ويترفعوا بآدميتهم عن التهكم على أحكام الله، فضرب للناس مثلا بنوعين من التعامل فى المال

الاول : يضفى عليه زيادة محسوسة يراها الحس ويدركها العقل ، ومع هذا الادراك قرر الحق سبحانه أن تلك الزيادة بوار ونقص على نحو ما فى الربا ، قال تعالى : « **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا** » (١) ٠

والثانى : ينقص المال نقصا حسيا ظاهرا ، يقتضيه اخراج جزء منه ، وهذا النقص مدرك بالعقل ومشاهد بالحس ، ومع ذلك قرر الحق سبحانه وتعالى ، أن مايراه الناس نقصا حاصلا من اخراج قدر من المال فى الزكاة ليس كما يقع تحت تصور العقل بل هو على خلاف ما يراه ويدركه ، لأنه زيادة ونماء وبركة ٠ قال تعالى : « ويربى الصدقات » (٢) ، فالامر اذا لا ينبغى أن يقف الانسان به عند حدود فكره هو ، لأن هناك أمرا أعظم من هذا وهو الامتثال لحكم الله ، والاذعان له بواجب العبودية ومن أبسط واجبات الاذعان لله أن لا ينصب الانسان من عقله حكما على الله ، بل يخضع عقله وقلبه لحكم الله ، لأن معنى التعبد ولا يمكن أن يحيط بسره عقل ، وهو وثيق الصلة بالزكاة ، لأنها مرتبطة بالمال وهو من أعظم النعم بلاء وفتنة وقد أرشد الحق سبحانه عباده الى هذا المعنى بقوله « **وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِى أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ ، وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** » (٣) ، ومن خلال هذا المعنى ينبغى النظر الى كل أمور التشريع ومنها الزكاة ٠

تشريع منزه عن الشبهة :

وقد اقتضت حكمة المولى تبارك وتعالى ، اختلاف الناس فى القدرة وتفاوتهم فى الملكات، وجرت سنته فى خلقه بذلك ، قال تعالى : « **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** » (٤) ، فاختلاف الناس موجود فى كل زمان وحاصل فى كل مكان ، ومن مظاهر ذلك الاختلاف أن يوجد الغنى ومعه الفقير ، ويكون القوى ومعه الضعيف ، ليؤدى ذلك التباين فى الملكات مهمة اجتماعية فى الحياة تحقق عطف الغنى على الفقير ، ورعاية القوى للضعيف ، فكان تشريع الزكاة تقنينا منظما

(١) سورة البقرة ــ آية ٢٧٦
(٢) سورة البقرة ــ آية ٢٧٦
(٣) سورة الروم ــ آية ٣٩
(٤) سورة هود ــ آية ١١٨

لذلك التلاحم الانسانى فى أدق صوره ، وجاء متوائما مع سنة الله فى خلقه ، وعلاجا يلائم مقتضى الفطرة من خلال رعايتها لجانب الفقر فيه والفقر ظاهرة لا يخلو منها مجتمع .

وهذه الظاهرة غالبا ما تكون هى البيئة الصالحة لاحتضان الجريمة ، ونمو المرض ، والخطر فيها عند قيامه لايقف عند حد بل قد يمتد لينال من المصالح الرئيسية فى حياة الناس ، فيمس عددا من الحقوق التى يقوم عليها كيان المجتمع .

والجريمة حين تحدث لا تقف عند التعدى على المال بالغصب والسرقة ، بل تتعدى هذا المجال لتأتى على حياة الناس ، وتودى بأعراضهم ، ومن ثم كان اهتمام الاسلام بعلاج تلك الظاهرة الخطيرة كفيلا بنزع الغل من قلوب الفقراء والنهوض والأخذ بيدهم على طريق الحياة القويمة ، ان لم يكن بالانتاج والعمل . فبحماية المجتمع من شرور قد تقع منهم ، وتوجيه طاقته كلها الى النفع العام دون خوف يبعثه عدد من المارقين عليه ، وانشغال بمراقبة فئة من العابثين فيه .

الفقر ظاهرة لا يستهان بها :

ولما كان الفقر ظاهرة اجتماعية توجد فى كل مجتمع ، فقد قرر الشارع ذلك وكفل له علاجا يضمن النهوض بالفقراء . ويكفل لهذه الطاقات التى قد تعطلها الفاقه أن تكون عناصر صالحة للعطاء ، ومثل تلك السياسة الشرعية القويمة ينبغى أن تحسب للاسلام لا عليه ، لأن حدوث الفقر فى حياة أى فرد غالبا ما يأتى على غير مقتضى ارادته ، ومثل هذا الذى قدر عليه رزقه وغلبه زمانه بأمر لا حيلة له فيه يكون جديرا بالمساعدة وحريا بصرف مال الزكاة له وذلك ما يقرره الشرع ويذعن له العقل ، ومن ثم فانك تجد لجانب المساعدات فى كل دول العالم حظ كبير فى سياسة عملها ، ولم نسمع من يصرخ بصوته مقررا أن ذلك سيخلف عددا من العاطلين فيها ، فالأمر هنا ظاهر الوضوح فى أن المراد بالتهجم لا يستهدف الزكاة . وانما يقصد الدين الذى قرر الزكاة .

لقد فطر الله الانسان على حب المال ، فهو لهذا لا يدخر وسعا فى سبيل تنميته وتحصيله ليحقق فى نفسه طموح تملكه والاقتدار به ، وهو قد لا يستطيع الوصول الى ذلك لمرض يصيبه أو عاهة تحدث له ، أو عجز يقع فيه أو يتم يحصل له ، أو وفاة زوج أو عائل ، وأصحاب مثل تلك الظروف يكونون أهلا للعطف وموئلا للرحمة ، لأن حجب المساعدة فى مثل تلك الظروف قد يدفع ببعضهم الى الهلاك .

وقد يؤدى بالبعض منهم الى ارتكاب الجريمة ، وما أعظم ما يترتب على ذلك من خطر ، ولهذا كان فى دفعه بالتشريع مصلحة للفرد وللجماعة معا ، وكانت الزكاة أداة للوصول الى تلك المصلحة .

يتبع

د. عبد الله مبروك النجار

عمر بن عبد العزيز وعماله

رَوَى الإمام أحمد بن حَنبَل فِي "الزّهد"... قال:

كتبَ صالح بن عبد الرحمٰن وَصاحب له قد ولّاهما عُمر بن عبد العزيز شيئًا من أمُور العِراق..

فكتبا إلى عمر يَعرِضان عليه أن النّاس لا يصلحهم إلّا السّيف... فكتب إليهما:

خَبِيثين مِنَ الخَبث، رَدِيئَيْنِ من الرّدِيء تعْرِضان إلىّ بدماء المسْلمين.

ما أحدٌ مِن النّاسِ إلّا وَدَمكما أهوَن علَىَّ مِن دَمِهِ

الزُهد ص ٢٩٧

في السيرة النبوية

العسكرية الاسلامية

حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

العسكرية الإسلامية

فى مقررات المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية

عقد المؤتمر الثالث للسيرة والسنة النبوية (١) فى الدوحة عاصمة دولة قطر خلال الفترة من ٥ ـ ١٠ محرم ١٤٠٠ هـ الموافق ٢٤ ـ ٢٩ نوفمبر ١٩٧٩ م ، وحضر المؤتمر واشترك فى أعماله ٢٦٧ من الوزراء والعلماء وكبار المسئولين عن الشئون الاسلامية والقضاء الشرعى والافتاء فى العالم الاسلامى والمشتغلين بأمور الدعوة والدراسات والفكر الاسلامى الذين وفدوا عن سبع وأربعين دولة ٠

وضمانا لتيسير أعمال المؤتمر ولكى يتسع وقته لمناقشة الأبحاث العديدة التى قدمت له والتى بلغت ثلاثة وسبعين بحثا ، فقد انبثقت عن المؤتمر أربع لجان هى : لجنة السنة مصدرا للتشريع ومنهاجا للحياة ، ولجنة التربية والشباب ، ولجنة الدعوة والاعلام ، ولجنة التراث والمصادر ٠

وقد عكف المؤتمر من خلال هذه اللجان الأربع على دراسة الأبحاث المقدمة وانتهى من هذه الدراسة باصدار توصياته التى وجهها الى العالم الاسلامى ٠

العسكرية الاسلامية لأول مرة :

ولأول مرة فى مؤتمر عالمى يعقد فى دولة اسلامية يتم بحث موضوع عسكرى وكان ذلك من منطلق الجوانب العسكرية فى حياة الرسول ﷺ التى شاركت ببحث عنها فى أعمال المؤتمر ، كما اشترك أيضا الأخ الاستاذ اللواء الركن محمود شيت خطاب والأخ الاستاذ الشيخ عبد اللطيف زايد ٠٠

وكانت توصيات المؤتمر فى مجال العسكرية الاسلامية كما يلى : ـ

يوصى المؤتمر بتعميق معانى التربية الجهادية فى نفوس شباب الأمة الاسلامية وذلك بما يلى : ـ

١ ـ اعتماد العقيدة العسكرية الاسلامية

---

(١) عقد المؤتمر الاول فى اسلام اباد بالباكستان سنة ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦ م) وعقد المؤتمر الثانى فى استنبول بتركيا سنة ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م)

لـواء أركان حرب
محمد جمال الدين محفوظ

ـ دون غيرها ـ فى الجيوش الاسلامية والعمل على اصدار كتب فيها ، وتطبيق اصولها فى التدريب والتعليم والسلوك العسكرى ، مع الاهتمام بانتقاء الضباط من العناصر المؤمنة حرصا على القدوة الطيبة ، واختيار العلماء المخلصين لتولى الارشاد فى الجيش والحرص على بناء المساجد فى ثكناته ومعسكراته .

(ب) ادخال التدريب العسكرى فى المدارس والمعاهد والجامعات لاعداد الشباب عسكريا وتعويدهم الطاعة والانضباط والنظام والحرص على اقامة معسكرات سنوية لهم .

(جـ) العمل على اصدار موسوعة عن التاريخ الحربى الاسلامى طبقا للمنهج العلمى وتخصيص جوائز سنوية لأحسن البحوث فى جوانب العسكرية الاسلامية والتأكيد على تدريس مادة الدعاية النفسية فى الكليات المختلفة .

دراسة العقيدة العسكرية الاسلامية .

وقد ناديت على صفحات هذه المجلة الغراء منذ سنوات بضرورة دراسة العقيدة العسكرية الاسلامية فى المعاهد والكليات العسكرية الاسلامية ، وكان ذلك فى سلسلة من المقالات تحت عنوان « نحو عقيدة عسكرية اسلامية » لأنه من المؤسف أن يدرس العسكريون فى بلاد العرب والاسلام النظريات الحربية الاجنبية وأعمال القادة الاجانب والتاريخ العسكرى للدول الاجنبية ولا يدرسون النظريات الحربية الاسلامية وأعمال القادة المسلمين والتاريخ الحربى الاسلامى .

ومن يدرس تاريخ هذه الأمة ، يكتشف السر وراء ذلك ، ويدرك أنه قد أريد بها أن تبعد عن كل ما هو أصيل فى حياتها ، فشن عليها أعداؤها حربا حضارية استهدفت طمس معالم حضارتها ومنع قيامها من جديد .. فلقد قامت هذه الحرب الحضارية ضد هذه الأمة بعد أن عاشت عصورا زاهرة كانت خلالها أمة قوية مرهوبة الجانب وصاحبة حضارة أشعت نورها على الانسانية جمعاء فى كل مجالات العلوم الطبيعية والاجتماعية ، وكان ذلك بفضل استمساكها بدينها ووحدتها وبفضل عامل الجهاد الذى لم يبخل عليه أجدادنا الأوائل بأموالهم وبأنفسهم .

ويوم تخلى المسلمون عن الجهاد ، وأقبلوا على الدنيا وزينتها غافلين عن الخطر المحدق بهم ، ضاع وجودهم وكيانهم فتمكن العدو منهم ، وسعى بكل قوته نحو طمس معالم الحضارة الاسلامية ، وفرض التبعية على العرب والمسلمين فى كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفى المجالات العسكرية أيضا .

العسكرية الاسلامية

* ولعل أخطر النتائج التى تترتب على أن يقصر العسكريون فى بلاد العرب والاسلام دراستهم على ما عند الدول الأجنبية من نظريات حربية وأعمال القادة والتاريخ الحربى ، هو ترسيخ الفكرة الخبيثة الهدامة بأنه ليس للعرب والمسلمين نظريات حربية ولا قادة ولا تاريخ عسكرى يستحق الدراسة .

* هذا على الرغم من أن التاريخ — وهو شاهد لا ينازع — قد سجل للعسكرية الاسلامية انجازات رائعة ، هى فى واقعها حقائق دامغة تدحض كل افتراء على فن الحرب الاسلامى (١) .. لقد استطاعت العسكرية الاسلامية تحقيق الانجازات التالية على سبيل المثال : —

١ — تأمين الدعوة وقيام الدولة الاسلامية وتأمين سلامتها لكى تؤدى دورها لصالح البشرية .

٢ — بلوغ الفتوحات الاسلامية فى أقل من مائة عام حدود الصين شرقا وشاطىء الأطلسى غربا .

٣ — تمكين الأمة الاسلامية « الناشئة » من ادارة دفة الحرب فى جبهتين عظميين فى وقت واحد وفى مواجهة أعظم قوتين عالميتين فى ذلك الوقت هما فارس وبيزنطية والانتصار عليهما وهذا مثل فى التاريخ الحربى لم تبلغه أعرق الأمم وأقواها .

٤ — اتقان العرب — أبناء البادية — ركوب الأساطيل وفنون الحرب فى البحار وانتصارهم فى المعركة البحرية على أقوى أساطيل زمانه وهو أسطول بيزنطية حتى قال ابن خلدون :

« ان المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم (البحر الابيض المتوسط) وان أساطيلهم سارت فيه جائية وذاهبة من صقلية الى تونس ، والرومان والصقالبة والفرنجة جميعا تهرب أساطيلهم أمام البحرية العربية ، ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين التى ضربت (٢) عليهم كضراء الأسد على فريسته » .

٥ — فتح الطريق لتأسيس الحضارة الاسلامية وفتوحاتها العبقرية لخير البشرية فى ميادين العلوم الطبيعية والانسانية ، فأصبح العرب — بعد أن كانوا أقل حضارة من الفرس والروم بخاصة — قادة للحضارة العالمية ، فكان منهم على سبيل المثال لا الحصر جابر بن حيان فى الكيمياء ، وابن الهيثم فى الطبيعيات ، وأبو بكر الرازى فى الطب ، وابن سيناء فى الطب كذلك والفلسفة ، والغزالى فى الجانب الروحى ، وابن رشد فى الفلسفة العقلية ، وابن خلدون فى الاجتماع والتاريخ والخوارزمى فى الرياضيات وعشرات غيرهم ..

* وثمة أمر لا ينبغى أن يغيب عن أذهاننا حين نعتمد على غيرنا فى المجالات الحربية ،

---

(١) « فن الحرب » اصطلاح عسكرى يحتوى على جميع المسائل المتعلقة باعداد وادارة شئون الحرب (Military Art)

(٢) ضرى (بفتح الضاد وكسر الراء) عليه : اى لزمة او أولع به .

وهو أن الدول الأجنبية تحرص ـ بطبيعة الحال ـ على أن تكون لها أسرارها الخاصة بها فى كافة المجالات العسكرية سواء فى النواحى النظرية أو التطبيقية ، وعلى ذلك فهى لا تقدم للدارسين أو الطالبين من غير أبنائها من العلم العسكرى أو العتاد الحربى ، إلا ما يكون العلم به أو العمل به لا يضر بمصالحها الاستراتيجية ، أو ما يكون قد تقادم به العهد ، أو أصبح متخلفا عن مقتضيات العصر .

النقص الشديد فى كتب العسكرية الاسلامية :

والأمر الذى نلاحظه هو أن المكتبة العربية والاسلامية تفتقر افتقارا شديدا الى المراجع التى تتناول العقيدة العسكرية الاسلامية ونظرياتها ومبادئها وقوانينها .

وفى يقينى أن هذا العجز يرجع الى السبب الذى ذكرته آنفا وهو محاولة أعداء الأمة الاسلامية طمس معالم الحضارة الاسلامية .. ومن ذلك على سبيل المثال دعوى أن الاسلام قام بالسيف ، فان من أهداف هذه الدعاية المغرضة فرض نوع من الحساسية حول تناول الجوانب العسكرية فى الاسلام بحيث يؤثر الكتاب المسلمون المتخصصون تجنب دراستها من وجهة النظر الفنية .

ويبدو هذا النقص الشديد فى كتابات العسكريين العرب والمسلمين واضحا اذا ما عرفنا أن ما كتب عن الامبراطوية الرومانية مثلا منذ عصر النهضة حتى اليوم قد بلغ عدة آلاف من الكتب .

التهوين من قيمة العسكرية الاسلامية فى كتب الغرب :

* والملاحظ أيضا أن ما كتبه العسكريون الأجانب حول العسكرية الاسلامية قليل بحيث لا يتجاوز عدد أصابع اليد ، ويفسر لنا ذلك شاهد من الغرب هو الجنرال جون باجوت جلوب فى كتابه (الفتوحات العربية الكبرى) فيقول :

« ان أوروبا ظلت قرونا طويلة تعتبر الفتوحات الاسلامية كوارث رهيبة ، ولم يكن ثمة مسيحى يود أن يذكره الناس بها ، وليس المؤرخون الا بشرا ، ولذا تثبط عزائمهم اذا لم يجدوا من يقرأ لهم ، فلقد كتب سيمون أو كلى وهو أحد المؤرخين الانجليز الأوائل الذين أرخوا الفتوحات العربية بعض كتبه العظيمة وهو رهن السجن فى كمبردج وفاء لدين عايه ، ولم يكن دخله من بيع كتبه كافيا لتمكينه من اعالة أسرته ! » .

* وحتى أولئك الباحثين الأجانب (١)

(١) انظر المصادر التالية على سبيل المثال :
ـ صفحة ١٩٩ الى ٢٠١ من كتاب
The Ensyclopedia of Military History
(By Ernesf Dupuy & Trevor N. Dupuy)
ـ وصفحة ٤٣ الى ٤٦ من كتاب
The Arabs A Short History
(By Philip K. Hitti)
ـ وصفحة ١٢٠ الى ١٢٣ من كتاب
War Through The Ages
(By Lynn Montross)

الذين تناولوا الأعمال العسكرية الاسلامية نرى منهم من يدعى أن الاسلام كان متخلفا فى المجال العسكرى ، وانه لم يضف جديدا الى فن الحرب ، ومن أراد منهم أن يبدو موضوعيا

فى دارسته نراه يركز كثيرا على الدوافع المعنوية النابعة من الايمان وقوة العقيدة ، ولا يتناول الجوانب الفنية للمعارك من زاوية العلم العسكرى وفن الحرب التى تزخر بها معارك الاسلام حقيقة • فمثلا يقول المشير مونتجمرى :

« ان أهم مميزات الجيوش الاسلامية لم تكن فى المعدات أو التسليح أو التنظيم ، بل كانت فى الروح المعنوية العالية النابعة من قوة ايمانهم بالدعوة الاسلامية وفى خفة الحركة التى ترجع الى مهارتهم فى سرعة التحرك بالجمال والخيل ، وأيضا فى قوة احتمالهم جلدهم نتيجة لحياتهم الصعبة فى الصحراء التى تعودوا عليها •• على أن هناك عوامل أخرى شاركت فى نجاح زحفهم غير العادى ، ذلك الزحف الذى كان عبارة عن نجاح تلو النجاح ، فقد كان العرب يندفعون نحو القتال تحركهم أقوى دوافع الحرب الا وهو الايمان والعقيدة ، ومثل هذه النبضات المتلاحقة لم يكن من السهل أن تخبو سريعا ، فالكثيرون منهم وخاصة فى المراحل الأولى للفتوحات الاسلامية ، كانوا يؤمنون ايمانا راسخا بالدعوة الاسلامية ويتحمسون لها ويغارون عليها ، وأدى هذا الى اعتناقهم مبدأ صلبا هو « الجهاد فى سبيل الله » وقد تغلغل هذا المبدأ فى قلوب أتباع الرسول •

فهل يقبل العقل أن تكون الشجاعة وقوة العقيدة وراء انتصارات المسلمين فى العمليات الحربية دون أن يكون معهما شىء من الكفاية الحربية فى القيادة والقتال ؟ •• ثم هل يقبل العقل أن يكون من المسلمين رواد فى كل نواحى العلوم الطبيعية والاجتماعية ، ولا يكون منهم رواد فى فن الحرب ؟

* ثم نتساءل عن النتيجة العامة التى تستخلص من سجل الفتوحات الاسلامية فى القرن الأول الهجرى :

أليست هذه النتيجة هى أن « العسكرية الاسلامية » قد انتصرت على « العسكرية الفارسية » وعلى « العسكرية البيزنطية » ؟•

لكننا مع ذلك نرى بعض المؤرخين يحاول أن يهون من عظمة العسكرية الاسلامية ومن كفاية المسلمين الحربية ومن قيمة انتصاراتهم ، فيعلل سرعة الفتح الاسلامى باندفاع الغرائز الحربية المتأصلة فى المسلمين منذ الجاهلية التى تدفعهم الى السلب وأعمال القرصنة ، ويضيف الى ذلك ضعف الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ••

وفى ذلك يقول الأستاذ عباس العقاد (١) :

« ومايزال الأكثرون من المؤرخين المحدثين يستعظمون على العرب أن يغلبوا الفرس والروم ، ويحسبون هذه الغلبة » شيئا قد

(١) عبقرية خالد : المقدمة (البادية والحرب)

حصل وكان ينبغى ألا يحصل ، لولا أنها فلتة لا يقاس عليها ، ومصادفة لا تقبل التكرار .. وبعضهم يلتمس العلة فيقول : انما هى وهن الدولتين ومصابهما بالخور والانحلال ، أو يلتمس العلة فيقول : انها عقيدة المسلمين القوية وافتقار الفرس والروم الى مثل هذه العقيدة .. وكل أولئك تعليل ناقص من كل نواحيه .. » ثم يفند العقاد هذه التعليلات الى أن يقول : « فمهما يهرب هؤلاء المؤرخون من الحقيقة ، فلا محيص لهم من الرجوع اليها لفهم الغلبة الاسلامية أو فهم الهزيمة الفارسية والرومانية ، وهذه الحقيقة هى أن المسلمين أيضا كانوا أخبر بالفنون العسكرية من أهل فارس والروم ، وكانوا أقدر على تنفيذ الخطط العسكرية التى تنفعهم من قواد تينك الدولتين ، وأن البادية العربية سواء فى عصور الجاهلية أو صدر الاسلام ، لم تكن من الجهل بفن الحرب بتلك الحالة التى توهمها المؤرخون الأوربيون ، بل معظمهم المؤرخين عامة ، ولا نحاشى منهم العرب والمسلمين » .

النظريات العسكرية الاسلامية :

وقد تناولت فى بحثى الذى شاركت به فى أعمال المؤتمر الثالث للسيرة والسنة النبوية بعض النظريات العسكرية الاسلامية ... على سبيل المثال لما تحتويه المدرسة العسكرية الاسلامية من نظريات ومبادىء وقوانين وآداب تشمل كل مجالات العلم العسكرى وفن الحرب ، وقد عرضت النظريات التالية

١ ــ عقيدة الجهاد باعتبارها جوهر الاستراتيجية العسكرية الاسلامية .

٢ ــ نظرية الردع التى تتأسس على اعداد القوة التى ترهب العدو وتخيفه من عاقبة عدوانه .

٣ ــ نظرية التأهب والاستعداد القتالى (المرابطة) .

٤ ــ نظرية التطوير وملاحقة العصر .

٥ ــ نظرية الاسلام فى القيادة واعداد القادة .

٦ ــ نظرية الاسلام فى الحرب النفسية .

٧ ــ نظرية الاسلام فى التدريب على القتال .

٨ ــ نظرية الاسلام فى الجندية والانضباط والتقاليد العسكرية .

٩ ــ نظرية الاسلام فى المخابرات الحربية .

١٠ ــ نظرية الاسلام فى الأمن ومقاومة الجاسوسية .

وانى لأحمد الله تعالى أن جاءت توصيات المؤتمر معبرة خير تعبيرعما ننادى به ونأمل فيه ، وهو أن يدرس العسكريون فى بلاد العرب والاسلام نظرياتهم الاسلامية الأصيلة فى شئون الحرب وأعمال أجدادهم من القادة العسكريين » والتاريخ الحربى الاسلامى ، وبذلك يحطمون أسوار التبعية التى حاصرتهم مستهدفة قطعهم عن أمجادهم ومقوماتهم الأساسية ، ثم ينطلقون نحو التطور والتقدم لبناء القوة الذاتية لأمتهم .

لواء محمد جمال الدين محفوظ

حول الاستراتيجية[1]
العسكرية الإسلامية

— ٢ —

حماية أموال المسلمين من النهب : —

كما أن الدولة الاسلامية مارست حقوقها المشروعة فى استرداد حقوق المهاجرين المالية والمعنوية والأدبية التى اعتـدت قـريش باغتصابها فان الدولة الاسلامية كذلك مارست حقوقها فى الحفاظ على أموال رعـاياها مـن الاعتداء عليها بالنهب أو السرقة أو الاغـارة العسكرية ولـذا فقـد خاضـت عدة معـارك عسكرية ولهذا الغرض ٠

من هذه العمليات العسكرية ما يلى : —

غزوة دومة الجندل :

فى الخامس والعشرين من ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهرا من الهجرة ، فقد خرج رسول الله ﷺ الى دومة الجنـدل لأن جمعا من (الضافطة) — الذين يجلبون الميرة والمتاع الى المدن فهم كالمكارى الـذى يكرى ليحمل الامتعة قد أثاروا ذعرا وشـغبا وظلما لمن مر بهم وتجهـزوا لنهب أطـراف المدينة ، وهم يستأنسون فى همجتهم هذه الى دنوهم من قيصر الروم لأنهم على أفواه الشام يحرسون له الحدود ، فهم يستندون على بنى جلدتهم بقيصر الروم فهو خلق فاسد ومزاج عكر ، وتفكير أرعن ، وأنانية مرذولة فنـدب رسول الله ﷺ الناس لحربهم ٠٠ لكنهم هربوا فهم كقطاع الطرق أو الخفافيش لا تظهر الا فى الظـلام وكان من نتائج هـذه الغـزوة ، **تأمين الطريق ، ومـوادعة عيينـة بن حصـن الفزارى ٠**

وغـزوة الغابة أو ذات قـرد — بضـم القاف والراء أو بفتحهمـا — وقـد اختلف العلماء فى تاريخها ويرجح البخارى أنها كانت بعد خيبر ويرى ابن عبد البر أنها كـانت بعد غزوة بنى لحيان من السنة السـادسة ، والذى يهمنا أن النبى ﷺ خـرج ليعيد الى المسلمين أموالا اغتصبها عبد الرحمن بن عينية ابن حصن ومعه أربعون فارسا منبنى عبد الله ابن غطفان وقيـل ان الذى أغـار على سرح

---

(١) الاحاديث الشريفة فى هذا البحث مصدرها كتب السيرة — فيما يبدو ٠٠ مجلة الازهر

للدكتور رءوف شلبى

المدينة هو عبد الله أخـوه وقتلوا ابن أبى ذر الغفارى (١) .

وأدرك سلمة بن الاكـوع رضى الله عنـه القوم الذين سرقوا السرح أو اللقاح فجعـل يرميهم بالنبـل ويقول : —

خـذها وأنا ابن الأكـرم

واليـوم يـوم الرضـع

والمقصود من يوم الرضع يوم هـلاك اللئيم — وقد استنفذ منهم جميع اللقاح ... قـال سلمة فلحقنا رسول الله ﷺ والخيـل عشار فقلت يارسول الله ان القوم عطـاش فلو بعثتنى فى مائة رجل استنفذت مافى أيديهم من السرح ... ، وفى مسلم عن سـلمة : ما خلعت من شىء من لقـاح رسول الله ﷺ الا خلفته وراء ظهرى واستلبت منهم ثـلاثين بردة (٢) .

ثم كانت سرية زيد بن حارثة الى أم قرفة : فاطمة بنت ربيعة الفـزارية بناحيـة وادى القرى ، كانت فى رمضان سنة ست ، وسببها أن زيدا خرج فى تجارة الى الشـام ومعـه بضائع للصحابة رضوان الله عليهم فخـرج عليه ناس من بنى بدر من فزارة فضربوه ومن معه حتى ظنوا أنهم ماتوا وأخذوا ما كان معه من الاموال فتحامل زيد حتى قدم المدينة فكان لابد للدولة الاسلامية من ممارسة حقـوق سيادتها بالحفاظ على كرامة رعاياها وأموالهم فجند سيدنا رسول الله ﷺ سرية بقيادة زيد ابن حارثة نفسه وشاء الله أن صبحوا القوم وهم نيام فأحاطوا بهم وقتلوهم تقتيلا حتى أم قرفة وخطورة هذه المرأة أنهـا تضرب فى الامثلة العربية للمنعة والقوة فقد كان يعلـق فى بيتها خمسون سيفا لخمسين فارسا كلهم لها محرم حتى قالت العرب : —

((أضن من أم قرفة)) .

((أعزمن أم قرفة)) .

ولقد استخدمت هذه المرأة جاهها وعزهـا فراحت تشيع فى الناس سبابا عن رسول الله ﷺ (٣) ومن خبر هذه السرية مزيد صـدق النبوة فى كل ما أخبرت به فقـد كـان النبى ﷺ يقول لقريش : أرأيتم ان قتلت أم قرفة ؟ فكانوا يقولون : أيكون ذلك ؟ وها هو قد كان والحمد لله الذى صدق وعـده ونصر عبـده وهزم الكفار وحده .

ومن العمليات العسـكرية التى مارسـت استراتيجية حماية أموال المسلمين من النهب والغصب سرية كرز بن جابر القرشى النهرى الى ذى الجدر فى شوال سنة ست ذلك : ان نفرا من عرينة قدموا على النبى ﷺ فأسلموا — تظاهرا ثم استوبأوا المدينة فأمر بهم رسول

---

(١) امتاع الاسماع حـ ١ ص ٢٥٨ — ٢٥٩

(٢) راجع مسلم كتاب الجهاد باب غزوة ذى قرد ، وراجع المعاد حـ ٣ ص ٢٧٨ .

(٣) امتاع الاسماع حـ ١ ص ٢٧٠ .

الله ﷺ الى لقاحه وكان سرح المسلمين بـذى الجدر ناحية قباء على ستة أميـال من المدينة المنورة فكان هؤلاء النفر المرائى بالاسـلام بالسرح حتى سمنوا وصحوا فقلبـوا شـكر النعمة الى نقمة فغاروا على اللقاح فاستاقوها فلما لحق بهم حارس اللقاح « يسـار » مولى رسول اله ﷺ أخذوه فقطعوا يـده ورجلـه وغرزوا الشـوك فى لسـانه وعينيه حتى مات وانطلقوا بالسرح فأقبلت امرأة من بنى عمرو ابن عوف فلما رأت يسارا رجعت الى قومهـا فأخبرتهم فحملوه حتى قباء فبعث رسول الله ﷺ فى أثرهم عشرين فارسا واستعمل عليهم كرز بن جـابر الفهـرى فأسروهم جميعـا وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة وكان رسول الله ﷺ قد خرج فى غزوة الغابة التى كانت تنفيذا لسياسة حماية أموال المسلمين فنفذ فيهم رسـول الله ﷺ نفس صنيعهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف (١) وفيهم نزلت هذه الآيات :

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ٣٣ المائدة .

حمـاية أفراد الرعية المسلمين :

سيادة الدولة تتمثل فى أن يكون لممتلكاتها ولرعيتها ولمبادئها حرمة عند غيرها من الأمم فالذين يحترمون الدولة الاسلامية هم الذين يحترمون ممتلكاتها وممتلكات رعيتها ويحترمون كذلك أفراد رعيتها وسفراء رئيسها ، ويقدرون تعاليمها ومبادئها .

والـدولة المحتـرمة هى التى تجعـل من وظيفتها احترام سيادتها فلا تسمح لأحد أن يعتدى على شىء مما هو داخل فى سيادتها . ومنذ القرن السـابع الميـلادى والنبى ﷺ يضع استراتيجية سيادة الدولة على رعيتهـا واملاكهم وأعراضهم واحترامهم واحتـرام مبادىء الدولة ودستورها وتعاليمها موضـع التنفيذ الجاد الحازم الحاسم الذى لا يقبـل الدنية البتـة .

قد يكون بعض الزعماء فى العصر الحـديث يتشدق بشعار سيادة الدولة لكنه ــ فعـلا ــ قزم أمام خصوم الدولة اذ يترك لهم أجزاء من أرض الدولة ويخفى ذلك عن شعبه ويضلله بالخطب الرنانة والاعلام الذى يعمى العقـل والمشاعر ثم هو بعد ذلك مـارد على شـعبه جبار على رعيته فكأنما هو مطبق حقيقى لقول الشـاعـر : ــ

أسـد على وفى الحـرب نعـامة
فتخاء تتفرق من صـفير الصـافر

وبذلك يفهم ان ادراك سيادة الدولة بصورة

---

(١) امتاع الاسماع ط ص ٢٧٢ ــ ٢٧٣

جادة وصادقة لن يكون الا فى الظل الاسلامى الذى مارس بالفعل كيفية فرض سيادة الدولة على جميع الخصوم ، واحداث المعارك العسكرية التى أتخذت من حماية أفراد المسلمين استراتيجية لها تظهر فى عديد من السرايا والغزوات منها : ـ

١ ـ غزوة السويق :

وقعت بعد عشرين شهرا من الهجرة بعد بدر فقد أصابت حرب بدر جماعة المشركين بتلف فى التفكير اذ قد قتل صناديد قريش وكبارها حتى ان أبا سفيان حرم الدهن (١) على نفسه حتى يثأر من نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام فركب فى مائتى رجل وذهب الى بنى النضير ودخل على سلام بن مشكم اليهودى فسقى أبا سفيان خمرا وتحدثا فى أمر الثأر ، وفى السحر خرج أبو سفيان فوجد رجلا من الانصار يعمل فى حرث له فقتله خوفا من ان يبلغ رسول الله ﷺ بمقتل معبد بن عمرو ـ هذا كما علم أن أبا سفيان فقد عقله فحرق بيتين بالعريض ... فرأى النبى ﷺ أنه لابد من تأديب أبى سفيان فخرج فى أثره فجعل أبو سفيان من هول ما لحقه من الرعب يتخفف من أحماله فجعل هو وأصحابه يلقون جرب (٢) السويق ـ وهى الأوعية التى تحفظ طعامهم المصنوع من الحنطة والشعير ـ فجعل المسلمون يأخذونها ولذلك سميت غزوة السويق (٣) .

وفر أبو سفيان ورجع والرعب يملأ قلبه هلعا وموتا .

غزوة بنى لحيان :

فى ربيع الأول سنة ست وكان مهمتها أن تثأر لأصحاب الربيع ، ذلك أن بنى لحيان جعلت فرائض وعاطيا لعضل والقارة ـ وهم رحم من بنى الهون بن خزيمة ـ ان استدرجوا لهم نفرا من أصحاب النبى ﷺ ليقتلوهم ثأرا لمقتل سفيان بن نبيح الهزلى ويبيعوا سائرهم الى قريش فيربحوا مالا ، ويساعدوا قريشا على الأخذ بثأرها .

فقدم على النبى صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من عضل والقارة ـ وتظاهروا باعلان الاسلام وقالوا : يارسول الله : ان فينا اسلاما فاشيا فابعث معنا نفرا من اصحابك يقرئونا القرآن ويفقهونا فى الاسلام فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عددا من القراء قيل ستة وقيل عشرة وأمر عليهم مرثد بن ابى مرثد الغنوى وقيل بل أمر عاصم بن ثابت فخرجوا حتى اذا كانوا بماء لهذيل يقال له الرجيع قريبا من الهدة لقيهم مائة فى أيديهم السيوف فجد الصحابة القراء رضى الله عنهم ليقاتلوهم فقالوا : أنريد قتالكم ، ولا نريد الا أن نصيب منكم من أهل

(١) أى العطر ، ويبدو ـ والله أعلم ـ أن ذلك كتابة عن تحريم الترف على نفسه.راجع للنجيرمى ـ أيمان العرب فى الجاهلية ... مجلة الازهر

(٢) جمع جريب

(٣) راجع الحلبية حتى ٢ ص ٢١١ راجع امتاع الاسماع حـ ١ ص ١٠٦

مكة ثمنا، ولكم عهد الله وميثاقه لانقتلكم فأبى مرثد بن أبى مرثد ، وعاصم بن ثابت أعطاهم ميثاقا ورماهم عاصم حتى فنيت نبله ثم طاعنهم حتى كسر رمحه ثم كسر غمد سيفه

وقاتل حتى استشهد فأرادوا قطع رأسه وحملها الى قريش فأرسل الله عليه الدبر فحمته فلم يستطيعوا الاقتراب منه فقالوا اتركوه الى الليل حتى يهجع الدبر — النحل فبعث الله سيلا فاحتمله فذهب به فلم يقدروا عليه ، وكان منذ أسلم قد نذر لله ألا يمس مشركا وألا يمسه مشرك فوفى لله فوفى الله له .

وأما خبيب بن عدى فقد بيع الى حجير بن أبى اهاب بثمانين مثقالا من الذهب وقيل اشترته ابنة الحارث من عامر بن نوفل الذى قتل مع المشركين يوم بدر فحبسوه حتى تنتهى الاشهر الحرم وكان من أخباره أن الجارية (١) رأته وهو يأكل عنبا وما فى الأرض يومها حبة عنب واحدة فعلمت أنه رزق رزقه الله فأسلمت ثم قتل مصلوبا بعد الاشهر الحرم (٢) .

فهل ستترك الدولة الاسلامية أفرادها هكذا تعبث بهم نزوات الكفار ، وتجار الشرف ؟

لقد جهز رسول الله ﷺ لهذا غزوة بنى لحيان لحماية المواطن المسلم فان حرمته فى دمه وفى عرضه وفى ماله مسئولية الدولة ، فخرج رسول الله ﷺ اليهم فلم يجدهم فقد هربوا خوفا وندما وحسرة .

ومن آثار هذه الغزوة أن النبى ﷺ دعا دعاء العودة من السفر آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون .

اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة على الأهل .

اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ الى خير مغفرة منك ورضوانا (٣) .

وكانت سرية زيد بن حارثة الى حصن وراء وادى القرى فى جمادى الاخرة وذلك أن دحية **الكلبى سفير النبى ﷺ الى قيصر الروم** قد اعتدى عليه الهنيد بن عارض فأخذ ما معه من اموال وملابس حتى اضطره الى أن يسير بسمل ثوب ، فبعث رسول الله ﷺ زيدا على خمسمائة رجل معه لتأديب الهنيد واسترداد أموال دحية والنصرة لكرامته وشرفه .

ونجحت السرية فقتل الهنيد وولده واستاق زيد ألف بعير وخمسة آلاف شاة ومائة أسير ما بين امرأة ورجل ، فأدركه بعض المسلمين منهم وذهبوا الى رسول الله ﷺ يطلبون منه فك الأسارى وعودة المال وعفا الله عما سلف فأرسل معهم النبى ﷺ سيدنا على بن أبى طالب الى زيد بن حارثة أمير الجيش ففعل

---

(١) اسمها ماويه مولاة حجين بن أبى اهاب انظر الترجمة رقم ٧٢٧١ — أسد الغابة — مطبعة الشعب وراجع فتح البارى لابن حجر = ٧ / ٢٩٣ ط الاميرية ١٣٠٠

(٢) راجع امتاع الاسماع حـ ١ ص ١٧٦

(٣) راجع امتاع الاسماع حـ ١ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

ما أمر به النبى عليه الصلاة والســـلام •

وغزوة مؤتة :

كانت تطبيقا لاستراتيجية سـيادة الدولة فيما يتعلق بالحفاظ على كرامةأفرادها وسفراء رئيسها ، ذلك : أن الحارث بن عمير الازدى سـفير رسول الله ﷺ أخذه ، شرحبيل بن عمرو الغســانى وضرب عنق الحارث بن عمير فاشتد ذلك على النبى ﷺ وندب الناس لحرب شرحبيل حرب سيادة لحماية رعــايا الــدولة الاسلامية واحترام سفراء رئيسها وســافر الجيش بقيادة جعفر بن أبى طالب ثم خلفــه أثناء المعركة زيد بن حارثة ثم خلفــه بعــد استشهاده ، عبد الله بن رواحــة ثم خلفهم خالد بن الوليد الذى استطاع أن ينقذ السرية من كثرة جيوش الكفر التى بلغت مائة وخمسين ألفا مقابل ثلاثة آلاف من المسلمين ، ولا شك أن خطة الانسحاب التى نفذها خالد بن الوليد كانت خطة فريدة فى التاريخ لأنها استطاعت أن تلقى الرعب فى جيش الكفر وتنجـو بقلة قليلة من الخســائر •

اما فى العصر الحديث فقد شاهد التــاريخ بعض خطط الانسحاب العشوائى التى كانت تقدم خطة الدعاية العسكرية التى كان يمـوه بها على الشـعوب ويزعمـون أنهم فى معركة حربية •

هكذا مارست الدولة الاسلامية نمطا مـن أنماط العمليات العســكرية التى تقــوم اســتراتيجيتها على المحــافظة على سيادة الدولة • فى ممتلكاتها ، وسفرائها ، ورعاياها ، ومبادئها وتعاليم دستورها المعصوم •

وبذلك يتقرر أن جميع قضايانا المعاصرة فى أمس الحاجة الى مثل هذا الايمان بالســيادة فى جدية لا تضيع وسط بريق الاعلام وضجيج الدعاية وتعمية السياسيين •

والسؤال الآن : هل هناك دولة فى العصــر الحديث لا تمارس اســتراتيجية حــرب السيادة ؟؟

مع الفارق الكبير بين سيادة الدولة الاسلامية التى هى للناس جميعا رحمة وعدلا ، وسيادة دولة استعمارية لا تؤمن الا بالقيم التى تمثل الشعوب لها خدما وعبيدا •

حماية المجتمع من العابثين والمفسدين :

كان خصوم الدعوة الاســلامية فى حنــق شديد على المسلمين كلما جاء نصر الله والفتح وكانوا يترجمون خدعتهم هذه فى اشــاعات كاذبة لمحاولة اطفاء نور الله ، وتشويه صورة المجتمع الاسلامى الطاهر ، النقى ، اليقظ . وقد سبق أن عرفنا كيف ان ام قرفة كــانت تستغل جاهها ومنعتها لتكيل المسلمين وللنبى ﷺ عديدا من السباب والشتائم فبين الكفر وسوء الادب علاقة طبيعية . ولقد كــان على شاكلة أم قرفة بعض من المغرضين وأصــحاب الهوى والشهوة الذين يشيعون الاكــاذيب

والاشاعات لتخذيل الشعور النبيل الذى يتمتع به ابناء المجتمع الاسلامى الذى قام وسط أكوام من ركام الانحرافات العقيدية والاخلاقية والانسانية •

فهل سيقف المجتمع الراقى النقى الصافى مكتوف اليدين أمام صفاقة أهل الهوى والانحراف ؟؟

لقد أخذت العمليات العسكرية فى حسابها الاستراتيجى أن تحمى المجتمع الاسلامى من هؤلاء الضعاف فى الخلق والفكر •

ومن هذه العمليات العسكرية ما يلى :

– ان عصماء بنت مروان من بنى أمية كانت تصر على أن تؤذى رسول الله ﷺ وتعيب الاسلام وتحرض على المسلمين فنذر الصحابى الجليل والبطل الضرير عمير بن عدى ابن خرشة الاوسى الخطمى لئن رد الله رسوله ﷺ من بدر منتصرا ليقتلنها •

فلما رجع النبى عليه الصلاة والسلام بنصر الله وعمت فرحة النصر جميع المسلمين جاءها البطل الضرير « عمير » وكانت نائمة والليل ساج قد أرخى سدوله وحولها أولادها نيام فنحى صبيانها ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها،ثم أتى صباحا فصلى الصبح مع النبى ﷺ فلما انصرف نظر اليه النبى ﷺ وقال : أقتلت ابنة مروان ؟ قال : نعم يارسول الله ؟ فقال النبى ﷺ نصرت الله ورسوله ياعمير ، فقال : هل على شىء من شأنها يارسول الله ؟ فقال : لا ينتطح فيها عنزان ، وقال ﷺ لأصحابه : اذا أحببتم أن تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا الى عمير بن عدى ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : انظروا الى هذا الأعمى الذى شرى – باع نفسه – فى طاعة الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ : لا تقل الاعمى . ولكنه البصير ، فلما رجع عمير وجد بنيها فى جماعة يدفنونها ، فقالوا : ياعمير أنت قتلتها ؟ قال : نعم ، فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون فوالذى نفسى بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفى هذا حتى أموت أو أقتلكم •

يقول علماء السيرة : فيومئذ ظهر الاسلام فى بنى خطمة ومدح حسان شاعر صدر الاسلام سيدنا عمير بن عدى – رضى الله عنهما •

وعلى نفس الوتيرة نذر سالم بن عمير بن ثابت أحد البكائين من بنى النجار ، أن يقتل اليهودى الردىء أبا عفك وقد كان شيخا من بنى عامر بلغ عشرين ومائة سنة وكان يحرص على عداوة النبى ﷺ ورفض الدخول فى الاسلام وأشبع الادب الجاهلى شعرا مسموما ضد النبى عليه الصلاة والسلام وضد الدعوة والمسلمين ، فخرج اليه سالم بن عمير فى ليلة صائفة نام فيها أبو عفك بالغذاء فى بنى عمرو

ابن عوف فوضع السيف على كبده فقتله فصاح عدو الله فتركه سالم رضى الله عنه والتف حوله نفر من أصحابه فاحتملوه وأدخلوه بيته فمات (١) .

وكان كعب بن الاشرف اليهودى رجلا دليا ثريا يستخدم ثراءه وشعره ضد الاسلام ونبيه ﷺ وجماعة المسلمين ، بل كان يريد أن يشيع الفاحشة فى الذين آمنوا فعندما ذهب اليه المسلمون يطلبون مسيرة شرطها بتقديم رهن من نساء المسلمين لكى يشيع فى الناس كذبا ـ افكا مبينا ـ حول عرض المسلمين وشرفهم فجهز رسول الله ﷺ سرية للخلاص منه وجعل عليها محمد بن مسلمة ، ونجحت السرية فوضع محمد بن مسلمة معوله وهو سيف دقيق قصير ماض فى سرته حتى انتهى الى عانته فصاح اليهودى صيحة أسمعت جميع آطام اليهود فأشعلوا نيرانهم ، واجتز عسكر السرية رأس كعب واحتملوه ، وأتوا رسول الله ﷺ وقد كان يصلى بالبقيع فلما بلغوه كبروا فكبر النبى ﷺ ثم قال : أفلحت الوجه ؟ فقالوا : وجهك يارسول الله ، ورموا رأس كعب بين يديه ، فحمد الله على قتله ثم قال ﷺ : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه (٢) .

وكانت هذه الاستراتيجية فقها معروفا فى العمليات العسكرية المحدودة ، كما كانت ضبطا لنزوات اليهود وشياطينهم من الفاسدين من عرب قريش ، وقد قنن هذه الاستراتيجية سيدنا رسول الله ﷺ عندما غدا محيصة بن مسعود على ابن (سنينة) فقتله لانه كان سبابا ولعانا وهمازا للنبى ﷺ والمسلمين فجعل أخوه (حويصة) يضربه ويقول : أى عدو الله اقتلته ؟ اما والله لرب شحم فى بطنك من ماله ... !!

فقال « محيصه » : والله لو أمرنى بقتلك الذى أمرنى بقتله لقتلتك ، قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم ، والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها قال : والله ان دينا بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة .

فجاءت يهود الى النبى ﷺ يشكون له ذلك فقال ﷺ : انه لو فر كما قد فر غيره ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل ، ولكنه نال منا الأذى وهجانا بالشعر ، ولم يفعل هذا أحد منكم الا كان السيف (٣) .

غير أن الذى يجب أن يلاحظ ويفهم جيدا ان هذا النوع من العمليات العسكرية لا يجوز التصرف فيه بالرأى الشخصى أو الاجتهاد العنفوانى ، أو الحمية الطائشة ..... فذلك حق رئيس الدولة وأولو الأمر ..

يتبع

د / رءوف شلبى

---

(١) راجع السيرة الحلبية حـ ٣ ص ١٥٨ راجع امتاع الاسماع حـ ١ ص ١٠٣

(٢) امتاع الاسماع حـ ١ ص ٢٢٣ راجع الحلبية حـ ٣ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٣) امتاع الاسماع حـ ١ ص ١١٠ وعلى هذا المنوال قتل أبو رافع راجع زاد المعاد .

من أعلام الأزهر

الشيخ حسن القاياتى

هو حسن بن محمد بن عبد الجواد بن عبد اللطيف القاياتى .

والحديث عن امثاله لا تفى به عجالة من حيث انه شخصية متنوعة المواهب فالشيخ موسوعة علمية فريدة بل دائرة معارف بعيدة الاغوار متعددة الجوانب حتى غدا من أعلام عصره أدبا وعلما فهو أديب علماء الجيل وعالم أدبائه بحق .

والذين أتيحيت لهم فرص الوقوف على ثرائه بجدون أنفسهم أمام نبع فياض فى كل مجال أعمل فيه فكره وقلمه فقد امتد أفق الشيخ مع امتداد المعرفة فى كل مجالات الحياة .

ولد الشيخ الجليل فى قرية القايات من أعماق محافظة المنيا ونشأ فى أسرة حظيت بنصيب موفور من العلم والعمل ونالت من الأزهر الشريف حظا من العلم والمعرفة أحلها مكان الصدارة والقيادة والريادة فى صعيد مصر تجمع القلوب على توحيد الله وتنشر العلم والمعرفة حتى غدت الأزهر الشريف ممثلا فى آباء الشيخ يسعى نوره فى دنيا الناس على أرض الله ليعم القرى والمدن .

مولده : ولد الشيخ « حسن » فى قرية القايات مركز العدوة — مغاغة — سابقا — محافظة المنيا عام ١٣٠٠ هـ — ١٨٨٢ ميلادية.

وفى هذه الفترة شهدت مصر انتفاضة الشعب وراء الزعيم أحمد عرابى والتى كان فى طليعة أبطالها والد الشيخ وعمه الشيخ « أحمد عبد الجواد » فكان حظهما النفى الى بيروت ،

وكأن الله أراد للشيخ الايفتح عينيه على والده وأن تستقبل أذناه أحاديث الوطنية ويتغذى بلبانها أول عهده بالحياة .

وقد بدأ الشيخ حياته فى عصر الكتاتيب التى أسهمت بجهد مشكور فى تحفيظ القرآن الكريم والاهتمام بتعليم مبادىء القراءة والكتابة والخط والحساب والاملاء ، فأتم

للأستاذ خلف عقل أحمد شريف

الشيخ حفظ القرآن الكريم وأضاف الى ذلك اجادة القراءة والكتابة ٠

وما ان شب عن الطوق حتى التحق بالأزهر الشريف طالبا من طلاب العلم النابهين ليصل مسيرة آبائه الذين كانوا من علمائه العاملين فشب الشيخ وقد مزج بين حظه الموفور من علوم الأزهر الشريف ومعارفه ، وما هيأته له فطرته الأدبية ، فغدا نبعا فياضا من ينابيع الادب شعره ونثره وقد أوتى من أسرار البيان ما يثير الحماس ويلهب المشاعر ويذكى معانى الوطنية فى نفوس الطليعة واذا كان الغالب على الأدباء أن يجيدوا فى احد طرفيه فان الشيخ قد أمسك بطرفى الأدب شعره ونثره وأجاد فى كليهما اجادة وقعت بهما على قدم المساواة أمام عبقريته النادرة حتى قال فيه ابن عمه وخطيب ثورة ١٩١٩ الشيخ مصطفى أحمد عبد الجواد القاياتى ٠ فى ذلك المعنى :

فاذا نظمت فأحرفا من فضة
واذا نثرت فلؤلؤا منثورا

وقد كان من عطاء الشيخ ديوانه المطبوع وآخر مخطوط الى ثروة كبيرة أمد بها الصحف والمجلات مثل :

الأهرام والمصرى والرسالة والأزهر والاثنين الى غير ذلك من الصحف والمجلات التى واكبت مسيرة حياته ٠

وان اهتمام الشيخ باللغة وآدابها قد أضفى على أسلوبه من الرونق والجمال ما جعله متميزا على أساليب أترابه بل جعله يعلن عن قائله دون توقيع أو تعريف ٠

فقد غاص فى أعماق اللغة وعنى بمكنونها حتى أثرى من شواردها ونوادرها ما جعله نسيج وحده وفريد عصره فى هذا المجال ٠

ومثل هذا الطراز من العلماء والادباء كسب كبير تفيد من ثرائه الاجيال وتتفتح بنظرائه أكمام المعرفة فى كل مجال ٠ لذلك حظيت مقالاته وقصائده باهتمام بالغ من الصحف والمجلات على أن الشيخ لم يكن من هواة الشهرة ولا من الساعين اليها لأنه لم يعمل لها ٠

وقد اختير مصححا فى دار الكتب فعضوا للمجمع اللغوى ، واذا عرف الشيخ بأنه موسوعة علمية جمعت من كل بستان فان شاعريته طوقت فى جميع الأغراض من غزل ووصف ومدح وهجاء وسياسة ووطنية فلم يحرم من آرائه المجال السياسى حيث اختير

عضوا لمجلس النواب ليكون صاحب الرأى الأرشد الذى يتميز بروح التمسك بالحق والانتصار للعدالة والسهر على قضايا الامة .

وفى وقت عصيب كانت الكلمة فيه مستبسلا تمثل سخاء التضحية وصدق الفداء .

واذا كانت الشجاعة فى الحق هى الوسام الذى يميز المسلم فمن أولى به من العلماء

والشيخ سليل طليعة منهم وقفوا حياتهم على الدعوة الى الله والجهاد فى سبيله متمثلا فى

الدفاع عن الوطن دون مبالاة بتعذيب أو تشريد حتى كان نصيب والده وعمه الشيخ

أحمد عبد الجواد النفى خارج البلاد لتأييدهما ثورة عرابى .

وكان حظ تربه وابن عمه الشيخ مصطفى القاياتى من ذلك أوفى لانه لسان ثورة ١٩١٩

يخطب الجماهير بأسلوب من سحر البيان يلهب المشاعر ويشحذ الهمم ويذكى روح الوطنية ويجمع الجماهير على حب الوطن وافتدائه .

فى مثل هذه الدرجة التى رواها الأزهر من نبعه المتدفق شب علمنا وأديبنا الشيخ حسن

القاياتى الذى أبلى أحسن البلاء وجاهد أصدق الجهاد فى ميادين العلم والأدب والسياسة .

وعاش يحمل راية الآباء والاجداد مواصلا مسيرتهم فى الدعوة الى الله والدفاع عن الوطن فى لوحات فنية من الأدب الرفيع والكلمة الموحية .

ويعد الشيخ علما من أعلام الأزهر وفارسا من فرسانه البواسل الذين اتخذوا من أقلامهم سلاحا ماضيا بما أتيح لهم من المعرفة المتقنة لفن الكلمة وأسرار اللغة وسحر البيان .

هذا هو الشيخ حسن القاياتى أحد أعلام الأزهر الذين اعتزت بهم اللغة وفاخر بهم الأدب .

والأمل كبير فى أساتذتنا الفضلاء القائمين على مجمع البحوث أن يقدموا للأجيال تعريفا واضح المعالم لعالمنا الجليل وأديبنا الأريب تقديرا لجهود الموهوبين ووفاء للأزهر الشريف وعرفانا بفضله وتذكيرا بعطائه السخى والله ولى التوفيق .

خلف عقل

الشعر

دعوة الى الهدى

شجرة جرداء بين أشجار خضراء

الطائر الأسير

دعوة إلى الهدى

للأستاذ سعد شاكر على

قم للذى فطر السماء مصليا ... ومسبحا بالليل والإشراق
واحمده أنْ أعطاك رزقا واسعا ... أو كنت فى عسر وفى إملاق
وانظر إلى ملكوت ربك دائما ... وتأمل الآيات فى الآفاق
فى الشمس والأنهار والقمر الذى ... يبدو هلالا فانتهى بمحاق
فى الأرض تسكنها خلائق جمة ... ويمدها الرحمن بالأرزاق
فى الطير فى جو السماء محلقا ... والحوت كيف يعيش فى الأعماق
فى الماء ذا عذب وذلك مالح ... والسحب ذات الرعد والإبراق
فالفكر فى الآلاء نور ساطع ... لا تكفرن بنعمة الخلاق
لاتأتين نقيصة ابدا ولا ... تركن إلى الجهال والفساق
أخلص لربك دينه تنل الرضا ... واستكملن فضائل الاخلاق

شجرة جرداء
بين أشجار خضراء

للأستاذ محمد عبد الخالق ندا

وجرداء نابية فى الشجر … وقفت أسرح فيهـا البصر
عليهـا الكآبة قد خيمت … ولاح عليهـا الاسى والضجر
يمر النسيم بها عابثا … فلا حس يبدو بها أو خبر
وتنصرف الطير عنها ازورا … را فلا ظل يعطفها أو ثمر
وهل يألف الطير الا الحيا … ة ونورا لطلعتها قد بهر
يغرد ما شاء فى نشوة … ويهتف للحسن أنى ظهر

**

سُلِبْتِ الحياة وسحر الحيا … ة فماذا وقوفك بين الشجر
وسيان عندك لفح الهجير … وخفق النسيم اذا ما خطر
اذا ما تجهم صرف الزما … ن نبا الأنس عنك وولى السحر
تذكرنى بمصير الحيا … ة وأن الحياة مجال العبر

**

لَزِمْتِ السكوت ويا طالما … سرى منك وحى يثير الفكر
وأبداك الموتُ ظل الفنا … ء بظل الحياة البهى الأغر

وكل حياة الى غاية … يحول الوجود ويفنى العمر

الطائر الأسير

أطلقونى فقد سئمت الاسارا / وكـرهت الأقفاص سجنا ودارا
واكسروا حـولى الحصار وفكوا / انمـا الحر لايطيق حصـارا
لست أرضى الحياة فى قفص الأسر / ولو كـان فضـة أو نضـارا
لست أرضى بالحبس فهو هـوان / ذلـة الحبس تقتـل الاحـرارا
زينـوا ماتشـاءون حـولى وبثوا / لى الزرابى ثم اغرسوا الأزهـارا
وضعونى فى الـدار زينة ركـن / واجعـلونى للـزائرين مـزارا
وانقشوا الاسـم فى اطـار جميل / بئس الاسـم الذى يصير شعارا
وانثروا الحـب لى جمـانا ودرا / لست ممن يورثـون عقـارا
فطعامى فى السـجن نتن كـريه / يترك البطن ان أكلت دمـارا
وحيـاتى فى الأيـك حـرا طليقا / هـى حلمى اذا أردت خيـارا
لسـت أنسى أيـام أن كنت فرخا / زغب الريش أسـكن الأوكـارا
أَلْتُقط الحب من فم الأب رطبـا / لـم أكـن بعـد أعـرف المنقارا
لسـت أنسى أبى هنـاك وأمـى / حين حطا يزقزقانى وطـارا

للأستاذ عزت شندى موسى

اذ يهبان فى البكور خماصا ويعودان يحملان ثمارا
يطعمانى ويوثرانى بعطف رب غر لايفهم الايثارا
لست أنسى عشى الدفء وقد قمت برأسى لارقب الاطيارا
ثم أحسو الندى زلالا نديا واذا شئت أشرب الأمطارا
كم نشقت للعبير فى الروح زهرا ومع الأسر كم نشقت غبارا
ذاك عشى ولست أرضى لعشى ذا بديلا ولا أريد غيارا
نشر الصائد الخؤون شباكا واحتوانى فما استطعت فرارا
لم يدعنى أو يستجب لندائى بل مضى بى وزاد بى استئثارا
وأتى بى وباعنى بزهيد من متاع وأبخس الأسعارا
فتهاوى النظار عندى وكل حام حولى وأمعن الانظارا
ليس منهم من أجهد العقل فى دقة خلقى أو سبح انقهارا
ليس منهم من رق لى وحبانى بحنان أو حطم الاسوارا
هم طغام بلا نظام يروحون ثقالا ويقبلون حيارى
ويضيعون وقتهم فى نقاش غير مجد ويخلقون حوارا
صوبوا النبل بالجهالة نحوى ثم ألقوا بمرقدى الأحجارا
وافتقدت الهدوء والانس والنور وماعدت المح الأقمارا
نذكر الايك والمروج ونهفو لرباها ونذكر الانهارا
كل طير له عزاء بطير لهف نفسى والجار يرثى الجارا
تلك أقدارنا وسبحان بار قد برانا وقدر الاقدارا

العلوم الكونية

التركيب الذرى للمادة

« إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِى الأَلْبَابِ » آل عمران ١٩٠ .

« وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ » يونس ٦١ .

مقـــدمة :

ان ايماننا بخالق هذا الكون العظيم لا يجب أن يكون ــ فقط ــ شهادة ننطقها باللسان ولكن يجب أن يتعدى حدود ذلك الى عقيدة راسخة فى النفس يستتبعها سلوك نابع من تلك العقيدة . وان كانت هذه العقيدة يجب أن تكون راسخة بالفطرة السليمة النقية يزيدها العلم والعمل ايمانا ويقينا .

ومن الامور التى استفاض فيها العلم ــ وقطع العلماء فيها أشواطا طويلة فى استكشاف حقائقها المثيرة ــ تركيب المادة ، أو بصورة أدق ، التركيب الذرى للمادة ــ .

ولنتأمل معا بعض الحقائق العلمية المجردة بصورة مختصرة ومبسطة فى هذا المجال ولنحدق بأبصارنا وندقق بأفئدتنا فيما يسرد لنرى هذه العظمة اللانهائية للخالق الذى لا اله غيره وكيف أحكم ما صنع بقدرة رائعة لا تقبل القياس .

فلنحاول جاهدين بما أوتينا من مقدرة على الشعور والقياس ان نتتبع ما تظهره هذه التفاصيل الكشفية المبسطة ، ولتكن نياتنا جميعا فى ذلك هى التفكير فى آيات الكون العظيمة منفذين بذلك أمر الله عز وجل بالتفكر فى خلق السموات والأرض عسى أن يهدينا سواء السبيل وأن ينفعنا بهذا العلم وأن يثيبنا بهذا التفكر والتدبر فى آياته العظيمة .

تركيب الذرة :

تتكون أى مادة فى الكون من ذرات ، والذرة جسيم متناهى الصغر يتكون لأى مادة أولية من نواة ذات شحنة موجبة والكترونات سالبة الشحنة تحيط بهذه النواة .

تقدر شحنة الالكترون الواحد بحوالى ٤٫٨ × ١٠ ^-١٠^ وحدة كهروستاتيكية وهذا الالكترون يزن ما يقارب ٩٫١ × ١٠ ^-٢٨^ جرام .

للمهندس محمد ابراهيم حسين

وتتركز كتلة الذرة فى هذه النواة موجبة الشحنة الكهربائية •

وتحدد الشحنة الكهربائية الموجبة لهذه النواة بعدد البروتونات التى تتكون منها وهذا العدد يعرف بالعدد الذرى للعنصر ، وهو عدد يمثل ترتيب العنصر من حيث مكانه مع العناصر المختلفة الأخرى •

وعلى سبيل المثال فان عنصرا مثل « الليثيوم » عدده الذرى = ٣ يعنى ان له ثلاث وحدات كل منها شحنة كهربائية موجبة ، وبذلك تتكون ذرته من ثلاثة الكترونات •

ويلاحظ ــ نتيجة لوجود الشحنة الموجبة والشحنة السالبة فى نفس ذات الذرة الواحدة للعنصر عن تكون قوى تجاذب تعمل بين النواة موجبة الشحنة الكهربائية وبين هذه الالكترونات سالبة الشحنة الكهربائية •

مدارات الالكترونات :

وهذه الالكترونات السالبة المحيطة لنواة الذرة موجودة فى مستويات أو مدارات لها كمية طاقة محددة لكل مدار أو مستوى •

وكلما اقترب تواجد الالكترون من النواة

كلما كان أكثر ارتباطا بها بسبب قوى التجاذب بين الشحنة السالبة للألكترون والشحنة الموجبة للنواة ، وبالتالى فان طاقة الربط بين الالكترون والنواة تكون أكبر فى هذه الحالة •

ويعنى ذلك مباشرة أن الالكترون الاقرب للنواة يحتاج لطاقة أكبر لازالته ــ عن مداره ــ عن الالكترون الأبعد من النواة •

وعن طريق علم ميكانيكا الكم أمكن تحديد السعة القصوى لكل مستوى طاقة معين من « عدد الكترونات » فيكون المدار الأول الاقرب للنواة لا يحتوى الا على (٢) الكترون والذى يليه (٨) الكترونات ثم ١٨ ثم ٣٢ وهكذا •

وبهذا التحديد العددى الدقيق جدا للعدد الأقصى للمحتوى من الالكترونات لكل مدار فان ذرة مثل « ذرة الليثيوم » التى تحتوى على ٣ شحنات كهربائية موجبة ، أو التى عددها الذرى ٣ وتحتوى بالتالى على ٣ الكترونات ، يكون المدار الاول القريب من النواة ٢ الكترون والمدار الذى يليه ويعتبر المدار الأخير أو الخارجى فى هذه الحالة يحتوى على الكترون واحد •

وكذلك « ذرة الصوديوم » التى تتكون من ١١ الكترون يكون توزيع الكترونها كالآتى :

(٢) الكترون فى أقرب المدارات من النواة ، ثم ٨ الكترونات فى المدار الذى يليه (حيث

سعته القصوى ٨ الكترونات) ثم باقى الالكترونات وهو الكترون واحد فى هذه الحالة فى المدار الثالث ويعتبر فى هذه الحالة المدار الخارجى لذرة الصوديوم .

وتحدد الخواص الكيميائية لأى ذرة أساسا اعتمادا على عدد الالكترونات فى المدار الخارجى ، لأن هذه الالكترونات تكون أضعف الالكترونات ارتباطا بنواة الذرة وبالتالى أكثرها تعرضا للمؤثرات الخارجية. وبهذا المفهوم فان الارتباط بين الذرات أو التفاعلات الكيميائية المختلفة يكون عن طريق الالكترونات الموجودة فى المدار الخارجى للذرة .

وبتعريض الذرة للاشكال المختلفة للطاقة سواء كانت حرارية أو اشعاعية فانه اعتمادا على كمية الطاقة التى تتعرض لها الذرة ــ يمكن تحريك الالكترون من مدار أو مستوى طاقة الى مستوى طاقة آخر حيث يكون فيه أقل ارتباطا بالنواة وكلما ازدادت الذرة تعرضا لكميات من الطاقة الخارجية كلما ازداد عدم استقرار الذرة وتجعلها (قائمة) فى الحالة النشيطة .

وفى حالة خروج الكترون من مداره فى الذرة تتحول الى جسيم يسمى « الأيون » ذا شحنة موجبة ويمكن أن يتحول مرة أخرى لحالة التعادل بجذب الكترون من الالكترونات الطليقة القريبة .

وتحول الذرة من الحالة المستقرة الى الحالة غير المستقرة يصاحبه انبعاث موجات كهرومغناطيسية لها كمية طاقة محددة وتساوى الفرق بين طاقة ربط الالكترون لمداره فى الذرة الذى كان يحتله والذرة مستقرة وبين طاقة ربط هذا الالكترون والذرة غير مستقرة .

النواة :

نواة الذرة لها تركيب معقد جدا وتحتوى أساسا على « بروتونات ونيوترونات » والبروتون : جسيم موجب الشحنة الكهربائية وله كتلة = ١ر٠٠٧٥ وحدة كتلة ذرية * ونسبة كتلة البروتون الى الالكترون = ٨٤ر٠١

والنيوترون عبارة عن جسيم متعادل كهربائيا وليست له شحنة كهربائية وكتلته ١ر٠٠٨٩ وحدة كتلة ذرية وهى تقريبا تعادل كتلة البروتون .

وتعتبر النواه أصغر حوالى مائة ألف مرة فى أبعادها عن الذرة ككل فحيث أن نصف قطر الذرة حوالى $\frac{1}{\text{مائة مليون}}$ سنتيمتر

* وحدة الكتلة الذرية تساوى ١ر٦٦ × ١٠ ـ ٢٤ جرام .

يكون نصف قطر النواة حوالى $\frac{1}{\text{عشرة ملايين مليون}}$ سنتيمتر الى $\frac{1}{\text{مليون مليون}}$ سنتيمتر .

فى حين أن الالكترون يبلغ نصف قطره حوالى $\frac{2,8}{\text{عشرة مليون مليون}}$ سنتيمتر .

وتركز كتلة الذرة فى هذه النواة موجبة الشحنة الكهربائية .

وبصفة جامعة فان مجموع عدد البروتونات والنيوترونات فى النواة للذرة يسمى :

(رقم الكتلة) ويحدد عدد البروتونات فى النواة شحنة الذرة وهو — عدديا — يساوى الرقم الذرى للعنصر أما عدد النيوترونات فيساوى رقم الكتلة — الرقم الذرى .

خاتمة :

هذا مختصر وهو قليل من فيض ما اكتشفه الانسان مما كان يجهل من خلق الله العظيم وما كان يجهل — ومازال يجهل — فهو أعظم وأعظم .

فما هو الا قليل قليل من خلق لا نهائى وان حجم ما نعلم الى ما لا نعلم انما هو قطرة فى محيط لا نهائى أليس هذا اعجاز بكل المقاييس ؟ ان كلمات الاتقان والجودة والدقة والاحسان لتقف جميعا عاجزة عن التعبير أمام هذه الصورة البالغة من التكوين . هذا الحجم الضئيل جدا بالقياس يخضع لهذه الدقة المتناهية فى التصميم والتكوين .

كل شيء بقدر . . . . شحنات كهربائية سالبة وموجبة . . . كميات طاقة محددة ومقدرة . . . . أعداد من جسيمات غاية فى الصغر محددة ثابتة . . . . كتل ثابتة متناهية الصغر تتحرك وتقوم بوظيفتها فى تكوين الخواص وفى التفاعل مع الكتل الاخرى . . . . موجات كهرومغناطيسية لها كمية محددة من الطاقة مقدرة تقديرا . . . . جسيمات متعادلة الشحنة تشكل مع جسيمات موجبة الشحنة مجموع معقد يمنح الخاصية للمادة .

والله انه لخلق مقدر تقديرا رائعا دقيقا تقشعر منه جلود الذين يؤمنون أما المجادلون فقد ختم الله على قلوبهم . أليس أجدر بنا بعد ذلك كله أن نتبع الخالق العظيم فيما أمرنا به وأن ننتهى عما نهانا عنه وأن نعرف حقيقتنا بالمقارنة بهذه العظمة الالهية الرائعة وأن نقدر حجمنا فى هذا الكون التقدير السليم .

ألم يكفنا تضييع لحقوق الله والعباد ؟
ألم يحن الوقت لكى نتبع الصراط السوى الذى جعله الله لمن اهتدى ..

محمد ابراهيم حسين

طرائف

"حــقـا"

ما أصدق قول الامام الشافعي ـ رضى الله عنـه ـ .

يا أهل بيت رسول اللـه حبكم
فرض من الله فى القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القـدر أنكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له

فقد قال الله ـ عز وجل ـ لحبيبه المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : «قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ، وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَـا حُسْـنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ شَكُورٌ » .

"قـالـوا"

* لا تأمن من كذب لك ، أن يكذب عليك .

* من اغتاب عندك غيرك ، يغتابك عنـد غـيرك .

* النفس الأمارة بالسـوء ، أنانيـة فى سلوكها فردية فى تصرفاتها تعمل لذاتها معبـرة عن رغباتها ، غير مراعية حقوق غيرها .

* الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله ، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله .

* الحكيم الصالح لايخادع أحدا ، والعاقل الكامل لايخدعه أحد .

"هـل تعـلـم"

* **أن أول قاض بالكوفة سليمان بن ربيعة الباهلى الذى جلس أربعين يوما لا يأتيـه خصم .**

* **وأول قاض بالبصرة أبو مريم بن صبيح**
* **وأول قاض بالشام أبو الدرداء**

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

* وأول قاض بفلسطين عبادة بن الصامت

"ويل"

ويل لصاحب الدنيا يموت ويتركها ، وتغره ويأمنها ، وتخذله ويثق بها ، وتخونه ثم يقبل عليها •

وويل للمغترين بالدنيا وقد أرتهم ما يكرهون وفارقهم مايحبون وجاءهم مايوعدون •

"فكأنا ألف حازم"

قيل لرجل من عبس :

ما أكثر صوابكم •

قال : نحن ألف رجل وفينا حازم واحد ونحن نشاوره فكأنا ألف حازم •

"فذلك الذى أبكانى"

قال يونس بن محمد المكى :

زرع رجل من أهل الطائف زرعا ، فلما بلغ أصابته آفة فاحترق فدخلنا عليه نسليه فبكى وقال : والله ما عليه أبكى ولكنى سمعت الله — تعالى — يقول : « كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » (١) •

فأخاف أن أكون من أهل هذه الصفة فذلك الذى أبكانى •

دعاء

اللهم اجعل خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم ألقاك فيه •

صر : برد شديد . والاية من سورة آل عمران (١١٧) •

الإسلام يحث على العمل

للأستاذ محمد فريد وجدى

كفى بالعمل شرفا أن يأتى فى المرتبة التالية للايمان فى قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) .

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) .

وحيث ان العمل هو المقياس الصحيح لقيمة الانسان ، فقد أولاه الاسلام عناية خاصة . وذلك بالامر به والحث عليه .

وقد جاءت اعمال الرسل السابقين على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام من لدن آدم الى خاتم النبيين محمد ﷺ تطبيقا عمليا لهذا المبدأ السامى : مبدأ العمل . فلم يكن واحد من الرسل عاطلا عن العمل ، فقد كان آدم حراثا (١) ، ونوح نجارا وداود حدادا ومحمد ﷺ راعيا للغنم ، ثم تاجرا للسيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ قبل البعثة .

والانقطاع والتبتل والقعود عن العمل فى سبيل العبادة شىء لايقره الاسلام ولا يقبله ، فانه (لا رهبانية فى الاسلام) ، ولأن الاسلام دين حركة وحياة فقد نهى عن التواكل نهيا قاطعا وجعل العمل من كمال الايمان يرقى الى مرتبة العبادة .

ورجال الاسلام وأعلامه السابقون عرفوا شتى أنواع العمل وأتقنوها فقد عرفوا الزراعة والصناعة والتجارة والفنون . عرفوا الترجمة وعلوم الكيمياء والتحنيط . عرفوا كل ذلك ومارسوه عملا فسادوا غيرهم . ومقياس الحضارة والتقدم والرقى عند أية أمة هو العمل ، فنحن نرى فى واقع اليوم أمما كثيرة سادت غيرها لأنها عملت ، وأخرى بادت ـ ولو معنويا ـ لأنها قعدت وتواكلت .

فحرى بمسلمى اليوم أن يعملوا حتى ينهضوا ويعيدوا مجد آبائهم الأولين. فقد جعلهم القعود اتباعا بعد أن كانوا سادة وجنودا بعد أن كانوا قادة .

قال الأستاذ محمد فريد وجدى :

للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات

يخيل لبعض السطحيين أن التقرب الى الله تعالى ينحصر فى الانقطاع عن أعمال الدنيا والتفرغ للعبادات كالصلاة والصوم وما الى ذلك ، وما دروا أن الله تعالى يتقرب اليه بكل عمل مباح قصد به اسداء الخير لجهة خاصة أو للناس كافة ، متى تمحضت فيه النية خالصة للخير ، وأريد به وجهه تعالى ، فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم «ان المسلم ليؤجر فى كل شىء حتى فى اللقمة يرفعها الى فى امرأته » . وهذه ميزة للاسلام جعلت منه دينا مدنيا يصلح لكل زمان ومكان ، ولكل أمة ، فى أى عهد من العهود الانسانية .

لقد فتح المسلمون الأولون الأرض بعمل دائم مستمر ، وحفظوها تحت سلطانهم بجهد عظيم متواصل ، فلو كانوا اكتفوا بما يجبونه من خراجها ، وجزية أهلها لوقعوا فى شر حالات البطر ، كما حدث للرومانيين حينما أمنوا أعداءهم ، وأثروا من أموال مقهوريهم ، ولكن المسلمين عفوا عن أموال الناس ، وأكبوا على الأعمال فنالوا من ورائها ثروة لم تكن لأمة غيرهم ، فمنهم من اشتغل بالتجارة فكانوا أبرع أهلها فى سائر أقطار العالم ، ومنهم من زاول الصناعة فبلغوا منها شأوا لا يزال مضرب الأمثال الى اليوم ، وعملوا فى الزراعة فأوجدوا فيها الأساليب التى يجرى عليها الأوربيون الى هذا العهد ، كما اعترف بذلك العالم الاجتماعى (درابر) وغيره .

ونظروا أيضا فى العلوم والفلسفات وترجموها الى لغتهم ، وتوفروا على الاشتغال بها فشرحوها وزادوا مادتها ، واكتشفوا علوما جديدة ، ولم يهملوا الفنون والصناعات فوصلوا منها الى حدود بعيدة لم تكن معروفة من قبلهم ، ولم يهملوا حتى الكماليات من الأمور . فاقتبسوا ضروب الأعمال الزخرفية ، وانتهوا منها الى نهايات لاتزال تعتبر من الابداعات الفنية .

ولم يهملوا حتى الرحلات القصية ، فبلغوا الى أقصى ما بلغه من سبقهم من الفنيقيين واليونانيين والرومانيين ، وعادوا بمعلومات ثمينة عن الأمم والممالك ، دونوها فى كتب لا يزال يستهدى بها الأوروبيون فى تدوين معارفهم الأرضية والجغرافية .

ولم يقصروا حتى فى البحث عن المعادن ، فحفروا المناجم واستخرجوا مهنا ما استكن فى بطن الأرض من الذهب والفضة والحديد والرصاص والنحاس ، وأنشأوا لها المسابك فنقوها مما علقت به مما ليس منها ، وصنعوا منها ما احتاجوا اليه من الأوانى والآلات .

وتفرغ رجال منهم للغة فجمعوها ونقدوها وألفوا فيها المعاجم ، ووضعوا لها نحوا وصرفا ، ودرسوا نثرها وشعرها فصاغوا علوما

خاصة بها ، تبحث فى درجات دلالاتها وفى محسنات ألفاظها ، وفى جزالة معانيها ، وفى أوزان قريضها .

ومما يدهش أنهم لم يهملوا حتى العلوم السحرية والطلسمية والسيميائية وغيرها مما كان يشتغل به الأقدمون على غير هدى ، فدونوها وبينوا رموزها ، وكشفوا مساتيرها .

هذا عجيب من أمة قامت بالدين ، واضطلعت بنشر دعوته بين العالمين ، ولكن متى أدرك الباحث أن الاسلام نفسه يعد من الخير والتقرب الى الله تعالى كل بحث ونظر واستقصاء فى كل شىء ، متى أخلص الانسان لله فى الاشتغال به ، وقصد به النفع العام أو الخاص . اذا أدرك الباحث هذا الأصل الاسلامى بطل تعجبه ، وأمكنه أن يعلل تسارع المسلمين الى اقتباس كل ما عثروا به ، والى بذل الوسع فى حذقه وترقيته الى أقصى مايصل اليه الامكان .

ومما يثبت هذا من الآيات القرآنية قوله تعالى : « لَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِن رَبِّكُمْ » وقال عن المؤمنين العاملين :

« وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ » اعتبر عملهم هذا قربة منهم . وزاد الله على هذا فأمر بالانسياح فى الارض وطلب الخير بذلك ، فقال تعالى :

« فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ » .

فسن الله بهذه الآيات للمؤمنين سنة الانتشار فى الأرض ، والتماس فضل الله ، وفضل الله ليس قاصرا على التجارة ، ولكنه يشمل الزراعة والصناعة والعلوم والفنون ، وكل ما يصدق عليه أنه فضل الهى ، فندب الله الناس بذلك الى الأخذ عن الأمم . وقد جرى النبى ﷺ على هذه السنة بالعمل فى وقعة الأحزاب ، وذلك أنه لما بلغه أن قريشا قد جمعت الجموع لحربه ، واتفقت مع قبائل مجاورة لها ومع اليهود النازلين قريبا منهم ، وتقصدته بجيش عرمرم ، أخذ رسول الله يستعد للقائهم ، فقال له سلمان الفارسى :

يارسول الله اننا اعتدنا فى بلادنا فى مثل هذه الأحوال أن ننشىء الخنادق حول مدننا ، نعطل بها حركات العدو . فبادر النبى ﷺ الى الأخذ بهذه الوسيلة الدفاعية ، وكان العرب يجهلونها ، وندب أصحابه لحفر الخندق ، واشترك بنفسه معهم ، وكان يحمل التراب على عاتقه . فكان أخذه بما صلح من وسائل الحرب وفنونها عن قوم كانوا يعبدون النار لاشك يعتبر سنة عملية سنها لقومه ليأخذوا بما يصلح من فنون الأمم وصنائعها مع عدم الاعتداد بعقائدها .

وقد أعد الله نفوس المسلمين الأولين لاساغة هذا الاقتباس بما كشفه لهم من الحقائق

الاجتماعية ، فقال لهم فى محكم كتابه : « هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » فبين لهم بهذا أن الاستواء بين الفريقين محال. وعدم الاستواء يفضى الى تفضيل أحدهما على الآخر فى ثواب الآخرة وثواب الدنيا أيضا .

وكشف لهم بقوله تعالى : « وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » وبقوله : « وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا » ، أنهم فى حاجة الى العلم وأنهم مطالبون بالتزود منه لدينهم ودنياهم . وأرشدهم النبى ﷺ الى أن العلم يتصيد من كل مظنة ولو من المشركين ، فقال : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى وجدها » وفى حديث آخر : « خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت» .

فهذا الاعداد لنفوس المسلمين للأخذ عن الغير دفع بهم الى تناول كل ما وجدوه من العلم والفلسفة ، ولم يكتفوا بما كان شائعا منه ، فعمدوا الى مكتبات الأمم فترجموا أمهات الكتب ونشروها فى بلادهم ، وزادوا مادتها بفضل جهودهم .

ومن العوامل المنهضة سنه سنة التخصص فى العلوم والفنون ، لأن المتخصص فى بعضها يستوعب من مسائلها ما لا يستطيعه الآخذ من كل منها بطرف ، فيستطيع أن يفتح لها مجالات جديدة ، وأن يزيد مادتها بما يفتح عليه من كشف مساتيرها ، فقال تعالى :

« فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » .

وقد ضرب النبى ﷺ مثلا عمليا كان نبراسا لكل من أتى بعده ، وعاملا قويا فى انهاض الهمم ، وذلك أنه مر على قوم يأبرون نخلا ، أى يضعون من الطلع المستخرج من ذكوره على الأعضاء المولدة للثمر من اناثه ، فقال لهم ﷺ : لو تركتموه لأثمر ، فتركوه فلما جاء وقت الاثمار لم يثمر فأخبروا رسول الله بذلك فقال لهم : أنتم أعلم بأمر دنياكم .

هذا الأدب النبوى العالى سن للناس سنة الرجوع الى الخبراء والعمل بارشاداتهم .

وهذه المجموعة من الآيات والأحاديث ، كانت عوامل رئيسية للنهضة العلمية والفنية البعيدة المدى التى دخل فيها المسلمون الأولون فى سنين معدودة ، وكانت سببا لمصير ثروة العالم اليهم . وان دينا يعتبر كل عمل يقصد به الخير ووجه الله قربة يتقرب بها اليه تعالى سواء أكان علميا أو فنيا ، هذا الدين جدير بأن يندفع أهله فى كل مجال من مجالات النشاط العقلى والعملى ، وأن يبلغوا منه أقصى مايقدر للقائمين من الكفاية والتبريز . وهذا هو الذى حدث للمسلمين ، فقد أخذوا كل علم وفن عن الأمم التى اختلطوا وبرزوا فيها جميعا ، فكان علماؤهم أوسع علماء الأرض علما ، وأطباؤهم أعلى أطباء الأرض كعبا ، والمشتغلون منهم بسائر الفروع العلمية أئمة يرجع اليهم فى حل معضلاتها ، وفك معمياتها ، وكان صناعهم وفنانوهم أرفع ذوقا وأصنع يدا من جميع نظرائهم فى الأرض .

يلغو بعض الباحثين العصريين فى تعليل

فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

هذه النهضة الاسلامية العجيبة ، وهذا التفوق الباهر الذى ناله المسلمون فى العلوم والفنون فى سنين معدودة ، ويعزونهما الى العناصر الأجنبية التى اعتنقت الاسلام كالفرس والروم والديلم الخ ، ويتغابون عن أن هذه الأمم كلها كانت عند بعثة النبى ﷺ فى دور تدهور مستمر عقب دور من النهوض كانت فيه منذ قرون طويلة ، فكيف يعقل أنهم بعد اضاعة استقلالهم ، وزوال دولتهم يكسبون حياة جديدة ليست من الاسلام ترفعهم من تدهورهم وتوجد لهم نهضة قوية خلافا للسنن المعروفة بين البشر فى مثل هذه الأحوال ؟

لاشك فى أن هذا البعث الجديد لهم ولجميع العناصر المكونة للأمة الاسلامية كان ببركة الاسلام ، وحكمة تعليمه ، فهو الذى وحد بين هذه الأمم كلها بعد أن خلعها من جنسياتها ، وجردها من جميع الفوارق التى كانت سببا فى نزاعاتها ، وصاغ منها أمة عالمية حلاها بروح منه يبلغها أقصى مراتب الكمال الأدبى والاجتماعى والعمرانى .

ولو كان الأمر غير ما ذكرناه للفظت بنية الاسلام هذه النهضة ، وحالت بين الآخذين به وبينها ، ولو جد هؤلاء المجددين وبين المحافظين نزاع يفضى الى قتل الأولين واخماد حركتهم كما حدث فى كل أمة قبل الاسلام ، ولكن المقرر تاريخيا أن الأمة الاسلامية اندفعت فى هذه النهضة موحدة الأجزاء ، متكافلة الأعضاء ، وأن خلفاء المسلمين ووزراءهم وعلية علمائهم وقادتهم فى كل بلد اسلامى كانوا ينشطون هذه الحركة المدنية بأنفسهم وأموالهم وليس يعقل أن يندفع الكافة فى تيار يحرمه عليهم دينهم الذى كان فى أرفع درجات سلطانه .

وها نحن اليوم وجميع عناصر العالم الاسلامى فى دور نهضة قوية ، فلم لا يحرمها علينا المحافظون ورجال الدين ، أستغفر الله ! بل هم قد أصبحوا فى مقدمة الداعين لها كما كان عليه أوائلهم من قبل . فلا شك أن شبهة أعداء الاسلام داحضة ، وتعليلاتهم لنهضة المسلمين الأولى ساقطة ، وله الحمد فى الأولى والآخرة .

محمد فريد وجدى

مشكل إعراب القرآن

لابن حموش (١)

للأستاذ محمد عميرة على

توالى مكتبة الازهر التعريف بما لديها من نوادر المخطوطات للعلماء الافاضل الذين أوقفوا حياتهم لخدمة العلم فى مختلف فنونه ، وجادت عقولهم بخضم كبير من العلوم ، فكانت ميراثا يتداوله الابناء عن الأباء تغذية للعقول وتربية للنفوس . فأنعم بذاك الميراث الخالد .

ومن العلماء الأجلاء الذين برزوا فى علوم القرآن والعربية الشيخ مكى حموش .

وهو « مكى (٢) بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار الاندلسى القيسى ، ابو محمد : مقرىء ، عالم بالتفسير والعربية . من أهل القيروان . ولد فيها سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) ، وطاف فى بعض بلاد المشرق وعاد الى بلده ، وأقرأ بها . ثم سكن قرطبة سنة ٣٩٣ هـ وخطب وأقرأ بجامعها وتوفى فيها سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٥ م) .

له كتب كثيرة منها : « مشكل اعراب القرآن » و « الكشف عن وجوه القراءات وعللها » و « الهدايه الى بلوغ النهاية » و « بضعة أجزاء من سبعين جزءا فى معانى القرآن وتفسيره » و « التبصرة فى القراءات السبع » و « المنتقى فى الاخبار» أربعة أجزاء و « الايضاح فى الناسخ والمنسوخ » ... الخ

وقالت عنه « انباه الرواة على أنباه النحاة « الجزء الثالث ص ٣١٣ » أنه حسن الفهم جيد الدين كثير التأليف فى علوم القرآن والعربية ، سافر الى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، واختلف فى مصر الى المؤدبين بالحساب ، ثم رجع الى القيروان واستكمل بها علومه ، ثم نهض الى مصر ثانية بعد أن

٥

(١) الكتاب بمكتبة الازهر برقم خاص — ٢٧٧ — عام ٤٢١٦٩ مكتبة الشيخ العروسى .

(٢) الاعلام للزركلى جـ ٨ ص ٢١٤ .

أكمل القراءات بالقيروان سنة سبع وسبعين وثلاثمائة •

وكانت له رحلات متعددة الى أن قدم الأندلس وجلس للاقراء بجامع قرطبة ، فانتفع به جماعات من الناس • ونزل أول ما قدم قرطبة فى مسجد النخيلية فى الرواقين عند باب العطارين ، فأقرأ به ، ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبى عامر الى الجامع الأزهر ، وأقرأ فيه حتى انصرفت دولة آل عامر ، فنقله محمد بن هشام المهدى الى المسجد الجامع بقرطبة ، واقرأ فيه مدة الفتنة كلها • وكان خيرا فاضلا متواضعا متدينا ، مشهورا بالصلاح واجابة الدعوة •

ونقدم للقراء كتاب « مشكل اعراب القرآن » افتتحه مؤلفه رحمه الله بعد الحمد والثناء على نبيه ﷺ قال : انى رأيت أفضل علم صرفت اليه الهمم وتعبت فيه الخواطر وسارع اليه ذوو العقول علم كتاب الله تعالى ذكره ، اذ هو الصراط المستقيم والدين المبين والحبل المتين والحق المنير ، ورأيت من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن الراغب فى تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته وأفضل ما القارىء اليه محتاج معرفة اعرابه ، والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه ليكون بذلك سالما من اللحن فيه ، مستعليا على أحكام اللفظ به مطلقا على المعانى الذى قد يختلف باختلاف الحركات متفهما لما أراد الله به من عباده ، اذ بمعرفة حقائق الاعراب تعرف أكثر المعانى وتنجلى الاشكال فتظهر الفوائد ، ويفهم الخطاب ، ويصح معرفة حقيقة المراد ، وقد رأيت أكثر من ألف الاعراب طول بذكره ، لحروف الخفض وحرف الجزم وبما هو ظاهر من ذكر الفاعل والمفعول واسم ان وخبرها فى أشباه لذلك يستوى فى معرفتها العالم والمبتدىء ، وأغفل كثيرا مما يحتاج الى معرفته من المشكلات ، فقصدت فى هذا الكتاب الى تفسير مشكل الاعراب وذكر علله وصعبه ونادره ليكون خفيف المحمل سهل المأخذ قريب المتناول لمن أراد حفظه والاكتفاء به ، فليس فى كتاب الله اعراب مشكل الا وهو فيه منصوص ، أو قياسه موجود فيما ذكرته فمن فهمه كان لما هو أسهل منه مما تركت ذكره اختصارا أفهم ، ولما لم نذكره مما ذكرت نظره أبصر وأعلم •

ولم أؤلف كتابنا هذا لمن لا يعلم من النحو الخافض والمخفوض والفاعل والمفعول والمضاف والمضاف اليه والنعت والمنعوت فى أشباه لهذا ، انما ألفناه لمن شد أطرافا منه وعلم ظواهره وجملا من عوامله وتعلق بطرف من أصوله •

ثم تكلم المؤلف عن « مشكل اعراب الاستفتاح » فقال : كسرت الباء من « بسم الله » لتكون حركتها مشبهة لعملها • وقيل كسرت ليفرق بين ما يخفض ولا يكون الا حرفا نحو الباء واللام • وبين ما يخفض وقد يكون اسما نحو الكاف • وانما عملت الباء وأخواتها الخفض • لأنها لا معنى لها الا فى أسماء فعملت الاعراب الذى لا يكون الا فى الأسماء وهو الخفض •

وكذلك الحروف التى تجزم الأفعال انما عملت الجزم لأنها لا معنى لها الا فى الأفعال ، فعملت الاعراب الذى لا يكون الا فى الأفعال وهو الجزم ، وحذف الألف من الخط فى « بسم » لكثرة الاستعمال وقد حذفت للزوم الباء هذا الاسم . فان كتبت « بسم الله الرحمن الرحيم أو بسم الخالق » حذفت الألف من الخط أيضا عند الأخفش والكسائى . وقال الفراء لا تحذف الا فى بسم الله فقط . فان دخلت على اسم غير الباء من حروف الخفض لم يجز حذف الألف عند أحد . نحو قولك ليس اسم كاسم الله ، وقولك لاسم الله حلاوة ، وموضع « بسم » موضع رفع عند البصريين على اضمار مبتدأ تقديره البدء بسم الله ، والباء على هذا متعلقة بالخبر الذى قامت الباء مقامه أو نحوه . ولا يحسن تعلق الباء بالمصدر تقديره البدء ثابت أو مستقر بسم الله الذى هو مضمر لأنه يكون داخلا فى صلته فيبقى الابتداء بغير خبر ... الخ

ثم تحدث عن « مشكل اعراب سورة البقرة » فقال « الم » احرف مقطعة محكية لا تعرب الا أن يجز عنها أو يعطف بعضها على بعض فيكون هذا ألف وألفك حسنة . وفى الكتاب ألف ولام وعين . وموضع « الم » نصب على معنى اقرأ « الم » ويجوز أن يكون موضعها رفعا على معنى هذا « الم » أو ذلك . أو هو . ويجوز أن يكون موضعها خفضا على قول من جعله قسما .

والفراء يجعل « الم » ابتداء وذلك الخبر تقديره عنده حروف المعجم . يا محمد ذلك الكتاب وأنكره الزجاج وذلك فى موضع رفع على اضمار مبتدأ أو على الابتداء وتضمر الخبر . وذا اسم مبهم مبنى . والاسم عند الكوفيين الذال . والألف زيدت لبيان الحركة وللتقوية . وذا بكماله هو الاسم عند البصريين . وجمعه أولا . واللام لام التأكيد دخلت لتدل على بعد المشار اليه . وقيل دخلت لتدل على أن . ذا . ليس بمضاف الى الكاف وكسرت اللام للفرق بينها لام الملك . واذا قلت ذلك أى فى ملكك . وقيل كسرت لسكونها وسكون الألف قبلها . والكاف للخطاب لا موضع لها من الاعراب لأنها لا تخلو أن تكون فى موضع رفع أو نصب أو خفض . فلا يجوز أن تكون فى موضع رفع لأنه لا رافع قبلها ، وليست الكاف من علامات المضمر المرفوع . ولا يجوز أن تكون فى موضع نصب اذ لا عامل قبلها ينصبها ولا يجوز أن تكون فى موضع خفض لأن ما قبلها لا يضاف وهو المبهم . فلما بطلت الوجوه الثلاثة علم أنها للخطاب لا موضع لها فى الاعراب . والكتاب بدل من ذا أو عطف بيان أو خبر ذلك . الى آخر ما ذكره فى سورة البقرة .

وقال فى « مشكل اعراب سورة آل عمران » قوله تعالى « الم » مثل « ألم » ذلك . فأما فتحة الميم فيجوز أن تكون فتحت لسكونها وسكون اللام بعدها . ويجوز أن تكون فتحت لسكونها وسكون الباء قبلها ، ولا ينوى عليها الوقف . ويجوز أن تكون فتحت لأنه نوى عليها الوقف فألغى بها حركة

ألف الوصل المبتدأ بها . كما قالوا : واحد اثنان ثلاثة أربعة فألغوا حركة همزة أربعة على الهاء من ثلثه وتركوها على حالها ولم يقلبوها تاء عند تحركها اذا النية فيها الوقف . وقال ابن كيسان . ألف الله . وكل ألف مع لام التعريف ألف قطع بمنزله قد . وانما وصلت لكثرة الاستعمال فمن حرك الميم ألقى عليها حركة الهمزة التى بمنزلة القاف من قد من الله ففتحها بفتحة الهمزة . وأجاز الأخفش كسر الميم لالتقاء الساكنين وهو غلط لا قياس له لثقله .... الخ .

وسار المؤلف فى شرحه لمشكل اعراب القرآن على هذا النهج الى أن ختم كلامه بقوله :

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » وأصل الناس عند سيبويه اناس والألف واللام بدل من قال ابن الأنبارى الناس جمع لا واحد له من لفظه . الابل والخيل والغنم لا واحد لهذه الجموع من ألفاظها . والانس ليس لواحد الناس قال ووزن الناس من الفعل فعل .

وأصله نسى من نسيت . فأخرت العين وقدمت اللام فصار فى الحكم نسيا فصارت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها .

قال : وقال بعض النحويين الناس أصله الاناس فسهلت الهمزة وأبدل نون من لام التعريف الساكنة وأدغمت فى النون التى بعدها فصارت نونا مشددة كما قال عز وجل « لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي » يريد لكن أنا : قال : وقال الفراء يبطل هذا الجواب . قوله « ملك » بدل من رب أو نعت ، قوله : « من الجنة والناس » . خفض عطف على الوسواس أى من شر الوسواس والناس . ولا يجوز عطفه على الجنة لأن الناس لا يوسوس فى صدور الناس . انما يوسوس الجن . فلما استحال المعنى حملته على العطف على الوسواس .

وورد قوله فى آخر كتابه أنه تم مشكل اعراب القرآن بحمد الله تعالى وعونه فى شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة وستمائة والنسخة بمكتبة الأزهر فى مجلد بقلم معتاد قديم ينقصها صدر الخطبة وبها آثار رطوبة وأكل أرضة وتقطيع فى ٢١٤ ورقة ومسطرتها ٢١ سطرا .

ولقدم النسخة قامت مكتبة الأزهر باستنساخ هذا الكتاب فى يوم السبت أول شهر ربيع الثانى سنة ست وستين وثلاثمائة وألف موافق للثانى والعشرين من شهر فبراير سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف بقلم المعتمد على الفرد الصمد محمد قناوى محمد وذلك نقلا من النسخة المخطوطة سالفة الذكر .

وهذا تعريف مبسط لكتاب « مشكل اعراب القرآن » فى فن من أرقى فنون البحث وهو فريد فى نوعه . وفى مكتبات العالم . نبسطها للعلماء والباحثين . وندع لهم استخراج ما فيها من كنوز علمية دقيقة قولا يستطيع القارىء العادى تذوقها وفهمها .

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل

محمد عميرة على

في اللغة والأدب والنقد

الوقف على المنون

اسم الجمع

اسم الفاعل

الرمز في الأدب الصوفي

الإسلام والأمس والغد

الوقف على المنوّن

ان كان المنون مختوما بتاء التأنيث أو مقصورا فقد عرفنا حكمه آنفا وان كان غير ذلك فأشهر اللغات وأفصحها أن يبدل التنوين ألفا بعد الفتحة اعرابية – كرأيت خالدا – أو بنائية – كايها (١) وويها لأنه لا يستثقل الألف .

وربيعة تجيز حذف التنوين والوقف بالسكون فتقول : رأيت خالد – باسكان الدال قال الأعشى :

الى المرء قيس أطيل السرى
وآخذ من كل حى عصم (٢)

وان وقع التنوين بعد ضمة أو كسرة فالفصيح والأشهر حذفه والوقوف بالسكون على آخر الكلمة . فنقول : جاء خالد – ومررت بخالد – باسكان الدال فيهما – وانما لم يقلبوا التنوين واوا بعد الضمة ، وياء بعد الكسرة – كما قلبوه ألفا بعد الفتحة – لأداء ذلك الى الثقل فى موضع الاستخفاف .

قال سيبويه (ج ٢ ص ٢٨١) : أما كل اسم منون فانه يلحقه فى حال النصب فى الوقف الألف كراهية أن يكون التنوين بمنزلة النون اللازمة للحرف منه أو زيادة فيه لم تجىء علامة للمنصرف فأرادوا أن يفرقوا بين التنوين والنون (٣) .

فأما فى حال الجر والرفع فانهم يحذفون الياء والواو لأن الياء والواو أثقل عليهم من الألف فاذا كان قبل الياء كسرة وقبل الواو ضمة كان أثقل ، وقد يحذفون فى الوقف الياء التى قبلها كسرة وهى من نفس الحرف نحو

---

(١) ايها بالنصب وبالفتح أمر بالسكوت ا هـ قاموس وفى المختار واذا سكته وكففته قلت : ايها عنا واذا أردت التبعيد قلت : ايها بفتح الهمزة بمعنى هيهات .. ا هـ وويها : اغراء ويكون للواحد والجمع والمذكر والمؤنث : يقال : وبها يا فلان للاغراء والتحريض .

(٢) السرى : السير ليلا . والحى القبيلة ، والعصم مفعول آخذ وهو بضمتين جمع عصام ويطلق فى الاصل على وكاء القربة وعروتها ، والمراد به هنا العهد ، يعنى أنه يأخذ من كل قبيلة يمر بها عهدا الا يؤذوه لان له فى كل قبيلة أعداء ممن يكره ممدوحه فيخشى الأذى منهم فيأخذ العهد ليصل الى ممدوحه سالما وموضع الاستشهاد بالبيت « عصم » وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة التى تجيز تسكين المنصوب المنرن فى الوقف .

(٣) أى انهم قلبوا التنوين الفا للفرق بينه وبين النون الأصلية فى الكلمة والملحقة بالأصلية فى حسن ورعشن : فنون حسن هى الأصلية اللازمة للكلمة ونون رعشن زائدة للالحاق وليست علامة للمنصرف فهى التنوين .

للأستاذ الدكتور عبد العظيم الشناوى

القاضى فاذا كانت الياء هكذا فالواو بعد الضمة أثقل عليهم من الكسرة لأن الياء أخف عليهم من الواو .

فلما كان من كلامهم أن يحذفوها وهى من نفس الحرف كانت ههنا يلزمها الحذف اذا لم تكن من نفس الحرف ... فأما الألف فليست كذلك لأنها أخف عليهم ألا تراهم يفرون اليها فى مثنى ونحوه ، ولا يحذفونها فى وقف .

وزعم أبو الخطاب أن أزد السراة يقولون : هذا زيدو ، وهذا عمرو ، ومررت بزيدى وبعمرى، جعلوه قياسا واحدا فأثبتوا الياء والواو كما أثبتوا الألف . أ هـ .

قال ابن يعيش : وهذه اللغة فى القلة كلغة من قال : رأيت زيد . وذلك لأننا أبدلنا فى النصب من التنوين لخفة الألف والفتحة ولا يلزم مثل ذلك فى الرفع والجر لثقل الواو ، والياء . أ هـ .

الوقف على « إذًا » وكتابتها

أما فى القرآن الكريم فأجمعوا على كتابتها والوقف عليها بالألف .

وأما فى غير القرآن الكريم ، فذهب الجمهور الى أنها يوقف عليها بالألف لشبهها بالمنصوب المنون .

وذهب بعضهم ومنهم المازنى والمبرد الى أنه يوقف عليها بالنون ، لأنها بمنزلة « أن » و « لن » واختار هذا الرأى ابن عصفور .

وتبع هذا كتابتها بالألف عند من وقف عليها بالألف ، ورسمها بالنون عند من وقف عليها بالنون .

وعن المبرد : أشتهى أن أكوى يد من يكتب « اذن (١) » بالألف لأنها مثل « أن ، ولن » ولا يدخل التنوين الحروف .

وفصل بعضهم فقال : ان ألغيت كتبت بالألف لضعفها وان أعملت كتبت بالنون لقوتها — وقد نسب الأشمونى هذا الرأى الى الفراء تبعا لصاحب الهمع فى باب الوقف — ونسب اليه عكس هذا الرأى تبعا لصاحب المغنى ، فى باب النواصب . لأنها عند الغائها تلتبس باذا الشرطية فتكتب بالنون منعا لهذا اللبس . وعند اعمالها لا تلتبس فتكتب بالألف .

وقال الأشمونى : وينبغى أن يكون هذا الخلاف مفرعا على قول من يقف بالألف ،

(١) لأنه يقف عليها بالنون .

وأما من يقف بالنون فلا وجه لكتابتها عنده بغير النون . اهـ .

الوقف على المؤكد بنون التوكيد الخفيفة

اعلم أن نون التوكيد الخفيفة تأخذ فى الوقف حكم التنوين ، فتنقلب ألفا بعد الفتحة ، وتحذف بعد الضمة والكسرة .

قال سيبويه : (جـ ٢ ص ١٥٥) : وذلك لأن النون الخفيفة والتنوين من موضع واحد ، وهما حرفان زائدان ، والنون الخفيفة ساكنة كما أن التنوين ساكن ، وهى علامة توكيد كما أن التنوين علامة المتمكن فلما كانت كذلك أجريت مجراها فى الوقف . اهـ .

فاذا وقفت على النون التى قبلها حرف مفتوح قلبتها ألفا فتقول فى اضربن وادعون وارمين عند الوقف : اضربا ، وادعوا . وارميا ، ومن شواهد سيبويه على ذلك قول الأعشى :

فاياك والميتات لا تقربنها
ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا (١)

وقول النابغة الجعدى :

فمن يك لم يثأر باعراض قومه
فانى ورب الراقصات لأثارا (٢)

وقول ليلى الأخيلية :

تساور سوارا الى المجد والعلا
وفى ذمتى لئن فعلت ليفعلا (٣)

واذا كان قبل النون ضم أو كسر حذفتها عند الوقف — كما حذفت التنوين فى قولك — جاء خالد — ومررت بخالد .

فتقول فى : ياهند اخشين — بكسر الياء . ويا رجال اخشون — بضم الواو — عند الوقف : ياهند اخشى ، ويارجال اخشوا — بحذف النون واسكان ما قبلها كما قلت فى مررت بخالد ، وجاء خالد .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ١٥٥) « وقال الخليل اذا كان ما قبلها مكسورا أو مضموما ثم وقفت عندها لم تجعل مكانها ياء ولا واوا . وذلك قولك للمرأة وأنت تريد (النون) الخفيفة : اخشى ، وللجميع وأنت تريد النون

---

(١) قال الأعلم : الشاهد فيه ادخال النون الخفيفة على قوله فاعبدن لأنه امر فأكده بالنون وابدل منها الفا فى الوقف كما يبدل من التنوين فى حال النصب ، يقول هذا حين عزم على الاسلام ومدح النبى عليه السلام ثم غلب عليه الشقاء فمات على دينه قبل لقائه صلى الله عليه وسلم .

(٢) قال الأعلم : الشاهد فى قوله : لأثارن بالنون الخفيفة والبدل منها على ماتقدم يقول : من لم ينتصر لأعراض قومه بالهجاء فقد انتصرت لأعراض قومى ، واراد بالراقصات الابل لأنها ترقص فى مشيها وانما اراد سيرها فى الحج فذكرها تعظيما لها فى تلك الحال — ا هـ .

هذا البيت من القصيدة المشهورة التى مدح بها النابغة النبى صلى الله عليه وسلم فأعجب بها ودعا له بخير وبشره بالجنة ومطلعها :

خليلى غضا ساعة وتهجرا
ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

(٣) قال الأعلم : الشاهد فى وله ليفعلن بالنون الخفيفة والبدل منها على ما تقدم تقول هذا للنابغة الجعدى فى مهاجاتها له . والمساورة المواثبة والمغالبة والسوار — بتشديد الواو — الطلاب لمعالى الامور الذاهب بنفسه نحوها . تريد سيدا من اهلها عارضة النابغة مفاخرا له — ا هـ .

الخفيفة : اخشوا ، وقال : هو بمنزلة التنوين اذا كان ما قبله مجرورا أو مرفوعا اه •

ويونس لا يحذف النون الخفيفة عند الوقف بل يقلبها واوا بعد الضم وياء بعد الكسر — قياسا على قلبها ألفا بعد الفتح •

قال سيبويه : وأما يونس فيقول : اخشيي واخشوو (١) يزيد الياء والواو بدلا من النون الخفيفة من أجل الضمة والكسرة • فقال الخليل : لا أرى ذلك الا على قول من قال : هذا عمرو ، ومررت بعمرى (٢) ، وقول العرب على قول الخليل • اه (جـ ٢ ص ١٥٥) •

واذا وقفت على نحو قولك للمرأة اضربن ، ولجماعة الذكور : اضربن قلت للمرأة : اضربى وللجماعة : اضربوا — برد ياء المخاطبة وواو الجماعة لأنهما حذفتا لسكونهما وسكون النون الخفيفة فلما حذفت النون لضم وكسر ماقبلها ردتا — كما رددنا لام نحو عصا المحذوفة لالتقاء الساكنين فى الوصل عند الوقف لذهاب التنوين •

قال سيبويه :

واذا وقفت عندها (النون الخفيفة) وقد أذهبت علامة الاضمار التى تذهب اذا كان بعدها ألف خفيفة أو ألف ولام رددتها كما ترد الألف التى فى هذا مثنى ، كما ترى اذا سكت وذلك قولك للمرأة وأنت تريد (النون) الخفيفة : اضربى ، وللجميع : اضربوا (٣) ، وارموا ، وللمرأة : ارمى ، واغزى فهذا تفسير الخليل • وهو قول العرب ويونس — اهـ • (جـ ٢ ص ١٥٥) •

واذا وقفت على نحو : ياهند هل تضربن ، ويا قوم هل تضربن • قلت : ياهند هل تضربين، وياقوم هل تضربون — وذلك لأن النون وقعت فى المثال الأول بعد كسر ، وفى المثال الثانى بعد ضم فحذفت — كما عرفنا سابقا فرجعت الياء والنون فى المثال الأول ، والواو والنون فى المثال الثانى (٤) لأن سبب الحذف وهو النون الساكنة قد زال عند الوقف •

وعلى رأى يونس نقول : ياهند هل تضربى، ويا قوم هل تضربوا : بقلب النون ياء فى الأول وواوا فى الثانى (٥) •

قال سيبويه : واذا وقفت عند النون الخفيفة فى فعل مرتفع لجميع رددت النون

---

(١) الواو الثانية مبدلة من النون وليست واو الجماعة ولذلك لم نات بألف بعدها وهى فى نسخة سيبويه بألف ، وهذا خطأ .

(٢) اى لغة ازد السراة الذين يقلبون التنوين مطلقا حرفا مجانسا للحركة التي قبلها من ضم وكسر وفتح — وتقدم ان هذه لغة ضعيفة — ولذلك قال سيبويه : وقول العرب ما قال الخليل .

(٣) فياء المخاطبة وواو الجماعة كانتا محذوفتين لوجود النون الساكنة فلما حذفت ردتا — وذلك كلام مثنى فانها حذفت فى الوصول لوجود التنوين فلما ذهب فى الوقف رجعت اللام .

(٤) لأن اصل المثال الأول قبل التوكيد : ياهند هل تضربين — فلما اكد بالنون الخفيفة حذفت النون ثم الياء — والمثال الثانى أصله : تضربون — فلما اكد حذفت النون ثم الواو .

(٥) لأن يونس فى مثل هذا لا يحذف النون بل يقلبها واوا بعد الضم وياء بعد الكسر •

التى تثبت فى الرفع وذلك قولك وأنت تريد الخفيفة هل تضربين وهل تضربون .. وينبغى لمن قال بقول يونس فى اخشى واخشوو اذا أراد الخفيفة أن يقول هل تضربوا بجعل الواو مكان الخفيفة كما فعل ذلك فى اخشى لأن ما قبلها فى الوصل مرتفع (١) اذا كان انفصل فى الجميع ، ومنكسر (٢) اذا كان للمؤنث ولا يرد النون (٣) مع ما هو بدل من الخفيفة كما لم تثبت فى الصلة لأن نون الجميع ذاهبة فى الوصل كما تذهب فى المجزوم ا هـ .

حكم هاء الضمير فى الوصل والوقف

اعلم أن هاء الضمير المتصل — اما أن تكون لمؤنث نحو : الحديقة دخلتها أو لمذكر نحو : الدرس فهمته ، والكتاب أعجبت به .

فان كانت لمؤنث وجب وصلها بالألف لأنها ملتزمة الفتح مطلقا (٤) فتقول المقالة قرأتها وأعجبت بها ، وأحب أن تقرأها ، لتأخذ منها عبرة — ولا تحذف هذه الألف بل نبقيها وصلا ، ووقفا — قال سيبويه (جـ٢ ص ٢٩١) . ولا تحذف الألف فى المؤنث فيلتبس المؤنث بالمذكر .

وذكر فى التسهيل أنه قد يحذف ألف ضمير الغائبة منقولا فتحه الى ما قبله اختيارا فى الوقف : كقول بعض طىء — كما حكى الفراء — بالفضل ذو فضلكم الله به ، والكرامة ذات أكرمكم الله به (٥) — بفتح الباء — يريد بها — فحذفت الألف ونقلت فتحة الهاء الى الباء — ا هـ أشمونى .

واستشكل بعضهم قوله اختيارا ، لأنه يقتضى جواز القياس عليه مع قلته ورد عليه بأن معنى قوله اختيارا — وقوعه فى النثر ، ولا يلزم من وقوعه فى النثر جواز القياس عليه فكم لفظ شاذ وقع فى النثر — ولا ينبغى القياس عليه (٦) وان كانت الهاء لمذكر ، فان كان قبلها ساكن : نحو : منه ، وعليه — فالذى عليه أكثر العرب أنهم لا يأتون فى الوصل بالواو والياء الساكنين فلا يقولون : منهو . وعليهى . لثقل الواو والياء ، ولكون الهاء

---

(١) اى قبل النون ضم .
(٢) اى قبل النون كسر كما هو ظاهر .
(٣) اى لا يرد نون الرفع مع الحرف الذى هو بدل من النون الخفيفة (وهو الواو فى هل تضربوا والياء فى هل تضربى على رأى يونس) لأن نون الرفع لاتجامع نون التوكيد فى الوصل بل نقول : هل تضربن بضم الباء للجماعة وبكسرها للمؤنثة شأنها شأن نون المجزوم اذا قلت اضربن بكسر الباء للمؤنثة وبضمها للجماعة — كما عرفنا سابقا واذ عرفنا أن نون الرفع لاتجامع نون التوكيد فى الوصل والوقف . فكذلك لاتجامع ما هو بدل منها على مذهب يونس .

(٤) سواء كان قبلها حركة أم سكون كما مثلنا .
(٥) هذا موضع الشاهد — ومن ذلك ايضا قوله — لست فى لخم أخافه — بفتح الخاء — أراد: اخافها فنقل حركة الهاء الى الفاء بعد سلب حركتها وحذف الالف — ا هـ تصريح .
(٦) مثل خرق الثوب المسمار ورجاء بن حيوه . واستحوذ الخ .
فالثوب مرفوع والمسمار منصوب . مع أن القياس هو العكس . والواو فى حيوة يجب قلبها ياء قياسا . وفى استحوذ يجب النقل وقلب الواو الفا قياسا .

لخفائها كالعدم ، فكأنه يلتقى ساكنان ان قالوا ذلك ، ولم يحذفوا الألف من عليها ومنها ـ وان كان كاجتماع الساكنين أيضا ـ لخفة الألف .

قال الرضى : فهذا نظير تركهم فى الأكثر قلب التنوين فى المرفوع والمجرور حرف لين فى الوقف وقلبهم له ألفا فى المنصوب .

وقليل من العرب يتبع هاء المذكر الساكن ما قبلها فى الوصل بالواو والياء وجمهور النحويين يستحسنون حذف الصلة مادام قبل الهاء ساكن مطلقا (لين وصحيح) ولكن سيبويه يرى اختيار حذف الصلة ان كان قبل الهاء ساكن لين ـ واثبات الصلة بعد الهاء ان كان قبلها ساكن صحيح قال (جـ ٢ ص ٢٩١).

فاذا كان قبل الهاء حرف لين فان حذف الياء والواو فى الوصل أحسن لأن الهاء من مخرج الألف . والألف تشبه الياء ، والواو تشبههما فى المد وهى أختهما . فلما اجتمعت حروف متشابهة حذفوا . وهو أحسن وأكثر ، وذلك قولك : عليه يافتى . ولديه فلان ، ورأيت أباه قبل ، وهذا أبوه كما ترى . وأحسن القراءتين « وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً » و « إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ » و « وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ » و « خُذُوهُ فَغُلُّوهُ » والاتمام عربى ـ ثم قال فيما قبل الهاء فيه ساكن صحيح .

وقد يحذف بعض العرب الحرف الذى بعد الهاء اذا كان ما قبل الهاء ساكنا . لأنهم كرهوا حرفين ساكنين بينهما حرف خفى نحو الألف . فكما كرهوا التقاء الساكنين فى أين ونحوها كرهوا أن لا يكون بينهما حرف قوى . وذلك قول بعضهم : منه يافتى ، وأصابته جائحة . والاتمام أجود لأن هذا الساكن ليس بحرف لين والهاء حرف متحرك (١) اهـ .

وان كان قبل الهاء متحرك نحو : بِهِ ، وغلامه فلابد من الصلة الا أن يضطر شاعر كقول حنظلة بن فاتك (٢) .

وأيقن أن الخيل ان تلتبس به
يكن لفسيل النخل بعده آبر

أراد أن يقول بعد هو فحذف الواو ضرورة.

---

(١) قال السيرافى : فصل سيبويه بين الهاء التى قبلها واو أو ياء ساكنة أو ألف فاختار فيها ان تحرك ولا توصل بحرف نحو عليه ، وألقى عصاه وخذوه واختار فى الهاء التى قبلها ساكن غير الألف والياء والواو ـ ان توصل بالواو نحو منهو آيات وأصابتهو جائحة ـ واختار أبو العباس (المبرد) حذف الصلة فى منه وأصابته ، ولم يفرق بين حرف اللين وغيره ـ وهذا هو الصحيح ـ اهـ .

وقال الرضى عن راى المبرد : هو الحق اذ شبه التقاء الساكنين فى الكل حاصل وعليه جمهور القراء نحو (منه آيات) (فيه آيات) ولو عكس سيبويه لكان أنسب ، لأن التقاء الساكنين اذا كان اولهما لينا أهون منه اذا كان أولهما صحيحا اهـ جـ ٢ ص ٣٧ شرح الشافية .

(٢) هذا البيت من شواهد سيبويه فى « باب مايجوز فى الشعر ولايجوز فى الكلام » جـ ١ ص ١١ قال الأعلم : اراد بعد هو ، فحذف الواو ضرورة ، والبيت يتأول على معنيين : أحدهما ـ وهو الأصح ـ أن يكون وصف جبانا ، فيقول أيقن أنه أن التبست به الحيل قتل فصار ماله الى غيره فكع (أى : جبن) وانهزم ، والمعنى الآخر ان يكون وصف شجاعا ، فيقول قد علم أنه ان ثبت وقتل لم تتغير الدنيا بعده وبقى من أهله من يخلفه فى حرمه وماله فثبت ولم يبال بالموت ، وفسيل النخل صغاره واحدته فسيلة ، والآبر . المصلح له القائم عليه ـ اهـ .

الوقف على المنون

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٩١) : فان كان الحرف الذى قبل الهاء متحركا فالاثبات ليس الا كما تثبت الألف فى التأنيث لأنه لم تأت علة مما ذكرنا فجرى على الأصل الا أن يضطر شاعر فيحذف كما يحذف ألف معلى ا هـ .

وبعد : فهذا حكم الصله عند وصل ضمير المذكر أما عند الوقف فلابد من حذف الصلة والوقف على الهاء ساكنة فتقول : مررت به . وذهبت اليه . واصفح عنه الخ بحذف الصلة واسكان الهاء فى الجميع — قال سيبويه ذاكر الحكم مع التعليل (جـ ٣ ص ٢٩٢) .

واعلم أنك لا تستبين الواو التى بعد الهاء ولا الياء فى الوقف ولكنهما محذوفتان . لأنهم لما كان من كلامهم أن يحذفوا فى الوقف مالا يذهب فى الوصل على حال نحو ياء غلامى ، وضربنى (١) — الا أن يحذف شىء ليس من أصل كلامهم كالتقاء الساكنين — ألزموا الحذف هذا الحرف الذى قد يحذف فى الوصل : ولو ترك كان حسنا وكان على أصل كلامهم — فلم يكن فيه فى الوقف الا الحذف حيث كان فى الوصل أضعف ا هـ .

وقال الرضى — ناقلا رأى سيبويه وتعليله مع التوضيح :

هذا الذى ذكرناه كله حال الضمير الغائب المفرد المذكر فى الوصل ، فاذا وقفت عليه فلابد من ترك الصلة سواء كانت ثابتة فى الوصل نحو : بهى ، ولهو ، اتفاقا ، ومنهو وعليهى ، عند بعضهم ، أولا ، نحو منه وعليه عند الأكثرين ، وذلك لأن من كلامهم أن يحذفوا فى الوقف مالا يذهب فى الوصل نحو ضربنى وغلامى ، فالتزموا حذف هذا الحرف الذى ثبت حذفه فى الوصل كثيرا . نحو عليه ومنه ، ولابد من اسكان الهاء فى الوقف سكن ما قبله أو تحرك — أ هـ شرح الشافية جـ ٢ ص ٣٠٩ .

وقال ابن يعيش (جـ ٢ ص ٨٧) فاذا وقفوا على هذه الهاء فليس الا الحذف والوقوف عليها غير موصولة لأنهم قد يحذفون فى الوقف ما يثبتونه فى الوصل والصلة فى الهاء ضعيفة لأنها ليست من الكلمة على الصحيح من المذهب ، ويختار (٢) حذفها فى الوصل اذا كان قبلها ساكن فلذلك لزم الحذف أ هـ .

ولعلك بعد هذا النقل عن جهابذة العلم أدركت أن الوقف بحذف الصلة واجب ولا ينبغى الأخذ بالرأى المنسوب الى الشاطبى من جواز الاتيان بالصلة فى الوقف اذا كان قبل الهاء ساكن ، وقد نقل هذا الرأى عنه الشيخ خالد فى التصريح ، والشيخ الصبان فى حاشيته على كتاب الأشمونى — برغم اطلاق

---

(١) هذه الياء لاتحذف فى الوصل الا عند التقاء الساكنين لانه ليس من كلام العرب التقاء الساكنين — كما ذكر سيبويه — وملخص كلام سيبويه أن العرب اذا كانت تحذف فى الوقف — للتخفيف مالا يحذف فى الوصول — فحذفها لما يحذف فى الوصول وان كان ضعيفا — الزم — ولعل عبارة الرضى المذكورة بعد قول سيبويه تزيدك ايضاحا .

(٢) فى الاصل ولايختار باثبات « لا » وهو خطأ — لان من رايه اختيار الحذف فى الوصول اذا كان قبلها ساكن — تبعا للجمهور .

ابن هشام والأشمونى من وجوب حذف الصلة فى الوقف — قال الشيخ خالد : واحترزنا بقولنا : وكان ما قبلها متحركا من أن يكون قبل الهاء ساكن ثابت أو محذوف للجزم أو للوقف فانه يجوز حذف صلتها فى الاختيار واثباتها فتقول : منه ومنهو ، وعليه وعليهى ، ولم يدعه ، ولم يدعهو ، ولم يرمه ولم ترمهى .

وادعه وادعهو ، وارمه ، وارمهى . قال الشاطبى وفى غير ذلك لا يجوز اثبات الصلة اذا كانت واوا أو ياء وقد أخذ بهذا الرأى من ألف فى هذا الفن حديثا — ولا شك أنه رأى غير مقبول وغير منقول .

وغريب من الشاطبى أن يحكم بوجوب حذف الصلة عند الوقف على الهاء التى قبلها متحرك مع أن هذه الصلة واجبة فى الوصل — كما عرفنا — وبجواز الاتيان بها بعد الهاء التى قبلها ساكن مع أن الاختيار حذفها فى الوصل — يخيل الى أنه لو عكس رأيه لكان له وجه مقبول .

هذا ، ويجوز فى الضرورة الاتيان بالصلة عند الوقف كما فى قول رؤبة بن الحجاج :

ومهمه مغبرة أرجاؤه
كأن لون أرضه سماؤه

فانه وقف على الهاء مضمومة موصولة بالواو .

وأحب أن تعرف أن هذا ليس خاصا بالهاء — وانما يجوز لك الاتيان بالصلة آخر القوافى للترنم مطلقا وقد عقد سيبويه بابا سماه « هذا باب وجوه القوافى والانشاد » قال : أما اذا ترنموا فانهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون لأنهم أرادوا مد الصوت وذلك قوله (امرىء القيس) .

*** قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلى (١) ***

وقال فى النصب ليزيد بن الطثرية :

فبتنا تحيد الوحش عنا كأننا
قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا (٢)

وقال فى الرفع للأعشى :

*** هريرة ودعها وان لام لائمو ***

هذا ما ينون فيه ، وما لا ينون فيه قولهم لجرير :

*** أقلى اللوم عاذل والعتابا ***

قال فى الرفع لجرير :

متى كان الخيام بذى طلوح
سقيت الغيث أيتها الخيامو

(١) قال الأعلم : الشاهد فيه وصل اللام فى حال الكسر بالياء للترنم ومد الصوت ، وانما ذكر سيبويه هذا الباب عقيب الوقف ليرى الفرق بين القوافى واواخر الكلام — ا هـ .

(٢) قال الأعلم : الشاهد فيه اثبات الألف فى حال النصب كما تثبت الياء فى الجر والواو فى الرفع للترنم الا أن الألف تثبت ولاتحذف الا على قول من حذفها فى الكلام فقال ، رأيت زيد ، ولقيت خالد ، وهى لغة ضعيفة — وصف أنه خلا بمن يحب بحيث لايطلع عليهما الا الوحش ومعنى تحيد : تنفر ا هـ .

وقال فى الجر لجرير أيضا :

أيهـــات منزلنـــا بنعف ســـويقة
كانت مبـــاركة من الأيـــامى (١)

وانما ألحقـــوا هذه المدة فى حروف الروى لأن الشـــعر وضع للغنـــاء والترنم فألحقـــوا كان حرف الذى حركته منه ـ ا هـ (٢) .

ومن الشـــواهد فى بابنا قول الشـــاعر :

تجـــاوزت هنـــدا رغبـــة عن قتـــاله
الى ملك أعشـــو الى ضـــوء نـــاره

وقول غيـــلان الربعى :

يتبعـــن شـــــهما لأن من ضريـــره
من المهـــارى رد فى حجـــوره (٣)
يســـتوعب البـــوعين من جـــريره
من لـــدن لحييــــه الى منحـــوره

الخ الأبيات .

حكم الميم المتصلة بالضمائر وصلا ووقفا

أعلم أن بعض العرب قد يلحق بهـــذه الميم فى الوصل واوا أو ياء اذا كانت للجمع فيقول ـ عليكمو . وبهمى . وبعضهم لا يلحق فيسكن الميم .

فمن لم يلحق الصلة فى ميم الجمع وصـــلا فلا كلام فى الوقف عليها بالاسكان ومن ألحقها وصلا أوجب حذفها فى الوقف أيضا لأن ما كثر حذفه فى الوصل من الواو والياء وجب حذفه فى الوقف . نحو منه وعليه ـ ا هـ .

الرضى شرح الشـــافية جـ ٢ ص ٣٠٩ .

أما ميم المثنى فلابد من اثبات الألف وصلا ووقفا : فتقول : عليكما . وبهما . واليهما .

قال سيبويه ـ واذا كانت الواو والياء بعد الميم التى هى علامة الاضمار كنت بالخيـــار ان شئت حذفت وان شئت أثبت فـــان حذفت أسكنت الميم فالاثبـــات عليكمـــو ، وأنتمـــو ذاهبـــون ، ولد يهمى مال فأثبتوا كمـــا تثبت الألف فى التثنيـــة اذا قلت عليكمـــا وأنتمـــا ولديهما .

وأما الحذف والاسكان فقولهم : عليكم مال . وأنتم ذاهبون ، ولديهم مال .

واذا وقفت لم يكن الا الحذف ولـــزومه اذ كنت تحذف فى الوصل ـ ا هـ جـ ٢ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

عبد العظيم الشناوى

---

(١) قال الأعلم : أيهات : لغة فى هيهات ومعناها بعد الشىء ـ والنعف ـ بفتح النون ـ ما ارتفع عن الوادى وانحدر عن الجبل . وسويقة ـ بصيغة التصغير ـ موضع بعينه ـ وقوله كانت مباركة من الايام ـ أى كانت الايام التى جمعتنا ومن نحب فأضمرها لما جاء بعد ذلك ـ أ هـ .

(٢) ثم ذكر سيبويه ما يقابل الترنم والأوجـــه الواردة فيه فليرجع اليها من يريد .

(٣) أى تتبع الابل جملا « شهما » حديد القلب .. والضرير : النفس وشدتها . يقال : ناقة ذات ضرير اذا كانت شديدة النفس لاتتعب .. مـــن المهارى : الابل المهارى بفتح الراء وكسرها وتشدد الياء بعد الكسر أيضا جمع مهرية نسبة الى مهرة ابن حيدان أبى قبيلة من اليمن . رد فى حجوره أى فى كرم أمهاته يريد أنه من نسل ابل كـــــرام ، يستوعب البوعين .. يريد ان طول الحبل الذى هو مقوده من لحييه الى موضع نحره مقدار باعين والمنحور : هو النحر .

اسم الفاعل

للأستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

أما صوغ اسم الفاعل من غير الثلاثى المجرد فيكون على وزن مضارعه المبنى للمعلوم مع زيادة ميم مضمومة فى أوله مكان حرف المضارعة وكسر ماقبل آخره مطلقا ولو تقديرا نحو معتل ومحتل ومرتد ومختار ومنقاد ومحتاج سواء أكان مكسورا أصلا فى المضارع نحو منطلق ومكرم ومجتهد ومنتصر ومستغفر ومستعين أو كان مفتوحا فى المضارع ، كمتقدم ومتأخر ومتهدم ومتقاعد ومتخاصم ومتعاون ومتنافس، وأما ماجاء من أسماء الفاعلين من غير الثلاثى يضم ما قبل آخره نحو منتن بضم التاء اتباعا للميم ، أو بكسر الميم بدل ضمها نحو مغير ومريد ومفيد ومبين أو بفتح ماقبل آخره ، نحو محصن من أحصن ، ومسهب من أسهب بمعنى كثر كلامه دون تفكير وروية فان كان أسهب بمعنى الفصاحة والعقل فاسم فاعله مسهب بكسر الهاء على الاصل ، ومما جاء بفتح ماقبل الاخر شذوذا أيضا ملفج من ألفج بالهمزة والفاء والجيم وزن (أفعل) بمعنى افتقر وصار مفلسا ٠

وأما نحو مختار ، ومحتال ، ومنقاد ومنحاز ومرتاد ومرتاب ومشتاق ومعتاد فيستوى فيه اسم الفاعل واسم المفعول ، والتفريق بينهما يكون بتقدير حركة ماقبل الآخر فان قدرت كسرة فاسم فاعل أو فتحة فاسم مفعول ٠ كما شذ أيضا مجىء الفاعل من (أفعل) الرباعى على وزن (فاعل) لا على وزنه الأصلى (مفعل) نحو . أيفع الغلام فهو يافع . وأورس الشجر أى اخضر فهو وارس . وأعشب المكان بمعنى نبت فيه العشب ونما فهو عاشب ، وأمحل البلد أى قحط فهو ماحل . وأورق الشجر أى ظهر ورقه فهو وراق وأملح الماء فهو مالح وأغضى الليل ، أى أظلم فهو غاض ، وقد جاء . مورس ، ومعشب وممحل ، ومورق وممِلح ومغض على الأصل ولكنه قليل ، ومن هذا القليل قولهم : أوقرت النخلة اذا كثر حملها فهى موقرة بالفتح والكسر وقد جاء ذلك اما مراعاة للأصل الثلاثى وعدم الاعتداد

٥

اسم الفاعل

بالزيادة ، واما لمجيء لغة أخوى فى فعله وهى (فعل) مفتوح العين • وان كانت قليلة الاستعمال ، فيكون استعمال (فاعل) مع هذه اللغة من باب تداخل اللغتين أى صوغ اسم الفاعل من الثلاثى قبيل الاستعمال مع رباعيه المزيد بالهمزة والكثير الاستعمال ، ففى نحو أيفع الغلام فهو يافع فان يافعا مصوغ من يفع لا من أيفع . وأعشب المكان فهو عاشب ، فعاشب من عشب لا من أعشب ، وأمحل البلد فهو ماحل فانه من محل لا من أمحل ، وان كان الثلاثى منه قليل الاستعمال كما سلف ويرى بعضهم أن (فاعل) هذا ليس اسم فاعل للفعل المذكور معه بل هو نسبة اضافية بمعنى ذو الشيء أو صاحب الشيء فقولهم : أمحل البلد فهو ماحل أى ذو محل وأعشب الوادى فهو عاشب أى ذو عشب ، وأورق الشجر فهو وارق أى أنه ذو ورق ، كما يقال : رجل لابن وتامر ، أى ذو لبن وذو تمر ؟•

اسم الفاعل والصفة المشبهة : توجد علاقة وثيقة ورابطة قوية بين اسم الفاعل والصفة المشبهة به كما يوحى قولهم فى تحديد مفهوم الصفة المشبهة : انها الصفة المشبهة باسم الفاعل •

فبينهما وجوه شبه عديدة : فهما يشتركان فى الدلالة على الحدث وفاعله وفى شرط الاعتماد لعمل كل منهما عند التجرد من أل وفى التذكير والتأنيث والتثنية والجمع ، فالصفة تؤنث وتثنى وتجمع جمعا سالما مذكرا ومؤنثا فتقول فى حسن وطويل حسنه وطويلة ، وحسنان وطويلان وحسنتان وطويلتان ، وحسنون وطويلون وحسنات وطويلات • كما تقول :

راكبة وقائمة وراكبان وقائمان ، وراكبتان وقائمتان ، وراكبون وقائمون • وراكبات وقائمات ، وكلاهما وصف مشتق من مصدر الفعل الثلاثى وغيره وصالح أن يكون نعتا لأن النعت المفرد لايصح الا بالوصف المشتق وشبهه كما يشير لذلك قول ابن مالك : وانعت بمشتق كصعب وذرب •• وشبهه ، وأن يقع حالا مفردة فالحال المفردة لايصلح الا بالوصف المشتق غالبا • أو مايمكن أن يؤول بالمشتق كما أفاد ذلك صاحب الألفية فى قوله: الحال وصف فضلة منتصب • وقوله أيضا :

وكونه منتقلا مشتقا ••
يغلب لكن ليس مستحقا

وكلاهما مشتركان فى العمل فالصفة المشبهة تعمل النصب فى واحد فقط كما يعمله اسم الفاعل المعدى لواحد ، وكان حقها الا تعمل النصب لمخالفتها الفعل وعدم جريانها عليه ولكونها مصوغة من فعل قاصر ، ولكنها لما أشبهت اسم الفاعل المتعدى عملت عمله ، فترفع السببى وتنصبه على التشبيه بالمفعول ان كان معرفة وعلى التمييز ان كان نكرة وجره بالاضافة نحو محمد جميل وجهه ، وجميل الوجه ، وحسن وجها ، وحسن الوجه ، وهشام كريم خلقه ، وكريم الخلق ، وكريم خلقا ،

وكريم الخلق أما اسم الفاعل فلأنه مصوغ من الثلاثى وغيره المتعدى واللازم فانه يعمل عمل فعله المصوغ منه تعديا ولزوما فيرفع على الفاعلية المضمر والظاهر ان كان من اللازم ، نحو اسماعيل جالس على الأريكة ، أو جالس أخوه ، وابراهيم سافر ابنه ، وينصب مفعولا به واحدا ان كان مصوغا من متعد لواحد نحو ، مسعود حافظ درسه ، ومؤد واجبه وينصب مفعولين أو اكثر ان صيغ من متعد لأكثر ، نحو ، طارق معط الفقير صدقة ، وسائل جاره معونة ومانع الثرثار استرسالا فى الحديث ، وسعد معلم اخوانه العاقبة مأمونة والأستاذ مخبر طلابه المسألة يسيرة الحل لكنه يخالف الفعل فى جواز اضافته للمنصوب نحو، أحمد كاتب الرسالة ، وناشر الرواية ، ومسجل الحديث . والمعلم مانح المجتهد جائزة ، والقائد معلم جنوده المعركة ضارية .

كما أنه يمكن تحويل كل منهما الى الآخر ، فاسم الفاعل اذا قصد به الثبوت والدوام ،

وأضيف الى مرفوعه أو نصبه على التشبيه بالمفعول به إن كان معرفة وعلى التمييز ان كان نكرة فانه يصير حينئذ صفة مشبهة يأخذ حكمها ويعامل معاملتها مع بقائه على وزنه، فلا يكون صفة مشبهة الاباستيفاء هذين الشرطين ، أن يراد به الثبوت والدوام ، وأن يضاف الى مرفوعه أو ينصبه على ما ذكر . نحو طاهر القلب وضامر البطن وراجح العقل ، ومعتدل القامة ومنطلق اللسان . ومستقيم السيرة ، أو ضامر البطن . أو ضامر بطنا ، ومنطلق اللسان أو لسانا وهكذا ولا فرق فى ذاك بين اسم الفاعل من الثلاثى أو من غيره ، كما يتضح من الأمثلة .

فان فقد شرط من هذين الشرطين السالفين بقى كما هو اسم فاعل يعمل عمل مضارعه المصوغ منه تعديا ولزوما متى استوفى شروط العمل الخاصة به المبينة فى مبحث (عمل اسم الفاعل) الذى سيأتى .

كذلك فان الصفة المشبهة اذا أريد بها الحدوث والتجدد فانها حينئذ تصح اسم فاعل تعطى حكمه وتعامل معاملته . وتعمل عمله بشروط لكنها لاتبقى على وزنها بل يتحتم أن تحول الى وزن (فاعل) نحو فارح وحامل وكارم ومارض وغاضب وطائل اليوم أو غدا ومنه قوله تعالى : (**فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَايُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ**) وتخالف الصفة المشبهة اسم الفاعل فى عدة أمور :

١ ـ أنها لا تصاغ الا من اللازم وضعا نحو ، أشر ، وجشع ونهم وكريم وحسن وظريف وشهم ، أو اللازم قصدا نحو بكر ضارب الاب مضروب الغلام ، واسم الفاعل يصاغ من المتعدى واللازم معا .

٢ ـ أنها تكون للزمن الماضى المتصل بالحاضر الثابت المستقر كحسن الوجه ، دون الماضى المنقطع أو المستقبل فلا يجوز أن يقال : هو حسن الوجه أمس ، ولا غدا واسم الفاعل يصاغ للأزمنة الثلاثة .

اسم الفاعل

٣ ــ أنها قد تكون جارية على المضارع . أى موافقة له فى حركته وسكونه بمعنى مقابلة حركة بحركة وسكون بسكون سواء اتفق نوع الحركات أو اختلف فاتفاقها فى النوع ليس بشرط نحو ، شاحط الديار وضامر البطن ونازح الوطن ومعتدل القامة ومستقيم السلوك ، ومحترف الزراعة ، وتكون غير مجارية له ، وهو الغالب فى المصوغة من الثلاثى نحو حسن وجميل وعظيم وشهم وبطر وغضبان ، واسم الفاعل لا يكون الا مجاريا لمضارعه .

٤ ــ أن منصوبها لايجوز أن يتقدم عليها لأنها فرع اسم الفاعل فى العمل فلا يصح أن تقول حاتم الوجه حسن بخلاف منصوب اسم الفاعل فيجوز تقديمه عليه فيصح أن تقول : زيد عمرا ضارب .

٥ ــ أن معمولها لا يكون الا سببيا أى اسما ظاهرا متصلا بضمير موصوفها . أما لفظا نحو سليمان حسن وجهه واما معنى نحو صالح حسن الوجه فالوجه معمول للصفة (حسن) وهو سببى لأنه اسم ظاهر متصل بضمير الموصوف معنى . أى الوجه منه أى من صالح ، وهذا رأى البصريين . وقال غيرهم : لاحذف هنا وأن (أل) فى الوجه عوض عن الضمير المضاف اليه ، وهذا رأى الكوفيين لكن يرد عليهم ، أن الضمير قد جاء مصرحا به فى قول الشاعر :

رحيب قطاب الوجه منها رقيقة ..
بجس الندامى بضة المتجرد

فالضمير فى منها عائد على الموصوف المقدر (هى) أى المراة التى يتحدث عنها مع أن المعمول وهو الوجه متصل بأل وتختص الصفة المشبهة بأمور أخرى كثيرة تخالف فيها اسم الفاعل لاداعى للافاضة فيها ولاحاجة لسرد تفاصيلها ، فالفائدة من وراء ذلك محدودة بل تكاد تكون معدومة مما يؤدى الى اضاعة الوقت بلا طائل فليرجع اليها من شاء فى مصادرها من أمهات كتب العربية ، وهى متاحة لمن يرغب ، ميسورة لمن يهوى ويريد ، والله سبحانه ولى التوفيق والهادى الى أقوم طريق .

أحمد حسن عبد العواض هلالى

اسم الجمع

للدكتور خالد عبد الحميد السيد أبو جندية

النحو العربى دقيق ، يحدد الفروق بين المصطلحات المختلفة ، ولذلك فهو يقسم الاسم الى مفرد ومثنى وجمع .
ويعرف المفرد بأنه مادل على واحد أو واحدة كرجل وامرأة وكتاب
ويعرف المثنى بأنه : ما ناب عن اثنين اتفقا فى الوزن والحروف بزيادة أغنت عن العاطف والمعطوف كالمحمدان ، والزيدين .
ويعرف الجمع بأنه : مادل على أكثر من اثنين أو اثنتين .

وهو فى هذا التقسيم يخالف كثيرا من اللغات الأجنبية الأخرى حيث أنها قسمت الاسم الى قسمين فقط هما : المفرد والجمع ، ذلك أن الجمع فى نظرها هو مادل على أكثر من واحد .

وان كان القرآن الكريم . وبعض الشواهد العربية ـ أحيانا ـ تطلق الجمع على ما يدل على الاثنين كما فى قوله تعالى (وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) (١) وقوله (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) (٢)
وكقول أبى ذؤيب فى رثاء أبنائه الخمسة الذين ماتوا بالطاعون :

العين بعد همو كأن حداقها
سملت بشوك فهى عوراء تدمع

فأطلق الجمع فى قوله (حداقها) على الاثنين .
ثم يستمر النحو فى دقته وتحديده فيقسم الجمع الى أقسام :

أولها : جمع المذكر السالم وهو مادل على أكثر من اثنين بزيادة معينة : واو ونون فى حالة الرفع ، وياء ونون فى حالتى النصب والجر ، وهذه الزيادة أغنت عن عطف المفردات المتماثلة .

(١) الآية ٧٧ الأنبياء .

(٢) الآية ٤ التحريم .

وثانيها : جمع المؤنث السالم وهو مادل على أكثر من اثنتين بزيادة ألف وتاء فى آخره ، تغنى عن عطف المفردات المتشابهة .

وثالثها : جمع التكسير وهو مادل على ثلاثة فأكثر وله مفرد يشاركه فى معناه وفى أصوله ، مع تغيير حتمى يطرأ على صيغة الجمع .

ورابعها : اسم الجنس الجمعى وهو ما يدل على الماهية ويفرق بينه وبين واحده بالتاء أو بالياء .

وخامسها : اسم الجمع وهو مادل على جمع ولم يكن على أوزان الجموع . وقد خبط الناس فى هذا النوع (١) . ولم يضعوا له الفواصل الدقيقة التى تفصله عن الجمع واسم الجنس الجمعى ذلك أنهم قد انصبت عنايتهم الى الجموع المختلفة فأهملوا هذا النوع ، فرأيت هنا أن أوضح هذه الفروق ، وأن أحاول أن استنبط له قاعدة عامة تندرج تحتها أوزانه وأمثلته ، وأن أتبين أحكامه .

ومن تتبعنا لكتاب سيبويه ، ومن مطالعاتنا فى كتب النحو نستطيع أن نقول : ان اسم الجمع هو : كل اسم دل على أكثر من اثنين أو اثنتين ، وليس بجمع ، ولم يفرق بينه وبين واحده بالتاء أو بالياء .

فهذا الاسم اذن ليس بجمع لأنه لم يأت على وزن خاص بالجمع ولا غالب فيه ، أو كان على وزنه ، ولكن مفرده لم يأت على وزن نظيره مما يجمع على هذا الوزن ، ولم يطرد على وزن واحد ، وعومل فى اللفظ معاملة الفرد فى خبره ووصفه وتصغيره والنسب اليه ، سواء أكان له من لفظه ما يشير الى مفرده ، أو لم يكن له مفرد أصلا .

وعلى هذا فاسم الجمع قسمان :

القسم الأول : ماليس له من لفظه مفرد نحو : قوم ، ونفر ، وذود (٢) وأهل ، ورهط (٣) ، وبشر ، وغنم (٤) ، فهذه كلها أسماء جمع لأن مدلولها مدلول الجمع ، ولفظها لفظ المفرد .

وأما (نسوة) فاختلف فيه ، فذهب سيبويه والمبرد (٥) الى أنه اسم جمع لأن معناه الجمع ، ولكنه يعامل معاملة المفرد فى اللفظ ، ولأنه لا مفرد له من لفظه .

وذهب أبو حيان الى أنه جمع قلة (٦) لأنه على وزن (فعله) وهى من أوزان القلة .

والرأى الأول هو الأقرب ، لأن (فعله) يكون جمعا لما كان على (فعل) أو (فعل) أو (فعل) أو (فعال) أو (فعال) أو (فعيل) وليس نسوة كذلك لأنه لا مفرد له من لفظه أصلا حتى يقال انه على هذه الأوزان .

وكذلك اختلف فى (ابل) فالمشهور والأكثر فيها أنها اسم جمع لأنه لا واحد له من لفظه ، ولأنه ليس على وزن خاص من أوزان الجموع .

---

(١) الغيث المسجم فى شرح لامية العجم للصفدى ١/١٢٦ .
(٢) الكتاب ٣/٦٢٤ .
(٣) الكتاب ٣/٦١٦ وشرح لامية العجم ١/١٢٦ .
(٤) المقتضب ٢/٢٩١ .
(٥) الكتاب ٣/٤٩٤ والمنتخب ٢/٢٩١ .
(٦) البحر المحيط ٥/٢٩٩ .

قال صاحب اضاءة الراموس (وصرح بأن الابل من أسماء الجموع أقوام مالهم حصر كأبى حيان ، وابن مالك ، وابن هشام ، وابن عصفور ، وابن اياز ، والأزهرى وابن فارس ، وابن سيدة ، والجوهرى ، والزبيدى والزمخشرى وغيرهم) (١) •

وفى قوله (وابن سيده) نظر ذلك أن ابن سيده يرى فى (ابل) رأيا آخر فيقول :

(الابل اسم واحد يقع على الجميع ليس بجمع ولا اسم جمع) (٢) وكنا نود أن يحدد لنا ابن سيده حقيقته ولكنه لم يفعل •

القسم الثانى من أسماء الجموع ما كان له من لفظه ما يشير الى مفرده • وله أوزان اتفق عليها وأخرى اختلف فيها • أما الأوزان المتفق عليها فهى :

١ ـ فعل : كخادم وخدم ، وضائن وضأن ، وماعز ومعز ، وغائب وغيب ورائح وروح وقاعد وقعد قال الشاعر :

فكأنى مما أزين منها
قعدى يزين التحكيما

واهاب وأهب ، وأديم وأدم ، وأفيق وأفق ، وبعيد وبعد ، وعمود وعمد (٣) •

٢ ـ فعل : كظربان وظرب (٤) •

٣ ـ فعل : كعبد وعبد ، وسمره وسمر •

٤ ـ فعله : كصاحب وصحبه ، وفاره وفرهة ، وأخ وأخوة وظئر وظؤرة (٥) •

٥ ـ فاعل : كبقر وباقر وجمل وجامل ، قال سيبويه (ومثل ذلك : الجامل والباقر لم يكسر عليهما جمل ولا بقرة والدليل عليه التذكير والتحقير وأن فاعلا لا يكسر عليه شئ (٦)) •

٦ ـ فعالة : كصاحب وصحابه وقريب وقرابة •

٧ ـ فعاله : كجمل وجماله (٧) •

٨ ـ فعلان : كصنو وصنوان ، ومرجانة ومرجان (٨) •

٩ ـ مفعله : كشيخ ومشيخه وسيف ومسيفه (٩) •

١٠ ـ مفعولاء : كشيخ ومشيوخاء ، وعير ومعيوراء ، وأتان ومأتوناء ، وعلج ومعلوجاء (١٠) •

٥

فواضح أن هذه الأوزان كلها لم تأت على أوزان الجموع مع دلالتها على الجمع فهى أسماء جمع ولكن هل يأتى اسم الجمع على وزن الجمع ؟

يأتى اسم الجمع أحيانا على وزن من أوزان

---

(١) اضاءة الرادوس لابن الطيب الفاسى ج ٤ الورقة ٣٧٤ مخطوط . وانظر المقتضب ٣٤٧/٣ والمصباح (ابل) ٢/١ •
(٢) المخصص ٢/٧ •
(٣) سيبويه ٦٢٥/٣ ـ ٦٢٦ المقتضب ٢١٨/٢ المخصص ١٢١/١٤ ـ ابن يعيش ٧٨/٥ التسهيل ٢٨٠ •
(٤) التسهيل ٢٨٠ ـ الارتشاف ١٢٤/١ •
(٥) سيبويه ٦٢٤/٣ ـ ٦٢٥ المخصص ١٢١/١٤ •
(٦) سيبويه ٦٢٥/٣ •
(٧) ينظر هذا الوزن والذى قبله التسهيل ٢٨١ •
(٨) التسهيل ٢٨١ •
(٩) الارتشاف ١٢٤/١ شرح الشافية ٢٠٤/٢ •
(١٠) الارتشاف ١٢٥/١ شرح الشافية ٢٠٤/٢ التسهيل ٢٨١ سيبويه ٢٦٤/٤ •

الجمع ، ولذلك لابد أن نتبين فيه علامة أخرى توضح لنا حقيقته من ذلك :

معز ومعيز ، وقاطن وقطين ، وعازب وعزيب وضرس وضريس وكلب وكليب وغاز وغزى (١) أى ما كان على (فعيل) فهذا الوزن يأتى عليه الجمع نحو : حمار وحمير • فما الذى يميزه عن الجمع ؟

لقد أجاب السهيلى عن ذلك فقال (انه لو كان جمعا له واحد من لفظه لجرى على قياس واحد كسائر الجموع وهذا يختلف واحده فحجيج واحدة حاج ، وعبيد واحده عبد ، وبقير واحد بقرة ومعيز واحد ماعز •• الى غير ذلك) (٢) •

كما أجاب عن ذلك ابن مالك ففصل فقال بأنه يكون جمعا (ان أنث كعبيد ومحير واسم جمع ان ذكر تكليب وحجيج) (٣) •

ومما جاء على وزن الجمع أيضا سرى وسراة ، أى ما كان على (فعله) وقد ميزه سيبويه عن الجمع بقوله (ويدلك على هذا قولهم : سروات ، فلو كانت بمنزلة فسقه أو قضاة لم تجمع • ومع هذا أن نظير فسقة من بنات الياء والواو يجىء مضموما) (٤) فهو يستدل على أنه ليس جمعا بشيئين •

أحدهما : أنهم يقولون : سروات . فى جمعه ولا يقولون فى فسقه فسقات •

والثانى : أنه لو كان جمعا مكسرا لكان حقه أن يقولوا سراة ، لأن لامه معتلة ، كقولهم غزاة ورماة •

كانت هذه هى الأوزان التى اتفق العلماء على كونها أسماء جمع • وهناك أوزان أخرى توقفوا عندها وتساءلوا : ترى هل هى أسماء جمع ؟ أو جمع ؟ أو اسم جنس جمعى ؟

فمن الأوزان التى تردد فيها العلماء بين كونها جمعا أو اسم جمع وزن (فعل) كركب وصحب ، وطير ، وسفر ، وعوذ ، ورجل وواحدها : راكب وصاحب ، وطائر ، وسافر ، وعائذ ، وراجل •

فقد ذهب الجمهور الى كون هذا الوزن اسما للجمع (٥) • وذهب الأخفش والفراء الى انه جمع تكسير • فاذا صغر على مذهبهما رد الى الواحد وصغر عليه ثم لحقته الواو والنون ان كان مذكرا ، والألف والتاء ان كان مؤنثا ، فتقول رويكبون ، ورويكبات (٦) •

وقد رد على الأخفش بردود كثيرة لعل من أكملها ما ساقه ابن يعيش فى قوله :

أولا : أن المسموع فى تصغير (ركب) (ركيب) قال الشاعر :

وابن ركيب واضعون رحالهم
الى أهل نار من أناس بأسودا

---

(١) سيبويه ٣/٥٧٦ ــ ٦٢٦ المخصص ١٤/١٢١ ــ ١٢٢ .
(٢) الروض الانف ١/١٧١ .
(٣) شرح الكافية الشافية لابن مالك ٢/٢٧٣ رسالة .
(٤) الكتاب ٣/٦٢٥ .
(٥) الكتاب ٣/٦٢٤ والارتشاف ١/١٢٤ والتسهيل ٢٨ .
(٦) اللسان (ركب) و (صحب) وشرح الشافية ٢/٢٠٣ والتسهيل ٢٦٧ والمخصص ١٤/١٢٠ وشرح الجمل لابن عصفور ٢/٥٤٣ والمنصف لابن جنى ٢/١٠١ .

وقال أحيحة بن الجلاح :

بنيته بعصبة من ماليا
أخشى ركيبا أو رجيلا عاديا

وهذا نص فى محل النزاع اذا لو كان جمعا مكسرا لرد الى الواحد ثم صغر .

الثانى : أن الجمع المكسر مؤنث وهذه الأسماء مذكرة تقول : هو الركب ، وهذا السفر .

الثالث (١) : أن (فعلا) لا يكون جمعا مكسرا لفاعل ونحوه ، لأن الجمع المكسر حقه أن يزيد على لفظ الواحد ، وهذا أخف من بناء الواحد فلا يكون جمعا مكسرا .

الرابع : أن هذه الأبنية لو كانت جمعا صناعيا لاطرد ذلك فيما كان مثله وأنت لا تقول فى جالس جلس ، ولا فى كاتب كتب (٢) .

وهذه ردود طيبة لولا أن قوله (ان الجمع المكسر حقه أن يزيد على لفظ الواحد) لنا عنده وقفه ، ذلك أننا وجدنا جموعا كثيرة تقل ألفاظها عن ألفاظ مفردها ومع ذلك فهى جموع تكسير منها (فعل) فى جمع (فعله) كغرفة وغرف (٣) و (فعل) فى جمع (أفعل) كحمر وأحمر (٤) ، و (فعل) فى جمع فاعل كعوذ وعائذ (٥) .

والحق فى هذا أن (فعل) انما هو اسم جمع (لفاعل) وليس جمعا له لأن نحو (ركب) لم يخرج عن قاعدة اسم الجمع فهو فى مدلوله جمع ، ، وفى لفظه يعامل معاملة المفرد كما أنه لم يأت على وزن من أوزان الجموع . فينبغى ادخاله فى حظيرة اسم الجمع ولا سيما أنه اضطرب النقل عن الاخفش فى هذه المسألة فبينما ينقل بعض النحاة عنه الرأى السابق . نرى آخرين ينسبون اليه القول بأن جميع أسماء الجموع التى لها آحاد من تركيبها كجامل وباقر وغيرها انما هى جمع وليست باسم جمع ، وهم الرضى (٦) وصاحب الخزانة (٧) . أما أبو حيان (٨) فقد حقق النقل فى هذه المسألة فقال (.. وان لم يقترن بتاء التأنيث ولا ياء النسب مفرده فهو اسم جمع نحو : ركب وصحب .. والمنقول عن الأخفش أنه جمع . وذكر الأخفش فى (الأوسط) أن قول الجمهور فى (ركب) أنه من هذا الباب . ثم قال : وما أراه فى القياس الا مطردا ، قد قالوا : صائم وصوم ونائم ونوم ، وشاهد وشهد وزائر وزور ، ، وأنه يصغر على لفظه . ثم قال : وان صغرت شيئا من هذا على واحده فهو جائز على قبحه .. انتهى .

أما الفراء فانه يرى أن كل ماله مفرد من لفظه فهو جمع سواء كان اسم جمع أو اسم جنس .

◄

---

(١) وفى المخصص ١٢١/١٤ ان الزجاج قد احتج لسيبويه بهذا الاحتجاج والذى بعده .
(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٧٧/٥ — ٧٨ .
(٣) كتاب سيبويه ٥٧٩/٣ .
(٤) الكتاب ٦٤٤/٣ .
(٥) الكتاب ٦٣٢/٣ .
(٦) شرح الكافية ١٧٨/٢ — اما فى شرح الشافية فنسب اليه القول الاول كما سبق .
(٧) خزانة الادب للبغدادى ٣٨٣/٤ الشاهد ٨٨١ .
(٨) ارتشاف الضرب ١٠٤/١ — ١٠٥ .

اسم الجمع

ويرد عليه بما رد على الأخفش ويزاد : أن اسم الجنس له علامته المميزة وهو أنه يفرق بينه وبين واحده بالتاء أو بالياء وليست أسماء الجموع التى لها واحد من لفظها كذلك .

ومن هذه الأوزان أيضا (فعله) و (فعلى) نحو : صبى وصبية ، وحجل وحجلى فقد ذهب الجمهور الى كون هذين الوزنين انما هما لجمع التكسير . وذهب ابن السراج الى كونهما اسمى جمع لعدم اطرادهما (١) .

والاقرب أن يجعل (فعله) جمع قلة ، و (فعلى) جمع كثرة لأنهما من أوزان الجموع .

ومن ذلك أيضا قولهم (البلنصى) فقد اختلف الناس فيه فذهب قوم الى انه اسم جمع واحده (البلصوص) (٢) قال سيبويه (ومن ذلك البلنصى ، لأنك تقول للواحد البلصوصى) (٣) وقد ارتضى ذلك الرأى أبو حيان وصاحب اللسان (٤) . وقال قوم : ان (البلنصى) هو واحد (البلصوص) (٥) . وذهب آخرون الى أن (البلنصى) جمع للبلصوص على غير قياس لأن قياس جمعه بلاصيص . أو البلصوص جمع البلنصى لأن قياس جمعه بلانص وقد نص على ذلك الخليل (٦) وابن قتيبة (٧) . وقيل : البلنصى الانثى والبلصوص : الذكر (٨) .

والأقرب من هذه الآراء كلها هو الرأى الاول الذى يقول بأن البلنصى هو اسم جمع البلصوص ، لأن البلنصى ليس على وزن الجموع المعهودة . والذى يدل على أن البلصوص هو المفرد والبلنصى هو اسم جمعه قول الشاعر

والبلصوص يتبع البلنصى .

ولا داعى أن نتكلف القول بأن (البلنصى) انما هو جمع على غير قياس خاصة وأنهم عاملوا البلنصى معاملة المفرد بدليل أنهم جعلوه مفردا تارة وجمعا تارة أخرى .

ومن هذه الامثلة أيضا (عراعر) (١٠) فقد قال فيه أبو زيد انه جمع عرعرة . قال الفارسى : يعنى اسم الجمع . وقيل هو جمع واحده عراعر (١١) بالفتح .

---

(١) التسهيل ٢٦٨ والتصريح ٢/٣٠٤ والهمع ٢/١٧٨ .

(٢) البلصوص : طائر صغير قصير المنقار والرجلين كثير الصياح . الارتشاف ١/١٢٥ واللسان (ملص) .

(٣) الكتاب ٤/٣٢٠ .

(٤) الارتشاف ١/١٢٥ واللسان (بلص) ١/٣٤٤ .

(٥) المرجعين السابقين .

(٦) اللسان (بلص) .

(٧) الاقتضاب ٢/٦٦ .

(٨) الارتشاف ١/١٢٥ والتسهيل ٢/٦٦ والاقتضاب ٢/٦٦ .

(٩) ينظر هذا البيت فى اللسان (بلص) والاقتضاب ٢/٦٧ .

(١٠) هو الشجر الذى يلجأ اليه فى السنة المجدبة اللسان (عرا) .

(١١) اللسان (عرا) ٤/٢٩١٩ .

ومنها (أروى) فهى اسم جمع عند بعض اللغويين (١) والنحويين (٢) واحده أروية (٣) وقيل هو جمع كثرة على غير قياس (٤) .

ومنها : فلك ودلاص وهجان وقد اختلف فيها أيضا فذهب الخليل وسيبويه فى دلاص وهجان الى أنهما جمعا هجان ودلاص شبهوا هجانا ودلاصا الواحد منهما بفعيل ، فكما يجمع فعيل على فعال ككريم وكرام جمعوا فعالا على فعال ففعال فى المفرد ككتاب وفى الجمع كرجال .

وقالا فى (فلك) ان ضمة الفاء فيه فى الجمع بمنزله ضمة حاء (حمر) وضمته فى الواحد بمنزلة ضمة (برد) ولم يجعل من باب المشترك لوجود تثنيته فى كلامهم (٥) .

وذهب الجرمي الي ان هجان ودلاص يجرى مجرى المصدر لجريه بلفظ واحد فى الواحد والمثنى والجمع (٦) .

وذهب آخرون الى ان هذه الألفاظ أسماء جموع وأنه لاتغيير فيها متدر فيكون اذ ذاك من قبيل المشترك بين المفرد والجمع وصحح هذا الرأى ابن مالك (٧) .

وقيل ان الفلك اسم مفرد يذكر ويؤنث (٨)

والاولى أن نجعل هذه الألفاظ من قبيل اسم الجمع ، فانها وان كانت على أوزان الجموع الا أنه لا مفرد لها من لفظها . فان قيل أنه قد اتحد فيها لفظ المفرد والجمع . قلنا ان التفريق بينهما حينئذ يوقع فى لبس ولا يعرف الا بالقرائن وعلى فرض أن لها مفرد قد اتحد مع الجمع فى لفظه فأين التغيير الذى حدث بين المفرد والجمع ؟ فان قيل : انه تغيير مقدر قلنا ان هذا تكلف لاداعى له لأننا اذا جعلناها من باب اسم الجمع خرجنا من هذا التكلف . ومم اختلف فيه أيضا قولهم : توأم وتؤام ، وظئر وظؤار ورخل ورخال فعند سيبويه أن تؤام وظؤار ورخال جموع وعند غيره هى اسم جمع (٩) .

وهناك ألفاظ أخرى وقع فيها خلافهم فبعضهم جعلها من قبيل اسم الجنس الجمعى وبعضهم جعلها من قبيل اسم الجمع .

منها قولهم : كمأة وكمأ وجبأة وجبأ . فذهب الخليل (١٠) ويونس وابو زيد (١١) الى ان كمأة وجبأة (١٢) اسما جمع واحدها كمء وجبأ . وعلل سيبويه كون (كمأة) اسم جمع بأنها تصغر على لفظها فتقول : كميئة.

---

(١) كابن منظور فى اللسان (روى) .

(٢) كابن مالك فى التسهيل ٢٨١ وأبو حيان فى الارتشاف ١٢٥/١ .

(٣) والاروى اناث الوعول .

(٤) اللسان روى ١٧٨٧/٣ .

(٥) سيبويه ٥٧٧/٣ ــ ٦٣٩ ــ شرح الشافية للرضى ١٣٥/٢ ــ اللسان (فلك) ٣٤٦٥/٥ الهمع ١٨٥/٢ .

(٦) شرح الشافية ١٣٥/٢ ــ ١٣٦ .

(٧) التصريح ٣٠٠/٢ والهمع ١٨٥/٢ والتسهيل ٢٦٧ .

(٨) الهمع ١٨٥/٢ .

(٩) سيبويه ٦١٧/٣ وشرح الشافية ٢٠٦/٢.

(١٠) ينظر العين للخليل ٤٢٠/٥ حيث قال : الكمأة نبات ينقص الارض فيخرج كما يخرج الفطر واحدها كمأ ، والجمع الكمأة. وينظر ايضا سيبويه ٦٢٤/٣ .

(١١) الاقتضاب ٦٣/٢ ــ ٦٤ .

(١٢) الجبأة هنة بيضاء كأنها كمء ولا ينتفع بها اللسان (جبأ) .

اسم الجمع

وذهب أبو خيرة الى أن (الكمأ) اسم جنس جمعى واحده الكمأة كتمر وتمرة (٤)

ومما يؤيد القول الاول فى هذا ما نقله صاحب اللسان وصاحب الاقتضاب فى قولهما (وقال منتجع كمء للواحد وكمأة للجميع فمر رؤبة فسألاه ، فقال : كمء للواحد وكمأة للجميع كما قال منتجع) (٥) .

ومنها الألفاظ التى جاءت على وزن (فعلاء) كشىء وأشياء قال ابن (٦) سيده (أشياء زعم الخليل أنها لفعاء ، وزعم أبو الحسن أنها أفعلاء . قال الفارسى : اذا كانت أشياء (لفعاء) مقلوبة عن فعلاء فهو اسم للجمع كقصباء وطرفاء (وحلفاء) (٧) .

وقد تابع أبو حيان الفارسى فى عد هذه الألفاظ من أسماء الجموع (٨) .

وذهب كثير من النحاة الى كون هذه الأسماء من قبيل اسم الجنس الجمعى ، ويفرق الجمع من الواحد بالوصف فيقال : عندى طرفاء كثيره وطرفاء واحده (٩) .

والرأى الأحق بالقبول فى هذا هو رأى جماهير النحاة وهو أن نجعل هذه الألفاظ من قبيل اسم الجنس الجمعى لانها أسماء نبات يخلقها الله دفعة واحدة ،كالشجر والنخل فهى تدل على الماهية ولا تدل على الآحاد كقوم ونفر . ولأنه يفهم هذا من كلام سيبويه ألا تراه يقول (لما كانت تقع للجميع ولم تكن أسماء كسر عليها الواحد ارادوا أن يكون الواحد من بناء فيه علامة التأنيث كما كان ذلك فى الأكثر الذى ليس فيه علامة التأنيث ويقع مذكرا نحو : التمر والبر والشعير وأشباه ذلك) (١٠) ويقول (ولم يجيئوا بعلامة سوى العلامة التى فى الجميع ليفرق بين هذا وبين الاسم الذى يقع للجميع وليس فيه علامة التأنيث نحو : البسر والتمر (١١) فتشبيهه لهذه الاسماء بالتمر والبر والشعير ، وأن علامة التأنيث الذى فيه تشبه علامة التأنيث فيها يشعر بأن هذه الاسماء عنده من قبيل اسم الجنس ، ولا سيما أنه لم يشبهها بنسوة ، أو بلفظ آخر من ألفاظ اسم الجمع .

ومما يشير الى كون هذه الاسماء من قبيل اسم الجنس الجمعى أن بعض اللغويين قد حكى لها مفردا مقترنا بالتاء . قال : طرفة ، وقصبه وحلفة . فهذا يقوى كونها اسم جنس جمعى حيث ميز بينها وبين مفردها بالتاء .

يتبع

د / خالد عبد الحميد أبو جندية

---

(٤) الاقتضاب ٦٣/٢ — ٦٤ .
(٥) اللسان (كمأ) ٣٩٢٦/٥ والاقتضاب ٦٣/٢
(٧) المخصص ٦٣/١٦ .
(٧) الحلفاء من الاغلاث ، والطرفاء شجر والقصباء جماعة القصب المخصص ٦٣/١٦ .
(٨) الارتشاف ١٢٤/١ .
(٩) شرح ابن يعيش ٨٠/٢ وشرح الشافية ١٩٨/٢ — ١٩٩ .
(١٠) سيبويه ٥٩٦/٣ .
(١١) سيبويه ٥٩٧/٣ .

الرّمز في الأدب الصّوفي

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

أصبحت الرمزية مذهبا من مذاهب الفن الأدبي على يد بعض الأدباء الفرنسيين الذين أصدروا بيانا الى القراء يوضحون فيه الهدف من مذهبهم قالوا فيه :

ان هدفهم من هذا الاتجاه الذى لم يعهده الناس هو تقديم تجربة جديدة تؤدى فيها الكلمات دلالات وجدانية ، وتلبس الفكرة المجردة ثوبا حسيا ملموسا .

كان ذلك فى أواخر القرن التاسع عشر .

ولم يلبث أن تأثر بهذا الاتجاه تأثرا متفاوتا أدباء الشرق فى وطنهم العربى أو فى وطنهم المهاجرى الجديد .

ولكن الحق — الذى يجب أن يقال — هو أن هذا الاتجاه ليس وليد البيئة الفرنسية فى القرن التاسع عشر كما يشير البيان السابق ، ولكنه مسبوق باتجاه صوفى قديم ، حتى لقد نسبت الرمزية الى الصوفية فى كثير من الأحيان . فالصوفية هم من أسبق الأدباء الذين عرفوا الرمز أسلوبا يعبرون به عن مكنونات ضمائرهم وعن أذواقهم ومعارفهم التى يضنون بها ويغارون عليها .

والرمز — أيضا كأداة من أدوات التعبير ليس فنا مستحدثا ، ولكنه وسيلة مألوفة . عبر عن ذلك المرحوم العقاد حين قال :

انه شىء فى طبيعة الانسان ، وهو مألوف على حالة واحدة لا يخلو منها معرض الرمز والكناية وهى حالة الاضطرار والعجز عن الافصاح ، فلم يرمز الانسان قط وهو قادر على التصريح والتوضيح ، ولم يجد كلمة واضحة لمعنى واضح ثم آثر عليها الالتواء شغفا بالالتواء .

نقلا عن كتاب أفيون الشعوب .

وفى هذه العبارة اشارة لما يجب أن يكون عليه الرمز من عدم الجنوح الى الغموض والابهام الذى يصبح معه النص الأدبى ضربا من الأحاجى والألغاز ..

وللدلالة على أن الرمز فن قديم فى الأدب العربى صوفيا أو غير صوفى . كتاب « الملاحن » الذى وضعه العلامة اللغوى « ابن دريد » وقال فى مقدمته :

هذا كتاب ألفناه ليفزع اليه المجبر على اليمين فيعارض بما رسمناه ويضمر خلاف

ما يظهره ليسلم من عادية الظالم ويتخلص من حيف الغاشم •

ثم قال :

وأصل اللحن أن تريد الشيء فتوري عنه بقول آخر •

معنى الرمز :

أشار « ابن دريد » في عبارته تلك الى مفهوم للرمز ، وللرمز في اللغة وسائل منها :

الايماء والاشارة بالأطراف المختلفة كالعين واليد والشفتين ، ومن ذلك قوله تعالى في قصة زكريا عليه السلام •

« قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا » ومن ذلك قول الشاعر العربي القديم :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها
اشارة محزون ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا
وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم ••

ويقرب الزمخشري في كتابه « أساس البلاغة » مفهوم الرمز الى المفهوم الاصطلاحي فيقول : رمز اليه ، وكلمة رمزا بشفتيه وحاجبه وكتيبة رمازة أي تموج من نواحيها • قال ساعدة بن جؤبة :

تحميهم شهباء ذات قوانس
رمازة تأبى لهم أن يحربوا

وتقول : شتان بين منازلة الرمازة ومغازلة الرمازة •

فتفسيره لمعنى كتيبة رمازة يوحى بمدى ما يموج به الرمز من معان ويندرج تحته من أسرار •

وقد اصطلح الأدباء على أن الرمز وسيلة التعبير عما لا يمكن أداؤه بواسطة التصريح ، وفي هذا المعنى يقول الأستاذ الدكتور مصطفى ناصف في كتابه الصورة الأدبية :

« الرمز لمحة من لمحات الوجود الحقيقي ، يدل عند الناس ذوي الاحساس الواعي على التعبير عنه بغيره ، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي ، هو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته •• » •

ويدخل في نطاق الرمز كل ما يشير الى المعنى المقصود ويوضحه من وسائل التعبير المجازي كالتشبيه والاستعارة والكناية والتورية ، وان كان هناك فرق بين هذه الالوان المجازية وبين الرمز ، ففي الاستعارة ـ مثلا ـ لابد من وجود قرينة تمنع من ارادة المعنى الأصلي ، أما الرمز فانه يسمو عن القرينة ، لأنه يفيض بمعان واسعة ودلالات متعددة ترتفع عن مجرد المشابهة والمشاكلة التي نراها بين طرفي التشبيه • وهكذا •

الرمز الصوفي :

ولعل تفسير الرمز بأسلوب الصوفية أنفسهم أنسب للموضوع الذي نحن بصدده :

فالطوسى يقول « الرمز معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به الا أهله ، سواء كان هذا اللفظ غزلا أو غير غزل » .

ومن الرموز التى لا تنحو منحى الغزل اجمال المعنى الجزيل فى لفظ قليل ، ويدخل فى نطاق ذلك على وجه التمثيل حكم ابن عطاء الله السكندرى التى يقول عنها الدكتور أبو الوفاء التفتازانى فى كتابه عن ابن عطاء الله « ولحكم العطائية من حيث هى مصنف صوفى خاصة واضحة هى الرمزية ، وابن عطاء الله فى استخدامه لأسلوب الرمز متابع للصوفية فيما عمدوا اليه من اخفاء أذواقهم عن طريق استعمال الألفاظ والاصطلاحات الخاصة أو دمج كثير من المعنى فى قليل من اللفظ ، وهذا ما جعل كثيرا من الشراح يتهيبون شرحها لما تنطوى عليه من أسرار ومكنونات » .

الاشارة والرمز :

ويفرق الصوفية بين الاشارة والرمز ، وان كان المفهوم العام يجمعهما عند **الأدباء ، ولكن لدقة هذا الأسلوب عند الصوفية جعلوا له أصولا وقواعد حتى ورد عنهم قولهم : « علمنا كله اشارة فاذا صار عبارة خفى » . أى خفى سره وغمض معناه ، وهذا يعنى أن الاشارات والرموز أصبحت لديهم القاعدة المرعية فى التعبير ، كما أصبحت العبارات الواضحة غريبة فى ميدانهم .**

والاشارة كما يقول « ابن عجيبة » فى كتابه ايقاظ الهمم « هى تغزلاتهم وتلويحاتهم بذكر ليلى وسلمى وذكر الخمر والكئوس والندامى وكذكر الأقمار والنجوم .

وأما الرمز فهو ايماء وأسرار بين المحبوب وحبيبه لايفهمها غيرهما ، ومنها فى القرآن فواتح السور ، وفى الحديث قول النبى ﷺ : ان عبدا خيره الله بين ما عنده وبين زهرة الدنيا فاختار ما عند الله . ففهم أبو بكر رضى الله عنه رمز النبى ﷺ عن نفسه بهذا العبد .. وقال : بل نفديك بأنفسنا يارسول الله .

ويقول ابن عجيبة : والناس فى ادراك ذلك أقسام :

فمنهم من لا يفهم شيئا .

ومنهم من يفهم المقصود بعد سماع الاشارة .

ومنهم من يفهم المراد فور تلقى الاشارة أو يجد المشار اليه أقرب من الاشارة وهم أهل الفناء .

والواقع أن هناك علاقة وثيقة بين الاشارة والرمز والتلويح والتعريض والتورية وألوان المجاز فكلها تشير الى مدلولات خفية عن طريق أبعد من صريح العبارة وظاهر اللفظ .

دوافع الرمز :

ودوافع الرمز قد تكون نفسية أو موضوعية ، وأستعين بتعليل رواد الصوفية أنفسهم :

فابن عربى يقول فى تعليله ايثار الرمز : « انما قصدت الى هذا الأسلوب لأنه تتوافر معه الدواعى النفسية التى تجعل النفوس

الانسانية أكثر اقبالا على مايقرأ أو يسمع أصحابها وأشد قبولا له واجتذابه(١) واصغاء اليه : وهذا لأن النفس تكون أكثر تشوقا وتطلعا لما يحتاج الى اعمال الذهن وكد الخاطر وبذل المجهود •

أما ابن الفارض فيرى أن الرمز يشير الى اللطافة والرقة والدقة مما يجعله أكثر اتساعا للحقائق الروحية والدقائق العلية من العبارة الصريحة • وهذا حق فكم من اشارة أغنت عن عبارة وأحيانا يكون الصمت أبلغ من الكلام •

أشار الى رأى ابن الفارض الدكتور محمد مصطفى حلمى فى كتابه عن ابن الفارض •

الا أن الدافع الأهم عند الصوفية هو القصد الى صون جلال ما يشعرون به من حب ووجد أو ما يدركونه من الهامات ومعارف ومشاهدات ، وذلك أن العلم فى رأى الصوفية ثلاثة أنواع ، أوضحها الشعرانى فى كتابه « اليواقيت والجواهر » • بقوله : العلوم أنواع :

(أ) علم العقل وطريقة التأمل والنظر والاطلاع ، وعلامته انك كلما بسطت عبارته حسن وفهم معناه وعذب عند السامع الفهيم •

(ب) وعلم الأحوال وطريقة الذوق وعلامته — ان كان مكتسبا — أن يدخل فى ميزان المعقول ، وان كان موهوبا لا تقبله العقول غالبا •

(ج) وعلم الأسرار وطريقة الالهام ، وعلامته أنه ان أخذته العبارة يسمج ويبعد دركه عن الأفهام وربما رمى صاحبه بالكفر والمروق من الدين كما ورد عن بعضهم

يارب جوهر علم لو أبوح به
لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال المسلمين دمى
يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وهذا ما جعل الغزالى — احيانا يؤثر التلويح على التصريح والاشارة على العبارة حين قال :

وكان مما كان مما لست أذكره
فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

وجعل بعضهم يسكت عن الكلام ويقول :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد
لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

والطريق الذى حصل الصوفية به على علم الاسرار هو الحب • فقد أوصلهم الحب لله الى المعرفة الكاملة واليقين الحق • حين أحبوا الله حبا ملك عليهم جوارحهم ، كما أحبوا النبى ﷺ حبا شديدا ، ومنهم من صرح فى أشعاره بهذا الحب ومنهم من آثر التلويح والرمز •

المحبة الصوفية : لقد أصبحت المحبة الصوفية

مقاما يتمرسون به ويقيمون فيه ويستشعرون فيه اللذة والأنس والصفاء والنقاء ، وحفلت كتبهم ورسائلهم وأشعارهم بالتعبير عن هذا المقام فى أساليب مختلفة تدل على قدم راسخة فيه ، وقد استطاعوا على حد تعبير الدكتور محمد مصطفى حلمى — « أن يحددوا ماهية الحب ويكشفوا عن طبيعته فى معانيه العامة الانسانية من ناحية وفى معانيه الخاصة الالهية من ناحية أخرى » .

ووضعوا للمحبة تعريفات متعددة ، وهى وان كانت كثيرة الا أن اصحابها يتفقون على مؤداها ومرماها ، كما يتفقون على الصبغة التى اصطبغت بها وفى الطابع الذوقى الذى هو خط مشترك بينها .

فالمحب — فى رأى أبى سعيد الخراز — يتعلل الى محبوبه بكل شىء ولا يتسلى عنه بشىء ، ويتتبع آثاره ولا يدع استخباره .

ويقول عن المحبة : « من أعطى من المحبة شيئا فلم يعط مثله من الخشوع فهو مخدوع . ومعنى ذلك أن المحبة تقتضى الانقياد والطاعة، وطريقها عند الصوفية معروف ، وهو أن يصفى الانسان نفسه ويحول بينها وبين ما ينزل بها الى المستوى الدنىء ، وأن يأخذ نفسه بالمجاهدة والتهذيب حتى يصل الى غاية كريمة يتكشف له من خلالها ألوانا من المعارف والمشاهدات والفيوضات لا تتكشف لغيره من الناس .

وعلى ذلك فالحب — عند التسترى — « هو معانقة الطاعة ومباينة المخالفة » والمحبة — فى رأى الجنيد — « هى دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب » أما المحبة عند الشبلى فهى تعنى الغيرة .

وعند ابن عطاء هى ما يرتجم عنه بقوله : —

غرست لأهل الحب غصنا من الهوى .
ولم يك يدرى : ما الهوى ؟ أحد قبلى
فأورق أغصانا وأتبع صبوة
وأعقب لى مرا من الثمر المحلى
وكل جميع العاشقين هواهم
اذا نسبوه كان ذاك من الاصل

ومعنى ذلك أن محبة الله للعبد سابقة على محبة العبد لله .

وربما أدت المحبة الى هتك الأسرار وكشف الاستار كما يقول أبو الحسين النورى فى تعريفها . ولكنها قد تكونبمعنى الفناء — كما يعبر عن ذلك أبو يعقوب السوسى — بقوله : « حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله عز وجل وينسى حوائجهاليه .

أو كما يقول المحاسبى « المحبة ميلك الى الشىء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ، ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه » .

ويعبر عن هذا المعنى أيضا أبو عبد الله القرشى قائلا « حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شىء » .

٥

وغنى عن القول أن تذكر روعة هذا الحب وأثراه وفعله فى النفوس والأرواح ، حتى حرك أشجان شعرائهم وأطلق عقال ألسنتهم وأوحى اليهم بمعان عذاب ، فحلقوا بأغاريدهم الرائعة بخواطر لا تخطر على البال . وحتى أصبح هذا الحب المثالى باعثا قويا على التمسك بالاخلاق الفاضلة ووسيلة من أقوى الوسائل لتهذيب السلوك ، وحتى أصبح الجمال الحسى فى نظرهم مظهرا للجمال المعنوى ووسيلة اليه .

وقد اهتدى الى هذه النظرة الصوفية المثالية للجمال شعراء كثيرون لم يكونوا صوفيين :

منهم العقاد الذى استشهد له الدكتور عبد العزيز الدسوقى فى كتابه «جماعة أبولو» بهذه العبارة « سميت احدى قصائدى بالغزل الفلسفى تحديا للضيق العقيم الذى يزعم أننا نتغزل لاستهواء الحبيب ، والحق أن الغزل تعبير عما نشعر به حين نرى الوجه الجميل والخلق القويم ، وبعض القرائح تستحضر جمال الحياة بأسرها وما تنطوى عليه من الأسرار حين تنظر الى الوجوه الجميلة ، فلماذا يحرم علينا أن نمثل هذا الشعور ؟ » .

وربما وجدنا ما يشبه ذلك لدى الفلاسفة القدماء ، فأفلاطون يذكر « أن المحب يتدرج فى طريق وصوله الى الله من تعلقه بشخص محبوبه الى تعلقه بجميع الأشخاص الجميلة ، ثم يتدرج من حب الاشخاص الى حب الأفكار الكلية والمبادىء العامة حتى يصل الى معرفة الصور ثم الى الجمال المحض أى الله»

ومن هنا كان لأشعار الصوفية عن الحب روعة خاصة ، وهذا هو ما يعبر عنه الدكتور محمد غنيمى هلال فى كتابه المدخل الى النقد الادبى بقوله :

« كان لاشعار الصوفية ومعانيهم الغزلية روعة وجدة لا سبيل اليها الا بتجاوز الجمال الحسى ، وكانت فى أشعار الصادقين منهم فى عاطفتهم الروحية معان ذات وجهين ، فظاهرها منصرف الى الوسيلة فى الجمال الحسى ، وباطنها مقصود به الغاية فى الجمال الخالد ، وهكذا كان هذا النوع من الغزل الصوفى ظاهرة عنى بها فلاسفة الصوفية وشعراؤهم ، وهو يعبر عن مبادىء وعقائد عاش لها هؤلاء الصوفيون ، وكانوا يعبرون عن عقيدتهم وايمانهم لأنهم أدخلوها فى مبادىء الدين عن طريق التأويل » .

هذا وقد تطور الرمز الصوفى تطورا ملحوظا عبر العصور . تطورا له حديث خاص ان شاء الله تعالى .

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

الإسلام
الأمس والغد

تأليف : محمد أركون.لوى غارديه
ترجمة : على المقلد
عرض وتعليق
أ. د. طه مصطفى أبو كريشة

تقـــديم :

تحت هذا العنوان عرضـنا فى عـدد شهر المحـرم للقسـم الأول من هـذا الكتاب .

وكان عن تاريخ الاسلام ، وعما فيه من قيم روحية ، وعن الصحوة الاسلامية التى بدت بشائرها فى أرجـاء كثيرة ، تنـادى بضرورة العودة الحقـة الى الاسلام ، حين أخذت البلدان الاسلامية تعى ماضيها المجيد ، وقوتها الكامنـة ، وما ينتظرها من مستقبل زاهر .

وقد طرحنا فى ختام ذلك المقال تســاؤل المؤلف عن كيفية هذه العودة وهــو « هـل سيتم ذلك فى اطار احترام القيم الموروثـة وتجديدها ؟ أو فى اطـار علمـانى يدمج بين السياسى والروحى ؟ أو فى اطار اســلام محافظ شديد المحافظة » .. وقد كتب هـذا القسم المستشرق الفرنسى : لوى غارديه .

هذا التساؤل هو ما يعالجه القســمان الثانى والثالث من هذا الكتاب ، وهما من كتابة (محمد أركون) ، وفى مقال هذا العدد نعرض لتلك المعالجة . التى لا تحدد اجابة واحــدة بقدر ما تعرض للواقع الحاضر الذى يضـم التيارات التى نبـع من ورائها هذا التساؤل .

— ١ —

أما القسم الثانى من الكتاب فهو بعنــوان (الفكر : كيف الكلام عن الاسلام اليوم ؟) وفصوله من السادس الى التاسع من جملـة فصول الكتاب .

**** فى الفصل الســادس يصدر المؤلف** حديثه بالآية الكريمة **(شَرَعَ لَـكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَـا**

وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) الشورى ١٣[1] .

وفى بداية هذا الحديث يقول المؤلف « من أجل تحديد شروط امكانية قيام فكر اسلامى متحرر ومحرر ، نطرح السؤال : كيف يمكن الكلام عن الاسلام اليوم ؟ » .

ثم يقبول ان التساؤل ملح وان الاجابات عنه تتعدد وفقا للحالة السياسية والاقتصادية والثقافية ، ومع ذلك فانه يحدد مجال البحث فى نقاط أربع هى عناوين فصول هذا القسم وهذه النقاط هى : مفهوم الحداثة ــ مفهوم الاسلام ــ اسلام الأمس واليوم ــ الاسلام فى سباقه مع التطور .

ثم يعرض فى بقية حديث هذا الفصل لمفهوم الحداثة ، وماذا يعنى ؟ من وجهة نظر الفكر الغربى ، ويستخلص من كلامه أن الحداثة تساوى حركة النهضة وحركة الاصلاح الدينى التى تغلبت فى الغرب على انقاض القرون الوسطى التى يطلق عليها العصر الوسيط .

فماذا كان من أثر هذا التحديد الزمنى لمفهوم الحداثة ؟ يقول المؤلف انه كانت له آثار أكثر ظلما فيما يتعلق بالحضارة العربية والاسلامية من جانبين .

أولهما : أن هذه الحضارة طرحت ظلما ضمن ظلمات العصر الوسيط المظلم عند الغربيين .

وثانيهما : أن الحضارة الاسلامية تعرضت لهجمات شرسة ، قادتها الأهواء المغرضة التى خلقتها عملية الاسترداد الأسبانية فيما بين القرنين السابع والثانى عشر الميلادى ، وكانت النتيجة اغفال كثيرين من المؤلفين العرب والمسلمين فى هذه الفترة ، وكذلك تجاوز حقبة تاريخية مضيئة خاصة بالعرب والمسلمين ، وهى حقبة لها دخل كبير فى الحضارة الغربية ، ومن التجنى تنحيتها حين يؤرخ لهذه الحضارة .

واذن فليس غريبا بعد ذلك أن يزداد سخط العرب والمسلمين حين يكتشفون أن تاريخهم المجيد يدرسه الغربيون تحت الاسم المهين الذى وضعوه لحقبة من تاريخهم (العصر الوسيط) ، مع أن « فورة الحداثة الفكرية والعلمية والتقنية فى الغرب انطلاقا من القرن السادس عشر تجد أصولها فى الجهد الخلاق للفكر وللعلم العربيين ، خلال العصر الذهبى ، بل ان الثورة الاجتماعية ذاتها ، وبواكير الديموقراطية قد تحققت أو دونت فى

---

(١) جاء رقم الآية فى الكتاب (١٢) والصواب ما اثبتنا .

القـــرآن وفى ســـــنة النبى ﷺ وفى نهج الصحابة » (١٠١) •

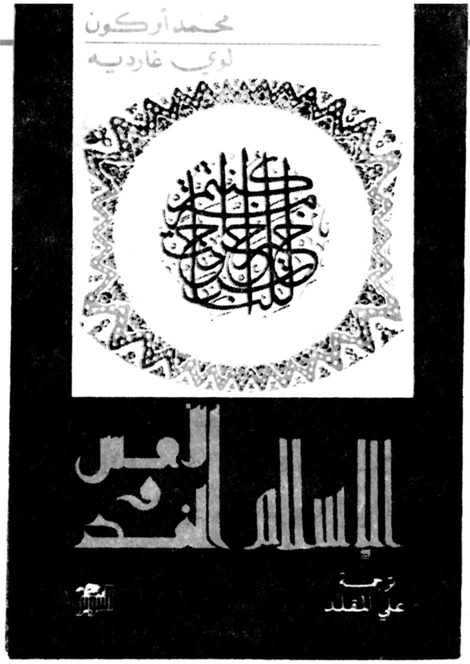
ويكمل المؤلف هذا التحـديد التـــاريخى للحداثة بتحديد فلسفى يميز بين نوعين مـن الحداثة هما : الحداثة المـادية والحــداثة الفكرية •

فالحداثة المادية تدل على التحسينات التى أدخلت على الاطار الخـــارجى للوجــود الانسانى ، أما الحداثة الفكرية فهى تتضمن المناهج وأدوات التحليل التى تجعل العقــل يعمل فى مجال أكثر ملاءمة للواقع ، وبين هذين النوعين صلة مباشرة ذلك لأن الاستفادة مـن الحداثة المادية مرهونة تماما بنوعية ما تحقق من الحداثة الفكرية •

ومن هذا التحديد الفلسفى للحـداثة وما يشير اليه من معنى التغيير والتحسين ، يذكر المؤلف فى نهاية هذا الفصل ان فى الاســـلام ما يكفى لاحداث التغيير فى العالم الى ما هــو أحسن وأجدى ، ذلك لأنـــه « بالامكـــان ان طبقنا تعاليمه بدقـــة ، أن نتفـــادى كـــل الضلالات ، وكل أزمات الحضـــارة الغربيـــة المزعومة ، بل وبالعكس بناء حضارة مثـــالية بالنسبة الى البشرية جمعاء » (١١٣) •

✻✻ وتحت عنوان « مفهوم الاسلام »

يقدم المؤلف فى الفصل السابع اشارة موجزة الى حقيقة الاسلام فى جانب العقيدة وجانب السلوك ، مبينا دوره فى حياة الفرد ، ويذكر



فى مقدمة هذا الحديث أنه قد حدث خلط كبير عند كثير من الـــذين يعنـــون بدراســـة الاسلاميات ، ذلك حين لم يستطيعوا الفصـــل بين المعالم الحقيقية للاســـلام وبين الـــواقع الزمنى لحياة المسلمين ، ويـــرى أن هـــذا الخلط قد أدى الى أن يدخـــل تحت كلمـــة (اســـلام) كل ما هو حاصل فعلا فى أى بلد يمثل المسلمون فيه غالبية السكان ، مما أدى فى نهاية المطاف الى تكوين صـــورة مشـــوهة للاســـلام تتفق مع أهداف المسيحية الغربيـــة ذات الرســـالة التبشيرية •

أما حديثه فيما يتعلق ببيـــان مفهـــوم الاسلام فى الجوانب التى ذكرناها فانه يشير فيـــما يتصل بالعقيدة الى مـــا هو مـــودع فى القرآن والسنة مما يكون قوى أخلاقية ذات

◄

جذور راسخة فى نفوس المسلمين ، وفيما يتصل بالسلوك فانه يشير الى دور التشريع ودور القواعد الفقهية فى تنظيم هذا السلوك .

أما فيما يتصل بحياة الفرد فى ظل الاسلام فان المؤلف يركز على كون الاسلام لا يقيم حاجزا بين الفرد وبين توجهه الى الله سبحانه وتعالى ، كما يشير الى أن كل مسلم يتمتع بحرية مبدئية فى أن يكون لنفسه سلوكه وتدينه بالرجوع مباشرة الى القرآن والى السنة النبوية وان كان ذلك فى اطار لا يخرجه عن الاجماع (١١٦ — ١٢٩) .

بقى أن نشير أن حديث المؤلف فى هذا الفصل حديث غائم غامض تشوبه عجمة التعريب ، وغرابة الألفاظ المولدة ، مما باعد بين ظاهر العنوان ومضمون الأفكار ، وربما كان ذلك عائدا الى لغة المترجم لا الى فكر المؤلف .

** **والفصل الثامن عنوانه « اسلام الأمس واليوم »** وفيه يشير المؤلف الى الحركات الاسلامية المعاصرة فى مختلف البلاد الاسلامية ، وبصفة خاصة فى تلك الدول التى اتخذت منهجا سياسيا بعيدا عن الاسلام ثم عادت اليه بعد حين ، ويقدم المؤلف فى هذا الفصل نماذج من أفكار بعض زعماء هذه الحركات ، ومن فكر بعض المفكرين الاسلاميين الذين لا ينتمون الى حركة بعينها ، وفى هذه النصوص نرى تقديما مركزا لمنهج الاسلام فى قيادة الفرد وقيادة الجماعة،

مع الاشارة الى أن ما حل بالمسلمين من ضعف ومن تسلط الأمم الأخرى عليهم ، انما كان بسبب بعدهم عن قيم الاسلام ، وليس لأمر آخر راجع الى ذات الاسلام ، وشواهد التاريخ تثبت أن المسلمين كانوا قادة الأمم عندما تمسكوا به ونفذوا تعاليمه ، ثم تخلت عنهم هذه القيادة بمقدار ما ابتعدوا عن منهج الاسلام .

ويستنبط المؤلف من خلال النصوص التى قدمها أن تعاليم اسلام الأمس موجودة ومستمرة فى واقع اسلام اليوم ، أى فى واقع فكر من ينادون اليوم بضرورة الرجوع الى جوهر الاسلام ، لتتحقق القوة المسلمين ، ويعود المجد للاسلام (١٣١ — ١٤٨) .

** **أما الفصل التاسع وهو الأخير فى هذا القسم فعنوانه « الاسلام فى مسيرة التنمية »** وفيه يشير المؤلف الى موقف العلماء المسلمين المعاصرين تجاه القضايا الاقتصادية والفكرية والسياسية ، ففى الجانب الاقتصادى يذكر المؤلف أن علماء المسلمين ينادون بتميز الاسلام فيما يتصل بالملكية الفردية ، وأنها ميزة لا تبلغ سموها النظرية الرأسمالية والنظرية الشيوعية ، فالاسلام فريد فى بابه ، اذ كل شىء ملك لله ، والانسان يحمل مسئولية الافادة من الأموال التى تقع بين يديه من أجل خدمة الجماعة .

وفى الجانب الفكرى يعرض المؤلف لأولئك المفكرين الذين برزوا فى المجتمعات الاسلامية

منادين بفكر علمانى يرحب بكل فكر غربى وافد ، مشيرا فى الناحية المقابلة الى أولئك العلماء المسلمين الذين وقفوا ضد هذا الاتجاه ، ناظرين اليه على أنه غزو فكرى تجب مقاومته ، كما يقاوم الاستعمار العسكرى ، مؤكدا على أن هؤلاء لا يرفضون كل فكر وافد ، لأنه وافد وانما يرفضون الجانب الذى يتصادم مع دعوة الاسلام وتعاليمه وأخلاقياته وفيما عدا ذلك فان الاسلام يرحب بكل علم يساعد على تقدم الانسان ، وعلى افادته من ثروات هذا الكون .

أما الجانب السياسى المذهبى فان المؤلف يشير الى تلك التجارب السياسية المقتبسة من الشرق أو الغرب ، والتى حاولت بعض البلدان الاسلامية تطبيقها ، فأخفقت فى الوصول الى غاياتها التى تعود بالنفع الى مجموع الجماهير ، وهنا يذكر المؤلف كيف يستغل الدين لترويج مثل تلك الأشكال السياسية ، الأمر الذى يؤدى الى رد فعل لدى الملتزمين بأصول الدين .

وفى نهاية الفصل ينادى المؤلف بضرورة ايجاد فكر حديث يجمع بين الأوصاف الاسلامية وأوصاف الحداثة دون تناقض مع ضرورة استعادة كل فكر محترم موروث ، وابعاد الأخطاء والأساطير التى ثبت خطأها بالبحوث العلمية الحديثة ، هذا مع القيام بدون تحفظ بتحمل كل العواقب النظرية والتطبيقية التى تستدعيها المعرفة العلمية (١٤٩ ـ ١٦٠) .

ـ ٢ ـ

ومن القسم الثانى من الكتاب ينتقل المؤلف الى القسم الثالث ، وهو آخر أقسامه ، ويعنون هذا القسم بعنوان « الحياة » ويأتى تحته بفصول أربعة ، من الفصل العاشر الى الفصل الثالث عشر من مجموع فصول الكتاب .

* أما الفصل العاشر فعنوان "**المسلمون فى العالم**" : وفيه يبين وضع العالم الاسلامى وسط الثقافات والأنظمة والعادات والتقاليد فى عالم اليوم ، وكذلك يبين عن الدور الذى ينتظر أن يقوم به الاسلام بالنسبة لمستقبل هذا العالم .

وفى البدء يكشف المؤلف عن التزايد السكانى العددى بالنسبة للمسلمين ، وهو تزايد ليس مقصورا على نمو المسلمين أنفسهم وتناسلهم ـ وانما هو تزايد يتجاوز ذلك الى من يدخلون فى الاسلام وينتقلون من أديان أخرى اليه ، وكذلك هو تزايد ليس مقصورا على بلاد المسلمين فحسب وانما هو تزايد أيضا فى داخل البلاد التى تدين بغير الاسلام ، وهو تزايد ملحوظ بصورة ظاهرة فى بعض هذه البلاد بحيث تؤدى كثرة المسلمين فى فرنسا الى أن يكون

٥

الاسلام هو الديانة الثانية بعد الكاثوليكية ، ويؤدى الحضور الاسلامى فى بلجيكا الى أن تعترف به الدولة اعترافا رسميا ضمن الديانات الرسمية ، وهو اعتراف له أهمية تاريخية فى بلد عريق فى تراثه المسيحى .

أما عن وضع الاسلام فى عالم اليوم فان المؤلف يشير الى أن الحديث عن الاسلام فى عالم الغرب يثير لديهم الشكوك وخيبة الأمل ،وربما توجسا من مستقبل يخافونه، أو من غلبة متوقعة منتظرة ، لأن الاسلام بقيمه وأخلاقه قادر على هذه الغلبة المتوقعة وكذلك فان المسلمين ما يزال يرسب فى أعماقهم ما قام به الغربيون نحوهم فى قرون عديدة ماضية ، صدروا فيها الكراهية تصديرا للمسلمين ، وفوق ذلك فان عصرهم القريب أو المعاصر فيه دلائل كثيرة على ما أثاره الغرب من مشاكل وقلاقل فى بلدان المسلمين ، وهى مشاكل تبدو فى ظاهرها سياسية ، لكنها فى حقيقة الواقع تنعكس بقسوة على الحياة الدينية .

واذن فهناك ثروة بشرية اسلامية فى تزايد مستمر وهناك ثقافة اسلامية عميقة الجذور ، باسقة الفروع ، ممتدة النمو ، لكن اليقظة المشهورة فى العصر الحاضر فى كل من هذين تواجهها معوقات ، تحاول الوقوف فى وجهها ، وتثبط من عزمها ، ذلك لأن كثيرا من تلك البلدان التى تتزايد سكانها ، هى فى الواقع متأخرة تأخرا ظاهرا فى أساليب حياتها المادية ، اذا ما قورن ذلك بما لدى العالم اليوم من تقدم هائل فى وسائل الحياة ، هذا الى جانب أنه ليس هناك توجيه حسن لطاقات الشباب المسلم ، الذى يشكو من البطالة فى أغلب هذه البلدان .

واختلاف المستوى المادى من حيث امتلاك وسائل الانتاج ووسائل التصنيع بين العالم الاسلامى والعالم الغربى ، أدى الى اختلال خطير فى التوازن .

فالعالم الاسلامى يقدم للعالم الغربى المواد الخام ثم يستردها فى صورة أدوات معقدة علميا لا يستطيع أن يستوعبها استيعابا كاملا مفهوما ، الأمر الذى يؤدى الى التمزق على المستوى الفردى والجماعى .

ترى هل الوضع المادى الحاضر للعالم الاسلامى اليوم هو انقلاب لوضع آخر كانوا عليه فى عالم الأمس ؟ لقد كانوا بالأمس العالم القوى بثقافته وبحضارته المادية ، وغيرهم كان هو المتلقى منهم ، أما اليوم فقد انعكست الصورة فى مجالهم المادى لقد أصبح غيرهم مالك الحضارة ، وأصبحوا هم الذين يتلقونها فى اعجاب متزايد ، وحسد وحنين بالغ ، ودلائل مثل هذا الوضع تظهر من خلال كل سلوك فردى فى اللباس والمطبخ والأثاث والمدن والأعمال الثقافية والمؤسسات.

وهنا يأتى الدور الذى يمكن أن يقوم به الاسلام حين تتأكد شخصيته بمعالمها البارزة ،

ذلك لأنه يستطيع حينئذ أن يمنع اكتساح هذه الحضارة بصورها المتعددة لكل ما يميز الشخصية المسلمة • (١٦٧ — ١٧٠) •

**** وفى الفصل الحادى عشر يتحدث المؤلف عن هذه الشخصية الاسلامية تحت عنوان « الهوية الاسلامية » •**

وفى بداية الحديث يتحدث المؤلف عن صعوبة التحديد اذا ما نظرنا الى البلاد العربية والاسلامية ، وما نراه من اختلاف فيما بينها فى الموقع واللغة والحكم ، والاتجاه المذهبى والتجارب التاريخية ، لكن هذه الصعوبة تزول اذا دار البحث عن الشخصية الاسلامية فى نطاق الواقع الاجتماعى والمحصول الثقافى ، لأن هذا هو الصورة المستمرة التى تشكل مظهر الاسلام منذ بدايته حتى الآن قبل مجىء هذه الأنظمة القومية التى ترتكز على حدود سياسية جامدة •

لكن المؤلف هنا جانبه التوفيق حين أشار الى ان الاسلام يتسع لكل العادات ويرحب بكل التقاليد التى يمارسها الافراد والجماعات سواء فى ذلك ما كان قديما متوارثا ، أو ما كان جديدا مستحدثا ، وموطن الخطأ هنا أن هذه العادات والتقاليد قد يناقض بعضها بعضا ، وقد تتصادم فى الوقت ذاته مع حقائق الاسلام الثابتة ، التى اليها المرجع فى قبول أو رفض ما يجد من عادات وتقاليد ، واذن فليس الواقع الاجتماعى ، ولا الواقع الثقافى المتولد عن ذلك دليلا قطعيا لا يرد على تحديد معالم صورة الشخصية الاسلامية فى كل حين (١٧٢) •

واذا نحينا الحديث عن العادات والتقاليد جانبا ، فاننا نرى المؤلف يحاول أن يستشف مظاهر الشخصية الاسلامية فى جوانب أخرى عقائدية وتعبدية وسلوكية ، ويخص بالذكر الالتزام بأركان الاسلام من خلال الحضور الدائم للقرآن الكريم ، ليس من خلال الأفراد فحسب ، وانما كذلك من خلال وسائل الاعلام بجميع أنواعها •

وفيما يتصل بالسلوك الدنيوى فان المؤلف يجعل من ملامح الشخصية الاسلامية ما يلتزم به المسلم فى حياته من جميع جوانبها ، بما أقره الفقهاء من قواعد وأصول استنبطوها من القرآن الكريم ومن السنة النبوية ومن حياة الصحابة •

ومرة أخرى يجانب التوفيق المؤلف هنا هو يعرض لمدى احترام المسلم لسلوكه المستمد من أصول الدين ، ذلك حين يذكرأن هناك من مظاهر النشاط الدنيوى ما يثير القلق ، ويدلل على ذلك على سبيل المثال ما قامت به باكستان من تطبيق الحدود الشرعية وما صدر كذلك فى بعض البلدان من قانون يلزم باعدام المرتد عن الاسلام • ولا ندرى ما الذى يثيره ذلك من قلق ، ولماذا ؟ (١٨٠) •
فالمعروف أن الاسلام ليس عقيدة فحسب ، وانما هو عقيدة وشريعة ، واعتقاد تترجم عنه

السلوك ، والتزام بكل المبادىء وليس بأخذ بعض الكتاب دون بعض ، وهذا ما يعطى للشخصية الاسلامية تكاملها ، ولن يكون التخير والالتقاط معطيا صورة حقيقية لهذه الشخصية بحال •

ويستطرد المؤلف بعد ذلك الى بيان أن هناك اسلاما مكتوبا في الكتب واسلاما معاشا فى حياة الجماهير ، ويذكر أن بينهما تباينا شديدا فى عالم اليوم • لكن كان الأجدر بالمؤلف بدلا من هذا التقسيم أن يشير الى أن هناك اسلاما واحدا من حيث التدوين فى مصادره مع قصور فى التطبيق يكون كبيرا أحيانا وقليلا فى أحيان أخرى ، فمن القصور كما ذكرنا سلفا أن يؤخذ الاسلام من الواقع المعاش للجماهير فحسب مع ما هم عليه من تسلط العادات والتقاليد والأحكام والخرافات (١٨٢) •

والحق أن حديث المؤلف عن ملامح شخصية الاسلامية ليس وافيا ولا مبينا كل الابانة ، وهو نقص خطير بالنسبة للقارىء غير المسلم الذى لا يستطيع أن يفصل بين جوهر الاسلام وبين الحياة الواقعية للمسلمين ، بل يسعده أن يرى الاسلام من خلال هذا الظاهر ان كان ممن ... أعداء للاسلام •

** وفى الفصل الثانى عشر يتحدث المؤلف عن العلاقة بين « الدين والمجتمع والتاريخ » • وفيه يذكر أن هناك من غير شك علاقة وثيقة بين الدين وبين المجتمع الذى يدين بهذا الدين ، فالدين وسيلة لاصلاحه ولتغييره الى واقع أحسن ، ومن خلال هذا التغيير عبر السنين يتكون التاريخ الذى قد يصبح يوما مثلا متقدما تنتظره الأجيال الحاضرة وتستنير به فى سبيل ايجاد القدوة والمثل المحتذى أو من جهة أخرى فى سبيل ايجاد النظير الذى يجب أن ينحى وأن لا يتكرر مرة ثانية •

وفى هذا المجال يستطرد المؤلف الى بيان ما قامت به بعض الجماعات الدينية فى المجتمعات الاسلامية من محاوله للتغيير فى المجتمع من واقع فهمها الخاص للدين ، ومن خلال استلهامها للتاريخ فى حركات أخرى مشابهة ، مشيرا الى ما وقعت فيه هذه الجماعات من تطرف انزلقت اليه بسبب التفاوت الشديد بين الناس فى ماديات الحياة •

ويقف المؤلف وقفة متأنية عند وضع المرأة فى المجتمع المسلم وكيف يعمل القائمون على أمر الدين على المحافظة الشديدة بالنسبة للمرأة ووظيفتها فى المجتمع من خلال القواعد الدينية وليس من خلال ما استقر لدى الذين عاملوا المرأة معاملة فيها قهر وتسلط من واقع الأعراف والتقاليد ، ويشير المؤلف الى أن العلماء الذين يقفون ضد كل ما يمس كرامة المرأة المتدينة ليسوا متزمتين ، وانما هم

يحاولون تدبير حماية لتوازن اجتماعي يعتبر لازما في الرؤية الاسلامية (١٩٧) .

ويعرض المؤلف للحياة الدينية الخاصة بالمرأة ، وكيف تتوقف عن القيام بالصلاة والصيام عندما تنزل بها دورة الدم الشهرية وقد أشار الى أنها تلزم باعادتهما ، وهذا خطأ منه ، فالقضاء انما هو بالنسبة للصوم لا للصلاة كما هو معروف .

وقد عقب على حياة المرأة الدينية بأن لها مكانا جانبيا هامشيا في العقيدة ، لكن لا نظن أن مثل هذا الاعفاء الوقتي يكون سببا وجيها لأن توصف بهذا الوصف الذي أورده فيما يتصل بالعقيدة ، وهو وصف فيه كثير من الجور والمبالغة ، فضلا عن الدلالة على قلة فهمه للأحكام التي صانت المرأة من الاختلاط ، وحددت لها حدودا معينة في اللباس ، وفي ترتيب مكانها عند حضور الصلوات في المساجد . ان ذلك ليس انتقاصا مفزعا كما يوحي به كلام المؤلف ، وانما هو تنظيم سلوكي من واقع ما أمر به الدين ، وليس من واقع رؤى ذاتية ابتدعها الفقهاء من عند أنفسهم .

** **ويختم المؤلف كتابه بالفصل الثالث عشر تحت عنوان « الكلي المجرد والكلية العيانية »** يعني بذلك الصورة المثالية في التصور والصورة الملموسة في عالم الواقع ، وهو تعبير مقتبس من اطلاقات الفلاسفة .

وهذا الفصل فصل سريع متعجل ، والذي يعنينا منه ما طرحه المؤلف من تساؤل قد يلقى به المعاصرون في وجه من يدعون الى الاصلاح الاسلامي اعتمادا على الموروث من مبادىء الاسلام هذا التساؤل هو : ما الذي يفيد المسلمين المعاصرين من الدعوة الى احياء الماضي مع أنهم في واقعهم في حاجة ماسة الى آلة اقتصادية فعالة ، والى فكر سياسي ثوري يعمل على اللحاق بركب التقدم ؟

ويجيب المؤلف عن هذا التساؤل بأنه من الحيوي بالنسبة للاسلام أن يحاول الافادة من كل فكر حديث لا يتصادم معه ، ومن التجارب الحديثة الممارسة ، وذلك دون انفصال عن الجذور الاسلامية التي تحدد ملامح الشخصية المسلمة (٢١٠) .

** أما ملحق الكتاب فهو تعقيب من (لوي غارديه) على ما عرضه (محمد أركون) في القسمين الأخيرين من الكتاب عن حاضر الاسلام من خلال الفكر والحياة .

لقد أحس لوي غارديه من كلام محمد أركون شيئا من النظرة القائمة التي نظر بها الى حاضر المسلمين اليوم ، وقد رد عليه بأن المشاكل الحالية لا ينبغي أن تشكل حاجزا وغشاء يفقد الأمل في عودة اسلام قوي ، لا يخشى الحداثة ، لأنه يوجهها توجيها يتلاءم معه بحيث تسير جنبا الى جنب مع القيم الايمانية المخلصة .

ثم قال « ان الحضارات الاسلامية ان عرفت كيف تظل وفية مخلصة لأفضل ما عندها من ايحاء ، فستبقى مؤهلة جدا لأن تقدم الكثير للثقافة الكونية في أيامنا » (٢٢٠) وهو تعقيب يغنيني عن التعقيب .

أ . د طه مصطفى أبو كريشة

الفتاوى

زخارف ... ودية

س : من المهندس د. شوقى .

رجل زخرف منزله بزخارف مصنوعة من الجبس مركبة على واجهة المنزل — سقطت بسبب العوامل الجوية على فتاة عمرها (١٨ سنة) تصادف مرورها تحت المنزل فى ذلك الوقت ، وتوفيت بعد نقلها الى المستشفى .

فهل هذه الواقعة قتل خطأ أو قضاء وقدر ؟

وهل تجب فيها الدية ؟ ... واذا وجبت فهل يكون الورثة ملزمين بدفع هذه الدية حيث ان صاحب العقار قد توفى بعد وفاة الفتاة ؟ وماهى قيمة الدية بالجنيه المصرى ؟ وهل الفتاة كالكبيرة فى الدية ؟ .. ما الحكم فى كل ذلك ؟

ج : الدية تثبت لورثة الفتاة المتوفاه بخطأ المدعى عليه أو تسببه فى موتها ، لعدم مراعاته لتلك الزخارف التى مضى عليها زمن ، وذلك بازالتها أو صيانتها .

وموت المدعى عليه لا يسقط هذه الدية عن عاقلة المدعى مهما طال الزمن ، اذ ان الحق لا يسقط الا بالأداء أو الابراء ، وعلى هذا فيجب على عاقلة المدعى عليه من عصبته أن يشتركوا فى دفع دية الفتاة الى ورثتها ، ودية الصغيرة كدية الكبيرة .

ومقدارها ستة آلاف درهم فضة مضروبة فى ٣/١٢ ، ومقدار ذلك بالجرامات ثمانية عشر ألف جرام وسبعمائة وخمسون من ألف عيار (٩٠) مضروبة فى ثمن جرام الفضة من السبائك غير المشغولة ... على أن تقسط الدية على ثلاث سنوات ... وبالاضافة الى ذلك يجب على ورثة المدعى عليه أن يؤدوا عنه كفارة القتل الخطأ ، باطعام ستين مسكينا ، أو قيمة ذلك وهى حوالى خمسين جنيها مصريا على أن توزع على ستين مسكينا .

حق الشفعة

س : من السيدة س عباس .

آل منزل الى ابنى القاصر واخوته لأب بطريق الميراث عن والدهم ، وتمت القسمة عن طريق القضاء . وتسلم كل منهم نصيبه فى المنزل . واخوة ابنى القاصر لأب يريدون أن يبيعوا نصيبهم الى شخص أجنبى .

فهل يكون لابنى القاصر حق الشفعة

إعـداد

عبد الحميد السيد شاهين

يجيب عليها لجنة الفتوى بالأزهر

فى هذا البيعة . وما الحكم ؟

ج : الشفعة حق واجب للشريك ثم للخليط فى المنافع ثم للجار .

وحيث تمت ألقسمة عن طـريق القضـاء فالطفل الموصى عليه يستحق الشفعة فيما يباع من هذا المنزل من اخوته بطـريق الجـوار ، ويثبت هذا الحق بطلب منه ان كان بالغا وبطلب وصيه ان كان قاصرا .

وقد جعل القانون للجار حق المطالبة بالشفعة بأصل الثمن فى مدى ستة أشـهر مـن البيع الصحيح .

يمين ومصيف

س : من السيد / ع . أحمد اسماعيل العباسية .

رجل حلف على المصـحف بالا يذهب الى المصيف هذا العام ، وبعد المداولـة رأى أن المصيف مهم بالنسـبة لأولاده ويريد أن يصيف . فماذا يفعـل ؟

ج : هذا يمين ... « لا يقع به طـلاق » وانما يلزم الحالف به كفارة يمين . اذا ما صيف وهى اطعام عشرة مساكين ... لكل مسـكين خمسون قرشا على الأقل .

الحج مع نسوة ثقات ..

س : من السيدة ع ... الحسن أريد أن أحج وليس معى محرم ، ولكن يوجد معى مجموعة من النساء فهل يجوز ذلك .. وما الحكم ؟

ج : لا يجوز لك شرعا أن تذهبى الى أداء الحج الا بمحرم ، وحيث انه لم يوجـد معك محرم فيجوز لك الحج مع مجموعة نسوة ثقات

طـلاق

س : من السيد / أ .. عبد الواحد . جاءت قريبة زوجتى للعلاج وأقامت فى بيتى . وبعد مـدة طلبت مـن زوجتى ترحيلها فأبت فحلفت على زوجتى مهددا بقولى : اذا لم ترحل قريبتك فأنت طالق ثم رحلت عن البيت بعد الاتصال بأهلها. فما الحكم

ج : هذا يمين معلق ، وحيث ان الحالف كان يريد به التهديد وحمل الزوجة على رحيـل قريبتها من المنزل فلا يقع به طلاق .

مـيراث

س : من السيد / أحمد عبد الغفار . توفى عن : ابن أخ شقيق ، بنات أخ شقيق ــ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : التركة كلها لابن الأخ الشقيق تعصيبا، ولاشىء لبنات الأخ لأنهن من ذوات الارحام المؤخرات فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبات .

والله أعلم ..

أنباء وآراء

٣٠٠ عالم إسلامى يشتركون فى المؤتمر العالمى لتطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان

* بمناسبة مرور عام كامل على تطبيق الشريعة الاسلامية فى السودان اشترك ثلاثون عالما ومفكرا اسلاميا فى هذا المؤتمر الكبير من جميع أقطار العالم الاسلامى ، كما حضره عدد من المفكرين المسيحيين المعنيين بالدراسات الاسلامية .

وقد مثل مصر فى هذا المؤتمر العالمى كل من الدكتور الأحمدى أبو النور وزير الاوقاف

الذى ألقى كلمة مصر فى المؤتمر ، والدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر ،

والدكتور عبد اللطيف خليف نائب رئيس الجامعة والدكتور الحسينى هاشم أمين عام مجمع

البحوث الاسلامية والدكتور عبد الصبور مرزوق .

انخفاض الجريمة بالسودان

فند الرئيس السودانى جعفر نميرى مزاعم المشككين فى تطبيق الشريعة الاسلامية فى السودان . وقال الرئيس السودانى فى كلمته أمام المؤتمر الاسلامى الأول بالخرطوم فى ذكرى مرور عام على تطبيق الشريعة الاسلامية ان تطبيق الشريعة ساهم فى انخفاض الجريمة

بنسبة أربعين فى المائه خلال العام الأول بعد أن كانت البلاد تشهد جريمة سرقة كل ستة

ساعات، وجريمة قتل كل ساعة ، وجريمة اغتصاب كل عشر ساعات .

وأوضح الرئيس السودانى : أن تطبيق الشريعة لم يفرق بين المواطنين فى السودان فلم تهدم كنيسة أو دير أو تحرم صلاة أو تكتم حرية . اننا لم نفرق بين وزير وخفير .

وقال الرئيس السودانى : ان بالجنوب أكثر من مليون مسلم وأقل من مليون مسيحى . بينهم وحدة دم وتماذج وتاريخ . ولم يزدنا

إعداد : حسن على زريق
أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام

الاسلام الا ايمانا بحريه الأديان • والاسلام لا يفرض دينا على أحد •

إجراءات إسلامية في الباكستان

أصدر الرئيس الباكستانى بيانا رئاسيا يدعو المسلمين الى أداء الصلوات الخمس فى حينها كما تأمرهم بذلك شريعة الله •

وقال الرئيس ضياء الحق فى احتفال أقيم فى مدينة « رو البندى » بمناسبة يوم الاستقلال انه سيتم تعيين رجال دين فى كل حى من أجل حث الناس على الذهاب الى المساجد لأداء الصلاة •

رابطة إسلامية جديدة

قرر الاتحاد الاسلامى الدولى للعلوم والتكنولوجيا والتنمية الذى يتخذ منجدة مقرا له • انشاء رابطة اسلامية لمعاهد الابحاث

أرسل الاتحاد استمارات استفتاء الى ثمانمائة معهد للابحاث فى جميع انحاء العالم الاسلامى لاستطلاع أرائها • وطلب معاونتها من أجل تكوين الاتحاد الجديد •

وطبقا للخطط الموضوعة سيدرس الاتحاد المشاكل العلمية فى الدول الاسلامية وتنسيق العمل وتطوير الأبحاث والتنمية فى مجال العلوم والتكنولوجيا •

مصر تشارك في مؤتمر الدول الإسلامية

تشارك مصر لاول مرة ، بعد قرار عودتها الى منظمة المؤتمر الاسلامى ، فى مؤتمر الدول الاسلامية المنعقد بنيويورك وذلك لبحث حرب العراق — ايران الذى تدخل عامها الخامس •

الطب الإسلامي والصحة النفسية

استضافت مدينة استنبول بتركيا المؤتمر العالمى للطب الاسلامى • وقد شارك فى هذا

◄

أنباء وآراء

المؤتمر مجموعة من العلماء والباحثين من مختلف الدول الاسلامية والعربية بالاضافة الى الهيئات الاسلامية الدولية فى أوربا وأمريكا •

ناقش المؤتمر موضوعات عدة تتعلق بالطب الاسلامى وعلاقته بالصحة النفسية وقد

اشترك فى المؤتمر وفد من الجمعية الاسلامية للصحة النفسية برئاسة الدكتور جمال ماضى

ابو العزائم الذى القى بحثا بعنوان : « الوقاية والعلاج من خلال الهدى السلامى » • كذلك

القى الدكتور طه بعسر وزير الصحة السودانى السابق وخبير الصحة العالمية بحثا عن : « الصحة النفسية فى الاسلام » •

أخطار الغزو الفكرى يناقشها المؤتمر الاسلامى بالكويت

* صرح الأستاذ احمد فراج الامين العام لمنظمة الاذاعات الاسلامية بأنه فى ديسمبر القادم — ان شاء الله — سوف يعقد مؤتمر اسلامى كبير بالكويت يدرس مظاهر الغزو الفكرى للمجتمع الاسلامى •

وقد تم تشكيل لجنه تحضيرية بتوجيه من الشيخ ناصر صباح الأحمد وكيل وزارة الاعلام ، يرأسها الدكتور عبد العزيز منصور مدير عام اذاعة الكويت لبحث الترتيبات اللازمة لعقد المؤتمر •

مشروع قرار إسلامى لسحب قوات "موسكو" من أفغانستان

تتقدم منظمة المؤتمر الاسلامى التى تضم ٤٥ دولة مشروع قرار الى الجمعية العامة للامم المتحدة تدعو الاتحاد السوفيتى الى سحب قواته فورا من أفغانستان •

وقد وافقت لجنة أفغانستان المنبثقة عن المؤتمر الاسلامى على مشروع القرار الذى أعدته باكستان والذى يطالب السوفييت بالانسحاب الفورى من أفغانستان •

التضامن الإسلامى

أنهى المؤتمر الاسلامى الدولى الذى عقد فى اسلام اباد بباكستان اعماله • وقد ناقش المؤتمر موضوع التضامن الاسلامى بين شعوب الأمة الاسلامية وبخاصة فى هذه الايام التى يهاجمنا فيها خصوم الاسلام لتفكيك وحدة الشعور الدينى بين المسلمين • وقد اعد المؤتمر عدة توصيات فى هذا الشأن منها :

— الدعوة الى بناء جسور من المودة بين الأمم على أساس الاسلام ٠

— التيقظ لمخططات الدول الاجنبيه ٠ والاهتمام بوسائل التعليم والاعلام فى الدول الاسلامية ٠

— عقد مؤتمرات دولية بين المفكرين فى العالم الاسلامى لتهيئة مناخ الوحدة ٠

بحوث فى الاقتصاد الإسلامى

أنشأ المصرف الاسلامى الدولى للاستثمار والتنمية بالقاهرة مركزا للاقتصاد الاسلامى للبحوث والدراسات والاستشارات والتدريب ٠

يهدف المركز الى اعداد بحوث أساسية وتطبيقية تساهم فى تطوير كعمل المصرف الأسلامى ٠ واعداد دراسات جدوى للمشروعات الاستثمارية فى شتى قطاعات الاقتصاد المصرى بما يتمشى مع منهج التنمية الذى تسير عليه الدولة باعتبار أن الاستثمار يشكل جوهر عمل المصارف الاسلامية ٠

وسيقدم المركز الاستشارات الفنية والشرعية لقطاعات المصرف المختلفة والمؤسسات النقدية الاسلامية فى مصر والعالم الاسلامى ٠

مركز إسلامى بواشنطن

سوم الرابطة الاسلامية الدولية بالولايات المتحدة باقامة ثانى مركز اسلامى بالعاصمة الأمريكية بواشنطن يتكلف احد عشر مليون دولار يضم المركز مسجدا للمسلمين الامريكيين ة ومستشفى ، وينتهى العمل به فى نهاية ١٩٨٠ م ٠

موسوعة إسلامية

بحث فضيلة الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر مساهمة جامعة الأزهر فى اعداد الموسوعة الدينية الاسلامية التى تصدرها رئاسة الأوقاف التركية وصرح الأستاذ كمال اسماعيل رئيس العلاقات العامة بجامعة الأزهر أن الدكتور فرهود وعد الوفد التركى — الذى زار القاهرة — بتقديم كافة التسهيلات والمراجع اللازمة لهذه الموسوعة ٠

كلية الدراسات الإسلامية

تقرر إنشاء أول كلية اسلامية فى العاصمة الصومالية « مقديشو » تختص الكلية الجديدة

بتدريس العلوم الدينية واللغة العربية لأبناء الصومال ينتظر أن يقوم بالتدريس فيها اساتذة من جامعة الازهر ٠

مؤتمر هيئة التدريس بالأزهر

تم عقد المؤتمر الأول لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر فى قاعة الامام محمد عبده ، وقد بحث المؤتمر سبل النهوض بالتعليم الأزهرى والنظر فى تعديل قانون الجامعة ولائحتها التنفيذية ، وكذلك الموضوعات التى تهم أحوال وأوضاع هيئة التدريس والطلاب بالجامعة ٠ كما ناقش المؤتمر دور الجامعة فى الدعوة الاسلامية ، وحل الأزمات الفكرية والنفسية التى يتعرض لها المجتمع وتوجيه الرأى العام فى القضايا والأوضاع والقيم فى مصر ٠

معهد لتخريج أئمة المساجد

تم انشاء معهد اسلامى لتخريج أئمة المساجد فى مانيلا عاصمة الفلبين أطلق عليه معهد الدراسات الاسلامية ٠ يقوم بتدريس الفقه الاسلامى والفلسفة الاسلامية الى جانب اللغة العربية والتاريخ الاسلامى ٠

الجامعة الإسلامية بالفلبين

وقع البنك الاسلامى للتنمية فى جده اتفاقية يقدم بموجبها منحة قيمتها أكثر من مليون دولار لاستكمال بناء بعض منشئات جامعة المخدوم الاسلامية بالفلبين ٠ ويأتى توقيع هذه الاتفاقية تمشيا مع سياسة البنك التى تهدف الى دعم المشروعات الاسلامية فى الدول الاعضاء وبخاصة فى مجال التعليم ٠

سينمائى عالمى يشهر إسلامه فى القاهرة

* أشهر المنتج السينمائى العالمى زالكوفيتش اسلامه أمام فضيلة الامام الاكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والمعروف أن المنتج السينمائى من أصل قوقازى ، وقد أعلن أنه غير اسمه الى محمد الجنيد ٠

* كشف تقرير الحزب الحاكم فى أفغانستان فى اجتماعه الرابع عشر عن الحاجة الماسة الى تعزيز قوة الدفاع السوفيتية الأفغانية بخمسين ألف جندى ٠

سارعت موسكو الى تحقيق مطالب هذا التعزيز .

آراء

اهتم بعض الناس بالخبر التالى ، وهزه مضمونه فأعده أحسن اعداد وتلقاه الناس منه بعنوان (رسالة من الله) وقد أحالته المجلة الى السيد / أحمد الباجورى بلجنة السنة بمجمع البحوث الاسلامية . فكتب عنه ما يراه القارىء عقب تلاوته لهذا النص .

أورد العلائى فى تفسير سورة يوسف عليه السلام (١) ان الله انزل فى صحف ابراهيم عليه السلام ما معناه :

« من العزيز الحميد . الى من هرب من العبيد . سلام عليكم . هذه رسالتى اليكم .

بما اختصصتكم به من نور العلم . وذكاء الفهم . فأول نعمى عليكم أنى أخرجتكم

من العدم الى الوجود . وآتيتكم بالجود . وأنشأت لكم الأبصار فأبصرتم . والاسماع

فسمعتم . والألسنة فنطقتم . والقلوب ففقهتم . والعقول ففهمتم . وأشهدتكم على

أنفسكم لى بالوحدانية فشهدتم . ولكن بعد الاقبال أدبرتم . وبعد الاقرار أنكرتم .

ونقضتم عهودنا وغيرتم . ومع ذلك ياعبادى فلا يوحشنكم ذلك منا . ولا يبعدنكم ذلك عنا . فان عدتم عدنا . وزدنا فى الكرم وجدنا . فمن عثر أقلنا . ومن قطع وصلنا . ومن تاب

تبلنا . ومن نسى ذكرنا . ومن عمل قليلا شكرنا . نعطى ونمنح . ونجود ونسمح .

ونعفو ونصفح . كرمنا مبذول . وسترنا مسبول . عبدى أنظر الى السماء وارتفاعها .

والشمس وشعاعها . والكواكب وأنوارها . والأرض وأقطارها . والأمواج وبحارها .

والفصول وأزمانها . والأوقات واتيانها . وانظر الى ما هو ظاهر وكامن . ومتحرك

وساكن . وانظر الى القائم والقاعد . والراكع والساجد . وما غاب وما حضر . وماخفى

وما ظهر . الكل يشهد بجلالى ويقر بكمالى ويعلن بذكرى ولا يغفل عن شكرى . عبدى:

أذكرك وتنسانى . وأسترك ولاترعانى . فوعزتى لو أمرت الأرض لا بتلعتك من حينها

ولو أمرت البحار لأغرقتك فى مياهها . ولكن أحميك بقدرتى . وأمدك بقوتى . وأؤخرك

الى أجل أجلته . ووقت وقته . فوعزتى لابد لك من الورود على والوقوف بين يدى . أعدد

عليك أعمالك وأذكرك أفعالك . حتى اذا أيقنت البوار وقلت لا محالة انك من أهل النار .

(١) ورد الحديث فى كتاب نزهة المجالس ومنتخب النفائس ص ٣٨٦ واللواء الاسلامى عدد الحجة ١٤٠٢ هجرية ص ٧٤ .

أنباء وآراء

أوليتك غفرانى • ومنحتك رضوانى • وغفرت لك الذنوب والاوزار • وقلت لك ياعبدى • لا تحزن • ياعبدى فمن أجلك سميت نفسى الغفار »

« وصلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »

وكتب الاستاذ أحمد الباجورى يقول (١) :

١ — تغير الضمير فيه مثل قوله : ونقضتم عهودنا ••• فلا يوحشنكم ذلك منا ، وهذا يدل على المشاركة مع الله — جل جلاله ••• الخ

٢ — ورود هذا الأثر فى كتاب (نزهة المجالس ومنتخب النفائس) كما أشار مرسله •

وكتاب نزهة المجالس تحدث عنه محدث المغرب : عبد الله محمد الصديق الغمارى فقال :

« كتاب الشيخ عبد الرحمن الصفورى يحرم النظر فيه الا لعارف بالحديث ، لأنه محشو بأحاديث موضوعة وأخرى واهية ، وبكثير من الخرافات الاسرائيليات ، وفيه نزر يسير من الأحاديث المقبولة ما بين ضعيف منجبر وحسن ، أما الحديث الصحيح فوجوده فى هذا الكتاب نادر جدا ، لهذا لماجمعة مؤلفه الصفورى المذكور ، وأظهره للناس ، وتناقلوه عنه بالشام ، لأنه كان مقيما هناك نهاه محدث الشام برهان الدين الناجى عن ذلك ، ونصحه بالرجوع عنه ، ومازال به حتى أظهر التوبة وقال :

انى رجعت عنه •

ثم بعد مدة عاد الى اظهاره ثانيا ، فكتب البرهان الناجى الى مصر يسألهم عن الكتاب المذكور هل تجوز قراءته وتداوله لمن لا معرفة له تميز بين الصحيح والسقيم ، ونقل منه عدة أحاديث بعثها مع السؤال ليجاب عنها ، فأجابه الحافظ السيوطى موافقا له على ما قال : الا فى بضع أحاديث أطلق عليها الناجى أنها لم ترد ، فبين الحافظ السيوطى أنها واردة ، وأن كان أكثرها ما بين ضعيف وموضوع ، والحاصل أنه لا تجوز قراءة نزهة المجالس الا لخبير بعلم الحديث يستطيع أن يميز بين الصحيح والحسن والضعيف والواهى والموضوع والله تعالى اعلم •

---

(١) من مقال فى مجلة الاسلام اسئلة حديثية وأجوبتها عدد رمضان ١٣٥٤ هجرية الموافق عام ١٩٣٥ ميلادية .

رأى فى خبر

نشرت جريدة «الميل» الانجليزية فى عددها الاسبوعى هذا الخبر «دبلوماسى ايرانى قام بذبح نعجة داخل حديقة منزله .. !!»

هل فى هذا الخبر مايثير .. ؟ ومع هذا فان الصحافة البريطانية اهتمت به فجعلته فى أولى صفحاتها وتحت عنوان :

مذبحة فى بيت دبلوماسى

ثم قام التليفزيون البريطانى بنقل التفاصيل وفى اليوم التالى لنشر هذه التفاصيل ، طلبت الخارجية البريطانية اعتذارا رسميا من الدبلوماسى الايرانى على (جريمته) هذه التى جرت أمام عيون جيرانه .

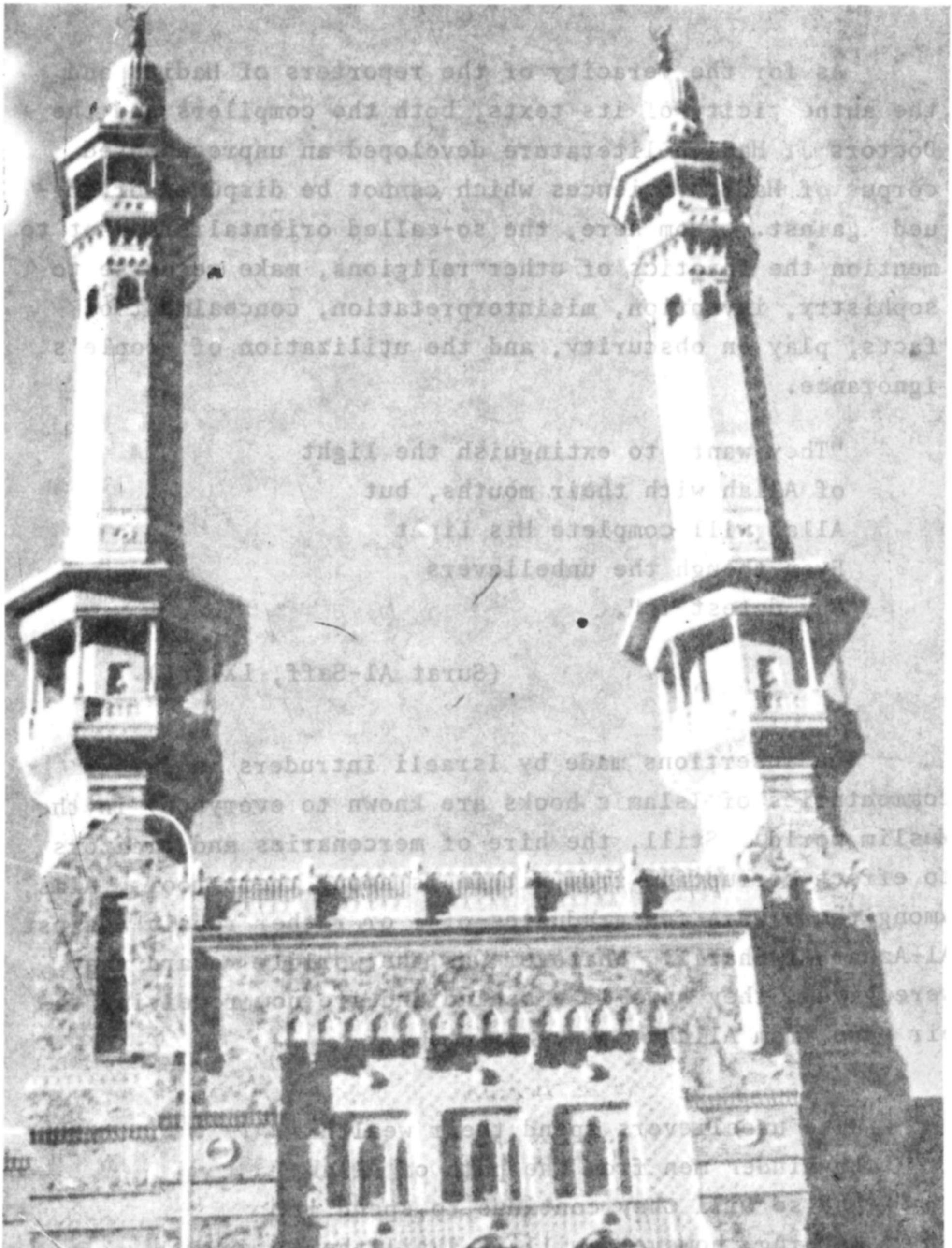
وكتب معلقا على هذا الخبر الاستاذ صلاح منتصر مدير تحرير الاهرام يقول : —

بقطع النظر عن كون الدبلوسى ايرانيا .. أو غير ايرانى .. فانه مسلم على أى حال .. ونحن نسأل أين هذه المشاعر المرهفة الرقيقة الحساسة لدى بريطانيا ازاء عشرات المذابح الانسانية التى ترتكب علنا ضد المسلمين فى كل بلاد الدنيا .

والمجلة تسأل :أين الرأى العام البريطانى هذا من مذابح صابرا وشاتيلا ؟ وأين هم مما يحدث فى لبنان للمسلمين ؟

وأين هذه المشاعر الرقيقة ازاء ما يحدث للمسلمين فى أفغانستان وأثيوبيا والفلبين ، والبقاع — فى البلوى — كثير .

فهرس العدد



As for the veracity of the reporters of Hadith and the authenticity of its texts, both the compilers and the Doctors of Hadith literature developed an unprecedented corpus of Hadith Sciences which cannot be disputed or argued against. From here, the so-called orientalists, not to mention the fanatics of other religions, make recourse to sophistry, invention, misinterpretation, concealment of facts, play on obscurity, and the utilization of people's ignorance.

"They want to extinguish the light
of Allah with their mouths, but
Allah will complete His Light
Even though the unbelievers
May detest it".

(Surat Al-Saff, LX1, 8).

The insertions made by Israeli intruders in famous commentaries of Islamic books are known to everybody in the Muslim world. Still, the hire of mercenaries and traitors to effect corruption from within is among their tools. Alas, among these were few graduates of - or rather rebels against Al-Azhar Al-Sharif. Whatever was the worldly reward they were given, they have left behind and are now receiving their due from Allah.

"The unbelievers spend their wealth
to hinder men from the path of Allah
And so will they continue to spend it.
Nothing, however, will it avail them
save grief and at length they
will be defeated".

(Surat Al-Anaam, VIII, 36).

tion to Muhammad, blessed be he, by Archangel Gabriel. They attribute to the Prophet, blessed be he, a number of abnormities, tricks or relations in an ill-judged attempt to undermine the esteem he deserves.

Any good reader of the Qur'an and any unbiased student of history or philosophy and beliefs can support the right on the side of Muhammad, be upon him blessing and peace from Allah, and expose the abnormity of such purposive antagonists and the ungodliness of their fakes. In addition, scientific discoveries, historical investigations, and literary studies have been surely refuting their nonesensical claims.

Then comes their attack on the validity of the Sunna as an essential source of Muslim creed, law and morality. They want it to be discarded on the ground that the Qur'an is sufficient, being itself the Word of Allah. On the other they throw doubts upon the veracity of the reporters of Hadith and the authenticity of its texts.

All over the world, Muslims are unanimous in the belief that the Sunna is the living comprehension, interpretation, and practice by the Prophet, blessed be he, under the eyes of Allah, of the Right and the Good in the Holy Qur'an. This makes it incumbent on Muslims to obey him, follow his honest example, and hold him in due reverence. On the other hand, there would be no point in abandoning the original teachings of the guided master for the uninformed endeavours of whomsoever else.

So, Satan, who has been given respite until the Day of Resurrection, will to the end of life continue to drive his votaries with the reins and blinkers of their own lusts and ignorances.

All along its march, the war against the Sunna has had the following targets, namely, the person and character of the Prophet, be upon him blessing and peace from Allah; the tenets of the Creed; the train of disciples, particularly prominent and admirable figures; and, last but not least, the propagation of the call. The leaders of this war have always been: fanatics who belong to opponent camps; and, the race of evil-mongers who find themselves only in circumvention and corruption. The weapons and strategies have always been the same, the difference being only in the peculiarities of each age. Among them are communication, under different colours or institutions, with the aim of unteaching; connection with non-Islamic interests; and intrusion under the veil of belief to effect corruption from within.

It is not the intention, however, to trace this ungodly conflict in its historical or doctrinal features, even though this is worthwhile. Therefore, rather than focus on names, schools or battles, let us concentrate upon some important objectives of the war against the Sunna.

First of all, they deny the Prophethood of Muhammad, be upon him blessing and peace from Allah. They produce groundless reasons inspired by their prejudices, and refer to them as the origin of the call. They deny the revela-

The War Against The Sunna

BY : SOLIMAN BARAKAT

The war against the Sunna dates back, without the least exaggeration, to the prime of the call to Islam by Muhammad, be upon him blessing and peace from Allah. Having a Mission to carry out, and being himself sent as a mercy for the creation, he did not want this war, and did not deserve it, either.

However, neither the conquest of Mecca in his life, nor the widespread of the Faith after his death has snuffed out this malicious spirit.

"If your God has willed it,
He could have made mankind one nation.
But they will not cease to differ.
Except for those whom Allah has shown
Mercy on."

(Surat Al-Anbiya, XXI, 107).

Besides, "Alien was Islam when it started, and alien will it be again in the end," the Prophet, blessed be he, is reported to have said.

3. Mashahid Min Alsira Alatirah,
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo, Printed, 1980.

4. Hayyat Mohammad,
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo.

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and Commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira,
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th. Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail/Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983, Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

On the following day, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned all the men of Uhud and marched out to follow the army of Koraysh in order to show and expose potential strength and ability; and also to prevent Koraysh from entreating the idea of raiding Al-Madina. When they reached a place called Hamraa Al-Assad, the army of Koraysh heard of their march and hurried to Macca to avoid armed conflict with the marching Muslims.

The events that took place during the battle of Uhud offers a lesson of great experience to all Muslims at all ages From that we should learn that all deeds and actions must be honestly and purely for the cause of Allah, and not for any worldly gain or renown. Also that obedience must be given to those we place as our seniors and those in whom we place our confidence.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

REFERENCES

1. Alsira Alnabawiah,
3rd. Edition, 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah.

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen,
24th. Edition, 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library, Cairo.

yers and peace from Allah upon him) was taken behind the ranks in the company of Abu-Bakre, Omar Ibn Al-Khattab, Ali Ibn Abi Taleb, Al-Zubier Ibn Al-Awam, Al-Harith Ibn Al - Samah and some others. The rest of the Muslims discovered that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was still alive; they regained their fighting spirits and firmly stood their grounds in battle against the squandering attacks of Koraysh, fiercely directed to kill the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), who suffered severe distress. One man Ubii Ibn Khalaf attacked the Prophet, but h (prayers and peace from Allah upon him) took a spear and hit the man who later on died. Blood was freely running from the wounds on his face, and Fatimah came to care for her father's wounds. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) ascended a big rock and saw some men from Koraysh higher up on the mountain; he ordered Omar Ibn Al-Khattab and others to stone them down. The men around the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) suffered severe wounds, and some died.

The battle of Uhud suddenly ended without exact definition of the victor; it was as the situation appeared Koraysh. However, the Muslim army did not submit defeat or retreat from the battle ground. Abu Sufyan climbed a high place on the mountain and Shouted "A day for a day and the war is even; we meet at Badre next year". The Korayshian army left the battle ground and returned on the way to Macca without entering Al-Madina to verify, ascertain and confirm their supposed victory. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) burried the dead at the battle ground at Uhud; they numbered over seventy men. The Muslim army tired, exhausted, and in low spirits returned to Al-Madina.

tain saw the retreat of Koraysh, and the spoils of battle were being collected; they left their very strategic posts to come down and share the spoils. Only their leader Abdul lah Ibn Gubayer and few others remained as instrusted by the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) before the battle started. This very serious and strategic mistake on the part of the archers, fully exposed the rear of the Muslim army to be raided by horsemen of Koraysh. The leader of the horsemen Khalid Ibn Al-Walid took that opportunity and quickly raided the rear of the Muslim army. There was sudden perplexity and non-cohesion in the ranks of the Muslim army; and Koraysh retrieved ground and gathered initiative and began to gain the superiority in battle. Musab Ibn Umayer carrying the flag of Muhagereen was killed, and Ali Ibn Abi Taleb carried the flag, after him. The rumor spread that prophet (prayers and peace from Allah upon him) was killed; and then there was real perplexity, confusion, chaos and marked depression in the ranks of the Muslims. Some Muslims left the battlefield in despair and despondency after hearing the rumor, others stood their ground and continued to fight bravely and in confidence of what they believed as the Right and the Word of Allah; even if the Prophet had died. Among those were Anas Ibn Al-Nadre, Abu Talha Al-Ansari, Saad Ibn Abi Waqqas, Abu Deganah Samak Ibn Kharsheh, Ziadah Ibn Al-Harith an several others.

Koraysh was pushing hard for a final victory to revenge the defeat at Badre. The Muslims inspite of the tremulous situation, stood their ground around the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), who received several wounds on his face, inspite of being very bravely protected and shielded by the men around him. The Prophet (pra-

Ibn Azeb, and several others; and allowed Samorah Ibn Gundab and Rafie Ibn Khadij who were at the age of fifteen years. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gave final instructions and the battle started.

At the start seven men from Koraysh from Bani Talhah were killed by Muslims in sword fights. The horsemen of the Korayshian army raided the Muslim positions three times and in all three, they were defeated by the archers. After that both legions met in fierce sword fight combat. The Korayshian women beat the drums and sang war songs to encourage the men. During the chaos and confusion of battle, Hamza Ibn Abdel-Mutaleb was killed by Wahshii, an Ethiopian slave who was very clever at throwing spears as Ethiopians do in battle. Before his death, Hamza was fighting with unequalled bravery in the ranks of Muslims and inflicting heavy losses in the ranks of Koraysh. He was killed treacherously with prearranged planning between Wahshii and his master Gubayer Ibn Mutaam, and Hind Bent Utbah in return of his freedom from slavery and reward in money. After Hamza fell dead, Hind Bent Utbah filled with hatred and revenge, opened his abdomen and cut a piece of his liver to chew and spit. The most hideous and atrocious act of human conduct that signifies the extreme hatred against what Hamza represented; namely, the new creed of Islam, the Message of Allah; and Bani Hashim the Korayshian clan of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him).

At that stage of events, the Muslim army was gaining ground and defeating the army of Koraysh who was retreating rapidly leaving behind them the dead, the wounded, and the spoils of battle. When the archers stationed at the moun-

go out of Al-Madina and encounter the enemy. They remained to persuade and influence the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) till he followed their opinion. During Jumma prayer on the 10th Shawal, words of encouragement and advice were given, and he entered his room, and put on his armour, and prepared for battle. Feeling that they might have forced the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) to their opinion, these youngesters accepted to remain and receive Koraysh in battle inside Al-Madina. However, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) told them that it was not befitting to remove the battle dress till Allah judged between him and his enemies. He (prayers and peace from Allah upon him) gave the flag of Muhagereen to Musab Ibn Umayer, the flag of Al-Khazraj Ansars to Al-Habab Ibn Al-Munther, and the flag of Al-Aws Ansars to Ussayd Ibn Al-Hadeer. The Muslims Marched out of Al-Madina in one thousand men.

At the outskirts of Al-Madina, Abdullah Ibn Ubii Ibn Salool returned with three hundred of his followers, leaving the Muslim army seven hundred men. These men marched to reach the mountain of Uhud and made their back to the mountain. The archers were placed on the mountain behind the army with specific instructions not to depart from their strategic places under any condition. Their appointed leader was Abdullah Ibn Gubayer. The duty of these archers was to engage the horsemen of Koraysh and prevent them from participating in the battle. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) refused several Muslim youngesters to engage into battle because of their young age, among whom were Abdullah Ibn Omar, Usama Ibn Zaid, Zaid Ibn Thabet, Al-Baraa

The Battle Of Uhud

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

The disasterous defeat of Koraysh at Badre and the events that followed drove Koraysh to confront the Muslims in a wide scale armed conflict. They prepared, planned and marched out of Macca in three thousand men with the intention to conquer and subdue the Muslims at Al-Madina. The financial support of the expedition was obtained from the camel convoy of Abu Sufyan that was saved prior to the battle of Badre. The clans of Koraysh gathered with the owners of the Camel convoy, their followers, and men from other tribes of Kenanah and Tuhamah. Koraysh marched out of Macca in full armour with their women to support the dignity and arrogance of the men in battle. The arm of Koraysh was headed by Abu Sufyan Ibn Harb accompanied by his wife Hind Bent Utbah Ibn Rabieah.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) heard of the march of Koraysh from a message send by his uncle Abbas Ibn Abdel-Mutaleb who did not accompany Koraysh. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) gathered his companions and informed them; and was of the opinion to remain in Al-Madina and await Koraysh. This was also the opinion of the senior elder members of Muhagereen and Ansar, and also the opinion of Abdullah Ibn Ubii Ibn Salool. However, the younger groups of Muslims were of the opinion to

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر
مجلة
شهرية
جامعة
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربي
رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب
سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم
العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦
● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

لهذا الشهر العظيم

لهذا الشهر العظيم منزلته فى نفوس المسلمين ، وله اشعاعه فى أفئدتهم ، فانه شهر نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيه آنس الوجود بمولده ، وفيه لحق بالرفيق الأعلى على خير وسلام .

وكان لابد لمشاعر المسلمين أن تشبع حاجتها من ضياء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ونوره الذى بسطه على امة الاسلام خير الأمم .. خير الأمم لاقرارهم أن الله اله واحد ، وأن محمدا خاتم الرسل ، وأنهم لا يفرقون بين أحد من رسله . صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

لأشواق المسلمين نقدم باقة من خير حديث المعاصرين ، وأخرى من لآلى الأئمة الأقدمين تعريفا وتشريفا وتكريما للنبى العظيم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

د/ على أحمد الخطيب

الجزء الثالث السنة السابعة والخمسون

* ربيع الاول ١٤٠٥ هجرية *

* ديسمبر ١٩٨٤ ميلادية *

في ذكرى مولد الرسول

صلى الله عليه وسلم

مولد أمة

اختص الله مكة بولادة طفل لا ككل الأطفال .

طفل يتيم فى بنى هاشم لكن ولادته أشاعت السرور فى عشيرته وجيرتها ، بل رضى به أهل مكة جميعا .

ولقد صاحبت ولادة هذا اليتيم ارهاصات واشارات الى أن أمة جديدة سيتغير بها وجه التاريخ قد ولدت ، وسترتفع بها الانسانية وترضى ، بعد أن كانت البداوة قد سيطرت عليها ، والأخلاق الذميمة قد فشت فيها ، وتمكنت من قلوبها وعقولها الأساطير والخرافات ، فدانوا بها ، وعبدوا الأوثان ، وخضعوا لعادات وتقاليد وأخلاق غير مرضية ، بل كانت مردية .

فكانت ولادة هذا اليتيم نورا أضاء حياتهم ، واهتدت به أفئدتهم ، عاش بينهم صادقا ، صدوقا ، أمينا ، طاهرا مطهرا ، لا يرفث ولا يفسق ، فقد طهره وأدبه ربه .

هذا اليتيم الذى حباه ربه بكل تكريم ، فقد اختاره رسولا للانسانية كلها ، وجعل كتابه اماما ، ودينه للناس جميعا .

تمر بنا اليوم ذكرى ولادته ﷺ فنذكر بذلك ميلاد أمة ، انخلعت به وبقيادته من الفرقة والشتات ، والخصام والاقتتال الى وحدة تقود وتسود .

نذكر ولادته ﷺ فنستحضر سيرته لنتبعها كما أمر الله « **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ** » .

ونذكر خلقه لنقتدى به « **وانك لعلى خلق عظيم** » .

ونذكر استغراقه فى مهمته التى كلفه الله بها ، لنأخذ عنه الاخلاص فى العمل ،ومضاء العزيمة ، ألم يقل لعمه أبى طالب « والله لو وضعوا الشمس فى



بقلم فضيلة الإمام الأكبر
جاد الحق على جاد الحق

يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركتــه حتى يظهـره الله أ أهلك دونــه » .

نذكر انسانيته فى التعامل لنسير على ما عهد به الينا من حــق وعـدل ، فنرتفع بالعدالة ، ونترفع عن الدنايا ونتوب عن الخطايا ، ونعتصم بحبـل الله الذى جاء به هذا النبى .

لقد تبدل قومه برسالته خلقا آخر ، فتوحدوا بعد فرقة ، واكتســبوا انسانية افتقدوها فى مجتمعاتهم ، وتخلوا فى ظلها ، وعلى هديهـا عن أنـانية مفرطة سيطرت عليهم ، فقد استناروا بالاسلام ، فأنار الله قلوبهم وحــاربوا دفاعـا عن دينهم ، فما وهنـوا لما أصــابهم فى سبيل الله ، وما ضــعفوا وما استكانوا ، وانما واصلوا نصرة الحق ، حتى رفعـوا راية القــرآن ، وبه توحدت صفوفهم ، وتآلفت قلوبهم وقال الله فى شأن ذلك لرسوله صـاحب الذكرى ﷺ :

« لَوْ أَنفَقْتَ مَافِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ » .
فى ذكرى مولده نذكر قول الله فى شأنه « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ » .

فلم لا نقتدى به ﷺ فتسود بيننا الرحمة والرأفة ، تتجـاذب قلوبنــا وتتجـاوب معها أعمالنا فى مرضاة الله وعلى هدى القرآن طاعة لله ولرسوله .
ألا تشدنا هذه الذكرى الى فحص واقعنــا نحن الأمة التى ولــدت بميــلاده ؟

فننسـأى بأمتنا عمـا فرق جمعها ، وبدد ثرواتها ، حتى اعتمدت على غيرها فى كل شئون حياتها ومقدرات صونها •

كيف بهذه الأمة التى جعلها الله شاهدة على كل الأمم وقد تفرق عقـدها وتمزق جسدها ، فأحرقت رصيدها من وحدة الكلمـة ، وقـوة الوحـدة حتى استهان بها الذئاب من حولها ، واستأسدت الثعالب عليها ، بل وولفت الكـلاب فى عرضها كيف بأمة الاسلام وقد صمت آذانها عن قول الرسول ﷺ صـاحب الذكـرى :

« لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » •

كيف بهذه الأمة وقد أعرضت عن قول صاحب الذكرى ﷺ •

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منـه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر » •

أليست هذه دعوة لأن يكون مجتمع المسلمين قائما على المودة والرحمـة ، فأين هذه الدعوة مما شاب هذه الأمة من شتات الأمر ، وافتراق الكلمة وهجـر القرآن ودعوته ، وترك السنة واحياء البدعة ، حتى التبست أمورها ، وانفـرط عقـــدها •

وفى ذكرى مولده ﷺ ينبغى أن ندرس سـيرته وسـنته ونعلم كل ذلك أولادنا وأن نحفظ القرآن ونحافظ عليه • نعم : ينبغى أن نتحدث عنه من قلوبنا وليس بألسنتنا فان حديث القلب دافع الى العمل ، ونافع فى المستقبل •

فى ذكرى مولد الرسول : ﷺ على المسلمين أن يتجاوزوا خلافاتهم ، وأن يجمعوا أمرهم وأن يتآخوا ، فأمة الاسلام لا تعرف الشعوبية التى تتقاتل مـن أجلها ، والتى أثارها ويثيرها أعداء المسلمين فاشـتعلت العصـبيات القبليـة والعرقية ، وأشعلت حروبا أهلكت البلاد والعباد •

يا قومنا : أجيبوا داعى الله ، واتخذوا من هذه الذكرى حافزا لجمع الكلمة وتناسى الاحقـاد والخلافات • « **وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْـوَى وَلَا تَعَـاوَنُوا عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ** » •

يا قومنا : ان أرض المسلمين تنتقص وأن شعوب المسلمين تطارد وتضطهد ، فأجمعوا أمركم ووحدوا كلمتكم ، يصلح الله لكم أعمالكم ، ويحق بكم الحق ، ويرفع عنكم الغمة ، وتتحقق لكم وحدة الأمة التى عبر عنها القرآن : « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** » .

فى ذكرى مولد الرسول ﷺ :

« أدعو ولاة الأمر فى المسلمين : ملوكا ورؤساء وأمراء وعلماء أن يرتفعوا فوق الخلافات والعصبيات ، وأن يسعوا جادين الى وقف هذه الحروب الدائرة بين المسلمين ، وأن يتفرغوا لتخليص البلاد الاسلامية مما حاق بها من احتلال ، فهذه القدس وفلسطين تناديهم وهذه أفغانستان فى حاجة الى العون فى جهادها ضد أولئك الذين استباحوا حرماتها فأهلكوا الحرث والنسل ، « **وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ** » .

فلتحفل مساجدنا ونوادينا بالدعوة الى الاصلاح والصلاح وصولا الى الفلاح « **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** » .

ولندع الى نبذ الخلاف ، وجمع الكلمة ، ولنأخذ شريعة الله لنا حكما ومنهاجا .

لقد رفع الله ذكر الرسول ﷺ فلنرفع ذكره بالعمل بشريعته ففيها الرشاد والاصلاح والعدل والفلاح « **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ** » .

« اللهم ونحن فى ذكرى مولد رسولك ﷺ ، اجمع شمل هذه الأمة ، واشدد على قلوب عصبة من أوليائك تجتمع بهم وعليهم الكلمة فقد غفلت الأمة عن نصحك « **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** » .

فى ذكرى مولدك يا رسول الله أذكر أمتك بقول الله سبحانه فى القرآن « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » صدق الله العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

المجتمع الفاضل فى رسالة

البشير النذير

قال الله تعالى فى سورة الأحزاب « يَأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا » (١) .

البيـــان

فى ذكرى ميلاد الرسول ﷺ يحلو الحديث عن أسمى المبادىء ، فان من الوفاء لأبى الزهراء ﷺ أن نرفع من رسالته على طريق الحياة مصابيح تضىء للبشرية الغياهب ، وتجلو للناس الخفايا ، وتبصرهم بحل المشكلات وانشاء المجتمع المثالى الفاضل .

ومن الوفاء أن ننثر على سمع الزمان ، ما أدته رسالته من النجدة للبشرية العاثرة ، والانقاذ للانسانية المعذبة ، بما جاءت به من العقائد السليمة ، ودساتير السلوك القويمة ، وتخليص للعقول من محابسها ، وتحكيمها فيما عز وهان ، بالدليل والبرهان « إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » (٢) .

ولد نبينا محمد ﷺ فى وقت أظلمت فيه ليالى الفتن ، واشتدت ضروب المحن ، وعجز الناس عن وضع القوانين التى تحكمهم ، وعن اقامة الحكومات التى تقيم موازين العدل بينهم ، وقد اشتبه الحلو بالمر ، والتبس النفع بالضر ، وفشل الناس فى معرفة سبيل الهدى ، فاحتكموا فى أمورهم الى الهوى ، وبلغ من ظلمة الالتباس على الناس ، أنهم عبدوا الأوثان ظانين أنهم أحسنوا ، ووأدوا البنات صغيرات خيفة العار معتقدين أنهم لم يجرموا ، واقتتلوا لأوهى الأسباب وأدنى العلل ، وشربوا الخمر فدعتهم الى العدوان مفاخرين ، وسفك الدماء مستهترين ، فهى أم الكبائر وأساس الفساد للضمائر ، تزين الاثم على أنه نجدة وشهامة ، وعزة وكرامة .

وكانت الروابط بين الناس مفككة ، فلا دين يجمعهم ، ولا حكمة تضم شملهم ، والحرب بين النصرانية الناسخة واليهودية المنسوخة شديدة الأوار ، محتدمة الجدال ، وقد

---

(١) سورة الاحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) سورة ق : ٣٧ .

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

دخلهما التغيير والتبديل ، وفقدنا كل سند يربطهما بأصل التنزيل ، والعالم من شرقه الى غربه ، يموج بالفتن ، وتجتاحه المحن •

ألا وان الله رحمان رحيم ، فلا يترك عباده حيارى يتخبطون فى ليل الأحداث ، ويرتكسون فى ظلمات الأضاليل ، فلهذا اختار لهم من خير الأرومات العربية يتيما كفله ورباه ، وأدبه وزكاه ، حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ، بعثه هاديا ورسولا الى الناس أجمعين

« يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا »

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » (١) فغير وجه الزمان ، واستبدل بعبادة الأوثان عبادة الديان ، وبشريعة الكهان شريعة الرحمن ، وبالشرائع المحرفة المبدلة ، شريعة صادقة عادلة ، وبمنهاج الحرب والنار ، دستور السلام والنور ، وبظلم الانسان للانسان العدل والأمان ، واستبدل بفرقة الناس وحدتهم ، وبسيرهم مع الشهوى اتباعهم للهدى ، فسادت السكينة والاخاء ، وعم الأمن والرخاء ، وتوحدت القلوب بعد فرقة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وأمما وشعوبا ، فعم الصفاء وساد الأمن والرخاء •

وكيف لا يصلون الى كل ذلك ، وقد جاءهم بمناهج الهية ، ودساتير ربانية ، تستتبع تلك الغايات السامية ، لقد أرشدهم الى وهن الاوثان ، وعجزها عن حماية نفسها من الحدثان ، وبرهن لهم على وحدة الصانع ، وأهاب بالعقول أن تنظر فيما أبدعه من الروائع ، لتعلم أن الكون يفسد بتعدد الآلهة ، وأعلمهم أنه تعالى منزه عن الأولاد والزوجات ، وأنه على أعمال العباد رقيب شهيد ، فاستيقظت العقول النائمة ، وعلم الناس أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ، وحاسبوا أنفسهم فى كل ما يأتون وما يذرون •

أمرهم بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرق فاجتمعوا ، وأصبحوا كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، ونهضوا بالعبء وهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، فامتد بجهادهم سلطان الاسلام وعم نوره الأقطار فى أقصر زمان •

أمرهم بالعدل والاحسان ، ونهاهم عن الفحشاء والمنكر ، فارتفعت كلمة العدل والرحمة ، والمعروف والعفة ، وأصبح الضعيف فيهم قويا حتى يؤخذ له بحقه ، والقوى فيهم ضعيفا حتى يؤخذ منه الحق ، تقام فيهم الحدود على السيد والمسود ، وعلى الشريف والوضيع ، لا يقبلون فى حدود الله شفاعة ،

(١) سورة الانبياء : ١٠٧ •

ولو كان الجانى من الأشراف ، ألم يقل النبى ﷺ لمن شفعوا فى شريفة سرقت « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » •

أمرهم بطلب الرزق بالوسائل الشريفة فاتجروا برا وبحرا ، وأنشأوا البساتين والمزارع ، والمتاجر والمصانع ، وتعددت أسباب أرزاقهم ، وتنوعت وسائل خيراتهم •

أمرهم أن يعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة حتى لا يؤخذوا من ضعف أو على غرة ، فأنشأوا الجيش الاسلامى أقوى دعامة للحق ، وأمنع حصن ضد الأعداء المتربصين ، وأنشأوا السفن الحربية وسلحوها بالمدافع منذ أول العهود الاسلامية الزاهرة ، فنصروا بالقوة تارة وبالرعب أخرى ، وما ردت لهم راية ماداموا بحبل الله معتصمين •

أمرهم بالصلاة والزكاة والصيام والعفاف ، والاحسان الى الصديق والعدو والقريب والبعيد ، أمرهم بالمودة وحفظ العهود ، ورعاية الجار ، والتعاون فى السراء والضراء ، ومحاسبة النفس قبل محاسبة القضاء •

أمرهم بالصدق والأمانة ، ورعاية حقوق الآباء والأبناء ، والأزواج والزوجات ، والمؤمن والكافر ، والقريب والبعيد ، أمرهم بذلك كله وبغيره من الصالحات فامتثلوا ، وكانوا أئمة وقادة ، فى تواضع وحكمة ، وشهامة وهمة ، فرضى الله عنهم أجمعين ، ولمثل هذا فليعمل العاملون •

ألا وان رسالة الاسلام كل يوم جديدة ، ينطق بها القرآن على سمع الزمان ، وينشرها الدعاة والمرشدون فى المعاهد والمساجد ، والمجتمعات والنوادى ، وبذلك بقيت تعاليمه غضة ناضرة ، زاهية زاهرة ، تنعش القلوب والأرواح ، وتسرى فى القلوب والأفئدة ، فتدب فيها الحياة ، وتسبح الله وتسعى الى هداه ، ولن يصلح أمركم أيها المسلمون فى الحياة ، الا بالعمل بكتاب الله ، ذلك السجل الالهى الخالد الذى لا تفنى عجائبه ، ولا تنتهى غرائبه ، فيه نبأ ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، والخبر اليقين عن عاقبتكم ، هو الفصل ، وما هو بالهزل ، من أخذ به سلم ، ومن عمل به هدى الى صراط مستقيم ، هو المعجزة العلمية التى نبهت العقول وصرفتها الى النظر فى الآيات ، ليس فيه كهانة كاهن ، ولا شعوذة مشعوذ ، ولا سحر ساحر ، ولا مجال فيه لطعن طاعن ، هو الحجة الباقية على الزمان ، الرافعة لشعار العلم والعرفان ، المؤيدة بكل ما يكشف عنه العلم على مر الزمان •

ألم يتحدث عن الكونيات منذ أربعة عشر قرنا حديث الحق ، فأيد حديثه الكاشفون بعد حين ، ولسوف يعلمون من خفاياه ما يجهلون ، فبأى حديث بعده يؤمنون •

وحسبك فى اعجازه غير هذا أنه جاء به نبى أمى زكت أخلاقه ، وكملت سجاياه ، ووثق من مستقبل أمته ، فتحدث عنه حديثا أيده الزمان ، وكان على نبوته أوضح برهان •

التنبؤ بفتح بلاد كسرى

أخرج الامام البخارى بسنده عن عدى بن

حاتم قال (بينا أنا عند رسول ﷺ) اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل .

فقال : « ياعدى . هل رأيت الحيرة » ؟

قلت لم أرها وقد أنبئت عنها .

فقال : « ان طالت بك حياة لترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف أحدا الا الله » .

قلت فى نفسى : فأين دعار (١) طىء الذين سعروا فى البلاد ؟ (٢) « ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ؟

قلت : كسرى بن هرمز ؟

قال : « كسرى بن هرمز » ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه ذهبا أو فضة فلا يجد أحدا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم القيامة ، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فليقولن : ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك ؟ فيقول : بلى يارب ، فيقول : ألم أعطك مالا وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى يارب ، فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم ، وعن يساره فلا يرى الا جهنم ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة » .

قال عدى رضى الله عنه ، فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت ، لا تخاف الا الله ، وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم الحياة لترون ما قال أبو القاسم — ﷺ يخرج الرجل ملء كفه ذهبا أو فضه فلا يجد من يقبله » .

التنبؤ بفتح مصر

وعن أبى ذر — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله ﷺ : « ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيرا ، فان لهم ذمة ورحما » أخرجه الامام مسلم .

الى غير ذلك من التنبؤات التى تحققت والتى سوف تتحقق ، ومن أهمها بقاء رسالة الاسلام الى قيام الساعة ، فقد قال ﷺ « ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة أو حتى يأتى أمر الله » وتلك بشرى ببقاء دين المجتمع الفاضل ما بقيت الدنيا .

شهادة الغربيين المنصفين للاسلام

١ — قال الكاتب الانجليزى الاشهر — توماس كارليل — فى كتابه (الأبطال) لقد أصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر ، أن يصغى الى ما يقال من أن دين الاسلام كذب ، وأن محمدا خداع مزور وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التى أداها ذلك الرسول ، مازالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرنا ، لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا (٣) ، خلقهم الله الذى

٥

(١) دُعّار ، جمع داعر ، وهو الخبيث الفاسق .
(٢) من سَعّرَ النار ، أشعلها .
(٣) كان عدد المسلمين كذلك منذ قرنين من الزمان تقريبا ، وقتما كان الفيلسوف توماس كارليل حيا ، اما الان فهم يبلغون خمسمائة مليون تقريبا .

خلقنا — الى أن قال ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ، فما الناس الأبله مجانين ، وما الحياة الا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها ألا تخلق .

ثم قال : ان الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الطوب ، فهو اذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وماشاكل ذلك ، فما الذى يبنيه بيت ، وانما هو تل من الأنقاض ، وكثيب من أخلاط المواد — نعم — وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثنى عشر قرنا (١) : يسكنه مائتا مليون من الأنفس ، ولكنه جدير أن تنهار أركانه فتنهدم .

شهادة الكونت هنرى الفرنسى

وقال الكونت هنرى الفرنسى : لسنا محتاجين فى اثبات صدق نبوة محمد الى أكثر مما يأتى .

١ — كان محمد أميا لا يقرأ ولا يكتب ، كما لم يسترشد فى دينه بمرشد سبقه .

٢ — وكان ينفر من عبادة الأوثان وتعدد الآلهة .

٣ — ومع كونه أميا جاء ومعه قرآن يعجز فكر بنى الانسان عن الاتيان بمثله لفظا ومعنى .

٤ — وهو سر من الأسرار لا يدركه الا من صدق بأنه من عند الله .

٥ — ولا ينكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر نبوة حقا ، وما بقى فيه فكر خاص به .

٦ — وما كان يميل الى الزخارف والاستكبار والبخل ، انه كان يحلب شاته بنفسه ، ويجلس على التراب ، ويرتق ثيابه ونعله بيده ، وكان قنوعا خرج من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير ، ولم تكن له حاشية ولا وزير ولا حشم ، لم يرغب طول رسالته فى المال ، وكل ما يأتيه منه كان يتصدق به ، وبلغ من السلطان غايته ، ولم يكن له من علامة الملك سوى قضيب : الى غير ذلك مما ذكره هذا المنصف الذى لم يعمه الحقد ولا التقليد .

شهادة المسيو دينيه الفرنسى

بلغ هذا الكاتب سبعين سنة من العمر ، قضى شطرا منها فى البحث العميق ، والمقارنة بين المسيحية والاسلام ، ثم هداه الله الى الاسلام ، ومما قاله فيه : هذا الدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى لم يتخذ فيه الاله شكلا بشريا أو ما الى ذلك من الأشكال ، أما فى المسيحية ، فان لفظ (الله) تحيط بمدلوله فيها تلك الصورة الآدمية ، لرجل شيخ طاعن فى السن ، قد بانت عليه دلائل الشيخوخة والانحلال ، فمن تجاعيد بالوجه غائرة ، الى لحية بيضاء مرسلة مهملة ، تثير

(١) كان ذلك فى أيام الكاتب ، أما الان فقد تجاوز أربعة عشر قرن .

فى النفس ذكرى الموت والفناء ، ونسمع القوم يصيحون : يحيا الله • فكيف لا يخشون على هذا الهرم الهلاك ويطلبون له الحياة ، أما الله فى دين الاسلام فلم يجرؤ أى مصور أن يصوره ، لأن الله لم يخلق الخلق على مثاله ، فانه ليست له صورة ولا حدود محصورة •

ثم يقول : ان الشريعة الاسلامية ساوت بين الناس ، ولم تفرق بينهم الا بعلو الهمة ومكارم الأخلاق ، فهذا بلال الحبشى أقامه الرسول مؤذنا للمسلمين ، فاذا سمعوه سعوا الى الصلاة ، مع ما عرف به العرب من التفاخر بالأحساب والأنساب •

ثم يقول : ان الحركات والاشارات فى الصلاة الاسلامية ، ذات سهولة ونبالة لم يسبق لها مثيل فى صلاة غيرها ، كما أنها لا تدعو الوجوه الى التظاهر والتكلف ، ولا تدعو العيون الى الشخوص نحو السماء واستنزال الدموع الكاذبة ، مما يفعله غيرهم أمام القديسين •

ثم يقول : ان العقيدة الاسلامية لا تقف عقبة فى سبيل التفكير ، وكما أن الاسلام صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس ، فهو صالح لجميع العقليات والمدنيات ، فكما يهيج نفس الرجل العملى فى أسواق لندن — حيث الوقت هناك من ذهب — يأخذ بلب الفيلسوف الروحانى الى آخر ما ذكره هذا الفيلسوف الذى ذاق حلاوة الايمان •

أيها المسلمون : هذا دينكم فمجدوه ، فانه صفو الحياة ، وكلمة الله « وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا » (١) •

مصطفى محمد الحديدى الطير
عضو مجمع البحوث الاسلامية

(١) سورة النساء : ٦٩ •

من حديث القرآن الكريم

عن النبى صلى الله عليه وسلم

— ١ —

فى الذكرى العطرة لمولد النبى ﷺ نعود فى اجلال وتوقير عظيمين ، الى القرآن الكريم ، ونقف فى رحابه خاشعين ، نقرأ فيه آيات الله البينات ، التى تتصل بالحديث عن النبى ﷺ ، لنتأمل بعضا من جوانب شخصية من اختاره الله سبحانه وتعالى — رحمة للعالمين ، وخاتما للأنبياء والمرسلين .

وبداهة فان حديث القرآن الكريم عن النبى ﷺ حديث يتقدم كل حديث يؤخذ من مصدر سواه ، فهو من قول رب العالمين ، ومن أصدق من الله قيلا ؟ وهو شهادة ممن اصطفاه ، وكفى بالله شهيدا .

والحديث هنا حديث غايته ارسال ومضة من شعاع ، واشراقة من ضياء ، وقبس من نور ، لأن ماعدا ذلك فوق طوقه ، وأبعد عن متناوله ، وحسبه مع هذه الغاية أن يرنو بالبصر الى مصدر الشعاع والضياء والنور ، وأن يستقبل بالبصيرة ما توحى به الذكرى ، وما تسخو به على القادمين ليستظلوا بظلها الظليل فى واحة الحياة .

— ٢ —

** فمن هذه الجوانب التى نقف عندها فى رحاب القرآن الكريم ، جانب يعود بذاكرتنا الى الماضى البعيد ، الى زمن أبى الأنبياء ابراهيم — عليه السلام — ، ذلك حين وقف متجها الى ربه خاشعا داعيا ، قائلا فى ضراعة ورجاء « **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** » البقرة ١٢٩ .

وحين نتلو هذا الدعاء ، فاننا نتذكر استجابة الله تعالى لدعاء نبيه ابراهيم — عليه السلام — ، وهى استجابة سجلها القرآن الكريم فى حديثه عن النبى ﷺ ، ذلك حين امتن الله تعالى على عباده بنعمة الرسالة المحمديه ، التى جعلتهم أهلا لتلقى كلمات الله وآياته عليهم ، فأنقذتهم مما كانوا فيه من جهل وضلالة ، وأخرجتهم من الظلمات الى النور ، وأنشأت منهم خلقا آخر زكيا طاهرا نقيا ، وهذا ما نقرأه فى هذه الآيات :

« **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ**

للاستاذ الدكتور
طه مصطفى أبوكريشة

رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » آل عمران ١٦٤ •

« كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » البقرة ١٥١ •

« هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » الجمعة ٢ •

وإذا كان النبى ﷺ اجابة لدعاء توجه به ابراهيم — عليه السلام — الى ربه ، فانه كان — عليه الصلاة والسلام — تحقيقا لبشرى جاءت من بعد ذلك وقريبا من مولده ، على لسان عيسى — عليه السلام — ، وهى بشرى صريحة معلنة ، واجه بها بنى اسرائيل فى حديث معرف بذاته ، جمع بين كونه مكلفا بالتبشير بها ، وبين كونه رسولا من عند الله اليهم ، ومصدقا لما أنزل على موسى — عليه السلام — من كلمات ربه ، وذلك حديث هذه الآية « وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » الصف ٦ •

— ٣ —

** ومن الماضى فى حديث القرآن الكريم عن النبى ﷺ نصل الى الحاضر الذى واكب مبعثه وما تلا ذلك من حياة ••• وحديث القرآن الكريم هنا حديث يستحضر لنا صورة تلك الحياة ، كأنها ماثلة مشهودة أمام البصائر والأبصار •

(أ) ومن مشاهد تلك الحياة مشهد الوحى يتنزل على النبى ﷺ بأول آيات الله ، وفيها نرى أمرا بالقراءة باسم الله ، وهو أمر مكرر ، يوحى بتلك النقلة التى ستنقل هذه الأمة ، لتتعلم الكتاب والحكمة بعد أن كانت فى ضلال مبين ، وفيها كذلك توجيه الى معرفة الله سبحانه وتعالى ، الخالق الأكرم الذى علم الانسان ما لم يعلم • أما هذه الآيات التى كانت أول خطاب فهى : « اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الإنسان مالم يعلم » العلق ١ — ٥ •

من حديث القرآن الكريم

(ب) واذن فهناك رسالة منتظرة ، وهناك مسئولية كبرى فى الطريق ، وكانت أول آيات الوحى ايذانا بالبداية التى لها مابعدها • ومن ثم جاء الأمر الالهى الذى يعد النفس اعدادا لتحمل أعباء هذه الرسالة وتلك المسئولية ، فكان توجيهه سبحانه وتعالى لنبية ﷺ توجيها نحو التعبد الخالص فى خلوة روحية ، يسكن فيها الكون ، ويخشع فيها الوجود ، لأن ذلك هو الطريق الذى ينشىء النفس انشاء جديدا ، ويزودها بزاد يمنحها القدرة الروحية التى تعينها على تحمل صعاب وشدائد منتظرة على طريق ابلاغ الدعوة •

وهذا الجانب الذى يتصل بالاعداد النفسى والروحى للنبى — عليه الصلاة والسلام — هو ما يحدثنا عنه القرآن الكريم فى هذه الآيات « **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ • قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا • نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا • أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا • إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا • إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا • إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا • وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا • رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا • وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** » المزمل ١ — ١٠ •

(جـ) فاذا حان وقت الانذار بالدعوة والجهر بها ، جاء الوحى من عند الله بأوامر توجه النبى ﷺ توجيها شاملا موافقا لمقتضيات هذه المرحلة وملابساتها الطارئة ، وفى هذه الأوامر الربانية ، نرى الأمر بالنهوض والانذار ، وبتعظيم الله سبحانه وتعالى وتكبيره دون سواه ، والأمر بالتطهر ظاهرا وباطنا ، وبالتخلق بالصبر على الأذى ، مع الاعراض عن حماقة المشركين وجهالاتهم ، والاستعانة عليهم بالتسبيح والتحميد لله الواحد القهار •• وذلك التوجيه هو حديث هذه الآيات من كتاب الله « **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ • قُمْ فَأَنذِرْ • وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ • وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ • وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ • وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ • وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** » المدثر ١ — ٧ •

« **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ • إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ • الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ • وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ • فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ • وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** » الحجر ٩٤ — ٩٩ •

(د) ولقد حدث من المشركين ايذاء حقا ، ايذاء حسى ، وآخر معنوى ، وكان من هذا المعنوى ما قاموا به من التشكيك فى القرآن الكريم الذى تحداهم وأعجزهم • فهم تارة يشككون فى مصدره زاعمين أنه ليس من عند الله ، وانما هو تعليم وتلقين من مصدر بشرى •

وتارة أخرى يزعمون أنه من تأليف النبى ﷺ وكتابته ، آخذا مادته مما عرفه من كتب السابقين ، ومما تلقاه من معارف اللاحقين المعاصرين ... وقد سجل القرآن الكريم فى حديثه عن النبى ﷺ كل تلك المزاعم ، ورد عليها الردود الدامغة التى تكشف سذاجة الزاعمين وزيف دعاواهم ، وتلزمهم فى الوقت نفسه بالحجة والدليل أنه كتاب رب العالمين .

فمن الآيات التى سجلت زعمهم نسبة القرآن الى مصدر بشرى أعجمى ، مع الرد عليهم بالحجة القاطعة قوله تعالى « **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ** » النحل ١٠٣ .

ومن الآيات الأخرى التى سجلت زعمهم وادعاءهم أن القرآن من تأليف النبى ﷺ وكتابته قوله تعالى « **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا** » الفرقان ٤ — ٦ .

ولقد فات المشركين فى غمرة الافك والزعم والادعاء أن النبى ﷺ عاش بينهم ما عاشه من عمر لا يقرأ ولا يكتب ، فما كان من قبل تاليا لكتاب ، وما كان خاطا له بيمين ومن هذه الحقيقة فى حياة النبى جاء الرد الالهى عليهم « **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ** » العنكبوت ٤٨ — ٤٩ .

« **وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** » الشورى ٥٢ .

ومن الايذاء المعنوى أيضا ما قصدوا من ورائه احراج النبى ﷺ ، فقد طلبوا منه الاتيان بمعجزات حسية ، حتى يؤمنوا به ويصدقوه ، كأنهم لم يكفهم ما جاء به من معجزة القرآن الكريم ، وقد جاء تسجيل ذلك فى آيات بينات تكشف ما هم عليه من تخبط وتردد ، وتبين أنهم قد أغلقوا منافذ العقل حتى لا يفكر ولا يتدبر فى حقيقة الرسالة ، وفى الغاية التى جاءت من أجلها ، وتلك الآيات هى قوله تعالى : « **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا**

من حديث القرآن الكريم

أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا • أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا » الاسراء ٩٠ — ٩٣ •

(هـ) والى جانب هذه الصور من محاولات الايذاء المعنوى ، فانهم من جانب آخر قاموا بالطعن فى شخصية النبى ﷺ حتى يصرفوا الناس عن الايمان به وتصديقه ، ولقد كان الطعن هنا قائما على وصفه بصفات تتعارض مع حقيقة النبوة ، ومن ذلك وصفهم له تارة بأنه شاعر ، وتارة أخرى بأنه كاهن ، واذن فليكن شأن الناس معه شأنهم مع الشعراء والكهان •• وقد نفى الله تعالى عن نبيه هذا الزعم ، فى آيات بينات تؤكد بعد القرآن الكريم عن أن يكون شعرا أو كهانة ، يقول تعالى « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ » يس ٦٩ •

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ • وَمَا لَا تُبْصِرُونَ • إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ • وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ • وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ • تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » الحاقة ٣٨ — ٤٣ •

— ٤ —

** ومن حديث القرآن الكريم عن النبى ﷺ وموقف المشركين منه ومن الدعوة ، تطالعنا فى هذا الحديث القرآنى آيات أخرى تتحدث عن النبى ﷺ مع صحابته ، الذين آمنوا به وصدقوه وآزروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه وهى آيات تكشف عن مدى الحب العميق ، الذى أحب به المؤمنون نبيهم وأحب به النبى — عليه الصلاة والسلام — أصحابه •

(أ) ان صورة المؤمنين مع نبيهم ، ومع بعضهم بعضا ، صورة وضاءة يشيع فيها خلق المودة والرحمة ، المبنى على الحب والتعاطف ، ولقد غذى كل ذلك فيهم ايمان عميق بالله سبحانه وتعالى ، ايمان غايته ابتغاء الفضل والرضوان من رب العالمين • وهذا ما يحدثنا به القرآن الكريم فى قول الحق تبارك وتعالى « مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » الفتح ٢٩ •

(ب) ولقد علم القرآن الكريم المؤمنين أسلوب التخاطب مع رسول الله ﷺ وهو أسلوب قائم فى جوهره على التوقير والتبجيل ،

وعلى السلوك المهذب الرشيد ، فهم اذا تحدثوا اليه وخاطبوه ، فعليهم أن يتكلموا بصوت خفيض هادىء ، لا ينبغى بحال أن تعلو نبرته على صوت النبى ﷺ ، ولا يحسن أن يكون جهرا بالقول كما يجهر بعضهم لبعض « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون . إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم » الحجرات ٢ — ٣ .

وكذلك فانهم اذا كانوا جالسين مع النبى ﷺ فى مجلس من المجالس ، فان عليهم أدبا ينبغى أن يلتزموا به ، وهو ألا يفارقوا هذا المجلس من غير استئذان بالانصراف ، والالتزام بهذا الأدب عنوان على الايمان الصادق الذى يعمر القلوب ، ودليل على التوقير الذى تتحلى به النفوس . وكذلك فانهم اذا نادوا النبى ﷺ ، فعليهم أن ينادوه بما يتفق مع مقام النبوة ومنزلة الرسالة ، وليس كما ينادى بعضهم بعضا .

وحديث القرآن الكريم حول هذا الجانب من السلوك نقرأه فى قوله تعالى « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم . لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » النور ٦٢ — ٦٣ .

وفى منزل الرسول ﷺ ينبغى أن يكون لهم أيضا سلوك فيه حفاظ على المشاعر ، وحفاظ على الحرمات وحفاظ على الحقوق الخاصة فى الراحة والتخفف من أعباء الكلفة وأخذ الحيطة . ان هذه التربية القرآنية للمؤمنين فى سلوكهم مع النبى ﷺ حين يكون فى بيته وبين أهله ، تحدثنا عنها هذه الآيات « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه . ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم . والله لا يستحيى من الحق ، وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن . وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده

◄

أبدًا إنّ ذلكم كان عند الله عظيمًا » الاحزاب ٥٣ ٠

(ج) أما حديث القرآن الكريم عن المودة والرحمة ، والرأفة والشفقة التى يكنها النبى ﷺ لصحابته ، فان ذلك ما سجلته آيات بيغات ، فيها اشادة بتلك العاطفة ، واعلاء لذلك الاحساس الرهيف ، وفيها شهادة من رب العالمين على هذا الخلق العظيم الذى زود به نبيه ، وأودعه فى ظاهره وباطنه ، وفى شعوره وسلوكه ٠

ومن هذه الآيات ما يشير الى خلق الرحمة التى تخلق بها النبى ﷺ ، وجعلته لينا رفيقا حليما مع صحابته ، وهى رحمة مستمدة من رحمة الله رب العالمين ، الذى كان من رحمته بعباده أن أرسل اليهم رسوله ليهديهم الى صراطه المستقيم ، وليكونوا فى رحمة الله هم فيها خالدون « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » آل عمران ١٥٩ ٠

ومن هنا جاء امتنان الله تعالى على المؤمنين بنعمة ارسال النبى ﷺ اليهم مزودا بهذه الصفات العظيمة الجليلة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » التوبة ١٢٨ ٠

وهى صفات مدح الله تعالى بها نبيه ، وأقسم على عظمة ما عليه من خلق قويم ٠

« ن والقلم وما يسطرون ٠ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ٠ وإن لك لأجرا غير ممنون ٠ وإنك لعلى خلق عظيم » القلم ١ — ٤ ٠

وهى شهادة من رب العزة تشير الى أن النبى ﷺ له من كل خلق قويم أسماه وأسناه ، وأحمده وأرضاه ، وأرفعه وأعلاه ٠ ولقد كان — عليه الصلاة والسلام — فى كل ما يصدر منه من خلق مع صحابته المؤمنين انما يترجم فى مسلك عملى ما أمره به رب العالمين فى قوله « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ٠ فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون » الشعراء ٢١٥ — ٢١٦ ٠

— ٥ —

** ومن حديث القرآن الكريم عن النبى ﷺ حديثه عن الغاية الكبرى من رسالته ، فهو رحمة من الله للعالمين « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » الأنبياء ١٠٧ وهو بشير لمن أطاع الله بالجنة ، ونذير من النار لمن عصاه « إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا » البقرة ١١٩ ٠

« وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا » الفرقان ٥٦ ٠

« يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا

وَنَذِيرًا • وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا • وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا » الأحزاب ٤٥ — ٤٧ •

وهو ﷺ مرسل بالهدى الذى ينقذ الناس من الضلال ويخرجهم من الظلمات الى النور « هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا » الفتح ٢٨ •

« وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ • صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ » الشورى ٥٢ — ٥٣ •

وهو — عليه الصلاة والسلام — قدوة للناس فى أخلاقه ، وأسوة حسنة فى عبادته ، والاقتداء به يوصل الى رضا الله سبحانه وتعالى والى الفوز فى اليوم الآخر بجنات النعيم « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » الأحزاب ٢١ •

« قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ • قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ • لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » الأنعام ١٦١ — ١٦٢ •

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » يوسف ١٠٨ •

— ٦ —

✻✻ وبعد •• فهذا جانب من حديث القرآن الكريم عن النبى ﷺ لم تهدف فيه الى احاطة واستقصاء وانما كان وقوفنا — كما قلنا فى البدء — تقديما لومضة من شعاع ، واشراقة من ضياء ، وقبس من نور ، ذلك لأن كتاب الله تعالى هو النور الذى جاءنا من رب العالمين « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا » النساء ١٧٤ •

« قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ » المائدة ١٥ •

والنبى ﷺ هو السراج المنير « وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا » الأحزاب ٤٦ •

ونحن فى ذكر مولد النبى ﷺ ، ان تذكرنا ذلك النور كله ، واستضأنا به فى دياجير هذه الحياة ، فاننا سوف نمتلك نورا يكون هداية لنا من ضلال ، واخراجا لنا من ظلمات ، ومغفرة لنا من خطايا وذنوب « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » الحديد ٢٨ •

ومن غير هذه المصادر لا يلتمس أحد شعاعا من نور « وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ » النور ٤٠ •

أ• د طه مصطفى أبو كريشة

من وحى المولد

فى سورة الضحى من سور القرآن الكريم المكية ثلاث آيات تشير بايجاز الى مراحل حياة النبى محمد ﷺ هى :

« أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى • وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى • وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » ؟ •

وأنا فى هذا الاتجاه سأحصر نفسى فى الآية الأولى : فقد وقفت حيالها طويلا ، وتأملتها مليا مدققا ، وانتقلت من القرن العشرين الى القرن السادس الميلادى ، وانكشفت لى الجزيرة العربية بمدرها ووبرها،وعشت فى مكة وسمعت ما دار حول مولد اليتيم ، ودار فى نفسى حديث حول اليتم وقلت : ان محمدا حين ولد لم يكن اليتيم الوحيد فى مكة ، ولم يوصف أحد منهم بهذا الوصف ، ولكن الوصف لزم محمدا منذ ولادته الى أن بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ، وقد يقال له ذلك وهو المختار لرسالة السماء ، والداعى الى الله ، والنذير البشير ، والعلم المفرد الذى يشار اليه بالبنان ، والمؤسس لأعظم دولة ايمانية فيما يسمى بالعصور الوسطى •

وكان أن نظرت فوجدت أن معاصريه لم يخطئوا حين خصوه بتلك الصفة ، فهو الوحيد الذى تعرض والده للذبح نتيجة نذر جده عبد المطلب ، ونجا الوالد بأعجوبة بفتوى عرافةيثرب التى جعلت نجاته بضرب القداح بينه وبين الابل تبدأ بعشرة ثم تزاد حتى تستقر القداح عليه أو على الابل ، وكان أن استقرت القداح على مائة منها ، ومن ثم كانت ديته أو فداءه ، وهذا الفتى الذى نجا أخذه والده من يداه ، وزوجه من خيرةنساء قومها « آمنة بنت وهب » ثم رحل الفتى للتجارة ولم يعد ودفن فى يثرب •• ثم كان مولد ابنه محمد ﷺ • فتلك الأحداث المتلاحقة هى التى دعت البيت الهاشمى وسائر بطون قريش أن تنعته باليتيم • والا فقل لى لم لم يوصف حمزة والعباس عماه بما وصف به ؟ لقد مات عبد المطلب وكل منهما لم يبلغ مبلغ الرجال • لقد رضع محمد وحمزة معا عن ثويبة جارية أبى لهب •

وروى عن العباس ــ رضى الله عنه أنه قال : أذكر مولد رسول الله ﷺ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها ، فجىء بى حتى نظرت اليه ، وجعل النسوة يقلن لى : قبل أخاك فقبلته •

للاستاذ السيد حسن قرون

ومعروف أن عبد المطلب مات وعمر حفيده محمد ثماني سنين ، فيكون عمر العباس احدى عشرة سنة • فهو فى العرف والفقه يتيم ، لأن اليتيم – كما تعلم – من فقد أباه ولم يبلغ مبلغ الرجال (١) ، وما يقال عن العباس يقال عن حمزة ولم يوصف أحد منهما باليتم • والأمر كما ذكرت آنفا ، فالأحداث المتلاحقة التى صاحبت مولده هى التى صنعت هذه الصفة •

ولقد استرضع فى بادية بنى سعد فغاب عن أهله فلهجوا بذكره وتحدثوا عن حياته ، وحنوا اليه حنينا شديدا ذكرهم بموت والده فى الغربة وعطفوا عطفا فيه كلام عن اليتيم واليتم •

كان رضيعا تلك البادية ترضعه حليمة السعدية ، وقد لقى منها ومن زوجها واخوته من الرضاع ما جعله ينمو نموا طبيعيا ، فلما فطمته بعد سنتين عادت به الى أمه بمكة ، وفى نيتها أن تعود به من حيث أتت لما لمسته من بركة وطالع السعد بمحضره ، وترجت أمه أن ترسله معها بعيدا عن وباء مكة فقبلت الأم •• وعلى مدى غيابه عند مرضعته كان الحديث عنه فى بنى هاشم لاينقطع ، والحنين اليه يكبر يوما فيوما •• ومكة والبادية فى تنافس محمود فى رعايته والعناية به •

وتذكر كتب السيرة أن حليمة قالت حين شرفت بأخذه معها : « قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا امرأة الا وقد عرض عليها فتأباه اذا قيل لها : انه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبى الصبى ، فكنا نقول : وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ »

وهذا الكلام لا يعطى أن هذا اليتيم فقير ولكنه يصف حالة ، ولم تدر المراضع أن أم هذا الصبى لم توصف بالفقر ، وأن جده كان صاحب عير قريش – رئيس الغرفة التجارية كما تحدث عنه أحد المعاصرين – مازال موسعا عليه فى الرزق ، فالرجل الذى نحر مائة من الابل فداء ابنه ، والذى نحر مائتى ناقة استردها من أبرهة فى حادث الفيل فى عام واحد تقريبا لا يعد فقيرا ، ولايضن بالنفقة على ابن عبد الله ، وعبد الله كان أحب ولده اليه وقد مات غريبا وترك بعده وليدا فكيف يكون موقف الجد السخى من ولده ؟

لكن العادة جرت أن الوالد هو القائم بالنفقة ، وللبادية نظرة غير نظرة أهل القرى، وقريش كانت تحنو على اليتامى ولا تشعرهم باليتم فى الجاهلية والاسلام ، فما بالك برجل عظيم مثل عبد المطلب ذاق اليتم وذاق حنان العم ؟

---

(١) فى الخبر عن على بن أبى طالب – رضى الله عنه : .. لايتم بعد احتلام •

من وحى المولد

انظر الى محمد وقد مضى نحو مجلس جده وقد فرش له فلا يقربه أحد . يقول ابن اسحاق :

وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه اجلالا له ، فكان رسول الله ﷺ — يأتى وهو غلام جفر حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب : دعوا ابنى فو الله ان له لشأنا ، ثم يجلس معه على الفراش ، ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

وقال قوم من بنى مدلج لعبد المطلب — وهم أهل فراسة — :احتفظ به ، فانا لم نر قدما أشبه بالقدم التى بالمقام منه (مقام ابراهيم) فقال عبد المطلب لابى طالب : اسمع ما يقول هؤلاء فكان أبو طالب يحتفظ به . وقال عبد المطلب لأم أيمن — وكانت حاضنة محمد — يابركة (وهذا اسمها) لا تغفلى عن ابنى ، فانى وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وان أهل الكتاب يزعمون أن ابنى هذا نبى هذه الأمة .

وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا قال : على بابنى ، فيؤتى به اليه ، وكان يقربه منه ويدنيه ، ويدخل عليه اذا خلا واذا نام .

وأغلب الظن أن الزمخشرى حين فسر اليتم بغير المعهود كان ينظر الى ما يلقى محمد فى طفولته من عناية ورعاية وتفاؤل يجعلهم يقولون تارة : ان له لشأنا ، وتارة أخرى يقولون : انه ليؤنس ملكا ، وتارة ثالثة يذكرون أنه « نبى هذه الأمة » فكان من تفسيره لقوله تعالى : «﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ » ؟ أن قال :

« ومن بدع التفاسير أنه من قولهم : (درة يتيمة) ، وأن المعنى : ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك » ؟

والعبارة واضحة فمحمد ﷺ لا مثيل له بين قريش ، وأنه انفرد بشمائل وفضائل لا توجد فى أحد من الناس فهو الدرة اليتيمة التى لا مثيل لها ، وقد انتقل بنا الزمخشرى فى كشافه الى معنى بعيد ، من فقد الوالد الى فقد النظير والمثيل . وقد جاء هذا الفهم البعيد فى همزية البوصيرى التى مطلعها .

كيف ترقى رقيك الانبياء
ياسماء ما طاولتها سماء ؟

فقد قال ولحظ « الدرة اليتيمة » والخطاب لليتيم :

لم تزل فى ضمائر الكون تختا
رلك الأمهات والآباء
ما مضت فترة من الرسل الا
بشرت قومها بك الأنبياء
تتباهى بك العصور وتسمو
بك علياء بعدها علياء
وبدا للوجود منك كريم
من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه
قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سؤدد وفخار
أنت فيه اليتيمة العصماء

الشاهد فى البيت الأخير فاليتيمة العصماء هى الدرة اليتيمة التى نوه بها الزمخشرى ،

والغريب أن البوصيرى كرر هذا الاداء فى قصائده ومنها (اللامية) التى عارض بها كعب ابن زهير وسماها «ذخر المعاد فى وزن بانت سعاد» •

يقابل البشر منه بالندى خلق
ذاك على العدل والاحسان مجبول
من آدم ولحين الوضع جوهره المكنو
ن فى أنفس الأصداف محمول
فللنبوة اتمام ومبتدأ
به وللفخر تعجيل وتأجيل

والشاهد فى البيت الثانى «الجوهر المكنون» والبيت الثالث يشير الى النبوة لمحمد أولا وأخيرا بمعنى أن نبوته قبل أبى البشر آدم ، فهو مبتدأ وخاتمة •

وليس بدعا فى الاداء الأدبى أن يعبر عن النبى المختار بالدرة اليتيمة ،ونحن اليوم نستخدم كلمة اليتيمة فى الجمعة الأخيرة من رمضان لأنها لا تكرر فنقول : « الجمعة اليتمية » •

والقرآن الكريم يجعل محمدا — صلوات الله وسلامه عليه — نورا وسراجا ، يقول الله تعالى : « قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ » (١٥ سورة المائدة) والنور هو محمد كما يقول النسفى • ويقول عز وجل :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا • وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » (٤٥ — ٤٦ سورة الأحزاب) والسراج المنير هو محمد وهو منير بالقرآن ، فاذا وصفناه بالدرة اليتيمة لا نكون مبتدعين فى التفسير ولا مغالين فى التكريم • ويتم محمد ﷺ يقع تحت الحكمة الالهية ، فالأب والأم ماتا فى شرخ الشباب ، وكأنهما لم يوجدا الا ليوجد هو •

وهذا اليتم صان الله محمدا عن عقابيله ، فقد وجد العناية والرعاية والحب والحنان فى كل مكان ، فى بيت أبيه وفى بادية بنى سعد وفى كفالة جده ثم عمه •

وكتب السيرة تذكر أن جده استقبل البشارة بمولده هشا بشا ، ذهب الى آمنة حين دعته فأخذ الوليد وانطلق به داخل الكعبة يعوذه ، وكان مما قال :

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان
أعيذه بالبيت ذى الأركان
أعيذه من كل ذى شنآن
من حاسد مضطرب العنان

وتحكى أمه عن حمله فتقول : انها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها : انك حملت بسيد هذه الأمة ، فاذا وقع الى الارض فقولى : أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمدا •

ويتلقاه عمه الزبير بن عبد المطلب فيجلسه على حجره ويرقصه ويغنى له :

محمد بن عبدم
عشت بعيش أنعم

ودولـــــة ومغنم
فى فــرع عــز أســنم
مكـــرم مـــعظم
دام ســجيس الأزلم

« دام سجيس الأزلم » معناها أبد الدهر

وقد لعب فى طفولته وانطلق مع لداته سواء فى مكة أو فى البـادية أو فى يثرب لا يزجـره زاجر ، ولايفزعه عابر ، قالوا : ــ والروايـة عن ابن عباس رضى الله عنهما •

كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب فلما بلغ ست سنين خرجت بـه الى أخـواله (أخوال جده عبد المطلب)بنى عدى بن النجار تزورهم به فى يثرب ومعه أم أيمن تحضنه وهم على بعيرين ، فنزلت به فى دار النابغة فأقامت به عندهم شهرا فكان رسول الله ﷺ يذكـر أمورا كانت فى مقامه ذلك • لما نظر الى أطم بنى عدى بن النجار عرفه وقال : كنت ألاعب أنيسة (جارية من الأنصار) على هذا الأطم ، وكنت مع غلمان من أخوالى نطير طائرا كان يقع عليه، ونظر الى الدارفقال : ههنا نزلت بى أمى وفى هذه الدار قبر أبى عبد الله بن عبد المطلب ، وأحسنت العوم فى بئر عدى بن النجار •• » فانظر الى تلك الحياة الفطرية التى ينطلق فيها الطفل مع أترابه ، فهو يلاعب أنيسة ويطـير طائرا ويسبح فى البئر فيحسن السباحة مع أن هذه الزيارة كان القصد منها زيارة قبر والـد محمد، فمحمد منذ كان فى بطن أمه جنينا الى أن صار الى أبى طالب لم تصادفه الوجـوه الكالحة ، ولم يضطر يوما الى الجلوس الى موائد اللئام أو معاشرة الطغام •

ولما صار الى كفالة أبى طالب وجد منه أبـا حانيا ومن زوجه فاطمة بنت أسد بن هاشـم أما رءوما ، وكـان بين العم وابن الأخ حب متبادل تترجمه الأعمال الى واقـع محمود ، فكان أبو طالب اذا رأى عائقا أو ذا فراســة ينظر الى محمد غيبه عنه ، ويحرص الحرص كله أن يراه بجانبه •

يقول ابن اسحاق ان أبا طالب خرج فى ركب تاجرا الى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع السير صب به رسول الله ﷺ فرق له وقال : واللــه لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا، فخرج به معه •

قال الطبرى : كان محمد ــ يومها ــ ابن ثنتى عشرة سنة • فهذه الصبابة من الطفـل وتلك الرقة من العم يضرب بهما المثل ، وقـد استمر هذا التعاطف بينهما الى أن بعث اللــه محمدا رسولا فكان أبو طالب يفخر ويجعـل الفخر كله لمحمد • يقول :

اذا اجتمعت يومـا قريش لمفخـر
فعبد منـاف سرهـا وصميمها
وان حصلت أشراف عبد منافهـا
ففى هاشـم أشرافهـا وقـديمها
وان فخـرت يوما فـان محمـدا
هو المصطفى مـن سرها وكريمها

فمحمد سر السر يريد أنه أشرف الشرفاء

وأكرم الكرماء ، اليه يرجع الفخار ، ونحوه تتجه الأنظار . فالدرة اليتيمة أعدت بعناية الله لحمل الرسالة وأداء الامانة اعدادا لا نجد لهوصفا يحيط بها أوضح وأصدق من قولـــه تعالى

« أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى » ؟

ويسأل النبى ﷺ وقد بلغ ما أنزل عليه من بعض أصحابه بالمدينة عن بدء أمره ، فيقول لهم :

أنـــا دعـــوة أبى ابراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر .

أما دعوة ابراهيم فالله يقول فى شأنها :

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَــوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَــا تَقَبَّــلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَــا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

(الآيات ١٢٧ ــ ١٢٩ سورة البقرة) .

وأما بشرى عيسى فيقول الله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِــنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَــذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ » .

(٦ سورة الصف)

وفى حديثـــه عن أمه ورضاعه فى بنى سعد رمز الى الاعداد لحمل الرسالة ونشر الدعوة فى ربوع الشام .

وقد تناقلت الأجيال دعـــوة ابراهيم وبشرى عيسى عليهما الســلام ، فعملت عملها فى الجزيرة العربيـــة ، فسـجعت الكهان وتحدث المقيم والظاعن عن النبى المنتظر ، وتنافست قبائل فى هذا المجد ، فظهر اسم محمـــد فى قبائل مثـــل تميم وأسد وسليم طمعا فى النبوة ولكن اللـــه يعلم حيث يجعل رسالته ، فكان المختار لها محمد بن عبـــد اللـــه القرشى الذى خاطبهالله بعد أن فتر الـــوحى بقولـــه :

« أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَــآوَى . وَوَجَــدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » .

السيد حسن قرون

فى موكب البشارات بمبعث النبى

"صلى الله عليه وسلم"

لم يكن مجيء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى هذا العالم أمرا عاديا لا تلتفت اليه الأذهان ولا تتنبه له العقول ٠

ولكنه كان شيئا فريدا خارقا فى تاريخ الانسانية يتفق وجلال الرسالة التى اختير لها وسمو الهدف الذى بعث من أجله ٠ فلا بد أن تشير اليه بشارات سابقة ، وتتحدث عنه الكتب السماوية ، وتبشر به دعوات الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم اللهليأخذوا بأيدى الناس من الظلمات الى النور ٠

وقد أراد الله أن يكون هذا المبعوث الذى سعد به العالم هو خاتم هؤلاء الأنبياء والمرسلين ، وأن تكون رسالته التى جاء بها هى الرسالة التى اختارها الله لتكون دين الناس جميعا ، وأن تكون أمته هى الأمة المرحومة وهى خير الأمم ٠٠٠

ولقد أشار القرآن الكريم فى مواضع متفرقة الى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورد ذكره فى الكتب السابقة ٠ فمن ذلك : حين دعا موسى عليه السلام وقومه ربهم قائلين :

« وَاكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ » قال الله تعالى لهم : **« قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ـ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »** الأعراف ١٥٦ ، ١٥٧ وفى سورة الصف جاء على لسان عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام **« يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ »** الصف ٦ ٠

والذين قرءوا التوراة والانجيل قبل البعثة وتفهموا ما فيهما جيدا ـ قبل أن يحرف ما فيهما ـ فطنوا الى أوصاف نبى آخر الزمان

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

فيها وتشوفوا له ، بل استطاع بعضهم أن يحدد موعده ومولده ومبعثه ومهاجره ونسبه وقومه وأصحابه وأنصاره . وتوارث العلماء بالكتابين هذه المعلومات الدقيقة . حتى لعبت السياسة والحسد دورهما فكتم العلماء ماكتموا واظهروا ما أظهروا وغيروا ما غيروا .

وتأثر كثير من الناس بما كان يتناثر على ألسنة الأحبار من اليهود والنصارى من صفات النبي ﷺ ، وتشوقوا اليه وارتقبوا مبعثه ، بل ان بعضهم أعد نفسه أو ولده ليكون ذلك النبي المرتقب .

المتحنفون في بلاد العرب :

وظهر — لذلك — بين العرب من عرفوا بالمتحنفين الذين كانوا يبحثون عن الحق في الجاهلية ويتوقعون ظهور نبي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، ويأخذ بأيدي الناس الى حياة أفضل مما كانوا عليه من شرك وضلال وفساد .

ومن شواهد ذلك ما يقصه ابن اسحاق في سيرته قائلا : « اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ، فخلص منهم أربعة نجيا . ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض . قالوا : أجل ، وهم ورقة بن نوفل وعبد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل. فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم ، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولايضر ولا ينفع ؟ ياقوم التمسوا لأنفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء،فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم .. » هؤلاء المتحنفون نما الى علمهم ما كان يتحدث به علماء اليهود والنصارى من أخبار حول النبي الذي يبعث في آخر الزمان وأن أوانه قد دنا وأن نوره أوشك أن يشرق وأنه سوف يكون في تلك البيئة العربية القرشية .

المتمنون

حتى لقد تطلع أمية بن أبي الصلت الشاعر الى أن يكون هو هذا النبي ، وأعد نفسه لذلك، فتنسك ولبس المسوح وهجر الخمر ، وكان شاعرا مجيدا ، فكان شعره يدور حول معاني البعث والنشور والجنة والنار والدعوة الى الاله الواحد ، فلما بعث النبي ﷺ حسده وكفر بكل ما كان يدعو اليه ، ويقول بعض العلماء : إنه هو الذي نزل فيه قوله تعالى :

« وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ — وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » الاعراف ١٧٥ ، ١٧٦ .

وممن أعد ابنه ليكون نبى آخر الزمان ما يقصه علينا كتاب « خير البشر بخير البشر » لابن ظفر الصقلى الحموى المتوفى سنة ٥٦٥ هـ وهو من العلماء المحققين الأعلام له مؤلفات عدة قيمة . قال : « روى أن سفيان بن مجاشع ابن دارم احتمل ديات دماء كانت بين قومه فخرج يستعين فيها ، فدفع الى حى من تميم ، فاذا هم مجتمعون الى كاهنة لهم ، فأتاهم فحياهم ثم جلس اليهم ، فسمع الكاهنة تقول: العزيز من والاه ، والذليل من خالاه ، والموفور من مالاه ، والموتور من عالاه .

فقال سفيان : من تذكرين لله أبوك ؟

فقالت : صاحب حل وحرم ، وهدى وعلم وبطش وحلم ، وحرب وسلم ، رأس رءوس ، ورابض شموس ، وساحى بوس ، وماهر وعوس ، وناعش متعوس .

قال سفيان : من هو لله أبوك ؟ قالت : نبى مؤيد ، قد أتى حين يوجد ، ودنا أوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود ، بكتاب لا يفند ، اسمه محمد .

قال سفيان : لله أبوك أعربى أم أعجمى ؟

قالت :[1]

والسماء ذات العنان ، والشجر ذات الأفنان انه لمن ولد عدنان . فقدك ياسفيان » فأمسك سفيان عن سؤالها . ثم انه ولد له ولد فسماه محمدا لما رجاه من أن يكون هو المبعوث .

وقد أشار ابن الأثير فى كتابه « أسد الغابة » فى ترجمة محمد بن سفيان هذا الى المحمدين الذين أسماهم آباؤهم محمدا قبل بعثة رسول الله ﷺ ، طمعا فى أن ينال كل منهم شرف النبوة ، وهم :

محمد بن عدى بن ربيعة ، ومحمد بن أحيحية ،ومحمد بن حمران بن مالك الجعفى ، ومحمد بن خزاعى بن علقمة ، وقال فى اسناد هذا الخبر : أخرجه أبو نعيم وأبو موسى .

وذكر ابن الأثير أيضا فى ترجمة محمد بن عدى ما فحواه : روى عبد الملك بن أبى سوية المنقرى عن جد أبيه خليفة ـ وكان خليفة مسلما ـ قال : سألت محمد بن عدى بن ربيعة ابن سعد بن سوارة بن جشم بن سعد : كيف سماك أبوك محمدا ؟ فضحك ثم قال : أخبرنى أبى عدى بن ربيعة قال : خرجت أنا وسفيان بن مجاشع بن دارم ويزيد بن ربيعة وأسامة بن مالك بن العنبر زيد ابن جفنة ، فلما قربنا منه الى شجرات وعذير ، فأشرف علينا ديرانى فقال : انى أسمع لغة ليست لغة أهل هذه البلاد ، فقلنا : نعم : نحن قوم من مضر ، قال : أى المضريين ؟ قلنا : من

(١) فسر ابن ظفر غريب هذا الخبر فقال . خالاه : برىء منه ـ رأس رءوس : سيد سادة ـ ساحى بؤس : مذهبه ـ ماهد وعوس : الوعس من الرمل مايشق السير فيه ـ والمتعوس العاثر . . وقدك : يكفيك .

خندق ، قال : انه يبعث وشيكا نبى منكم فخذوا نصيبكم منه تسعدوا • قلنا : ما اسمه ؟ قال : محمد • قال : فأتينا ابن جفنة فقضينا حاجتنا من عنده ثم انصرفنا ، فولد لكل منا ابن فسماه محمدا • أخرجه ابن منده وأبو نعيم •

لقد تطلع كل منهم أن يكون ابنه النبى المبعوث ، ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وليست النبوة بالتمنى ولكنها فضل الله يؤتيه من يشاء •

***

لقد اختار الله نبيه قديما ، جاء فى الأخبار الصحيحة عن العرباض بن سارية عن النبى ﷺ قال : « انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته » رواه أحمد •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنهم قالوا : يارسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد » رواه الترمذى — المنتخب من السنة جـ ١ ص ٥٣ •

واختار له الأرحام الطيبة والأصلاب الطاهرة فمازال يتنقل بينها حتى هيأ الله التقاء عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بآمنة بنت وهب فى زواج مبارك ميمون كان ثمرته ذلك المولود الذى أشرقت الدنيا بطلعته وتزينت السماء بغرته وخرت الأصنام على وجهها لهيبته ورجمت الشياطين بالشهب لدعوته •

حول كتاب ابن ظفر :

فاذا ما تصفحنا الكتاب الذى أشرت اليه آنفا ، وهو كتاب « خير البشر بخير البشر » وجدنا مؤلفه قد اعتنى فيه بالبشريات التى سبقت مولد النبى ﷺ ، ومنها ما يتصل بالكتب السماوية وما يتصل بأخبار الأحبار الذين كانوا يقرءون الكتاب ، وبما أخبر به الكهان الذين كانوا يسخرون الجان ، وبما أخبر به الجن أنفسهم عن رسالة خير البشر •

وقد اعتمد ابن ظفر فى مؤلفه — فى مناقشة أخبار الكتب السابقة — على ما استخرجه من تلك الكتب التى فى أيديهم واطمأنوا بأنفسهم على ما فيها بعد أن لعبت أقلامهم فى محتوياتها وعبثت بمضمونها فى محاولة لاخفاء ما جاء فيها من نصوص صريحة قاطعة بأوصاف النبى ﷺ •

فقد بقيت على الرغم من ذلك جملة يمكن للفطن منها أن يفهم ما ترمى اليه •

وقال ابن ظفر فى ذلك ، بعد أن ساق من الشواهد ما ساق : « فهذه جملة عظيمة فى البشارات بمحمد ﷺ جاءت فى كتب الله مجيئا لا يدفعه أهل الكتاب ، وحكيناها عنهم بالتراجم التى رضوها واختاروا تسطيرها فى كتبهم فلا يدعون علينا فيها تحريفا ، وهى على تحققنا أنهم حرفوها وحذفوا منها

ما كتموه مستقلة بدفع المعتدين ونفع المهتدين ان شاء الله » •

وأكتفى مما ساقه ابن ظفر فى كتابه بشاهد من مختلف الشواهد : « جاء فى كتاب أشعيا اشارات حول مكة والبادية وما يكون من شأنهما • قال فيها :

« بحق أقول لكم لأعطين البادية كرامة لبنان وبيت المقدس وتشقها مياه وقصور وأسواق فى أرض الفلاة ، وأجعل هناك طريقا حراما لا يمر به أنجاس (١) الأمم بل يكون هناك طريق المخلصين » وعلق على ذلك بقوله :

« فهذا صريح فى ملك العرب وما أحدثه ملوكها فى البلاد المقفرة من الآبار والمصانع والقصور وهو نص فى ذكر الحج وأهله » •

ولنا فى اسلام عبد الله بن سلام الذى نزل فى حقه قول الله تعالى « **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** » الأحقاف ١٠ •

وفى اسلام سلمان الفارسى وقصته التى وردت فى مختلف كتب الصحاح والسيرة دليل قوى على ما كانت تحمله الكتب القديمة من أخبار عن النبى ﷺ عرفها الأحبار حق المعرفة وكتمها منهم من كتمها وأذاعها من أذاعها •

ذلك أن النبى ﷺ كان استجابة صريحة لدعوة سيدنا ابراهيم — عليه السلام — الذى قال « **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** » البقرة ١٢٩ •

وكان تصديقا لنبوءة موسى وبشارة عيسى عليهما السلام •

ان فى هذه الأخبار والنبوءات دليلا على عظمة الرسول الخاتم فلابد أن تتقدم البشارات بين يديه معلنة قدوم هذا النبى مختار الله ومصطفاه ، ومشيرة الى جلال ذلك القادم الذى سيحطم الاصنام ويبدد الأوهام ويدعو الى دين الحق والسلام ، الدين الذى يرفع من قيمة الانسان ويعلى قدره بما تضمنه من مبادىء سامية ومثل عليا وأخلاق رفيعة •

« **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** » الفتح ٢٨ •

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

(١) وفى الحق ثمة طرق بأرض الحجاز لايمسها الا المطهرون .. مجلة الأزهر •

من تاريخ الاحتفال بمولد المصطفى

"صلى الله عليه وسلم"

للعقيد مصطفى البنا

الحمد لله رب السموات والأرض وما بينهما .. الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصى نعماءه العادون .. لا نحصى ثناء على ذاته هو سبحانه كما أثنى على نفسه جل وجهه وتعالت عظمته .. والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وخاتم الرسل والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين .. وعلى آله وأصحابه ومن اقتفى أثره الى يوم الدين .

(وبعد ..) ..

ففى ليلة من ليالى ربيع الأول عام الفيل كان العالم بأسره على موعد مع الضياء والنور فقد أشرقت شمس سيد الأنام نبى الهدى الذى أرسله الحق سبحانه يوم كانت الانسانية فى حيرتها وعذابها وضعفها وظلامها تكبو فى طريقها حينا وتنهض آخر ليس لها طريق مرسوم ولا هدف معلوم والناس يومئذ يدين أكثرهم بعقائد باهتة ويعيشون على غير نظام ، لا يجمعهم جامع ، ولا ينظم سلوكهم قانون رادع وقد انصرفوا الى حروبهم وعدوانهم فلم يمدوا أبصارهم الى ما يطهر النفوس ويزكيها ، ويقوى الجماعات وينميها . وشب هذا المولود الكريم فى تلك البيئة الضالة المنحرفة فلم يتخلق بأخلاقها ، ولم يسلك طريقها ، ولم يحضر لقومه سامرا ، أو يغش لهم ناديا حتى اكتملت قوته ، واستوت فطرته ، فاضطلع بأكبر رسالة تنقذ الدنيا من عثرتها ثم تغرس المدنية فتمتد باسقة فروعها وارفة ظلالها تعم الشعوب جميعا .

ان هذه المدنية التى جاء بها ذلك المولود الأمى عليه أفضل الصلاة والسلام لا تترك فضيلة الا شرعتها ولا رذيلة الا أبعدتها وبينت أن الأمور التى ترفع الدولة والتى تخصصها أمور هى قواعد صادقة حاقة واقعة لا محالة .

من تاريخ الاحتفال :

علق (١) النبى ﷺ بالقلوب فَحَوتْهُ شغافها، وبالنفوس فتلمست آثاره ، وباتت تنتظر أيامه لتحتفل بأجمل ذكريات الوجود ، ولا شك أن الاحتفال بتلك الذكرى العطرة الشريفة قد صار عادة عامة .

والمشهور أن المحدث لها هو أبو سعيد كوكبورى بن أبى الحسن على بن بكتكين التركمانى الجنس الملقب بالملك المعظم مظفر الدين صاحب « اربل » أحدثها فى أوائل القرن السابع أو أواخر القرن السادس فقد ولاه السلطان صلاح الدين على (اربل) وتوفى سنة (٦٣٠هـ) وكان سخيا صاحب خيرات كثيرة .. ينفق على الاحتفال بالمولد مبالغ طائلة ففى تاريخ « ابن خلكان » أنه كان ينصب له مقدار عشرين قبة من الخشب كل قبة منها أربع طبقات أو خمس ، له قبة منها والباقى للأمراء وأعيان دولته ، وكانوا يزينون هذه القباب فى أول شهر « صفر » بأنواع الزينة الفاخرة وتمتلىء بمظاهر البهجة والسرور ، فاذا كان قبل « المولد » بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم شيئا كثيرا ، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والأغانى ، حتى اذا جىء بها الى الميدان يشرعون فى نحرها ويتم طهى ألوان الطعام المختلفة . فاذا كانت ليلة المولد أعمل السماعات بعد أن يصلى المغرب فى القلعة ، ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شىء كثير .. ويسير بركاب له شكل خاص فاذا كانت صبيحة يوم المولد يتم عرضه الجند ، وتوزيعه الخلع بعد ذلك على الفقراء الى آخره وكان الناس يأتون هذا الموسم ...... من بلاد متعددة .

والاحتفال بالمولد فى مصر منذ بدايته يشابه ما كان يحدث فى أربل فى البعض الكثير منه فالقباب تنصب أو تنصب خيام من النسيج الجميل تابعة للحكومة ووزاراتها وبعض الموسرين ، ويختلف اليها الناس من أول شهر ربيع الأول يسمعون فى بعضها وعظ الوعاظ وذكر أرباب الطرق المعروفة ، وكان شيخ مشايخ الطرق الصوفية يقيم بخيمته مأدبة كبيرة فى مساء اليوم الحادى عشر من الشهر يحضرها كبار العلماء وكثير من الوجهاء ، ويكون الاحتفال الأكبر فى الليلة الثانية عشرة فى خيمته ، فيجتمع فيها من حضر المأدبة ويؤمها الأمراء والوزراء حتى ما انتظم جمعهم حضر عزيز مصر بحاشيته فقرئت بين يديه (قصة المولد) وتدار بعد قراءتها أكواب الشراب المحلى و (صوانى) الحلوى الجافة ، ثم ينصرف العزيز الى خيمته .

وبايجاز يتولى هو ونائبه الاشراف على مراسم الحفل واستعراض مواكب الطرق الصوفية .

وقد مرت السنوات وتطورت مراسم تلك

(١) علق الشىء بالشىء تعلق — بكسر اللام فى الماضى وفتحها فى المضارع ، وهى عين الفعل — استمسك به .

الاحتفالات الى أن وصلت للأسلوب الذى يحتفل به الان بهذه الذكرى العطرة .

وقد استحسنت جماهير المسلمين الاحتفال بالمولد فى مشارق الأرض ومغاربها :

منهم من يجمتع لقراءة قصته ﷺ فى المساجد فى اليوم المحدد لتلك الذكرى ، ومنهم من يجعل لحفله دعوة خاصة فى بيته وهذه لا تتقيد بجعلها فى تاريخ الميلاد النبوى الشريف .

وقد أنكر البعض هذا الاحتفال ولكن الكثير من العلماء أيده واعتبره بدعة حسنة ، لأن هذا الاحتفال انما هو شكر لله تعالى على وجود خاتم أنبيائه وأفضل رسله باظهار السرور فى مثل اليوم الذى ولد فيه ، وبما يكون فيه من الصدقات والأذكار .

فتوى السيوطى وابن حجر :

ألف « الجلال السيوطى » رسالة أسماها « حسن المقصد فى عمل المولد » وعده بدعة حسنة فى جواب من سأل عن : حكمه شرعا ؟ وعرفه بقوله :

هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر – من القرآن ورواية الأخبار الواردة فى مبدأ أمر النبى ﷺ فى مولده – من الآيات ، ثم يمد لهم سماط فيأكلون وينصرفون من غير زيادة على ذلك ..

وذكر – رحمه الله – أن الحافظ ابن حجر سئل عنه فأجاب بقوله :

أصل عمل المولد بدعة لم تنتقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك فقد اشتملت على محاسن وضدها فمن جرد فى عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا .

ثم بين أن الحافظ خرجه على حديث الصحيحين فى « صيام عاشوراء » شكرا لله تعالى على انجائه موسى نبيه – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام واغراق فرعون .. قال :

فيستفاد منه الشكر لله على ما من به فى يوم معين من اسداء نعمة أو دفع نقمة ، ويعاد هذا فى نظير ذلك من كل سنة والشكر لله يحصل بانواع العبادة كالسجود والصدقة والصيام والتلاوة ، وأى نعمة أعظم من بروز هذا النبى المبعوث رحمة للعالمين فى ذلك اليوم ؟

وعلى هذا فينبغى أن – يتحرى اليوم ذاته فمن لم يستطع يمكن أن يقوم بعمل المولد فى أى يوم من الشهر .

وتوسع قوم فنقلوه الى أى يوم من أيام السنة .

وأما ما يعمل فينبغى أن يقتصر فيه على ما يفيد الشكر لله تعالى .

فأما الاجتماع والخيام والأنوار والزينة واظهار البهجة والسرور بذكرى مولد الهدى والنور وخروج الدنيا من ظلماتها فهو فى نفسه من المباحات المقرونة بالمستحبات والمندوبات بشرط أن يخلو من البدع والمنكرات وأن لا يعد من الشعائر الدينية والعبادات ..

رؤية معاصرة :

ونحب أن ننوه الى أنه – وان كان يمكن

أن يحدث فى بعض الاحتفالات التى يقوم بعملها العوام بعض المنكرات كالرقص وغيره ـ فان هذا لا يجعل الاحتفال بهذه الذكرى العطرة (بدعة) يجب التخلص منها وانما يحملنا على توعية هؤلاء وتوجيههم ومنعهم من الاستمرار فى تلك الأخطاء دون مساس بمبدأ الاحتفال ذاته ، ولنسق مثلا منطقيا من أدلة المعارضين فيما أجمعوا هم على أن فاعلها يثاب على نيته وأعنى بها : (الوسائل التى يقوى بها أمر الدين والدنيا) كالمستشفيات والمدارس وغيرها .. فاذا تصورنا أن احدى المدارس أخطأ فيها بعض المدرسين .. أو احدى المستشفيات ... جانب عدد من اطبائها طريق الصواب فى العلاج أو انعدمت ـ عندهم بعض الأحاسيس المطلوبة فيهم ..

فهل تغلق هذه المدارس وتهدم تلك المستشفيات وتصبح بدعة وضلالة ، أم نقوم المعوج فيها ؟!

نعتقد بل نقرر ـ أن الصواب أن نقوم المعوج واذا لزم الأمر أبعد المخطىء ولكن تستمر الدراسة ويستمر المستشفى فى رسالته وعطائه ..

كذا حالنا فى الاحتفالات بتلك المناسبة الشريفة .

واقع جماهير المسلمين :

والشاهد أنه برغم بدء معارضتها منذ نشأتها من البعض الا أنها تزداد عاما بعد عام .

حتى ليحتفل بها حول أعز البقاع وأحبها فى قلوب المسلمين ليلة ميلاده عليه الصلاة والسلام ، وكأن الغالبية العظمى من المسلمين قد استفتت قلوبها واقتنعت بأنه من حقها أن تحتفل بهذه الذكرى العطرة فتجزل العطاء والعمل ، وتقوم الليل وتزيد من النوافل ايفاء لحق نبيها ﷺ وشكرا لله تعالى ، واعترافا بما من به على خلقه من عظيم نعمته ، وليس أمام العلماء الا أن يصححوا بعض المفاهيم حتى تخرج تلك الاحتفالات بالمظهر المطلوب والورع المنشود خالية مما يعكر صفوها من منكر أو مكروه .

وأضيف أخيرا بأنه فى اعتقادى لو أن بارىء السموات والأرض ـ الحق جل شأنه الذى لا تعد نعمه علينا ولا تحصى ـ لم يمن علينا الا ببعث الهادى البشير لكانت هذه المنة وحدها عند من وهب البصيرة وألهم الادراك .. تستوجب أن نسعد ونبتهج ونصلى ونسبح ونحسن ونتصدق بل لا أكون مبالغا اذا قلت أن نسجد طوال عمرنا شكرا لله وتسبيحا بحمده على هذه النعمة ثم نبعث يوم القيامة ولم نؤد الى الله من حقه علينا الا الجزاء اليسير قدر طاقتنا البشرية .

اللهم أعد هذه الذكرى علينا وعلى المسلمين كافة باليمن والبركات ، وشفع فينا نبيك وحبيبك ومصطفاك يوم المشهد العظيم ، واجعلنا ممن يحشر فى زمرته وتحت لوائه وآته ياربنا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة انك لا تخلف الميعاد .

وصلى اللهم وسلم وبارك على نبينا المصطفى على خير ما تحب وترضى ..

مصطفى البنا

الاسلام ونبيه ﷺ

صلى الله عليه وسلم
فى نظر المنصفين من علماء الغرب

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

رغم الحملة الشعواء الضالة على الاسلام ونبيه فى بلاد الغرب — هذه الحملة التى تهزأ بالحق والضمير ولا يقرها شرع ولا دين — فانا نرى كثيرا من علمائهم وكتابهم أحبوا الاسلام وناصروه ، وهم — وان كانوا أصنافا شتى من المفكرين لكنهم لم يؤمنوا ايمان العجائز ولم يتابعوا متابعة العاجزين ، ولم يقعوا فريسة للتغرير والتضليل أو الاكراه بل فكروا وتدبروا ودرسوا الاسلام دراسة واعية خصوصا فى منابعه الصافية وهى القرآن الكريم وتفاسيره المعتمدة ، والسنة النبوية المطهرة فوجدوا فيه الدواء والشفاء والغذاء والضياء فلجأوا الى رحابه مطمئنين والى ساحته مذعنين .

ذلك ان اشراق الاسلام على الأرض كان قوة من قوى الخير لها فى (عالم المعانى) ما لاكتشاف . البخار والكهرباء فى (عالم المادة) اذ هو قائم على معرفة الحقيقة وكراهية الباطل ، ورسالة نبيه ﷺ الى الناس تمثل مرحلة من مراحل التطور فى الوجود الانسانى فهى دعوة كبرى للتحرر العقلى والمادى من طواغيت البشر وتفتيح للأعين والآذان وتجلية للبصائر والأذهان قال تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا**) سورة النساء ١٧٤ .

وهؤلاء المفكرون ينقسمون الى فريقين :

١ — فريق أعلن اسلامه فى غير لبس ولا مراء وجابه الرأى العام فى بيئته بعقيدته الجديدة ثم أخذ يدعو اليها مكرسا وقته وجهده لنشرها خصوصا بكتاباته .

٢ — وفريق آخر أحب الاسلام ومدحه ولا يعلم الا الله ماذا أسر فى نفسه ، وعن

◄

الاسلام ونبيه

ذلك النفر يقول أحد المفكرين الغربيين (١) .

(اننى أعتقد أن هناك آلافا من الرجال والنساء أيضا مسلمون قلبيا ، ولكن خوف الانتقاد والرغبة فى الابتعاد عن التعب الناشىء عن التغيير تآمرا على منعهم من اظهار معتقداتهم) .

وينعى المستر « جون ويستر » الانجليزى على بنى جنسه موقفهم من الاسلام فيقول :

« يظهر أن الغرب قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الاسلام ، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة كلما تحدث عنها » .

أما « السير أرشيلد هاملتون » ـ الذى تسمى باسم عبد الله أرشيلد بعد اسلامه ـ فيقول .

« لا يوجد دين أسىء فهمه وكثر الهجوم عليه من الجهلة والمتعصبين مثلما أسىء فهم الاسلام وهوجم مع أننا نجد الاسلام هو المرشد للانسانية الى الحق والصواب فى حياتها اليومية المعاصرة » (٢) .

الكونت هنرى دى كاسترى :

كان من كبار الموظفين الفرنسيين بالجزائر وقت احتلال فرنسا لها ، وقبل استقلالها ، يقول ـ عن قصة تفكيره فى دراسة الاسلام :

انه وقت أن كان يسير ممتطيا صهوة جواده ، ويسير خلفه ثلاثون من فرسان عرب الجزائر الأقوياء فخور بمركزه يملؤه الغرور ، وفجأة وجدهم يقولون له ـ فى شىء من الخشونة ، فى كثير من الاعتداد بالنفس : لقد حان موعد صلاة العصر ، ودون أن يستأذنونه فى الوقوف ترجلوا واصطفوا للصلاة متجهين الى القبلة (قبلة الاسلام) ودوت فى أرجاء الصحراء كلمة الاسلام الخالدة (الله أكبر) فثاب الى نفسه ونظر الى هؤلاء الفرسان المسلمين بكثير من الاكبار والاعجاب ، لأنهم اتجهوا الى الله وحده بكل كيانهم دون أن يبالوا به ، وعندئذ بدأ فى دراسة الاسلام ، وتغيرت فكرته الموروثة عنه فرأى من واجبه أن يعلن عما اهتدى اليه فى كتابه الذى أصدره باسم (الاسلام خواطر وسوانح) وفيه يشرح خواطره التى نجتزىء منها بالآتى (٣) : ـ

أولا ـ فكرة التوحيد :

يستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل الى النبى محمد ﷺ من مطالعة التوراة والانجيل اذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث ، وهو مناقض لفطرته مخالف لوجدانه منذ خلقته ، فظهور اعتقاده

---

(١) هو اللورد هيدلى وقد ذكر ذلك عنه فى كتاب « أوروبا والاسلام » للمرحوم الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود .

(٢) « كتاب فى الدعوة الى الاسلام بين غير المسلمين » لكاتب هذا المقال .

(٣) المرجع السابق .

بالتوحيد دفعة واحدة هو أعظم مظهر فى حياته وهو بذاته أكبر دليل على حقيقة رسـالته وأمانته فى نبوته .

ثانيا ــ عن صدق الرسول وسمو رسالته يقول :

لقد دأب كثير من أعداء الاسلام ومن رجال الاستعمار يشككون فيهما ، ورغم الوضوح الظاهر فى صدقه ، وفى سمو الرسالة الاسلامية فان هؤلاء الأعداء لا يزالون يبدأون ويعيدون فى ترداد التشكيك فيهما مع أن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمى ، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بنى الانسان عن الاتيان بمثلها لفظا ومعنى ،آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار فى جمالها ، وكفى رفيع عبارتها لاقناع عمر بن الخطاب فآمن برب قائلها ، وفاضت عين نجاشى الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبى طالب بعض الآيات من سورة مريم .

ثالثا ــ عن الوحى النازل على نبى الاسلام يقول :

أما هؤلاء الذين بلغ بهم التعسف مداه فظنوا أن تلك الفترات التى يغيب فيها الرسول عن هذا العالم ليكون بكليته مستغرقا فى الملأ الأعلى انما هى فترات مرضية أو هى الصرع ، ورغم تكذيب الطب لمزاعمهم مستندا الى الاختلاف الكلى بين أعراض الصرع وأعراض الوحى فقد أعماهم التعصب عن رؤية الحقيقة ، فقد كانت انفعالات الوحى تظهر على وجهه بادية فظن بعضهم أن به جنة وهو رأى باطل لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين ولم يشاهد عليه قبل ذلك أى اعتلال فى الجسم أو اضطراب فى القوة المادية ، وليس من الناس من عرفت عنه أحواله فى حياته كلها مثل نبى الاسلام فلقد وصل المحدثون عنه الى أنهم كانوا يعدون الشعر الأبيض فى لحيته ، ولو كان مريضا لما خفى مرضه على أحد .

لقد كانت حالته فى انفعالاته وتأثراته مثل تلك التى قال عنها نبى بنى اسرائيل فى وصفها (لقد شعرت بأن قلبى انكسر بين أضلعى وارتعشت حتى الفطام فصرت كالنشوان لما قام بى من الشعور عند سماع صوت الله وأقواله المقدسة) .

رابعا ــ عن وفاة الرسول (ﷺ) يقول :

ذكر الرسول الفقراء ساعة احتضاره لأنه لم يرغب طول حياته فى المال ، بل كلما جمع اليه شىء منه أنفقه فى الصدقات حتى اذا كان آخر يوم له فى الحياة الدنيا قصد الى المسجد وخطب الناس فحمد الله ثم قال (أيها الذين تسمعون قولى ان كنت ضربت أحدكم على ظهره فدونه ظهرى فليضربه وان كنت أسأت سمعة أحد فلينتقم من سمعتى ، وان كنت سلبت أحدا ماله فاليه مالى يقتص منه وهو فى حل من غضبى فان الغل بعيد عن قلبى) .

ثم نزل عن المنبر وصلى بجماعة المسلمين ، ولما أراد الانصراف أمسك به رجل من ازاره وطلب منه ثلاثة دراهم دينا له فأداها على الفور قائلا (**لخزى الدنيا أهون من خزى الآخرة**) ثم دعا لمن حارب معه فى أحد وسأل الله لهم الرحمة والمغفرة ، ثم أوصله الصحابة الى بيته حيث اشتد عليه المرض ومعالجة سكرات الموت حتى توفى (١) •

القس ميشون :

يقول هذا القس ان من كان يدخل فى الاسلام من الأمم التى فتحها المسلمون ، ورفرف عليها علم الملة المحمدية (٢) انما يدخله بعد أن عرف مزايا هذا الدين واتسامه بالصدق والبراهين المنطقية واتفاقه مع العقل وعدم رضاه عن التقليد الأعمى والحاحه الدائم على النظر فى آيات الكون ، فهو كالبضاعة الجيدة يعرضها التاجر أمام المشترين واثقا من أنها ترضى أصحاب الأذواق الجيدة منهم ، وليس مثل سواه من الأديان التى يقول أصحابها انها فوق مدارك العقول ، لأن الله الحكيم لا يكلف عباده الا بما يعقلون ولا يكلفهم بمالا يعقلون •

ان المسلمين كانوا بعد فتحهم للبلاد يتركون الناس أحرارا فى معتقداتهم بعد أن يبلغوهم دين ربهم عملا بقوله تعالى : (**لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ**) سورة البقرة ٢٥٦ •

وعندما كانوا يعرضون عليهم الاسلام يمتثلون قول ربهم (**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**) سورة النحل ١٢٥ •

فان لم تجد معهم الدعوة بالحسنى تركوا لمصيرهم وترك أمرهم الى خالقهم عملا بقوله سبحانه : (**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ • وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**)

سورة يونس ٩٩ ، ١٠٠ •

ولم يسلك المسلمون الفاتحون سبيل الاكراه لثقتهم أن الاسلام ينساق الى النفوس ويمرق الى القلوب لما فيه من أسباب الهدى والاطمئنان ولا أدل على ذلك من بقاء اليهودية والنصرانية فى بلادهم وحرية أهلها فى معابدهم وعباداتهم وأملاكهم وأرزاقهم وذلك أمر مشاهد ملموس حتى اليوم (٣) •

---

(١) كتاب أوروبا والاسلام للمرحوم الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود .
(٢) يقصد الملة الاسلامية .

(٣) كتاب « نافذة على الايمان » تأليف فضيلة الشيخ مصطفى الحديدى الطير من مطبوعات مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

ول ديورانت : صاحب كتاب (قصة الحضارة) الموسوعة التاريخية الضخمة • أشاد بفضل النبى محمد ﷺ وأنه باعث الحضارة الاسلامية فيقول (اذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس قلنا : ان محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ فلقد رفع المستوى الروحى والأخلاقى لشعب ألقت به فى دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يدانيه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله •

كانت بلاد العرب حين بدأ الدعوة صحراء جدباء تسكنها قبائل من عبدة الأوثان قليل عديدها متفرقة كلمتها وتركها عند وفاته أمة موحدة متماسكة ، كبح فيهم جماح التعصب والخرافات وأقام فوق اليهودية والمسيحية والوثنية دين بلاده القديم دينا سهلا واضحا قويا ، وصرحا خلقيا قوامه البسالة والعزة القومية واستطاع فى جيل واحد أن ينتصر فى مائة معركة ، وفى قرن واحد أن ينشىء دولة عظيمة وأن يبقى الى يومنا هذا أمة ذات قوة وشأن عظيم فى نصف العالم •

اما عن حياة هذا النبى ﷺ فكانت غاية فى البساطة فمساكنه كلها كانت من اللبن ، وسقفها من جريد النخل وطعامه الأساسى التمر وخبز الشعير ، وكان اللبن وعسل النحل كل ما يستمتع به من الترف فى بعض الأحيان •

وعن معاملته يقول : كان النبى لطيفا مع العظماء بشوشا فى أوجه الضعفاء ، عظيما مهيبا أمام المتعاظمين والمتكبرين ، متسامحا مع أعدائه ، ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان وكان يرفض أن يوجه اليه شىء من التعظيم الخاص ، ولم يكن ينفق على أسرته الا القليل من المال رغم ما كان يرد اليه من الفىء وغيره من الموارد ، أما ماكان ينفقه على نفسه كان أقل من القليل وكان يخص الصدقات بالجزء الاكبر من هذا المال ، ومع ذلك كان مرهف الحس الى أقصى حد لا يطيق الروائح الكريهة ولا الأصوات العالية (١) عملا بما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى (**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ**) سورة لقمان ١٩ •

السيرتوماس أرنولد :

ألف ذلك العلامة كتابا أسماه (الدعوة الى الاسلام) فيه يسوق الأدلة والبراهين على أن الاسلام لم ينتشر بالسيف كما زعم أعداؤه ومن هذه البراهين : —

١ — اسلام بعض قواد الصليبيين قبل موقعة حطين أى قبل انكسار شوكتهم فى هذه المعركة بل كان وهم فى أوج قوتهم مما يدل على أنهم أسلموا عن طريق الاقتناع الذى هو الطريق الى الاسلام دائما •

٢ — اسلام المغول فى وقت كانوا فيه المتغلبون على العرب بل وعلى غير العرب •

٣ — انتشار الاسلام فى الملايو وأندونيسيا والفلبين دون أن تطأ هذه البلاد قدم جندى عربى واحد ولكن عن طريق التجار وغيرهم

(١) كتاب « محمد الانسان والرسول » اعداد محمد عبد العزيز .

وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فأى سيف كان يجبر هؤلاء الصليبيين العتاة وهؤلاء المغول الجبابرة على الاسلام ؟

ولكن كل ما نقوله ان الذى جعلهم يسلمون هو سماحة الاسلام وعظمته ، هذا بجانب ان الله سبحانه وتعالى ينهى عن استعمال الشدة فى نشر الدين تطبيقا لقوله تعالى (لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ) سورة البقرة ٢٥٦ .

كما يقول سبحانه (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) سورة النحل ١٢٥ .

اما استخدام السيف فلا مجال له فى نشر الدين اللهم الا فى حالة الدفاع عنه فهذا أمر واجب يقره العقل قبل الدين (١) .

جوستاف لوبون :

يقول هذا المفكر : ان للاسلام وحده الفخار بأنه أول دين قال بالتوحيد المحض الخالص وبأنه أول دين نشر أتباعه ذلك التوحيد فى أنحاء العالم ، فالاله الواحد المطلق الذى دعا اليه الاسلام منزه عن شريك له ، وتشتق سهولة الاسلام من التوحيد المحض ، وفى التوحيد سر قوة الاسلام ، وهو من أكثر الديانات ملاءمة لمناخ العالم واكتشافاته ومن أعظمها تهذيبا للنفوس ودعوة الى العدل والى التسامح ، وفى الحق ان الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب .

والاسلام هو الذى أعطى المسلمين هذه الرحمة وهذا التسامح (٢) .

وبعد

فهل آن للبشرية أن تعرف طريقها الحق الى المجتمع الأمثل وتؤمن بأن هذا المجتمع لايوجد الا فى اطار الاسلام وفى هدى نبيه محمد ﷺ ، لقد عرفت البشرية المجتمع اليونانى ، والرومانى ، والفارسى والهندى ، وعرفت المجتمع الغربى الحديث الذى شكلته الفلسفة اليونانية والقانون الرومانى والمسيحية الغربية ، والذى أنتج مناهج مختلفة ونظما ومبادىء متناقضة تخبط فيها العالم المعاصر حتى أفلست رغم حضارته المادية السامقة وذلك لخلوها من الروح الانسانى والايمان المطلق بعقيدة التوحيد .

كذلك عرفت البشرية العهد الاسلامى الزاهر الذى لم يسبق له مثيل ، ثم مضت فترة وبقى عليها الآن أن تعود الى تجربة المنهج الاسلامى من جديد وهو المنهج القادر وحده على العطاء لأنه قائم فى أساسه على الايمان بالله الواحد الأحد رب السموات والأرض ، ذلك الايمان الذى يولد الحب والرحمة والعدل والحرية فى كل الأمم والشعوب ولا يفرق بين طوائف البشر .

قال تعالى (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) سورة الصف ٩ .

محمد عزت الطهطاوى

(١) كتاب « الدعوة الى الاسلام » للسير توماس ارنولد ترجمة ابراهيم حسن وآخرين .

(٢) كتاب « صفحات مضيئة من تراث الاسلام» تاليف الاستاذ انور الجندى .

الرسول صلى الله عليه وسلم

فى باقة من حديث الأئمة الأقدمين

المختار من "الشفا بتعريف حقوق المصطفى"

المختار من "الشمائل للترمذى"

المختار من "وفاء الوفا" للسمهودى

المختار
من "الشمائل للترمذي"
مطعمه ومشربه
"صلى الله عليه وسلم"

(باب ما جاء فى صفة أكل رسول الله ﷺ)

قال الترمذى رضى الله عنه : (١)

المقصود بيان الأخبار الواردة فى صفة أكله ﷺ . والأكل بفتح الهمزة وسكون الكاف ادخال جامد من الفم الى البطن ، سواء كان بقصد التغذى أو غيره . وخرج بالجامد المائع فادخاله ليس بأكل وانما يسمى شربا ، والأكل بضم الهمزة اسم لما يؤكل . والمراد من الباب بيان بعض آداب أكله ﷺ .

« حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بنُ دُكَيْنٍ حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ سُلَيمٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ ابنَ مَالِكٍ يَقُولُ : أُتِىَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَمْرٍ فَرَأَيْتُهُ يَأْكُلُ وَهُوَ مُقْعٍ مِنَ الْجُوعِ » .

قوله (أتى رسول الله ﷺ بتمر) أى جىء . والتمر بفتح التاء وسكون الميم ثمر النخل المجفف .

قوله (فرأيته يأكل وهو مقع من الجوع) ومقع بمعنى متساند الى الوراء من الضعف

---

(١) هو أبو عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السليمى منسوب الى بنى سليم « بالتصغير » قبيلة من عيلان كذا ذكر ابن عسكر .

وقال ابن السمعانى:ابن شداد بدل ابن الضحاك ، قال:هو البوغى نسبة الى« بوغ » قرية من قرى (تِرْمِذ) كنيته أبو عيسى .

ولد سنة تسع ومائتين فى الثالث عشر من رجب كذا نص عليه جمع منهم المستغفرى وغنجارى وابن ماكولا . قيل ولد أكمه . وتوفى سنة تسع وسبعين ومائتين فيكون عمره سبعين سنة .

وكان يضرب به المثل فى الحفظ .

قال المروزى قال الترمذى : كنت فى طريق مكة وكنت كتبت جزءين من أحاديث شيخ لى فمر بنا ذلك الشيخ فذهبت اليه وانا أظن أن الجزءين معى ولكنى حملت معى غيرهما ثم سألت الشيخ أن يسمع لى فأجابنى فأخذت الجزءين فاذا هما بياض فتحيرت فجعل الشيخ يقرأ فرأى البياض فى يدى فقال لى أما تستحى فقصصت عليه القصة وقلت انى أحفظهما فقال : اقرأ فقرأت ما على الولاء فما أخطأت فى حرف منهما فقال الشيخ ما مر بى مثلك قط .

كان رحمه الله أحد الائمة الاعلام ، وحفاظ مشايخ الاسلام و « جامعه »

والمصنف تلميذ أبى عبد الله محمد بن اسماعيل (البخارى) وشاركه فى بعض شيوخه مثل قتيبة ابن سعيد ، وعلى بن حجر ، وابن بشار ، والدارمى ونظرائهم .

(*) باختصار مع المحافظة التامة على الاصل.

الحاصل له من الجوع . وليس فى هذا ما يدل على أن الاستناد من آداب الأكل ، لأنه ﷺ انما فعله لضرورة الضعف . وليس المراد فى الحديث بالاقعاء النوع المسنون فى الجلوس بين السجدتين ، ولا النوع المكروه فى الصلاة وهو الجلوس على الييتيه ناصبا فخذيه . وانما المراد به مجرد الاستناد .

(باب ما جاء فى صفة خبز رسول الله ﷺ)

أى باب بيان الأخبار الواردة فى صفة خبز رسول الله ﷺ ، والخبز بضم الخاء وسكون الباء الشىء المخبوز فى النار ، وبفتح الخاء اصطناعه . وفيه أن خبزه ﷺ كان من شعير فى غالب الأوقات وأنه لم يأكل خبزا مرققا الى أن فارق الدنيا .

« حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالاَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْن جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِى إِسْحَقَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ يُحَدِّثُ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ : مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ».

قوله (من خبز الشعير يومين متتالبين) بقول الشعير خرج البر ، وفى رواية البخارى «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض » ، ويؤخذ منه أن المراد هنا اليومان المتتاليان بلياليهما . وبقوله متتابعين خرج به المتفرقين .

قوله (حتى قبض رسول ﷺ) اشارة الى استمراره على تلك الحالة مدة اقامته بالمدينة الى أن فارق الدنيا ، ولا ينافى ذلك أنه كان يدخر لعياله قوت سنة لأنه انما كان يفعل ذلك لا على وجه الشبع بل على وجه المؤنة .

« حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْجُمَحِىُّ حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ هِلَالِ بْنِ خَبَّابٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِىَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا هُوَ وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمُ الشَّعِيرَ » .

قوله (كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاويا هو وأهله لا يجدون عشاء) قوله كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا ، أى يقضى أياما متتابعة بلياليها جائعا ، أى أنه كان يرضى بجوعه هو وأهل بيته عند عدم وجود شىء ، ولا يسأل غنيا ولا فقيرا من أصحابه شيئا ، اذ لو علم هؤلاء بحاجته لبذلوا الجهد فى تقديم تلك الحاجة اليه استبقاء على ايثاره على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . وهذا يدل

على فضل الرضا بالفقر وتجنب السؤال حتى مع الجوع والحاجة • وقوله لا يجدون عشاء بفتح العين وهو ما يؤكل فى الليل ، أو ما تقاربه من آخر النهار ، أو ما يؤكل آخر النهار بعد الزوال •

قوله (وكان أكثر خبزهم الشعير) أى أقراص الشعير ، وهذا يدل على ما كان عليه ﷺ من ستر حاله عن أصحابه لشرف نفسه وفخامة منصبه ورأفته بهم ورحمته وعلو همته ومزيد حشمته • وقد قال « لقمان » لابنه وهو يعظه — يابنى ان افتقرت يوما فاجعل فقرك فيما بينك وبين الله عز وجل ولا تحدث الناس بفقرك فتهون عليهم — •

« حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْبَأَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْحَنَفِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ : أَنَّهُ قِيلَ لَهُ أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ يَعْنِي الْحُوَّارَى ، فَقَالَ سَهْلٌ : مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيَّ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ • فَقِيلَ لَهُ : هَلْ كَانَتْ لَكُمْ مَنَاخِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ مَا كَانَتْ لَنَا » •

قوله (انه قيل له أكل رسول الله ﷺ النقى يعنى الحوارى) قوله انه قيل له أى قال له بعضهم على وجه الاستفهام • وقوله أكل رسول الله ﷺ بحذف همزة الاستفهام وفى نسخة باثباتها • وقوله النقى يعنى الحوارى أى الخبز المنقى من النخالة ، أى المنخول دقيقه • وقوله يعنى الحوارى بفتح الراء تفسير من الراوى أدرجه فى الخبر وهو بضم المهملة وفتح الواو والراء وتشديد الواو وآخره ألف تأنيث مقصورة مأخوذة من الدقيق ينخل مرارا فهو خلاصة الدقيق (١) وأبيضه اذ هو من التحوير الذى هو التبييض •

قوله (فقال سهل مارأى رسول الله ﷺ النقى حتى لقى الله عز وجل) فيه اجابة من الراوى بنفى الرؤية مع أنه سئل عن الأكل ، لأن نفى الرؤية أبلغ • وقوله حتى لقى الله عز وجل أى حتى فارق الدنيا ، لأن الميت بمجرد خروج روحه يكون بصدد ملاقاة ربه ، اذ الحائل بين الله والعبد هو التعلقات الجسمية ، وهذه تنتهى بالموت •

قوله (فقيل له هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله ﷺ) أى فقال بعضهم لسهل هل كانت لكم معشر الصحابة من المهاجرين والأنصار مناخل فى زمن رسول الله ﷺ ، والمناخل واحده منخل وهو اسم آلة على غير قياس اذ القياس كسر الميم وفتح الخاء ، وهو ما يغربل به الدقيق ليخرج منه النخالة ونحوها •

قوله (ما كانت لنا مناخل) فيه مطابقة الجواب للسؤال ، وهذا ينفى وجود المناخل

---

(١) الحوارى : اى الدقيق الأبيض المنخول الخالى من النخالة ومن غيرها والذى نسميه الآن « العلامة » ويصنع منه الخبز الأبيض وفاخر الاطعمة .

فى العهد المحمدى كله • وهى انما اتخذت بعده •

قوله (كيف كنتم تصنعون بالشعير) أى بدقيقه ، علما بكثرة نخالته والمواد الغريبة فيه •

قوله (كنا ننفخه فيطير منه ما طار) قوله كنا ننفخه أى ننفخ فيه ، والنفخ ارسال الهواء بالفم الى الشىء ويجوز أن يكون النفخ بآلة • وقوله فيطير منه ما طار ، أى يطير منه ما خف كالقشر والتبن والقش ، ويبقى ما فيه رزانة كالدقيق •

قوله (ثم نعجنه) أى نهيئه خبزا •

« حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ أَبِى أُمَامَةَ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مُوَدَّعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ ، رَبَّنَا » •

قوله (كان رسول الله ﷺ اذا رفعت المائدة من بين يديه) فيه اشعار بأن الحمد يطلب بعد الفراغ من الأكل ، وأنكر ابن الحاج البسملة على كل لقمة وقال : وان كان هذا حسنا فالتمسك بالسنة أحسن منه ، وهى التسمية أولا والحمد آخرا • والمراد بالمائدة هنا السفرة وشبهها مما يوضع عليه الطعام ويصان من الأرض ، لا خوان الخشب المعد لذلك الذى يستعمله الناس اليوم ، وقد تطلق المائدة على الطعام نفسه كما قال تعالى : (**نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا**) • وقوله من بين يديه أى من أمامه أى عند فراغه من الأكل وان لم يكن الرفع ضروريا •

قوله (يقول الحمد لله) ويقول أى رافعا صوته للتعليم ، وان كانت سنة الحمد الاسرار به كما قال علماؤنا • وقوله الحمد لله تقدم الكلام عليها •

قوله (حمدا كثيرا طيبا) أى خالصا من الرياء والسمعة التى لا تليق بجنابه تعالى •

قوله (مباركا فيه) أى حمدا ذا بركة لا تنقطع •

قوله (غير مودع) أى غير متروك بل الاشتغال به دائم من غير انقطاع كما أن نعمه سبحانه وتعالى متوالية علينا لا تنقطع عنا طرفة عين •

قوله (ولا مستغنى عنه) والضمير اما عائد على الحمد أو على الله وعلى الاحتمالين ، فالمعنى أنه لا يستغنى عنه بل يحتاج اليه كل أحد لبقاء نعمته واستمرارها •

قوله (ربنا) وهو اما بالرفع فيكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره أنت أى اسمع حمدنا ودعاءنا ، واما بالنصب على أنه منادى أى ياربنا اسمع ، واما بالجر بدل من لفظ الجلالة أو من الضمير المجرور بعن ويؤيده رواية الدارمى لهذا الحديث « ولا مستغنى عن ربنا » •

« حَدَّثَنَا هَنَّادٌ وَمَحْمُودُ بْنُ غَيْلَانَ قَالَا حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِى زَائِدَةَ عَنْ سَعِيدِ

ابْنِ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا » .

(قوله) قال قال رسول الله ﷺ ان الله ليرضى عن العبد) أى يثيبه ويرحمه ، فهو احسان مخصوص واكرام عظيم يتلقى عبده به ، وهذا اذا كان أكله على وجه العبادة وللقيام بحق البدن .

قوله (أن يأكل الأكلة) بفتح الهمزة ويجوز ضمها ، ورواية الضم لا تلائم هنا . ومعناها على الفتح المرة من الأكل ، أما على الضم فهى اللقمة .

قوله (فيحمده) لأن الحمد شكر على النعمة وأنها ولو قلت تستدعى الشكر عليها طلبا للمزيد منها واستدرارا لرضا الله تعالى ، الذى هو أشرف أحوال أهل الجنة للحديث (أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا) .

قوله (أو يشرب الشربة فيحمده عليها) وأو للتنويع لا للشك ، والشراب مثل الطعام فى أن الحمد بعده يرضى الرب .

(باب ما جاء فى قدح رسول الله ﷺ)

أى باب بيان الأخبار الواردة فى صفة قدح رسول الله ﷺ ، والقدح بالتحريك ما يشرب فيه ، وهو اناء لا صغير ولا كبير وجمعه أقداح ، وكان له ﷺ قدح يسمى « الريان » ، وآخر يسمى « مغيث » ، وقدح مضبب بسلسلة من فضة فى ثلاثة مواضع وآخر من زجاج ، وقدح من عيدان أى خشب النخل .

« حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الأَسْوَدِ الْبَغْدَادِيُّ حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ طُهْمَانَ عَنْ ثَابِتٍ قَالَ أَخْرَجَ إِلَيْنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَدَحَ خَشَبٍ غَلِيظًا مُضَبَّبًا بِحَدِيدٍ فَقَالَ يَا ثَابِتُ هَذَا قَدَحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » .

قوله (قال أخرج الينا أنس بن مالك قدح خشب غليظا مضببا بحديد) أى مشدودا بضباب من حديد ، جمع ضبة وهى حديدة عريضة يجمع بها الخشب وتمنعه من الانفصال والتفرق ، وفى بعض النسخ بجر غليظ ومضبب .

قوله (فقال يا ثابت هذا قدح رسول الله ﷺ) ثبت فى الصحيح أن قدح النبى ﷺ الذى كان عند أنس هو قدح جيد عريض أى طوله أقصر من عرضه اتخذ من النضار بضم النون وهو العود الخالص ، وقال بعض أرباب السير أصله من النبع وقيل من الأثل يميل الى الصفرة ، وفى الصحيح أيضا أن القدح انصدع فسلسل بعضه ببعض بحديد كما فى هذه الرواية ، وفى رواية البخارى عن عاصم الأحول أن القدح سلسل بفضة .

(باب ما جاء فى صفة فاكهة رسول الله ﷺ)

أى باب بيان الأخبار الواردة فى صفة فاكهة رسول الله ﷺ ، والفاكهة ما يتفكه به أى يتنعم ويتلذذ بأكله رطبا كان أو يابسا ولا يتداوى به كتين وبطيخ وزبيب ورطب وعنب ، وفى « القاموس » الفاكهة الثمر كله .

« حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُوسَى الْفَزَارِيُّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ الْقِثَّاءَ بِالرُّطَبِ » .

قوله (كان النبى ﷺ يأكل القثاء بالرطب) والقثاء بكسر القاف وتشديد المثلثة وفتحها ممدودا ، نوع من الخيار ، وقيل هو اسم جنس لما يشمل الخيار والعجور . والرطب ثمر النخل اذا نضج قبل أن يتتمر . وأكل كل منهما بالآخر ، دفعا لضرر كل منهما اذا أكل على حدة واصلاحا له بالآخر ، لأن القثاء بارد رطب مسكن للعطش منعش للقوى الفطرية مطفىء للحرارة الملتهبة نافع لأوجاع المثانة وغيرها وفيه جلاء وتفتيح ، والرطب حار رطب يقوى المعدة الباردة » .

« حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخُزَاعِيُّ الْبَصْرِيُّ حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ هِشَامِ ابْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَأْكُلُ الْبِطِّيخَ بِالرُّطَبِ » .

قوله (قالت كان رسول الله ﷺ يأكل البطيخ بالرطب) والبطيخ بكسر الباء والطاء وتشديد الطاء نوع من اليقطين لا تعلو سيقانه بل تمتد على الأرض ، ثمره حلو بارد . والرطب ثمر النخل اذا نضج قبل أن يتتمر وهو حار ، وحكمة أكله ﷺ البطيخ بالرطب أنه بجمعهما يحصل الاعتدال بين البارد والحار ، وقد أشار لذلك فى خبر صحيح بقوله « ويكسر حر هذا برد هذا » أى وبالعكس ، هذا يدل على أنه ﷺ كان يراعى فى أكله صفات الأطعمة واستعمالها على مقتضى قانون التغذية على الوجه الطبى .

(باب ما جاء فى صفة شراب رسول الله ﷺ)

أى باب بيان ما جاء من الأخبار فى صفة شراب رسول الله ﷺ . والشراب ما يشرب من المائعات ، يقال شربت الماء وغيره من باب علم ، ومصدره شرب بالفتح والضم والكسر ولكنه بالفتح مصدر قياسى وبالضم والكسر مصدران سماعيان .

« حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِى عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْحُلْوَ الْبَارِدَ » .

قوله (كان أحب الشراب الى رسول الله ﷺ **الحلو البارد**) برفع أحب ونصب الحلو والبارد صفة . وقيل بالعكس ، والمراد بالحلو البارد الماء العذب البارد لما روى عن أبى داود « كان يستعذب له الماء من بيوت السقيا . » ،

وهى عين بينها وبين المدينة يومان . واستعذاب الماء لا ينافى الزهد ولا يدخل فى الترفه المذموم ، بخلاف تطييبه ، فقد كرهه مالك لما فيه من السرف . وقد شرب الصالحون الماء الحلو وطلبوه ، وشربه فيه مزيد الشهود لعظائم نعم الحق ، واخلاص الشكر للمنعم ، من غير أن يكون فيه اشعار بتكلف بخلاف المأكل ، ولذا كان ﷺ يستعمل أنفس الشراب لا أنفس الطعام غالبا . ويحتمل أن يكون المراد بالحلو البارد الماء الممزوج بالعسل ، قال ابن القيم : فان فيه من حفظ الصحة مالا يهتدى اليه أفاضل الأطباء فان شرب العسل ولعقه على الريق يزيل البلغم ، ويغسل خمل المعدة ، ويجلو لزوجتها ، ويدفع عنها الفضلات ، ويفتح سددها . ويحتمل أن المراد به المنقوع فيه تمر أو زبيب وكان ﷺ يشرب اللبن تارة خالصا وتارة يجعله مجيعا أى مخلوطا بتمر . وفى البخارى أنه ﷺ دخل على أنصارى فى حائط له (١) وهو يحول الماء (٢) فقال له ان كان عندك ماء بات فى شن (٣) والا كرعنا (٤) ، فانطلق الرجل للعريش فسكب فى قدح ماء ثم حلب عليه من داجن (٥) ، فشرب ﷺ » .

« حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عُمَرَ هُوَ ابْنُ أبى حرملة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى مَيْمُونَةَ ، فَجَاءَتْنَا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا عَلَى يَمِينِهِ وَخَالِدٌ عَنْ شِمَالِهِ ، فَقَالَ لِي الشَّرْبَةُ لَكَ فَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا ، فَقُلْتُ مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ عَلَى سُؤْرِكَ أَحَدًا ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ طَعَامًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَبَنًا فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ ، ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ » .

قوله (دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد ابن الوليد على ميمونة) قوله أنا وخالد بن الوليد ، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أبو سليمان قائد قريش فى واقعة « أحد » ، أسلم فى صفر سنة ثمان ، وشهد غزوة « مؤتة » ، وفتح مكة ، وكان عامل اليمن . وقاتل أهل الردة بأمر أبى بكر وأرغمهم على العود للاسلام ، وافتتح طائفة من الأمصار ، لقب بسيف الاسلام . له ثمانية

---

(١) الحائط اى البستان .
(٢) وهو يحول الماء اى يروى البستان .
(٣) الشن القربة تعلق وفيها الماء طول الليل او فى الظل نهارا ليبرد الماء .
(٤) كرعنا : وفعله كرع بكسر الراء اى من باب نعم ومعناه تناول الماء من موضعه .
(٥) داجن : اى حلوب من الضأن او المعز .

عشر حديثا روى له الشيخان وعنه ابن عباس وقيس بن أبى حازم وجماعة • مات سنة احدى وعشرين « بحمص » ، وقيل بالمدينة •
وقوله على ميمونة بنت الحرث بن بجير بن الهزم بن روبية بن عبد الله بن هلال العامرية الهلالية ، أم المؤمنين ، وهى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ • لها ستة وأربعون حديثا ، روى لها الشيخان وعنها ابن عباس ويزيد بن الأعصم وجماعة • توفيت سنة احدى وخمسين •

قوله (فجاءتنا باناء من لبن) أى باناء مملوء لبنا •

قوله (فشرب رسول الله ﷺ وأنا على يمنه وخالد عن شماله) أى فشرب من الاناء المملوء باللبن • وقوله وأنا على يمينه وخالد عن شماله ، أى والحال أنى على يمينه ، وخالد عن شماله • وتعبيره بعلى فى الأول ، وعن فى الثانى للتفنن ، الذى هو ارتكاب فنين فى التعبير مع اتحاد المعنى ، وهما هنا بمعنى واحد ، وهو مجرد الحضور •

قوله (فقال لى الشربة لك) أى لأنك صاحب اليمين ، وقد ورد « الأيمن فالأيمن » رواه مالك وأحمد وأصحاب السنن عن أنس قاله فى « جمع الوسائل » •

ويستفاد منه تقديم الأيمن ندبا ولو صغيرا •

قوله (فان شئت آثرت بها خالدا) أى لأن خالدا أكبر من ابن عباس سنا •

وقول النبى ﷺ فان شئت آثرت بها خالدا ، لا يدل على ندب الايثار وانما يدل على أن الحق فى ذلك للمخلوق ، فله اسقاطه • ثم فى نسبة المشيئة اليه تطييب لخاطره ، وتنبيه له على تفضيل الايثار ، لأنه أولى له ، لأن ذلك مقتضى الأدب مع الكبير •

قوله (فقلت ما كنت لأوثر على سؤرك أحدا) أى ما كنت لأفضل بسؤرك أحدا ، أى أحدا آخر • والسؤر بضم السين وسكون الهمزة ما بقى من الشراب فى الاناء ، والمعنى لا ينبغى أن أقدم أحدا على تناول ما بقى من شرابك غيرى ليفوز به ، لما فيه من البركة • ولا يضر عدم ايثاره غيره ، ولهذا أقره النبى ﷺ ، وانما قصد النبى ﷺ بتفويض الايثار لابن عباس ، لرئاسة خالد فى قومه ، وشرف نسبه ، وقرب عهده بالاسلام ، فأراد تطييب خاطره وتألفه بذلك • وقد نقل عن بعض الصحابة أنه لما أقرع النبى ﷺ بين رجل وولده فى الخروج للجهاد ، أصابت القرعة الولد ، فقال له أبوه آثرنى ، فقال الولد يا أبت لا يؤثر بالجنة أحد أبدا ، فأقره النبى ﷺ على ذلك مع أن بر الوالدين متأكد •

ويؤخذ من هذا الحديث : أن من سبق الى مجلس عالم أو كبير وجلس بمحل لا ينتقل منه لمجىء من هو أفضل منه ، بل يجلس ذلك الجائى حيث ينتهى به المجلس ، ولا ينتظر قيام أحد ولو أن المكان الذى يجلس فيه دونه •

قوله (ثم قال رسول الله ﷺ من أطعمه الله طعاما فليقل) أى ندبا مؤكدا •

قوله (اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه) الظاهر أنه يأتى باللفظ المذكور وان كان

◄

وحده بل وان كان امرأة رعاية للفظ الوارد وملاحظة للعموم . والجمع هنا فى الضمير لمعاشر المسلمين أو الآكلين .

قوله (ومن سقاه الله عز وجل لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه) فيه أنه لا خير من اللبن بالنسبة لكل أحد ، وبالنسبة لكل شراب ، ولكل طعام ، حتى الثريد واللحم وان كان سيد الادام كما سبق .

وحكمة الدعاء حين الطعام والشراب اسناد ذلك الى الله تعالى ورفع مدخلية غيره فى ذلك .

(باب ما جاء فى صفة شرب رسول الله ﷺ)

وجاء فى نسخة صحيحة اسقاط لفظ صفة ، والقصد بيان الأخبار التى فيها كيفية شربه ﷺ ، والشرب بتثليث الشين وسكون الراء معناه حقيقة المص ، ويطلق على غيره مجازا وقد قرىء فى قوله تعالى (**فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**) بالحركات الثلاث لكنه بالكسر شاذ ، اذ هو فى معنى النصيب أشهر قال تعالى **(ولها شرب يوم معلوم)** . والفرق بين هذا الباب والذى قبله أن المراد هنا كيفية شربه ﷺ قائما ، أو قاعدا ، أو على مرات ، أو غيره لا بيان صفة المشروب الذى مر فى الباب السابق .

« حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَنْبَأَنَا عَاصِمٌ الْأَحْوَلُ وَمُغِيرَةُ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَرِبَ مِنْ زَمْزَمَ وَهُوَ قَائِمٌ » .

قوله (أن النبى ﷺ شرب من زمزم وهو قائم) قيل كان الشرب فى حجة الوداع . وقوله من زمزم اسم للبئر المعروفة بالحرم المكى ، وليس بينها وبين الكعبة الا المطاف ، سميت بذلك لأن هاجر أم سيدنا اسماعيل لما تفجرت لها العين وفاض ماؤها قالت لها زمى زمى ، أى أمسكى ، وقيل غير ذلك . وقوله وهو قائم وهذا الحديث صحيح وفى « مسلم » وغيره أن النبى ﷺ نهى عن الشرب قائما ، لأن فيه ضررا وآفات : منها أنه لا يحصل به الرى التام ، ولا يستقر الماء فى المعدة فلا يستطيع الكبد استقباله وتوزيعه على الأعضاء ، وفى الشرب قائما نزول الماء بسرعة الى المعدة وهو أمر يخشى منه أن يبرد حرارتها ، وعلى هذا فان رسول الله ﷺ ما فعله الا لبيان الجواز فليس مكروها فى حقه بل فى حق غيره وواجب عليه ﷺ .

« حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَقَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ » .

(فائدة) هذا الحديث والذى قبله هما لابن عباس ومعناهما واحد وان اختلفا فى العبارة وفى السند .

« حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ حُسَيْنٍ الْمُعَلِّمِ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ قَائِمًا وَقَاعِدًا » .

المختار من
الشفا بتعريف حقوق المصطفى

تقديم الاستاذ
احمد حسن كفافى

قال رضى الله عنه (١) .

القسم الاول فى (تعظيم العلىّ الاعلى لقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا)

---

(١) ترجمة القاضى عياض :

نسبه : هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبى ، السبتى الغرناطى المالكى :

مولده : ولد بسبتة فى المغرب فى شهرشعبان سنة ستا وسبعين وأربعمائة . فهو سبتى الدار والميلاد ، اندلسى الاصل ، فان أصوله نشأوا قديما بالأندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس ، وكان لهم استقرار بالقيروان ، وانتقل الى سبتة بعد سكنى فاس .

وظائفه : كان قاضى سبتة بالمغرب مدة طويلة، ثم نقل الى غرناطة فى سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ، ولم يطل أمده بها ثم ولى قضاء سبتة ثانيا .

مكانته العلمية : كان بحرا فى العلوم النقلية والعقلية أديبا بليغا ، وفى طبقات ابن فرحون لعلماء المالكية : انه كان اما فى الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم خطيبا بليغا وذكر من تآليفه ثلاثين تأليفا جليلا . وانشد من شعره :

الله يعلم أنى منذ لم أركم	**كطائر خانه ريش الجناحين**
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم	**وان يكن بعدكم حين جناحين(*)**
وقال انظر الى الزرع وخاماته	**يحكى وقد ماست أمام الرياح**
كتيبة خضراء مهزومة	**شقائق النعمان فيها جراح**

مؤلفاته : له مؤلفات كثيرة : منها شرح مسلم ، و (مشارق الانوار على صحاح الاثار) فى شكل الأصول الثلاثة الموطأ . البخارى . مسلم فى جزءين كل جزء خمس واربعمائة صفحة من القطع الكبير رتبه على حروف المعجم : مثل شكل الاسماء والكنى والانساب والمواضع فى كل حرف من حروف الهجاء فى الكتب الثلاثة . وختمه بباب فى الجمل التى وقع فيها التصحيف أو وقع فيه طمس الى تغيير وماجاء من الوهم فى الكتب الثلاثة فى حرف من القرآن . وباب فى الفاظ جمل يحتاج الى تعريف صوابها والباب الثالث والاخير فى الحاق مابتر من الحديث أو بيض للشك فيه أو لعلة أو نقص منه فى هذه الكتب والكتاب فريد فى نوعه .

ومنها الشفا فى تعريف حقوق المصطفى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وله شروح .

وفاته : كانت وفاته يوم الجمعة بمراكش فى جمادى الآخرة بسنة أربع وأربعين وخمسمائة .

(*) كذا بالاصل ، ولفظ"جنى"كتب بالاصل الفا وهو من الجنابة يريد أن البعد حين وقع جر موتا بعده مكان جناية جرت جناية .

لاخفاء على من مارس شيئا من العلم ، أو خص بأدنى لمحة من فهم بتعظيم الله قدر نبينا صلى الله عليه وسلم ، وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والأقلام .

فمنها : ما صرح به تعالى فى كتابه ، ونبه به على جليل نصابه ، وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه ، وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله — هو الذى تفضل وأولى ، ثم طهر وزكى ، ثم مدح بذلك وأثنى ، ثم أثاب عليه الجزاء ، الأوفى فله الفضل بدءا أو عودا ، والحمد أولى وأخرى .

ومنها : ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال ، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة ، والأخلاق الحميدة ، والمذاهب الكريمة ، والفضائل العديدة ، وتأييده بالمعجزات الباهرة ، والبراهين الواضحة ، والكرامات البينة التى شاهدها من عاصره ، ورآها من أدركه ، وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك الينا وفاضت أنواره علينا ﷺ كثيرا .

حدثنا القاضى الشهيد أبو على الحسين بن محمد الحافظ قراءة منى عليه قال : نا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا : نا أبو يعلى البغدادى قال : نا أبو على السنجى قال : نا محمد ابن أحمد بن محبوب نا أبو عيسى سورة الحافظ قال : نا اسحق بن منصور . نا عبد الرازق أنبأنا عن قتادة عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ أتى بالبراق ليلة أسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل : أبمحمد تفعل هذا ؟ . فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال : فارفض عرقا .

الباب الاول فى ثناء الله تعالى عليه ، واظهار عظيم قدره لديه .

اعلم أن فى كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة «بجميل ذكر المصطفى ﷺ وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك فى عشرة فصول :

الفصل الاول : فى ما جاء من ذلك مجىء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى : **(لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُم)** الآية .

قال السمرقندى : وقرأ بعضهم من أنفسكم بفتح الفاء وقرأه الجمهور بالضم قال الفقيه القاضى ابو الفضل وفقه الله تعالى :

اعلم الله تعالى المؤمنين ، أو العرب ، أو أهل مكة ، أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ، ويتحققون مكانه ، ويعلمون صدقه وأمانته ، فلا يتهمونه بالكذب ، وترك النصيحة لهم ، لكونه منهم ، وأنه لم تكن فى العرب قبيلة « الا ولها على رسول الله ﷺ ولادة »أو قرابة « وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى : **إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** .

وكونه من أشرفهم ، وأرفعهم ، وأفضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة ، وأثنى عليه بمحامد كثيرة ، من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم فى دنياهم وأخراهم ، وعزته عليه ، ورأفته ورحمته بمؤمنهم .

قال بعضهم أعطاه اسمين من أسمائه رءوف رحيم ، ومثله فى الآية الأخرى قوله تعالى : (**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ**) الآية وفى الآية الأخرى (**هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ**) الآية ، وقوله تعالى : (**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ**) الآية .

وروى عن على بن ابى طالب – رضى الله عنه – عنه ﷺ فى قوله تعالى : **من أنفسكم** قال : نسبا وصهرا وحسبا ، ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح كلنا نكاح .

قال ابن الكلبى : كتبت للنبى ﷺ خمسمائه أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (**وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ**) . قال : من نبى الى نبى حتى أخرجتك نبيا .

وقال جعفر بن محمد : علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكى يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته (١) فأقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم فى الصورة (٢) وألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه الى الخلق سفيرا صادقا ، وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى :

(**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**) وقال الله تعالى : (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**) قال أبو بكر بن طاهر : زين الله تعالى محمدا ﷺ بزينة الرحمة فكان كونه (٣) رحمة ، وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شىء من رحمته فهو الناجى فى الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب ألا ترى أن الله تعالى يقول : **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** : فكانت حياته رحمة ومماته (٤) كما قال ﷺ حياتى « خير لكم وموتى خير لكم » وكما قال عليه الصلاة والسلام : اذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا .

وقال السمرقندى : : رحمة للعالمين يعنى للجن والانس ، وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ، ورحمة للكافر بتأخير العذاب .

(١) من خدمتة ، اى خدمة المولى عز وجل بمزيد الطاعة .. مجلة الازهر .

(٢) اشارة الى قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : انى لست كهيئتكم ، قال الامام المراغى محمد – صلى الله عليه وسلم – لم يكن من البشر الا بقدر ما أدى الرسالة للبشر . أ هـ .

(٣) أى ذاته .

(٤) أى ومماته رحمة .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو رحمة للمؤمنين والكافرين ، اذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة •

وحكى أن النبى ﷺ قال لجبريل — عليه السلام : هل أصابك من هذه الرحمة شىء ؟ قال : نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عز وجل على بقوله : **ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ • مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ** •

وروى عن جعفر بن محمد الصادق فى قوله تعالى : (**فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ**) •أى بك انما وقعت سلامتهم من أجل كرامة محمد ﷺ •

وقال الله تعالى :(**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**) الآية •

قال كعب وابن جبير : المراد بالنور الثانى هنا محمد ﷺ وقوله تعالى : مثل نوره أى نور محمد ﷺ •

وقال سهل بن عبد الله المعنى : الله هادى أهل السموات والأرض ثم قال : مثل نور محمد اذ كان مستودعا فى الأصلاب كمشكاة صفتها كذا •

وأراد بالمصباح قلبه ، والزجاجة صدره : أى كأنه كوكب درى لما فيه من الايمان والحكمة يوقد من شجرة مباركة أى من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة •

وقوله : يكاد زيتها يضىء أى تكاد نبوة محمد ﷺ تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل فى هذه الآية غير هذا والله أعلم •

وقد سماه الله تعالى فى القرآن فى غير هذا الموضع (**نُورًا وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**) فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين •

وقال تعالى :(**إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا•وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**) • ومن هذا قوله تعالى :

(**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ**) السورة • شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب ، قال ابن عباس رضى الله عنهما شرحه بالاسلام ، وقال سهل : بنور الرسالة ، وقال الحسن ملأه حكما وعلما ، وقيل معناه ألم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس •

(**وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ•ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ**)

قيل : ما سلف من ذنبك يعنى قبل النبوة ، وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية ، وقيل أراد ما أثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى، وقيل : عصمناك ولولا ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك • حكاه السمرقندى (**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**) قال يحمى ابن آدم بالنبوة ، وقيل اذا ذكرت ذكرت معى فى قوله : لا اله الا الله محمد رسول الله ، وقيل فى الآذان (١) « ونكتفى من هذا الفصل بذلك خشية الاطالة » •

***

واعلم أن حرمة النبى ﷺ بعد موته وتوقيره،

(١) مابين القوسين من كلام المقدم .

وتعظيمه لازم كما كان حال حياته ﷺ وذلك عند ذكره ﷺ وذكر حديثه ، وسنته وسماع اسمه ، وسيرته ، ومعاملة آله وعترته ، وتعظيم أهل بيته ، وصحابته .

« قال أبو ابراهيم التجيبى : واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ، ويخشع ، ويتوقر ، ويسكن من حركته ، ويأخذ فى هيبته واجلاله : بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ، ويتأدب بما أدبنا الله به — وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين — رضى الله عنهم :

حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعرى وأبو القاسم أحمد بن بقى الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه قالوا : نا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث قال : نا أبو الحسن على بن فهر ، نا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج ، نا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب . نا يعقوب بن اسحق ابن أبى اسرائيل ، ابن حميد قال :

ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا فى مسجد رسول الله ﷺ . فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد ، فان الله تعالى أدب قوما فقال : **(لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ)** الآية ، ومدح قوما فقال ! **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ** الآية ، وذم قوما فقال : **(إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ)** الآية وأن حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال :

يا أبا عبد الله استقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام الى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال تعالى : **(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ)** الآية .

وقال مالك : وقد سئل عن أيوب السختيانى ما حدثتكم عن أحد الا وأيوب أفضل منه قال : وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان اذا ذكر النبى ﷺ بكى حتى أرحمه . فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبى ﷺ كتبت عنه .

وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبى ﷺ يتغير لونه وينحنى حتى يصعب . ذلك على جلسائه . فقيل له يوما فى ذلك فقال : لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم على ما ترون ، ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا تكاد تسأله عن حديث أبدا الا يبكى حتى ترحمه ، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبى ﷺ اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ الا على طهارة . وقد اختلفت اليه زمانا فما كنت أراه الا على ثلاث خصال : اما مصليا . واما صامتا . واما يقرأ القرآن . ولا يتكلم فيما لا يعنيه . وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل . ولقد كان عبد الرحمن ابن القاسم يذكر النبى ﷺ فينظر الى لونه كأنه نزف منه الدم . وقد جف لسانه فى فمه هيبة منه لرسول الله ﷺ . ولقد كنت آتى عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر

عنده النبى ﷺ بكى حتى لا تبقى فى عينيه دموع . ولقد رأيت الزهرى وكان من أهنأ الناس وأقربهم فاذا ذكر عنده النبى ﷺ فكأنهما عرفك ولا عرفته ، ولقد كنت آتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبى ﷺ بكى فلا يزال يبكى حتى يقوم الناس عنه ويتركوه . وروى عن قتادة أنه كان اذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل . ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم ؟ فقال : قال الله تعالى(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**) . وحرمته حيا وميتا سواء .

وكان ابن سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبى ﷺ خشع .

وكان عبد الرحمن بن مهدى اذا قرأ حديث النبى ﷺ أمرهم بالسكون . وقال (**لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**) ويتأوله أنه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله . « ويكفى ذلك خشية الاطالة » .

***

الباب الأول من القسم الرابع فى بيان ما هو فى حقه ﷺ سب أو نقص من تعريض أو نص :

اعلم ــ وفقنا الله واياك ــ أن جميع من سب النبى ﷺ ، أو عابه ، أو ألحق به نقصا فى نفسه ، أو نسبه أو دينه ، أو خصلة من خصاله ، أو عرض به ، أو شبهه بشىء على طريق السب له ، أو الازدراء عليه ، أو التصغير لشأنه ، أو الغض منه ، والعيب له فهو ساب والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثنى فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمترى فيه تصريحا كان ، أو تلويحا وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له ، أو نسب اليه مالا يليق بمنصبه على طريق الذم ،أو عبث فى جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ، ومنكر من القول وزورا ، أو عيره بشىء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة ــ رضوان الله عليهم الى هلم جرا.

قال أبو بكر بن المنذر : أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبى ﷺ يقتل ، وممن قال ذلك مالك بن أنس ، والليث وأحمد واسحق وهو مذهب الشافعى .

قال القاضى أبو الفضل : وهو مقتضى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ولا تقبل توبته عند هؤلاء .

وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه . والثورى

(١) التعقيب ــ بين القوسين ــ للمقدم .

وأهل الكوفة ، والأوزاعى فى المسلمين • ولكنهم قالوا : هى ردة •

وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك • وحكى الطبرى مثله عن أبى حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه ﷺ أو برىء منه أو كذبه •

وقال سحنون ـ فيمن سبه : ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره وهل قتله حد أو كفر كما سنبين فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى •

ولا نعلم خلافا فى استباحة دمه بين علماء الأمصار • وسلف الأمة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره •

وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد على ابن أحمد الفارسى الى الخلاف فى تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه •

قال محمد بن سحنون : أجمع العلماء أن شاتم النبى ﷺ المتنقص له كافر • والوعيد جار عليه بعذاب الله وحكمه عند الأمة القتل • ومن شك فى كفره وعذابه كفر (١) •

واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه ن مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبى ﷺ صاحبكم •

وقال أبو سليمان الخطابى : لا أعلم أحدا احدا من المسلمين اختلف فى وجوب قتله اذا كان مسلما •

وقال ابن القاسم عن مالك فى كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية من سبه أو شتمه أو عابه أو تنقصه فانه يقتل • وحكمه عند الأمة القتل • كالزنديق وقد فرض الله تعالى توقيره وبره •

أحمد حسن كفافى

---

(١) انظر لابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم .

المختار من وفاء الوفاء للسمهودى

خصائص مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض فضائلها

ذلك هو عنوان الفصل السابع من كتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ » (•) .

وقد صنفه « الشيخ نور الدين على بن أحمد السمهودى » نزيل المدينة المنورة ، وعالمها ، ومفتيها ، ومدرسها ، ومؤرخها ، الشافعى ، المتوفى بها سنة ٩١١ تسعمائة واحدى عشرة من الهجرة .

يقع الكتاب فى أربعة أجزاء ، ويدور موضوعه حول سيرته ﷺ غير أن المدينة المنورة قد أخذت بأوفى نصيب ، وبخاصة ما يتعلق بأسمائها ، وفضائلها ، ومسجدها النبوى ، ثم ما كان يحيط به من الدور والعمران ، وماجد عليه من أحوال مختلفة فى عصور مختلفة والكتاب يزدحم بالموضوعات المهمة زيادة على ما ذكرنا .

ولقد وكلت الى « مجلة الأزهر الشريف » أن أتخير من هذا الكتاب شيئا ، فراقنى جميعه ، ولكن وجدت أن أحسن ما يختار — فى نظرى — بمناسبة ميلاده — عليه الصلاة والسلام — ذلك الفصل الذى يفصل الحديث فى خصائص مدينته وبعض فضائلها .

ان المؤلف يكثر من الاحالة فى كلامه على ما تقدم أو ما سيأتى ، لذا رأيت من التيسير على القارىء أن أبين كل موطن أحال عليه ، مدللا على مكان الكلام من صلب الكتاب ، ظنا منى بأننى أربط أجزاء الموضوع ، أو أن هناك من يهتم بمراجعة الكتاب ودراسته .

وبعد . فيقول المؤلف عن فضائل المدينة :

هى كثيرة لا تكاد تنحصر ، وها أنا أذكر ما حضرنى منها الآن ، وان شاركتها مكة فى بعضه ، فأقول ، وبالله التوفيق :

الخاصة الأولى :

أنه ﷺ خلق من طينتها (••) وكذا أبو بكر وعمر — رضى الله عنهما — وأكثر الصحابة والسلف ممن دفن بها .

الثانية :

اشتمالها على البقعة التى انعقد الاجماع

(•) الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ ، ١٩٥٥ م بالمدينة المنورة — حققه الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

(••) كنا نود لوساق المؤلف هنا دليلا ، فالله أعلم

تقديم الدكتور
حامد ابراهيم الخطيب

على تفضيلها على سائر البقاع ، كما تقدم تحقيقه (✱) .

الثالثة :

دفن أفضل الأمة بها ، والكثير من الصحابة الذين هم خير القرون .

الرابعة :

أنها محفوفة بأفضل الشهداء الذين بذلوا نفوسهم فى ذات الله بين يدى نبيه ﷺ فكان شهيدا عليهم . ونقل عياض فى المدارك ، وابن الجوزى فى منسكه ، أن مالكا كان يقول فى فضل المدينة :

هى دار الهجرة والسنة ، وهى محفوفة بالشهداء ، وبها خيار الناس بعد رسول الله ﷺ .

الخامسة :

أن الله — تعالى — اختارها دارا وقرارا لأفضل خلقه وأكرمهم عليه ﷺ .

السادسة :

أن الله تعالى اختار أهلها للنصرة والايواء .

السابعة :

أن سائر البلاد افتتحت بالسيف ، وافتتحت هى بالقرآن ، كما هو مروى عن مالك ، ورفعه ابن زبالة من طريقه .

الثامنة :

أن الله تعالى افتتح منها سائر بلاد الاسلام ، حتى مكة المشرفة ، وجعلها مظهر دينه القويم .

التاسعة :

ما ذكره عياض من الاتفاق على وجوب الهجرة اليها قبل فتح مكة ، ووجوب سكناها لنصرة النبى ﷺ ومواساته بالأنفس ، قال : ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الاقامة بمكة بعد الفتح ، ورخص له فى الاقامة ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه .

العاشرة :

أنه يبعث أشراف هذه الأمة يوم القيامة منها ، على ما نقله عياض فى المدارك عن مالك فى ضمن أشياء فى فضل المدينة ، قال : وهذا

(✱) تقدم قول المؤلف ص ٢٨ من الكتاب قد انعقد الاجماع على تفضيل ماضم الأعضاء الشريفة ، حتى على الكعبة المنيفة ، وأجمعوا بعد على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد .

ليعرف القارىء الكريم أن الهوامش المرقمة من عمل المحقق ، أما هوامش النجوم فمن عملى .

لا يقوله مالك من عند نفسه .

الحادية عشرة :

ماتقدم فى الأسماء من تسميتها بالمؤمنة والمسلمة ، وان ترتبتها لمؤمنة ، وأنه لا مانع من أن الله خلق ذلك فيها •.

الثانية عشرة :

اضافتها الى الله تعالى فى قوله : « **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً** » (١) على ما تقدم فى الأسماء ، وقد جاءت الأرض غير مضافة الى الله تعالى والمراد بها مكة ، وذلك فى قوله تعالى : « **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ** (٢) » •••

الثالثة عشرة :

اضافة الله اياها الى رسوله بلفظ البيت فى قوله : « **كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ** (٣) » على ما تقدم فى الأسماء •.

الرابعة عشرة :

اقسام الله تعالى بها فى قوله « **لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ** (٤) » على ما سبق فى الأسماء ... أى نحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بك ، و « لا » زائدة للتأكيد ، ويدل عليه قراءة الحسن والأعمش « لأقسم » .

الخامسة عشرة :

أن الله بدأ بها فى قوله : « **وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ** (٥) » فمدخل صدق هى ، ومخرجه مكة كما تقدم ... مع أن القياس البداءة بالمخرج لموافقة الواقع. فان قيل : التقديم للاهتمام بأمر المدخل ، قلنا : فى الاهتمام به كفاية .

السادسة عشرة :

تسميتها فى التوراة بالمرحومة ونحوه ،

---

(١) من سورة النساء من الآية ٩٧ (٢) من سورة الانفال الآية ٢٦ .
(٣) من سورة الانفال من الآية ٥ .
(•) ذكر فى ص ٢٠ من الكتاب انها سميت بالمؤمنة لتصديقها بالله حقيقة ، أو مجازا لاتصاف أهلها بذلك .

(••) ذكر فى ص ١٠ أن المراد بأرض الله فى الآية هى المدينة وهو قول مقاتل والثعلبى .
(•••) بعد أن ذكر هذه الآية فى ١٢ ، قال : قال المفسرون : أى المدينة ، لانها مهاجره ومسكنه.
(٤) من سورة البلد من الآية ١
(•) ذكر فى ص ١٢ أن من اسمائها « البلد » ثم ذكر الخلاف فى المراد بالآية ، أهى مكة أم المدينة .

(٥) من سورة الاسراء من الآية ٨٠
(••) جاء فى ص ٢٢ انه من أسمائها مدخل صدق » ثم ذكر قول بعض المفسرين : ان مدخل صدق) هى المدينة ، و (مخرج صدق) هى مكة ، وسلطانا نصيرا هم الأنصار .
(•••) ذكر فى ص ٢٣ : من أسمائها « المرحومة » ، نقل عن التوراة ، سميت به لأنها دار المبعوث رحمة للعالمين ، ومحل تنزيل الرحمة.
(••••) جاء فى ص ١٣ : من أسمائها « الحبيبة » لحبه لها ـ عليه السلام ـ ولقوله : اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد .
(•••••) قد ذكر هذا الحديث وغيره فى ص ٥٣ ، وأنه كان اذا أقبل عليها يسير أتم السير ويقول : اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا .

ومخاطبة الله اياها كما تقدم ٭٭

السابعة عشرة :

دعاؤه ﷺ بحبها كمكة وأشد ، وتسميتها بالحبيبة وغيره مما تقدم٭٭ ودعاؤه أن يجعل الله له بها قرارا ورزقا حسنا .

الثامنة عشرة :

تحريكه ﷺ دابته أو ايضاعها اذا أبصر جدرانها عند قدومها ، وأنه كان اذا أقبل من مكة فكان بالأثاية (١) طرح رداءه عن منكبيه وقال « هذه أرواح طيبة » كما تقدم ٭٭٭

التاسعة عشرة :

اهتمامه ﷺ بأمر الدعاء لها بالبركة وغير ذلك .

العشرون :

تحريمها على لسان أفضل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه اكراما له ، وكونه لاجزاء فيها على القول به دليل عظيم حرمتها حيث لم يشرع فيها (جابر) .

الحادية والعشرون :

تأسيس مسجدها الشريف على يده ﷺ وعمله فيه بنفسه ، ومعه خير الأمة المهاجرون الأولون والأنصار المقدمون .

الثانية والعشرون :

اختصاصها بالمسجد الذى أنزل الله فيه « **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ** (٢) » .

الثالثة والعشرون :

كون ما بين بيته ومنبره روضه من رياض الجنة ، وفى رواية « ما بين منبرى وهذه الحجر » يعنى حجره ﷺ ، وسيأتى بيان أن ذلك يعم مسجده ﷺ على ما هو المشهور بين الناس فى تحديد المسجد الشريف ، ولهذا قال بعضهم : هذا المسجد هو المسجد الذى لا تعرف بقعة فى الأرض من الجنة غيره .

الرابعة والعشرون :

كون منبره الشريف على ترعة من ترع الجنة ، وأن قوائمه رواتب فى الجنة ، وفى رواية « ومنبرى على حوضى » .

الخامسة والعشرون :

ما ورد فى مسجده الشريف من المضاعفة

---

(١) الاثابة : موضع بين مكة والمدينة فيه مسجد نبوى ، أو بئر دون العرج عليها مسجدنبوى
(٢) من سورة التوبة من الآية ١٠٨
(٭٭٭) سيذكر مفصلا فى ص ٤١٦ ، ومنه حديثه ــ عليه السلام ــ : صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فى ماسواه من المساجد الا المسجد الحرام

الآتى بيانها .

السادسة والعشرون :

حديث « من صلى فى مسجدى هذا أربعين صلاة كتب له براءة من النار ، وبراءة من العذاب ، وبرىء من النفاق » رواه الطبرانى فى الأوسط .

السابعة والعشرون :

ما سيأتى أن من خرج على طهر لا يريد الا الصلاة فيه كان بمنزلة حجة ، وأن الخارج اليه من حين يخرج من منزله فرجل تكتب حسنة ورجل تحط خطيئة .

الثامنة والعشرون :

أن اتيان مسجد قباء يعدل عمرة كما سيأتى*

التاسعة والعشرون :

حديث « صيام شهر رمضان فى المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها ، وصلاة الجمعة فى المدينة كألف صلاة فيما سواها » فسائر أفعال البر كذلك كما قيل به فى مكة ، وبه صرح أبو سليمان داود الشاذلى فى الانتصار ، ثم رأيته فى الاحياء ، قال : ان الأعمال فى المدينة تتضاعف ، قال ﷺ : « صلاة فى مسجدى هذا » الحديث ، ثم قال : فكذلك كل عمل بالمدينة بألف انتهى ، وقال ابن الرفعة فى المطلب : وقد ذهب بعض العلماء الى أن الصيام بالمدينة أفضل من الصلاة ، والصلاة بمكة أفضل من الصيام ، مراعاة لنزول فرضيتها (١) ، انتهى .

قلت : ويؤخذ من هذه العلة أن كل عبادة شرعت بالمدينة فهى بها أفضل منها بمكة ؛ ولك أن تعد هذا خاصة مستقلة .

الثلاثون :

حديث « لا يسمع النداء فى مسجدى هذا ثم يخرج منه الا لحاجة ثم لا يرجع اليه الا منافق » .

الحادية والثلاثون :

تأكد التعلم والتعليم بمسجدها كما سيأتى**

الثانية والثلاثون :

اختصاصه بمزيد الأدب وخفض الصوت ،

(*) قد فصل ذلك فى ص ٤٣٤ وما بعدها ، وذكر من الأحاديث والآراء كثيرا .

(**) تفصيل ذلك فى ص ٨٠٠ وما بعدها ، وفيه خلاف كثير ، أهو مسجد قباء ، أو مسجده فى المدينة .

(١) يريد أن الصلاة شرعت بمكة فيكون فعلها بها أفضل من الصيام بها ، وأن الصيام شرع فى المدينة ففعله بها أفضل من الصلاة بها .

(***) من جملة ما ذكره فى ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ « من جاء مسجدى هذا لم يأته الا للخير يتعلمه ، أو يعلمه ، فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله » .

لكونه بحضرة سيد المرسلين (١) . واختصاصه عند بعضهم بمنع أكل الثوم ونحوه من دخوله ، لاختصاصه بملائكة الوحى .

الثالثة والثلاثون :

أنه لا يجتهد فى محرابه ، لأنه صواب قطعا ، فلا مجال للاجتهاد فيه حتى باليمنة واليسرة ، بخلاف محاريب المسلمين ، والمراد مكان مصلاه ﷺ ، قال الرافعى : وفى معناه سائر البقاع التى صلى فيها ﷺ اذا ضبط المحراب ، قلت : وفى ضبطه بغيرها عسر أو تعذر .

الرابعة والثلاثون :

أن ما بين منبره ﷺ ومبسجد المصلى روضة من رياض الجنة ، وهذا جانب كبير من هذه البلدة .

الخامسة والثلاثون :

حديث « أحد على ترعة من ترع الجنة » وحديث « أحد جبل يحبنا ونحبه »*.

السادسة والثلاثون :

حديث « ان بطحان على ترعة من ترع الجنة » .

السابعة والثلاثون :

وصف العقيق بالوادى المبارك ، وأنه ﷺ يحبه ، وفى رواية « ويحبنا ونحبه » .

الثامنة والثلاثون :

حثه ﷺ على الاقامة بها**.

التاسعة والثلاثون :

حثه على اتخاذ الأصل بها ***.

الأربعون :

حثه على الموت بها ، والوعد على ذلك بالشفاعة أو الشهادة أو هما ****.

الحادية والأربعون : حرصه ﷺ على موته بها *****.

(١) يشير إلى قولة تعالى : ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ من سورة الحجرات من الآية ٢ .

(****) راجع ص ٣٩ وما بعدها ، ومن ذلك قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : من صبر على لأوائها وشدتها ، كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة والمراد بالاصل ــ المال .

(*****) بيان ذلك فى ص ٤٩ .

وما بعدها ، ومنه قوله ــ عليه السلام : من مات بالمدينة كنت له شفيعا يوم القيامة .

(***) فى ص ٤٨ وما بعدها جملة من الأحاديث حول هذا ، ومنه : « المدينة مهاجرى ، ومنهامبعثى وبها قبرى » . على أنه أن لم يكن تجوز فى قوله : « ومنها مبعثى » ، حدث ما يشكل ، لأن البعثة من مكة ، والانطلاقة من المدينة .

الثانية والأربعون :

كون أهلها أول من يشفع لهم ، واختصاصهم بمزيد الشفاعة والاكرام كما تقدم •

الثالثة والأربعون :

بعث الميت بها من الآمنين على ما سيأتى(*) •

الرابعة والأربعون :

أنه يبعث من بقيعها سبعون ألفا على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حساب ، ومثله فى مقبرة بنى سلمة ، وتوكل ملائكة بمقبرة البقيع كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفوها فى الجنة •

الخامسة والأربعون :

بعث أهلها من قبورهم قبل سائر الناس •

السادسة والأربعون :

شهادته — أو شفاعته ﷺ لمن صبر على لأوائها وشدتها •

السابعة والأربعون :

وجوب شفاعته ﷺ لمن زاره بها •

الثامنة والأربعون :

استجابة الدعاء بها عند القبر الشريف ، ويقال : انه مستجاب عند الأسطوان المخلق ، وعند المنبر ، وفى زاوية دار عقيل بالبقيع ، وبمسجد الفتح بعد صلاة الظهر يوم الأربعاء ، واستجابة الدعاء بمسجد الاجابة ومسجد السقيا وبالمصلى عند القدوم ، وعند بركة السوق فى يوم العيد ، وعند أحجار الزيت وبالسوق ، لما سيأتى(**) عند ذكره هذه الأماكن من ورود ذلك عنه ﷺ •

التاسعة والأربعون :

كونها تنفى خبثها •

الخمسون :

كونها تنفى الذنوب كما تنفى النار خبث الفضة •

الحادية والخمسون :

الوعيد الشديد لمن ظلم أهلها أو أخافهم •

(*) قد أفاض فى ص ٤٧ ، ٤٨ وما بعدهما ، وانظر الحديث السابق : من مات بالمدينة •

(**) فصل ذلك فى ص ١٣٤٥ وما بعدها ، ومنه الحديث : « من مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة •

(***) راجع ص ١٠١٤ وما بعدها من الكتاب ، لأن فيه قولا طويلا •

الثانيـة والخمسون :

من أرادها وأهلها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء وفى رواية أذابه الله فى النـار ، ويؤخذ من ترتيب الوعيد على الارادة مساواة المدينة لحرم مكة فى هذا ، وفيه قال تعـالى : « **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ** » (١) الآيـة ، ويتمسك للمساواة أيضا بقوله ﷺ « كما حرم ابراهيم مكة » فقول ابن مسعود : ما مـن بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهم قبـل الفعـل الا مكة وتلا الآية مشـكل ، وأيضـا فالهم العارض الوارد من غير عزم لا مؤاخذة بـه مطلقا بالاتفاق ، وأما الثابت الذى يصـحبه التصميم فالعبد مؤاخذ به بمـكة وبغـيرها ، وانما خصوصية الحرم تعظيم العذاب لمن هم فيه لجرأته ، ولذا روى أحمد فى معنى الآيـة باسناد صحيح مرفوعا « لو أن رجلا هم فيه بالحاد وهو بعدن أبين (٢) لأذاقه الله عـذابا أليمـا » .

الثـالثة والخمسون :

الوعيد الشديد لمن أحدث بها حدثا أو آوى محدثا ، وتقدم(٭٭) تفسير الحديث بالاثم مطلقا ، وأنه دال على أن الصغيرة بها كبيرة : وللوعيد الشديد فى ذلك ، لأنها حضرة أشرف المرسلين ﷺ ، وسوء الأدب على بسـاط الملك ليس كالاساءة فى أطراف المملكة .

قال بعض السلف : اياك والمعصـية فان عصيت ولابد فليكن فى مواضـع الفجـور ، لا فى مواضع الأجور ، لئـلا يتضـاعف عليك الوزر ، أو تعجل لك العقوبة .

فان قيل : هذا قول بتضعيف السيئات فى الحرم ، والراجح خـلافه ، لقـوله تعـالى « **وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا** (٣) » .

قلنا : تحرير النزاع أن القائل بالمضـاعفة أراد مضاعفة مقدارها : أى لا العدد ، فـان السيئة جزاؤها سـيئة ، لكن السـيئات قـد تتفاوت عقوبتها باختلاف الأشخاص والأماكن، كما أن تقدير كل أحد بما يليق فى الزجـر ، فجـزاء السيئة مثلها ، ومن المـاثلة رعاية ما اقترن بها مما دل على جرأة مرتكبها ، ولا تكتب الا واحدة ، والله أعلم .

الرابعة والخمســون :

الوعيد لمن لم يكرم أهلهـا وأن اكـرامهم وحفظهم حق على الأمة ، وأنه ﷺ شفيع — أو شهيد — لمن حفظهم فيه .

الخامســة والخمســون :

حديث « من أخاف أهل المدينة فقد أخـاف ما بين جنبى » .

(١) من سورة الحج من الآية ٢٥ .

(٢) عدن أبين — على الاضافة — جـزيرة باليمن ، أقام بها أبين ، وعدن لاعة : قرية بقربه .

(٭٭) ذكر فى ص ٤٦ أن فى الصحيحين فى تحريم المدينة : « فمن أحدث فيها حدثـا أوآوى محـدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والنـاس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامـة صرفـا ولاعدلا » .

(٣) من سورة الأنعام من الآية ١٦٠

السادسة والخمسون :

حديث « من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها وقلبه مشرب جفوة (١) » وانه « لا يخرج أحد منها رغبة عنها الا أخلف الله تعالى فيها خيرا منه» كما فى حديث مسلم، قال المحب الطبرى : فيه اشعار بذم الخروج منها ، وذهب بعضهم الى أنه مخصوص بمدة حياته ﷺ، فأما بعد وفاته فقد خرج نفر كثير من كبار الصحابة ، وذهب آخرون الى أنه عام أبدا ، قال الطبرى : وهو ظاهر اللفظ : نعم هو مخصوص بالمستوطن ، لا من نوى الاقامة بها مدة ثم ينقلب (٢) الى وطنه .

السابعة والخمسون :

اكرام الله لها بنقل وبائها وتحويل حماها * .

الثامنة والخمسون :

الاستشفاء بترابها ، وما تقدم فى ثمارها ** .

التاسعة والخمسون :

عصمتها من الطاعون .

الستون :

عصمتها من الدجال ، وخروج الرجل الذى هو خير الناس – أو من خير الناس – اليه منها ، وقوله له : أشهد أنك الدجال ، وأنه لا يسلط عليه بآخرة الأمر ، وبهذا تتميز على مكة ، والسر فيه أن سيد المرسلين – وهو حجة الله على العباد – بالمدينة .

الحادية والستون :

مافى حديث الطبرانى من قوله ﷺ « وحق على كل مسلم زيارتها » .

الثانية والستون :

سماعه ﷺ سلام من سلم وصلاة من صلى عليه عند قبره الشريف ، ورده عليه .

الثالثة والستون :

اختصاصها بملك الايمان والحياء ،

(١) مشرب جفوة – على زنة اسم المفعول – أى خالطه الجفاء .

(٢) ينقلب : يرجع ويعود

(*) قال فى ص ٥٦ : وفى مسلم حديث عن عائشة – رضى الله عنها – « قدمنا المدينة وهى وبيئة ، فاشتكى أبو بكر ، واشتكى بلال ، فلما رأى رسول الله – صلى عليه وسلم – شكوى أصحابه ، قال : « اللهم حبب الينا المدينة كما حببت مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وحول حماها الى الجحفة ثم ذكر روايات أخرى للبخارى وغيره .

(**) من ذلك قوله – عليه السلام – فى ص ٦٧ : « غبار المدينة شفاء من الجزام » ، وقوله ص ٧٠ : « من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم تضره شئ حتى يمسى » ثم أورد أحاديث فى المعنى بروايات أخر و (لابتاها – حرتاها) .

(***) جاء فى ص ١٤ قوله – عليه الصلاة والسلام : « المدينة قبة الاسلام ودار الايمان « الايمان يأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » ، والمراد يلجأ ويعتصم .

كمـا تقدم فى الأسماء

الرابعـة والستون :

كون الايمـان يأرز اليها

الخامسـة والستون :

اشتباكها بالملائكة وحراستهم لهـا .

السادسة والستون :

كونها أول أرض اتخذ بها مسجد لعـامه المسلمين فى هذه الأمة .

السابعة والستون :

كون مسجدها آخر مساجد الأنبياء ، وآخر المساجد التى تشد اليها الرجال ، وكونه أحق المساجد أن يزار كما سيأتى (**) .

الثـامنة والستون :

كثرة المساجد والمشاهد والآثار بهـا ، بل البركة عامة منبثة بها ، ولهذا قيل لمالك : أيمـا أحب اليك المقام هنا يعنى المدينة أو بمكـة ؟ فقال : ههنا ، وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق الا سلك عليها رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام ينزل عليه من عند رب العالمين فى أقل من ساعة ؟ .

التاسـعة والستون :

ما يوجد بها من رائحة الطيب الزكية ، على ما تقدم فى الأسماء (***) .

السـبعون :

طيب العيش بها ، على ما تقـدم هنـاك أيضا (****) .

الحـادية والسبعون :

استحقاق من عاب تربتها للتعزيز، فقد أفتى مالك فيمن قال « تربة المدينة رديئة » بـأن يضرب ثلاثين درة ، وأمر بحبسـه ، وكـان له قدر ، وقال : ما أحوجه الى ضرب عنقه ، تربة دفن فيها النبى ﷺ يزعم أنها غير طيبة ؟

الثانيـة والسبعون :

الوعيد الشديد لمن حلف يمينا فاجـرة عند منبرها .

الثـالثة والسبعون :

استحباب الدخول لها من طريق والرجوع ◄

( ) انظر الحديث فى الهامش السابق .

( ) قد ذكر فى ص ٤١٥ كثيرا من الأحاديث فى هذا المعنى . ومنه قوله ــ صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين : « لاتشد الرحال الا الى ثلاثـة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحـرام ، والمسجد الأقصى » .

(***) انظر ص ١٦ ، ١٧ ففيهما . أقـوال عديدة حول ذلك .

(****) نقل عن صحيح البخارى فى ص١٠٠٦ عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « كان يخرج من طـريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرس ، الى روايات اخر .

فى أخرى ، لما سيأتى فى مسجد المعرس (١) .

الرابعة والسبعون :

استحباب الاغتسال لدخولها .

الخامسة والسبعون :

استحباب الدعاء والطلب من الله الموت بها .

السادسة والسبعون :

أنها دار اسلام أبدا ، لحديث « ان الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدى هذا » .

السابعة والسبعون :

أنها آخر قرى الاسلام خرابا ، رواه الترمذى وقال : حسن غريب ، ورواه ابن حبان بلفظ « آخر قرية فى الاسلام خرابا المدينة » .

الثامنة والسبعون :

تخصيص أهلها بأبعد المواقيت وأفضلها ، تعظيما لأجورهم .

التاسعة والسبعون :

ذهب بعض السلف الى تفضيل البداءة بالمدينة قبل مكة ، وهى مسألة عزيزة ، وممن نص عليها ابن أبى شيبة فى مصنفه فروى عن علقمة والأسود وعمرو بن ميمون أنهم بدءوا بالمدينة قبل مكة ، وأن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدءون بالمدينة ، وفى المناسك الكبير للامام أحمد رواية ابنه عنه : سئل عمن يبدأ بالمدينة قبل مكة ، فذكر باسناده عن عبد الرحمن بن يزيد وعطاء ومجاهد قالوا : اذا أردت مكة فلا تبدأ بالمدينة وابدأ بمكة ، فاذا قضيت حجك فامرر بالمدينة ان شئت ، وعن ابراهيم النخعى ومجاهد : اذا أردت مكة للحج والعمرة فاجعل كل شىء لها تبعا ، ثم روى أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدءون بالمدينة اذا حجوا ، يقولون : نبدأ من حيث أحرم رسول الله ﷺ . قلت : وهذا أرجح لتفضيل ميقات المدينة ، واتيان المدينة أولا وصلة اليه ، مع ما فيه من البداءة بزيارة النبى ﷺ وايثارها ، ولعله السبب عند من بدأ بالمدينة ممن تقدم ذكره من التابعين كما قال السبكى . ونقل الزركشى عن العبدى شارح الرسالة من المالكية أنه قال : المشى الى المدينة لزيارة قبر النبى ﷺ أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس ، انتهى . والخلاف فيما اذا لم تكن المدينة على طريقه ، لأن مأخذ من رجح البداءة بمكة المبادرة الى قضاء الفرض ، ولهذا قال الموفق ابن قدامة : قال أحمد : واذا حج الذى لم يحج قط ـ يعنى من غير طريق الشام ـ لا يأخذ على طريق المدينة ، لأنى

(١) المعرس ـ بزنة المكرم ـ هو والتعريس بمعنى النزول ليلا .

أخاف أن يحدث به حدث ، فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق ولا يتشاغل بغيره ، قال السبكي : وهو في العمرة متجه ، لامكان فعلها متى وصل ، وأما الحج فله وقت مخصوص فاذا كان متسعا لم يفت بمروره بالمدينة شيء . قلت : ومع ذلك فهو في الفرض ، ولهذا قال في الفصول : نقل صالح وأبو طالب : اذا حج للفرض لم يمر بالمدينة ، لأنه ان حدث به حدث الموت كان في سبيل الحج ، وان كان تطوعا بدأ بالمدينة ، انتهى . وممن نص على المسألة أيضا الامام أبو حنيفة على ما نقله أبو الليث السمرقندي ، وقال : ان الأحسن البداءة بمكة .

الثمانون :

اختصاص أهلها في قيام رمضان بستة وثلاثين ركعة ، على المشهور عند الشافعية ، قال الرافعي والنووي : قال الشافعي : رأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين ركعة ، منها ثلاث للوتر ، قال أصحابنا : وليس لغير أهل المدينة ذلك ، لشرفهم بمهاجر رسول الله ﷺ وقبره ، ثم قال الرافعي : وسبب فعل أهل المدينة ذلك أن الركعات العشرين خمس ترويحات ، وكان أهل مكة يطوفون بين كل ترويحتين أسبوعا (١) ، ويصلون ركعتى الطواف أفرادا ، وكانوا لا يفعلون ذلك بين الفريضة والتراويح ولا بين التراويح والوتر ، فأراد أهل المدينة أن يساووهم في الفضيلة ، فجعلوا مكان كل أسبوع — أي مع كل ركعتيه — ترويحة ، فحصل أربع ترويحات . ستة عشر ركعة ، انتهى .

ونقل الروياني في البحر هذا السبب عن الشافعي . وقال القاضي أبو الطيب الطبري : قال الشافعي : لا يجوز لغير أهل المدينة أن يماروا أهل مكة ولا ينافسوهم لأن الله فضلهم على سائر البلاد ، انتهى . وحاصل التوجيه أن الحسد في الخير مطلوب ، وهو في الحقيقة (غبطة) كما حسد المهاجرون — لما لم يكن لهم ما يتصدقون به — الأنصار فقالوا : ذهب أهل الدثور بالأجور (٢) ، فأثبت أهل المدينة هذا العدد بضرب من الاجتهاد ليلحقوا بأهل مكة ، وقد تشارك البلدان في الفضائل حتى اختلف في تفضيل كل منهما على الأخرى ، وجعل لأهل المدينة ما يحصل به ثواب الاعتمار والحج ، وامتازت المدينة بالمهاجر والقبر ، فجعل لأهلها طريق الى تحصيل تلك الفضيلة السابقة مع اقامتهم بها ، ولعله لو لم يشرع لهم ذلك لحملتهم الرغبة في الخير على الانتقال الى مكة ، وسكنى المدينة مطلوب ، وأما غيرهم فليس له شيء من هذا الفضل ، فكيف يتأتى له مساواة أهل مكة ؟ فلم يشرع لهم ذلك ، هذا ، واجماع أهل المدينة حجة عند مالك ، والقيام بهذا العدد بالمدينة ◄

---

(١) يريد سبعة أشواط
(٢) يعنى ذهب الأغنياء بالثواب ، لانهم يتمكنون من الصدقة بسبب مالهم ، وهى مستوجبة للأجر ، ولا يستطيعها الفقراء .
. أى غبطوهم

باق الى اليوم الا أنهم يقومون بعشرين ركعة عقب العشاء ، ثم يأتون آخر الليل فيقومون بستة عشر (١) ركعة ، فوقع لهم خلل فى أمر الوتر نبهنا عليه فى كتاب « مصابيح القيام ، فى شهر الصيام » وكنت قد ذكرت لهم ما يحصل به ازالة ذلك ، ففعلوه مدة ، ثم غلبت الحظوظ النفسية على بعضهم فعاد الأمر كما كان *.

الحادية والثمانون :

زيادة البركة بها ، على مكة المشرفة ، وقد قدمنا حديثا يشير الى أن المدعو به لها ستة أضعاف ما بمكة من البركة ، والمصرح به فى الأحاديث « ضعفى ما جعلت بمكة من البركة » وفى بعضها « مثل ما جعلت بمكة من البركة ومع البركة بركتين » .

الثانية والثمانون :

نقل عن مالك أن خبر الواحد اذا عارضه اجماع أهل المدينة قدم اجماعهم ، ولهذا روى حديث خيار المجلس ثم قال : وليس لهذا عندنا حد معلوم ولا أمر معمول به ، لما اختص (٢) به أهل المدينة من سكناهم مهبط الوحى ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ ، فمخالفتهم تقتضى علمهم بما أوجب ترك العمل من ناسخ أو دليل راجح ، والمحققون على أن البقاع لا أثر لها فى ذلك ، وقد بلغ ابن أبى ذئب — وهو من أقران مالك — مخالفته للحديث فأغلظ فى ذلك لأن العصمة انما تثبت فى اجماع جميع الأمة ، ويؤخذ من كلام مالك اختصاص ذلك بعمل أهل ذلك العصر من أهل المدينة (٣) .

الثالثة والثمانون :

حديث النسائى والبزار والحاكم واللفظ له « يوشك الناس أن يضربوا أكباد الابل فلا يجدوا عالما أعلم من عالم المدينة » وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقد كان ابن عيينة يقول : نرى هذا العالم مالك ابن أنس ، انتهى . قال الزركشى : وفيما حكاه عن سفيان نظر ، لما فى صحيح ابن حبان أن اسحاق بن موسى قال : بلغنى عن ابن جريج أنه كان يقول : نرى أنه مالك بن أنس ، فذكرت ذلك لسفيان بن عيينة فقال : انما العالم من يخشى الله ، ولا نعلم أحدا كان أخشى لله من العمرى ، قال التوربشتى فى شرح المصابيح : يعنى عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، كان من عباد الله الصالحين المشائين فى بلاده وعباده بالنصيحة . بلغنا أنه كان يخرج الى البادية ليتفقد أهلها شفقة عليهم وأداء لحق

---

(١) كذا ، وحق العربية أن يقول « بست عشرة ركعة » .

(٢) هذا تعليل لتقديم اجماع أهل المدينة .

* انظر فى ذلك ص ٥٣ وما بعدها من الكتاب فهناك أكثر من حديث بالدعاء للمدينة .

(٣) لأن أهل ذلك العصر هم الذين شاهدوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأوا مايفعلون ومايتركون ، فاذا اتفقوا على فعل شىء أو تركه دل على أنه لم يكن فى الصحابة من يخالف ذلك ، والا لوجد من يعمل على غرار عمل المخالف من الصحابة .

النصيحة فيهم ، وقد أخرج الترمذى الحديث وحسنه ، وتكلم ابن حزم فيه ، ثم قال : ولم يتعين هذا فى مالك ، لأنه كان فى عصره جماعة لا يفضل على واحد منهم ، وكان بالمدينة من هو أجل منه كسعيد بن المسيب : فهذا الحديث أولى به • وقال ابن عيينة : ولو سئل : أى الناس أعلم ؟ لقالوا : سفيان الثورى ، قال ابن حزم : وان صح هذا الحديث فانما يكون اذا قرب قيام الساعة وأرز الايمان الى المدينة وغلب الدجال على الأرض خلا مكة والمدينة ، وأما حتى الآن فلم يأت صفة ذلك الحديث ، لأن الفقه انقطع من المدينة جملة ، واستقر فى الآفاق ، انتهى • ولا يخلو عن نزاع •

الرابعة والثماون :

تحريم نقل أحجار حرمها وترابه كما سيأتى بيانه * •

الخامسة والثمانون :

لو نذر تطييب مسجد المدينة وكذا الاقصى ففيه تردد لامام الحرمين ، لأنا ان نظرنا الى التعظيم ألحقناهما بالكعبة ، أو الى امتياز الكعبة بالفضل فلا ، وكلام الغزالى فى آخر باب النذر يقتضى اختصاصه بالمسجدين كما فرضناه ، لا فى غيرهما من المساجد ، والامام طرده فى الكل ، وحيث كان الملحظ ما ذكر فينبغى أن لا يتوقف فيما لو نذر تطييب القبر الشريف •

السادسة والثمانون :

اذا نذر زيارة قبر النبى ﷺ لزمه الوفاء بذلك وجها واحدا ، وفى وجوب الوفاء فى زيارة قبر غيره وجهان ، قاله ابن كج ، وأقره عليه الرافعى والنووى وغيرهما •

السابعة والثمانون :

قيام مسجدها مقام المسجد الأقصى كالمسجد الحرام فيما لو نذر الصلاة أو الاعتكاف فى الأقصى ، فان الأصح لزومه به ، وأجزأ مسجد المدينة لزيادة فضله ، ولو نذرهما بمسجد المدينة لم يجزه فعل ذلك بالأقصى ويجزيه بالمسجد الحرام •

الثامنة والثمانون :

الاكتفاء بزيارة قبر رسول الله ﷺ لمن نذر اتيان مسجد المدينة ، كما قال الشيخ أبو على تفريعا على القول بلزوم اتيانه كما قاله الشافعى والبويطى وعلى أنه لابد من ضم قربة الى الاتيان كما هو الأصح تفريعا على اللزوم ، وعلله الشيخ أبو على بأن زيارته ﷺ من أعظم القربات ، وتوقف فى ذلك الامام من جهة أنها لا تتعلق بالمسجد وتعظيمه ، قال : وقياسه أنه لو تصدق فى المسجد أو صام يوما كفاه ، وفيه نظر ، على أن الصحيح مانص عليه فى المختصر من عدم لزوم الاتيان ، وان كان اللزوم أرجح دليلا ، ورجح الرافعى تفريعا على اللزوم ضم صلاة أو اعتكاف ، وكذا اذا نذر اتيان الأقصى ، فان

* قد فصل ذلك فى ص ١١٤ ، وفيه خلاف بين الحرمة والكراهة ، فراجعه •

نفس المرور لما لم يكن فى نفسه مزية انصرف النذر الى ما يقصد فيه من القرب وبهذا يترجح ما قاله الشيخ أبو على ، لأن اتيان مسجد المدينة يقصد للصلاة والاعتكاف والزيارة بخلاف غيره •

التاسعة والثمانون :

قال ابن المنذر : اذا نذر أن يمشى الى مسجد الرسول والمسجد الحرام لزمه الوفاء به لأنه طاعة ، ومن نذر أن يمشى الى بيت المقدس كان بالخيار : ان شاء مشى الى المسجد الأقصى ، وان شاء مشى الى المسجد الحرام ، لحديث أن رجلا قال للنبى ﷺ : انى نذرت ان فتح الله عليك مكة أن أصل فى مسجد بيت المقدس ، قال ﷺ « صل هنا ، ثلاثا » انتهى • ويعلم مما تقرر فى اجزاء مسجد المدينة عن الأقصى فى الاتيان والصلاة اجزاؤه هنا كالمسجد الحرام ، والذى اقتضاه كلام البغوى تصحيح عدم لزوم المشى فى مسجد المدينة والأقصى ، وهو الذى رجحوه •

التسعون :

قوله ﷺ فى أحاديث تحريمها « ولا يحمل فيها سلاح لقتال » •

الحادية والتسعون :

قوله فيها أيضا « ولا تلتقط لقطته الا لمن أشاد بها (١) » •

الثانية والتسعون :

اذا قلنا بضمان صيدها وقطع شجرها فالصحيح أنه يسلب الصائد كما يسلب قتيل الكفار ، وهذا أبلغ فى الزجر من الجزاء (٢) •

الثالثة والتسعون :

جواز نقل ترابها للتداوى •

الرابعة والتسعون :

ظهور نار الحجاز التى أخبر بها ﷺ مما حولها ، لأنها للانذار ، فاختصت ببلد النذير ، ثم لما بلغت الحرم وكان محرمه المبعوث بالرحمة خمدت وطفئت ، على ما سيأتى * •

الخامسة والتسعون :

دعاؤه ﷺ بالبركة فى سوقها •

السادسة والتسعون :

ما سيأتى فى سوقها من أن الجالب اليه كالمجاهد فى سبيل الله ** •

السابعة والتسعون :

أن المحتكر فيه كالملحد فى كتاب الله ** •

الثامنة والتسعون :

ما سيأتى فى بئر غرس من أنه ﷺ « رأى أنه أصبح على بئر من آبار الجنة ، فأصبح على بئر غرس »

الشعر

محمد عليه الصلاة والسلام

من معجزات القرآن

سطع النور

محمد عليه الصلاة والسلام

في ذكرى مولده الكريم

شمس تخالف شمس الناس .. أم عجب ؟ ... أم وجه (أحمد) عنه شقت الحجب ؟
لا البدر يفضله ، لا الشمس تحجبه ... والنجم يبعد خزيا .. كيف يقترب ؟
كل الأنام جميعا دون رتبته ... هيهات تسمو الى عليائه الرتب
وكيف يظفر انسان برتبته ... وهو الشفيع اذا ما اشتدت الكرب ؟
يبغى النجاة فرادى كل من بعثوا ... لكن نبى الهدى للمسلمين أب

***

يارب (أحمد) كم أسديت عارفة ... من بحر فضلك .. كم تعطى وكم تهب
أرسلت (أحمد) بالقرآن تكرمة ... للعالمين لينأى عنهم العطب
فالجهل والبغى والأهواء مطلقة ... والناس فى غفلة ... كل له نصب
لا الحق حق ، ولا الأعراض قد حفظت ... ولا تحكم الا السمر والقضب
فجاء (أحمد) مصباحا بدعوته ... تحنى لها الشمس رأسا ثم تحتجب

***

ياجامع الفضل ألوانا وقد عجزت ... وتعجز ـ الدهر ـ عن احصائه الكتب
أنت الامام لنا . بشرى لأمتنا ... امامها النور ... تستهدى به الشهب
الناس توصف بالألفاظ ان مدحت ... ودون حقك يعيا اللفظ والأدب
يدعو أناس من الدنيا زخارفها ... وبرك الجم ما أرجو وأرتغب
سبحان من أودع الايمان قلبكمو ... فهان عندك ما تشقى به العصب

للأستاذ احمد قاسم أحمد

كم ذا لقيت من الأهـوال منفـردا   هـذا فؤادك جيش فى الوغى لجب
كم خضت حـربا فما زلت لكم قـدم   فكنت طودا تهاوى حـوله النوب
ولا تهيب يوم الروع ملحمـة   كنت المقـدم والساحات تصطخب
وكم حميت من الشجعان ذا درق   بالسيف ضربته كالنار تلتهب
وقفت يوم « حنين » .. اذ غدا عجبا   أن تشهد الناس قد أغراهم الهرب
فصحت صيحة حق أسمعت وعلت   انى النبى وما فى قولتى كذب
فثاب من تركوا الميدان واجتمعوا   بالصدق حولك حتى جاءك الغلب
ويوم « بدر » وفى « أحد » و « خيبر » اذ   لاقى اليهود من الاسلام ما يجب
صحائف المجد والايمان مشرقة   قد خطها قائد بالحق معتصب
لله دعوته ، فى الليل غزوته   يسعى النهار وطول الليل يقترب

***

ان رمت علما فان الله علمه   أعظم بعلم من الرحمن يكتسب
علم تفيض من الأمى أبحره   ودون قطرته ما تمطر السحب
أو رمت خلقا فان الله عظمه   وليس بعد امتداح الله مطلب
فاملأ فؤادك دوما من محبته   فانها الروح والريحان والقرب

***

وددت أنظم للأجيال سيرته   نظما تسير به الأعجام والعرب
يبقى ويخلد فى الأفواه مؤتلفا   وليس تضعفه الأزمان والحقب
لكن ذلك فى الآمال أصعبها   انى المقل فأين الدر والذهب
ومحمد ــ آية ــ « الرحمن » كاملة   فى الخلق والخلق فاعجز أيها الأدب

هجرة الحق (١)

سائل الأفق عن سناه   أى صبح على محياه أسفر ؟

الهلال الوليد ضوا مرآة فسبحان من براه وصور

زورق فى غياهب الموج يبدو   ورجاء فى ظلمة اليأس يظهر

هلل المسلمون حين رأوه   واحتلاه الشرق الجريح فكبر

تتلاقى العيون حول سناه   شاخصات بكل طرف محير

ضارعات المنى الى الله لهفى   عليه أن يكون بالنصر بشر

وشوادى الطيور حامت على الروض تغاديه بالنشيد المعطر

ضج فى سمعها الغداة هتاف الكو   ن ينساب بين ناى ومزهر

ودعاء الوجود كبر لله فهزت أصداؤه كل مظهر

نشوة تغمر الحياة لذكرى   يزدهى مجدها الأنام ويبهر

هى صوت التاريخ فلتسمع الدنيا   لصوت من السماء تحدر

هجرة المصطفى ورجع صداها   عظة من مواعظ الحق تؤثر

من ترى ذلك الغريب بأرض   هى أوطانه وبالأهل تزخر ؟

أنكرته والحق فيها غريب   ليس بدعا أن يستباح وينكر

دبرت غدرها وليس بمجد   غادرا كيده اذا الله دبر

أرهف الليل سمعه لخطاه   هامسات بما يخاف ويحذر

واحتواه الظلام سرا من الله عليه عين العناية تسهر

كاد اشراقه يدل عليه   بمحيا فى فحمة الليل أقمر

والفضاء الفسيح ينبىء عنه   بعبير يفوح منه وعبهر

عميت عين مقتفية عن الغا   رو لولا رعاية الله أبصر

شد عزم الصديق من رجفة الخوف بعزم على المخاوف أصبر

رب أنت النصير ان عقنى الأهل ومن يعتصم بحبلك ينصر

وطن الحق موطنى فلك الأمر كما شئت والقضاء المقدر

من ترى ذلك الذى غير التاريخ فتحيا وهز كسرى وقيصر ؟

من ترى الفارس الذى زلزل الأرض ، وفى كفه اللواء المنشر ؟

للدكتور حسن جاد

من ترى الفاتح الذى طالع الوادى يجيش من الضراغم يزأر ؟
ترجف الأرض والجبال لمرآة وترتج من خطاه وتذعر
ذاك أم القرى طريدك بالأمس ، ومن يصطبر على البأس يظفر
ان للحق ساعة يقهر الباطل فيها مهما طغى وتجبر
اسمعى يا شعاب مكة هذى هتفة النصر للنبي المؤزر
واشهدى ياسماءها : زلزل الشرك ودوت فى الأفق : الله اكبر

أيها الشرق هذه قصة المجد فلا يزدهيك مجد مزور
هجرة الحق عبرة لو نعيها وهى درس السماء لو نتدبر
هى رمز لنصرة الحق مهما طال بالظالم المدى وتنمر
وعلى التضحيات والصبر عنوا ن وللعزم والارادة مظهر
ومثال الفداء فى كل عصر والصمود الصلب الذى ليس يقهر
ومنار لأمة تتسامى ولشعب يريد أن يتحرر
يانصير الحقوق قم فانظر اليوم ، ترى الحق يستباح ويهدر

شرعة الغاب أصبحت تحكم الدنيا بناب مخالس الفتك أصفر
لا تبالى بمنطق الحمل الوداع النصاح فى شراها غضنفر
يانبى الاسراء مسراك فى القدس مشى الرجس فى ثراه المطهر

واستبد الذئاب بالمسجد الاقصى وداسوا محرابه والمنبر
والأذان القدسى قد خنقته ضجة البوم بالنعيب المنكر
وكأن المآذن الشم أيد لفلسطين بالشكاية تجأر
نظرة منك يامحمد تحيى عزمات كادت تفل وتبتر
مددا من هداك يجمع شمل العرب، والمسلمين صفا موزر
ومضة من سناك تجلى دجى الليل وتجلو وجه السلام المعفر
نفخة من رضاك تجبر كسرا كل كسر بنفخة منك يجبر
رب ثبت على الطريق خطانا وأنر دربنا فلا نتعثر
ويخبر الورى نبيك وفقنا وبسر من أمرنا ما تعسر

---

(١) كتب الشاعر قصيدته فى هجرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحتى لا ينتظر القارىء مناسبتها فى العام القادم بمشيئة الله ـ رات المجلة ان تسارع باهدائها اليه .

من حديث النفس

فى ذكرى النور

للأستاذ شوقى محمود أبو ناجى

عتبت على نفسى ٠٠ ولا زلت أعتب ... وأقلقها هم ممض معذب
تمادت فما ألفت على الغى راحة ... وهامت بدنيا الناس لا تتهيب
واعجبها علم تقدم مظهرا ... معالم ظلت تختفى وتحجب
ودانت لها الذرات تفصل فعلها ... لتهدم ما شادت سنون وتخرب
تبارت عقول العلم تنسج عالما ... جميلا من الأحلام يغرى ويعجب
وقد عصرت هذى العقول وسهدت ... عيون لكى يرتاح عان معذب
فهل كان الا للمتاعب سعيهم ؟ ... فساد بها للناس ناب ومخلب
كأن نبيا لم يقم بهداية ... ليرجع غى أو ليهدأ متعب
وتنصب رايات ٠٠ وتحيى محافل ... ويصرخ فى الذكرى بليغ ويخطب
وتقرأ آيات من الذكر فى شجى ... ليطرب قوم للجمال ويصخبوا
وتلك قلوب القوم غلف كأنهم ... خلوا من جلود تقشعر ليرهبوا
نعم وجميل ذكر من نبه الورى ... وأيقظهم من غفلة فتغلبوا
عليه صلاة الله أدبه الذى ... بيمناه يطوى الكون نعم المؤدب
وارسله بالنور والحق داعيا ... بشيرا ٠٠ ونور الحق أسنى وأرحب
فأرشد ضلالا ٠٠ ووحد أمة ... لتهدى انسانية تتعذب
لتهدى انسانية ضل سعيها ... وأعوزها هاد يحن ويحدب
طوت جنبى الدنيا وباتت سجينة ... تحن الى طعم الهدوء وتطلب
وهل يطمئن القلب الا بذكره ؟ ... ألا ان ذكر الله للمرء أطيب
فهل يوقظ النوام صرخة هاتف ... نذير وعريان وفى عطفه أب ؟
فان لنا منه لعزا وهمة ... ترد دعاة الشر مهما تالبوا
ويرتفع اسم الله ٠٠ الله اكبر ... بصوت مدو فى العوالم يطرب

من معجزات القرآن

شعر جليلة رضا

هى ليلة ٠٠ مرت على كأنها عام وعام
الكون فيها كان أخلد للسكون وللظلام
والبرد ٠ والبرد المفزع كان يمتص العظام
لكنما نام الجميع ولم أزل أنا والسقام
يقظين ٠٠ لم نذق الكرى من ليلتين ولا السلام

وطغت سيول الثورة الغضبى على قلبى ونفسى
ومضيت أصرخ فى أسى وكأن بى أطياف مس
وأنا ألوح باليدين وبالسواعد فوق رأسى
وأصبح فى هذا الوجود وقد تجمد كل حس
يا كم أحس مرارة فى الذكريات ٠٠ ويا لتعسى !

وإذا بصوت من بعيد هاتف يدنو اليا
من عمق عمق اللا نهاية جاءنى يسرى نقيا
ينساب كالينبوع فى كلى ويجرفنى عتيا
ويهيب بى ٠٠٠ « هيا اقرئى شيئا من القرآن ٠٠ هيا
ومضيت أقرأ آية الكرسى ، أتلوها مليا

ومضت على هنيهة كالدهر لم أتكلم
مأخوذة ، مازلت أصغى للرنين على فمى
وكأن حبلا شد من طرفى ضياء ٠٠ مظلم !
وأنا كبحر عربدت كل المشاعر فى دمى
لكن شيئا فى دمى ٠٠ ما كنهه ؟ ٠٠ لم أعلم !

وظللت وحدى فى الدجى أبكى بأعماق السكون
أحسست أن الله فى قلبى ، وأحزانى تهون
وهتفت : « عفوا أنت أدرى بالعباد ٠٠ ومن نكون ؟
عفوا ٠٠ فأنت خلقتنا يارب من ماء وطين ٠٠ »
٠٠ هى ليلة ، فى العمر ، لن تنسى على مر السنين

سطع النور

للأستاذ أحمد محمد الديب

سطع النور فى ربوع الحياة ... وتجلى بأحكم الآيات

مولد الهادى يوم مسعد ونور ... يوم اشراق فائض البركات

جاء للناس كى ينير طريقا ... لنفوس تعانق الظلمات

جاء يدعو بحكمة وعظات ... جاء يهدى عقولنا الغافلات

حارب الشرك والشرور ، ودعانا : ... ربكم واحد على الصفات

ربكم واحد فلا تعبدوا ربـ ... باسواه وحاربوا المغريات

وأطيعونى اننى رحمة من ... ربكم تهديكم الى الجنات

وانشروا العدل بينكم وابعدوا عن ... نزعات الشيطان والهمزات

لا تميلوا لا تجبنوا لا تحيفوا ... لا تهيموا لا تفعلوا السيئات

وحدوا صفكم وكونوا بناء ... شامخا يحسن بأسكم كل عات

وازرعوا الحب بينكم وانزعوا نبـ ... تا لضغن وجاهدوا الشهوات

واغرسوا أرضكم حنانا وصفحا ... واتركوا البغى فالردى للبغاة

واطلبوا العلم تنهضوا ترتقوا ، بل ... تبلغوا اقصى المجد والغايات

من رأى منكم منكرا فليزله ... بجهاد بوثبة العزمات

لا تعيشوا الا أسودا اباة ... وقساة على رقاب العداة

عاونوا الناس وامنحوهم أمانا ... بشروهم بأجمل البشريات

دعوة من محمد أشرقت نو ... را فعم السنا جميع الجهات

مولد الهادى عيد خير ويمن ... فسلام عليه فى صلواتى

جوانب إسلامية

المحرمات من النساء

الزكاة أداة للنهضة الاجتماعية

حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

الغزو الفكرى وموقفنا منه

الاعلام الاسلامى

... مع النمل

المحرمات من النساء

قال الله تعالى فى سورة النساء (٢٢ ــ ٢٤) :

«وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ (١) إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً (٢) وَمَقْتًا (٣) وَسَاءَ (٤) سَبِيلًا * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ (٥) اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ (٦) عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ (٧) أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ (٨) وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَالْمُحْصَنَاتُ (٩) مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» .

١ ــ سبق .
٢ ــ منكرا قبيحا شنيعا .
٣ ــ المقت أشد البغض .
٤ ــ طريقا مذموما . وساء وبئس فعلان من أفعال الذم .
٥ ــ جمع ربيبة : بنت الزوجة من غير الزوج .
٦ ــ فلا اثم ولا ذنب .
٧ ــ زوجات ، مفرده زوجه .
٨ ــ من ظهوركم .
٩ ــ المتزوجات .

المحرمات فى هذه الآيات الكريمة ثلاثة أنواع :

(أ) محرمات بالنسب .

(ب) محرمات بالرضاع .

(جـ) محرمات بالصهر .

(أ) فالمحرمات بالنسب سبع (١) :

١ ــ الأم :

تشمل أمك التى ولدتك ، وجداتك من جهة الاب أو الأم وان علون .

٢ ــ البنت :

ويراد بها : كل أنثى كنت لها أصلا ، فيدخل

(١) النسب : مايشترك فى الانتساب اليه أفراد معينون .

فى ذلك بنت الصلب ، وبناتها ، وبنات الأبناء وان نزلن •

٣ ــ الأخت :

تعم الاخوات الشقيقات ، ولأب ، ولأم •

٤ ــ العمــة :

أخت أبيك شقيقة كانت أو لأب أو لأم أو عمة أبيك كذلك •

٥ ــ الخالة :

أخت أمك ، أو أخت جدتك لأبيك أو أمك ، شقيقة لهؤلاء أو لأب أو لأم •

٦ ــ بنت الأخ :

وبناتها وبنات أبنائها وبنات بناتها وان نزلن

٧ ــ بنت الأخت :

وبناتها وبنات أبنائها ، وبنات بناتها وان نزلن تقــرأ ذلك فى قوله تعالى : « **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ** »

(ب) المحرمات بالرضاع سبع :

الأم :

١ ــ اذا أرضعت المرأة طفلا حرمت عليه ، لأنها أمه •

٢ ــ وكذلك أمها •

٣ ــ وأم زوجها صاحب اللبن لأنهما جدتاه •

٤ ــ وألحقت السنة بالأم أختها ، لأنها خالة الطفل •

٥ ــ وأخت زوجها صاحب اللبن ، لأنها عمته •

٦ ــ وبنات بنيها وبناتها ، لأنهن بنات اخوته وأخواته •

٧ ــ الأخت : وتشمل :

١ ــ الأخت لأب وأم :

وهى التى أرضعتها أمك بلبان أبيك سواء أرضعتها معك ،أم ولدت قبلك أم بعدك وتحرم على الأب لأنها بنته

٢ ــ الأخت من الأب دون الأم :

وهى التى أرضعتها زوجة أبيك • وتحرم على الأب لأنها بنته •

٣ ــ الأخت من الأم دون الاب :

وهى التى أرضعتها أمك بلبان رجل آخر وتحرم على الآخر لأنها بنته • يدل على ذلك •

◄

المحرمات من النساء

قوله تعالى : « وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ » .

(جـ) المحرمات بالصهر أربع :(١)

١ـ زوجة الأب :

المراد بها المرأة التى عقد عقدها أبوك أو جدك وان علا فمتى عقد أحد من أصولك على امرأة فلا يحل لك ولا لأحد من ذريتك تزوجها أبدا .

٢ ـ أم الزوجة :

بمجرد عقدك على امرأة ـ دخلت بها أم لم تدخل ـ تحرم عليك أمها ، وأم أمها وان علت .

٣ ـ بنت الزوجة :

اذا دخلت بامرأة حرمت عليك بنتها من غيرك وتسمى هذه البنت ربيبة (٢) وكذلك بنت بنتها وان نزلت .

٤ ـ زوجة الابن :

بمجرد عقد الابن أو ابن الابن وان نزل ـ من الصلب أو من الرضاع على امرأة ـ تحرم على أبيه وجده وان علا . أما حرمة زوجة الابن من الصلب فلقوله تعالى :

« وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ » .

وأما حرمة زوجة الابن من الرضاع فلقوله عليه الصلاة والسلام :

« يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب »

الجمع بين الأختين :

يحرم على الزوج أن يتزوج أخت زوجته مادامت زوجته معه سواء كانت أختا شقيقة أم لأب ، أم لأم ، وسواء كانت أختا من النسب أم من الرضاع لقوله تعالى : « وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا » .

ومن أسلم ومعه أختان يختار واحدة منهما ويفارق الأخرى .

قال رجل : يارسول الله انى أسلمت وتحتى أختان ، قال : (طلق أيتهما شئت) .

المتزوجات :

ويحرم على الانسان أن يتزوج امرأة على عصمة غيره لقوله تعالى :

« وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » .

---

(١) يراد بالصهر : القرابة التى جدت بسبب الزواج .

(٢) ووقع الاجماع على ذلك حيث كانت ربيبة أى مربوبة للرجل زوج أمها ... مجلة الأزهر .

والمعتدة فى حكم المتزوجة فيحرم زواجها فى عدتها .

مازاد على الأربـــع :

ثبت بالكتاب والسنة أن الرجل اذا كان فى عصمته أربع نســوة يحرم عليه مازاد عــلى ذلك من الحرائر .

قال الله تعالى فى سورة النســاء :

« فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا * »

فأفادت الآية اباحة تعدد الــزوجات الى أربع فقط مع وجوب العدل بينهن فى القسم والنفقة والكسوة والسكن وحسن العشرة واذا خيف الجور وجب الاكتفاء بواحدة .

وفى الموطأ أن رجلا من ثقيف أسلم وعنده عشر نسوة فقال له رسول الله ﷺ :

(أمسك منهن أربعا وفارق سائرهن) .

واذا طلق زوج الأربع واحدة منهن طلاقا رجعيا فليس له أن يتزوج واحدة غيرها حتى تنتهى عدة التى طلقها واذا طلق احدى الاربع طلاقا غير رجعى فله أن يتزوج واحدة غيرها بلا انتظار انقضاء العدة عند مالك والشافعى .

المشـــركات :

يحرم على المسلم أن يتزوج امرأة تشـــرك بالله تعالى ففى ســورة البقرة (٢٢١) .

« وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ » .

المشـــركة :

الكافرة التى تعبد غير الله تعالى أو تشرك معه غيره فى العقيدة والعبادة وزواجها حرام مادامت مشركة لأن عقيدتها وأفعـــالها تفضى بها وبمن يحاكيها الى النار .

وهى تربى أولادها على عقيدتها وأخلاقهـــا والله جل شأنه يدعو عبـاده الى العقـــائد والخصال التى تؤهلهم لرضاه وتطهرهم مـــن الآثام وتفضى بهم الى الخلد فى جنات النعيم فالمشركة تحارب الله بالدعوة الى ضد ما يدعو اليه . فالمؤمنة خير من المشركة ولو أعجبتنـــا الأخيرة حسبا ونسبا وجمالا ومالا .

تلك هى تعاليم الدين الاسلامى التى تعالج الموضوعات الاجتماعية التى يقابلها الفرد ونود أن يجد كل فرد فى هـــذا الموضـــوع ما يصله صلة روحية وثيقة بدينه ويبصره بأن يعـــالج مشكلات المجتمع ومشكلات الأفراد علاجـــا يحقق لهم الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة .

بقلم

مستشار / فوزى كامل محمد سليم

الزكاة

أداة للنهضة الاجتماعية

٢

ضوابط استحقاق الزكاة :

والحق سبحانه حين شرع الزكاة لتكون وسيلة لتحقيق تلك المصالح ، لم يشأ أن يترك أمرها دون تحديد يعصم حصيلتها من الضياع ، فوضع ضوابط استحقاقها ، حتى لاينحرف الناس بها عن أداء المهمة التى شرعت من أجلها وحتى لا يكون ناتج الزكاة كما مهملا من المال يستغل فى غير ما أمر الشارع به أو يبعثر هنا وهناك وفقا لما يمليه الهوى فارتفع بها عن الاستغلال غير الرشيد واغلق الباب امام الادعياء والكسالى حتى لا يتخذوا منها ذريعة لتنفيذ رغبة أو تحقيق مآرب ، فأورد النص الواضح فى القرآن الكريم ليحدد مصارف الزكاة •

ويبين شروط استحقاقها ، حتى لا يستغل النص الكريم فى غير ماورد ، ولا شك ان مجال الاختصاص بهذا الجانب يرجع الى دافعى الزكاة وأولياء فكان منوطا بهم وحتى لا يركن أدعياء استحقاق الزكاة الى انحصار المسئولية عنهم امام الله واقتصارها على اولياء الامور فى التحرى عن المستحق والوقوف على مدى أحقيته ودرجته فى الاستحقاق ، أدخل الحق سبحانه الآخذين للزكاة فى المسئولية عن ترشيد انفاق مال الزكاة ، حتى لا يستغل واحد من الناس قدرته فى تزوير مظهره ، فيدعى صفة تجعله أهلا للاستحقاق وهى ليست فيه فجعله عند خفاء حاله على دافعى الزكاة آكلا لمال محرم ، حيث أخذ من مال الله جزءا لا يستحقه وقد يضيع بتصرفه غير المشروع هذا فرصة على فقير أو مسكين هو أجدر بالصرف منه ، وبالتالى يكون قد أخذ حق غيره •

ضوابط استحقاق الزكاة — اذا — ترجع الى الغنى والفقير ، الدافع للزكاة والآخذ لها ، وينبغى بيان ذلك بشىء من التفصيل •

اولا : الضوابط المقررة لدافعى الزكاة :

وحتى تؤدى الزكاة رسالتها فى اصلاح المجتمع وبنائه ، قرر الحق سبحانه لدافعى الزكاة الحدود التى تسهل لهم أداء تلك الرسالة النبيلة ، فحدد لهم مصارفها ، وطلب منهم التثبت من توافر صفة الاستحقاق فى

للدكتور عبد الله مبروك النجار

آخذها ، وتلك المهمة يختص بها دافعو الزكاة وأولياء الامور الذين يعملون عليها .

١ ـ الالتزام بمصارف الزكاة :

جاء النص على تحديد مصارف الزكـاة فى قول الله تبارك وتعالى : « **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** » (١) وعلى هذا النحو بين الحق سبحانه بالنص بالواضح والتفصيل المحدد ، الحالات التى تستوجب استحقاق الزكاة ، والآية الكريمة أشارت الى عدد من المستحقين ، يظهر من خلال النظر فيها انهم من ناحية استبانة حالهم ينقسمون الى قسمين :

أولهما : صنف حاله واضح وأمره ظاهر ، وهم فى النص الكريم ، العاملون على الزكاة ، والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب ، وفى سبيل الله وابن السبيل ، وأصحاب هذه الحالات أمرهم واضح ، ومن ثم فانهم لايحتاجون فى بيان حالاتهم الى زيادة توضيح .

فالعامل على الزكاة معروف بصفته ووظيفته وأصحاب الرقاب معرفون ان وجدوا .

والمؤلفة قلوبهم ، ممن يرجى منهم دفع الأذى عن المسلمين حالهم واضح ، وكذلك الامر بالنسبة للصرف فى سبيل الله على المجاهدين ومصالح المسلمين (٢) ، لوضوح أمره ويسر معرفته ، وابن السبيل الذى انقطعت به الاسباب فى سفره عن بلده ومستقره وماله أمره غير خاف ، ومن ثم فان أصحاب تلك الحالات يعطون من الزكاة لمجرد قيام تلك الاوصاف فيهم بالوضوح الذى لا يحتاج الى زيادة بيان .

ثانيهما : صنف يحتاج أمره الى زيادة بيان واثبات صفة ، وهم الفقراء ، والمساكين ، والغارمون ، اما الغارم فانه لا يعطى من الزكاة بمجرد دعواه لأن أمره لا يمكن استيضاحه من مظهره ، ولهذا فقد قرر الفقهاء أنه لا يعطى من مال الزكاة الا اذا أثبت وجود الدين عليه وأن يكون دينه فى طاعة وفى غير اسراف وان يكون فى أمر ضرورى (٣) ، ومن المؤكد أن هذه الشروط تحدد مركزه فى الاستحاقاق ، فأمره لا يثير صعوبة ، وأما الفقراء والمساكين فان أمرهم يحتاج الى بيان ، حيث جعل الشارع علة الصرف لهما هى الفقر ، والمسكنة ، وهما كثيرا ما يثيران الاشتباه والخلط ، لأن كثيرا ممن يألفون التسول غالبا ما يتفننون فى الظهور بمظهر الفقر والمسكنة ، فمنهم من

◄

(١) سورة التوبة ـ آية ٦٠
(٢) راجع فى هذا المعنى ، سبل السلام للصنعانى ـ جـ ٢ ص ١٤٥
(٣) بدايه المجتهد ـ جـ ١ ص ٢٦٨

يتعارج ومنهم من يتعامى ، ومنهم من يزعم أنه قد خرج من المستشفى وليس معه أجرة القطار ولا ثمن الخبز ، الى غير ذلك مما يراه الناس فى كل وقت ، الامر الذى يجعل الوقوف على حقيقة وضعهما شيئا عسيرا فى معظم الاحوال ، وهو وان كان يسيرا الى حد ما بالنسبة للمسكين لأن شدة حاجته قد تفصح عن أمره ومن ثم فان ظروف مدعى المسكنة قد تدل على وضعه ، الا أن الامر يبقى بالنسبة للفقير على ما هو عليه من ابهام وغموض ، فى هذه الحالة قرر الفقهاء أن على الامام أن يتحرى عن حالهم ، ثم يصرف لهم مايستحقونه فى الزكاة ، فاذا ظهرت حقيقة أمرهما ، وثبت خلاف ماصرف لهما به ، فان المزكى يسترد منهما ما أخذاه (١) ،وذهب بعض الفقهاء الى أن للمزكى أن يضمنه ما أخذ عند تلفه وعلم القابض أن ما أخذه زكاة (٢) ، ويتضح من خلال رأى الفقهاء مدى حرص الاسلام على حماية مال الزكاة لتحقق غايتها فى بناء المجتمع السليم .

وقد حدد الحق سبحانه مصارف الزكاة على هذا النحو المفصل وأمر بالالتزام بهذا التحديد ، ولا شك أن فى امتثال أمر الله ، ما يحفظ مال الزكاة ، ويضمن تحقيق رسالتها فى النهوض بالمجتمع على أكمل وجه .

٢ ـ التثبت من صفة الاستحقاق :

مال الزكاة لاينفق عبثا ، وانما هو محكوم بضوابط دقيقة تمنع وجود فئة من المتعطلين الذين لا يعملون ، اعتمادا على ما سيأخذونه، وهم قادرون على العمل ، لأن الصرف محدد لفئات معينة تستحقه ، وهذا الاستحقاق يستند الى علة ينبغى أن تتوافر ، وتوافر العلة يحتاج الى بيان وتثبت ، ولهذا أرشد الشارع دافعى الزكاة، والقائمين بذلك أن يتحروا عن وجود علة الاستحقاق فى آخذ الزكاة ومنها وجود الفقر أو المسكنة مع عدم القدرة على العمل لأن القوى المكتسب بحرفته فى حكم الغنى ، فلا يكون أهلا للزكاة ، وهذا لا يكون الا عند عدم العلم بوجود علة الاستحقاق ، فان كان يعلمها فلا وجوب للتحرى فى تلك الحالة (٣) .

ومما يدل على ذلك ما رواه عبد الله بن على ابن الخيار أن رجلين حدثاه أنهما أتيا النبى ﷺ يسألانه من الصدقة فقلب فيهما النظر ، وفى رواية أخرى « فرفع فينا النظر وخفضه » فرآهما جلدين ، فقال : « ان شئتما أعطيتكما، ولاحظ فيهما لغنى ولا لقوى مكتسب (٤) ، ووجه الدلالة فى هذا الحديث أن رسول الله ﷺ لم يعط هذين الرجلين بمجرد طلبهما . بل قلب فيهما النظر ، وتقليب النظر علامة على التحرى ودليل عليه ، وفى هذا ما يدل على

(١) الهداية ـ شرح بداية المبتدى للميرغنانى الحنفى ـ حـ ١ ص ١١٤

(٢) راجع : العروة الوثقى ـ للشريف محمد اليزدى ـ حـ ٢ ص ٢٨

(١) راجع : الهداية ـ نفس المكان السابق .

(٢) رواه احمد وقواه ابو داود والنسائى ـ راجع : سبل السلام ـ حـ ١ ص ١٤٦

مشروعيته ، كما أنه ضرورى لحفظ مال الله ، واعطاء المال لمن يستحقه فعلا ، ولما كان حفظ مال الله ، واعطاء المال لمن يستحقه أمرين واجبين ، فان مايتحقق به ذلك يكون واجبا ، ومن ثم يكون التحرى مشروعا على الوجوب، ولا يخفى ما يؤدى اليه ذلك من حفظ المجتمع ممن يأنسون الكسل طمعا فى مال الزكاة وهم قادرون على العمل ، ومن المقرر أن الزكاة لا تجب لغنى ولا لقادر مكتسب ، ولا لقريب ، ولا لأحد من بنى هاشم (١) .

ثانيا : الضوابط المقررة لآخذى الزكاة :

ولما كانت قدرة البشر محدودة فى الوصول الى مدى الاستحقاق الفعلى ، الأمر الذى يجعل عددا من الادعياء يفلتون من الحكم الصحيح عليهم فيأخذون الزكاة وهم غير أهل لاستحقاقها وهؤلاء لم يتركهم الشارع ، بل بين لهم أن ما حصلوه مال حرام ، يستوجب آكله عقاب الله،هذا فى حال عدم استحقاقهم، وحتى فى حال الاستحقاق فان الاستغناء عن الزكاة بالعمل المثمر وعفة النفس . خير وأحب عند الله ، ومن ثم يمكن تحديد الضوابط المقررة لآخذى الزكاة فى نقطتين .

١ ـ تحريم المال المأخوذ بغير حق :

وحتى لا يستمرىء كثير من ادعياء الفقر أكل أموال الزكاة وهم قادرون على العمل والعطاء بين لهم الحق سبحانه وتعالى ان علمهم بهذا ينطوى على مخالفة تستوجب العقاب ، لأن أكل أموال الفرد بالباطل جريمة كبرى تستأهل العقاب من الله سبحانه ، وهى محرمة،فمن باب أولى يكون أكل مال الله الذى هو مال الجماعة وحق المحتاجين والضعفاء ، اشد حرمة وأخرى بالعقاب ، وبهذا الحكم حمى الشارع سبحانه الزكاة ممن يريدون أن ينحرفوا بها عن مسارها الصحيح طمعا فى مال لا يستحقونه ، وفى هذا ما يحمى المجتمع من مدمنى الكسل وراغبى البطالة .

٢ ـ التعفف عن مال الزكاة بالعمل :

كما خاطب الشارع سبحانه هؤلاء الذين يتطلعون الى اكتساب المال من هذا الطريق ، وهم غير أهل له بأن لهم فى السعى والعمل فلاح ونجاح وخير اكثر مما يروقهم من الطمع فى مال الزكاة .

وقد ورد فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية الصحيحة كثير من الآيات والاحاديث التى تدل على وجوب العمل والسعى ، وتبين أن اليد العليا خير من اليد السفلى .

أ ـ فى القرآن الكريم :

يقول الله تعالى : « فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ »(٢) ، ويقول تعالى : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ

(١) الهداية ـ نفس المكان السابق .

(٢) سورة الملك ـ آية ١٥ .

﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ (١) ولا يخفى ما تدل عليه هاتان الآيتان الكريمتان وغيرهما من الأمر بالسعى فى مناكب الارض بالزراعة والصناعة والتجارة وغير ذلك من وجوه النشاط البشرى، والابتغاء من فضل الله .

ب – وفى السنة النبوية :

ما روى عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – لأن يحتطب احدكم حزمة على ظهره ، خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه (٢) وعن حكيم بن حزام – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – قال :

« اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله » (٣) .

ولا يخفى مايدل عليه ذلك الحديث الشريف من وجوب التعفف عن مال الزكاة وبيان خير اليد المتصدقة على اليد الآخذة .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله – ﷺ – لايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم » (٤) ، والحديث يدل على قبح كثرة السؤال ، وعن المقداد بن معد يكرب – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – قال :

« ما أكل أحد طعاما قط خير من عمل يده وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » (٥) .

.. وعلى هذا النحو ، أرشد الفقراء الى الاقبال على العمل قبل أن يمدوا يدهم بالسؤال ، ليكونوا طاقات منتجة وقوة فعالة فى حياة المجتمع بعد أن بين وضع هؤلاء الذين يقتنعون من الحياة بالعيش عالة على حساب المجتمع دون ان يكونوا اهلا لاستحقاق مال الزكاة .

.. وبهذا تكون الزكاة وسيلة للنهضة الاجتماعية والارتقاء الانسانى ، وهو معنى فيها أردت أن أبرزه فى هذا المقال ، والله اعلم وهو الموفق والمعين .

د عبد الله مبروك النجار

---

(١) سورة الجمعة – آية ١٠ .
(٢) رواه البخارى – راجع سبل السلام – حـ ١ ص ١٤٤ .
(٣) متفق عليه واللفظ للبخارى – سبل السلام – حـ ١ ص ١٤٤ .
(٤) سبل السلام – حـ ١ ص ١٤٤ .
(٥) رواه البخارى – راجع : رياض الصالحين – ص ٢٤٨ – دار الحديث .

حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

٣

للدكتور رءوف شلبى

ثالثا : استراتيجية التأديب

استراتيجية حرب التأديب لصيقة باستراتيجية حرب السيادة ، لأن الدولة ذات السيادة المحترمة هى التى تحترم عهودها وتجعل الخصم يفىبعهوده ، ويحترم مواثيقه معها .

لأن عدم احترام الخصم للمعاهدة يرجع الى عامل عدم الاكتراث بالدولة النظير : وأى دولة تفرط فى تأديب ناكث عهودها تكون دولة ضعيفة فاسدة لا تستحق الحياة ولا يستحق شعبها الاحترام والبقاء .

ولقد حرصت الدولة الاسلامية منذ لحظة توقيعها معاهدات أو مواثيق أن تلتزم هى بالتطبيق الفعلى الواضح لمعاهداتها ومواثيقها كما أنها كانت حريصة كل الحرص على تأديب كل من يخرج على معاهداته ومواثيقه معها ، ويظهر ذلك بجلاء فى استراتيجية العمليات العسكرية مع اليهود فى بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة ، ثم فى فتح مكة على نحو ما سنعرضه بما يناسب طبيعة هذه الدراسة كما يلى : —

غزوة بنى قينقاع : تقوم استراتيجية هذه المعركة على عمل سياسى سبق أن قام به النبى ﷺ مع اليهود عندما قدم — ﷺ — المدينة مهاجرا من مكة المكرمة فقد عقد معاهدة أمن وسلام ودفاع مشترك بين المسلمين وبين اليهود وألحق كل قوم بحلفائهم وجعل بين المسلمين واليهود أمانا وشرط عليه الصلاة والسلام عليهم شروطا منها : —

*** الا يظاهروا عليه أحدا من الأعداء .**

فلما قدم منتصرا من (بدر الكبرى) بغت اليهود وقطعت ما كان بينها وبين المسلمين من العهد والذمة فجمعهم النبى ﷺ بسوق بنى قينقاع وهم أهل صناعة وحرفة صياغة للذهب وقال لهم :

« يامعشر يهود ، أسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش ، فوالله انكم لتعلمون أنى رسول الله ؟

فقالوا : يامحمد ، لا يغرنك من لقيت انك قهرت قدما اغمارا لا تجربة لهم فى الحروب ،

◄

وانا والله أصحاب الحرب ، ولئن قاتلتنا لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا •

فبينما هم على ماهم عليه من اظهار العداوة ونبذ العهد وسوء الأدب فى الحديث جاءت امرأة رجل من الانصار الى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ فى حلى لها فجاء أحد بنى قينقاع من الشباب الماجن المستهتر المستخف بالقيم والأخلاق فحل درعها من ورائها وهى لا تشعر فلما قامت بدت عورتها فضحك اليهود فى السوق •

وكان ذلك علامة على بدء استخفاف اليهود بالعهد الذى عاهدوا عليه فلم يتحمل المسلمون هذه الفعلة ، لأن عرض المسلمين مصان وشرفهم محفوظ ومقدس فتبع الغلام اليهودى الماجن شاب مسلم فقتله فاجتمع عليه يهود السوق وقتلوا الشاب المسلم ونبذوا العهد وتحصنوا فى حصونهم •

فالمسألة اذن :

— اظهار الكراهية للنصر الذى تفضل الله به على المسلمين فى يوم بدر •

— تحقير العسكرية الاسلامية ، وتحقير قدرة المسلمين على مواجهة اليهود فى عمل عسكرى •

— تطاول على عرض المسلمين •

— ثم مجاهرة بنبذ العهد ومخالفة لنصوص الاتفاقية المبرمة بينهم وبين المسلمين •

فهل تترك الدولة الاسلامية هذا المتعاظم المتعالى على الحق وعلى القيم وعلى العهود والمواثيق ؟

كان لابد من تأديب هؤلاء الفراعنة اليهود فكانت غزوة بنى قينقاع فى شوال بعد بدر من نفس العام — وقيل فى صفر سنة ثلاث من الهجرة ، فحاصرهم الجيش الاسلامى لمدة خمسة عشر يوما حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ وخضعوا لسيادة الدولة الاسلامية فربطوا وكتفوا فتشفع فيهم حليفهم عبد الله ابن أبى بن سلول سيد المنافقين فأمرهم أن يجلوا عن المدينة فأجلاهم محمد بن مسلمة الانصارى ، وقيل عبادة بن الصامت وأخذ رسول الله ﷺ سلاحهم ودورهم ورحلوا الى (أذرعات) فلم يلبثوا قليلا حتى أهلكهم الله جميعا (١) •

غزوة بنى النضير : تنفيذ المعاهدات فى الوقت العصيب أمر يظهر ايجابية طبائع الشعوب أو السلبية فيها على حقيقتها ، ولقد عقد النبى ﷺ معاهدة الأمان والدفاع المشترك مع اليهود أول أن قدم المدينة وسورة البقرة كانت تترى بفضائحهم التاريخية وجرائمهم الأخلاقية وأفاعيلهم الخسيسة تجاه الله جل جلاله وتجاه الأنبياء من بنى جلدتهم ، وهو أمر كاف فى التردد لابرام اتفاق مع قوم هذا طبعهم وتلك جبلتهم ، ولكن الاسلام حسب منهجه يرخى

(١) امتاع الاسماع حـ ١ ص ١٠٥ الحلبية جـ ٢ ٢٠٩ زاد المعاد جـ ٣ ص ١٩٠ •

العنان حتى تظهر طبائع الاشياء للعيان فلا يكون بعد رؤية العين حاجة الى برهان أو دليل.

وقد كشف بنو النضير عن قبح وجدانهم الطبيعي وفساد قلبهم الفطرى الذى مسخه الله فكأنهم القردة والخنازير وذلك عندما ذهب اليهم رسول الله ﷺ فى ديارهم يطلب منهم - حسب بنود الاتفاقية المبرمة بينهم - أن يساعدوه فى دية الكلابيين اللذين قتلهما عمرو ابن أمية فقالوا : نفعل اجلس حتى نطعمك ثم خلا بعضهم الى بعض وأشار عليهم حيى بن أخطب أن يقتلوه فيطرحوا عليه حجرا كبيرا من فوق البيت الذى كان يجلس تحته ﷺ ، وانتدبوا لذلك عمرو بن جحاش اليهودى الخسيس وهيأ الخنزير اللعين الحجر ليلقى به على النبى ﷺ فجاء الوحى الأمين وأعلمه بما هموا به فنهض ﷺ سريعا ومضى الى المدينة. فلما أبطأ لحق الصحابة وكان النبى ﷺ قد بعث فى طلب محمد بن مسلمة رضى الله عنه فأعلمهم النبى ﷺ بما تآمروا عليه ، وأمر محمد بن مسلمة أن يذهب اليهم ليقول لهم : ان رسول الله ﷺ يقول لكم : اخرجوا من بلده فانكم قد نقضتم العهد بما هممتم به من العدو وقد أمهلهم عشرا فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه.

وأخذوا يتجهزون فهم يعرفون أنه النبى الخاتم حقا وأن الله ناصره عليهم لكن حيى بن أخطب قال : انا لا نخرج فليجمع ما بدا له وذلك بناء على دسيسة من عبد الله بن أبى بن سلول سيد النفاق ووعدهم ان ينصرهم بألفين من المقاتلين فسمعوا له وتحصنوا فى الحصون ولكنهم فى النهاية انهزموا وأجلاهم محمد بن سلمة رضوان الله عليه فخرجوا ليس معهم الا النساء والذرية (١).

غزوة بنى قريظة :

لليهود دور بارز فى تأليب قريش على النبى ﷺ :

* فقد خرج اليهودى كعب بن الاشرف الى مكة بعد بدر يرثى قتلى قريش ويحرض قريشا على قتال الاسلام والمسلمين.

* كذلك خرج الراهب الفاسق أبو عامر وكان رأسا فى الأوس ثم ترهب وصار عدوا لدودا للاسلام والمسلمين - خرج الى قريش يمنيها بالمساعدة ان حاربت محمدا ﷺ.

* كذلك خرج - للسبب نفسه - وفد رفيع المستوى من اليهود على رأسه.

- سلام بن ابى الحقيق.

- حيى بن أخطب.

- وابن قيس الوائلى.

وراحوا يغرون كفار قريش بحرب النبى ﷺ ، فقال : لهم أبو سفيان : مرحبا وأهلا ، أحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد ثم أخرج خمسين رجلا من بطون قريش كلها وتحالفوا وتعاقدوا - وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة - ألا يخذل بعضهم بعضا ، ولتكونن كلمتهم واحدة على محمد ما بقى منهم رجل ، ثم قال أبو سفيان : يامعشر يهود أنتم أهل

(١) امتاع الاسماع حـ ١ ص ١٨١ الحلبية جـ ٢ ص ٢٦٧ زاد المعاد جـ ٣ ص ١٢٧/١٢٨

الكتاب الأول والعلم أخبرونا عما أصبحنا نحن ومحمد ، أديننا خير أم دين محمد ؟ فقالت يهود : اللهم انتم أولى بالحق منه .

فهذه عدة مخالفات واضحة من اليهود تناقض بنود الميثاق الذى أبرموه مع المسلمين وترتب عليه ان جمعت قريش أحابيشها وأحزابها وسارت فى جيش جرار تريد حرب النبى ﷺ .

* يضاف الى هذا انه عندما وصلت الاحزاب الى المدينة المنورة ان حيى بن أخطب أتى كعب بن أسد سيد بنى قريظة ليكونوا مع قريش على محمد ﷺ فقال له كعب بن أسد : انك رجل مشئوم وقد شأمت قومك حتى أهلكتهم فارجع عنا لكن حيى مازال به حتى لان كعب ونقض العهد وشقوا الكتاب الذى كتب رسول الله ﷺ بينه وبينهم واستدعى رؤساء اليهود وهم : —

— **الزبير بن باطا** .

— **ونباش بن قيس** .

— **وعزال بن سموءل** .

— **وعلقمة بن زيد** .

— **وكعب بن زيد** .

وأعلمهم بنقض العهد وهمت بنو قريظة بفعل ايجابى فأرادوا أن يغيروا على المدينة لكن الله كان يحرس المدينة فلم يفلحوا .

ولكن نباش بن قيس استرجل فى عشرة من اليهود وراح يريد المدينة ففطن اليهم نفر من الصحابة فرموهم حتى هزموهم فلما علمت حصون بنى قريظة بالواقعة خافوا وظنوا انه البيات فلما من الله على المسلمين بالنصر وجاءت الرياح فأكفأت قدور قريش ، وقطعت حبالها ، وخلعت قلوبهم من صدورهم خوفا ورعبا وهرب ابو سفيان لا يلوى الا على نفسه ، كان لزاما على الدولة الاسلامية أن تؤدب أولئكم الذين تعودوا الخيانة ونقض العهد ، فكان فيهم حكم حليفهم « سعد بن معاذ » رضى الله عنه فقتل جميع العسكريين وسبيت نساؤهم وذراريهم وانتهت خرافة : انهم — أى اليهود — أهل الحرب .

ومن أخبار هذه الغزوة التى بلغت فيها القلوب الحناجر وصدق الله فيها وعده ونصر عبده ﷺ وهزم الاحزاب وحده — عبر كثيرة من دلائل النبوة الخالدة .

ذلك أن النبى ﷺ — والمسلمون فى هذا الضيق — يبشرهم بفتح قصور الشام وقصور كسرى ، وقصور اليمن .

يقول المقريزى :

... فأخذ رسول الله ﷺ منه المعول فضرب ضربة فذهبت أولها برقة الى اليمن ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة الى الشام ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة نحو المشرق وكسر الحجر عند الثالثة ، فقال ﷺ : انى رأيت فى الأولى قصور اليمن ثم رأيت فى الثانية قصور الشام ، ورأيت فى الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن وجعل يصفه لسلمان ، فقال : صدقت والذى بعثك بالحق ان هذه لصفته ،وأشهد أنك رسول الله ، فقال

رسول الله ﷺ: هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدى ياسلمان لتفتحن الشام ، ويهرب هرقل الى أقصى ملكه ، وتظهرون على الشام ، ولا ينازعكم أحد ، ولتفتحن اليمن ،ولتفتحن هذا المشرق ، ويقتل كسرى فلا يكون كسرى بعده (١) .

لو لم يكن محمد ﷺ حقا رسول الله الخاتم كيف له وهو فى موقف عسير وصفه الله فى القرآن بقوله : (بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) كيف به وهو محاصر من كل جانب يسوق خبر هذه الفتوح هكذا شرقا وغربا ... ؟ !

فأما سلمان فقد جاء من بعيد وهو يبحث عن النبى الخاتم الذى تعلم صفته من الرهبان والأحبار .

وأما نحن فها نحن نرى أن جميع هذه المناطق التى بشر بها النبى ﷺ قد فتحها الله للمسلمين .

أفلا يجب علينا أن نطيع رسول الله ﷺ فى كل ما جاء به من عند ربه عسى الله أن يرفع عنا البلاء الذى حل بأجيالنا ؟

فتح مكة :

لم يعرف التاريخ فى القديم وفى الحديث دولة أبرمت اتفاقية ثم أحاطتها بالاحترام والرعاية ولم تتحايل على فسخها أو الخروج عليها غير الدولة الاسلامية ، فانها اذا عاهدت أوفت ، فان من تعاليمها : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ (٢) » .

بل ان احداث الهجرة لتجعل الوفاء بالعقود صفة يتيمة لسيدنا محمد ﷺ اذ أن ما فعله قومه معه مع انهم يعلمون أنه على الحق لم يخرجه عن طبعه الشريف والتزامه بالأمانة وصدقه بالوعد فجعل أسرارهموأماناتهم عنده — وهم عازمون على قتله — فى محل الحفظ والصون والوفاء ، ولذا خلف سيدنا على بن أبى طالب ليرد الامانات الى أهلها .

معاهدة الصلح :

التى عقدها سهيل بن عمرو عن قريش مع النبى ﷺ وضعت الحرب بين الفريقين عشرة أعوام ، فقد كانت قريش بعد هزيمة الاحزاب فى جدب اقتصادى ونكسة عسكرية لما تفق بعد منها فلا طاقة لها على الحرب ، وبعد اعدام اليهود العسكريين من بنى قريظة لم يعد هناك ثقة متبادلة بين أحد من اليهود وواحد من كفار قريش فقد وقع بين المعسكرين شك وفقدان ثقة الى حد عدم امكان الاتفاق بينهما على عمل عسكرى بعد هذا .

وكان المفروض فى قريش أن تلتزم بنصوص المعاهدة فتحترم حلفاء رسول الله ﷺ من (خزاعة) لكن رعونة بعض الشباب الجاهلى الذى يعجب ببريق السيف عندما يكون وحده ولا يقدر ثقل سيف الفارس المبارز له راحوا يدسون الدسائس تحايلا على نقض صلح الحديبية فقد هجا شاعر من بكر يسمى « أنس

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٢٢٣ راجع الحلبية جـ ٢ ص ٢١٤ .

(٢) النحل

ابن زنيم الديلى » سيدنا رسـول الله ﷺ فسمعه غلام من (خزاعة) فضربـه فشـجه ولم يمت •

فالأمر محصور بين بكر حليفة قـريش ، وخزاعة حليفة رسول الله ﷺ فهو أمر داخلى بين قبيلتين لا يجوز لأحـد الحلفـاء حسب نصوص معاهدة الحديبية أن يعين على الحليف الآخـر •

لكن مجمـوعة للشـباب القرشى الأرعـن اتخذت من هذه الحادثة الصغيرة تكأة فعاونوا بكرا على خزاعة فأمدوهم بأبطال شـداد من قريش هم : —

* **صفوان بن أمية •**
* **ومكرز بن حفص بن الأخيف •**
* **وحويطب بن عبد العزى •**
* **وشيبة بن عثمان •**
* وسهيل بن عمرو الذى وقع المعـاهدة

عن قريش ، وأجلبوا معهم ارقاءهم ، وبيتوا مع بكر ثم باغتوا خزاعة ليلا وهم آمنـون فقتلوا منهم ثلاثة وعشرين رجـلا لم يكونوا أصلا من المحاربين ثم ساقوا النساء والأطفال حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء وقبيل حتى انتهوا بهم الى أنصاب الحرم •

ولما أدركت قريش فعلـة صـبيانها ندموا وعرفوا أنهم ارتكبوا أمرا خارقا لمعاهدة الصلح فقالوا لأبى سفيان : هذا أمر لابد له من أن يصلح ، فاتفقوا على مسيرة أبى سفيان لرسول الله ﷺ ليزيد فى الهدنة ، ويجدد العهد •

كان ذلك من أمر قريش المعتدية ، بينمـا سار عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكبا من خزاعة حتى دخلوا المسجد ورسـول الله ﷺ جالس فى أصحابه فقام ينشـد شـعرا وأخبره الخبر واستصرخه فقام ﷺ وهو ، يجر ثوبه ويقول :

« لانصرت ان لم انصر بنى كعب مما أنصر منـه نفسى » فكـان فتح مكة حـرب تأديب لناكسى العهد ، فان الدولة ذات السيادة الموقرة لابد وأن تضع امكاناتها كلها موضع التنفيذ عندما يحل الوفاء بالميثاق الذى قطعته عـلى نفسـها •

فالدولة المحتـرمة لا تتحـايل على نقض معاهداتها ، كذلك لا تتحايل على التنصل من تأدبة واجباتها المنصوص عليها عند اللـزوم •

ومن أخبار هذه الغزوة أن النبى ﷺ عفا عن كل القرشيين وقـال : « **اذهبـوا فأنتم الطلقاء** » (١) •

وهى أول مرة فى التاريخ يعامل فيها مجرمو الحرب معاملة حسنة ، لأن المنهج الاسلامى عندما ترتفع راية الاسلام فوق سـارية النصر يجب أن يستتبع ذلك عفو عما فات (٢)، ومعاملة طيبة فمن أساء بعد ذلك أخـذ بمـا فعـل •

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣٥٧ وما بعدهـا الحلبية جـ ٣ ص ٧٠ وما بعدها •

(٢) تختلف مع الكاتب فى قوله : (لأن المنهج الاسلامى ... (الى) ... عفوعمافات) فان فقهاء الأمة بينوا ان الامام مخير فى أشياء ... مجلة الأزهر

وكل عمل سياسى أو عسكرى معاصر اذا نجح لا ينبغى أن يعلن عن اسلامه الا اذا كانت النتائج متفقة مع طبيعة الدعوة وانها رحمة للعالمين فالدعوة لا تصدر حربا ولا رعبا ولا ثورة ولكنها ترسل بالهدى والتقوى والعفو والسماح والنور •• !

ومن أخبارها كذلك : ان سيدنا أبا بكر رضى الله عنه رأى فى الليلة التى أصبح فيها بالجحفة ــ ان النبى ﷺ لما دنوا من مكة خرجت عليهم كلبة فلما دنوا منها استلقت على ظهرها فاذا أطباؤها تشخب لبنا • فذكرها أبو بكر ، فقال رسول الله ﷺ : (ذهب كلبهم) بفتح الكاف واللام يعنى : (شرهم) ، وأقبل درهم ، هم سائلوكم بأرحامكم ، وأنتم لاقون بعضهم ، فان لقيتم ابا سفيان فلا تقتلوه (١) •

والملاحظ فى غزوات التأديب وهى اللصيقة جدا باستراتيجية سيادة الدولة فى الحفاظ على حقوقها وكرامتها ومعاهداتها ، ان النبى ﷺ هو الذى قاد بنفسه هذه الغزوات لأنه ﷺ كان الطرف المباشر فى عقد هذه المعاهدات ان مع اليهود ، أو مع قريش •

ومعنى قيادته العسكرية لهذه الغزوات :

(أ) انه ﷺ يشهد التاريخ انه وفى بالمواثيق وحقوقها •

(ب) وان الخصوم هم الذين نقضوا عهودهم ••

(جـ) وان سيادة دولته المسئولة عن القيم الحضارية العليا للانسان استعملت حقها فى تأديب من خرج على عهده وميثاقه •

(د) وانه تولى ذلك بنفسه تأكيدا للمبدأ الاستراتيجى لهذه العمليات العسكرية لتكون لمن سيأتى ــ من بعد ــ نبراسا لمن يلتزم من حكام المسلمين بالتمسك بتعاليم الاسلام فى حماية القيم الحضارية وسيادة الدولة الاسلامية •

يتبع

د / رءوف ــ شلبى

---

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣٦٨

الغزو الفكرى

وموقفنا منه

لا شك أن غزوا فكريا غربيا قد غزا العالم الاسلامى بجانب الغزو السياسى والعسكرى . وهذا الغزو الفكرى وقف سندا للاستعمار الأوربى وللمصالح الاجنبية فى بلاد الاسلام .

وامتد أثر هذا الغزو فى كل جوانب حياتنا العامة والخاصة على السواء ، وشمل كل ركن من أركان عالمنا الاسلامى الممتد من باكستان الى مراكش . وقد نشأ بسبب الغزو الفكرى الصليبى الاسلامى العربى ، طبقات جديدة من أبنائها أصبحت لا ترى الحياة الا بمنظار الغرب وثقافاته وفلسفاته وفكره . وترى ان فكر بلادها وتراثها بل دينها عبء ثقيل يجب طرحه والتحرر منه . ومن هذا المنطلق الغريب ، وهو خضوعها الكامل للثقافة الغربية وغزوها الفكرى لنا ، أصبحنا نجد من يقول : انه لايقرأ كتابا عربيا أو مقالا لكاتب عربى وكان طه حسين يقول : « اننى أفكر بالفرنسية وأكتب بالعربية » . وأصبحنا نجد كذلك من يصف — مع أعداء الدين — الاسلام العظيم بأنه دين رجعى ، ومن يتحدث عن قطع يد السارق بأنه عمل « بربرى » ، ومن يقول من المبعوثين العرب الى جامعات العالم : انه لم يستطع الدفاع عن قضية الحدود الاسلامية وعدالة تشريعها أمام الشباب فى العرب وفى أمريكا ممن يتصورون ذلك عملا منافيا للانسانية ، كأن الانسانية وحدها عندهم انما هى فى مثل فلسفة التفرقة العنصرية وفلسفة الجنس ، وفلسفة التهديد الذرى للحضارة والحياة .

ما أكثر الكتاب العرب اليوم الذين يرددون كالببغاوات أن الثقافة الاسلامية تراث متخلف وفكر غريب يجب أن ترمى كتبه الصفراء فى النار ، ومن يقترح للتخلص من هذا التراث الكتابة بالحروف اللاتينية مثل صنع تركيا ، أو اتخاذ العامية لغة لنا كما كان يدعو سلامة موسى ، وتلميذه لويس عوض .. وهدفهم وهدف من يوحون اليهم بذلك هو قطع صلتنا بماضينا وحاضرنا جملة ، والارتماء فى أحضان أعدائنا ليكملوا الاجهاز علينا ، وقطع صلتنا بالاسلام جملة .

ومن ينادى بأن العرب تلاميذ الاغريق وعلمهم امتداد للعلم الاغريقى ، وأن الثقافة الاسلامية لا يمكن تصورها بغير الثقافة اليونانية الرومانية .

ان الذين يزعمون بالباطل من المستعمرين والمستغربين ان الاسلام خصم للعلم والعقل وأنه دين الغيبيات وأنه سبب ضعف المسلمين

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

اليوم ، هم طوائف كثيرة من أعداء الاسلام من صليبيين وماركسيين وصهيونيين ومن أذنابهم من أبنائنا وشبابنا الذين ألقينا بهم فى أحضان خصومنا باسم العلم والثقافة ، وفاتنا أن العلم فى الغرب موجه ، وأنه فى كل مجالاته يقف نفسه أولا لحرب الاسلام وشعوبه .

ونود أن نسأل مع العقاد : هل يؤمن عقل الانسان بالدين فى هذا العصر ، ويرى دينا أحق بالايمان به من الاسلام ؟

طوائف وطبقات كثيرة من كتابنا تنطق اليوم بيننا بلسان الثقافة الغربية ، وتعبر عنها تعبيرا كاملا ، وهى لذلك تعادى الاسلام والفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية التى تقف فى مواجهة طغيان الغزو الفكرى المسيحى لعقولنا . وصارت هذه الطبقات تؤمن مع الأوربيين بأن بدء النهضة الحديثة فى العالم العربى بالحملة الفرنسية الى مصر والشرق العربى ، كأن العرب لم يعرفوا التقدم الا فى ظلال الغرب وبعد اتصالهم بثقافته وحضارته.

ويضاعف من خطر هذا الغزو الفكرى عمل الجامعات والكليات والمدارس الأجنبية فى بلادنا ، وتأثر المبعوثين من شبابنا الى الغرب بالفكر الأوربى المسيحى المعادى للاسلام وللعرب ، وذلك طيلة قرن ونصف من الزمان ، ثم جهل شبابنا بالثقافة الاسلامية ومصادرها وتراثها جهلا تاما ، الا ما يعرفونه عنها من مطالعاتهم لكتب المستشرقين .

ونجد مثل هذه الآراء الغربية مبثوثة فى كتابات كتابنا المعاصرين وفى مؤلفاتهم .. ودع عنك كتابات الشعوبيين المنتسبين الى العرب بالباطل ، ومن بينهم أمين الريحانى . وجبران ، وكذلك سلامة موسى وساطع الحصرى ، ولويس عوض والقصبى وسواهم ممن تذيع بيئات المبشرين آراءهم فى كل مكان وبكل قدراتها .

ولقد صارت مذاهبنا الأوربية والنقدية والفنية والفكرية والعلمية صدى للعقل الغربى وحده ، وصقلت جامعاتنا هذه المناهج الأوربية الفكر بالأسلوب العربى واحتفظت بها ، وتبعتها فى الاحتفاء جامعاتنا الاسلامية كذلك ، وخضعت مناهجنا التربوية التعليمية لهذا الطابع الأوربى خضوعا تاما ، وأصبحت محتاجة الى الترقيع يوما بعد يوم حتى قرأنا مؤخرا على لسان عربى كبير أنها صارت مستعصية على الترقيع ، ومن عجب أن صحفنا ومجلاتنا العربية اليوم لا تختص برأى أو فكر أو كاتب الا اذا كان تعبيرا كاملا عن الثقافة الغربية .

والمنصفون من المستشرقين يعدون ذلك منا طرحا لشخصيتنا الفكرية ذات الطابع العربى. وحينما زار المستشرق شارل بيلا الفرنسى هذه البلاد سأله صحفى عربى :

ـ ماذا تقرأ ؟ الأدب العربى القديم أم الحديث ؟

ـ فأجابه : القديم وحده •

ـ فقال له الصحفى : ولماذا لا تقرأ الأدب العربى الحديث ؟

ـ فأجابه : لأنه أدب غربى مكتوب بحروف عربية •

وصدق حقا فى ذكر الحقيقة ، وما أقل من يذكر الحقيقة وحدها من المستشرقين • فان كثيرا من أدبنا المعاصر ما هو الا ترجمة حرفية لآداب غربية منشورة فى كتب أو مجلات مختلفة ، ومنذ سنوات ثارت قضية أدبية هنا ، فقد اتهم كاتب كتب مقالا فى النقد بأن مقاله ترجمة حرفية لفكرة من كتاب غربى •

وألفت النظر هنا الى أن أكثر كتابنا الكبار ممن تأثروا بالثقافة الغربية بدأوا حياتهم خصوما للاسلام والثقافة الاسلامية ، ولما قرأوا ما قرأوا عنهما فى كتب المستشرقين عجبوا وعادوا الى المصادر الاسلامية يقرأونها ويتأثرونها ، وكتبوا بعد ذلك عن الاسلام والسيرة كتبا خوالد ، ومن هؤلاء : هيكل والعقاد وطه حسين ومنصور فهمى وسواهم :

وفى هذا المقام أذكر أن المؤتمرات الاسلامية التى تعقد فى بلاد كثيرة اليوم ، كروسيا ، وكندا ، والولايات المتحدة ، وكينيا ، واليابان ، وسواها ، ليس لها من هدف الا تزييف المفاهيم الاسلامية ، وتضليل الفكر الاسلامى المعاصر ، وتفسير الاسلام تفسيرا خاطئا يجنح به الى الخضوع التام للفكر الغربى وللمذاهب الغربية •

وهذه صحيفة عربية يومية تخصص صفحة كاملة لمؤتمر الدين الاسلامى المعقود فى اليابان ، وقد بحث هذا المؤتمر ـ كما تقول الصحيفة ـ فى تعاون الأديان لخدمة السلام ، ومثل المسلمين فيه لبنانى لعله أحد أساتذة الجامعة الامريكية •

لقد ركز الجهد على التوعية ، وربطها بحقائق الوضع الحضارى الانسانى ، وتفادى التعويل على تفرق الشرق الروحى كبديل للتفوق المادى ، والسعى لتطوير القيم الروحية •

وهذا كلام واضح فى مغزاه كل الوضوح ، فهناك توعية ، وهى مربوطة بحقائق الوضع الحضارى الانسانى ، وهناك تطوير للقيم الروحية ، أى قيم الاسلام الذى يمثله الدكتور المسلم • وهناك كذلك انكار لنظرية تفوق الشرق الروحى ؟ أى ليس الشرق اليوم أستاذا فى مسائل الدين وفهمه ، بل ان الغرب صار هو معلمنا فى هذا الجانب من جوانب حياتنا أيضا ، فله أن يفسر وأن يوجه الأديان كما يشاء ، وعلينا الامتثال والطاعة والخضوع ، اذ أن الهدف من ذلك سام ونبيل وهو خدمة السلام •• ويقول بيان الدكتور المسلم أيضا ، وهو البيان الذى نشرته صحفنا العربية بحسن نية : « لقد أوجد المؤتمر فرصة انفتاح جديد بين أديان الشرق الأوسط وأديان الشرق الأقصى الحلولية • ومعنى ذلك أن الاسلام يجب أن يصافح البوذية مثلا ويقر بها دينا من الأديان وان كانت دين وثنية ، أى أن

يقترب الاسلام فى مفهومه التوحيدى من البوذية فى مفهومها الوثنى الحلولى باسم التعاون بين الأديان ، وبمثل هذا الروح أيضا دارت مناقشات مؤتمر النهضة العربية الذى دعت اليه جامعة لوفسان البلجيكية حول مستلزمات التكيف مع العصر الحديث ، ودارت كذلك مناقشات المؤتمر الاسلامى المعقود فى روسيا ، والمؤتمر الذى عقد فى كينيا وكندا وغيرها .

ومن العجب أن هذه المؤتمرات يدعى اليها أناس معروفون يستخدمون بين الحين والحين لمثل هذا التوجيه الروحى الجديد ، ولكن الله من ورائهم محيط ان علينا التبشير بالمحتوى الفكرى والتشريعى للرسالة الاسلامية — على صعيد الفرد والجماعة ، واستعادة وجودنا الحضارى مرة أخرى .

وقد ساعد هذا الغزو الفكرى جميع قوى الاستعمار القديم والجديد على ما صنعه بنفسه وبوساطة أذنابه بيننا من تدمير لكل جوانب الحياة الاسلامية النقية فى مختلف بلاد الاسلام .

فلقد أخضعنا لماديته ولالحاده ولفلسفاته فى السلوك والأخلاق والعادات والطعام والشراب واللباس ، وذاعت فينا أفكار الجنس ، وخرجت المرأة المسلمة من البيت وقيل لها ان لك حقوقا سياسية ، وكثر الاختلاط والرقص والازياء الفاضحة والاصطياف على الشواطىء الخليعة والتحلل من أعباء الاسرة والتردد على النوادى الليلية والانطلاق مع الشهوات العارمة ، وفتحت بيوت للبغاء وحانات للخمور وشاعت المخدرات بكل أنواعها ، ولسان الحال مع ابى نواس وبيته المشهور .

وكنت فتى من جند ابليس فارتمى
بى الحال حتى صار ابليس من جندى

وذاع الجنس والعرى فى السينما والمسرح العالميين وفى الاعلانات الصحفية .

وقد انتقل الينا الاقتصاد الغربى الربوى وطبق وحده فى بلادنا بدلا من المذاهب الاسلامية فى الاقتصاد ، وأصبح متغلغلا فى جميع حياتنا ، وتردد الناس فى موقف الدين من ذلك كله ، وأخذ بعض علمائنا يفتون بحل الاقتصاد الربوى بحجة الضرورة والمصالح المرسلة ، وهذا خطأ وأى خطأ فالاسلام كل لا يتجزأ ، ولابد أن يتمسك المسلم بنصوص دينه كلها كاملة غير منقوصة ، وهذا عالم فرنسى « جاك أوستروى » يقول فى كتابه « الاسلام أمام التطور الاقتصادى » المنشور فى باريس عام ١٩٦١ ، وذلك فى الصفحة الثانية عشرة بعد المائة : « ان الاسلام يتمتع بامكانيات هائلة ، واذا ماوجد الطريق الصحيح فان كثيرا من الصعوبات الاقتصادية سيوف يحلها هو وحده ، فهو أقدر على ذلك من غيره من مذاهب الاقتصاد الروسية والغربية .

واننا نقف فى جهل تام بعظمة الأفكار الاقتصادية فى الاسلام ، وياليتنا ندرس ونبدأ مرة جديدة فى تطبيقها ، ليتنا نجد ولا نهزل فالحياة للجادين المثابرين .

مفاسد الغرب فى بلادنا اليوم أكبر من أن تحصى أو تعالج على أساس من التلفيق

والترقيع .. لابد من الرجوع الى الاسلام جملة وتفصيلا لنبدأ صفحة جديدة فى حياتنا فى سبيل بعث اسلامى أكبر .. ينقذنا من الغرب ومن أفكار الغرب ومن أساليبه ومناهجه التى دخلت فى كل شىء ، وطبقناها فى كل جانب من حياتنا ، وصار لها أثرها فى اضعاف قدرة الجيل الجديد المسلم على العمل وتحمل المسئولية . ولقد تغيرت الموازين التى يوزن بها الانسان العربى ، وبعد أن كان التزامنا بالدين هو المقياس الاول ، أصبح هذا المقياس الآن هو الالتزام بالحياة والحضارة الغربية ، وقد كان اللورد كرومر الحاكم الانجليزى فى مصر فى أوائل القرن العشرين يردد ذلك ويقول: « ان المسلم غير المتخلق بالأخلاق الأوربية لايصلح لحكم بلاده » . ومعنى ذلك أنه لابد أن يفكر بأفكار الانجليز وينتقل الى أسلوبهم فى كل شىء ، وأن يصبح مسلما بالاسم وغربيا أوربيا بالفكر والسلوك والعمل ، ليمنحه هؤلاء الغربيون الاستقلال والحرية ، ولذلك عمد كرومر آنذاك الى ابعاد علماء الأزهر عن جميع وظائف الدولة ، وقصر مجالهم على التدريس فى الأزهر ، والامامة فى المساجد .

ولقد فرض الاستعمار الغربى حكما مسيحيا محضا على شعوب اسلامية كثيرة فالمسلمون فى قبرص وغانا ونيجيريا والسنغال وأوغندا وتشاد هم الغالبية الكبرى للسكان ، ولابد لهم مع ذلك من أن يحكموا بحاكم مسيحى ووزراء مسيحيين ، وسياسة اضطهاد المسلمين فى كل مكان يقف من ورائها الاستعمار سواء فى زنجبار أم الهند أم الفيلبيين أم الحبشة بل سياسة ابادتهم فى روسيا والصين وتوابعهما هى من صنع يديه وفكره وتدبيره ، ولم تأمن تركيا مكر الاستعمار الغربى الا بعد أن سارت على السياسة التى فرضها عليها ، وهى قطع صلتها بالاسلام والمسلمين جملة من حيث قوانين الدولة والتزاماتها ..

وكانت الخلافة العثمانية آخر معقل اسلامى يستند على القاعدة الفكرية للاسلام كأساس للتقنين ومصدر للتشريع وأيديولوجية اسلامية كاملة مستقلة الطابع . كما كانت مظهرا للوجود الدولى للاسلام كرسالة وللمسلمين كأمة . وأصبح تاريخ المسلمين منذ سقوط الخلافة معروفا بالتبعية والضياع والتخلف ، فقد أقصى الاسلام القاعدة للتربية وللتقنين عن مناهج التعليم ، وعن دنيا الانسان المسلم فى مختلف المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكان آخر خطوة فى ذلك الغاء نظام الأسرة الاسلامى واستبداله بقانون للأحوال الشخصية فى كثير من بلدان العالم الاسلامى . وهكذا حجر المسلمون على دينهم ورسالة ربهم حتى لا يكون للاسلام شىء من التطبيق فى مختلف مجالات حياتهم .

وفى ظلال هذه الفوضى فى بلاد الاسلام زاد نشاط مراكز التخريب فى بلادنا وفى مقدمتها الصهيونية ، والماركسية ، وحركة الاستشراق والتبشير وقيام مذاهب جديدة بيننا باسم الاسلام :

فالصهيونية أمرها وخطرها وعداؤها للعرب وللاسلام ، الأمس واليوم وغدا ، مما لا يحتاج الى مزيد من البيان ، وأمامنا مأساة

فلسطين العربية الشهيدة أو الجريحة . وغايتها الصهيونية اقامة امبراطورية يهودية تكون قلب العالم ولو على حساب العرب والاسلام وبلاد المسلمين ، ويكون مركزها القدس ، وتتحكم فى أقدار العالم الاقتصادية والسياسية بعد أن تسيطر على الشرق الأوسط وعلى موارده

الاقتصادية الهائلة ، وكان هذا حلمهم من قديم وعملوا له بجد منذ مؤتمر بال اليهودى عام ١٨٩٦ م ، وهذا مناحيم بيجن اليهودى المتطرف يقول : مهمتنا هى محق الحضارة الاسلامية واحلال الحضارة العبرية مكانها .

والماركسية ومحاولتها التسلل الى عقول المسلمين من أشد الأخطار التى تجابه الاسلام اليوم ، وبخاصة أن الغرب المسيحى يفسح لها المجال فى بلاد الاسلام لتعيث فيها اليوم فسادا بعد أن واجهه صمود الاسلام حيال طغيان الاستعمار والصهيونية وحركات الاستشراق والتبشير .

وعمل الماركسية فى اعلان الحرب على الاسلام وفى تدمير حصونه فى بلادها وخارج بلادها ، وفى تحطيم معنويات المسلمين . معروف مشهور .

عداؤها للدين جملة ينطق به أقوال زعمائها، فالدين عند لينين أفيون الشعوب وهو خطر على الحضارة ، وشعار ماركس أن فكرة الاله من بقايا القرون الوسطى المظلمة ، ويردد ستالين أن فكرة الله خرافة ، وتكرر برافدا فى عددها الصادر فى ٢٦ أبريل من عام ١٩٤٩

قولها : نحن نؤمن بثلاثة : ماركس ولينين وستالين ، ونكفر بثلاثة : الله والدين والملكية الخاصة . هذا كله مع أن أعظم رجال البحث العلمى فى أوربا كانت نفوسهم مشربة بالشعور الدينى العميق .

أما عداء الشيوعية للاسلام خاصة فهو مشهور ، فالاسلام عند كليموفتش فى كتابه « الاسلام » المطبوع فى موسكو عام ١٩٥٦ هو فى جوهره مازال ولا يزال عدوا للعلم والفتح الاسلامى فى رأى كتابها ليس أكثر من

غزوات بدوية لاقتناء كنوز المتمدنين من الشعوب ، والقرآن صورة لهذا التراث البدوى فى الفكر والحياة وقد ركزت وسائل الاعلام هجومها على الاسلام لأنه أكثر الاديان صمودا فى وجه الطغيان ، وافترت الماركسية الاكاذيب تلصقها به ، واضطهدت اتباعه اضطهادا شديدا ، وفى البيان الذى أصدره أحد مؤتمراتهم عام ١٩٢٣ قالوا : ان بداخل روسيا ثلاثين مليونا من المسلمين يحافظون على عقائد باطلة ، وخرافات من العصور الوسطى لها صلة بالدين ، وعلينا القيام بالخطط والتدابير الواجب عملها لازالة هذه العقائد الباطلة .

ان الماركسية هذا المصطلح الغربى الذى ينتسب الى ماركس ، نجد لها اشتقاقا لغويا عربيا معناها أوضح تفسيره ، وكأنها من قولنا « أركسوا فى الضلالة » أى سقطوا فيها وترددوا

فى هوتها السحيقة التى لانجاة منها أبدا ، والله عز وجل يقول « **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً** (١) ٠

هذا هو منهج الماركسية التى تقوم اليوم بغزو جديد مذهبى للعالم الاسلامى ، ومآل هذا الغزو كغيره الفشل والهزيمة لأنها لا سبيل لها فى مجتمع الاسلام الحريص على القيم والدين والحضارة حرصه على أعز ما تملكه الانسانية من مقتنيات ، فكل المشاعر الانسانية السامية لا يمكن أن توجد فى ظلال الالحاد ، وكل القيم والفضائل ورفاهية الانسان وسلامه لا يمكن الحصول عليها الا من طريق الدين ،

انه ليس فى العالم كله دولة تخشى التحركات الاسلامية بمثل ما تخشاها روسيا ، لأنها بدون المناطق الاسلامية فيها لا تستطيع اقتصاديا أن تظل دولة كبرى (٢) ٠

ولكن الاسلام أقوى مما تظن روسيا ، وانبعاثه قريب باذن الله ٠

وأما الاستشراق فحركة أوربية جديدة قامت للعمل ضد الاسلام ، وجميع المستشرقين يعملون فى دوائر المخابرات الخارجية فى كل بلاد الغرب هم وتلاميذهم ، وحركتهم تهدف الى نقل كنوزنا العلمية والثقافية والحضارية الى الغرب أولا ، والى اعطاء تفسيرات جديدة للاسلام وحركته التاريخية وفق أهواء الصهيونية والصليبية ثانيا ٠

والى مراقبة العالم الغربى مراقبة شديدة ، وملاحظة تطور الفكر الاسلامى وكتابة التقارير عنه أولا بأول للدوائر الاستعمارية والمخابرات ثالثا ٠

والى تربية جيل من المثقفين العرب وفق أذواقهم ومناهجهم وأفكارهم أخيرا ٠ ومن ثم فالافتراء على الاسلام وتاريخه وحضارته وأئمته وعلومه وثقافاته ليس بالشىء الجديد ولا زلنا نعانى من بعض الكتاب الماركسيين منه الشىء الكثير

د٠محمد عبد المنعم خفاجى

(١) ٨٨ النساء ٠

(٢) ٣ الحياة البيروتية عدد ١٥/١١/١٩٧٠ ٠

الإعلام الإسلامي الأسس والمبادئ

"الحلقة الأولى"

للاستاذ حسن على محمد العنيبسى

* مقدمة تمهيدية :

العالم الاسلامى يواجه ـ اليوم ـ حربا ضارية من الشرق والغرب على السواء ، وتتمثل هذه الحرب فى بسط النفوذ السياسى والاقتصادى من الدول الكبرى على بلادنا الاسلامية ، وقد يأخذ هذا النفوذ شكل المعونات الاقتصادية ، والعسكرية والبعثات التعليمية ، والهيمنة الاعلامية عن طريق التدفق الاعلامى الرهيب من الغرب الى البلاد النامية .. !!

وأشد ما يفزعنا ـ هذه الايام الى جانب تلك الحرب على الاسلام ، ما يحدث ـ اليوم ـ بين المسلمين أنفسهم من فرقة وتقاتل .. ، وكأنهم لم يسمعوا هدى السماء « **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** »(١)

والعالم اليوم يغزو الفضاء ويتسابق فى تكنولوجيا التصنيع فى شتى مجالات الحياة ، أما نحن ببلاد العالم الاسلامى ـ فمانزال غرقى فى الأمية الأبجدية ، فى وقت يطفو فيه على السطح مصطلح « الأمية الكمبيوترية »(٢) مع أن الاسلام ينادى بالعلم ويحث عليه ويرفع شأن العلماء « **وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** » (٣) .

فاذا ما انتقلنا الى مجال الاعلام نجد أنه دائما ـ فى العالم الغربى يعكس مجتمعه بصورة أمينه وينقل ما فيه من قيم ومبادىء وأسلوب حياة وطريقة تفكير ، بينما الاعلام فى كل أو جل بلاد المسلمين لا يعبر عن واقع المجتمع الاسلامى ولا يعبر عن القيم والمبادىء والاتجاهات للانسان المسلم ، انما هو نقل عن الغرب فى كل شىء ، وتوشك أن تضيع الهوية الاسلامية فى الزحام .. !!

لقد استغل أعداء الاسلام معاناة المسلمين ، ومتاعبهم الداخلية ، وأزماتهم الاقتصادية ليثبتوا ـ كما يتوهمون ـ أن الاسلام غير

---

(١) آل عمران ١٠٣ .
(٢) مصطلح يقصد به عدم الالمام بلغة الكمبيوتر وكايفية استخدامه .
(٣) العنكبوت ٤٣ .

صالح للحياة وأن على الفكر الاسلامى أن ينحسر عن الساحة فلا يدرس الا على أنه تراث أو بقايا حضارة ذوت .. !! ، واستغلوا فى ترويج هذه الدعاوى الباطلة وسائل الاعلام المتعددة قديمها وحديثها ، حتى أفلام الجنس والعرى .. !

* كل هذا .. والمسلمون .. لا هون .. غافلون ، لا يدرون ما يحاك لهم بليل ، أستغفر الله بل منهم عقلاء يعرفون جيدا ما وراء الأكمة لكنهم تلاميذ نجباء لأساتذة ضالعين فى الكيد للاسلام .. ثم ماذا بعد ..؟ لابد من يقظة تجعلنا ندرك خطورة الموقف فى صراع العقائد والمبادىء على الساحة الدولية الآن .. !

* وهكذا نستورد نظريات الاعلام من الشرق مرة ، ومن الغرب مرة أخرى لتعمل وفقا لها مؤسساتنا الاعلامية فى بلاد المسلمين مما يجعلنا لانندهش مما نشاهده فى برامج « التليفزيون » أو نقرؤه فى الصحف أو نسمع فى « الراديو » ، فقد اختلط الحابل بالنابل ، وهكذا تضيع معالم الشخصية المسلمة فى هذا الزحام العجيب .. !!

* وأستطيع أن أزعم أنه — حتى الآن — لم تقدم لنا المكتبة العربية (١) بحثا علميا متخصصا فى (فن الاعلام فى الاسلام) أو (علم الاعلام الاسلامى) أو « التصور الاسلامى للاعلام » ، فعلى مدار ثمانى سنوات من البحث والتنقيب والمراجعة فى الدراسات الاعلامية لم يصادفنى كتاب واحد يمكن أنيستهدى به الباحث حينما يضع اطارا للعمل الاعلامى فى الاسلام .

* وأستطيع — كذلك — أن أرجح هذا الزعم لسببين : —

أولهما : ان الباحث والدارس والكاتب فى هذا الميدان — الاعلام الاسلامى قد تخصص فى دراسة الاعلام الغربى ونظريات الاعلام الغربى ونظريات الاعلام الحديثة — شرقية كانت أم غربية — ثم اتجه مشكورا الى الاهتمام بالاعلام الاسلامى ، لكنه لم يتوفر له القدر الكافى من الثقافة الاسلامية التى تعينه على الفحص والاستنباط والمقارنة والموازنة من مثل : علوم القرآن ، والفقه والالمام الوافر بالحديث النبوى الشريف ، والتأمل الفاحص للسيرة والتاريخ الاسلامى. وهذه العلوم ضرورية وأساسية لمن يتصدى للكتابة فى هذا الموضوع .. !

ولهذا : فانك ترى معظم البحوث التى كتبت فى الاعلام الاسلامى فى الآونة الأخيرة — جاءت وكأننا نعيش فى أمريكا أو أوربا ، وذلك لتأثير الدراسات الاعلامية الغربية فى هؤلاء الباحثين ولهم عذرهم فى ذلك ، وقد ترى الباحث يقدم لك آيات قرآنية ولا يربطها جيدا

---

(١) استطيع ان أذكر عشرات الكتب فى هذا الشأن ، لكنها مشوشة وغير دقيقة أو تنبع من تصور يبعد قليلا عن المفهوم الاسلامى للاعلام وقد عرض الكاتب لبعض هذه الكتب على صفحات « الأزهر » وقد أثبت ما احتوت عليه من قرب أو بعد عن الحقيقة .

بقضايا الاعلام فى المجتمع الاسلامى وكأن مجرد ذكر الآيات القرآنية فى سياق يتحدث فيه عن الاعلام يقدم لنا اعلاما اسلاميا .. !!

* **وثانيهما :** يمثل الوجه الآخر للعملة ، فقد تجد المتخصص فى الفقه والسيرة والحديث وعلوم القرآن وآداب العرب والاجتماع والحضارة . الخ ، لكنك لن تجد من بين هؤلاء من لديه فكرة كافية عن نظريات الاعلام فى العالم وأماكن القوة فيها ومواطن الضعف منها ، ولذا فانه لا يرى الاعلام الاسلامى الا فى كتب الوعظ والخطابة .. ، أما أن تجد لدية تصورا عن كيفية التعامل مع وسائل الاعلام الحديثة وصناعة الأخبار ، والتسويق والاعلان ، والدعاية الدولية وحرب الكلمات والعقائد .. فانى أشك فى هذا كثيرا حيث لا تجد فعلا .. !

وهذا ما دعانى الى الحديث فى هذا الشأن مع أحد الاساتذة الافاضل بجامعة الأزهر بشأن المناهج الدراسية فى كليات الدعوة وأصول الدين حين كانت لا تأخذ بعين الاعتبار فى مناهجها دراسات الاعلام وعلم النفس الاجتماعى وفنون الدعاية الدولية والاتصال بالجماهير .. الخ

* **لهذين السببين :** ـ كانت الفجوة حينئذ كبيرة ، وكان مانراه من قصور فى التصور للعمل الاعلامى لدى الاعلاميين الاسلاميين.. وان كنا نطمع فى المزيد من هذه الدراسات حتى يستقيم للاعلام الاسلامى مضمونه ويؤتى ثمره ..

الاطار العام للبحث فى الاعلام الاسلامى

والباحث فى الاعلام الاسلامى لابد أن يتناوله من خلال اطارين : ـ

* **الاطار الاول : اطار تاريخى (تاريخ الاعلام فى الاسلام) .**

وفى هذا الشأن يتفحص السيرة جيدا ، بعين دارس الاعلام ، منذ أن وقف النبى ﷺ على جبل الصفا ونادى فى قومه بالدعوة وحتى يومنا هذا .

والباحث فى هذه الفترة حين يتناولها عليه أن يضع فى الاعتبار التطور الذى طرأ فى مضمون « الرسالة الاعلامية » و « المواقف الاعلامية » وفى « أساليب وأشكال الاتصال بالجماهير » الى جانب تطور الوسيلة الاعلامية نفسها من المناداة فى الاسواق وحتى عصر « الفيديو » اليوم .. !!

وهذا الاطار أساسى وضرورى لطلاب الاعلام الاسلامى وللعاملين فى ميدان الاعلام الاسلامى فى كل بلاد المسلمين .. ليعرف أين هو من الاعلام غير الاسلامى .. وبضدها تتميز الأشياء .. !

* **الاطار الثانى اطار فلسفى ويتناول المنهج الاسلامى فى الاعلام**

وفيه يتناول الباحث الاسس والمبادىء ، والقواعد العامة للعمل الاعلامى فى الاسلام ، وقد تتنوع هذه المبادىء بتنوع الوسائل الاعلامية غير أنها تشترك جميعا فى أسس مشتركة سوف نعرض لها ، ونحن ـ ان شاء الله تعالى ـ سوف نتناول هذا الاطار الثانى على صفحات ـ الأزهر الغراء ـ وندع الاطار الاول بعض الوقت .

◄

الإعلام الإسلامى

وهذا الاطار الثانى يمكن أن نتناوله من خـلال منظورين : ـ

***المنظور الاول :** ونقدم من خلاله لمحات سريعة لواقع البحوث والدراسات فى الاعلام الاسلامى ، كذلك نشير أيضا الى واقع العمل الاعلامى الحقيقى ومدى قربه أو بعده عن المفهوم الاسلامى للاعلام • والحديث من خلال هذا المنظور أمر أساسى لنعرف الى أين تسير معاهد وكليات الاعلام فى بلاد المسلمين، ولنعرف ـ أيضا ـ مقدار الهوة الموجودة بين بحوث الاعلام فى بلاد المسلمين وواقع المسلمين الفعلى •• ، ولنعرف كذلك دور وسائل الاعلام فى بلاد المسلمين ومدى القرب أو البعد عن التصور الاسلامى للعمل الاعلامى وربما يفسر لنا هذا بعض الغموض فى سير العمل الاعلامى •

***المنظور الثانى :** ونقدم من خلاله تحديدا لبعض المصطلحات الهامة مثل مفهوم الاعلام الاسلامى ، الاعلام الدينى ، الدعوة ، الدعاية ، والمنظور الثانى يعد محور بحثنا فى هذه الدراسة ان شاء الله تعالى ـ اذ نقدم من خلاله أيضا الاسس والمبادىء العامة للاعلام الاسلامى من كتاب الله الكريم التى تسطرها معانيه الخالدة ، وأحاديث نبيه العظيم ﷺ مستفيدين ـ فى ذلك ـ من تخصصنا ، ثم واقع عملنا فى وسائل الاعلام ، الى ما يفتح الله به علينا من جديد الرأى ، وحسبى أن أضع لبنة أرجو بها تمام البناء •

وكما اتفقنا منذ البداية فى خطة البحث نبدأ معا بالمنظور الأول : ـ

أولا ـ (أ) واقع بحوث ودراسات الاعلام الاسلامى : ـ

أسلفنا القول أن بحوث الاعلام الاسلامى اذا قورنت بغيرها من العلوم الانسانية تعتبر قليلة متواضعة ، بل هذا القليل ـ فى بعض الأحيان ـ غير دقيق ، الى جانب عدم الاتفاق على المصطلحات بين الباحثين مما يشوش مدلولات الألفاظ ويؤدى الى الخلط بين المفاهيم •

وقد أتيح لى أن أتابع ما تقوم به بعض كليات الاعلام الاسلامى والدعوة ومعاهدها من بحوث ودراسات فى الاعلام الاسلامى ؛

* **فلم أجد ما أنشده فيها !!**

ولدينا فى القاهرة ـ مثلا ـ فى كلية الاعلام قسم الدراسات العليا حيث لا تجد أكثر من خمس رسائل علمية لنيل (الماجستير) ، وثلاث أو أربع لنيل (الدكتوراه) ، فضلا عن الخطأ فى نظرتهم الى الاعلام الاسلامى حيث نجد معظم هذه الرسائل تناقش الاعلام الاسلامى على أنه (اعلام دينى) ، وكم نبهنا لهذا الخطأ ولكن دون جدوى •• !

أما اذا تأملنا المناهج الدراسية لمرحلة (البكالوريوس) فى نفس الكلية فانك لا تجد فيها أثرا للفكر الاسلامى ، ولا تجد آية واحدة من كتاب الله تعالى فى هذه المناهج ••!!،

لكنك تجد خليطا يدرس مما هو فى كليات أخرى ــ فمثلا ــ تجد المدخل فى علم السياسة من كلية الاقتصاد ونظم سياسية ودستورية أيضا ، وتجد من كلية التجارة الاحصاء ، وادارة المؤسسات ، ومن كلية الآداب اللغة العربية وآدابها ، والترجمة ومن معهد السينما ، (السيناريو) وكتابة النصوص . !!

كل هذا جميل ولكن أين ثقافتنا الاسلامية ؟ أليست هذه الكلية تخرج اعلاميين يعملون فى مجتمع اسلامى .. !؟ أم أن هؤلاء الخريجين سوف يعملون فى (مونت كارلو) !؟

ونعجب من هذا اذا وجدنا أن معاهد الاعلام فى « الاتحاد السوفيتى » تجعل من صلب مناهجها الدراسات والبحوث الشيوعية ويدرسون (ماركس) ، و (انجلز) ، و (لينين) هؤلاء لأن الاعلام السوفيتى يرتكز الى (الأيديولوجية الشيوعية) ويدعو لها ..!!

واذا كان هذا هو الحال فى كلية الاعلام عندنا ، فهل نلوم الصحفى الذى يبحث عن (خبطة صحفية) (١) بقطع النظر عن اتفاقها أو اختلافها مع الاسلام وهل يفسر لنا هذا سرا مما نراه ونسمعه فى برامج الراديو والتليفزيون ؟ من هنا فان أول مشكلة فى العمل الاعلامى الاسلامى هى مشكلة (الكوادر العاملة) من الاعلاميين الاسلاميين .

*** جامعة الأزهر وقسم الاعلام الاسلامى .. !**

لما كان هذا هو الحال فى كلية الاعلام بجامعة القاهرة ، كان من الأهمية بمكان أن يكون فى بلدنا معهد اعلامى اسلامى ، يقدم لنا رجل الاعلام الاسلامى .

وكانت لفتة طيبة من جامعة الأزهر أن تسارع الى انشاء هذا القسم بكلية اللغة العربية ونحن أحوج ما نكون اليه ، وقد نمى الى علمى أن .. . ثمة من يفكر فى الغاء هذا القسم .. !! كيف بالله .. !؟

ألا يرون ما يحدث على الساحة الاعلامية فى بلدنا وبلاد المسلمين .. !؟ اننا نريد الصحفى المسلم والمذيع المسلم ورجل العلاقات العامة المسلم ، ألا يرون ما هو فى الصحف من كذب وافتراء ــ بين حين وآخر ؟ ألا يشاهدون التليفزيون ويستمعون الى الراديو .. ! ؟

ان قسم الاعلام الاسلامى أمر ضرورى فى جامعة الأزهر وأتمنى أن يستقل بنفسه ليصبح كلية للاعلام الاسلامى بعد أن نتدارك النقص الذى يشوب القسم الآن والذى سوف أشير اليه ..

بدايةً .. قبل افتتاح هذا القسم كنت أتمنى أن تكون هناك دراسة متكاملة عن الآتى : ــ

ــ ماذا نريد من قسم الاعلام الاسلامى ؟.

ــ أين هيئة التدريس ؟

ــ مواصفات الطالب الذى يسمح له بالدراسة فى هذا القسم .

(١) الخبطة الصحفية اصطلاح متعارف عليه بين الصحفيين على السبق الصحفى الكبير ذى القيمة الخبرية الهامة .

الاعلام الاسلامى

ــ المناهج التى يدرسها الطالب ونوعيتها .
ــ التدريب العملى .
ــ التعاون مع المؤسسات الصحفية والاذاعية والاعلامية عامة وأمثل الطرق للتعاون .
ــ الامكانيات المالية والمادية اللازمة .

ولكن عند انشاء هذا القسم ، أعتقد أن المسألة تمت دون تخطيط ودون دراسة .. وهكذا حالنا .. !!

لقد تم انشاء قسم الاعلام بشكل ارتجالى ، والدليل .. أنك لا تجد فى هذا القسم معملا صحفيا ، ولا (استديو) تدريب لقسم الاذاعة .. !!

أما هيئة التدريس فقد استعان القسم بأساتذة من كلية الاعلام جامعة القاهرة..!! ، ثم استعان بأهل الخبرة العاملين فى مجال الاعلام .

* ومع خالص ما بذلوا من جهد كريم لا نستطيع أن نقول :

انه الجهد الذى يقدم الاعلامى المسلم المناسب لعصره ، ولقد يكون ثمة عذر مقبول جدا لأن التجربة فى البداية ، والدراسات الجادة فى الميدان نادرة والمتخصصين فى الاعلام الاسلامى قلة ، بل يكاد يكون بعض المتخصصين فى الاعلام ــ بصفة عامة ــ لا رابطة له بالاسلام .. !! ، ولكن الجهد والمثابره المخلصة يمكن أن تأتى بنتائج كريمة .

* ومن هنا فاننى أكرر النداء : لا تغلقوا قسم الاعلام الاسلامى ولكن ابحثوا كيف نطوره .. وكيف نوفر له هيئة تدريس لها علم بالاسلام وعلم بالاعلام ونظرياته .. ثم العمل على تخريج جيل من طلبة الكلية يتولى المسئولية فحاجتنا الى هذا القسم قوية وملحة .. ! ، وأرجو أن يتم لى اللقاء بالمسئولين لتناول هذا الموضوع بافاضة .

(ب) واقع العمل الاعلامى فى بلاد المسلمين : ــ

يصرخ العقلاء من الناس فى بلادنا من وسائل الاعلام ، وقد يدفع الحماس بعضهم الى رفع قضية ضد وسيلة ما من هذه الوسائل لأنها قدمت ما يخدش الحياء ، أو ما يشجع على ارتكاب جريمة من الجرائم .. الخ ــ ولكن لماذا يحدث هذا .. ! ؟

أولا : لوسائل الاعلام وللاعلام ــ عموما ــ وظائف يعرفها باحثو الاعلام مثل :

الاخبار ــ التثقيف ــ التنمية ــ الترفيه ، وتختلف نسب هذه الوظائف من دولة لأخرى وفقا لظروفها الاقتصادية والاجتماعية فمثلا فى دول أوربا قد يصل الترفيه الى نسبة ٨٠٪ من مجموع نسب هذه الوظائف ، وذلك لأن

البقية ص ٤٣٤

علوم كونية

الماء والكائن الحي

للمهندس محمد إبراهيم حسين

« أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » الآية ٣٠ سورة الانبياء .

الماء هو الوسط العام للحياة ففيه تتم التفاعلات الكيميائية التى تجرى فى الأغشية الحية ، اذ تشمل جزئيات تطفو على الماء أو توجد فوق أغشية سطحية مغمورة فيه . بل كثيرا ما تشمل هذه التفاعلات جزئيات الماء نفسه ، ولا عجب فى ذلك فلقد جعل الله من الماء كل شىء حى .

نسبة توزيع الماء فى الجسم :

والأنسجة الدهنية والعظام هى أقل أنسجة الجسم احتواء على الماء اذ تبلغ نسبة الماء فيها حوالى ٢٥٪ من وزنها وتعتبر هذه الأنسجه أقل نشاطا من بقية أجزاء الجسم بالنسبة للتفاعلات الكيميائية .

وعلى النقيض من الأنسجة الدهنية قد يبدو أن الدم أعلى أنسجة الجسم فى نسبة احتوائه على الماء ، لأنه سائل ولكن هذا غير صحيح فان أنسجة الجسم باستثناء الدهن والعظام تحتوى على نسبة من الماء تتراوح بين ٧٠ و ٨٥٪ من وزنها ويحتوى القلب على ٨٠٪ من وزنه ماء وكذلك الكليتين على الرغم من أنها أنسجة صلبة .

والحقيقة أن طبقة خلايا « المخ » هى أكثر أنسجة الجسم احتواء على الماء اذ تحتوى على ٨٥٪ من وزنها ماء وبالرغم من ذلك فالمخ ليس سائلا وذلك لأنه على الرغم من نسبة الماء العالية فى نسيج خلايا المخ الا أن هذه الأنسجة مكونة من خلايا متماسكة ثابتة فى مكانها على عكس خلايا الدم غير المتماسكة وغير الثابتة المكان فانها تسبح منفردة فى هذا السائل فالدم يتحرك حاملا الخلايا فى تياره .

٥

الماء والكائن الحى

وظيفة الدم :

ولو كانت وظيفة الدم تنحصر فى حمل الخلايا الدموية من مكان الى آخر محملة بما عليها من مواد لقام أى سائل آخر بمثل هذه الوظيفة ولكن الدم يؤدى وظائف أخرى كثيرة لا يمكن لسائل آخر أن يقوم بها على الوجه الذى يؤدى به الدم وظائفه وذلك لما يحتويه من نسبة كبيرة من الماء ، فالماء كمذيب يفوق جميع المواد الأخرى فهو يذيب مجموعة كبيرة من المواد المختلفة دون أن يؤثر تأثيرا كبيرا على جزئياتها أثناء عملية الذوبان ونتيجة لذلك فان الدم بما يحويه من نسبة ماء كبيرة لا يحمل فى دورتهخلايا فقط بل يحمل أيضا أنواعا كثيرة من المواد المذابة ما بين أملاح وسكريات و (أنزيمات) و (هرمونات) وغيرها وهو دور عظيم يقوم به الماء الموجود فى الدم اذ يحمل العديد من المواد الذائبة المختلفة يمكن من اجراء هذه التفاعلات الكثيرة المختلفة يسمح للأنسجة الحية بكل هذه الحرية الكيميائية .

ولو انتقلنا من الماء كمكون أساسى للخلايا الى وظيفة الماء فى حفظ حرارة الجسم الحى اذا تعرض الجسم لظروف ترفع من درجة حرارته كأن يبذل مجهودا زائدا أو ترتفع حرارة الجو كما يحدث صيفا .

ولمواجهة هذه الزيادة فى الحرارة فاننا نملك على سبيل المثال غددا عرقية تفرز العرق بصفة مستمرة على سطح الجلد فيتبخر الماء ويتحول من حالة السيولة الى الحالة الغازية .

وبخار الماء يحتوى على طاقة أكبر من الماء السائل اذا كانا فى درجة حرارة واحدة ومن ثم فلابد من مزيد من الحرارة لتحويل العرق السائل الى بخار .

ولما كانت الحرارة هى أكثر أنواع الطاقة شيوعا فان العرق يلتمسها من الجلد لأنه أقرب مكان اليه وبهذه الطريقة يستطيع الكائن الحى أن يتخلص من الحرارة الزائدة فيتبخر العرق بيرد الجلد أى يستنفد (١) بعض حرارة الجسم ، ويحدث ذلك فى الاوقات التى يبذل فيها الكائن نشاطا زائدا أو الأيام الشديدة الحرارة أما فى الأيام الباردة فيقل العرق ويقل تبعا لذلك فقدان العرق .

وهناك طريقة أخرى لتنظيم درجة حرارة الجسم يقوم بها الدم فالجزء من الجسم الذى له نشاط كيميائى كبير ترتفع درجة حرارته أكثر من بقية الجسم والجزء الملامس للهواء البارد المحيط بالجسم تنخفض درجة حرارته عن الجسم **والدم هو الذى يسوى بين هذه الاختلافات فى الحرارة** فى أثناء سريانه فيمتص الحرارة عند مروره فى الانسجة الباردة مثل الجلد وبهذا فالدم يبرد الكبد ويدفء الجلد .

---

(١) بالدال المهملة .

The Living River by Isaac Asimov.

ترجمة د . محمد صدقى عبده ١٩٧٤ .

وفى الأيام الحـــارة يتخلص الجســم من حرارته ببطء فى الهواء الدافىء المحيط بــه ويعوض الجسم ذلك بتوسيع الأوعية الدموية فى الجلد وذلك بأن يرخى العضلات الدقيقة فى جدران هذه الاوعية الدموية وبانبســـــاط هذه الأوعية تحمل كمية أكبر من الدم وبذلك يتعرض مقدار أكبر من حرارة الدم للهــواء الخارجى وتلك محاولة لتعويض بطء فقــدان الحرارة •

ولهذا السبب يحمر الوجه فى اليوم الحار ، أو بعد عمل أو تمرين شاق حيث يتــولد فى عضــلاتك مقدار من الحرارة أكثر من العادى وعلى العكس عندما تنخفض درجة الحــرارة الى أقل من المعتاد تزداد سرعة فقـــدان الجسم لحرارته ويكون على الجسم أن يعوض ذلك واحدى الطرق هى أن تنقبض الاوعية الصغيرة فتضيق وبهذه الطريقة يسحب الدم من الجلد فيقل مقـدار الحـرارة التى يمكن فقدها فى الهواء الخارجى وهذا هــو السبب لحدوث الزرقة نتيجة البرد •

ولمعرفة دور الماء فى التحكم فى درجـــة الحرارة عن طريق العرق والــدم يجب أن نعرف أن فقدان الحرارة الذى يستطيع حمله مقدار محدد من الماء هو فى الماء أعلى من أى مادة أخرى بنفس المقدار •

وهذا ما يسمى بـ « الحرارة النوعية » للمادة أى كمية الحرارة التى يمكن أن تحملها مادة معينة ، فالحرارة النوعية للماء أكبر من أى مادة أخرى •

وبينما يمتص الدم الحرارة المتولدة مــن التفاعلات الكيمائية فى الكبد والعضــلات ترتفع حرارته الى درجة أقل مما لو كان مكونا من سائل غير الماء كما تنخفض حرارة الــدم الى درجة حرارة أقل عندما يفقد حــرارته بمروره فى الجلد •

فالارتفاع غير العادى للحرارة النوعيــة للمـــاء يساعد الدم على مســاواة الحــرارة بمقدرة كبيرة ، وللماء تأثير مماثل على الجــو فالحرارة النوعية لمياه المحيط أعلى منها فى تربة الأرض وعلى ذلك فحــرارة المحيط ترتفــع بتأثير حرارة الصيف بدرجة أقل من درجــة حرارة الأرض وتنخفض بدرجة أقل بتــأثير برودة الشتاء • وأيضا كما أن الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة الماء اكبر منها لرفع درجة حرارة سائل آخر فكذلك الحــرارة اللازمة لتبخير قدر محدد من الماء أكبر منها لتبخــير سائل آخر أى أن الحرارة الكامنة لتبخير الماء أعلى منها لأية مــادة أخرى • ونظرا للبطء فى تبخير الماء أو العرق من سطح الجلد مثلا فان الحرارة التى تفقــد مع هــذا البطء فى التبخير تكون اكبر من الحرارة التى تفقــد فى حالة تبخير أى سائل آخر سريع التبخر • وعلى ذلك فان عملية العرق ما كانت لتقــوم بهذا الدور الفعــال لتنظيم درجــة حــرارة الجسم أو تبريدها اذا ما تكون العــرق مــن سائل آخر غير الماء • ومن هذا نرى أهميــة هذا السائل الذى يتكون منه الدم والعــرق بصفة رئيسية ألا وهو الماء :

ذوبان وحمل للمواد والعناصر •• •• ••

توفير حرية كيميائية للأنسجة الحية ••••

◄

الماء والكائن الحى

حرارة نوعية أعلى من أى سائل آخر
حرارة كامنة للتبخير أعلى من أى سائل .. .. ..

عملية ضبط لدرجة حرارة الجسم عند ارتفاعها بدقة متناهية وتلقائية وأتوماتيكية بالغة الرقى .. .. ..

اننا أمام صورة بالغة العظمة لاحسان الخلق ، صورة لا يمكن مقارنتها بصورة أخرى شبيهة ، فاذا كانت هذه هى كل الصورة فهذا شىء عظيم ، ولكنها قطرة فى محيط من الصورة الكاملة ، محيط ملىء بالقطرات الرائعة التى لا تقارن فى قوتها ودقتها واعلانها عن الخالق جل وعلا ...... الله سبحانه وتعالى الذى أحسن كل شىء خلقه ليس كمثله احسان .

هذا الاحسان البالغ الذى ندرك بعض ملامحه فى هذا النظام الثابت الدقيق المحكم الذى لا تشوبه شائبة ، والله اننا لو شكرنا هذا الخالق ـ جل علاه ـ كل (ثانية) على نعمة من نعمائه علينا ما أوفيناه حقه فما أكبر ما بنا من جحود !! ؟ !

الاعلام الاسلامى بقية

المواطن الاوربى يكد ويكدح ، ومن هنا يحتاج الى ساعات للترويح عن نفسه ..

بينما فى الدول الاسلامية نجد المخطط الاعلامى سار على نفس الطريقة الأوربية وزاد عليها مثلا فى بعض الدول الترفيه يصل الى ٩٠٪ من ساعات الارسال التليفزيونى و ٨٥٪ من البث الاذاعى و ٧٥٪ من مساحات الصحف وناهيك عما هو فى (السينما) و (المسرح التجارى) وأشرطة (الفيديو) . هذا ، بينما نجد نسبة البرامج الدينية فى تليفزيون احدى الدول الاسلامية تبلغ ٣٪ فقط من مجموع ساعات الارسال ، و ١٣٪ من مجموع ساعات البث الاذاعى وحوالى ١ر٦٪ من مساحات الصحف اليومية .

ثانيا : ان هذه الوسائل الاعلامية العاملة فى بعض بلاد المسلمين ليست فى أيدى متخصصين بدليل أن نسبة الحاصلين على مؤهلات اعلامية فى بعض هذه الأجهزة لا تتجاوز ٥ر٢٪ من مجموع العاملين فلا عجب أن تنحرف الرسالة الاعلامية عن هدفها مادام القائم بالاتصال على غير بصيرة بالهدف والوسيلة .. !!

واذا ما انتقلنا الى واقع الاعلام الدولى الاسلامى ، نجد أن لكل دولة اسلامية أسلوبا خاصا قد يتعارض تماما مع الدولة المجاورة لها ، وقد (يتشاتم) اعلام دولتين مما يؤدى الى تمزيق وبعثرة الرأى العام الاسلامى ، ولهذا لا تجد (رأيا عاما اسلاميا) قويا فى المحافل الدولية .. ! ، واكتفى بهذه اللمحات وفى المقالات القادمة نلتقى وبداية القضية محور البحث ..

حسن على محمد العنيبى

.. مع النمل

للاستاذ محمد صابر البرديسى

عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال :

(قرصت نملة نبيا من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله اليه ، أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح ؟ . فهلا نملة واحدة ؟ (١) .

سبب الحديث :

أن ذلك النبى مر على قرية أهلكها الله بذنوب أهلها فوقف متعجبا فقال : يارب فيهم صبيان ودواب ، ومن لم يقترف ذنبا ، ثم نزل تحت شجرة فلدغته نملة ، فأحرق الكل ، فقيل له ذلك .

وذكر صاحب الفيض القدير أن ذلك النبى هو : داود عليه السلام .

***

أولا – اللغة :

١ – قرصت = لدغت .

ثانيا :

ما يشتمل عليه الحديث (٢) النمل والحشرات والحيوان والطير أمم أمثالنا . لكل أمة منها لغتها وعلمها واحساسها وتنظيماتها .

البيان

١ – النمل والحشرات والحيوان والطير أمم أمثالنا :

ما من دابة تدب على سطح الأرض ، وما من كائن حى يعيش فى هذه الدنيا ، من

(١) أخرجه البخارى ومسلم

(٢) رواه ابن جرير .

٥ مع النمل

طير يطير فى الجو ، أو حشرة تختبىء فى الأرض ، أو حيوان يعيش فى الفلاة كل أمم أمثالنا فى الخلق والموت والبعث ، والاحتياج الى مدبر يدبر أمرها ، ويهيىء لها رزقها .

قال تعالى : (**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ ، وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**) (١).

ثم ان الأمم كلها من الدواب والطيور وغيرها سوف يحشرون الى ربهم ، فينصف بعضها من بعض ، ويؤخذ من الجماء للقرناء ثم يقول لها « كونى ترابا وقال عبد الله ابن الامام أحمد فى مسند أبيه يروى عن عثمان (رضى الله عنه) .

أن النبى ﷺ قال : (**ان الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة**) فحشر الدواب بعثها يوم القيامة قال تعالى : (**وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ**) .

وعن أبى ذر « رضى الله عنه قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ اذا انتطحت عنزان فقال رسول الله ﷺ « أتدرون فيم انتطحتا ؟ .

قالوا : لا ندرى ، قال : لكن الله يدرى وسيقضى بينهما) .

٢ ــ لكل من هذه الأمم لغتها ونظامها :

ان الانسان ليس مفردا فى هذا الكون الفسيح ، بل حيثما امتد به النظر ، أو طاف به الخيال يرى من خلق الله ، ماله طبائع شتى وصور وأشكال وأحجام متعددة ويلتقون جميعا فى أنهم يتوجهون الى الله ، ويسبحون بحمده وتقواه ، فالطير ، فى الفضاء تسبح بحمد الله ، ونقيق الضفادع تسبيح لله ، هذه الأمم لا تكون مماثلة لنا الا اذا كانت لها روابط معينة تحيا بها ، ووسائل مميزة للتفاهم فيما بينها ، وذلك ملحوظ فى حياة أنواع كثيرة من الطيور والحيوان والحشرات ، ويجتهد علماء هذه الأنواع فى ادراك شىء من لغاتها ووسائل التفاهم بينها ، والنمل من بين الحيوانات جميعا يمتاز بأكثر من خصيصة ، وقد يكون الوحيد منها ــ كالانسان ــ يدفن موتاه ، ومن مظاهر مجتمعه المترابط قيام النمل بمشروعات جماعية ، فيقيم الطرق الطويلة والكبارى « الجسور » الكبيرة فى أناة ومثابرة ، ولا يكتفى النمل بالعمل نهارا فقط وانما يعمل أيضا فى الليالى القمرية ولا يعتكف الا فى الظلام تحدث أحد العلماء الباحثين فى « الاذاعة المرئية » عن أمة النمل فأوضح أن النمل يتمتع بعادات خارقة تدل على أن له تفكيرا سليما لأنه يتصرف تصرفا حكيما للحفاظ على حياته وسلامته ، وذكر أن بعض الهيئات رصدت مبالغ ضخمة لتصوير بعض ما يقوم به النمل من أعمال ومن ذلك الأعمال

(١) الأنعام آية ٣٨

الهندسية الخارقة فقد حشد جمع كبير لتصوير (فيلم) عن احدى الكباري

(الجسور) التى يعمد النمل الى اقامتها على بعض الأنهار مما يقتضى تخصيص عدد

من المصورين يرصدون حركات النمل وما يقوم من أعمال فى الليل والنهار لاتمام هذا الجسر ،

وغير خاف ما يلزم هذا العمل من فن وعلم وسهر وصبر .

والنمل كما أشار الحديث الشريف الذى صدرت به هذا المقال كائن حى ، فهو

حساس وبعضه شديد الحساسية ، ويستخدم وسائل متعددة للمحافظة على حياته من

هجوم وجروب . والانسان وهو قمة الكائنات الحية الموجودة على الأرض استطاع

مما أوتى من عقل وفكر أن يستخدم كل الوسائل المتاحة للحفاظ على حياته ، بل

واستحدث أسلحة فتاكة وذرية ليستخدمها فى حملاته الدفاعية والهجومية ، وهذا كله من معطيات العقل .

ويؤكد العلماء أن الحيوانات تقوم بتصرف مماثل لتحافظ به على حياتها ، بل وتتخذ وسائل دفاعية وأخرى هجومية ، ولكنها دائما تقتصر فى حروبها على ما خلق فيها ، كالقرون والحوافر ، والأنياب ، ويندر منها ما يستخدم أجساما خارجية عنده للدفاع عن نفسه كالقردة .

محمد صابر البرديسى

طرائف

للبوصيرى فى مولد الرسول
" صلى الله عليه وسلم "

ليلة المولد الذى كان للدين سرور بيومه وازدهاء
يوم نالت بوضعه ابنة وهب
من فخار مالم تنله النساء
مولد كان منه فى طالع الكفر وبال عليهم ووباء
وتوالت بشرى الهواتف أن قد
ولد المصطفى وحق الهناء

نصيحة

سئل بعض الحكماء أى الأمور أشد تأييدا للعقل وأيها أشد اضرارا به ؟

فقال : أشدها تأييدا له ، ثلاثة أشياء : مشاورة العلماء ، وتجربة الأمور ، وحسن التثبت .

وأشدها اضرارا به ، ثلاثة أشياء : الاستبداد ، والتهاون ، والعجلة .

حقا

قال محمد بن يزيد النحوى : أتيت الخليل فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة ، فوسع لى وكرهت أن أضيق عليه فانقبضت فأخذ بعضدى وقربنى الى نفسه ، وقال :

((لا يضيق سم الخياط بمتحابين ، ولا تسع الدنيا متباغضين)) .

المفتى المكى

قال ياقوت الحموى : بلغنى أن رجلا جاء الشافعى برقعة فيها :

سل المفتى المكى من آل هاشم
اذا اشتد وجد بامرىء ماذا يصنع ؟

قال .. فكتب الشافعى تحته :

يداوى هواه ثم يكتم وجده
ويصبر فى كل الأمور ويخضع

فأخذها صاحبها وذهب بها ، ثم جاءه وقد كتب تحت هذا البيت ، الذى هو الجواب :

فكيف يداوى والهوى قاتل الفتى
وفى كل يوم غصة يتجرع

فكتب الشافعى ــ رحمه الله تعالى ــ :

فان هو لم يصبر على ما أصابه
فليس له شىء سوى الموت أنفع

للاستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

السؤال عن الأمير

قال الأسود بن أبى يزيد :

كان الوفد اذا قدموا على عمر — رضوان الله عليه — سألهم عن أميرهم ، فيقولون : خيرا .

فيقول : هل يعود مرضاكم ؟

فيقولون : نعم .

فيقول : هل يعود العبد ؟

فيقولون : نعم .

فيقولون : كيف صنيعه بالضعيف .. هل يجلس على بابه ؟

فاذا قالوا لخصلة منها لا عزله .

قالوا ..

* لا سلطان الا بالرجال ، ولا رجال الا بمال ، ولا مال الا بعمارة ، ولا عمارة الا بعدل .

* ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى .

* رب قريب أبعد من بعيد ، وبعيد أقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب .

* ليس كل عورة تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما أخطأ البصير قصده ، وأصاب الأعمى رشده .

* يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم !

* مرارة الدنيا حلاوة الآخرة ، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة .

* ما المبتلى الذى قد اشتد به البلاء ، بأحوج الى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء !

دعاء

الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والعصمة من كل ذنب ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم .

الفتاوى

الخطـأ على المنبر

س : من السيد/س٠ت٠ عبد الحميد
اذا أخطأ الخطيب على المنبر فى آيـة من القـرآن الكـريم أو فى الحـديث الشريف ٠ هل يجوز لأحد الحاضرين أن يرده ٠٠ ؟

ج : الخطيب اذا أخطأ وهو يخطب فى قراءة القرآن الكريم كان على الحاضرين أن يصحح له أحدهم الخطأ بالرفـق والحسـنى ، حتى لا يكون هناك تشويش فى المسجد ٠٠٠

وكذلك يصحح له الحديث اذا كان الخطـأ يغير المعنى ٠٠

حكم الاسلام فيمن يقول لمسلم : أنت كافر

س : من السيد / أ ٠ السـنى ٠
ما رأى الاسلام فيمن يقول لمسـلم أنت كافر ، أو يكفر أحـد العلمـاء ؟

ج : لا يجوز للمسلم أن يكفر مسـلما ، فان فعل فهو آثم اثما عظيما ليس له عند الله الا التوبة النصوح بالندم على ما فعل والعزم المؤكد على ألا يعود الى مثله ، للحديث الذى رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا قال الرجل لأخيـه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فان كـان كمـا قـال والا رجعت عليه » رواه مـالك والبخـارى ومسلم وأبو داود والترمذى ٠

وعلى من قال ذلك أن يعود الى من آذاه بهذا القول ليغفر له ما صدر منه من اثم وتكفير ٠

حـكم الكى بالنار

س : من السيد / ص ٠ أبو اسماعيل
مريض ذهب الـى كثير من الأطبـاء ولكن دون جدوى فنصحه بعض النـاس بالكى بالنار فان فى ذلك شـفاء له مـن دائه فهل يجوز له ذلك ؟ ٠

ج : رسولنا ﷺ يقول : « تداووا فان لكـل داء دواء » وقد قام المريض بعرض نفسـه على عدد من الأطباء وباشروا علاجه بالوسائل الطبية المختلفة ٠٠٠

ولما كان النبى ﷺ قد ورد عنه ما يفيد أن « آخر الدواء الكى » وأن ذلك صـدر منـه عليه الصلاة والسلام على سبيل العادة ، فانه لا يؤخذ بهذا الا بقرار من أساتذة مختصين فى

إعداد الاستاذ عبد الحميد شاهين

الطب بأن الكى لا يهلك المريض أو يضر بصحته ، وذلك لقول النبى ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » ولقول الله تعالى « **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** » .

بينونة كبرى

س : من السيد / ع ـ الحماقى .

رجل حلف على زوجته ثلاث مرات متفرقات بقوله لها : أنت محرمة على (زى) أمى وأختى ـ وزى بالعامية المصرية بمعنى (مثل) وكان يقصد الطلاق بهذا القول .. فما الحكم ؟

ج : باليمين الثالث بانت الزوجة من زوجها بينونة كبرى ، لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا حقيقيا ... فاذا طلقها الثانى أو مات عنها وانقضت عدتها منه حلت للزوج الأول بعقد ومهر جديدين وبرضاها .

س : من السيد / ع . مبروك ...

اننى مريض بمرض نفسى وعصبى دخلت بسببه المستشفى المختص ، ولظروف المعيشة أخرجنى أهلى قبل تمام العلاج ولا أزال أتردد على مستشفى الأمراض النفسية للعلاج بالعقاقير ولعمل جلسات كهربائية .

ولكن تنتابنى أحيانا نوبات صرع أفقد فيها الوعى فأقول لزوجتى أنت طالق فى أثناء ذلك .. وقد وقع منى ثلاث طلقات فى هذه الحالة .. فما الحكم ؟

ج : الطلاق من المسلم حال فقدان وعيه لا يقع لحديث : « لا طلاق فى اغلاق » وعلى ذلك فلا تقع الطلقات الثلاث .

ميراث

س : من السيد / الدسوقى .

توفيت امرأة عن : أولاد أخوات شقيقات ذكور واناث فقط . فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : مادام لا يوجد صاحب فرض ولا أحد من العصبة ، والمذكورون جميعا من ذوى الأرحام ، فان التركة تقسم على أولاد الأخوات الشقيقات للذكر ضعف الأنثى ، كأنهم أولاد أخت واحدة .

س : من السيد / أحمد عبد اللطيف .

توفيت امرأة عن : زوج ، أب ، اخوة أشقاء ، وتركت منقولاتها ومصاغها وللزوجة مؤخر صداق قبل الزوج . فكيف توزع هذه التركة ؟

ج : على الزوج أن يدفع مؤخر الصداق ويضاف الى المنقولات والمصاغ ويعد الجميع تركتها : للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، والباقى للأب تعصيبا . ولا شىء للاخوة الأشقاء .

والله أعلم ..

مجلة الأزهر من خمسين عاما

حقوق الجوار فى الإسلام

للأستاذ محمد فريد وجدى

ان من أنبل المقاصد وأسمى الغايات للشريعة الاسلامية . عمومها وشمولها . ذلك أن الدين الاسلامى آخر الأديان . وشريعته خاتمة الشرائع ، ولذلك جاءت تعاليمه للناس كافة ، لا فرق فى ذلك بين أمة وأمة أو بين جنس وجنس . أو لون ولون .

وبتعبير أدق . جاءت الشريعة الاسلامية لتصحح مسار الحياة الانسانية . وفى سبيل ذلك سار رسول الله ﷺ فى دعوته لدين الله .

وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) .

ويقول سبحانه (لَآ إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ)

ويقول تعالى (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) .

تلك سماحة الاسلام مع أهل الديانات الأخرى . والتطبيق العملى لتعاليمه دليل ذلك .

وفى أعمال السابقين الأولين من المسلمين ما يدعو الى الاعتبار والانبهار من تطبيقهم لتعاليم الاسلام فى مسألة الجار ومراعاة حقوق الجوار وغيرها والسنة المطهرة ضربت فى هذا الجانب بسهم وافر .

قال مجاهد : كنت عند ابن عمر – رضى الله عنهما – ، وغلام له يسلخ شاة فقال : ياغلام . اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، قال ذلك مرارا ، فقال الخادم : كم تقول هذا ؟

فقال له ابن عمر : ان رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه) .

قال الأستاذ محمد فريد وجدى

تقديم : عبد الفتاح حسين الزيات

لقد وضع الاسلام نظاما للاجتماع يجعل من الأمة الاسلامية جمعاء أسرة واحدة مترابطة الآحاد ترابطا لا تنفصم له عروة ، ولا تنحل له لحمة ، فشرع التعاون فى الحياة لتذليل عقباتها ، وقطع مفازاتها ، وجعل ذلك أساسا لمدينته الفاضلة •

فقال تعالى : « **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** » • ثم لم يدع فضيلة من الفضائل التى تحقق معنى هذا التعاون الا دعا اليها وحث عليها • ولا مشاحة فى أن مراعاة حقوق الجوار من أمهات تلك الفضائل ، بل لو تحققت هى وحدها لجعلت الأمة كالبناء المرصوص يشد بعضه بعضا ، لا يجد التداعى سبيلا اليه بحال من الأحوال لذلك جاء فى وجوب مراعاة هذه الحقوق من الأوامر ما يتفق وعظم خطره •

فأول حجر وضعه النبى ﷺ فى بناء صرح حقوق الجوار قوله : « **لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه** » ومراده أنه لا يتم له ايمان حتى يتحقق فيه هذا الشرط ، وهذا أمر فى منتهى الخطورة • فان الايمان غاية كل متدين وعليه يتوقف استحقاقه للكرامة فى الدنيا والآخرة ، فاذا كان اكتمال هذا الايمان يتوقف على أن يأمن جار المؤمن أذاه ، فانه لا شك منصرف بكليته للقيام بهذا الشرط ضنا بنفسه وطلبا لنجاتها •

قسم النبى ﷺ الجيران الى ثلاثة أقسام : فقال : « **الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق** • فالجار الذى له ثلاثة حقوق : الجار المسلم ذو الرحم ، فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم • وأما الذى له حقان فالجار المسلم : له حق الجوار وحق الاسلام • وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك » •

حقا ان هذا سمو فى الآداب الاجتماعية ليس وراءه مذهب ، فان تسوية حقوق الجوار حتى على المشركين لم يقل به قبل الاسلام مصلح فى الأرض • ويفهم من هذا أن الاسلام انما يراعى فى الآداب الاجتماعية ما يشمل الانسانية كلها ، وهذا غاية ما ترمى اليه المدنية •

فالانسان لا يخلو وهو يعيش فى مدينة أن يكون له جيران من ذوى ملل مختلفة ، يبادلهم المعاملات ، فهل أبيحت للمسلم معاملتهم وحرمت عليه مجاملتهم ؟ لا ، بل أوجب عليه الاسلام أن يسوى بينهم وبين اخوانه المسلمين فيها •

وقد حث النبى على مبادلة أهل الكتاب الزيارة وحضور أعراسهم ومآتمهم ، والأكل معهم حتى الاصهار اليهم • وقد وجد أصحاب الأديان من مجاورة المسلمين ما تلقاه القلة فى وسط كثرة قائمة على أحكم أصول المدنية ،

وأقوم سبل الانسانية .

قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة ، فقال : ياغلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى ، حتى قال ذلك مرارا . فقال الخادم : كم تقول هذا ؟ فقال له : ان رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه .

فانظر كيف اعتبر ابن عمر اليهودى جارا ولم يفرق بينه وبين اخوانه فى الدين ، بل انظر كيف أمر خادمه أن يبدأ به قبلهم ، لا شك فى أنه فعل ذلك حتى لا يسبق الى ذهن خادمه أن يستثنيه من حقوق الجوار ليهوديته فأمره أن يبدأ به ، ثم ذكر للخادم ما ورد عن النبى من التشديد فى وجوب مراعاة هذه الآداب الاجتماعية .

ومن أشد ما يلفت المسلمين الى العناية بحقوق الجيران أن جعل النبى ﷺ شهادتهم علامة على الاحسان والاساءة لمن أراد أن يعرف منزلته عند الله . روى عبد الله بن عمر فقال « قال رجل : يارسول الله كيف لى أن أعلم اذا أحسنت ، أو أسأت ؟ قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت ، واذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت » .

فتأمل فى هذا وانظر هل يطيق رجل سمع هذا الحديث أن يسمع ذم جيرانه له دون أن يبلغ منه التأثير مبلغه ؟ وهل يتأثر منه ولا يحاول أن يحسن من سيرته حتى يستحق أن يمدحه جيرانه ؟

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه قال : « أتدرون ما حق الجار ؟ ان استعان بك أعنته ، وان استنصرك نصرته ، وان استقرضك أقرضته ، وان افتقر عدت عليه ، وان مرض عدته ، وان مات تبعت جنازته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ، ولا تؤذه ، واذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فان لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقثار قدرك الا أن تغرف له منها . ثم قال : أتدرون ما حق الجار ؟ والذى نفسى بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله » :

ان هذا حديث جامع فى حقوق الجوار لم يترك صغيرة ولا كبيرة منها الا أحصاها ، فلعل من الناس من يخيل اليه قياسا على حالة أهل المدنية اليوم أن هذه الحقوق لا تتفق والحياة الاجتماعية الراهنة ، وهو وهم باطل ، فان هذه الحقوق طبيعية يؤدى اليها العقل لو ترك وشأنه ، وتقضى بها الانسانية لو تجردت من شبح الحيوانية ، وأثرة البهيمية . فاليك بيان ذلك خصلة خصلة :

أمن علو الهمة التى يجب أن يتحلى بها كل رجل أن يستعين بك جار لك على أمر نزل به فتأبى عليه الاعانة .وأن يستنصرك على لص طرقه أو حيوان ضار داهمه فتوليه ظهرك وتدعه فريسة لما نابه ، وأن يستقرضك دريهمات يستعين بها على شأن من شئونه فتضن بها عليه ، وأن يفتقر ويجوع أهله فلا تمده بمعونة ، وأن يمرض ويحتاج للمواساة فلا تعوده ، وأن يموت فتبخل عليه بخطوات قليلة ، وأن يناله ما يفرحه فلا تهنئه بكلمة ،

وأن يصاب بنازلة فتترفع عن تعزيته ، وأن تستطيل عليه فى البناء لتحجب عنه الهواء والشمس ، وأن تؤذيه فلا ترفع بتضرره وزنا ، وأن تخص أهلك بالطيبات من الرزق ولا تبالى به وبأولاده الصغار فلا تشركهم معك ؟ ثم لا يكفيك أن تعد هذا تقصيرا فتتلمس له حجة من مقتضيات الحياة العصرية ؟ هل الحياة العصرية لا تستقيم الا اذا كان قوامها التقاطع وغلظ الكبد ، والشح المطاع ، وجمود القلب وقلة الانسانية ؟

كان الأولى بك أن تقول : ان الحياة العصرية قد جهلت هذه الواجبات الأولية فوقعت فى شر ما تجنيه الجماعات على نفسها ، وهو حقد الفقراء على الأغنياء ، وحسد المحرومين للموهوبين ، وتوقع بعض الناس دوائر السوء ببعض ، وهذه العلل كلها تشكو منها أوروبا المتمدنة جد الشكوى ، بل هى لم تهدد فى كيانها بشىء كما تهدد من هذه الناحية .

وكما بين الاسلام حقوق الجوار على أتم وجه كما رأيت ، حرم ايذاء الجيران أشد تحريم وأبلغه ، حتى جعل هذا الايذاء مبطلا للأعمال الصالحة .

فقد قيل لرسول الله ﷺ : ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها ؟ فقال عليه السلام : « هى فى النار » .

ومن أبلغ ما يؤثر من الزجر عن ايذاء الجار قول النبى ﷺ : « ان أنت رميت كلب جارك فقد آذيته » ، فأخذ المسلمون بهذا الأدب وجروا على سنته ، فكانوا يتحرجون حتى من مقابلة أذى جيرانهم بمثله .

فيروى أن رجلا جاء الى ابن مسعود ، رضى الله عنه — فقال له : ان لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على . فقال له : اذهب فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه . ولم يشر عليه بالانتصاف لنفسه ، فان التغابى عن أذى الجار ربما أداه للندم والرعوى ، مصداقا لقوله تعالى : « **ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ** » ، ولكنه لو قابل جاره بالمثل كان ذلك صدعا فى بناء المجتمع لا يلبث أن يتوسع بانضمام بعض الجيران الى أحدهما والبعض الآخر الى الثانى ، فحسما لمادة هذا التصدع رأى ابن مسعود أن يحصر الشر فى أصغر دائرة فينصح المجنى عليه بالصبر .

وقد اقتدى المسلمون فيه بالنبى ﷺ فقد روى أنه جاءه رجل يوما يشكو جاره فقال له النبى : اصبر ، فجاءه ثانية وثالثة ، فكان يأمره بالصبر ، فلما جاءه الرابعة ، قال له : اطرح متاعك فى الطريق . ففعل الرجل ما أمره به ، فجعل الناس يمرون به ويسألونه عما نابه ، فيقال لهم : له جار يؤذيه ، فكانوا يقولون : لعنة الله ! فأثر ذلك فى قلب جاره المشاكس ، فأتى صاحبه وقال له : رد متاعك فوالله لا أعود !

وروى الزهرى أن رجلا أتى النبى ﷺ فجعل يشكو جاره ، فأمر النبى أن ينادى على باب المسجد « ألا ان أربعين دارا جار » .

قال الزهرى أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا ، وأومأ الى

أربع جهات . وانما جعل النبى ﷺ هذا النداء جوابا على شكوى الرجل لأن فيه ايذانا بخطورة حرمة الجوار حتى انها لتمتد الى أربعين دارا ، ومن يكلف بمراعاة حق أربعين لا يجوز له أن يضيق ذرعا بحق واحد . وهذا الضرب فى الزجر من أبلغ أساليب التأديب التى لا تؤثر الا عن النبى ﷺ .

وفى تاريخ المسلمين أغرب الحوادث وأدعاها للاعتبار فى مراعاة حقوق الجوار ، فقد روى أنه بلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه ، وكان يجلس هو فى ظل داره ، فقال : ما قمت اذن بحرمة ظل داره ان باعها معدما . ودفع اليه ابن المقفع ثمن الدار قائلا له : لا تبعها .

وشكا بعضهم كثرة الفأر فى داره ، فقيل له : لو اقتنيت هرا ! فقال : أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسى . هذا بعض ما يقال فى حقوق الجوار فى الاسلام ، فألق عليه نظرة عامة ثم قابل بينه وبين ما نراه وما تسمعه اليوم من أحوال الجيران . فأما تناكرهم فحدث عنه ولا حرج ، فقد يسكن عشرة عمارة واحدة فلا يعرف بعضهم بعضا ، فما ظنك بمن يسكنون عمارات أخرى ؟

وأما ضروب الأذى فمما لا يستطاع حصره ، فمن أصغره وأخفاه تربص الشبان خلف الشبابيك بالمنظارات المعظمة ليروا ما يدور خلال دور الجيران مما لا يحبون كشفه لأحد ، حتى ليضطروهم الى اقفال شبابيكهم وحرمان أنفسهم من شعاع الشمس ونورها الضروريين لصحة الأبدان . ومن أظهر الأذى وأضره القاء القمامات أمام أبواب الجيران ، واطلاق العنان للأطفال وقت الهجير يقلقون راحة القائلين بضوضائهم ، ووقت الأصيل يثيرون التراب بكراتهم .

فاذا تركت المدن وانتقلت الى الأقاليم رأيت هذه الحال السيئة ، ولكن فى شكل آخر ، وأظهره تنابذ النسوة بسبب تناقش الأطفال ، وتداخل الرجال فى هذه المنازعات ، فتارة يقف الأمر عند التشاتم ، وطورا لا ينحسم الشر الا بالتلاكم .

أما فى الغيطان فان حقوق المجاورة لا تراعى الى حد بعيد . فيجور الجار على أرض جاره أو يترك ماشيته ترعى برسيمه فى غفلته ، أو يعاكسه فى رى زرعه ، أو يسد عليه طريق الصرف لا لعذر غير حب المشاكسة . فهؤلاء كلهم لو ذكروا بما ورد فى الاسلام من وجوب مراعاة حقوق الجيران ، ووقفوا على هذه الوصايا القيمة التى لم يترك النبى ﷺ وجها من وجوه البيان الا حلاها بها .

قلنا لو ذكروا بهذا كله لأثر فيهم أبلغ تأثير ، وقد عملت ادارة المعاهد الدينية فى حدود ميزانيتها على تدارك هذا النقص ، فأرسلت بعشرات الوعاظ الى الأقاليم ، والآمال معقودة ، على ابلاغهم الى المئين الكثيرة ليعم الناس النور الذى يحملونه اليهم ، والله ولى المحسنين .

محمد فريد وجدى

فى اللغة

الازدواج اللغوى

اسم الجمع

الازدواج اللغوى

قديما وحديثا

ظاهرة الازدواج اللغـوى قديمـة قـدم اللغات ، فقد اقتضت سنة الله تعدد أنمـاط التعبير وتلون طريقة الأداء ، قـال تعـالى :

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » (١) والاختـلاف ليس مقصورا على التباين بين اللغـات كالعربيـة والألمانية مثلا « بل يشمل أيضا الاختـلاف الذى يكون فى اللغة الواحدة ، وبين أفـراد اللهجة الواحدة » (٢) الا أن هذا الاختـلاف بين لونى الأداء تختلف طبيعتـه من عصر الى عصر ، وكذلك العلاقة بين طرفيه ، وسنحاول ـ بمشيئة الله ـ القـاء الضـوء على هـذه الأمور فى هذا البحث .

مفهوم الازدواج اللغـوى :

المقصود بالازدواج اللغوى ـ هنا ـ ثنائية التعبير ، أو وجود لونين للأداء أحدهما فصيح والآخر دونه ، وقد شاع هذا المصطلح بهذا المفهوم فى مؤلفـات بعض المحـدثين (٣) ، ولو تأملنا ما ورد فى المعاجم العربية بخصوص هذه المادة لأمكننا ايجاد علاقة واضحة بين مفهومه اليوم وما ورد بشأنه ففى اللسان (٤) مثلا : « الزوج خلاف الفرد ، يقال زوج أو فرد ، ويقال : هما زوجان لـلاثنين ، وهمـا زوج ، كمـا يقـال : هما سـيان وهمـا سـواء .

والافتعال من هذا الباب : ازدوج الطـير ازدواجا فهى مزدوجة ... وازدوج الكـلام وتزاوج أشبه بعضه بعضا فى السـجع أو الوزن ، أو كان لاحدى القضـيتين تعلـق بالأخرى ، « ومزدوج الثمر : النبات الـذى يحملنوعين من الثمار مختلفى الصـفات أو مختلفى موسم النضج .

هـذا بعض ما ورد فى هذه المادة بين دفتى المعجم العربى ، ولا ريب فى أن العـلاقة واضحة بين مفهـوم الازدواج اللغـوى المقصود فى بحثنا ، وبين مـا ورد فى المعاجم فقد أشار اللسـان الى أن ازدواج الكـلام يطلـق اذا كان لاحـدى القضـيتين تعلـق

---

(١) سورة الروم آية رقم ٢٢ .

(٢) المستوى اللغوى د. محمد عيد ٣٩ .

(٣) مسـتويات العربية المعـاصرة فى مصر د. السعيد محمد بدوى ٢٠ ، فقه اللغة د. وافى ٣

(٤) اللسان مادة (زوج) ٣/١٨٨٤ وما بعدها ، القاموس ١/١٩٢ .

للدكتور عبد المنعم عبد الله محمد
مدرس أصول اللغة بجامعة الأزهر

بالأخرى ، والتعلق قائم بين نمطى التعبير والثنائية فى الكلام ، كما أن المعجم الوجيز قرر أن مزدوج الثمر هو النبات الذى يحمل نوعين من الثمار مختلفى الصفات ، والازدواج اللغوى بثنائية (التعبير التى تمثله المستويات اللغوية يتسم بهذه المغايرة فى الصفات).

وقد يتسع مفهوم الازدواج لينضوى تحته كثير من الألوان الأدائية أو الأنماط المختلفة للتعبير ، أو اللهجات قبل الاسلام ، والعاميات بعد الاسلام ، وان كانت فى النهاية تؤول اليه ، فالأنماط المعبر بها اما فصيحة أو غير فصيحة .

وقد اختلف مفهوم الازدواج من عصر الى عصر ، ففى الجاهلية — مثلا — لم يكن لونا التعبير على طرف النقيض ، غاية الأمر أنه « كان فى الجزيرة العربية نمطان متقابلان من الأداء ، أحدهما واضح بين ، والآخر ليس بهذه المنزلة من الوضوح والبيان » (١) .

ولا ريب فى أن اللون الواضح البين هو ما أطلقوا عليه اللغة النموذجية الأدبية المشتركة التى لاكتها الألسنة فى الأسواق الأدبية والمحافل العامة نظما ونثرا ، والثانى — دون الفصيح — يمثل اللهجات العربية المختلفة فى هذه الفترة ، وهذه لم يتطرق اليها اللحن ، « ولم يكن فى الجاهلية البتة ، وكل ما كان فى بعض القبائل من خور الطباع وانحراف الألسنة فانما هو لغات لا أكثر » (٢) كما أنه لا يمكننا أن نلغى عن هذا النمط الذى هو فى الحقيقة أنماط متعددة صفة الوضوح والبيان جملة وتفصيلا « وانما نعنى أن أداء بيئة ما بين فيها لا محالة لكن البيئات الأخرى لا تتمثله تمثلها ، وذلك راجع الى أن كل بيئة قد التزمت أعرافا خاصة فى الأداء » (٣) ، ومن ثم حصر بعض المحدثين (٤) الازدواجية قبل الاسلام فى مستويين : فصيح ، ودون الفصيح .

فاذا ما انتقلنا بمفهوم الازدواج اللغوى الى ما بعد الاسلام وجدنا له كنها آخر يتمثل فى وجود لونين من الأداء ، أحدهما : اتسم بالسلامة اللغوية ، والآخر لم يلتزم ذلك ، حيث شاع فيه اللحن ، ومن هنا اختلف مفهوم الازدواج فى هذه الفترة عن ذى قبل ، فالمستوى الثانى هنا ليس دون الفصيح رتبة ، ولكنه منه على النقيض نتيجة الاختلاط بالأعاجم وغير ذلك من الأمور التى سنتعرض لها ، يؤكد ذلك الجاحظ فى تقريره « ولأهل المدينة ألسن ذلقة ، وألفاظ حسنة ، وعبارة جيدة ، واللحن فى عوامهم فاش ، وعلى من

◄

(١) الاعراب سمة العربية الفصحى / د. محمد البنا ١٣ .
(٢) تاريخ آداب العرب / الرافعى ١/٢٣٧ .
(٣) الاعراب سمة العربية الفصحى / ١٣ .
(٤) مستويات العربية المعاصرة فى مصر/ ٢١ .

لم ينظر فى النحو منهم غالب ويمكن أن ينسحب هذا المفهوم لمدلول الازدواج اللغوى بهذه الماهية على عصور العربية كلها بعد ذلك ، فاذا تتبعناه فى عصرنا الحديث وجدناه ينطبق — تماما — على الفصحى والعامية وما بينهما من تغاير وتباين .

وقد عدد بعض الباحثين المحدثين أنماطا كثيرة بين هذين المستويين . وصل بها الى خمس مستويات على هذا النحو :

١ — فصحى التراث :

فصحى تقليدية غير متأثرة بشىء نسبيا .

٢ — فصحى العصر .

فصحى متأثرة بالحضارة المعاصرة على الخصوص .

٣ — عامية المثقفين :

عامية متأثرة بالفصحى وبالحضارة المعاصرة .

٤ — عامية المتنورين :

عامية متأثرة بالحضارة المعاصرة .

٥ — عامية غير متأثرة بشىء نسبيا لا بالفصحى ولا بالحضارة المعاصرة .

وخصص الباحث لكل مستوى طائفة معينة ودائرة خاصة تتعامل به ، الا أننا لا نرى فى هذه التنوعات المختلفة التى عددها الباحث الا لونين فقط هما لب القضية :

الفصيح والعامى . فالفصحى لها سماتها وطبيعتها وأنظمتها ، والعامية لها خصائصها التى تدور فى فلك التلقائية وعدم الاطراد .

وعلى ذلك فاننا نستطيع القول بأن الازدواج اللغوى فى عصرنا يدور أساسا حول التزام قواعد الفصحى أو عدم التزامها .

وهكذا تغير مدلول مصطلح الازدواج اللغوى من عصر الى عصر ، فماذا عن دلائل هذا الازدواج عبر العصور وملامحه ؟ هذا ما سنحاول القاء الضوء عليه .

أولا — الازدواج اللغوى قبل الاسلام :

تبين لنا مما تقدم أن الازدواج اللغوى قبل الاسلام تمثل فى وجود اللغة الأدبية المشتركة فى جانب . واللهجات العربية المتنوعة فى جانب آخر ، واذا كانت السلامة والدقة اللغوية توافرت فى كلا الجانبين فان كل مستوى من هذين المستويين كان له ما يميزه عن الآخر .

أما عن دلائل الازدواج اللغوى فى هذه الفترة فهى كثيرة ومتعددة تنبعث من بطون كتب التراث بمثابة « الاشارات السريعة المتناثرة بما يسمى بلهجات العرب » (١) وبناء على تلك اللهجات الواردة فى كتب الأقدمين أمكن الحكم بوجود الازدواج اللغوى فى هذه الفترة .

ولو أردنا دليلا ثانيا على هذا الازدواج لتبين لنا أن فصاحة قريش تعد بمثابة الدليل على هذا الازدواج . فحينما ينقل السيوطى عن أبى نصر الفارابى أن قريشا « كانت

(١) لهجة البدو فى الساحل الشمالى لجمهورية مصر العربية / د. عبد العزيز مطر . تصدير أنيس ص حـ

اجود العرب انتقاء للافصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعا ، وأبينها ابانة عما فى النفس » (١)، كما ينقل ابن فارس قوله : « أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لغة ، وذلك لأن الله تعالى اختارهم من جميع العرب ، واختار منهم محمدا ﷺ فجعل قريشا قطان حرمه وولاة بيته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش . وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها ، اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصفى كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التى طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب » (٢) .

نفهم من هذين النصين أن قريشا أفصح العرب . ومن ثم تستشف شيئا آخر وهو أن هناك مستوى آخر دونها فى الفصاحة ، وهذا هو الازدواج الذى نحن بصدد التدليل عليه.

ولو أردنا دليلا ثالثا لطالعتنا الظواهر اللهجية المتعددة التى أشار اليها كثير من اللغويين فى محاولة وصفهم للغة قريش بأنها ارتفعت فى الفصاحة عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجع قيس ، وعجرفية ضبة ، وتلتلة بهراء » (٣) ، ولا ريب فى أن سمات المستوى الثانى — دون الفصيح — واضحة فى تلك الظواهر اللهجية التى ميزت لهجات تلك القبائل المختلفة ، فالعنعنة ، والتلتلة ، والكشكشة ، والكسكسة ، والعجرفية ، والتضجع ، وغير ذلك ما هى الا سمات ومظاهر للمستوى الثانى من الازدواج اللغوى ، وليست هذه المظاهر أو السمات بقليلة ، بل هى كثيرة قسمها بعض الباحثين (٤) بحسب ألقابها ونسبتها الى ذويها الى ثلاثة أقسام :

(أ) لهجات منسوبة الى أصحابها ولها لقب تعرف به كالعنعنة .

(ب)لهجات منسوبة وليس لها لقب .

(ج) لهجات غير منسوبة وليس لها لقب .

ولو تتبعنا النوع الأول فى كتب التراث لوجدناه من الكثرة بمكان ، ويكفينا للتدليل على وجود الازدواج اللغوى ، كما أن كل مظاهره تدور فى فلك واحد وهو ابدال بعض الحروف من بعض حيث اختلاف اللهجات .

واذا أردنا أدلة أخرى لاثبات هذه الازدواجية لوجدنا المشترك والمتضاد والمترادف دلائل قوية على وجود هذه الظاهرة فمن « الأسباب الرئيسية لوقوع المشترك فى اللغة وجود كلمة هى هى من حيث اللفظ عند أكثر من قبيلة مع الاختلاف فى المعنى أو الاستعمال فى كل من هذه القبائل ، فاذا ما حدثت وحدة بينها اكتسب اللفظ أكثر من معنى من القبائل التى كانت تستعمله ...

---

(١) المزهر ٢١١/١ .

(٢) المزهر ٢١٠/١ .

(٣) مجالس ثعلب / القسم الاول ٨٠ : ٨١ .

(٤) أنظر : تاريخ آداب العرب ١٤٠/١ : ١٦٦ ، وأيضا اللهجات العربية / د. ابراهيم نجا ٨١ .

ومن ذلك (السرداح) و (السردحة) بمعنى الناقة الطويلة ، وقيل الشديدة التامة ، ويكون معناه الجماعة من شجر الطلح الواحدة سرداحة ، والأرض : المستوية والبعيدة وهذا اللون من الألفاظ موجود فى العربية ومن الناس من أوجب وقوعه لأن المعانى غير متناهية والألفاظ متناهية ، فاذا وزع لزم الإشتراك (١) ووقوعه أما من واضعين ، بأن يضع أحدهما لفظاً لمعنى ، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر ، ويشتهر ذلك اللفظ بين الطائفتين فى افادته المعنيين ، ولا ريب أنه بذلك دليل من أدلة الازدواج .

أما المتضاد ، وهو لون من ألوان المشترك فانه أيضا يثبت هذه الظاهرة ، « فالناهل فى كلام العرب العطشان ، والناهل الذى شرب حتى روى ، والسدفة فى لغة تميم الظلمة ، والسدفة فى لغة قيس الضوء ، وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة » (٣) ، ويمكننا أن نضيف الى ذلك ظاهرة المترادف حيث دلالة أكثر من لفظ على معنى واحد ، وهذهالظاهرة ما كانت الا نتيجة تعدد القبائل العربية ، وتعدد اللهجات الخاصة بها فقد « يحدث أحيانا أن يدخل فى اللغة مجموعة من اللهجات المحلية المتباينة ، كل منها ببعض ثروتها من المفردات ، وفيها ما يتفق مع بقية اللهجات ، كما أن فيها ما يختلف ، فيظل هذا المختلف جنبا الى جنب فى نطاق هذه اللغة الواحدة ، وهو ما حدث لكثير من لغات العالم الكبرى ومن بينها العربية » (٤) ، وقد أفصح السيوطى عن سببين لوجود هذا اللون نقلا عن أهل الأصول ، أحدهما — أن يكون من واصفين وهو الأكثر ، بأن تضع احدى القبيلتين أحد الاسمين ، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر باحداهما الأخرى ، ثم يشتهر الوضعان ، ويخفى الواضعان ، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر ،

والثانى — أن يكون من واضع واحد وهو الأقل .

ولو تأملنا فى سببى نشأة الترادف عند الأصوليين كما نقلها السيوطى لتبين لنا أن الأول منهما هو المشهور الذى اعتمد عليه الباحثون ، وهو بهذا المضمون يعد دليلا على وجود الازدواج اللغوى .

وهكذا تعددت دلائل الازدواج اللغوى ، ويمكن أن يضاف اليها أيضا ما ورد بين ثنايا مصنفات العربية (١) من حديث حول معرفة مختلف اللغة ، تداخل اللغات ، توافق اللغات الحوشى والغريب والشواذ والنوادر المطرد والشاذ ، الردىء والمذموم ، الضعيف والمنكر ، معرفة المفاريد .

هذ الأبواب اللغوية تدل بما لا يدع مجالا للشك على وجود نمطين للأداء قبل الاسلام .

أما عن الظواهر التى ميزت كل نمط عن

---

(١) المزهر ١/٣٦٩ .
(٢) المزهر ١ / ٣٨٩ : ٣٩٠ .
(٣) كلام العرب ١٠٤ .

(٤) انظر فى هذه الظواهر : الخصائص ، المزهر ، فقه اللغة لابن فارس .

الآخر ، فانه ينبغى لنا أن نقرر فى بادىء الأمر أن هذا الازدواج بشطريه كان متسما بالسلامة اللغوية ، ودليلنا على ذلك ما قرره ابن جنى من أن « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » (١) وأيضا « باب اختلاف اللغات وكلها حجة » (٢) ، ويضرب مثالا على ذلك قائلا : « ألا ترى أن لغة التميميين فى ترك اعمال (ما) يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين فى اعمالها كذلك لأن لكل واحد من القومين ضربا من القياس يؤخذ به ، ويخلد الى مثله ، وليس لك أن ترد احدى اللغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحق بذلك من وسيلتها ، لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير احداهما فتقويها على أختها ، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها ، وأشد أنسابها ، فأما رد احداهما بالأخرى فلا ، هذا حكم اللغتين اذا كانتا فى الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين ، أو كالمتراسلتين ، فأما أن تقل احداهما جدا ، وتكثر الأخرى جدا ، فانك تأخذ بأوسعهما رواية ، وأقواهما قياسا ، ألا تراك لا تقول : مررت بك ، ولا المال لك ، قياسا على قول قضاعة : المال له ، ومررت به ، ولا تقول : أكرمتكن ، ولا أكرمتكن قياسا على لغة من قال: مررت بكن ، وعجبت منكن ... الى أن يقول فاذا كان الأمر فى اللغة المعول عليها هكذا ، وعلى هذا ، فيجب أن يقل استعمالها ، وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها ، الا أن انسانا لو استعملها لم يكن مخطئا لكلام العرب ، لكنه يكون مخطئا لأجود اللغتين ، فأما ان احتاج الى ذلك فى شعر أو سجع فانه مقبول منه غير منعى عليه ، وكذلك ان قال يقول : على قياس من لغة كذا كذا ، ويقول على مذهب من قال كذا كذا ، وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء ، وان كان غير ما جاء به خيرا منه ، نخرج من هذا بأن نمطى التعبير فيما قبل الاسلام لا غبار عليهما بالنسبة للسلامة والدقة اللغوية ، أما سمات كل نمط على حدة ، فيمكن اجمالها فيما يلى :

(١) اللغة النموذجية الأدبية المشتركة :

هى لغة عامة مشتركة بين جميع القبائل (٣) تتسم بالسهولة والرقة « والاعراب والبيان والفصاحة ، لأن العرب أجمعين كانوا يتفاهمون بها ويلوذون اليها » (٤) .

ومن ثم خلت هذه اللغة من الظواهر اللهجية الخاصة ، ويعلل ذلك الرافعى (٥)

(١) الخصائص ٣٥٧/١ .
(٢) الخصائص ٢ ـ ١٠ : ١٢ .
(٣) مستويات العربية المعاصرة ٢٢
(٤) الاعراب سمة العربية الفصحى ١٣ بتصرف
(٥) تاريخ آداب العرب ١٣٥/١١ .

الازدواج اللغوى

بقوله : « لأن هـذه اللغات جـرت من أول عهدها على اندماج النوع الأدنى منها فى النوع الأرقى ، واستمر ذلك بين العـرب ، فكلمـا انتشرت لغة أو لغات لقوم دون قوم تعاورها كل ،وبهذا جعلت القبائل تـدرج فى سـبيل الوحدة اللغوية العامة التى تقضى بها سـنة الحياة » .

من هذه السمات التى اتصـفت بها اللغـة المشتركة النموذجية الأدبية يمكننا أن نجمـع تلك الخصائص فى تقرير بعض المحـدثين (١) حيث عرفها بأنها هى التى « تتجرد من المزايا الاقليمية ، وتتمتع بالخصـائص اللغـوية العامة ، والتى يستطيع بها أصحاب اللهجـات جميعا أن ينتجعوها ويتكلموا بها دون حـرج أو تصعب ، لأن خصائص تلك اللغة لم تجنح الى التفريق المبنى على العصبية للهجة معينة ، ولذلك لا ترى الألسنة صعوبة فى النطق بها ، ولا الأفواه مشقة على التعود عليهـا » تلكم كانت معالم وملامح المستوى الأول .

(ب) اللهجات العربية المختلفة :

هذا النمط من التعبير يلتـزم الســلامة اللغوية والدقة أيضا الا أنها أقـل فصـاحة وجزالة وسهولة من المستوى الأول فهى « لغة الخطاب والتعامل ، ولابد أن يكون التطور قد أحدث فيه آثاره فى كثير من جوانبه ، ومنهـا الجانب الاعرابى ... فقد نسبت الى هذيل وطىء وقيس وأسد وأهل الحجاز أعـــراف لغوية ، لكن اللغة الأدبية التى انتهت الينا من هذه البيئات لغة مشتركة لا تفصح عن عــرق كل منها » (٢) ، ولما كان هذا المستوى اللهجى وثيقة الصلة بالحياة المتطورة المتجدد كـان دائم التطور من جانب وأقل فصاحه من جانب آخر لأن الفرد يستخدم لهجة قبيلته المحليـة « أصواتا ومفردات وتركيبات ، وقد تعرضـنا لنماذج عديدة أفصحت عن سـمات هـذا المستوى ودلت على أنه « أقرب ما يكـون الى ردود الأفعال ، يتسـم بالسرعـة فى الأداء ، وتقوم فيه الكلمة مقام الجملة ، والاشـارة مقام العبارة البليغة ، وقد يكون الصمت فيـه أبلغ من كل كلام » (٣) .

تلكم كانت ملامح الازدواج اللغوى قبـل الاسلام .

فمـاذا عن المرحلة التى أعقبت انتشـار الاسـلام .

---

(١) اللهجات العربيه ـ د . نجا ٢٣ : ٢٤

(٢) الاعراب سمة العربية الفصحى ١٢ باختصار

(٣) المعجم الوجيز مادة (ل ح ن) ص ٥٥٤ .

اسم الجمع

للدكتور خالد عبد الحميد السيد

أحكام اسم الجمع :

لم يضع النحويون لاسم الجمع أحكاما بعينها يمكن الرجوع اليها ، وانما ذكروا نتفا منها عرضا ، لا على سبيل أنها من أحكامه ، وانما على أنها من علاماته كأن يقولوا ان من علامة اسم الجمع أن يصغر وأن ينسب اليه على لفظه ٠

ونريد الآن أن نتبين هذه الأحكام ٠

جمعه :

ونبدأ هذه الأحكام بهذا التساؤل اذا كان اسم الجمع يدل على ما يدل عليه جمع القلة (٢) ، وكانت جموع القلة يقاس جمعها عند الأكثرين (٣) ٠ فهل يقاس جمع اسم الجمع أيضا ؟

الذى يظهر من كلام سيبويه أنه لا ينقاس جمعه ٠ والذى يظهر من كلام غيره جواز جمعه (٤) ٠ ففى التسهيل (يجمع اسم الجمع وجمع التكسير غير الموازن (مفاعل) أو (مفاعيل) أو (فعلة) أو (فعلة) لما يثنيان له جمع شبههما من مثل الآحاد (٢) فجمعه لاسم الجمع وللجمع فى حكم واحد يفيد أنه مقيس جمعه مثل الجمع ٠

والأولى فى ذلك ما ذهب اليه سيبويه لأن هذه الجموع جاءت على خلاف القياس الذى ينبغى أن يجىء عليه الجموع ٠ فأهال جمع (أهل) وقياسه أن يكون جمع (أهلاه) و (أراهط) جمع (رهط) وكان ينبغى أن يكون جمع (أرهط) وهو غير وارد (٦) ٠ وحتى اذا

◄

(١) المخصص ٦٣/١٦ وشرح الشافية للرضى ١٩٩/٢ ٠

(٢) مجموعة شروح الشافية للجاربردى وغيره ٩٣/١ ٠

(٣) الهمع ١٨٣/٢ ٠

(٤) الارتشاف ١٢٣/١ والهمع ١٨٤/٢ ٠

(٥) التسهيل ٢٨٢ ٠

(٦) سيبويه ٦١٦/٣ ـ ٦١٧ شرح ابن يعيش ٧٢/٥ ـ ٧٣ شرح الشافية للرضى ٢٠٤/٢ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ٠

قيل أنه قد ورد فى اللغة (أرهط) كما قال الشاعر :

وفاضح مفتضح فى أرهطه

وقول رؤبة :

وهو الذليل نفرا فى أرهطه

فانه يكون حينئذ جمعا للجمع لا جمعا لاسم الجمع •

تصغيره والنسب اليه :

اسم الجمع ـ كما سبق ـ يصغر على لفظه ، وعلل سيبويه ذلك بأنه (بمنزلة الواحد الا أنه يقع على الجميع) (١) ، وعلل لذلك فى شروح الشافية بأنه (بمنزلة جمع القلة حيث لم يختص بالكثرة) (٢) ،والتعليل الأول أولى لأن جمع القلة وان يصغر على لفظه لقرب القلة من معنى التصغير ، فهو يصغر أيضا على بناء واحده ثم يجمع السلامة فتقول فى أكلب أكيلب أو كليبات •

فيصغر على لفظه سواء جاء من تركيبه واحد كراكب وراجل وركب ورجل فتقول : ركيب ورجيل • أو لم يجىء فتقول فى قوم ونفر قويم ونفير •

وان كان اسم الجمع مؤنثا لحقته التاء عند تصغيره فتقول فى ابل وغنم : أبيلة وغنيمة (٣) •

وأما الأخفش ـ كما سبق ـ فانه يرد نحو : (ركب ورحل) الى الواحد ثم يصغره على لفظه ، ثم يلحقه الواو والنون اذا كان لمذكر ما يعقل ، فان كان للمؤنث أو لما لا يعقل جمع بالألف والتاء فتقول رويكبون رجيلون ورويكبات ورجيلات•

ولكن لو جمع شىء من اسم الجمع ، فكيف نصغره ؟

ان كان قد جمع جمع قلة فانه يصغر على لفظه فتقول فى نحو : أقوام وأنفار ، أقيام وأنيفار ، وأن كان قد جمع جمع كثرة نحو : الأراهط فانك ترده الى مفرده ثم تصغره ثم تضيف اليه علامة جمع المذكر السالم أو جمع المؤنث السالم ـ كما سبق ـ فتقول رهيطون (٤) •

وكذلك تنسب الى اسم الجمع على لفظه سواء كان له من تركيبه واحد نحو : ركب أو لم يكن نحو : ابل وقوم فتقول : ركبى وابلى وقومى • وعلل سيبويه ذلك بأنه (لم يكسر له واحد وان كان فى معنى الجميع) (٥) •

وان جمعت اسم الجمع أتيت بواحدة فنسبت اليه كما تقول فى النسبة الى نساء نسوى ، لأن واحده نسوة ، وهو اسم جمع • وكذا تقول فى أنفار وأنباط نفرى ونبطى (٦) • وانما يرد حينئذ الى الواحد لأن أصل المنسوب اليه والأغلب فيه أن يكون واحدا (٧) •

(١) الكتاب ٣/٤٩٤ •
(٢) مجموعة شروح الشافية ١/٩٣ •
(٣) المقتضب ٢/٢٩١ وابن يعيش ٥/٣٣ •
(٤) كتاب سيبويه ٣/٤٩٤ وابن يعيش ٥/١٣٣ •
(٥) الكتاب ٣/٣٧٨ •
(٦) الكتاب ٣/٣٧٩ •
(٧) شرح الشافيه للرضى ٢/٨٠ •

تأنيثه وتذكيره :

ذكر أكثر علماء العربية أن اسم الجمع اذا كان لما لا يعقل لزمه التأنيث (٢) كابل وغنم فتدخله الهاء اذا صغر ــ كما سبق .

ولكن ابن الأنبارى فى البلغة (٣) والبطليوسى فى الحلل (٤) قد ذكرا أن (الذود) من الابل يذكر ويؤنث وان كان أكثره مؤنث . ومن تذكيره قولهم :

الذود الى الذود ابل

وأما اسم الجمع الذى يكون للعقلاء فبعضه مذكر كقوم ورهط . وبعضه يجوز تذكيره وتأنيثه كالركب والصحب . قال الشاعر

مع الصبح ركب من احاظه مجفل (٥)

واذا وقع اسم الجمع فاعلا أو نائب فاعل جاز تأنيث فعله وتذكيره مطلقا اذا كان معربا ، لأنه فمعنى الجماعة ، والجماعة مؤنث مجازى . قال تعالى (**وقال نسوة** (٦)) وقال (**كذبت قبلهم قوم نوح**) (٧) أما اذا كان مبنيا (كالذين) فانه لا يقال فيه : قالت الذين (٨) .

العدد مع اسم الجمع .

العدد له أحكام خاصة مع الألفاظ المختلفة . فما حكمه مع اسم الجمع ؟

ان كان اسم الجمع لمن يعقل كالقوم والنفر . فحكمه حكم المذكر مع العدد . فتقول عندى ثلاثة من القوم وأربعة من النفر . وان كان لما لا يعقل فحكمه حكم المونث كالجامل والباقر .

واذا وقع اسم الجمع مميزا للثلاثة الى العشرة وما بينهما خفض (بمن) اتفاقا فتقول : لقيت عشرة من القوم قال تعالى (**فخذ أربعة من الطير**) (٩) .

واذا كان الجمع يضاف اليه العدد من الثلاثة الى العشرة فهل يعامل اسم الجمع نفس المعاملة ؟

الحق أن العلماء لهم فى ذلك ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول :

اجازته على قلة . وهو ظاهر كلام ابن هشام تبعا لابن عصفور .

المذهب الثانى :

أنه مقصور على السماح وهذا مذهب الأكثرين .

المذهب الثالث :

التفصيل فان كان مما يستعمل للتليل فقط

(٢) المقتضب ٣/٣٤٧ ـ شرح الكافية للرضى ٢/١٧١ ـ الف باء ١/٣٤٢ ـ ٣٤٣ اللسان (غنم) والمصباح ١/٢ .
(٣) البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ٧٢ .
(٤) الحلل فى اصلاح الخلل من كتاب الجمل ٣١٠ .
(٥) شرح الكافية للرضى ٢/١٧١ .
(٦) يوسف ٣٠ .
(٧) الحج ٤٢ وآيات اخرى .
(٨) التصريح ١/٢٨٠ .
(٩) البقرة ٢٦٠ .

اسم الجمع

نحو : نفر ورهط وذود جاز ، وان كان يستعمل للقليل والكثير كقوم ونسوة لم يجز وهذا الرأى حكاه الفارسى عن المازنى (١) •

والذى تميل اليه النفس من هذه المذاهب هو المذهب الثانى لقلة ما جاء من ذلك كقوله تعالى ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ (٢) ﴾ وقول الشاعر :

ثلاثة أنفس وثلاث ذود

لقد جار الزمان على عيالى

بين الجمع واسم الجمع :

وبعد أن تبينا حقيقة اسم الجمع ووقفنا على أحكامه بقى علينا أن نفرق بينه وبين الجمع فاذا كان الجمع منه سالم ومكسر ، والمكسر منه ما يدل على القلة ومنه ما يدل على الكثرة فان اسم الجمع لا يلتبس بالجمع السالم ذلك أن للسالم علامة تميزه عن غيره من الجموع ومن أسماء الجموع • كما أن جمع الكثرة لا يلتبس باسم الجمع لاختلاف الدلالة

فى كل منهما ذلك أن جمع الكثرة يتناول ما فوق العشرة واسم الجمع يتناول ما تحتها فاختلفا • فلم يبق الا التفريق بين جموع القلة واسم الجمع • فيفرق بينهما بأن جمع القلة يكون له مفرد يوافقه فى أصل اللفظ دون الهيئة وفى الدلالة عند عطف أمثاله عليه كرجال ، له واحد يوافقه فى الحروف الأصلية دون الهيئة ويقال فيه : قام رجل ورجل ورجل ، أو يوافقه فى اللفظ والهيئة مع المخالفة فى التقدير — كفلك — عند الأكثرين • فانه فى حالة الافراد نظير (قفل) وفى حالة الجمع نظير (رسل) بخلاف اسم الجمع فانه يأتى ولا واحد له من لفظه بل له واحد من معناه (كالابل) فواحدها البعير • أو يكون له من لفظه ما يدل على مفرده ولكنه فى الحقيقة ليس مفردا له •

وعلى هذا ففى قول كثير من النحاة ان اسم الجمع يكون له — أحيانا — مفرد من لفظه كركب فواحده راكب فى قولهم هذا تسامح ، فان راكبا فى الحقيقة ليس واحدا لركب وانما هو يدل على واحده • لأنه لو كان كذلك لكان نحو : (ركب) جمعا على غير قياس لأن أهم ما يميز اسم الجمع أنه لا مفرد له من لفظه • ولعل هذا هو الذى دعا الأخفش والفراء أن يقولا ان نحو : ركب وصحب وجامل وباقر وغيرها مما له مفرد من لفظه أنها جموع قلة لا أسماء جمع •

ولعل عبارة سيبويه فى هذا هى المحررة حيث قال (هذا باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يكسر عليه واحده ، ولكنه بمنزلة قوم ونفر وذود الا أن لفظه من لفظ واحده ، وذلك قولك : ركب وسفر ، فالركب لم يكسر عليه راكب ••) (٣) فقوله (لم يكسر عليه واحده) يشعر بأن نحو : راكب وسافر ليسا بمفردين لركب وسفر ، وانما هما مفردان لجمع آخر

(١) ينظر الخلاف فى التصريح ٢/٢٧٠ •
(٢) النمل ٤٨ •
(٣) الكتاب ٣/٦٢٤ •

بدليل أنه قال بعد ذلك (ولكنه بمنزلة قوم ونفر وذود) أى هو بمنزلته فى شيئين فى كون كل منهما اسم جمع • وفى كون كل منها لا مفرد له • من لفظه • وأما نحو راكب وسافر فهو شىء يشير للمفرد وليس بمفرد •

واننى لأتساءل اذا كان اسم الجمع يعامل معاملة المفرد فى كل شىء ، فهو مفرد فى اللفظ وفى الوزن وفى سائر الأحكام اللفظية • فكيف يكون للمفرد مفرد ؟

ان الفرق بين راكب وركب ، أن راكب مفرد لفظا ومعنى ، وركب مفرد لفظا جمع فى المعنى • اذن ففيه شائبة الافراد فكيف يجعل له مفرد •

وقد حقق ذلك الرضى فقال (فان قيل فنحو : ركب فى راكب ، وطلب فى طالب وجامل وباقر فى جمل وبقر داخل فيه اذ آحادها من لفظها كما رأيت — أخذ راكب — مثلا — وغيرت حروفه فصار (ركب) قلت : ليس راكبا بمفرد ركب وان اتفق اشتراكهما فى الحروف الأصلية • وانما قلنا ذلك لأنها لو كانت جموعا لهذه الآحاد لم تكن جمع قلة لأن أوزانها محصورة بل جموع كثرة وجمع الكثرة لا يصغر على لفظه بل يرد الى واحده •• وهذه لا ترد نحو : ركيب وجويمل وأيضا لو كانت جموعا لردت فى النسب الى آحادها ولم يقل ركبى وجاملى وأيضا لو كانت جموعا لم يجز عود الضمير الواحد عليها •• انتهى (١)) •

اذن (فراكب) لم يوضع فى الأصل ليكون مفردا (لركب) وان اتفق اشتراكهما فى الحروف • وانما وضع ليكون مفردا لألفاظ أخرى جاءت على أوزان الجموع هى :

ركاب وركوب وركبان (٢) • وصاحب أيضا جمعه : صحابة وصحابة (٣) ، وسافر جمعه سفار (٤) • وباقر ليس جمعا لبقرة لأن الباقر انما هو جماعة البقر مع رعاتها وكذلك (جامل) ليس مفرده (لجمل) لأن الجامل هو جماعة الجمال مع راعيها (٥) •

وهكذا فى بقية الأمثلة • فعبارة سيبويه يمكن أن تفهم على أنه لم يكسر عليه واحده ، أى : لأن هذا الواحد كسر فى جمع آخر جاء على أوزان الجموع •

ومن الفروق الواضحة بين الجمع واسم الجمع آنه اذا كان اسم الجمع يشارك الجمع فى المدلول — كما سبق — فانه يخالفه فى اللفظ ذلك أن اسم الجمع يعامل فى اللفظ معاملة المفرد فيصغر وينسب اليه على لفظه ويعود اليه الضمير مفردا كقول الخطيئة •

فان تك ذا مال كثير فانهم
لهم جامل ما يهدأ الليل سامره

ويخبر عنه ويوصف بالمفرد •

ومن الفروق بينهما أيضا أن الجمع انما يأتى على صيغ وأوزان خاصة به نحو عباديد وشماطيط • أو غالبة فيه نحو : أعراب وهذه الضيغة تغاير صيغة المفرد

---

(١) شرح الكافية ٢/١٧٧ — ١٧٨ •
(٢) اللسان (ركب) ٣/١٧١٢ •
(٣) اللسان (صحب) ٤/٢٤٠٠ •
(٤) اللسان سفر ٣/٢٠٢٤ •
(٥) اللسان (بقر) ١/٣٢٤ •

اما ظاهرا واما تقديرا فالمغايرة الظـــاهرة اما بالحركات كأسد وأسد ، واما بالحــركات والحروف كقلم وأقــلام • والتغيير المقــدر كهجان وفلك (٢) أما اسم الجمع فهو بخــلاف ذلك • فتجيء أوزانــه عــلى حسب أوزان الأسماء المفردة (٣) كانت هذه كلها فروقــا بينهما من حيث اللفظ • ولكن هل يمكننــا أن نضع لهما فرقا من ناحية المعنى ؟

يمكننا أن نفــرق بينهما من حيث الدلالة بأنه اذا كان الجمع موضوعا للآحاد المجتمعــة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف كمساجد وأبابيل فان اسم الجمع موضوع لها ليدل عليها دلالة المفــرد على جملــة أجــزاء مسماه كقوم ورهط (٤) •

ونظرا لاشتراك الجمع واسم الجمــع فى الدلالة على الجمع فقد رأينا بعض علمـــاء اللغة يطلقون الجمع على اسم الجمع باعتبار المعنى • ففى اللســان (الصــحب : جمــع الصاحب مثل راكب وركب) (٥) وفى مكــان آخر (والسفر جمع سافر) (٦) وفى موضع ثالث (وكان فى المدينة تسعة رهط ، فجمــع ولا واحدا له من لفظه) (٧) والمطــرزى فى المغرب يقول (السفر المسافرون جمع سافر كركب وصحب فى راكب وصاحب) (١) كمــا رأينا مثل ذلك فى المختار (٢) والخــزانة (٣) وغيرها • ولهذا قال صاحب التــاج (وأهــل اللغة يطلقون الجمع على ما يدل على جمــع ولو لم يقتضيه القيــاس كأسـماء الجمــوع وأسماء الأجناس الجمعية (٤)) •

أقول : وفى هــذا كلــه رد على من ادعى اتفاق العلماء على أن نحو : رهط ونفر اســم جمع وهو الرضى (٥) • وممن نقل خــلافا فى ذلك صاحب المصباح حيث قال (وقيل : اسم الجنس •• وكذلك اسم الجمع نحو قوم ورهط من جموع القلة) (٦) •

اسم الجمع واسم الجنس الجمعى :

وهناك نوع آخر من الكلم يشارك اســم الجمع ــ أحيانا ــ فى دلالته على الجمعية وهو ما يطلق عليه اســم الجنس الجمعى وهــو ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء نحوة ثمــرة وثمر أو بالياء نحو : رومى وروم •

وعلينا أن نميز هذا النوع أيضا عن اســم الجمع فهناك فروق واضحة بينه وبين اســم الجمع ذلك أن هذا النوع موضوع فى أصله للحقيقة والماهية فهو صالح للقليل والكثير فيقع

(٢) الهمع ١٨٤/٢ •
(٣) شرح الجمل لابن عصفور ٥٤٢/٢ •
(٤) مجمــوعة شروح الشــافية للجاربردى وابن جمــاعة وآخرين ٩٣/١ وشرح لامية العجم ١٢٦/١ ــ ١٢٧ •
(٥) اللسان صحب ٢٤٠٠/٤ •
(٦) اللسان سفر ٢٠٢٤/٣ •
(٧) اللسان رهط ١٧٥٣/٣ والآية ٤٨ النمل •

(١) المغرب فى ترتيب المعرب ص ٢٢٦ •
(٢) مختار الصحاح رهط ٢٥٩ والصــحاح (رهط) •
(٣) الخزانة ٣٨٣/٤ •
(٤) تاج العروس (سفن) ٢٣٦/٩ •
(٥) شرح الشافية ٢٠٤/٢ •
(٦) خاتمة المصباح المنير ٦٩٥ •

الثمر على الثمرة والثمرتين والثمرات . وكذا الروم بخلاف اسم الجمع فهو موضوع فى أصله للدلالة على مجموع آحاد معينة فلا يقع على الواحد والاثنين .

هذا هو الفرق بينهما من حيث الدلالة والمعنى . وهناك فرقان واضحان بينهما من حيث اللفظ .

أولهما : أن اسم الجنس لابد له من واحد بخلاف اسم الجمع فقد يكون له واحد . وقد يكون له ما يشبه الواحد ـ كما تقدم .

وثانيهما : أن إسم الجنس يفرق بينه وبين واحدة بالتاء أو بالياء بخلاف اسم الجمع (٧) .

ويبدو أن سيبويه لم يكن يفرق بين اسم الجنس الجمعى وبين اسم الجمع . فانه بعد أن جعل لاسم الجنس الجمعى بابا جعل عنوانه (هذا باب ما كان واحدا يقع على الجمع ويكون واحده على بنائه من لفظه الا أنه مؤنث تلحقه هاء التأنيث ليتبين الواحد من الجمع) وذكر فيه حلقة وحلق وفلكة وفلك (٨) . نجده يكرر ذلك فى باب اسم الجمع الذى جاء عنوانه (هذا باب ما هو اسم يقع على الجميع لم يكسر عليه واحده ولكنه بمنزلة قوم ونفر وذود الا أن لفظه من لفظ واحده) فبعد أن ذكر فيه أفيق وأفق وعمود وعمد يقول : ومثل ذلك حلقة وحلق وحلق وفلكه وفلك) (١) وقد تبعه فى هذا جماعة منهم الزمخشرى فى المفصل (٢)وابن سيده فى المخصص (٣) وابن مالك فى التسهيل (٤) . يقول أبو حيان (وقد أورد ابن مالك رحمه الله فى أسماء الجموع جملة ما بينه وبين المفرد تاء التأنيث وياء النسب ، وأصحابنا لا يسمون هذا النوع اسم جمع ، بل يسمونه اسم جنس) (٥) .

نخلص من كل ذلك الى ما نص أنه يمكن أن يوضع لاسم الجمع قاعدة عامة تحصر مفرداته المتفرقة ، وتكون حكما بين النحاة الذين اختلفوا فيه . وهى أن كل ما دل على جمع ولم يكن على وزن الجمع . أو كان على وزنه ولكنه، عومل فى اللفظ معاملة المفرد ولم يطرد مفرده على وزن واحد . ولم يفرق بينه وبين واحده بالتاء أو بالياء . كل ما كان كذلك فهو اسم جمع سواء كان له من لفظه ما يدل على مفرده . أو لم يكن .

٢ ـ أن لاسم الجمع أحكاما أغفلها كثير من النحاة أو ذكروها عرضا منها : أنه لا ينقاس جمعه ـ وأنه ينسب اليه ويصغر على لفظه الا اذا جمع ـ وأنه يؤنث غالبا اذا كان لما لا يعقل ، فان كان لمن يعقل فبعضه مذكر وبعضه مؤنث ـ وأنه مع العدد يذكر ان كان لمن يعقل والا كان مؤنثا ـ وأنه اذا وقع مميزا جر بمن اتفاقا وأضيف اليه العدد على خلاف .

(٧) شرح الكافية للرضى ١٧٨/٢ وشرح الشافية له ٢ / ١٩٤ ـ ١٩٥ والصفدى على لامية العجم ١٢٦/١ ـ ١٢٧ والارتشاف ١٠٣/١ ـ ١٠٤ .
(٨) الكتاب ٥٨٢/٣ ـ ٥٨٣ .
(١) الكتاب ٦٢٤/٣ ـ ٦٢٥ .
(٢) شرح ابن يعيش للمفصل ٥ / ٧٧ ـ ٧٨ .
(٣) المخصص ١٢٠/١٤ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ .
(٤) التسهيل ٢٨٠ ـ ٢٨١ .
(٥) ارتشاف الضرب ١ / ١٢٥ (رسالة) .

٣ ــ أنه يمكننا أن نضع الفروق الدقيقة التى تفصل اسم الجمع عن الجمع واسم الجنس الجمعى .

٤ ــ أن نحو : راكب وصاحب ليسا بمفردين لركب وصحب وانما يدلان على مفرده .

٥ ــ أن بعض اللغويين والنحويين يطلقون لفظ الجمع على اسم الجمع لاشتراكهما فى الدلالة .

٦ ــ أن سيبويه لم يفرق بين اسم الجمع واسم الجنس الجمعى وتابعه فى هذا آخرون

٧ ــ انه قد اضطرب النقل عن الأخفش فى مسألة (ركب) و (صحب) .

٨ ــ أن نحو (طرفاء وقصباء) انما هو من قبيل اسم الجنس الجمعى لا من قبيل اسم الجمع .

أهم المراجع

١ ــ الكتاب لسيبويه بتحقيق عبد السلام هارون ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢ ــ المقتضب للمبرد . بتحقيق محمد عبد الخالق عضيمه ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية .

٣ ــ المخصص لابن سيده ط المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر بيروت .

٤ ــ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك بتحقيق محمد بركات نشر دار الكتاب العربى سنة ١٣٨٧ ، سنة ١٩٦٧ م .

٥ ــ ارتشاف الضرب لابى حيان رسالة من مصطفى النحاس الى كلية اللغة العربية بالقاهرة .

٦ ــ شرح الكافيه للرضى دار الكتب العلمية بيروت ط ثانية ١٩٧٩ .

٧ ــ الغيث المسجم فى شرح لامية العجم لصلاح الدين بن ايبك الصفرى ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥ .

٨ ــ مجموعة شروح الشافية للجاربردى وابن جماعة وآخرين ط بيروت .

٩ ــ شرح جمل الزجاجى لابن عصفور بتحقيق صاحب أبو جناح نشر وزارة الأوقاف العراقية ١٩٨٢ . .

١٠ ــ المصباح المنير ط المعارف .

١١ ــ اضاءة الراموش لابن الطيب الفاس مخطوط بدار الكتب ٣٩٦ لغة تيمور .

١٢ ــ همع الهوامع لجلال الدين السيوطى تصحيح بدر الدين النعسانى ط أولى ١٣٢٧ هـ .

١٣ ــ ألف باء لابى الحجاج يوسف البلوى ط عالم الكتب بيروت ١٢٨٧ هـ ٠

١٤ ــ الروض الأنف لعبد الله بن أحمد السهيلى بتحقيق طه عبد الرءوف سعد ط شركة الطباعة الفنية ٠

١٥ ــ المنصف لابن جنى بتحقيق ابراهيم مصطفى وغيره ط مصطفى الحلبى سنة ١٩٥٤ ٠

١٦ ــ خزانة الأدب للبغدادى ط المطبعة الميمنية سنة ١٢٩٩ هـ ٠

١٧ ــ شرح الكافية الشافية لابن مالك بتحقيق أحمد الرصد ــ رسالة الى كلية اللغة العربية ٠

١٨ ــ التصريح على التوضيح لخالد الأزهرى ط عيسى البابى الحلبى ٠

١٩ ــ شرح الشافية للرضى بتحقيق محمد نور الحسن وآخرين ط حجازى بالقاهرة

٢٠ ــ لسان العرب ط دار المعارف بتحقيق عبد الله الكبير وآخرين ٠

٢١ ــ العين للخليل بن أحمد بتحقيق مهدى المخزومى والسامرائى دار الرشيد للنشر ٠

٢٢ ــ المغرب فى ترتيب المعرب لناصر المطرزى ٠ دار الكتاب العربى بيروت ٠

٢٣ ــ شرح المفصل لابن يعيش عالم الكتب بيروت ٠

٢٤ ــ الاقتضاب لابن السيد البطليوسى تحقيق مصطفى السقا الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ ٠

٢٥ ــ البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث لابن الأنبارى ٠

٢٦ ــ الحلل فى اصلاح الخلل من كتاب الجمل بتحقيق سعيد عبد الكريم سعودى ٠ دار الرشيد للنشر ٠

أنباء وآراء

٥٩٫٤٠٠ دولار ثمن مصحف مخطوط من القرن السادس عشر

أ • ب :

* تم فى مزاد علنى فى لندن بيع عدة نسخ قديمة للقرآن الكريم ومخطوطات اسلامية نادرة ، والأجزاء التى بيعت من القرآن الكريم مخطوطة من القرن السادس عشر بحوالى ٥٩٫٤٠٠ دولار كما بيعت نسخة أخرى بسعر ٤٤٠٠ جنيه استرلينى •

قناة تليفزيونية عربية فى هولندا

لأول مرة ستشهد هولندا قناة تليفزيونية توجه برامجها باللغة العربية • فقد وافقت وزارة الثقافة والاعلام الهولندية على التصريح بانشاء قناة تليفزيونية باسم « أرابيسكو فيديونت » تكون مستقلة تماما وتعرض فقرات وبرامج عربية مع التصريح بالترجمة • سواء بأسلوب (الدوبلاج) (١) أو الكتابة على الشاشة باللغة الهولندية أو أى لغة أخرى •

تدير القناة التليفزيونية الجديدة شركة تمارس النشاط الثقافى والاعلامى بهدف التعريف بالحضارة العربية القديمة والمعاصرة •

والمعروف أن عدد المصريين فى هولندا سبعة آلاف من بين مائة وستين ألف عربى • كما يوجد فى هولندا أكثر من نصف مليون مسلم • والقناة التليفزيونية باللغة العربية تعتبر الأولى من نوعها فى شمال أوربا كلها •

المركز الاسلامى الافريقى

شهدت القاهرة المؤتمر الحادى والعشرين لمجلس أمناء المركز الاسلامى الافريقى • استمر المؤتمر خمسة أيام •

يقوم المركز ومقره الخرطوم بتدريس المواد الدينية المتخصصة لأبناء الدول الافريقية والعربية وقد ضم المجلس وفودا من السودان والسعودية والكويت والامارات وقطر ومصر •

وفى ختام جلسات المؤتمر صدرت قرارات عدة أهمها :

ـ بدء الدراسة بكليات الدعوة والدراسات الاسلامية والتربية التابعة للمركز اعتبارا من يوليو القادم •

إعداد الأساتذه :
أحمد عبد الرحيم السايح
حسين على رزيق
عبد الفتاح السيد عبد السلام

ـ تقرير ميزانية المركز وقدرها ستة ملايين دولار لاستكمال كليات المركز ، واقامة ثلاث دورات تدريبية للمعلمين .

ـ عقد حلقات دراسية باللغة الانجليزية لتعريف الشباب الافريقى بالاسلام .

ـ عمل دراسات ميدانية عن التعليم الاسلامى وأوضاع المسلمين فى أفريقيا .

مجلة اسلامية فى لندن

تصدر مع بداية السنة القادمة مجلة اسلامية . تهدف الى نشر الدعوة والثقافة الاسلامية والقيام بدور تربوى فى أوساط الأسر المسلمة فى أوربا وربطها بجذورها الدينية والثقافية والتاريخية والاجتماعية .. وستهتم المجلة ـ التى ستصدر شهريا اعتبارا من شهر يناير المقبل ـ بالقرآن الكريم ، وشرح آياته البينات بعدد من اللغات الحية ، وابراز محاسن التشريع الاسلامى ، ومناقشة الآراء الفقهية فى الاسلام . كما ستخصص المجلة أبوابا لتوعية الطفل المسلم ، وتعليم الخط العربى الى جانب العديد من الأبواب والصفحات التى تتناول كل ما يهم الانسان المسلم .

مجلة اسلامية طبية

أصدرت وكالة الصحافة الاسلامية فى لندن مجلة طبية باللغة الانجليزية تحت اسم « المجلة الطبية للعالم الاسلامى » يرأس تحريرها الدكتور عادل السبكى .

يقول رئيس التحرير : ان أهداف هذه المجلة : تزويد الطبيب المسلم الممارس وحديث التخرج بمعلومات (اكلينيكية) منتظمة . لتكون وسيلة لنشر الأبحاث العلمية الأصلية فى مجال الطب . وأيضا من بين أهداف المجلة توثيق المساهمات الطبية الاسلامية سواء أكانت تاريخية قديمية أو معاصرة . كما تسعى المجلة للمساهمة فى محاولات وضع ميثاق أخلاقى اسلامى لمهنة الطب .

مجلة « وادى النيل »

*** تقرر أن تصدر مجلة التكامل المصرى الجديد باسم « وادى النيل » فى بداية العام القادم .**

يرأس تحرير « وادى النيل » أنيس منصور .

انشاء مؤسسة اسلامية بلندن

قرر المجلس الاسلامى بلندن انشاء مؤسسة لوحدة العمال المسلمين المهاجرين بلندن

أنبـاء وآراء

لكى تكون نواة تعمل على توحيد التجمعـات الاسلامية فى بريطانيا ودول أوربا الغربية •

صرح بهذا السيد سالم عزام السـكرتير العام للمجلس الاسلامى الأعلى • وقال : ان المجلس يعمل على حماية حقـوق العمـال المهاجرين ضد التمييز الاقتصادى والسياسى والثقافى الذى يتزعمه جمـاعات الضـغط الصهيونى وعملائه •

*** أنتجت هيئة الآثار المصرية أكثـر مـن « فيلم » تسجيلى عن متاحفها الاسـلامية ، وبعض المسـاجد المعروفة لعرضـها بمختلف البلاد الاسلامية •**

المؤتمر الأول للمراكز الاسـلامية

اختتمت فى العاصمة الأردنية « عمـان » مؤخرا ، أعمال المؤتمر الأول للمراكز الثقافية الاسلامية فى مختلف دول العـالم • ناقش المؤتمر التحـديات التى تواجـه الـدعوة الاسلامية على الصعيد العالمى ، وطرق التغلب عليها عقـد المـؤتمر تحت اشراف وزارة الأوقاف الاردنية •

توصيات المؤتمر العالمى الأول لتطبيق الشريعة

أكد البيان الختامى للمؤتمر العالمى لتطبيق الشريعة الاسلامية بالسودان على ضرورة نبذ التنافر والشقاق بين الـدول الاسـلامية • وطالب باتباع شرع الله وتطبيقه فى دول العالم الاسلامى • ودعا علماء المسلمين وفقاءهم الى الاجتهاد منها الأمور التى جدت على واقـع المسلمين فى مجالات الحـكم والاقتصـاد والبنوك • وفيما يلى توصيات المؤتمر :

— دعا المؤتمر كل المسلمين دولا وشـعوبا أن يقيمـوا شرع الله فيهم ، وأن يتواصـوا بينهم بالحق ، ويتعانوا على البر والتقوى •

— دعوة فقهاء المسلمين وعلمائهم للعمل على سد الفجوة الماثلـة بين الاجتهـاد العلمى ومتطلبات التطبيق فى سياق المعاصرة وبخاصة فى نظام الحكم •

— ضرورة عقد المؤتمر بصفة دورية تأكيدا لسنة التناصح والتآزر بين المسلمين لخـدمة قضاياهم » •

— دعا المؤتمر الشعب والحكومة السودانية الى المضى قدما فى الأخـذ بتطبيق شرع الله فى أرضه •

*** ترجمة معانى القرآن الى اللغة البولندية :**

استغرقت فترة الترجمة لمعانى القرآن الى اللغة البولندية (١٥) عاما ، وقام بالترجمـة مستشرق بولندى بجامعة وارسـو ، وأشرف الأزهر الشريف على الترجمة والمراجعة وسوف تصدر الطبعة الأولى خلال شـهور قليلة ان شاء الله تعالى •

*** وكالة الأنباء الفرنسية : —**

*** زيادة عدد السكان المسـلمين الى ٨٥٪ فى السـنغال :**

أظهرت آخر احصائيات السكان فى السنغال

أن عدد المسلمين هناك قد أصبح يمثل ٨٥٪ من أبنـاء السـنغال •

والمعروف أن الدستور السنغالى ينص على أن الدولة علمانية ، الا أن الدين الاسلامى يمثل عـاملا هاما فى تنظيم المجتمع السنغالى وفى سير حياته السياسية •

*** وكالات الأنباء :**

*** باكستان تدعو الى الصلاة :**

بدأ الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق حملة من أجل حث أفراد الشعب على الانتظام فى أداء الصلوات الخمس فى أوقاتها •

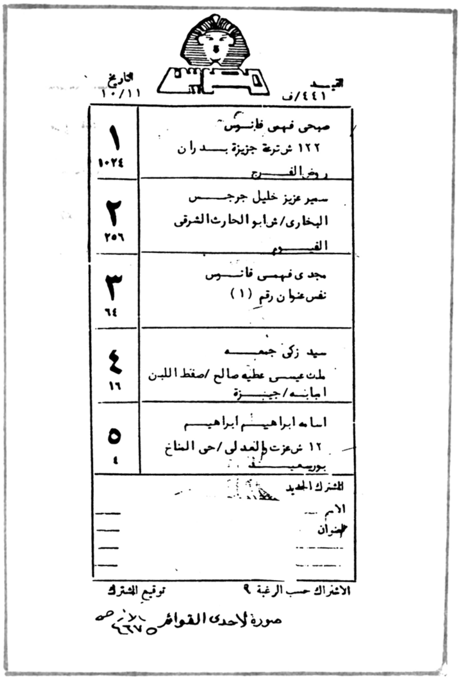
وقال الرئيس الباكسـتانى أنه ينبغى أن يلتزم الباكستانيون بالصلاة من أجل تحقيـق الأهداف الأساسية فى النظـام الاسـلامى • وقد أعلن عن تعيين «دعاة الى الصلاة» مهمتهم اقناع أفراد الشعب بأداء الصلاة فى أوقاتها •

* وجه الدكتور يوسف علاء الدين لقمان رئيس منظمة تحرير جزر (مين سونالا) نداء الى مسلمى الفلبين أن يلتزموا بالاخـلاص فى الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا •

تولى الدكتور يوسف لقمان رئاسة المنظمـة عقب موت رئيسها السابق هرون الرشـيد لقمـان •

قوائم الكسب غـير المشروع

أعلنت دار الافتاء أن « القوائم المالية » التى يشارك فيها المواطنون ويتبنـاها أحـد المكاتب بالقاهرة حرام : ولا يجوز التعامل بها شرعا •



القيد ٤٤١/ف — التاريخ ١٠/١١

١ ١٠٢٤	صبحى فهمى فانوس ١٢٢ ش ترعة جزيرة بـدران روض الفرج
٢ ٢٥٦	سمير عزيز خليل جرجس البخارى / ش ابو الحارث الشرقى الفيوم
٣ ٦٤	مجدى فهمى فانوس نفس عنوان رقم (١)
٤ ١٦	سيد زكى جمعه ملك عيسى عطيه صالح / صفط اللبن امبابه / جيزة
٥ ٤	اسامه ابراهيم ابراهيم ١٢ ش عزت العدلى / حى المناخ بورسعيد

المشترك الجديد

الاسم

العنوان

الاشتراك حسب الرغبة ٩ — توقيع المشترك

صورة لاحدى القوائم

وجـاء فى البيـان :

ان هذه القوائم عملية ابتزاز لأموال الناس واستيلاء عليها بطرق غير مشروعة وبالتـالى يكون التعامل بها غير جائز شرعا •

وطالب البيـان ولاة الأمـور فى الـدولة أن يشددوا الرقابة لمنع هذا التعامل المحـرم شرعا والـذى يغـرى السـذج من النـاس بالاشتراك فيه أملا فى ثراء مريب وكسب غير مشروع •

ودعت دار الافتاء فى بيانها كافة المسلمين أن يستثمروا أموالهم بالطرق المشروعة عملا بالحديث الشريف « دع ما يريبك الى مـالا يريبك » •

وقد تمكنت مباحث مكافحة الاحتيال بامن القاهرة من القبض على صاحب الشركة الوهمية الذى استطاع ـ من خلالها ـ أن يكون ثروة تبلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات عن طريق بيع قوائم وهمية للثراء السريع مقابل حصول المشترك على قائمة منها نظير دفع خمسة جنيهات ومعها صورتها ثم يقوم بدوره بتوزيع هذه القائمة على مشتركين جدد وتوريد الثمن بحوالة بريدية عن طريق « متوالية حسابية » معقدة تبدأ بشراء المشترك للقائمة المكونة من أربعة أسماء ثم يرسل خمسة جنيهات الى صاحب الاسم

رقم (١) المدون فى الاستمارة ، ثم يدون اسمه هو فى الخانة رقم خمسة ، ثم يتوجه

الى مكتب الشركة ، ومعه الاستمارة التى اشتراها « وكعب الحوالة » التى أرسلها

للمشترك رقم (١) وايصال تسجيل الحوالة ويحصل من المكتب على أربع قوائم جديدة

يقوم هو بتوزيعها على مشتركين آخرين ليحصل على ٢٠ جنيها منهم ، وتتحقق نتيجة

هذه العملية الحسابية عندما يتدرج اسم المشترك فى الارتفاع من رقم (٥) الى رقم

(١) فيبدأ المشتركون فى ارسال المبالغ اليه وقيمتها (٥١٢٠) جنيه ٠

وواضح فى هذه العملية الحصول على أموال بلا سند شرعى مما يجعلها حراما قطعا

آراء

من خير ما كتب (١) :

الأستاذ / عبد العزيز خميس :

ان الانسان من الممكن أن يتسامح فى أشياء كثيرة ، الا أن يهان فى عقيدته ، أو يمتلكه الاحساس بأن عقيدته باتت مهددة بالخطر ٠

٠٠ ٠٠ ٠٠ ونذكر هنا أن مسجد عمر بن الخطاب مهدد بسبب الحفريات التى يصر عليها اليهود دون أى اعتبار لاحترام مشاعر المسلمين فى فلسطين المحتلة وفى العالم أجمع ٠

أما فى لبنان فتكفينا للتذكرة بمذابح صبرا وشاتيلا التى لا تخرج عن كونها مؤامرة بين فصائل الكتائب المارونية المشهورة بتعصبها الاعمى ، وبين قوات الاحتلال الاسرائيلية التى تحتل العاصمة اللبنانية بيروت فقد سهلت فصائل جيش الدفاع الاسرائيلى عملية دخول الكتائب الى المخيمين اللذين يضمان آلاف اللاجئين الفلسطينيين وبعض اللبنانيين ، المسلمين ، وأتاحت لهذه الفصائل ارتكاب المذبحة تحت حمايتها وبعلمها ، وهو ما فضحته الصحافة العالمية فى حينه ٠

روز اليوسف العدد ص ٣٦
١٨ صفر ١٤٠٥
١٩٨٤/١١/١٢

* ٠٠٠ الأستاذ حسن الأمين :

ان تعزيز التربية الدينية والقومية فى مناهج التعليم يقوى الأساس لبناء الفرد

وتقويمه واعداده اعدادا سليما ليفوز بخير الدنيا ونعيم الآخرة .. وكيف بالله اذا أهملنا هاتين المادتين فى مناهج التعليم نرجو خيرا لجميع أبنائنا وبناتنا ، وهم رجال الغد ، وأمهات المستقبل .

ان الأبناء فى مطالع نشأتهم ، يملكون من قوى التفتح ، وأشواق العلم والتلقى ، ما يسمح بغرس بذور الفضائل والأخلاق الدينية ، واستنبات جذور الانتماء والأصالة القومية . والواجب التربوى يقضى أن نبدأ منذ طفولتهم ، بتغذية مداركهم ورى مشاعرهم بسلسل من تعاليم الدين السمحة ، ابتداء من تحفيظهم ما تيسر من القرآن الكريم ، ومن تجبيبهم بالقول والأسوة الحسنة فى عمل الخير واقامة الشعائر ومن الالمام بالحقوق والواجبات والمحافظة عليها .

٢ صفر ١٤٠٥

الأخبار ١٩٨٤/١٠/٢٦

* الاستاذ أحمد بهاء الدين :

لماذا لا تفكر كل جامعة ، فى وسيلة لكى تطبع وتنشر للجمهور المهتم ، عددا تختاره من الرسائل المتميزة التى تمنحها درجة الماجستير والدكتوراه ، والتى لها صلة بمشاكل حياتنا — ان اطلاع الناس على هذه الرسائل أعظم دعاية لجامعاتنا وأبلغ رد على الزعم بانها لا تخرج لنا أى متفوقين من شبابنا الجدد وهو أمر غير صحيح بالقطع ، ولكن القائلين بذلك لا يبذلون الجهد للتعرف على هؤلاء الشباب النوابغ .

٧ من صفر ١٤٠٥

الأهرام ١٩٨٤/١٠/٣١

الأستاذ / محمود بيومى .

اهتمت دول العالم الاسلامى بالصحافة الاسلامية .. فعقدت العديد من المؤتمرات التى صدرت عنها مجموعة من التوصيات التى تستهدف دعم حركة الاعلام الاسلامى بانشاء وكالات للأنباء الاسلامية ومعاهد لتخريج المحررين القادرين على العمل فى هذا الحقل الاعلامى المتخصص .

وقد أصبح للصحافة الاسلامية اليوم دور أساسى فى احياء تراثنا الاسلامى بما فيه من قيم أخلاقية وما يمثله من حضارة انسانية ودراسة لقضايا العصر .

وعلى الأخص القضايا التى لها صلة بحياة المسلمين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية دراسة تحليلية تكشف عن جميع جوانبها وتحيط الرأى العام الاسلامى بحقيقة هذه القضايا وما يتطلبه الوضع من توجيه وارشاد .

فالدور الحقيقى لوسائل الاعلام الاسلامى .. هو تعريف القارىء بحقائق الدين الحنيف وتوجيه الأجيال واعدادها الاعداد الروحى السليم المستمد من القرآن والسنة النبوية وتنقية الثقافة الاسلامية من الثقافات الملحدة بهدف الحفاظ على الشخصية الاسلامية بعيدا عن تيارات الفساد والانحراف .

الجمهورية ١١ من صفر ١٤٠٥

١٩٨٤/١١/٤

فهرس مجلة الأزهر

الموضـــــوع **الصـــفحة**

الرسول فى باقة من كلمات المعاصرين

الرسول فى باقة من كلمات الأئمة الأقدمين

الشعر

جوانب اسلامية

الموضـــــوع | الصــفحة

في اللغــة

القسم الانجليزى

مراجعة وعنـــاوين داخليــة
الأستاذ عبد المنعم ابراهيم مهنا

of good hope. The banner which is raised on this road says, "Good deeds speak louder than empty words". Make sure of this obvious spontaneous Islamic rule. It assures that good deeds are based primarily on the availability of sincere good intentions. Without good intentions nothing is accepted. Our hope in Allah's mercy and forgiveness does not fade. This hope, unique in its kind, is to be promoted by good deeds. You have to take the initiative by yourself as well, because the time of the mortal end is unknown. This limited time had been made unknown to offer man ample opportunity for repentance and to work hard to achieve the basic reality of hope.

Being hopeful in Allah's generosity is not important. More important, however, is to be practical. You have to laud God, praise at heart your cherisher, Creator, and Sustainer for His countless gifts. Think and loudly pronounce that Allah is ever greatest, Rejoice and be confident that salvation is certain. Fill your heart with endless hymns of hope, so-long as you are tracing the blessed steps indicated in the Quran and the Prophet's Sunnah; the immortal constitution.

toss its supporter down to hell. However, hope is not rejected so long as its path is righteousness and God's obedience.

Accurate analysis of the two previous concepts shows two kinds of people with two different ways of thinking.

As for the first group, sorrowfully the prevailing one, satisfy their worldly needs; and to enjoy all pleasures of life. They are deviating from their actual responsibilities. They neglect their intuitive aspirations. Non-believers, on achieving their secular aims forget or deliberately ignore God's words; that life sooner or later will end; that every creature, be it young or old, poor or rich, strong or weak, will be brought before God on the Day of Resurrection. Instead of being ready for such a day as this, they remain delaying their repentance.

They are committing the most horrible mistake. They are deceiving themselves when they stick to that false, unreasonable, unballanced, irrelevant, understanding of hope. It becomes, therefore, an Islamic and humanitarian duty to reject that kind of hope based on disillusion. Then, what kind of hope are Muslims required to follow and which course do they take? It is revealed to them both in Quranic verses and Prophetic Hadeeth. Man was created to worship Allàh faithfully. Neither his ancestors nor his progeny will be of any use to him. The only hope widely illustrated in practicing good deeds. He is valued according to the degree of righteousness he occupied regardless of his fortune or ownership.

Therefore, it becomes clear that following the words of Allah and avoiding His do-nots is the only safe road

Hope In The Quranic Prospective

A Two - Faced Coin

By

Magdy Abdel - Hamid Basheer

One candle can light up darkness, and so can a meager light of hope change the course of life both for an individual and for society. It can also help shape the image of a new generation with high values and great principles. Hope in such a case as this becomes the source from which every desponded drives creative energy which enables him to be a pious, correct and hope loving person. In the light of this comprehensive conception of hope , however, we are faced with questions that are frequently asked. What from a Quranic point of view is hope? Does Islam accept it or reject it? To what extent are Muslims allowed to hope? Do their hopes take the form of imaginative whirlings or an endless chain of reverie that are delicately wrapped in fantasies and illusions?.

Essentially, the whole process of religious thinking is mainly based on good hope. It is visioned in accordance with human nature as composed of good and evil, right and wrong, virtue and vice. In spite of this large scope of hopes, Islam advocates a highly spiritual theory that gives hope a real significance in the life of a Muslim when it is supported by industrious hard work. Hope is not accepted in so far as it performs falseness that will

property secretly and without right, so that it does not apply to spoliation and misappropriation though these are virtually incrimnated acts. Larency involves that

a) The stolen thing(s) must be in custody;

b) The thief enters the place of custody and removes the property secretly and without the owner's consent; and,

c) The thief leaves the place carrying the stolen object with him.

Jurists have narrowed down the cases wherein hand amputation is to be carried out. Once the conditions are not all fulfilled, "ta'zir" replaces "hadd".

Far severer than the penalty for larceny is that for armed attack upon people with the aim of robbery. It consists in execution, crucifixion, amputation of hands and feet on alternate sides, and banishment from the land, that is, dispersing the offenders in different parts of the land, or putting them in prison, where they cannot resume their evils.

Anyway, the door is open to repentance, in which case and judging by appearance and leaving the inward to Allah, the penalty is to be dropped, but the loot must be restored.

(To be continued)

N.B. Reproduced from an essay in Arabic by the late Sheikh M. Abu Zahra.

and that for not-proven accusation of adultery. Unless the accuser brings four witnesses, he/she must be flogged fourscore whip strokes, and in no way be allowed to give testimony. Still, he/she shall be cursed in this life and in the Hereafter and taste woeful chastisement, unless he/she repents and makes amends. That is, his/her penalty is both material and moral and in the two abodes. However, he is not liable to penalty who accuses an adulterer. Again, a slandering slave incurs half the penalty of a freeman, while the latter incurs it whole even though he slanderss a slave.

If a man accuses his wife of adultery but has no witnesses other than himself, he can swear by Allah four times that his charging her is true and then he makes a fifth oath invoking Allah's curse upon himself if he is telling a lie. However, it averts punishment from her if she swears four times by Allah that his charge is false, and makes a fifth oath invoking the wrath of Allah upon her if it were true. This is termed "li 'an", i.e. self-curse. Should the accused woman admit her sin, she must be stoned to death. Otherwise, the man and his wife must be separated, not to be married again to whosoever else. If a child be born, and the husband deny his parentage of it, the child belongs to its mother. In case the husband retracts his accusing her, neither he nor she can get married again.

The penalty of larceny is to cut off the thief's hand, male and female alike. However, this penalty is strictly confined to the act of taking somebody else's

menace to morality, faith, security, property and progeny; and a ruler must not show mercy to their doers.

No vengeance on a killer can be parallel his crime as capital punishment. Indeed, this "qissas" is a deterrent, and an aggressor will certainly think a dozen times before he ventures his own life in a moment of anger or recklessness. If the victim is a Muslim, and the murder is unintentional, a blood fine must be delivered to his/her custodian. If he/she is not a Muslim, but from a people at war with Muslims, his/her life goes for nothing. If he/she belongs to a community bound by a treaty with Muslims which provides for a blood fine, then it must be paid. In all these cases, however, the killer has to free a slave in atonement of the offence he has caused. In case this is not possible, he must fast for a period of two consequetive months. This act of atonement is termed "kaffarah".

Punishment for "zina", i.e. adultery or fornication, differs according to the sinner. The married party shall be stoned to death. The unmarried shall be given a hundred strokes of a whip. Should he or she be a slave, the sinner receives only half this penalty. In addition, the woman guilty of fornication - and of lesbianism.- must be confined within the walls of her house. As for the man, he has to suffer banishment for a year. By such an extension of requital, both society and the culprit get temporary protection from each other. As for homosexuals among men, the two parties must be killed..

In face of the penalty of "zina", emerges the penalty of unfounded slander against the honour of the chaste,

which arise unprecedently, are left to discretionary rectification, termed "ta'zir", to be decided by learned Muslim jurists. However, the verification of a crime does not justify the violation of the sinner's rights or dignity.

Underlying the execution of penalty, are the three principles of duty, public interest and justice. By duty is meant the necessity to put into effect the Divine Commamandment that crime shall be penalized. By public interest is meant the achievement of a lawful benefit for individual and society, and averting misconduct. By justice is meant that penalty shall be parallel to crime.

Mischief can be unintentional. The error may be in the doing of an action, which results in an unexpected or unintended injury. Or, the action itself may arise from a mistaken motive, and as a result of doing it correctly it befalls an innocent victim. Still, the doer may be irresponsible, being unaware, short of discerning, or in any way defective in mind or body. In this case, no "hadd" or "qissas" is to be applied to him other than a suitable compensation or propitiation to the injured person or his/her custodian, and, sometimes, a lighter sentence than that passed against a voluntary misdeed. The "diyya", i.e. blood fine is an example of the penalty of a purely unintentional act of killing. In case the mischief-maker or his custodian is unable to pay it, the government has to bear it.

The penalties expressly stated in the Holy Qur'an and those actually applied in the Sunna are those for murder, adultery and fornication, slander, larceny and, marauding, wine-drinking, and apostasy. They are all

Penalty In The Islamic Law

By

Soliman Barakat

It is sad that most Islamic countries have abandoned the Shari'a of Islam to the so-called positive law, especially in the penal code. No wonder, the recent generations are unaware of the existence of the blessed corpus of Divine regulations and guide lights in the field of law, and are misled by the delusion that, being unfit for the times, Shari'a has to be set aside. On the other hand, the positive law has proved far from satisfactory, whether as protective or as remedial.

According to the Islamic penal code, a crime is an outrage against both faith and morality, God and man alike. Punishment is inflicted upon a sinner on ground of an incriminated act on his part directed against life, religion, property, mind and progeny. A crime is, however, either a positive commission of an evil, or a negative ommission of an obligation. Such atrocities as murder, adultery, apostasy, larceny and drinking wine, all have expressly stated penalties taken from the Qur'an and the Sunna. A common term for a penalty is a "hadd" or "qissas". In no way is it to be replaced, extenuated or aggravated. Ommissions and minor sins, in addition to crimes

24th. Edition, 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library , Cairo.

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo, Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th., Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

ayl summoned men from Bani Selim from the clans of Raal and Zakwan who answered his call and gathered in great numbers and killed all the Muslim group in a severe battle where the Muslims were greatly out numbered. Only two men survived; Kaab Ibn Zaid and Amre Ibn Ummayah who were not within the group at the time of battle. Both men reported to Al-Madinah.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was severely distressed when he heard of the news of both incidents of Al-Ragiee and Maoonah. The impact of the two incidents initiated the jews at Al-Madinah to try to gain ground and suppress the prestige and influence of Muslims. On the other hand several Anti-Muslim tribes from around Al-Madinah also wished that the reputation of Muslims would terminate. This was also invoked by the jews resident at Al-Madinah and in particular Bani Al-Nadeer. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was wise and alert to all that and in supreme diplomacy survived the challenge.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous prophet.

REFERENCES

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition, 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusini Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah.

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen

Thabet did not trust the words and promises of Huzayl, and refused surrender. A fight started and Assem, Merthid, and Khalid were killed by the men of Huzayl who numbered over one hundred. The remaining three were taken prisoners Khubayb Ibn Addii, Zaid Ibn Dathanah, and Abdullah Ibn Tareq; and were lead to Macca to be sold to Koraysh there. Abdullah Ibn Tareq refused the compulsion and was killed by Huzayl on the way. The remaining two men Khubayb Ibn Addii and Zaid Ibn Al-Dathanah were taken to Macca and sold there to men from Koraysh. Banu Al-Harith bought Khubayb to kill him in revenge of Al-Harith whom khubayb had killed at Badre; and Safwan Ibn Ummayah bought Zaid to kill him in revenge of Ummayah Ibn Khalaf who was also killed at Badre. Both Khubayb and Zaid were killed in cold blood in front of grand populous of Koraysh in Macca; an outragous act of hatred an enmity to Muslims.

Soon after this incidence, one of the chieftains of Bani Amer called Amer Ibn Malek came to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) who invoked him to Islam. Amer Ibn Malek did not accept and did not reject and requested that some Muslims be sent to the tribes of Najed to summon them to Islam and that they will be protected by Bani Amer. Upon this request, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent seventy men who marched out of Al-Madinah till they reached the well of Maoonah. There they sent a letter with an envoy Haram Ibn Milhan to Amer Ibn Al-Tofayl chief of Bani Amer. When Haram reached Amer, Amer took the letter and killed Haram in cold blood; and summoned the tribe of Bani Amer to kill the rest of the Muslim group. They refused to participate, and so Ibn Al-Tof-

the dwellings of Bani Assad, he raided them unexpectedly and they dispersed running away in the mountains. The Muslims collected the spoils, the camels and cattle left behind without encountering any opposition. They kept one fifth to Allah and the Prophet and divided the rest between them as prescribed by the Sharia'a; then they returned to Al-Madinah. Certainly such event promoted the prestige of Muslims.

Following this, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) received news that Khalid Ibn Sufyan Ibn Nubayeh Al-Hazli at Arana near the mountain of Arafat, was gathering men to wage war on Muslims. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned Abdullah Ibn Anis Al-Gahny and sent him alone to intrigue and Kill Khalid Ibn Sufyan. When Ibn Anis met Khalid, he schemed and plotted in conversation, and killed Khalid when they were alone, and went back to Al-Madina. The gathering men dispersed without confrontation with Muslims.

During the second month of Safar of the fourth year after Hijrah, the famous incident of Al-Ragiee took place. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) sent six men Merthid Ibn Abi Merthid, Khalid Ibn Al-Bakeer, Khubayb Ibn Addii, Zaid Ibn Al-Dathanah, Abdallah Ibn Tareq, and Assem Ibn Thabet who was appointed as their leader to teach the Islamic doctrines to the tribes of Uddal and Al-Qarrah upon their request. When the men reached the valley of Ussafan near Macca, the tribe of Huzayl were informed of their presence and followed them. The group of six men feeling that they were pursued climbed a mountain near Al-Ragiee between Ussafan and Macca. The men from Huzayl promised them safe conduct if they descended. The leader of the group Assem Ibn

narrated that the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) never at any prior stage of his life indulged in drinking intoxicating liquors; plain water and milk were his favourite drinks. The prohibition of intoxicating drinks was also accompanied by the prohibition of gambling, and also all superstitious practices. This prohibition came through Quranic revelation.

"O ye who believe
Intoxicants and gambling,
Dedication of stones and
Divination by arrows
Are an abomination of Satan's handiwork
Eschew such abomination, that ye way prosper.

(Surat Al-Maida, V, 93).

During that period, some social events took place. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) married Hafsah Bent Omar Ibn Al-Khattab who was a widow after the death of her husband Khunays Ibn Huzafah Al-Sahmy. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) also married Zainab Bent Khuzaimah Ibn Al-Harith from Bani Hilal, previous wife to Abdullah Ibn Gahshe who died at Uhud. Zainab died two months after marriage.

At the start of the fourth year after the Hijrah, the tribe of Bani Assad gathered to wage war on Muslims at Al-Madina. On hearing the news of their gathering under the leadership of Tulaiha and Salama sons of Khuwaylid from Bani Assad; the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) summoned Aba Salamah Ibn Abdel - Assad Al-Makhzoumi to lead hundred and fifty men to march to Bani Assad and subdue them. When Aba Salamah reached

Events After Uhud

By

Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR

The repercussion of the outcome of the battle of Uhud resulted in undermining the Muslim mastery and authority at Al-Madina, which had been well and progressively established since the Hijrah. This encouraged and entreated alien non-muslim groups at Al-Madina and Arab tribes at large to challenge and dispute Muslim dominance. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) was acutely aware of that and was active in acquiring news and information of Al-Madina inhabitants, and distant Arab tribes. It was mandatory that Muslim prestige and regnancy should be reinstated and ascertained. The Muslim society apprehensive of the situation continued to lead a normal life awaiting developments.

During the remaining months of the third year after Hijrah, one of the most important Islamic doctrines was sanctioned by Divine command through Quranic revelation. That was the prohibition of intoxicating drinks which was very popular at that time among the Arabs, and constituted a social menace. This prohibition was very gradual, and when it became utterly prohibited, the Muslims resigned to the Divine Command with willing adherent obedience and conforming dutifulness. It is

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH
SECTION

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

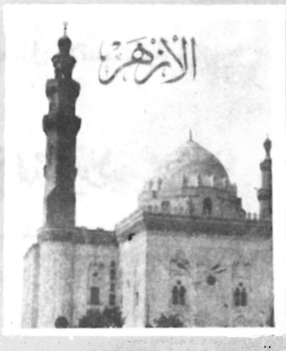
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

المشاعر الجميلة

خالدة لا تموت ، انها تستمد خلودها من جمالها ، والجمال محبوب يتعشقه الناس ، ويسعون اليه حتى يتمثل فى حياتهم ممارسة طيبة للحياة ، وتخفيفا لما يطرأ عليها من بشاعة .

حتى الذين يحملون قدرا من القبح يستهويهم الجمال ، ويتمنونه ، قد تلتوى نفوس البعض منهم إزاءه فينكر جمال الجميل ، أو يغض منه ، لكنه سرعان ما يعلم — فى مرارة — أنه أسرع بكشف قبحه دون أن يلحق بالجمال مكروه .

كذلك ينتقل الجمال من « المشاعر » ليمارس الحياة فتغدو به الحياة جميلة ... أروع ما تكون !!؟

الجزء الرابع * السنة السابعة والخمسون

* ربيع الآخر ١٤٠٥ هجرية *

* ينـاير ١٩٨٥ ميلادية *

المشاعر الجميلة

أليس الله جميلا يحب الجمال !!؟

وحق للجمال أن يكون محبوبـا فمن ذا الذى يكره الجمال ...؟!

من ذا الذى لا يشيد بالجمال فى الرحمة والاحسان والعطف والحب والبشاشة والعدل ....؟ !!

من ذا الذى لا يزرى بالقبح فى القسوة ، والاساءة ، والنفور والكراهية، والعبوس ، والظلم ...؟ !!

كل منا هو هذا وذاك .

فليس انسانا من يحقد على الجمال : فيزرى بالرحمة ، ويزدرى الاحسان ، ويكره العطف ، ويبغض الحب ، ويمقت العدل ، فان معالم الانسانية فى الرحمة والاحسان والعطف والسماحة والحب والعدل ، ومن كل ينبثق الجمال .

وكان رسول الله — ﷺ — فى القمة من المشاعر الجميلة ألا ترى كيف أشار بالرحمة حتى فى القصاص .

ولاشىء يسفح هذه المشاعر مثل الدم ....

سبحان الله ... انه ليقبض من الرحمة ما يبسط الرجاء فلا يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما ومن عجب أن الارض التى تمص أى سائل لا تمتص الدم المسفوح، ولاهى تنشفه (١).

انه فوقها أبدا لعنة على الظالمين ،

هو وثيقة الابادة لمشاعر الجمال .

الا ما أجمل الحب فى الانسانية ، وأجمل الانسانية فى السلام.

د/ على أحمد الخطيب

---

(١) انظر للجاحظ البيان والتبيين ١/٣٧٦ ط ثالثة ١٣٨٨ نشر الخانزجى ولابن قتيبيه — عيون الاخبار ٣/١٣ . وراجع الحيوان للجاحظ٣/ ١٣٦ و ٤/٢٠١ .

دراسات قرآنية

التثليث ينافي التوحيد

أكثر الناس في القرآن الكريم

وصايا القرآن الكريم بأمهات الفضائل

الإجزاء في معرفة الأجزاء

التثليث

ينافى التوحيد

قال تعالى فى سورة المائدة : «لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة ومامن إله إلا إله واحد » . من الآية ٧٣ .

وقال سبحانه فى سورة مريم : «وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئا إدًّا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا » . الآيات ٨٨ ـ ٩٠.

البيـــان

اطلعت (١) على محاضرة سبق للبابا شنودة القاؤها فى الكتدرائية المرقسية ، تحت عنوان: « التثليث والتوحيد » ، وما كان لى من حاجة الى التعقيب عليهـا ، لولا أنهـا توزع بين المسلمين ، ويستشهد فيها بالقرآن الكريم بغير حق ، فلهذا كتبت تعقيبى هذا احقاقا للحق ، ومنعا للالتبـاس على النـاس ، والله خير الشاهدين .

قد حاول البابا فى محاضرته أن يجعـل التثليث توحيدا ، فاذا هى « كسراب بقيعـة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجـده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب» .

يقول البابا فى أول محاضرته : ان مشـكلة الذين يحـاربون التثليث أنهم يفصـلونه عن التوحيد ، ويظنون أن التثليث المسيحى لون من الشرك أو تعدد الآلهة ، ولكننا كمسيحيين نقول : اننا نؤمن باله واحـد لا شريك له ، ولا نؤمن اطلاقا بثلاثة آلهة لا عـلاقة لهـا بالمسيحية اطلاقا ، فالمسيحيون يؤمنون باله واحد لاغيره .. بل يرون أن الايمان بأكثر من اله أمر يتنزه عنه حتى الشيطان) .

هكذا قال البابا :

ولكننا نقول له أن المسيحية بعـد مؤتمـر « نيقية » المعقود فى سنة ٣٢٥ رفضت جميع

(١) نص المحاضرة موجود بادارة المجلة .

AL - Nour. P. Box 985
Colorodo springs. CO. 80.

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

الأناجيل الناطقة بوحدانية الله تعالى وتنزهه عن الصاحبة والولد ، وأن عيسى عبد الله ورسوله من البشر ، وأنه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم ، ومنها انجيل برنابا وانجيل الأبيونيين ، وانجيل فرقة الشنشاطى أسقف انطاكية سنة ٢٦٠ م ، وانجيل فرقة الأريوسيين المشهور بالموحد ، وكان قسيسا فى كنيسة الاسكندرية ، وتشيع لأريوس كثيرون فى الاسكندرية وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية وحكم مجمع نيقية بطرده وتكفيره ، الى غير ذلك من الأناجيل الموحدة ، وقد أربى عدد الأناجيل على سبعين انجيلا متخالفة فى عباراتها وفى عقيدتها ، ولو كان انجيل السيد المسيح الذى أنزله الله عليه موجودا لما اختلفت ولما تعددت •

ولما انعقد مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ، أقر من هذه الأناجيل أربعة فقط : (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) ، لأن دعاة التثليث رأوا فيها التصريح ببنوة عيسى لله ، فجعلوه الأقنوم الثانى مع تصريحها بأنه انسان ، ومع أن البنوة مجازية ، فقد جاء فى الأناجيل : من أطاع الله كان ابنا لله ومن عصاه كان ابنا للشيطان ، وأضافوا اليهما أقنوما ثالثا هو الروح القدس ، واخترعوا عقيدة الثالوث الموحد ، ولما ثار خلاف فى ألوهيته وقدمه بعد مؤتمر نيقية ، انعقد مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م وقرروا ألوهية روح القدس ، مع أنه ملك ومخلوق ، ولله فى خلقه شئون •

وبعد هذين المؤتمرين (نيقية سنة ٣٢٥ والقسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م) أصبح الثالوث عقيدة لهم ، وحاربوا غيرهم من الموحدين ، حتى قضوا عليهم ، وبخاصة بعد أن أقر هذه العقيدة مؤتمر القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م •

قانون الايمان وميثاقه فى مؤتمر نيقية

وضع هذا المؤتمر ميثاقا للايمان عند المسيحية ، وقضى بأن مخالفته تقتضى الحرمان والكفر • يقول هذا الميثاق : (نؤمن بالله الواحد الأب ، مالك كل شىء ، وصانع كل ما يرى ومالايرى ، ونؤمن بالرب المسيح ابن الله بكر الخلائق كلها ، ولد من أبيه قبل العوالم كلها ليس بمصنوع ، اله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أتقنت العوالم كلها ، وهو خالق كل شىء ، الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس وصار انسانا ، وحملت به مريم ، وولد من مريم البتول فأوجع وأولم وصلب فى أيام بيلاطس الملك ، ودفن وقام فى اليوم الثالث من بيت الموتى ، ثم صعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجىء تارة أخرى

للقضاء بين الأموات والأحياء ، ونؤمن بالروح الذى يخرج من الأب والابن وبه كان يتكلم الأنبياء ، والتغطيس الذى هو غفران الذنوب، وبالحياة الدائمة أبد الآبدين) (١) .

تناقض هذه العقيدة

فهذا الميثاق الذى يبنون عقيدتهم عليه ، ناطق بالتثليث ، ومتناقض ينفى بعضه بعضا ، واليكم البيان :

(١) لقد نص الميثاق على أن الله رب وهو الأب ، وأن المسيح وهو الابن وقد ولد من أبيه ، وأن الروح القدس رب ثالث خرج من الأب والابن ، وبه يتكلم الأنبياء ، فكيف يقول البابا انهم لا يقولون ان الآلهة ثلاثة ، وهو ثابت فى صلب عقيدتهم المقررة فى مجمع نيقية، وكيف تكون الثلاثة واحدا فى عقيدتهم ، وكل واحد منهم رب كامل الربوبية ؟

(٢) تنص هذه الوثيقة صراحة على أن الأب الرب الأول مالك كل شىء ، وصانع ما يرى ومالا يرى ، وأن الابن الرب الثانى بيده أتقنت العوالم كلها ، وأنه خالق كل شىء ، فكيف يوصف بذلك وهو وصف أبيه ، وما فائدة وجوده بالنسبة لأبيه المنعوت بأنه صانع مايرى ومالا يرى ، فهل ولد من أبيه لتحصيل الحاصل أو لتحصيل مالم يحصل ، فان كان لتحصيل الحاصل فذلك محال ، وان كان لتحصيل مالم يحصل ، فهذا مخالف لما جاء فى الميثاق من أن الله (الأب كما تقولون) مالك كل شىء ، وصانع ما يرى ومالا يرى ، كما أنه تجريد لله تعالى مما هو حقه وحده .

(٣) ما فائدة وجوده مع أبيه مع زعم أن كليهما رب خالق ومالك ، أهو لمعاونة أبيه فى خلق ما يرى ومالا يرى أم هو لميراث أبيه بعد موته ــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ــ ، فانه تعالى ليس بحاجة الى من يعينه ، فهو يقول للشىء كن فيكون ، وهو حى لا يموت .

(٤) انكم تعتقدون أن الله تعالى صانع ما يرى وما لا يرى ــ كما جاء فى الميثاق ــ وهذا يقتضى أن يكون المسيح مصنوعا لله ، لأنه مما يرى بجسده ، ومما لا يرى بروحه ، وهذا يناقض عقيدتكم المبنية على أن المسيح رب غير مصنوع .

(٥) انكم تقولون ولد من أبيه قبل العوالم وهو بكر الخلائق كلها ، وهذا يقتضى انه مخلوق وحادث ، والرب يستحيل عليه الحدوث .

(٦) وتقولون : انه جزء من جوهر أبيه ، والاله الحق لا يتجزأ ، ولا يطلق عليه جوهر ولا عرض « **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** » .

(٧) ان قانون الايمان لديكم ينص على أن

(١) تحفة الاريب للرد على أهل الصليب ، للقسيس الاسبانى (انسلم تورميدا) الذى أسلم وسمى نفسه عبد الله الترجمان ، لانه كان يقوم بالترجمة فى ميناء تونس ، بين العرب والاجانب بعد اسلامه .

المسيح الرب نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ، وصار انسانا حملته أمه مريم، فكيف يتجسد الاله ويكون جنينا صغيرا فى رحم امرأة ، وكيف يتسع رحم امرأة لخالق السموات والارض ، وكيف قدرت على أن تحمل رب الكون كله فى بطنها ، ومن الذى كان يدير شئون الملك والملكوت التابع لربوبية هذا الابن وهو فى بطن أمه ،وكيف استسغتم أن الابن الرب الثانى حبس نفسه فى رحمها ، وحوله الدم والبول والروث ، تعالى الله عما تقولون علوا كبيرا •

(٨) ان قانون الايمان لديكم يقول ان المسيح ــ عليه السلام ــ حوله الروح القدس الى جسد وصيره انسانا فى بطن أمه ، ومعنى ذلك أن الرب الثالث (روح القدس) هو الذى انتزع منه ربوبيته (البنوية) وحوله الى جسد انسان لا ربوبية له ولا قدرة له على خلق كل شيء واتقانه، كما يقول الميثاق، فكيف استسغتم أن يقوم روح القدس بعملية التحويل هذه فى الرب الثانى (الابن) مع أن أباه موجود ، ومع أن روح القدس منتزع من الاب والابن وجزء منهما ومتأخر فى الوجود عنهما ، وكيف يتفق هذا مع قول الميثاق ان الأب مالك كل شيء وصانع كل ما يرى ومالا يرى ، وكيف يقوم بهذا التحويل ومهمة روح القدس قاصرة على تبليغ الوحى الى الأنبياء ، وأن به يتكلمون ؟ •

(٩) كيف استقام لديكم أن الرب ينزل من السماء ، ليحشر فى رحم امرأة ، حتى اذا ولدته اتهمها أقرب الناس اليها فضلا عن الأباعد ، قائلين ((**مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**))ثم يعيش هذا الاله حبيسا فى جسد انسان لا حول له ولا قوة ، يتعرض للايذاء والطرد والمطاردة ، وينتهى أمره عندكم الى الصلب ووضع الشوك على رأسه ، والبصق فى وجهه وتجريعه الخل رغما عنه وقتله ، وأن ذلك كله من أجل خلاصهم من الخطيئة ، كيف استقام ذلك كله ، وهو يستطيع أن يخلصهم بهدايتهم أو بالعفو عنهم والغفران لهم ، بدلا من أن يحملهم على ارتكاب أكبر جريمة فى الأرض ، هى قتل الاله (الابن) وأين كان أبوه والروح القدس وقت ارتكاب هذه الجريمة فى الاله (الابن) وهو من جوهر أبيه وبيده أتقنت العوالم كلها ، وليس بمصنوع كما زعمتم ، فما أشد هذا التناقض •

هل يعقل أحد أن يقتل انسان فاضل ولده فى سبيل العفو عن خدمه المسيئين ــ مع أنه لاذنب له فى شأنهم ، وهو يستطيع أن يسامحهم فى تقصيرهم فى خدمته •

(١٠) ألم يقرأوا فى جميع أناجيلهم أن المسيح لم يكن راضيا عن عملية الصلب ، وكان يستغيث بالهه صارخا وهو على الصليب « ايلى ايلى لما شبقتنى » أى الهى الهى لماذا تركتنى ؟ ويصور متى مأساة المسيح فى انجيله فيقول عقب ذلك « فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا انه ينادى ايليا ، وللوقت ركض واحد منهم ، وأخذ اسفنجة وملأها خلا ، وجعلها قصبة وسقاه ، وأما الباقون فقالوا ترك لنرى هل يأتى ايليا ليخلصه ، فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح اصحاح ٢٧ فقرة

(٤٦ ــ ٥٠) •

ومن هـذه النصـوص نعلم أن يسـوع (المسيح) عليه السلام ، لم يكن راضيا عـن صلبه ، المزعوم ، ولهذا كان يعيب على اللـه ويسائله : لماذا تركتنى لمن يعذبوننى ويسخرون منى ويقتلوننى ، وأنه ربا خالقا كما زعموا ، ولهذا لم يستطع أن يخلص نفسه من أعدائه ، وأنه غير الله تعالى وليس ابنا له كما اعتقدوا ولا متحدا معه كما زعموا ، وانمـا هـو بشر فحسب •

أما نحن فعقيدتنا فيه أنه بشر رسـول ، وأنه كما قال تعالى « **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** » •

(١١) جاء فى الميثاق أن المسيح من جوهـر أبيه ، وهذا يقتضى قدمه كأبيه ، وذلك مناقض لما جاء فى الميثاق نفسه من أنه (بكر الخـلائق كلها ، ولد من أبيه قبل العوالم كلها)أى أنـه حدث بعد أن لم يكن ، وكان ميـلاده قبـل العوالم ، فانتفى بذلك وصف القـدم الأزلى الواجب للاله الحـق •

(١٢) وجاء فى هذا الميثاق أيضا أن السـيد المسيح عليه السلام ، قام من بيت المـوتى فى اليوم الثالث من دفنه ، ثم صعد الى السماء وجلس عن يمين أبيه ، فأين التوحيد من هـذا الميثاق الذى يجعل لله ابنا يجلس بجانبه ، بعد قيامه بتمثيلية الخـلاص المزعوم ، فهل هـذا توحيد ؟ وبعد فهذا الذى قلناه هـو تحليـل لعقيدة التثليث بالأسلوب الهادىء الذى دعانا الله اليه بقوله « **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** »وما دعانا اليه الا نشرتكم التى وزعتموها على المسلمين وغيرهم ، بمـا يخالف عقائد المسلمين ، فكان لابد من ازالـة الالتباس على الناس ، ولكم دينكم ولنا دين ، والله تعالى يفصل بين عباده يوم الدين •

(حقيقة هـامة غفلـوا عنها)

* هناك حقيقة عظمى غفل عنها المسيحيون جميعا ، وهى أن الارض بما فيها وما عليهـا لا تساوى ذرة ولا قطرة ، بالنسبة الى ملكوت الله فى سماواته وأرضه ، وملايين مجراتـه ومليارات شموسها وكواكبهـا ، فلماذا خص الله أرضنا هذه بأن يختبىء هو أو ابنه فى رحم فتاة ــ على اختلاف مـا يتقولون ــ ليخلص عباده فيها من آثامهم وخطاياهم ، ولم يصنع مثل ذلك بالنسبة الى عباده المكلفين فى الكواكب الأخرى ؟ فهل ظنوا أنه لا يوجد فى ملك اللـه مكلفون بعبادته سوى أهل هذه الأرض ، وهل الملكوت كله خلق من أجل أرضنا هذه ؟ وهـل الجنة التى جعلت للمتقين من عباده خاصـة بالمتقين من أهلها ، انها جنة عرضها السموات والارض • أعدت للمتقين من أهل السـموات والارضين جميعا ، قال تعالى « **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** (١) وقال فى شأن تعدد

(١) سورة آل عمران ــ الآية ١٣٣ •

الأرض وأنها مثل السموات فى تعددها ، « اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ (١) لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا .

ويقول ابن عباس ان فيها مكلفين مثلنا ، فالله تعالى أفسح الجنان وجعلها فى عرض السموات والأرض ، ليسعد بها المتقون من كل أرض ، ويقول سبحانه فى العابدين من أهلهما وتكليفهم « وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ » (٢) ويقول « وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » (٣) .

ويقول « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ » (٤) هكذا يقول القرآن ويسبق به ركب العلم ، ولكنكم لا تفكرون فى هذا الملك العريض ، وتخضعون لميراث ورثتموه وعشتم فى جوه ، ولم تحاولوا الخروج من ضبابه الى الصحو وصفائه ، والى الشمس وضحاها .

سؤال بلا جواب

فى الصفحة الثالثة من المحاضرة البابوية ، قرأت هذا السؤال : توجد فى سورة المائدة آية تصم المؤمنين بالثالوث بالكفر ، فما رد قداستكم ؟

فأجاب البابا بقوله (فى سورة المائدة ٧٣ « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ » ونحن لا نقول كما فى سورة المائدة ، نحن نقول : ان الله واحد ، ونحارب من يقول ان الله ثالث ثلاثة — قال البابا — ومن أحسن التشبيهات التى أسوقها للثالوث والوحدانية الانسان نفسه ، فهو خلق على صورة الله ، فهو ذات انسانية لها عقل ولها روح ، الذات والعقل والروح يكونون انسانا واحدا ، وهو ذات انسانية واحدة ، وكذلك الأب والابن والروح القدس ، ولايستطيع أحد أن يقول : ان الله ليس له عقل وليس له روح) — كذلك قال البابا فى محاضرته .

(ونحن نقول)

ان هذه الاجابة زادت وحدة الثالوث تعقيدا على تعقيد ووصفت الله بأقوال لا يقولها سواهم ، واليكم البيان .

يقول البابا انهم يحاربون من يقول ان الله ثالث ثلاثة — نعم انهم يفعلون ذلك للرد على المسلمين ، ولكنهم يعتقدون أن الله ثالث ثلاثة ، فانهم يقولون باسم الأب والابن والروح القدس ، وأما قولهم أن هذا الثالوث اله واحد فينقضه ميثاق الايمان عندهم ، وقد

---

(١) سورة الطلاق — الآية الاخيرة .
(٢) سورة الرعد — ١٥ .
(٣) سورة النحل — ٤٩ .
(٤) سورة الشورى — ٢٩ .

جاء فيه أن الابن انفصل من أبيه وصار ربا خالقا لكل شيء ، ونصه « ونؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد بكر الخلائق ، ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، اله حق من جوهر أبيه الذى بيده اتقنت العوالم كلها ، وهو خالق كل شيء ، الذى من أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس وصار انسانا وحملت به مريم » الخ فهذا اله ثان مع الاله الأب باعترافكم ، انفصل منه بعد أن لم يكن ، والله فى غير حاجة اليه ، لأن الله هو خالق الأرض والسماء — كما يعترف به الميثاق وكما تعترفون ، فكيف يلد خالقا آخر ، وقد خلقهما الله وحده ، والله حى لا يموت فهو غير محتاج الى ابن يشاركه أو يرثه من بعده .

ويقول ميثاقكم « ونؤمن بالروح الذى يخرج من الأب والابن ، وبه يتكلم الأنبياء » فهذا اله ثالث من وظائفه الاتصال بالرسل ، وقد انفصل عن الأب والابن ، وكل منهم اله كامل الألوهية باعتراف ميثاقكم ، فكيف عقلتم أن هذه الآلهة الثلاثة المنفصلة اله واحد ، وكان الأقرب لعقيدتكم أن تسموا هذا الثالوث (شركة الآلهة المتحدة) بل قد حدث مثل هذا ، اذ تسمونها العائلة المقدسة .

أما قولك : من أحسن التشبيهات أن الله خلق الانسان على صورة الله ، والانسان ذات انسانية واحدة مكونة من ذات وعقل وروح ، فكذلك الاله الواحد مكون من ذات هى الأب ، وعقل هو الابن ، وروح هو الروح القدس ، ولا يستطيع أحد أن يقول : ان الله ليس له عقل وليس له روح أما قولك هذا فقد خالف الحق وجانب الصواب وبيأن ذلك أن الله ليس من البشر حتى يكون على صورتهم ، بل هو خالق البشر فكيف يشبه بهم ، ومن أين جئتم بهذا المدعى المخالف لبدائه العقول ، تعالى الله عما تقول علوا كبيرا ، « **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** » كما قال تعالى ، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك : واذا كان الملائكة منزهين عن الجسدية والمادية ، فكيف استقام عندكم أن يكون الله جسدا ، ومن عجب أن يرى هذا التشبيه فى سفر التكوين ، ويؤخذ منهم مأخذ التسليم الكامل ، مع أن التوراة فقدت بأسفارها فى الاسر البابلى .

قد يقول قائل لقد جاء فى الحديث النبوى الشريف « ان الله خلق آدم على صورته » والجواب أن معناه أن الله تعالى خلق آدم على صورته التى خلقها من تراب متطور حتى صار صلصالا فنفخ فيه الروح ، ولم يخلقه من الخلية المتطورة كما زعم داروين وأتباعه ، ولا من النطفة المتطورة كما هو الشأن فى أولاده ، فالضمير فى صورته على آدم لا على الله تعالى والغرض من هذا الحديث بيان نشأة آدم بدقة، وسد الباب أمام التأويلات والافتراضات والمزاعم « **أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ** » ولقد رددنا على نظرية داروين بالادلة القاطعة فى الجزء الثانى من كتابنا « اقباس من نور الحق » ويا ليت النص الموجود فى سفر التكوين كذلك ، بل فيه التصريح بأنه على صورة الله ، تعالى الله أن يشبه عباده الذين خلقهم ، وهم لعظمته

يسجدون .

وبهذا البيان سقط ما ذكرتموه من تشبيه الله بآدم فى أن له تعالى عقلا كعقل آدم وروحا كروح آدم وذاتا كذات آدم .

كما أن التعبير بأن لله عقلا وروحا تعبير كريه موروث عن الفلسفة اليونانية ، والصواب وصفه تعالى بالعلم والحياة ، وحياته وعلمه ذاتيان وهما فوق مستوى العقول والمفاهيم ، وليس من حقنا أن نتعرف مصدر الحياة فى الله تعالى ، وأما اضافة الروح اليه — جل وعلا — فى آيات من القرآن ، كما فى قوله فى حق آدم عليه السلام « **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** » (١) وكما فى قوله فى شأن المسيح وأمه عليهما السلام « **وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا** » (٢) فهى اضافة ملكية (٣) ، أى من الروح التى يملكها الله وحده وينفخها فى عباده ، ابتداء من آدم الى جميع ذريته ، ومنهم المسيح عيسى ابن مريم ، وخلقه بغير أب ليس بأعجب من خلق آدم بلا أب ولا أم ، ولا من خلق حواء من أب بغير أم .

عقل الله (اللوقوس)

تحت هذا العنوان يقول البابا (واضح أن الروح القدس هو روح الله ، ولا مشكلة فى ذلك ، أما الكلمة (اللوقوس) فكيف أنه عقل الله وذكر البابا كلاما لا يحل المشلكة ، وهى أن عيسى عليه السلام عقل الله ، فهو كلام أجوف ليس فيه من المعقولية شىء ، فكيف يكون عيسى عقل الله وهو يصرخ على الصليب مناديا الله « ايلى ايلى لما شبقتنى ، وكيف يكون عقل الله واليهود يسقونه الخل ويضعون الشوك على رأسه ، وكيف يكون عقل الله وهو عاجز عن انقاذ روحه حتى لفظها صارخا ، وكيف يكون ذلك فداء وتخليصا للخطايا وهو واقع بغير رضاه حتى شكا الى الله : الهى الهى لماذا تركتنى ، وكيف يكون عقل الله ، وأنتم تزعمون مع هذا كله ، أنه صعد بعد ثلاثة أيام وجلس على كرسى الألوهية بجانب أبيه كما جاء فى الميثاق المقدس عندكم .

وبعد فروح القدس ليس روح الله كما زعمتم ، وانما هو جبريل عليه السلام ، وهو عبد من الملائكة المقربين عباد الله ، والله تعالى حى حياة ذاتية عالية المستوى لا سبيل لجميع العقول أن يدركوا كنهها ، وانما يدركون آثارها ، وليس الله تعالى بحاجة الى جبريل فى حياته ، ولكنه تعالى خلقه لمهمات كونية عليا بالاضافة الى السفارة بينه تعالى وبين أنبيائه ورسله ، وقد رد الله على من زعم أن الملائكة أولاد الله بقوله فى سورة الأنبياء « **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**

---

(١) سورة الحجر — ٢٩ .
(٢) سورة التحريم — ١٢ .
(٣) كما تقول : أعطيته من مالى .

وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ » ٢٦ — ٢٩ .

واللوقوس عندكم هو الكلمة ، وكلمة الله عندكم هي عيسى ابن مريم وحده ، ومع هذا تصفونه بأنه عقل الله ، ومقتضى هذه الدعوى أن الله تعالى نقل عقله من ذاته الى عيسى ابن مريم بعد أن انفصل من جوهر أبيه ، كما تقدم بيانه فى ميثاقهم ، فيا للهول أن تقتصر كلمة الله على عيسى ابن مريم وحده فلا حق له فى أن يصدر كلمة بايجاد شىء بعد أن أعطى ابنه حق الربوبية والايجاد وأعطاه عقله ، وهذه المقتضيات جريمة فى حق الله الذى اعترفتم له فى أول ميثاقكم الصادر فى مؤتمر نيقية ، بأنه مالك كل شىء وصانع ما يرى وما لا يرى .

استدلالات حائرة وغير منتجة

يستدل البابا على عدم اشراكهم بقوله تعالى فى سورة المائدة « لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا » وعقب ذلك بقوله : وهنا عرض الطوائف الثلاثة اليهود والذين أشركوا والنصارى) يريد بذلك أن فصلهم عن الذين أشركوا يدل على أنهم صنف آخر غيرهم .

ونحن نسأل البابا : لماذا لم يكمل النسق القرآنى عن القسيسين والرهبان الذين مدحتهم الآية فاقرأ معى « ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ . فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ » (٨٣ — ٨٦) فالآية فى الذين آمنوا منهم وصاروا مسلمين ، ولذا عبر عنهم بصيغة الماضى بقوله « الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ » أى قالوا ذلك قبل أن يسمعوا ما أنزل الى الرسول وتفيض عيونهم دمعا مما عرفوه من الحق ويقولوا آمنا ويصبحوا مسلين .

ومادمت تستشهد بالقرآن على أنكم لستم مشركين ، ويتبين خطؤكم فى الاستشهاد بتركك بقية النسق القرآنى ، فماذا تقولون فى وصفكم بالاشراك بالله فى قوله تعالى « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا

﴿ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ فقد دعتكم الآية الى ترك عبادة المسيح وغيره وأن لا تشركوا بالله شيئا ، وقد نص ميثاق الايمان الذى أقره مجمع نيقية لدينكم ، على ربوبية كل من الاب والابن والروح القدس ، وسمى هذه الشركة توحيدا ، مع توغلها فى الاشراك ، وأكثر من هذا انكم حصرتم هذه الشركة كلها فى السيد المسيح ، فجعلتموه أبا وابنا وروح قدس ، ولهذا تعبدونه وتقدمون له القرابين ، ولقد نعى عليكم القرآن هذه (اللخبطة) وكفرها فقال ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا .. ﴾ سورة المائدة من الآية ١٧ ، ولم تلتفتوا الى أنه كان يستغيث بالله وهو مصلوب كما زعمتم قائلا « ايلى ايلى لما شبقتنى » أى الهى الهى لماذا تركتنى لهذا العذاب والهوان ، وكان يصرخ بأعلى صوته حتى أسلم الروح ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ تلك عقيدتنا فى شأن المسيح الرسول عيسى ابن مريم ، وأنتم وشأنكم فى عقيدتكم ، وأمرنا وأمركم كما قال الله جل وعلا: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

نقائض أخرى فى عقيدتكم

ومن عجب أنكم تمرون بما ينقض عقائدكم فى كتبكم بعيون ناعسة أو متناومة ، فيفوتكم درك الحق بهذا التجاهل .

لقد جاء فى الاصحاح الرابع من انجيل متى (أن السيد المسيح كان ابليس يمتحنه ويجربه) فلو كان ابن الله أو الله كما زعمتم لما جربه ابليس ، لأنه لا يوسوس ولا يجرب الا البشر ، ولا سلطان له على الألوهية ، فاقرأوا معى ما قاله انجيل متى : (ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل ، وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك ، فعلى أياديهم يحملونك لكى لايصطدم بحجر رجلك قال له يسوع : مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك ، ثم أخذه أيضا ابليس الى جبل عال جدا ، وأراه ممالك العالم ومجدها ، وقال له أعطيك هذه جميعا اذا سجدت لى ، قال له يسوع : اذهب ياشيطان ، لأنه مكتوب : للرب الهك نسجد ، واياه وحده نعبد ، (١) ثم تركه ابليس واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه) الاصحاح الرابع ـ فقرات ٥ ـ ١١ فكيف يكون الها أو ابن اله ويسلط عليه الشيطان ، وكيف يسايره ولا يعرفه الا أخيرا حينما طلب منه السجود ، وكيف يعرف الشيطان ممالك العالم ومجدها ، ولا يعرفها ابن الله الا بعد

(١) هذا النص ينفى بوضوح مازعموه من وحدة الثالوث فقد اعترف المسيح بأن السجود والعبادة منه ومن غيره لايكونا الا لله وحده ، وهذا واضح فى ان المسيح عبد يسجد لله كغيره من سائر عباده وليس عقل الله كما زعم البابا ، وليس ابنه كما زعمت الاناجيل الاربعة .

أن كشف الشيطان عن بصره فرآها ، وأطمعه فى ملكها لكى يسجد له ، هكذا قال انجيلكم ولا تستطيعون نفيه ولا تأويله ،أسال الله تعالى أن يشرح صدور عباده لمعرفته ، حتى يؤمنوا به على ما ينبغى له جل وعلا ، فهم فى تقليد آبائهم دون تفكير كما قال تعالى «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ» .

حصيدة المحاضرة والهدف من نشرها

وبعد فقد قرأت هذه المحاضرة التى سبق للبابا القاؤها ، وقرأت فيها دفاعه عن التثليث ومحاولة جعله توحيدا ، فوجدت فيها فكرة الألوهية لديهم تائهة فى وديان الغموض والحيرة ، وليس فى وسعهم أن يحلوا ما فيها من العقد المستحيلة الحل ومنها الوحدة الثلاثية أو ثلاثية الوحدة التى عميت عليهم فتاهوا فى استحالتها حائرين.

وقد جاء فى الصفحة الأخيرة من انشرة المشتملة على هذه المحاضرة بالخط العريض (امتحنوا كل شىء ، تمسكوا بالحسن) ومغزى هذا الاعلان مفهوم وواضح ، وفى أسفل هذه الصفحة ما يلى (اذا كانت لك رغبة صادقة لمعرفة الحق الالهى فى قراءة الانجيل ، ترسل لك نسخة مجانية اذا قطعت هذا الكوبون وأرسلته الينا) هكذا كتبوا والهدف منه واضح لا يحتاج الى بيان .

ونحن نقول : عندنا العهدان القديم والجديد ، ولقد قرأناهما وعرفنا منهما كيف ضيعتم الحق الالهى — حق التوحيد المطلق النظيف من تلك التناقضات التى ورثتموها عن أسلاف أعدموا أناجيل التوحيد ، وورثوكم أناجيل متناقضة ، قطعت عنكم المدد الالهى الذى يضىء لكم سبيل الحق ، ولا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم .

عقائد متشابهة

كانت المسيحة فى أول عهدها نقية من أدران الوثنية كما تركها السيد المسيح بعد أن توفاه الله ورفعه اليه ، فلما اختلطت بالشعوب الوثنية تأثرت بها فى عقائدها .

يقول المستشار محمد عزت الطهطاوى فى كتابه (محمد نبى الاسلام فى التوراة والانجيل والقرآن :

(كان بالاسكندرية مدرسة فلسفية يتزعمها أفلوطين فى القرن الثالث الميلادى ، واليه تنسب الأفلوطينية الحديثة ، وكانت آراء هذه المدرسة تتلخص فيمايلى (١) أن الله هو منشىء الأشياء ولا يحتاج الى موجد (٢) أن العقل هو أول شىء صدر عنه كأنه يتولد منه (٣) ومن العقل انبثقت الروح ، فمن هذا الثالوث يصدر كل شىء ، وقد نشأ بطريرك الاسكندرية فى هذه البيئة التى انتعش فيها مذهب أفلوطين لذلك لم يكن عجبا منه عند تواجده فى مجمع نيقية ، أن يكون من المدافعين بشدة عن عقيدة التثليث ، وتكرر منه ذلك فى المجمع القسطنطينى الأول حتى صارت عقيدة وقرارا لكل من المجتمعين ، سرت بعد ذلك الى جميع الكنائس كاثوليكية وأرثوذكسيةوبروتستانتينية ومما ساعد بطريرك الاسكندرية على اعتناق

فكرة الثالوث ، أن معتنقى الدين المسيحى تعذر عليهم أن يتصوروا معنى الألوهية بغير ما هو ممتزج بأفهامهم قديما ، ومغروس فى قلوبهم ، فكان فى مدينة طيبة المصرية ثلاثة آلهة — آمون — وموت وختو — ورع مظهر الشمس ، ثم قال الاستاذ الطهطاوى : ولقد جاء فى كتاب المستر وليم أوكسلى (مصر وعجائب أرض الفراعنة) أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون بأوزوريس ، كاعتقاد المسيحية بالمسيح تقريبا ، أى أنه ولد بالروح ، وكان والده ووالدته الها واحدا بثلاثة أقانيم ، وأنه بعد أن قتل وقطع جسمه قطعا عاش ثانية، وانتهى المؤلف الى القول بأن الديانة المسيحية، هى نوع مما كان يعتقده القدماء ، واستشهد المؤلف بصور وكتابات قال انها كانت موجودة فى قصر أنس الوجود) راجع كتاب (محمد نبى الاسلام ٠٠) للطهطاوى ص ٧٨ — ٧٩

ثم عقد المستشار الطهطاوى مقارنة بين عقائد المسيحيين حاليا وعقائد الوثنيين من البراهمة الهنود ، وكذا عقائد البوذيين ، وسنكتفى هنا بالمقارنة الأولى ، لأن الثانية تشبهها تماما ، واليك البيان

عقائد الوثنيين الهنود فى كريشنه	عقائد المسيحيين فى عيسى
(١) كريشنه هو المخلص والفادى والمعز والراعى الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس — الأب والابن والروح القدس	(١) يسوع المسيح هو المخلص والفادى والمعزى والراعى الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثانى من الثالوث المقدس — الاب والابن والروح القدس ٠
(٢) ولد كريشنه من العذراء ديفاكى التى اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها	(٢) ولد يسوع من العذراء مريم التى اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها
(٣) مجدت الملائكة ديفاكى والدة كريشنا ابن الله وقالوا : يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة ٠	(٣) فدخل اليها الملاك وقال : سلام عليك أيها المنعم عليها ٠ الرب معك ٠
(٤) عرف الناس ولادة كريشنا من نجمه الذى ظهر فى السماء ٠	(٤) لما ولد يسوع ظهر نجمه من المشرق ، فعرف الناس محل ولادته ٠
(٥) لما ولد كريشنه سبحت الارض وأنارها القمر وترنمت الارواح ، وفرحت ملائكة السماء ورتل السحاب أنغاما ٠	(٥) لما ولد يسوع رتل الملائكة فرحا وسرورا ورتل السحاب أنغاما مطربة ٠

(٦) كان كريشنه مـن سـلالة (ملوكانية) ولكنه ولد فى غار بحال الذل والفقر .

(٦) كان يسوع المسيح من سـلالة ملكية ، ويدعونه ملك اليهود ، ولكنه ولد بحـال الذل والفقر بغار فى فلسطين .

(٧) لما ولد كريشنة أضاء الغار بنور عظيم ، وصار وجه ايفاك أمه يرسل أشعة نور ومجد .

(٧) لما ولد يسوع المسيح أضاء الغار بنـور عظيم أعيا بلمعانه عينى القابلة ، وعينى خطيب أمه يوسف النجار .

(٨) ومن بعد ما وضعته صارت تبكى وتندب سوء عاقبة ولادته فكلمها وعزاها .

(٨)قال يسوع لأمه وهو طفل : يامريم أنا يسوع ابن الله كمـا أخبـرك جبرائيل الذى ارسله أبى اليك جئت لخلاص العالم .

(٩) وعرفت البقرة أن كريشنا اله وسجدت لـــه .

(٩) وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له .

(١٠) وأمــن النـــاس بكريشنه واعترفوا بلاهوته وقدموا له الهدايا من صندل وطيب .

(١٠) وأمن الناس بيسوع المسيح .

(١١) وسمع نبى الهنود (نـارد) بمولـد الطفل الالهى كريشنه وزاره فى (كـركول) وفحص النجوم فتبين له أنه مولود الهى يعبد

(١١) ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى عهد (هيرودويس) الملك اذا الماجوس مـن المشرق جاءوا الى أورشليم قائلين أين المولود ملك اليهود ؟

(١٢) ان كريشنه انبثق من الاله براهمـا الذى كان قبل الوجـود ، حيث خلق العـالم وسمى نفسه الخالق وكريشنا هو الذى خلص بنى الانسان بتقديم نفسه للصليب فداء عنهم، ومن ثم يصورونه مصلوبا مثقـوب اليدين والرجلين ، وعلى قميصه صورة قلب انسـان معلق ، وهناك اله آخر انشق من الالهبراهمـا موكل بالخراب والدمار .

(١٢) أن الأب هو الاصل ، والابن هو الكلمة التى تجسدت فى المسيح ، وان اعدام المسيح صلبا كان لتكفير خطيئة آدم الازلية بعـد أن أكل من الشجرة ، فانتقلت الخطيئة الى ذريتـه جيلا بعد جيل ، والى جميع نسـله ، حتى افتداهم المسيح وخلصهم من هذه الخطيئـة بقتله وصلبه ، وهناك أقنوم ثالث ضمن ثالوث الاله هو روح القدس .

راجع كتاب (محمد نبى الاسلام فى التوراة والانجيل والقرآن) ص ١٥٢ — ١٥٤ للمستشار الطهطاوى .

وبعد .

فمن المخلص من هؤلاء ، أهو كريشنه ، أم هو بوذا أم هو عيسى ، الواقع أن هذه دعاوى باطلة ، فلا يخلص الانسان من خطاياه الا التوبة النصوح ، قال تعالى « **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا . مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا** » سورة الاسراء ١٣ — ١٥ .

وقال سبحانه فى سورة النساء « **وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا** » ١١٠ وقال فيها أيضا « **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** » ١٢٣ وقال فى سورة الأنعام « **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** » فالتوبة تمحو الحوبة ، ومن لم يتب وأصر على المعصية عوقب بها ولايجد له من دون الله وليا ولا نصيرا « **يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا** » . ففكرة البنوة لله وفكرة المخلص فكرة وثنية استنكرها الاسلام بشدة فى مواضع كثيرة .

ومنها قوله تعالى « **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا** » أى شيئا منكرا فظيعا « **تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا . أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا . وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا** » ومن كان كذلك فلا يحتاج الى ولد يعينه « **وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا** » عابدا كان أو معبودا فيلقى كل جزاءه العادل ، نسأل الله الهداية لعباده ،

مصطفى محمد الحديدى الطير

أكثر الناس في القرآن الكريم

٣

وكما نفى الله العلم عن أكثر الناس فيما قدمنا من الآيات القرآنية نفى الله عن أكثر الناس الايمان فى ثلاث آيات فى كتابه الكريم جاءت بصيغة المضارع ، وفى آية جاءت بصيغة اسم الفاعل ، وتلك هى الآيات التى انتفى فيها الايمان عن أكثر الناس فى مواضعها المختلفة فى القرآن .

١ – قال تعالى :

((أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)) .

قال الله فى الآية السابقة على هذه : **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) .** ثم ذكر فى هذه الآية : من كان على بينة من ربه ، وقد حذف الجواب ، وتقدير الكلام : أفمن كان على بينة من ربه لمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس له فى الآخرة الا النار .

أما من كان على بينة من ربه ، فقيل : هو النبى ﷺ ، وقيل : من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ، وهذا هو الذى يناسب قوله فى الآية : أولئك يؤمنون به فمجىء ذلك بصيغة الجمع (أولئك) يبعد أن يكون المراد – بمن كان على بينة من ربه – محمدا ﷺ .

والمراد بالبينة : البرهان الذى يدل على صحة الدين الحق .

والضمير فى يتلوه يرجع الى البيان والبرهان الذى هو معنى البينة .

والشاهد : القرآن ، وقيل : جبريل

والضمير فى قوله :منه يعود الى الله .

ومن قبله كتاب موسى أى ويتلو ذلك البرهان من قبل مجىء القرآن كتاب موسى فى دلالته على الدين الحق .

وهكذا تتلاقى فى صحة هذا الدين : البينات العقلية وشهادة القرآن بصحته ، وشهادة التوراة .

وقد وصف كتاب موسى وهو (التوراة) بأنه امام أى يرجعون اليه فى معرفة الدين والشرائع كما وصفه الله بأنه رحمة ، لأنه

للاستاذ الدكتور
محمد محمد خليفة

يهدى الى الحق فى الدين والدنيا ، فكان سببا للرحمة .

أطلق اسم الرحمة عليه .

وقد وصف الله أولئك الذين كانوا على بينة بأنهم يؤمنون به ، ومن يكفر به من الأحزاب والطوائف المختلفة فالنار موعده ، ويدخل فى الأحزاب اليهود والنصارى والمجوس وقد روى سعيد بن جبير عن أبى موسى أن النبى ﷺ قال : لا يسمع بى يهودى ولا نصرانى فلايؤمن بى الا كان من أهل النار .

(فلاتك فى مرية) من صحة هذا الدين ومن أن القرآن نازل من عند الله ، وقد قالوا : انه مفترى ، وأنكروا نزوله من عند الله .

أولاتك فى مرية من أن موعد الكافر الذى يكفر به النار .

والخطاب فى قوله : فلاتك (عام) .

(انه الحق من ربك) أى القرآن هو الحق الذى جاء من ربك أيها الانسان ، أو أن موعد الكافر النار حق من ربك والخطاب فى قوله من ربك (عام) كذلك .

(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بأن القرآن الذى وصف بأنه جاء من قبله كتاب موسى اماما ورحمة وأنزله الله على محمد ﷺ رحمة للعالمين .

وما أكثر الذين لا يؤمنون بذلك القرآن من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الوثنيين وعباد الكواكب والطبيعة ومن لا يؤمنون بالله ، ومرجع عدم ايمانهم الى قصور نظرهم أو عنادهم ، أو استكبارهم .

والقلة التى أراد الله لها الخير هى التى آمنت بأن القرآن الذى جاء به محمد ﷺ هو من عند الله .

٢ ـ القرآن حق

قال تعالى : **(الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ)** الرعد .

اختلف المفسرون فى تفسير أوائل السور المبدوءة بحروف المعجم من نحو : ألم ، ألر ألمر ، ص ، ن ، ق حم عسق وأمثالها :

فقال بعضهم : انها اسم للسورة ، وقال البعض : اينها من المتشابه الذى لا يعلم تأويله الا الله وقال البعض : ان المراد أنه من هذه الحروف وأمثالها جاء القرآن الذى أعجز العرب وهم الفصحاء أن يأتوا بمثله أو بآية من مثله ، فلم تكن الحروف التى تألف منها ذلك المعجز خارجة عن الحروف التى عرفها العرب ، وجاشت بها بلاغة فصحائهم .

وقال عطاء فى تفسير (ألمر) أن معناها : أنا الله الملك الرحمن ، فالهمزة مأخوذة من (أنا) واللام من الله ، والميم من الملك والراء من الرحمن ، ويكون الأصل على هذا : أنا الله

الملك الرحمن تلك آيات الكتاب ، ثم اختزلت عبارة : أنا اللـــه الملك الرحمـــن فى (ألمر) ، (وتلك) اشارة الى آيات الكتـــاب ، والمراد بالكتاب : الكتاب الكامل الذى عرف مـــن بين الكتب السماوية بهذا الاسم (الكتاب) ، ويراد بـــه جميع القـــرآن ، أو الذى نزل منه حتى نزول هذه الآية .

وهذا الكتاب الكامل (الذى أنزل اليك من ربك الحق) أى أنه الحق الثـــابت وحقيتـــه كحقية الكتب السماوية قبل أن يعبث فيهـــا التحريف فى أنها كذلك تحمل الحق الثـــابت ، لأنها من عند الله ، فهذا الكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب .

(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بذلك الحق المبين ، لأنهم لم يتأملوا فيه حيث أعمـــاهم عنادهم عن النظر والتأمل .

وما أكثر من لم يؤمن بذلك الحق من اليهود والنصارى والملاحدة وقلة قليلة من الناس هى التى تؤمن بحقية ذلك الكتاب وما اشتمل عليه من عقيدة وتشريع وقصـــص وأخبـــار الأمم السابقة وما حاق بها حين كذبت رسل اللـــه الذين أرسلوا بالدعوة الى عبـــادة الواحـــد سبحانه .

٣ ـــ وحول مجىء الساعة قال تعالى :

(إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) غافر ٥٩

بعد أن بين الله سبحانه فى الآية السابقـــة على هذه أنه لا يستوى الأعمى والبصير بمعنى الغافل والمستبصر ، ولا يستوى الذى يعمل الصالحات بمعنى المحسن (والمسىء) بين فى هذه الآية أن الساعة حيث يكون جزاء الجميع على ما عملوا فى دنياهم (آتية لا ريب فيها) أى فى مجيئها لاجماع رسل الله وكتبه التى نزلت قبل القرآن على أن الساعة حق ، ولمجىء أكثر من آية فى القرآن تعد وتتوعد بأن مجيئها حق حيث يلقى المؤمن الذى عمل الصالح ثواب الله ويحيق بالمسىء والجاحد عقاب الله .

(ولكـــن أكثر النـــاس لا يؤمنون)أى لا يصدقون لأن عقولهم ضعفت ـــ فلم تدرك غير الواقع المحســـوس ، أما الأمـــور الغيبيـــة فلا يؤمنون بها مهما حدث بهـــا رســـل الله ونطقت بها كتب الله التى أنزلهـــا على مـــن اصطفى من الرسل والمـــراد بأكثر النـــاس : الكفار بالبعث والقيامة وما أكثرهم .

والقلة من الناس هم الذين يؤمنون بـــأن الساعة آتية لا ريب فيها ليتحقق بمجيئها وعد الله للمحسن ووعيده للمسىء .

٤ ـــ وحول موقف المشركين أو اليهود بعد اخبارهم بقصة يوسف عليه السلام قال تعالى مخاطبا رسوله محمدا ﷺ :

(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) يوسف ١٠٣ .

قيل : المراد بأكثر الناس فى الآية : اليهود وذلك لأنهم أرادوا اختبار نبـــوة محمد ﷺ

فسألوه عن قصة يوسف عليه السلام وعلقوا ايمانهم بمحمد ﷺ على اخبارهم بتلك القصة فلما قص الله قصة يوسف على نحو ما عرف اليهود فى التوراة كذبوا فيما وعدوا فلم يسلموا وكان النبى عليه الصلاة والسلام يحرص على اسلامهم لأن فى اسلامهم وهم الكتابيون ما يؤيد دعوته أمام الوثنيين •

وقال ابن عباس : المراد بأكثر الناس فى هذه الآية : أهل مكة وفى ذكر قصة يوسف عليه السلام تسلية لمحمد ﷺ حيث كان يحزن أشد الحزن على قومه القرشيين حينما يقع منهم ايذاء له أو لأصحابه فقص الله قصة يوسف عليه ليرى فيها كيف آذى الاخوة أخاهم ليتخذ من ذلك العزاء له ولأصحابه ، ثم ليرتقب نصر الله الذى نصر يوسف على اخوته ، ثم ليعفو عنهم كما عفا يوسف عن اخوته حين قال لهم : لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين •

ورأى ابن عباس فى أن المراد بأكثر الناس هنا أهل مكة يؤيده أن سورة يوسف مكية الا آية ١ ، ٣ ، ٧ فهى مدنية وآية وما أكثر الناس مكية •

ومعنى الحرص الذى جاء فى الآية طلب الشىء بأقصى ما يمكن من الاجتهاد ، وكان رسول الله ﷺ حريصا كل الحرص على اسلام قومه ، وقد خاطب الله رسوله بأنه مهما حرص وبالغ فى الحرص على ايمانهم فان أكثرهم لايؤمن **(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)** وكثيرا ما أوضح الله لرسوله أن مهمة رسالته التبليغ فحسب حتى لا يحزن على موقف قومه من دعوته فقال الله لرسوله :

(مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) (إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ) (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) •

وقيل : المراد بأكثر الناس : العموم ، فأكثر الناس غير مؤمنين بما يدعو اليه محمد ، وما أكثرهم من اليهود والنصارى والمجوس ومن لايؤمن بوجود الله فأولئك جميعا لا يؤمنون برسالة محمد عنادا وتعنتا وضلالا عن الحق•

وقد أكد عدم ايمانهم بالجملة الاسمية والباء (الصلة) التى تدل على التوكيد فى قوله : بمؤمنين) •

د• محمد محمد خليفة

وصايا القرآن الكريم

بأمهات الفضائل

قال تعالى « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

وقد سيقت هذه الآيات الكريمة بيانا من الله تعالى لما أحله وحرمه مما يتعلق بالاعتقاد والتشريع والاخلاق ، أو القول والعمل .

وجاء ذلك اثر اقحام المشركين ورد ما أفتروه من تحليل وتحريم ، واقامة الدليل القاطع على بطلان ضلالاتهم وأباطيلهم .. وكل ما أثاروه من شبه كانت نتيجة العقيدة الضالة ، فجاءت هذه الآيات لتحرر العقول من الشرك فى العقيدة والشرك فى القول والعمل ، وتطلقها من آسار الوثنية المظلمة الى الايمان بالله رب العالمين ، حتى يكون السلوك العملى على أساس من العقيدة الصحيحة وحتى يكون الدين كله لله .

وتنقسم هذه الوصايا الى قسمين :

قسم يتصل بعلاقة الخلق بخالقهم .

وقسم يتصل بعلاقة الخلق ببعضهم مع بعض :

أما القسم الاول : الذى يتصل بعلاقة الخلق بخالقهم ، فيقوم على الأصل الاول فى الدين وهو : التوحيد « وذلك فى قول الله تعالى : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » وسر التصريح بعنوان الربوبية دون غيره مع الاضافة الى ضميرهم فى قوله : « أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ .. » أن فى تذكيرهم واشعارهم بأنه تعالى رب لهم ومالك لأمرهم . ومربيهم ومتصرف فى حياتهم وموتهم تصرفا مطلقا فى كل هذا أقوى الدواعى الى انتهائهم عما نهوا عنه .

وفى النهى عن الاشراك بالله : توجيه الى عبادة الله وحده لا شريك له : « فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ

للدكتور أحمد عمر هاشم

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » لانه سبحانه لا يقبل من العبد عملا أشرك فيه سواه .

قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله وعز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه (١) ويقول : « يا أيها الناس اخلصوا أعمالكم فان الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال الا ما خلص له ، ولا تقولوا هذه لله وللرحمة ، فانها للرحمة وليس لله منها شىء ولا تقولوا هذه لله ولوجوهكم فانها لوجوهكم وليس لله منها شىء (٢) .

وفى الحديث القدسى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك » .

وفى النهى عن الشرك بالله توجيه الى العبادة والاستعانة به وحده فلا يسأل الانسان غير ربه ولا يستعين بمخلوق سواه ولا يشرك فى الاستعانة به أحد .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كنت خلف النبى ﷺ يوما فقال : ياغلام انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف « رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وفى رواية غير الترمذى : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

واذا كان النهى عن الشرك بالله يعنى هذين الامرين من العبادة لله وحده ، والاستعانة بالله وحده فقد جمع هذان الامران معا فى قوله تعالى فى فاتحة الكتاب الكريم : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » .

وقد حذر القرآن الكريم من الشرك ومن عاقبته الاليمة ونهايته الوخيمة فبين أن من

---

١ ـ الحديث أخرجه الامام النسائى فى سننه فى كتاب الجهاد باب من غزا يلتمس الأجر والذكر ج ٦ ص ٢٥ طبع دار الفكر ـ بيروت الطبعة الاولى سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م بلفظ : عن أبى أمامة الباهلى قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا شىء له » ثم قال : ان الله لايقبل من العمل .... الحديث « واللفظ له » ..

٢ ـ رواه البزار باسناد لا بأس به والبيهقى عن الضحاك بن قيس وهو مختلف فى صحبته ا هـ الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ج ١ ص ٥٥ باب ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا له . الباجورى .

جعل مع ربه الها آخر سيكله اللــه الى الذى أشركه معه وهو لا يملك ضرا ولا نفعا لأن الله وحده هو مالك كل شيء ، ولذا فنهاية من أشرك أحدا مع ربه أن يقعد « مذموما » على اشراكه « مخذولا » ، لان الله لا ينصره قال تعالى : « **لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا** » وفيما رواه الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالغنى اما آجلا واما غنى عاجـلا » رواه أبو داود والترمذى من حديث بشير بن سليمان .

٢ ــ **وأما القسم الثانى** :وهو ما يتصل بعلاقة الخلق بعضهم ببعض فهو نوعان أحدهما يتعلق بالعمل ، والاخر بالقول .

أما ما يتعلق بالعمل : فمنه ما يتصـــل بالوالدين : « **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** » .

ومنه ما يتصـل بالأولاد : « **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ** » .

ومنه ما يتصل بالمال : « **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** » .

ومنه ما يتصل بحرمة النفس : « **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** » .

ومنه ما يتصل بالكيل والميزان : « **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** » .

(ب) وأما ما يتعلق بالقول : « **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** » .

ثم ختم هذه الوصايا كلها بتوحيد القلوب وجمعها حـول دين الله والتمسـك بكتـابه والاعتصام بحبله ، فيقـول : « **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** » .

الوصـية بالوالدين

ونلاحظ أن الله سبحانه فى سياق تعـداد المحرمات ، خالف فى التعبير بالنسبة للوالدين فلم يقل ولا تسيئوا الى الوالدين بـل قال : « **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** » .

« فمن المعلوم ان الامر بالشيء يسـتلزم النهى عن ضده فذكر الامر وقصد لازمه ولـم يقصد بهذا التعبير الا المبالغة فى وجوب مراعاة حقوق الوالدين لانه لو قال « **ولا تسـيئوا اليهمـا** » ما كان هذا كافيا فى القيام بحقهما، فمجرد ترك الاساءة لا يفى فى جانبهمـا وان مجيء الوصية بالوالدين عقب الوصية باللـه ليدل على بالغ أهميتها ، قال تعالى فى سورة الاسراء : « **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا**

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ .

وقال تعالى : « أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ » وقال « وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا » .

وفى السنة الشريفة توضيح لهذا المكانة العظيمة للوالدين وبيان بأن برهما أحب العمل الى الله بعد عبادته سبحانه .

عن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت النبى ـ ﷺ : أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال :

الصلاة على وقتها قلت : ثم أى ؟ قال : بر الوالدين قلت ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله » متفق عليه :

ولمنزلة الوالدين عند الله تعالى لم يقصر الله برهما فى حال حياتهما بل جعله ممتد الأواصر حتى بعد موتهما روى الامام أحمد بسنده عن مالك بن ربيعة الساعدى قال : بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ اذ جاءه رجل من الأنصار فقال : يارسول الله هل بقى على من بر أبوى شىء بعد موتهما أبرهما به ؟ .

قال : « نعم ، خصال أربع : الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما ، واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا رحم لك الا من قبلهما فهو الذى بقى عليك من برهما بعد موتهما » رواه ابوداود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان .

رزقنا الله مثوبة بر الوالدين ورحم الله والدينا والمسلمين اجمعين .

حقوق الأولاد

ثم انتقلت الآيات بعد الوصية بالوالدين الى الوصية بحقوق الأولاد وفى التعبير بقوله : « وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ » أى لا تقتلوهم بالوأد من أجل فقر ناجز موجود وتلاحظ بينه وبين التعبير فى سورة الاسراء بقوله : « **خشية املاق** » أى فقر متوقع وان كان هناك بعض الآراء ان التعبير الاول مثل الثانى ولكننا نرى أن قوله : « من املاق» أى فقر حال فأبطل الله سببيه هذا العمل ، حيث ضمن أرزاق الآباء والأبناء معا وقدم الآباء هنا فقال « نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ » . واما فى الآية الثانية : فلما كان الفقر متوقعا بسبب وجود الاولاد قدم الاولاد فقال : « **نحن نرزقهم واياكم** » . .

وفى السنة الشريفة بيان للنهى عن ذلك وتوضيح لمثل هذه الجريمة الشنيعة ففى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ، قلت يارسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت : ثم أى ، قال :أن تزنى بحليلة جارك » .

صيانة العرض

ثم تأتى الوصية بالعرض والشرف الانسانى من قوله تعالى : « وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ » .

وجاء النهى هنا عن الفواحش بصيغة الجمع ليشمل التحذير جميع أنواع الفاحشة كما فسرته الآية « **مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** » أى ما يقع منها علانية كما هو شأن أراذلهم وما يفعل فى السر باتخاذ الأخدان كما هو شأن أشرافهم •

وفى النهى عن قربانها زيادة فى التأكيد والمبالغة فى التحذير منها ولأن قربانها يدعو الى مباشرتها •

وفى سورة الاسراء نهى عن الزنا ومقاربته فى قوله تعالى : « **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** » •

وورد فى السنة الشريفة بيان خطورة هذا الذنب وعظمه •

روى ابن أبى الدنيا بسنده عن الهيثم بن مالك الطائى عن النبى ﷺ قال : « **ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى رحم لا يحل له** » •

وعن ميمونة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا تزال أمتى بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا** » • **فاذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب** » رواه أحمد •

وقال العلامة أبو السعود فى تفسير سورة الانعام : وتوسيط النهى عنها « أى الفواحش » بين النهى عن قتل الاولاد والنهى عن القتل مطلقا •• باعتبار أنها مع كونها فى نفسها جناية عظيمة فى حكم قتل الاولاد فان أولاد الزنا فى حكم الاموات ••

حرمة النفس

ثم تأتى بعد الوصية بالعرض الوصية بالنفس الانسانية وبيان حرمتها بعد الوصية بالعرض فى قوله تعالى : **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** » وهى النفس الانسانية التى حرم الله الاعتداء عليها لكونها معصومة بالاسلام أو بالعهد •

ومأا قوله : « **الا بالحق** » فهو الذى أمر الشرع به كالكفر بعد الايمان ، أو الزنا بعد الاحصان ، أو قتل النفس المعصومة أو الاعتداء على جماعة المسلمين فحينئذ تهدر عصمة النفس الانسانية •

وفى سورة الاسراء بيان لهذه الوصية واحترام للنظام الالهى الذى قرره الاسلام حتى بالنسبة لولى القتيل فليس له الاسراف فى القتل : « **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا** » •

وفى السنة الشريفة بيان وتفصيل لهذه الوصية منها ما ثبت فى الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله الا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزانى المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة** » •

وما رواه أصحاب السنن : « **لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم** » • **تلك خمس وصايا بينة لأصحاب العقول واضحة كالشمس فى رائعة النهار يفهمها كل انسان ويعقلها جميع الخلق ، فهى من الوضوح بمكان بحيث تقضى**

بها بديهة العقول ، ولذا ختمت الآية الكريمة بقول الله تعالى: « **لعلكم تعقلون** » أى لعلكم تستعملون عقولكم فى فهم هذه الوصايا وادراك أهميتها فى الدين •

وهكذا نرى أن هذه الوصايا السابقة تضمنت : ١ ـ العقيدة ٢ ، ٣ الاسرة أصولا وفروعها « الآباء والابناء » ٤ ـ العرض ٥ ـ النفس •

المال

بعد هذا تتجه بنا الوصايا الالهية الى « المال » وكيفية استخدامه والتعامل الاجتماعى النظيف الذى لا تشوبه شائبة ما •

وتبدأ الوصية بمال اليتيم ، لأنه ضعيف الحال فنبه عليه ، وصرح بالنهى عن قربان ماله مبالغة فى النهى عن أكله الا بالطريق الأحسن كالحفظ والتثمير الى أن يصبح بالغا رشيدا قال تعالى : « **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** » كذلك حذر الله تعالى الوصى من سوء التصرف فى مال اليتيم بتبديل الخبيث من ماله بالطيب من مال اليتيم أو بأكل المال مضموما الى ماله موضحا أن هذا اثم كبير فقال تعالى : « **وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا** » •

ومحافظة على مال اليتيم أمر الله تعالى اذا بلغ اليتيم ـ ألا يسلم له ماله الا بعد اختباره للتحقق من حسن تصرفه فيه ، ونهى عن أكله « **اسرافا** » بصرفه فى غير الوجوه الصحيحة المشروعه ولو على اليتيم نفسه ، « **وبدارا** » بالاستعجال فى التصرف فى ماله حيث كانت فيه منفعة فيخشى الوصى فواتها اذا كبر اليتيم وأخذ ماله • كما بين أنه لابد من زيادة الحيطة فى المحافظة على المال بحيث لو كان غنيا فليعف عن الاكل من المال ولو كان فقيرا فليأكل بالمعروف وحتى عند دفع الأموال الى اليتيم لابد من أن يشهد الولى عليها لتتم براءة الذمة •

قال تعالى: « **وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا** » •

وبين الله تعالى جزاء من يأكل أموال اليتامى ظلما بأن هذا يجرهم الى النار وبئس المصير :

« **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** » •

ثم تتدرج بنا الوصايا الالهية الى بناء اقتصادى سليم وحياة اجتماعية مثالية لا تصدع فيها من أثر الخيانة ولا احتكار فيها من أثر الجشع وشح النفس بل انها معاملة تظللها الأمانة بما فى وسع البشر « **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** » •

وفى سورة الاسراء ورد مثل هذا النهى : « وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً » .

وفى سورة المطففين : « وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما قدم النبى ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله عز وجل : وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ « فأحسنوا الكيل بعد ذلك . رواه ابن ماجه وابن حبان والبيهقى .

(ب) ما يتعلق من هذه الوصايا بالقول وذلك فى قوله تعالى : « وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى » ان العدل من أهم أسس المجتمع الاسلامى وبدونه تصبح الحياة فوضى لا استقرار ولا أمان فيها واذا كانت هذه الوصية تنص على العدل فى القول حكومة أو شهادة أو غير ذلك فانه مطلوب فى الامر كله قال تعالى « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » .

وحرم الله تعالى الظلم وبين عاقبته الوخيمة فى قوله تعالى : « مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ » .

وبين الرسول ﷺ نهاية الظلم يوم القيامة فى قوله « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » رواه مسلم .

واذا كانت فضيلة العدل وسطا فى الامور بين الافراط والتفريط ، فان الاسلام يحرر هذه الفضيلة من آفة الافراط كالمحاباة والمحسوبية، لقرابة وغير ذلك فقال تعالى : « وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى » .

ومن آفة التفريط التى تؤدى الى التقصير بسبب الكراهية فقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ـ أى « ولا يحملنكم » شَنَآنُ قَوْمٍ ـ أى شدة بغضكم لهم » ـ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

الوفاء بالعهد

ثم يأتى بعد ذلك : « الوفاء بالعهد » فى قوله تعالى : « وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا » .

والعهد نوعان : عهد مع الله ، وعهد مع الناس .

اما عهد الله فهو الالتزام بشرعه وما عاهد المسلم ربه عليه من الايمان والنذور .

وأما العهد الذى مع الناس فيكون بالتمسك بالالتزامات الصحيحة التى ينبغى التمسك بها بينهم فى سائر العلاقات والمعاملات قال تعالى « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً » .

وقال : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ »

وقال : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)) .
ونقض العهد ليس من سمات المؤمنين ، لأنـه يعمل على اهتزاز الثقة وتمزيق العلاقات بـل ان نقض العهد من علامات النفاق وفى الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسـول اللـه ﷺ قال : ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفـاق حتى يدعها اذا أؤتمن خان واذا حدث كـذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر)) .

واعتناء بأهمية العهد وتأكيدا للوفاء به جاء ، التعبير القرآنى الحكيم بتقديمه على الفعـل ((وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا)) .

ولما كان الناس تجاه هذه الوصايا بحاجة الى تفكر وتذكر وبحث واجتهاد وفى تحرى وجه الصواب والوقوف على أسس الاعتدال فيها ختمها الله تعالى بخطـاب يحث على ذلك فى قوله : ((ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) .

خـاتمة المطـاف

أما نهاية المطاف بالنسبة لتلك الوصايا فهو اشارة الى جميع ما ذكر وتركيز لشريعة الله بما يتعلق منها بالأمر والنهى وتوجيه للاعتصام بحبل الله حتى لاتدب الفرقة بين المسلمين .

((وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِى مُسْـتَقِيمًا فَاتَّبِعُـوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)) .

قال تعالى : ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًـا وَلَا تَفَرَّقُوا)) .

بقى سؤال : هل هذه هى كل الفضائل التى يدعو الدين اليها ؟ وكـل الوصـايا التى يجب مراعاتها ؟ .

والجواب على ذلك : أن هناك فضائل أخرى وأخلاقا كثيرة ولكن الآيات الكريمة اقتصرت على أمهات الفضائل وأسس الاخلاق وغير هذه يندرج تحتهـا على طريق الاجمـال عقيـدة وشريعة وأخلاقا .

وفى ختام هذه الوصايا بيان اجمالى بهـا وبغيرها من الفضائل والوصايا التى لم تذكر ضمن المتلو عليهم وذلك فى قوله : ((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى ..)) حيث أضـاف الرسـول ﷺ الصراط الى ضميره ومعنى هذا انتسابه اليه من جهة السلوك والقول ، والعمل وهذا يفيـد أن مالم يرد ذكره هاهنا ، وما كان مفصلا مـن الأوامر والنواهى يتعلق بـه عليه الصـلاة والسلام وهو قائم على العمل به ومستمر على مراعاته ولنا به أسوة حسنة : ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُـولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)) .

وفى تعليل الاتبـاع باضـافة الصراط الى الرسول ﷺ لا الى الله فى هذا لفتة حكيمـة فان التعبير الشريف أراد أن يوجهنا الى بيان سلوك الرسول ﷺ ، وفيه دعوة الى اقتـداء الناس به وعندئذ يتضح لديهم أنه صراط الله تعالى : ((مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَـاعَ اللَّهَ)) .

البقية ص ٥٢٤

كتاب

الإجزاء في معرفة الأجزاء

يسعد مجلة الأزهر أن تقدم هذا التحقيق لكتاب « الإجزاء فى معرفة الأجزاء » الذى يسجل جهدا كريما فى الدراسات القرآنية ، قام به فضيلة الاستاذ الشيخ « ابراهيم عطوه عوض » من علماء الأزهر الشريف المهتمين والمساهمين فى ميدان هذه الدراسات الجليلة وقد عنى المحقق ـ جزاه الله خير الجزاء ـ أن يصدر تحقيقه بمقدمة يتبعها بترجمة لمؤلف الكتاب قبل أن يبسط أمام القارىء نص الكتاب ، تقديرا منه وتعريفا بالمؤلف .

نسأل الله سبحانه كريم النفع به وجزيل الثواب لكل من سعى الى نشره وعمل للتعريف به .

مجلة الأزهر

تمهيد للمحقق :

قال تعالى : « وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً » .

الحمد لله الذى أنزل القرآن هدى ورحمة وبشرى للمسلمين (سبحانه) أنزله بأجزل لفظ وأعذب أسلوب ، فأعجزت بلاغته البلغاء، وأعيت حكمته الحكماء . كيف لا « وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (١) .

وأصلى افضل الصلاة وأتمها على هادى الأمة ونبى الرحمة سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ وآله وصحبه وشرف وكرم وسلم وبعد .

فان احياء الكتب التى جادت بها قرائح أسلافنا السابقين وتفجرت بها ينابيع مواهبهم ، فانسابت فى كل جانب من جوانب التعريف بهذه الشريعة الخصبة السمحة ، فكانت لهم مؤلفات رائعة شفت عن مدى

(١) فصلت ٤١ ـ ٤٢ .

للأستاذ إبراهيم عطوة

شماختها وكشفت عن كثير من نواحى عظمتها ان احياء هذا التراث الفذ لواجب فى مقدمة ما يجب على العلماء ، ولقد كان اهتمامهم بالمصدر الاول للتشريع (القرآن الكريم) فى المكانة الاولى من عنايتهم ، اذ كانوا يعتقدون أن الطاعة الحقيقية لله ، انما تكون بدراسة كتابه والعكوف على تفهم مراميه ، وادراك اشاراته وتحليل عباراته ، مما مكن لهم من أن يكشفوا فيه كل يوم عن جديد يزداد به المؤمنون ايمانا على ايمانهم ، فتدفع بهم الثقة الى متابعة المزيد من الدراسة والتحليل. ومن ثنايا هذه الدراسة الفاحصة المتعمقة أخرجوا للناس مؤلفاتهم ، لا يبغون من ورائها جزاء ولا شكورا ، انما يريدون بها وجه الله . وحمل الناس على التمسك بكتاب الله الذى « لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ . تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) (١) .

وبهذا وجدت البشرية المعذبة ما يأخذ بساعديها الى رحاب السعادة الأبدية . وفى الوقت ذاته ظفرت بما يحقق لها غاياتها ، ويسد حاجاتها ، وينهض بمتطلباتها فى هذه الحياة الراهنة .

ولقد قدر الله لهذه الكنوز الدفينة بعد أن طال عليها الامد فى زوايا النسيان أن ترى النور على يد المحققين من علماء الأزهر الشريف بمجمع البحوث الاسلامية وبمجلة الأزهر الغراء فوق أرضنا الطيبة التى قام بها الأزهر يحمل شموس الهداية . فتضىء لبنى الدنيا ، فيرى الناس الطريق الواضحة فيندفعون اليها مستبصرين بعد أن كانوا فى ظلمات الجاهلية والجهالة تائهين.

ولما كانت المكتبة الاسلامية على وفرة محتوياتها وضخامة ذخائرها قد خرجت من عقالها ، وبعثت من مرقدها فى عصرنا الحاضر .

ولما كانت رسالة هذه المكتبة هادية مرشدة لأبناء الاسلام على المستوى العالمى كان لابد من اتحافها بكنز آخر من تلك الكنوز المكنونة فى علوم القرآن الكريم ذلك الكنز هو :

كتاب الاجزاء فى معرفة الأجزاء .

لمؤلفه الامام ابراهيم بن عمر الجعبرى — رحمه الله

وهو كتاب ناهيك به من كتاب فى خصوص هذا الباب صيغ فى أسلوب ممتع جذاب . وعبارة ميسرة تأخذ بالألباب يسير القارىء له فى رياض رحبة الظلال . دانية القطوف . جميلة المرأى . حلوة المذاق . جمعت ما

(١) سورة الاعراف آية ١٧٠ .

نسقه السابقون . وزيد عليها ماكمل بهجته وأغنى عن النظر فى سابقتها . ولا غرو يخرجه مؤلفه فى صورة متكاملة .

وها أنا ذا أمسك القلم عن الوصف والبيان تاركا مؤلفه الجعبرى يعرب عن كتابه بلسانه قال :

وبعد :

فلما دعت الحاجة الى تجزئة التنزيل كما دل عليه الدليل ـ تبادرت اليه أئمة القرآن فى كل زمان وتداوله الخلف عن السلف . وها أنا قد أوردته على نحو ما تقلدته . جامعا شوارده شارحا موارده . وفى أوراق قليلة تشتمل على معان جليلة . ورتبته . على ثلاثة أبواب .

الاول : فى تجزئة النبى عليه الصلاة والسلام والاصحاب .

والثانى : فيها باعتبار كسور الحساب .

والثالث : فيها بنسبة أوقات الأحقاب .

وصدرته بمقدمة فى عمدة الكتاب وسميته الاجزاء فى معرفة الأجزاء. والله المسئول فى بلوغ المأمول .

ترجمة المؤلف بقلم المحقق

هو الامام الحافظ الحجة الثبت الشيخ ابراهيم بن عمر بن خليل بن أبى العباس العلامة الأستاذ ابو محمد الربعى الجعبرى السلفى بفتحتين نسبة الى طريقة السلف محقق حاذق ثقة كبير .

مولده ووفاته

ولد سنة أربعين وستمائة أو قبلها تقريبا بربض قلعة جعبر . وتوفى ثالث عشر من رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة .

ثقافته

قرأ (للسبعة) على أبى الحسن على الوجوهى صاحب الفخر الموصلى ، و (للعشرة) على المنتخب حسين بن حسن التكريتى صاحب ابن كدى بكتاب در الافكار، ومن ثم لم تقع له بالتلاوة عن كل من العشر الارواية واحدة وروى القراءات بالاجازة عن الشريف الداعى . وروى الشاطبية بالاجازة عن عبد الله بن ابراهيم بن محمود الجزرى.

تلاميذه

قرأ عليه القراءات العشر شيخنا (٢) أبو بكر بن الجندى وبلغنى أن الشيخ عمر بن حمزة

---

(١) غاية النهاية لابن الجزرى «بتصرف» .

(٢) اذا اطلق المؤلف: "شيخنا" فمراده شيخ ابن الجزرى .

العدوى قرأ عليه ، وقرأ عليه أحمد بن نحله سبط السلعوس ، ومحمد المطرز ، والقاسم المغربى ، وابراهيم البعلبكى الشاهد وقرأ عليه بعض القرآن بالقراءات واجازه بالباقى شيخنا ابو المعالى بن اللبان وابراهيم احمد الضرير الشامى ، وقرأ عليه أيضا الحسام المصرى شيخ القرم ، واستوطن بلد الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والاسلام .

وللامام باع واسع فى علم اللغة والنحو والصرف والتفسير ، وتوجيه القراءات وعلومها . كعلم الآى والفواصل والرسم .

وله شروح على كتب المتقدمين منها :

شرح حرز الأمانى ووجه التهانى . يقع فى مجلدين كبيرين مخطوط بدار الكتب يسمى « كنز المعانى » .

وشرح على كتاب (عقيلة أتراب القصائد فى أسنى المقاصد)فى رسم القرآن الكريم يسمى « الأبحاث الجليلة على العقيلة » .

وكتاب النفيس فى علم الآى يسمى « حسن المدد فى معرفة العدد » .

ولكتاب الاجزاء . وهو هذا الكتاب . الى غير ذلك من المصنفات الكثيرة .

أخلاقه

كان رحمة الله عليه ورضوانه على جانب كبير من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة. كان خلقه القرآن العظيم وحديث رسول الله ﷺ فما كان يغفل عن تعهدهما والاشتغال بهما .

وكان من أبرز صفاته التى عرف بها الحلم والتواضع واحتمال المشاق والصبر والصيام، وقيام الليل فى الطاعة والورع والأدب الجم مع شيوخه وطلابه ومن يعرف ومن لا يعرف ومحبته للعلماء وذوى الفضل والتنويه بذكرهم . وعدم تناول أحد بما يسىء ، وعدم التفاخر بعلمه ومزاياه . والى جانب ماذكر ما اتصف به من الكرم والمروءة والبذل والسخاء والزهد فى متاع الحياة الدنيا . وغير ذلك من الصفات الكريمة التى لم تجتمع لأحد من أهل زمانه . وقد شهد له القدماء بالحفظ والمعرفة التامة والذهن الحاد والذكاء المفرط وسعة الاطلاع فى كثير من الفنون .

فجزى الله المؤلف خير الجزاء . وأنزله منازل الصديقين والشهداء . ونفعنا الله وسائر المسلمين بعلمه . وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما وسعه علم الله العظيم .

كتاب الاجزاء في معرفة الاجزاء
تأليف الفقير الى الله تعالى
ابراهيم بن عمر الجعبري
نزيل الخليل عليه
السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الكتاب نجوما وجعله للدين معالم ورسوما
رفقا بالمكلفين انه كان بهم رحيما وصلواته على سيدنا محمد
الذي قوم منار الاسلام تقويما وعلم امته اركان الايمان تعليما
صلى الله عليه وعلى اله وصحبه وسلم تسليما وبعد فلما دعت الحاجة
الى تجزئة التنزيل كما دل عليه الدليل وتبادرت اليه ايمة
القران في كل زمان وتداوله الخلف عن السلف وها المناهل
اوردته على نحو ما نقلته مجامعا شوارده ومشارعا موارده
في اوراق قليلة تشتمل على معان جليلة ورتبته على ثلثة ابواب
الاول في تجزئة النبي عليه الصلوة والسلام والاصحاب والثاني
فيها باعتبار كسور الحساب والثالث فيها باعتبار كسور الحساب
وثالث فيها بنسبة اوقات الاحقاب وصدرته بمقدمة
في علوم الكتاب وسميته الاجزاء في معرفة الاجزاء والله المسؤول
في بلوغ المامول بمنه ... وهي في الاسناد ومعنى الجزء و
الحزب ودليل التحزيب جل ما ذكره في هذا الكتاب رويته عن
الشيخ ابي اسحق يوسف البغدادي عن ابي محمد القسم المورقي عن
ابي عبد الله محمد المرادي عن ابي الحسن علي بن هذيل عن ابي
داود عن الشيخ ابي عمرو عثمان بن سعيد الداني بسنده المتصل
بمن ينتهي اليه والجزء البعض فكل بعض من القران سورة او آية
وكلمة يسمى جزءا واصطلاحا بعض ما وتسميته الحزب لغة الجمع
فكل جمع من احدها يسمى حزبا واصطلاحا جمع مماثل لمقابله
باحد الاعتبارات فيرادف الجزء في قسميه ولما كان حفظ
القران جملة متعذرا وتكراره بجمعه شاق وكان ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نزل الكتاب نجوما ، وجعله للدين معالم ورسوما ، رفقا بالمكلفين انه كان بهم رحيما ، وصلواته على سيدنا محمد . الذى قوم منار الاسلام تقويما . وعلم أمته أركان الايمان تعليما . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . وبعد .

فلما دعت الحاجة الى تجزئة التنزيل كما دل عليه الدليل . تبادرت اليه أئمة القرآن فى كل زمان وتداوله الخلف عن السلف وها أنا قد أوردته على نحو ما تقلدته . جامعا شوارده . شارعا موارده . فى أوراق قليلة تشتمل على معان جليلة . ورتبته على ثلاثة أبواب .

الاول : فى تجزئة النبى عليه الصلاة والسلام والأصحاب .

والثانى : فيها باعتبار كسور الحساب .

والثالث : فيها بنسبة أوقات الأحقاب .

وصدرته بمقدمة فى عمدة الكتاب وسميته (الاجزاء فى معرفة الأجزاء) . والله المسئول فى بلوغ المأمول .

(المقدمة . وهى فى الاسناد ومعنى الجزء والحزب ودليل المجزئين)

جل ما أذكره فى هذا الكتاب رويته عن الشيخ أبى اسحاق يوسف البغدادى عن أبى محمد القسم اللورقى عن أبى عبد الله محمد المرادى عن أبى الحسن على بن هذيل عن أبى داود عن الشيخ أبى عمر وعثمان بن سعيد الدانى بسنده المتصل بمن ينتهى اليه.

والجزء :البعض ، فكل بعض من القرآن سورة أو آية أو كلمة يسمى جزءا . واصطلاحا بعض مساو لقسميه .

والحزب : لغة الجمع ، فكل جمع من أحدها يسمى حزبا .

واصطلاحا : جمع مماثل لمقابله بأحد الاعتبارات فيرادف الجزء فى قسميه .

ولما كان حفظ القرآن جملة متعذرا وتكراره دفعة شاقا ، وكان ذلك من قبيل تكليف ما لايطاق أباح الله تعالى ورسوله لكل انسان تجزئته بحسب الامكان ، وكان الأسهل على القراء والاعدل فى الاقراء أن يكون الأجزاء على السواء لأنها كمراحل السائرين . ومنازل الحالين . بقوله تعالى « **وَقُرْآنًا فَرَّقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا** » « **لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً** » « **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ** » . « **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** » .

وبرواية عائشة — رضى الله عنها — (كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن فى أقل من ثلاث) .

وقول ابن عمر رضى الله عنه (استأذنت النبى — ﷺ — فى أشياء فقال اقرأ القرآن فى ثلاث فقلت : يارسول الله زدنى فقال : انه لا يفهمه رجل قرأه فى أقل من ثلاث).

ولهذا قال عبد الله من قرأه فى أقل من ثلاث فهو راجز هذا كهذ الشعر ونثرا كنثر الدقل .

الاجزاء فى معرفة الأجزاء

وقول قيس بن صعصعة : يارسول الله فى كم أقرأ القرآن ؟ قال :فى كل خمس عشرة فقال : انى أجدنى أقوى من ذلك فقال : فى كل جمعة .

وقال سعيد الأنصارى يارسول الله أقرأ القرآن . فى ثلاث ؟ قال : نعم ان استطعت .

وقال أوس - لأصحاب النبى ، ﷺ : (كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث سور ، وخمسا ، وسبعا ، وتسعا ، واحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، والمفصل من ق الى آخره) .

فان قيل : فقوله تعالى : « ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ» ذم للمجزئين .

قلت : المراد تجزئة النقض لقوله : أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض .. يتبع .

ابراهيم عطوة

وصايا القرآن الكريم "بقية"

ومعنى : « وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ» أى لا تتبعوا الاديان المتفرقة المختلفة أو سبل البدع وطرق الغوايات فتفرقكم عن السبيل المستقيم الذى لا عوج فيه وهو الاسلام . « ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» .

وهكذا تسمو بنا الوصايا الالهية من فضيلة الى أخرى ومن خلق الى خلق حتى تتركز كلها فى الشريعة مجتمعة وفى الصراط المستقيم فيأمر الله باتباعه ، ويردف الأمر بالنتيجة وهى الوصول الى تقوى الله تعالى فيتقى العبد غضبه وعذابه وناره وعقابه . ويفوز برضاه ورحمته وثوابه وجنته وذلك هو الفوز العظيم.

ولا يخفى ما فى آخر كل آية من التنسيق البليغ والحكمة العالية حيث يتدرج بالانسان من قوله تعالى : « .. لعلكم تعقلون » الى « ... تذكرون » الى « ... تتقون » ان هذا الترتيب الرائع ليطلعنا على سلم الهداية الالهية تدرجا بالانسان من العلم والمعرفة عن طريق العقل والبحث الى درجة أسمى هى التذكر والتدبر الى درجة أسمى هى تقوى اللهتعالى .

فالانسان اذا عقل تفكر ثم تذكر أى اتعظ فاتقى محارم الله تعالى . وفقنا الله الى العمل بالقرآن وهدانا الى صراطه المستقيم .

د. أحمد عمر هاشم

الحديث الشريف والسيرة النبوية

جزاء معاداة أولياء الله تعالى

حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

من الوثائق الاسلامية الأولى

جزاء معاداة أولياء الله تعالى

وأفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان الله ـ عز وجل ـ قال : « مَنْ عَادَى لِى وَلِيّاً ، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِى لَأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ عَبْدِى الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ » .

« رواه البخارى »

راوى الحديث : هو أبو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، قدم على النبى ﷺ مهاجرا اثر غزوة خيبر ، سنة سبع من الهجرة ، ولازمه حتى لحق بربه ، روى عنه الحديث فأكثر ، وروى عن كبار الصحابة وروى عنه كثير من التابعين ، أكثرهم سعيد بن المسيب ، صهره ، والأعرج مولاه ، وكثير غيرهما .

وكان من أوعية العلم ، ومن كبار أئمة الفتوى ، مع الجلالة والعبادة والتواضع وكان من أحفظ الصحابة ، وروى عن ابن عمر أنه قال : يا أبا هريرة أن كنت لألزمنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه .

توفى سنة ٥٨ من الهجرة النبوية ودفن بالبقيع (١) .

« الشرح »

هذا الحديث قبس عظيم من نور النبوة ، وأصل فى السلوك ، والتقرب الى المولى ـ تبارك وتعالى ـ والوصول الى معرفته ومحبته وطريقه ، وهو من الأحاديث الالهية

(١) الطبقات الكبرى للشعرانى ١/ ٢٥ فتح المبين لشرح الاربعين للهيتمى ١٣١ .

للأستاذ عبد المعز عبد الحميد الجزار

لأنه من كلام الله تبارك وتعالى ، غير أنه ليس له حكم القرآن رواه النبى — ﷺ — عن جبريل — عليه السلام — عن ربه — عز وجل .

ولما كان هذا الحديث يحتوى على جزاء من يعادى أولياء الله ، وأفضل ما يتقرب به الى الله ، ينبغى أن أوضح الولى وشرطه ، وكراماته ، وموقف العلماء منها ، فأقول وبالله التوفيق :

من هو الولى ؟

ان الولى هو من تولى الله بالطاعة ، والتقوى ، فتولاه الله بالحفظ والنصرة من الولى ، وهو القرب والدنو ، فالولى هنا القريب من الله تعالى ، لتقربه اليه باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، والاكثار من نوافل العبادات ، مع كونه لا يفتر عن ذكره ولا يرى بقلبه غيره ، لاستغراقه فى نور معرفته ، فلا يرى الا دلائل قدرته ، ولا يسمع الا آياته ، ولا ينطق الا بالثناء عليه ولا يتحرك الا فى طاعته ، وهذا هو المتقى مصداقا لقوله تعالى (**إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ**) (١) .

شرط الولى :

قال العلماء : يشترط فى الولى أن يكون محفوظا (٢) ، كما يشترط فى النبى أن يكون معصوما ، وكل من كان للشرع عليه اعتراض، فهو مغرور مخادع .

قال الامام القشيرى : المراد بكون الولى محفوظا أن يحفظه الله تعالى من تماديه فى الزلل والخطأ ، فان وقع فيهما يلهمه الله التوبة ، فيتوب منهما ، والافهما لا يقدحان فى ولايته .

وقال الفاكهانى — رحمه الله — من حاربه الله أهلكه .

وقال غيره : ايذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة كأكل الربا — عافانا الله تعالى من ذلك ، فمن والى أولياء الله تعالى أكرمه الله ، ومن عادى أولياء الله أهلكه الله .

قال أبو تراب النخشبى — رحمه الله — من ألف الأعراض عن الله صحبته الوقيعة فى حق أولياء الله » (٣) .

وقد دل الحديث الالهى هذا : أن عدو ولى الله عدو لله تعالى ، فمن عاداه كان كمن حاربه . نعوذ بالله من الانكار والحرمان .

◄

(١) « جامع كرامات الاولياء » للنبهانى ١/١٤ سورة الانفال من الآية ٣٤ .
(٢) يبدو أن المراد أن يوفقه الله فلا يكله الله الى نفسه وليس بمعنى الا تقع منه معصية .
(٣) « فتح المبين لشرح الاربعين » لابن حجر الهيتمى ٢٦٩ .

هل يعلم الولى ولايته ؟

كان الامام ابو بكر بن فورك ـ رحمه الله يقول : « لا يجوز ذلك لأنه يسلبه الخوف ، ويوجب له الأمن » .

وكان الاستاذ أبو على الدقاق ـ رحمه الله ـ يقول بجوازه ، وقال الامام القشيرى هذا هو الذى نؤثره ونقول به وليس ذلك بواجب فى جميع الأولياء حتى يكون كل ولى علم أنه ولى واجبا ، ولكن يجوز أن يعلم بعضهم ، كما يجوز ألا يعلم بعضهم ، فاذا علم بعضهم أنه ولى كانت معرفته تلك كرامة له انفرد بها ، وليس كل كرامة لولى يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء .

وقال بعضهم يجوز أن يبلغ الولى الى حد يمنع أن يسقط عنه الخوف ، ولكن الغالب خلافه وكذا قال السرى السقطى : لو أن أحدا دخل بستانا فيه أشجار على كل شجرة طير يقول بلسان فصيح : السلام عليك ياولى الله، فلو لم يخف انه مكر لكان ممكورا به » .

فان قيل : هل يجوز أن يكون وليا فى الحال ثم تغير حاله ؟ فيه خلاف مبنى على خلاف ، وذلك أنه اختلف هل يشترط فى الولاية حسن الموافاة أم لا ؟ فمن شرط ذلك لم يجزه ، ومن لم يشترط أجازه ، ولكن الغالب على الولى فى أوان صحوه صدقه فى أداء حقوقه لله ، والشفقة على الخلق فى جميع أحوالهم ، ودوام تحمله عنهم ، وابتدائه بطلب الاحسان من الله اليهم من غير التماس منهم ، وترك الطمع بكل وجه فيهم ، وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم ، ودوام حزنه وغير ذلك (١).

« كرامات الأولياء وحكمها »

ذهب أهل السنة الى جواز الكرامات لأولياء الله ، ومنهم امام المتكلمين الباقلانى وامام الحرمين ، والغزالى ، والقشيرى ، والطوسى فى « قواعد العقائد » والنسفى والبيضاوى فى « طوالعه » و « مصباحه ». وقال الشيخ أبو الوليد بن رشد فى «أجوبته» : ان انكارها، والتكذيب بها بدعة وضلالة ، يثبتها فى الناس أهل الزيغ والتعطيل ، الذين لا يقرون بالوحى والتنزيل ، ويمجدون آيات الانبياء والمرسلين.

والدليل على جوازها وقوعها اذ لو لم تكن جائزة لما وقعت ، وثبت ذلك بالكتاب السنة ، والآثار المسندة ، وهاهى قصة أهل الكهف ، وقصة الخضر مع سيدنا موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقصة ذى القرنين ، وما أخبر الله فى مريم من وجود فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، وقصة آصف بن برخيا مع سيدنا سليمان فى احضاره عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف الى غير ذلك كثير .

روى الشيخان من حديث جريج : أن رسول الله ﷺ قال : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم

(١) « الرسالة القشيرية » ١٥٩ ، « جامع كرامات الاولياء » ١ـ٢٧ ، « اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر » ١٥٦/١ .

محدثون ، فان يك فى أمتى أحد منهم فعمر بن الخطاب .

وأنكر المعتزلة الكرامات وكذا أبو اسحاق بناء على أن امام الحرمين فى الارشاد يميل الى قريب منهم .

وحجتهم بأن الخوارق لو ظهرت على يد غير الأنبياء لالتبس النبى بالمتنبى والجواب على هذا : بأن النبى يتميز بالتحدى ودعوى النبوة .

واذا أراد الله — تعالى — أن يوالى عبده فتح عليه باب ذكره ، فاذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ، ثم رفعه الى مجالس الأنس .

وقد استشكل وقوع المحاربة ، وهى مفاعل من الجانبين ، مع أن المخلوق من أمر الخالق .

والجواب : أنه من المخاطبة بما يفهم ، فان الحرب تنشأ عن العداوة وغاية الحرب : الهلاك ، والله تعالى لا يغلبه غالب ، فكان المعين تقدير من لاهلاكى اياه ، فأطلق الحرب ، وأراد لازمه ، أى أعمل به ما يعمله العدو المحارب . وكأن المعنى فيه ما اشتملت عليه تلك المعاداة من المعاندة لله بكراهة محبوبه ، ومن ثم لما وقع ذلك لابليس حين أبى عن السجود المأمور به لآدم أهلكه الله هلاكا لاشفاء له أبدا ، وفى ذلك انذار الى كل من عادى وليا لله بأنه محاربه ، فاذا أخذه على غرة كان ذلك بعد الاعذار بتقديم الانذار .

وينبغى أن يعلم أن جميع المعاصى محاربة لله — تعالى — ومن ثم قال الحسن : « يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة ، فان من عصى الله فقد حاربه ولكن كلما كان الذنب أقبح كان أشد محاربة لله تعالى ، ولهذا سمى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله ورسوله ، لعظم ظلمهم بعباده وسعيهم بالفساد فى بلاده .

قال الشيخ تاج الدين بن الفاكهانى : فى هذا تهديد ، لأن من حارب الله أهلكه ومن كره من من أحب الله ، فقد خالف الله وعانده ومن عانده أهلكه .

وروى الامام أحمد فى كتاب « الزهد » .

أن الله تعالى قال لموسى بن عمران حين كلمه : اعلم أن من أهان لى وليا فقد بارزنى لمحاربته ، وآذانى وعرض نفسه ، ودعانى اليها ، فأنا أسرع شىء الى نصرة أوليائى ، أفيظن الذى يحاربنى أن يقدم أو يظن الذى يغازينى أن يعجزنى .

وهذا تهديد شديد لمن يؤذى أحدا من أولياء الله ، وان الخائض فى هذا الوادى المتضمن بسالكه الى المهالك ، انما يضر نفسه ، ولا يلحق الولى شىء من ذلك .

ونسب الى الامام أبى الحسن الأشعرى أنه قال « لحوم العلماء مسمومة » .

وان لحوم العلماء سم ، من شمها مرض ومن ذاقها مات .

المعجزة والكرامة :

قال الامام أبو اسحاق الاسفراييني : المعجزات دلالات صدق الأنبياء ، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبى ، كما أن العقل المحكم لما كان دليلا للعالم فى كونه عالما لم يوجد الا ممن يكون عالما . وكان يقول : الأولياء لهم كرامات شبه اجابة الدعاء ، فأما

جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا .

وقال الامام أبو بكر بن فورك : المعجزات دلالات الصدق ، ثم ان ادعى صاحبها النبوة فالمعجزات تدل على صدقه فى مقالته ، وان أشار صاحبها الى الولاية دلت المعجزة على صدقه فى حاله ، فتسمى كرامة ، ولا تسمى معجزة . وان كانت من جنس المعجزات للفرق .

وكان رحمه الله يقول : من الفرق بين المعجزات والكرامات : أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون باظهارها ، والولى يجب عليه سترها واخفاؤها . والنبى ﷺ يدعى ذلك ويقطع القول به ، والولى لا يدعيها ، ولايقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرا .

وقال عبد الغنى النابلسى : كرامة الاولياء حق : والكرامة هى أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدى يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح .

وقال القاضى أبو بكر الأشعرى ان المعجزات تختص بالانبياء ، والكرامات تكون للأولياء كما تكون للانبياء ، ولا تكون للأولياء معجزة لأن من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها ، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وانما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة فمتى اختل شرط منها لا تكون معجزة وأحد تلك الشرائط دعوى النبوة والولى لا يدعى النبوة ، والذى يظهر عليه لا يكون معجزة وهذا القول الذى نعتمده ونقول به بل ندين به .

وان الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا ﷺ لأن كل من ليس بصادق فى الاسلام لا تظهر عليه الكرامة ، وكل نبى ظهرت كرامته على واحد من أمته فهى معدودة من جملة معجزاته اذا لم يكن ذلك الرسول صادقا لم تظهر على يد من تابعه الكرامة .

وقد تكون الكرامة اجابة دعوة أو اظهار طعام فى أوان فاقة من غير سبب ظاهر أو حصول ماء فى زمان عطش أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة أو تخليص من عدو أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة (١) ومن أجل الكرامات التى تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة عن المعاصى (٢) والمقصود من الكرامات زيادة اليقين فى التوحيد . ومن أمثلة ما روى أن عتاب بن بشير ، وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج كما روى أنه كان بين يدى سلمان وأبى الدرداء قصعة فسبحت حتى سمعا التسبيح .

وحكى عن سهل بن عبد الله أنه قال من زهد فى الدنيا أربعين يوما صادقا من قلبه مخلصا فى ذلك ظهرت له الكرامات .

وهكذا نرى كثيرا من الآثار الدالة على وقوع الكرامات لصحابة رسول الله ﷺ ومن

---

(١) « المخلاة » للعاملى ٢١٢ ، « الرسالة القشيرية » ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٢) الرسالة القشيرية ١٦٠ ، « لطائف المنن » لابن عطاء الله السكندرى ٥٨ وما بعدها ، « جامع كرامات الاولياء » للنبهانى ٤٨،٢٨/١ .

أراد المزيد فليرجع الى كتب دلائل النبوة •

وقد كثرت الكرامات بعد الصحابة ، وان ظهورها لا يدل على الأفضلية بعد زمن الصحابة لأن ايمان الصحابة كان قويا ولأن الزمان الاول كثير النور لايفتقرون لزيادة ، ولو حصلت لم تظهر لاضمحلالها فى شمس النبوة بخلاف من بعدهم (١) •

بم يكون التقرب الى الله •

أحب شيء يتقرب به الى الله تبارك وتعالى انما يكون بأداء الفرائض ، سواء أكان فرض عين أم فرض كفاية مثل الصلاة ، وأداء الحقوق الى أربابها ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وبر الوالدين والجهاد ، واقامة الحرف والصنائع وغير ذلك من سائر المفروضات •

والفرض أحب الى الله تعالى من أداء النوافل لأن الفرض أكمل من حيث أن الامر به جازم ، متضمن للثواب على فعله ، والعقاب على تركه ، وروى أن ثواب الفرض يعدل ثواب النفل بسبعين درجة •

ثم ان الفرض كالأصل والأساس • أما النفل كالبناء على ذلك الاساس وأيضا فان الاتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر ، واحترام الآمر به وتعظيمه بالانقياد اليه ، واظهار عظمة الربوبية ، وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل •

وان العبد الذى شرفه الله بالقرب اليه ، المؤذن بمزيد رفعته ، وتأهيله الى المقام الآتى هذا العبد ما يزال يتقرب اليه بفعل التطوعات من جميع أصناف العبادات :

ظاهرها كتلاوة القرآن ، اذ هو من أعظم ما يتقرب به ، روى الترمذى : « ما تقرب العباد الى الله — عز وجل — بمثل ما خرج منه يعنى القرآن •

وقال عثمان رضى الله عنه : « لو طهرت قلوبكم ماشبعتم من كلام ربكم » •

وقال بعض العارفين لمريد :« أتحفظ القرآن قال : لا ، فقال : واغوثاه يا لله مريد لا يحفظ القرآن فيم يتنعم ؟ فبم يترنم ؟ فبم يناجى ربه عز وجل » •

وباطنها : مثل الزهد والورع ، والتوكل ، والرضا وغيرها من سائر أحوال العارفين ، سيما محبة أولياء الله وأحبابه فيه ، ومعاداة أعدائه • أخرج أبو داود : أن لله أناسا ماهم بأنبياء ، ولا شهداء ، يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله عز وجل قالوا يارسول الله من هم ؟ قال : قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ، لا يحزنون اذا حزن الناس ، ثم تلا هذه الآية

(أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) •

◄

---

(١) « جامع كرامات الاولياء » ٣٧/١ ، « الطبقات الكبرى » للشعرانى ١٤/١ ، « اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر » ١٠١/٢ •

وأخرج أحمد : « لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله ، ويبغض لله ، فاذا أحب لله ، وأبغض لله ، فقد استحق الولاية من الله

قال القشيرى : قرب العبد من ربه يقع أولا بايمانه ، ثم باحسانه ، وقرب الرب من عبده مايخصه به فى الدنيا من عرفانه ، وفى الآخرة من رضوانه وفيما بين ذلك من وجود لطفه وامتنانه ،ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق • وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس ، وباللطف والنصرة خاص بالخواص ، وبالتأنيس خاص بالاولياء (١)

علامة محبة الله :

ان الدليل على محبة الله تعالى أن يبغض المرء نفسه لأنها مانعة له من المحبوب ، فاذا وافقته نفسه فى المحبة أحبها لا لأنها نفسه بل لأنها تحب محبوبه •

هل يجاب الولى الى سؤاله ؟

يقرر الحديث أنه يجاب الى سؤله : والله لئن سألنى شيئا من أمور الدنيا والآخرة لأعطينه كما وقع لكثير من السلف وغيرهم ولئن استعاذنى لأعيذنه مما يخاف وهذا حال الحبيب مع محبوبه • وهذا ايذان بأن من تقرب بمامر لايرد دعاؤه وبأن الكمل يطلب منهم الدعاء كغيرهم وقد لايجاب الولى الى سؤاله لعلم الله أن الخير له فى غيره مع تعويضه له خيرا منه اما فى الدنيا أو الآخرة • وفى الخبر : ان من عبادى المؤمنين من يريد بابا من العبادة فأكفه عنه لا يدخله عجب فيفسده •

وقال الامام الشوبرى : ان الاجابة تتنوع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة ، وتارة قد تقع الاجابة ، ولكن بغير عن المطلوب حيث لا يكون فى المطلوب مصلحة ناجزة أو أصلح منها •

(وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن) أى ما رددت رسلى فى شىء أنا فاعله كترديدى اياهم فى قبض نفس المؤمن ، كما فى قصة موسى — عليه السلام — وما كان من لطمه عين ملك الموت ، وتردده اليه مرة بعد أخرى وأضاف تعالى ذلك لنفسه ، لأن ترددهم عن أمره (يكره الموت) لمافيه من الألم العظيم (وأنا أكره مساءته •

وقال غيره : لما كانت مفارقة الروح الجسد لا تحصل الا بألم عظيم جدا • والله تعالى يكره أذى المؤمن —أطلق على ذلك الكراهة • ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة الى طول الحياة ، لأنها تؤدى الى أرذل العمر ، وتنكيس الخلق ، والرد الى أسفل سافلين •

وبعد فاللهم ردنا اليك ، وأوقفنا على بابك اجعلنا لك وفيك ومعك ارضنا بخدمتك ، طهر بواطننا عن غيرك ، لا ترنا حيث نهيتنا ، لا تفقدنا حيث أمرتنا ، لذذ قلوبنا وأسرارنا بقربك ، وقربنا الى طاعتك اللهم آمين •

عبد المعز عبد الحميد الجزار

(١) حاشية الشيخ على المدابغى على فتح المبين ٢٧٠ ، جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى ٣٥١ ومابعدها •

حول الاستراتيجية العسكرية الإسلامية

٤

للدكتور رءوف شلبى

الحرب الوقائية

فى الدولة الاسلامية الأولى التى أسسها سيدنا محمد ﷺ وضعت استراتيجية تفرق جموع المحتشدين للحرب ضدها قبل الزحف أو اتمام الصفوف للحفاظ على سلامة الدولة ، وكان يجب ان تكون هذه الاستراتيجية سنة مسنونة بعد أن طبقها سيدنا ابو بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما .

والدولة الاسلامية عندما أخذت باستراتيجية حرب الوقاية وضعت هذه الحرب فى اطار التشريع العام للعمليات العسكرية مع اختلاف ألوانها ودوافعها : وهو ألا يقتل شيخ ولا امرأة ، ولا طفل ولا راهب فى صومعته الا أن يشترك فى القتال بحرب أو رأى ولا يهلك حرث ولا نسل .

فدائرة القتال محدودة بالعساكر المقاتلين فقط لأن العمليات العسكرية ليس الدافع اليها الانتقام من أحد بل المقصود منها تأديب التلميذ الشريد ، والعبد الآبق والرأس العنيد ، انها كعصا المعلم يصلح بها حال الطالب البليد .

واستراتيجية حرب الوقاية فى الاسلام هى من قبيل حرب الدفاع ، لأنها حرب للتجمعات المضادة قبل أن تتحرك للعمل العسكرى .

والفاحصون لأسباب السرايا والغزوات يجدون معظمها خاضع لهذه الاستراتيجية مثل غزوة غطفان وبنى سليم وغزوة ذات أمر بنجد ، وغزوة ذات الرقاع ، وغزوة بنى المصطلق وغزوة خيبر ، وغزوة ذات السلاسل، ثم غزوة تبوك .

وكان بين هذه الغزوات التى قادها النبى ﷺ بنفسه بعض السرايا التي تحركت تحت شعار استراتيجية الحرب الوقائية للدولة والدعوة والمجتمع الاسلامى .

وسوف نعرض لها بالكيفية التى تتلاءم مع طبيعة العرض فى هذه الدراسة ان شاء الله .

غزوة غطفان وتسمى غزوة قرارة الكدر فقد بلغ النبى ﷺ أن جمعا من غطفان وسليم تجمعوا عند قرارة الكدر وكان ذلك التجمع أثر بدر الكبرى واثر غزوة السويق وفيها أهينت قريش وأذل الله الكفر فلم تترك الدولة الاسلامية هذا التجمع ينتظم ليتحول الى جيش محارب فخرج اليهم رسول الله ﷺ على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من الهجرة فى شهر شوال ، فأخذ عليهم الطريق فتفرقوا فى شعب الجبال فأرسل النبى ﷺ نفرا من أصحابه فى أعلى الوادى ثم التقوا به ﷺ فى بطن الوادى ونجحت الغزوة فى هدفها وهو : تفريق الجمع وظفر المسلمون بالغنائم فأصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة وكانوا مائتى رجل (١) •

— ثم كانت غزوة « ذى أمر » بنجد على رأس خمسة وعشرين شهرا فى شهر ربيع الأول كما ذكر الواقدى ، وذلك أن بنى ثعلبة ابن سعد، وبنى محارب بنخصفة بن قيس قد تجمعوا عند « ذى أمر » يريدون أن يصيبوا من المسلمين شيئا ، وكان داعيتهم لهذا التجمع دعثور بن الحارث من بنى محارب فوافاهم الجيش الاسلامى فهرب الاعراب فوق الجبال ثم جدت أحداث نتج عنها اسلام القوم وذلك أن الله سبحانه وتعالى أصاب الناس بمطر كثير فذهب النبى ﷺ لحاجته فأصابه المطر فخلع ثوبه ونشره على شجرة ليجف ثم اضطجع تحتها فبادر دعثور وأقبل مشتملا على السيف حتى قام على رأس المصطفى ﷺ وقال :

يا محمد من يمنعك منى اليوم ؟ قال : الله ، ودفع جبريل فى صدر دعثور فوقع السيف من يده فأخذه النبى ﷺ وقام به على رأسه وقال له : من يمنعك منى اليوم ؟ فقال دعثور : لا أحد ، وأسلم وحلف لا يكثر عليه جمعا أبدا ثم أدبر فأعطاه النبى ﷺ سيفه فأتى قومه ودعاهم الى الاسلام وفيهم نزلت آيات من سورة المائدة : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** » ١١ — المائدة (٢) •

ونجحت الغزوة الى أبعد من « استراتيجيتها » لأنها لم تفرق فقط جموع المحاربين ولكنها حولتهم الى فئة المسلمين •

— غزوة بنى سليم ببحران موضع بالحجاز بينه وبين المدينة ثمانية برد كانت فى جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهرا لأنهم تجمعوا ببحران بقصد عمل عسكرى ضد المسلمين فخرج اليهم رسول الله ﷺ فى ثلثمائة رجل فوجدهم قد تفرقوا فى مياههم •

ومعنى هذا الحدث العسكرى أن بنى سليم حاولوا التجمع ثلاث مرات : —

مرة عقب بدر •

ومرة فى بحران •

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٠٧ الحلبية جـ ٢ ص ٢١٢ •

(٢) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١١١ الحلبية جـ ٢ ص ٢١٢ •

ومرة عند ذى أمر (١) .

وبهذا تظهر أهمية استراتيجية حرب الوقاية لحماية الدولة من أمثال هؤلاء المتهورين .

ــ غزوة ذات الرقاع : وتسمى كذلك غزوة الاعاجيب ، وغزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة .

وسميت بغزوة ذات الرقاع لواحد من هذه الاسباب : ــ

١ ــ لأنها كانت عند جبل فيه بقع حمر وبيض وسود كأنها فى مرأى العين رقاع .

٢ ــ أو لأنهم رقعوا راياتهم .

٣ ــ أو لانها كانت عند شجرة تسمى بذات الرقاع .

٤ ــ أو لما أورده البخارى من طريق أبى موسى قال : ــ

خرجنا مع النبى ﷺ فى غزاة ... فنقبت أقدامنا ... وكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا (٢) .

وحديثها كما رواه برهان الدين الحلبى : أن جموعا من غطفان قد تجمعوا لمحاربة النبى ﷺ فخرج اليهم عليه الصلاة والسلام فى أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة وسار اليهم حتى بلغ نجدا فلم يجد بها أحدا ووجد نسوة فأخذهن ثم بقى بعد ذلك جمعا فخاف بعضهم بعضا أى خاف المسلمون أن تغير المشركون عليهم وهم غارون أى غافلون حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف (٣) ولم يحدث فى هذه الغزوة قتال وتفرق القوم دون كيد .

ــ غزوة دومة الجندل ــ بضم الدال قال الجوهرى : الصواب الضم وأخطأ المحدثون فى الفتح

وهى بلدة على مقربة من دمشق تبعد عن المدينة بخمس عشرة ليلة وهى أقرب الى تبوك .

وقعت هذه الغزوة فى ربيع الأول سنة خمس من الهجرة ، وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعا كثيفا بها يريدون الدنو من المدينة فخرج اليهم رسول الله ﷺ فى ألف رجل من المسلمين فلما جاءهم الخبر تفرقوا وقد تركوا رعاتهم وماشيتهم فأصاب منها المسلمون ما أصابوا ، وهرب ما هرب (٤) .

ــ غزوة المريسيع ويقال لها غزوة بنى المصطلق ، وبنو المصطلق بطن من خزاعة وهم بنو جذيمة ، وجذيمة هو المصطلق بمعنى "رفع الصوت" ، والمريسيع اسم لماء من مياههم مشتق من رسعت عين الرجل اذا دمعت وهو ماء فى ناحية قديد .

وخبرها ان سيد بنى المصطلق : الحرث ابن ضرار جمع جمعا لحرب رسول الله ﷺ : من قدر عليهم من العرب ومن قومه فلما سمع النبى ﷺ بذلك أرسل من يستطلع له جلية الأمر فذهب بريده بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الاعرج الاسلمى فأتى بخبرهم

(١) الحلبية جـ ٢ ص ٢١٣ امتاع الاسماع جـ ١ ص ١١٢ .

(٢) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٨٨ راجع البخارى جـ ٥ ص ١٤٥ الحلبية جـ ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) الحلبية جـ ٢ ص ٢٧١ .

(٤) راجع ابن سعد فى الطبعات جـ ٢ ص ٦٣ امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٩٤ الحلبية جـ ٢ ص ٢٧٧ .

فندب رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم وخرجوا للغزو فى شعبان سنة خمس من الهجرة ، وذارت معركة حامية فلم يفلت من المشركين واحد وقتل منهم عشرة رجال وأسر الباقى وغنمت الابل والشاه ولم يقتل من المسلمين الا واحد خطأ هو هشام بن صبابة .

* ومن أخبار هذه الغزوة اسلام جويرية بنت الحارث وزواج النبى ﷺ منها .

وأنها كانت بركة على قومها فقد جعل رسول الله ﷺ صداقها عتق كل أسير من بنى المصطلق .

* ومنها اخبارها ما نزل من القرآن الكريم بصدق زيد بن أرقم فى نقله لرسول الله ﷺ من مقالة رأس النفاق ابن سلول وقد قال النبى ﷺ: وفت اذنك ياغلام وصدق الله حديثك . والذى نزل :إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ (١) .

* وقد أسلم الحارث بن ضرار رضى الله (٢) عنه فتم النصر للغزوة بأمور كثيرة : —

— انهاء تجمع عسكرى مضاد .

— تحويل حصيلة كبيرة لاقتصاد المسلمين .

— ثم تحويل الجمع المحارب الى فئة المسلمين .

— وكشف ما كان فى صدور المنافقين .

— **غزوة خيبر** ، وسميت خيبر على اسم رجل من العماليق يسمى « خيبر » وهو أخو يثرب الذى سميت باسمه مدينة يثرب قبل الاسلام .

ومعنى خيبر فى اللسان العبرى :الحصن ، وقيل لها (خيابر) لاشتمالها على حصون عدة ، وكانت هذه الغزوة فى شهر صفر سنة سبع من الهجرة ، ونقل عن الامام مالك أن خيبر كانت سنة ست ، والسبب فى غزوها راجع الى علة طويلة فى التخطيط اليهودى السرى ضد الاسلام ، فبعد أن صفى رسول الله ﷺ معسكر بنى قريظة من المقاتلين عوفيت المدينة المنورة تماما من ضواحيها من اليهود فقد رحل بنو قينقاع وأهلكهم الله جميعا ، ثم رحلت بنو النضير ، وقضى على المقاتلين من بنى قريظة وكانت هذه العمليات التأديبية كافية للعقلية اليهودية فى أن ترجع الى الحق الذى تعرفه لكنهم يهود أصحاب التيه ، والبقرة ، وقتلة الانبياء فلم يرعووا بعد الذى وقع لهم .. وهو قد وقع كما جاء فى كتبهم على أنه علامة صدق النبوة الخاتمة ، فسار ابن نويرة الأشجعى اليهودى حتى وصل الى خيبر وأعلم سلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، ويهود بنى النضير ، ويهود خيبر بأن رسول الله ﷺ قد قتل جميع محاربى بنى قريظة بالسيف فقرر سلام بن مشكم أن يجمع كل اليهود فى خيبر ، وتيماء ، وفدك ، ووادى القرى وان يغزو محمدا فى عقر داره على ألا يجلبوا معهم أحدا من العرب فهى مواجهة يهودية صرفة أمام الاسلام وحده .

ولما كانت الدولة الاسلامية الاولى يقظة واعية لكل ما يدور حولها فقد أسرعت لمباغتة هذا الحشد اليهودى الحقود فاستنفر رسول

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٥٥ الحلبية جـ ٢ ص ٢٧٨ زاد المعاد جـ ٣ ص ٢٥٧ .

(٢) الحلبية جـ ٢ ص ٢٧٨ .

الله ﷺ المخلصين فى الجهاد ومنع طالب الغنيمة من الاشتراك فى هذه الحرب وقال :
لا تخرجوا معى الا راغبين فى الجهاد واما الغنيمة فلا • وبعث ﷺ مناديا ينادى :
لا يخرجن معنا الا راغب الجهاد •

ولما أشرف النبى ﷺ على خيبر علّم أصحبه دعاء جامعا فقال ﷺ قولوا :

اللهم رب السموات السبع وما أظلت •
ورب الارضين السبع وما أقلت •
ورب الشياطين وما أضلت •
ورب الرياح وما ذرت •

فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها • ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ثم قال : ادخلوا على بركة الله (١) •

وظن اليهود — لعائن الله عليهم أجمعين — أن رسول الله ﷺ لن يغزوهم لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم ، وكانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفا صفوفا ويقولون : هيهات هيهات ••• محمد يغزونا لكن الله جل شأنه عمى عليهم فخرج النبى ﷺ حتى نزل بساحتهم ودارت المعارك حصنا حصنا حتى رضخت يهود الى الصلح على ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئا فان فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد • ودفع لهم الارض مزارعة على النصف ، وذلك بعد أن غنم المسلمون منهم مغانم كثيرة عدها علماء السيرة فى كتبهم (٢)•

ومن أخبار هذه الغزوة :

* أن عيينة بن حصن أقبل بأربعة آلاف من غطفان مددا لليهود على المسلمين فأرسل اليه النبى ﷺ أن يرجع وله نصف ثمر خيبر فأبى أن يتخلى عن حلفائه فبعث الله على غطفان الرعب فخرجوا هاربين من الرعب فخذل عدو الله •

* وأن يهوديا من حصن النطاة أمن وأسلم ودَلّ المسلمين على عورات الحصن فسهل الله به فتح خيبر للمسلمين •

* ونهى رسول الله ﷺ عن متعة النساء وعن كل ذى ناب ومخلب ، وقد خالف ابن القيم فى تحريم متعة النساء فى هذه الغزوة وقال انها حرمت فى غزوة الفتح (٣) •

* وغضب رسول الله ﷺ لا ختراق صفية بنت حيى وغيرها الطريق الذى كان فيه قتلى خيبر لما فى مرأى ذلك من ألم على نفوسهن ، وتزوجها رسول الله ﷺ فصارت أما من أمهات المؤمنين •

* وفيها أن زينب ابنة الحارث اليهودية ذبحت عنزا لها وطبختها وسمتها فتناول النبى ﷺ الذراع ، وتناول بشر بن البراء عظما ، وانتهش رسول الله ﷺ ثم ازدرد وقال : كفوا أيديكم فان هذه الذراع تخبرنى أنها ◄

---

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣١٠ الحلبية جـ ٣ ص ٣٢ •

(٢) راجع امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣١٩ـ٣٢٠ الحلبية جـ ٣ ص ٣٠ وما بعدها زاد المعاد جـ ٣ ص ١٤٣ •

(٣) راجع زاد المعاد جـ ٣ ص ٣٤٣ ، امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣١٧ راجع البخارى جـ ٥ ص ١٧٩ •

مسمومة ، فقال بشر بن البراء ، والله يا رسول الله وجدت ذلك من أكلتى التى أكلت فما منعنى أن ألفظها الا كراهية أنغص عليك طعامك فلم يرم بشر من مكانه حتى تغير ثم مات .

ودعا رسول الله ﷺ زينب وقال : لم سممت الذراع ؟ قالت : من أخبرك ؟ قال الذراع ، قالت : قتلت أبى وعمى وزوجى ، ونلت من قومى ما نلت ، فقلت : ان كان نبيا فستخبره الشاة ، وان كان ملكا استرحنا منه ، وقد اختلفت الآثار فى نهايتها (١) .

ومن أخبارها كذلك أن النبى ﷺ استمر فى العمليات العسكرية حتى ذهب الى وادى القرى حيث تجمعت فلول من اليهود مع قلة ضعيفة من العرب فكانت غزوة ذات القرى فدعاهم النبى ﷺ الى الاسلام فأبوا فقاتلهم حتى انهزموا وفتحت وادى القرى عنوة وغنم المسلمون ما فيها ، فلم يسع يهود تيماء وفدك الا ان صالحوا رسول الله ﷺ فصالحهم على الجزية وأقامهم النبى ﷺ على أموالهم (٢).

غزوة تبوك : وتسمى غزوة العسرة وهى آخر غزوة غزاها النبى ﷺ وهى تمثل العين الساهرة على حماية الدولة من أى خطر : قريبا كان أم بعيدا ، جليلا كان أم حقيرا بعدت شقته ام سهلت ، فان العقلية الاسلامية يقظة دائما لأنها تحرس فى سبيل الله .

والذى يفحص العمليات العسكرية بعد غزوة الخندق وهى حرب دفاعية بالدرجة الاولى يجد أن قريشا خرجت من غزوة الاحزاب وأنا أقترح أن يتفق على اصطلاح فى السيرة النبوية : بأن نطلق على هذه الغزوة « غزوة الاحزاب » ساعة أن يكون الحديث دائرا مع قريش ، وأن نطلق عليها « غزوة الخندق » ساعة أن نتشرف بالحديث عنها فى جانب سيدنا رسول الله ﷺ والصحابة الميامين ، وذلك لأن الوصف يتتبع الموصوف فقريش تحزبت ، والنبى ﷺ وجماعة المسلمين تخندقوا ... على كل حال خرجت قريش من غزوة الأحزاب بغضب من الله أتبعه قحط وجدب انهار بعدهما اقتصاد قريش وهدم من كيانها وضعضع من همتها وفل من ارادتها فكان من أثر ذلك موافقتها على صلح الحديبية وكانت من قبل هى التى تركب الصعب والذلول من أجل قتال الاسلام ونبيه ﷺ والمسلمين معه .

وكان من آثار هذا الصلح المجيد :

* أن تفرغت الدعوة للاعراب عن طبيعتها دبلوماسيا » فراحت وفود السفراء شرقا وغربا تحمل رسائل النبى ﷺ الى الملوك والرؤساء ومن بينهم رسالة الى قيصر الروم فأقر بالنبوة لسيدنا محمد ﷺ وحبسه الباطل الذى يتربع على عرشه ونخير قساوسته وجحودهم الحق الذى يكتمونه ويعرفون انه ظاهر لا محالة ، وبذلك نطق هرقل وقال : لئن كان ليملكن ما تحت قدمى هاتين .

* أن تفرغت العسكرية الاسلامية لتطهير

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣٢٢ زاد المعاد جـ ٣ ص ٣٣٥ .

(٢) راجع امتاع الاسماع جـ ١ ص ٣٣١-٣٣٢ راجع زاد المعاد جـ ٣ ص ٣٥٥ .

الأرض الاسلامية من اليهود فكانت غزوات عدة وسرايا أنهت حلف اليهود فى « خيبر » « وتيماء » ، « وفدك » ، « ووادى القرى »، ودخلت يهود فى ظل الدولة الاسلامية تعمل عندها بأجر لا سيادة لها ولا سيف ، ولا ثقل فى الاقتصاد ، ولا فى الحياة الاجتماعية فهم جالية تعيش فى أمن ما دامت لا تخون ولا تغدر .

* وكانت فرصة ليراجع العرب فيها أنفسهم ويحاسبوا تصرفاتهم ويتفكروا فى جدية نقية فى أمر الدين وكيف نشأ ثم ترعرع وهم كالماء الراكد لا يزيده الزمن الا تعفنا بينما عبير الاسلام يطير عبقا ملء الكون الذى ينتشر فى كل سهل ومنتج صباح كل يوم ومشرق كل شمس .

اذن هرقل أو قيصر الروم يعرف أن محمدا ﷺ صادق ، وتعرف قساوسته أنه قد جاء بالوحى الصادق والدين الأخير ولكن ايمانهم به سيحولهم الى عامة فى الناس لا ملك لهم ولا رياسة ، ولا تسلط ، ولا كبرياء ، ولا شراهة ، استبداد لا ... لا .

وكان أبو عامر الراهب الفاسق يحاول أن يثير هرقل ضد الاسلام والمسلمين فبنى مسجد الضرار ، وراح يطلب من هرقل جيشا يحارب به الاسلام فى المدينة ، ولم يرعو بعد الهزائم الكثيرة التى لحقت باخوانه ورفاقه من المنافقين واليهود ... ولم تغفل عين الدولة الاسلامية عن هذا الدس الخسيس ، والنهج الارعن ، فما أن علم النبى ﷺ أن جموعا كثيرة بالشام تريد الزحف الى المدينة حتى استنفر ﷺ الناس ، وخالف عادته ﷺ ولم يور بل حدد جهة الغزوة .

وكان من أهمية هذه الغزوة فضلا عن العسكرية الوقائية أنها فضحت النفاق ووضعت حدا له ووضحت معنى التبعية لهذا الدين وأنها ليست فى الصلاة خلف النبى ﷺ فحسب بل هى السمع والطاعة لله ولرسول الله ﷺ فى المنشط والمكره ، فى العسرة وفى الرخاء .

ثم كانت كذلك درسا فى معنى التوبة ، وأن الله تعالى لا يقبل الكذب على رسوله ﷺ ، ويتوب عمن تخلف ولو بغير عذر الا أنه صدق مع رسول الله ﷺ ، فالمجتمع الاسلامى : رئيسا وأمة لا تعرف قنوات الاتصال بينهم الا الصدق ، والمودة ، والمعاونة ، والعفو عند الاساءة والسماح عند القدرة (١) .

وخرج النبى ﷺ فى شهر رجب من العام التاسع الهجرى والناس فى جدب وعسرة ومع هذا تبرع ابو بكر بكل ماله ، وعمر بنصف ماله، وعثمان جهز مائة فرس وحمل على تسعمائة بعير وقدم عشرة آلاف دينار ، وخرج ﷺ فى جيش كبير مهيب حتى وصل تبوك فلم يجد جمعا ، لكنه ﷺ أمن حدود الديار الاسلامية فصالح صاحب أيلة (القدس). وأهل حرباء وأهل أزرح وأهل تيماء ، ثم قدم المدينة ﷺ فى رمضان فأمر بهدم مسجد الضرار .

ومن أخبار هذه الغزوة :

* الخطبة الجامعة للنبى ﷺ حين أصبح فى تبوك وتعتبر — كما أوردها المقريزى فى أمتاع

(١) راجع بالتفصيل كتابنا الدعوة الاسلامية فى عهدها المدنى الباب الثالث .

الاسماع – دستور للعلاقات الرفيعة بين المسلمين فى احترام اعراضهم ، ودمائهم ونسائهم وأموالهم •

فقد سار رسول الله ﷺ فلما أصبح بتبوك جمع الناس ثم قال :

أيها الناس أما بعد ، فان أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة ابراهيم ، وخير السنن سنن محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الامور عواقبها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدى هدى الانبياء وأشرف القتل قتل الشهداء ، وأعمى الضلالة الضلالة بعد الهدى ، وخير الاعمال ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب• واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى • وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة • ومن الناس من لا يأتى الجمعة الا نزرا ، ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا •

ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب • وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما ألقى فى القلب اليقين ، والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جمر جهنم • والشكر كن من النار •والشعر من ابليس ، والخمر جماع الاثم •والنساء حبالة ابليس والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا وشر المال أكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من شقى فى بطن أمه ، وانما يصير أحدكم الى موضع أربع أذرع والأمر الى آخره ، وملاك العمل خواتمه • وشر الرؤيا رؤيا الكذب ، وكل ما هو آت قريب • وسباب المؤمن فسوق ، وقتل المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه • ومن يتأل (١) على الله يكذبه • ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله • ومن يتتبع السمعة يسمع الله به • ومن يصبر يضاعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه • اللهم اغفر لى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى ، أستغفر الله لى ولكم •

وطاف على ناقته بالناس وهو يقول : يا أيها الناس يد الله فوق يد المعطى ، ويد المعطى الوسطى ويد المعطى السفلى • أيها الناس ! فتغنوا ولو بحزم الحطب • اللهم هل بلغت ! ثلاثا • فقال له رجل من بنى عذرة – يقال له عدى – : يارسول الله ! أن امرأتين لى أقتتلتا ، فرميت فأصبت احداهما فى رميتى ؟ (يعنى ماتت) ، فقال له :تعقلها ولا ترثها •

وبعـــد :

فان هذه الاستراتيجية العسكرية لم تكن نشاطا عسكريا مؤقتا بل كانت قاعدة فقهية يجب أن يلتزم بها حكام الدولة الاسلامية من بعد رسول الله ﷺ ، وهذا هو السر الذى جعل سيدنا ابو بكر – رضى الله عنه – يقول فى مانعى الزكاة : والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه•اهـ

رءوف شلبى

من الوثائق الإسلامية الأولى

وثيقة حلف بين سكان المدينة

للأستاذ محمود محمد رسلان

هذه الوثيقة ذكر من أمرها ابن هشام ــ رضى الله عنه ــ نقلا عن ابن اسحاق الذى قال : وكتب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم (١)

وكان ذلك قبل الاذن بالقتال وأخذ الجزية ممن أبى الاسلام .

كانت الوثيقة عهدا نبويا ذكره ابن اسحق بدون اسناد فى نحو أربع صفحات (٢) ، وذكره مسندا ــ فى كتاب الأموال ــ أبوعبيد القاسم ابن سلام اللغوى الفقيه الاديب عن الزهرى بسند جيد وأورده ابن كثير ــ رضى الله عنه فى البداية والنهاية (٣) وقدمه محققا فى « مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة » الدكتور محمد حميد الله (٤) .

وتعد هذه الوثيقة النبوية الشريفة من أولى الوثائق الاسلامية لما لها من دلالة على حنكة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لجمع الكلمة واقامة وحدة فعالة تكون فيها الحيطة للدولة الناشئة لحسن الزود عنها والترابط بين مواطنيها ، ونقدمها كاملة برواية أبى عبيد رحمه الله . قال (٥) أبو عبيد :

(هذا كتاب رسول الله ﷺ بين المؤمنين وأهل يثرب)

(وموادعته يهودها ، مقدمه المدينة)

ــ حدثنى يحيى بن عبد الله بن بكير وعبد الله بن صالح قالا : حدثنا الليث بن سعد قال حدثنى عقيل بن خالد عن ابن شهاب أنه

(١) ابن هشام ــ سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ٢ ــ ١١٩ طبعة الشعب .
(٢) ٢ ــ ١١٩ ، ١٢٣ نفس المصدر .
(٣) ٣ــ٢٢٤ ، ٢٢٦ بيروت .
(٤) ص ٣٩ــ٤٧ ط ثالثة ١٣٨٩ دار الارشاد .
(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام ــ كتاب الاموال ص ٢٦٠ دار الفكر ط ٢ ثانية ١٣٩٥ .

قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ كتب بهذا الكتاب :

« هذا الكتاب من محمد النبى رسول الله بين المؤمنين والمسلمين : قريش وأهل يثرب ومن تبعهم ، فلحق بهم ، فحل معهم وجاهد معهم (٩) • أنهم أمة واحدة دون الناس • والمهاجرون من قريش — قال ابن بكير : ربعاتهم قال أبو عبيد والمحفوظ عندنا رباعتهم (١) — يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى (٢) وقال عبد الله بن صالح : ربعاتهم، وهم يفدون عانيهم (٣) بالمعروف والقسط بين المؤمنين والمسلمين ، وبنو عوف على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين • وبنو الحرث بن الخزرج على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على رباعاتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو جشم على رباعاتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النجار على رباعاتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالقسط والمعروف بين المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على رباعاتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين •

وبنو النبيت على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين • وبنو الأوس على رباعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا (٤) منهم أن يعينوه بالمعروف فى فداء أو عقل ، وان المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى وابتغى منهم دسيعة ظلم أو اثم (٥)، أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأن ايديهم عليه جمعيه • ولو كان ولد أحدهم لايقتل مؤمن مؤمنا فى كافر (٦) ولا ينصر كافرا على مؤمن (٧) ، والمؤمنون بعضهم موالى بعض دون الناس : وأنه من تبعنا من اليهود فان له المعروف والأسوة غير مظلومين ، ولا متناصر عليهم ، وأن سلم المؤمنين واحد ، ولا يسالم مؤمن دون مؤمن فى

---

(٩) قال محققه الشيخ محمد خليل هراس : يعنى بهم كل من هاجر الى المدينة من سائر العرب مسلما •

(١) يقال : فلان على رباعة — بكسر الراء — اذا كان وافدهم ونقيبهم ، وبفتح الراء ان جعل مصدرا : أى على شأنهم وعادتهم من أحكام الديات والدماء •

(٢) معاقل جمع مفرده معقلة ، والمعقلة — هنا : الدية •

(٣) : الاسير جمعه عناة — بزنة قضاه •

(٤) المفرح : المثقل بالدين •

(٥) دسيعة ظلم : عطية ظلم •

(٦) يعنى لا يجوز لمؤمن ولى دم ان يقتل مؤمنا فى كافر •

(٧) كذلك لا يجوز لمؤمن ان ينصر كافرا على مؤمن عصبية ، وانما تكون النصرة للحق مطلقا ومن كان مؤمنا حقا رضى بالحق له أو عليه •••

« مجلة الازهر »

قتال فى سبيل الله (٨) ، الا على سواء وعدل بينهم وأن كل غازية غزت يعقب بعضهم بعضا ، وأن المؤمنين المتقين على أحسن هذا وأقومه • وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا يعينهـا على مؤمن ، وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا فانـه قود (٩) ، الا أن يرضى ولى المقتول بالعقل • وأن المؤمنين عليها كافة • وأنه لا يحل لمؤمـن أقر بما فى هذه الصحيفة أو آمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه • فمن نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه الى يـوم القيامة لايقبل منهصرف ولاعدل(١) وأنكم ما اختلفتم فيه من شىء فان حكمه الى الله تبارك وتعالى والى الرسول ﷺ • وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين (٢) • وأن يهود بنى عـوف ومواليهم وأنفسـهم أمـة مـن المؤمنين (٣) «لليهود دينهم «وللمؤمنيندينهم» الا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ (٤) الا نفسه وأهل بيته ، وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى الحرث مثل ما ليهود بنى عوف،وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وأن ليهود الأوس مثل ما ليهـود بنى عوف ، الا من ظلم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته ، وأنه لا يخرج أحد منهم الا باذن محمد ﷺ ، وأن بينهم النصر على من حارب أهـل هذه الصحيفة وأن بينهم النصـيحة والنصر للمظلوم • وأن المدينة جوفها حرم لأهل هـذه الصحيفة ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث يخيف فساده فان أمره الى الله والى محمد النبى ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب وأنهم اذا دعوا اليهود الى صلح حليف لهم فانهم يصالحونه ، وان دعـونا الى مثـل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، الا مـن حـارب الدين ، وعلى كل أناس حصتهم من النفقة •

وأن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم مع البر المحسن من أهل هذه الصـحيفة ، وأن بنى الشطبة بطن من جفنه ، وأن البر دون الاثم فلا يكسب كاسب الا على نفسه وأن الله عـلى أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبره • لا يحول الكتاب دون ظالم ولا آثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمـن ، الا مـن ظلم وأثم ، والى أولاهم بهذه الصحيفة البر المحسن • »اهـ

ولقد أتبع أبو عبيد رحمه الله هذه المعهدة بشرح أجلى عن محتواها وحدده وبخاصة فيما كان غريبا على المطالع أو كان يطمع بشأنه فى ايضاح ، فقال :

« ولا يجيـر مشرك مـالا لقريش » يعنى اليهود الذين كان وادعهم يقول : فليس مـن

---

(٨) اى لا يجوز لمؤمن ـ فى الحـرب ـ أن يسالم غير المؤمن الا على صلح وهـدنة متفـق عليهـا •

(٩) اى قصاص •

(١) قيل : الصرف : الفريضة ، والعـدل : النافلة ـ ولابى عبيد اختيار حسن •

(٢) نعنى الجملة الشريفة وجوب مشـاركة يهود المدينة فى نفقات الحرب اذا دهم العـدو المدينة المنورة •

(٣) تجد شرحا لها بنهاية المقـال من كلام أبى عبيد رضى الله عنه •

(٤) أوتغ نفسه : أهلكها •

موادعتهم أن يجيروا أموال أعدائه ولايعينوهم عليه » اه

وفيما قدم د / رءوف شلبى من دراسة قيمة لحروب رسول الله ﷺ يتبين أهمية هذا الشرط ، فمعنى أن يحمى يهود المدينة أموالا لقريش أنهم يغصبون المؤمنين أموالهم ، ولقد قامت أكثر من مطاردة من المسلمين لعير قريش بغية استرداد أموالهم .

قال أبو عبيد :

ومن اعتبط مؤمنا قتلا فهو قود :

الاعتباط أن يقتله بريا محرم الدم ، وأصل الاعتباط فى الابل تنحر بلا داء يكون بها .

وقال — رضى الله عنه :

« ولا يحل لمؤمن أن ينصر محدثا أو يؤويه »

المحدث : كل من أتى حدا من حدود الله عز وجل ، فليس لاحد منعه من اقامة الحد عليه ، وهذا شبيه بقوله الآخر : من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى أمره .

وقوله :

« لا يقبل منه صرف ولا عدل » .

حدثنا هشيم عن رجل سماه عن مكحول قال :

الصرف : التوبة والعدل الفدية قال أبو عبيد : وهذا أحب الى من قول من يقول : الفريضة والتطوع لقول الله تبارك وتعالى : « **ولا يؤخذ منها عدل** » فكل شىء فدى به شىء فهو عدله .

قال أبو عبيد :

« وان يهود بنى عوف أمة من المؤمنين »

انما أراد نصرهم المؤمنين ومعاونتهم اياهم على عدوهم بالنفقة التى شرطها عليهم ، فأما الدين فليسوا منه فى شىء ألا تراه قد بين ذلك فقال : لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم .

وختم — رضى الله عنه — كلمته بشأن هذه العهده فبين أنها كانت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة

« .. قبل أن يظهر الاسلام ويقوى ، وقبل ثلاثفرق : بنو القينقاع ، والنضير ، وقريظة، أن يؤمر بأخذ الجزية من أهل الكتاب وكانوا فاول فرقةغدرت ونقضت الموادعة بنو القينقاع،

وكانوا حلفاء عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين) فأجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة، ثم بنو النضير ، ثم بنو قريظة .

محمود محمد رسلان

مع الإسلام

المذاهبية الإسلامية والتغيير الحضاري

مع التاريخ ... والقصة الباكية

من أعلام الأزهر

المذهبية الاسلامية و التغيير الحضارى

تأليف د. محسن عبد الحميد

(المذهبية الاسلامية والتغيير الحضارى) عنوان الكتاب الذى صدر عن سلسلة « كتاب الأمة » التى تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية فى دولة قطر «عدد جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ » وهو من تأليف الدكتور محسن عبد الحميد أستاذ التفسير والفكر الاسلامى الحديث فى جامعة بغداد . ويقع الكتاب فى مائة وثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط ، ويشمل ثلاثة عشر فصلا هى بالترتيب .

تحديد المصطلح – المذهبية الاسلامية بين الوحى والفكر – والمذهبية الاسلامية ونمطها الخاص – مذهبية شاملة – المذهبية الاسلامية ودور الانسان فى التغيير – المذهبية الاسلامية والنظرة الشمولية للانسان – المذهبية الاسلامية وجوهر الانسان – المذهبية الاسلامية والمجال الغيبى – المذهبية الاسلامية والحل المرحلى – المذهبية الاسلامية وقضية المستضعفين – المذهبية الاسلامية والمصطلح الحضارى – المذهبية الاسلامية والقومية – المذهبية الاسلامية وأزمة المثقفين .

** فى الفصل الاول (تحديد المصطلح) يقدم المؤلف توضيحا لما يقصده من عبارة « المذهبية الاسلامية » وبين يدى ذلك يذكر أن كثيرا من الكتاب الاسلاميين يستعملون عبارة « الفكر الاسلامى » أو « الفكرة الاسلامية » بمعنى الاسلام ، وهؤلاء فى نظر المؤلف مخطئون ، لأنه اذا صح اطلاق معنى « الفكر الاسلامى » على ما أنتجه الفكر المسلم ، فانه لا يصح أن يستعمل للدلالة على الوحى الالهى للاسلام ، حتى لا يؤدى ذلك الى الخلط بين الوحى والفكر .

والى جانب هؤلاء ، فهناك من يستعمل كلمة « المذهبية » للدلالة على ما ذهب اليه الاسلام فى أمور الكون وخالقه والحياة والانسان ، ويرى المؤلف أن هذه اللفظة يمكن أن تتحول الى اصطلاح يحقق هدف الاسلاميين من اطلاقهم لفظ « الفكر الاسلامى » بالمعنى الشامل للاسلام كتابا وسنة .

كذلك يرى المؤلف أن عبارة « العقيدة

عرض وتعليق
أ.د. طه مصطفى أبو كريشه

الاسلامية » لا تغنى هنا ، لأنها تشمل الالهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر فقط بينما « المذهبية الاسلامية » تشمل العقيدة الاسلامية ،وتشمل غيرها من الكليات التى ارتضاها الاسلام فى العالم المادى لضبط حركته ، سواء فى الحياة عموما ، أو فى المجتمع أو داخل عالم الانسان من حيث هو فرد .

— ٣ —

** وفى الفصل الثانى (المذهبية الاسلامية بين الوحى والفكر) يذكر المؤلف أنه لابد من وضع فاصل بين ما هو وحى الهى ، وبين ما هو جهد بشرى أو فكر بشرى لمسائل تدور حول الوحى الالهى وتفسيره وشرحه .. وفى رأيه أن تسمية الوحى وما حوله من فكر ، بالفكر الاسلامى ، خطأ كبير — وهو خطأ شجع أصحاب المذاهب المادية على تسمية الوحى والفكر معا باسم « التراث » ، وعلى النظر اليهما معا نظرة زمنية مرتبطة بالماضى فحسب، مع أن الوحى يمثل الحقيقة الأزلية التى لا ترتبط بالزمن ، ولا تخضع له .

وهنا يكشف المؤلف عن دور الدارسين الماديين ، من خلال مؤلفاتهم المتعددة ، التى جاءت تحمل فى عناوينها كلمة « التراث » اذ جمعوا فى هذه المؤلفات بين الوحى والفكر فى نظرة واحدة متساوية ، طبقوا من خلالها فلسفتهم المادية ، التى تنادى بضرورة التغيير، ذلك حين أخذوا ببعض الجوانب من التراث دون بعض ، وهى الجوانب التى يرون فيها مشابه مما يدعون اليه من المساواة أو العدل الاجتماعى حتى يوهموا الناس بأنه لا خوف من المذاهب المادية التى تهدف الى مثل ذلك ، بغض النظر عما فيها من الحاد . وهذا هو التلفيق الذى قد يخفى على الكثيرين من ذوى النية الحسنة ، وهو من غير شك تلفيق مرفوض ، لأنه يضحى فيه بالاسلام ، بينما يعمل على تمهيد الطريق أمام تلك المذاهب لتصل الى قلوب أمثال هؤلاء . وكذلك لكى تعيش فى أرض الاسلام قيم تتعارض مع أصوله الى جانب تلك التى آثروها بالرضا خدمة لأهدافهم المادية .

— ٤ —

** وفى الفصل الثالث « المذهبية الاسلامية ونمطها الخاص » يذكر المؤلف أن كل مجتمع انسانى له حضارته الخاصة به ، وهى حضارة يشكلها التطور التاريخى للأمم فى العقيدة والثقافة والادب والفن والأعراف والتقاليد . واذا أريد الحفاظ على أى حضارة، فان ذلك يكون من خلال اجراء تغيير فى الاطار الخاص بها حتى لا تفقد خصائصها وتذوب فى حضارات أمم أخرى .

والمجتمع الاسلامى ، مجتمع صاغه الاسلام منذ أربعة عشر قرنا صياغة حضارية ، انطلقت من مذهبية فى الكون والحياة والمجتمع . ولذلك فان أى تخطيط للتغيير الاجتماعى لابد أن

◄

يجرى فى اطار الاسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، حتى تحافظ الحضارة الاسلامية على اسسها وخصائصها ولا تنحرف وتسقط أمام حضارات أخرى •

ولقد أثبت التاريخ أن الامة الاسلامية رفضت محاولات اسقاطها النهائى أمام الامم الأخرى وحضاراتها ، لأن نمطها يختلف عن النمط الحضارى الاسلامى فى جذوره وخصائصه وتطوره • وذلك على الرغم من غزو الحضارة الغربية لقيمها وحياتها وسلوك أفرادها ، وهو غزو كان يهدف الى تفجير المجتمع الاسلامى من الداخل ، واحداث التغيير على أسس هذه الحضارة الغازية •

ويرى المؤلف أنه على الرغم من عدم السقوط النهائى ، فان هناك حالة خطيرة من الضياع والحيرة والانفصام ، بحيث لو استمرت لجعلت الخروج السريع من الفوضى الحضارية فى حكم المستحيل ، واذا لم يكن هناك خروج سريع فان ذلك سيمكن الاعداء من الاحاطة بالامة الاسلامية من كل جانب •

واذن فما الحل ؟ يرى المؤلف أن هناك حلين مطروحين فى الساحة الاسلامية •

أحدهما : يقوم على ضوء المذهبيات المادية ، وفيه عزل كامل للاسلام عن مجتمعه من حيث هو دين • وفيه كذلك قطع للامة عن ماضيها ، وايجاد لأمة أخرى بعقائد وقيم جديدة ، ومن ثم فهو حل مرفوض ••

أما الحل الثانى : فهو الذى يقوم فى اطار المذهبية الاسلامية الشاملة ، التى تميز الأمة الاسلامية عن غيرها من الأمم ، ولا مناص من الأخذ القاطع بهذا الحل ، الذى هو طريق الاسلام الحق • وهذا لا يغنى الوقوف عند الماضى ، فالاسلام من حيث هو وحى ، هو ماض وحاضر ومستقبل وهو حركة دائمة ، تدعو الى التجديد الدائم ، لتحقيق الأمانة الكبرى فى تحقيق خلافة الله على الأرض ولن يكون ذلك الا بتسخير قوى المادة فى ظل التوجيه الاسلامى ليتحقق صلاحها والانتفاع بها ، ذلك لأن هذه المادة فى غياب التوجيه الاسلامى ، قد صنعت صنعها المدمر فى تلك المجتمعات الغربية ، والشواهد على ذلك كثيرة فى الماضى القريب والحاضر المشاهد •

— ٥ —

** وفى الفصل الرابع (مذهبية شاملة). يعرض المؤلف لنظرة الاسلام الى الكون والمجتمع والانسان فنظرته الى الكون قائمة على أساس دقته وتناسقه وتوازنه وغائيته ، وكل شىء فيه يقوم على التكامل والتعاضد لا على التضاد والتناقض •

ونظرة الاسلام الى المجتمع قائمة على أساس الوحدة البشرية ، وأفضل الناس عند الله أتقاهم ، وهم لم يخلقوا عبثا ، ولم يتركهم الله سبحانه وتعالى يتخبطون فى الاخطاء حسب مصالحهم وأهوائهم ، وانما ارتضى لهم أصول أنظمة حيوية فطرية ، وردت فى نصوص دقيقة محكمة •

أما نظرته الى الانسان فهى قائمة على أنه خليفة الله المكرم فى أرضه ، يتحرك ويعمل فى اطار القوانين المادية ، فى داخل التزام حقيقى بعبادة الله سبحانه وتعالى •

وحول نظرة الاسلام الى الكون وما فيه من ماديات يطرح المؤلف سؤالا ، ما موقف الاسلام من العلوم الانسانية الحديثة ؟ وما موقفه من العلم فى صورته المادية ؟ وهل يأخذه دون تردد أو مناقشة ؟

وفى الجواب عن ذلك يذكر المؤلف أن العلوم الانسانية الحديثة وان كانت قد تحركت فى الاتجاهات التى رسمتها الفلسفة المادية الا أنه من الممكن أن ينتشلها المنهج التغييرى الاسلامى من الجانب الماضى ، ويعيد اليها توازنها ، لتصطبغ بالصبغة الاسلامية •

أما العلم المادى ، فان تسخيره بأوسع مجال ممكن فى بناء حياتنا الجديدة ، يتفق تماما مع ما يريده الاسلام من الحركة فى الحياة واستعمار الأرض ، وبناء الحضارة وتحقيق الخلافة ، على أن ينحى من هذا التسخير ما انحرف نحوه الغرب عن طريق المادة ، بصورة أدت الى الحاق الضرر بالمجتمع الانسانى فى قيمه وأخلاقه ، وعقيدته وتقاليده، ان المادة فى ظل التوجيه الاسلامى سوف تخدم الانسانية خدمة أنفع لها من تقديم اختراعات جديدة ، فالمجتمع فى حاجة الى توجيه رشيد أكثر من حاجته الى اختراع جديد ••

— ٦ —

** وفى الفصل الخامس (المذهبية الاسلامية ودور الانسان فى التغيير) بين المؤلف أن الانسان هو مدار الحركة الحضارية فى الاسلام وهو خليفة الله فى أرضه ، مصداقا لقوله تعالى : « **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً** » البقرة ٣٠ •

وقوله تعالى « **وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ، وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ** » الانعام ١٦٥ •

ويقوم الانسان بهذا الدور التاريخى من خلال عقله وشعوره وتأمله وطاقاته الكثيرة التى زوده الله تعالى بها • وآيات القرآن الكريم صريحة فى اعطاء هذا الدور للانسان ، وكذلك فان حياة النبى ﷺ وحياة صحابته الكرام والأجيال الأولى من المسلمين تمثل هذه القضية تمثيلا واضحا • وان نظرة متأنية على صفحات التاريخ ترينا كيف قام الانسان المسلم بدوره فى مختلف المجالات ومن ثم كان بين أيدينا الآن هذا الرصيد الكبير من آثار المسلمين الذين قدروا أمانة استخلافهم وتمكينهم فى الأرض حق قدرها ، وهو الأمر الذى يرد كل محاولة تشكك فى المجهود الذى بذله وقام به أبناء الاسلام •

واليوم ــ قياسا على ما سلف ــ اذا كنا نريد بناء حضارة انسانية قوية فان علينا أن نبرز مكانة الانسان فى كل ناحية من نواحى الحياة ، وأن نكرمه تكريما يحترم آدميته ، ويشعر فى ظله بالأمن النفسى والاجتماعى ، حتى يستطيع أن يستغل طاقاته من خلال حريته فى خدمة المجتمع ورقى الانسان ، ذلك لأن الانسان الذى يسلب الكرامة والأمن لا ينتظر منه أن يشارك فى صنع الحياة الكونية الراقية ، وان شارك فبقدر ضئيل غير مذكور•

— ٧ —

** وفى الفصل السادس (المذهبية الاسلامية والنظرة الشمولية للانسان) يبين المؤلف أن الاسلام اختلف فى نظرته الى الانسان عن نظرة الأديان والمذاهب الاجتماعية الأخرى • ذلك لأن الكنيسة نظرت للانسان من حيث هو كائن روحى ، وكان هذا رد فعل عنيف على حيوانية ومادية النظرة الرومانية • و « الماركسية » جردت الانسان من شموليته وجعلته سلوكا متغيرا فى ضوء تغيير أدوات الانتاج ، مجبرا على ذلك السلوك ، مسلوب الارادة ، ومن ثم جعلت الانسان أسير العامل الاقتصادى •

و « الداروينية » نظرت الى الانسان من زاوية حيوانية ، انطلاقا من التشابه الظاهرى فى القانون الواحد الذى خلق الله تعالى به الانسان وسائر الحيوانات ، وانتهت من وراء ذلك الى أن الانسان حيوان اجتماعى متطور •

أما « الفرويدية » فانها نظرت الى الانسان من زاوية حيوانية تجعل الجنس أساس حركة الانسان وسلوكه ، وبذلك عملت على تحطيم الأسرة من خلال الفوضى الجنسية فى الحضارة الحديثة ومن خلال الانحرافات المتلاحقة ، التى سببت أمراضا نفسية معقدة•

ومما سبق يتضح مدى الاختلاف بين هذه المذاهب والاتجاهات فى فهم الانسان وتوجيهه ، ومن ثم فقد عجزت جميعها أن تقود المجتمع الانسانى الى السعادة والتوازن ، لأنها كلها لم تنظر الى الانسان نظرة شمولية ، تشمل حياته الروحية والمادية •

وهذا الشمول الذى افتقدناه فى تلك المذاهب والآراء هو ما نجده فى ظل المنهج الاسلامى ، فالاسلام دين الله ، خالق هذا الانسان ، وهو العليم بما أودعه فيه من أسرار الحياة ، وهو كذلك العليم بحركتها وضوابط توازنها فى وحدة متناسقة لا يستطاع أن ينفصل فيها جزء عن جزء •

— ٨ —

** وفى الفصل السابع (المذهبية الاسلامية وجوهر الانسان) يتحدث المؤلف عن الدوافع الفطرية التى أودعها الله فى التكوين الانسانى ، مبينا أنها دوافع لا يمكن أن تتبدل مع الزمن ، مصداقا لقول الله تعالى « **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** » الروم ٣٠ •

لكن هذه الدوافع وان كانت فطرية ، فانه يمكن تهذيبها وتوجيهها فى ظل مذهبية متناسقة، حتى تتحرك تحركا صحيحا مستقيما ، ولا تنحرف الى انحرافات خطيرة ، وأمراض نفسية وجنسية واجتماعية •

وقد حاولت بعض مناهج التغيير أن تتجاهل هذه الدوافع وأن تنفى ما عند الانسان من غرائز ، فلم يتحقق لها ما تصبو اليه وظل الانسان فى أعماقه أسير تلك الغرائز ، وان حاول أن يبدو فى الظاهر أنه قد ألغاها من حياته الغاء ، وذلك على النحو الذى حاولته

بعض اتجاهات النصرانية فى مراحل تاريخها •

أما الاسلام فانه نظر الى الانسان من حيث هو جوهر أصيل ، له رغبات ذاتية فطرية لابد أن تشبع وأن تحل مشاكلها فى ظل منهج ربانى ، لذلك نجد أن الشريعة الاسلامية تعالج مشاكل الغرائز الانسانية المتنوعة من مبدأ الاعتراف بوجودها ، مع توجيه كل واحدة منها توجيها لا يتصادم مع المبادىء الاسلامية التى تسعى الى الارتقاء بالانسان ، وذلك حتى لا يبقى الانسان تائها يعانى من الانفصام فى جانبه الروحى ، ولا يتجه الى الهبوط الحيوانى فى جانبه المادى •

واذا كنا اليوم فى مفترق الطرق ، فان علينا أن ندرك هذه الحقائق الفطرية فى كيان الانسان ، عندما نخطط للتغيير من خلال مخطط الاسلام وحده ، وليس من خلال مؤسسات التربية فى الحضارة الحديثة •

— ٩ —

** وفى الفصل الثامن (المذهبية الاسلامية والمجال الغيبى) يتناول المؤلف المجال الذى لا يقع تحت حواس الانسان فى هذا الكون ، والذى لا يستطيع أن يتوصل فيه بنفسه الى اليقين ، وهذا المجال هو عالم الغيب •

وقد وضع الله تعالى فى كتابه الكريم الحقائق التى تتصل بهذا المجال ، وعلى الانسان فى اطار الحقائق الالهية التى وضعت أمامه ، أن يسلم بالتفصيلات الغيبية ، مادام قد آمن بالله الكون ، وأدرك غاية وجوده ، وحقيقة عبادته ، ولذلك فقد دعا سبحانه وتعالى الى الايمان بالغيب ، وجعله من أمارات صدق اليقين ، فى قوله « **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** » البقرة ٣ •

والعقل الانسانى — على الرغم من طاقاته الكبيرة — طاقة محدودة ، والدليل على ذلك آراء المفكرين والفلاسفة فى تلك القضايا الغيبية ، اذ هى أفكار مضطربة متصارعة ، ومتضادة ساذجة فى كثير من الأحيان •

من هنا فان العقل الانسانى حين يعرف قدره ، ويتجه الى العمل فى كشف أسرار عالم المادة ، فاننا نراه ينتج ، ويثمر ثمرات منظورة يحقق الانسان من خلالها خلافته على الأرض • وعلى العكس من ذلك عندما يتجاوز قدره ، ويدعى المعرفة المطلقة فى حل أسرار الغيب ، هنا نراه يتوه ويضل ، وقد ينتهى الى الالحاد والانحراف •

وهذا ما وعته الحضارة الاسلامية ، حين اتجهت فى علومها اتجاها تجريبيا محضا ، كان من نتيجته ذلك التقدم الكبير فى علوم الحياة ، مع انقاذ الحضارة الانسانية من العموميات الوصفية التى ورثتها من الحضارة اليونانية •

— ١٠ —

** وفى الفصل التاسع (المذهبية الاسلامية والحل المرحلى) يتناول المؤلف جانبا من المشاكل العارضة ، التى نشأت فى المجتمع الاسلامى وكان للعلماء المسلمين دور فى معالجتها من خلال اتجاه خاص فرضته كل مشكلة على حدة ، ويذكر المؤلف أنه من الخطأ

◄

أن تتخذ أمثال هذه الاتجاهات ، على أنها علاج يطبق فى كل زمان ومكان ، دون مراعاة للظروف التى تفرق بين مرحلة ومرحلة ، ويضرب مثلا على ذلك ما قام به علماء الكلام فى اتجاههم العقلى والمنطقى ازاء البحوث الفلسفية فى عصرهم • وموطن الخطأ هو تحويل الرأى الاجتهادى الخاص الى العقيدة القاطعة ، التى يحاول أصحابها أن يفرضوها على غيرهم فرضا ، ولو عن طريق العنف •

ان تدارك مثل هذا الخطأ لا يمكن أن يحدث الا من خلال نظرة شاملة تستوحى المبادىء الكلية للاسلام ، متجاوزة النظرة الضيقة ، التى ترتبط بشخص قام باصلاح فى فترة معينة ، أو ترتبط بجماعة تتخذ لنفسها منهجا سلوكيا معينا ، فالاسلام بنظرته الشاملة نحو الكون والمجتمع والانسان كفيل بمواجهة المذاهب المادية المتنوعة ، والدخول معها فى صراع شامل يهدف الى اصلاح الحضارة الانسانية ، وانتشالها من الأزمة الخلقية التى تمر بها •

— ١١ —

** وفى الفصل العاشر (المذهبية الاسلامية وقضية المستضعفين) يبين المؤلف أن من أعظم أهداف الاسلام انقاذ الشعوب المظلومة الكادحة من ظلم الطغاة الظالمين ، الذين استلبوا حقوق الجماهير الغفيرة من أممهم ، وقضوا على انسانيتهم وآدميتهم •

ويقيم المؤلف الدليل العملى على ذلك من سيرة الخلفاء الراشدين والأمراء العادلين والعلماء الربانيين عبر التاريخ الاسلامى كله ، حيث وقفوا ضد كل انحراف يمكن أن يركز القوة والثروة فى أيدى طبقة مترفة ، قليلة العدد ، تحاول أن تنحرف بتوجيهات الاسلام عن وجهتها العادلة فى الحياة •

لكن هذا الجانب المشرف فى التاريخ الاسلامى ، لم تخل له الساحة دائما تماما ، وانما ظهر فى فترات أخرى من يشوه هذه الصورة المشرقة بسيرته اللاهية التى لا تتفق أبدا مع عدالة الاسلام وصفائه •

واذا كنا فى عصر كثرت فيه دعوات تطالب بتحقيق كرامة الجماهير الكادحة المحرومة ، فاننا جديرون بأن نكون أول من يحقق ذلك من خلال عدالة الاسلام ، التى لا تقر طغيان طاغ ، ولا ظلم ظالم ولا بغى معتد جائر • وفى الكتاب والسنة ، وفى اجتهادات الفقهاء المخلصين ، ما يقيم المعالم الراشدة لهذه العدالة المنشودة ، للمستضعفين على ظهر هذه الأرض •

— ١٢ —

** وفى الفصل الحادى عشر (المذهبية والمصطلح الحضارى) يتحدث المؤلف عن فوضى المصطلحات الكثيرة ، المستخدمة فى مجال الحضارة ، ويحذر من محاولة استعارتها عند الحديث عن الاسلام اذ أن ذلك لن يفيد الاسلام بشىء وانما سوف ينفع المذاهب المادية التى تتشدق بأمثال هذه المصطلحات •

ومما أشار اليه من فوضى المصطلحات الحضارية ألفاظ مثل (اليمين — اليسار — الديمقراطية — رجال الدين — الصراع — الثورة ••) الى آخر ما يدور فى هذا الفلك •

ويسقط المؤلف حجة من يدعو الى اتخاذ هذه المصطلحات بدعوى أن علماءنا الأول ، لم يحجبوا أنفسهم عن مصطلحات عصرهم الوافدة ، ويذكر أن هؤلاء الداعين فاتهم الخلاف بيننا وبين أسلافنا العلماء ذلك لأن أولئك العلماء كانوا واعين باسلامهم كل الوعى ، عارفين بحقائقه معرفة دقيقة ، أما المنادون بذلك اليوم فقل منهم من يتجاوز القشرة أو السطح فى معرفته بالاسلام ، وهنا مكمن الداء ، حيث يتحول الاسلام على أيديهم الى دراسات سطحية مشوهة ، جافة الروح ، ليس فيها شىء من حلاوة الايمان ، ولا من رصيده الذى يصنع حاجزا يمنع الانزلاق عند انحراف هذه المصطلحات ، أو عند اقترابه من الحديث عنها تحت مظلة الاسلام •

— ١٣ —

** وفى الفصل الثانى عشر (المذهبية الاسلامية والقومية) يذكر المؤلف أن الاسلام استنكر العصبية الجنسية والقبلية ، لأنها تسبب الفرقة ، وتولد البغضاء ، وتهدم المجتمعات ، وتسقط الحضارات •

والاسلام — بديلا عن ذلك — يقيم رابطة الاخاء البشرى ، من خلال أسس ثلاثة تجمع الناس حولها •

أولها : أساس الاسلام الذى يجعل المؤمنين اخوة « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** » الحجرات ١٠ •

وثانيها : الدين عامة « **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ** » آل عمران : ٦٤ •

وثالثها : الانسانية البشرية العامة « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ** » النساء ١ •

ولقد عاش المسلمون فى ظل اخوة الاسلام أحقابا متطاولة ، وعاش معهم غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى فى أمن وأمان ، لا يعكر صفوه الا ما يأتى من خارجه ، ومن المتألبين عليه •

من هنا فان أى حديث عن القومية يتجاهل الأساس الاسلامى هو حديث ينتهى الى الاخفاق ، ذلك لأن القومية سوف تفتقد فى مضمونها الجوهر الذى يوحد بين الاجناس والشعوب فى اطار ربانى ينحى جانب العصبية القائمة على العرق والجنس والتاريخ ••

— ١٤ —

** أما الفصل الثالث عشر والاخير فهو عن (المذهبية الاسلامية وأزمة المثقفين) وفيه يتحدث المؤلف عن ثقافة الأجيال الحاضرة ، مبينا أن هذه الأجيال معزولة عن الثقافة الاسلامية عزلا يكاد يكون كاملا ، وذلك نتيجة لسيطرة الثقافة المادية والعلمانية سيطرة تامة على مؤسساتنا الجامعية والتعليمية ، ودوائرنا الثقافية والاعلامية ، التى غدت تفكر وتخطط لتغيير الحياة فى المجتمع الاسلامى بمعزل عن الاسلام عقيدة وشريعة وسلوكا ، وهذا أمر واضح فى كثير من الدراسات الجامعية وغير الجامعية حيث نرى فيها اما تجاهلا كاملا للاسلام ، واما جهلا مركبا به وبحضارته وقضاياه ••

ومن أجل أن يخرج هـؤلاء من « أزمتهم الثقافية » فان عليهم أن يدرسوا الاسـلام دراسة شاملة ومختصة فى ضـوء منهج علمى موضوعى ، بعيـد عن المنـاهج المسـبقة والمصطلحات المادية التى تتنافى مع الاسـلام .. فالمسلم الحق يفرض عليه ايمانه أن ينطلق فى فكره من خلال أصول دينه ، لا من خـلال الثقافات المادية والاتجاهات العلمـانية التى تصطدم مع الاسلام فى قواعده وأصوله .

— ١٥ —

** وبعد . فان مما يحمد عليـه المؤلف هذا الوعى العميق باتجـاهات الاسـلام وباتجاهات الفكر المعاصر ، حيث رصد هـذا الأخير رصدا عرف من خلاله أهدافه ومراميه ، ومن ثم كان هذا التحذير الذى بدا فى كـل فصول الكتاب على ايجازه البادى عليه فى مثل هذا الموضوع الكبير .

لكنا مع هذا نختلف مع المؤلف فيمـا أراد احداثه من مصطلح « المذهبية الاسلامية »

فالحق أننا لسنا فى حاجة الى تقديم الاسـلام تحت أى مصطلح من المصـطلحات ، اذ يكفى أن نقدم الاسلام على أنه « اسلام » وكفى ، بدلا من تلك الألفاظ الاشتقاقية التى تحتـاج منا الى اقامة الحجج والبراهين على أبعادها ومفهومها ، والدليل على ذلك أن المؤلف لم يزد فى كل القضايا التى عرض لهـا — عـن رأى الاسلام فيها ، ولو أنناحذفنا كلمة « المذهبية » وأبقينا كلمة « الاسلام » بصيغته التى جـاء بها ، لما تغير عرض كل فصل من الفصـول فى شىء .

أما المحاذير التى أشار اليهـا المـؤلف فى الفصل الأول والثانى ، فانها محاذير لا خـوف منها الا لدى من يجهلون الاسلام ، ويقرأونه من خلال مؤلفات الماديين ، وأعتقد أن الأمر بالنسبة اليهم لن يتغير اذا جئنا بهذا المصطلح الجديد « المذهبية الاسلامية » وأطلقناه على كل مافى الاسلام من الوحى والفكر .. وقـد أتساءل تساؤلا ليس له من هدف خفى : أين تكون اذن كلمة « الاسلام » تحت ظل شيوع هذا المصطلح الجديد ،ان قدر له أن يشيع كما يأمل صاحبه الغيور ؟ ..

اننا فى الحـق بحـاجة الى التقليـل من المصطلحات أكثر من حاجتنا الى الاضافة أو التبديل ، وذلك حتى يشمخ « الاسـلام » منارة عالية تعلو فوق كل جهد بشرى يستوحى الاسلام فى دراسته ، وفى معالجته للحيـاة .

وأختتم هذا التعقيب بالختام نفسه الـذى ختم به المؤلف كتابه « رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ » آل عمران ٧ .

أ . د طه مصطفى أبو كريشـه

مع التاريخ

.. والقصة الباكية

للشيخ محمد حسام الدين

كانت معارضة السيد أحمد خان لاشتراك المسلمين فى المؤتمر القومى الهندى « حزب المؤتمر فيما بعد » راجعة الى ما رآه من خطر على المسلمين ان تعلقت به آمالهم ، أو شغلوا به .

وقد رأى هذا السياسى الرائد أن شكل المؤتمر ، وطبيعة تكوينه تجعل منه بناء هندوسيا ، أو هيئة سياسية هندوسية خالصة.

ومادام الهندوس قد سبقوا فى مجالات الثقافة ، والثروة ، والخبرة السياسية ، والعمل الحكومى ، فان منطق الأمور أن يكون هذا التنظيم السياسى مطيتهم لتحقيق مطالب مجتمعهم الخاص ، بغض النظر عن مطالب المجتمع الاسلامى .

وصدقت رؤية الرجل ، فقد كان المطلب الأول للمؤتمر لدى انعقاده هو : « تهنيد الهند » Indianization ، أى اتاحة الفرصة لأبناء الهند ليتولوا مزيدا من الوظائف العليا ، ومزيدا من السلطة الادارية بالبلاد ، وليكون لهم اشراف على الحكم بالولايات عن طريق المجالس النيابية المحلية .

هذه المطالب فى جانبها العملى التطبيقى تعنى زيادة التمكين للهندوس من زمام الأمور بالهند .

ولقد كانوا على معرفة بهذا ، فأعدوا أنفسهم لهذه المهمة ، وكانوا على أهبة لتولى الوظائف القيادية بدربتهم ، وتمكنهم من الثقافة الغربية .

أما المسلمون فكانوا بعيدين عن تناول نصيبهم من هذه الوظائف بمقدار بعدهم عن الثقافة واللغة الانجليزية المشروطة لها .

وكان السيد أحمد خان على معرفة بحاجة

◄

— مراجعنا الاساسية لهذا المقال هى :

1 Encyclopeadia Britanica Art India.

2 — Emergence of Pakistan — Chaudri-M-Ali- Lahore.

٣ — تراث الاسلام — شاخت وبوزورث ترجمة عالم المعرفة — الكويت .

المسلمين الشديدة الى الثقافة ، والدربة العملية ، والادارية المعاصرة ، وعلى معرفة أيضا بحاجتهم الى تدعيم بنائهم الاقتصادى.

ومن هنا جاء اصراره على أن يبدأ المسلمون بتوفية حاجاتهم الأولية ، وأن يجمعوا أمرهم ، وجهودهم للعمل لها فى هذه المرحلة الدقيقة من تاريخهم .

وكان يرى أن اشتعال الجمهرة الاسلامية بالعمل السياسى ، ثم التنافس على مقاعد المجالس النيابية يبدد طاقتهم فى هذا الوقت ، ويصرفهم عن جد الأمور ، وعن البناء وتوفية الحاجات الضرورية .

بل وقد يؤدى نشاطهم السياسى المتزايد الى صدام بينهم وبين الحكام الانجليز ، فى وقت المسلمون أحوج ما يكونون فيه الى جو الاستقرار والعمل .

وكان من رأيه أيضا أن التعليم يفتح بابا للسيادة العملية ، فاذا كان الانجليز يملكون السيادة العليا فى البلاد ، فان هناك سيادة أخرى واقعية ، وعملية يمارسها من يمسك بزمام الوظائف الحساسة ، ذات الأثر الأجتماعى والاقتصادى .

هذه حقيقة يدركها من يشارك فى الحياة العملية لمجتمع تشيع فيه الأمية مثل مجتمع الهند ، وتتكون جمهرته من الفلاحين ، ومالكى الأرض ، والتجار .

فى مثل هذا المجتمع الزراعى يقوى نفوذ من يمسك بزمام الوظائف العامة الحساسة .

وعلى سبيل المثال فان مهندسى الرى الذين يتولون توزيع مياه الرى فى القنوات العامة فى بلد مثل الهند لهم تأثير واضح فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية لسكان الريف .

ففى أيديهم منح الفرصة للتنمية لبعض المناطق الزراعية على حساب المناطق الأخرى اذا مالوا ، وهكذا أغلب من يتولون الوظائف الحساسة .

فاذا تخلف المسلمون فى مجالات التعليم والثقافات المعاصرة عجزوا عن تناول الوظائف العامة ، ثم لا يغنيهم عنها أن ينشطوا فى مجال المنافسة النيابية .

هذا : فضلا عن أن مجال الوظائف العامة باب من أبواب التنمية للمجتمع الاسلامى اذا تقاصرت أو ضاقت مجالات الزراعة والتجارة بنمو الأجيال .

وفى الحقيقة أن أهم ما صرف الرجل عن هذا المؤتمر هو ما كان يتوقعه بل ويكاد يراه رأى العين مما ينتظر المسلمين من مهالك ومتالف ان هم دخلوا مع الهندوس فى مجال المنافسة على المقاعد النيابية فى انتخاب مشترك عام مفتوح .

لقد كان الرجل على يقين من المذابح الرهيبة التى تنتظر المسلمين خلال المعارك الانتخابية العامة .

ومن أجل هذا أخذ يطالب بأن يكون للمسلمين انتخاب خاص يجرى بينهم ولا تتعلق به الطوائف الأخرى ، فيكون لكل طائفة عدد محددمن المقاعد بالمجالس النيابية .

وفى سنة ١٨٨٣ م خطب فى المجلس

التشريعى (١) فقال : « انه قبل أن نستعير النظم الانجليزية للمجالس النيابية يجب أن نتذكر الفوارق بين الهند وانجلترا فى الشئون السياسية والاجتماعية .

فالهند قارة تسكنها شعوب كثيرة ، ذات ديانات ، وعقائد ، وعناصر مختلفة ، يقوى فيها نفوذ القيادات الدينية ، ويتحكم فيها نظام الطبقات .

أما بلاد الانجليز فان وحدة العنصر بين أبنائها ، ووحدة العقيدة ، ووحدة النظم الاجتماعية تجعل منها أمة واحدة .

والهند بلد لم يبلغ من الثقافة العصرية مبلغا ينقل الناس لمعانى التقدم والمساواة بين القطاعات المختلفة من سكانه .

بل وانه على العكس من هذا تتميز فيه الأجناس والطبقات بعضها عن بعض ، ويحتد الصراع بين المذاهب والأديان .

لذا فان تطبيق النظام الانتخابى بشكله العام المطلق على مختلف المستويات بالهند ينطوى على خطر عظيم .

ان هذا النظام يسمح لمجتمع الأغلبية أن يتخطى حاجات الأقلية ، ويهمل مصالحها .

ثم يأتى جهل العامة من الأغلبية فيضغط على الحكومة لتتخذ من الاجراءات ما يجعل الفوارق الطبقية والعنصرية أكثر حدة من ذى قبل . » (٢) .

لقد كان من رأى السيد أحمد خان أن الانتخابات العامة فى شكلها المطلق تجنى على المسلمين فى الهند ، وتزيد أوضاعهم سوءا .

وقد تحولوا الى مجتمع أقلية ، ضعيف ، فقير ، متخلف ، بعد أن كانت بأيديهم السيادة والقيادة للمجتمع الهندى بكامله .

وعندما توفى الرجل سنة ١٨٩٨ كان قد ترك وراءه جماعة اسلامية واعية ، ممن التفوا حوله ، وشاركوه الرأى : جماعة تخطو فى مجالات التعليم المعاصر ، وتتمتع بمراكز اقتصادية أفضل من المراكز الاقتصادية التى كان عليها المسلمون فى أعقاب الاحتلال ، تهادن الانجليز وتقاوم سيطرة الهندوس .

وبدأ القرن العشرين ، وأجرى الانجليز نظام الانتخاب العام للمجالس النيابية بالهند .

وكان السباق بين المسلمين والهندوس — حين كانت السلطة بيد الانجليز — محصورا فى المجالات الاقتصادية ، والعلمية ، والاجتماعية .

فلما فتح باب التمثيل النيابى أخذت المسائل السياسية تحتل المكانة الأولى فى مضمار المنافسة ، فتوقد الحمية ، وتثير المشاعر ، وتبعث المخاوف ، والصراع المستكن بين المجتمعين ، ليظهر على السطح ، ويستعلن فى جو مفتوح .

وكان من آثار الديموقراطية أن زادت حدة الصراع فى الهند بين المسلمين والهندوس .

◄

١ — هو مجلس انشاه الانجليز بالهند ، يعين اعضاؤه اختيارا ، وتمثيلا للطوائف المختلفة فى مشروعات القوانين قبل اصدارها .

2 - Emergence of Pakistan p. 11

ولو أن المغالبة ظلت محصورة في مجالات الكثرة العددية ، أو في جوانب الثقافة والثروة والنفوذ لأمكن ايجاد حوار بين الطائفتين ، أو الوصول الى حلول وسط تهيىء جو الأمان فيما بينهما ، على الرغم من الحقيقة الواضحة ، — آنئذ — وهي أن الهندوس يسبقون المسلمين بمسافات بعيدة في ميادين الاقتصاد ، والثقافة ، وأنهم يرون هذا التفوق حقا طبيعيا لهم ومن ثم وطنوا العزم على أن يحتفظوا بهذا السبق ، وأن يمضوا في تحسين أوضاع مجتمعهم .

ثم جاءت الديموقراطية لصالحهم ، لأنها تعني حكم الأغلبية ، واذا كانت الأغلبية فيهم وراثة على الأجيال في فئة من الناس ، وكانوا يتمتعون بميزات التفوق ، وامتلاك السلطة الادارية في الدولة ، — ويسيطرون على الصحافة ، والاعلام ، ومقاليد الثروة ، والتنظيم السياسي .

اذا كان الأمر على هذا الحال قضى على الأقلية بأن تظل راسفة في قيود الخضوع والضعة الا أن يشاء الله .

وفي مفاتح القرن العشرين أخذت الأهداف التي يرمي اليها أبناء الهند تتضح ، وأخذت الأصوات الحرة فيهم تطلب بالحكم الذاتي ، فيتردد صداها في بلاد الانجليز .

وكان ميزان القوى في العالم قد بدأ يهتز بعد أن اضطربت شئون الدول الاسلامية الكبرى في الشرق .

وبعد أن دخلت الخلافة العثمانية ، وكذلك الامبراطورية الصفوية في فارس مرحلة المحاق .

وبدأت نذر الحرب العالمية العامة ، وتلقى الكبرياء والصلف الأوربي ضربة جعلته يتطامن ويتعقل ، بعد أن انتصرت اليابان على روسيا سنة ١٩٠٥ م ، واتجهت بريطانيا الى اعطاء الشعوب في مستعمراتها صورا من الحكم الذاتي .

ووافق الانجليز على اجراء الانتخابات للمجلس التشريعي الهندي في العاصمة : « دلهي » ، وللمجالس التشريعية الفرعية بالولايات .

ونهض المسلمون بالهند يطالبون بأن تجرى الانتخابات لجميع المجالس التشريعية على نظام يفصل بين المجتمع الاسلامي ، وغيره من المجتمعات الهندية ، بحيث يخصص للمسلمين من المقاعد في هذه المجالس ما يتناسب مع أهميتهم السياسية ، وعطائهم ، وتاريخهم في الهند .

وتقدم أغاخان في سنة ١٩٠٦ بخطاب الى الحاكم العام البريطاني جاء فيه : « ان تعداد المسلمين في الهند يصل الى اثنين وستين مليون (١) نسمة وفق احصاء السكان لسنة

---

١ — هذا العدد يمثل تعداد المسلمين بالهند الكبرى ١٩٠١ بما يشمل الان باكستان وبنجلاديش ، وكشمير . ولاريب أن هذا العدد قد تضاعف اليوم أضعافا كثيرة ، وأن مسلمي الهند الحالية وحدهم يبلغون هذا العدد أو ما يقرب منه ، عدا سكان باكستان ، وبنجلاديش وكشمير .

١٩٠١ م ، فهم يمثلون حوالى ربع ، أو خمس سكان الهند .

هذا العدد السكانى يفوق تعداد أى دولة أوربية فيما عدا روسيا ، وانه فى ظل أى نظام انتخابى ينبغى رعاية الحقيقة ، وهى أن قيمة المجتمع الاسلامى لا تقاس بقوته العددية وحدها ، وأنه ينبغى أن تضاف اليها أهميته السياسية ، وقيمة عطائه فى بناء الامبراطورية الهندية والدفاع عنها .

وانه ليس من المقبول على الاطلاق أن يخضع اسم المرشح المسلم للجنة العليا الانتخابية التى شكلتها الحكومة ، لتوافق على ترشيحه أو لا توافق .

فمن المؤكد أن هذه اللجنة — وهى هندوسية — لن توافق على ترشيح من لم يكن متعاطفا مع الهندوس فى جميع المسائل ذات الأهمية لديهم » (١) .

وفى نهاية سنة ١٩٠٦ وجه نواب سليم الله خان الدعوة لاجتماع فى « دكا » يحضره كبار رجالات المسلمين فى الهند ، ليتدارسوا الشئون الاسلامية ، ولينظروا فى تكوين رابطة عامة لهم .

وأسفر هذا الاجتماع الاسلامى التاريخى فى « دكا » عن تشكيل الرابطة الاسلامية فى الهند « حزب الرابطة فيما بعد » ، واختيار أغاخان أول رئيس لها .

وكانت مهمتها حماية الحقوق السياسية ، وغيرها من حقوق المسلمين فى الهند .

وأصبحت الرابطة هى الهيئة المعترف بها لتمثيل المسلمين سياسيا هناك منذ هذا التاريخ .

وكانت مطالبة المسلمين باجراء انتخابات منفصلة مثار غضب الهندوس ، وموضع معارضتهم ، فأصدر المؤتمر الهندى فى سنة ١٩٠٩ قرارا بمعارضة اجراء أى انتخابات منفصلة بالهند ، تقوم على أساس دينى .

وكانت الطبقة العالية بين الهندوس تشتد فى المطالبة بانتخاب موحد ، تحتفظ به بالهيمنة على زمام الأمور بالهند .

أما الطبقة الدنيا من المجتمع الهندوسى فكانت تؤيد اجراء انتخاب منفصل على أساس طبقى لتنال نصيبها من التمثيل النيابى بنسبتها العددية ، لكن مطالب هذه الطبقة — وهى فى أدنى درجات السلم الاجتماعى — لم تكن تظفر من الانجليز بشىء من العناية .

فى هذا الجو العام نهضت مجموعة من المسلمين والهندوس تدعو الى قومية هندية عامة .

وكان من أبرز قادة المسلمين فى هذه المجموعة السيد — محمد على جناح ، فقد عمل مع جوبال كريشنا رأس الجناح الهندوسى المعتدل ، الذى كان يدعو قومه الى التعقل والحكمة لدى معاملة المسلمين ، وينادى بالاصلاح الاجتماعى العام ، وبالعمل الدستورى الذى يؤدى الى الرقى ، وينتهى الى القومية الهندية العامة ، تساميا عن النزعات الطائفية .

◄

1 — Emergence of Pakistan. p. 12.

كما كان يدعو الى تثقيف الطبقات الدنيـا من المجتمع ، تهذيبا لها ، ولتنزع عن نفسـها مشاعر التطرف والعنف الهندوسى .

وعلى العكس من مجموعة المعتدلين ، كانت مجموعة المتطرفين الهندوس بقيادة تيـلاك .

وكانت تطالب بالحكم الذاتى للهند ، وتشجع حركات العنف ضد الانجليز ، وتحيى العنصرية الهندوسـية ، وتتغنى بتـاريخ وأمجـاد الخارجين من الهنـدوس على الامبراطـورية الاسلامية ، والمنشقين عليها أيـام الحـكم الاسـلامى .

واستمر الخلاف بين هذين التيارين : تيار التطرف ، وتيار الاعتدال عددا من السـنين ، وتنوعت صور الخلاف ، وأساليب الجـدل بين المجموعتين ، وبقى كل طرف منهما على موقفه .

ولم تهدأ مظـاهر الصراع الطـائفى ، أو يستقر التوازن بين المجموعات المختلفة الا بعد فترة طويلة ، عندما اقتنعت جمـاعات مـن المسلمين والهندوس بامكان قيام قومية هندية عامة تشمل جيع أبناء وطوائف الهند .

وأخذ هذا الاتجاه يشق طريقه فى المجتمـع شيئا فشيئا ، الا أن مثيرات العنف الهندوسى كان تعوق تقدمه ، وامتداده كلما ثارت .

وبالرغم من أن التطلعات العامة لتحـرير الهند ، واحياء القومية الهندية كانت تؤيد قيام مواطنة بين المسلمين والهندوس الا أن التعصب الهندوسى كان أسرع ما يكون الى الظهور اذا اصطدمت مصالح الطائفتين .

وتفجرت الحرب العالمية الأولى ، وسارعت الهند بجميع طوائفها لتأييد بريطانيا فى هذه الحرب .

وكان أمراء الهند ، ومهراجاتها ، وأثرياؤها أكثر الناس استباقا الى تأييد الحلفاء ، فتدفقت أموالهم اسهاما فى المجهود الحربى البريطانى .

وانضـوى تحت العلم الانجليـزى جيش كثيف من أبناء الهند ، قـوامه مليـون رجل ، توزعتهم ميادين القتال .

وشهدت فترة الحرب العالمية الأولى تقاربا بين الرابطة الاسلامية والمـؤتمر الهنـدى ، أى بين المسلمين والهندوس بفضل جهود السيد محمد على جناح ، وكان يلقب ـ وقتئـذ ـ بسفير الوحدة .

وقد توصل فى سنة ١٩١٦ بمدينة « لكنو » الى اتفاق بين الطائفتين سمى فيما بعد باتفاق « لكنو » .

هذا الاتفاق يمنح الولايات نوعا من الحكم الذاتى ، ويقرر للمسلمين نسـبة ٣٣⅓ ٪ تمثيلا ، ومشاركة فى الحكومة المركزية .

كما يقرر لهم نسبا تتراوح بين ٥٠ ، ٤٠ ، ٣٣⅓ ، ٣٠ ، ٢٥ ، ١٥٪ تمثيلا فى حـكومات ومجالس الولايات ، على تفصيل يراعى الكثافة السكانية لكل طائفة بكل ولاية .

وقد وجه الكتاب والصحفيون ، والمفكرون

المسلمون نقدا شديدا لهذا الاتفاق ، وأخذوا عليه أنه رفع النسبة قليلا للتمثيل الاسلامى بالولايات التى يشكل المسلمون فيها أقلية سكانية ، وخفض من أكثريتهم فى الولايات التى يمثلون فيها أكثرية سكانية . فلم يخرجوا بهذه الزيادة عن وضع الأقلية .

ونبه الكتاب والصحفيون الى أن الاتفاق أغفل التطلعات والآمال الاسلامية فى أن يكون للمسلمين تمثيل فى الحكومة والمجالس النيابية ، يكافىء أهميتهم السياسية ، وعطاءهم للهند.

والحق أن السيد - محمد على جناح حقق بهذا الاتفاق انجازا عظيما ، فى اطار الظروف من حوله ، وأنجى المسلمين من مصير رهيب ، وصدام مهلك ينتظرهم فى أجواء الانتخابات المشتركة العامة ، واستخلص لهم من براثن الأغلبية الهندوسية الحاقدة اعترافا بنسبة من المقاعد النيابية ، والادارية .

وأخذت الأحداث العالمية تتوالى مسرعة أثناء الحرب .

وبدا واضحا من تحركات الحلفاء ، وسياستهم ومعاهداتهم أنهم يقومون بتمزيق أوصال الخلافة الاسلامية التى يتولاها آل عثمان ، بل ويتجهون لتدمير تركيا نفسها ..

ورأى المسلمون فى الهند فى هذه السياسة اتفاقا أوربيا ، وتدبيرا غربيا للقضاء على قوى الاسلام السياسية ، والعسكرية المتمثلة فى دولة الخلافة .

فتحركت القيادات الاسلامية هناك معبرة عن مخاوفها ازاء موقف الحلفاء من الخلافة الاسلامية ، واستثارت كوامن القلق لدى جموع المسلمين ، فاشتعلت العواطف الدينية ، وجاشت النفوس بمعانى العزة ، وتهيأت للتضحية بالأرواح والأموال .

وكان من أبرز الحوادث التى هزت جنبات الهند فى مواجهة السياسة الانجليزية تجاه الخلافة الاسلامية حدثان .

أولهما : أن السيدين - محمدا ، وشوكت على - وهما من قيادات المسلمين آنئذ - دعوا الى مقاطعة الانجليز ، ثم الهجرة من الهند الى بلد تحترم فيه الحقوق والمشاعر الاسلامية .

فتحركت جموع الناس مهاجرة الى أفغانستان ، وباعت ما أمكن بيعه من أموالها ، وتركت مساكنها ، وممتلكاتها الثابتة ،وانضوت فى مسيرة عامة خروجا من الهند .

وبلغ عدد الذين ركبوا الطريق من بشاور الى أفغانستان ، عبر ممر خيبر ، خلال شهر واحد ، هو شهر أغسطس سنة ١٩٢٠ ، ثمانية عشر ألف شخص .

ورأت حكومة أفغانستان أن امكاناتها تعجز عن استقبال هذا السيل المتدفق الهادر من المهاجرين ، فأغلقت حدودها ، وحالت بينهم وبين دخول أراضيها .

وانقلبت هذه الجموع راجعة ، بعد أن فقدت كل شىء حتى الأمل ، وبعد أن خلعت جذورها من الهند .

وتساقط أفرادها فى الطريق جوعا ، وظمأ ، واعياء ، ويأسا ، وضاقت جنبات ممر خيبر بمقابرهم .

هذا : وللحديث بقية ، والله المستعان ..

محمد حسام الدين

من أعلام الأزهر
فضيلة الشيخ
أحمد مصطفى المراغى

حديثنا اليوم عن عالم فذ أوتى من القوة العلمية والتفوق مايجعله مصدرا حيا ومثالا يقتدى .

اشتهر ــ رحمه الله ــ بالذكاء والفصاحة والطلاقة وسمو الفكر وشدة البأس والاقدام وصلابة الرأى والاخلاص ولأسرته بريق ولمعان وماض مجيد فلهم فى بطون التاريخ فصول ، منهم علماء أسمعوا الدنيا نداءهم ولقنوا العالم تعاليمهم .

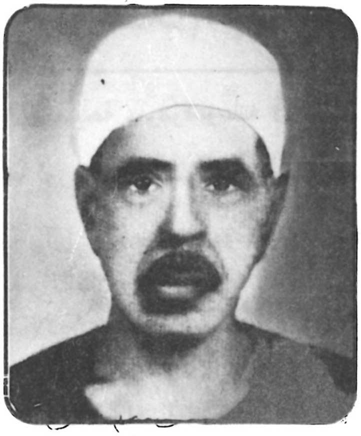
وأستاذنا تروقك طلعته وسمته ويعجبك علمه وأدبه اشتعل رأسه شيبا وتوضح بياض لحيته على وجهه المستنير تحت عمامته الكبيرة المفخمة ولم يكن المشيب ولا السن ليحولا دون نشاطه الدائب فقد كافح ونافح عن آرائه ووجهات نظره وكان فيما ألقاه من محاورات ومحاضرات جذابا متفكها مع سماحته وبشره وصفاء قلبه ولقد كان منذ شبابه مثالا للوداعة ونبل الخلق محببا يألف ويؤلف مستبشرا بالحياة ذا جد حميد ومزاح رقيق .

رأى ــ فى تفسير القرآن الكريم ــ أن الناس فى « مسيس الحاجة الى وضع تفسير للكتاب العزيز يشاكل حاجة الناس فى عصرنا فى أسلوبه وطريق رصفه ووضعه ، ويكون دانى القطوف سهل المأخذ يحوى ماتطمئن اليه النفس من تحقيق علمى تدعمه الحجة والبرهان وتؤيده التجربة والاختبار ويضم الى آراء مؤلفه آراء أهل الذكر من الباحثين فى مختلف الفنون التى ألمع اليها القرآن على نحو ما أثبته العلم فى عصرنا »

ووضع الشيخ تفسيرا للكتاب العزيز أسماه : « تفسير المراغى » وفى مقدمته بحث مستفيض فى تاريخ التفسير ومذاهبه وأعلامه وتقرأ فيه مذهب الشيخ واتجاهه فى التفسير .

حياته : هو من مواليد بلدة المراغة محافظة

للأستاذ محمود عبد الرازق عقباوى



سوهاج ولد فى العاشر من أكتوبر عام ١٨٨٣ •

التحق بالأزهر الشريف وتخرج منه سنة ١٩٠٩ م واشتغل بالتدريس بمعاهد عديدة

منها كلية غوردون بالخرطوم وعمل أستاذا ورئيسا لقسم البلاغة بكلية « دار العلوم » حتى

أحيل الى المعاش عام ١٩٤٣ وأنعم عليه برتبة « البكوية » تقديرا لمجهوداته العلمية • وكانت

وفاته فى ٩ من يوليو سنة ١٩٥٢ م •

مؤلفاته :

تفسير القرآن الكريم ويقع فى ثلاثين جزءا ، طبع حتى الان ست طبعات ابتداء من عام

١٩٤٦ م

ويدرس فى أندونيسيا ، وماليزيا والبلاد العربية وكان بعض أهل أندونيسيا وماليزيا

يأتون الى منزله بحلوان ويأخذون صورا لمنزله ويزورون قبره احتفاء به الى الآن •

ومن مؤلفاته أيضا : : تهذيب التوضيح المقرر على القسم الثانوى بالمعاهد الدينية فى الجيل

الماضى ووضع فى البلاغة عدة كراسات تشتمل على علومها مكتوبة بخطه الجميل المنمق كذلك

عثرنا على مخطوطين من مخطوطاته :

الاول :

(الأنوار القدسية فى معرفة آداب العبودية لسيدى عبد الوهاب الشعرانى) رضى الله عنه وعنا آمين •

والثانى :

ويبدو أنه تعليق على كتاب (الاشاعة لأشراط الساعة تأليف الامام العالم المتقن الامام الكبير أبى عبد الله الشهير بالبرزنجى) عفا الله عنا وعنه بمنه وكرمه آمين •

واختار طريقا سهلا سلسا تلمس فيه الاديب المتذوق للطائف اللغة ونوادرها وتستشعر فيه

نزعة المحافظة المتأصلة المتفتحة ، وكان يخشى على اللغة من جراء اقتحام الألفاظ الدخيلة

عليها ، كذلك كان تأليف الصرف منبثقا من بنية

من أعلام الأزهر

العربية الفصيحة ، وموضوعاته فى أصول الحروف أوزيادتها موضوعات مقيسة بشواهد العربية وآراء العلماء مثل موضوعات النحت والقلب والابدال والزيادة واذا كان الوقت يطالبنا الايجاز ويحول دون التفصل والاستيفاء فمن حق هذا العالم أن نذكره بالمؤلفات والآثار التى خلفها فى ميدان العلم ٠

ولقد نشر له كثير من المقالات العلمية والادبية فى مجلة الازهر المجلد الثامن المحرم سنة ١٣٥٦ هـ ص ٦٩٣ يتحدث فيها عن الحسبة فى الاسلام ٠

جزى الله شيخنا الجليل كفاء ما قدم ، وان ذكراه لباقية فى نفوسنا مضيئة فى سرائرنا حين نستوحش ونتعزى بها حين تحزبنا الهموم وكم نود لو تفضل أبناء أستاذنا وأصدقاؤه وذريته بنشر كتبه ومقالاته ومخطوطاته لينتفع بها الناس ونحن نعلم أن لكل امرىء مادحا وقادحا ولكننى لا أذكر أننى رأيت اثنين يختلفان فيه ، وماتجادل صاحبان فى خلقه وأدبه ومروءته وحسب المرء أن يكون أنس اخوانه فى حياته وأن يحيا حياة طيبة فى أنفسهم بعد مماته ولعل ما أوجزته عن حياة شيخنا الازهرى وفيما سردته سردا من آثاره المختلفة ما يبرز أظهر صفاته العلمية وهى صفات مؤثرة فى تاريخ العلم ومن أكثرها نفعا لنمائه وازدهاره وأحقها بثناء الأجيال التى تنتفع بتراثه ٠

رحم الله استاذنا رحمة واسعة ونفعنا بعلمه الغزير ورأيه الأصيل فلقد قضى حياته عالما معلما ومتعلما مكافحا منافحا وهذا أقصى مايصل اليه العالم الضليع فى التوجيه والتبصير ٠

محمود عبد الرازق عقباوى

مع الشعر

الشاعر العظيم

حطام ... شجرة الليمون

الشاعر العظيم

بزغت عبقرية شماء   وهنا كان البدء والانتهاء
(توزر) و (الشابية) اللحن فى أذ   غامه تزهى تونس العصماء
وهنا كان المهد والموطن الحر   وشعب له السنا والسناء
وهنا أحلام الصبا والشباب الـ   غض ، والدنيا ، والمنى البيضاء
يا أبا القاسم النبيل ، قم اشهد   موكبا حوله الورى لك جاءوا
فنجوم الدنيا هنا ، وأبو القا   سم فينا وسط النجوم ذكاء
يا أبا القاسم الذى هز كل الـ   ناس ، فى رمسك الصفى السماء
لفك المجد بالخلود ، وذكرا   ك بها للشعب التليد انتماء
يا أبا القاسم الحياة حوالي   نا ، ومن بعدما ذهبت ، هباء
أيها الشاعر النبيل نناديـ   ك ، حبيب الى القلوب النداء
أيها العبقرى من هز وجدان   الجماهير شعره والحداء
وعصاميا عاش الحياة طموحا   رافع الرأس دأبه الكبرياء
وبآلام الشعب سرت تغنى   توقظ الشعب والدجى أنواء
كان للطغيان الرهيب أحابيـ   ل ، وللشعب ثورة ومضاء
وأغاريدك الفصاح تثير الـ   شعب ، والشعب فى يديه اللواء

شعر محمد عبد المنعم خفاجى

كان ما كان أيها الأصدقاء كان ما كان أيها الأصفياء
شاعر غنى الحب فاهتزت الدنـ ـيا ، وغنت لشعبه الطيباء
وإذا القائد الشجاع يقود الـ ـثورة الكبرى ، والجموع ولاء
والجماهير هتف ، وأبو القا سم أشعاره بهن الغناء
تونس أى ، يا دار ودى وقومى نحن ما عشنا إخوة أوفياء
أبدا نحن فى الشدائد صف أبدا نحن فى الخطوب الفداء
وعلى الدهر سوف نبقى أودا ء ، ويبقى لنا الهوى والإخاء
وتظلين عزة وفخارا وعلى الأفق منك أنت الضياء
يا أبا القاسم اصطفتك أبوللو وأبو شادى الفذ والشعراء
شعرك الثائر الجليل صداه سكرت فى ألحانه الأصداء
خالدا تحيا ، والخلود يصافيـ ـك ، وتلتف حولك الشهداء
ويحييك كل من رضى اللـ ـه عليهم ، والرسل ، والأنبياء
ولك المجد والجلال ، والشعـ ـر بك اليوم دولة ولواء

حطام

صدى تجربة عاناها صديق شاعر حطمته امرأة

ولقيت الصديق ذات مساء	ومحياه غائم بالشقاء
واجم عانقت كآبته الليل	عناق الظلماء للظلماء
ساهم الطرف ليس فيه بريق	غير ومض لدمعة خرساء
كدت أنساه بعدما فرقتنا	عاديات النوى وطال التنائى
قلت : ياشاعرا ، صاخت له الدن	يا زمانا مدوى الأصداء
كيف لف الظلام أنس لياليك	وقد كان ساهر الأضواء ؟!
وأغاريدك التى كم شجتنا	غالها صمت وحشة نكراء
لذت بالصمت والخمول وماكن	ت جديرا بعزلة وانطواء
قال لى الشاعر الحزين وقد هج	ت أساه وزدت فى البرحاء :
لا تسلنى عن محنتى وشقائى	قدر خطه يراع القضاء
مااحتيال الفتى اذا قضى الأمـ	ر وأعيته حيلة الأذكياء ؟
لا تقل : أين موهباتى وفنى ؟	أين شعرى ؟ وأين عذب غنائى ؟
صوحت أيكتى وأقفر روضى	وربيعى طواه ليل الشتاء
قلت : ان الآلام ملهمة الفن	ومجلى قرائح الشعراء

للدكتور حسن جاد

والأسى الفذ شطة العبقريا ... ت وسر النبوغ فى البؤساء
قال : قد تفحم الخطوب اذا جلت ... وترمى الفحول بالاعياء
كيف يشدو مغرد فوق أيك ... عششت فيه بومة الأرزاء ؟
لا تقل لى : وراء كل عظيم ... من بناة الحياة احدى النساء
مثل سائر ويارب قول ... سار فى الناس وهو محض الهراء
قل من تحفظ المودة منهن ... وتحدو مواهب النبهاء
كم أماتت حواء من عبقرى ... ولكم أخملت من العظماء
رب بان بنى فلما دهته ... هدمت ما أقامه من بناء
« أتعس الناس فى البرية زوج ... عبقرى لزوجة رعناء »
« همه غير همها فاذا ما ... طار سدت عليه باب السماء »
كلما رام بالطموح خلودا ... جذبته الى حضيض الفناء
واذا ما سما لقمة مجد ... أنزلته من قمة العلياء
واذا حاز سمعة أو فخارا ... أمعنت فى تهكم وازدراء
واذا أبدع الغناء أعارت ... شدوه أذن صخرة صماء
أعذب اللحن عندها صرخة البوم ، ... وأشجى الغناء رجع العواء
أنا من حطمته روحا وقلبا ... فأنا ميت مع الأحياء
وأنا ذلك الحطام الذى لم ... تبق فيه منى سوى أشلاء
ضاع عمرى ما بين غامر يأس ... مدلهم وخادع من رجاء
خطأ بعت فيه كل حياتى ... وكفاحى بخيبة وشقاء
فعلى العمر ألف ألف سلام ... وعلى الموهبات ألف عفاء

شجرة الليمون

للشاعرة جليلة رضا

قتلوك ياليمونتى الحسناء
حرموك فى فصل الربيع ٠٠ الماء
فوقفت فى البستان عارية المنى
تتوسطين غصونك الجرداء
وحضنت شباكى الفسيح ضريرة
تتلمسين بحجرتى الأحياء
وأطل وجهك من خلال ضلوعه
جهم الملامح ، عابسا ، مستاء
ليمونتى الجرداء : لا لاتخجلى
ما ضاع حسنك فى الرياض هباء
ان الدمامة والجمـال كليهمـا
يتبادلان الأخذ والاعطاء
فالموت قد أعطاك سحرا غامضا
يضفى عليك قداسة عذراء
والموت قد أعطاك حزنا قاسيا
متوحشا يستوقف الشعراء
ليمونك الغالى عصرت رحيقه
وصنعت منه لفلذتى دواء
أنا لست باكية عليه بقدر ما
ابكيك أنت ضريرة صماء
أختاه ! لاتزنى الوفاء بروضة
نسيتك وازدهرت شذا وسناء
فلرب عشب تحت جذعك غائر
يبغى لأجلك أن يموت فداء
واذا رأيت الناس أكثر قسوة
وأشد من هذى الرياض عداء
يكفيك أن هناك قلبا واحدا
مثلى يشاطرك الشقاء ٠٠ شقاء
ولقد تصب الشمس فوقك نارها
لكن روحك ٠٠ تكشف الأجواء

من التراث

من نوادر مخطوطات مكتبة الازهر

مجلة الأزهر من خمسين عاما :

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم فى القرآن

"للسهيلى"

هو الحافظ العلامة البارع : أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن الحسين ، ويكنى أيضا أبا الحسن الأندلسى .

ولد سنة ٥٠٨ هـ ١١١٤ م وتوفى سنة ٥٨١ هـ ١١٨٥ م ونبغ فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه اليها واكرمه فاقام يصنف كتبه الى أن توفى بها . وهو صاحب الأبيات التى مطلعها

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع
أنت المعد لكل ما يتوقع .. (٢)

من كتبه « الروض الأنف » فى شرح السيرة النبوية لابن هشام و « التعريف والاعلام » فيما أبهم من القرآن من الأسماء والاعلام و « الايضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين » و « نتائج الفكر . قال عنه صاحب « تذكرة الحفاظ » أخذ القراءات عن أبى داود الصغير سليمان بن يحيى ، وأخذ بعضها عن أبى منصور أبى الخير وسمع من عبد الله بن معمر والقاضى أبى بكر بن العربى وشريح بن محمد وأبى عبد الله بن مكى . وأجاز له أبو عبد الله ابن أخت غانم وناظر فى كتاب سيبويه على ابى الحسين بن الطراوه رسمع منه كثيرا من كتب الأدب (وعمى) وهو ابن سبع عشرة سنة حمل الناس عنه وصنف . وكان اماما فى لسان العرب .

* يتوقد ذكاء ، وقد استدعى من مالته الى مراكش ليأخذوا عنه . سمع منه أبو الخطاب ابن دحية وجماعة . وقال ابن دحية كان يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف . حتى نمى خبره الى صاحب مراكش فطلبه وأحسن اليه . وأقبل عليه وأقام بها نحوا من ثلاثة أعوام .

وأما سهيل المنسوب اليها فقربة قريبة من بلد مالته سميت بالكوكب سهيل لانه لا يرى من جميع بلاد الأندلس الا من جبل مطل على هذه القرية . وقال بلغنا أن السهيلى ولى قضاء الجماعة . فحمدت سيرته . كذا وجدت على ظهر كتاب فرائضه أنه ولد بأشبيليه .

قال أبو جعفر بن الزبير كان السهيلى واسع

---

(١) مكتبة الازهر رقم خاص ١٩٨ عام ٤٤٨٣

(٢) الاعلام للزركلى جزء ٤ صفحة ٨٦ .

للأستاذ محمد عميرة على

المعرفة غزير العلم نحويا متقنا لغويا . عالما بالتفسير وصناعة الحديث عارفا بالرجال والأنساب . عارفا بعلم الكلام . وأصول الفقه. حافظا للتاريخ القديم والحديث . ذكيا نبيها صاحب اختراعات واستنباطات مستغربه .

والكتاب الذى نقدمه للقراء هو كتاب التعريف والاعلام فيما أبهم فى القرآن قال فى أوله :الحمد لله الذى علم آدم الأسماء وشرف بعلم دينه العلماء وقال : انى قصدت أن أذكر فى هذا المختصر الوجيز ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر من لم يسمه فيه باسمه القلم من نبى أوولى أو غيرهما من آدمى أو ملك أو جنى أو بلد أو شجر أو كوكب أو حيوان له اسم علم قد عرف عند نقله للاخبار والعلماء الأخيال ذا النفوس من طلاب العلم الى معرفة مثل هذا وبكل ما كان من علوم الكتاب متحلية ومتشرفة ، واذا كان أهل الأدب يفرحون بمعرفة شاعر ابهم اسمه فى كتاب وكذلك أهل كل صناعة يعنون بأسماء أهل صناعتهم ويرونه من نفيس بضاعتهم فالقارئون لكتاب الله العزيز أولى أن يتنافسوا فى معرفة ماأبهم فيه ويتحلوا بعلم ذلك عند المذاكرة ، وقد قال ابن عباس رضى الله عنه مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر رضى الله عنه عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعنى الا مهابته وذكر الحديث .

وقال عكرمة طلبت اسم الذى خرج من بيته مهاجرا للى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة . فهذا أوضح دليل على اعتنائهم بهذا العلم ونفاسته عندهم والله عز وجل يعظم الأجر فى تعريف ذلك ويجزل الأجر ويحفظنا فى جميع أحوالنا .

وتحدث المؤلف عن بعض الآيات من كل سورة لبيان ما أبهم فيها . فمن سورة الحمد قوله تعالى : « **أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** » هم الذين ذكرهم الله فى سورة النساء حين قال : « **فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ** » الآية ، وانظر الى قوله « **وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** » واجمع بينه وبين قوله « **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ** » تجده شرحا له لأن الصراط الطريق ومن شأن سلاك الطريق الحاجة الى الرفيق ولذلك قال تعالى : « **وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** » ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اللهم الرفيق الأعلى .

أنظر الى قوله عليه السلام « **خير الرفقاء أربعة** » تجده ينظر الى قوله سبحانه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، فذكر أربعة . فصل .

ومن ذلك قوله : « **غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** » هم اليهود والنصارى . جاء ذلك مفسرا عن النبى ﷺ فى حديث عدى بن حاتم وقصة اسلامه ويشهد لهذا التفسير قوله سبحانه فى اليهود ، « **وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ** » وقال فى النصارى « **قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا** »

٥

كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ » وسميت اليهود بيهوذا بن يعقوب انتسبوا اليه عند بعض الملوك لسبب يطول ذكره . ثم عربته العرب بالدال ، وسميت النصارى بناصره قرية بالشام كان أصل دينهم منها .

وقال فى سورة البقرة قوله سبحانه : « فَسَجَدُوا إِلَّآ إِبْلِيسَ » وأول من سجد من الملائكة اسرافيل ولذلك جوزى بولايته اللوح المحفوظ .

قال محمد بن الحسن النقاش . وكان اسم ابليس قبل أن تبلس من رحمة الله تعالى عزازيل وقال النقاش كنيته أبو دوس . وقوله « اسكن أنت وزوجك الجنة » زوجه حوا بالمد وأول من سماها بذلك آدم حين خلقت من ضلعه . وقيل له من هذه ؟ قال امرة قيل وما اسمها ؟ قال : حوا . قيل ولم ؟ قال لأنها خلقت من حى وكنيته آدم الذى كنته بها الملائكة أبو البشر . وقيل كنيته أبو محمد ، كنى بمحمد عليه السلام خاتم الأنبياء ، وأهبط آدم عليه السلام بسرنديب من الهند بجبل يقال له بوذ واهبطت حوا بجده وأهبط ابليس بالأبلة وأهبطت الحية ببيسان وقيل بسجستان وسجستان أكثر بلاد الله حيات لولا العربد تأكلها ويفنى كثير منها لأخليت سجستان من أجل الحيات — قاله أبو الحسن المسعودى والشجرة التى نهى عنها قيل هى الكرم . ومن قال هذا يقول الخمر منها ولذلك حرمت . وقيل هى السنبلة . ومن قال هذا يقول لما تاب الى الله وتاب الله عليه . جعلت غذاء لذريته . ومنهم من يقول هى شجرة التين . ولذلك تعتبر فى الرؤيا بالندامة لأكلها من أجل ندم آدم عليه السلام على أكلها .

وقوله سبحانه وتعالى « يابنى اسرائيل » هو يعقوب بن اسحاق وسمى اسرائيل لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر الى الله فسمى اسرائيل . أى أسرى الى الله تعالى أو نحو هذا . فيكون بعض الاسم عبرانيا وبعضه موافق للعربى وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السريانى والعربى أو يقاربه فى اللفظ . ألا ترى أن ابراهيم تفسيره . أب راحم لرحمته بالاطفال ، ولذلك جعل هو وساره زوجته كافلين لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة ، وسارة امرأته هى بنت هارون بن تارج فى قول القتبى والنقاش . ولو صح هذا القول لكانت بنت أخيه ، وقد كان نكاح بنت الأخ على عهده محرما . ألا ترى لقوله سبحانه وتعالى : « شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ » الآية . والى هذا رجع النقاش ونقض قوله الأول واحتج بهذه الآية .

وهاران أخو ابراهيم هو والد لوط عليهما السلام . وقال الطبرى : سارة هى بنت هارون ابن ناحور ، يعنى هاران الأكبر عم هاران الأصغر ، فهى بنت عم ابراهيم عليه السلام وبها سميت مدينة حران الى آخر ما ذكر من سورة البقرة . وانتقل — رحمه الله — الى سورة آل عمران فى قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ » . الآية . هما النعمان بن عمرو والحارث ابن يزيد ، قالا للنبى ﷺ حين دخل عليهم

بيت المدراس ودعاهم الى الله عز وجل ، قالا : ان ابراهيم كان يهوديا ونحن على دينه فحاكمهم الى التوراة فأبيا عليه وكتما ما قالا فنزلت الآية .

وقال فى سورة الأنفال قوله تعالى : « وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ » . هذا القائل هو النضير بن الحارث ابن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار . وقوله عز وجل : « وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ » الآية . كان الشيطان فى ذلك وهو يوم بدر متصورا على صورة سراقة بن مالك ابن جعشم المدلجى ، وانما تمثل على صورة سراقة لأن قريشا حين خرجوا الى بدر خشوا من بنى مدلج ، وكانت بينهم ترات فخشوا أن يكون بينهم ما يشغلهم عن حرب النبى ﷺ ، وكان سراقة سيد بنى مدلج ، فتمثل الشيطان به وقال : انى جار لكم ولم يزل يتراءى لهم فى تلك الغزوة حتى هزمهم الله عز وجل فرآه الحارث بن هشام ناكصا على عقبيه يفر . فصاح به اثبت سراق . فقال : انى أرى مالا ترون .

وقال فى سورة الجمعة قوله عز وجل « وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا » الآية . وانما تذكر هذه الآية لما فيها من التعريف باسم صاحب التجارة ولمن كانت العير فذكر أهل التأويل وأهل الحديث أن دحية بن خليفة الكلبى قدم من الشام بعير له تحمل طعاما وبرا ، وكان الناس اذ ذاك محتاجين فانفضوا اليها وتركوا رسول الله ﷺ يخطب وبقى معه اثنا عشر رجلا وجاء ذكر اسماء الباقين معه فى حديث مرسل رواه أسد بن عمرو الدوسى بن أسد . وفيه أن رسول الله ﷺ ، لم يبق معه الا أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود فى أحد الروايتين . وفى الرواية الأخرى عمار بن ياسر وفى مراسيل أبى داود ذكر السبب الذى ترخصوا من أجله لأنفسهم فى ترك سماع الخطبة . وقد كانوا خلقا لفضلهم ألا يفعلوا . فقال ان الخطبة يوم الجمعة كانت بعد الصلاة فتأولوا أن قد قضوا ما عليهم فحولت الخطبة بعد ذلك قبل الصلاة وهو الحديث . وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب النبى ﷺ يوجب أن يكون صحيحا والله اعلم . وقد فسر اللهو ها هنا بالطبل .

وقال فى سورة المنافقين قوله عز وجل « هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا » . قالها عبد الله ابن أبى بن سلول . وقال « لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ » يعنى نفسه الأذل فكان هو الاذل ورسول الله ﷺ الأعز . وقال هذه المقالة فى غزوة بنى المصطلق ورفعها الى النبى عليه الصلاة والسلام زيد بن أرقم وكان غلاما . فلما أنزل الله السورة أخذ رسول الله ﷺ باذنه وقال هذا الذى وفى الله تعالى باذنه .

ومن سورة أبى لهب . أبو لهب اسمه عبد العزى بن عبد المطلب ولما كان اسمه اسما كاذبا من حيث أضيف الى العزى ذكره

الله عز وجل بالكنية دون الاسم لأن الله يقول الحق وهو يهدى السبيل . فان قيل ان كنيته أبو لهب واللهب ليس بابن له فالجواب أن الله تعالى خلقه للهب واليه مصيره . ألا تراه قال « **سيصلى نارا ذات لهب** » والعرب تكنى بالابن وما لصق بالمكنى ولزمه كقول النبى عليه الصلاة والسلام فى على أبو تراب .

وفى ابى هريرة أبو هريرة لهرة كانت معه تلازمه ولأنس أبو حمزه لبقلة كان يختبيها وهى الحرف . والعرب تقول للأحمق أبو أدراص للعبه بالادراص . وهى جمع درص والدرص ولد الكلبة أو ولد الهرة ونحو ذلك ويقول للذئب أبو جعدة والجعدة الخروفة لأنه كان يحبها والقرآن نزل بلسان القوم . وكانت كنيته أبا لهب . تقدمت لما يصير اليه من اللهب . فكان بعد نزول السورة لا يشك مؤمن أنه من أهل النار . بخلاف غيره من الكفار فانهم كانوا يطمعون فى ايمان جميعهم الا أبالهب وامرأته وهى أم جميل بنت حرب بن أميه عمة معاوية واسمها العوارسه .

وختم كتابه بقوله رضى الله عنه كان املائى لهذا الكتاب على سائل سألنى عن هذه الأسماء المبهمة فى القرآن املاء مما حفظته قديما وحديثا . مطالعة ودرسا . فى كتب التفسير والأخبار . ومسندات الحديث والآثار ، فما حفظت لفظه أوردته كما حفظته . ومنه ما اختلفت ألفاظ الرواة فلم أتتبع جمعها ، ولكن لخصت المعنى متحريا . وللصواب فى تلك الأنحاء متوخيا . وأضربت عن الاسناد لما رويته من ذلك مختصرا اذ كان الكتاب جوابا لسائل وعجالة لمستفهم . لكنى أحلت فى أكثره على المواضع التى منها أخذت والدواوين التى طالعت . وكذا ما أوردت فيه من الأنساب فهو موجود أيضا فى كتب السير وأنساب العرب المشهورة عند أهل الأدب . فلم احتج الى الاستشهاد على ما ذكرته بأكثر مما أوردته وأحلت عليه .

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد قديم ، بخط على بن محمد سنة ٧٤٣هـ ، بها آثار رطوبة وأكل أرضة وترميم فى ٥١ ورقة ومسطرتها تسعة عشر سطرا ، وتوجد نسخة أخرى منها فى مجلد بقلم معتاد ، بخط على الجيزى الطائفى سنة ١٠٢٩ هـ ، بهامشها حواش ، فى ٦٤ ورقة ، ومسطرتها واحد وعشرون سطرا .

محمد عميرة على

واجب الشباب نحو ربهم

* للأستاذ محمد فريد وجدى *

اعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

من سنن الله فى الكون أن شباب اليوم رجال الغد فى تسيير دفة الأمور فى الدولة . وليس فى هذا بدعة ولكنهـــا سنة الله فى الخلق ولن تجد لسنة اللـــه تبديلا .

وقد مضى على أولى الأمر زمــن كانوا يظنون أن أهم ركـــائز اعـــداد الشباب انما هو فى تعلم القراءة والكتابة فقط ناسين أو متناسـين ان أهم ركيزة هى ركيزة التدين ، وصلة الشباب بربهم ومعرفتهم بخالقهم حتى يكون الايمـــان سابقا على العمل .

لابد للشباب خصوصا فى هـــذا الزمان من تسلح دينى وخلقى يحفظه من النفس الامارة بالسوء ويقيـــه نزعات الوسواس الخناس .

لابد لشباب اليـــوم مــن توثيق صلتهم بربهم من غير افراط أو تفريط ، وبدون شطط أو تهويل .

لابد لشباب اليوم من فهم صحيح لدينهم فهما ينأى بهم عن سوفسطائية عرجاء ، وبيزانطية هوجاء .

يقول الكاتب ــ رحمه الله :

ان قلنا واجب الشباب نحو ربهم ، كـــان معنى ذلك واجبهم نحو الكمال المطلق والخير المحض والمثل العليا فى كل أمر .

فان الله جل وعز لم يكلفنا الا بما فيـــه صلاحنا وفلاحنا ، وتكاليفه أيا كانت عبادات أو آدابا ، المقصود بها تربيتنا تربية عـــالية ، واعدادنا لرجولة صـــحيحة ، وايصـــالنا الى الحقائق التى ترتبط بها سعادتنا المرجوة مـــن

طريق العلم والعمل والفضيلة .

مضى الزمان الذى كان يعتبر الدين فيه سخرة ، أو تقييدا للحرية الصحيحة ، أو حرمانا للنفس من مشتهياتها فى الحدود العلمية ، وهذا زمان تجلى فيه بالدليل القاطع أن الدين حاجة أولية للروح لامعدى لها عنه .

واذا قلنا الدليل القاطع قصدنا به الدليل العلمى المؤسس على علم النفس . ولا يتسع لى المجال الآن لبيان ذلك على وجه يوفى بالحاجة العقلية من كل نواحى هذا الأمر الجلل ، ولكنى أستطيع أن أقول على عجل ان الفلسفة المادية التى حاولت فى خلال قرون ثلاثة أن تقطع كل صلة بين الانسان وما فوق المادة ، قد منيت بفشل حاسم لا قيام لها بعده من طريق العلم الطبيعى نفسه لا من طريق العلوم الدينية ، فقد توصل العلم الى احالة المادة الى قوة أى الى اثبات أن لا وجود لها ، وأنها عرض من أعراض القوة . وبزوال هذه العقبة الكأداء من طريق العقل الانسانى انفتحت أمامه باحة لاحد لها الى عالم القوى التى هى مصدر كل موجود فى عالم الشهادة .

نعم ان زوال هذه العقبة لم يخرج العلوم من مجالها الطبيعى ، ولكن كان من آثار زوالها اتساع هذا المجال الطبيعى بحيث لا يتصور العقل له نهاية ، وهذا وحده كان ذا أثر بعيد فى تأديب الانسان وردعه عن البت فيما ليس من شأنه أن يبت فيه ، وفى تشكيكه فى كل ما أسسه من الأصول العلمية ، واعادة وضعها فى الميزان تحت ضوء النقد الصارم والتمحيص الدقيق . فسقط بذلك العجب الذى كان يخيل للعلماء أنهم أدركوا حدود كل شىء ، وأصبح لهم الحق فى الحكم بالوجود أو بالعدم على كل ما يعرض لهم البحث فيه ، حكما لا يقبل المراجعة ، ولا يحتمل التشكيك .

يقول قائل :وما تأثير كل هذا فى تقوية عاطفة الدين ؟

نقول له : فى ذلك أبلغ تأثير ، فانه بعد أن كانت تعتبر المادة مبدأ ومرجعا لكل مخلوق ، انتقل هذا السلطان للقوة ، وعالم القوى أرفع من عالم المادة بما لا يقدر ، ونواميسه أعلى وأعم بقدر هذا التفاوت بينهما ، والمحتملات التى تنشأ من هذا الانتقال لا تقف عند حد . واذا أردت أن تقف على مبلغ التحول الذى طرأ على مذاهب العلماء من حدوث هذا الاكتشاف ، فاليك على عجل :

قال الدكتور (فيلبون) فى مجلة (العلم والحياة) صفحة ٤٥١ من مجلة سنة ١٩١٧ :

« لقد حلت كلمة (القوة) محل كلمة (المادة) فما يدرينا هل تحل كلمة (روح) محل كلمة (قوة) ؟ هذه المسألة المحيرة لاتزال سرا من أسرار المستقبل » .

وقال العلامة (جوستاف لوبون) فى كتابه تحول المادة :

« دامت العقيدة فى صحة المقررات الكبرى للعلم العصرى حافظة لقوتها الى أن حدثت فى الأيام الأخيرة مكتشفات غير منتظرة قضت على العلم العصرى أن يكابد من الشكوك ما كان يعتقد أنه قد تخلص منه نهائيا فان الصرح

العلمى الذى كان لا يرى صدوعه الاعـــدد قليل من العقول العالية قد تزعزع فجأة بشدة عظيمة ، وصارت المتناقضات والمحاولات التى فيه ظاهرة للعيان بعد أن كانت من الخفـــاء بحيث لا تبلغها الظنون ، فأدرك النـــاس على عجل أنهم كانوا مخدوعين ، وأسرعوا يتساءلون هل الأصول المكونة للمقررات اليقينية لمعارفنا الطبيعية لم تكن الا فروضا واهية تحجب تحت غشائها جهلا لا يسبر له غور ؟ »٠

ثم نقل الأستاذ (جوستاف لوبون) قول العلامة الرياضى (لوسيان بوانكاريه) وهو :

« لا توجد لدينا نظريات كبـــرى الآن يمكـــن قبولها قبولا تاما ، ويجمـــع عليهـــا المجربون اجماعا عاما ، بل يسود اليوم عـــالم العلـــوم الطبيعية نوع من الفوضى » ٠

وعقب عليه الأســـتاذ (جوستاف لوبون) بقوله :« من حسن الحظ لا شيء أكثر ملاءمة للترقى العلمى من هذه الفـــوضى ، فالوجود مفعم بمجهولات لانراها ، والحجـــاب الذى يحجبها عنا منسوج غالبا من الآراء الضالـــة أو الناقصة التى توجبها علينا تقاليد العلـــم الرسمى (تأمل) ، فلا يمكن عمل خطوة للامام الا بعد أن تتفكك عرى الآراء السابقة ٠

نقول : يظهر مما قدمناه أن تأثير ســـقوط صرح المادة كان بليغـــا الى أقصى مـــا يمكن تخيله ،فهل تتأدى العقيدة فى القوة التى تنحل اليها المادة الى العقيدة فى روحانيتها ، فيكون ثمرة هذا الهدم والبناء فى مصلحة الروح من كل وجه ؟

هذا ما يبدو صريحا من أقوال أقطاب العلم، فقد جاء فى دائرة معـــارف القـــرن العشرين الفرنسية تحت كلمة (مادة) بعد أن عرضت جميع المذاهب عليها ما يأتى :

« على هذا فجميع الفروض التى فرضت للآن تعجز عن حل تناقضاتها الذاتية ولا تنطبق على الحوادث ٠ فماذا نستنتج من هذه الحال غير أن مدركاتنا العلمية عـــن المـــادة ، وهى تتفاوت فى صـــلاحيتها كوســـائل للترتيب والتحليل ، لا تستطيع أن تزعم أنها الحقيقة المطلقة ٠ وهذه الفروض باعتبار أنها لا وظيفة لها الا تسهيل وتعميمصفات وعلاقات الظواهر المحسوسة ، لا يمكن أن تكون حتما الا رمزية وخداعة كهذه الظواهر نفسها » ٠

ثم ختمت الدائرة الفرنسية هذا الفصـــل بقولها :

«وعلى هـــذا فلو صرفنا النظر عن المذهب اللا أدرى الذى هو عبـــارة عـــن رفض أى محاولة لتفسير الحوادث ، فان المذهب الذى يرمى اليه علمـــاء العلل الأولية هو : أن المادة باعتبار أصلها تنحل ، كما فكر فى ذلك (لبنتز) الى وجود روحانى (تأمل) طبيعته كطبيعـــة الوجود الذى يتجلى لوجداننا ٠ والمسألة التى تبقى بعد ذلك غير محققة هى أن تعرف : هـــل الوجود مؤلف من ذرات روحية متميز بعضها عن بعض ، أو أنه كائن واحد عام لا يقبـــل الانقسام ومستمر على الدوام ، وأنه العلـــة والمعلول العام » ؟

نقول :ان أثر تدهور الصرح المادى كـــان بعيـــدا الى حـــد أن حلت الروح محلهـــا فى التعليلات العلمية الطبيعية كما ترى ، فهـــل

◄

بعد هذا اهابة بالعاطفة الدينية الى اليقظة والعمل فيما خلقت له ؟ .

الانسان يتألف من جسد وروح ، ولكل منهما مطالب ، فكما يألم الجسد ان قطع عنه المدد المادى ، كذلك تألم الروح ان قطع عنها المدد الروحانى . وحرمان الجسد من مقوماته يفضى الى تعطل وظائفه والى تحلله ، وحرمان الروح من مقوماتها يؤدى الى الحيلولة بين اشراقاتها وبين صاحبها ، وفى تلك الحيلولة كل ما يتخيل من اضطراب النفس ، وفساد القلب، وغلظ الشعور ، والسقوط الى الحيوانية الباحتة ، بل الى ما هو أسفل منها . فتجد المبتلى بهذا الحرمان من المدد الروحانى يستسيغ ارتكاب القبائح ، ومقارفة الدنايا ، والانغماس فى الخسائس ، والخوض فى المقاذر ، ظنا منه أن فى هذه الاباحة الجنونية سكنا لنفسه الجامحة ، ومتنسما لقلبه المحترق، ولكنه لا يزداد الا هلعا على هلع ، ولايزال يعالج هذه النيران المتسعرة فى باطنه حتى ينتهى أجله ، ويذهب الى حيث يذهب التائهون .

ماذا تتطلب أعصى للعقول على الدين بعد أن ألقى الالحاد سلاحه كما يرى على رءوس الأشهاد ؟ وماذا ننتظر أن ترى من أعلام الحق بعد أن صرح العلم بأن المادة تنتهى الى روح ، وأن الروح هى أصل الخلق ومنتهاه ؟

فهلم ننقذ أنفسنا من سيادة المادة علينا ، لا باحتقارها ولا بالهرب منها ، ولكن باخضاعها لسلطان الروح ، حتى لا تطغى علينا فتقودنا من شهواتنا الى حيث تفقدنا كرامة الانسانية، وشرف العمل على اقامة دولة المدنية الفاضلة فى الأرض .

عمل الانسان لاقامة دولة الروح هو فى الحقيقة خدمة لنفسه وللانسانية وللعلم وللمدنية « إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا » فان الله غنى عن العالمين . فان كلفنا الله بطاعته فانما يكلفنا بما يحيينا ويرقينا ويشرفنا ، ويتناسب وغرائزنا الفطرية « مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ».

محمد فريد وجدى

منوعات علمية

الاعلام الإسلامي

الشمس

طرائف ... ومواقف

اليهود بين الحق والقوة

الاعلام الاسلامى

الأسس والمبادىء

(٢)

عرضنا فى الحلقة الماضية تحليلا لواقع العمل الاعلامى فى بلاد المسلمين من حيث الدراسة فى الجامعات ومعاهد الاعلام ، ثم من حيث الممارسات فى ميدان العمل الاعلامى من خلال الوسائل الاعلامية المختلفة ، ثم حصلنا على نتيجة مفادها أن البلد المسلم لا بدله من اعلام اسلامى فالاعلام كما يرى « أوتوجروت » (١) هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير .. !!

*** بداية :**

وقبل أن نبدأ المسيرة فى هذه الصفحات ، أود أن أشير الى خطأ شاع بين الباحثين فى مجال الاعلام الاسلامى على وجه الخصوص ويتمثل هذا الخطأ فى الخلط بين بعض المفاهيم والمصطلحات .. لدرجة أنك قد لا تجد باحثين اثنين قد اتفقا على مفهوم واحد ، محدد ، متقن لحد من الحدود اللغوية أو أداة من أدوات البحث .. !!

وعلى سبيل المثال — لا الحصر — ثمت كلمات شائعة لدى الباحثين فى مجال الاعلام مثل : اتصال ، اعلام ، دعوة ، دعاية ، تبليغ .. الى هذه المصطلحات التى تجد لكل باحث ازاءها رؤية واستخداما مختلفا .. ونحن نرى أن الاستخدام المتسرع للالفاظ الفضفاضة التى تتسع وتضيق وفقا لمتغيرات معينة قد يخرج الباحث عن مقصده ويجعله يتوه بعيدا عن غايته .. !!

ولهذا فانك قد تجد كتابا كاملا يحمل عنوان « الاعلام الاسلامى » ، فاذا ما تناولته بعناية ودققت النظر فيه وجدته كتابا عن « الدعوة » لا « الاعلام » ، وقد تجد باحثا أو كاتبا من جامعة الازهر يريد أن يحدثك عن (الدعوة) .. وفنونها فى العصر الحديث فاذا به يحدثنا عن « الدعاية » .. ومرد ذلك عدم تحديد المصطلحات منذ البداية .. الى جانب ما ذكرنا آنفا .. !

لهذا — ينبغى — قبل أن نمضى فى هذه الدراسة — أن نحدد بعض الالفاظ والمصطلحات حتى لا يلتوى بنا القصد ، ونضل سواء السبيل .

(١) أحد الاعلام الالمان ويعتبر رائد المدرسة الالمانية فى الاعلام .

للاستاذ حسن على محمد العنيبسى

تعريفـــات :

١ ــ الاتصال : كلمة اتصـــال مترجمـــة من الكلمة الانجليزية Communication ، وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Communis ومعناها الشيء المشترك .

فاذا ما عدنا الى الاصول اللغوية العربيـــة للكلمة من واقع معاجمنا العربيـــة نجـــد ان : الكلمة من الفعل (وصل) ، (يصل) وقد زيـــد الفعل بالألف وتاء الافتعال فأصبح فعـــلا خماسيا (اتصل) وعلى هذا فـ « الاتصال » مصدر « اتصـــل » .

وفى المصباح المنير :

وصلت اليه (أصل) وصولا ، و (وصـــل) الخبر بلغ ، وصلت المرأة شعرها و (استوصلت) .. سألت أن يفعل بها ذلك ، (وصلت) الشىء بغيره وصلا (فاتصل) به (١) .

ــ وفى (معجم اللغات) :

كلمة Communication ، وتعنى الاتصال والمخابرة والابلاغ ونقل المعلومات وهى مـــن الفعل أوصل أى أبلغ (٢) .

ــ والاتصـــال ــ اصطلاحا ــ يعنى نقـــل المعلومات والآراء والاتجاهات من مصدر الى متلق للتأثير عليه من أجـــل هـــدف ما يـــراد تحقيقه (٣) .

ــ والاتصـــال عمليـــة ديناميكية مستمرة ومتغيره تحتوى على عناصر متعددة ، كما أنه عملية معقدة .. لا يمكن عزل عامل فيها عن آخر الا افتراضا للدراسة ، ولذا فان كثيرا من علماء الاعلام يميلون الى استخدام كلمة (اتصال) بدلا من كلمة (اعلام) لأنها اى (الاتصـــال) اكثر شمولا ودقة فى التعبير وكلمة « اتصال » تحتوى على « اعلام والدعوة والدعاية .. » الـــخ .

٣ ــ الاعـــلام :

ــ قد تلتقى كلمتا : « اعلام » و « اعلان » فى بعض مفرداتهما معنى ــ ، لكن يبقى ــ فى النهاية ــ فاصل دقيق بين المعنيين فى البعض الآخـــر من هذه المفـــردات ، ففى المصـــباح المنير (٤) :

يقال (علمته) و « علمت » به ، وأعلمتـــه الخبر ، وأعلمته به ، وتجد فى (علن) الامـــر (علونا) من باب قعد ــ أى ظهر وانتشر فهو

(١) « المصباح المنير » مادة وصل .

(٢) « معجم اللغات الوسيط » جمروان السابق طاولى ــ بيروت ، ص ١٢٩ .

(٣) Everte Rogers, Communicaion of innvation, Acrosscultural, Newyourk Free press. PP 20 - 23.

(٤) راجع مادتى : علم ، علن بالمصباح المنير للفيومى .

« عالن » و « علن » و « علين » ٠
وهكذا نلاحظ أن المادة الأخيرة تفيد الذيوع الذى قد لا تفيده بعض مفردات الأولى ٠

وفى المحيط (١) :

(علن) الامر ٠ أظهره وفى لسان العرب (٢) ــ علن الشىء « علونا » اذا شاع والاعلان « فى الاصل اظهار الشىء ، وفى حديث الهجرة لا تستعلن به ولسنا بمقرين له » ٠٠

ويقول الراغب الاصفهانى « الاعلام (بالميم) اختص بما كان باخبار سريع ، « والتعليم » اختص بما يكون بتكرير وتكثير ، وفيه أيضا : علن : العلانية ضد السر ، وأكثر ما يقال ذلك فى المعانى دون الأعيان (٣) ٠

والاعلام ــ اصطلاحا ــ هو ٠
تزويد الناس بالاخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التى تساعدهم على تكوين رأى صائب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات ٠

والدكتور ابراهيم امام فى هذا التعريف يرى ان الاعلام يعنى « الاخبار » بقصد تكوين « رأى » وليس لمجرد الاخبار السريع كما يذهب الى ذلك الراغب الاصفهانى ، وبطرس البستانى ٠

ونحن نميل الى التعريف اللغوى لابن منظور الذى يرى أن الاعلام يعنى « الاظهار » وليس مجرد عملية الخبارية وانما هو عملية اتصالية لكل أنشطة المجتمع وللحياة اليومية وتبادل المعرفة بين الناس والاعلام ، وان نجا « كفن من الزيف » فى بعض عملياته وبعض مراحل تاريخه فانه « كعلم »مقنن على أسس ، لم يسلم من الفكر الصليبى أو اليهودى (٤) ، ومن هنا كانت الجاجة الى جهود الباحثين فى مجال الاعلام الاسلامى ٠

ــ المدرسة الالمانية ومفهوم الاعلام :

يرى الباحث الاعلامى « أوتوجروت »ان الاعلام هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فىنفس الوقت (٥) ونحن ــ ازاء « اعلام اسلامى » ينبغى أن تكون لنا نظرة علمية فى أى تعريف نتناوله حتى ننتهى الى تعريف جامع مانع يتفق وحقيقة ما نتناوله ٠

٣ ــ الدعــوة :

مصدر دعا(٦) بالشىء ، يدعو ــ دعوا ، ودعوة ودعاء ودعوى ، فالدعوة مصدر أيضا لما يتطرق اليه الفعل فى نحو : دعاه الى الدين

(١) راجع المادة للفيروزابادى بالقاموس المحيط ٠
(٢) راجع المادة لابن منظور فى اللسان ٠
(٣) راجع مادتى علم وعلن بالمفردات فى غريب القرآن للاصفهانى ٠
(٤) راجع للدكتور عمارة نجيب : مصدر سابق ، ص ١٦ ٠
(٥) عبد اللطيف : الاعلام له تاريخه ومذاهبه ص ٢٣ ٠ (٦) راجع مادة (دعا) فى اللسان ، والمعجم الوسيط ٠

والى المذهب ، أى حثـه على اعتقـاده ، ومن معانى (الدعوة) النداء للمشـاركة فى شىء والتجمع على شىء و (دعا الرجـل) ناداه ، وتداعى القوم أى دعـا بعضهم بعضـا ، « والداعية » الذى يدعو الى دين أو فكرة من قوله تعالى : « وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » ومنه ايضا قوله تعالى : «يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ » ٠

الدعـوة الاسلامية :

والدعوة الاسلامية مصطلح يقصد به بيان الحق وابلاغه بهدف الى اشراك الناس فى خير الاسلام وهداه ، وقد يراد به الاسلام نفسه ٠٠ فدعوة الاسلام ، أو الدعوة الى الله ، هى دعوة الحق كما قال تعالى : ٠٠ « لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ » فالـدعوة منهج يقوم على بيان الحق والخير ، والهدى وكشـف وسـائل البـاطل وأساليبه ومنهج الزيغ بكل الطرق والوسائل والمناهج التى يجمعها قوله تعالى : « ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » (١) ٠

ــ وتعريف الدكتور عمارة هذا اقرب الى الاعلام منه الى الدعوة ، فهو يرى ــ ونحن معه ــ أن الدعوة أشمل من الاعلام،ولكـن بمفهومه الذى بين أيدينا للدعوة.يكون الاعلام أكثر شمولا ، وهو ما يتعارض مع ما هو متفق عليه منذ البداية ٠ فالاعلام من ادوات الدعوة ووسائلها من وجهة نظرنا ٠ وليس هو أشـمل منها ولكن أود أن أقـول ٠٠ اذا كان مفهـوم الدعوة هو تبصير النـاس بالحق ، وتوضيح جوانب العبادات ومحاربة الباطل ٠٠ وحسـب فان الاعلام فى هذه الحالة أشمل وأوسع لأنه يقوم بكل هذا الى جانب القيام بمهامه الأخرى مثل وظيفة الاخبار ، وظيفة التثقيف ، وظيفة الترفيه ٠٠ الخ ٠

وبهذا أيضا يصبح الفارق كبيرا بين الاعلام الدينى والاعلام الاسـلامى ، فالذى أراه أن الاعلام الدينى جزء من الاعلام الاسلامى وليس مرادفا له ٠٠ وقد يتلاقى الاعلام الدينى مـع مفهوم « الدعوة » فيتفق المصطلحان ٠٠ فان الاعلام الدينى يقتصر على تبصير الناس بالحق والحث على مكارم الاخلاق ، ويعنى بتوضيح الفرائض ويتوجه الى جمهور المسلمين عامتهم وخاصتهم ٠٠ وخصوصا من بلغ سن الرشـد أو الحلم ، اما الاعلام الاسلامى فانه يتوجه الى الجميع مسلمين وغير مسلمين صغارا وكبارا يتناول جميع الامـور الدينيـة والدنيوية ٠٠

والاعلام الاسلامى كما يهتم بتوضيح العقائد يهتم بنشر الاخبار وفقا لأسس ومبادىء سوف نوضحها ، وكما يهتم ببيان الحق للناس يهتم بالعلوم الكونية والتكنولوجيا العصرية ٠

وندع الحديث عن مفهوم الاعلام الاسلامى الى موضعه من هذه الدراسة ٠

حسن على العنيسى

---

(١) راجع د٠ عمارة نجيب « فقه الـدعوة والاعلام » دار الكتاب الاسلام ط أولى ص ١٦ ، ص ١٧ ٠

الشمس

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ » •
(١٩٠ آل عمران)
« وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » •
(٣٨ يس)

من منح الله العظيمة لعباده ذلك العقل البشرى الذى اختص الله به الانسان ، فميزه به على سائر المخلوقات وجعله أداة لرفع شأنه على ظهر البسيطة ، كما جعله عاملا للتكليف والحساب للانسان •

وقد أمر الله الانسان أن يستخدم عقله فى التفكر والتدبر فى خلق السموات والأرض ، وما بينهما وخير الناس من فكر ودبر ، وهؤلاء وصفهم الله عز وجل بأنهم من أولى الالباب وهو وصف تقدير وثناء لهم منه عظمت قدرته•

والتفكر والتدبر يجب أن يقترن بالعلم وليس فقط بالخيال أو الرؤية السطحية للأمور • وقد منحنا الله فى حياتنا نعمة عظمى نراها كل يوم ، فى الصباح تشرق علينا وفى نهاية اليوم تغرب بانتظام واقتدار لا يمكن تقديرهما مهما كان النظام دقيقا بل ان انتظامها فى ذلك قد سجل فى صورة توقيتات محددة مسبقا ، يعرفها البشر جميعا فى جميع أنحاء الأرض ، فهى ذلك النجم الجبار الذى يحقق هذه التوقيتات جميعها فى سكون وعظمة رهيبة تثير اعجاب أولى الألباب •

فلنتدبر سويا بعض الحقائق العلمية المبسطة عن هذا النجم الساطع فى سمائنا لعلنا نتلمس معا جزءا ضئيلا جدا من عظمة الخالق الذى خلق كل شىء بدقة وابداع ليس لهما مثيل •

مقدمة :

يقيم فى مركز المجموعة الشمسية أكبر وأهم عضو فيها نجم متوسط يعرف بالشمس •وتبلغ كتلة الشمس ٩٩٫٩ فى المائة من الكتلة الكلية للمجموعة الشمسية ، ولهذا فهى تسيطر بجاذبيتها على الارض والكواكب الأخرى وتحفظ كل كوكب يدور حولها فى مداره ولقرب الشمس منا أمكننا التوصل الى ملاحظات تفصيلية عنها تدلنا على العلم بشىء عن النجوم الأخرى البعيدة عنا والتى لا

للمهندس محمد إبراهيم حسين

نستطيع أن نرى منها سوى « نقط » مضيئة فى أكبر « التلسكوبات » •

وتأثير الشمس على الأرض ذو أهمية مباشرة بالنسبة لنا ، فهى ليست مصدرا للضوء والحرارة فحسب ، فان كل نوع من النشاط يجرى على الارض يمكن أن يعود سببه الى الطاقة التى تصل الينا بواسطة الاشعاع الشمسى •

فالطاقة المستمدة من مساقط المياه أو من الرياح ، وكذا الوقود الذى نوقده ، والغذاء الذى نتغذى به كل هذه يمكن ارجاع أصولها الى المصدر الكبير للطاقة ، ألا وهى الشمس •

سمات عامة للشمس :

الشمس كرة هائلة من الغاز يبلغ قطرها ٨٦٤ ألف ميل وتبلغ كتلتها ٣٣٣ الف مرة قدر كتلة الأرض ، وحجمها أكبر ١٫٣٠٠٫٠٠٠ مرة من حجم الأرض فكثافتها لذلك — وهى ١٫٤١ من كثافة الماء — أقل من كثافة الارض التى هى ٥٫٥ من كثافة الماء •

والجزء من الشمس الذى نراه فى السماء — أى الجزء المرئى من سطحها — يسمى « الكرة الضوئية » وهذا السطح غازى حقا وليس بصلب كسطح الأرض • فالكرة الضوئية مرئية لأنها المنطقة الخارجية من الشمس حيث الضغط عال بدرجة كافية ودرجة الحرارة مرتفعة ارتفاعا كافيا ولذا تشع ضوءا أبيض ، ولما كانت الكرة الضوئية غير منفذة للضوء ، فقد أخفت عن أنظارنا الجزء الداخلى من الشمس •

وتعلو الكرة الضوئية منطقتان من الغاز متميزتان تميزا واضحا أما المنطقة التى تعلو الكرة الضوئية مباشرة ، والتى تمتد الى ارتفاع يقدر بحوالى خمسة آلاف الى عشرة آلاف ميل فهى الكرة اللونية التى نستطيع رؤيتها أثناء الكسوف الكلى للشمس وذلك لبضع ثوان قبل أو بعد اختفاء قرص الشمس بتمامه • فأثناء هذه اللحظات التى تمر سريعا يخفى القمر الكرة الضوئية شديدة الاضاءة ويسمح بملاحظة الكرة اللونية المائلة الى الاحمرار •

وفى الواقع فان اللون الضارب الى الحمرة هو الاصل فى هذه التسمية : (الكرة الملونة) ومن الكرة اللونية تمتد الهالة الشمسية الى ملايين الأميال من الغاز الخفيف جدا وهناك « صحيحة » يستنبط منها أن كثيرا من الكواكب ومنها الأرض تدور فعلا داخل حدود هذه الهالة •

الطيف الشمسى :

اذا اختبر طيف ضوء الشمس بواسطة جهاز الحصول على الأطياف (الاسبكترومتر) رؤى

أنه طيف متصل مكون من مجموعة مرتبة من الألوان التى تبدأ بالأحمر وتنتهى بالبنفسجى وتتخلل ألوان الطيف آلاف من الخطوط الرأسية المظلمة موزعة فى الطيف من أوله الى آخره فى مواضع على نسق معين ٠

وقد فسر وجود هذه الخطوط بأنها أطوال موجية امتصت من ضوء الشمس بواسطة العناصر الكيميائية الغازية الموجودة فى جو الشمس ٠

وقد كشفت الدراسات الطيفية للجزء المرئى من الطيف الشمسى أن به ستة وعشرين ألف خيط من هذه الخطوط كل منها لابد أن ينتج عن عنصر أو مركب كيميائى معين ٠ وقد أمكن التعرف على هذه العناصر بمقارنة الطيف الشمسى بأطياف الاشعاع التى نحصل عليها فى المعمل للمواد المعروفة على سطح الأرض ، وقد اتضح أنه يوجد بالشمس ٦٧ عنصرا بدرجة وضوح كافية من العناصر الموجودة على الأرض فالخطان الموجودان فى منطقة الأصفر — مثلا — ينشآن عن عنصر الصوديوم ، والخطان شديدا الظلمة فى البنفسجى هما نتيجة لوجود الكالسيوم فى جو الشمس ٠

أما الشريطان المظلمان فى الاحمر القانى فهما نتيجة امتصاص لضوء الشمس بتأثير الاكسجين الموجود فى جو الأرض ٠

والطيف الشمسى غير قاصر على الجزء المرئى منه ، ولكن توجد منه أشعة غير مرئية أى لا تراها العين ، فهناك أطوال موجية يزيد طولها عن الأشعة الحمراء وتسمى الأشعة دون الحمراء أو ما قبلها ، كما توجد أطوال موجية يقصر طولها عن الأشعة البنفسجية وتسمى الأشعة فوق البنفسجية أو ما بعدها ٠ وتتميز الأشعة دون الحمراء بتأثيرها الحرارى ، فاذا سقطت على « ترمومتر » حساس رفعت درجة حرارته ٠ كما تتميز الأشعة فوق البنفسجية بتأثيرها على الألواح « الفوتوغرافية » وتأثيراتها الكيميائية ٠

ويلاحظ أن الغلاف الهوائى للارض ينفذ ضوء الشمس المرئى وقليلا من الأشعة دون الحمراء القريبة من الأحمر وقليلا من الأشعة فوق البنفسجية القريبة من البنفسجى ولكنه يمتص الأطوال الموجية الكبيرة من الأشعة دون الحمراء كما يمتص الأطوال الموجية القصيرة من الأشعة فوق البنفسجية ٠

الاشعاع الشمسى :

بالنسبة لمقدار ما تشعه الشمس من ضوء وحرارة فى الفضاء فقد قدر هذا المقدار من الطاقة من قياس تأثيرها الحرارى عند سطح الأرض مع التجاوز عما يمتصه جو الأرض من الطاقة ٠ ولكن اذا عمل حساب هذا الامتصاص لوجدنا أن الأرض يصلها سعران من الحرارة لكل سم^2 من سطحها فى الدقيقة الواحدة ٠ ولكن نظرا لكبر بعد الارض عن الشمس فما يصل السم^2 من سطح الارض

يمثل كسرا ضئيلا جدا من الطاقة الصادرة من الشمس .

ولا يجاد مقدار الطاقة الكلية علينا أن نحسب مساحة سطح كرة نصف قطرها يساوى نصف قطر مدار الأرض مقداره بـ « السنتيمترات » المربعة ، ويمكننا بعدئذ أن نضرب هذه المساحة في كمية ما يقع على « السنتيمتر المكعب » من طاقة .

هذه المساحة تقدر بـ ٢٫٩ مضروبا فى « عشرة سبعا وعشرين » مرة من السنتيمترات المربعة . لذا ، فالاشعاع الكلى الصادر من الشمس الذى يسقط على سطح هذه الكرة $= (٢ \times ٢٫٩ \times ١٠^{٢٧}) = (٥٫٨ \times ١٠^{٢٧})$ سعرا فى الدقيقة وهذا الرقم يمثل الطاقة الكلية الصادرة من الشمس . وهى تكافىء (٥×١٠^{٢٣}) قدره حصان بمقياس القدرة أو كمعدل بذل طاقة حوالى (٤×١٠^{٢٦}) وات .

وبعد ...

فان هذا قليل من كثير بل قليل جدا مما خلق الله سبحانه وتعالى ونظم ودبر وقدر كيف قدر ، واستطاع عقل الانسان الذى هو خلق من خلق الله أيضا أن يزيح الستار عن بعض هذه الاسرار ليكشف كم كان هذا العقل جاهلا من قبل وكم سيبقى جاهلا أمام قدرة الله وعلمه وخلقه .

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ » فنتبعه ونتبع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم شاكرين نعمائه مستديمين حفظه وآلائه .

محمد ابراهيم حسين

طرائف

على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقف أعرابى على قبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

قلت فقبلنا ، وأمرت فحفظنا ، وقلت عن ربك فسمعنا .. "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا "

وقد ظلمنا أنفسنا وجئناك فاستغفر لنا ، فما بقيت عين الا سالت .

نصيحة

لا تكن ممن اذا سال الحق ، واذا سئل سوف ، واذا حدث حلف ، واذا وعد أخلف .

ولا تنظر نظرة حسود ، ولا تعرض اعراض حاقد .

"فى تأديب الصغار"

قال بعض حكماء المسلمين :

من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ: من لم يجلس فى الصغر حيث يكره ، لم يجلس فى الكبر حيث يحب .

وقال حكيم : ما أشد فطام الكبير ، وأعسر رياضة الهرم .

وقال صالح بن عبد القدوس شعرا :

وأن من أدبته فى الصبا
كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا
بعد الذى أبصرت من يبسه
والشيخ لا يترك أخلاقه
حتى يوارى فى ثرى رمسه

وقال آخر :

اذا المرء أعيته المرءوة ناشئا
فمطلبها كهلا عليه شديد

وقال عمرو بن عتبة لمعلم ولده :

ليكن أول اصلاحك ولدى اصلاحك لنفسك ، فان عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت .

شر الخصال

روى القالى فى « أماليه » عن الأصمعى أنه قال :

تقول العرب : لاثناء مع الكبر ، ولا صديق لذى الحسد ، ولا شرف لسىء الأدب .

إعداد :

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

وكان يقال : شر خصال الملوك :
الجبن عن الأعداء ، والقسوة على الضعفاء ، والبخل عند الاعطاء .

"هى الدنيا"

سريعة الفناء ، قريبة الانقضاء ، تعد بالبقاء ثم تخلف فى الوفاء ، تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهى سائرة سيرا عنيفا ، ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها .

قال الشاعر :

لحا الله دنيا يصبح المرء آمنا
اذاها ويمسى فى الضريح موسدا
وما الحمق الا أن تفكر فى غد
وأنت رهين الموت لا تضمن الغدا

قالوا

* لا يترك الناس شيئا من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم ، الا فتح الله عليهم ماهو أضر منه .

* لاتكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل ، ويرجىء التوبة بطول الأمل .

* مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة .

* من أطاع هواه أعطى عدوه مناه .

* لا يستحق أحد حقيقة الايمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه .

* الزاهد من يقيم زهده بفعله والمتزهد الذى يقيم زهده بلسانه .

حقا

وكم لله من لطف خفى
يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى بعد عسر
وفرج كربة القلب الشجى
وكم أمر تساء به صباحا
وتأتيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الأحوال يوما
فثق بالواحد الصمد العلى

دعاء

اللهم بك توسلت ، ومنك سألت ، وفيك لا فى سواك رغبت، لا أسأل منك سواك ، ولا أطلب منك الا اياك .

اليهود

بين الحق والقوة

الحق سلطة أدبية تخول للانسان عمل شيء أو اقتناء شيء أو استعماله وهو ضد الباطل .

ومصدر حق (حقا) بمعنى وجب و « استحق » « الشيء » استوجبه و « أحقه » « أوجبه » والجمع « حقوق »

ومن المعنى الاشتقاقى « للحق » يتبين لنا ارتباطه « بالواجب » وملازمته له وهذا صحيح من ناحية أن كل حق ينتج واجبا وقد يتولد عن الحق عدة واجبات مثل (حق الملكية) الذى يوجب على صاحبه أن يحتفظ بحقه فلا يفرط أو يتهاون فيه ، وأن يستخدمه فيما يعود عليه وعلى الجماعة بالفائدة كما يوجب على الغير احترام هذا الحق وعدم الاعتداء عليه بالسرقة أو النهب أو الاغتصاب .

وتنقسم الحقوق من حيث التمتع بها الى :

١ ـ **حقوق طبيعية** : وهى حقوق منحت للانسان من بدء نشأته وهى عامة يتمتع بها كل الناس ـ كحق الحياة ـ وحق الحرية وحق التملك .

٢ ـ **حقوق قانونية** : وهى الحقوق التى تمنح للانسان بمقتضى قانون بلاده كحق « الشفعة » وهذا النوع من الحقوق يختلف عن سابقه فى أنه ليس حقا عاما وانما يتمتع به من له الحق فيه طبقا للقانون كالجار أو الشريك .

وفى أصل الحق ونشأته اختلفت الآراء فـ (روسو) يرى أن أساس الحقوق « العقد » أو « الاتفاق » .

فى حين يقول « هوبز » ان « الحكومة » هى الأساس ، ودليله على ذلك أن الفرد لا يتمتع بحريته وملكيته الا برضى وقبول منها .

وبينما يرى الاشتراكيون أن أساس الحقوق « الحاجة » ـ فالانسان فى نظرهم تقدر حقوقه بقدر احتياجاته .

كذلك نرى من يقول ان « القوة » هى أساس الحق ، وان الانسان يقدر حقه بقدر ما يأنس فى نفسه من قوة وهو لا يعترف بأى حقوق لغيره الا بقدر ما لهذا الغير من القوة .

واليهود على هذا الرأى الأخير ويبدو ذلك واضحا من قولهم عن الحق : انه فكرة مجردة

للأستاذ محمد عبد العزيز عبد اللطيف

قائمة على غير أساس وهى لا تدل على أكثر من « أعطنى ما أريد لكى أبرهن لك على أنى أقوى منك » (١) .

وهم يقولون ان قانون الطبيعة يقضى بأن : « الحق يكمن فى القوة » ودليلهم على ذلك ان الذى كبح الوحوش المفترسة التى نسميها الناس عن الافتراس وحكمهم حتى الآن هو خضوعهم فى الطور الأول من حياتهم للقوة الوحشية العمياء ثم خضوعهم بعد ذلك للقانون وما القانون فى حقيقته الا القوة ذاتها مقنعة فحسب (٢) .

ويدعون لاشاعة هذا المبدأ قائلين : ان خير النتائج ما ينتزع بالعنف والارهاب لا بالمناقشات الأكاديمية (٣) .

وقد ترك هذا المفهوم للحق أثره على فكر وسلوك زعمائهم فنجد « بن جوريون » يردد نفس المعنى قائلا : « ان الأغبياء وحدهم الذين يفتشون عن (المنطق) فى التاريخ (٤) .

ولذلك كان من رأيه أن « القوة » هى التى ستخلق الحقائق المادية فى فلسطين ، وهى التى ستقرر فى النهاية الطرف الرابح فى الصراع العربى الاسرائيلى .

ومن هذا المنطلق بدأ فى اعداد فرق مسلحة أطلق عليها اسم « الهاشومير » * لتساند مطالبهم فى فلسطين ، وجعل لها شعارا هو « بالدم والنار سقطت اليهودية ، وبالقوة والنار سوف تقوم ثانية » .

وكانت هذه الفرق نواة جيش الدفاع الاسرائيلى ـ « الهاجاناه » .

وقد ظل مبدأ القوة « مسيطرا عليه حتى بعد قيام دولة اليهود فى فلسطين ، ففى سنة ١٩٤٨ طلب منه « الكونت برنادوت » وسيط الأمم المتحدة أن يترك العرب يعودون الى ديارهم فكان رده عليه .. سنفعل كل شىء حتى لا يعودوا أبدا » (٥) .

وفى مقدمته لكتاب « تاريخ الهاجاناه » الذى أصدرته المنظمة الصهيونية سنة ١٩٥٤ يقول ـ موجها كلامه للعرب الذين تمسكوا بأرضهم فى فلسطين المحتلة .

« اننا سنقول للعرب : ابتعدوا ، فاذا لم يوافقوا وقاوموا فسنبعدهم بالقوة » .

فالقوة والارهاب والعنف هى محور التفكير اليهودى وهى مفتاح فهم العقل اليهودى .

* أى الحراس .

المراجع :

(١) الخطر اليهودى ـ محمد خليفة التونسى ص ١٥١

(٢) الخطر اليهودى ـ محمد خليفة التونسى ص ١٤٧

(٣) الخطر اليهودى ـ محمد خليفة التونسى ص ١٤٦

(٤) ممنوع من التداول ـ محمود عوض ص ٣٧ .

(٥) الصهيونية والعبقرية ـ احمد يوسف القرعى ص ٢٢

ولقد بلغ ايمانهم بالعنف الى درجة اعتباره العامل الرئيسى فى قوة الدولة ، لأنه فى نظرهم يعزز « الفزع » الذى يولد الطاعة • لذلك كان شعارهم (كل وسائل العنف والخديعة) وهم يرون أن التمسك بهذا الشعار لا تمليه المصلحة فحسب وانما يتطلبه الواجب والنصر ، وحسبهم أن يعرف عنهم أنهم صارمون فى كبح كل تمرد •

ومن مظاهر تطبيق هذا الشعار فى الأراضى المحتلة نجد العنف متمثلا فى توقيع العقوبات الجماعية على سكان أى منطقة يقع فيها حادث مقاومة ضدهم باعتبارهم محتلين ، وتشمل هذه العقوبات نسف الدور والمنازل والاعتقال بالجملة وفرض حظر التجول لعدة أيام والقيام بعمليات انتقامية بواسطة منظماتهم المتطرفة وتنفيذ أحكام الاعدام ضد كل من يرتابون فى تعاونه مع أعضاء حركة المقاومة العربية •

أما الخديعة فتبدو فى محاولة اضفاء الشكل القانونى على اجراءات شاذة تستهدف نزع ملكية السكان العرب لأرضهم بواسطة مجموعة من القوانين الجائرة مثل (قانون الامن العام) لسنة ١٩٤٩ « وهو يخول لوزير الدفاع صلاحية الاعلان عن أى مساحة من الأراضى على أنها منطقة « أمن » وبذلك يمنع السكن فيها والدخول اليها وبصدور الاعلان يحق للحاكم العسكرى فى المنطقة طرد سكانها اذا لم يغادروها بعد أربعة عشر يوما من اعلانهم بأمر الخروج منها • وغالبا ما تختار مناطق الأمن فى المساحات التى توجد بها كثافة سكانية عربية • ووفق « قانون امتلاك الأراضى لسنة ١٩٥٢ » يجوز مصادرة الأراضى اللازمة للمشروعات العسكرية ولانشاء المستعمرات وقد استطاعت اسرائيل بفضل هذه الاجراءات الاستيلاء على ٨٠٪ من الأرض العربية واذا أردنا أن نتبين وجه الحق فى هذه الاجراءات نجدها كلها مشوبة بالبطلان لمخالفتها أحكام القوانين والاتفاقيات الدولية التى تهدف الى حماية الفرد وصيانة حقوقه فى حالة الحرب بشكل خاص ، والتى التزمت جميع الدول الموقعة عليها وتعهدت بتأمين احترامها ومن هذه الدول اسرائيل • من هذه الاتفاقيات (اتفاقية جينيف الرابعة) (مادة ٣٣، ٣٤) اتفاقية جنيف •

كما يؤكد الاعلان العالمى لحقوق الانسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٠/١٢/١٩٤٨ على حق الفرد فى العودة الى وطنه متى شاء (مادة ١٣) وعلى عدم جواز حرمان أى شخص من ملكه تعسفا (مادة ١٧) •

ويحاول اليهود خداع العالم بتبرير هذه التصرفات باحتياجات أمنهم وهو قول مرفوض لسببين •

الأول : أن من أول واجبات الدولة احترام تعهداتها •

الثانى : أن الأمن لا يتحقق الا بالعدل ، والعدل لا يكون الا باعطاء كل ذى حق حقه ولا يمكن أن يقوم على الظلم واهدار الحقوق المشروعة للغير •

محمد عبد العزيز عبد اللطيف

اللغة والأدب والنقد

الوقف على الاسم المنقوص

عمل اسم الفاعل

معارك الرافعي القلمية

من قضايا النقد الأدبي

الوقف

على الاسم المنقوص

٣

يوقف عليه باثبات يائه وجوبا فى ثلاث مسائل :

احداها : أن يكون محذوف الفاء : كما اذا سميت رجلا بمضارع وقى ، أو ولى فانك تقول عند الوقف : هذا يقى ، وهذا يلى ، لأن أصلهما يوقى ، ويولى فحذفت فاؤهما ، فلو حذفت لامهما لكان اجحافا •

الثانية : أن يكون محذوف العين نحو « مر » اسم فاعل من أرى وأصله : مرئى فنقلت حركة الهمزة الى الساكن الصحيح قبلها ثم حذفت فلم يجز حذف الياء لأن حذفها مع العين اجحاف •

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٩) :

وقالا فى « مر » اذا وقفا : هذا مرى كرهوا أن يخلوا بالحرف فيجمعوا عليه ذهاب الهمزة والياء — ا هـ •

الثالثة : أن يكون منصوبا ، فان كان منونا نحو — رأيت قاضيا — فالواجب قلب تنوينه للوقف ألفا الا على لغة ربيعة •

وان لم يكن منونا بقيت الياء ساكنة مطلقا — سواء كان منع التنوين لوجود أل نحو « **كلا اذا بلغت التراقى** » ورأيت القاضى ، أو لكون الاسم ممنوعا من الصرف نحو « **سيروا فيها ليالى** » ورأيت جوارى •

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٨) وأما فى حال النصب فليس الا البيان (١) لأنها ثابتة فى الوصل فيما ليست فيه ألف ولام ، ومع هذا **أنه لما تحركت الياء أشبهت غير المعتل (٢)** ، وذلك قولك : رأيت القاضى ، وقال الله عز وجل (**كلا اذا بلغت التراقى**) وتقول رأيت جوارى لأنها ثابتة فى الوصل متحركة ا هـ •

فان كان الاسم المنقوص غير ما تقدم — بأن لم يحذف منه شىء وكان مرفوعا أو مجرورا جاز فيه الوجهان :حذف الياء واثباتها — مع رجحان أحدهما •

واليك التفصيل :

فان كان منونا ، وكان تنوينه للصرف — كان الحذف أرجح — نحو : « **ولكل قوم هاد** »

(١) اى بيان الياء واثباتها فى الوقف •

(٢) فى قبول الحركة وغير المعتل لا يحذف شىء من حروفه عند الوقف •

للدكتور عبد العظيم الشناوى

« **وما لهم من دونه من وال** » ـ ويجوز الوقف برد الباء واسكانها ـ كقراءة ابن كثير ـ ولكل قوم هادى ، وما لهم دونه من والى •

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٨) وذلك قولك هذا قاض ، وهذا غاز ، وهذا عم يريد العمى « أذهبوها فى الوقف كما ذهبت فى الوصل ، ولم يريدوا أن تظهر فى الوقف كما يظهر ما يثبت فى الوصل (١) فهذا الكلام الجيد الكثير •

وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول هذا رامى ، وغازى وعمى • أظهروا فى الوقف حيث صارت فى موضع غير تنوين لأنهم لم يضطروا ههنا الى مثال ما اضطروا اليه فى الوصل من الاستثقال (٢) اهـ •

وان كان تنوينه لغير الصرف جاز الوجهان فى الوقف ولكن الاثبات أرجح ـ كما فى الهمع ـ نحو : هذه جوارى ، ومررت بجوارى ويجوز الحذف مرجوحا •

وان كان المنقوص غير منون ويشمل ثلاثة أنواع :

الأول : المقرون بأل ، وهذا يترجح فيه الاثبات كقراءة ابن كثير « **الكبير المتعالى** » « يوم التنادى » ومن المرجوح قراءة نافع وأبى عمرو فى بنى اسرائيل والكهف (**ومن يهد الله فهو المهتد**) ومن ذلك قراءة غير ابن كثير بالحذف فى قوله تعالى : «الكبير المتعال» و « يوم التناد » (٣) قالوا : وهذا يدل على أن أكثر القراء قد يتفقون على المرجوح • بل جوز بعضهم اتفاق السبعة عليه اهـ صبان •

وانما كان اثبات الياء فى الوقف أرجح لأنها ثابتة فى الوصل وأما من يحذفون هذه الياء فى الوقف فكأنهم شبهوا ما فيه ألف ولام بما ليس فيه ثم أدخلوا الألف واللام بعد الحذف •

قال سيبويه : (جـ ٢ ص ٢٨٨) فاذا لم يكن فى موضع تنوين فان البيان أجود فى الوقف وذلك قولك : هذا القاضى ، وهذا العمى لأنها ثابتة فى الوصل ـ ومن العرب من يحذف هذا فى الوقف شبهوه بما ليس فيه ألف ولام اهـ

الثانى : ما سقط تنويه للنداء : نحو ياقاض فالخليل رجح الاثبات فيقول ياقاضى، ويونس رجح الحذف فيقول : ياقاض، ووافقه سيبويه•

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٩) : وسألت

٥

---

(١) أى أنها لو ظهرت فى الوقف لاشبهت ما تظهر ياؤه فى الوصل • نحو القاضى ، وهم لم يريدوا ذلك •

(٢) أى انهم اضطروا للحذف فى الوصل لالتقاء الساكنين ، الياء والتنوين ، ولكن فى الوقف ذهب التنوين فلا اضطرار للحذف •

(٣) جعل سيبويه سبب الحذف فى الآيتين مراعاة الفواصل قال ومما يختار فيه أن لا يحذف يحذف فى الفواصل •• نحو « يوم التناد » ، و « الكبير المتعال •• اهـ وكثيرا ما يخرجون على الاصل مراعاة للفواصل ـ وعلى هذا تكون القراءة غير مرجوحة •

الخليل عن القاضي في النداء فقال : أختار يا قاضي لأنه ليس بمنون كما أختار هذا القاضي ــ وأما يونس فقال : ياقاض ، وقول يونس أقوى . لأنه لما كان من كلامهم أن يحذفوا في غير النداء كانوا في النداء أجدر ، لأن النداء موضع حذف يحذفون التنوين ، ويقولون : ياحار ، وياصاح ، وياغلام أقبل ا هـ .

ورجح غير سيبويه مذهب الخليل ، لأن الحذف مخالف للأصل ، ولم يكثر فيترجح بالكثرة .

الثالث : ما حذف تنوينه للاضافة : نحو : قاضي المحكمة ، ومفتي الجمهورية ومعلوم أن هذا عند الوقف عليه يرد اليه التنوين الذى كان محذوفا للاضافة ــ فيأخذ حكم المنون غير المنصوب ، وهو رجحان الحذف .

الوقف على الفعل المعتل الآخر

يوقف عليه اذا كان مرفوعا أو منصوبا باثبات لامه من غير حذف وليس كالاسم . وانما كان كذلك من قبل أن الفعل لا يلحقه تنوين في الوصل يوجب الحذف كما وجد في الاسم فلذلك جرى حاله في الوقف كحاله في الوصل فتقول في الرفع : هو يغزو ، ويرمي ، ويخشى باثبات الياء ساكنة ــ كما كانت في الوصل ــ وتقول في النصب : لن يغزو ، ولن يرمي ، ولن يخشى ، فاذا وقفت أسكنت ما كان متحركا ــ أي يوقف عليه بالسكون مطلقا .

قال سيبويه : وأما الأفعال فلا يحذف منها شيء لأنها لاتذهب في الوصل في حال وذلك : لا أقضي ، وهو يقضي . ويغزو ، ويرمي ا هـ .

والخلاصة : أن الفعل اذا لم يحذف منه حرف العلة في الوصل لا يحذف منه في الوقف بل يبقى ساكنا وان كان في الوصل متحركا ــ ويشمل ذلك الماضي نحو لقي ، ورمي والمضارع المرفوع والمنصوب كما مثلنا .

فاذا جاء المضارع المرفوع على لغة هذيل الذين يحذفون حرف العلة اكتفاء بالحركة الدالة عليه ــ وقفنا عليه بالسكون مع حذف حرف العلة ــ وقد ورد من ذلك في القرآن الكريم ــ يوم يأت ... ذلك ما كنا نبغ . والليل اذا يسر .

قال النسفي ــ رحمه الله ــ في يوم يأت : « وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل ــ ونظيره ،ما كنا نبغ . ا هـ جـ ٢ ص ٢٠٥ وفي مختار الصحاح ــ « وقرىء يوم يأت بحذف الياء كما قالوا لا أدر ، وهي لغة هذيل » .

وقال النسفي ــ رحمه الله ــ : وياء يسر تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة ، وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة » فظاهر أن الحذف فيما ذكرنا في الوقف لوجوده في الوصل ولكن سيبويه ــ وتبعه كثير ــ نص على أن الحذف في نبغ ، ويسر ، للفاصلة ومعنى هذا أنه لم يحدث حذف في الدرج ــ وهذا منه غريب أو سهو .

قال سيبويه (جـ ٢ص ٢٨٩) وجميع ما لا

يحذف فى الكلام (١) ، وما يختار فيه أن لا يحذف ، يحذف فى الفواصل والقوافى فالفواصل قول الله عز وجل والليل اذا يسر ، وما كنا نبغ ... ثم قال واثبات الياءات والواوات (٢) أى المحذوفة للفاصلة — أقيس الكلامين — وهذا جائز عربى ، كثير ا هـ فتدبر

فأما الوقف على المضارع المجزوم ، وفعل الأمر فسيأتى حكمه عند الكلام على هاء السكت .

الوقف على المنتهى بياء المتكلم

ياء المتكلم يجوز فيها الفتح والاسكان ان كان ما قبلها مكسورا — ويتعين فتحها ان كان قبلها ساكن — بأن يكون ما قبلها مقصورا أو منقوصا أو مثنى أو جمع مذكر سالما — فاذا كانت الياء مفتوحة فلك فى الوقف عليها وجهان :

الوجه الاول : اسكانها ولا تحذف لأنها قد قويت بالحركة فى حال الوصل ولم تحذف فى الوقف وجرت مجرى يا القاضى فى حال النصب .

والوجه الثانى : أن تبقيها مفتوحة وتلحق بها هاء السكت لبيان الحركة — قال ابن يعيش : ومنه قراءة الجماعة (**ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه**) اهـ .

قال سيبويه : وأما ياء هذا قاضى (٣) ، وهذان غلاماى (٤) فلا تحذف لأنها لا تشبه ياء هذا القاضى لأن ما قبلها ساكن . ولأنها متحركة كياء القاضى فى النصب فهى لا تشبه ياء هذا القاضى (٤) ولا تحذف فى النداء ، لأن ما قبلها ساكن فلا يكون للاضافة علم (٥) لأنك لا تكسر الساكن ، ومن قال : هذا غلامى فاعلم وانى ذاهب — بفتح الياء فيهما — لم يحذف فى الوقف ، لأنها كياء القاضى فى النصب ولكنهم (٦) مما يلحقون الهاء فى الوقف فيبينون الحركة ا هـ جـ ٢ ص ٢٩٠ .

واذا كانت الياء ساكنة : فلك فيها وجهان : اثباتها ساكنة ، وحذفها واسكان ما قبلها .

قال ابن يعيش : ومن أسكن الياء فيهما (أى فى الفعل والاسم) فالوقف على وجهين : أيضا ، أجودهما اثبات الياء ، لأنه لاتنوين معهما يوجب حذفها فهى ثابتة فى الوصل ولا تحذف فى الوقف وجرت مجرى ياء القاضى ، لأنها ياء ساكنة بعد كسرة فى اسم فثبتت كسرتها ، والوجه الآخر أن تحذفها فيهما فتقول : ضربن ، وهذا غلام وأنت تريد : غلامى وضربنى ، لأن « نى » اسم وقد قرأ أبو عمرو : (ربى أكرمن ... وربى أهانن) على الوقف وكان هذا رأى من يقول هذا القاض فيحذف الياء — ثم قال : وحذف الياء فى الفعل حسن لأنها لا تكون الا وقبلها نون

البقية ص ٦٠٤

(١) يعنى بالكلام : ما لا وقف فيه .

(٢) أهمل الالف لانها لا تحذف ، لا فى الفواصل ولا فى القوافى ، الا للضرورة كما قال :

★ رهط مرجوم ورهط ابن المعل ★

(٣) تمثيل لما قبلها ساكن فالفتح فيها واجب .

(٤) فالياء فيه ساكنة وياء المتكلم مفتوحة .

(٥) اى علامة تدل على الياء المحذوفة وهى الكسرة لان ما قبل الياء ساكن لا يكسر .

(٦) هذا هو الوجه الثانى فى الوقف على الياء المفتوحة .

عمل اسم الفاعل

اسم الفاعل ، هو ـ كما نعلم جميعا ـ الوصف المصوغ من مصدر الفعل تام التصرف للدلالة على من وقع منه الحدث أوقام بـه ، فلا يصاغ من الفعل الجامد ، نحو عسى وليس ونعم وبئس ، وخلا وعدا وحاشى وجميعها ملازمة لصيغة الماضي ، ونحو هب وتعلم وهما ملازمان للامر بالاجماع ، ولا من ناقص التصرف نحو (يدع ويذر) ٠

اذ ليس لهما ماض ، ونحـو ، زال وبرح وفتىء وانفك من أفعال الاستمرار ، وكاد وكرب وأوشك من أفعال المقاربة فليس لها فعل أمر ٠ واسم الفاعل بهذا الوصف يعمل ٠ مكبرا غير موصوف عمل فعله تعديا ولزوما فان وصف قبل العمل أو بعده أو صغر فلا يعمل خلافا للكسائي في الحالتين ، ذلك أن التصغير والوصف مختصان بالاسم فيبعدان الوصف عن مشابهة الفعل الذى هو المسوغ المطلوب لعمل اسم الفاعل ، ولا حجة له فيما سمع من قولهم : أظنني مرتحلا غدا ، قويطعا ميلا ، وسويرا فرسخا بنصب ميل وفرسخ لأنهما ظرفا مكان يكفي لعمل النصب فيهما ونحوهما ما فيه معنى الفعل في الجملة بدليل عمل اسم الفاعل بمعنى المضي والمصوغ من اللازم النصب في مثل هذا النوع من الظروف، نحو أنا قادم بالأمس صباحا ، وصديقي مسافر منذ شهر ليلا ومحمد جالس فوق المنصة ، وعمار واقف أمام الديوان ٠

ويرى بعض متأخرى النحاة أن الوصف اذا جاء مصغرا ابتداء ولم يسمع له مكبر جاز أن يعمل الرفع كما في قول الشاعر :

فما كل راح في الزجاج مدامة (١)
ترقرق في الأيدى كميت عصيرها

حيث عمل كميت الرفع في عصيرها ، على رواية جر كميت على أنه صفة لراح ، وأما على روايته بالرفع فالوصف (كميت) خبر مقدم وعصيرها مبتدأ مؤخر وحينئذ فلا شاهد فيه ولا حجة له أيضا على اعمال الموصوف في قول الشاعر :

اذا فاقد خطباء فرخين رجعت
ذكرت سليمى (٢) بالخليط المزايل

---

(١) راح ومدامة : من اسماء الخمر ، ترقرق الشىء : تلالا ولمـع ، كميت : الكميت الشىء ذو اللون الاحمر المائل الى السواد ٠

(٢) خطباء : بينة الخطب ، اى الكرب والشدة والامر العظيم ، فرخين : المراد ولدين ، رجعت : من الترجيع وهو أن يقول المرء عند المصيبة : انا لله وانا اليه راجعون

للاستاذ أحمد حسن عبد العواض هلالى

لأن فرخين ليس منصوبا بالوصف (فاقد) لأنه غير جار على فعله فى التأنيث فلا يفيد التجدد والحدوث كالفعل بل هو بمعنى النسب الذى يفيد الثبوت والدوام ، فلا يعمل ، وانما هو منصوب بفعل مضمر يفسره فاقد ، أى فاقد خطباء فقدت فرخين (ولدين) • وذهب بعضهم الى جواز عمل اسم الفاعل الموصوف قبل أن يوصف لأن ضعف المشابهة للفعل انما يحصل بعد مجىء الصفة لاقبله ، فاذا أعملنا اسم الفاعل قبل وصفه ثم جاءت الصفة بعد العمل جاز ذلك نحو هذا ضارب المجرم عاقل ، لأن الصفة حينئذ لم تؤثر على قوة المشابهة للفعل فاذا استعمل اسم الفاعل غير مصغر ولا موصوف فانه يعمل عمل مضارعه تعديا ولزوما ، فاذا صيغ من لازم فانه يعمل الرفع فقط ، فيرفع الظاهر والضمير بارزا أو مستترا ، بقيد

واحد فقط هو اعتمادة على ما يقربه من شبه الفعل من استفهام ملفوظ به أو مقدر ، أو نفى صريح أو مقدر ، أو موصوف أو مسند اليه ،

أقائم أخوك ما قادم غلامك ، هذا فارس منتصر ، كان صالح مسافرا أمس ، ونحو

أموافق أنت على هذا الرأى ، ماواثق هو مما يقول ، ومثل أقائم أنتما ، ما حاضران هما • وان صيغ من متعد لواحد أو أكثر فانه يعمل عمل فعله المصوغ منه فينصب المفعول به واحدا أو أكثر كفعله تماما ، لكن بتوفر شرطين اثنين هما •

أولا : أن يكون بمعنى الحال أو الاستقبال لا بمعنى الماضى ، لأنه انما عمل هذا العمل حملا على المضارع لما بينهما من الشبه اللفظى والمعنوى وأجاز الكسائى وجماعة اعماله بمعنى الماضى تمسكا بقوله تعالى (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ، وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) فقد عمل اسم الفاعل (باسط) النصب فى ذراعيه وهو بمعنى الماضى لأن الآية تحكى قصة أصحاب الكهف وقد حدثت من أزمان ماضية بعيدة ، ولا حجة للكسائى وموافقيه فى ذلك لأنه على حكاية الحال الماضية ، أى أن يقدر الماضى واقعا فى الحال أى فى زمن سرد القصة لا فى زمن حدوثها والمعنى يبسط ذراعيه ، فصح تقدير وقوع المضارع موقعه ، بدليل أن الواو فى ، وكلبهم باسط ذراعيه حالية ، وقوله فى الآية نفسها : (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) بالمضارع الدال على الحال ، ولم يقل : (وقلبناهم) بالماضى • فان فقد هذا الشرط فيه فانه لا يعمل النصب ، وانما يعمل الرفع فقط فى الظاهر والمضمر كما سلف الشرط الثانى : أن يعتمد على ما يقربه من شبه الفعل المضارع الذى هو بمعناه ، ويكون ذلك بعدة أمور •

١ ـ الاعتماد على استفهام ظاهر ، نحو أجابر عكرمة عثرات الكرام ، وقول الشاعر :

أمنجز أنتم وعدا وثقت به
أم اقتفيتم (١) جميعا نهج عرقوب

أو مقدر نحو ، ممسك خالد غلامه أم مطلقه ، أى ، أممسك خالد غلامه بدليل ذكر (أم) ومنه قول الشاعر :

ليت شعرى ، مقيم العذر قومى
لى أم هم فى الحب لى عاذلونا

٢ ـ الاعتماد على النفى صريحا نحو ، ماراكب الوزير طائرة ، ما مانع المحسن الفقراء معونته ، ما جاعل الكذب الباطل حقا ، ومن ذلك قول الشاعر :

ماراع الخلان ذمة ناكث
من وفى يجد الخليل خليلا (٢)

أو النفى تأويلا ، نحو ، انما ناصر عمر المظلوم، انما فاهم محمد الدرس ، انما قارىء سعيد الرسالة ، لانه بمعنى ما ناصر عمر الا المظلوم، وما فاهم محمد الا الدرس ، وماقارىء سعيد الا الرسالة ، لأن هذا أسلوب قصر والقصر بانما والا فى أداء الغرض المنشود من أسلوب القصر .

٣ ـ الاعتماد على موصوف ملفوظ به نحو مررت بغلام قائد بعيرا ، ومنه صاحب الحال نحو ، أقبل منصور راكبا دراجة ، اذ الحال وصف لصاحبها فى المعنى ، أو موصوف مقدر ، كقولك ضاربا عمرا ، جوابا لمن سألك : كيف رأيت خالدا ، وكقول الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهبها (٣)
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وقوله تعالى : **(وما ذرألكم فى الأرض مختلفا ألوانه)** أى صنف مختلف ألوانه ، ومنه أيضا قولهم :ياطالعا جبلا ،فطالعا نصبجبلا اعتمادا على الوصف المقدر ، أى يارجلا طالعا جبلا ، وليس اعتمادا على حرف النداء كما ذكر ابن مالك فى النظم حيث قال : ان كان عن مضيه بمعزل ، وولى استفهاما أو حرف ندا ، أو نفيا .. الخ لأن شرط المعتمد عليه أن يقرب الوصف من مشابهة الفعل ، وحرف النداء لا يوفر ذلك الشرط لكونه مختصا بالاسم لأنه من علاماته فكيف يكون مقربا له من الفعل ؟

وينبغى أن ننبه هنا الى أن قول صاحب المغنى : ان اشتراط الجمهور اعتماد الوصف على ما يقر به من شبه الفعل من استفهام أو نفى أو موصوف أو مسند اليه ، وكونه بمعنى الحال أو الاستقبال هو للعمل فى المنصوب فقط لا لمطق العمل انما يعنى به اشتراطهم مجموع الأمرين معا (الاعتماد وكونه للحال أو الاستقبال) ، ذلك أن الجمهور لا يشترطون

---

(١) أمنجز : أنجز الوعد عجله . اقتفيتم : اتبعتم . نهج عرقوب : مسلكه وطريقته وعرقوب أعرابى اشتهر باخلاف الوعد فضرب المثل به فى خلف المواعيد .

(٢) ناكث : نكث الرجل العهد نقضه فهو ناكث ، الخليل : الصديق ، والجمع أخلاء .

(٣) كناطح صخرة : أى كوعل ناطح والوعل: الابل وهو كبش الجبل ، فلم يضرها : من ضار يضير ، أى فلم يلحق بها ضررا .

لعمل الوصف في المرفوع كونه بمعنى الحال أو الاستقبال سواء أكان مرفوع الوصف خبرا له أو فاعلا أو نائبه سد مسد الخبر ،فيجيزون اعماله فيه بمعنى الماضى نحو ، سعيد حاضر غلامه أمس فقد رفع الوصف (حاضر) غلامه وهو بمعنى الماضى ، ونحو أمقيم الطالبان بالمدينة الجامعية من سنة خلت ؟ وانما يشترطون لعمل الوصف في المرفوع ظاهرا أو مضمرا الاعتماد فقط على ما يقربه من شبه الفعل كما يتضح ذلك من المثالين السالفين وذهب الأخفش الى أن الوصف يعمل وان لم يعتمد على شىء مما ذكر ، واستدل على رأيه هذا بقول الشاعر :

خبير بنو لهب فلاتك ملغيا

مقالة لهبى اذا الطير مرت

فقد عمل الوصف (خبير) الرفع فى بنو لهب دون أن يعتمد على شىء مما ذكر يقربه منشبه الفعل كما يشترط الجمهور ، والأخفش لا يرى ضرورة لهذا الشرط مستدلا بالبيت سالف الذكر ، وتأوله الجمهور على أنه محمول على التقديم والتأخير ، أى تقديم الخبر وتأخير المبتدأ ، والتقدير بنو لهب خبير ، ولذا فلا شاهد فيه ، وصح الاخبار بالمفرد (خبير) عن الجمع (بنو لهب) على حد قوله تعالى : **(والملائكة بعد ذلك ظهير)** وقول الشاعر : هن صديق للذى لم يشب . لأن ظهيرا وصديقا وكذا خبيرا على وزن المصدر كصهيل وزئير ونعيب ونعيق، والمصدر يخبر به عن المفرد والمثنى والجمع فكذا ما يوازنه . وذلك يقتضى أن وزن (فعيل) يستوى فيه المذكر والمؤنث سواء أكان بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول ويتناقض هذا مع ماقرره جمهور النحاة من أن الذى يستوى فيه المذكر والمؤنث هو (فعيل بمعنى مفعول فقط ، لا بمعنى فاعل ويمكن التوفيق بين الرأيين ، بأن شرط استواء المذكر والمؤنث أن يكون فعيل بمعنى مفعول انما هو شرط **لاعتبار هذا الاستواء قياسيا ،فلا ينافى مجيئه سماعيا فى فعيل بمعنى فاعل لكونه على وزن المصدر ، فتكونموازنته للمصدر نكتة السماع، لا علامة الجواز المطلق المطرد .**

أما اذا جاء اسم الفاعل صلة لأل الموصولة فانه يعمل عمل فعله المصوغ منه مطلقا سواء كان بمعنى الماضى أو كان للحال والاستقبال ، معتمدا على ما يقربه من الفعل أو غير معتمد لوقوعه فى موقع يجب تأويله فيه بالفعل نحو جاء الحافظ عهده أمس أو اليوم أو غدا . وأعظم الواهب الجزيل أمس أو الآن أو بعد غد ، ومنه قول امرىء القيس :

القاتلين الملك الحلاحلا

خير معد حسبا ونائلا

.. فقد نصب القاتلين الملك الحلاحل مع كونه بمعنى الماضى فانه يريد بالملك الحلاحل أباه الذى قتل منذ أمد بعيد ، لأن الوصف فى البيت صلة لأل الموصولة وحافظ وواهب وقاتلين قائم مقام حفظ ووهب وقتل الماضى، أو يحفظ ويهب المضارع، والفعل يعمل فى الأزمنة الثلاثة فكذا ما حل محله وليس نصب ما بعد الوصف المقترن بأل خاصا بكون الوصف للماضى خلافا للمازنى ومن وافقه

عمل اسم الفاعل

مستندين الى ظاهر تقدير سيبويه اسم الفاعل المقرون بأل بأنه : الذى فعل كذا ـ بصيغة الماضى ، وقد رد عليهم بأن سكوت سيبويه عن عمل الوصف بمعنى المضارع مع أل ، لثبوت العمل له بمعنى المضارع مجردا منها .

فبالأولى أن يعمل مع اقترانه بها وليس منصوبا على التشبيه بالمفعول به خلافا للأخفش ، وتكون أل حينئذ حرف تعريف ، لا اسم موصول ، وليس منصوبا بفعل مضمر ،

والوصف (اسم الفاعل) غير عامل خلافا للجماعة منهم ، فالمذاهب فى اسم الفاعل المقرون بأل أربعة ، أشهرها أنه يعمل مطلقا دون شرط ، لوقوعه فى موقع يجب تأويله فيه بالفعل كما سلف ذكره .

أحمد حسن عبد العواض هلالى

الوقف على الاسم المنقوص "بقية"

فالنون تدل عليها فلا لبس فيها ولذلك كثر فى القرآن ، **فأما اذا قلت : هذا غلام ، ووقفت** عليه بالسكون فلا يعلم أنه يراد به الاضافة الى الياء أم الافراد (١) ، ولذلك منع بعض الأصحاب جوازه لأجل اللبس وقد أجازه سيبويه لأن الوصل يبينه اهـ جـ ٩ ص ٨٥ ، ٨٦ .

واليك ما قاله سيبويه فى الياء الساكنة قال (جـ ٢ ص ٢٨٩) : وذلك قولك هذا غلام ـ وأنت تريد :هذا غلامى ، وقد أسقان ، وأسقن وأنت تريد : أسقانى وأسقنى ، لأن « نى » اسم ، وقد قرأ أبو عمرو فيقول « **ربى أكرمن وربى أهانن** » على الوقف (بحذف الياء واسكان النون) وقال النابغة :

اذا حاولت فى أسد فجورا فانى لست منك ولست من (٢) يريد «منى» ـ (فحذف الياء وأبقى النونين : نون من ونون الوقاية) .

وقال النابغة :

وهم وردوا الجفار على تميم
وهم أصحاب يوم عكاظ ان

يريد « انى » سمعنا ذلك ممن يرويه عن العرب الموثوق بهم ـ وترك الحذف أقيس (هذا هو الوجه الثانى) .

وقال الأعشى :

فهل يمنعنى ارتياد البلا
د من حذر الموت أن يأتين
ومن شانىء كاسف وجهه
اذا ما انتسبت له أنكرن اهـ

عبد العظيم على الشناوى

(١) أى عدم الاضافة .

(٢) قال الاعلم : الشاهد فيه حذف الياء من الضمير فى قوله « من » وهو جائز فى الكلام (أى فى السعة) كما قرىء فى الوقف : أكرمن ، وأهانن . وانما جاز حذفها تشبيها بياء القاضى والغازى ونحوهما مما تحذف ياؤه فى الوقف .

يقول هذا لعيينة بن حصن الفزارى ، وكان قد دعاه وقومه الى مقاطعة بنى أسد ونقض حلفهم فأبى عليه وتوعده بهم ، وأراد بالفجور : نقض الحلف

النقد الأدبى

عند أبى عبيد البكرى

للأستاذ حسن قرون

منذ عبر العربى عمـا يعتلج فى فؤاده ، أو تقع عليه عيناه كان يجد صدى لما يقول أو ينشد فيسمع استحسانا أو استهجانا وهو مانسميه « النقد الادبى » .

وقد بدأ ساذجا غفلا من التعليل والتحليل، فلما تقدمت ثقافة المتلقن وعرفوا الكتابة ودونوا التـاريخ ، واجتمع لهم تراث من الخبر والأثر والشعر والنثر ظهر النقـاد الذين يقـرءون ويدرسون ويتأملـون ، ويضعـون أسس النقـد بجـانب التذوق للنص والأثر .

وعرفنا فى العصر العباسى الأول كتبا تنقد وتوازن ، وتقسم الشعراء الى طبقات وفقـا للموازين التى وضعت لنقد الصناعة الأدبية ، مثل « طبقات الشعراء » لابن سلام الجمحى، وتلا ذلك ظهور الكتب التى تعنى بنقد الشعر أو نقد النثر مثل قدامة بن جعفر ، فانه ينظر الى الشعر لا الى الشاعر ، وهناك « الموازنة بين أبى تمام والبحترى » لأبى بشر الآمدى « والوساطة بين المتنبى وخصـومه » وهلم جـرا .

وقد ألف الدكتور محمد مندور ــ رحمـه الله ــ كتابا تناول فيه كل ما تناوله نقاد العرب القدماء وسماه « النقد المنهجى عند العرب »

وأنا هنا أشـير ولا أخـوض فى تلك اللجج والأمواج فذلك يقتضى سفنا وملاحين مهرة ، وقد أوفق فى يوم ما لأزاول هذا الهدف النبيل بيد أنى أشير كما قلت لأصل الى أمر محدود أحصر نفسى فيه لعلى أوفق للكشف عن معانيه ومراميه ، ذلك الأمر هو النقد الذى قام بـه أبو عبيد البكرى فى كتابه « التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه » وقبل أن أتناول التنبيـه بالدرس والفحص والتمثيل وأبدى الرأى فى معطياته أقدم لك موجزا عن حيـاة أبى على وحياة أبى عبيد أو بمعنى يقال ، ترجمة للمنقود

٥

وترجمة للنقاد لتكون على بينه من أمرهما ، هذين العلمين الكبيرين والانتفاع بما خلفا من أدب غزير وحلم جليل .

وأبدأ بأبى على ، لأنه الذى وقع عليه النقد كما هو ظاهر من العنوان « التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه » .

فأبو على هو : « اسماعيل بن القاسم القالى البغدادى » وقد جاءت نسبته الى كل من « قالى قلا » والى « بغداد » لمناسبة وقعتله، وذلك أنه كان من أهل « منازجرد » من ديار بكر ، وقد ولد بها سنة ٢٨٨ هـ وكان جده سلمان من موالى عبد الملك بن مروان ، ونسب الى قالى قلا ، لأنه ـ كما قال : « لما انحدرنا الى بغداد كنا فى رفقة كان فيها أهل قالىقلا ـ وهى قرية من قرى منازجرد ، وكانوا يكرمون لمكانهم من الثغر ، فلما دخلت بغداد نسبت اليهم لكونى معهم ، وثبت ذلك على . » وقد دخل بغداد سنة ٣٠٣ هـ ، ونسب الى بغداد لطول مقامه فيها ، فقد عاش فيها خمسا وعشرين سنة ، ثم انتقل الى الأندلس فقيل له « القالى البغدادى » وكانت بغداد حين دخلها مدينة النور ، فأمها مشتاقا اليها ، مشغوفا بما يسمع عنها ، منافسا لمن يقصدها للعلم والمعرفة ، وفى بغداد عرف مجالس العام والأدب واللغة وفنون المعرفة ، وروى كثيرا من الاخبار والشعر ولا سيما ما رواه عن تلاميذ البرد مثل الأخفش الصغير ، والزجاج ، وابن درستويه ، وروى عن غيرهم أيضا ، فلما امتلأت حوصلته ، وصار وعاء علم وذخيرة أدب أراد لما وعى ميدانا يشرق فيه ، وراعيا يحسن اقتناءه فيمم ابن عم خاتم النبيين محمد ﷺ « عبد الرحمن الناصر » خليفة الأندلس وولى عهده «الحكم» بدعوة من الناصر الذى كتب اليه « ورغبه فى الوفود عليه لنشر علمه » فكان أن ترك بغداد وارتحل ، ولم يفته أن يصف حال البلاد الاسلامية من الثقافة فى طريقه الى الأندلس، فقال : « لما وصلت القيروان وأنا أعبر من أمر به من أهل الأمصار فأجدهم درجات فى العبارة وقلة الفهم بحسب تفاوتهم منها بالقرب والبعد ، كأن منازلهم من الطريق هى منازلهم من العلم محاصة ومقايسة ، فقلت : ان نقص أهل الأندلس عن مقادير من رأيت فى أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عمن قبلهم ، فسأحتاج الى ترجمان فى هذه الأوطان » نزل الأندلس سنة ٣٣٠ هـ ، فماذا رأى ؟ رآها غاصة بالعلماء والادباء والمفكرين .

ووجد خليفة وولى عهد قد أقبلت الدنيا على بلادهما فى أيديهما الثروة والقوة ، ومن همهما حب الكتب وجمعها من كل سبيل من الشرق والغرب ، ومكتبة « الحكم بن عبد الرحمن » لا نظير لها فى مكتبات العالم فى ذلك الزمان ، وذخائرها اليوم زينة مكتبات الغرب . قد استقبل أبو على القالى البغدادى عند قدومه استقبالا لم نعرف له نظيرا فى القديم والحديث لأديب أو عالم ، أمر الناصر ابن الحكم أن ينتدب عاملا من كبار رجالات الدولة ليتلقى أبا على فى وفد من وجوه الرعية ينتخبهم من بياض أهل الكورة ليكونوا فى استقباله بمجرد نزوله الى أرض الأندلس ، ففعل ، وسارمعه نحو قرطبة فى موكب نبيل ،

فكانوا يتذاكرون الأدب فى طريقهم ويتناشدون الأشعار ، وكان دخوله له اليها لثلاث بقين من شعبان سنة ٣٣٠ هـ .

وفى قرطبة وجد كل ما يتمناه الرجل الشريف ، وكانت وفاته بها سنة ست وخمسين وثلثمائة من الهجرة ، وقد ألف أبو على فى قرطبة كتبا كثيرة الفوائد منها كتاب « الأمالى » الذى نحن بصدد تقديمه ونقده كما يرى أبو عبيد البكرى ، يقول عنه أبو على : « أمللت هذا الكتاب من حفظى فى الأخمسة بقرطبة وفى المسجد الجامع بالزهـراء المباركة » وقد طبع هذا الكتاب فى جزأين وضم اليهما « ذيل الأمالى والنوادر » وجاء معهـا « التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه » لأبى عبيد ، ومن ثم تسنى لى أن أقرأ وأن أعـرض النقد . وفى مؤلفات أبى على فوائد وفرائد ، وفى نقده فنون وآداب لاغنى عنها لشاد ودارس .

وقد كان أبو على — على جلالة قدره . رجلا ظريفا ، ومألفا لطيفا ، فقد ذكر الحميـدى فى كتابه « تاريخ الأندلس » أخبـرنا القاضى أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطى قال : كتبت الى أبى على البغدادى القالى أستعير منه كتابا من الغريب وقلت :

بحـق ريـم (١) مهفهـف
وصـدغه المتعطـف
ابعـث الـى بجـزء
من « الغريب المصنف »

— « والغريب المصنف » كتاب فى غـريب الحديث لأبى عمرو اسحاق بن مرار الشيبانى النحوى اللغوى الكوفى نزيل بغداد المتوفى سنة ٢٠٦ هـ . قال : فقضى حاجتى وأجابنى بقوله :

وحـق در تالـف
بفيـك أى تالـف
لابعثن بمـا اقـد
حوى « الغريب المصنف »
ولـو بعثـت بنفسى
اليـك ماكنـت أسرف

واليك ترجمة عن الناقد أبى عبيد البكرى :

هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى الوزير من « مرسية » من بلاد الأندلس وينسب اليها المرسى أبو العبـاس نزيـل الاسكندرية والقطب الشهير ، كان مولد البكرى بها سنة ٤٣٢ هـ — ١٠٤٠ م وهو من أعيان أهل الأندلس سكن قرطبة بعد أن غلبه ابن عباد على سلطانه ببلده ، ولكنه بقى معظما مكرما تتهاداه ملوك الأندلس وتتهاوى مصنفاته وقد وصـفه الفتح بن خاقان صاحب « قـلائد العقيان » بأوصاف جمة تقرظ علمه وأدبه وذكاءه وتفوقه ولكنه أشار الى هنات فيه ، والهنـات التى يقصدها خصال السوء فقد كان مدمن خمـر « لايصحو من خمارها .. ولايريح الا عـلى تعاطيها ، ولايستريح الا الى متعاطيها »ويقول وقد رأيته وأنا غلام ما أقمر هلالى فى مجلس ابن منظور وهو فى هيئة كسيت بالبهاء والنور ، وقد بلغ سن ابن محلم فجرى ذكر ابـن مقلةوخطه .. فقال :

(١) الرئم = الظبى الابيض والمراد فتاة جميلة بيضاء .

خط ابن مقلة من أرعاه مقلتــه
ودت جوارحه لو أصبحت مقلا
فالدر يصفر لاستحسانه حسدا
والورد يحمر من ابداعه خجــلا

فهو عالم وأديب وشاعر وعلى قدر كبـير من معرفة التفسير والحديث ، وهذا عجيب وغريب من رجل لايفيق من خمار الخمر . وله مصنفات كثيرة لعل أهمها فى نظرى مايتصل بشرح مؤلفات القالى ونقدها ، فقد شرح الأمالى فى كتاب يسمى « اللآلى » و « الوافى » فى شرح النـوادر — وكانت وفاته سنة ٤٨٧ هـ — ١٠٩٤ م فعمـره قصير بالنسبة لعمر أبى على القالى .

ونجىء الى كتابه القيم وهو التنبيـه عـلى أوهام أبى على فى أماليه » والذين قاموا بطبع الأمالى وملحقاته حين تعرضوا لطبع التنبيـه رقموا صفحاته ونقداته حسب ترقيم كتـاب الأمالى بجزئيـه حتى لا يتعب القـارىء فى المراجعة والمقابلة بين النص المنقـود ونقـد البكرى لـه .

وأنا لا أستطيع أن أذكر كل نقد وإنما أختار بعضه لنرى معا مذهب النقد فى ذلك الزمـان فى القرن الخامس الهجرى ومـدى الدقـة فى معطياته ، وأبو على حـافظ وراويه وحريص على الدقة ، ولكنه لم يرجع الى كتـاب حين ألقى تلك الأمالى من حفظه فى الأخمسة التى كان يلقى فيها تلك الآداب من أخبار وأشـعار ولغويات .. وسأبدأ بآية قرآنية ، تعـرض لشرحها أبو على ،ونقده فيه أبو عبيد البكرى . وقد جاء النقد هكذا :

وفى (ص ١٠٣ س ١٥) قـال أبـو على — رحمه الله — قال الله تبارك وتعالى: « **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها** » . أى كثرنا . وقال أبو عبيدة — رحمه الله — يقال خير المال سكة مأبورة ، ومهرة مأمورة ، فالمأمورة الكثيرة الولد من آمرها الله أى كثرها . وكان ينبغى أن يقـال :مؤمرة ، ولكنـه أتبـع مأبورة . والسكة : السطر من النخل .

وقال الأصمعى : — رحمه الله — السكة : الحديدة التى تفلح بها الأرضون ، والمأبورة : المصلحة : أبرت النخل آبره أبرا اذا لقحتـه وأصلحته ، قال : وقد قرىء « **أمرنا مترفيها** » على مثال فعلنا . انتهى كلام أبى على . قـال البـكرى :

هذا كلام من يعتقد أن القراءة المشـهورة آمرنا بالمد ،وأن أمـرنا بالقصر شـاذة ، ولا اختلاف بين الأئمة السبعة — رضوان اللـه عليهم — فى قراءتها أمرنا بالقصر على مثـال فعلنا ، وهذه هى القراءة المقدمة والأصـل . ويقال فى غيرها من الشواذ ، وقد قرىء كذا . ومعنى قراءة الجمـاعة : أمرناهم بالطـاعة ففسقوا . كما تقول : أمرتك فعصيتنى ، وقـد عـلم أن الله سـبحانه لا يأمر الا بالعـدل والاحسان ، كما قال تعالى فى محكم كتـابه ، وقيل : معنى أمرنا وآمرنا واحد ، أى كثرنا . وقد أورد ذلك أبو على اثر هذا عن ابن كيسان — رحمهما اللـه — وهـو مروى عن رجـلة اللغويين ، والشاهد لصحته قول النبى ﷺ الذى نسبه أبو على الى أبى عبيدة .. ولا ينبغى لعالم أن يجهل مثل هذا ، وذلك قوله : « **خير المـال سـكة مأبورة ، ومهرة مأمورة** »

وحمل حديث النبى ـ عليه أفضل السلام ـ على هذه اللغة الفصيحة أولى من حمله على أنه أراد أن يتبعه ما قبله ، لأنه لم يكن من المتكلفين ـ ﷺ ـ وقراءة الجماعة هى المروية عن الصحابة والتابعين رضى الله عنهم ـ الا الحسن ـ رضى الله عنه ـ فانه قرأ « آمرنا » بالمد ، وكذلك قرأ الأعرج الا أبا العالية الرياحى ـ رحمهما الله ـ فانه قرأ « أمرنا » بالتشديد ، ورويت عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وهذه القراءة تحتمل وجهين .

أحدهما : أن يكون المعنى : جعلنا لهم امرة وسلطانا .

والآخر: أن يكون المعنى كثرنا ، فيكون بمعنى آمرنا وبمعنى أمرنا على احد الوجهين.

قال الكسائى ـ رحمه الله ـ ويحتمل أن يكون أمرنا بالتخفيف غير ممدود بمعنى أمرنا بالتشديد من الامارة . فكانت هذه القراءة الاختيار لما اجتمعت فيها المعانى الثلاثة . ومترفوها فساقها وقيل جبابرتها .

وواضح من نقد أبى عبيد للقالى سعة اطلاعه ودقة روايته وعمق فهمه ، وتتبعه لجميع المفاهيم وانتهى نهاية مقنعة وهى أن القراءة المقدمة والأصل هى « أمرنا » بالقصر لأنها حوت المعانى الأخرى التى جاءت عن طريق المد « آمرنا » والتشديد « أمرنا » وهذا النقد يبين عن تثبته فى فهم القرآن وحسن روايته لحديث النبى ﷺ .

واليك نموذجا آخر « ص » تعنى الصفحة « وس » يعنى السطر : قال البكرى :

وفى ص ٢٤١ س ١٢ و١٣ وذكر أبو على ـ رحمه الله ـ خبر الزيادى عن المطلب بن المطلب بن أبى وداعة قال : رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر رضى الله عنه على باب بنى شيبة فمر رجل وهو ينشد :

يأيها الرجل المحول رحله
هلا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم
منعوك من عدم ومن اقتار

قال : فالتفت رسول الله ﷺ الى أبى بكر فقال : « أهكذا قال الشاعر ؟ »

قال أبو بكر رضى الله عنه لا ، والذى بعثك بالحق ، لكنه قال :

يأيها الرجل المحول رحله
هلا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت برحلهم
منعوك من عدم ومن اقراف (١)
الخالطين فقيرهم بغنيهم
حتى يعود فقيرهم كالكافى
ويكللون جفانهم بسديفهم
حتى تغيب الشمس فى الرجاف (٢)

قال : فتبسم ـ ﷺ ـ وقال : « هكذا سمعت الرواة ينشدونه » انتهى كلام أبى على القالى والنقد هو : قول أبى على ـ رحمه الله ـ عن المطلب بن أبى وداعة ، هذا مما ◄

---

(١) أى منعوك من أن نزوج بناتك من لئيم فيكون الابن مفزقا للؤم أبيه .

(٢) الرجاف = البحر .

التبس على أبي على حفظه ،وانما أراد كثير ابن كثير بن المطلب بن أبى وداعة ، ولا يعلم للمطلب بن أبى وداعة ابن يسمى المطلب ، انما يروى عنه ابنه كثير وابن ابنه كثير بن كثير ابن المطلب عن أبيه عن جده . واسم أبى وداعة (الحارث بن ضبيره بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى) وأسر أبو وداعة يوم بدر ، فقال رسول الله ﷺ « ان له بمكة ابنا كيسا (١) » فافتدى المطلب أباه بأربعة آلاف درهم ، وهو أول من فودى من أسرى بدر ، وأسلم هو وابنه يوم الفتح .

ويستطرد أبو عبيد البكرى فيقول : روى غير واحد عن كثير بن كثير بن المطلب عن أبيه عن جده قال :رأيت رسول الله — ﷺ — يصلى حذو الركن الأسود والرجال والنساء يمرون بين يديه ما بينه وبينهم سترة . وقوله فى الشعر : الخالطين فقيرهم بغنيهم ، هذا هو المدح الصحيح والمذهب المستحسن كما قالت خرنق بنت هفان من بنى قيس بن ثعلبة :

لا يبعدن قومى الذين هم
سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك
والطيبون معاقد الأزر
والخالطين نحيتهم بنضارهم
وذوى الغنى منهم بذى الفقر

وعيب على زهير قوله :

على مكثريهم رزق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

فأثبت فيهم مقلين ، وفى بعض نسخ الأمالى بيت زائد فى هذا الشعر الفائى وهو :

منهم على والنبى محمد
القائلين (٢) : هلم للأضياف

وهذا بيت محدث : ذكر أبو نصر أن جده صالحا أبا غالب ألحقه به .

وروى أبو عمر المطرز قال : أخبرنى أبو جعفر بن أنس الكرباسى عن رجال قال : كان رسول الله — ﷺ — يمشى ذات يوم فى طريق من طرقات مكة فسمع جارية تنشد :

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصه لعبد الدار

فأقبل على أبى بكر — رضى الله عنه — فقال : « أهكذا قال الشاعر ؟ » فقال : فداك أبى وأمى وانما قال :

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصة لعبد مناف

فقال النبى ﷺ : «نعم وليس ميل الرجل الى أهله بعصبية »

والعرب تقول للرجل : هو بيضة البلد يمدحونه بذلك ، وتقول للآخر : هو بيضة البلد يذمونه بذلك والممدوح يراد به البيضة التى يحضنها الظليم ويصونها ويوقيها ، لأن فيها فرخة . والمذموم يراد به البيضة المنبوذة بالعراء المذرة التى لا حافظ لها ولا يدرى لها أب ، وهى تريكة الظليم (٣) .

---

(١) كيسا عاقلا .

(٢) نصب على المدح وفى رواية « القائلان ».

(٣) الظليم الذكر من النعام .

قال الرمانى : اذا كانت النسبة الى مثل المدينة ومكة والبصرة فبيضة البلد مدح ، واذا نسب الى البلاد التى أهلها أهل ضعة فبيضة البلد ذم .

وقال حسان بن ثابت - رضى الله عنه - فى المدح :

أمسى الجلاليب قد عزوا وقد كثروا
وابن الفريعة (١) أمسى بيضة البلد

أى واحد البلد ، وكان المنافقون يسمون المهاجرين - رضى الله عنهم - الجلاليب ، فلما قال حسان - رضى الله عنه - هذا الشعر اعترضه صفوان بن المعطل فضربه بالسيف ، فأعلموا النبى - ﷺ - فقال لحسان : « أحسن فى الذى أصابك » فقال : هى لك ، فأعطاه النبى ﷺ عوضا : بيرحاء - وهى قصر بنى جديلة اليوم ، وسيرين ، فهى أم عبد الرحمن بن حسان رضى الله عنهما .

لم يكتف أبو عبيدة ببيان الصواب فى اسم الراوى ، وهو أنه كثير بن كثير لا أنه المطلب ، وانما بين شأن الولد والوالد والجد ونسبهم فى شجرة النسب حتى بلغ بهم « كعب بن لؤى » وهو مجتمع النسب مع النبى ﷺ وتحدث عن أبى وداعة وأسره يوم بدر ثم فدائه من ابنه الكيس المطلب بن أبى وداعة وتناول الشعر وتحدث عن قائله وبين المحدث منه وزاد ما اتصل به من شعر يتصل بقريش وعبد الدار وعبد مناف ، وشرح بيضة البلد مدحا وذما ، فهو فى نقده يقدم الثقافة بريئة من الخلل ويتسع فيها ليقنع ويمتع فى أسلوب يتسم بالخلق الطيب والرأى الناضج وجمال الأداء والشعر الفائى الذى دار حوله النقد للشاعر (مطرود بن كعب الخزاعى » يبكى عبد المطلب بن هاشم وبنى عبد مناف .

والنموذجان اللذان قدمتهما لك من نقد الجزء الأول واليك نموذجا لنقد الجزء الثانى:

قال البكرى :

وفى ص ٢٥٩س ١٦ وأنشد أبو على - رحمه الله - للقطامى«٢»

فسلمت والتسليم ليس يضرها
ولكنه حتم على كل جانب (٣)

هكذا أنشده وانما هو «ليس يسرها »

لكراهتها الضيف ، وبخلها بالضيافة ، وأى مضرة فى التسليم أو من يعتقد ذلك فيه حتى يكون الشاعر ينكره وينفيه ؟ وهل هو الا بركة ونفع ؟ لكنها تكرهه من الضيف لمئونته ، قال القطامى يذكر امرأة ضافها - نزل ضيفا عليها - وهى أبيات ذكرت منها المتصل بالشاهد .

تعممت فى ظل وريح تلفنى
وفى طر مساء غير ذات كواكب
الى حيزبون توقد النار بعدما
تلفعت الظلماء من كل جانب
فسلمت والتسليم ليس يسرها
ولكنه حتم على كل جانب

(١) الفريعة = أمه .

(٢) القطامى = اسمه عمير بن شييم والقطامى لقب غلب عليه وهو شاعر اسلامى قليل الشعر جيده وهو تغلبى نصرانى يعتز بالبادية ويكره الحضارة على مبادىء السلب والنهب .

(٣) الجانب : الغريب .

فردت سلاما كارها ثم أعرضت
كما انحازت الأفعى مخافة ضارب
الطرمساء والطلمساء جميعا : الظلمة
والحيزبون : العجوز القليلة الخير

وهذا النقد يعطينا تذوقا صادقا عند أبى عبيد ، وما من شك فى أن البخيل حين يرى ضيفا يغتم فانه لفرط بخله يكره سلام القادم عليه ، لا أن السلام يضره . أما الكريم فيهش للضيف ويحادثه ويقدم له أكرم ما عنده — والعرب فيهم الكريم والبخيل .

وأبيات القطامى هذه صورة كاشفة لحياة البادية ، فالرجل فى ليلة مظلمة باردة وهو يتلفع ليقى نفسه ريحها الشديدة وقد جاب الصحراء يطلب دفئا ومأوى ودلف الى تلك العجوز فسلم فلم يجد لسلامه قبولا مع أنه حتم على كل آت الى المقيم وانظر اليها كيف تقبضت وخافت من هذا الطارق ، لقد أحسن وصفها فى قوله :

فردت سلاما كارها ثم أعرضت
كما انحازت الأفعى مخافة ضارب

وعناية ابى على بهذا الشعر تدل على موهبة ادبية وحسن اختيار ، ولكن ذاكرته تخونه كثيرا فلا يتنبه للخطأ ، وأبو عبيد البكرى ذواقة للشعر بجانب حفظه الجيد وتدقيقه فى الرواية .

وفى كتاب التنبيه كثير من المؤاخذات ساقها الناقد أبو عبيد البكرى معلقا عليها تعليقات **مفيدة لاغنى للأديب عنها ولا للمؤرخ ، وانه ليأخذك العجب من سلكه فى النقد فهو يورد النص ويبين الخطأ ثم ينكر الصواب ، ويستطرد بالشاهد والمثل والخبر فيحيط بكل ما يقتضيه المقام .**

وقد اخترت الامالى والتنبيه لأعطى صورة عن الأدب والأدباء والكتب والنقد فى الأندلس وكأنها ذكريات يجد فيها العربى والمسلم متعة ممزوجة بالألم على بلاد كانت للاسلام واللغة العربية موئلا وملاذا .

السيد حسن قرون

معارك الرافعى القلمية

وموقف

"أحمد لطفى السيد" منها

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

استوقفنا بمقال الدكتور فتحى عبد القادر فريد عن أدب الرافعى بعدد مجلة الأزهر الغراء الصادر فى ربيع الآخر الماضى ، ادراجه اسم « أحمد لطفى السيد » ضمن قائمة من خاض الرافعى معهم معاركه الادبية المشهورة ٠٠ والذى نعلمه أن لطفى السيد لم يؤثر عنه أنه كان طرفا فى خصومة ما مع الرافعى ، فكريا أو أدبيا ٠٠ بل ان لطفى السيد كتب فى (الجريدة) ، التى كان يحررها ، مقالا ضافيا عن الجزء الاول من كتاب (تاريخ آداب العرب) للرافعى ، أثنى فيه على مؤلفه أجل ثناء ، اذ قال فيه : « قرأنا هذا الجزء ، فأما نحوه فعليه طابع الباكورة فى بابه ، يدل على أن المؤلف قد ملك موضوعه ملكا تاما ، وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا ، وليس من السهل أن تجتمع له الاغراض التى بسطها فى هذا الجزء ، الا بعد درس طويل ، وتعب ممل » ٠

« وأما أسلوب الرافعى فى كتابته ، فانه سليم من الشوائب الاعجمية التى تقع لنا فى كتاباتنا ، نحن العرب المتأخرين ، فكأنى وأنا أقرؤه ، أقرأ من قلم المبرد فى استعماله المساواة ، والباس المعانى ألفاظا سابغة مفصلة عليها » ٠

فهل للاستاذ الدكتور فتحى عبد القادر أن يدلنا مشكورا ، بعد ذلك ، على مصدره الذى استقى منه معلومته عن معركة ما ، نشبت مابين الرافعى ولطفى السيد ؟ ودواعى هذه المعركة ومسبباتها ٠٠؟

أما أبرز معارك الرافعى التى يتعين الاشارة اليها بشىء من التفصيل ، بعد أن أهال عليها الزمن تراب النسيان ، بل ان الكثيرين من أدبائنا ومتأدبينا اليوم لايكادون يعلمون عنها شيئا ٠٠ وبخاصة ما كان بينه وبين كل من الأديبين الراحلين : الدكتور طه حسين والاستاذ عباس محمود العقاد على التوالى ٠

وبدأت المعركة الاولى ، حينما أصدر الرافعى كتابه (تاريخ آداب العرب ، وانتقده طه حسين الذى كان لايزال طالب علم فى ذلك الحين ، فى عام ١٩١٢ ، بمقال نشره بالجريدة ، مبديا أنه لم يفهم من هذا الكتاب حرفا واحدا ٠٠ وأسرها الرافعى فى نفسه وأن كان طه حسين قد عاد

٥

بعد ذلك عام ١٩٢٦ ، فقال عن ذات الكتاب أن « الرافعي قد فطن فى كتابه لما يمكن أن يكون من تأثير القصص وانتحال الشعر واضافته الى القدماء ، كما فطن لاشياء أخرى قيمة » .

وبدأت المعركة فى الاحتدام ، حينما أصدر الرافعي كتابه (رسائل الاحزان) واستقبله طه حسين بنقد شديد ، انتهى فيه الى قوله :

« ان كل جملة من هذا الكتاب تبعث فى نفسى شعورا قويا مؤلما بأن الكاتب يلدها ولادة ، وهو يقاسى من هذه الولادة ، ماتقاسى الام من آلام الوضع ! » .

ورد عليه الرافعي بجريدة السياسية ساخرا بقوله :

« لقد كتبت رسائل الاحزان فى ستة وعشرين يوما ، فاكتب أنت مثلها فى ستة وعشرين شهرا ، وأنت فارغ لهذا العمل ، وأنا مشغول بأعمال كثيرة ، لاتدع لى من النشاط ولا من الوقت الا قليلا ، هأنذا أتحداك أن تأتى بمثلها أو بفصل من مثلها ، وان لم يكن الامر عندك فى هذا الأسلوب الشاق عليك الا ولادة وآلاما من آلام الوضع كما تقول ، فعلى نفقات القابلة والطبيبة متى ولدت بسلامة الله (١) » .

واشتدت المعركة وزادت عنفا ، حينما أصدر الدكتور طه حسين كتابه : (الشعر الجاهلى) وأحدث ضجته المعروفة ، وانبرى الرافعي يندد بما جاء بهذا الكتاب ، ويفنده فصلا فصلا ، حتى اجتمع له من ذلك كله كتاب أطلق عليه عنوان : (تحت راية القرآن) ، الذى كان حديث الناس فى تلك الفترة (عام ١٩٢٦) .

أما معركة الرافعي مع العقاد فبدأت حينما اتهم العقاد الرافعي بأنه هو واضع رسالة الزعيم سعد زغلول فى تقريظ كتاب الرافعي (اعجاز القرآن) ، بقوله ـ أى سعد زغلول عن الكتاب انه : (تنزيل من التنزيل ، أو قبس من نور الذكر الحكيم) ليروج الكتاب بين القراء ، بشهادة الزعيم سعد زغلول له .

أى أن العقاد يذهب الى أن هذه العبارة من اختراع الرافعي ، وليست من يراع الزعيم سعد زغلول .

ويدفع الرافعي عن نفسه هذا الاتهام بقوله لصفية وكاتب وحيه المرحوم محمد سعيد العريان : « وهل تظن أن قوة فى الارض تستطيع أن تسخر سعدا ليقول فيه ـ أى فى هذا الكتاب ـ ما قال ، لولا أن هذا اعتقاده ؟ » (٢) .

وأرجع الرافعي السبب فى اتهام العقاد له بذلك ، الى أن العقاد كان هو كاتب الوفد الأول وأن سعدا كان قد أطلق عليه لقب (جبار القلم) ولا يقبل العقاد منافسا له فى حب سعد وايثاره له .

وقد أخذت المعركة طابعها العنيف ، حينما شن العقاد حملة شعواء فى كتابه (الديوان) سنة ١٩٢١ مع زميله المازنى ، وتناول العقاد فيه أدب الرافعي بحملة شعواء ، جرده فيها من كل ميزة .. وشمر الرافعي عن ساعده على

(١) تحت راية القرآن » للرافعي ص ١١٥ الطبعة الثانية سنة ١٩٤٦ .

(٢) « حياة الرافعي » لمحمد سعيد العريان .

اثرها ، وتناول العقاد وشعره بسلسلة من المقالات الملتهبة ، نشرها « بمجلة العصور » تحت عنوان (على السفود) ، بأسلوب حاد ، كان أقرب الى الهجاء ، منه الى النقد الموضوعى الجاد •• والسفود فى اللغة هو الحديدة التى يشوى بها اللحم ، ويسميها العامة السيخ ، كما يقول الرافعى نفسه فى شرح العنوان •

وبعد أن هدأت الخصومة بينهما بسنوات ، نشر المرحوم الزيات صاحب « الرسالة » ، رأى الرافعى الحقيقى فى العقاد ، الذى يشتمل على استنكار الرافعى نفسه — لأسلوب السفافيد النارى الوحشى ، حينما ابترد غضبه وفاء الى التسامح بعد بضعة عشر عاما من خمود المعركة على حد تعبير الاستاذ كمال النجمى (١) •

قال الزيات للرافعى وهو يحاوره : « اتستطيع فى هذه المناسبة يا صاحب تاريخ آداب العرب» أن تجرد نفسك من ملابسات الخصومة ، وتجمل لى رأيك الخالص فى العقاد » ؟ •

فأجابه الرافعى : « أما لك فأقول الحق •• أما العقاد فأكرهه واحترمه ، أكرهه لانه شديد الاعتداد بنفسه ، قليل الانصاف لغيره ، ولعله أعلم الناس بمكانى فى الادب ، ولكنه ينفس على قمة البيان ، فيتجاهلنى حتى لا أجرى منه فى عنان •

وأحترمه لانه أديب قد استملك أداة الادب وباحث قد استكمل عدة البحث •• قصر عمره على القراءة والكتابة ، فلا ينفك بين كتاب وقلم » •

وحينما اطلع العقاد بالرسالة على ماتقدم من رأى الرافعى فيه ، وفى أدبه ، بعد رحيل الرافعى عن عالمنا بثلاث سنوات ، رد على ذلك بقوله : « انى كتبت عنه — أى عن الرافعى — مرات ، ان له أسلوبا جزلا ، وان له من بلاغة الانشاء ما يسلكه فى الطبقة الاولى من كتاب العربية المنشئين » (٢) •

أما المعركة التالية فى الأهمية ، فهى تلك التى انتضى فيها يراعه ليرد على الشيخ حسن القاياتى رحمه الله ، فيما ذهب اليه يوما ، من أن كلام العرب فى باب « الحكم » أن عبارة (القتل أنفى للقتل) أبلغ من الآية القرآنية « **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** » ولم ينم الرافعى ليلته ، بعد أن لفته الأستاذ الكبير محمود شاكر — فى أغلب الظن — برسالة بتوقيع م • م • ش ، ينبهه فيها الى هذا الأمر ، بقوله : « •• ففى عنقك أمانة المسلمين جميعا لتكتبن فى الرد على هذه الكلمة الكافرة لاظهار وجه الاعجاز فى الآية الكريمة ، وأين يكون موقع الكلمة الجاهلية منها » •

ولعل الاستاذ محمود محمد شاكر يزيد هذا الامر ايضاحا •

واستطاع الرافعى ببلاغته وقوة منطقه وسعة أفقه وغزارة علمه ، أن يدك هذا الزعم ويقوضه من أساسه بمقالاته : (كلمة مؤمنة فى رد كلمة كافرة) (القتل أنفى للقتل ليست مترجمة) ، « القتل أنفى للقتل ليست جاهلية » (٣) •

البقية ص ٦١٩

---

(١) بمقاله « اخطاء اللغة والنحو والبيان فى ديوان العقاد » بعدد يناير سنة ١٩٧٠ من مجلة الهلال •

(٢) مصطفى صادق الرافعى لحسنين مخلوف العدد ٢٠٥ من سلسلة كتاب الهلال الصادر فى مايو سنة ١٩٧٦ •

(٣) بكتابه (وحى القلم) حـ ٣ من ص ٤٦٣ الى ص ٤٧٨ •

من قضايا النقد الأدبي

الشعر بين الإلهام والصنعة

من سقراط الى أرسطو :

كان سقراط يشرح لقضاته ما جعله غير محبوب بين الناس . وعندما جاء ذكر الشعراء والحوار الذى دار بينهم وبينه قال :

انى ياسادتى أرانى مضطرا الى أن أقص عليكم الحقيقة ...

لقد تناولت الاشعار التى ألفها أصحابها بعناية فائقة وسألت كلا منهم عما عناه بشعره؟ فلم يكن منهم من استطاع الاجابة على سؤالى هذا .

ولقد جمعنى واياهم مجلس ضم كثيرا من المعجبين بهم وبأشعارهم فلم يكن بين الحاضرين رجل الا وهو أقدر على التحدث عن تلك الأشعار من الشعراء أنفسهم .

وفى هذا الحديث نرى أن سقراط قد كشف عن أمر ذى أهمية كبرى لأنه كان فيما نعلم أول من فرق بين نقد الأدب وبين تأليفه ثم قال:

لقد أدركت حينئذ أن الشعراء لا يكتبون الشعر لأنهم حكماء بل لأن لديهم طبيعة أوهمة قادرة على أن تبعث فيهم حماسة أو كما نقول نحن اليوم « الهاما » .

ومعنى كلام سقراط أن الشعراء يلهمون ما يقولون . وقد اعتنق هذا المذهب بعد سقراط أفلاطون فهو يقرر فى مواضع كثيرة أن هذا الكلام الجيد الذى يجرى على ألسنة الشعراء ليس من صنعهم وليس لهم دخل فيه . وانما هو الهام يلهمونه .

فلما جاء أرسطو أعلن أن هذا الشعر الجيد انما هو جيد لأسباب يمكن الوصول اليها ومعرفة قوانينها . ووضع هذه القوانين لكى يهتدى بها الشعراء فى انتاجهم .

ولما كانت الملحمة والشعر المسرحى أرقى أنواع الشعر عند أرسطو كانت القوانين التى وصل اليها أرسطو تتعلق بهذين اللونين من الشعر .

أفلاطون وأرسطو اذن يمثلان نظرتين مختلفتين فى الانتاج الشعرى فبينما يرى أفلاطون الشعر الهاما يرى أرسطو الشعر صناعة لها قواعدها وقوانينها . وقد كان أحد هذين المذهبين يسود دراسة النقد عند الغرب.

للدكتور طه عبد الرحيم البر

فحينا يسود مذهب أفلاطون ويرى النقاد الشعراء ملهمين • حتى اذا ساد المذهب « الكلاسيكى » • رأينا مبادىء أرسطو تسود ويعتنق الناس مذهبه فى صناعة الشعر وسيادة شعر المسرح • ثم كان المذهب « الرومانتيكى » الذى رأى أن الشعر الغنائى أرفع ألوان الشعر رأينا مذهب أفلاطون يعود مرة أخرى الى الظهور وينظر النقاد الى الشعر على أنه الهام والى الشاعر على أنه ملهم قد وهب ما لم يوهب غيره من الناس •

وفى العصور الحديثة اتصل بفكرة الالهام مذهب « فرويد » الذى رأى أن الشعر كالأحلام وسيلة من الوسائل التى تعبر عن الرغبات المكبوتة فى اللاشعور وهذه المنطقة اللاشعورية تحاول تحقيق هذه الرغبات باحدى وسيلتين :

١ ــ الأحلام : التى يتخيل فيها المرء فى منامه أنه وصل الى تحقيق هذه الرغبات بطريقة أو بأخرى •

٢ ــ الشعر : ويرى أن الشاعر يحقق بشعره كثيرا من هذه الرغبات المكبوتة فى اللاشعور ذلك بأن الانسان فى الشعر وفى الانتاج الأدبى قد ينفس عن هذه الرغبات بأن ينتج انتاجا شعريا يرمز فيه الى رغباته ، وأن هذه الرغبات قد تحققت • وعندئذ يرضى نفسه ويطمئن قلبه •

ولنضرب لذلك مثلا لشاب أخفق فى حبه فان هذا الاخفاق فى الحب ورغبة الشاب فى أن لو كان قد تحققت أحلامه فى الحب لاتموت • وانما تسكن عالم اللاشعور ويكون لها أثرها فى انتاجه •

فقد يخرج مسرحية يحقق فيها أمله بصورة من الصور كأن يصور بطل الرواية بطلا ناجحا فى حياته وأنه ما كان ينبغى لوالد حبيبته أن يحول بينه وبينها • أو ينتقم فى المسرحية ممن كان سبب اخفاقه فى حبه • أو يرمز فى مسرحيته الى أعدائه برموز ينتقم منها •

أو يحقق أمله فيها كأن يرمز لزوج حبيبته بوحش قضى عليه ولحبيبته بغزال يأوى الى كنفه • وهو بذلك يحقق بطريقة غير شعورية أملا كمن فى اللاشعور وهو الانتقام من زوج حبيبته مادام هو فى حقيقة الامر لم يستطع الانتقام منه •

وكثيرا ما يكون الشعر متنفسا عما يملأ النفس من الاحساسات والانفعالات ويكون هذا التنفيس مخففا لما يشعر به الانسان من ثقل عواطفه وشعوره •

فالشاعر الذى أصيب بفقد ولده يلجأ الى

◄

الشعر واجدا فيه ما يخفف من هذه الآلام • كما يشعر الانسان بالراحة عندما يحدث صديقه بما يؤلمه •

وينبغي أن نفرق بين الأحلام وبين التعبير الشعرى فاننا عندما نعبر بالشعر نتسامى بعواطفنا واحساساتنا ونسلط عليها الشعور فنهذبها ونركبها كما نحب • أما الاحلام فخالصة للاشعور • ومن أجل ذلك لا تكون مهذبة ولا متسامية كالشعر •

عصرنا الحاضر :

وفى عصرنا الحاضر يرى النقاد أن الانتاج الشعرى مزيج من الالهام والصنعة • فهم يرون الالهام فى التجربة الشعرية التى تملأ النفس وتستولى على القلب الى درجة أنها تدفع الانسان الى القول والانتاج •

يرون الالهام فى هذا الشعور القوى الذى يستولى على المرء ليدفعه الى التعبير عنه •

يرون الالهام فى هذا الخاطر الذى ينبثق فى النفس ويستولى عليها ، ثم يرون بعد ذلك أن الشاعر يسلط على هذا الخاطر والاحساس تفكيره ليتبين هذا الخاطر فى وضوح • وليدرك عناصره ويرى زواياه ويتبين الخطوات التى ينبغى أن تتبع فى عرضه عرضا سليما مؤثرا •

هذه نظرة القرب الى الانتاج الشعرى •

أما نظرة العرب فاننا نجد لهم نظرتين متجاورتين تعيشان جنبا الى جنب • تلك هى نظرتهم فى الجاهلية الى أن للشعراء شياطين يلقون القول على ألسنتهم ومعنى ذلك أنهم ينظرون الى الشعر على أنه الهام •

والنظرة الثانية التى تجاور تلك النظرة هى أنهم كانوا يرون أن فى الشاعر قدرة على تجويد شعره واتقانه وتهذيبه • ويرون أن فى استطاعتهم العودة الى شعرهم بالتهذيب والتثقيف حتى يصل الى مستوى رفيع نرى ذلك مثلا فى أخبار زهير بن أبى سلمى فانه كان ينظم القصيدة كما يقولون فى بضعة أشهر ولكنه لا يعرضها على الجمهور بل يحتفظ بها ليهذبها ويقومها ويحذف منها • ويثبت • ثم يعرضها على طائفة من أصحابه الذين يثق بهم وبحسن فهمهم • ويستمر فى هذا العرض حينا من الزمن • حتى اذا اطمأن الى أن انتاجه قد بلغ ما يستطيع من الجودة عرضه على الناس • وكان كثير من الشعراء يعملون كما يعمل زهير مما يدل على ايمانهم بالجانب الذاتى والمجهود الفردى الى جانب ايمانهم بالالهام •

وعلى هذا نجد جمهور الناقدين اذا استثنينا قلة ترى أن الشعر الجيد هو الذى يصدر عن الالهام وحده • كما رأى ذلك « ابن قتيبة » فقد كان يرى أن الشعر المرتجل هو الشعر المطبوع الذى لا يعود اليه صاحبه بتهذيب ولاتقويم •

ولكن جمهرة نقاد العرب على أن الشعر عمل يشترك فيه الالهام والصنعة معا •

وقد عبر عن ذلك القاضى الجرجانى فى كتابه « الوساطة بين المتنبى وخصومه » اذ قال : (الشعر علم يشترك فيه الطبع والذكاء

والرواية والتجربة) ومعنى أنه طبع أنه الهام يوهب • ولكن هذا الالهام لا يقف وحده بل لابد له من ذكاء يسلط على هذا الالهام لادراك هذا الذى ألهمه الشاعر • ومعرفة جوانبه المتعددة • وعناصره المختلفة • لترتيب هذه العناصر ترتيبا جيدا والفحص عن كل ما يتصل بالخاطر من قرب أو بعد • وهذا الذكاء لابد أن تمده ثقافة واسعة عبر عنها الجرجانى « بالرواية » لأن هذه الثقافة هى التى توضح جنبات الخاطر وتشرح نواحى ما يحس به الأديب وتلقى عليه قسطا كبيرا من النور •

وهذه الهبة التى عبر عنها بالطبع لا يمكن أن تعيش الا فى ظلال تدريب على الانتاج وبدون هذا التدريب يذبل الطبع ، ويموت •

ومن أجل ذلك نرى أن الانتاج الأدبى كان النقاد ينظرون اليه على أنه « الهام وصنعة معا » وهو ما يتفق مع نظرة النقاد فى عصرنا الحاضر • اذ نرى أن الانتاج الأدبى يحتاج الى الهبة والالهام فى أصله • وأن انبثاق الفكرة الأولى الهام • ثم يسلط الفكر على هذا الالهام ليبلغ فى الانتاج غاية الكمال •

وهذه القوانين التى وصل اليها النقاد كالمشعل يضىء للمنتج الطريق الى الانتاج الجيد مادامت عنده الهبة الاصيلة والطبع الصحيح •

طه عبد الرحيم البر

معارك الرافعى القلمية "بقية"

وهناك معركة أخرى شنها الرافعى ضد (سلامة موسى) ، حينما دعا الى استعمال اللهجات العامية بدل العربية الفصحى بدعوى (تمصير اللغة العربية) •• واستطاع الرافعى بقوة حجته أن يدحض هذا الزعم ، كما دحض ماذهب اليه ذات الكاتب فى المقطم من قبل ، الى طلب مساواة المرأة بالرجل فى الميراث •

يقول الرافعى : « للمرأة حق واجب فى مال زوجها وليس للرجل مثل هذا الحق فى مال زوجته ، والاسلام يحث على الزواج ، بل يفرضه ، فهو بهذا يضيف الى المرأة رجلا ويعطيها به حقا جديدا ، فاذا هى ساوت أخاها فى الميراث مع هذه الميزة التى انفردت بها ، انعدمت المساواة فى الحقيقة ، فتزيد وينقص ، اذ لها حق الميراث وحق النفقة ، وليس له الا مثل حقها فى الميراث اذا تساويا •• فاذا قلت كما يقول سلامه موسى ان فى الحق أن تنفق المرأة على الرجل ، وأن تدفع له المهر ، ثم تساويه فى الميراث ، قلنا : ــ اذا تقرر هذا ، وأصبح أصلا يعمل عليه ، بطل زواج كل الفقيرات ، وهن سواد النسوة ، اذ لايمكن ما يمهدن به ولا ما ينفقن منه ، وهو مايتحاماه الاسلام ، لان فيه فساد الاجتماع ، وضياع الجنسين معا »

رحم الله الرافعى رحمة واسعة •

أحمد مصطفى حافظ

الفتاوى

الأذان فى مكبر الصوت لاغبار عليه

دأب الصحفى الأستاذ عبد السلام داود فى عموده اليومى « علامة استفهام » بجريدة الأخبار على مهاجمة استعمال مكبر الصوت فى المساجد سواء فى الأذان أو غيره واشترك فى هذه الحملة من يعرف ومن لا يعرف حتى قيلت أقوال لا تمت الى الفقه الصحيح بصلة .... وقد طلب الصحفى المذكور رأى فضيلة المفتى .

وقد تفضل فضيلة الشيخ عبد اللطيف حمزة مفتى الديار المصرية بالرد ونشر فى جريدة الأخبار وفيما يلى رد فضيلته .

سبق أن قلنا رأى الدين فى هذا الأمر فى فتوانا المقيدة بدار الافتاء تحت رقم ٥٢/٨٣ ... الخ

ثم قال : ان الغرض من الأذان هو الاعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة على وجه مخصوص ، بأن يكون على مكان مرتفع من جهير الصوت ... ويجب الاقتصار فيه على ما ورد عن النبى ﷺ بلا زيادة ولا نقصان ، وانتهينا الى أن ما يذاع قبيل الأذان أو بعده من ابتهالات وتواشيح بدعة مخالفة لهدى النبى ﷺ ويجب تركها ، لأن كل بدعة فى العبادات على هذا النحو فهى بدعة سيئة يجب تركها .

وأما ما قلتموه ، من أن النبى ﷺ رفض البوق . وقلتم ان البوق لا يختلف فى شىء عن مكبر الصوت ، وعليه استندتم الى أن الأذان فى مكبر الصوت مرفوض ، فهذا لا نوافقكم عليه !!! ، لأن البوق أو القرن الذى رفضه النبى ﷺ قد رفضه لعلتين :

احداهما : أنه رفض التشبه باليهود والنصارى .

وثانيتهما : أن البوق لم يكن آلة لتكبير وتوضيح الكلام ، وانما هو آلة ينفخ فيها ويزمر ، من أجل ذلك رفضها النبى ﷺ ، ولو كان البوق مثل مكبر الصوت

إعداد الأستاذ
عبد الحميد السيد شاهين

الآن ما تردد النبى ﷺ فى اذاعة الأذان — بعد ما شرع — من خلاله ... وعلى ذلك فقياسك مكبر الصوت قياس غير صحيح ، لأنه قياس مع الفارق ، ولا حرج وكذا لا حرمة فى اذاعة الأذان من خلال مكبر الصوت .

وأما ما نناشد الاخوة المسئولين عن المساجد الالتزام به . فهو عدم اساءة استخدام هذا المكبر ، والاقتصار على اذاعة الأذان ، ولا داعى لما يذاع قبله وبعده من تواشيح وابتهالات وقراءة للقرآن وغير ذلك ، حتى لا نسىء الى الاسلام ، ولا نشوه صورته ، فان من القواعد الشرعية « لاضرر ولا ضرار .

عمرة بلا هدى ، وحج بهدى

س : من السيد / ش وهبة .

أديت العمرة فى رمضان ، ثم ذهبت إلى المدينة وأقمت بها حتى أحرمت بالحج ، ووقفت بعرفات ثم نزلت الى المزدلفة ، ومنى ، ورميت جمرة العقبة وتحللت ، ثم طفت طواف الحج وسعيت بين الصفا والمروة ، ولم أتمكن من رمى اليوم الثانى والثالث للعيد ، وعدت الى بلدى فما الحكم ؟

ج : انك بأدائك للعمرة فى رمضان ، ثم قيامك بالحج لاهدى عليك فى ذلك لأنك مفرد بالحج .... وبوقوفك بعرفات وطوافك بالبيت وسعيك قد أديت الحج ، الا أنك تركت الرمى لليومين المذكورين ... والواجب عليك فى هذه الحالة هدى تذبحه فى الحرم ان كنت مستطيعا ، فان لم تستطع فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعت الى بلدك ، ومادمت قد رجعت بدون أن تصوم هناك ، فعليك أن تصوم فى بلدك عشرة أيام : ثلاثة وحدها ، وسبعة وحدها .. هذا اذا كنت غير مستطيع للهدى .

رضاعة لا تحرم

س : من السيد / ع . مهران .

شاب يريد الزواج من فتاة لم يرضع من أمها ، وهى لم ترضع من أمه ، ولم يجتمعا على ثدى واحد ، ولكن لهما اخوة رضعوا .. فما الحكم ؟

ج : مادام الشاب لم يرضع من أم الفتاة ، وكذلك الفتاة لم ترضع من أم الشاب ، ولم يجتمعا على ثدى واحد فيجوز لهما الزواج ، ولا عبرة أن لهما اخوة رضعوا ، فالحرمة تقع على من رضع ..

٥

ميراث

س : من السيد / ز النجار

توفيت امرأة عن زوج ، وأختين شقيقتين ، أولاد أخ شقيق . فمن يرث ومانصيبه ؟

ج : للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأختين الشقيقتين الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهما أو يحجبهما — يقسم بينهما بالتساوى .

والمسألة من ستة أجزاء ، وتعول الى سبعة أجزاء : للزوج ثلاثة أجزاء ، وللأختين أربعة أجزاء ، ولا شىء لأولاد الأخ الشقيق لاستغراق الفروض التركة .

« الشبكة مضافة الى المقدم »

س : من السيد ت — أ — عباس .

ماهى حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول بها ، مع العلم بأننى قد اتفقت معهم على أن أقوم بتجهيز حجرة صالون ومطبخ نظير مقدم المهر ، ولها مؤخر صداق (٥٠٠) جنيه ، كما قدمت لها شبكة بمبلغ (١٢٠٠) جنيه . فما الحكم ،

ج : الشبكة جزء من المهر ، والمهر لاتستحقه المرأة الا بالعقد عليها ، ومادمت قد عقدت عليها فان الشبكة تضاف لما اتفق عليه أن يكون مقدما ، وللمؤخر ، ويكون لها نصف هذه الأشياء جميعا ، وتستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد عليها الى تاريخ الطلاق .

والله أعلم .

عبد الحميد السيد شاهين

أنباء وآراء

إعداد أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
حسن على زريق

نداء من الامام الأكبر إلى إيران والعراق بالاستجابة لحكم الاسلام ووقف القتال

وجه الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر نداء الى المسئولين فى كل من ايران والعراق بالاستجابة لحكم الاسلام الذى حرم على المسلمين أن يتنازعوا ويتقاتلوا ، فقال تعالى : « وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » .

وأضاف الامام الأكبر فى ندائه الذى وجهه أثناء لقائه بوفد علماء السنة والشيعة العراقيين والموفد من الحكومة العراقية الى الدول الاسلامية :

انه اذا كانت العراق قد أبدت — بكلمة المسئولين فيها — الاستعداد لوقف القتال ، وأكدت ذلك بالانسحاب الى ما وراء حدودها ، فباسم الأزهر الشريف ، وباسم علماء المسلمين جميعا ، أناشد المسئولين فى ايران الاستجابة لوقف القتال واحلال السلم محل الحرب ، والتحكيم بين الدولتين المسلمتين المتجاورتين ، اذ أن هذه الحرب نشأت حراما ، فى حكم الاسلام واستمرارها حرام أيضا ، واثمها كبير على من يستمر فى اشعالها ، وذلك عملا بنداء القرآن الكريم : « وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا » .

وهذا النداء القرآنى أوجهه الى المسئولين فى ايران أولا احتكاما الى كتاب

الله تعالى ، ثم أوجهه الى أولى الأمر فى الحكومات الاسلامية بوجه عام ، حتى يتدخلوا بصفة جدية ويعملوا على وقف هذه الحرب التى طالت وأهلكت البلاد والعباد ٠

وقال الامام الأكبر :

لعل المتحاربين يستمعون الى قول الله تعالى فى القرآن الكريم : « وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ٠ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٠ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ » ٠ أ هـ

أكتوبر ــ العدد ٤٢٣ ٠

* صرح علماء العراق أثناء هذا اللقاء بأن الرئيس العراقى أعلن أكثر من مرة استعداده لوقف الحرب والجلوس الى مائدة الصلح حقنا لدماء المسلمين وحفظا لثرواتهم ٠

***

الشريعة الاسلامية

كذبت مجلة « الايكونومست » البريطانية الحملة الاعلامية الضالة التى تعادى تطبيق الشريعة الاسلامية فى السودان ٠ فقالت : « ان الشريعة الاسلامية لقيت ترحيبا عظيما من كافة قطاعات الشعب ، ونعم الناس فى ظلها بالنوم المريح الهادى وأبوابهم مفتوحة ٠ وأمكن للنساء المشى بأمان فى الشوارع دون ازعاج أو مضايقات والرجال ينفقون وقتهم ومالهم مع أسرهم بدلا من الشراب ، ويسود شعور تام بالأمان الذى ظل مفقودا لسنوات طويلة ٠

نظام البينة الاسلامى

أصدر الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق قرارا بتطبيق نظام البينة الاسلامى ٠ وذلك فى اطار تحويل النظام القضائى فى باكستان الى

نظام اسلامى • ووضح البيان الصادر فى (اسلام أباد) أن قانون البينة الذى صاغه مجلس الفكر الاسلامى قد مهد الطريق لانشاء المحاكم الاسلامية التى تعتمد فى أحكامها على نظام البينة •

وصرح فضيلة الدكتور محمد محمود مزروعة أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة اسلام اباد بأن الباكستان منذ بدأت فى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية تشهد تقدما ملموسا ، وتعيش نهضة حضارية أساسها الامن والعدل والعمل •

أحكام الشريعة الاسلامية

أعلن الشيخ هلال بن حمد البوسعيدى وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية بسلطنة عمان : أن هناك لجانا من الخبراء تقوم بدراسة القوانين والنظم القضائية المعمول بها لدى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربى تمهيدا لتوحيد هذه القوانين والنظم فى دول المجلس اضافة الى اللجنة السباعية التى قرر وزراء العدل فى دول مجلس التعاون فى تشكيلها لتتولى تقنين أحكام الشريعة الاسلامية •

أجهزة الدعوة الاسلامية

أوصت اللجنة الدينية بمجلس الشعب بتوحيد أجهزة الدعوة الاسلامية فى جهاز واحد تتوحد فيه الامكانات وطاقات القوى العاملة فى جميع الاجهزة لتحقيق الانطلاق المنشود فى مجالات الدعوة الاسلامية •

كما توصى اللجنة بأن تعود المساجد الى صورتها الاسلامية الأولى حيث كان المسجد مركزا للاشعاع الدينى •• وتبارك اللجنة ما ذهبت اليه بعض المساجد من اقامة مدارس لتحفيظ القرآن وقاعات للدروس ، ومستوصفات للعلاج وذلك كله تحت شعار المسجد الجامع العامل لشتى أنشطة الحياة

النور ٢٧ صفر والاهرام والاخبار •

توصيات ندوة النظم الاسلامية

ناشدت ندوة النظم الاسلامية التى نظمها مكتب التربية العربى لدول الخليج • الحكومات الاسلامية الاستفادة من النظم الاسلامية : السايسية والادارية والقضائية والمالية والعسكرية والاجتماعية • باعتبارها منهاجا شاملا متكاملا للحياة وتحويلها الى واقع التطبيق لما فيها من خير للاسلام والمسلمين • كما ناشدت الندوة التى عقدت فى « أبى ظبى » الجامعات والمعاهد بتدريس النظم الاسلامية ضمن مناهج التعليم • وذلك فى الكليات المتخصصة والعناية بالأبحاث العلمية فى مجال النظم الاسلامية ، ودعت الندوة الى توحيد الجهود الاسلامية ، والتمسك بالعقيدة السمحاء والتراث اللغوى المتمثل فى اللغة العربية ، فى مواجهة النظم الاجنبية الدخيلة التى تستهدف وجود الأمة الاسلامية عقائديا وحضاريا واجتماعيا •

الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم

قرر مجلس نقابة أطباء القاهرة برئاسة

أنباء وآراء

اللواء دكتور عبد المجيد لطفى : عقد مؤتمر عالمى بالقاهرة حول الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم • تشارك فيه كافة الدول بأحدث الأبحاث التى تؤكد أن القرآن الكريم سبق كل النظريات والاكتشافات الطبية •

قضايا التحول الاسلامى

ناقش اتحاد طلبة جامعة الخرطوم فى موسمه الثقافى الخامس الذى عقد مؤخرا لمدة أسبوعين قضايا التحول الاسلامى فى القطر الشقيق • وقد نوقش خلال الموسم قضايا : « التنظيم السياسى وأفاق تطوره فى ظل الاسلام » والبديل الاسلامى للنظام الاقتصادى العالمى وقيام الاسلام ، بالنظام العصرى فى السودان •

وفد جامعات السويد يناقش أسلوب حلقات دروس الأزهر

تجربة الدراسة فى حلقات التى طبقها الأزهر الشريف منذ مئات السنين حيث يختار الطالب استاذه والمادة التى يدرسها ، وزمان الدرس ومكانه ، وموعد الامتحان •

هذه التجربة الفريدة استهوت وفدا من جامعات السويد لمشاهدتها ومعرفة كيفية الدراسة بها على يد الأستاذ •

صحفى فرنسى يشهر اسلامه

أعلن الصحفى الفرنسى (برنار دورل كوستا) أن خلاص العالم من المهالك والحروب التى ألمت به فى كل مكان من أرضه لن تنتهى الا باعتناق الجميع الدين الاسلامى • دين السعادة والمحبة الذى فيه الخلاص من المحن النفسية والاضطرابات والصراعات المادية التى تفشت فى الوقت الحالى •

جاء هذا بعد أن شهر الصحفى اسلامه فى الأزهر الشريف • وأضاف أنه لم يعتنق الدين الاسلامى لمجرد اكتشاف دين جديد • انما يأتى ذلك بعد رحلة درس خلالها الأديان السماوية المختلفة ، وانتهى بعدها الى أن الاسلام هو الدين الخاتم الذى جاء لسعادة الانسانية •

التبادل التجارى بين الدول الاسلامية

اتفق وزراء اقتصاد وتجارة الدول الاسلامية على تيسير تبادل المعلومات وتعزيز التبادل التجارى بين الدول الاسلامية ، وخفض الاعتماد على العملات الغربية •

جاء ذلك فى ختام أعمال اللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادى والتجارى المنبثقة عن منظمة المؤتمر الاسلامى التى عقدت مؤخرا فى اسطنبول وأكد الرئيس التركى (كنعان ايفرين) فى كلمة افتتاح أعمال اللجنة أنه مقتنع بأن قرارات اللجنة ستسهم فى تعزيز مفهوم التضامن والتعاون الاسلامى مشيرا الى أهمية هذا التضامن فى تحقيق القوة الاسلامية •

وأعرب (تورجوت أوزال) رئيس الوزراء التركى عن أمله فى أن تعود أعمال اللجنة بنتائج ايجابية على العالم الاسلامى • وقال : ان الظروف الحالية التى يمر بها الاقتصاد العالمى

وتؤثر بدورها على العالم الاسلامى تتطلب بذل المزيد من الجهود الكفيلة بتوطيد التعاون الاقتصادى والتجارى بين دول المؤتمر الاسلامى .

مصر عضو بالمركز الاسلامى ببروكسل

تم اختيار مصر عضوا دائما فى اجتماعات مجلس أمناء المجلس الأعلى للمركز الاسلامى الاوربى المنعقد فى بروكسل عاصمة بلجيكا .

وفد مصرى لدراسة آثار دولة برونى الاسلامية

سافرت بعثة مصرية من هيئة الآثار الى « برنيو » لدراسة تاريخ الآثار الاسلامية بها، تلبية لدعوة حسنى البلقيع رئيس هيئة الآثار « برنيو » .

والمعروف أن دولة « برنيو » كانت تابعة لبريطانيا وتم اعلان استقلالها فى العام الماضى .

ومن (باكستان)
(مائة مليون روبية) حصيلة الزكاة فى ولاية واحدة

ذكرت صحيفة « الصراط المستقيم » الاسلامية الشهرية الصادرة فى (لندن) أن حصيلة الزكاة التى تحصلها حكومة باكستان هذا العام فى ولاية البنجاب الباكستانية قد بلغت مائة مليون روبية مما أدى الى أن الميزانية قد تحسنت كثيرا مع هذه الاجراءات الاسلامية .

ربع مليون مسلم فى استراليا

كشف تقرير الاحصاء السكانى باستراليا أن عدد الجالية الاسلامية يقدر بأكثر من ربع مليون مسلم ، وقد اختير الأستاذ الدكتور / محمد العريان الأستاذ الزائر بمركز التاريخ الاسلامى زعيما للجالية الاسلامية هناك .

* أخبار من أفغانستان :

الثوار الأفغان يسقطون ثلاث طائرات « ميج » سوفيتية ويأسرون مائة جندى سوفيتى .

أسلام أباد ــ وكالات الأنباء

ذكرت مصادر دبلوماسية غربية بالعاصمة الباكستانية أن المقاومة الأفغانية أسقطت ثلاث طائرات « ميج » سوفيتية فوق مدينة « قندهار » وأنه تم أسر ١٠٠ جندى سوفيتى، كما لقى ثلاثة من كبار المسئولين الأفغان مصرعهم .

وفى نبأ لوكالة (يونيتد برس) كشفت مصادر غربية أن الهجمات التى قام بها الثوار الأفغان على المدن الرئيسية فى البلاد قد استخدمت فيها صواريخ أرض ــ أرض أصابت عدة أهداف هامة فى (كابول) العاصمة .

موسكو تعترف لأول مرة بقوة الهجمات التى يشنها الثوار الأفغان

* اسلام أباد ـ وكالات والأنباء :
ذكرت وكالة الأنباء السوفيتية (تاس) أن المقاومة الافغانية قامت بعدة هجمات مؤخرا على عدد من المدن مستخدمة صواريخ أرض ـ أرض مما أدى الى مصرع ١٣٠ سوفيتيا ٠

ويعتبر هذا النبأ الأول من نوعه الذى تنشره (وكالة تاس) السوفيتية بعد أن كانت تنفى دائما ما يصدر من أخبار عن المقاومة أو الخسائر التى تلحق بهم منها ٠

سقوط قلعة (تشيونى) الحصينة فى أيدى المجاهدين الأفغان

* أذاعت (وكالات الأنباء) نبأ سقوط قلعة (تشيونى) ·· ·ينة بعد معركة ضارية ، وقد تم تدمير أكثر من مائة (مصفحة) وقتل خمسمائة جندى ، وذلك بعد فرار أكثر من أربعمائة جندى بأسلحتهم وانضمامهم الى الثوار الأفغان مما غير موازين المعركة وأدى الى سقوط القلعة فى أيدى المجاهدين ٠

من لندن :

مصر تعود الى المجلس الاسلامى (بلندن)

وافق المجلس الاسلامى بلندن بأغلبية ساحقة على عودة عضوية مصر الى المركز الاسلامى بلندن وذلك خلال اجتماعه الذى حضره سفراء جميع الدول العربية والاسلامية فى بريطانيا ٠

أسوان :

معهد دينى ومدرسة لتحفيظ القرآن بمحافظة أسوان

تم وضع حجر الأساس لمعهد دينى ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة أسوان خلال الاحتفالات بمولد الامام أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه بمحافظة البحر الأحمر ٠

آراء

من خير ما كتب :

الأستاذ الدكتور رءوف شلبى
تمام التكامل تطبيقنا لشريعة الله

ان معنى تطبيق الشريعة الاسلامية فى بلادنا هو أن يعيش الجميع فى ظلالها فى أمان ومودة، وفى تعاون ورخاء ، كما أنها تعيد الينا اليقين بأنه ليس منا من بات شبعان وجاره جائع ، وأن مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ٠ أما الحدود فى هذه الشريعة فهى لحماية المبادىء السامية التى يطبقها كل المجتمع بتلقائية ايمانية الوازع فيها هو الضمير ، ورقابة الله ، ومحبة الاسلام ٠

وفى مثل هذا المجتمع المتواصى بالحق والصبر ، والذى تدرأ فيه الحدود بالشبهات ، جعل الاسلام العلماء هم الأمناء الذين يبدأون باصلاح أنفسهم ، حتى تستقيم بهم دعوة الناس الى الخير ، وجعل الحكام بعد العلماء هم

المسئولون أمام الله عن تطبيق هـذه الحـدود والأحـكام ، لا بالعنف ولا بالتجسـس ولكن بالتربية السليمة ، وتكافؤ الفرص ، وبالعـدل والاحسان ٠

الأخبار ٩/١١/١٩٨٤

* ٠٠٠ الأستاذ الدكتور محمـد الحسينى مصيلحى ـ أستاذ القانون الدولى ـ جامعة أم درمـان ٠

حقـوق الانسـان بين الشريعة الاسلامية والقانون الدولى :

اذا كان الاعلان العالمى لحقـوق الانسـان يؤكد فى مقدمته الاعتراف بكرامة الانسان فان الاسلام قد كرم الانسان من قبل هذا الاعلان بأربعة عشر قرنا حيث جاء فى القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَـاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً »

ومن مظاهر هذا التكريم ان أحسن صـورته فقال تعالى :

« وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ »

ونهى الاسلام عن اهانة الانسان أو تحقيره أو السخرية منه أو تنابزه بالألقاب فقال تعالى:

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَر قَوْمُ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَـكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْـدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ »

وقال رسول الله صـلى الله عليـه وسلم : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) ٠

ثم ان الاسلام أعز الانسان وطالبه بأن يكون مرفوع الرأس لا ينحنى لأحد غير الله ولا يعبد غيره ولا يشرك به فقال تعالى :

« قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُـكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٠ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ »

وهكذا كرم الله سبحانه وتعالى الانسان قبل أربعة عشر قرنا من صدور الاعلان العالمى الذى يؤكد فى مادته الأولى عـلى أن جميـع الناس يولدون أحرارا متساوين فى الكرامة والحقوق٠

الاسلام والمساواة :

واذا كان الاعلان العالمى لحقوق الانسان قد أكد على احترام حقوق الانسان والحريات وان لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات دون تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين فان القرآن الكريم يؤكد على عدم التمييز وأن أكرم الناس عند الله أتقـاهم فقال تعالى :

« يَاأَيُّهَـا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَـارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »

وقوله عليه الصلاة والسلام : (الناس سواسية كأسنان المشط) • ومن هنا فان المساواة فى الاسلام هى أساس التمتع بالحقوق والتكليف بالواجبات بل أكثر من ذلك فان الانسان هو خليفة الله فى الأرض أكرمه الله بتلك الخلافة كما أكرمه بسجود الملائكة له •

الاسلام وحق الحرية •

اذا قارنا بين ما جاء فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان حول هذا الحق وبين ما جاء فى القرآن الكريم نجد أن نصف الاعلان العالمى لحقوق الانسان يشير الى الحرية تحت رؤوس موضوعات جزئية مثل حرية التنقل وحرية التعبير وحرية الفكر وحرية العقيدة وما اليها ولكن القرآن الكريم لم يشر الى هذه الحريات فحسب وانما شملها ضمن مسائل أخرى فى اعلان شامل ومتكامل وهو لم يبح لكائن من كان حتى النبى صلى الله عليه وسلم أن يستعبد شخصا آخر بأى صورة بسبب العنصر أو اللون أو الحسب والنسب • فالميزة الوحيدة فى الاسلام هى ميزة التقوى • والحرية الشخصية فى الاسلام هى من أقدس الحقوق وتشمل العقيدة وغيرها وكلها كفلها الاسلام وخطا بها خطوات لا تزال تعجز الحضارة الحديثة عن اللحاق بها بل ان الاعلان العالمى لحقوق الانسان وكذلك الاتفاقيات الدولية اللاحقة لم تصل فى تنظيمها الى ما وصل اليه الاسلام •

الأهرام ١٩٨٤/١١/٩ •

*** ••• فضيلة الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم أمين عام مجمع البحوث الاسلامية :**

رعاية الاسلام للطفولة

اهتم الاسلام بالطفل اهتماما خاصا ورعاه رعاية كاملة قبل أن يولد وبعد خروجه الى الدنيا فوضع قواعد لاختيار أمه قبل الزواج بها من والده على أساس الظفر بذات الدين لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل فى أداء حق الزوج وحق الأولاد وحق البيت قال صلى الله عليه وسلم : (تنكح المرأة لأربع ، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) رواه الشيخان • وبالمقابل أرشد النبى صلى الله عليه وسلم أولياء المخطوبة بأن يبحثوا على الخاطب صاحب الدين والخلق الكريم ليرعى الأسرة رعاية كاملة ويؤدى حقوق الزوجية وتربية الأولاد والقوامة الصحيحة فى الغيرة على الشرف قال صلى الله عليه وسلم (اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) رواه الترمذى •

كما حث الاسلام على التأذين فى أذن المولود اليمنى وأن تقام الصلاة فى أذنه اليسرى حتى يكون أول ما يقرع سمعه كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التى أول ما يدخل بها فى الاسلام فكان كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله الى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها كما أن الشيطان يهرب من كلمات الآذان •

وينبغى أن نعلم أن الاسلام اهتم بتربية

الطفل ولاسيما التربية الخلقية له حتى ينشأ رجلا كريم الخلق قوى العزيمة مهذبا فى أقواله وأفعاله نبيلا فى تصرفاته وخلقه ديدنه الحكمة والكمال والأدب والاخلاص والطهارة ولنتذكر جميعا قول الرسول الكريم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه .

الأخبار ١٤/١٢/١٩٨٤ .

* الأستاذ مصطفى امين :

اعلم أنك لست خالدا فى منصبك ، الأيام دول ، وكم من رجال قبلك ظنوا أنهم باقون الى الأبد ، فداستهم الأيام بأقدامها . توهموا أن ظلمهم دائم فجاءت العدالة وسحقتهم . توهموا أن السوط سيبقى فى أيديهم يلهبون به ظهور الأبرياء فاذا بالأبرياء الضعفاء ينتزعون السوط ويلهبون به ظهور الطغاة المستبدين اذا وقعت قرارا بفصل مظلوم من وظيفته الصغيرة ، من منصبك الكبير . اعدل اليوم لتنال العدل فسيجىء اليوم الذى يصدر فيه قرار بفصلك غدا وأنصف البرىء لتنصفك الأيام ، وقد رأينا مصارع الظالمين ونهايات المستبدين . فمادام طغيان ولا استمر استبداد . أنت تعلق خصومك فى المشانق ، وتغتال أعداءك فى « المنافى » وتملأ السجون بمن يهمس بكلمة ضدك .

اعلم أن لعنات المظلومين قادرة على أن تسحق الظالمين ، همساتهم تتحول الى رعد .

صرخاتهم تصبح كالأعاصير . هذه القلاع التى تبنيها حولك ستنهار كالتراب . لن ينفعك الا العدل اذا عدلت ولن يفيدك الا العفو اذا عفوت .

أخبار اليوم ١٠/١١/١٩٨٤ .

***

تصحيح

جاء فى ملحق مجلة الازهر عن شهر ربيع الاول سنة ١٤٠٥ ــ وهو "المختار من ارشاد المريدين لسيرة سيد المرسلين" تأليف فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن خلف المصرى ما يأتى :

أولا : فى صفحة ١٢ تحت عنوان « وفاة والدته ، ومن تولاه بالحضانة » ثم تولته بالحضانة بعدها أم أيمن ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لها :أنت أمى بعد أمى ، وكانت مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيه ، وقيل لأمه واستشهدت فى غزوة حنين ..

ثانيا : فى صفحة ٤٧ ــ واستشهد من المسلمين (فى غزوة حنين) أربعة من المسلمين منهم أم أيمن والصواب أن الذى استشهد فى غزوة حنين ابنها أيمن ، وقد عاشت أم أيمن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى مسند الامام احمد الجزء

الثالث ، أن ام أيمن بكت لما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم فقيل لها : مايبكيك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ــ فقالت : انى علمت أن الرسول سيموت، ولكنى أبكى على الوحى الذى رفع عنا ·

أما الذى استشهد فهو ابنها ايمن بن عبيد الخزجى أخ اسامة بن زيد لامه وهو الذى عناه العباس بن عبد المطلب بقوله ·

نصرنا رسول الله فى الدين سبعة   وقد فر من فر عنه فأقشعوا
وثامننا لا قى الحمام بنفسه   بما مسه فى الدين لايتوجع

والسبعة هم العباس ، وعلى ، والفضل بن عباس ، وابو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب ، وأسامة بن زيد ، وأما غيرهم فهما أبو بكر ، وعمر رضى الله عنهم اجمعين ·

وشهداء المسلمين فى حنين أربعة من قريش ثم من بنى هاشم أيمن بن عبيد، ومن بنى أسد بن عبد العزى يزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد جمح به فرس له يقال له الجناح فقتل ·

ومن الانصار سراقة بن الحارث بن عدى من بنى العجلان ، ومن الاشعريين ابو عامر الاشعرى ·

ومما يروى بهذه المناسبة أن أم ايمن كانت مع المسلمين فى غزوة أحد ، ورمى « حبان بن العرقة » بسهم فاصاب ذيل أم ايمن وقد جاءت تسقى الجرحى فانكشف عنها ، فاستغرب فى الضحك ، فشق ذلك على الرسول الكريم فدفع الى سعد بن ابى وقاص سهما لا نصل له ، وقال له : ارم · فوقع السهم فى نحر حبان فوقع مستلقيا وبدت عورته ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استقاد لها معاذ أجاب الله دعوتك وسدد رميتك ولقد ثبت فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم مسرورا تبرق أسارير وجهه ، فقال : الم تر أن مجززا المدلجى نفر آنفا الى زيد بن حارثة واسامة بن زيد وعليهما قطيفة قد غطت رأسيهما ، وبدت اقدامهما ، فقال : ان هذه الاقدام بعضها من بعض فسر الرسول لحبه وابن حبه ولام ايمن وقد توفيت ام ايمن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بخمسة اشهر أو ستة،وشكر الله لكم·

الاسكندرية فى ١١ من ربيع الاول سنة ١٤٠٥

٤ من ديسمبر سنة ١٩٨٤

محمد حسنين كرم

من علماء الازهر

فهرس العدد

◄

قسم الانجليزى

Times are ever changing. According to the Word of Allah, "Such days of varying fortunes we give to men and men by turns". So, there is a time when one is wealthy and another when one is poor and a time for friends to rejoice and another for enemies to look with disdain.

Happy is the man who will abide only by the fear of Allah. For in prosperity, piety will always dignify him while in woe it will fortify him with forbearance. In health it perfects his blessedness, and in the afflictions of illness it eases his distress. Indeed, the ups and downs of life cannot reach him with harm. He is all the same while such worldly concerns are all vain and likely to perish.

Piety is the basis of security. It serves man as a sleepless guard. It takes him by the hand when he is liable to stumble. It guides him lest he might go astray. Once lust which for a long or short while lured man has faded away, he will linger about in his loss.

So, always stick to the fear of Allah, and you will find comfort in narrow circumstances, and ability in spite of illness. Such is the immediate reward of piety. It is needless to remind you of its requital in the hereafter.

Translated from: Sayd Al-Khatir, "Catching flying Inspiration"
By : Imam Ibn-Al-Jawzy..

IT IS FROM PIETY THAT SECURITY FLOWS

By : Sonia Hill

IMAM IBN AL-JAWZY

He is Abul-Faraj Jamal El-Din Ibn Abaidullah Ibn Al-Jawzi Al-Qurashi; whose name Jawzi is related to Jawza. He was born in Baghdad in 508 H. where he died and was burried in Ramadan 597 H. (July 1201 AD).

One of his earliest tutors was Imam Abul-Hassan Al-Dinawary (died 525 H.); other tutors were Al-Barie (died 524 H.), Al-Jawaliqi (died 541 H.) and others.

Imam Al-Jawzi was a narrator of the Prophet's Hadith, theologian, preacher, and author. He was extremely successful, and his works comprised history, Biographies, theology, preaching, and several other works.

"SAYD AL-KHATIR" meaning "Catching flying inspirations" is considered one of his most famous works. In this book, Imam Al-Jawzi collected his most intimate inner thoughts and recorded them before they receded from his mental appreciation.

That book is presented after meticulous revision and classification by the brothers Ali Tantawi, and Naji Tantawi. Some translated extracts of this famous book will be periodically published in the English Section of Al-Azhar Magazine.

7th. Edition, 1977
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition
Dar Al-Maarifa, Beirut.

8. Zaad Almaad
Ibn Qayem Al-Gouziah
Revised by Shoayeb Al-Arnaoot
and Abdel-Quader Al-Arnaoot
Mouassasa Al-Risalah
Beirut, 1981.

REFERENCES:

1. Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah.

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th. Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library, Cairo.

3 Mashahid Min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo Printed 1980.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977 Cairo

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali.

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramdan Albooty

one year from Uhud. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched with thousand and five hundred men to meet Koraysh at Badre, and left Al-Madinah in the ministership of Abdu Allah son of Abdu Allah Ibn Ubaii Ibn Salool. The Muslims reached Badre and waited for Koraysh ready for armed confrontation. Koraysh marched out of Mecca in two thousand men under Abu Sufyan. After two days march, Abu Sufyan called the men to return because the year was barren and not fertile. The army of Koraysh returned to Mecca, the army of Muslims remained at Radre for eight days trading, and then returned to Al-Madinah. This incidence of the second Badre removed all effects of Uhud and certainly promoted the influence and superiority of Muslims, while Koraysh lived in shame of defeat and retreat.

These events bring us to the end of the fourth year after the Hijrah. Till that time, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) employed a Jewish writer to write his letters in Hebrew and Syrynian languages. After the evacuation of Bani Al-Nadhir, the Prophet directed Zaid Ibn Thabet to learn the two languages and to become the writer of his letters.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

regained their superior reputation. However, they were very alert to the surrounding events. The prophet (prayers and peace from Allah upon him) received information that some groups in Ghattafan in Najed were gathering to attack Muslims at Al-Madinah. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched out in four hundred men leaving Al-Madinah under the ministership of Abu Zaar Al-Ghaffary. The Muslim contingent reached a place called "That Al-Riqaa" where tribes of Bani Mohareb and Bani Thalaba gathered. When these tribes saw the Muslims under the leadership of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him), they dispersed leaving behind their women, children and possessions. The Muslims collected the spoils of war and returned to Al-Madinah. On the way, they suspected that the enemy might follow them and therefore protected their rear. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) prayed the prayers of fear. However, the enemy did not follow. Some chroniclers dispute the exact date of this incidence and suggest that it took place after the battle of Al-Ahzab.

At this stage of events, a year had passed since the battle of Uhud. According to the statement declared by Abu Sufyan Ibn Harb at the time of Uhud; both the Muslims and Koraysh were to meet in confrontation at Badre after

O ye with eyes to see.

(Surat Al-Hashr, LIX, 2)

The expulsion of the Jewish clan of Bani Al-Nadhir from the neighbourhood of Al-Madinah was easily and smoothly accomplished. Their reliance on their fortified positions and on their allies proved futile. For the Muslim society, this was a great achievement that strengthened the bonds and served to promote the Muslim influence and authority. Banu Al-Nadhir evacuated under the leadership of Huaii Ibn Al-Akhtab. They dispersed in two groups, one group joined their brethren in Syria, and the other group joined their brethren in Khaibar. Two men from Bani Al-Nadhir became muslims, namely, Yamin Ibn Umair Ibn Kaab, and Abu Saad Ibn Wahb. These two men regained their possessions and their property. According to Quranic revelations, all possessions taken from Banu Al-Nadhir were distributed among the Muslim Muhagereen only. Only two men from the Ansars were include , namely Sahle Ibn Hunaif, and Abu Deganah Samak Abu Kharshah, who were reported poor.

After the evacuation of Bani Al-Nadhir, the Muslims resided at Al-Madinah in temporary peace after having

and fortresses for twenty nights. They received no help from Ibn Salool, and it was futile to achieve a victory over the dominance of the Muslim siege. They realised that arranging a truce with Muslim will be to their advantage in the existing circumstances. They reconciled to evacuate leaving their homes and property of lands and weapons and carrying only their possessions. However, as they evacuated, they purposely destroyed their homes before their final departure. Concerning this event of Bani Al-Nadhir, a Quranic text was revealed which is Surat Al-Hashr (The Gathering).

"It is He who got out the Unbelievers
Among the people of the book from their homes
At the first gathering. Little did ye
Think that they would get out, and
They thought that, their fortresses would
Defend them from Allah.
But the (Wrath) of Allah came to them
From quarters from which they little expected,
And cast terror into their hearts.
So that they destroyed their dwellings
By their own hands and the hands
of the believers. Take warning them,

the place at once and alone without addressing his companions, and returned to Al-Madinah. The companions of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) also left and returned to Al-Madinah where they were informed of the treacherous dishonest display of Bani Al-Nadhir.

Consequent upon this, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) deputised Mohammad Ibn Mussalamah to go to Bani Al-Nadhir and request their immediate evacuation from the territories they occupied since they disrupted the agreement between them and the Muslims, and plotted to kill the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Bani Al-Nadhir knowing the serious intentions of Muslims, started preparing for their departure. However, at this stage, Abdu Allah Ibn Ubaii Ibn Salool sent to Bani Al-Nadhir a message informing them not to evacuate and to remain protected in their fortresses and homes, and that he will assist them with his men against the Muslims. Bani Al-Nadhir cheated by the promises of Ibn Salool, did as he advised them and refused to evacuate as the Muslims had requested.

In response to this act of defiance on the part of Bani Al-Nadhir, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) marched out and besieged them in their homes

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) with the mind and sagacity of a master statesman decided to approach the Jews at Al-Madinah to realise their real true intentions. Bani Al-Nadhir a famous Jewish clan were allies of Bani Amer. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) visited Bani Al-Nadhir at their homes at Qubaa in the outskirts of Al-Madinah in company with a group of companions including Abu-Bakre, Omar Ibn Al-Khattab and Aly Ibn Abi-Taleb. Bani Al-Nadhir were requested to act as intermediates with Bani Amer in consideration of the penalty in money the Muslims had to pay in recompense for the two men from Bani Amer who were killed by mistake by Amre Ibn Ummayah.

Bani Al-Nadhir at first met the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his companions with courtesy, congeniality and readiness to help. Behind this facade of good appearances, they were plotting in deciet and malicious intrigue to kill the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) by throwing a large stone on him as he was sitting by one of the walls of their houses. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) discovered their malignant intentions and Allah revealed to him their scheme of conspiracy in visionary knowledge. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) left

BANI AL-NADHIR and OTHER EVENTS

By: Anas Moustafa El-Naggar MD., Ph

In the name of Allah most Gracious and most Merciful.

Only two men survived the incident of Maoonah, namely, Kaab Ibn Zaid and Amre Ibn Ummayah. On their way back to Al-Madinah separately, Amre Ibn Ummayah Killed two men from Bani Amer thinking by mistake that they belonged to the clan who masacred the Muslim group at the well of Maoonah. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) had offered protectorship to Bani Amer. This necessitated that the Muslims must pay a penalty in money in reward for the two men from Bani Amer who were killed by mistake by Amre Ibn Ummayah. All prevailing circumstances at the time were unfavourable to the Muslims, and their prestige and influence among the neighbouring Arab tribes and the Jewish population at Al-Madinah was certainly lowering and undermined.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
في مطلع
كل شهر عربي

رئيس التحرير
د. علي أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان :
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

شيء من علم النفس

حدثنا أساتذتنا – في علم النفس – فقالوا : ان الانسان يكبت – بطبيعته – الذكريات المخجلة ٠٠ !

أي أنه – تلقائيا – يكره أن تتسرب مواقفه المخجلة من طوايا الماضي ، وخفايا « اللا شعور » لتصعد الى سطح « الوعي » فتذكره بآثامه ، لذا كان أسرع استجابة لكبتها كي تنتهي وتموت ٠٠٠ !

الجزء الخامس
السنة السابعة والخمسون

* جمادى الأولى ١٤٠٥ هجرية *
* فبراير ١٩٨٥ ميلادية *

ولنفس السبب نجد « الانسان » يخفى ــ دائما فى مجتمعه ما عليه من خلق ردىء حتى لا يفتقد احترام المحيطين ٠

ويبدو أن هذا وذاك ــ فى كلتا المحاولتين ــ انسان سوى ، لاسيما اذا كان يمارس « الكبت » و « الاخفاء » استعلاء بالنفس ، وطردا للنقص ، وحبا فى الستر ، وطلبا لعفو الله ــ سبحانه !!

لكن يهول ويصدم أن يكون من البشر من يرى فى « الخطيئة والنقيصة » بكل ألوانهما من خيانة وغدر ــ « حقا » ينبغى أن يمارسه لا « عارا » يجب أن يخفيه ، فهو من « الخجل » فى مناعة ، ومن « المجاملة » على جحود ، فلا عليه أن يتجرد لأقبح الصفات ، ويشمر لها عن ساق ٠

فهذا مواطن شق جيش بلاده ليجعل من جزء منه جدارا حماية لاسرائيل، ، ودرع أمان لها ٠

وعلى الطرف الآخر خائن يستعدى ــ على وطنه ــ مرشحا لرئاسة دولة كبرى ينفث ــ فيه ــ روح العدوان على وطنه ٠

ويشاء الله أن يسقط المرشح فتسقط الخيانة ٠٠
وهكذا يدافع الله عن الذين آمنوا ٠٠

د/ على أحمد الخطيب

مع العقيدة

الـــديـن أولا

عصـــرالالحـــاد

المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام

الدين أولا

لقد أسفت أسفا كبيرا وأنا أقرأ بيانا صادرا عن مدير الامتحانات بوزارة معارف بعض الدول العربية خلاصته ان مادة الدين لن تضاف درجاتها الى قائمة النجاح أو الرسوب فى شهادات الطلاب .

فلماذا لا يكون الدين مادة اساسية ورسمية فى جميع سنوات الدارسة فى العالم العربى والاسلامى اليوم ؟

أليس دراسة الطالب للدين والاعتداد بمادة الدين فى النجاح والرسوب مما يعزز فهم الطالب لدينه ولمبادئه فى نفسه ومما يجعله على صلة دائمة بدينه فى مختلف أطوار حياته ؟

ان المعركة اليوم بيننا وبين الصهيونية لا ينقصها الا شىء واحد هو قوة الدين فى نفوسنا هو قوة الإسلام فى قلوبنا هو عملنا الكامل الجاد فى الالتزام بالدين ومبادئه وروحه التزاما تاما فعالا له أثره وخطره فى حياتنا .

أما مواقف الضعف والتردد حيال الاسلام مما يتراءى امامنا اليوم فى العالم العربى فمواقف لا تقودنا الا الى شىء واحد هو الهزيمة والذلة والهوان مهما بلغت أسلحتنا من القوة والاكتمال .

ان السلاح الوحيد الذى لا ننتصر الا به هو سلاح الإيمان ... سلاح العقيدة ... سلاح الاسلام الذى جربناه فى الماضى فى حروبنا مع الامبراطوريتين الفارسية والرومانية ، وفى حروبنا مع الصليبيين والتتار ، وفى حروبنا مع الاستعمار ، وفى كل موقف وانتصرنا به .

واذا ما عدنا للقوة وأردناها فلنكن على ثقة تامة من أنه اذا فقدنا سلاح الإيمان فقد فقدنا كل شىء وضاع بين أيدينا النصر الذى نتمناه وسقطنا فى هوة الخزى والعار والذلة والهزيمة واذا ما سرنا الى المعركة ونحن قد صبغنا حياتنا وبلادنا ونفوسنا بصبغة الاسلام الكاملة فقد ملكنا كل أسباب النصر .

ان كل حرب للاسلام فى عالمنا الاسلامى وكل انصراف منا عنه هو مقدمة لهزيمة جديدة ... وكل حركة وحياة مع الإسلام وبالاسلام هى مقدمة لنصر جديد وفتح جديد .

واذا كنا مع الله كان الله معنا وعلينا أن نثق أبدا ودائما بقول الله عز وجل وهو مدار الحكمة الخالدة والحقيقة الازلية :

« وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ » .

* * *

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

لقد كان منظر الرجل القادم الى زيارتى فى عام ١٩٤٨ اثناء حرب فلسطين — من قرية قاصية من قرى مصر ، منظرا عجيبا لازلت أذكره ، رجل حطمته السنون سعى الى وهو يحمل على ظهره أوزارها وقال لى وهو يبكى : ان ابنى الوحيد الذى يعولنى ويعول أمه قد تطوع مع المتطوعين للحرب ؟

فطمأنته وقلت له : وماذا وراء ذلك الا النصر أو الشهادة فى سبيل الله ؟ فرد على يقول : اننا لا نملك قوت يومنا وهو الذى يسعى على معاشنا وقلت له : وماذا تريد ؟ قال : أريد ابنى لتستمر حياتنا ومعاشنا وقلت : له وأين هو ؟

قال لى : فى مخيم للمتطوعين سوف يسافر فجر الغد الى أرض فلسطين .

فقلت له : هيا بنا وسرنا فى الطريق انا وهو وفى الطريق قلت للرجل الكهل ألم تذهب الى ابنك وتخبره بحالكم لعله يقدر الامر تقديرا على أساس واقع حياتكم ؟

قال : قد فعلت ولكنه آبى الاستماع الى ووقفنا أمام المسئول الأول حيث شرحت له حالة الرجل .

فقال : انى لا أملك من الامر شيئا القرار الاخير كله بيد المتطوع ابن هذا الكهل . وان شئتم فقابلوه واقنعوه فاما أن يسافر مع المتطوعين واما أن يخرج مع والده الى قريته .

وذهبنا الى الابن المجاهد البطل وشرحنا له حالة الاب وطلبنا منه العدول عن السفر فأشرق وجهه بنور الامل والايمان وقال فى نشوة عجيبة .

أبى معه الله .

ولماذا أحرم من لذة الشهادة فى سبيل الله .

* * *

وهذا الطراز من المجاهدين المؤمنين هو الذى نريده لمعركتنا اليوم مع الصهيونية الماكرة الخبيثة التى تحاربنا بكل سلاح وتقف ضدنا فى كل معترك .

لقدتعجب السير « توماس أرنولد » فى كتابه « انتشار الاسلام » لرعاية المسلمين للكنيسة المسيحية التى قويت وتقدمت فى ظلال ملوك المسلمين وحكمهم . حيث تمتعت جميع المذاهب المسيحية بالرعاية والتسامح من الحكام المسلمين على حد سواء بل كان هؤلاء الحكام يحولون دون اضطهاد بعض المسيحيين لبعض ويكفلون الحرية الدينية للجميع ، حتى ان المعتصم بن الرشيد فى خلافته ولى أخوين مسيحيين منصب الوزارة ومنها بيت مال المسلمين وهما ابراهيم وسلماوه ولما مرض ابراهيم عاده الخليفة فى بيته فلما مات حزن عليه وأمر بجثته فجىء بها الى القصر ، وجرت المراسم المعتادة والصلوات

الدين أولا

عليها فى قصر الخلافة الذى شيعت منه الجنازة .

ويقول : لقد كان التعب وافدا دائما لبلاد الشرق من أوروبا ، ولم يكن الأمر بالعكس فى يوم من الايام لان الاسلام علم المسلم الرحمة والتسامح والحب والانسانية .

ويذكر توماس : فرح النصارى فى الشرق بالتحرر من حكم الصليبيين كما فرحوا بالأمس بالتحرر على يد المسلمين من حكم الرومان .

وقد بلغتنا رسالة للبطريق بوساب الثالث اليعقوبى بعث بها من خراسان فى العصر الاموى الى زميل له وجاء فيها .

اما « العرب الذين آتاهم الله ملك الدنيا فلم يطعنوا فى ديننا ، ولا اعتدوا على بيعنا بل بالعكس أكرموا رهباننا وقساوستنا واحترموا أولياءنا وأحسنوا الهبات الى معابدنا . ولم يؤثر فى أيام الفتح العربى أن قام العرب الفاتحون بأية محاولة لاكراه غيرهم فى الدخول فى الاسلام أو لاضطهادهم وظلمهم حتى يغيروا عقيدتهم » .

ويروى بعض المستشرقين الاوربيين أن الكثير من المسيحيين بعد سقوط غرناطة حزنوا حزنا شديدا وهاجروا فى جموع الفارين المسلمين من السيف والنار ودخلوا فى الإسلام .

وهذه « أكاديمية » العلوم الجنائية فى روما تنوه بالحكم الفقهى الإسلامى الذى ينص على أنه اذا قتل قتيل ولم يعرف قاتله حكم بديته على بيت المال أو على أهل المحلة أو المنطقة التى وجدت فيها جثته بعد أن يستحلف خمسون من أهل الحى الذى وجد فيه القتيل بأنه ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا .

د. محمد عبد المنعم خفاجى

عصر الإلحاد

خلفيته التاريخية وبداية نهايته

تأليف: محمد تقى الأمينى الندوى
ترجمة: دكتور مقتدى حسن
عرض وتعليق: أ. د. طه مصطفى أبوكريشه

— ١ —

عصر الالحاد: خلفيته التاريخية عنوان الكتاب الذى ألفه محمد تقى الأمينى الندوى، رئيس الشئون الاسلامية بجامعة عليكرة بالهند، وقد نقله الى اللغة العربية الدكتور مقتدى حسن وكيل الجامعة السلفية بالهند.

والكتاب بعد المقدمة قائم على تمهيد وأربعة فصول، جاءت عناوينها على النحو التالى:

نتائج الدين المزيف على الحضارة الانسانية فى ضوء القرآن الكريم — الدين قبل النشأة الثانية للدين — حركة الاصلاح الدينى — العصر الحديث وأحواله الخاصة — بعض نظريات عصر الالحاد.

والكاتب — كما ذكر مقدم الكتاب — الى جانب تخصصه فى الشئون الاسلامية، ملم بتيارات الفكر الحديث، ولديه قدرة على استيعابها والحوار معها، وتفنيد ما يستحق التفنيد منها، وكذلك فهو من الذين يسلكون فى تناول القضايا الدينية والفكرية منهج المفكر الاسلامى الهندى أبى الحسن الندوى.

وهو المنهج الذى يتزود فى مقدمة ما يتزود به بالاسلحة الفكرية التى لابد منها للزود عن الاسلام فى هذا العصر الحديث..

والهدف من الكتاب — كما ذكر مؤلفه فى مقدمته — عرض تاريخ عصر الالحاد فى أوربا، مع توضيح الدوافع الكامنة وراءه، والاسباب التى أدت اليه،. وأما اقتصار الدراسة على أوربا، فلأنها المنطلق الذى انطلقت منه النظريات اللادينية على نحو أكثر، قبل أن تظهر الدعوة اليها فى أى مكان آخر..

— ٢ —

** فى تمهيد الكتاب يتناول المؤلف « نتائج الدين المزيف على الحضارة

٥ عصر الالحاد

الانسانية فى ضوء القرآن الكريم » . ويقصد بالدين المزيف ، كل تحريف يقع فيه البشر بعيدا عن الدين الحق .

وعندما يقع التحريف يبدأ التناقص فى تلك الميزات ، التى تمنح لمن يلتزم بالمنهج السوى المستقيم للدين .

ومن خلال الآيات القرآنية يقدم المؤلف مجموعة من الآثار السلبية التى تحدث نتيجة هذا التحريف .

فالحياة فى ظل الانحراف عن الدين تفقد النظام والالتفاف حول مبدأ واحد ، وتتلاشى أخلاق الطاعة ، يقول الله تعالى « **وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ** » النور ٤٨ .

والمنحرفون لا يتورعون عن الظن بالله ظنونا لا تليق بجلاله ومن ثم يزيدهم الله ضلالا فوق ضلال « **يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ** » آل عمران ١٥٤ .

« **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ** » ابراهيم ٢٧ .

ومع شيوع الانحراف يشيع النفاق ، ويختلف ظاهر الناس عن باطنهم ، وتتباعد المسافات بين الأقوال والاعمال فلا يلتقيان .

« **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** »

والى جانب ذلك فان المنحرفين تستعبدهم المصالح الشخصية ، والاهداف الخاصة ، ويسعون الى تحقيقها من كل طريق ، لا فرق بين مباح وممنوع . ولا ضير — حينئذ — أن تضيع مصلحة الجماعة ، أو ينزل بها ما ينزل من كوارث ، ماداموا هم فى مأمن من وصول الكارثة أو الضرر اليهم « **إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ، وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ** » التوبة ٥٠ .

وأمثال هؤلاء اذا أدوا — فى ظاهرهم — شعيرة من الشعائر أو عبادة من العبادات ، فانهم يؤدونها فى فتور قلبى ، وتراخ جسدى ، وانطفاء روحى « **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** » النساء ١٤٢ .

والسبب فى ذلك خشيتهم للناس أشد من خشيتهم لله .

ويتابع المؤلف ذكر هذه الآثار السلبية فى ضوء الاستشهاد بالآيات القرآنية ، حتى يصل بها الى خمسين أثرا وواضح من جملة ما استشهد به من آيات ، وما ذكره من آثار ، أن الانحراف عن الدين ، تتضح علاماته فى شخصية المنافق ، أو فى شخصية الذين اتخذوا لهم دينا غير دين الاسلام ، وكلتا الشخصيتين كان للاسلام معها موقف صوره القرآن

الكريم ، وهو تصوير يحدد أبعاد تلك الشخصيات تمام التحديد • ومن اعجاز القرآن الكريم أن تصويره لا يتخلف عن هذه النماذج التى تحدث عنها ، مع تقدم الزمان بعد نزوله والى اليوم ، وتلك آية ماثلة من آيات اعجازه ، تزيد أهل اليقين يقينا ، وتقدم للمتشككين برهانا يبدد من أمام أعينهم ضباب الشك لو كانوا يبصرون !!

وفيما يتلو التمهيد من فصول ، يذكر المؤلف أنه سوف يقدم فيها شهادات تاريخية ، تتضح بها هذه الآثار المذكورة ، حتى تتبين حالة الدين الاصلى عندما يتطرق اليه الانحراف ، وكيف أنه يضر بالبشرية ضررا بالغا ، به يتحول الناس من طريق الهدى الى طريق الضلال •

ـ ٣ ـ

**** أما الفصل الاول فعنوانه :**

الدين قبل النشأة الثانية

ويعنى بالنشأة الثانية ما حدث فى أوربا ، فيما يتصل بأولئك الذين تمردوا على الكنيسة وجرءوا على تحريف النصوص ، وأقحموا العقل البشرى فى مجال اخضاع الدين لرغباته •

ومن خلال أقوال المؤرخين الأوربيين الذين كتبوا عن تاريخ أوربا يقتبس المؤلف كثيرا من هذه الأقوال ، التى صوروا بها المجتمع فى ظل الانحراف عن تعاليم الدين قبل هذه النشأة الثانية •

ومما أصبح سمة على شيوع الانحراف ، أن الاتجاه نحو الترف أصبح سائدا ، وهو ترف أدى الى الفساد والانحلال ، حتى فى تلك المدن التى يكثر فيها عدد الزهاد والرهبان •

وكذلك فان الدين أصبح عند القائمين عليه وسيلة لطلب الدنيا واشباع نزعات الفساد ، مع شيوع الفرقة والتحزب وتحكيم الهوى ، داخل صفوف هؤلاء ، حول كثير من الأمور التى تبدو يسيرة هينة •

وفى ظل هذا الانحراف حورب العلم ، وطرد العلماء ، ولعنوا من قبل رجال الدين وتعرضوا مع ذلك لأقسى انواع الاهانة والتعذيب •

وهكذا بدا أن الدين ذاته يقف حجر عثرة أمام كل تقدم علمى أو بحث فى العلم ، ومن ثم بدا تبعا لذلك أن طريق الحضارة والتقدم مرهون بالتحرر من قيود الدين •

وفوق ذلك فان أولئك الذين انحرفوا بدينهم هادنوا الفساد البشرى والاجتماعى ، وأيدوا الظلم والخلل الاقتصادى مما جعل أوربا تظهر فى العصور الوسطى فى صورة تدعو الى النفور والاشمئزاز وتنادى من يراها بضرورة الخلاص منها •

ـ ٤ ـ

وفى الفصل الثانى يتحدث المؤلف عن « حركة الاصلاح الدينى فى أوروبا » وصلة ذلك بالاسلام • ويذكر أن هذه الحركة بدأت هناك خلال القرن الرابع عشر الميلادى •• وامتدت حتى القرن السادس عشر •

وينقل ما ذكره الباحثون فى تاريخ حركة الاصلاح ، من أن الفضل فى نشأة هذه الحركة يرجع الى تعاليم الاسلام والى

المسلمين الى حد كبير ، حيث استفادت أوروبا كثيرا من الحروب الصليبية ومن مراكز الاندلس العلمية .

ومما استشهد به على ذلك ماذكره (جان ديون يورث) فيما يتصل بالنهضة العلمية فى أوروبا « ان علوم الطبيعة والنجوم والفلسفة والرياضيات التى انتشرت فى أوروبا منذ القرن الرابع عشر كانت قد اقتبست من المدارس العربية ، ومن هنا تكون الاندلس هى المؤسسة للفلسفة الأوروبية » (٣٥) .

ولذلك فان زوال الحضارة الاسلامية فى الأندلس كان خسارة فادحة للحضارة الانسانية بصفة عامة ، وهى خسارة عبر عنها المؤرخون المنصفون ، الذين عرضوا لبيان أثر المسلمين وفضلهم على الحضارة الأوربية ، وقد نقل المؤلف عن المؤرخ (ا • ج جرانت) قوله :

« ليس هناك حادث فى تاريخ أوربا كلها أكثر ايلاما من زوال حضارة المسلمين فى الاندلس ، فانهم أضافوا كثيرا الى حضارة أوربا • ولو لم ينته ملكهم فى أسبانيا لأضافوا اضافات كثيرة أخرى » (٣٦) .

ومن غير شك فان هذه النهضة العلمية كان لها أثر فى احياء العلوم والفنون القديمة المهجورة ، وكان لها كذلك نفس الأثر فى ظهور العناية باصلاح الدين .

ومن زعماء حركة الاصلاح الدينى ، الذين كان لهم دور بارز فى نقد الاتجاهات الدينية فى عصرهم « جان كالفن وايراسمس ، ومارتن لوثر » الذى حاول الاصلاح أكثر من غيره ونسبت اليه الحركة الاصلاحية بصفة عامة .

والمعروف أن هذه الحركة الاصلاحية لقيت مقاومة شديدة ومعارضة كبرى من القائمين على شئون الدين ، وأبرز صورة تمثلت فيها هذه المقاومة ما يعرف بمحاكم التفتيش ، التى تعرض فيها القائمون بالاصلاح لأنواع كثيرة وقاسية من التعذيب ، وقد أغلقت هذه المحاكم سبل الاصلاح الدينى والتقدم العلمى والحضارة الى حد كبير خلال عدة سنوات ، وكذلك قتلت ألوفا من دعاة الاصلاح والتقدم الى جانب من طردتهم من الانتساب الى حوزة دينهم .

وعلى الرغم من ذلك فقد ظهر لهذه الحركة الاصلاحية آثار عميقة وطويلة المدى ، اذ سجل الباحثون أن أساس جميع الحركات التقدمية فى أوربا قائم على التصحيح الذى جرى فى نطاق الدين .

وتبدو هذه الاثار فى توسيع نطاق الفكر ، واذكاء عاطفة الشغف العلمى فى القلوب ، وان كان ذلك اتجه اتجاهاً دنيويا ـ مع شمول الدراسة والبحث لكل ما يتصل بالنفس الانسانية ، بعد أن كان ذلك محصورا فى العلوم الدينية . هذا الى جانب أنه فى ظل حركة الاصلاح بدأت الرحلات البحرية وحركة الكشوف الجغرافية .

ـ ٥ ـ

** وفى الفصل الثالث يتحدث المؤلف عن « العصر الحديث وأحواله الخاصة » ويذكر

أن هذا العصر يمتد من القرن السابع عشر الى القرن التاسع عشر الميلادى ، ويرى أن حركة الاصلاح الدينى قد أثمرت فى هذا العصر الى حد كبير ، بينما انتظمت الناس حياة جديدة تعارض الحياة القديمة الى حد بعيد .

ويسوق المؤلف فى هذا الفصل بعض نظريات العصر الحديث التى تطورت فى صورة فلسفة للحياة ، بحيث تبدو مؤثرة فى نواحى العلم والعمل .

والظاهرة اللافتة للنظر فى هذه النظريات هى سيطرة الاتجاهات اللادينية عليها سيطرة كبيرة ، وبصورة معلنة أو خفية .

ومن هذه النظريات والمذاهب :

نظرية القومية .

ونظريـة المذهب الطبيعى أو الحضـارة المادية .

أما نظرية القومية فانها تنسب الى (ماكيا فيلى) مع أنه ليس موجدها فى حقيقة الأمر ، وانما هو الذى عرضها فى العصر الحديث بأسلوب جديد ، وبعد أن تم استيرادها مع العلوم والفنون الأخرى من روما .

وتقوم هذه النظرية على أن الدولة القومية هى أعلى كيان فى الكون وهى الهدف الأصلى للانسان وغايته المنشودة ، ولا حاجة فى هذه الدولة الى الدين أو الاخلاق أو القانون ، بل يكفى الالتزام بالمنهج السياسى فحسب .

وينقل المؤلف عن ماكيا فيلى قولـه « ينبغى للرئيس أن يعمل فى أكثر الأحيان خلافا للاتفاقيات ، ولمبادىء حسن النية وللانسانية ولقواعد الدين مادام ذلك يهدف الى الحفاظ على الدولة وبقائها » (٥٦) .

وقد أبان المؤلف ما فى هذه النظرية من (سطحية) حيث لا ينكر عاقل أن للأخلاق والسلوك آثارا وخواص مثل العوامل الأخرى الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

وهى سطحية أدت الى تكوين البيئات التى ينمو فيها الكذب والمكر والخداع والظلم والخيانة وغيرها من الأمراض الاجتماعية .

وكذلك فانها ساندت الاتجاه المعادى للقيم التى تنهض بها الانسانية . وليس ذلك مقصوراً على داخل مثل هذه الدولة القومية بل ان هذا الاتجاه يتعداها الى غيرها من الدول ، حيث تتعرض الأمم الأخرى بدون هواده أو رحمة للمعاملة الوحشية القاسية (٦٠) .

وقد أدى انتشار النظرية الغائية لميكيا فيلى فى العصر الحديث الى احداث تيار سياسى فى الحياة ، اذ بدأ كثير من الناس ينظرون الى كل شىء بهذا المنظار ، وتحول الدين الى آلة يمكن توجيهها ، واشكال لامضمون لها ولا روح فيها ، ومن ثم أصبح الطريق ممهدا أمام « مذهب الطبيعة » .

ومن سمات هذا المذهب الطبيعى الدعوة الى التحرر من جميع العادات والتقاليد ، وعدم الاعتراف بالوحى وما جاء عن طريقه من تقويم للأخلاق والسلوك ، فالانسان فى نظر هؤلاء لا حاجة له فى ذلك ، لأن العقل الذى خلق به يستطيع التمييز بين الخير والشر (٦٥) .

عصر الالحاد

ويعقب المؤلف على هذا الاتجاه الطبيعى المعتمد على العقل مبينا أنه مع عدم جحود دور العقل النافع فى ثبوت الحقائق والاشياء الا أن التجربة والمشاهدة تثبتان لنا أن تدخل العقل فى الدين والحياة محصور فى مدى محدود ، ولا يستطيع العقل خارج النطاق المحدد له أن يتدخل فى شئون الوحى ، والا كان تدخله مضرا • وكذلك فان العقل عاجز فى أكثر أوقات الحياة ، وفى هذه اللحظات العاجزة ينحط العقل الىَ أودية العواطف والشهوات ، وينسى دوره فى التوجيه ، واذا وجد توجيه فانه لا ينفع ولا يؤدى الى نتيجة ، هذا فضلا عن أن أمور الدين الاساسية انما تقع فيما وراء حدود طاقة العقل (٧٨) •

ثم يستطرد المؤلف الى تقديم الشخصيات التى تولت الدعوة الى هذا المذهب الذى يدعو الى تحكيم العقل فحسب ، وينهى هذا الاستعراض بنتيجة من واقع الحياة ، مؤداها أن الشخصيات التى برزت فى العصر الحديث، وحاولت القيام بجهود اصلاحية لم تكن قادرة على أن تنفخ روح الايمان والعقيدةفى القلوب والنفوس بعد أن تغيرت طبيعتها الداخلية وشوهت فطرتها الانسانية ، كما أخفقت هذه القيادات فى أن تقود سفينة الحياة المعرضة للطوفان كى تصل بها الى ساحل النجاة (١١٥)

— ٦ —

** وفى الفصل الرابع يتحدث المؤلف عن « بعض نظريات الالحاد » التى سادت فى العصر التالى للعصر السابق ، وذلك منذ أوائل القرن التاسع عشر تقريبا الى نهاية السياسة الماكرة الخبيثة التى تحيط بانسان اليوم •

ويجمل المؤلف ما ساد هذه النظريات من تفسير الحياة تفسيرا جديدا ، يتجه بالانسان الى أسفل ، ويجعل أصله حيوانيا بدل أن يكون أصلا علويا ، ويحول نقاء الفطرة الانسانية الى ظلمة نظرية الغريزة ، وينحى نظرية العفة والشرف لتحل محلها نظرية الجنس المستهتر (١١٧) •

أما هذه النظريات الالحادية فمنها نظرية « التطور » المنسوبة الى «دارون » • وهى نظرية تقوم على مبدأ أن البقاء للأصلح هو وسيلة لتطور كل شىء ، فعالم النبات والحيوان والانسان يخرج الى عالم الوجود من مرحلة غير متطورة نسبيا ، ويكون التمايز بين الانواع ببقائها ، والبقاء انما يكون للأنواع التى تكون أعضاؤها وقواها ملائمة للبيئة التى وجدت فيها ،ومن أجل ذلك كانت جميع الكائنات مشغولة بالصراع من أجل الحياة وبناء على هذه النظرية فان الانسان صورة متطورة للحيوان أى أن الانسان كان أولا قردا ، ثمَ حصل تطور متدرج انتهى الى صورة الانسان المعروف • وكذلك فان النفس الانسانية صورة متطورة عن نفسية الحيوان !! (١٢٢)•

ولهذه النظرية رأى فى الفطرة والوراثة والبيئة والتربية ، فالفطرة لا توجد لها مكانة مستقلة ، ومحتواها لا يعنى الجوهر العلوى ، وانما يعنى الفاصل المميز بين الانسان

والحيوان نتيجة لعملية التـأثير والتـأثر ، والتطـور التـدريجى للكيفيـات النفسـية الحيوانيـــة ، وفى أعماقهـا تسرى جراثيم الحيوانية والآثار المادية (١٢٦) .

ومن ناحية الوراثة حسب تحليل نظريـــة التطور ، فان روحية الاسلاف لاسبيل لبقائها وتطورها بعد انتقالها ، والذى يبقى فقط انما هو غريزتنا المادية والحيوانية ، وهـذا هـو السر فى أن التجـارب التى تطبق على هـذه النظرية ، انما تتم فى المعـامل على الفئران والقرود وغيرها من الحيوانات (١٢٨) .

وبالنسبة للبيئة ، فان هذه النظرية تجعل الانسان يقف عاجزا منهزما أمامها ، وهى فقط الفاعلة المتصرفة ، ولذلك فان ضـمان البقاء انما يحصل لأولئك الذين توجد فيهم خصائص موافقة البيئة وعوامـل التكيف . والبيئـة المقصودة هنا هى البيئة المادية فحسب ، ذلك لأن النزعة الروحية لايطلبهـا الانسـان ولا يحتاج اليها للبقاء .

أما عن التربية فان هذه النظرية تعمل فى اتجاه مضاد لها ، فاذا كان الهدف من التربية التخلص من الآثار الخاطئة للوراثـة ، مـع تقوية الارادة للتغلب على البيئة ، فان نظرية التطور تشجع بقاء مثل تلك الآثار ، وتعمـل على استمرارها ، هـذا بالاضـافة الى أن العقائد والاخلاق تصبح بلا طائل فى ظـل توجيه هذه النظرية بينما يتم تشجيع الأعمال والأفكار التى تنمى القوة البهيمية (١٣٠) .

ومن النظريات الالحاديةنظرية « الغريزة » المنسـوبة الى عـالم النفس الفـرنسى « ميكدوجـل » . وترى هـذه النظريـة أن الجبلات التى تعمل فى فطرة الانسان هى التى توجد فى الحيوانات ، وأن منبع جميع أعمال الانسان وحركاته هى غرائزه . والميل الجبلى لاينفصل عن الانسان لحظة ما ، ولو حـدث ذلك فان جسم الانسان لن يبقى صالحا لفعل ما ، ويصبح مثل محرك قطع عنه تيـــار الكهرباء .

وهذه النظرية قائمة أيضا على أساس أن الانسان صورة متطورة للحيوان ، وعلى هـذا فمـن الواجب تحقيق المماثلـة بين غريزتى الانسان والحيوان ، وهى مماثلة ينتج عنهـا عدم وجود العواطف الخلقية فى الانسان مثل الحيوان ، وعدم وجود الدين فى أصول الفطرة الانسانية ، ومن ثم فهى تنظر اليه على أنـه وليد عواطف عـديدة ، وأنـه مـن اختراع الانسان .

ويوضح المؤلف مدى تهافت هذه النظريـة الالحادية ، حـين تنكر ميزة الانسـان على الحيوان فى هـذا الكون ، وحين تنكر قـدرة الانسان على مقاومة غرائزه ، وحين لا تسلم بوجود حياة روحية لها تجاربها ومشاهداتها ، وهى غير الحياة المادية . وكذلك حين تهمـل دور الفطرة السليمة الصالحة ، التى بدونها لن يكون هناك فرق بين حياة الانسان وأعمال الحيوان (١٤٩) .

ومن تلك النظريات الملحدة نظرية «الجنس» التى دعا اليها « فرويد » الطبيب اليهودى النمساوى . وهى نظرية تقوم على أساس أن كل عمل جميل مثل علاقات الزمالة والصداقة ،

وحب العلم أو الصناعة يدخل ضمن اللذة الجنسية .

وليس للدين والاخلاق والعلم والفن مكانة فى هذه النظرية ، فالدين تعويض عن الأبوين عندما يكبر الطفل ، والاخلاق عرقلة مصطنعة خلقها المجتمع ، حتى لا تضره أهواء الانسان بعد انفلاتها من القيود ، ونشاط الانسان فى العلم والفن والفلسفة وسيلة لتهدئة غرائزه التى تركها دون اشباع (١٥٨) .

ويذكر المؤلف أن هذه النظرية لم تنتشر فى عصرالالحاد بسبب أنها قد لاءمت فطرة الانسان ، وانما يرجع سبب ذيوعها الى أن سبل التحلل فيها كانت أوسع ، وأنها قد أعطت فرصة كبيرة لتحقيق الفوضى الحيوانية والتحرر الغرائزى (١٦٤) .

وآخر هذه النظريات الالحادية نظرية « الاشتراكية الماركسية » المنسوبة الى « كارل ماركس » وهذه النظرية تقوم على الفلسفة المادية وهى فلسفة تحارب الدين ، وتقف ضد جميع ماوراء الطبيعة ، فتنكر وجوده ، وترى أنه من وضع الانسان الذى يتبع الاحوال الاقتصادية .

وقد أفادت هذه النظرية من كل النظريات السابقة ، ففيها آثار من (نظرية التطور) و (نظرية الغريزة) و (نظرية الجنس) ، ذلك حين وجدت من مبدأ التطور الطبيعى سندا يدعم الدعوة الى قانون التطور الاجتماعى ، وكذلك حين وجدت فى نظريتى الغريزة والجنس ما يقوى دعوتها الى أن أصل الحياة كامن فى الحالة الاقتصادية والحاجات الحيوانية للانسان (١٧٤) .

ثم يأتى تعقيب المؤلف فى ختام هذا الفصل تحت عنوان « نهاية عصر الالحاد والطريق الى الدين الحقيقى » وفيه يذكر أن الزعماء الاشتراكيين لم يعرفوا الدين الحقيقى ، بل كان أمامهم نوعان من الدين السائد : الدين اللاهوتى الانعزالى الذى يدعو الى الفرار من صراع الحياة ، والدين السياسى الذى يستخدم الدين أداة للسياسة ، وتتغلب فيه مصلحة الانسان على الدين ، وكل من هذين شجع دائما على الصراع الطبقى ، أما الدين الحقيقى فانه يقوم على العدالة ، ومقياس الشرف والكرامة عنده هو الأخلاق المستقيمة والعمل الصالح لا الجاه والثروة ... وهذا الدين الحقيقى يؤكد ناحية المسئولية ويربط بها الحقوق ... والاسلام وحده هو هذا الدين ... وواجب المفكرين فى هذه الحالة هو أن يفكروا فى احياء الدين الحقيقى ، وأن يدعوا العالم التائه الى العدل والاتزان اللذين لا يتحققان الا فى الدين الحقيقى الوحيد ... دين الاسلام (١٧٨) .

— ٧ —

*** * وبعد** : فان هذا التعقيب الذى ختم به المؤلفدراسته ، هو النتيجة التى يصل اليها أى باحث منصف فى تاريخ الفكر الانسانى قديمه وحديثه . وهى تؤكد لنا :

أن ذلك الالحاد الذى وجد وتعدد وساد

فى أوربا ، لم يكن الحادا يواجه دينا صحيحا يلائم فطرة الانسان ، وانما هو الحاد أشبه بالتمرد على أوضاع قائمة ضد الفطرة) ، وان لم يتجه التمرد اتجاها آخر سليما • ذلك لأنه فى غمرة تمرده فقد القائد والهادى والمصلح الذى يقوده على هدى من وحى الله، فتخبط فى ظلمات استقلال العقل البشرى ، حين يكابر ويزين لـه غروره أنـه يستطيع الوصول الى شىء ينجيه !!

ونظريات الالحاد هذه هى فى الحق شهادات للاسلام ومن آياته التى تؤكد أنه الدين الحق، ذلك لأن هذه النظريات لم تنبت نظرية واحدة منها فى أرض اسلامية خالصة ومعنى هذا أن الاسلام بمنهجه الصحيح ، يعمل لصالح الانسان ، وأنه يزكيه ويعلو به فى سماوات التكريم الالهى ، وأنه قادر على اماتة أجنة المروق قبل أن تطل برأسها فوق سطح أرضه ، ومن ثم فانه ليس من المتصور أن تولد مثل هذه النظريات على أرضه وبين ابنائه ، وهى تبعا لذلك لا يمكن أن يدعو لها داع الا أن يكون بتوجيه من خارج ، وراء الحدود يخطط له ويغريه •

وعلى هذا فان بقاء أرض الاسلام فى حصانة ضد اثبات هذه النظريات هو شهادة صدق ، ودلالة حق ، أمام أولئك الشاردين الذين يتخبطون فى دياجير الضلال ، باحثين عن ومضة اشعاع ، بها يهتدون الى مخرج من ذلك الظلام •

وكذلك فانه يؤكد لأولئك الذين يعيشون بيننا ، ويعبدون الله على حرف — ان كانوا يعبدونه — ويريدون أن يكونوا أذيالا لسادتهم الناعقين من وراء ثغور الاسلام — يؤكد لهم أنهم على وهم ، وأن على عيونهم غشاوة ، حين يولون ظهورهم لما علموا من دينهم ، محاولين أن يهدموه بمعاول النظريات المستوردة ، وهم يظنون أنهم أعلى صوتا من وحى ، وأهدى سبيلا من رسالة جاءت لتخرج الناس من الظلمات الى النور •

ان هؤلاء فى حاجة الى من يردد على أسماعهم قول الله تعالى :

« يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » التوبة ٣٢ فلعلهم يعودون من منتصف الطريق قبل أن يبلغوا الطرف الآخر البعيد !!

ا • د طه مصطفى أبو كريشة

المسيح عيسى بن مريم

عليه السلام

من أولى العزم من الرسل

هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته بعثه الى شعب بنى اسرائيل زمن الطبائعية الحكماء وايده بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون الى سرها وهى ابراء الأكمه والأبرص والأعمى واخراج الموتى كما كان يصور لهم من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا ، وكل ذلك باذن الله ، وكان يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم .

ولقد كان عليه السلام آخر أنبياء بنى اسرائيل بلغ قومه رسالة ربه فحذرهم من الشرك وأنذرهم مغبة عصيانهم لله وأخبرهم بأن النبوة قد انقطعت عنهم وبشرهم باقتراب بعثة النبى الأمى العربى محمد ﷺ خاتم الانبياء والمرسلين على الاطلاق الى الناس كافة والى البشر جميعا فآمنت بالمسيح طائفة من بنى اسرائيل ورفضته ورفضت دعوته باقى طوائفهم ، ولم تكتف بذلك بل أرادت التخلص منه وقتله فوشوا به الى حاكمهم وزعموا انه خرج على شريعة موسى وطعن فى أحكامها بما قرره من خروج النبى الخاتم من ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وليس من ذرية اسرائيل بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ولما تم لهم تواطؤهم ودبروا للقبض عليه حصروه فى دار من دور بيت المقدس وعند دخولهم عليه القى الله شبهه على أحد تلاميذه ولم يكن مخلصا له (ويقال انه هو الذى باح لهم بأخباره وتحركاته) فأمسكوه وأخذوه ظانين أنه هو المسيح رغم صياحه وصراخه بأنه ليس المسيح ووضعوا الشوك على رأسه وبصقوا عليه وضربوه على رأسه اهانة له وتحقيرا من شأنه وقتلوه ثم صلبوه ، أما المسيح عليه السلام فقد رفعه الله الى موضع تولى فيه حفظه وحمايته حتى لا يجرى فيه حكم أعدائه ، قال تعالى ناعيا على الكافرين المسيح من بنى اسرائيل وغيرهم ما زعموه فيه من قتل وصلب ومبرئا له من تلك الوصمة

« وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ

يقيناً »

هذا الشك الذى سجله عليهم القرآن الكريم واضح بجلاء فى نصوص أناجيل النصارى المتداولة بينهم اذ كانوا فى حيرة وتردد وليس الى الجزم بأن من قبضوا عليه وقتلوه وصلبوه هو المسيح اذ جاء بها أن المسيح عليه السلام أخبر تلاميذه وحوارييه أنهم سيشكون فيه فى تلك الليلة التى تآمر فيها أعداؤه للقبض عليه وهذا فى قوله « كلكم تشكون فى فى هذه الليلة » .

شهادة بعض علماء النصرانية على عدم الصلب والقتل للمسيح

أولا : يقول المسيو ادوارد سيوس أحد أعضاء الانسبتورى فرانيس فى باريس فى كتابه « عقيدة المسلمين فى بعض المسائل النصرانية » ان القرآن ينفى قتل المسيح وصلبه وأنه القى شبهه على غيره فغلط اليهود وظنوا أنهم قتلوه ، وما ذكره القرآن كان موجودا عند طوائف بنى النصرانية .

١ ــ منهم الباسبليديون كانوا يعتقدون أن المسيح وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى شبهه على سيمون السبرتاى تماما واختفى هو ليضحك على مضطهديه اليهود ، وقد عثر على فصل من كتب الحوارين فاذا كلامه نفس كلام الباسيلبديين .

٢ ــ ومنهم السبرنتيون فانهم قرروا أن أحد الحواريين هو الذى صلب بدلا من المسيح .

ثانيا : ويقول باسيليوس الباسبليدى ان الشعوب الشرقية كانت ترفض قبول مسألة الصلب والقتل على المسيح فى ذلك الوقت .

ثالثا : ورد فى تاريخ موسهيم الشهير الذى يدرس فى مدارس اللاهوت الانجيلية أن كثيرا من فرق النصارى القديمة كانت ترفض حصول الصلب رفضا كليا لأن البعض منهم كان يعده اهانة لشرف المسيح ونقصا يلحقه ، والبعض الآخر كان يرفضه استنادا على الادلة التاريخية ، وهؤلاء المنكرون للصلب طوائف كثيرة لا يسلمون بأن المسيح سمر ومات على صليب ومن هذه الطوائف .

١ ــ الساطرينوسيون
٢ ــ والكاربوكرانيون
٣ ــ والمركبرنيون
٤ ــ والبارديسانيون
٥ ــ والثانيانسيون
٦ ــ والمانيسيون
٧ ــ والبارسكاليونيون
٨ ــ والبوليسيون
٩ ــ الدوسيتيه
١٠ ــ المرسيونيه
١١ ــ الفلنطانيائية

وقد تبعثرت تلك الطوائف وانكمشت اثر اعتناق الدولة الرومانية الملة النصرانية وتبنيها لعقيدة الثالوث فى الربع الاول من القرن الرابع الميلادى حتى انتهى الأمر بتلك الطوائف الى الانقراض كلية ولا أثر لها فى زماننا المعاصر .

المنفكون عن دين القيمة

قال الله تعالى « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) الى آخر سورة البينة .

مقدمة

تآمر اليهود فى (ايلياء) على الرومان وأثاروا الفتن فى ربوع القدس ، فنكل الرومان بهم غير مرة ، وشردوهم فى آفاق الأرض ، وحرقوا هيكلهم بعد أن هدموه ، فذهب منهم طوائف الى (يثرب) وتفرقوا حولها ، ومنهم بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع .

وقد حملهم على الهجرة اليها ، ما كانوا يجدونه فى كتبهم من أن نبيا من بنى اخوتهم سيهاجر اليها ، وستكون المدينة (يثرب) منطلق دعوته الى المشارق والمغارب ، فرأوا أن يسكنوا هناك أملا فى أن يلوذوا به ويؤمنوا برسالته ، ليعيد لهم فى (ايلياء) مجد اسرائيل الدارس .

ولما حدث سيل العرم فى اقليم سبا باليمن الشمالية ، شرد أهل هذا الاقليم ، فاتجه منهم الى يثرب قبيلتان هما : الأوس والخزرج ، وكلتاهما تسمى باسم أصلها ، فهما ينتميان الى جديهما « الأوس والخزرج » وكانا أخوين وقد اشتهرت القبيلتان بأبناء (قيلة) وهى الجدة العليا لهما .

ولما سكنوا المدينة (يثرب) بجوار اليهود من حولها ، امتلأت صدور اليهود حقدا على هؤلاء الذين نزحوا اليهم ، ولكنهم ــ كعادتهم ــ صانعوهم واستغلوهم وحاولوا أن يهبطوا بهم الى حضيض الفقر والعوز ، ليظلوا فى حاجة اليهم ، فلا يرفعوا رءوسهم مساوين أو مستعلين عليهم .

وبرع اليهود فى معاملاتهم المالية مع من حولهم ، حتى كونوا ثروات ضخمة ، وأنشأوا حولهم حصونا وقلاعا تقيهم غضب الضحايا وثورتهم ضدهم ولو بعد حين .

ولقد عز على الاوس والخزرج أن يصنع هؤلاء العبريون المطرودون ، ما صنعوه

لفضيلة الشيخ
مصطفى محمد الحديدى الطير

بالعرب من الربا أضعافا مضاعفة ، وأن يستنزفوا ثرواتهم ويستعلوا عليهم بالمال ، ويثبتوا أقدامهم بين العرب ، وأن يكونوا فى مجتمعهم أشواكا فى أجسادهم ، وأوراما خبيثة فى بيئتهم ، فكان بينهم وبين هؤلاء اليهود حروب متتابعة — لهم أو عليهم — وكانوا حين يغلبهم العرب ، يستفتحون عليهم بالنبى العربى الذى يجدون نعته فى كتبهم :

حدث عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا : انما دعانا الى الاسلام — مع رحمة الله تعالى — ماكنا نسمع من أحبار يهود ، كنا أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا ، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا : قد تقارب زمان نبى يبعث الآن ، نقتلكم معه قتل عاد وارم ، فكثيرا ماكنا نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله محمدا أجبنا حين دعانا الى الله ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه ، فآمنا به وكفروا) .

وانما قالوا لهم : نقتلكم معه قتل عاد وارم ، لان من صفته ﷺ فى كتبهم ، أن هذا النبى يستأصل المشركين بالقوة ، ولم يكونوا يظنون أن الحسد والبغى سيتمكنان من أنفسهم ، فينبذون الدين القيم ، فيحق عليهم العذاب فى الدنيا والآخرة :

تفسير السورة :

يقول الحق تبارك وتعالى « **لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣)** »

والمراد بأهل الكتاب هنا — كما قال ابن عباس — يهود المدينة ، ويقول غيره : المراد بهم جميع اليهود والنصارى ، لأنهم جميعا كانوا يرون نعته فى كتبهم ، ويدل على ذلك ما حكاه الله تعالى عن اليهود بقوله « **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** »(١) وبقوله « **وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢)** »

(١) سورة البقرة الآية ٨٩ .

أما علم النصارى بنعته فيدل عليه ما حكاه الله عن عيسى ابن مريم عليه السلام بقوله **« وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَـذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ » (٣) •**

وقد أخذ الله الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وينصروه حين يبعث ، وأن يبلغوا أممهم ذلك ليتوارثوه حتى يبعث فينفذوه ، وفى ذلك يقول الحق جل وعلا **« وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ • فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (٤) •**

فلكل هذه البشارات والوصايا كان أهل الكتاب مجمعين على الايمان بهذا النبى المبشر به حين يبعث •

ومع ما طرأ على كتب العهدين القديم والجديد من التغيير والتبديل لايزال فيها ما يشير اليه — صلى الله عليه وسلم — بوضوح ، ولنا مبحث واسع فى هذا الشأن سوف ينشر بمشيئة الله فى مؤتمر السيرة والسنة النبوية الذى سيعقد بالقاهرة فى هذا العام ان أراد الله تعالى ، ولهذا نعود الى تفسير الآيات السابقة فنقول : وبالله التوفيق •

البينة فى اللغة هى : الحجة المثبتة للدعوى ، وتطلق على المعجزة ، والمراد بالبينة فى الآية رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على سبيل المجاز ، كما هو الحال فى زيد عدل ، حيث جعل زيد نفس العدل على سبيل المجاز ، والانفكاك فى الأصل افتراق الأمور المرتبطة ، والمراد منه هنا المفارقة والانصراف •

والصحف المطهرة هى : التى كتب فيها القرآن ، وتسمى المصحف ، وتطهيرها خلوها من الباطل ، ونظافتها من كل ما يوجب الشك والريبة •

والكتب القيمة التى فيها هى : ما اشتمل عليه المصحف من الاحكام والاخلاق والمواعظ والعقائد ، أو من كتب الانبياء السابقين ، وسيأتى بسط الكلام فى ذلك •

وقد حكى الألوسى اختلاف المفسرين فى معنى الآيتين اختلافا كثيرا ، حتى قال الواحدى فى كتاب البسيط : انهما من أصعب مافى القرآن نظما وتفسيرا •

وقال جار الله الزمخشرى : كان الكفار من

---

(٢) سورة البقرة الآية ١٠١ •
(٣) سورة الصف الآية ٦ •
(٤) سورة آل عمران • الآيتين ٨١ ـ ٨٢ •

الفريقين يقولون قبل المبعث : لا ننفك عما نحن فيه من ديننا حتى يبعث الله النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل، وهو محمد – صلى الله عليه وسلم – فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه :

ومع أن ما قاله الزمخشرى من أحسن ما قيل فى تفسيرها ، فانه ليس المثل الاعلى فى فهمها ، كما أننى لا أرى وجها لصعوبتها ، فهى واضحة المراد بينة الدلالة •

فالمعنى : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منصرفين عما عزموا عليه من الايمان بالرسول الموعود ، حتى يأتيتهم هذا الرسول المبين للحق ، يقرأ هذا الرسول عن ظهر قلب قرآنا مكتوبا فى صحف مطهرة ، نظيفة من الزور والشك والضلالة ، يقرؤه على الغيب لانه أمى لا يقرأ المكتوب ، وهذه الصحف المطهرة هى : المصحف ، وقيل هى اللوح المحفوظ ، كما قال سبحانه « **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** » (١) فى هذه الصحف المطهرة أحكام مستقيمة مكتوبة ومفروضة (٢) ، فاذا أتاهم هذا الرسول بصفته المذكورة ، حولوا ما عزموا عليه الى واقع فآمنوا به وصدقوه ، ولكنهم لم يحافظوا على اجماعهم حين بعث ، بل تفرقوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، وكان من واجبهم وهم أهل كتاب أن يجمعوا على الحق ولا يتفرقوا فيه بعد مجيئه كما حكاه الله بقوله •

« **وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ** » •

أى وما انفك الذين أوتوا الكتاب عما أجمعوا عليه مع المشركين من الايمان بالرسول الموعود ، الا من بعد ماجاءهم هذا الرسول البينة – أى المبين للحق بالحجج الواضحة والمعجزات الساطعة – فحولوا ما جعلوه ميقاتا للاجتماع الى ميقات للانفكاك والافتراق ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر حسدا وبغيا ، كما قال تعالى فى سورة الشورى « **وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ** » (٣) •

أما المشركون من الأوس والخزرج فقد سبقوا الى الايمان به ونصرته ، وفاء بما عاهدوا أنفسهم عليه ، بعد ما جاءهم بالحق مؤيدا بالحجة البينة ، ومطابقا لما كانوا يسمعونه من أهل الكتاب أيام حروبهم معهم قبل مبعثه – صلى الله عليه وسلم – ولهذا لم يوصفوا فى الآية بالتفرق والتخلف كما وصف به أهل الكتاب •

ولقد بين الله فساد رأى هؤلاء المتفرقين من أهل الكتاب فقال :

---

(١) سورة البروج الآيتين ٢١ – ٢٢ •

(٢) واطلاق الكتب على الاحكام المكتوبة معهود فى الشرع ، كما فى قوله تعالى : «كتب الله لاغلبن» اى حكم ، وكقول الرسول : « لاقضين بينكما بكتاب الله » أى بحكم الله » أى بحكم الله وهو الرجم » لانهما محصنان والرجم ليس فى القرآن ، وقيل الكتب القيمة كتب الانبياء ، لاشتمال المصحف على احكامها •

(٣) سورة الشورى الآية ١٤ •

« وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ » . أى وما أمرهم محمد الذى تفرقوا عنه بعد اجتماعهم عليه – ما أمرهم – بالايمان به الا لكى يعبدوا الله مخلصين له الدين – كما أمره ربه جل وعلا بقوله « قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي »(١) على أن يكونوا فى عبادتهم له حنفاء – أى مائلين عن الأديان كلها متجهين الى الاسلام ، فانه دين ابراهيم الحنيف ، وكان ابن عباس يقول : (حنفاء) على دين ابراهيم) .

وفى ذلك يقول الله تعالى « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا » (٢) .

ويقول أيضا « وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (٣) .

وكما أمرهم بذلك أمرهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وذلك الدين الذى يأمرهم بتلك الفضائل هو دين الملة المستقيمة ، أما ما هم عليه فلا ، فقد غيروا فيه وبدلوا ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا ، فأطاعوهم فيما غيروا وبدلوا ، حتى زعموا أن الله جسد يمشى على الارض ويقود الجيوش ، ويصارع اسرائيل – يعقوب – حتى الفجر فلا يقوى عليه ، ويخطىء فيندم على خطيئته ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، فلماذا عدلوا عن الحق الذى كانوا ينتظرونه ، وظلوا فى باطلهم الذى هم فيه طاعة لأحبارهم ورهبانهم ، والله تعالى أولى منهم بأن يطاع ولا يعصى ، فان بطشه شديد فى يوم الوعيد (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) .

ويعقب الله تعالى هذه الآية ببيان عاقبه الكافرين من أهل الكتاب والمشركين جميعا فيقول : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ » .

ان الذين كفروا بمحمد ورسالته ، فى عهده – صلى الله عليه وسلم – أو بعده ، سوف يستقرون فى نار جهنم خالدين فيها أبدا ، جزاء كفرهم بالحق الواضح البرهان ، البعيد عن ترهات الأديان ، وأكاذيب الكهان ، أولئك هم شر الخليقة التى برأها الله وخلقها ، فهم على النقيض من المؤمنين الذين يقول الله تعالى فى شأنهم .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ » فانهم سارعوا الى الحق

(١) سورة الزمر : الآية ١٤ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٦٨ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٣٥ .

حين لاح جبينه وسطع نوره ، فلم يماروا فيه بالباطل ، ولم يستمعوا الى الأفاكين المضلين ، الذين يعيشون على الاسترزاق والتجارة بالدين ، وقد بين الله ثواب المؤمنين بقوله سبحانه «**جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**» .

أى ثواب هؤلاء الذين آمنوا بالله ورسوله جنات عدن — أى جنات اقامة واستقرار — تجرى من تحت أشجارها وقصورها الأنهار ، باقين فيها بقاء أبديا ، فلا هم عنها يرحلون ، وما هم منها بمخرجين ، ولا يلحقهم موت ولا فناء ، رضى الله عنهم لايمانهم وصالح أعمالهم ، ورضواهم عن الله ، فقد أعطى لجزيل على الايمان والعمل القليل ، مع أنهما باعانة الله وتوفيقه ، ذلك الجزاء العظيم لكل من خاف ربه ، فانتهى عن الكفر وسائر المعاصى .

فسبحانك اللهم : أنفسنا أنت خالقها ، وأموالنا أنت رازقها ، وأعمالنا الصالحة أنت المعين عليها والموفق لها ، ثم تجزينا عليها ذلك الجزاء الأوفى حتى نرضى .

نعمت الصفقة الرابحة نعمت الصفقة الرابحة ، وما أعظم فضلك يا أكرم الأكرمين .

وقد جاء فى فضل هذه السورة حديث رواه الامام أحمد وابن قانع فى معجم الصحابة والطبرانى وغيرهم بأسانيدهم عن أبى خيثمة البدرى قال : لما نزلت «**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**» الى آخرها قال جبريل عليه السلام : يارسول الله ان ربك يأمرك أن تقرئها أبيا .

فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — لأبى رضى الله عنه : ان جبريل أمرنى أن أقرئك هذه السورة ، فقال أبى : أوقد ذكرت ثم يارسول الله ؟ قال : نعم ، فبكى » (١) .

قال القرطبى : وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم .

قال بعضهم : انما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم على أبى ليعلم الناس التواضع ، لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه فى المنزلة .

وقيل لأن أبيا كان أسرع أخذا لألفاظ رسول الله ﷺ ، فأراد بقوله أن يأخذ ألفاظه ويقرأها كما سمع منه ويعلم غيره .

وفيه فضيلة عظيمة لأبى ، اذ أمر الله رسوله أن يقرأ عليه : انتهى كلام القرطبى وبعد ففى تفسير هذه السورة وتأويلها آراء شتى ، وقد تركت هذه الخلافات جانبا وفسرتها حسب طبيعتها وما نزلت بسببه ، حتى يلم القارىء بالمعنى السديد ، خالصا من التشقيقات والخلافات ، والله تعالى ولى التوفيق .

مصطفى محمد الحديدى الطير

---

(١) وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بن كعب ان الله أمرنى أن أقرأ عليك « لم يكن الذين كفروا » قال : وسمانى لك ، قال « نعم » « فبكى » قال القرطبى أخرجه البخارى ومسلم .

حول موقف القرآن الكريم

من حجاب المرأة

نشرت « جريدة الاهالى » فى عدديها الصادرين فى ١٩٨٤/١١/٢١ و ١٩٨٤/١١/٢٨ مقالين تحت عنوان « موقف القرآن الكريم من حجاب المرأة » للسيد حسين أحمد أمين .

وقد وردت فى المقالين عناوين فرعية غريبة ، فضلا عما فيهما من أخطاء منها :

*** « الحجاب وهم صنعه الفرس والاتراك » .**

*** « ليس فى القرآن نص يحرم سفور المرأة أو يعاقب عليه » .**

*** الرجال يتمسكون بالحجاب ليستبدوا بالمرأة فينفسوا عن قهرهم سياسيا واجتماعيا » .**

وقد أردت أن أوضح وجه الصواب فى هذا الموضوع الذى يحلو لكثير من الناس أن يتحدثوا فيه بين الحين والحين على الرغم أن وجه الحق فيه من الوضوح بمكان ولكنها رغبة التفلت من أحكام الله والعياذ بالله !! .

وأود أن أشير الى أن كثيرا من الناس يخلطون بين ما ورد فى حجاب المرأة بمعنى احتجابها عن الناس وعدم خروجها الى الطريق ، وبين ما يجب أن يستتر من المرأة وهو ما يسمى « بالعورة » . ومن هؤلاء السيد الكاتب .

وسنبدأ بالحديث عن العورة وحدودها من الرجل والمرأة ، ثم ننتهى الى حجاب المرأة وما قيل فيه .

لقد كان من فضل الله على الانسان أن ميزه عن الحيوان ، وامتن عليه بأن جعل له لباسا يستتر به ما يستحى من كشفه . قال تعالى :

« يَابَنِى آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ »(١) .

ومن هنا جعل الله لكل من الرجل والمرأة عورة يجب عليه أن يسترها ، ويصونها عن العيون .

فالسوءتان هما أغلظ العورة وقد ذكر الفقهاء انها : من السرة الى الركبة من الرجل ، وتزيد المرأة على ذلك أن جعل الله كل بدنها عورة .

---

(١) الآية ٢٦ من سورة الاعراف .

للأستاذ محمد محمد عباسى

ولقد طلب الله من المؤمنين والمؤمنات أن يغضوا أبصارهم عما حرم الله ، وأن يحفظوا فروجهم ويصونوا أعراضهم .

قال تعالى : « قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (١) « وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » (٢) .

والناظر فى هاتين الآيتين يجد أن غض البصر مقدم على حفظ الفرج وذلك أمر منطقى وطبيعى اذ أن غض البصر وسيلة الى حفظ الفرج فهو كالسبب له . ولا شك ان ستر العورة كذلك سبب من أسباب حفظ الفرج وصيانته .

وفى ورود هاتين الآيتين من سورة النور بعد بيان حد الزنا ، وحد القذف ، والتلاعن بين الزوجين وبعد ورود آية الاستئذان .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » (٣) .

أقول فى ورود هاتين الآيتين بعد كل ذلك ما يشير الى أن منهج الاسلام هو « سد باب الفتن » وقاية للمجتمع من الشر وتطهيرا للنفوس من الفاحشة .

فلا تهاج الشهوات ، ولا تستثار الغريزة فى الانسان ، والاستثارة بالزينة المتبرجة والجسم العارى تنتهى الى سعار شهوانى لا ينطفىء ولا يرتوى ، وقد تفلت الارادة وتضعف العزيمة ، وتنهار المقاومة فاما الافضاء الفوضوى العابث الذى لا يتقيد بقيد واما الامراض العصبية ، والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الاثارة .

ولو كانت العورة من الرجل هى بعينها العورة من المرأة لكفت الآية الأولى منهما فى بيان مطلوب الله من الرجل والمرأة .

◄

(١) الآية ٣٠ من سورة النور .
(٢) الآية ٣١ من سورة النور .
(٣) الآية ٢٧ من سورة النور .

وأمثلة ذلك كثيرة فى القرآن الكريم • ولكن لما كان هناك أمر زائد فى المرأة يجب عليها أن تستره عن العيون وتخفيه عن الانظار ، وتضن به على الابصار المريضة المتلصصة • جاءت الآية الثانية لتوضح هذا الامر ، وهو زينة المرأة •

ولا شك أن كل أنثى مولعة بأن تكون فى أجمل صورة وأبهى حلة ، والاسلام دين الفطرة ، لا يقاوم هذه الرغبة ، ولا يصطدم مع الفطرة ولكنه ينظمها ويهذبها ، ويجعل هذه الزينة قاصرة على محارمها ومن لا أرب لهم فى النساء من الرجال لكبر سن أو مرض أو صغر • فالمرأة عند لقائها بأحد من هؤلاء فى مأمن من أن يتحرك طبع أحدهم اليها أما زوجها فله أن يطلع على جسمها كله •

ومن رحمة الله بعباده وتيسيره عليهم أنه استثنى من الزينة التى يحرم اظهارها ما يشق اخفاؤه ، ولا يمكن التحرز عنه •

قال تعالى « **ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها** » •

واختلف العلماء فى هذا المستثنى •

أهو ظاهر الثوب ؟

أم هو الوجه والكفان ؟

أم هو الكحل والسوار ؟

أقول ذكرها العلماء •

وذكر القرطبى (١) رأيا لابن عطية قال :

« ويظهر لى بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بألا تبدى ، وأن تجتهد فى الاخفاء لكل ما هو زينة ، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لابد منه أو اصلاح شأن ونحو ذلك — فما ظهر على هذا الوجه مما تؤدى اليه الضرورة فى النساء فهو المعفو عنه » •

وقد ارتضى الامام القرطبى هذا الرأى وقال : « ان هذا قول حسن الا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة ، وذلك فى الصلاة والحج ، فيصلح أن يكون الاستثناء راجعا اليهما •

واستدل على ذلك بما رواه أبو داود عن عائشة — رضى الله عنها • أن أسماء بنت أبى بكر — رضى الله عنهما — دخلت على رسول الله — صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقال لها : « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه • فهذا أقوى فى جانب الاحتياط •

ولكن السيد حسين أمين اتخذ من هذا

---

١ — ص ٣٢٩ حـ ١٢ تفسير القرطبى •

٢ — رواه ابو داود فى سننه حـ ٤ ص ٦٢ فى باب ما تبدى المرأة من زينتها ونصه :
حدثنا يعقوب بن كعب الانطاكى ونوفل بن الفضل الحرانى قالا : ثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد قال يعقوب بن دربك عن عائشة رضى الله عنها : أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها الا هذا وهذا « أشار الى وجهه وكفيه » (قال أبو داود هذا مرسل خالد بن دريك لم يدرك عائشة رضى الله عنها) •

الخلاف سبيلا الى أن يحاول أو يطلب أن يأتى بتعريف للزينة الباطنة التى يمكن أن يؤدى ابداؤها بأبناء عصرنا هذا الى الافتتان الذى قصد القرآن الكريم الى الحيلولة دونه •

وقال : « ان الامر موضع خلاف بين الأقدمين فمن حقنا أن نخالفهم بصدده » •

ونحن لا ننكر هذا الخلاف بين العلماء ، ولكنه ليس خلافا فى أصل القضية وهو الامر باخفاء الزينة وانما الخلاف فيما يستثنى منها ، ويعفى عنه لمشقة فى اخفائه وستره •

ولعل السيد الكاتب لا يختلف معنا فى أن طبيعة الرجل والمرأة لم تتغير من جيل الى جيل ولم يختلف من مكان الى مكان • لأن ميل كل منهما الى الآخر أمر غريزى لأن الله قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض ، وتحقيق الخلافة للانسان فيها •

فما يثير الرجل منذ قرون هو بعينه الذى يثير ابن القرن العشرين •

واذا كان هناك مجتمع ما أصبح كشف الرأس أو الصدر أو الساقين فيه من المرأة لا يثير كوامن الغريزة فى الرجل •

فذلك أمر ناشىء عن افراط هذا المجتمع الانطلاق واشباع غرائزه الحيوانية ، ولا يمكن أبدا أن يتخذ هذا المجتمع أساسا لبيان أحكام الله •

وقد أصدر السيد الكاتب حكمه على حديث عائشة — رضى الله عنها — المتعلق باعراض الرسول ﷺ عن رؤية أسماء — رضى الله عنها — الذى سبق ذكره ، أصدر حكمه على هذا الحديث بأنه حديث « مخترع » مع أنه قد رواه أبو دواد فى سننه وقال أنه : حديث مرسل •

وحكم الحديث المرسل أنه مقبول — جاء فى شرح التلويح على التوضيح ص ٧ من الجزء الثانى « ومرسل الصحابى مقبول بالاجماع »

ثم ما الذى دعا السيد المذكور الى القول بأن هذا الحديث مخترع وموضوع ألأنه قد خالف النص ؟ أم أنه قد اصطدم مع العقل ؟ انه لم يخالف نصا ، ولم يتعارض مع المعقول •

ان الآية الكريمة تطلب اخفاء زينة المرأة لا لذات الزينة ، ولكن تطلب اخفاء مواضعها من المرأة من قبيل اطلاق الحال وارادة المحل•

وكما نعلم فان من زينة المرأة قرط فى الأذن وقلادة فى العنق وسوار فى المعصم وخاتم فى الاصبع وخلخال فى الساق واستثناء ما يشق اخفاؤه من هذه الزينة فيه تيسير على العباد ورحمة بهم ومحاولة اظهار ما خفى منها كالخلخال يضرب الأرجل فى الارض حتى تسمع رنتة محرمة وممنوعة •

قال تعالى « وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ » •

واذا كان من الممنوع كشف مواضع الزينة وهى أطراف الجسم الا ما يصعب اخفاؤه فمن باب أولى يكون ممنوعا كشف بقية أجزاء الجسم •

وهناك من الثياب الرقاق ما يشف عن الجسم ويظهر لون البشرة أو يحدد مواضع الفتنة فقد تكون أشد اغراء ، وأكثر جاذبية فهى محرمة كذلك •

وحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ لا يخرج عن منطوق الآية ولا عن المعقول منها فكيف بهيسارع برفضه ؟

وانتقل سيادته الى أن الامر فى الآيتين الكريمتين « قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ... « الآية » وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ... « الآية لا يتجاوز حد النصح الى التحريم ولا هى بالتى تنص على عقوبة لمن خالف لا فى الدنيا ولا فى الآخره ، فالأمر هنا كالأمر فى آية « قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ » .

ولعله يقصد أن الطلب فى الآية يحمل على الندب فى المأموراتوعلى الكراهية فىالمنهيات.

ونحن نقول له : ان الأمر فى القرآن الكريم ينصرف الى الوجوب كما أن النهى ينصرف الى التحريم ، الا اذا قام الدليل على خلاف ذلك فيحمل الامر على غير الوجوب ، ويحمل النهى على غير التحريم مثل قول الله تعالى « اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » فان الأمر هنا يحمل على التهديد .

ومثل قوله تعالى « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ » فانه يحمل على الاباحة .

ونحن بدورنا نسأل السيد الكاتب : ما دليله على حمل هذا الطلب على النصح لا على الوجوب كما قال ؟

وهل يعقل أن تكون كل المطلوبات فى الآية على سبيل الندب ، من غض للبصر وحفظ للفرج وستر للزينة ؟ أم أنه يريد أن ستر الزينه هو الذى يكون على سبيل النصح ؟ وهل يستساغ عقلا ولغة أن تذكر مطلوبات فى نسق واحد وفى آية واحدة ويكون ما هو على سبيل الجزم والحتم ومنها ما هو على سبيل النصح أى الندب .

ان سياق الآيات وتسلسلها ابتداء من أول سورة النور « سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » يحتم أن تكون الاوامر والنواهى للطلب الجازم الذى يقتضى الوجوب اذا كان أمرا ويقتضى التحريم اذا كان نهيا ، اذ أنها تتعرض لوسائل الوقاية من الجريمة المحرمة التى حدد الشارع لها عقوبات شديدة وما يؤدى الى المحرم محرم كذلك .

والغريب فى الامر أن سيادته يقول ان الآيتين ١٥١ ، ١٥٢ من سورة الانعام اللتين وردت فيهما المحرمات لم تشر الى تحريم لابداء الزينة .

ومن ثم فابداء الزينة يكون غير محرم . منطق غريب واستنتاج مريض . ان الآيتين المشار اليهما هما قول الله تعالى « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا

النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ • وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » •

اتخذ الكاتب من هذا النص سبيلا الى جعل ابداء الزينة من المرأة أمرا غير محرم لعدم وروده فى هذه المحرمات •

ولو أنه أمعن النظر قليلا لوجد أن لفظ الفواحش جمع فاحشة وهى ما فحش من : قول أو عمل وهو يشمل سائل المحرمات التى وردت فى آيات أخرى كالربا والزنا ، ويحرم ما ظهر منها وما استتر •

ويمكن أن يقال كما قال صاحب الظلال فى « ظلال القرآن » : ان الفواحش وان كانت تشمل كل معصية الا أنه غلب ورودها فى القرآن الكريم على جريمة الزنا لا سيما وأنها وردت على صيغة الجمع فهى جريمة ذات مقدمات وملابسات كل منها فاحشة •

فالتبرج والتهتك والاغراء والاستثارة كلها فواحش منها الظاهر ومنها الباطن •
منها المستتر فى الضمير ومنها البادى فى الجوارح •
منها المخبوء المستور ومنها المعلن المكشوف•
ولأن هذه الفواحش ذات اغراء وجاذبية كان التعبير « ولا تقربوا » للنهى عن مجرد الاقتراب سدا للزرائع واتقاء للجاذبية التى تضعف معها الارادة •

اذن ستر عورة المرأة ليس اجتهاد مجتهد أو ابتداع مجتمع ••• وانما هو أمر من اللـه الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ويعلم ما ينقيها وما يطهرها ويزكيها •

ولا نملك أمام الامر الالهى الا الامتثال والانقياد « وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ » •

وكل دعوة تخالف أمر الله فانما هى من الشيطان الذى أمرنا بعصيانه ومخالفته •

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (١)
وللحديث بقية •

محمد محمد عباسى

---

(١) الآية ٢١ من سورة النور •

من ملامح التسامح فى الشريعة الإسلامية

اقتضت حكمة الله تبارك وتعـالى أن يكون الاسلام ، هو النور الكامل والنعمة التـامة ، لا للمسلمين وحدهم ، بل للنـاس اجمعين ، مسلمين وغير مسلمين ، وأن تكون بعثة سيدنا محمد ﷺ خيرا ورحمـة للبشرية كلهـا — المؤمنين به وغير المؤمنين .

وصدق الله العظيم القائل فى حق نبيـه الهادى البشير ﷺ : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » فرحمته — عليه الصلاة والسلام — ليست لها حدود ، ونوره لا يعـرف القيـود ، فالبشرية كلها ، قد نالها من فضل هذا الرسول ، ورحمته ما يشهد به التشريع الذى جـاء به ، والرسالة التى نزلت عليه .

•• لقد أراد الله سبحانه أن تكون بعثتـه تشريعا للانسانية كلها ، فجعله سيدا للرسل أجمعين ، وختم برسـالتـه كل رسـالات السماء ، وكان ما جاء به دليلا على أن مـن بعث اليهم من البشر أجمعين ، قد بلغوا مـن تمام الفكر ، ونضج التكوين ما جعلهم محـلا للهداية الكاملة ، وأهلا لشرف اتباعه كمـا ضمن شريعته كل ما سبقه من هداية الاديان السابقة ، وجعل الايمان به ايمانـا بجميـع الكتب المنزلة ، وتصـديقا لجميـع الانبيـاء والرسل ، قال تعالى :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » (١) .

فالاسلام الذى جاء به ، هو الدين الحـق والنعمة التامة ، والهداية الكاملة .

الاسلام لايعرف التعصب :

« وليس من المتصور ولا من المعقول ، أن يكون رسول الله ﷺ ، وهو الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة للناس أجمعين ، ثم يكـون التشريع العظيم الذى جاء به على غـير تلك السمات الكاملة ، ومن ثم كان الدين الاسلامى الذى اختصه الله به حافلا بما يبرز مظاهـر الفضل والرحمة للناس أجمعين ، الذين آمنوا بـه ، والذين لم يؤمنوا به ، واذا كان الايمان بالله هو أول ما يأمر به ، فان حقيقـة هـذا الايمان لاتتأتى الا بالايمـان برسـل اللـه

(١) المائدة — آية : ٣

للدكتور عبد الله مبروك النجار

وأنبيائه جميعا ، وقد أكد القرآن الكريم تلك الحقيقة فى قول الله الكريم :

« قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » (١) .

وقد بين رسول الله ﷺ ذلك فى حديث جبريل الذى رواه عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — حين سأله عن الايمان بقوله : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : « صدقت » (٢) . ولا يخفى ما يلزم ما خوطب به المؤمنون برسالته ﷺ بالايمان برسل الله جميعا ، من وجوب احترامهم وعدم النيل منهم ، واثبات كل صفات الكمال الخلقى والانسانى لهم : كالصدق والأمانة والتبليغ والفطانة ، ونفى أضداد تلك الصفات عنهم بالقدر الذى ينأى بالمسلم عن التعصب ، ويجعل منه صاحب رسالة سمحاء ينبغى معها أن يحتذى به فى ذلك المسلك الرفيع ، الذى علمه له رسول الله ﷺ وجعله عقيدة يستقر معناها فى قلبه ، ويجرى عليها عمله ، لا أن ينسب اليه مالا يأمره به دينه ، أويتهم به فى أخوته للانسانية الرفيعة .

اخوة الانسانية فى الاسلام :

وحتى تستقيم البشرية كلها على طريق الخير والسلام ، أرسى الاسلام دعائم الاخوة فى الانسانية ، التى تسوى بين الناس جميعا فى عبوديتهم لله عز وجل ، وهى تقوم على أساس أن الانسان أخ لأخيه الانسان ، فلا ينبغى أن يغمطه حقا من حقوقه ولا يجوز أن ينال من انسانيته .

وهذا النوع من الصلة الاسلامية يأمر به الاسلام ، ويجعل منه نوعا من الود ولونا من التعاون كما نظم له القوانين ، وسن له المبادىء ، قال تعالى :

« وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا » (٣) .

ويتضح من هذا النص الكريم ان الله قد أمر بالاحسان الى الجار الجنب ، وجاء ذلك

(١) البقرة — الآية ١٣٦ .
(٢) رياض الصالحين — للنووى ص ٤٧ دار الحديث .
(٣) النساء : الآية ٣٦ .

الأمر معطوفا على عدد من الأوامر الجليلة فى الاسلام ، كتوحيد الله عز وجل ، وبر الوالدين ، ويرى ابن جرير ، ومجاهد وابن ابى حاتم (١) أن « الجار الجنب » هو — فى الآية — غير المسلم من اليهود والنصارى وقد ذكر الامام ابن كثير ما رواه جابر بن عبد الله قال :

قال رسول الله ﷺ « الجيران ثلاثة : جار له حق واحد ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق » .

فاما الجار الذى له حق واحد ، فجار مشرك لا رحم له ، وله حق الجوار .

وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم ، له حق الاسلام وحق الجوار .

وأما الجار الذى له ثلاثة فجار مسلم له حق الاسلام ، وحق الجوار ، وأما الحق الثالث فحق الرحم (٢) .

ويتضح من الآية الكريمة والحديث الشريف أن الله قد وضع لاخوة الانسانية حقا يستلزم وجوب الاحسان ، وعطف هذا الامر على ما أمر به لأخوة الدين ، واخوة النسب ، مما يدل على اعتبار ذلك النوع من الصلات الانسانية ، بين الناس أجمعين ، لتكون حافزا على حسن النوايا ، ومدعاة للتعاون فى سبيل الخير العام للبشرية ، بأسرها وذلك أبسط ما يقتضيه هذا الحق الذى انفرد بتقريره الاسلام .

مقتضيات اخوة الانسانية :

ومن مقتضيات تلك الاخوة فى الانسانية ، أن يكون وجودها ، مدعاة لعدد من المسائل ذات الخطر الجليل فى حياة الأسرة الدولية ، فتسود المحبة بين الناس وتتحرر القلوب ، من وطأة التعصب المقيت والحقد القاتل ، فلا يتربص الانسان بأخيه الانسان ، ليطعنه فى دينه ، أو ينال من عقيدته ، باللمز تارة ، والتشهير الأعمى تارة أخرى ، وهى مع هذا وذاك تؤكد على المساواة التامة بين الناس جميعا فى حماية الحقوق التى كفلتها لهم الشريعة الاسلامية الخالدة ، على اختلاف دينهم وتباين معتقداتهم ، ومنها حماية حق العقيدة ، وحق الحياة ، وحماية المال ، والأعراض وغيرها .

وقد أشار القرآن الكريم الى تلك المساواة فى قول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » (٣) ، وقد أكد رسول الله ﷺ هذا المعنى فى حجة الوداع ، حين قال فى خطبته المشهورة « أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى

(١) راجع مختصر تفسير النسفى ج ١ ص ٣٨٨
(٢) المرجع والمكان السابقين .
(٣) الحجرات — الآية : ١٣ .

على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد (١)

كما أشار الى حماية تلك الحقوق ، فيما رواه البخارى ، عنه ﷺ انه قال فى خطبة الوداع: « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم ، حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ، وستلقون ربكم فسيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب .. الحديث » (٢) .

وقال فيما رواه عمر بن يثربى « ولايحل لامرىء من مال أخيه الا ما طابت به نفسه » (٣) ولما كان المرء لغة هو : الانسان (٤) ، فيكون المراد حماية حقه فى كل تلك الجوانب ، أعم من أن يكون مسلما أو غير مسلم ويكون الاسلام قد قرر اخوة الانسانية ووضع لها القواعد ، ونظم لها الحقوق .

اصطلاح « الذمى » لاينال من غير المسلمين :

ولاينال من حماية تلك الحقوق التى كفلتها الشريعة الاسلامية لغير المسلمين استنادا الى المساواة التى قررتها ، أن يقال ان لفظ الذمة ، ينال من قضية المساواة فى تلك الحقوق بالنسبة لغير المسلم ، فتلك دعوى لا يؤيدها الفهم الصحيح للاسلام ، ولايساندها ما هو معمول به فى المجتمع الاسلامى ، فاصطلاح « الذمى » **لا يعنى أن غير المسلم — كما يحاول البعض** تصويره — مواطن من الدرجة الثانية فى فرص الحياة ، ولكن اللفظ فى حقيقته عنوان للحقوق التى قررتها الشريعة الاسلامية الغراء لغير المسلمين ، وذلك ما يثبت من بيان معنى الذمة لغة وفقها .

فهى فى اللغة : تعنى العهد (٥) .

وفى اصطلاح فقهاء الشريعة الاسلامية تعرف بأنها :

« وصف يصير به الانسان اهلا لما له ولما عليه ، « وقد أثبتها الفقهاء للانسان لتكون سببا فى تكليفه بالأوامر والنواهى من الله عز وجل ، ووجودها فى الانسان على هذا النحو يكشف عن قيام أركان المسئولية فى شخصه لتتسنى محاسبته على ما يرتكبه من أخطاء تمس حقا من الحقوق التى قررتها الشريعة الاسلامية ، ومنها حق غير المسلم فى حماية دمه وماله وعرضه ، وعدم التعرض له فى اقامة شعائر دينه ، أو المساس بدور عبادته ، وقد جاء لفظ الذمة هنا ليستشعر المسلم دائما ، أن لاخوانه فى الانسانية من غير

(١) راجع : سيرة الرسول — صلى الله عليه وسلم — للدكتور محمد الطيب النجار — ص ٢٣٠ ، « وحقوق الانسان فى الاسلام » — للدكتور على عبد الواحد وافى — ص ٦ .

(٢) « صحيح البخارى » ج ٥ ص ١٩٦ — المطبعة الميمنية ، « ورياض الصالحين » ص ١١٧ .

(٣) « نيل الاوطار » — للشوكانى ج ٨ ص ١٧٢ .

(٤) « القاموس المحيط » — ج ١ ص ٢٩ .

(٥) « المعجم الوسيط » ج ١ ص ٣١٥ .

المسلمين حقا وعهدا تشغل به ذمته ، ومن ثم ينبغى الحفاظ عليه وعدم المساس بـه .

فليس فى اللفظ ما يحط من انسانية غير المسلم أو يغمطه حقه ، وانما هو كما رأينا عنوان جليل للحقوق المكفولة لهم من قبل الشريعة الاسلامية فى ممارسته حقهم فى الحياة على أكمل وجه ، ودون أدنى تفرقة فى تلك الحقوق بين المسلم وغير المسلم .

صيانة الحقوق المدنية لغير المسلم :

وغير المسلم يتمتع فى ظل الشريعة الاسلامية بكامل حقوقه المدنية ، والاجتماعية والسياسية ، وهو يقف مع المسلم فى تلك الحقوق على قدم المساواة ، لأن الأساس الذى تقوم عليه الحقوق واحد : وهو قيام وصف العبودية لله ، فى الناس أجمعين ، وهذا الوصف موجود فى المسلم وغيره ، فالناس عباد الله اجبارا ، وبهذا ينعم غير المسلمين بالحقوق التى أقرها لهم الاسلام ، ويعيشون فى كنف المسلمين اخوانا متحابين فى العبودية لله ، يسود حياتهم البر ، ويحكم معاملاتهم القسط .

« لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ » ، ولا اهدار لدم أو مال أو عرض ، وصيانة الحقوق المدنية لغير المسلم تتمثل فى حماية تلك الحقوق وذلك على النحو التالى :

١ ـ حماية حق العقيدة :

والشريعة الاسلامية تحمى حق غير المسلم فى عقيدته ، وتكفل له الحرية التامة فى ممارسة شعائر دينه ، وليس ذلك فقط ، بل ان نصوص الكتاب والسنة تنهى المسلم عن اكراه غيره على الدخول فى الاسلام ، قال تعالى : « لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ » (١) ، وقال عز وجل مخاطبا نبيه ﷺ فى هذا الخصوص : « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » (٢)

وعلى هذا النحو تنهى آيات الكتاب الكريم عن اكراه الناس على الدخول فى دين الله ، كما نهى رسول الله ﷺ عن فتنة غير المسلم من أهل الكتاب عن دينه ، وذلك فيما رواه ابو عبيد فى الاموال : « كتب رسول الله ﷺ الى اهل اليمن أنه من كان على يهودية أو نصرانية فانه لا يفتن عنها ، وعليه الجزية (٣) كما اعطى عمر بن الخطاب أهل حمص الامان فى عهده لهم على أنفسهم وأموالهم وكنيستهم (٤) وجاء فى العهد الذى أعطاه لأهل القدس ، أنه أعطاهم الامان لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم ، وصلبانهم ، ألا تسكن كنائسهم ولاتهدم ، ولا ينتقص منها ولامن

(١) البقرة ـ آية ٢٥٦ .
(٢) يونس ـ آية ٩٩ .
(٣) ابو عبيد ـ « الاموال » ص ٣٥
(٤) « فتوح البلدان » ـ للبلاذرى ص ١٣١ .

حيزها ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم (١) .

غير المسلمين فى مصر :

وفى مصر كان الفتح الاسلامى خيرا ونورا وعدلا ورحمة ، جعلت أهلها من غير المسلمين يرحبون به ، وبالمثل العليا التى أرسى دعائمها محمد بن عبد الله ﷺ بل ان بعضهم لم يكتف بمجرد الترحيب ، وانطلق يساعد المسلمين فى فتح مصر ، وتطهيرها من الظلم الذى ران عليها سنوات طويلة تحت وطأة الحكم البيزنطى ، وذلك ثابت فيما كتبه مؤرخوهم .

وقد كفل الاسلام لغير المسلمين ، فى مصر منذ أول يوم حرية العقيدة ، وقرر حماية أنفسهم ، وأموالهم وكنائسهم ، وصليبهم ، فى العهد الذى أعطاه عمرو بن العاص لأهل مصر وجاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الامان على أنفسهم وملتهم ، وأموالهم وكنائسهم ، وصليبهموبرهم وبحرهم لاينقض شيء من ذلك ،ولا ينتقض ، ثم قال ، وعلى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله ، وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين (٢) .

وقد نعم غير المسلمين بتلك الحقوق منذ الفتح الاسلامى ، وحتى وقتنا الحاضر دون أن ينالهم أحد بسوء ،أو يمس حقا من حقوقهم التى كفلتها شريعه الاسلام وعاشوا مع المسلمين فى روح سمحة وحب ومودة ، ولم تعرف مصر أبدا روح التعصب ، بل لم يسمع فيها من قبل كلمة الفتنة الطائفية (٣) ، مما يدل على استقرار تلك الحقوق لغير المسلمين وعدم المساس بها من أحد .

الجزية وحرية العقيدة :

ولم تتقرر الجزية فى الاسلام لتكون اداة للضغط على غير المسلمين واكراههم للدخول فى الاسلام ، أو لتكون اداة للتفرقة بينهم وبين المسلمين فى المعاملة ،وكل ما فيها انها نوع من المشاركة فى الحياة العامة التى يحياها المسلمون وغيرهم أو هى اداة لتحمل اعباء الدولة الاسلامية التى تكفل لهم الحماية ، وتحمى حقوقهم ، وترعى قضاياهم ، وهى تقابل ما وجب على المسلمين من صدقات ، ومن ثم يكون المسلمون وغيرهم شركاء فى تحمل الاعباء العامة فى ارض يعيشون عليها ، وتكلأهم جمعيا ، بحبها وفضلها ، وعطائها ، ولما كانت الجزية مشاركة فى الاعباء فهى لا تتقرر على مسن أو امرأة ، أو صبى أو مجنون تخفيفا عليهم ورحمة بهم ، مما يجعل دعوى الاثراء من تقريرها غير مقبولة .

والشريعة الاسلامية حين قررت حماية حق العقيدة لم تكن لتفرق بين المسلم وغيره

(١) « الخراج لابى يوسف » ص ١٤٨ ومابعدها

(٢) راجع : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٤ دار الكتب المصرية .

(٣) هذه العبارة من حديث البابا شنودة لجريدة اخبار اليوم الصادرة يوم ٢٢-١٢-٨٤ الصفحة الخامسة عمود ٧ .

لاختلاف الدين ، ولم يكن الاسلام لينال من المكانة الاجتماعية لغير المسلمين ، أو يفرق بينهم وبين المسلمين ، فى المعاملة بل شمل الجميع برحمة الله وفضله ، وقد روى ان رسول الله ﷺ قال :

« من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه يوم القيامة» (١) .

وروى عن عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ أنه قال :

أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم (٢) ، وتلك هى روح الشريعة الاسلامية فى التعامل مع غير المسلمين .

الاسلام ودعوى الطبقية :

تلك هى مبادىء الاسلام ، وهذه تعاليمه فى حماية غير المسلمين ، والمساواة بينهم وبين المسلمين فى المعاملة ، وهذه المبادىء ظاهرة الوضوح فى الدلالة على عدل الاسلام ، وسمو دعوته ، بما لا يتيح فرصة لادعاء عليه بأنه يدعو الى الطبقية ومن العجيب أن يؤخذ هذا الفهم السقيم من قول الله تعالى :

« وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا » (٣) ، فالاسلام لايدعو الى الطبقية التى تفرق بين الناس لاختلاف الدين أو القدرة المادية ، والتى تدفع الانسان لاستغلال أخيه الانسان واذلاله وظلمه ، وليس فى الآية ما يدل على ذلك ، وانما تشير الى ظاهرة كونية فطر الله الناس عليها ، ومنذ خلق الله الكون والى ان تقوم الساعة لم يوجد ولن يوجد شخص يتفق مع الاخر بالتساوى فى جميع الملكات الذهنية والبدنية والوجدانية والاجتماعية وغيرها ، تلك هى سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، قال تعالى :

« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَايَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ » (٤) .

ولا شك ان اختلاف الملكات الانسانية يؤدى مهمة كونية يتحقق منها الخير العام للناس أجمعين ، حين يلتمس الناس مساعدة بعضهم بعضا فى الاعمال وغيرها من شئون الحياة التى لا يمكن أن يلم بجميع أمورها كل انسان (٥) ، فليس فى الآية ما يدعو الى الطبقية ، بمعناها الذى تعارفه الناس ، وانما تعبر عن تلك الظاهرة الانسانية التى أوجد الله الخلائق عليها ، ومنهم الذين فهموا من القرآن هذا المعنى .

٢ ــ حماية حياة غير المسلمين :

والاسلام يحمى حياة غير المسلمين ، وينهى

---

(١) « الخراج » ص ١٣٥ ومابعدها .
(٢) المرجع والمكان السابقين .
(٣) الزخرف ــ آية ٣٢ .
(٤) هود ــ آية ١١٨ .
(٥) راجع : « مختصر تفسير ابن كثير » ج ٣ ص ٢٨٩ .

المسلم أن ينال منها أ ويمس بهـا على وجه التعدى أو الاذى ، فالنفس محرمة ، والآدمى كما جاء فى الحديث :

« بنيان الرب ملعون من هدمه » (١) ، وقد وضعت الشريعة الاسلامية القصاص عقوبة لقاتل النفس ، ولو كان المقتول من اهل الذمة والقاتل من المسلمين قال تعالى « وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ » (٢) .

وقد روى البيهقى ان رسول الله ﷺ ، قتل مسلما بمعاهد (غير مسلم من اهل الكتاب) ، وقال أنا أولى من وفى بذمته » (٣) .

كما روى أن عليا بن ابى طالب ـ رضى الله عنه ـ أتى برجل من المسلمين قتل رجلا من أهل الذمة ،فقامت عليه البينة فأمر بقتله ،وقال من كانت له ذمتنا قدمه كدمنا ،ودينه كديننا(٤) وهكذا أمرنا الاسلام بالعدل مع أهل الذمة وحماية حياتهم ، لأن العدل مطلوب فى ذاته ، وهم أصحاب حق فوق ذلك ، لأن مقتضى عقد الذمة أن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وهكذا تتساوى حياة المسلم مع غيره أمام شرع الله .

٣ ـ حماية أموال غير المسلمين :

وأموال غير المسلمين مصونة فى الشريعة الاسلامية ، لا يجوز أخذها منهم بالغصب أو بالقوة ، ولا يحل أكلها الا بالرضا منهم ، قال تعالى :

« وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ » (٥) ، ومن أنواع الباطل التى حرمها الله ، أكل مالا تطيب به نفس مالكه ، وأخذ مال الغير لا على وجه اذن الشرع (٦) ولو كان مالك المال غير مسلم ، وقد أجمع الفقهاء على أنه لا يجوز أن يؤخذ من مال أهل الذمة غير ماصولحوا عليه ، الا بطيب أنفسهم (٧) .

ومن وجوه الحماية المقررة لمال غير المسلمين فى الشريعة الاسلامية تقرير العقوبة بالحد لسارقه حتى ولو كان مسلما ، ووقع على هذا اجماع الفقهاء ، كما حكاه ابن رشد(٨) وروى ابو يوسف ، قال : « فى المسلم يسرق من الذمى ، انه يلزمه ما يلزم السارق المسلم » ، ثم قال حدثنا اشعث عن الحسن قال : من سرق من يهودى ، أو نصرانى أو أخذ من أهل الذمة من غيرهما قطع (٩) ، وبمثل هذا المنهج القويم يحمى الاسلام مال غير المسلم .

٤ ـ حماية الاسلام لاعراض غير المسلمين :

كما أن الاسلام يحمى أعراض غير

(١) « الاختيار لتعليل المختار » ـ للموصلى الحنفى ـ جـ ٤ ص ٧٠ ـ المطابع الاميرية .
(٢) « الاسراء » ـ آية ٣٣ .
(٣) « نيل الاوطار » للشوكانى ـ جـ ٧ ص ١٢
(٤) المرجع السابق ص ١٥ .
(٥) البقرة ـ آية ١٨٨ .
(٦) راجع : تفسير القرطبى ـ جـ ٢ ص ٣٣٨
(٧) حكى هذا الاجماع : أبو عبيد فى الاموال ـ ص ١٩٧ .
(٨) بداية المجتهد ونهاية المقتصد جـ ٢ ص ٢٨٢
(٩) الخراج لابى يوسف ـ ص ١٩١ ومابعدها

المسلمين ، ويجعل المرأة الكتابية فى حماية عرضها ، كالمرأة المسلمة ، فلا يجوز للمسلم أن يعتدى على عرضها ، أو يفعل بها مايخدش حياءها ، وهو ان أراد التمتع بها فليس أمامه الا ما شرعه الله لاستحلال الاعراض وهكذا لا تبذل المرأة موضع العفة منها الا فى اطار من الاجلال والتكريم التى تكفله الشريعة الاسلامية ، وقد شرع الله عقد النكاح ليكون أداة لحل العرض وجواز التمتع بالمرأة سواء كانت مسلمة أم كتابية ، قال تعالى :

« **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ** » (١) ٠

وهكذا ارتفع الاسلام بعلاقة المسلم بغيره الى مرتبة المصاهرة ، التى تحفظ الحقوق وتصون الاعراض ، وقد أمر الله بالعدل مع أهل الكتاب وبرهم ، فى قوله الكريم « **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** (٢) ٠

أعلان الاسلام لتلك الحقوق :

والاسلام حين قرر تلك الحقوق لغير المسلمين ، حرص على النص عليها فى أصول التشريع ومصادره ، ليتذكرها الناس جميعا فى كل زمان ومكان تتلى فيه ، ولتكون قراءة القرآن الكريم ، والقاء الاحاديث الدينية ، فى الاجهزة المرئية والمسموعة اعلانا لها ، وتذكيرا بشأنها ، وتنبيها للناس على احترامها ، كما أن هذا المعنى يحصل عند اقامة اى احتفال دينى ٠

فكل تلك الوسائل ، ماهى الا قنوات تذكر الناس بتلك الحقوق التى كفلتها شريعة محمد ابن عبد الله ﷺ لغير أتباعه ، وتلك مفخرة ينبغى أن تحسب للتشريع الذى جاء به ، لا أن تؤخذ عليه ، وهى أداة لبث الحب بين الناس أجمعين ، ذلك الحب الذى وضع أسسه النبى العظيم سيدنا محمد ﷺ حين أوصى بقبط مصر خيرا ، لان للاسلام فيها رحما وذمة ، من ثم كان كل تفكير يعتقد أن فى ذلك غرسا للحقد وحضا على الكراهية ، مجانبا للصواب وبعيدا عن الفهم الاسلامى الصحيح، والحديث موصول باذن الله ٠

دكتور عبد الله مبروك النجار

(١) المائدة ـ آية ٥ ٠

(٢) الممتحنة ـ آية ٨ ٠

كتاب الإجزاء في معرفة الأجزاء

للإمام إبراهيم بن عمر الجعبري

تقديم الأستاذ
إبراهيم عطوه عوض

الباب الأول

« في تجزئة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه والتابعين باسنادي الى الداني الى من انتهى اليه ».

سيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها فعله ثلاثة أجزاء فان كانت سواء فيأتي في الاثلاث وأمره بسبع وخمس عشرة يأتي في الاسباع والانصاف .

سيرة عثمان ـ رضى الله عنه قال يحيى الذمارى عن القاسم بن عبد الرحمن : كان يفتتح ليلة الجمعة من البقرة الى آخر المائدة، ثم بالأنعام الى هود ، ثم بيوسف الى مريم ، ثم بطه الى القصص ، ثم بالعنكبوت الى ص ، ثم بالزمر الى الرحمن ، ثم بالواقعة الى الناس ليلة الخميس .

سيرة أبي رضى الله عنه ـ قال : ابو المهلب قال أبى : انا لنقرؤه فى ثمان .

سيرة زيد بن ثابت قال رجل عن أبيه : أنه سأل زيدا عن قراءة القرآن فى سبع ص٤٨/ب فقال : حسن ولأن / اقرأ فى عشرين أو النصف أحب الى من ذلك .

سيرة ابن مسعود . قال محمد بن زكوان الكوفى عن عبد الرحمن قال : كان أبى يقرأ القرآن من الجمعة الى الجمعة وفى رمضان فى ثلاث .

سيرة معاذ بن جبل قال أبو العالية : كان معاذ يقرأ القرآن فى ثلاث .

سيرة سعيد بن جبير قال : (١) وفا بن اياس كان سعيد يؤمنا برمضان فيختم القرآن فى كل ست ليال .

سيرة عطا بن السايب قال : فاضل بن سليم: صحبت عطاء الى مكة فكان يختم فى كل ليلتين .

سيرة ثابت البنانى قال حميد : كان ثابت

يختم برمضان كل يوم وليلة .

سيرة علقمة والأسود بن يزيد وعبد الرحمن ابن يزيد وابراهيم بن يزيد قال ابراهيم :كان علقمة يختمه فى خمس والأسود فى ست وعبد الرحمن وابراهيم فى سبع وكذا قال أبو قلابة عن تميم الداردى .

سيرة ابن أبى مجلذ وبشر بن نهيد قال عمران : كان أبو مجلذ وبشر يختمان بنا رمضان كل أسبوع .

سيرة أبى العالية الرياحى قال خالد قال أبو العالية : كنا مملوكين منا من يؤدى الضريبة ومنا من يخدم أهله وكنا نختم القرآن كل ليلة فشق علينا فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فأمرونا أن نختمه كل سبع ليال مرة فصلينا ونمنا ولم يشق .

سيرة أبى اسحاق السبيعى قال عيسى عن أبيه : كان أبو اسحاق يقرأ كل ليلة ألف آية فكان يختمه فى ست .

سيرة الحجاج الثقفى قال أبو محمد الجمانى : كان الحجاج يقرأ كل ليلة ربعا .

الباب الثانى فى تجزئته باعتبار الكسور السبعة فى اصطلاح الحاسبين وعليها يتفرع السير المتقدمة . الانصاف باسنادى الى الدانى عن خلف عن أبى بكر محمد بن عبد الله المقرئ الأصفهانى قال ابن ذكوان :

النصف الأول بالكهف « **لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا** » .

وعاصم الجحدرى « اذ يتنازعون بينهم أمرهم » وقيل بكم أحدا .

والجمانى قال الحجاج للقرآء أخبرونى على أىُ حرف نصفه قالوا « فاء وليتلطف »

والثانى آخره .

الاثلاث الاول بالتوبة « ولهم عذاب مقيم » أو « ألا يجدوا ما ينفقون » أو آخرها.

والثانى بالقصص « **مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ** » أو آخرها أو بالعنكبوت « وما يعقلها الا العالمون » .

والثالث آخره . الأرباع الأول آخر الأنعام أو بالأعراف أوهم قائلون » .

الثانى بالكهف ولا « يشعرن بكم أحدا » أو « بينهم أمرهم » أو « شيا نكرا » .

الثالث آخر يس أو بالصافات « الى يوم يبعثون » أو « آخرها » .

الرابع آخره . الأخماس الأول بالمائدة « وانهم لا يستكبرون » أو « وان الله بكل شىء عليم » « وانا اذا لمن الظالمين » .

الثانى بيوسف « فان الله لا يضيع أجر المحسنين » أو « لا يهدى كيد الخائنين » أو « انكم لسارقون » .

الثالث بالفرقان « وعتوا عتوا كبيرا » أو « وزادهم نفورا » أو بالشعراء « ان كنا نحن الغالبين » .

الرابع بالمصابيح « لفى شك منه مريب » أو بالشورى « بكل شىء عليم » أو بالزخرف « على رجل من القريتين عظيم » .

الخامس آخره . الأسداس الأول بالنساء « وكان الله شاكرا عليما » أو آخرها .

الثانى بالتوبة « ألا يجدوا ما ينفقون » أو آخرها .

الثالث بالكهف «اذ يتنازعون بينهم أمرهم» أو « نكرا » أو آخرها .

الرابع آخر القصص أو بالعنكبوت « ومـا يعقلها الا العالمون » أو آخرها .

الخـامس آخر الزخـرف أو بالجـاثية « بمستيقنين » أو آخر الأحقاف .

السادس آخره . الأسباع الأول بالنسـاء « يصـدون عنك صـدودا » أو « ان كيـد الشيطان كان ضعيفا » وعلى الحروف دال من صد .

الثانى بالأعراف« انا لانضيع أجر المصلحين» أو بالأنفـال « والذين كفـروا الـى جهنم يحشرون » وعلى الحروف تاء « اولئك حبطت أعمالهم » .

الثـالث بابراهيم « لعلهم يتذكرون » أو بالحجر « وان عذابى هو العـذاب الأليم » وعلى الحروف بالرعد الفا كلها .

الرابع بـالمؤمنين « من مـال وبنين » أو آخرها وعلى الحروف بالحج أول «منسكا »

الخامس بسبأ « الا فريقا مـن المؤمنين » وعلى الحروف بالأحزاب ها « ولا مؤمنة » .

السادس آخر الفتح أو الحجرات وعـلى الحروف بتلك همزة « ظن السوء ».

السابع آخره . الأثمان الأول آخر آل عمران الثانى بالأعراف « وهم قائلون » .

الثالث بهود وقيل « بعدا للقوم الظالمين » .

الرابع بالكهف « نكرا » .

الخامس بالشعراء « انـه هو السـميع العليم » . السادس بالصافات « الى يـوم يبعثون» .

السابع آخر والطور .

الثامن آخره الاتساع الأول بآل عمران أو « هو خير الناصرين » . الثانى بالأنعام « ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » .

الثالث بالتوبة « أن لا يجدوا ما ينفقون».

الرابع بالنحل « وهم يخلقون » .

الخامس بالحج « يصهر به ما فى بطونهم والجلود » .

السادس بالعنكبوت « ومـا يعقلهـا الا العالمون » .

السابع بغافر « انك أنت العزيز الحكيم »

الثامن بالواقعة « أولئك المقربون » .

التاسع آخره الأعشار الأول بآل عمران « وما لهم من ناصرين » « ومنهم المؤمنـون وأكثرهم لفاسقون » .

الثانى بالمائـدة « وانهم لا يستكبرون » أو « وما اعتدينا انا اذن لمن الظالمين » .

الثالث بالأنفال « ونعم النصير » أو آخرها

الرابع « وان الله لا يهدى كيد الخائنين » أو « فان الله لا يضيع أجر المحسنين » .

الخامس بالكهف « شيئا نكرا » أو آخرها .

السادس بالفرقان «وعتوا عتـوا كبيرا» أو «وزادهم نفورا » .

السابع بالاحزاب « وكان ذلك على اللـه يسيرا » أو « ثم لايجاورونك فيها الا قليلا ».

الثامن بالمصابيح « لفى شك منه مريب » . أو بالشورى « بكل شىء عليم » .

التـاسع بالحـديد « والله ذو الفضـل العظيم » أو آخرها .

العاشر آخره .

الباب الثالث فى تجزئته اعتبار أوقات شهور السنين اجزاء سبعة وعشرين لقيام شهر رمضان باسنادى الى الدانى عن الخاقانى قال ابو بكر محمد الاصفهانى :

الاول بالبقرة « فان الله شاكر عليم » •

الثانى « وأنتم لا تظلمون » •

الثالث بآل عمران « والله يحب المحسنين » •

الرابع بالنساء « لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » •

الخامس بالمائدة « ولهم عذاب أليم » •

السادس بالأنعام « وهو أسرع الحاسبين »

السابع بالأعراف « وضل عنهم ما كانوا يفترون » •

الثامن بالأنفال « خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » •

التاسع بالتوبة « قيل وممن حولكم » « ذلك الفوز العظيم » •

العاشر بهود «فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين» •

الحادى عشر بيوسف « لما يشاء انه هو العليم الحكيم » •

الثانى عشر بالنحل « فلبئس مثوى المتكبرين » •

الثالث عشر بسبحان « فأبى الظالمون الا كفورا » •

الرابع عشر بطه « اذ أوحينا الى أمك ما يوحى » •

الخامس عشر بالحج « لعلكم تشكرون » •

السادس عشر بالنور قبل « والقواعد » « والله عليم حكيم » •

السابع عشر بالنمل «وانى عليه لقوى أمين »•

الثامن عشر بالعنكبوت « أولئك هم الخاسرون » •

التاسع عشر بالأحزاب « على كل شئ رقيبا » •

العشرون بالصافات « انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون » •

الحادى والعشرون بغافر « وما كان لهم من الله من واق » •

الثانى والعشرون بالزخرف « ويحسبون أنهم مهتدون » •

الثالث والعشرون بالفتح « ولن تجد لسنة الله تبديلا » •

الرابع والعشرون بالواقعة « الى ميقات يوم معلوم » •

الخامس والعشرون بالتغابن « وعلى الله فليتوكل المؤمنون »•

السادس والعشرون بالانسان « اما شاكرا واما كفورا » •

السابع والعشرون آخر القرآن • أجزاء ثمانية وعشرين لختم ليلة الجمعة وهى أرباع الأسباع باسنادى الى الدانى عن خلف قال أبو بكر محمد الاصفهانى •

الأول بالبقرة « لعلكم تهتدون » •

الثانى قبل « قول معروف » « ولاهم يحزنون» •

الثالث بآل عمران « وعلى الله فليتوكل

المؤمنون » .

الرابع بالنساء « ذلك خير وأحسن تأويلا » .

الخامس بالمائدة « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

السادس بالأنعام « والله ربنا ما كنا مشركين » .

السابع بالأعراف « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون » .

الثامن « ولعلهم يرجعون » .

التاسع بالتوبة « تذهق أنفسهم وهم كافرون » .

العاشر بيونس « كذلك نطبع على قلوب المعتدين » .

الحادى عشر بيوسف « أن كيدكن عظيم » .

الثانى عشر بابراهيم « ومن عصانى فانك غفور رحيم » .

الثالث عشر بسبحان « انه كان عبدا شكورا » .

الرابع عشر بالكهف « ما لم تستطع عليه صبرا » .

الخامس عشر بالأنبياء « لا اله الا أنا فاعبدون » .

السادس عشر بالمؤمنون « ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون » .

السابع عشر بالشعراء « أنباء ما كانوا به يستهزءون » .

الثامن عشر بالقصص «وأبونا شيخ كبير»

التاسع عشر بالروم « ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » .

العشرون بسبأ « لايستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون » .

الحادى والعشرون بالصافات « انهم لهم المنصورون » .

الثانى والعشرون بغافر « بآيات الله يجحدون » .

الثالث والعشرون آخر الزخرف « وقل سلام فسوف يعلمون » .

الرابع والعشرون بالحجرات « لعلكم ترحمون » .

الخامس والعشرون بالحديد « والله بما تعملون بصير » .

السادس والعشرون بالطلاق « لكل شئ قدرا » .

السابع والعشرون بالانسان « نضرة وسرورا » .

الثامن والعشرون آخر القرآن وعدد كل جزء منها اثنا عشر الف حرف وثلاثمائة . أجزاء ثلاثين وهى أثلاث الاعشار وأجزاء الربعات باسنادى الى الدانى قال : ابو الحسن بن غلبون .

الأول بالبقرة « ولا تسئلون عما كانوا يعملون » .

الثانى « وانك لمن المرسلين » .

الثالث بآل عمران « ومالهم من ناصرين »

الرابع بالنساء « ألا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما » .

الخامس « وكان الله شاكرا عليما » .

السادس بالمائدة « ولكن كثيرا منهم فاسقون » .

السابع بالأنعام « ويذرهم فى طغيانهم يعمهون » •

الثامن بالأعراف « وأنت خير الحاكمين » •

التاسع بالأنفال « نعم المولى ونعم النصير » •

العاشر بالتوبة «ألايجدوا ماينفقون » •

الحادى عشر آخر يونس « وهو خير الحاكمين » أو بهود « انه عليم بذات الصدور » •

الثانى عشر بيوسف « وان الله لا يهدى كيد الخائنين » •

الثالث عشر آخر ابراهيم « وليذكر أولوا الألباب » •

الرابع عشر آخر النحل « والذين هم محسنون » •

الخامس عشر بالكهف « لقد جئت شيئا نكرا » •

السادس عشر آخر طه « ومن اهتدى » •

السابع عشر آخر الحج « ونعم النصير »•

الثامن عشر بالفرقان « وكان ربك بصيرا »

التاسع عشر بالنمل « بل أنتم قوم تجهلون»

العشرون بالعنكبوت « والله يعلم ما تصنعون » •

الحادى والعشرون بالأحزاب « وكان ذلك على الله يسيرا » •

الثانى والعشرون بيس « وجعلنى من المكرمين » •

الثالث والعشرون بالزمر « عند ربكم تختصمون »•

الرابع والعشرون بفصلت « وما ربك بظلام للعبيد » •

الخامس والعشرون آخر الجاثية « وهو العزيز الحكيم » •

السادس والعشرون بالذاريات « انه هو الحكيم العليم •

السابع والعشرون آخر الحديد « والله ذوا الفضل العظيم » •

الثامن والعشرون آخر التحريم « وكانت من القانتين » •

التاسع والعشرون آخر والمرسلات « بعده يؤمنون » •

الثلاثون آخر القرآن « من الجنة الناس » •

ابراهيم عطوه عوض

مع حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم - وسيرته

من نفحات السنّة المباركة

قبس من أنوار النبوة

حول الاستراتيجية العسكرية الاسلامية

من نفحات السنة المباركة

الصديقية ومراتبها

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : صعد النبى صلى الله عليه وسلم الى أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان . فرجف بهم فضربه برجله قال : أثبت أحد فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيدان : رواه البخارى .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ومايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا : متفق عليه :

الصديق فعيل من أبنية المبالغة الدالة على فرط الصدق وكثرة ما صدق به :

وتعرف الصديقية بأنها : كمال الاخلاص والانقياد والمتابعة للخبر والأمر ظاهرا وباطنا .

ويوصف بها المذكر والمؤنث قال تعالى : « وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا » سورة مريم .

وقال تعالى : « وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ » المائدة .

والصديقية مبدؤها الصدق الذى هو مطابقة الكلام للواقع ولها تعاريف عدة تتلاقى فى النهاية فهى موافقة السر النطق ، أو الوفاء لله تعالى بالعمل ، أو كلمة الحق عند من تخافه وترجوه .

والصدق هو الطريق الأقوم والسبيل الأمثل الذى من لم يسر عليه كان من المنقطعين الهالكين :

وهو سيف الله فى أرضه الذى ما وضع على شىء الا قطعه ولا واجه باطلا الا أرداه وصرعه . من نطق به علت على الخصوم كلمته ومن صال به لم ترد صولته . لأنه روح الأعمال ومحك الأحوال والحامل على اقتحام الأهوال والمؤدى الى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

قال ابن عباس رضى الله عنهما أربع من كن فيه فقد ربح : الصدق والحياء والشكر وحسن الخلق :

وقال ابو سليمان الدارانى : اجعل الصدق مطيتك . والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك :

للدكتور محمد محمود شعبان

ولقد ذكر الله تعالى الصدق والصادقين والصديقين فى كتابه العزيز أكثر من مائة وخمسين مرة وما ذلك الا لفضله وشرفه •

وبين رب العزة بأن درجته تلى درجة النبوة التى هى أرفع درجات العالمين ومن مساكنهم فى الجنات تجرى العيون والانهار الى مساكن الصديقين كما كان من قلوبهم الى قلوبهم المدد المتصل فى هذه الدار لذلك قال تعالى : « **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** » النساء •

ولقد أمر الله تبارك وتعالى عباده به فقال : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** » التوبة •

فاذا لزم العبد الصدق كان الله تعالى معه ولا يزال يمده بنعمه وألطافه ومزيده واحسانه : ويكون لزومه للصدق خيرا له قال تعالى : « **فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ** » •

الصدق ومعانيه الستة عند الغزالى :

والصدق يستعمل على معان ستة كما ذكرها الغزالى فى كتابه (احياء علوم الدين) وهى موجزة فيما يلى •

١ ـ الصدق فى القول •

٢ ـ الصدق فى النية والارادة •

٣ ـ الصدق فى العزم •

٤ ـ الصدق فى الوفاء بالعزم •

٥ ـ الصدق فى العمل •

٦ ـ الصدق فى تحقيق مقامات الدين كلها •

الصدق فى القول والمعاريض :

فالصدق فى القول يكون فى الأخبار فيجب على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم الا بالصدق كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث : عليكم بالصدق : وينبغى أن يحترز عن المعاريض الا للضرورة كالصلح بين اثنين أو للتغطية على العدد فى الحرب أو للتوفيق مع زوجته •

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل وهو متوجه الى غزوة بدر من بعض الأعراب • من أين أنتم ؟ قال : نحن من ماء • ولو قال من أهل المدينة لاحتمل أن يذهب السائل الى المشركين ويخبرهم بأمره •

ولما كان الرسول عليه الصلاة والسلام مهاجرا ومعه أبو بكر رضى الله عنه سأل بعض المشركين أبا بكر عن الرجل الذى معه فقال : هاد يهدينى الطريق ولو قال : (رسول الله) لربما تعرض النبى صلى الله عليه وسلم للايذاء :

وأما الصدق فى النية فهو أن يكون مخلصا لله تعالى فى جميع حركاته وسكناته فلا يظهر خلاف ما يبطن فانه بذلك يكون منافقا والنفاق

كذب قال تعالى فى شأن المنافقين لما قالوا : نشهد انك لرسول الله : قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون : وما ذلك الا لأنهم كذبوا فى نيتهم وضميرهم وأخبروا بغير ماف قلوبهم :

الثالث : صدق العزم : وذلك بأن تكون عزيمته فى الخيرات كلها تصادف قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد ولذلك قال عمر رضى الله عنه لأن أقدم فتضرب عنقى أحب الى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضى الله عنه .

الرابع : الوفاء بالعزم : وذلك بأن يلتزم بالوفاء فيما عزم عليه من قول أو عمل وينفذ ذلك مهما كانت الأمور التى تصادفه ، ولذلك قال تعالى فى شأن الصحابة الذين وفوا بما عزموا عليه : « **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** » الاحزاب .

فقد نزلت الآية فى شأن أنس بن النضر حيث لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أرانى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع فلما شهد أحدا فى العام القادم قاتل حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون جرحا ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته ما عرفت أخى الا بثيابه فنزلت الآية :

الخامس : الصدق فى الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل اعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به والا كان مرائيا . والرياء من الشرك قال صلى الله عليه وسلم : ان أخوف ما أخافه عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر ؟ قال الرياء :

السادس : الصدق فى مقامات الدين . وهو أعلاها وأعزها كالصدق فى الخوف من الله والرجاء والزهد والرضا . والحب لله والتوكل عليه والتعظيم له ولأوامره والبعد عن نواهيه.

ولذلك أثنى الله تعالى على أنبيائه وأوليائه بقوله تعالى : « **يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** » الانبياء .

وقال تعالى : « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** » الحجرات .

فاذا تحققت هذه المراتب كلها كان العبد صادقا وبذلك يحصل على درجة الصديقية .

ومن هنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسأله « أن يجعل له مدخل صدق ومخرج صدق » فقال :

« **وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا**

نَصِيرًا » الاسراء •

وأخبر عن خليله ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أنه سأل ربه أن يجعل له لسان صدق فى الآخرين فقال تعالى :

« **واجعل لى لسان صدق فى الآخرين** » الشعراء •

وهو الثناء الحسن عليه من سائر الأمم فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعل له ولذريته الثناء الحسن الى يوم الدين فقال تعالى :

« **وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا** » مريم •

وقد بشر الله تعالى المؤمنين بأن لهم قدم صدق فقال تعالى :

« **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ** » يونس •

وقد فسر (قدم الصدق) بالجنة وبمحمد صلى الله عليه وسلم • وبالأعمال الصالحة كذلك بشرهم بأن لهم (مقعد صدق) فقال :

« **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** » القمر •

والمراد به الجنة عند الرب تبارك وتعالى : ووصف ذلك بالصدق مستلزم ثبوته واستقراره ، ودوامه فأنه حق متصل بالحق سبحانه كائن به وله فهو صدق غير كذب ، حق غير باطل ، دائم غير زائل • نافع غير ضار •

ولقد أوحى الله تعالى الى داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : ياداود من صدقنى فى سريرته صدقته عند المخلوقين فى علانيته •

وقال بعض العلماء : أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض :

الاسلام الخالص عن البدعة والهوى ، والصدق لله تعالى فى الأعمال ، وطيب المطعم •

فاذا تم هذا للعبد حدثت له الطمأنينة فى القلب كما ورد فى سنن الترمذى عن الحسن بن على رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الصدق طمأنينة والكذب ريبة •

« مراتب الصديقية » :

وللصديقية مراتب كثيرة لا تحصى وأعلاها صديقية الأنبياء والمرسلين وأسماها صديقية سيد المرسلين وخلق الله أجمعين لقوله تعالى :

« **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** » القلم •

وقوله تعالى « **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** » الزمر •

ثم الأنبياء من بعده صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** » مريم •

وقوله تعالى : « **وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا** » الصافات •

وقوله تعالى فى شأن اسماعيل عليه السلام :

« **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا** » مريم •

فقد صدق فى الوعد بصبره على ذبحه بقوله : **سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** » الصافات .

وقوله تعالى فى حق ادريس عليه السلام : « **وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا.وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** » مريم .

وفى شأن يوسف عليه السلام : « **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ** » يوسف .

وهكذا فكل نبى صديق وليس كل صديق نبيا :

يلى درجة النبوة فى الصديقية صديقية مريم ابنة عمران أم عيسى على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام بقوله تعالى : « **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ** » المائدة .

وقوله تعالى : « **وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** » التحريم .

وكذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه لقوله تعالى : « **وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** » الزمر .

قال ابو يحيى سمعت عليا رضى الله عنه يحلف بأن الله تعالى أنزل اسم أبى بكر من السماء . الصديق . يعنى هذه الآية :

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشى أمام أبى بكر فقال يا أبا الدرداء أتمشى أمام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر الصديق : البخارى .

ثم يليهم العشرة المبشرون بالجنة وأهل بدر وأحد وبيعة الرضوان والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار لأن الله تعالى رضى عنهم ورضوا عنه .

قال تعالى : « **لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** » الفتح .

وقال تعالى : « **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** » التوبة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال لهم افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم : متفق عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك من أحدهم ولا نصيفه : متفق عليه .

وقال صلى الله عليه وسلم : خير القرون

قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم : متفق عليه .

يلى هؤلاء الكرام البررة من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله وعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : « **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ** » الحديد .

فاذا حصل المسلم على درجة (الصديقية) صار من المقربين المحفوظين فى الدنيا الآمنين فى الآخرة قال تعالى : **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** » القمر .

وقال تعالى : **هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** » المائدة .

وقال تعالى : **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** » النساء .

فمن أراد المعيشة الراضية والجنات العالية والحسنى وزيادة فعليه بالصدق فى كل أموره وأحواله وأقواله وأفعاله .

وليتجنب الكذب فأن فيه الهلكة لأنه يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار .

والكذب من علامات المنافقين والمنافقون فى الدرك الأسفل من النار .

قال تعالى : « **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** » النساء .

والكاذب تلحقه اللعنة من الله تعالى والناس فى الدنيا والآخرة قال تعالى : **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** » الزمر .

وقال تعالى : « **أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** » الاعراف .

وقال تعالى « **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** » غافر .

وقال صلى الله عليه وسلم :

واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا : متفق عليه .

جعلنى الله واياكم من الصادقين . وحشرنا فى زمرة النبيين والصديقين ومن علينا بالجلوس فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . ومتعنا بالنظر الى وجهه الكريم آمين .

د. محمد محمود شعبان

قبس من أنوار النبوة

الصدقة عن الميت

عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا قال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم :

« ان أمى افتلتت نفسها ، وانى أظنها لو تكلمت تصدقت فلى أجر ان تصدقت عنها ، قال : نعم »

« رواه مسلم »

فى رواية لابن عباس رضى الله عنهما أن الرجل السائل فى حديث السيدة عائشة هو سعد ابن عبادة الانصارى وهو سيد من سادات الخزرج ، وصاحب راية الأنصار ، كان جوادا كثير الصدقة يحسن العوم والرمى . مات بحوران بدمشق سنة خمس عشرة أو ست عشرة روى عنه بنوه قيس وسعيد واسحاق وأمه هى عمرة بنت مسعود بن قيس أنصارية خزرجية ، أسلمت وبايعت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وماتت سنة خمس من الهجرة ، والنبى صلى الله عليه وسلم ـ فى غزوة دومة الجندل ، وابنها سعد بن عبادة معه صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا صلى النبى صلى الله عليه وسلم على قبرها .

أفتلتت : ماتت فجأة من غير مرض ولا سبب ، يقال كان الامر فلتة أى فجأة من غير تردد وتدبر ، وافتلتنى الشىء وتفلت منى ، وافتلت بالبناء للمجهول مات فلتة أى فجأة .

والمراد بالنفس هنا الروح ، وتطلق ويراد منها الذات تقول جاءنى نفسه ، وتطلق بمعنى عند أو الحقيقة ، قال تعالى : **﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾** الى غير ذلك .

كان الصحابى الجليل سعد بن عبادة رضى الله عنه حريصا على الفوز برضاء أمه حية وميتة ، فيقول : ان أمى ماتت فجأة وانى اظنها لو تكلمت تصدقت وهذا يدل على أنها لم تتكلم ـ فامتنعت الصدقة منها لامتناع الكلام ـ وفى الموطأ انها تكلمت ـ ولكن سعدا لم يعلم بما وقع منها ـ والصدقة هنا الوصية بدليل الرواية الأخرى « ان أمى ماتت ولم توص » أو النذر كما جاء فى رواية البخارى « ان أمى ماتت وعليها نذر » ولا تنافى بين الروايتين لاحتمال أن يكون سأل عن النذر وعن الصدقة وقد ورد أن النذر كان عتق رقبة فماتت قبل أن تعتق فقال سعد أفيجزى عنها أن أعتق فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم « اعتق عن أمك » .

قال سعد ـ رضى الله عنه : وأظنها لو تكلمت تصدقت ، وسند هذا الظن ما كان

للأستاذ على حامد عبد الرحيم

يعلمه عنها من حرصها على فعل الخير ورغبتها فى الطاعات .

« فلى أجر ان تصدقت عنها ؟ » : وفى بعض الروايات : أفلها أجر ؟ . كأنه يقول أيشرع لى التصدق فلى أجر ، لأن المقصود السؤال عن مشروعية التصدق عنها ، والأجر ، ومما لا خلاف فيه أن عمل الطاعة متى كان مشروعا أجر عليه صاحبه المباشر له لقول الله تعالى « **مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** » الانعام .

وقوله تعالى : « **إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا** » الكهف .

فهل ينتفع الغير بهذا العمل اذا قصد به عمل من أجله كما فى حديثنا ؟

وقد أقر النبى — صلى الله عليه وسلم مشروعيته ففيه الأجر لذلك الغير متى نواه به أو وهبه له وان لم يحصل منه نية على فعلها ، وقد يثبت للميت الأجر من غير معرفة ولا نية كما يدخل عليه أجر من يغتابه ، وأجر من يأخذ من ماله .

وكما أن ثواب الصدقة يصل الى الميت وينفعه كذلك المتصدق له أجر السعى — فكل من المباشر للعمل والمعمول له مأجور لا ينقص أحدهما من أجر الآخر شيئا .

انتفاع الميت بالدعاء وغيره :

وكذلك ينتفع الميت بالدعاء ، صح فى الخبر « ان الله ليرفع درجة العبد فى الجنة باستغفار ولده له » أما الصلاة والصوم والحج وقراءة القرآن والذكر وغير ذلك فقد قال جماعة من العلماء منهم الامام أحمد وجمهور السلف بوصول ثواب جميع هذه العبادات الى الميت .

جاء فى البخارى فى باب من مات وعليه نذر ، أن ابن عمر أمر من ماتت أمها وعليها صلاة أن تصلى عنها ، وبذلك قال عطاء بن أبى رباح واسحاق بن راهوية .

وقال الامام البغوى فى كتابه التهذيب لا يبعد أن يطعم عن كل صلاة مد من طعام ودليلهم على ذلك القياس على الدعاء والصدقة والحج فانها تصل الى الميت بالاجماع .

وقال محققو المتأخرين من الشافعية انه يصح الصوم عن الميت أو تخرج عنه الفدية لكل يوم مد من غالب قوت البلد ، وهذا بخلاف المشهور من مذهب الشافعى ومالك ومن وافقهما فأما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ، وقول النبى — صلى الله عليه وسلم « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

فاجيب بأن المعنى ليس للانسان الا ثواب ما سعى من حيث ان مناط نفع هذه الاعمال للميت هو ايمانه ، فما لم يؤمن لم يكن لشىء منها نفع ، فهى من سعيه لتوقفها على الايمان الذى هو سعيه وكذلك لا اشكال فى

◄

قبس من أنوار النبوة

الحديث فانه لا ينافى أن له ثواب عمل غيره الذى عمل له لأنه من سعيه .

وأما الحقوق المالية الثابتة على الميت سواء كانت لله كالزكاة والحج والنذر والكفارة ، أو حقا للآدميين كديونهم وودائعهم فمذهب الشافعية وطائفة انه ان كان للميت مال وجب قضاؤها من رأس المال سواء أوصى بذلك أم لا ، الا أن النذر ان كان فى مرض الموت فانه يكون من الثلث .

ومذهب الحنفية والمالكية أنه لا يجب قضاء شىء من ذلك الا اذا أوصى به فيكون من رأس المال عند الحنفية ومن الثلث عند المالكية .

واذا لم يترك الميت مالا فالشافعية والجمهور أن الوارث لا يلزمه قضاء الدين لكنه يستحب له أن يقضيه .

وقال الظاهرية بلزوم قضاء الدين عملا بظاهر الحديث ، وأجيب بأنه ليس فى الحديث تصريح بالزام سعد ولكنه فضل ذلك تبرعا .

ونأخذ من الحديث :

فضل بر الوالدين بعد موتهما .

واستحباب الصدقة عن الميت ، وأن ثوابها يصل اليه وينفعه كما ينفع المتصدق .

وأن الوصية مندوبة لا واجبة لأن النبى — صلى الله عليه وسلم — ، لم يذم أم سعد على ترك الوصية ، بل بادر بالصلاة على قبرها .

وكيف كان الصحابة يرجعون الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى أمورهم الدينية والدنيوية .

وفيه أن موت الفجاءة غير مكروه ، لأن النبى لم يظهر منه كراهة حين أخبر بموت أم سعد فجأة ، وما ورد مما يفيد انه مكروه كما جاء فى خبر ابى داود (موت الفجاءة أخذة آسف) أى غضبان محمول على الفاجر الذى لم يتهيأ للموت فلذلك كان أخذه فجأة حيث فعل ما أوجب الغضب عليه والانتقام منه فأخذ بغتة ، ويؤيد ذلك ما ورد عن السيدة عائشة وابن مسعود رضى الله عنهما (موت الفجأة راحة للمؤمنين وآسف على الفاجرين » .

قال النووى نقلا عن القدماء — أن جماعة من الانبياء والصالحين ماتوا كذلك وهو محبوب للمراقبين .

وفقنا الله لصالح القول والعمل ، وختم لنا بالايمان والاسلام ..

على حامد عبد الرحيم

حول الاستراتيجية العسكرية الإسلامية

حرب الدفاع

الحلقة الأخيرة

للأستاذ الدكتور رءوف شلبى

الحرب الدفاعية : حرب مشروعة بالفطرة لا تحتاج الى شرح طويل أو تفسير عميق أو تفصيل كثير ، فالدفاع عن النفس وعن العرض ، وعن العرين خاصية فطرية يشترك فيها الانسان مع غيره من الحيوانات التى تدافع عن نفسها وعرضها ، وعرينها ، وكل ما كان فطريا فلا حاجة الى تدليل عليه أو برهان يبيحه ، ولذا فان النصوص القرآنية تمنع المسلمين أن يعتدوا ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .

لكن اذا اتخذت هذه القاعدة تكأة للأعداء فاستباحوا محرمات ممنوع فيها القتال كعند المسجد الحرام والاشهر الحرم » فان الحق المشروع بالفطرة لا ينسخه ادب رفيع مشروع لضمان الامن والسلام عند الاسلام اذا ما استغله الاعداء لمباغتة الامة الاسلامية بالحرب فعندئذ ذكر الاسلام جماعة المسلمين ان هذه الاداب : « لا قتال عند المسجد الحرام » « ولا قتال فى الاشهر الحرم » اذا كانت مرعية من كلا الجانبين المسلمين والكافرين ، أما اذا استباح الكفر حرمات الله التى يعظمها المسلمون فقد انطلقت القاعدة على سجيتها فى الفطرة « **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** » « **وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** » ١٩٩ — البقرة .

فالعسكرية الاسلامية يقظة ، وعادلة ، ورحيمة فلا يغرر بها ولا تتجاوز حدود القتال ولا تمعن فى الخصومة فان أحد استجار أو طلب الأمان أوقفت الحرب .

على هذه القاعدة كانت حروب الدفاع التى ◄

خاضتها العسكرية الاسلامية ضد جحافل البغى والكفر والضلال .

وكبرى العمليات العسكرية لهذا النوع من القتال هى :ـ

ـ غزوة احد .

ـ غزوة الاحزاب أو الخندق .

ـ غزوة حنين .

وهى تبين مدلول الاستيراتيجية الكافرة التى تتمنى لقاء الاسلام فى كل صوب وحدب كذلك تبين مدلول الاستيراتيجية الاسلامية التى تريد الخير للناس أجمعين .

ـ **غزوة أحد** : وقعت يوم السبت لسبع خلون من شهر شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة .

وكان الباعث عليها : ان قريشا لم تعلمها معركة بدر كيف تعيد مراجعة حساباتها بعد أن قال الله لهم فى مكة قديما : « **سيهزم الجمع ويولون الدبر** » وقد هزموا وولوا الدبر ، فكان عليهم ـ وهم جميعا عارفون ان محمدا ﷺ على الحق ، كان عليهم ـ ان يعيدوا حساباتهم ، ولكنهم راحوا يتلمسون القوة من اهل الحقد والكراهية ، فرحل ابو سفيان الى « سلام من مشكم » فى بنى النضير يتشمم اخبار النبى ﷺ ويطلب العون ضده وكان المجلس القومى للتخطيط القرشى لمحاربة الاسلام ينعقد فى بيت سويد اليهودى، ويحضره صديقه الحميم عبد الله بن ابى بن سلول ، والراهب الفاسق ابو عامر يرسم دائما خططه ويحدد مقادير نشاطه ومساعدته ليجمع على النبىُ ﷺ كل قريش وكل من يكره الاسلام والمسلمين ، فخرج أبو عامر وهو : عبد عمرو بن صيفى الراهب الفاسق ومعه خمسون رجلا الى قريش يحرض على قتال النبى ﷺ مستخدما اسلوب الحض على الاخذ بالثأر ممنيا قريشا انه سيدهم بقوة من رجاله ، ومعهم رجال من يهود ورجال عبد الله بن أبى بن سلول سيد النفاق والمنافقين .

ولم تكن العين التى تحرس فى سبيل الله لتأخذها سنة أو يداعب أجفانها الكرى وسط هذا الخليط المرمن كوكبة الكفر : قريش ، والمنافقين ، واليهود ... فأرسل العباس ابن عبد المطلب(١) ـ وهو يومها مسلم مستخف فى مكة ـ أرسل رسالة الى النبى ﷺ يخبره فيها بما جهزته قريش من اللقاء العسكرى الذى دفع به الثأر وحمس اليه اليهود والمنافقون وأرسل النبى ﷺ رجلين من أجل الرجال عسكرية وصدقا فى الدين هما : أنس ويونس ابنا فضاله يجمعان المعلومات وعادا الى النبى ﷺ بما تزودا من أخبار ..

وجاءت قريش برجالها وخيلها ، ورأى النبى ﷺ رؤيا فلما أصبح يوم الجمعة خطب الناس : فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، انى رأيت فى منامى رؤيا : رأيت كأنى فى درع حصينة ورأيت كأن سيفى

---

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١١٤ .

ذا الفقار انقصم من عند ظبته : (ذبابة طرفه). ورأيت بقرا تذبح ، ورأيت كأنى مردف كبشا » .

فقال الناس : يارسول الله ، فما أولتها ؟ قال : اما الدرع الحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، واما انقصام سيفى من عند ظبته فمصيبة فى نفسى ، وأما البقر المذبح فقتلى فى أصحابى ، وأما أنى مردف كبشا فكبش الكتيبة نقتله ان شاء الله .

وقال : أشيروا على ؟ ورأى رسول الله ﷺ ألا يخرج من المدينة فوافقه الا كابر من الصحابة : مهاجرهم وأنصارهم (١) .

وهذا الرأى له وجاهته السياسية ، والعسكرية :

أما وجاهته السياسية : فان المعاهدة الموقعة من اليهود مع المسلمين تقضى عليهم بالاشتراك فى الدفاع عن المدينة اذا هوجمت من الخارج ، أما اذا خرج المسلمون عنها فى عملية عسكرية فلا يلزم اليهود شىء من الالتزامات العسكرية .

وأما وجاهته العسكرية : فان الدفاع من داخل المدينة يضمن عدم خيانة اليهود والمنافقين عكس ما اذا خرج الجيش الاسلامى من المدينة .

وهذا هو الذى وقع فقد تحالف عبد الله ابن سلول مع اليهود على أن يرجع جيش ابن سلول عندما تنشب المعركة حتى ينكشف المسلمون .

وتحمس الشباب وكان مبدأ الشورى قد تقرر منذ العهد المكى على أنه صفة لازمة للجماعة الاسلامية فيما يرى النبى ﷺ طرح المشورة فيه فلا يقطع برأى يخص الامة أو الدولة الا عن طريق الشورى ممن هم أهلها .

وكان الحماس دافقا لاذعا ، وكانت مشيئة الله — قبل كل شىء — تقدم الاحداث سجلا للواقع الطبيعى لمبادىء الاسلام التى لا يجب ان يفرط فيها المسلمون فى أى زمن أو مكان فوافق النبى ﷺ على مشورة الشبان المتحمسين وليس لأمة الحرب ثم شعر أنهم استكرهوا رسول الله ﷺ على الخروج فقالوا : —

استكرهناك يا رسول الله ولم يكن لنا ذلك، فان شئت فاقعد .

فقال ﷺ : ما كان لنبى لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، انظروا ما أمرتكم فاتبعوه ، امضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم (٢)

وعبأ رسول الله ﷺ الجنود ، وحدد المهام وقال للرماة فوق الجبل : احموا لنا ظهورنا ، فإنا نخاف أن نؤتى من ورائنا والزموا مكانكم لا تبرحوا منه ، واذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل معسكرهم فلا تفارقوا

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١١٦ — الظبة : هى حد السيف من قبل طرفه .

(٢) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١١٧ ، ١١٨ زاد المعاد جـ ٣ ص ١٩٣ .

مكانكم ، وان رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا ، اللهم انى أشهدك عليهم ، وأرشقوا خيلهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل (١) .

اذن : التعبئة كاملة ، والخطة محكمة ، والمهام محددة ، وطاعة رسول الله واجبة فليس فى « التكتيك » العسكرى شىء غامض ولا مهمة غير معروفة .

وبدأت المعركة وكان النصر اول النهار للمسلمين ، وكان مقتضى المهام المحددة ، والأوامر النبوية التى أشهد عليها رسول الله ﷺ ربه ألا يتحرك الرماة من فوق الجبل ، لكن استخدام العقل فى غير موضع التفكير السليم امام النص الصريح الواضح جلب الهزيمة للمسلمين بينما ثبت رسول الله ﷺ فلم يهزم قط .

وكانت هذه الهزيمة فى حد ذاتها نصرا من الله ليتطهر الجيش الاسلامى من بقية الضعاف والمنافقين وليعلم الذين كفروا أنهم مع ما أحرزوه من شوكة على المسلمين فانهم لم ينتصروا لان النصر انما يكون بتحقيق الغاية وغايتهم قتل رسول الله ﷺ ، وقد حماه الله وسلم منهم فعاد المشركون بحفالة (٢) شوكة مكسورة لا تذهب ظمأ قريش بالذى كانت تأمله .

وبقيت غزوة احد تعلم المسلمين درسا قاسيا متعدد العناصر : ـ

١ ـ انه لابد فى النصر من طاعة الله ورسوله طاعة صريحة واضحة .

٢ ـ ان الشورى حق ثابت للمسلمين فى السلم والحرب على السواء لا تسقط بحال .

٣ ـ أن علم رئيس الدولة بالعواقب لا يمنع المسلمين من ممارسة حقوقهم فى ابداء رأيهم المخلص لوجه الله .

٤ ـ وان العمل الاسلامى دائما فى حاجة الى تنقية... حتى تتطهر صفوف المسلمين .

ولن تعود الامة الاسلامية الى هذه المنزلة الشريفة الجلية فى العصر الحاضر الا اذا عادت الى سيرتها الاسلامية فى جدية ووضوح وصفاء .

ومن دلائل صدق النبوة فى هذه الغزوة أن النبى ﷺ قتل أبى بن خلف فقد . قال أبى للنبى ﷺ : يا محمد : ان عندى فرسا أجلها فرقا من ذرة كل يوم اقتلك عليها ، فقال رسول الله ﷺ : بل أنا اقتلك عليها ان شاء الله "٣" .

وقد حدث والحمد لله .

ـ **غزوة الاحزاب : الخندق**، كانت فى شوال من السنة الخامسة حسب رواية ابن اسحق ، وخبرها يرجع الى أن شوكة قريش فى يوم أحد كانت لينة لم تصب المقتل الذى يريده المجلس القومى للتخطيط : سويد اليهودى ، وابن سلول ، وأبو عامر الراهب

(١) امتاع الاسماع جـ ١ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٢) الحفالة كالحثالة وزنا ومعنى : الردىء من كل شىء ، والحفالة أيضا : بقية الاقماع والقشور فى التمر والحب . وفى الحديث وتبقى حفالة كحفالة التمر أى رذالة من الناس كردىء التمر ونفايته انظر اللسان .

(٣) راجع الامتاع ج ١ ص ١٣٩ ومعنى : أجلها فرقا = اعلفها مقدار مكيل من الذرة .

الفاسق وبقية المتربصين بالاسلام ، وظل بقاء النبى ﷺ وانتشار الاسلام يهدد مصالحهم وشموخهم ، وسيادتهم .

يضاف الى هذا هروب أبى سفيان من غزوة بدر (الموعد) الذى به منصرفه من أحد ، فانه قال : موعدنا بدرا العام القابل ، وجهز النبى ﷺ لقضاء يوم أحد بيوم بدر الثانية وتسمى: « بدر الموعد » وأراد أبو سفيان أن يتستر وراء اشاعات يصنعها من نسيج خياله ، فاستأجر رجلا يذهب الى المدينة ويقص قصصا باطلا عن ضخامة استعدادات قريش ليوم « بدر الموعد » واشتغل اليهود والمنافقون ومجلس التخطيط القومى ، هذه الاشاعات ليفتوا فى عضد المسلمين ، ولكن النبى ﷺ لم يأبه بهذه الهواجس ، فاستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة وسار فى ألف وخمسمائة مقاتل ، وحمل اللواء على بن ابى طالب وخرج ابو سفيان فى الفين ثم بدا له أن يرجع فقال : ــ يا معشر قريش : ارجعوا فانه لايصلحنا الاعام خصيب غيداق نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن فلما رجعوا سماهم أهل مكة « جيش السويق » .

فانضم هذا التخلف عن « بدر الموعد » الى الآلام التى تكبدها اليهود فى الجلاء عن المدينة فخرج زعماء اليهود من بنى النضير ومن خيبر على السواء الى قريش يؤلبونها على رسول الله ﷺ ومشوا فى العرب يؤلبونهم على الاسلام والمسلمين فتجمعت قريش مع الأحابيش(١) مع اليهود وراحوا يحاربون المدينة : النبى ﷺ وأصحابه والمسلمين ... ونقضت بنو قريظة العهد فجاءوامن فوق المسلمين ومن أسفل منهم ، وبلغت القلوب الحناجر من الرعب والخوف ، وحفر المسلمون الخندق وبذلوا كل ما فى وسعهم العسكرى فذلك هو الواجب وما وراء ذلك فالأمر بيد الله ... ولم تكن معركة عسكرية بقدر ما كانت معجزة الهية فلله جنود السموات والارض وما يعلم جنود ربك الا هو ... فكانت الرياح التى تقلع الخيام ، وتكفأ القدور وترعب الخيل والجمال والفرسان ، وكان أول الهاربين أبو سفيان وكفى الله المؤمنين القتال ووعدهم مغانم كثيرة وأرضا لم يطؤوها .

وكان من آية هذه الغزوة : ــ

١ ــ البشارات التى أخبر بها النبى ﷺ من فتح ايران والشام واليمن .... الخ

٢ ــ ارتباط النصر بالطاعة لله ولرسوله وبذل أقصى ما فى الوسع ثم التوكل على الله فى النتائج .

٣ ــ التخلص النهائى من شوكة قريش ومن شوكة اليهود (٢) .

ــ غزوة حنين : ويقال انها غزوة «هوازن» وغزوة « أوطاس » تسمية بالمكان الذى وقعت فيه وكانت وقعتها فى اوائل شوال من السنة الثانية بعد فتح مكة المكرمة ومن حديثها :

---

(١) سكان بعض الضواحى من مكة وأحابيش قريش : جماعة من قريش وكنانة وخزاعة اجتمعوا عند حبشى وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا انظر الوسيط .

(٢) يراجع زاد المعاد جـ ٣ ص ٢٧٠ امتاع الاسماع جـ ١ ص ٢١٥ .

أن بطون هوازن رأت من نفسها بعد فتح مكة أنفة وعزة فأعلنت خلافها لرسول الله ﷺ ، وانضم الى هوازن بطون من ثقيف فقد كانوا : طغاة عتاة مردة ظلمة فمشى بعضهم الى بعض وحشدوا وبغوا وقالوا : والله ان محمدا (١) لاقى قوما لايحسنون القتال ... وكان جماع امر الناس الى مالك ابن عوف النصيرى — وقد اسلم فيما بعد (٢) فلما أراد الخروج الى القتال ساق مع الناس الاموال والنساء والذرية فلما نزل بأوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم « دريد بن الصمة » فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا :بأوطاس قال : نعم مجال الخيل : لاحزن ضرس ، ولا سهل دهس : يعنى ليس مرتفعا كثير الحجارة وليس هشا كثيف الرمال .

ثم قال دريد بن الصمة وهو داهية حرب : ما لى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصبى ، ويعار الشاة ؟

قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم وأموالهم وأبناءهم .

قال : ابن مالك ؟ ودعى له فقال له دريد : هل يرد المنهزم شىء ؟ انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك (٣) .

ولما سمع النبى ﷺ بخروجهم للقتال بعث عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى ليجمع له المعلومات ففعل فخرج رسول الله ﷺ فى عشرة آلاف من الفاتحين أضيف اليهم ألفان من أهل مكة حديثى عهد : الاسلام .

فكانت المسيرة ضخمة جعلت المشاعر مبتهجة بكثرة الجيش الاسلامى فقال رجل لم يسمه المقريزى — لولقينا بنى شيبان ما بلينا ، لا يغلبنا اليوم أحد من قلة .

ثم كانت الهجمة المفاجئة المباغتة من جانب جيش هوازن وثقيف فتخلخل الصف الاسلامى ليثبت للتاريخ أن النبى ﷺ صادق فى نبوته ، وصادق فى قيادته العسكرية فثبت ولم ينجفل حاشا لله ولكنه وقف يقول :

أنا النبى لا كذب .:. أنا ابن عبد المطلب

وهى ليست بسالة ولكنها معجزة الانبياء لأن البسالة لا تستطيع أن تقابل الآلاف فى هجمة مفاجئة غادرة بل البسالة تتحايل حتى تمضى العاصفة الا النبوة فبسالتها أن تواجه لأن جند الله تحرس نبيه ﷺ .

ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل ملائكة لم تروها .

يقول ابن اسحق : ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم الى نخلة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الاشعرى فرمى بسهم فقتل فأخذ الراية أبو موسى الاشعرى وهو ابن أخيه فقاتلهم ففتح الله عليه فهزمهم

البقية ص ٧١٨

---

(١) صلى الله عليه وسلم .
(٢) راجع الحلبية ج ٣ ص ١٠٦ .
(٣) زاد المعاد ج ٣ ص ٤٢٦ .

التصوف.. في ضوء تحقيق العلماء

التصوف وأئمته

التصوف فى مصر قبل القرن السابع الهجرى

التصوف وأئمته

التصوف الاسلامى فى واقعه تربية علمية وعملية للنفوس وعلاج للنفوس ، وغرس للفضائل واقتلاع للرذائل وقمع للشهوات وتدريب على الصبر والرضاء والطاعات فهو مجاهدة للنفس ، ومحاسبة لها على الأعمال والتروك وانقطاع عما يعوق السالك فى سيره الى الله وزهاده فى كل ما يلهى عن ذكر الله ويعلق بالقلب سواه .

وهو توجه الى الله تعالى واقبال عليه وعكوف على عبادته وتعرض لنفحاته وهباته التى يختص بها أولياءه وأحباءه .

كل ذلك مع السعى والعمل الصالح فى الدنيا بما يتزودن للآخرة وبما به قوام الحياة والعمران فى الحلال الطيب .

وهو مطلوب شرعا وحسن ممدوح فى دين الله . قال تعالى :

« فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » .

وقال تعالى :

« وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِى الْأَلْبَابِ » .

وجملة القول فيه — قبل تدوينه كفن وبعده — أنه تربية وتهذيب ، وعلم وعمل ، ووقاية وعلاج ، ودين ودنيا ، وعبادة وزهادة وتقوى وطاعة واستقامة وصبر وجهاد ، وفرار من فتنة الدنيا وزينتها وابتعاد .

وهو لب الشريعة وروحها ، وثمرتها وحكمتها .

وقد كان ذلك شأن جمهور الصحابة والتابعين والسلف والصالح فى أئمة الدين .

ولا نبعد اذا قلنا انهم كانوا جميعا صوفية بهذا المعنى الجامع الذى صار موضوع التصوف المدون فيما بعد وغايته ولكن على تفاوت بينهم فيه .

ذلك هو التصوف النقى من الشوائب الذى لم يخالطه زيغ ولا شطط ولا جهل ولا ابتداع .

وهو تصوف العلماء والنساك ، القائمين على حدود الله ، الواقفين عند شريعته أمثال الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠ هـ ، وأبى اسحاق ابراهيم بن أدهم البلخى المتوفى سنة ١٦١ هـ ، وأبى سليمان داود الطائى المتوفى سنة ١٦٥ هـ ، وأبى على الفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ ، وأبى الفيض ذى النون المصرى المتوفى سنة ٢٤٥ هـ ، وأبى الحسن السرى السقطى المتوفى سنة ٢٥٣ هـ ، وأبى محمد سهل بن عبد الله التسترى المتوفى سنة ٢٨٣ هـ ، وأبى القاسم الجنيد البغدادى شيخ الطائفة المقدم المتوفى سنة ٢٩٧ هـ ، وأبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى

لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف

صاحب الرسالة المشهورة المتوفى سنة ٤٦٥ هـ، وحجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى أحد أئمة الشافعية المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ،وأبى محمد عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١ هـ ، وأبى حفص السهروردى صاحب عوارف المعارف المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ، والامام أبى الحسن الشاذلى على بن عبد الله المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، وأبى العباس أحمد بن عمر المرسى المتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، وأبى الفضل أحمد بن محمد « ابن عطاء الله الاسكندرى» المتوفى سنة ٧٠٩ هـ ، والسيد عبد الله بن علوى الحداد الحضرمى المتوفى سنة ١١٣٢ هـ ، وأبى المواهب السيد مصطفى البكرى الصديقى المتوفى سنة ١١٦٢ هـ ، والشمس محمد بن سالم الحفنى المتوفى سنة ١١٨١ هـ ، والقطب أبى البركات أحمد الدردير العدوى المتوفى سنة ١٢٠١ هـ ــ رضى الله عنهم ، وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين من الأئمة العارفين مختلف العصور .

* * *

ولهؤلاء الأئمة وأضرابهم ــ وهم صدور الاسلام وأعلامه ــ كلام جيد شاف فى الأذواق والمواجد ، التى تنشأ عن المجاهدات، ثم تستقر للمريدين مقامات ، ثم يترقون فيها درجات ، على تشدد من بعضهم فى السلوك وتفاوت بينهم حسب تفاوت أقدارهم فى العلم والذوق ، والعرفان .

ولهم اصطلاحات علمية ، واشارات ذوقية، ورموز دقيقة ، ومعان علوية ، وحكم رفيعة ، يعرفها أهلها ، ويتذوقها من وهب رقة الشعور ، ودقة الادراك . وهم فى مجال الاعراب والبيان عن ذلك متفاوتون .

وموردهم الذى يستقون منه ذلك كله : كتاب الله تعالى وهدى النبوة ، وما روى عن العارفين من أئمة الاسلام .

وقد اختص هذا النوع من العلم الشرعى فى عصر التدوين ــ كما أشار اليه ابن خلدون فى مقدمته ــ باسم « التصوف » أو « علم الحقيقة » كما اختص النوع الآخر منه باسم « الفقه » أو « علم الشريعة » وهو الخاص بالأحكام العامة فى العبادات والمعاملات والعادات . وتساوق العلمان معا فى تكوين الشخصية الاسلامية الكاملة ظاهرا وباطنا ، حسا ومعنى ، روحا ومادة ، بحيث لا يكمل تكوينها الا بهما ، فكانا منها كجناحى الطائر .

وقد ألف الأئمة كتبهم فى كل منهما على حدة ، وجمع بعضهم بينهما كالغزالى فى احياء العلوم ، وهو موسوعة اسلامية جامعة ، وذخيرة ثمينة نافعة . ومما قاله بعض الصوفية : « حقيقة بلا شريعة باطلة ، وشريعة بلا حقيقة عاطلة » . تصوير دقيق لترابط هذين العلمين الشرعيين ، وتساوقهما فى تكوين المسلم الكامل .

التصوف وأئمته

التصوف الكاذب .

هذا هو التصوف الصادق الذى ملأ سمع الدنيا وأمتعها منذ عصر التدوين .

وهناك تصوف كاذب وهو الذى انتحله قديما حكام من الناس أشربوا تعاليم طائفة الباطنية الحلولية وتدثروا بدثار الصوفية اجتذابا للعامة وتغريرا ، ودسوا فى التصوف الحادهم ومقالاتهم الشنيعة فى الدين كأبى سيفين الاشبيلى المتوفى سنة ٦٦٩ هـ واضرابه افسادا لعقائد العامة فى المسلمين .

وهؤلاء ليسوا صوفية ولا من التصوف فى شىء وانما هم مرتزقة زنادقة ملحدون .

وقد كشف خبيئتهم وفند مزاعمهم كثير من أئمة الاسلام ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية الحنبلى المتوفى سنة ٧٢٨ هـ رحمه الله وتلميذه الامام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ رحمه الله .

وهناك آخرون انتموا الى الصوفية بل احترفوها واتخذوها سمة لهم وتوارثوا فيما بينهم بدعا سيئة وشعارات زائفة وتقاليد منكرة جهلا بالدين الخالص أو تجاهلا طمعا فى متاع الدنيا ثم ظلوا عليها عاكفين لا يأبهون لعلم ولا يستمعون لنصح ولا يخضعون لحكم .

وهؤلاء — لاريب — أدعياء فى الصوفية دخلاء فى التصوف .

وقد انتصب للرد عليهم والتنديد بهم وتبيان بدعهم ومنكراتهم وارشادهم الى الحق والهدى كثير من العلماء الصالحين قديما وحديثا .

ومنهم العلامة عبد الرحمن الأخضرى المتوفى سنة ٩٨٣ هـ .

ومنهم الأستاذ أبو المعارف الشيخ أحمد بن شرقاوى الصعيدى المالكى الخلوتى فى كتابه (شمس التحقيق) المتوفى سنة ١٣١٦ هـ والعلامة الشيخ أحمد الطاهر الحامدى الأقصرى المتوفى سنة ١٣٣١ هـ والعلامة والدنا الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى المالكى الخلوتى المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ رحمهم الله

وجوب انصاف التصوف البرىء

ومع ذلك قد تنكر أناس للتصوف بأسره وحملوا عليه حملات شعواء عنيفة وحملوه أوزار أولئك المتصوفين الكاذبين وخطاياهم واتخذوها مكانا للطعن فيه وفى أئمته وكتبه .

ولو أنهم توفروا على دراسته والاطلاع على كتبه واستقصاء أقوال أئمته وتواريخهم وسيرهم وآثارهم وجهادهم فى الدين لتبدل جهلهم بالتصوف علما وخطؤهم فيه صوابا وذمهم له مدحا ولتميز لديهم الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والأصيل من الدخيل المفترى ، ولعرفوا أن التصوف البرىء من الشوائب النقى من تلك المفاسد — ما هو الا الدين الخالص والحق المحض ولباب الشرع خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وان الطعن فيه جهالة وجحود .

وأين الطاعنون فيه من أولئك الأعلام الذين أقاموا دعائمه وشادوا أركانه على تقوى من الله ورضوان ومنهم من ذكرنا من الأئمة الأعلام .

نسأل الله لهم الهداية والرشد ؟

حسنين محمد مخلوف

التصوف في مصر قبل القرن السابع الهجرى

للدكتور غريب محمد على

١ ــ كثرت الفروض وتضاربت الاحتمالات حول أصل كلمتى « تصوف » ، و « صوفى » حتى لا يكاد يوجد باحث أو مؤرخ أو دارس للتصوف لم يتحدث عن ذلك محاولا ايجاد مبرر مقبول أو سبب معقول من أجله سمى الصوفى صوفيا .

ولعل أقرب هذه الاحتمالات الى الصحة اللغوية ما ذهب اليه السراج الطوسى من أن التصوف مأخوذ من « الصوف » وأن « الصوفى » نسبة الى ذلك النوع من اللباس الذى (كان دأب الانبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين المتنكسين) (١).

ويأخذ بهذا الاحتمال ابن الجوزى ويرجحه ابن خلدون يقول ابن الجوزى بعد أن أورد آراء كثيرة فى أصل كلمة الصوفى : (وقال آخرون : بل هو منسوب الى الصوف وهذا يحتمل) (٢) .

ويقول ابن خلدون : (والأظهر ان قيل بالاشتقاق أنه من الصوف ، وهم فى الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف) (٣) .

ويؤكد هذا الرأى ابن على المقدسى حيث

---

(١) اللمع / أبو النصر السراج / ص ٤١ تحقيق د . عبد الحليم محمود ؛ ط عبد الباقى سرور / ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٠ م

(٢) تلبيس ابليس / ابن الجوزى / ص ١٦٢ ط النهضة سنة ١٩٢٨ م .

(٣) مقدمة ابن خلدون / ص ٢٧٨ / ط اولى المطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣١١ هـ

يورد بعض الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على أن الصوف كان كساء الأنبياء ويورد أقوالا لبعض الصحابة تدل على أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يلبس الصوف (١).

وأما القشيرى فيرى أن لفظ « متصوفة » كان لقبا لهؤلاء العباد المتنسكين ، ويشهد لهذا اللقب وجه من وجوه القياس فيقال : (تصوف اذا لبس الصوف ، كما يقال تقمص اذا لبس القميص)(٢) ،وان يكن يرى أن المتصوفة لم يختصوا بهذا النوع من الملبس .

ومهما يكن من شيء فان جمهور الباحثين والمؤرخين يكادون يجمعون ـ الى حد كبير ـ على أن كلمة التصوف مأخوذة من الصوف ، وأن كلمة الصوفى منسوبة نسبة صحيحة الى هذا النوع من الملبس .

فما سنيون نراه فى مقاله بدائرة المعارف يقول : (ان التصوف مصدر الفعل الخماسى المصوغ من تصوف للدلالة على لبس الصوف ، ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى فى الاسلام صوفيا ، وينبغى رفض ما عدا ذلك من الأقوال التى قال بها القدماء والمحدثون)(٣) فهو يرفض رفضا باتا أية فروض لأصل كلمتى التصوف والصوفى غير « الصوف » .

والى هذا الرأى يميل د. محمد كمال جعفر لأن الدلائل ـ فى نظره ـ (تشير الى أن أقرب الفروض الى الصحة هو فرض نسبة التصوف الى الصوف باعتباره شارة دالة فى وقت معين على منهج خاص)(٤) .

وبهذا الفرض يصرح د. ابراهيم بسيونى صريحا واضحا لأن (النسبة الى الصوف تقرب النسب الى الاشتقاق اللغوى ، ولأن ثمة علاقة بين ارتداء الصوف وبين التخفف من متع الحياة والميل الى الزهادة والاتجاه الى التنسك) (٥) .

وهناك فروض أخرى كثيرة لا تقف فى قوة أمام هذا الاحتمال ، من ذلك الفرض القائل بأن الصوفى نسبة الى الصفاء ، وقد نظر هذا الفرض الى الناحية النفسية للصوفى الذى (صفت لله معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته)(٦) والذى تخلص من كدورات الحياة وعلائق الدنيا وسبح فى ملكوت الله عز وجل ، وصفى نفسه ونقاها

---

(١) صفوة التصوف / الحافظ أبو الفضل محمد ابن طاهر بن على المقدسى / ص ٥٣ / ط دار التأليف ط . بمصر سنة ١٩٥٠ م تحقيق / د . احمد الشرباصى

(٢) الرسالة القشيرية / ابو القاسم عبد الكريم القشيرى / ص ١٣٨ / ط البابى الحلبى ط ثانية سنة ١٩٥٩ م

(٣) دائرة المعارف الاسلامية / مادة «تصوف» / مقال لماسينون « لويس » المجلد الخامس / ص ٢٦٥ .

(٤) التصوف طريقا وتجربة ومذهبا / د . محمد كمال جعفر ـ ص ٤ .

(٥) نشأة التصوف الاسلامى : د. ابراهيم بسيونى / ص ١٠ / ط دار المعارف بمصر سنة

(٦) التعرف لمذهب أهل التصوف / ابو بكر محمد الكلاباذى : ص ٢١ ـ ط دار احياء الكتب ١٩٦٩ م

العربية (البابى الحلبى) سنة ١٩٦٠ .

من كل ما يعوق معراجه الصوفى ، ولكن هذا الاحتمال غير صحيح لغويا لأن النسبة الى الصفاء صفوى لا صوفى • وفرض آخر يذهب الى أن الصوفى منسوب الى صفة مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وذلك لقرب أوصاف الصوفى (من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)(١) يلازمون المسجد لفقرهم وعوزهم ، وهذا الفرض مثل سابقه لا يستقيم لغة اذ النسب الصحيح الى صفة صفى كما أن التصوف لا يختص (بفقر ولا غنى اذا كان صاحبه يريد وجه الله)(٢) كما يقول ابن زروق •

وفرض ثالث يجعل الصوفى منسوبا الى الصف وقد نظر هذا الفرض الى مكانة الصوفى ومنزلته والى علو قدر الصوفية الذين هم (فى الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى)(٣) والواقع أن هذا الفرض صحيح من حيث المعنى — كما يرى القشيرى — ولكن مقتضى اللغة يوجب أن يكون صفى هو النسب السليم الى « صف » •

ومن الفروض ما ذهب الى أن الصوفى مأخوذ من الكلمة اليونانية « سوفيا » وهى تعنى الحكمة والصوفى بهذا المعنى «سوفوس» أى الحكيم ، ولكن حرف السين فى اللغة اليونانية يقابله سين لا صاد فى اللغة العربية كما يقرر ذلك نولدكه الذى يورد له نيكلسون قوله (فلو كانت كلمة صوفى مشتقة من أصل يونانى لكان بقاء الصاد أولها خروجا على القياس على أقل تقدير زد على ذلك أنه لا يوجد دليل ايجابى يرجح افتراض أن الكلمة مشتقة من الاصل اليونانى سوفوس)(٤) •

وثمة فرض ينسب الصوفى الى (الصوفانة وهى بقلة رعناء قصيرة)(٥) وهذا الاحتمال يضعف أمام قواعد اللغة وهناك من الافتراضات التى وضعت لأصل هاتين الكلمتين ما يجعل الصوفى منسوبا الى (صوفة القفا وهى الشعرات النابتة فى مؤخرة الصوفى ، كان الصوفى عطف به الى الحق وصرفه عن الخلق)(٦) ورغم أن هذا الافتراض مساير للصحة اللغوية فان — فى التأويل — فى اعتقادى — غير قوى اذ العلاقة بين المتصوف وهذه الشعرات غير واضحة تماما • وعلى هذه الشاكلة نجد فروضا عديدة وتصورات كثيرة توضع للاصل الذى أخذت منه الكلمتان ومن ذلك على سبيل المثال الظن بأن أصل كلمة الصوفى هو الفعل المبنى للمجهول من « صاف » والتصور الذى يدعى بأن الصوفى منسوب الى (رجل كان يقال له صوفة واسمه الغوث بن ◄

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف / ص ٢١ •
(٢) قواعد التصوف / أبو العباس أحمد بن ابن محمد زروق — ص ٧ — تصحيح محمد زهرى النجار / ط دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٦ م •
(٣) الرسالة القشيرية / ص ١٣٨ م
(٤) فى التصوف الاسلامى وتاريخه / رينولد نيكلسون / ترجمة د • أبو العلا عفيفى ص / ٦٧ / ط لجنة التأليف سنة ١٩٦٩ م
(٥) تلبيس ابليس / ص ١٦٢ •
(٦) تلبيس ابليس / ص ١٦٢ •

مر) (١) أول سادن للكعبة فى الجاهلية .

وعلى أية حال فان الفرض الأول وهو نسبة الصوفى يعد - فى تصورى - أقوى الفروض وأكثرها قبولا لأن القياس اللغوى يشهد لصحته ولأن نسبة الصوفى (الى الصوف يؤيدها نصوص من أقوال الكتاب المسلمين أنفسهم (٢) مثل السراج الطوسى وابن على المقدسى .

٢ - وأما التعاريف التى تعرضت للتصوف والصوفى فانها كثيرة كثرة مفرطة وبالاضافة الى ذلك فانها متنوعة ويمكن - مع ذلك - أن نقسم هذه التعاريف رغم تلك الوفرة وذلك التنوع الى ثلاثة أنواع : -

١ - النوع الأول :

اهتم بالناحية الشكلية مثل المأكل والملبس والمظاهر الخارجية فى الوقت الذى لم تحظ فيه نفسية الصوفى بمثل هذا الاهتمام فلم ينظر اليها ولم يتعمقها ويسبر أغوارها ويخبر مشاعرها ولم يهتم بسلوكيات الصوفى ومجاهداته ورياضاته وأخلاقه ومثال ذلك ما أورده القشيرى فى رسالته على لسان أحد الصوفية حين سئل عن التصوف فقال : (التصوف اسقاط الجاه وسواد الوجه فى الدنيا والآخرة) (٣)

٢ - النوع الثانى :

اهتم بالسلوك والأخلاق ونظر الى الصوفى على أنه ذلك الانسان المتخلق بكل خلق كريم السالك كل مسلك سليم البعيد عن كل رذيلة القريب من كل فضيلة الذاكر ربه العابد المتبتل المنقطع الى أذكاره وأوراده ولذلك قال أبو محمد الحريرى حينما سئل عن التصوف انه (الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى) (٤) .

٣ - النوع الثالث :

اهتم بالناحية النفسية السيكولوجية فنظر الى نفسية الصوفى وتعمق مشاعره ونظر الى بواطنه واحساساته الداخلية وعلاقته مع الله وحالاته التى يعيشها ويحسها من وجد وشوق ومراقبة وخوف ورجاء ومن صفاء وكدر ومن مقام وحال من ترق فى مدراج العبودية ومن خواطر وهواجس وغير ذلك . نظر هذا النوع من التعريفات الى كل ذلك غير عابىء بالشكل أو المظهر وربما اهتم بالسلوك والأخلاق بعض الشىء ولكن الناحية النفسية كانت محور الارتكاز وجل الاكتراث وهذا ما يوضحه لنا الجنيد حين قال ان التصوف (هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به) (٥) وقوله عن الصوفى : (اذا رأيت الصوفى يعنى بظاهره فاعلم أن باطنه خراب) (٦) .

ولعل أقرب التعريفات شمولا لهذه الأنواع

---

(١) تلبيس ابليس / ص ١٦١ .
(٢) فى التصوف الاسلامى وتاريخه / ص ٦٧
(٣) الرسالة القشيرية / ص ١٤٠ .
(٤) الرسالة القشيرية / ص ١٤٠ .
(٥) الرسالة القشيرية / ص ١٣٩ .
(٦) الرسالة القشيرية / ص ١٣٩ .

الثلاثة وأوفاها فى نظرى تعريف أبى على الروذبارى للصوفى بأنه (من لبس الصوف على الصفاء وأطعم الهوى ذوق الجفاء وكانت الدنيا منه على القفا وسلك منهاج المصطفى)(١) .

٣ ــ لم يكن التصوف بالمعنى النظرى والمفهوم الفلسفى معروفا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم (وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ صوفى (٢) بل كان يطلق على الواحد منهم لفظ صحابى اكتفاء بشرف الصحبة وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا التصوف العملى الذى يعنى (مجاهدة النفس والاشتغال بالعمل الصالح والتعلق بالله عز وجل مع الزهد فى الدنيا وعدم الاغترار بمظاهرها الخلابة (٣) .

ولا غرابه فى ذلك فرسول الله ﷺ الأسوة الحسنة بين ظهرانيهم عابد متبتل داع الى حياة كلها طهر وعفة وعبادة ونسك ورفض لعرض الدنيا الزائل ، وداع الى مجاهدة النفس وكبح جماحها ومراقبة الله عز وجل ولاعجب أيضا فهم يسمعون كلام الله ويتلون آيات قرآنية كثيرة تدعو فى أكثر من موضع الى الاخلاص والتقوى والعمل الصالح وتدعو الى عبادة الله الواحد القهار كما تحث على الذكر والتسبيح والتبتل والزهد فى حطام الدنيا وزخرفها .

ومن أجل ذلك (انتشرت موجة النسك فى صدور كثير من الصحابة الذين رافقوا زاهد الأمة وعابدها الأول رسول الله ﷺ وانتشرت معها كثير من المجاهدات والرياضات)(٤) التى أخذ كثير من الصحابة أنفسهم بها كما هو معهود عن أبى ذر الغفارى وأبى الدرداء وحذيفة بن اليمان .

وانتقلت موجة الزهد والنسك هذه الى التابعين وانتشرت بينهم ولعل ذلك يرجع الى عدة أسباب أهمها الحروب الطاحنة والفتن المستمرة (والتطرف العنيف فى الأحزاب وازدياد التراخى والاستهانة فى المسائل الخلقية وماعاناه المسلمون من عنف الحكام والمستبدين الذين يملون اراداتهم وآراءهم الدينية (٥) وقد اقتدى هؤلاء التابعون العابدون بالنبى وأصحابه وساروا على نهج أسلافهم لأنهم رأوا فيهم المثل العليا فى العبادة والزهادة والذكر والتنسك واشتهر منهم عدد غير قليل مثل الحسن البصرى وأويس القرنى وتسموا (بأسماء مختلفة كالقصاص والبكائين والوعاظ (٦) والعباد والزهاد والنساك وهى أسماء تدل فى مجموعها

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف / ص ٢٥ طبقات الشافعية / جـ ٢ ص ٩٩
(٢) اللمع / ص ٤٣ .
(٣) الانسان والاسلام / الشيخ محمد الطاهر الحامدى / جـ ٢٠٨ / ط دار الكتاب العربى ــ القاهرة سنة ١٩٦٠ م .
(٤) التطور والتجديد فى الشعر الاموى / د . شوقى ضيف / ص ٥٧ / ط دار المعارف ط رابعة سنة ١٩١٩ م .
(٥) فى التصوف الاسلامى وتاريخه ، ص ٤٦
(٦) التصوف الثورة الروحية فى الاسلام . أبو العلا عفيفى ص ٨٦ ــ د أولى دار المعارف سنة ١٩٦٣ م .

على اطراح الحياة ومتعها جانبا وتـدل عـلى الخوف من الله عز وجل كما تـدل على كثرة العبـادة والبكـاء على مـا فـرطوا فى جنب الله • ولكن ما يجب ملاحظته أن هؤلاء العباد (لم يكن يجمعهم نظام عـام أو تربط بينهم طريقة واحدة فى التعبد والتزهد بل كان لكل منهم نظام حياته الروحية الخاصة بـه) (١) **ومع نهايات القرن الثانى الهجرى انتقل زهد** التابعين الى طور جديد (**واختص المقبلون على** العبادة باسم الصـوفية والمتصـوفة) (٤) وصارت لهم أقوالهم واتجاهاتهم النظرية التى حددت فى ظنى معالم التصوف الأولى فلقـد تحدثوا عن معان لم تكن موجـودة وتكلموا عن الأخلاق والنفس والسـلوك محـددين طريقا الى الله **يترقى السالك له فيمـا يعرف بالمقامات والاحوال** ، وعن المعرفة ومناهجها والتوحيد والفناء والاتحاد والحلول •

ووضعوا القواعد النظرية لهذا كلـه كمـا حددوا رسوما عملية معينة لطريقتهم وأصبحت لهم لغة رمزية لا يشاركهم فيها سواهم)

والواقع أنه يصعب على الباحث تحـديد الفروق الزمنية تحديدا دقيقـا بين الزهـد والتصوف ولكن الزهد كان ــ على أية حال ــ المقدمة الحقيقية للتصوف •

يتبع

د • غريب محمد على

حول الاستراتيجية - بقية

الله وقتل قاتل أبى عامر فقـال النبى ﷺ : اللهم اغفر لعبيد أبى عامر وأهله واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك واسـتغفر لأبى موسى •

ومضى مالك بن عوف حتى تحصن بحصـن ثقيف ، وأمر رسول الله ﷺ بالسبى والغنائم أن تجمع فكانت : ــ

* **ستة آلاف رأس من السبى •**
* **أربعة وعشرون ألفا من الابل •**
* **أربعون ألفا من الشياه •**
* **أربعة آلاف أوقية من الفضة •**

ثم جاء وفد هوازن على رسول اللـــه ﷺ وهم اربعة عشر رجلا ورأسهم زهير بن صرد يذعنون بالاسلام ويـودون أن تـرد عليهم أموالهم وسباياهم فرد النبى ﷺ ما أمكـن رده من الاموال ورجع النساء والاولاد الى ذويهم •

وكانت هذه آخر غزوات الاستراتيجيـة الدفاعية التى توجب على كل حاكم مسلم أن يضع فى ذهنه حماية الدولة من كل دخيـل عسكرى أو ثقافى حفاظا على سلامة الدولـة والدين والرعية ، والله فى عـون الحاكم ما كان الحاكم فى عون رعيته وكانا جميعا على الصراط المستقيم •

تمت

د • رءوف شلبى •

العالم الاسلامى
محمد فؤاد عبد الباقى

بقلم كريمته الاستاذة
عفاف محمد فؤاد عبد الباقى

هو العالم الجليل الذى خدم مباحث السنة النبوية المطهرة بما لم يخدمها بمثل عمله أحد من معاصريه فيما يبدو لنا ، ولا نزكى على الله أحدا ، وهو أيضا المؤلف الجليل الذى يدين له كل معاصر مشتغل بعلوم القرآن والسنة ، حيث يسر لكل هؤلاء السبل الأمينة ليغترفوا من مفردات القرآن والسـنة ونصوصها ، ما يريدون وما يحتاجون اليه عند الكتابة والتأليف بما وضعه بين أيديهم من معاجم مفصلة لآيات القرآن وكلمات السـنة . وستمضى مئـات السنين واسم « محمد فؤاد عبد الباقى » امام أبصار العلماء والباحثين ، لان كتبه لا يمكن الا أن تكون على مقربة من يمين كل باحث وكل كاتب ، يفزع اليها يستنبئها كلما خانته الذاكرة أو أعوزه الشاهد والدليل .

وقد يحسن أن نأخذ فكرة عاجلة عن الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ثم نستعرض جهوده ، ومؤلفاته .

ولد عليه رحمة الله فى الثامن من شهر اذار (مارس) سنة ١٨٨٢ م ، لأبوين مصريين . أما الاب فمن بلدة (قمن العروس) من أعمال الواسطى بالصعيد الاوسط ، وأما الأم فمـن بلدة (يرنبال) احدى بـلاد بحرى الكثيرة ، وهو الابن البكر لابويه ، وقد نشأ بالقاهرة الى أن بلغ الخامسة من عمره ، ثم سافـر مع أسرته الى السودان ، وكان والـده وكيـلا للادارة المالية بوزارة الحربية ، واسـتقرت الاسرة فى وادى حلفـا ، ثم حـدثت معركة (ود النجـوم) ـ وود النجوم اسم قائدها السودانى الذى كان يحارب مصر وقد قتل فى المعركة ـ وقد حدث بعد هذا أن غادر عميـد الاسرة المصرية وادى حلفا الى أسوان وبقيت الأسرة هناك سنة ونصفا . ودخل ، رحمه الله فى هذه الاثناء مدرسة أسوان الابتدائية . ثم

هبطت الاسرة القاهرة .

وفى القاهرة دخل محمد فؤاد عبد الباقى ــ الذى تعرفه اليوم مجامع الاستشراق فى أوربا ، وترجع اليه فيما أشكل من مسائل الدين الاسلامى ــ مدرسة عباس الابتدائية ، ثم خلفها الى مدرسة « الامريكان » فى حى الازبكية . ولم ينتظم فى دراسة رسمية مألوفة ، بل أخذ يدرس دراسة حرة مضطربة حسب هواه ورغبته ، وبعد أن آنس من نفسه الكفاية العلمية والقدرة على التعليم قام بالتدريس فى بعض المدارس فى مصر ، وكان من زملائه فى هذا المجال المرحوم الاستاذ صادق عنبر الاديب المصرى الشهير ، والمرحوم الاستاذ عبد الله أمين اللغوى المصرى الضليع .

** الوظيفه والقراءات

ثم أعلن البنك الزراعى عن وظيفه مترجم فتقدم اليها ونجح وعين بالبنك فى ٢٠ ديسمبر ١٩٠٥ وقد عمر بهذه الوظيفة ، اذا قيست بمثيلاتها مما شغله أو شغلته من قبل ، فقد ظل بها حتى ٣ اكتوبر ١٩٣٣ م بل لعلها كانت سببا يمتد به الى أبعد من هذا ، فهو لم يتركها الا عندما صفى البنك أعماله وأحيل الى بنك التسليف عندئذ أخذ الاستاذ فؤاد مكافأته منه وترك الوظيفة ثم فتح مكتبا للنشر الاسلامى ومكث يديره زمنا طويلا ، ثم تفرغ لخدمة البحوث المتعلقة بالقرآن والسنة ووضع المعاجم المختلفة المتعلقة بها .

وفى الخمسينيات عين رحمه الله محققا ومراجعا بمجمع اللغة العربية . وقد تزوج الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى فى سنة ١٩١٠ ورزقه الله ثلاثة أبناء وثلاث بنات . وأقام مدة فى الروضة ثم انتقل منها الى الجيزة حيث أقام فى جزء من عمارة على شاطىء النيل المبارك وظل فى هذا المكان الى ان توفاه الله فى ٢٢ فبراير ١٩٦٨ م .

على أن المدة التى قضاها فى البنك الزراعى تعتبر فترة استقرار فى حياته هيأت له القراءة الواسعة فى الأدب الفرنسى . وخاصة فيكتور هوجو ولامارتين ، كما أقبل على أمهات الكتب فى الأدب العربى فقرأ كثيرا كما حفظ كثيرا ومن محفوظه « ديوان الحماسة » . وفى حياته رجال عمقوا أثرهم فى نفسه وهؤلاء هم (بعد والده) الشيخ مصطفى عبد الرازق وقاسم أمين والدكتور عبد الوهاب عزام والشيخ رشيد رضا ، وهذا الاخير يعتبر نقطة تحول فى حياته غيرت مجراها وأعادت تخطيطها ، لوصح هذا التعبير .

ففى سنة ١٩٢٢ تعرف الى السيد رشيد رضا صاحب المنار وكان لقاء لم يقدر له الفراق الا بعد أربعة عشر عاما . ولم يكن فراقا بل قدرا خارجا عن ارادتهما ــ فقد توفى الشيخ رضا سنة ١٩٣٦ . وكان الاستاذ أحمد فؤاد عبد الباقى رحمه الله يلازم الشيخ رضا ملازمة المريد لاستاذه الشيخ ملازمة فتحت له آفاقا واسعة فى علم الدين والسنة ووجهته كثيرا حتى غدا الاستاذ الشيخ فى

سنيه الأخيرة يثق بعلمه ويستعين به فى كثير مما يعرض له .

** آثاره :

١ ــ وللاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى مجموعة من الكتب الجليلة النافعة التى تدور كلها حول خدمة علوم القرآن والسنة .

وأعظم كتبه التى كان يعتز بها هو كتابه « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » الذى طبع لاول مرة سنة ١٣٦٤ هـ . وهو الكتاب الذى يجمع الالفاظ القرآنية ، ويرتب موادها حسب أوائلها فثوانيها فثوالثها وهكذا، ويضع الكلمة وأمامها الآية أو الآيات التى وردت فيها ، مع التنبيه على المكى والمدنى من هذه الآيات التى تذكر أرقامها .

وقد وضع الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى كتابه بعد أن راجع ما ألفه السابقون فى هذا المجال ، من أمثال كتاب « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » للمستشرق الالمانى «فلوجل» وكتاب « مفتاح كنوز القرآن » ، وكتاب « فتح الرحمن » وكتاب « ترتيب زيبا » وغير ذلك .

لقد أخطأ «فلوجل» فى عشرات من الكلمات حين ردها الى مواردها فاستدركها عليه المرحوم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى .

٢ ــ واذا كان « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » يعتمد على خدمة اللفظ



القرآنى بالنص على مواطنه من كتاب الله عز وجل ، فان الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى قد قام بترجمة كتاب آخر لخدمة القرآن الكريم وآياته ، ولكن من ناحية الموضوعات والمعانى لامن ناحية الالفاظ والكلمات ، وهذا الكتاب هو « تفصيل آيات القرآن الحكيم » الذى وضعه بالفرنسية المستشرق الفرنسى « جول لابوم » .وهذا الكتاب يعد من أسبق الكتب فى جمع وتنسيق موضوعات القرآن الكريم .

٣ ــ وكما خدم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى كتاب الله عز وجل بهذين المعجمين الجليلين ، خدم سنة رسول الله ﷺ بوضع معجم للحديث الشريف عنوانه « مفتاح كنوز السنة » وهو معجم مفهرس عام تفصيلى موضوع للكشف عن الاحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب الأئمة الاربعة عشر المشهورين وذلك بالدلالة على موضع كل حديث فى صحيح

البخارى وسنن ابن ماجة وأبى داود والترمذى والنسائى والدارمى ، ببيان رقم الباب ، فى صحيح مسلم وموطأ مالك ومسندى زيد بن على وأبى داود الطيالسى ببيان رقم الحديث، وفى مسند ابن حنبل وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ومغازى الواقدى ببيان رقم الصفحة ، وبذلك يستطيع الباحث أن يقف على الحديث الذى يطلبه بغير عناء ، ويعد هذا الكتاب أحد نفائس الكتب الاسلامية (١) •

هذا وقد أتم الاستاذ عبد الباقى عمله فى هذا الكتاب يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٥٣ هـ • ٢٧ يوليه ١٩٣٤ م •

٤ ـ ثم أعقبه بكتاب آخر من عدة أجزاء بعنوان « تيسير المنفعة بكتابى مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » ويراد فى هذا الكتاب تذليل العقبات التى تعترض الطالب للمنفعة من « مفتاح كنوز السنة » بسبب اختلاف الطبعات، لكتب الحديث الاصول •

وكتاب « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » كتاب ضخم جدا ، اشترك معه فى وضعه مجموعة من المستشرقين ، ولقد طبع فى هولندة • ولهذا الكتاب قصة : حدث عندما طلب الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى الى الدكتور ونسنك تصريحا بالترجمة باعتباره مؤلف كتاب « مفتاح كنوز السنة » أن بلغ من استجابة الرجل له أنه لم يكتف بالموافقة فحسب بل أرسل اليه الفصل الاول من « المعجم المفهرس للحديث النبوى » •ولما اطلع عليه وجد به أخطاء كثيرة فضمنها كشفا أرسله الى دكتور « ونسنك » فسر لذلك كثيرا وكتب اليه يرجوه تصحيح (بروفات) المعجم ومضى فى هذا الطريق حتى وفاته رحمه الله •

واذا علمنا أن المعجم يقوم به أكثر من أربعين مستشرقا فى أنحاء العالم ثم يصحح عملهم مجتمعين الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى

عرفنا قيمة العمل الكبير الذى قام به رحمه الله ، وقيمة الجهد الذى بذله ، ثم بعد هذا أو قبل هذا ، قيمة الكسب العلمى من وراء هذا العمل ، وقيمة الكسب القومى •

من أعماله الأخرى :

وهذا الجهد الضخم لم يستنفد طاقة المرحوم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى فقد وسعت جهوده العلمية كتبا أخرى عديدة •

ـ فمن الكتب التى أخرجها كتابه « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » وهو فى ثلاثة أجزاء ، ويضم الاحاديث التى اتفق على روايتها الامام البخارى والامام مسلم •

وهناك كتاب سابق لهذا الكتاب اسمه « زاد

---

(١) نلاحظ ان الكاتبة الفاضلة استعملت كلمة (وضع) فى هذه الفقرة فكانت دقيقة فى التعبير ! أن تأليف الكتاب كان لاحد المستشرقين ، وقام الاستاذ فؤاد بوضعه فى ثوبه العربى .

المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » للشيخ حبيب الشنقيطى ، ولكن الاستاذ فؤاد عبد الباقى زاد على مافى كتاب الشنقيطى خمسمائة حديث فاتت الشنقيطى — رحمه الله .

والاستاذ عبد الباقى كتاب عنوانه « معجم غريب القرآن » مستخرجا من صحيح البخارى . وعنوانه واضح فى الدلالة على موضوعه ، وهو عبارة عن شرح الالفاظ الغريبة التى أوردها البخارى فى صحيحه .. والبخارى بدوره كان قد أخذ هذه الالفاظ من كتاب « مجاز القرآن لابى عبيدة » .

كما قام الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى بشرح وفهرسة كتب « موطأ الامام مالك » و « سنن ابن ماجة » ، « صحيح مسلم » . كما قام بتخريج الاحاديث الواردة فى كتاب « الادب المفرد » للبخارى ، وتخريج الآيات والاحاديث والشواهد الشعرية الواردة فى كتاب « شواهد التوضيح والتصريح » لابن مالك ، وتخريج الاحاديث والشواهد الشعرية فى « تفسير القاسمى » .

** كتب مخطوطة :

وله من الكتب المخطوطة التى لم تنشر — والتى يحتجب باحتجابها عنا خير كثير :

كتاب « قرة العينين فى أطراف الصحيحين» وهو من ألف صفحة من القطع الكبير وفيه اضطلع بتجميع ولم شتات مواضع أحاديث البخارى ، فقد كان البخارى يورد الحديث الواحد فى مواضع عدة حسب المعانى الواردة به ، حين كان « مسلم » يورد الحديث فى موضع واحد حتى ليصح أن نسمى الكتاب « أطراف البخارى » .

والكتاب الثانى « جامع مسانيد صحيح البخارى » وفيه يورد الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى النصوص المتعددة للحديث الواحد حسب مواضعها فى صحيح البخارى . كما جمع أحاديث كل صحابى على حدةمرتبا أسماء الصحابة حسب الحروف الهجائية وذلك بعد أن قسمهم الى قسمين : الصحابة الرجال ، والصحابيات وعدتهم جميعا ستة وتسعون ومائة صحابى وهذا الكتاب فى ستة أجزاء .

ومن هنا نستطيع أن ندرك السر فى أن هذا الجهد الصابر قد استغرق ما يربو على ألف صفحة من الحجم الكبير ، ولا يزال الكتاب فى حوذة أبنائه ينتظر من ينشره من الهيئات لان تكاليف نشره ينؤ بها جهد الفرد .

بل ان من كتبه ما تبنته الهيئات ثم قعدت عن نشره ألا وهو كتابه « جامع الصحيحين » ومازال هذا الكتاب قابعا فى خزانة حديدية بالجامع الازهر (١) .

وكان الاستاذ فؤاد يكتب أحيانا بعض المقالات فى بعض المجلات ، ولكنه فى كتابه هذا لا يكاد يخرج عن مجال علوم القرآن ◄

(١) لايسع مجلة الازهر الا أن تتيح للكاتبةأن تعبر عن رأيها ، وكم كنا نود أن نحيط بتفاصيل تسليم هذا الكتاب لمسئول معين بالازهر حتى يمكن ان ندرك مصير هذا الكتاب .

العالم الاسلامى

والسنة . ومن بين مقالات نشرها تباعا فى مجلة الازهر « منزلة السنة فى الدين » .

ومحمد فؤاد عبد الباقى كان فى مصر مرجع كل من يلم فى كتابته بأمر من أمور القرآن أو الحديث لا يستثنى من هذا كبار الكتاب أو العمالقة .

ولم يضن قط على سائل علم ، وقد يحبس نفسه ويكرس وقته على سؤال سائل يوفيه درسا وتمحيصا يستند الى الاصول الوثيقة ، والمراجع العمدة فى الموضوع ، وقد يكتب الصفحات ذات الهوامش حتى ليصاح السؤال أو على الادق الاجابة عليه — موضوعا متكاملا فيه غناء .

وكان رحمه الله يصنع الصنيع مع كل سائل

ولو لم يكن يعرفه من قبل ... انه لايفعل هذا من أجل شخصه انما يفعله ايمانا بحق

العلم عليه فهو يعيش فى ميدانه بالرأى

والهداية والمشاركة فى صمت واخلاص لا يحفل بالذكر أو الاعلان .

ان كتب الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، بما وراءها من صبر طويل وجهد دؤوب وطاقة الدقة والاتقان ، وأشواق حميمة الى الكمال الممكن ، بالاستقصاء والتنظيم والتجميع والتبويب والفهرسة — كتبه بهذا كله اضافة علمية فى ميدان الدين تحسب لمصر وعطائها للاسلام .

وحياة الرجل الخاصة تدخل فى باب الغرائب . فنحن فى مصر كنا نسميه « صائم الدهر » فقد كان يصوم العام كله لا يفطر فيه الى أول يوم من عيد الفطر وأيام عيد الأضحى وطعامه نباتى . وكان يصوم بدون سحور . وكان محافظا فى كل شىء فزيه يتكون من « البدلة الكاملة » صيفا وشتاء لا يستطيع حر الصيف أن ينحى « الكرافات » أو « الدبوس » . كما لا تستطيع مواصفات العصر أن نمس المنديل الابيض فى جيبه أو الطربوش القانى على رأسه أو العصا الانيقة فى يده .

وكان زاهدا فى الاجتماعات ، يفسر هذا وكأنه يعتذر — « ان هذا الامر تقوم — تبعا له على الاثر — حقوق للناس والتزامات واجبة الرعاية والوفاء ، وليس عندى وقت لهذا ولا أنا أطيق التقصير فيها لو لزمتنى » .

وبعد ، فهذه الجهود السخية العطاء ، الموصولة الدأب ، وهذه الحياة التى آضت الى التبتل من أجل الدين فى صورة مشرقة مشرفة هى أجدى عليه وأقرب الى الله .

هذه الشخصية الرائعة بصبرها الصابر ، وتصميمها القادر على التجويد .. شخصية لن تنسى .

عفاف محمد فؤاد عبد الباقى

مع الشعر

شاطئ الإيمان

العودة — ولدى

قف بباب "الحبيب"

شاطئ الإيمان

للشاعرة : جليلة رضا

أجل ! هو الله أهواه وأهواه
أنىَّ أسير فان القلب مأواه

عانقت فيه رغاباً جاوزت أملى
لا المجد يبلغها قدرًا ولا الجاه

فاسدل ستارك يادهرى على بصرى
واهبط بليلك واستجمع خفاياه

وأنت ياساعد الاعصار ، ياقدرًا
فى هوّة اليأس كم ألقى ضحاياه

صوب سهامك نحو القلب فى غضب
ومزِّق اليوم فى عنف بقاياه

هيهات للقلب أن يخشاك قاتله
وأن يئنَّ وأن يُفضى بشكواه

من أين ينفذ سهم فى جوانحه
وهو الملىء بنور الله .. مولاه

الشمس تسطع فى جنبيه ضاحكة
والعطر يقطر مسْكاً من زواياه

اليوم يا قلب لا أنواء ترهبنى
ولا رياح ولا بحر وأمواه

انى على شاطىء الايمان آمنةً
معى المنجىَّ . معى الحامى . معى الله

العودة

للأستاذ عبد العليم القباني

يا الهى ، وخالقى ، ومعينى ... عدت من غربتى ، وعاديقينى
فتقبل – يارب – منى رجوعى ... واستجب دعوتى وبارك حنينى
عدت ، يارب ، والصبا عن شمالى ... وبقاياه تنطوى عن يمينى
عودة الشارد الطريد أثارت ... وجده خفقة بنأى حزين
الجلال الرهيب ملء فؤادى ... والضياء الحنون ملء عيونى
فتقبل – يارب – منى رجوعى ... واستجب دعوتى وبارك يقينى
أنا يارب ، فى رحابك أسعى ... غير أنى احس قيد السجين
بين ليل مضى ، شقى الأمانى ... وصباح بدا ، خفى الظنون
ظمئت مهجتى لنورك ، فاجعل ... عفوك السمح رائدا يهدينى
وتقبل – يارب – منى رجوعى ... واستجب دعوتى وبارك يقينى

ولدى

كان الشاعر قد فجع فى ولده الوحيد « محمد » فرثاه بقصيدة باكية تذكرنا بقصيدة « ابن الرومى » فى رثاء ولده «محمد» وبمقال الأستاذ « أحمد حسن الزيات » فى رثاء ابنه « رجاء » .

وها نحن أولاء ننشر الجزء الأول من هذه القصيدة على أن نوالى نشر بقيتها فى الأعداد التالية .

ودعت فيك صفاء العيش يا ولدى ... ياطول همى ويا حزنى ويا كمدى
لم يبق بعدك معنى للحياة ولم ... يعد بها أمل أحيا به لغد
من شاقه المال والجاه العريض فقد ... عزفت عن جاهها أومالها اللبد
وما انتفاعى بالدنيا وليس بها ... من كان عزى وآمالى ومرتغدى
كم ادخرتك للأيام فى كبرى ... لكنه القدر المحتوم لم يرد
واحسرتاه وكم أملت فيك جنى ... حتى خلت منك بالبين المشت يدى
غالت شبابك نكباء المنون فلم ... ترحم فؤادى ولم تشفق على كبدى
يا ويحها قدت الغصن الندى ولم ... ترفق يداها بغصن الشباب ندى
وحطمت صرح آمال لنا فهوى ... بعد الشموخ كأن لم نبن أو نشد
ليت الحمام الذى أرداك عاجلنى ... وفى جوارك يمسى فى الثرى جسدى
أصبحت أهواه كى ألقاك مرتقبا ... لهفان لهفة مشتاق اليه صدى

للدكتور حسن جـاد

وكيف أحيا بـلا ظـل و لاعضـد ... وكنت ظلى فى الـدنيا ومعتضدى ؟
وكيف أسلك دربـا قد فقدت بـه ... رفيق دربى ومعوانى ومعتمـدى ؟
كنت الرجـاء الذى أحيا له وبـه ... فحين خاب رجـائى خاننى جلـدى
وكنت أخشى الردى حرصا عليك اذا ... ما غالنى حرص لقمـان على لبـد
ياليت أنى مـا جئت الحيـاة فلم ... أولـد وياليتنى اذ جئت لـم ألـد
ما كنت أحسب أن البين يفجعنـا ... وهنا على غرة فى ليلـة الأحـد
هـلا تمهلت يومـا كى تودعنـا ... فقـد رحلت سريعـا غـير متئـد
عدا عليك الردى كاللص مختلسـا ... فى هدأة الليل لم ينذر ولـم يعـد
وأنت تصغى الى صوت (المسجل) فى ... لحـن الوداع بسمع جـد محتشـد
تعيـد ترديده لهفـان محتضنـا ... ان ينته اللحن تبـدئه وتستعـد
هل كنت بالنغم البـاكى تـودعنا ؟ ... وهل بقرب النوى أحسست يا ولدى؟
كفى عن الدمع ياعينى فليس بـه ... جدوى سوى قرحـة الأجفان والرمد
أوفاسكبيه فمـا لى فيك مـن أرب ... دفنت نورك فى جوف الثرى الهمـد
اذا جرى فى غضـون الخـد لذعنى ... أواره بلظى كـالجمر متقـد
كم لائم فى الأسى الموصول قلت له : ... عـذرا لـدائم دمـع فيـه مطـرد
أبكيه حتى اذا لم يجـدنى حـزنى ... بكيت من أجـل أن الحزن لم يفـد
أقسمت ــ ما عشت ــ أبكيه وأذكره ... مهما تظاهرت بالسلوان والجلـد
وكيف أنسـاه والذكرى تـلاحقنى ... وليس قلبى بالجـافى ولا الجحـد

قف بباب الحبيب

للأستاذ أحمد قاسم أحمد

قف بباب « الحبيب » ٠٠ ألق السلاما — واخفض الصوت ٠٠ هيبة واحتراما
والزم الجد والوقار وعظم — عند لقيا « المقام » ذاك المقاما
أنت فى حضرة « الحبيب » فأكثر — من دعاء ولا تمل القياما
كلنا ود لو ينال جوارا — يمتطى القلب نحوه لا العظاما
أنت فى حضرة النقاء مصفى — أنت فى حضرة الضياء تسامى
فاشرب الطهران فقدت ارتواء — واطعم النور ان فقدت الطعاما
ذا غذاء الأرواح فاطمع وأبعد — نبت هذا الثرى وخل الغماما
أنت فى هضرة « الحبيب » أبى القا — سم من أم أنبياء كراما
أنت فى حضرة الصفات دعاها — خالق الكون فى « الكتاب » عظاما
فاعمر القلب ما استطعت غراما — واعمر الروح ما استطعت هياما
وانبذ الأهل والتراث ودنيا — ما سقتنا الكئوس الاسماما (١)
وابق فى الحضرة العلية روحا — قد تعالى أن يسكن الأجساما
قد حباك الاله فضلا كبيرا — فاذكر الفضل ما أصبت دواما
واشكر الله ما أطاق لسان — واقطع الليل مثنيا قواما
وادع أن يحبو الاله أناسا — مثل ما نلت موقفا ومقاما
قد براهم الى « الحبيب » حنين — وعراهم ماكبل الأقداما
حال دون المأمول قلة « شىء » — فغدا الجمع يرقب الأحلاما
أجزل الفضل ياحبيب الهى — أنت أهل العطا فزرهم مناما

---

(١) جمع سم ٠

الاعلام .. والغرب

الاعلام الاسلامى

المسلمون فى بولندا

الأسرة فى الولايات المتحدة الأمريكية

الإعلام الإسلامي
الأسس والمبادئ

سئلت – عقب نشر الحلقتين السابقتين : –

هل هناك اعلام اسلامى ، واعلام غير اسلامى ‥ ؟ أليس الاعلام هو الاعلام فى بلاد المسلمين أو بلاد « واق الواق » !؟ –

واذا كان هناك فرق – فما هو ؟ ولماذا ؟

ثم بادرنى آخر – فى تحد – بقوله :

أليس « التحقيق الصحفى » فى الصحافة الاسلامية هو عينه فى أية صحافة فى الدنيا – !؟ أليس « الريبورتاج الاذاعى » هو هو فى أى اعلام ‥ !؟

أليست خطوات التنفيذ واحدة ‥ ؟

أليست الخامات أو الأدوات واحدة ‥ (قلم) أو (كاميرا) أو (ميكرفون ، أو (مطبعة) !؟

والحق أن السائلين فاتهم أنهم بهذه الاستفهامات ينظرون الى الاعلام نظرتهم الى أية حرفة وبهذا يمكن استخدامه لأى الأغراض خبيثة كانت أم كانت أغراضا تهدف الى خدمة البشرية ، وهم بهذا المعنى يفصلون بين الاعلام من حيث هو « مهنة » والاعلام من حيث هو « هدف » ‥ !

* كذلك فاتهم شىء آخر حين تحدثوا عن الأدوات وخطوات التنفيذ ‥ ولم يذكروا لنا :

من المحرك لهذه الأدوات ؟

ومن القائم على خطوات التنفيذ فى العمل الاعلامى ؟

وبأى مبدأ يعمل ؟ وتحت سماء أية عقيدة أو بأى فكر يستخدم هذه الادوات الاعلامية ‥ !؟

* قد أتفق معهم فى أن حرفية الفنون الاذاعية واحدة ، لا تختلف كثيرا من دولة الى أخرى ‥ من (أمريكا) الى (روسيا) ومن (ايران) الى (الفاتيكان) ؟

وقد أتفق معهم فى أن حرفية الفنون الاذاعية فى خطوات التنفيذ لاتختلف كثيرا بين اعلام اسلامى وغير اسلامى ‥

* ولكن تبقى القضية الجوهرية التى نسيها هؤلاء أو تناسوها وهى قضية (المحتوى Content) أو (المضمون) الذى تحمله الرسائل والوسائل الاعلامية وهى تختلف أشد ما يكون الاختلاف بين الاعلام الاسلامى ، والاعلام غير الاسلامى ، ولو تريث هؤلاء الزملاء لاستراحوا حينما نتحدث عن الرسالة الاعلامية فى الاعلام الاسلامى وفقا لكل وسيلة اعلامية

للاستاذ حسن على محمد العنيسى

وهو ما نحن بصدد الكتابة فيه فى الحلقات القادمة على صفحات « مجلة الأزهر » .

* وقضية (المحتوى) هذه ، هى التى تجعلنا نفرق بين اعلام ، واعلام .. والمتمرس بالعمل الاعلامى حينما يستمع الى اذاعة ما فانه يستطيع أن يعرف أن هذه الاذاعة (أمريكية) أو (سوفيتية) دون أن يسمع كلمة (صوت أمريكا) أو (هنا موسكو) .. الخ كيف ؟

هناك فى المحتوى الذى تثبته هذه الاذاعات جوانب سياسية معينة تركز عليها من خلال الخبر ، والتحليل السياسى ، والأغنية .. الخ.

وهناك تراكيب لغوية معينة يستخدمها الاذاعيون ، ولهذا فانه من « المحتوى » نستطيع أن نقرر أن هذا (دعاية) ، وذاك (اعلان) وهذه (دعاية سوداء) وتلك (دعاية رماديه) .. الخ ، « فالمرتكزات المنطقية الاعلامية »(١) المبثوثة فى ثنايا (الرسالة) تجعل لكل اعلام من اعلام هذه الدول منطقا اعلاميا خاصا به وشخصية ثقافية يتفرد بها عن غيره .. !!

* فروق جوهرية عامة بين الاعلام الاسلامى وغيره : ـ

ومقياس **الحلال والحرام** ليس قيدا على الصحفى المسلم أو المذيع المسلم .. !! ، وانما هو تنظيم لأسلوب عمله وكل دول العالم بها قوانين وضعية تحدد ما يجوز نشره ومالا يجوز ، وسنن العمل الاعلامى الأصيل يرفض

٥

---

(١) مقياس الحلال والحرام : فالكلمة فى الاعلام الاسلامى مسئولية وأمانة ، وحسبك أن تسمع لقول النبى ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا أو ليصمت ، وقوله ﷺ : ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق . وعنه ﷺ قال : ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفع الله بها درجات ، وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم .

وفى ضوء هذه المبادىء لاتجد صحفيا مسلما يسعى ليتجسس أو ليفضح ما أمر الله ـ تعالى ـ بستره بدعوى « السبق الصحفى » فان الاسلام ـ فوق أنه يحرم هذا الاسلوب الخبيث ـ يراه ينهى أن يشمت المسلم فى أخيه ، أو يفرح لسقطته .. « لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا » ، « وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ » (٣) .

وعلى الجانب الآخر لا يعتبر الاسلام الحديث عن الشخصيات المعلنة بفسقها « غيبة » وهو بذلك ـ اذا ـ يضمن حق النقد وحق التوجيه والتحذير فـ « الدين النصيحة » قاعدة عامة من قواعد الاسلام لكل أفراد المجتمع الاسلامى بلا استثناء ، وليس الهدف لهذه القيم الرفيعة الا « النفع » الكريم الذى يحصله المواطن فى الدولة ، فأية فائدة تعود على المواطن من نشر «زواج الفنانة س» و « طلاق الفنانة ع » ؟!!

● رواه الشيخان : البخارى ومسلم بالايمان.

ما نراه فى الصحافة الاسلامية اليوم من نميمة وكذب وغيبة وخوض فى أعراض الناس ..

ومقياس الحلال والحرم يبدأ من أول المباح ويتدرج صعودا فليست المسألة اما حلال واما حرام .. !! « أبيض .. أو أسود » .. الأمر أكبر من هذا بكثير .. وندع التفصيل فيه الى حين من هذه السلسلة التى ننشرها تباعا — بعون الله تعالى .

ثانيا — الشخصية الحضارية والثقافية للمجتمع :—

فاذا كان الاعلام يعكس مجتمعه بدرجات متفاوتة فان على الاعلام فى بلاد المسلمين أن يكون أمينا فى هذا فيعبر عن أخلاق هذا المجتمع الاسلامى وآدابه ملتزما بالناحيتين فى كل مضمونه ، ويدعم شخصيته الحضارية ، وهويته الثقافية ، فلا يهرول وراء مناهج اعلامية غربية أو شرقية .. فالمجتمع بشخصيته الحضارية والثقافية يحدد ما اذا كان الاعلام المبثوث من خلاله سيكون اعلاما محافظا أو اعلاما اباحيا داعرا .. ! !

ثالثا — أسلوب المعالجة و « التكنيكات[1] الاعلامية المستخدمة » :

ومفهوم « الحرية فى العمل الاعلامى » وحدود هذه الحريات ..

والواقع أن أسلوب المعالجة يأتى نتيجة أستيعاب رجل الاعلام للفرق الاول وهو مقياس الحلال والحرام وللفرق الثانى وهو فهم الاعلام لطبيعة مجتمعه ولطبيعة « المتلقى » الذى يوجه اليه اعلامه .. ثم حدود هذه الحرية فى الحركة ، والنشر ، والبث وما يجوز قوله ومالا يجوز ، فمن لم يهتم بأمر المسلمين **فليس منهم فالحرية فى الاسلام للصالح العام ولصلاح الأمة وأحوال المسلمين ، والحرية مسئولية ،** وحسبك أن تعرف أن كل أوجل نظريات الاعلام العالمية اليوم تأخذ بمبدأ .. « الحرية مسئولية » هذا المبدأ الذى أرساه اعلامنا الاسلامى منذ (١٤٠٠) سنة .

* بهذه الأمور الثلاثة التى أشرنا اليها ابتداء — فانها لا شك تزيد عن ذلك كلما أمعنا النظر — نستطيع أن نفرق بين الاعلام الاسلامى وبين غيره من أى اعلام آخر .. يحسن القول :

ان اعلامنا الاسلامى مهمته خطيرة وجسيمة فى صراع « الأيديولوجيات[2] » الآن فى الساحة الدولية ، ومجتمعنا الاسلامى مستهدف من جميع وسائل الاعلام غير الاسلامية ، وبهذا يصبح على عاتق الاعلام الاسلامى أن يحفظ « الهوية الثقافية » و « الشخصية الحضارية » للمجتمع الاسلامى كما يحفظها من الذوبان والتآكل وسط هذا الصراع ..

---

(١) يقصد بـ « تكنيك » بناء الرسالة الاعلامية والصيغ المستخدمة من تعابير وتراكيب لغوية .

(٢) أعنى : الافكار والمبادىء العالمية كالشيوعية .. والماركسية ... الخ .

* لذا نستطيع أن نقرر : أن ممارسة الاعلام الاسلامى صار أمرا واجبا لا مفر منه والا ضاعت معالم شخصيتنا الحضارية الاسلامية ، كذلك أصبح اعداد رجل الاعلام الاسلامى فرضا لا مفر من تأديته . وباتت دراسة الاعلام الاسلامى أمرا ذا بال لكل المهتمين بالعمل الاعلامى والدراسات الاعلامية فى بلادنا .. ! فالاعلام لم يعد كلمة تقال وحسب ، أو مجرد أخبار ومعلومات لذاتها ، وانما هذه الأخبار وتلك المعلومات تسير وفقا « لأيديولوجيات » معينة تخدم أهدافا مخططا لها سلفا وتعمل فى اطار فلسفة سياسية واقتصادية معينة ولخدمة مصالح السياسات العامة لهذه البلاد ..

* لهذا كله تشتد حاجتنا الى وجود « نظرية للاعلام الاسلامى » تعمل وفقا لها مؤسساتنا الاعلامية .

وبنفس القدر نحتاج الى هذا الاعلام الاسلامى ممارسة وتطبيقا .

وحتى لا نتوه وراء قضايا غامضة سأضرب مثلا واحدا ـ اكتفى به ـ وللقارىء أن يتأمله جيدا .. !!

*** مثـــال : ـ**

افتح أية صحيفة عربية ثم افتح أية صحيفة أخرى غير اسلامية أو سجل لمحطة اذاعية من المحطات الأوربية الناطقة باللغة العربية ، ثم استمع لمحطة اذاعية عربية !!

هل تحس بفارق فى الاطار العام ؟

أليست الاغانى الخليعة واحدة ؟ والمسلسلات واحدة ؟ وأخبار الجريمة فى الصحف واحدة ؟ وأليست أخبار الفضائح لدينا تتفوق أحيانا على ما تنشره الصحف الأوربية .. ؟ !!

فهل يمكن القول والحال هذا ـ : ان الصحافة الاسلامية تسير على هذا المنوال ..؟؟

لا ، فان مثل هذه الجوانب المعتمة لا مكان لها فى الاعلام الاسلامى ومثل هذه الأخبار لا مكان لها بأى حال من الأحوال فى الصحافة الاسلامية ومن المفيد أن نقرر أن الصحافة الاسلامية ليست هى التى تقول : أن هذا حلال أو ذاك حرام وحسب .. ! وانما هى التى تتناول الحلال والحرام بالشرح والاقناع : هذا حلال لماذا ؟ وذاك حرام لماذا ؟ ثم دائرة المباح وهى والحمد لله واسعة جدا ، فلا يفهم البعض أننى أريد أن أجعل من الصحف مفتيا .. ! كلا ..

*** مفهوم الاعلام الاسلامى :**

« الاعلام اسلامى هو تزويد الناس بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة والحقائق الواضحة ، بوسائل الاعلام المختلفة ، وبشتى

◄

الهوامش والمصادر :

(١) د. محمد على العوينى : الاعلام الدولى بين النظرية والتطبيق (عالم الكتب) ط ١٩٧٨ م

(٢) الاحاديث : أنظر صحيح البخارى ـ الرقاق باب حفظ اللسان .

(٣) أنظر الآيتين بسورة النور رقم ١٢ ورقم١٦

(٤) حسن على العنيسى : الصحافة الاسلامية ـ مجلة الازهر .

الاعلام الاسلامى

الأساليب المتفقة مع آداب الاسلام على أن تبين الحق للناس وتزينه .. (٥) » .

ويهتم الاعلام الاسلامى بالأخبار بشرط الواقعية والصدق فيها ، ثم الفائدة العائدة على الناس من وراء نشر هذه الأخبار .. (٦) .

ويرى الدكتور عمارة نجيب أن الاعلام الاسلامى يتحقق بقرار ونية .

أما القرار فينبنى على أساس ملكية المسلمين للأجهزة والوسائل الاعلامية الحديثة ، ومن حق المالك أن يتصرف فى ملكه كيفما شاء ، فان كان المالك مسلما خضع فى تصرفه لشرع الله ــ سبحانه وتعالى ــ ، وشرع الله يوجب على المسلمين أن يتجهوا بأفعالهم كلها لعبادة الله ، والدعوة الى الحق ، والجهاد فى سبيله .. هذا هو القرار .

أما النية فهى الايمان بأن عجزنا ــ نحن المسلمين ــ عن صنع هذه الوسائل وعن ادارتها لا يعنى ــ أبدا ــ تمردها على القرار بل يعنى ضرورة السيطرة عليها حاليا والتفكير فى صنعها فى المستقبل .. !

أما الدكتور ابراهيم فى كتابه « الاعلام الاسلامى » (٧) ، فاننى لم أقف لديه على تعريف محدد للاعلام الاسلامى للكتاب أكثر من مرة ــ الفرق بين مفهوم (الدعوة) ومفهوم (الاعلام) فى هذا الكتاب الجليل ، بالاضافة الى أنه ينظر الى الاعلام الاسلامى على أنه اعلام دينى (٨) وسيادته يشكر على حماسه من أجل اعلام اسلامى حيث يقول الاعلام الاسلامى واجب على كل مؤمن ومؤمنة ، ومن تخاذل عنه لا يعد مؤمنا .. » ، والمعروف أن (الدعوة) و (الاعلام) فرضا كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين وليس (واجبا) كما يرى سيادته يخرج تاركه عن الدين ، لذا وقع فى نفسى أن عبارة أستاذنا ليس مقصودا بها أكثر من الحث على الاهتمام بالاعلام الاسلامى .

* **والاعلام الاسلامى ــ كما نراه ــ هو** الاخبار بالحقائق الصادقة والمعلومات الصحيحة التى تخدم أهداف المجتمع الاسلامى فى اطار المبدأ الاسلامى : « الحلال بين والحرام بين » على أن يكون ذا اتجاهين من الحاكم الى المحكوم ومن المحكوم الى حاكمه مراعيا فى ذلك صدق النصيحة ومصلحة الأمة .

* فليس الاعلام الاسلامى هو خطبة

---

(٥) محمد ناجى مسلم : الوظيفة الاعلامية للمسجد ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ١٩٨٠ بالمعهد العالى للدعوة الاسلامية ، جامعة الامام محمد بن سعود .

(٦) د. عمارة نجيب : المدخل لمدرسة الاعلام الاسلامى ، وكتابة فقه الدعوة والاعلام (مطبعة الفاروق) ط ١٩٨٠ م .

(٧) د. ابراهيم امام : الاعلام الاسلامى ــ المرحلة الشفهية (مكتبة الانجلو المصرية) ط ١٩٨٠ م .

(٨) نفس المصدر السابق راجع ص ٧ ، ص ٨ و ص ٩ .

(٩) نفس المصدر السابق .

الجمعة فخطبة الجمعة جـزء من الاعـلام الدينى ، الذى هو بدوره جزء من الاعـلام الاسـلامى ..

* وليس الاعلام الاسلامى محصـور فى شرح أركان الاسلام والعبـادات فقط الخ وانمـا هـو جـزء من وظـائف الاعـلام الاسلامى .

* فالاعلام الاسلامى كما يعـالج هـذه القضايا يعالج قضايا الاقتصاد ومشاكل المواطن من اسكان ، ومواصلات ، وصحة ، فانه « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » مبدأ هام من مبادىء الاعلام الاسلامى ..

* والاعلام الاسلامى يتدفق فى السـاحة الدولية ، فلا يقبع فى المسجد فقط مع ما للمنبر من ميزة فى الاسلام عرفت فى العالم كله ، فهو يتحرك خارج المسجد ليبدى رأيه فى قضـايا الانسانية ومشكلات الانسان فى العـالم كلـه الى جانب توضيح موقفه من قضايا المسلمين فى البلاد الأخرى اذا الأرض الاسلامية وحـدة واحدة فى المفهوم الاسلامى .

* والاعلام الاسلامى يقـوم على هـذا المبـدأ « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** .. » الحجرات ١٣ .

وما أكثر القضـايا الدولية التى تشـغل بال العالم كله وفى الاسلام حلول جذرية لهـا وليست تحتاج سوى اعلام قوى يعرضـهـا ويجلوها للعالم ليأخذ بها وحسبك أن تعـرف موقف الاسـلام من التفـرقة العنصرية ، والرقيق ، والسلام العالمى الشامل للانسانيـة جمعاء .. الخ فهى قضـايا خطـيرة لو أننـا نستثمرها فى أجهزة اعلامنا لكان كسبا كبيرا فى المحافل الدولية .. !!

حسن على العنيسى

المسلمون فى بولندا

بولندا أو بولونيا هى احدى الدول الشيوعية فى أوربا الشرقية تبلغ مساحتها ٧٢٥ر١٢٠كم٢ ع وحسب احصاء عام ١٩٨١ يقطنها ٠٠٠ر٠٦٢ر٣٦ نسمة كما يشكل الروم الكاثوليك ٩٥٪ من السكان وتتواجد أقلية اسلامية يختلف الكتاب فى تقديرها من ١٥ ألف نسمة حسب تقدير الدكتور على المنتصر الكتانى والأستاذ اسماعيل باليج فى مقاله المنشور بمجلة معهد شئون الأقليات المسلمة فى جنيف عام ١٩٧٩ م ونشرة أخبار المسلمين فى أوربا الصادرة فى لندن فى يناير ١٩٨٢ م أو ٢٥ ألف نسمة كما يرى الأستاذ محمود شاكر :

الا أن المصادر البولندية الرسمية تحسبهم ثلاثة آلاف مسلم ، وهناك من يحسبهم سبعة آلاف أو تسعة آلاف مسلم ، وقد كان عددهم بعد الحرب العالمية الأولى ١٥٠ ألف مسلم ومجمل القول أن جميع الاحصائيات الشيوعية دأبت على تقليل عدد المسلمين فى مجتمعاتها التى منيت بسيطرتها الوحشية ويمكن التقدير بأن عدد المسلمين فى بولندا يتراوح ما بين ١٥ الى ٢٠ ألف مسلم .

يتركز المسلمون الذين ترجع أصولهم الى القبائل التتارية التركية فى الشمال الشرقى لبولندا فى قريتى بهوينكى وركوجنياتى بولاية ببيالستوك كما توجد مجتمعات صغيرة فى مناطق أخرى من بولندا بما فيها وارسو وجدانسك وزيلوناجورا .

وفى عام ١٩١٨ كان عدد المساجد ٤٤ مسجدا فى بولندا منها مسجدان فى العاصمة وارسو ولا يوجد حاليا الا مسجدان فى كل قرية بهوينكى وركوجنياتى بالاضافة الى مقبرتين للمسلمين فى البيان الذى أصدرته اللجنة العليا لاتحاد المسلمين فى الجمهورية الشعبية البولندية عام ١٩٨٢ م بأن السلطات البولندية المعنية قد وافقت فى العام الماضى على اقامة مسجدين جديدين فى كل من وارسو وجدانسك وأن الاستعدادات تجرى حاليا لانجاز هذين المسجدين وخاصة فى العاصمة وارسو حتى تتواجد جالية اسلامية كبيرة من الطلاب المسلمين الوافدين من الخارج والمسلمين البولنديين المحليين وحبذا

تقديم الأستاذ متولى الجرجاوى

لو أقيم مركز اسلامى فى العاصمة وارسو .

تاريخ المسلمين فى بولندا

تاريخ المسلمين فى بولندا هو جزء من تاريخ امبراطورية (التون أورده) (١٢٢٧ — ١٥٠٥م) التى كانت تتبعها مملكة بولونيا الكبرى المشتملة على لاتفيا وليتوانيا وأجزاء من أوكرانيا مع بولندا الحالية فى القرون الوسطى . وكانت هذه المملكة تدين بالولاء لامبراطورية « التون أورده » اسميا وتدفع لها الجزية السنوية ، ولما منيت الامبراطورية بالانقسامات والحروب الداخلية وخاصة من غزوات تيمورلنك المتكررة من جهة ، ومن جهة أخرى من المعارك التى دارت مع امارة موسكو التجأ الأمير توختسيش بن تولى خوجه الى أراضى بولندا الشرقية التى تشكل من ليتوانيا لدى أميرها فيتوفيت حيث تحالف مع ملك بولندا ضد روسيا ومع أن الأمير توختسيش هذا قد مات الا أن جزءا من امبراطوريته عاش فى شمال شرق أوربا فى الاقليم القائم شرقى كييف بالاستناد الى المعاهدات التى عقدها مع دولة الموسكوف والمعاهدات التى أبرمها مع بولندا وليتوانيا الى عام ١٥٠٢ حيث قضت عليها دولة القريم من الجنوب ودولة الموسكوف من الشرق وكانت امبراطورية التون أورده هى الدولة الاسلامية الوحيدة التى قيض لها أن تحكم روسيا وشرق أوروبا كلها ، وكان حكمها يشكل فترة هامة فى تاريخ روسيا وبولندا .

وقد أدت الحروب الاستعمارية الروسية فيما بعد الى تلاشى بقايا امبراطورية (التون أورده) وانتشار المسلمين الى الدول الأوروبية المجاورة مثل أوكرانيا والقريم والمجر وبولندا الكبرى .

وفى الأراضى البولندية — الليتوانية عمل المسلمون التتار النازحون فى المدن فى الصناعات الجلدية والدباغة والتجارة وخاصة تجارة الخيل التى كانت مقتصرة على فئة معينة من الشعب . كما كان المسلمون هؤلاء يستمتعون ببعض الحقوق أما المسلمون فى الأرياف فقد كان نزولهم قرب الحصون والقلاع لصد غزوات الأعداء . وعمل الجنود المسلمون فى الجيش البولندى حيث تكونت فى القرن السادس عشر فرق من الخيالة الخفيفة اقتصرت على جنود المسلمين المتطوعين .

ومن القادة المسلمين الجنرال بيالاق فى القرن الثامن عشر الميلادى خلال حروب بولندا مع روسيا وقد سجل الكاتب الروسى نيقولاى جوجول بعضا من هذه المعارك فى قصته المشهورة « تراس بوليان » بالاضافة الى أن

المسلمون فى بولنـــدا

بولندا استفادت أيضا من معرفة المسلمين البولنديين باللغات الشرقية وعلاقاتهم بالشرق فكان منهم مترجمون وأمناء ومندوبون دبلوماسيون ولمع أسماء بعضهم خلال القرنين ١٥ و ١٨ الميلاديين علاوة على أن التجارة الخارجية لبولندا نشطت من خلال قوافل المسلمين البولنديين بين الدول الاسكندنافية وضفاف نهر الفولفا وسواحل البحر الأسود ٠

وخلال الاحتلال الروسى لبولندا فى القرن التاسع عشر شكل الروس فرقة اسلامية سميت الفرقة التتارية اللتوانية بقيادة الكونيل يعقوب مصطفى بارنوفسكى كما اتخذت حكومة بروسيا التى احتلت القسم الآخر من بولنده تدبيرا مماثلا اذ أوجدت فى جيشها فرقة اسلامية تحت قيادة الكولونيل مرزاباورنوافسكى ٠

أما الجنرال ماتيوسو لكيافتش قائد الفيلق الاسلامى البولندى الذى ساهم فى العمليات الحربية فيما بعد على الحدود الرومانية فقد لجأ الى القرم حيث ترأس دولة جمهورية القريم المستقلة عام ١٩١٨ ولما احتل الشيوعيون الروس شبه جزيرة القريم فر مع آخرين من البولنديين الى القفقاس حيث ساهم الجميع بقسط وافر فى تنظيم دولة أذربيجان ٠ فعين الجنرال سولكيافتش رئيسا لأركان حرب ومنظما للجيش بينما نال غيره من المسلمين البولنديين كثيرا من المناصب الحكومية الهامة ٠ وقد قتل الجنرال سولكيافتش بعد أن احتلت الجيوش السوفياتية أذربيجان عام ١٩٢٩ م٠

وبعد اندحار الالمان فى الحرب العالمية الأولى واعلان استقلال بولندا فى صوفيا بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩١٨ أصدر الرئيس المارشال باسودسكى أمرا بتنظيم فرقة من الخيالة التتار المسلمين البولنديين فى يناير عام ١٩١٩ م وهكذا نشأت فرقة الفتيان التتار الاسلامية بقيادة الجنرال المسلم اسكندر رومانوفتش وساهمت بجهد مشكور فى الحرب ضد الشيوعيين خلال معركتى كييف وفرصوفيا فى شهر أغسطس عام ١٩٢٠ م ولما وقعت اتفاقية الصلح فى ريفا سنة ١٩٢١م وجد المسلمون القاطنون عبر التاريخ فى مملكة « ليتوانيا وبولندا المتحدة » أنفسهم فى ثلاثة بلدان هى بولندا وليتوانيا وبيلوروسيا « روسيا البيضاء » ٠

وكان المسلمون فى بولندا أكثرهم نضوجا من الناحية الثقافية فآزرتهم السلطات الحكومية فى سبيل تنظيم أمورهم الدينية والثقافية ٠

وفى شهر ديسمبر ١٩٢٥ م عقد أول مؤتمر اسلامى بولندى حضره ثمانية وخمسون مندوبا ممثلين لثمانى عشرة مقاطعة وأقر المؤتمر استقلال الشئون الاسلامية فى بولندا وانتخب الدكتور يعقوب سينلكافيتش مفتيا لمسلمى بولندا وعين السيد يعقوب رومانوفتش نائبا له ، وفى سنة ١٩٣٠ م سافر الى الحجاز مارا بمصر كعضو فى الوفد البولندى الدبلوماسى المفتى الدكتور يعقوب سينلكافيتش وقد تشرف بمقابلة المغفور له الملك عبد العزيز

آل سعود فى جده ، وكانت مهمة الوفد اعادة العلاقات بين بولندا والمملكة العربية السعودية .

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ م اشترك المسلمون البولنديون فى الدفاع عن البلاد ولمع نجم الفرقة التتارية فى الجيش البولندى أثناء المعارك مع الالمان وروسيا السوفياتية التى احتلت الأراضى البولندية الشرقية فتعرض المسلمون الى الاضطهاد والتجاوزات الوحشية حيث نفت السلطات السوفياتية كثيرا من العائلات الاسلامية الى سيبيريا وفتكت بالكثير منهم بالسجن والقتل - كما انخرط الضباط المسلمون وأفراد الفرقة التتارية المسلمة فى الفيلق البولندى الثانى المتواجد آنذاك فى ايطاليا ثم توزعت جموعهم بعد الحرب العالمية الثانية فى كثير من بلدان أوروبا فى تركيا وايطاليا وفى انجلترا كان لهم نشاط ملموس تولاه الامام بوجارفاروسكى ثم هاجر كثير منهم الى الولايات المتحدة ومعظمهم يقيم حاليا فى حى بروكلين فى مدينة نيويورك . أما فى بولندا فقد كانت أغلبية المسلمين يقيمون فى لتوانيا خاصة فى منطقة ولينون التى ألحقتها روسيا السوفياتية بالأراضى السوفياتية وسيطر الحزب الشيوعى على حكم بولندا الحالية ومارس الشيوعيون أساليب الاضطهاد والتعذيب والتقتيل لابادة المسلمين فى بولندا فاضطر المفتى الدكتور يعقوب سينلكافيتش للفرار الى مصر حيث أقام بها مدة ثم رحل الى الولايات المتحدة كما حذا غيره حذوه فى الهروب والفرار من الحكم الشيوعى البولندى الى بعض الأقطار الأوربية وتركيا مما أدى الى تقلص عدد المسلمين فى بولندا أو انعزالهم بسبب موقفهم المعادى من الاتحاد السوفيتى .

الأوضاع الحالية للمسلمين

أحوال المسلمين فى بولندا سيئة ومهددة بالانقراض بسبب الحكم الشيوعى المعادى للاسلام الذى لا يجيز النشاط الاسلامى من تعليم الأبناء تعاليم الدين الحنيف ويمنع نشر الكتب الاسلامية واقامة المساجد والمدارس الاسلامية ويحظر خروج المسلمين للاتصال باخوانهم فى العقيدة ومع ذلك فهناك بعض النشاطات الاسلامية الرسمية التى تستعملها الأجهزة فى الدعاية والاعلام للايهام والتمويه على وجود النشاط الاسلامى ويتجلى ذلك فى المجلس الأعلى للاتحاد الاسلامى الذى يضم خمسة مسلمين يمثلون ست جماعات اسلامية هى ٣ جماعات فى مقاطعة بيالستوك وجماعة واحدة فى جدانسك وجماعة أخرى فى سيزسين وجماعة فى وارسو برئاسة السيد ستيفان بايواستيفسكى ونائبه السيد بوغلاسلاور . زاغورسكى كما أن هناك السيد محمود طه زوك امام المسلمين فى وارسو وأستاذ فى معهد الدراسات الأكاديمية للعلوم يزاول بعض النشاطات الاسلامية حيث قام فى عام ١٩٧٣م بمعاونة أحد الطلاب المصريين باصدار نشرة باسم (الاسلام) كما يقوم بالقاء بعض

المحاضرات عن الاسلام فى بعض الاجتماعات ويقال انه ترجم معـانى القـرآن الكريم فى اللغة البولندية مع أن أول ترجمـة لمعـانى القرآن الكريم وضعت عام ٨٥٨ هجـرية فى فرصوفيا • كما أن المفتى الدكتـور يعقـوب سينلكافيتش كان قد وضع ترجمـة بولنـدية لمعانى القـرآن الكـريم فى أوائـل القـرن العشرين •

وقد زاد الضغط الشيوعى على المسـلمين خلال حركات اتحاد نقابة العمال البـولنديين التى يتزعمها ليخ فاليسيا فى جـدانسك نتيجة اشتراك العمـال المسلمين فى هـذه الحركات فتعـرض المسـلمون لمزيـد من الاضطهادات الوحشية والاعتقالات حسـبما نقلت ذلك برقية فضيلة الشيخ رفعت مصطفى يوجلتن مفتى جمهورية قبـرص التركيـة فى ١٩٨٣/١/٦ م الى رابطة العالم الاسلامى •

وقامت الرابطة بارسال برقيات الى الحـاكم العسكرى لبولندا والى الهيئات والمنظمـات العالمية والاسلامية فى ١٤٠٢/٣/٤ هجـرية احتجاجا على المظـالم التى يتعـرض لهـا المسلمون فى بولندا وقد نشرت بعض الصحف الاسـلامية هـذا الاحتجـاج فى حينـه •

كما اقام مدير مكتب الرابطة فى عمان بالأردن بتوجيه خطاب فى ١٤٠٢/٣/١٨ هجرية الى السفارة البولندية فى عمان •

مساعدات للمسلمين فى بولندا

ان مسلمى بولندا يعيشون ظروفا اسلامية سيئة نظرا لضغط الاعلام والتعليم والتثقيف الشيوعى الذى تمارسه الحكومة فى كل وسائل الاعلام والتربيـة والثقـافة الـى جـانب تعرضهم الكثيف لعوامل الاغراء والتنصير التى تتولاها الهيئات المسيحية والأغلبية المسيحية فى البلاد ، وعلاوة على عجـزهم المـادى والحركى بسبب الأحكام الشيوعية المعـادية للأديان على نشر الثقافة الاسلامية والتعليم الاسلامى لأبناء المسلمين الناشئين فى مجتمـع تتحكم فيه الشيوعية والمسيحية وضـآلة الثقـافة الدينية للآباء المسلمين ويفسر كـل هذا تقلص عدد المسلمين من ١٥٠ ألف الى ١٥ ألف مسلم خلال أربعين سنة ••

وقد يؤدى استمرار اللامبالاة منهم أيضا الى تلاشى الوجود الاسلامى فى بولنـدا اذا استمر الحال كما هو حاصل الآن •

ومن الخطوات التى تسـاعد المسـلمين فى بولنـدا :

١ ــ اعـادة نشر الكتب الاسلامية وترجمتها للمسلم بحيث تجعل منه انسانا متحضرا !! (من كلام معانى القـرآن الكريم التى وضعت باللغة البولندية من قبل المسلمين البدلنديين) وقـد يمكـن الحصول على هذه الكتب من مسـلمى

بولندا أنفسهم أو من المسلمين البولنديين المهاجرين الى الولايات المتحدة وتركيا ومن جامعة وارسو التى تحتفظ فى مكتبتها الشرقية بمجموعة من تلك الكتب .

٢ ــ تقديم منح دراسية لأبناء المسلمين البولنديين فى الجامعات الاسلامية لاعداد جماعات اسلامية تتولى الدعوة الاسلامية فى بولندا .

٣ ــ الاتصال بالجماعات الاسلامية عبر المجلس الأعلى للاتحاد الاسلامى فى سبيل التعرف على نشاطهم وأعمالهم .

٤ ــ تقديم مساعدة مالية لترميم المساجد وانشائها فى مناطق تجمعات المسلمين . والعمل على انشاء مركز اسلامى فى وارسو العاصمة .

٥ ــ تأمين فرص اتصال بين مسلمى بولندا والمسلمين فى العالم عن طريق تأدية فريضة الحج ، وايصال الدعاة الى المجتمعات الاسلامية هناك بأى طريقة ممكنة .

« عن الرائد الهندية »

نوفمبر ١٩٨٤

متولى الجرجاوى

الأسرة

فى الولايات المتحدة الأمريكية

مأساة

إنسانية تتزين بالحضارة

يفعل التراث فى المجتمع ما تفعل الوراثة فى الفرد ٠

وكما أن من الصفات الانسانية ـ فطرية كانت أو مكتسبة ـ ما هو ثابت وما يعتريه التحول والتحور ، كذلك التراث الاجتماعى ، مهما تكن خصوصيه وتمييزه لقومه ، فيه ما يتأثر بقوى التغير وعوامل البلى ، ولو فى بطء بالغ ٠ ومن هذه القوى ، كما هو معروف ، الاحتكاك المعاشى المحلى ، والانتشار الثقافى العالمى ٠

والمجتمع الامريكى فى الولايات المتحدة الامريكية حديث النشأة ، وليس أحدث منه غير مجتمع اسرائيل ٠ لذلك فان قيمه المكتسبة سطحية الجذور الى حد ما فى أرض التاريخ ٠

وأماقيمه الأصلية فقد كانت قيما متضاربة يتحتم عليها أن تجد صيغة لكبح الآثار المدمرة التى يمكن أن تتولد عن هذا التعارض والتضاد ، وبتكيفها أصبحت قيما متحورة أو قيما مكتسبة ٠

وعلة تضارب هذه القيم أن المجتمع الامريكى فى الولايات المتحدة فى أصله مجتمع من المهاجرين الذين انهمروا على القارة العذراء من مختلف المواقع والمنطلقات ، أو المصدرين الذين تم شحنهم اليها بدوافع العقاب أو الاستغلال٠

ثم اتسع هذا المجتمع بعد ذلك ليضم ملايين من كافة أرجاء المعمورة بشتى خصائصهم ومشاربهم وأهدافهم ٠

وبالطبع تمثلت أدوات تحقيق هذا التكيف **فى التربية والتشريع والخدمة الاجتماعية والاعلام وغيرها ٠ الا أنه يلاحظ عليها جميعا أنها استمدت فلسفتها ومعطياتها من أصول غربية ، وليس ثمة مبالغة أو تكلف فى القول بأنها لا اسلامية فى نزوعها ٠**

فلقد وصلت القيم الاسلامية الى الولايات المتحدة الامريكية ، عبر قنوات مختلفة وخلال عهود متنوعة ، فلم يصغ الى حقها مستمع جاد ، ولم يرحم مواطنها المهيض هناك راحم ٠

بقلم الاستاذ عبد الله سليمان محمد

وفى مقابل ذلك تمكنت قوى أخرى للتوجيه الهادف ، تحت عباءة الحرية والديمقراطية والبحث العلمى ، من نشر الأدواء الاجتماعية والسياسية والتشريعية والاقتصادية والأخلاقية نشرا واسعا ومستمرا .

وعلى ذلك فقد كانت تربة المجتمع الامريكى فى الولايات المتحدة بيئة منشطة لنمو النزعات الأنانية ، هجومية أو دفاعية ، مغذية لفضائل المادية بثرائها وكفايتها وما فوق كفايتها ، نافخة فى الغرور القومى بما أتاحته من طفرات واسعة عز بعضها على الكثيرين . ومن ناحية أخرى لم يكن حب الدنيا ومتاعها ليتيح بين الناس للفضيلة والمثل العليا فسحة تزيد كثيرا عن « العلم بالشىء » ، أو الأخذ بها أخذا يسيرا .

واذا كانت الأسرة أصغر الوحدات الاجتماعية وأكثرها انتشارا واشتهارا ، فلا غرو أن تتأثر الأسرة فى الولايات المتحدة الأمريكية بمغذيات هذه التربة وان تعطى هذا التأثر تلك الصورة المنتشرة ، التى تجعلها فى ذاتها ظاهرة اجتماعية وبالتالى جزء من التراث الأمريكى .

وطالما أن الانفصال عن الأسرة والوطن ، طواعية أو كرها ، هو الراية التى دخل المستوطنون الجدد تحتها أرض الولايات المتحدة الامريكية وضعوا تاريخها ، وأن المبادرة الى اهتبال الحياة المواتية قبل الآخرين أو انتزاعها قسرا ممن لا يستطيع حمايتها هى المبدأ الذى اهتدى بندائه هؤلاء الفاتحون ، وأن السقوط فى براثن الخسران المؤسى والهزيمة القاتلة أقرب آلاف المرات من الأمل أو الرغبة فى العودة عن هذا المهجر المنقطع ، فلقد كان حتما أن تتعرض الصور القديمة للأسرة الى ضغوط شديدة تحور مثلها السالفة تحويرا جليا ، وأن تضطرب الأسرة كثيرا وتتخلخل كما اضطربت وتخلخلت باقى الثوابت والمتغيرات ، وأن تستمر فى الانقسام طوال الطريق بلا نية للعودة ولا وقت حتى للتشابك مع فروع المعارف والأصدقاء والجيران .

ومن جراء ذلك فقد انحصر معنى الأسرة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى الزوج والزوجة وأطفالهما ، هذا اذا استمرت الأسرة الصغيرة ولم يقع الطلاق أو الانفصال بين الزوجين ، وانه لحدث عادى فى حياة الغالبية العظمى من الأسر الامريكية التى يعيش قرابة نصف أطفالها بعيدا عن أحد الوالدين !

أما العائلة الكبيرة بمفهومها الاسلامى والشرقى — من حيث الرحم والترابط فشىء

لا يعرفه الامريكيون فى الولايات المتحدة . بل ان هذه الأسرة الغربية الصغيرة ، بفرض استمرارها ، تتوقع — وبالأحرى ترى أنه من سنن الحياة — أن يتفرق عنها بنوها وبناتها بمجرد بلوغهم السن القانونية ، عملا بالحرية الفردية المقدسة .

ومن عجب أن الأبناء فور استقلالهم تنقطع روابطهم بأسرهم انقطاعا لا يعرفه الاسلام بغير « قطع الرحم » . ومع أن الآباء والأمهات جميعا درجوا على ذلك واعتادوه فانهم ، ان لم يكونوا يألمون لحالهم فى كبرهم ، يسعدون حقا اذا لمسوا بادرة عطف أو حنان ، ولو من شخص غريب ، وربما كانت بالنسبة لهم مفاجأة لطيفة .

والأسباب التى تدعو الى قطيعة أولى الأرحام فى الولايات المتحدة كثيرة ، منها :

قسوة المشاعر وبرودها على مذبح المادية والمتاع الميسور .

ومنها التربية على المسئولية الفردية .

ومنها كثرة تنقل الأسرة أو الفرد بين الأعمال المختلفة أو المدن المتباعدة أو الولايات التى تكاد تكون كيانات سياسية مستقلة .

ومنها ارتفاع تكلفة الانتقال أو الضن بها لغير عائد مادى .

ومنها أن المسنين يجدون رعاية فى المؤسسات الحكومية .

وكان الطلاق وتعدد مرات الزواج شيئا ينكرونه على الاسلام والمسلمين فى الولايات المتحدة وفى غيرها ، فاذا به يصبح لديهم ظاهرة منتشرة ومتيسرة لا تثير عجبا ولا انفعالا .

والمأساة أن الطلاق يتم عندهم لأى سبب ، جاد أو تافه ، وبدون سبب أيضا ، ولا يجد القاضى فى ذلك مانعا من الطلاق ، ولا هو ولا الوالدان يتحرجون اشفاقا على مستقبل الأطفال أو صحتهم النفسية .

ان عمر الدفء فى الأسرة الامريكية قصير قصير ، وان أحوال الأسرة فى الولايات المتحدة الامريكية لا تستمد استقرارا من الامكانيات المادية الهائلة. بل ان القول صحيح أن الأسرة المسلمة الفقيرة تقف على أرضية صلبة من المودة وتستظل بتراث متين من القيم الاسلامية ، حتى ولو لم تكن هذه الأسرة شديدة التدين ، فى حين أن نظيرتها الامريكية على شفا جرف هار ، أن لم تكن قد هوت بالفعل .

عبد الله سليمان محمد

مع العلوم الكونية

البكتريا

القمر

البكتريا

بسم الله الرحمن الرحيم

«إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» . (٣ ، ٤ الجاثية) .

من آيات الله فى خلقه وجود بعض العوامل أو الظواهر أو الكائنات الحية التى لا نراها بالعين المجردة ولكننا نستشف وجودها بوسائل الكشف والتحديد المختلفة طبقا لنوعها .

وبرغم أننا نراها فان لها دورا فعالا خطيرا فى حياتنا سواء بالهدم أو بالبناء وتلك عظمة الخالق ــ جل وعلا ــ فى خلقه الذى قد نعلم منه شيئا وتخفى علينا منه أشياء أو نعلم الشىء عن طريق ما يحدث منه من ظواهر ونشاطات وتلك دلالة على محدودية العين البشرية والاحساس البشرى عند حدود معينة وضعها له الخالق لحكم بالغة فى خلقه العظيم .

ومع ذلك يتطاول البعض الذين لا يعقلون ويطلبون رؤية الخالق جلت قدرته ويتجاهلون أو يجهلون أمرين :

الأول : هو قدرتنا المحدودة كبشر من حيث وسائل السمع والبصر والاحساس لنعيش فى اطار حدودنا الآدمية ونحترمها ولا نتعداها .

والأمر الثانى : أن وجود الشىء لا يستلزم رؤيته أو مخاطبته فى سماعه وانما يكفى لاثبات وجوده أن نستشعر ــ بالوسائل المختلفة ــ مظاهر تواجده .

ومن هذه الآيات العظيمة فى خلق الله عز وجل « البكتريا » فلنتأمل فى مختصر قليل عنها حتى نوقن باعجاز هذا الخلق العظيم الذى لا يكون الا من خالق واحد قدير عليم حكيم هو الله الذى لا اله الا هو .

تعريف :

البكتريا مخلوق يتمتع بكل صفات الحياة فهو يأكل ويهضم الطعام ويتنفس وينمو ويتكاثر بل ويتحرك أحيانا ويسكن أحيانا أخرى .

وهو عبارة عن خلية وحيدة تتخذ أشكالا مختلفة ، وهى أصغر بكثير من خلايا النبات والحيوان .

مهندس محمد ابراهيم حسين عبد المطلب

أشكال البكتريا :

تظهر البكتريا اما فى شكل كروى مثل حبة العنب وهى توجد وحيدة واحدة أو مثنى أو رباع •

أو تتجمع على هيئة ثمانية أفراد •

وقد تتخذ شكلا آخر وكأنها حبات عقود منتظمة فى سلسلة ، وقد تتجمع فى كتل كبيرة كما تتجمع حبات العنب فى عناقيدها •

أو تظهر فى شكل (عصوات) دقيقة قد تكون فرادى ، أو تنتظم كما تنتظم (عقل) الأصبع ، أو تظهر على هيئة لولبية أو حلزونية أو على شكل حرف (واو) •

والنوع الرابع : للبكتريا يظهر لنا على هيئة خطوط دقيقة وقد تتفرع فى بعض الأحيان تفرعا بدائيا •

ولكن الأمر قد يختلط على الناظر خلال المجهر الى هذه الأنواع فمثلا بكتيريا (التيفود) تشبه بكتيريا (الدوسنتاريا) تحت المجهر فكلاهما عضوى الشكل ، ولكن بكتريا (التيفود) الحية تجرى هنا وهناك بينما الأخرى تقف ساكنة ، ولهذا لا يعتمد العلماء اعتمادا كليا على شكل البكتريا لمعرفتها المعرفة الصحيحة بل لابد من اختبارات خاصة اما بالأصباغ أو بما تجريه من تغيرات فى مركبات كيميائية خاصة أو بما تفرزه من ألوان خاصة تميزها عن غيرها وهكذا يمكن تصنيف الآلاف من أنواعها وسلالاتها •

كيف تتحرك البكتريا :

من البكتيريا ما هو متحرك ومنها ما هو ساكن وتتحرك البكتيريا بواسطة أعضاء خاصة تشبه المجاديف أو الأسواط وقد اختلفت البكتيريا اختلافا واضحا فى امتلاكها لأعضاء الحركة فميكروب « الكوليرا » له سوط واحد يضرب به الوسط فيدفعه الى حركة سريعة ، ولميكروب « الزهرى » أربعة أسواط قد لا تتحرك بها وانما تجرى كالحية تتخبط ويتلوى •

وهناك تنظيمات اخرى تنتظم بها الأسواط على جسم البكتيريا فأحيانا تتجمع كخصلة من شعر فى أحد طرفى الخلية أو كخصلتين على كل طرف خصلة • وبهذه الأسواط تتحرك (البكتيريا) بسرعة رهيبة فللبكتيريا حركة لا يمكن أن يجاريها فيها أى كائن حى آخر على ظهر الأرض بمقارنة كل بطوله •

وقد قدر ذلك فوجد أن البكتيريا تستطيع أن تقطع مسافة قدر طولها حوالى مائة مرة فى الثانية الواحدة ولو جاراها فى هذه السرعة انسان بالنسبة لطوله لكان المفروض أن يقطع مسافة حوالى ٥٥٠ كم فى الساعة •

البكتريا

جسم البكتيريا وكيفية تأثيرها على الكائن الحى

للبكتيريا شكل محدد يحدده جدار يحيط بجسمها كما يحيط الجلد بجسم الانسان وهو

بهذا يحميهامن ظروف الحياة القاسيةالتى تحيط بها فى كثير من الاحيان وقد يحيط بهذا الجدار افراز هلامى قد يبلغ من السمك اضعاف الميكروب نفسه ويعرفهنا (بالكبسولة) وتصبح كقلعة حصينة يستغلها لحماية نفسه من الاجسام المضادة التى تتكون فى الكائنات الحية •

وداخل الجدار توجد الكتلة (البروتوبلازمية) الحية وقد دلت الابحاث الحديثة على وجود نواة محددة فى جسم البكتيريا تنظم شئون حياتها •

ومادة (السيتوبلازم) ــ أو مادة الحياة لكل خلية ــ توجد بها مركبات اخرى منها مواد غذائية مدخرة على هيئة قطرات زيتية دقيقة أو حبيبات دهنية وسكريات معقدة أو مواد كبريتية وخلافه •

انتشار البكتيريا :

ويرجع سبب انتشار البكتيريا انتشارا واسعا فى أرجاء الكون الى وجود مركبات كيميائية معقدة يطلق عليها اسم الانزيمات أو الخمائر وأصبحت البكتيريا على دقتها معملا قائما بذاته تجرى فى داخله أو خارجه أعوص العمليات الكيميائية وأعقدها فى دقائق معدودات فتحيل الغذاء الى سموم قاتلة وتفتك بالأجسام الحية والميتة •

وتستطيع البكتيريا أن تعيش بمساعدة (انزيماتها) على كل مالا يخطر للانسان على بال ، فهى تستطيع أن تعيش على (الكبريت) ومركباته وعلى غاز (النيتروجين) الجوى ومركباته وعلى (الأيدروجين) فتحولها الى ماء بل وعلى (مركبات البترول) فى أعماق الأرض وتستطيع أن تستغل مركبات الحديد فتحولها من صورة الى أخرى •

والجسم البشرى على ضخامته والبكتيريا على ضآلتها كلاهما سواء فى امتلاك هذه الأنزيمات بل ان البكتيريا قد تحتوى على (أنزيمات) كثيرة لايوجد لها مثيل فى المخلوقات الراقية •

وزن البكتيريا وحجمها :

يصل وزن البكتيريا الى حوالى (٠ر٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٢) من الجرام أى أن جراما واحدا يحتوى على عدد من أفراد البكتيريا قد يصل الى حوالى ٥ مليون مليون فردا • واذا أردنا أن نتصور ضآلة البكتيريا تصورنا أن مسافة صغيرة طولها ١ ملليمتر يمكن أن يتراص فيها طابور طويل من البكتيريا يصل عدده الى الألف • أو لو أن بلورة صغيرة من بلورات السكر أصبحت على هيئة مستعمرة بكتيرية فان هذه المستعمرة الصغيرة يمكن أن تحتوى على حوالى ٥٠ مليون بكتيريا •

البقية ص ٧٥٤

القمر

كيميائي منير عبد الفتاح عبد الحميد

ذكر كتاب الله القمر أكثر من خمس وعشرين مرة ، وهذا الذكر المتكرر يدل - بادىء ذى بدء - على عناية التنزيل المجيد بهذا الكوكب الذى خلقه الله وأبدعه ويسر الانتفاع به لعباده ثم نلحظ قسمه تعالى بالقمر كما فى سورة المدثر كلا والقمر (آية ٣٢) وفى سورة الانشقاق « وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (آية ١٨) أى اذا تم واستدار وسار بدرا ، ثم فى سورة الشمس « وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا » (١ ، ٢)

والقسم بالشىء لقيمته ومكانته كما له أثره ولذلك يذكر الامام الرازى : أن الله تعالى ينبه عباده دائما بأن يذكر فى القسم أنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة ، حتى يتأمل المكلف فيها ، وليشكره عليها ، لأن الشىء الذى يقسم الله تعالى به يحصل له وقع فى القلب فتكون الدواعى الى تأمله أقوى ا هـ .

ومن عناية القرآن أيضا بالقمر ورود سورة من سور القرآن حملت اسمه « سورة القمر »

والقمر مصدر للنور فى الليل «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا (١) ونحن نعرف من المعلومات الكونية أن الضوء أقوى وأبلغ من النور لذلك نسبت الآية الضياء الى الشمس لأنها أقوى من القمر ونسبت النور الى القمر .

منازل القمر وأشكاله :

قال تعالى : « وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ

---

(١) يونس الاية ٥ .

القمر

لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٧ — ٤٠) •

صدق الله العظيم •

فالقمر له منازل مقدرة وأشكال متوالية وكل شكل له من هذه الاشكال يكون بمقدار معين وزمان محدد وبترتيب تصاعدى فى النصف الأول ثم بترتيب تنازلى فى النصف الأخير من الشهر • وفى معنى « الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ » التى جاءت فى سورة الانعام أن الله جعل القمر مع الشمس سببا لضبط حساب الزمن لان طلوعهما وغروبهما وما يظهر من تحولاتهما واختلاف مظاهرهما كل ذلك بنظام وحساب يحدد الايام والليالى ، والناس محتاجون أشد الاحتياج الى هذا الضبط •

قال القرطبى « جعل الله تعالى سير الشمس والقمر بحساب لا يزيد ولا ينقص فدلهم بذلك على قدرته ووحدانيته » ا هـ •

وأول من استفاد من هذه الدقة علماء الفلك والطبيعة على الرغم من تباين مللهم وطوائفهم فوقتوا المواقيت ووضعوا الحسابات الفلكية على ذلك •

أقوال علماء الفلك فى القمر :

ليس الهدف من ذكر بعض الأقوال العلمية فى القمر هو تفسير الآيات القرآنية ، اذ أن كتاب الله لا يخضع لأقوال البشر من علماء الفلك أو الطبيعة ، انما نهدف أول ما نهدف الى محاولة التدبر فى ملكوت السموات لنرى عظمة الخالق « بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ » البقرة (١١٦)

والقمر جسم كروى مظلم ولكن أشعة الشمس تضىء نصفه المقابل لها •

ويبعد القمر عن الأرض بمسافة قدرها ٣٨٤ر٠٠٠ كيلو متر (١) ، وتبلغ كتلته (٧٢ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠) طن (٢) وقطره الاستوائى (٣٤٨٢ر٨) كيلو متر (٣) أى ما يعادل ربع قطر الأرض ، وحجمه (٠ر٠٢) من حجم الأرض •

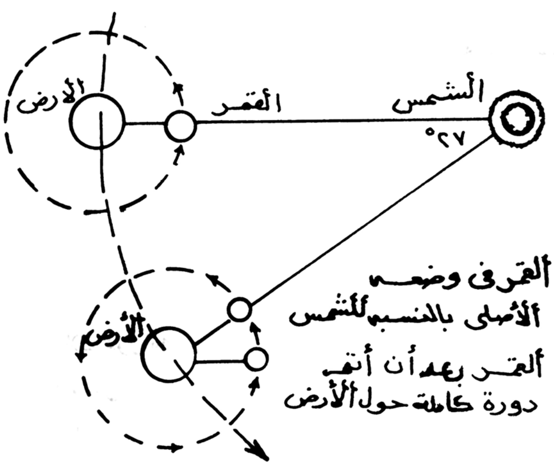
والجاذبية على سطح القمر تعادل سدس الجاذبية الأرضية ، وتبلغ درجة حرارة الجانب المضىء (المواجه للشمس) حوالى مائة درجة مئوية بينما تصل درجة حرارة المناطق البعيدة عن الشمس حوالى مائة درجة مئوية تحت الصفر •

---

(١) المسافة قدرها أربعة وثمانون وثلاثمائة الف كيلو متر .

(٢) الكتلة وزنها اثنان وسبعون الف مليون طن.

(٣) قطره الاستوائى اثنان وثمانون وأربعمائة وثلاثة آلاف ، وثمانية من عشرة كيلو متر .



دورة القمر حول الأرض ثم رجوعه إلى وضعه الأصلى بالنسبة للشمس

حركة القمر:

يدور القمر حول نفسه (محوره) من الغرب الى الشرق مرة واحدة كل ٢٧½ يوم وهى نفس المدة اللازمة لكى يتم دورة كاملة حول الأرض وبذلك يكون النهار القمرى حوالى ١٤ يوما أرضيا ، وبالمثل طول ليل القمر ، وبالمقارنة بدوران الارض حول محورها الذى يتم مرة كل ٢٤ ساعة يكون متوسط طول كل من النهار والليل حوالى ١٢ ساعة •

ومن المعروف أن الشهر القمرى يبلغ مقداره ٢٩½ يوم ، وهذا يعنى أن القمر يستغرق ٢٩٥½ يوما لكى يمر بكل أشكاله المختلفة ومن هنا نعلم أن هناك فرقا قدره يومان تقريبا بين دورة القمر حول محوره وبين مقدار الشهر القمرى وهذا الفرق نتيجة لحركة الأرض حول الشمس اذ أنه خلال دوران القمر حول الأرض دورة كاملة تكون الأرض قد تحركت بمقدار ٢٧° فى مدارها حول الشمس • ولكى يرجع القمر الى نفس الوضع الأصلى من الشمس فانه يتعين عليه أن يقطع مسافة اضافية توازى ٢٧° حول الأرض وهى نفس الزاوية التى قطعتها الارض حول الشمس وذلك يحتاج الى يومين تقريبا •

أشكاله المختلفة

يظهر لنا القمر بأشكال مختلفة خلال الشهر القمرى وذلك يرجع الى أن الشمس تضىء

القمر

نصف القمر المواجه لها بينما يظل نصفه الآخر والبعيد فى حالة اظلام . هذه الحقيقة البسيطة اذا اقترنت بحقيقة أخرى وهى دوران القمر حول الأرض ظهر القمر لنا وكأنه يتشكل فى أوجهه المختلفة خلال دورانه حول الأرض وبذلك تتغير أوجهه من «محاق» حيث لا يرى القمر فى أول الشهر العربى لانه يتوسط بين الأرض والشمس فلا يظهر منه نور على الأرض ، ثم يظهر خطا رفيعا منيرا ويسمى الهلال ، ثم يأخذ الجزء المستضىء فى الازدياد حتى اذا مضت سبعة أيام تحول شكله الى نصف دائرة ، ويقال حينئذ أنه فى التربيع الأول ، ثم يأخذ فى الزيادة على نصف الدائرة ويدعى « بالأحدب » وفى اليوم الخامس عشر من الشهر العربى تتوسط الأرض بين الشمس والقمر فيظهر لنا القمر على شكل دائرة ويسمى البدر ، ثم تتكرر الأوجه السابقة على عكس ما مضى وهكذا بقية الشهر .

نورانية القمر :

« هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا »يونس آية ٥ .

تعرف النورانية على « أنها الخاصية الانعكاسية لجسم ما » وقد حددت بأنها « نسبة الضوء المنعكس من الجسم الى الضوء الكلى الساقط عليه » .

والنورانية أقل من الضياء لانها ناتجة عنه. وقد وجد أن نورانية القمر بصفة عامة تساوى ٠٧٣ر٠ أى أنه لا يعكس الا ٣ر٧/ من الضوء الساقط عليه . وبعبارة أخرى فان وجه القمر المواجه للأرض ليس ساطعا بالدرجة التى يبدو بها ولكنه يلمع فى الفضاء لانه يعكس نسبة من الضوء الساقط عليه . وذلك تقدير العزيز العليم .

منير عبد الفتاح عبد الحميد

البكتريا - بقية

وقد وجد أن البوصة المكعبة فيها من ميكروبات التيفود ما يقدر عدده بحوالى ٩ مليون مليون ميكروب .

والبكتيريا العضوية مثلا يبلغ قطرها حوالى (٠٠١ر)ملليمتر وطولها حوالى (٠٠٥ر) — (٠٠٨ر) ملليمتر أى أن حجمها يصل الىحوالى (٠٠٠٠٠٠٠٠٤ر٠) ملليمتر مكعب وبالرغم من هذه الضآلة فى الجسم والوزن وبالرغم من أننا لا نراها فقد قدر أحد العلماء أن وزن الميكروبات الموجودة معنا على الأرض يزيد على وزن كل الكائنات الحية الأخرى بحوالى عشرين مرة سواء كان انسان أو حيوانا أو نباتا فى الأرض أو المحيطات .

فان حديثنا عن البكتيريا شيق وطويل وملىء بمعجزات الخالق جلت عظمته وقدرته ونستكمله بمشيئة الله فى مقالات قادمة .

محمد ابراهيم حسين عبد المطلب

من التراث

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

مجلة الأزهر من خمسين عاما

خلاعة النساء

تقودنا إلى الهاوية

للأستاذ علي الجندي

الحق والحقيقة مبدآن أساسيان من مبادىء الشريعة الاسلامية . عليهما قامت ، واليهما دعت ، وهما دعوة الرسل جميعا — على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام .

وجماع الفضائل الحميدة ، والآراء الرشيدة ، والاخذ بأسباب الحياة السعيدة ، أتى بكل ذلك الاسلام ونبى الاسلام — صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)) .

وقال أيضا : ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)) .

ان الذوق طبع فى النفس ، وهو فى ذات الوقت نسبى . يتناوله كل شخص حسب مزاجه وتركيبه ، ولكن هناك أمور لا تمت الى الذوق بأدنى صلة ، نجد ذلك فى الرجال والنساء ، ولكنه فى النساء أوضح اذ أنه أقرب ما يكون الى الخلاعة منه الى الذوق السليم .

ان الاسلام قد كرم المرأة ، وأعطاها من الحقوق ما كانت محرومة منه طوال عصور ما قبل الاسلام فرد اليها انسانيتها المسلوبة ، وكرامتها المهدرة ، ووضع قدمها على سلم الحياة الانسانية وأحاطها بهالة من التقدير والاحترام .

فما الذى نرى عليه حال المرأة فى أيامنا هذه !!! . حرية فى اسراف ، وتزين فى اسفاف ، وابراز مفاتن فى مغالاة ، تجرى وتلهث تريد قلب حقيقتها التى خلقها الله عليها وطمس معالمها التى خلقها الله بها ، فهل هذا ما دعا اليه الاسلام ونبى الاسلام !! ان الذين يزعمون أن التفسخ والانحلال حضارة . مخطئون ، وأن العرى والتبرج . تقدم مضلون مضللون .

تقديم عبد الفتاح حسين الزيات

يا قوم . ان تقدم المجتمعات وتأخرها مرتبط أشد الارتباط بنواميس أخلاقية وسنن اجتماعية . وتقاليد ثابتة نابعة من أصول دينها وشريعته .

فهل نحن عائدون الى الأخذ بأسباب الحياة الحرة الكريمة من ديننا الحنيف وشريعتنا السمحاء ؟ هل آن الأوان لنقول : كفى . وليفق الغافلون ؟ .

قال الأستاذ :

« ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء » حديث شريف .

لست أعجب لشىء من شئون حياتنا عجبى لهذا الداء الدوى الذى غشى كل دار ، وغزا كل أسرة ، وسرى فى بيئتنا المصرية سريان النار فى الهشيم .

ووقف ازاءه المصلحون حيارى مشدوهين ، لا يدرون ماذا يصنعون .

وأعنى به تلك الخلاعة الفاضحة ، وذلك التبرج المشين الذى هتك الحجال عن المصونات ، وأبرز من الخدور المخبئات ، وسوى بين الحرة والأمة ، وأقام من النساء فى الشوارع والميادين سوقا حافلة تنتهك فيها الحرمات جهارا ، وتباع الأعراض بيع السماح .

انك فى أى مكان من تلك المدينة التى هى حاضرة الشرق العربى ، وأفخم مدن الاسلام، ومقر أكبر معهد للحنيفية البيضاء ، لا ترى الا ما يقذى العين ، ويصدع الفؤاد من مظاهر للسفور والاستهتار ، لا تبرأ منها الطفلة اللاعبة ، والفتاة الفاتنة ، والمرأة النصف ، والعجوز الشمطاء ، كأن ذلك مما أوجبته الشرائع السماوية ، وفرضته القوانين الوضعية ، وأكده العرف العام حتى يعد الخروج عليه معرة تندى لها الجباه ، وتنكس الرءوس .

لقد دالت دولة الثياب السابغة الساترة لأطراف السيدات ، واختفى على أثرها اللثام الكثيف ، وحل محله نقاب كثوب الرياء يشف عما تحته ، فالا يكن هو السفور بعينه فهو أشد منه فتنة ولم يقف النساء عند هذا الحد فقد نزع السواد الأعظم منهن الخمار ، وخلعن العذار ، وبرزن للناس شبه عاريات أما التأطر فى المشى ، والتخلع فى الحركات ، وغشيان الملاهى والمراقص ، والاختلاط بالرجال ، فشىء يطول وصفه ، ويستفيض حديثه . فيالك فتنة سافرة كصاحباتها تهدد بالشر المستطير ، وتنذر بالويل والثبور .

٥

ومما كان ضغثا على ابالة أن فسدت المشاعر ، وماتت الضمائر ، وسقمت العقول ، فأصبح الفتى وقد كان حريا أن يتحدث بنعمة الله عليه (**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**) يفاخر بالفسوق ويجاهر بالعصيان ، ويعد من التمدين أن يصاب بالزهرى والسيلان هذا بعض ما تعانيه الفضيلة فى هذه الأيام القاتمة التى غاض خيرها وفاض شرها فسمى الخليع ظريفا والماجن لطيفا والفاتك متمدينا والتقى الورع متأخرا والناسك العفيف بليدا جامدا والعالم العامل وضيعا خاملا فلا حول ولا قوة الا بالله •

ولقد كان لذلك أثره السىء فى شئون الأمة عامة : ففشت الأمراض السرية ، وانحطت الأخلاق وضعفت النخوة والحمية وأضرب الشبان عن الزواج لتيسر قضاء الاربة وعدم الثقة بطهر الفتيات ، وبذا أصبحت الأمة مهددة بضياع الثروة وذبول الصحة وانحلال الأسرة وتصدع المجتمع وما بقاء أمة أصيبت فى كل عناصر حياتها •

أما تأثير التبرج فى شئوننا الاقتصادية فحدث عنه ولا حرج : فلقد حدا النساء الى الاكثار من الازياء ، والتفنن فيها الى حد مدهش ، واستنزفت تبعا لذلك الأموال المصرية ، لتعمر بها الجيوب الأجنبية ، ورأينا فى كل يوم بل كل لحظة نموذجا جديدا (مودة) تتحفنا به (باريس) • وهكذا انصرف النساء عن القيام بتربية الأولاد ، وتدبير المنازل الى الخلاعة ومقتضياتها ، والهيام على وجوههن فى كل واد •

ومن الفكاهة أن أقص عليك هذه الطرفة لتتبين ما ينوء به الرجال من أعباء النفقات الكمالية • فقد ذكروا أن رجلا اشترى لزوجه معرضا (فستانا) اقترحته عليه ، وما ان جاوز باب المحل حتى أخذ يعدو عدو الظليم ميمما منزله ، فاستوقفه أحد أصدقائه (وقد أخذ العجب منه كل مأخذ) فقال له لا تعجب فانى اشتريت الساعة هذا (الفستان) وأخشى أن تظهر (مودة) جديدة قبل أن أصل الى البيت ، من هذه الحكاية سواء أكانت حقيقة أم خيالية • تعرف مبلغ تعلق السيدات بسفاسف الأمور ، وارهاقهن للازواج بما لا طائل تحته • تلك حال شاذة تجب على الأمة ازالتها بما تملك من حول وطول ، لأنها مخالفة للشرع والعقل والذوق ، وفى بقائها ضياع الأموال والأنفس والثمرات •

أما الشرع فلأنه يحرم على المرأة أن تبدى زينتها لغير من ذكرهم الله فى كتابه ، والحكمة فى ذلك جليلة واضحة • وقد وصى تعالى نساء نبيه وهن فى الذروة العليا من الطهارة والصون بقوله عز من قائل (**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**) وقال تعالى (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ**) وقال ﷺ وهو من آيات رسالته (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن

ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) •

وأما العقل فلأن العقول فى أدنى الدرجات ، وأحط الدركات ، تستقبح أن تصير المرأة وهى فى حوزة رجل خاص يضن بها الضن كله ، ويحرص عليها حرص الجبان على مهجته ، متاعا مشاعا ونهبا مقسما بين النواظر والأبصار •

فحسن أن تتزيا المرأة لزوجها فى خلوتها وجلوتها بما تشاء ، وتتحلى بما تريد ، ولكنه قبيح ومستبشع أن تهجر خدرها لتقيم من نفسها معرضا متنقلا يشهده العامة والخاصة ، ومن الغريب أنها فى بيتها قد تكون غير آبهة للزينة ولاحافلة بالتجمل ، بل قد تكون مثالا لقذارة البدن والثياب • حتى اذا همت بالخروج لم تدع شيئا من ألوان الأصباغ ، ولا ضربا من ضروب التطرية والتصنع الا أفرغته عليها •

وأما الذوق فلأنه ركز فى الطباع الكريمة والأذواق السليمة أن المرأة مكان الصيانة والحرز والمنعة ، وعلى هذا درج الشعراء قديما وحديثا فى وصفها : فشبهوها بالدر المصون ، واللؤلؤ المكنون وقالوا بيضة الخدر ، وربة الصون وذكروا تمنعها بالحراس والرقباء والأسنة والقنا ، واحتجابها حتى عن النسيم والشمس والقمر ، فتبذل النساء الى درجة يزحمن الرجال فيها بالمناكب ، ويأخذن الطريق على الغادى والرائح من غير ضرورة الا شهوة التبرج والسفور ، مما يمجه الذوق ويأباه الطبع وتنفر منه الفضيلة •

وقد خسرت المرأة بذلك أضعاف ما تظنه ربحته ، فقد مضى عهد كان فيه أصلب الناس وجها وأخشنهم طبعا يرى المرأة فيغض طرفه اكراما للأنوثة الطاهرة وينعقد لسانه أن ينطق بكلمة فحش أو بذاء ، حياء منها ومهابة لها ، فأصبح النساء الآن هدفا للألفاظ الجارحة تسيل بها ألسنة السفلة والأوغاد (والجزاء من جنس العمل) وأمسى الرجل بعد أن كان يجل الأنثى فيفسح لها الطريق اذا مرت ويخلى لها مكانه اذا حلت ، لا يعنى بشأنها ، ولا يحفل بأمرها •

والحق أن هذا الأمر قد أهم أرباب الشرف والكرامة ، لأنه نذير اباحة وطليعة الفوضى الخلقية التى تأتى على ما ورثناه من دين قيم وخلق كريم وعادات شرقية حميدة • واذا كان هذا نصيبنا من مفاسد المدنية الغربية فى تلك السنين القليلة التى تم فيها الاختلاط فما الظن اذا توالت علينا الأحقاب والأجيال ؟

على أننا لا نقلد الأجانب الا فى المساوىء والمثالب ، فأما حسناتهم فنحن عنها معرضون ثم لنسأل أنفسنا فى عجب ودهشة أليس لتلك الدمى الانسانية السادرة فى غيها قيم أو كفيل من أب أو أخ أو زوج أو قريب ؟ ألا يحدث الرجل نفسه بما يراه فى الطرقات من مخاز يربد لها وجه الفضيلة فيحفزه ذلك الى أن يحمى حريمه ويمنع حماه ؟ ألا يجد فيما يشاهده صباح مساء وما يسمع به من أسرار القصور وأنباء الدور مقنعا يجعله يمسك بعرضه أن يزج به فى هذا المعترك الضنك والمأزق المتلاحم ؟ و لايطوفن بعقل القارىء

الكريم أننا نريد للمرأة أن تقبع فى بيتها كالسجين المصفد ، فلا تشم الهواء ولا ترى الخضرة والماء ،ولا تتمتع بما أبدعته يد القدرة والصناعة مما يقر العين ويبهج الفؤاد ، فالمرأة مخلوق محترم بل هى نصف الانسان وربة المنزل وأم الولد ووزير الرجل ولها حقوق على الزوج لو نالتها لعاشت فى عز سابغ وسعادة وارفة الظلال .

فلتخرج المرأة للزيارة والتنزه والاستراضة ، ولكن ليكن معها حارس ذو محرم محرم منها ، يدرأ عنها النظرات الحادة والكلمات الساقطة والمغازلات السمجة ويحميها من هجمات اللصوص لصوص الجمال لا الجمال وسراق الاعراض لا العروض وقناص الخود لا النقود أولئك الذين يقعدون كل مرصد لختل الصيد واقتناص الفريسة ، فلا تكاد تخلو منهم بقعة حتى أماكن العبادة ومزارات الأولياء فتبا لهم وسحقا .

ومن نكد الأيام أن نشأت فى هذا الجيل نابتة هم زمانة الأمة وداؤها العقام ، نبذو فضائل الشرق وجهلوا آداب الغرب .

أخذوا يدعون جهرة الى الاباحة ويبذرون بذرها الخبيث ، مظهرين المرأة بمظهر من فقد حريته وسلب ارادته ، وما بهم (شهد الله) حب المرأة والعطف عليها ، ولكنهم يبغون وراء ذلك ما يطفى شهوتهم الثائرة ويشبع ذكورتهم الجائعة ولو كان فى ذلك خراب البلاد وشقاء العباد .

ولا تعدم منهم فيلسوفا سوفسطائيا يحاجك بأن سفور المرأة واختلاط الجنسين يقتل الشهوة ويزرع العفة (وحب شىء الى الانسان ما منع) وما درى (أزال الله خباله ورد عليه عقله) **أن هذا لا يطبق فى كل** الأحوال فكما أن رؤية الطعام الشهى والشراب العذب تثير الرغبة فيهما ، فكذلك النظر الى وجوه الغير يبعث على الفتنة ويحث على الصبابة .

وشتان بين امرأة متحجبة لا يبدو منها ما يدل على حسن وجمال ، وبين أخرى سافرة عن محيا صبيح ووجه مقسم ، فأين يذهب بكم أيها الناس لقد كانت تلك المرأة البدوية أبعد منكم نظرا وأرجح عقلا وأعرف بموطن الداء .

ولعل لنا عبرة فيما فعله (الفاتيكان) فان البابا حرم على النساء دخول الكنائس بالملابس الخليعة ، وسمعنا عن جمعيات نسوية قامت فى أوربا (أوربا المتهتكة) تدعو السيدات الى اطراح الأزياء المستهجنة والجنوح الى سبيل القصد والحشمة .

هذا وانى أدعو الرأى العام لمقاومة تلك البدع الضارة الهدامة . والرأى العام فى كل عصر ومصر له صولة تهزم الجبابرة فلو أن الناس يستنكرون هذه الموبقات ، ويظهرون سخطهم على كل امرأة تخرق سياج الفضيلة وتنتهك حرمة الآداب لامحت تلك العادات السيئة من البيئة المصرية . والله الهادى الى أقوم سبيل .

على الجندى

كتاب قواعد الزركشي

لمحمد بن عبد الله الزركشي

للأستاذ محمد عميرة على

من العلماء الأفاضل الذين أجادوا وبرزوا فى علم أصول الفقه ، علامة دهره وشيخ عصره ينبوع الفضائل ، ومعدن الفواضل ، خلف السلف وسلف الخلف سيف الدنيا : العلامة .

الشيخ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى أبو عبد الله بدر الدين عالم بفقه الشافعية والاصول .

تركى الأصل ، مصرى المولد والوفاة .

ولد سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) وتوفى سنة ٧٩٤ هـ (١٣٩٢ م) .

له تصانيف كثيرة فى عدة فنون منها «الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة » و « لقطة العجلان فى أصول الفقه » و « البحر المحيط « ثلاثة مجلدات فى أصول الفقه ، و « اعلام الساجد بأحكام المساجد » و « الديباج فى توضيح المنهاج » و «المنثور» يعرف بقواعد الزركشى فى أصول الفقه ، و « التنقيح لالفاظ الجامع الصحيح » و « ربيع الغزلان » أدب[2] .

قالت عنه الدرر الكامنة فى الجزء الثالث ص ٣٩٧ هو : محمد بن بهادر بن عبد الله التركى الأصل المصرى الشيخ بدر الدين الزركشى عنى بالاشتغال من صغره ، فحفظ كتبا . وأخذ عن الشيخ جمال الدين الاسنوى والشيخ سراج الدين البلقينى ولازمه .

ولما ولى قضاء الشام استعار منه نسخته من الروضة مجلدا بعد مجلد فنقلها على الهوامش من الفوائد ، فهو أول من جمع حواشى « الروضة للبلقينى » ، ثم جمعها القاضى ولى الدين ابن شيخنا العراقى قبل أن يقف على الزركشية . فلما أعرتها له انتفع بها فيما كان قد خفى من أطراف الهوامش فى نسخة الشيخ . وجعل لكل مازاد على نسخة الزركشى

---

(١) النسخه بمكتبة الأزهر رقم خاص ١٥١ رقم عام ٥٥٥٢ علم الأصول .

(٢) الأعلام للزركلى جـ ٦ ص ٢٨٦

٣ كتاب قواعد الزركشي

(زايا) وعنى الزركشى بالفقه والأصـــول والحديث • فأكمل شرح المنهاج واستمد فيه من الأذرعى كثيرا •

وكان رحل الى دمشق فأخذ عن ابن كثير فى الحديث • وقرأ عليه مختصره ومدحـــه ببيتين ثم توجه الى حلب فأخذ عن الأذرعى • ثم جمع الخادم على طريق المهمات فاستمد من التوسط للأذرعى كثيرا • لكنه شحنه بالفوائد الزوائد من المطلب وغيره • وجمع فى الأصول كتابا سماه (البحر) فى ثلاثة أســـفار • وشرح « علوم الحديث » لابن الصلاح « وجمع الجوامع » للسبكى • وشرع فى شرح « البخارى » فتركه مسوده وقفت على بعضهـــا ، ولخص منه « التنقيح » فى مجلد • « وشرح الأربعـين » للنووى •

وولى مشيخة كريم الدين وكان منقطعا فى منزله لا يتردد الى أحد الا الى سوق الكتب • واذا حضره لا يشترى شيئا ، وانما يطالع فى حانوت الكتبى طول نهاره ومعه ظهور أوراق يعلق فيها ما يعجبـه ثم يرجع فينقلـــه الى تصانيفه وخرج أحاديث الرافعى ومشى فيـــه عـــلى جمـع ابن الملقن ، لكنـــه ســــلك طريق الزيلعى فى سوق الأحاديث بأســـانيد خرجها •

والكتاب الذى نقدمـــه للقراء هو « كتاب القـــواعد للزركشى » قال رحمـــه اللـــه فى

افتتاحيته :الحمد لله رب العالمين ــ وصلى الله على محمد وسلم ــ الحمد لله المتعالى عن الشبيه والنظـــير والمنزه عـــن وصف يدرك به حسن أو يختلج بضمير ، أحمده على ما أسبغ من نعمته ، وأبلغ من دقيق حكمته ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة متحقق لعبوديته ، وأشهد أن محمدا عبده ورسولـــه• أما بعد فان ضـــبط الأمور المنتشرة المتعددة فى القوانين المتحدة ، هو أدعى لحفظها وأدعى لضبطها ، وهى احدى حكم العدد التى وضع لأجلها ــ والحكيم اذا اراد التعليم لابد لـــه أن يجمع بين بيانين :

اجمالى تتشوق معه النفس •

وتفصيلى تسكن اليه • وقال : لقد بلغنى عن الشيخ قطب الدين السنباطى ــ رحمـــه اللـــه أنه كان يقول :الفقه معرفة النظائر ، وهذه قواعد تضـــبط للفقيه أصول المذهب وتطلعـــــه من مأخذ الفقه على نهاية المطلب ، وتنظم عقدة المنثور فى سلك وتستخرج لـــه مالم يدخل تحت ملك ، أصـــلتها لتكون ذخيرة عند الاتفاق • وفرعت عليها من الفروع مـــا يليق بتأصيلها على الخلاف والوفاق ، وغالبها بحمد الله مما لا عهد للأنام بمثلها ، تتنزه فى رياضها عيون العقول ، وتكرع فى حياضها لسان المنقول • ويســـتخرج من ابحر المعانى درها الثمين ، ويتناول عقدها الفريد باليمين •

ورتبها ــ رحمه الله ــ على حروف المعجم ليسهل تناول طرازها المعلم ، والله المسئول وهو خير مأمول وأن يلهمنا محاسن ما تنطق به الألسنة ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه •

ثم قسم « الفقه » الى أنواع :

أحدها : معرفة أحكام الحوادث نصـــا

واستنباطا وعليه صنف الأصحاب تعاليقهم « المبسوط على مختصر المزنى » .

الثانى : معرفة ا لجمع والفرق وعليه جعل مناظرات السلف حتى قال بعضهم الفقه فرق وجمع . ومن أحسن ما صنف فيه كتاب الشيخ أبى محمد الجوينى وأبى الخير بن جماعة المقدسى ، فكل فرق بين مسألتين مؤثر مالم يغلب عليه الظن أن الجامع أظهر .

قال الامام ولا يكتفى بالخيالات فى الفروق، بل ان كان اجتماع مسألتين أظهر فى الظن من افتراقهما وجب القضاء باجتماعهما . وان انقدح فرق على بعد . قال الامام فافهموا ذلك فانه من قواعد الدين .

الثالث : بناء المسائل بعضها على بعض لاجتماعها فى مأخذ واحد وأحسن شىء فيه كتاب السلسلة للجوينى وقد اختصره ، الشيخ شمس الدين بن القماح .

وقد يقوى التسلسل فى بناء الشىء على الشىء ولهذا قال الرافعى : وهذه سلسلة طولها الشيخ . ثم الأكثر بناء الوجهين على قولين . أو على وجهين اذا كان المأخذ فى الأصل أقوى وأماالقولان فيبنيان على القولين وقد يبنيان على الوجهين وهو مما يستنكر كثيرا . وجوابه أن الوجهين مأخذهما قولان فلم تبن القولين فى الحقيقة الا على قولين .

الرابع : المطارحات هى مسائل غويصة يقصدون بها تنقيح الأذهان . وقد قال الشافعى للزعفرانى تعلم دقيق العلم كى لا يضيع .

الخامس : المغالطات .

السادس : الممتحنات

السابع : الألغاز .

الثامن : الحيل وقد صنف فيه ابو بكر الصيرفى وابن سراقه وأبو حاتم القزوينى وغيرهم .

التاسع : معرفه الأفراد وهو معرفه ما لكل من الأصحاب من الأوجه الغريبة ، وهذا يعرف من طبقات العبادى وغيره ممن صنف الطبقات .

العاشر : معرفة الضوابط التى تجمع جموعا ، والقواعد التى يرد اليها أصولا وفروعا ، وهذا أنفعها وأعمها وأكملها وأتمها ، وبه يرتقى الفقيه الى الاستعداد لمراتب الاجتهاد وهى أصول الفقه على الحقيقة .

ثم ذكر فائدة فقال : كان بعض المشايخ يقول العلوم ثلاثة :

علم نضج وما احترق وهو علم النحو الأصول .

وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير .

وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والتفسير والحديث (١) .

وكان الشيخ صدر الدين بن المرحل يقول : ينبغى للانسان أن يكون فى الفقه قيما . وفى الأصول راجحا ، وفى بقية العلوم مشاركا .

◄

(١) كذا بالأصل . . . . . مجلة الأزهر .

وبدأ المصنف كلامه بحرف الألف فقال : « الاباحة » ويتعلق بها مباحث الاول • فى حقيقتها وهى تسليط من المالك على استهلاك عين أو منفعة ولاتمليك فيها ، ولهذا لو ملك شيئا ولم يقبضه فأباحه صح بخلاف مالو وهبه والفرق أن الهبة تمليك وفى فتاوى بعض أهل اليمن اذا قال أبحت لك كذا ، فان كان مما يتلف صحت الاباحة وجها واحدا وله الرجوع فيما لم يتلفه المباح له •

وفى فتاوى البغوى اذا أخذه بدأ ملكه واذا أرسله لا يزول ملكه ، فاذا قال أبحته لكل من أخذه حل لمن أخذه أكله ، قال وحجته أنه لايجوز للآخذ بيعه ، وانما يحل له أكله لان ملك المالك لم يزل بالاباحة كالضيف يأكل الطعام ولا يبيعه •

الثانى فى الاباحة قد تكون جائزة بالرجوع وقد تكون لازمة ــ كما لو أوصى له بالمنافع مدة حياته فانه يستحقها على جهة الاباحة اللازمة لا التمليك ، حتى أنه اذا مات لا تورث عنه وفى جواز الاعارة له وجهان •

وقال الامام فى الاساليب ليس فى الشرع اباحة تقضى الى اللزوم الا فى النكاح اذا قلنا انه اباحة لاملك فيه ويرد عليه ما ذكرنا ، الى آخر ما ذكر فى الاباحة •

وانتقل الى حرف الباء • وعرف البدعةفقال قال ــ ابن درستويه هى فى اللغة أحداث سنة لم تكن وتكون فى الخير والشر ــ ومنه قولهم فلان بدعة اذا كان مجاوزا وجعل منه ابن فارس فى المقاييس قوله تعالى « **ما كنت بدعا من الرسل** » أى أول •

فأما فى الشرع : فموضوعه للحادث المذموم واذا أريد الممدوح فنُدب فيكون ذلك مجازا شرعيا حقيقة لغوية وفى الحديث « كل بدعة ضلالة » •

وقال الامام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ المحدثات ضربان • أحدهما ما يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو اجماعا •

فهذه البدعة الضلالة •

والثانى ــ ما أحدث من الخير لا خلاف فيه •

وقد قال عمر رضى الله عنه فى قيام رمضان نعمت البدعة • هى يعنى أنها محدثة لم تكن واذا كانت ليس فيها رد لما مضى ، وانظر كيف تحرز الشافعى ــ رضى الله عنه ــ فى كلامه عن لفظ البدعة ، ولم يزد على لفظ المحدثة ، وتأول قول عمر ــ رضى الله على ذلك •

وقال : المتولى فى التتمةفى بابصلاة الجماعة البدعة اسم : لكل زيادة فى الدين سواء كانت طاعة أو معصية ،والبدعة بزيادة الطاعة مثل كثرة الصلاة والصوم والصدقة سواء وافق الشرع أم لا، كأن يتعبد فى وقت الكراهية •

قال : والمبتدع بالمعصية كالطعن فى الصحابة أو به خلل فى العقيدة ، فان كان لا يكفر بها فحكمه حكم الفاسق والا فهو كافر ، قال : وهل يقطع بأنه من أهل النار ؟ ظاهر المذهب وعليه يدل كلام الشافعى أنه من جملة العاصين • وحاله فى المشبه بحال سائر العصاة ، ومن أصحابنا من قطع بأنه مع أهل النار • لانه

ـ صلى الله وسلم ـ قال « كل كذب ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

وقال الشيخ عز الدين هى فعل ما لم يعهد فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وينقسم الى الاحكام الخمسة . وطريق معرفة ذلك بعرض البدعة على قواعد الشرع فأى حكم دخلت فيه فهى فيه من البدع الواجبة كعلم النحو الذى يفهم منه القرآن والسنة وذلك واجب لأن ضبط الشريعة واجب ولا يأتى ضبطها الا بمعرفة ذلك وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، ومن البدع المحرمة مذهب القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة . والرد على هؤلاء من البدع الواجبة ومن البدع المندوبة احداث المدارس والربط وصلاة التراويح وكل احسان لم يعهد فى العصر الاول ومن المباحة المصافحة عقب الصبح والعصر ولبس الطيالسة وتوسيع الاكمام ، ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد وتزويق المصاحف الى آخره .

واستطرد فى سرد كتابه على هذا النسق حتى قال حرف (الياء) .

« اليتيم » المشهور أنه : الصغير الذى لا أب له ، وأن اليتم فى الآدمى بموت الآباء وفى البهائم بموت الأمهات .

قال الماوردى لأن البهيمة تنسب الى أمها فكان بموت الأم يتمها ، والآدمى ينسب الى أبيه فكان يتمه بموت الأب .

وقال : ابن أبى هريرة فى كتاب « الحجر » من تعليقه ، اليتيم من لا أب له ولا أم بلا خلاف وكذلك من لا أب له يلزمه اسم اليتيم قولا وحدا ، فأما اذا لم يكن له أم وكان له أب فعلى وجهين .

أحدهما : أنه يتيم وهو القول الذى يقول ان الأم تلى أمر ابنها انتهى «١» .

ويحرم طلب ما يحرم على المطلوب منه فعله الا فى مسألتين . الأولى : اذا ادعى دعوى صادقة فأنكر الغريم ثم أراد الحلف فانه يجوز تحليفه .

الثانية : الحرية يجوز طلبها من الذمى مع أنه يحرم عليه اعطاؤها لأنه متمكن من ازالة الكفر بالاسلام . فاعطاؤه اياها انما هو على استمراره على الكفر وهو حرام .

وقال : يدخل الضعيف على القوى دون العكس ولهذا يجوز ادخال الحج على العمرة قطعا . وفى العكس قولان ، أصحهما المنع ، لأن العمرة أضعف . فلم يجز أن يزاحم ما هو أقوى منها فى الوجوب .

قال : الماوردى فلو ادخلها على حج وهو واقف بعرفة امتنع قطعا ، ومثله فراش النكاح أقوى من ملك اليمين على ما قالوه فاذا وطىء أمة ثم تزوج أختها ثبت نكاحها وحرمت الأمة لأن اقوى الفراشين زاحم أضعفهما . وان تقدم النكاح حرم عليه الوطء بالملك لانه أضعف الفراشين .

ثم قال : « اليد » قسمان : **حسية ومعنوية** .

فالحسية عندنا : من الأصابع الى الكوع ويدخل الذراع فى ذلك بحكم التبعية لا

(١) كذا بالأصل ولم يذكر الوجه الثانى . . . ولم يتعرض للطيم . . . . . مجلة الأزهر .

كتاب قواعد الزركشى

بالحقيقة ، ومن هنا يقوى الاحتجاج بقوله تعالى « وَأَيدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ » ذكر اسم اليد ثم زاد على الاسم .

وقال : أبو عبيد بن حربويه : من الأصابع الى الابط ، حكاه عنه القاضى الحسينى فى « باب الخراج » وانه قال اذا قطع يده من الكوع لا يجب نصف الدية .

وعندنا يجب . وان قطعها مع الساعد فكذلك مع حكومة الباقى .

قال : وفى السرقة حملت اليد عليها من الكوع وهو يقتضى أن خلاف أبى عبيد لايجرى فى السرقة وهو ظاهر لأن القصد تعطيل الجارحة وكفه عن الاخذ بها .

وهذا يحصل بقطع الكف لان بها ينقطع البطش والأخذ بخلاف غيره .

واما المعنوية : فالمراد بها الاستيلاء على الشىء بالحيازة وهى كناية عن ما قبلها لأن باليد يكون التصرف . وقد اعتبروها فى الاقدام على جواز الشر وان لم يثبت أنه ملكه ورجحوا أنها عند تعارض البينتين ولم يجعلوهما سببا لجواز شهادة الانسان لصاحب اليد بالملك على الأصح .

وكذا لو قال هى ملكك ثم خرجت مستحقة رجع هذا المقر الذى هو مشتر على البائع بالثمن لانه اعتمد اليد ... الى آخر ما ذكره.

والنسخة فى مجلد بقلم معتاد قديم بخط على بن عبد المحسن بن على سنة ٨٨٠ هـ بأوراقها تلويث وبأولها فهرس فى ١٦٧ ورقة ومسطرتها ٣١ سطرا .

ونسخه اخرى فى مجلد بخط محمد السودانى كتبها للكمال بن أبى شريف سنة ٨٥٥ هـ ، بها خروم وتلويث ، فى ٢٥٠ ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرا .

وثالثة فى مجلد بخط ، الشيخ أحمد بن محمد ابن محمد العسقلانى الشافعى سنة ٨٥٩ هـ (ولعله ابن حجر العسقلانى ، بأوراقها ترقيع وتلويث فى ٢١٥ ورقة ومسطرتها ٢٩ سطرا .

ومكتبة الازهر اذ تنشر تعريفا بهذا الكتاب فى مجلة الازهر الشريف متضمنا لقطات بسيطة عنه . وليست دراسة مفصلة عن الكتاب. نرجو أن نقوم باليسير من الوفاء لهذا العالم الفاضل الجليل .

والله ولى الفضل وله الحمد والمنة ،

محمد عميره على

اللغة والأدب والنقد

صيغ المبالغة أو أمثلة المبالغة

الازدواج اللغوى قديما وحديثا

أبوحيان التوحيدى

النقد الأدبى عند أبى عبيد البكرى

صيغ المبالغة
أو أمثلة المبالغة

صوغها وعملها : يجوز أن تحول صيغة (فاعل) من الثلاثى المتعدى غالبا . الى أوزان خمسة هى : فعال ، مثل ، قتال وضراب وعلام وسراق وحمال ، ومفعال ، كمئكال ومنحار ومزراع ومعوان ، وفعول ، كأكول وغفور وشكور وكتوم وكفور وظلوم وجحود ، وتأتى تلك الاوزان السالفة بكثرة ، والى فعيل ، كرحيم وسميع وعليم وخبير وبصير وقدير ، وفعل ، كحذر وفهم وجزع ، ويستعملان بقلة، وهدف التحويل الى هذه الصيغ المبالغة فى الحدث والتكثير فيه ، ولذلك تسمى هذه الاوزان الخمسة صيغ المبالغة أو أمثلة المبالغة.

والمراد بالمبالغة هنا الزيادة والكثرة فى الحدث كما أوكيفا وليست المبالغة البيانية . ولاتصاغ هذه الأمثلة الخمسة من غير الثلاثى الا نادرا ومن هذا النادر مجيئها من أفعل الرباعى المزيد بالهمزة نحو دراك سآر من أدرك وأسأر أى ترك فى الكأس بقية ، ومعطاء ومهوان ومعوان من أعطى وأهان واعان ، وسميع ونذير وبصير وشبيه ، من أسمع وأنذر وأبصر وأشبه وأمثلة المبالغة تعمل عمل اسم الفاعل المحولة عنه بتفاصيله وشروطه المتقدمة ، فمن اعمال فعال قول القلاخ :

أخا الحرب لباسا اليها جلالها ..

وليس بولاج الخوالف أعقلا (٢)

ونحو قولهم أما العسل فأنا شراب . ومن اعمال فعول قول أبى طالب عم النبى ﷺ فى رثاء ختنه أمية بن المغيرة .

ضروب بنصل السيف سوق سماتها ..

اذا عدموا زادا فانك عاقر (٣).

فقد نصب سوق ، جمع ساق بضروب مبالغة فى ضارب ، لاعتماده على مسند اليه مقدر ، أى هو ضروب ، أو أنت ضروب ومن اعمال مفعال ماحكاه سيبويه عن بعض العرب . انه

---

(١) الملك الحلاحل : الشجاع ، أو الضخم الكثير المروءة ، نائلا : النال والنوال : العطاء والمراد أنه كثير الكرم .

(٢) أخا الحرب : الملازم لها المنغمس فيها ، جلالها : الجلال : المرادع الدرع والجواش ، ولاج: مبالغة والج من الولوج ، وهو الدخول (يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل) ، الخوالف جمع خالفة وهى عماد البيت والمراد البيت نفسه أعقلا : بالعين المهملة والقاف ، وهو من تضطرب رجلاه من فزع .

(٣) نصل السيف : حده وشفرته ، سوق : جمع ساق وهى مابين الركبة والقدم ، سمانها : جمع سمينة والضمير للابل ، وعاقر عقر البعير ضرب قوائمه بالسيف ولايطلق العقر فى غير القوائم ، وربما قبل عقره اذا نحره فهو عقير ، وجمال عقرى .

للاستاذ
احمد حسن عبد العواض هلال

لمنحار بوائكها ، فقد نصب بوائكها جمع بائكـة بمنحار لاعتماده على مسند اليه هو اسم ان . ومن اعمال فعيل قول عبد الله بن قيس الرقيات :

فتاتان : أما منهما فشبيهة .. هــــلالا ،
والاخرى منهما تشبه البدرا . فقد نصب هلالا بشبيهة مبالغة فى مشبهة لاعتماده على مخبـر عنه محذوف تقديره : أما فتاة منهما فشبيهة هلالا .

ومن اعمال فعل قول أبى يحيى اللاحقى :

حـذر أمورا لاتضير (١) وآمن ..
ماليس منجيـه من الاقـدار

وقد زعم أبو يحيى هذا أن سيبويه سأله .. هل تعدى العرب (فعلا) بفتح الفاء وكسر العين قال فوضعت له هذا البيت ونسبته الى العرب وأثبته سيبويه فى كتابه ، وهذا الادعاء ينطوى على كثير من الجرأة ، وفيه نيل شنيع من سيبويه وغض لشأنه وحط من قدره ، فمثل سـيبويه لايغيب عن فطنته وسعة أفقه وغزارة علمه مثل هذا الاختلاق ، ولايعجزه أن يميز بين المزيف والأصيل من الكلام فادعاء أبى يحيى موضـع شك وموطن ريبة وأغلب الظن أنه افتراء محض لا أساس له مبعثه الغيرة القاتلة والحقد المردى من ذلك العملاق الفذ والعلم الشامخ وما امتاز به من مكانة سامية ومنزلة رفيعة . ومن اعمال فعل أيضا قول زيد الخيل رضى الله عنه الـذى سماه النبى ﷺ زيد الخير :

أتانى أنهم مـزقون عـرضى ..
جحاش الكرمليـن لها فديد (٢) .

فقد نصب عرضى مفعولا به بمزقون ، جمع مزق مبالغة مازق لاعتماده على مسند اليه هو اسم أن المفتوحة المؤولة مع اسمها وخبـرها بمصدر فاعل أتانى .

ومنه أيضا قول لبيد :

حتى تهجر (٣) فى الرواح وهاجها ..
طلب المعقب حقه المظلـوم —
أو محل شنج عضادة سمحج ..
بسراته نـدب لها وكلـوم

فقد نصب شنج وهو من أمثلة المبالغة وزن (فعل)عضادة لاعتماده على موصوف فى البيت قبله .

والقول باعمال أمثلة المبالغة عمل اسم الفاعل المحولة عنه هو رأى سيبويه وأصـحابه من

٥

---

(١) لا تضير : لاتضر .

(٢) عرضى : عرض الرجل جانبه الـذى يجب عليه أن يصونه ويذود عنه من نفسه وحسـبه ، جحاش جمع جحش الحمار الصغير ، الكرمليـن بكسر الكاف والميم ماء فى حبل طيىء فديد : صوت.

(٣) تهجر : صار فى الهاجرة ، الرواح : وقت الرواح أى العودة ، هاجها : أثارها ، المعقب : من عقب فى الامر تردد فى طلبه مجدا ، محل بكسر الميم وفتح الحاء الحمار الوحشى ، شيخ : بفتح الشين وكسر النون منقبض ومجتمع ، عضادة : بالكسر جانب العقبة من الباب ، سمحج الاتان طـويلة الظهر وهو خاص بالانثى بسراته : السرات الظهر ندب : الندب بفتح النون وسكون الدال أثر الجرح الباقى على الجلد ، كلوم : جمع كلم ، وهو الجرح.

البصريين وحجتهم فى ذلك السماع والحمل على أصلها وهو إسم الفاعل المحولة عنه ·ومنع الكوفيون اعمالها جميعا وحملوا المنصوب بعدها على أنه منصوب بفعل مقدر مناسب للمقام ، ومنعوا أن يتقدم المنصوب بعدها عليها ولكن يرد عليهم بما سمع من قول بعض العرب: أما العسل فأنا شراب ، ويعض البصريين منع اعمال فعيل وفعل كليهما ، وأجاز الجرمى اعمال فعل لانه على وزن الفعل كفهم وعلم وفطن وسمع ، دون فعيل لانه على وزن الصفة المشبهة وهى لا تنصب المفعول به ، واذا نصب المعمول بعدها فعلى التشبيه بالمفعول به ·

(معلومة قيمة) يرى بعضهم أن صفات الله تعالى الواردة على صيغة المبالغة مثل الجبار والقهار والوهاب والرزاق والفتاح والغفور والشكور والصبور ، والرحيم والسميع والبصير والعليم ليست حقيقة ، وانما هى من المجاز ، ذلك لان المبالغة تكون فى المعانى والصفات التى تقبل الزيادة والنقص ، وصفات الله جل شأنه منزهة عن ذلك ، ويقول الذمخشرى فى الكشاف: ان المبالغة فى (التواب) انما هى فى كثرة من يتوب الله عليهم ممن اجتنبوا الفسوق والعصيان ، وأقلعوا عن الذنوب والآثام ، والجمهور على أن المبالغة فى الرحمن أقوى منها فى الرحيم لانه على صيغة المثنى والتثنية تضعيف فكأن البناء تضاعفت فيه الصفة ويرى ابن الانبارى أن المبالغة فى الرحيم أكثر لأنه جاء على صيغة الجمع كعبيد ، ويرى آخرون أنهما سواء فى المبالغة ·

تثنية اسم الفاعل وامثلة المبالغة وجمعها

تثنية اسم الفاعل وأمثلة المبالغة ، وكذلك جمعها تصحيحا أو تكسيرا مذكرا أو مؤنثا كمفردهما فى العمل والشروط المطلوبة فى المفرد فمن عمل جمع المذكر السالم قول الله تعالى : (**وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**) ففروجهم ولفظ الجلالة منصوبان بالحافظين والذاكرين ، وكلاهما جمع مذكر سالم لحافظ وذاكر ، ومن عمل جمع المؤنث قوله جل شأنه : (**هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ**) فكاشفات جمع كاشفة وفاعله مستتر فيه وضره مفعول به واعتمد على المخبر عنه وهو هن · ومن عمل جمع التكسير للمؤنث قول العجاج الراجز :

القاطنات البيت (١) غير الريم
أوالفا مكة من ورق الحمى

فأوالفا جمع تكسير آلفة ، وقد عمل النصب فى مكة · وقول أبى كبير الهذلى يمدح تأبط شرا

ممن حملن به وهن عواقد(٢)

البقية ص ٧٧٩

---

(١) القاطنات البيت : المقيمات به ، الريم : بضم الراء وتشديد الباء جمع رايم ، من رام اذا ابرح ورق : جمع ورقاء : نوع من الحمام لونه أبيض مائل الى السواد ، الحمى ، بفتح الحاء وكسر الميم اصله الحمام حذفت ميمه الاخيرة ، ثم قلبت الالف ياء والفتحة كسرة للروى ، او الفا : جمع الفة من الف الشىء الفاء الفه .

(٢) عواقد : جمع عاقدة اى ضامة ورابطة ، حبك النطاق بضمتين اطرافه جمع حباك ، جمع جبيكة ، والنطاق شبه ازار تلبسه المرأة ، وقيل هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل وترسل الاعلى منه على الاسفل نشب : نما وكبر ودخل مرحلة الشباب وهى قبل سن الكهولة ، مهبل : المهبل بتشديد يد اللام مفتوحة المعتوه مختل العقل الذى لايتماسك ، وقيل هو من هبله اللحم اذا كثر عليه وركب بعض بعضا .

الازدواج اللغوى بعد الاسلام

د. عبد المنعم عبد الله محمد

اختلف مفهوم الازدواج اللغوى بعد الاسلام عن ذى قبل حيث أصبح يمثل نمطين من الاداء : أولهما ــ سليم فصيح وثانيهما ــ خطأ ولحن ، فلم يعد الفرق بين المستويين فى مقدار الفصاحة ــ ، بل أصبح الفرق ماثلا فى السلامة وعدمها حيث ظهر على لسان الاعاجم مايسمى باللحن الذى صار الفيصل الحقيقى بين نمطى التعبير .

مادة (ل ح ن) فى المعاجم العربية (١) تدور حول الميل والتحول عن الهيئة المألوفة ، وهذا المعنى يلتقى فى مفهومه مع ما أطلقه « علماء اللغة والنحو » اصطلاحا على الخطأ فى اللغة (٢) سواء فى ذلك . أصواتها أو نحوها أو صرفها ، أو معانى مفرداتها (٣) ، ومصطلح اللحن بهذا المفهوم ليس جاهليا ، بل هو اسلامى محدث ، فالعرب ماعرفوا الخطأ فى اللغة على كافة مستوياتها الصرفية والنحوية والصوتية والدلالية الا بعد انتشار الاسلام ، نعم لقد لاحظ العرب الأوائل « العوائق الحسية والنفسية التى تعترض النطق وتؤثر فى المنطق ، فيعيا الخطيب أو يرتج عليه ، ولاحظوا كذلك عيوب اللسان كاللثغة والرتة واللجلجة والحبسة، بل لاحظوا أيضا خصائص من اللهجات واللغات الخاصة ، ولكنهم لم يعرفوا كنها للخطأ فى القواعد والخروج على النحو » (٤) وعلى هذا يمكن القول بأن العرب « لم يلتفتوا الى الخطأ فى اللغة الا حين اختلطوا بغيرهم من اهل البلاد المفتوحة (٥) ولاريب فى أن الاختلاط كان له أثره الذى لاينكر ◄

(١) البحث اللغوى عند العرب د . أحمد مختار عمر ١٤ .
(٢) العربية يوهان فك ٢٤٣ .
(٣) لحن العامة فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة د . عبد العزيز مطر ١٧ .
(٤) العربية يوهان فك ٢٤٣ .
(٥) لحن العامة ٣٣ .

فى هذا الميدان ، فقد كان السبب المبـــاشر فى وجود اللحن الذى صنع على يديه المســـتوى العامى ، « فأول مظاهر الابتعاد عن الفصحى اللحن وهو أول أدواء العامية » ، ولم يكـــن الاختلاط سببا فى فساد السنة الاعاجم وفقــط بل امتد ذلك الى العرب أنفسهم (٦) وقد ظهر أثر اللحن واضحا بعد انتشار الفتوحـــــات الاسلامية « وكثرة الموالى فى البيئة العــربية ولاسيما بعد اصهار العرب الى غير العـــرب ، وظهور ناشئة لاتقيم ألسنتها بلغة أبائهـــا ، وتسرب لحن هؤلاء وأولئك الى قراءاتهـــم القرآن » (١) .

وعلى الرغم من خطر الاختلاط كما هو واضح رأى بعض الباحثين (٢) أنه « مجرد عامل من عوامل ثلاثة كانت السبب فى ارهاق اللغــــة وتغييرها ومسخها ، وذكر هذه العوامل حسب ترتيبها النسبى فى قوة التأثير عـــلى هــــذه الصورة :

(أ) تأخر العرب ــ وبالتالى لغتهم ــ مـــن الناحية الحضارية عن كثير من الشعوب التى غلبوها بالفتح العسكرى .

(ب) زيادة سرعة التطور الطبيعى للغة بعد خروجها الى العالم الفسيح وايغالها فى مناطق مترامية الاطراف .

(جـ) اختلاط العرب بلغات تختلف عنـــها فى النواحى البنائية صوتيا وقاعديا ولو أمعنـــا النظر فى العوامل التى ذكرها الباحث لوجدناها جميعا تدور فى فلك الاختلاط وأثرا من آثـــاره أما ماقرره الباحث وجعله أول العوامل فاعلية فى التأثير وهو تأخر العرب ــ وبالتالى لغتهم ــ حضاريا ، فهذا قول يعوزه الدليل . وهكذا تبين لنا أن نمطى التعبير بعد الاسلام صـــارا على طرفى النقيض . من حيث السلامة والدقة فى جانب دون الاخر ، ولكى تتضح هـــــذه القضية سنبرز معالم الازدواجية فيما يلى :

اتسم التعبير أو النمط المضاد للفصيح بعـــدة سمات على مستوى أنظمته منها :

١ ــ تسكين أواخر الكلمات وترك الاعراب خوفا من اللحن .

٢ ــ الانحراف فى نطق بعض الاصــــوات كنطق الظاء ضادا .

٣ ــ الخطأ فى قواعد النحو .

٤ ــ الخطأ فى بنية الكلمة (٣) .

وبالتأمل فى الامور المشار اليها نجد أن اللحن كان شاملا لكل معالم اللغة وقد جمـــع بعض الباحثين (٤) خمسا وثلاثين مسألة مما ورد من اللحن فى أوائل نشأته من عدة مصادر ، وكانت نسبة شيوع اللحن فى العناصر اللغوية عـــلى الوجه التالى :

٢٠ مسألة اللحن فيها خاص بالناحيـــــــة الاعرابية .

٨ مسائل اللحن فيها خاص بالناحيــــــة الصوتية ، والصيغ ومجال الاستعمال .

٦ مسائل اللحن فيها خاص بالناحيــــــة التصريفية ، وبنية الكلمة .

---

(١) الاصول د . تمام حسان ٢٣ .
(٢) مستويات العربية المعاصرة ٢٦ .
(٣) البحث اللغوى عند العـــرب ٨٤ : ٨٥ بتصرف .
(٤) لحن العامة د . مطر ٣٥ متصرف .

مسألة واحدة اللحن فيها نتيجة التصحيف. كما تبين للباحث أن اللحن فى الاعراب روى عن شخصيات عربية ، وفى الاصوات والصيغ والابنية عن الموالى .

وهذه الاحصائية ، وان كانت ضئيلة الحجم الا أنها تعطى مؤشرات لها دلالتها الهامة فى هذا الميدان :

أولها ـ أن النمط الثانى من نمطى التعبير أصبح موسوما باللحن فى كل عناصره ولاسيما الاعرابية والصوتية .

ثانيها ـ نستطيع بمقتضاها توثيق ما أشار اليه بعض الباحثين (١) فى وصف النمط الثانى للتعبير فى هذه الفترة حينما قرر أن « لغة التفاهم استعانت بأبسط وسائل التعبير اللغوى فبسطت المحصول الصوتى ، وصوغ القوالب اللغوية ، ونظام تركيب الجملة ، ومحيط المفردات ، وتنازلت عن التصرف الاعرابى ، واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها ، كما ضحت بالفرق بين الاجناس النحوية ، واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة عن مواقع الكلمات فى الجملة ، للتعبير عن علاقات التركيب .

ثالثها ـ يقظة الغيورين على العربية وحرصهم على تنقيتها بتتبع هذه الاخطاء وتقويمها .

وليس أدل على هذا الحرص مما ورد فى كتب التراث فهاهو ذا أبو الطيب اللغوى يقول (٢) :

« واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب فأحوج الى التعلم الاعراب ، لأن اللحن ظهر فى كلام الموالى والمتعربين من عهد النبى ﷺ فقد روينا أن رجلا لحن بحضرته فقال : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » وقال أبو بكر رضى الله عنه « لأن أقرأ فأسقط أحب الى من أن أقرأ فألحن » ، فقد كان اللحن معروفا ، بل لقد روينا من لفظ النبى ﷺ أنه قال : « أنا من قريش ونشأت فى بنى سعد فأنى لى اللحن » وكتب كاتب لأبى موسى الاشعرى الى عمر « من أبو موسى » فكتب اليه عمر : سلام عليك ، أما بعد ، فاضرب كاتبك سوطا واحدا ، وأخر عطاءه سنة . هكذا كان الحرص على لغة القرآن ، وتجلى هذا الحرص فى أعظم صوره بوضع علم النحو وتقنين اللغة خوفا عليها من الضياع بسبب اللحن والخطأ ، وقد عزا بعض الباحثين (٣) وضع علم النحو الى عوامل ثلاثة منها الدينى والقومى والسياسى مشيرا الى أن العاملين الاولين ـ الدينى والقومى ـ كانا متقدمين فى الزمان على العامل السياسى ، على الرغم من أنه لم يكن أقل منهما دفعا الى اقامة صرح النحو العربى وبوضع علم النحو صارت اللغة تعليمية ،ومتى ثم تحصيل هذا العلم واتقانه ضاقت الهوة بين نمطى التعبير ، وذابت فوارق الازدواج اللغوى ، ومع وضوح هذه المسلمات قرر بعض الباحثين (٤) . أن العمل الذى قام به النحاة فى الواقع كان سببا فى تثبيت ازدواجية اللغة لاعاملا فى توحيدها ، كما أرادوا أن يكون ، فبتحديدهم صفات الفصحى تحديدا

---

(١) العربية /فك ٢٠
(٢) مراتب النحويين ٢٣ .
(٣) الاصول ٢١ بتصرف .
(٤) مستويات العربية المعاصرة ٣٩ .

يزيل عنها الالتباس بغيرها .. ساعدوا دون قصد منهم على تحديد صفات لغتين لا لغة واحدة » .

والسؤال الذى يطرح نفسه ، كيف فهم الباحث من تحديد صفات الفصحى مايوحى بتثبيت الازدواجية ؟؟ وهل تحديد نظام الجملة العربية ووضع القواعد التى تصون اللسان من الخطأ سبب فى وجود لون من الاداء لايتسم بتلك السمات ؟ وهل معنى هذا أن عدم وضع القواعد كان سيذيب الفوارق بين شقى الازدواج اللغوى ؟

لقد فات الباحث ماقرره علماء اللغات من أن الازدواج اللغوى أمر واقع وكائن فى كل مجتمع لغوى ، ومظهر طبعى لاشذوذ فيه .

ولا يلبث الباحث نفسه أن يطالعنا بتقرير آخر مضمونه ان اللغويين جمدوا اللغة حينما وضعوا قواعدها رغبة منهم فى وقف تطورها ، « فجمدوا أصواتها فيما أصبح يعرف بعدئذ بعلوم القراءات والتجويد وأبواب الادغام ، وجمدوا أبنيتها فى علم الصرف ، وتراكيب جملها فى علم النحو ، وأساليبها ومعانى تلك الاساليب فى علوم البلاغة ، كما أحصوا ثروتها اللفظية ، وأثبتوها فى المعاجم من متخصصة وغير متخصصة » (١) . ويقرر الباحث بعد ذلك أن هذا العمل التقعيدى الى جانب كونه أدى خدمة للقرآن والاسلام ، كان فى الوقت نفسه خدمة للغة العربية ذاتها ، فقد رفعها الى مصاف اللغات المقننة .

ولاريب فى أن الباحث جانب الصواب حين قرر أن التقنين والتقعيد للفروع اللغوية تجميد للغة ، ولاسيما اذا أدركنا موقف العربية بعد انتشار الاسلام وتعدد الفتوحات ، فما كان هذا العمل تجميدا ، ولكنه كان حفظا وصونا لتلك اللغة الشريفة ، ولنتأمل معا حال تلك اللغة لو لم تجمد — على حد تعبير الباحث .

أعتقد أنه لولا هذا التقنين والتقعيد لاستحالت العربية الى شىء آخر أبعد مايكون عن كلمة لهجة فضلا عن لغة ، وينبغى علينا ألا ننسى أو نتناسى « أن العربية الفصحى لها ظرف خاص لم يتهيأ لأى لغة من لغات العالم وهذا الظرف يجعلنا نرفض ما ينادى به بعض الغافلين من ترك الحبل على الغارب للعربية لكى تتفاعل مع العاميات ، تأخذ منها وتعطى ، كما يحدث فى اللغات كلها » (٢) فالعربية مرتبطة بكتاب الله تبارك وتعالى ومن ثم هيأ لها الله عز وجل أسباب البقاء والخلود .

فقد قيض الله لتلك اللغة حراسا سهروا على نقائها وتنقيتها ، فمنذ « أوائل القرن الثانى الهجرى قاموا بعقد الموازنات بين مايجرى على ألسنة الناس فى زمنهم وماجمعوه من ألسنة العرب الأقحاح فى البادية ، ولعلهم يقفون على ما أصاب الفصحى من تغيير بعد مخالطة العرب غيرهم من الأمم التى دخلت فى دين الله أفواجا ومن بعد ذلك يضعون هذا التغيير موضعه الحق من حيث الصحة أو الخطأ . (٣) ومن ثم وجدنا

(١) السابق ٣٨ .
(٢) التطور اللغوى د . رمضان عبد التواب ٧
(٣) حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد الاول د . عبد الفتاح سليم ١٢٠ .

المؤلفات التى تعالج قضية اللحن والتنقية اللغوية محاولة الاصلاح ومنها مؤلفات الكسائى والباهلى والفراء وثعلب وأبى عبيدة والمازنى والسجستانى والدينورى وابى هلال العسكرى والحريرى (١) ولم يكن التأليف فى هذا الصدد لخدمة المستوى العامى أو « دراسة العامية لذاتها ، كما فعل المستشرقون ومن حذا حذوهم فى عصرنا ، بل كانت تهدف الى خدمة الفصحى عن طريق تقويم ألسنة العامة وتصحيح أخطائهم » (٢) .

وهكذا كان الازدواج اللغوى بعد الاسلام ماثلا فى نمطى الاداء الفصيح والعامى .

ويجدر الاشارة هنا الى أن العلاقة بين النمطين كانت طبيعية ، فلكل نمط مجاله الخاص به ، الفصحى لغة الدين والدولة ، والمراسم العامة والشعر والخطابة والمحافل والدواوين ، والعامية لغة الخطاب العادى والتعامل اليومى وماكان للعامية أن تزاحم الفصحى فى هذه الفترة على الاطلاق ، فالظروف السياسية والاجتماعية والحضارية كانت وراء الفصحى تساندها وتقف من ورائها ، وتعمل على جعلها لسان الدين والدولة ، فسياسة الفاروق عمر — مثلا — قامت بقسط لايستهان به فى سبيل توحيد اللغة ، وانشاء لسان مشترك بين قبائل البدو جميعا ، كما حفظت العربية من الاضمحلال والانحلال ، ولكى يحفظ عمر شعبه العربى من التلاشى فى جماهير الشعوب المغلوبة التى تفوقهم بكثرة العدد حرم عليهم أن يمتلكوا الضياع فى الاقاليم الجديدة ، أو أن يتخذوها لهم وطنا ومقاما ، كما جعلهم بمعزل عن المدن الكبيرة فى البلدان المفتوحة ماعدا سوريا التى كانت استعربت الى حد كبير قبل الاسلام عن طريق القبائل العربية التى هاجرت اليها ، فأسكنهم فى معسكرات من الخيام ، كانت نواة للمدن العظمى فى العالم الاسلامى (٣)

وهكذا كانت سياسة الراشدين حريصة على اللسان العربى ، فاذا ما انتقلنا الى الامويين وجدناهم يعتبرون « اللحن من أقبح الهجنة » كما كان بنو مروان يلزمون أولادهم البادية لينشئوهم هناك على تقويم اللسان ... ومن أجل ذلك قال عبد الملك : أضر بالوليد حبنا فلم نوجهه الى البادية » (٤) .

ومن ثم يمكننا القول بأن العصر الأموى ، اتسم بالحرص الشديد على اللغة الفصحى ، والدفاع عنها ، وضرب المثل فى ذلك قدوة وتصرفا ، بارسال أولاد الخلفاء للبادية أحيانا كما فعل معاوية مع ابنه يزيد ، وبتوقى اللحن وذم مرتكبيه ، وبالاعتماد على العرب غالبا فى كل أمور الدولة » (٥) ولاريب فى أن كل هذه الامور كان لها أثرها الواضح فى المحافظة على كيان الفصحى .

ومع سقوط الدولة الأموية لم تهو العربية فى هوة السقوط لان « لغة القرآن قد صارت فى شعور كل مسلم أيا كانت لغته الاصلية جزءا لاينفصل من حقيقة الاسلام » (٦) ولم تكن

---

(١) الدعوة الى العامية ٦ ، وأيضا درة الغواص ٣ : ٤ .
(٢) الدعوة الى العامية ٧ .
(٣) العربية فك ١٩ .
(٤) تاريخ اداب العرب ١/ ٢٤٠ باختصار .
(٥) المستوى اللغوى د . محمد عيد ٤٣ .
(٦) العربية ٥٩ .

سياسة العباسيين لتهمل الفصحى أو تقلل من شأنها ، ولكن الاختلاط والحضارة صنعا صنيعيهما ، ففشت العجمة فى الحضر ، وغلبت على السليقة ، وأصبحت السلامة من اللحن لاتتهيأ الا بالتحفظ وتأمل مواقع الكلام ، ومما لاشك فيه أن للسياسة أثرها فى توطيد أركان اللغة ، فالبون كبير بين نمطى التعبير فى العصر العباسى والعصر الأموى ، فالدولة العباسية أضعفت العصبية للعرب بما سكن منسورتهم وفثىء من حدتهم ، فكان ذلك فتقا فى العربية أيضا ، ولم ينتصف القرن الثالث حتى اختلط العرب بالفرس والترك والفراعنة وغيرهم من طبقات الأعاجم الذين اتخذوا للدولة ، وكان ذلك بدء شيوع الألسنة الحضرية التى هى لهجات العاميه » (١)، ومن ثم كانت المؤلفات التى تعالج اللحن فى بدء أمرها فى لحن العامة فلما ازداد البون بين نمطى التعبير كانت مؤلفات لحن الخاصة فلما اتسع الخرق على الراقع صار منطقهم « لغة فى اللحن لا لحنا فى اللغة »(٢)، ومع هذا التدرج فى العلاقة بين نمطى التعبير ، وتمزق العلاقة بين الفصيح والعامى « انحسر الأداء المعرب حتى انه لم تبق بيئة عربية يتمثل فيها هذا الأداء فى لغة الخطاب ، وأصبح مقصورا على الأدبية » (٣)

الازدواج اللغوى فى العصر الحديث :

الازدواج اللغوى فى عصرنا الحديث يعنى المقابلة بين « الفصحى والعامية » ولو أردنا تحديد مصطلح الفصحى لوجدنا المعاجم العربية تنص على أن مادة (ف ص ح) تدور حول النقاء والوضوح والظهور والسلامة ، ففصح اللبن فصحا وفصاحة خلص مما يشوبه فأخذت عنه رغوته وبقى خالصة ، وفصح الرجل : انطلق لسانه بكلام صحيح واضح ويقال فصح الاعجمى جادت لغته فلم يلحن .. وأفصح الصبح بدا ضوؤه وظهر ، ويقال أفصح الأمر : وضح ... والفصاحة البيان وسلامة الألفاظ من الابهام وسوء التأليف ... ويقال : رجل فصيح : يحسن البيان ، ويميز جيد الكلام من رديئه (٤).

وعلى هذا يكون مفهوم الفصحى هو اللغة التى تتسم بالسلامة والبيان ، أما العامية : فهى مانطق به العامة على غير سنن الكلام العربى ، وقد أشار الى ذلك المعجم الوسيط (٥) حين قرر أن « العامى من الكلام : مانطق به العامة على غير سنن الكلام العربى ، والعامية: لغة العامة وهى خلاف الفصحى » .

ولاريب فى أن الفصحى والعامية متلازمان منذ القدم ، فى الجاهلية على صورة الفصيح ودونه ، وفى صدر الاسلام على صورة الفصيح والمولد أولا ثم على صورة الفصيح والعامى ، وقد تبين لنا أن العلاقة بينهما تحددها الملابسات والأحوال التى تميز كل عصر عن الآخر .

والفصحى والعامية فى عصرنا الحديث امتداد لوجود هذه الازدواجية منذ القدم ومع أن الأمر طبعى فى وجود نمطين للأداء فى أى مجتمع

(١) تاريخ آداب العرب ١/٢٥٧ .
(٢) السابق ٥٦ .
(٣) الاعراب سمة العربية الفصحى ١٩ .

(٤) أنظر : اللسان ، القاموس ، المعجم الوجيز مادة (ف ص ح) .
(٥) المعجم الوسيط ٢/٦٣٥ .

لغوى ، أحدهما منبثق عن الآخر ، وجدنا بعض المحدثين (١) يرون للعامية كيانا لغويا مستقلا له قواعده ، مستدلا على ذلك « بأنه لو لم يكن للعامية قواعد لما أمكن التفاهم بها ، ويعجب الباحث من الرأى الشائع فى هذه القضية ، والذى عليه القوم من أن الفصحى هى التى » تخضع لقوانين تضبطها وتحكم عبارتها ، « أما العامية فلا تخضع لمثل هذه القوانين ، لأنها تلقائية متغيرة تبعا لتغير الأجيال ، وتغير الظروف المحيطة بهم (٢) .

واذا كان هناك من عجب فهو من موقف الباحث ازاء العامية ، وادعائه أنها ذات قواعد وقوانين ، واذا كان الأمر كذلك ، فلم لم تعمل هذه القوانين على توحيد العاميات فى كل الاقطار ؟ ولم يتعذر التعامل بها بين العرب على امتداد الساحة العربية ؟

ولكن عجبنا لن يطول اذا تبين لنا أن الباحث بهذا الرأى يتابع المستشرقين ، فتلك وجهتهم ومن ثم عنوا بدراسة العامية لا للحفاظ على الفصحى ، ولكن لأنها لغة مستقلة ، يؤملون فيها النمو والحيوية والمرونة التى يمكن بها القضاء على الفصحى لغة القرآن ورباط المسلمين والعرب فى مشارق الارض ومغاربها ، والمنطق الذى لايشوبه ريب أن العامية ما كانت ذات كيان مستقل فى يوم ما ، فقد خرجت من اللحن مع بدأ الاختلاط وانتشار الاسلام كما أشرنا ، ومن ثم يقول الرافعى (٣) مفصحا عن رأيه فى تلك القضية : « فلا عبرة بما يهجس به بعض أولئك الذين نراهم فى مجازفتهم وتخرصهم كأنما يشرحون للناس علم الغيب ويزعمون أن العامية كانت لغة بعض العرب فى الجاهلية الاولى وأن القوم كان لهم فصيح وعامى» وعلى هذا كيف ندعى أن للعامية كيانا مستقلا ؟ ، وما هى جذور هذا الكيان ؟ لقد ثبت أنه لاسبيل الى القول بأن للعرب فصيحا وعاميا الا بعد فشو الفساد فى منطقهم منذ القرن الخامس ، أما ما وراء ذلك فى بادية العرب فلحن أو لغة لا أكثر .

والعامية فى عصرنا الحديث ما كان لها أن تدعى لنفسها أكثر مما يحدده الواقع ، فقد اختصت بميدان « التعامل فى الحياة ، والتعبير عن الحاجات المادية والوقتية ، ولم تطمع قط فى أن تكون لغة للأدب الرفيع .. واحتلت الفصحى ميدان الأدب لايزاحمها فيه مزاحم (٤) حيث عاشت العامية على المدى الطويل لغة تعامل شعبى وتفاهم محلى ، لم تجرؤ على الفصحى التى بقيت لغة الأمة دينا ودولة » (٥)

وعلى كل فالثنائية ليست وليدة اليوم ولا الامس القريب ، ولكنها ربيبة تاريخ طويل وما سمعنا انشقاقا بين جزئيها يصل الى حد العداء حتى عصرنا الحديث « فقد شهر الاستعمار العامية وجعلها سلاحا ضد الفصحى يقف منها موقف الخصومة والعداء » (٦) وجند لتلك الدعوة وهذا الشقاق كثيرين ، وهذا صوت من أصواتهم يرى أننا نعيش فى تناقض فكيف « نفكر ونتكلم ونغنى بلغة محلية سلسة

(١) مستويات العربية المعاصرة فى مصر ٥٤ .
(٢) تاريخ الدعوة الى العامية ٣ .
(٣) تاريخ أداب العرب ٢٥٢/١ .
(٤) السابق ٢٥٤/١ .
(٥) الدعوة الى العامية ٧ باختصار .
(٦) لغتنا والحياة د . عائشة عبد الرحمن ٩٧ : ٩٨ .

سيالة ، لاتعوق الفكر ، ولاتتطلب منا جهدا، وفى المواقف الرسمية نتكلم لغة غريبة عن لغة الحياة اليومية معربة شديدة الاحكام فى التركيب والتعبير ، وقفت فى تطورها عند نقطة معينة فى الزمان والمكان (١) .

ولاجدال فى أن الباحث يغالط نفسه ، فالتناقض القائم ليس بين اللغتين أو النمطين — العامى والفصيح — ولكن بين المجالين، فلكل مقام مقال ، ومما يلفت النظر أن أكثر الداعين الى العامية من « أصحاب الولاء للمذاهب الأوربية بأنواعها ، لأن النجاح فى هذه الدعوة يقوض صرح العلاقة بين المسلم والقرآن ، حتى يستعجم لسانه ، وتصبح الفصحى القرآنية لغة اخرى أجنبية عنه ، وبمرور الزمن يختفى القرآن من حياة المجتمع الاسلامى ، ويتم لأعداء القرآن مايريدون ، وهيهات ، فالله متم نوره ، ولو كره الكافرون » (٢) .

وقد رمى دعاة العامية الفصحى بالعجز والجمود ، والواقع ينافى ذلك ، فلو كانت العربية جامدة أو عاجزة ما استطاعت المجامع اللغوية اليوم أن تقلب البصر فيها وتخرج بقرارات حكيمة تعمل على حفظها من جانب ونموها من جانب آخر ، ولن نخوض فى غمار تلك الدعوة ، ويكفى لاثبات فشلها أن الفصحى مازالت وستظل هى اللواء الذى يرفرف على العالم الاسلامى والعربى دون ماتدهور أو انحطاط أو انحسار أمام العاميات ، فتاريخها يرجع الى قرون عديدة ، وقد اجتازت فى هذا التاريخ الطويل مراحل وأطوارا متباعدة .. نمت فيها وتطورت ، واشتق منها مئات الألفاظ للحضارة المادية ، وللعلوم والمعارف ، كما فتحت أبوابها لألفاظ أعجمية كثيرة (٣) ، فمما لاشك فيه أن « للفصحى قوة تجعل منها أداة فاعلة لاتكتفى بالمقاومة والوقوف ، ومن ثم لاتنحسر أمام العامية ، ولقد رأينا العامية قد أخذت الكثير من الفصيح ، ومازالت تأخذ كل يوم (٤) » .

واذا كان لنا أن نبين العلاقة بين الفصحى والعامية اليوم « فان الفصحى ماتزال تقهر العامية فى كل ميدان تلتقى معها فيه ، وكلنا يعرف أن الفصحى المعاصرة استولت منذ القرن الماضى على أكبر ساحة لغوية شعبية فى العصر، وهى ساحة الصحافة .. كما أخذت تستولى منها أيضا على ساحة الاذاعة وكلماتها المسموعة والمرئية » (٥) ، أضف الى هذا أن انتشار التعليم وامتداد الجامعات الى أقاصى الريف رفع من شأن الفصحى كثيرا ، ولو شاء الله لهذه اللغة أن تقوم بتدريس وتأليف العلوم الطبية والطبيعية والهندسية والرياضية وكافة معارفنا لكان للعربية الفصيحة شأن آخر ، وسيكون بمشيئة الله ، فالأمل يحدو الفصحى فى كل ميدان ويبشر بذيوعها وانتشارها والحفاظ عليها وكيف لا ؟ « واللغة العربية فى طليعة

---

(١) محاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها فريحة ٣ بتصرف .

(٢) فى علم اللغة العام د . عبد الصبور شاهين ٢٥٨ بتصرف .

(٣) مجلة المجمع ١٩/٤١ الفصحى المعاصرة د . شوقى ضيف باختصار .

(٤) مجلة المجمع ٣٩/٤١ قصة العامية فى العراق د . ابراهيم السامرانى باختصار .

اللغات المعبرة بين لغات العالم الشرقيـــة أو الغربية » (١) •

لقد شهد للفصحى كثير من المستشرقين وعلماء اللغات فى العالم وأشادوا بمركزها وحيويتها ، وها هو ذا يوهان فك الالمانى يقـــول : « أن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمى أساسيا لهذه الحقيقة الثابتة ، وهى أنها قد قامت فى جميع البلدان العربية والاسلامية رمزا لغويا لوحدة عالم الاسلام فى الثقافـــة والمدنية ، لقد برهن جبروت التـــراث العـــربى الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر •

واذا صدقت البوادر ولـــم تخطىء الدلائل ، فستحتفظ العربية بهذا المقـــام العتيـــــد من حيث هى لغة المـــدنية الاسلامية (٢) ، ولا ريب فى هذا أو شك — أدنى شك — فقد صدق قول الحـــق تبارك وتعالى « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (٠)

د • عبد المنعم عبد الله محمد

(١) اللغة الشاعرة / العقاد : ٧٢ •
(٢) الفصحى لغة القرآن /أنور الجندى ٣٠٢ •
(٣) سورة الحجر آية رقم ٩ •

صيغ المبالغة - بقيـة

حبك النطـاق فشـب غير مهبل

فعواقد جمع تكسير لعـاقدة وقـد عمـل النصب فىحبك النطاق •

ثم زادوا أنهـم فى قـــولهم
غفـر ذنبتهم (٣) غـير فخـر

فغفر جمع تكسير لغفور مبالغة من غافر ، وقد عمل النصب فى ذنبهم ، وقوله ســـبحانه : (خشـــعا أبصـــارهم يخـــرجون من الأجــداث كأنهـــم جـــراد منتشر)

فخشعا جمع خاشع ، وقد رفع أبصارهم على الفاعلية ومن اعمال المثنى قول عنتره العبسى :

الشاتمى عرضى ولم اشـــتمهما
والناذرين (٤) اذا لم القهما دمى

فالناذرين بالذال المعجمة تثنية نادر وقد نصب دمى على تقدير مضاف أى سفك دمى •

يتبع

أحمد حسن عبد العواض هلالى

(٣) غفر : جمع غفور مبالغة غافر من الغفران وهو التجاوز عن الخطأ والاغضاء عن الذلل فخر: جمع فخور ، وهو بضم الفاء والخاء من الافتخار، وهو المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسـب وغير ذلك فى المتكلم نفسه أو فى آبائه ، وروى : غير فجر بالجيم جمع فجور من فجر الرجل يفجـر فجورا ، وهو الكثير الفسق ، ويقال : فجر الرجل اذا كذب • والمعنى ، أن هؤلاء الجماعة امتازوا بين قومهم بالسماحة والحلم وانهم لايفسقون بفعل ولا يكذبون .

(٤) الناذرين بالذال المعجمـــة تثنية نـــاذر ، والناذر من يلزم نفسه بفعل شىء معلق على أمـر معين اذا ماوقع المعلق عليـــه وأراد بالناذرين حصينا ومرة ابنى ضمضم لانهما كانا يشـــتمانه ويتعهدان بقتله اذا لقياه ، فاذا لقيـاه فعـــلا أمسكا وتراجعا عن عزمهما هيبة له .

طرائف

"أدب حامل القرآن"

قال الفضيل بن عياض :
حامل القرآن حامل راية الاسلام ، ينبغى له ألا يلهو مع من يلهو ، ولايسهو مع من يسهو ، ولايلغو مع من يلغو ، تعظيما لحق القرآن ·
وقال الحسن البصرى : ان من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل ، وينفذونها بالنهار ·

الصحبة

ان كان خليلك فوقك فاصحبه بالحرمة ·

وان كان كفأك ونظيرك فاصحبه بالوفاء ·

وان كان دونك فاصحبه بالمرحمة ·

وان كان عالما فاصحبه بالخدمة ، ·

وأن كان جاهلا فاصحبه بالسياسة ·

وان كان غنيا فاصحبه بالزهد ·

وان كان فقيرا فاصحبه بالسخاء ·

"نعيب زماننا"

قال الامام الشافعى — رضى الله عنه :

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا
ونهجوا الزمان بغير ذنب
ولونطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب
ويأكل بعضنا بعضنا عيانا

"قالوا"

* ليس الواصل الذى يصل من يصله ولكنه الذى يصل من قطعه ·
* وليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر ولكنه الذى يعرف خير الشرين ·
* وليس العاقل الذى يحتال للأمر اذا وقع، ولكنه الذى يحتال للامر أن لايقع فيه ·
* خير العمل ما نفع ، وخير القول ماردع ·
* خير من القول فاعله ، وخير من الصواب قائله ، وخير من العلم حامله ·

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

ومواقف

* العلم عصمة الملوك لأنه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحلم ، ويصدهم عن الأذية ويعطفهم على الرعية ، فمن حقهم أن يعرفوا حقه ويستبطنوا أهله .

* خذ العلم من أفواه الرجال ، فانهم يكتبون أحسن مايسمعون ، ويحفظون أحسن مايكتبون ، ويقولون أحسن مايحفظون .

حكاية

حكى أن أعرابية دخلت من البادية ، فسمعت صراخا فى دار .

فقالت : ماهذا ؟

فقيل لها : مات لهم انسان !! ..

فقالت : ماأراهم الا من ربهم يستغيثون . وبقضائه يتبرمون ، وعن ثوابه يرغبون .

"حقا"

سئل ابن المبارك : من الناس ؟

قال : العلماء .

قيل له : فمن الملوك ؟

قال : الزهاد .

قيل له فمن السفلة ؟

قال : الذى يأكل بدينه .

"الفقيه حق الفقيه"

عن على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ قال : « ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه : من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ولم يؤمنهم مكر الله ، ولم يترك القرآن الى غيره ، ولا خير فى عبادة ليس فيها تفقه ، ولاخير فى تفقه ليس فيه تفهم ، ولاخير فى قراءة ليس فيها تدبر .

دعاء "بجاه نبيك"

يارينا « بجاه نبيك » تقبل منا الدعوات ، وارفع لنا الدرجات ، واقض عنا التبعات ، وأسكنا أعلى الجنات ، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبين والصديقين والشهداء أهل المعجزات وأرباب الكرامات .

أبو حيان التوحيدي

رجل جنى عليه فكره

فيلسوف الادباء ، وأديب الفلاسفة ، ومحقق الكلام ، ومتكلم المحققين ، وامام البلغاء .. فرد الدنيا الذى لانظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة .

ياقوت الحموى

يمكن القول بأن ليس هناك أمة لها من العراقة وضخامة التراث ما للأمة العربية والاسلامية وأن هذا حين وضع فى ميزانه الحق سما بأهله، وبوأهم مكانا يستشرفه كل من تستهويه ذرا المكارم والمروءات .

بيد أن هذه الأمة قد أتى عليها حين من الدهر شغلها فيه البهرج والزيف ، وعلا صوت المأخوذين بأباطيل العدو المتنكر فى ثياب الصديق على صوت المستمسكين بأسباب العراقة الاسلامية وحضارتها ، فران الجهل على بعض الأفكار ، مما خلف آثارا نعانى من شرورها ، وقد نعانى الى مدى يطول .

وبرغم أن هذه لمحة عن قضية طال حولها الجدال ، فانا رأيناها تذكرة ، ومقدمة ضرورية لما سنأخذ فى الحديث فيه ، وكذلك لان « أبا حيان التوحيدى » ركن مكين من أركان حضارتنا ، وتراث أمتنا . لقد عرف صاحبنا واشتهر بتلك الكنية « أبو حيان التوحيدى » حتى اذا أطلقت عرف صاحبها لأول وهلة ، حيث لاشريك له فيها ، أما اذا أطلق اسمه العلم « على بن محمد ابن العباس » فانه يختلط بآخرين ، أو يجعل السامع يفكر بعض تفكير ، بل لقد صار « التوحيدى » كلمة يضرب بها المثل فى الفضل والعلم ، ومن ذلك قول محيى الدين بن عبد الظاهر فى مدح أبى حيان الغرناطى ، الامام الحافظ :

قد قلت لما أن سمعت مباحثا
فى الذات ، قررها أجل معيد
هذا أبو حيان ، قلت : صدقتم
وبررتم هذا هو التوحيدى (١)

التوحيدى :

على أن هذه الكلمة « التوحيدى » قد كثر حولها النقاش والتفسير ، ولسنا نعد ذلك من الترف العقلى أو شغل الفراغ ، فان عقول آبائنا المتفتحة ماكانت لتترك شاردة أو واردة دون تمحيصها ، والوقوف على ماهيتها ، فان لم تتمكن من ذلك ، جعلت الامر من الحقيقة قاب

---

(١) ص ٨ أبو حيان التوحيدى للدكتور عبد الرزاق محيى الدين .

للدكتور حامد ابراهيم الخطيب

قوسين ، ومن ذلك كلامهم عن « التوحيدى »..

الام هو منسوب ؟

قالوا : انما سمي « بالتوحيدى » لان أباه كان يبيع التوحيد ببغداد ، وهو نوع من التمر بالعراق ، وعليه حمل بعض شراح ديوان المتنبى قوله :

يترشفن من دمى رشفات

هن فيه أحلى من التوحيد (١)

وقالوا : يحتمل أن يكون نسبه الى التوحيد الذى هو الدين ، فان المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد (٢) .

مولده ووفاته :

ذلك ، وقد أخذ تحقيق مولده ووفاته صورة أعمق فى البحث عن سابقتها ، سواء لدى القدماء أو المحدثين .

وهذه الآراء على كثرتها ، نجتزى منها بما نميل اليه ونرجحه ، وهو أنه ولد فى العقد الثانى أو الثالث من القرن الرابع الهجرى ، ومات سنة ٤١٤ هـ « أربعمائة وأربع عشرة » ، وقد رجحناه لانه مبنى على ما أورده التوحيدى فى بعض كتاباته محددا بالتأريخ (٣) فقد كان يكثر من تأريخ الاحداث والمجالس العلمية والمناظرات لكنه تركنا فى شبه عماء بالنسبة لأسرته ، وأصله ونشأته الاولى ، مما جعل التقول حول هذا يكثر والتخبط أو الخوض فى نسبه وأسرته يستفحل فلا يعرف أهو عربى أم فارسى ؟ ، ويجعلونه من بيئة خاملة لامطمع لها فى مجد ولا جاه ، فلم تسجل لبنيها ميلادا ولا وفاة .

ويقولون : انه فقد كل شىء فى عهد مبكر من حياته ، وأصيب بخيبة أمل ، واكتفى بالصمت الذى هو أبلغ من الكلام (٤) .

ولكن اذا علم أن التوحيدى قد كان من بين الذين سئموا الحياة ، وملوا الخلق ، حيث وجدوا فيهم النفاق والملق ، والاحتيال والكذب فآثروا النار بما ابتكروا من الافكار ، اذا عرف ذلك أمكن القول بأنه قد تحدث عن كل مانجهله فى كتبه التى أطعمها النار ، أما ما أفلت من بديه قبل أن يحرق ، فليس فيه مبتغانا ، وليس من الحق أن نأخذ سيرته برمتها من ذلك القليل الذى بقى ووصل الينا .

على أنا وجدنا له حديثا يكشف عن جانب

(١) ١٩٧/٤ وفيات الاعيان ، والبيت من قصيدة مطلعها .

كم قتيل كما قتلت شهيد

لبياض الطلى وورد الخدود

(٢) ٣٤٨ من بغية الوعاة ، ٤٣/١ من الملل النحل .

(٣) انظر ٥/١٥ معجم الادباء ، ص ٨ : ١٠ من الصدقة والصديق لابى حيان .

(٤) ١٣٣/٢ النثر الفنى للدكتور زكى مبارك ، ومقدمة الاشارات الالهية للدكتور عبد الرحمن بدوى .

من جوانب أسرته ، ويبين مدى حدبه وعطفه عليها ، مما يجب مقولة أنه كان عاقا قاطعا . قال :

« ان الوالدة يلحظ منها المبدأ الحسى فيعشق لذلك ، ومن سجايا النفس الفاضلة ، ومن عادة الفطرة النقية ، والطينة الحرة ، أن يكون المبدأ ملحوظا فيها وعندها ، وهذا كله للشعور بالمبدأ الذى هو الاول بالاطلاق ، مع أحوال تتناصر وتتشابه فى خلال هذه الفكرة ، تتعلل بها النفس تعللا مؤنسا مطربا .

الام شأنها فى الحس أعظم ، وتدبيرها فى المباشرة أظهر ، وشفقتها بحسب ضعف قوتها أكثر ، الام حاملة واضعة ، وفاطمة ومرضعة ، وحاضنة ومربية ، فالكلفة عليها أغلظ ، وحسها للولد آلف ، وهو بها أشغف (١) .

فاذا جاوز ذلك النطاق الى مجال أرحب ، كان — بلاريب — فى الاجادة أجل وأروع قال :

« أما حنينى الى والدى فللتعزز به ، فان الوالد عضد وركن ، يعاذ به ويؤوى اليه ، وأما نزاعى الى الوالدة فللشفقة المعهودة منها ، ولدعائها الذى لا يعرج الى الله مثله ، وأما شوقى الى الاخت فللصيانة لها ، والتروح اليها وأما شوقى الى ابن العم فللمكانفة (٢) ، والانتصار به ، وأما ابنة العم فلأنها لحم على وضم (٣) وأتمنى أن أشبل (٤) عليها بالرقة ، أو أصلها ببعض من يكون لها كفؤا ، ويكون لنا أيضا الفا (٥) » .

والى جانب ذلك ، وجدنا له حديثا عن عمه الذى كان يسكن « قطيعة الربيع » فى بغداد (٦) وقد كانت هذه القطيعة سكنى التجار والاغنياء ، وتنسب الى الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه ، وهو والد الفضل بن الربيع وزير المنصور ، وقد كان المنصور والمهدى أقطعا اياها الربيع .

لعل هذا يدحض كل ظن حول أسرته وأصله ، أو حول عقوقه وميله عن أهله .

موطنه :

وليس ينتهى الخلاف حول التوحيدى عند تلك الحدود ، بل يتناول موطنه ، ويحاول أن يجعله من بلد ينسب اليه دون غيره فلا يكاد ، فهو شيرازى أو نيسابورى ، أو واسطى قدم بغداد فأقام بها مدة ، ثم مضى الى الرى ، أو هو التوحيدى البغدادى ، قدم الى شيراز ، أو نزل نواحى فارس (٧) الى غير ذلك من الاقوال .

على أن هذا كله يجب ألا يأخذ منا كثير اهتمام كذلك لايهمنا أن يكون عربيا أو أعجميا ، فان الاسلام قد صنع على عينه رجالا صاروا على شأن بعد أن لم يكونوا شيئا ، كما أنه صهر

(١) ص ٢٧٦ من كتاب المقابسات .
(٢) المكانفة الصيانة والمناصرة .
(٣) الوضم ما يوضع تحت اللحم من خشب وحصير .
(٤) **اشبل عليه عطف وأعان .**
(٥) ١٧٠ الصداقة والصديق .
(٦) راجع ذلك الحديث بتمامه فى ٢/٤٧٥ ، ٤٧٦ البصائر والذخائر .
(٧) انظر فى ذلك ٥/١٥ معجم الادباء ، ٤/١٩٧ وفيات الاعيان ، ٥/٢٨٧ طبقات الشافعية الكبرى ٤/٥١٨ ميزان الاعتدال ، ٦/٣٧١ لسان الميزان — وعن هذه المصادر نقل المحدثون .

كل المؤمنين فى بوتقة الايمان ، ثم صاغهم صياغة توائم هذا الايمان ، ومن ثم حق لسيدنا « سلمان الفارسى » — رضى الله عنه أن يقول :

أبى الاسلام لا أب لى سواه
اذا افتخروا بقيس أو تميم
بدعوى الجاهلية لم اجبهم
ولا يدعو بها غير الأثيم
دعى القوم ينصر مدعيه
ليلحقه بذى الحسب الصميم (١)

ولعل ذلك من الوضوح بحيث يعرف أنه مستمد ، أو من تأثير قول الله — جل وعز — : « **إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** (٢) ومن قوله — سبحانه — : « **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ** (٣) » .

بيئة أبى حيان والموثرات فى تكوينه :

لعل مدينة من المدن الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، لم يتح لها من الحظوظ المختلفة ما أتيح لمدينة السلام « بغداد » اذ كانت وقتئذ محط العلم والعلماء وموئلا يصمد اليه طلاب الشهرة أو العطاء ، وقد جعلها ذلك أثيرة لدى « التوحيدى » لاكغيرها من كبريات المدن الاسلامية ، ومن ثم استأثرت بالجزء الاكبر من حياته رغم كثير تنقله وأسفاره ، فرأيت جل شيوخه الذين أخذ عنهم فى « بغداد » ولذا جاء أكثر المكتوب فى كتابيه « الامتاع والمؤانسة » و « المقابسات » يدور حول محور المحاورات والمجالس العلمية التى كانت تزدحم بها هذه المدينة ، تلك التى كانت وما فتئت قطب الرحى فى حياته الفكرية فى شتى مناحيها ، فأثرت فيه تأثيرا بينا ، ماحظى بنظيره سواها .

ولو أن مستقصيا تتبع الاماكن التى رحل اليها أبو حيان ، واستقرأ ما كان يحط فيه رحاله لوجد له أثارا فى أكثر المدن المشهورة آنذاك ، بيد أن المشرق الاسلامى قد استحوذ على جل أو كل تنقلاته .

أخلاقه :

ومن بعد ذلك يختلفون — أيضا — حول صفاته الخلقية ، فيوصف بأنه :

« صوفى السمت والهيئة ، وأنه كان يتأله (أى يتنسك) والناس على ثقة من دينه ، وأنه كان شيخ الصوفية وزاهدهم ومحسنهم ، وكان متكلما فقيرا صابرا متدينا ، وكان صحيح العقيدة ، فاضلا مصنفا ، ومن العلماء الأدباء ، صحب المشايخ وسافر ورحل ، وتكلم فى التصوف والتوحيد ، وجاور بيت الله الحرام ، وهو الامام الموحد ، والعالم المتفرد ، الجامع للمعارف والعلوم ، لا نظير له فى المكاشفات الالهية ، والبحث فى التوحيد ، وكان اماما فى النحو واللغة والتصوف ، وفقيها ومؤرخا (٤) ،

(١) ٦٠٠/٢ ، ٦٠١ البصائر والذخائر لابى حيان التوحيدى .
(٢) الاية ١٣ من سورة الحجر .
(٣) الاية ٣٣ من سورة فصلت .
(٤) راجع فى ذلك — طبقات ابن قاضى شهبة — مخطوط ، ٥/١٥ وما بعدها من معجم الادباء ، ٣٧١/٦ لسان الميزان ، ٢٨٧/٥ طبقات الشافعية الكبرى ، ١٩٧/٤ وما بعدها وفيات الاعيان ، ثم غير ذلك فى كتبه المحدثون .

ذلك أحسن ما وصفوه به .

ولسنا نتعجل حسن الظن ، فان الذين وصموه وثلبوه كانوا أشد وأنكى ، وآلم وأقسى، فليست هنالك وصمة افترعها ذلك العصر الا فخمت وألصقت الصاقا بأبى حيان ، فهو — فى زعمهم .

سخيف اللسان ، قليل الرضا عند الاساءة اليه والاحسان ، الذم شانه والثلب دكانه(١) وصاحب زندقة وانحلال ، قليل الدين والورع مجاهر بالبهت (أى الكذب) .

وأن زنادقة الاسلام ثلاثة ، ابن الراوندى ، والتوحيدى ، وأبو العلاء المعرى .

وأن أشد الثلاثة على الاسلام أبو حيان لأنه مجمجم(٢) ولم يصرح ، وأنه كان وضاعا مفتريا ، وأشهر ما وضعه وافتراه « رسالة السقيفة(٣) » التى سطرها كذبا عن لسان أبى بكر وعمر — رضى الله عنهما — وكان بعد ذلك يحرف فى الأحاديث ، وليس هو على شىء من الايمان(٤).

ولا نفند جميع ذلك بغير كلمة السبكى فى طبقاته ، يقول :

« ولم يثبت عندى الى الآن من حال أبى حيان مايوجب الوقيعة فيه ، ولقد وقفت على كثير من كلامه فلم أجد فيه الا مايدل على أنه كان قوى النفس ، مزريا بأهل عصره ، ولايوجب هذا القدر أن ينال منه هذا النيل (٥) » .

نقول :

وقوة النفس والزراية بأدعياء العصر ، والثقة فيما علمه من علم ، واحترامه لفكره ، وعدم صبره على منقصة ، أو دعوى علمية من متشدق ، كل ذلك وغيره — فى رأينا — جعله شبه منبوذ ، وجعله مبعدا عن أن يكون فى مكان يستأهل علمه وعقله ، على حين تبوأ أمكنته من لايعرفون الا قليلا من معارفه ، فأسلمه ذلك — فى رأينا أيضا — الى حدة اللسان وسلاطته، يكشف فى ذلك عن مخازى عصره ، ويعزى أدعياءه .

لقد نظر متأملا فلم يجد فيمن بلغوا ما أملوا واستقامت لهم الاحوال ، الا من عرض نفسه للمهالك ، أو راضها على خدمة الوزراء وعلية القوم ، مع أخذ بأسباب الملق والتزلف ، واتقان للحيل وسبل المنافقة ، وسوى هؤلاء — الا قليلا — ندر أن تجد من عاش فى سعة ، أو جاوز حد الكفاف .

د . حامد الخطيب

---

(١) الدكان : المقعد .. مجلة الازهر .
(٢) المجمجة عدم الابانة والافصاح .
(٣) هى رسالة مطولة يتهم بوضعها أبو حيان وقد نفردها بحديث لخطرها .
(٤) انظر ماتقدم من مراجع فى هامش ص ٨ رقم ١ ثم مقدمة الرسالة البغدادية لعبود الشالجى .
(٥) ٢٨٨/٥ طبقات الشافعية الكبرى .

النقد الأدبي عند

أبي عبيد البكري (٢)

للأستاذ السيد حسن قرون

قلت فى المقال السابق ان أبا على القالى كان موسوعة أدبية ولغوية وعلمية ، وكان اعتماده فى كل ما ألفه وما حاضر به فى قرطبة بجامع الزهراء كان من الذاكرة ، والذاكرة قد تخون صاحبها ، ولكنه اعتمد عليها فاعطى فرصة للناقد العالم المتمكن (ابى عبيد عبد الله ابن عبد العزيز بن محمد البكرى) .

وقد تكون للحادثة التى وقعت لأبى على القالى حين قدومه الى الأندلس مدخل فى فكر البكرى ، فنظر الى مروياته فأطال النظر ثم وجد منفذا لنقده وبيان خلل الرواية عنده فكان أن ألف كتابه :

« التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه »

والحادثة التى أعنيها أنه حين استقبل استقبالا رسميا وشعبيا بأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر كانوا فى طريقهم يتذاكرون الأدب ويتناشدون الاشعار الى أن تجاوزوا يوما فجاء ذكر مجالس عبد الملك بن مروان بدمشق وأنه سأل جلساءه عن أفضل المناديل

ثم انشدهم بيت «عبدة بن الطيب » .

وكان الذاكر للحكاية أبا على فأنشد الكلمة فى البيت :

ثمت قمنا الى جرد مسومة
أعرافهن لأيدينا مناديل

« أعرافها لأيدينا مناديل »

فأنكرها ابن رفاعة الألبيرى — وكان من أهل الأدب والمعرفة وفى خلقه حرج وزعارة : أى شراسة خلق ، فاستعاد أبا على البيت مستثبتا مرتين فى كلتيهما أنشده « أعرافها » فلوى ابن رفاعة عنان فرسه وقال :

« مع هذا يوفد على أمير المؤمنين وتتجشم الرحلة لتعظيمه وهو لا يقيم وزن بيت مشهور بين الناس ، لا يغلط الصبيان فيه . والله لا تبعته خطوة ، وانصرف عن الجماعة.» هكذا أرخ صاحب نفح الطيب .

وهذا لا يعيب أبا على ، فقد يكون نسى

٥

الرواية الصحيحة ، وهو يعتمد على الحفظ أكثر من الدراية والتثبت من الضبط القائم على الفهم • ولو كان هذا صحيحا فأين الذى لا يخطىء ولا يسهو ولا تخونه ذاكرته ؟

ان لأبى على كتابا يسمى « البارع » فى اللغة على حروف المعجم فيه كتب اللغة يحتوى على مائة مجلد لم يصنف مثله فى الاحاطة والاستيعاب •

فاذا أخطأ فى وزن بيت من الشعر فان هذا لايخل بمركزه الأدبى والعلمى ، واذا وقف ليخطب فارتج عليه لا ينقص من قدره موقفه، فكثير من الفصحاء ارتج عليهم ومنهم يزيد بن أبى سفيان وعثمان بن عفان رضى الله عنهما•

وأبو عبيد يقول فى مقدمة « التنبيه » العالم من عدت هفواته ، وأحصيت سقطاته :

كفى المرء نبلا أن تعد معايبه •

ولكن هذا النقد من أبى عبيد لأبى على يعطينا منهجا رائدا ، فنحن اليوم نشكو من قلة النقاد ، وأن الساحة الأدبية تفتقر اليهم ، فهم الذين يقومون النتاج الأدبى ويشرحون معالمه ويزنون سباتيه ومعانيه ليجنى القارىء ثمرات هو فى حاجة اليها ، وليعلم من يتصدى للنقد أن النقد ليس أمرا هينا ، فالناقد أديب يشارك المنشىء فى كل خصائص الأديب ويزيد عليه موهبته فى الملاحظة ودقة الغوص واتساع المعرفة والاحاطة بالقديم والحديث، وفى عصرنا يحسن أن يلم باللغات الأجنبية حتى لا يخدع ممن عرفوا لغة أجنبية وفى امكانهم الأخذ ، منها بمهارة •

والمعنيون بالثقافة فى أيامنا هذه يتباكون على الثقافة وضحالتها فى الناطقين بلغة الضاد ، وفاتهم أن يعلموا أن ما ينشر يشتمل على كثير من الهفوات التى تجعل الثقافة منقوصة ، والحقائق مبتورة •

أديب كبير كتب مقالا ذكر فيه قول زهير بن أبى سلمى وهو مطلع معلقته :

أمن أم أوفى لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلم ؟

ونسبه الى امرىء القيس فجاء القراء ليصححوا فنسبوا البيت «للبهاء زهير» فالكاتب هنا ، والقارىء المصحح أخطأ ،ولو رجع كل منهما الى مرجع لجاء الصواب سافرا مشرقا :

وفى شهر ربيع الأول ١٤٠٥ هـ قرأت أخطاء تاريخية فى كثير من الصحف والمجلات : فى الأهرام ، وفى الجمهورية بمصر ، وفى الوعى الاسلامى الكويتية ، وكلها تضلل القارىء وتضعف الثقافة وتدعو الى النقد • وأنا أتهم الذاكرة فقد مضت الأجيال التى تعى ذاكرتها ما يقال وما يسمع •

وما صنعه أبو عبيد البكرى فى التنبيه كان حتما لزاما ليصل العمل صحيحا مفيدا مريحا، لذلك اتخذته نموذجا أقدمه للمعاصرين ليكونوا على بينة من صناعة النقد فليس من اللازم أن نعرف أسس النقد الحديثة ثم لا نعرف القائل أو محل الخطأ ، بل لابد أن يكون الناقد له علم أبى عبيد ومنهجه حتى يفيد ويستفيد • انظر اليه كيف يصنع حين يتصدى للنقد تره

يأتى بالأدب والرواية والذوق معا فيحلو لك أن تعاود ما قرأت، وتراجع ما تأملت ، وتود منه المزيد وقد زاد يقول أبو عبيد : (وفى ص ٩١ س ٢٠) من الجزء الأول من الأمالى ، وأنشد أبو على ــ رحمه الله ــ لرجل من بنى تميم

ولما رأين بنى عاصم
دعون الذى كن أنسينه
فوارين ماكن حسرنه
وأخفين ماكن يبدينه

وقال أبو على ــ رحمه الله ــ يصف نساء سبين فأنسين الحياء فأبدين وجوههن وحسرن رءوسهن ، فلما رأين بنى عاصم أيقن أنهن قد استنقذن فراجعن حياءهن • انتهى كلام أبى على وكان النقد : انما رواه العلماء :

ولما رأين بنى عاصم
ذكرن الذى كن أنسينه

ويريد أن « ذكرن » أولى بالذكر فى هذا المقام من « دعون » لماذا ؟

قال : وهذه الرواية أشبه بتفسير أبى على وقوله : راجعن حياءهن ، ولا مدخل للدعاء هاهنا ، ولا هناك مدعو يدعى • وفى هذه الرواية مع صحة معناها الصناعة التى تسمى المطابقة (الذكر والنسيان) وهذا التميمى الذى أنشد له الشعر هو « ذو الخرق الطهوى• ومثله فى المعنى قول رجل من بنى عجل :

ويوم يبيل النساء الدماء
جعلت رداءك فيه خمارا

ففرجت عنهن ما يتقين
وكنت المحامى والمستجارا

الرداء هنا السيف ، يقول : استنقذهن بسيفه ، فكأنه قد وضع به خمرا على رءوسهن لأنهن كن مكشفات الرءوس فاختمرن •ويبيل الدماء أى يسقط الحبالى أجنتهن فيسيل دماؤهن •

وقال باعث بن صريم اليشكرى فى مثله :

وخمار غانية شددت برأسها
أصلا وكان منشرا بشمالها
وعقيلة يسعى عليها قيم
متغطرس أبديت عن خلخالها

فقوله : وخمار غانية شددت برأسها •

تقول الأول : فسترن (١) ماكن حسرنه •

وقوله : « وكان منشرا بشمالها » ان قيل لم خص الشمال دون اليمين ؟ فالجواب أن اليمين هى التى يستعان بها فى العدو وتخلى للدفع والذب ، وهى فى ذلك كله أقوى من الشمال ، فشمرة الساعى الناجى وحمله لشىء ان حمل انما يكون بشماله ، وهذه المرأة لما شمرت للهرب حملت خمارها بشمالها ، وقوله : « أبديت من خلخالها » أى أغرت على حيها فأحوجتها الى رفع ذيلها ، والتشمير للهرب والفرار ، وهذا كما قال الآخر :

لعمرى لنعم الحى حى بنى كعب
اذا نزل الخلخال منزلة القلب

أى اذا شمرن للسعى فبدت خلاخيلهن كما

▶

---

(١) نسى أبو عبيد فذكر فسترن بدل فوارين ، وجل من لاينسى •

تبدو أسورتهن (الخلخال للرجل والقلب لليد)
وقيل : انه أراد تخففت للنجاة فوضعت خلخالها فى يدها كما فعلت تلك بخمارها ، وقيل : انه أشار الى الدهش والحيرة فرقا ، فلم تتجه للبس خلخالها ولا علمت موضعه من موضع سوارها •

أبو عبيد ناقد متكامل الثقافة ، فما وقع فيه أبو على لا نعده نحن خطأ فالمعنى لم يفسد بروايته حيث وضع « دعون » مكان « ذكرن » لكن دقة الناقد لم تقبل التسامح فأورد النص كما أورده العلماء ، وعلل لمذهبه ، ولما كان المعنى عميقا أوحت به حالة الحرب ، فقد تتبعه فى جل ما أبدع فيه الشعراء •• والفكرة فيه كما هو ظاهر أن الحرة اذا وقعت فى الأسر سبية كشفت وجهها ورأسها فاذا أنقذت عادت حرة تستر ما انكشف منها • وكل الشعر الذى أورده أبو عبيد يدور حول هذا المعنى ليجلو للقارىء المعانى ويبرز الابداع • ومن نقده لما جاء فى الجزء الثانى من الأمالى قوله :

وفى (ص ١٢٩ س ٢١) وانشد أبو على — رحمه الله — قصيدة لمهلهل أولها :

أليلتنا بذى حسم أنيرى
اذا أنت انقضيت فلا تحورى(١)

وفيها :

فلا وأبى جليلة ما أفانا
من النعم المؤبل من بعير

وفسره فقال : جليلة أخت كليب ، وكانت تحت جساس قاتل كليب • (انتهى كلام أبى على) وكان النقد :

هذا غلط فاحش من أبى على — رحمه الله — ويجب أن يقال له : اقلب تصب ، انما جليلة أخت جساس ، وكانت تحت كليب قتيل جساس ، وهى القائلة لما قتل زوجها ورحلت : فقالت أخت كليب : رحلة المعتدى وفراق الشامت ، فبلغ ذلك جليلة فقالت : فكيف تشمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها ؟ ثم أنشأت تقول :

يابنة الأقوام ان لمت فلا
تعجلى باللوم حتى تسألى
فاذا أنت تبينت التى
عندها اللوم فلومى واعجلى
يا قتيلا قوض الدهر به
سقف بيتى جميعا من عل
فعل جساس وان كان أخى
قاصم ظهرى ومدن أجلى
يشتفى المدرك بالثأر وفى
دركى ثارى ثكل المثكل

وأنا أقول : ان وهم أبى على هنا يقتضى الملامة ، فكيف غاب عن ذهنه وحفظه أن جليلة أخت جساس لا أخت كليب ؟ وجليلة أشهر من نار على علم لموقفها من الحدث الأليم ، فهى تحب زوجها الذى يضرب به المثل « أعز من كليب وائل » ويقتل هذا الزوج الكريم

---

(١) فلا تحورى .. لاترجعى .

الشجاع من أخيها جساس ، والتاريخ العربى يذكر أن مقتل كليب ترتب عليه قيام حرب بين تغلب الموتورة وبكر الواترة أربعين سنة ، وتغلب وبكر من ربيعة يجمعهما أب هو «وائل» والشعر الذى قالته جليلة ، وذكر أبو عبيد. بعضه يعد من الشعر الشريف يمثل شعر المرأة فى العصر الجاهلى ، وكان بطل هذه المعارك مهلهل بن ربيعة الذى يتحدث عن بطولته وجعله أبو على محور لغوياته ، واتخذه ناقده سبيلا الى بيان أوهامه •

* والخطأ فى مثل هذا يقع ، فالدكتور عبد الجليل شلبى فى الجمهورية ٥ ديسمبر ١٩٨٤ كتب تحت عنوانه « قرآن وسنة » وتعرض لثويبة جارية أبى لهب ، فقال عنها : ويبدو أن ثويبة كانت ذات لبن غزير ، لأنها أرضعت عددا من القرشيين ولست أعرف من زوجها ولكن كان لها ولد يسمى « مسروحا » وهو الذى أرضعت منه حمزة عم رسول الله فكان عمه وأخاه ثم قال : « وأرضعت ثويبة أيضا أبا سفيان بن الحارث ، والحارث أكبر بنى عبد المطلب ، وابنه أبو سفيان كان تربا لرسول الله •• وأرضعت ثويبة أيضا أبا سلمة ابن عبد الأسد وهو زوج رملة بنت أبى سفيان — وهى أم حبيبة — هاجر بها الى الحبشة ومات هناك فتزوجها رسول الله ، وحديثها معروف » •

« وأوهام الخواص » تجلت فى حديثه عن أبى سلمة ، فقد جعله زوجا لرملة بنت أبى سفيان بن حرب •

والصواب أن أبا سلمة لم يتزوج رملة وانما الذى تزوجها « عبيد الله بن جحش » وقد هاجر بها ومعه ابنته حبيبة منها وفى الحبشة تنصر ومات فدفن فيها ثم خطبها الرسول ﷺ من ملك الحبشة ، ودفع الملك مهرها وكان وليها ابن عمها خالد بن سعيد الأموى أما أبو سلمة فقد كان زوجا لأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومى ، وكلاهما من بنى مخزوم • رجع أبو سلمة بها من الحبشة ثم هاجر الى المدينة ، وتبعته هى بعد أحداث ثقال •• وقتل أبو سلمة شهيدا ، ودفن بالبقيع من أرض المدينة وفى السنة الرابعة من الهجرة أصبحت أم سلمة من زوجات الرسول • ومن ثم لزم التنويه وبيان الحقيقة ، فما وقع فيه أبو على وقع فى مثله الدكتور عبد الجليل شلبى وكلاهما من العلماء والثقات •• ولكل عالم هفوة •

واختم هذا المقال بنقد أبى على بالآتى — كما يراه أبو عبيد قال وهو فى نقد ما جاء بالجزء الثانى أيضا :

وفى (ص ٢٥٢ س ١١) قال أبو على — رحمه الله — : العصفور الذى ينبت عليه الناصية ، قال حميد :

ونكل الناس عنا فى مواطننا
ضرب الرءوس التى فيها العصافير

قال أبو عبيد : لو أراد الشاعر بالعصافير هنا العظام لم يكن للكلام فائدة ، لأن فى كل رأس عصفور فكأنه •

قال : ضرب الرءوس التى فيها الشعور (جمع شعر) وانما يريد الرءوس التى فيها

◄

الزهو والطماح الى مالا تناله .

والعرب تكنى بالعصافير عن الكبر والخيلاء وتقول : طارت عصافير رأسه اذا ذهب كبره . قال الشاعر :

كفيل لرأس أخى نخوة
بضرب يطير عصافيره

كما يقول فى رأس فلان نعرة . وقبل البيت الذى أنشده :

اذ لا حجاز لنا الا مقومة
زرق الأسنة والجرد المحاضير (١)
يعشى الجبان شعاع فى قوانسها
اذا تجللها الشعث المغاوير
قد نكل الناس عنا فى مواطننا
ضرب الرءوس التى فيها العصافير

وقد أصاب أبو عبيد فى نقده وبين المراد فى العصافير فى البيت وهو الزهو والخيلاء فى الرأس (٢)، لا أنه يصف شيئا ماديا هو الناصية ، فالشاعر يذكر شجاعة قومه وأثرهم فى أعدائهم ، فهم يطيرون مافى الرءوس من الخيلاء ولهم سلاحهم الماضى وخيلهم الأصيلة والمناوير من الفرسان على تلك الخيل .

بيد أننا نلتمس العذر لأبى على القالى فى هذا المقام ، فقد كان بصدد تعداد « مافى الفرس من أسماء الطير » فذكر الهامة وهى العظم الذى فى أعلى رأسه ، والفرخ ، وهو الدماغ، والنعامة الجلدة التى تغطى الدماغ والعصفور العظم الذى تنبت عليه الناصية وأنشد قول حميد :

ونكل الناس عنا فى مواطننا
ضرب الرءوس التى فيها العصافير

وان كان الشاعر يقصد الزهو والخيلاء .

وقد قلت فيما سبق ان أبا على يعنى باللفظ أكثر من عنايته بالمعنى ، لأنه يهدف الى شرح ألفاظ اللغة ، وحسبه ذلك أداء وعطاء .

أما ناقد الأدب شعرا ونثرا فهو يعنى بالمعنى بجانب عنايته بالمبنى ، ويهتم بجو النص فيذكر المناسبة ، ويعنى بالموازنة والاستطراد فى تناول ما اتفق فيه الشعراء أو اختلفوا ، لأنه مؤئل علم وناشر ثقافة ، وحبذا لو اتخذنا من أبى على راوية ومن أبى عبيد ناقدا فنسير على خطتهما فنحيى التراث ونضع منهجا نبنى عليه .

السيد حسن قرون

---

(١) الجرد المحاضير : الخيل القليلة الشعر السريعة الجرى وهو مدح .

(٢) نقلنا اليوم العصافير من الرءوس الى البطون فصرنا نقول : زقزقت عصافير بطنى .

الفتاوى

إعداد الاستاذ
عبد الحميد السيد شاهين

الذبح للمسكن الجديد

س : من السيد / م . س عبد الحميد أبو حماد شرقية .

انسان انتقل الى منزل جديد . فهل يجب عليه أن يذبح ذبيحة بمناسبة دخوله المنزل الجديد ؟

ج : ليس بواجب على الانسان أن يذبح لانتقاله الى المنزل الجديد ، لأنه لم يرد نص صريح يطلب ذلك ... ولكن اذا كان مستطيعا ورغب فى ذبح ذبيحة للفقراء تيمنا وشكرا لله على نعمته فلا مانع من ذلك وهو عمل صالح نسأل الله قبوله .

« المنع من الحج »

س : من السيد /ا . المحجوب .

جهزت نفسى للحج واستخرجت جواز سفر ، ولكن أحد الناس أخفى عنى جواز السفر وتذكرة الطائرة فلم أستطع السفر ، مع العلم بأننى لم أحرم . فما الحكم ؟

ج : من أعد نفسه للحج ومنع من السفر قبل أن يحرم فلا شئ عليه ، ولا يعد محصرا اذ الاحصار انما يكون بعد نية الاحرام بالحج أو العمرة ... ومن منع انسانا من أداء الحج فهو آثم .

الزكاة لاهل الحى

س : من السيد / ا . ع . ص

نحن أعضاء فى مجلس ادارة مسجد ومن ضمن أعمال مجلس الادارة الاشراف على لجنة الزكاة وعلى توزيع الأموال التى ترد اليها ..

وهناك فريق يرى أن تعطى الزكاة لفقراء الحى وكل من هب ودب، وهناك فريق آخر يرى أن تعطى الزكاة لفقراء الحى فقط الذين تم بحث حالتهم، على أن ما يتبقى من الزكاة يرسل الى فقراء المسلمين مثل أفغانستان والفيلبين وغيرهم . والى المستشفيات وغيرها

من جهات البر .. فما الحكم ؟

ج : الزكاة توزع على فقراء ومساكين المنطقة أو الحى بالكامل ، فاذا تبقى شىء من أموال الزكاة فلا مانع من صرفها على وجوه الخير : مثل المحاربين فى أفغانستان . كذلك المدارس التى تحفظ القرآن . وعلى تعمير المساجد .

« الحقوق بعد فشل الخطوبة »

س : من السيد ط محمد

شاب خطب فتاة وقدم لها شبكة ذهبية وبعض الهدايا ، ثم عدلت المخطوبة عن الخطبة ، فما حق الخاطب وما حق المخطوبة من هذه الأشياء .. وما الحكم ؟

ج : الشبكة جزء من المهر . والمهر لاتستحقه المخطوبة الا بالعقد عليها ، ومادام لم يعقد عليها فهى أجنبية عنه ، وحيث انها عدلت عن الخطبة فعليها أن ترد للخاطب كل ما أخذته من شبكة وهدايا ، حيث ان الفسخ جاء من قبلها .

« المطلقة ثلاثا متى تتزوج بآخر »

س : من السيد / ع . ا . المعداوى

رجل طلق زوجته — رسميا — الطلاق المكمل لثلاث بوثيقة رسمية . فمتى تنتهى عدتها لتتزوج برجل آخر ؟ .

ج : عدة المطلقة ان كانت من ذوات الحيض ثلاث حيضات ، وان كانت المطلقة لاتحيض ، بأن كانت صغيرة ، أو كبيرة فى السن فثلاثة أشهر ، وان كانت حاملا فبوضع الحمل ... هذا وقد نص « قانون الأحوال الشخصية » المعمول به فى مصر على أن المرأة لا تصدق فى انتهاء عدتها فى أقل من ستين يوما .

« ميراث »

س : من السيدة / ع . م . أبو على

توفى رجل سنة ١٩٨٠ عن زوجة ، أربع بنات ، أولاد بنت ، أختين شقيقتين ، ابن أخ ، عم شقيق .. فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لأولاد البنت المتوفاة قبل والدها بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ .

فتقسم التركة خمسة عشر جزءا : منها جزءان وصية واجبة لأبناء البنت يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى .. والباقى وهو ثلاثة عشر جزءا هو الميراث : للزوجة منه الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الأربع الأحياء الثلثان فرضا لعدم من يعصبهن يقسم بينهن بالتساوى ، والباقى للأختين الشقيقتين تعصيبا يقسم بينهما بالتساوى ، ولا شىء لابن الأخ وللعم لحجبهما بالأختين الشقيقتين .

والله تعالى أعلم .

عبد الحميد السيد شاهين

أنباء وآراء

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
عاطف شحاته زهران

*** اللجنة العليا للمؤتمر العالمى للسيرة النبوية تناقش الترتيبات النهائية للمؤتمر .**

اجتمعت اللجنة العليا للمؤتمر العالمى للسيرة والسنة النبوية بقاعة الاجتماعات بالأزهر الشريف برئاسة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، ونظرت اللجنة فى مد الفرصة للمفكرين الاسلاميين فى شتى أنحاء العالم الاسلامى للاسهام ببحوثهم العلمية فى المؤتمر .

وقررت اللجنة أن يكون يوم ٣١ مارس ١٩٨٥ الموعد الأخير لتلقى هذه البحوث ، واقترحت اللجنة انعقاد المؤتمر فى الأسبوع الأول من شهر نوفمبر القادم ١٩٨٥ .

مركز لبحوث اسهامات المسلمين

وافق مجلس جامعة عين شمس على اقتراح لفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر . بضرورة انشاء مركز لبحوث اسهامات المسلمين فى الحضارة الانسانية .

الرقابة على المصنفات الفنية

قررت وزارة الثقافة تمثيل الأزهر الشريف فى اللجنة العليا للرقابة على المصنفات الفنية لأول مرة . ويأتى هذا القرار بعد أن كثرت الشكوى من المستوى الأخلاقى الهابط الذى تعرضه بعض المصنفات الفنية مع عرضها على هيئة الرقابة على المصنفات الفنية .

ويأتى هذا القرار فى اطار التشكيل الجديد للجنة العليا للرقابة على المصنفات ومن المعروف أن بالأزهر لجنة خاصة تابعة لمجمع البحوث الاسلامية من مسئوليتها اجازة الأعمال الفنية المتعلقة بالتاريخ الاسلامى أو أحد الشخصيات الاسلامية .

مجلس الشعب يناقش قانون الأحوال الشخصية

وافقت لجنة الاقتراحات والشكاوى

◄

بمجلس الشعب بالاجماع على تعديل قانون الأحوال الشخصية الذى يجرى العمل به الآن • وقررت اللجنة احالة مشروع التعديل الى اللجنة التشريعية بالمجلس لدراسته وصياغته ، واعداد تقرير عنه ليعرض على مجلس الشعب لمناقشته واقراره •

وتضمن مشروع التعديل الذى تقدم به العضو مصطفى حسين •

ـــ على الزوج أن يقدم للموثق اقرارا كتابيا يتضمن حالته الاجتماعية وقت العقد • ولا يعتبر الزواج من زوجة أخرى مبررا لطلب الطلاق •

ـــ أن يترك للقاضى أمر تدبير السكن للمطلقة الحاضنة • وعلى الزوج تدبير السكن المناسب مدة الحضانة • وعلى القاضى مراعاة الحالة الاجتماعية وظروف الدعوى بالنسبة للمسكن • أو الزام الزوج بمبلغ مناسب للحاضنة لتدبير المسكن •

الغاء التعامل مع البنوك الربوية

قررت الحكومة السودانية وقف العمل بنظام الفائدة الذى كان معمولا به قبل تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية التى صدرت فى سبتمبر ١٩٨٣ م •

وصرح محافظ بنك السودان المركزى بأن التعليمات قد صدرت (للبنوك) السودانية وعددها ٢٧ (بنكا) منها أحد عشر (بنكا) حكوميا وسبعة (بنوك) اسلامية وتسعة (بنوك) أجنبية • بتسوية حساباتها مع العملاء بأثر رجعى منذ الرابع عشر من شهر فبراير الماضى على أساس الأحكام الشرعية التى قررها الاسلام •

ومن المعروف أن السودان وضع فى بداية السنة المالية الحالية أول ميزانية اسلامية جديدة حيث ظهر أثر الزكاة فى ارتفاع الدخل الفردى والقومى •

مؤتمر اسلامى

قرر مجلس نقابة أطباء القاهرة تنظيم أول مؤتمر اسلامى دولى عن « الاعجاز الطبى فى القرآن الكريم » سيعقد المؤتمر بمبنى جامعة الدول العربية فى شهر سبتمبر من عام ١٩٨٥ م •

وصرح الدكتور الحفناوى أمين عام المؤتمر بأنه تم توجيه الدعوة لاكثر من مائة شخصية عالمية فى مصر والعالم الاسلامى من المستشرقين والمهتمين بالطب الاسلامى بالاضافة الى الهيئات الرسمية فى الداخل والخارج •

مصريان يفوزان بجائزة فيصل للدراسات اسلامية

*** الرياض :**

فاز العالمان المصريان د• محمد حلمى سليمان ، والدكتور أحمد حسن الدسوقى بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الاسلامية ، كما فاز بنفس الجائزة من

السعودية الدكتور محمد رشاد ســالم .

* من باكستان :

عودة المحاكم الشرعية فى باكستان

اســلام أبـاد :

أعلن الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق انشاء المحاكم الشرعية فى بـلاده ـ بعـد طول انتظار لها ـ اعتبارا من شـهر ينـاير ١٩٨٥ .

القدس عاصمة فلسطين

* صنعاء ـ وكالات الانبـاء :
من أهم قرارات المؤتمر الاسلامى الذى عقد بصـنعاء

١ ـ القدس عاصمة فلسطين .
٢ ـ رفض مبادرة ريجان السلمية .
٣ ـ تأييد كل المبادرات التى تخدم حقوق الشعب الفلسطينى .
٤ ـ توجيه نداء لانهاء حرب العـراق ـ ـ ايران .
٥ ـ انشاء محكمة العدل الاسلامية على أن يكون مقرها الكويت .
٦ ـ ادانة القرصنة الجوية .
٧ ـ الدعم الاسلامى الكامل لمنظمة التحرير الفلسطينية .
٨ ـ انشاء ثلاث جامعات اســلامية فى النيجر وكوالالمبور وأوغندا .

تطبيق الشريعة الاسلامية ببنجلاديش

صرح الرئيس حسين محمد ارشــاد الحاكم العسكرى لبنجلاديش أمام حشد يضم نحـــو ثلاثين الفا من علماء الدين الاسلامى فى مدينة « بيروجيبور » على بعد مائتين واربعين كيلـو مترا من العاصمة « دكا » : أنسياسته الرامية الى تطبيق الشريعة الاسلامية سوفتتضاعف فى المستقبل بهدف تأسيس مجتمع يقوم على القواعد الاسلامية ، وأنه لن يسمـح بتطبيق سياسات « علمانية » فى البلاد .

شركة اسلامية فى الصــين

أنشئت فى الصــين الشــعبية أول شركـة مساهمة اسلامية يبلغ سعر السهم الواحد فيها ما يعادل ثمانين دولارا . وكــان أول مشروع للشركة هو افتتاح مكتبة لبيع الكتب الاسلامية فى مـدينة « أورمكى » عاصـمة مقاطعـة زينيانج وتأمل الشركة أن تنشىء أيضا مطابع ومصانع للمواد الغذائية . كما تعتزم افتتاح مطاعم تقدم وجبات فى بكين وكانتون والمدن الصـينية الكبرى . وممـا يذكر أن تعـداد المسلمين فى الصين يزيد على سـتين مليون مسلم .

٥٠ ألف مســلم يكبرون حتى الصبـاح فى « رومـا »

* روما وكالات الأنباء :

ثم وضع حجر أساس أول مسجد ومركز اسلامى فى ايطاليا معقل الفاتيكان ، وقد حضر الاحتفال نحو ٥٠ ألف من المسلمين فى ايطاليا لم يناموا حتى الصباح وهم يهللون ويكبرون .

وتبلغ تكاليف المشروع الذى شاركت فيه عدد من الدول الاسلامية حوالى ٣١ر٥ مليون دولار ومن المقرر أن ينتهى البناء خلال ثلاث سنوات ويتسع لألفى مصل ويضم مكتبة كبيرة ومقرا للامام وقاعة مؤتمرات وبيوتا للطلبة والطالبات المسلمين .

٣٥ ألف مسلم فى « اسكتلندا »

*** جلاسجو : —**

فى احصائية للسلطات « الاسكتلاندية » ، بلغ عدد السكان المسلمين حوالى ٣٥ ألف مسلم منهم ١٥ ألف مسلم فى مدينة « جلاسجو » وحدها .

*** من ماليزيا :**

انشاء شركة تامين اسلامية

كوالالمبور — ١٠ ش ١٠

وافق البرلمان الماليزى على انشاء شركة تأمين اسلامى تعمل وفقا لمبادىء الشريعة الاسلامية ، برأس مال قدره ٤ر٥ مليون دولار .

*** من أندونيسيا : —**

أول رائد فضاء مسلم

تنوى أندونيسيا ارسال أول رائد فضاء مسلم الى الفضاء ضمن «طاقم مكوك الفضاء الامريكى » فى عام ١٩٨٦ ، فى الوقت الذى ستقوم فيه أندونيسيا باطلاق قمر صناعى خاص بها بعد منتصف العام نفسه .

٥ ملايين طفل مسلم ماتوا من الجوع فى عام ١٩٨٤

*** ابيدجان — وكالات الانباء**

ذكر التقرير السنوى لصندوق الأمم المتحدة لرعاية الأطفال (اليونسيف) أن خمسة ملايين طفل أفريقى ماتوا — خلال عام ١٩٨٤ — جوعا وخمسة ملايين آخرين أصبحوا معوقين بسبب سوء التغذية والمرض .

والمعروف أن المجاعة اجتاحت الكثير من الدول الأفريقية التى يقطنها مسلمون وأن المساعدات الامريكية والسوفيتية لم توزع بالتساوى ، ولذلك فقد عبر الحدود الى السودان فى الجنوب منه عشرات الآلاف من المسلمين ..

*** أكبر عملية تبشير فى القرية الجائعة**

(افريقيا)

مأساة المسلمين فى أفريقيا تبلغ ذروتها فقد وجدت الجماعات التبشيرية فى المجاعة فرصة لطعن الاسلام أو الحث على التنصير .

والمعروف أن القارة الأفريقية تتعرض حاليا لأسوأ حالة جفاف فى التاريخ مما يهدد ١٥٠ مليون أفريقى ـ معظمهم من المسلمين فى ٢٤ دولة ـ بالموت جوعا ٠

* المسلمون ٠٠ فى العالم :

الحكومة الفرنسية توقف اذاعة اسلامية بباريس

* باريس

توقفت الاذاعة الاسلامية العربية « راديو آراب » ـ وهى احدى المحطات الاذاعية الثلاث الخاصة بالمسلمين ـ عن البث الاذاعى منذ نهاية نوفمبر الماضى ، وقد جاء هذا التوقف بعد قرار « الهيئة العليا » الفرنسية بمصادرة المحطات الاذاعية التى لا تتمتع بتصريح رسمى ٠

أفغانستان :

٢٠٠ طفل وسيدة يقتلون يوميا بأفغانستان

لندن ـ وكالة أنباء المجاهدين الأفغان

ذكرت وكالة أنباء المجاهدين الأفغان أن سلطات « كابول » الموالية للاتحاد السوفيتى تقوم يوميا باعدام ما يزيد على مائتى معتقل لديها ٠

من خير ما كتب

من خير ماكتب الدكتور الحسينى هاشم
أمين عام مجمع البحوث الاســــلامية
الاسلام ٠٠ دعوة أمــن وسلام

جاء فيه :

لمكانة الأمن وأهميته بشر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالرؤيا الصادقة وأصحابه بدخول المسجد الحرام ، باذن اللـــه آمنين مطمئنين ، لا يتعرض لهم انسان بالضرر والأذى بدخوله محرمين محلقين ومقصرين ، ويقيمون غير خائفين فى أمن وسلام ٠

وكان الوقت الذى حـــدده الله صــادقا ، فعلم ماوراء صلح الحديبية من أمن وأمــان وخير ٠ ما لم يعلموا مما فى هــذا الصلح مــن صلاح لهم فكان خيرا عظيما ، وجعل من دون ذلك الدخول لمكة هذا العام فتحا قريبا ، وهو فتح خيبر ، وتحقق الرؤيا فى العام التــالى لصلح الحديبية ، ان الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، لن يتخلى عنه بأى حال انمــا كتب له النصر والتوفيق فى كل عمل ، وكيف لا وقد أرسله بدين الحق ليظهره على الدين كله وضمن له الغلبة والنصر ، « **وَكَفَى بِاللَّـــــهِ شَـــهِيدًا** » ٠

ان القصاص من مقترفى الجريمة الشاذين عن أوامر الاسلام فيه تطهير المجتمع ، وردع لمن تحدثه نفسه بالسير على طريقتهم ، وأمـن المجتمع وطمأنينته وفى ظل الأمن يباشر كـل عمله ، فتسير عجلة الحياة ، وينتفع النــاس ويعم الرخاء ٠

وجعل الله جزاء من يلحد ويكفر بآياتــه الالقاء فى النار ، وأعــد لمن يؤمــن بآياتــه البينات أمنا يوم القيامــة ، وصورت الآيات ذلك بأبلغ تصوير ، فيه تهديد وموازنة بــين الخير والشر وصدق الحق سبحانه اذ يقول :

« **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِى النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِى آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَاشِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** » ولمكانة الأمن كانت دعوة يوسف عليه الصلاة والسلام لأعز الناس اليه : أبويه وأخوته أن يكونوا آمنين ٠ « **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّـــهُ آمِنِينَ** » ٠ أى اســكنوا مصر آمنين مما كنتم فيه من الجهد والقحط وحقق الله دعوة نبيه فعاشوا فى أمن وحياة طيبــة آمنين مطمئين ، وما ظاهرة الأمن فى البلاد الا نعمــة اللــه سبحانه وتعالى ٠

ان أعداء الاسلام يحاربون أمنه بالقــاء الشبهات بين أهله حتى ينتشر القلق والخلاف بينهم ، بالمبادىء الهدامة يبثونها حول معينه النقى الصافى ويحـــاربون أمنه بالســلاح ،

ومصير ذلك كله الاخفاق والفشل ، فقد كتب الله الأمن والنصر للاسلام والمسلمين « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ » • ولأمن المعسكر الاسلامى ، حذر الله سبحانه وتعالى الجند أن يذيعوا اسرار المعركة أو ينقلوا الأنباء مهما كان نوعها من أمن أو خوف ، دون الرجوع الى القائد المسلم لأنه يستطيع توضيحها ويعلم مدى أثرها ، وربما أغرت أخبار الأمن الجند فيتراخوا عن الاستعداد ، وربما فت فى عضدهم أخبار الخوف فتضطرب الأنظمة ولذا يأمر الله سبحانه برد ذلك الى القائد المسلم ، وينعى على من يفعلون ذلك ، ويطيرون بالشائعات : « وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا » •

وكل أمر صمام الأمن والأمان فيه أن نرده الى حكم الله ، وحكم رسوله والمتخصصين فيه المخلصين لله ورسوله « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » • والرسول صلى الله عليه وسلم يذكر المؤمنين بنعمة الأمن والصحة وصدق الرسول اذ يقول : « من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما خيرت له الدنيا »

اكتوبر العدد ـ ٤٢٧ ـ ١٩٨٤/١٢/٣٠ م

مواقف للأستاذ أنيس منصور

والله لا اتمنى لاحد من الناس أن يكون مريضا • ومن السخف ان تطلب الموت لأحد ، لأنه مثلك سوف يموت ، فالموت ليس عقابا • قد تتمنى الموت السريع لأحد يضايقك ولكنك لا تعرف متى تموت انت • وكم من اناس رفعوا ايديهم الى السماء يتعجلون نهاية أحد من الناس ، فاستجابت السماء لهم فماتوا هم ، وعاش الذين دعوا عليهم •

وأن يكون لك عزيز أو حبيب ينهشه الموت من تحت جلده يأكله بنشره •• يسحقك نشارة خشب •• أو بودرة عفريت ، أى نار تحت الجلد بلا دخان •• قفص من الوحوش والزواحف تمزق الحبيب القريب ، وأن ترى الفزع وتسمع الأنين ، ثم لا تستطيع أن تمد أظافرك الى ماتحت جلده •

لم أكن أدرى هول التعذيب عندما كنت أقرأ عن المعتقلين السياسيين فى مصر الناصرية وألمانيا الهتلرية حين كانوا يضعون المعتقل فى (شوال) ومعه ألف ثعبان وهو يصرخ ويتلوى ولايستطيع أن يخرج من « الشوال » •• كذلك المريض •• وأكثر من ذلك رأيت وتوجعت وبكيت واستسلمت لقضاء الله •• فالمريض الذى رأيته كانت كل خلية من خلاياه شوالا به ألوف الثعابين والدبابير اتخذت شكل الدبابيس الملتهبة •• وقال الله وخفف

◄

عنك الذى ترى وتسمع وتقرأ ، ولا أراك فى نفسك أو جسمك أو عزيز عليك !

أما الذى يفعله الأطباء فشىء مثل هذا : ان كل طبيب قد أمسك مسدسا وراح يطلق النار على الخلية المؤلمة ، ولايصيبها .. وانما يصيب ملايين الخلايا الاخرى السليمة .. ويمرض ويتعذب ويذبل المريض .. ثم يتلاشى .. لا من المرض وانما من هذا العلاج .

ويحتار الأطباء وأهل المريض أكثر . فهذا هو أقصى حدود الطب ، ولكن دموع الذين حول المريض بلا حدود .. ولايبقى الا رحمة الله تنتشل الجميع .. ويكون الذى تعرف والذى نعرف والذى لا يعرفه المريض .. ولا حول ولا قوة الا بالله !

الأهرام ١٩٨٥/١/٥

انقذوا لغتنا الجميلة

للأستاذ عبد الدايم أحمد عمر

اللغة العربية : لغة كتاب الله : لغة اختارها الله لتكون وسيلة التعبير اصلاح الناس وخير الناس وسعادة العالم .

اللغة العربية : لغتنا نحن العرب ولغتنا نحن المصريين ، ولغتنا نحن الناطقين بالضاد ، أرادها الله لغة دستور السماء لدنيا الناس من مئات اللغات .

فللعربية أن تفخر بهذا وحبذا لو حافظ أهلها عليها من الضياع ..

انفتحنا على العالم وانفتح العالم علينا : فجاءنا المال ، وغزانا العلم : وهذا طيب ولكن الذى نخشاه الغزو اللغوى الذى كاد أن يبعدنا عن لغتنا .

أسير فى شوارع القاهرة وأسافر الى سوهاج والاسماعيلية فأرى « لافتات » لا تعرف العربية : ما هذا؟

هل عجزت لغتنا عن البيان هل ضاقت لغتنا بالاعلام : ؟ ليعلم ـ سادتنا ـ المسئولون عن اللغة فى الأزهر وفى التربية والتعليم وفى وزارة الثقافة وفى الجامعات وفى وسائل الاعلام مدى خطورة هذا الزحف علينا . رضينا بالانفتاح الاقتصادى ولكننا لا نرضاه أبدا أن يزحف على لغتنا .

فالأمة لغة ، والدولة لغة واذا فقدنا لغتنا فعلى دنيانا وديننا السلام وعلى الدولة العفاء .

ألا من صحوة من أجل لغتنا الجميلة .

ألا من يقظة من أجل حياتنا الكريمة تكاد اللغة العربية فى مدارسنا وجامعاتنا تنتهى ، وعجلة الحياة تسير ولا تنتظر تباطؤنا وتكاسلنا .

فاذا أردنا للوطن عزا ، وللقرآن الكريم حفظا ، وللتراث العربى بقاء ، فلنبق على لغتنا ، ولنعمل على نمائها ولنحافظ على قواعدها ونحوها .

ولا شك أن المدرسة هى الوعاء الأول الذى نبدأ فيها بالعلاج قبل أن يستفحل الداء

ويتأصل البلاء .

الأخبار ٢٣/١٢/١٩٨٤ م

مواقف للأستاذ أنيس منصور

لا الوم احدا من الاخوة العرب على أنه جاء الى مصر وسهر وسكر وضرب وهرب . وانه وانه .. فهو لم يقتحم بيتا ، ولا ألقى بنفسه على أحد .. وانما هو وجد بابا مفتوحا فدخل ، وسريرا ناعما فنام ، وأحضانا دافئة فاحترق ، ودخانا أزرق فاختنق ، وطولب بالأجر فدفع ..

وقد حدث ذلك كثيرا وطويلا فى بيوت لايمكن حصرها ، ولولا أن سيدة ماتت قتيلة أو منتحرة فى بيت الملحن بليغ حمدى ، ما عرفت الملايين شيئا من هذه الفضيحة التى فيها كل عناصر المأساة والمهزلة ــ وكل ما يدعو الى حقد الناس وشماتتهم أيضا . ففى هذه الفضيحة : جنس ومال ومصريون وعرب وخمر وحشيش .. وفيها شهود الزور وفيها الذين يعلمون ويسكتون ، والذين يزورون ، وهم يعلمون . وفيها « القوادون » تجار وسماسرة الملذات ، والذين هم عار على مصر !

فما الذى نقوله للكثيرين من الشباب ؟ وكيف نجرؤ أن نواجه الصغار بالحقيقة ، وما هى الاعذار التى نقدمها للذين يخافون على الدين والاخلاق والوطن والتربية والتعليم ؟ وهل هذه هى القاهرة ، وهل القاهرة هى مصر ؟ وهذا الذى حدث يمثل كم فى المائة من حياة الليل فى بلادنا ؟

ولا أظن أحدا يعطف على أطراف هذه الفضيحة ــ ابتداء من بليغ حمدى وانتهاء برجل الامن السابق الذى يعمل سكرتيرا للمليونير السعودى ، فهم جميعا غارقون فى الوحل الذى يضعه الناس لهم فى كل بيت ــ وليس ذلك الا جزءا من العقاب ..

الأهرام ٣/١/١٩٨٥

الأستاذ عبد القادر عبار
الحركة الحضارية وغياب المشاركة الاسلامية المعاصرة

لا جدال فى أن قرننا الحالى شهد ولا يزال يشهد ازدهارا هائلا وتقدما ملحوظا فى شتى مناحى الابداعات الحضارية : من فتوحات علمية متنوعة باهرة و «تقنيات» عصرية عالية مدهشة لم يحفل بمثلها التاريخ البشرى من قبل .. بصرف النظر عن مدى التوظيف السىء والسلبى الذى استهدفت له كثير من الاختراعات والآليات ذلك التوظيف الذى كانت له انعكاسات سيئة ونتائج وخيمة على الكون والانسان .. والراجع أساسا الى ضمور الوازع الدينى والأخلاقى فى الضمير الغربى .

ولا جدال كذلك فى كون الغرب بجناحيه هو صاحب الريادة فى ذلك والمتقدم قبل غيره فى كثير بل فى جل ميادين العلم و «التقنية»(١)

(١) الفن والعلم الذى تنبنى عليه صناعة شىء معين يتميز بالدقة والتقدم .. مجلة الازهر .

تطويرا واكتشافا وابتكارا .. نقولها بكل موضوعية بعيدا عن أى انفعال عاطفى . فقد

استطاع العقل الغربى بما توفر له من أسباب العمل وما تهيأ له من عوامل البحث والفعالية: كالحريات والمصداقية والأمن الثقافى والفكرى والعلمى والاجتماعى والتشجيع الأدبى والمادى والرعاية المستمرة والمتابعة الجادة والتخطيط والمنهج .. أن يقطع أشواطا عملاقة فى مجالات الابداع والابتكار والبحث .. مسجلا بذلك بصمات مشرقة وانتصارات جلية فى مختلف مناحى الابداع الحضارى .. تشهد بريادته وتفوقه . الا أن الحقيقة التى يجب ألا تغيب عن الذهن ونحن نقر هذا الامتياز العلمى للغرب ونعترف له بهذه الريادة .. هى أن العقل الغربى لم ينطلق من فراغ ولا من لمسة سحرية .. ليسجل كل هذه الانتصارات والفتوحات ، وما كان له أن يصل بهذه الدرجة من السرعة ، الى ماهو عليه اليوم من تفوق وسبق لو لم يجد بين يديه بدايات جادة ومقدمات متينة وأسسا راسية وجهودا سابقة ، اعتمدها كمرتكزات ومنطلقات لبداية سيرته العلمية . فقد انطلق هذا العقل من حيث انتهت خطوات سلفنا من علماء الاسلام فى العصر القيادى للحضارة الاسلامية التى أضاءت للغرب الأوربى ظلمات عصوره الوسطى . وقدمت له مع أجهزة الرصد الفلكى ذخيرة من علوم الطبيعة والملاحة والطب والرياضيات والفلك .. وهذه حقيقة يعترف بها علماء الغرب أنفسهم ، وكشفت عنها وسطرتها بكل موضوعية الكاتبة الألمانية « ايزفريت هونكا » فى كتابها القيم « شمس الاسلام تسطع على الغرب »وأفصح عنها « غوستاف لوبون » بقوله « ان جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون موردا علميا سوى مؤلفاتهم » « يقصد علماء المسلمين » وأنهم الذين مدنوا أوروبا مادة وعقلا وأخلاقا ، وتأثير العرب عظيم فى الغرب .

غياب المشاركة العلمية الاسلامية

ويرجع الكاتب غياب المشاركة العلمية الاسلامية الى عدة أسباب منها :

حرص الغرب على ابقاء العالم الاسلامى فى صفوف الدول المتخلفة أو بالعبارة المهذبة الخادعة « الدول النامية » وقد سلك لهذا الغرض سياسة تتسم بالعداء الصريح والمكر الحاد وهى تركز على محاربة الاسلام وابعاده عن ساحة التأثير والفعل والحركة ، حتى تتعطل المحركات الفاعلة والطاقات الايجابية التى باستطاعتها استنهاض الأمة وتجديدها وبعثها من رقدة العطالة والتخلف ، والارتقاء بها الى مراكز الريادة وقمم المجد .

صحيفة « الرائد » الهندية
ماذا بعد أنديرا غاندى

بلغت أنديرا غاندى من العمر ٦٧ سنة ، وحكمت الهند حوالى ١٦ عاما . كانت أنديرا غاندى تسير على خطى

والدها جواهر لال نهرو فى الاهتمام بالقضايا الدولية ، وعرض نفسها كرائدة للسلام العالمى ، ونالت فى هذه السياسة تأييد الاتحاد السوفيتى ، وأبرمت معاهدة صداقة معه فى عام ١٩٧١ م .

ولذلك كانت سياستها تميل الى الانسجام مع سياسة الاتحاد السوفيتى ، ومن أجل ذلك ازداد النفوذ السوفيتى فى سياسة الهند . وأيدت حركة الشيخ مجيب الرحمن التى أدت الى انشاء دولة مستقلة باسم بنغلاديش بعد أن اشتركت القوات الهندية فى الحرب مع باكستان ، وقد نوه بهذا الدور قادة بنغلاديش فوصفها رئيس بنغلاديش بأنها أم بنغلاديش رغم تمسكها الشديد بعقائدها وثقافتها الهندية كانت أنديرا غاندى تعلن بصراحة بأنها متمسكة بالعلمانية . ولكن غلبت العناصر الطائفية فى العهد الأخير وتمكنت من النفوذ اليها مما أدى الى حرية تصرف بعض الزعماء الطائفيين وتغلغلهم فى الادارة ، فازدادت نشاطاتها التى أسفرت عن حوادث مؤلمة فى الهند وكانت هى نفسها ضحيتها فقد قويت الطائفية فى بنجاب وآسام وكشمير .

كانت نشأتها فى البيئة السياسية بمعناها الحديث ، ورضعت بلبانها ففاقت أقرانها فى البقاء فى الحكم . لكنها تركت عدة مسائل مستعصية للقيادة التى تخلفها ، فان علاقات الهند مع الجيران غير طيبة ومشكلة بنجاب وأسام ، وكشمير ، وجنوب الهند والتأمليين ، والطائفية تهدد سلامة البلاد .

وتوسعت نشاطات المتطرفين وامتدت ظاهرة قوات الأمن فى أعمال النهب والسلب التى شوهدت أخيرا أثر اغتيالها بأشنع مظاهرها .

هذه المشاكل المعقدة المتفاقمة تحتاج الى معالجة دقيقة ورزينة ، ودراسة لأسبابها ، ولعل عناية أنديرا غاندى الزائدة بالمصالح الحزبية لم تسمح لها بالتركيز على هذه المشاكل القومية ولكنها الآن تهدد سلامة البلاد ولا يمكن اغفالها طويلا ، فان الأمن الداخلى ورضى سائر الطبقات وعلاقات حسن الجوار دعامة لنظام حكم حكيم مستقر متقدم .

الرائد الهندية ١٩٨٤/١١/١٦

« كتاب خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها »
« نظرات فى اشراق فجر الاسلام »

تأليف

الأستاذ عبد المنعم محمد عمر وكيل وزارة الثقافة الأسبق

منهج جديد فى التخطيط للسيرة النبوية الشريفة وأسلوب جديد فى كتابتها .

لايقتصر هذا البحث على الدور الهام الذى قامت به أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها فى فجر الاسلام ، ولكنه يتناول كذلك الجوانب المختلفة لموضوعات السيرة النبوية الشريفة ، ويمتاز بالمستوى الرفيع فى منهجه وفى أسلوبه .

وينهج الأستاذ المؤلف فى تصنيف هذه السيرة منهجا أهم عناصره :

١ ــ الاعتماد على القرآن الكريم باعتباره المصدر الرئيسى فى كتابة السيرة النبوية الشريفة مع الاستعانة بكتب أسباب النزول وكتب التفسير .

٢ ــ الاستعانة بالحديث الشريف المروى عن الصحابة مع التوثيق من كتب الصحاح

٣ ــ عدم الاكتفاء بسرد الحوادث ، والعناية بذكر المقدمات والأسباب والتى أدت اليها وشرح النتائج التى أسفرت عنها .

٤ ــ العناية ببحث الروايات المتضاربة وترك الضعيف ، والاعتماد على المروى منها عن كبار رجال الصحابة ، كما يتضح ذلك عند بيان أوائل من آمن بالله الواحد وبرسوله ﷺ .

تصحيح الروايات المدسوسة فى السيرة مثل تصحيح الرواية عن عمر السيدة خديجة أم المؤمنين عندما تزوجت محمد بن عبد الله ﷺ

٥ ــ التقديم بذكر نبذة علمية تاريخية مختصرة عن تاريخ جمع الحديث وتدوينه وكتابة السيرة النبوية الشريفة مما ييسر للشباب الاستمرار فى البحث والتوسع فيه .

٦ ــ الاستعانة بأهم المصادر التى بذل أصحابها أقصى ما يستطيعون من جهد لجمع كل ما وصل اليهم من أخبار السيرة والمغازى ، وكذلك ما أمكن جمعه من تراجم الصحابة والتابعين والمقارنة بين تلك الروايات وبخاصة المتناقضة منها حتى يمكن الوقوف على أصح

الروايات وأقربها الى الحقيقة مع الاكتفاء بذكر عيون الاخبار مع التوثيق العلمى الدقيق .

وبهذه العناصر الرئيسية المتكاملة ، نرى الكاتب يرسم لنا صورة حية للسعادة التى كان يعيشها جميع أفراد أسرة الرسول الكريم قبل الرسالة الالهية الكبرى .

ثم نرى كيف تتسع دائرة هذه السعادة حتى تشمل الأهل والأقارب من بنى هاشم وبنى أسد الذين أصبحوا بفضل محمد ﷺ يرتبطون برباط المودة والرحمة والتعاون مما كان ينبع من خلق محمد بن عبد الله الذى لم يكن يتوانى عن ادخال السعادة عليهم أجمعين ، فهو يعطف على الأهل ، ويحنو على الضعيف ويغدق على المحتاج ولا يدخر وسعا فى سبيل بذل الجهود فى العمل على تنمية تجارة خديجة – رضى الله عنها – .

* وقد اختار الكاتب لكتابة السيرة الشريفة أسلوبا جديدا أهم عناصره :

١ – كتابة السيرة الشريفة بأسلوب عصرى يمكن أن يستسيغه المعاصرون ، وبخاصة الشباب منهم ، ويشجعهم .

٢ – صياغة السيرة بأسلوب يتسم بالموضوع ، هو أسلوب السهل الممتنع الذى يغرى القارىء بمتابعة الاطلاع عليها ، والعناية أحيانا باختيار بعض النماذج من الأقوال والخطب والأشعار التى قيلت زمن الرسول الكريم ، وشرح ذلك شرحا مبسطا حتى يعتاد الشباب على قراءة مصادر البحث التى ألفت ابتداء من القرن الهجرى الثانى وفهم أساليبها مما يساعد فى المستقبل على فتح مجال البحث أمامهم فيها .

٣ – رواية أحداث السيرة الشريفة فى القالب القصصى الحديث الذى يرتب الحوادث ترتيبا زمنيا ، ويتسق بين تتابع أخبارها بحيث ينتقل القارىء من فصل الى آخر انتقالا طبيعيا مما يخلق فى القارىء الرغبة فى متابعة القراءة .

فاذا أضفنا الى ذلك عناية المؤلف بالتقديم للكتاب بنبذة مختصرة عن تاريخ جمع الحديث الشريف وتدوينه ، وكتابة السيرة النبوية الكريمة ، ندرك مدى ما بذله الاستاذ الكاتب من جهد فى التخطيط لكتابة هذا الجزء من السيرة النبوية العطرة فى ثوب عصرى وأسلوب سهل متميز بالمستوى الرفيع فى المنهج والمادة .

جزاه الله تعالى أحسن الجزاء على ما قدم للمسلمين وللسيرة النبوية الشريفة وللتاريخ الاسلامى .

احمد حلمى محمد عبد الرحمن
خبير مجمع اللغة العربية
وعضو لجنة احياء التراث الاسلامى
بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية

فهرس العدد

utility of the trial and the punishment altogether. No change must, later, come upon the confession or the testimony. Should the witnesses turn out below the required integrity, the decreed penalty must be dropped. Furthermore, the applied item of the legal code must positively and expressly incriminate the particular act to be penalized.

Hence, penalty in Islam cannot be described as brute or inhuman. Punishment is indeed brought to a minimum, but it remains a real deterrent and a strong remedy. Still a good number of punishments can be pardoned before or during litigation. It is the injured party that abdicates his rights, out of forgiveness and kindness. A penalty dropped, however, does not mean that a discretionary sentence is capable of remission.

awaits the apostate, and, in case of escape, that his property will not be inherited by his dear and worthy people, and that all his family and social affairs will get involved and muddled, is not a thing to belittle at all. Hence, apostasy cannot be a foul play by the reckless or the philanderers.

Once a law is established by Shari'a, it is not for the ruler to enact a countermarch of it, or to alleviate or drop its penalty. His is only an executive responsibility. A judge or a law-maker, however, must avert punishment in view of judicial doubts, and judicial errors.

There may be a resemblance on the surface between an illegal act and a lawful one. This furnishes an excuse for the wrong-doer and exempts him from the prescribed penalty. Cases differ, where doubts attach to the act itself. But reasons for exempting the sinner from the expected judgment may underlie other considerations. Ignorance of the ill in the act, unawareness of hidden facts which could otherwise check the offender, are also among the reasons that determine the judge against applying the original penalty. Still, the evidence must be positive and undelayed. The sentence, too, must be passed without undue delay, or suspicion will attach the

Some jurists say his fortunes go to the State's treasury, whereas others pass them to his Muslim heirs.

So severe as is the punishment of apostasy, the charge must be established on positive proofs which leave no trace of doubt. Examples of acts of apostasy are:

1. Abuse of the Prophet, be upon him peace from Allah.

2. Denial of the commands and prohibitions established by express verses and traditions.

3. Denial of the fundamental doctrines of the faith.

It is noteworthy that most apostates from Islam have always been deceitful or frivolous people who hardly care a bit for the cause of Right. Even those who fall under the pressure of prosecution or compulsion, never think of rejecting the faith. If ever, they might feign apostasy to escape prosecution, but in no way do they take it up at heart.

It would be a misnomer to call swaying from one faith to another, or, still worse, disbelief altogether, freedom of thought and liberty of belief, as do some so-called modernists. Indeed, the penalty for apostasy in Islam is meant to be a deterrent from such contemptible acts of licence for selfish ends. To know that death

According to some a female apostate is imprisoned either until she dies or until she returns to Islam. Most jurists, however, assert that unless she returns to Islam, she must be killed.

As regards the apostate's property, there are three views:

1. He retains his right of ownership until he dies or repents. If he dies in unbelief, all his property, acquired both before and after apostasy, passes to his heirs.

2. He forfeits all rights to ownership, and/his wealth goes to Muslims.

3. His rights of ownership are to be suspended so that either he regains them with repentance or forfeits them with death.

Should an apostate fly to a hostile camp, his property continues to belong to him, as maintain the majority of jurists. It must be placed in a trustworthy man's charge or kept by the ruler. The apostate being alive, his property is neither to be inherited nor confiscated. On the other hand, some claim that he is as good as dead and hence his property passes either to his heirs or to the public treasury.

Opinions differ as to the heirs of an apostate.

Opinions differ among Muslin jurists as regards non-Muslim subjects and residents. Some say that those are equal to Muslims in terms of rights and obligations, and so they are required to observe the moral considerations of Islam with due respect. However, unlike Muslims, on whom punishment is executed for the act of drinking a toxicant, those non-Muslims are to be punished if they are taken in a state of intoxication. On the other hand, other doctors of Muslim law, see that a foreigner whose faith and tradition do not forbid drinking is not to blame and must be exempted from punishment.

For a punishment to be executed, it is stipulated that the sinner be seized with his breath smelling of the liquor. However, most jurists are of opinion that confession or reliable testimony by two witnesses is sufficient.

Penalty for apostasy from Islam:

An apostate from Islam could never have tasted the sweetness of the faith. His punishment is death. However, the majority of jurists are of opinion that an apostate is first to be convinced to go back from apostasy. He must be allowed a delay of a few days until hope for his repentance is all vain. Two types of apostates, however, are not to be induced or expected to repent, namely notorious pretenders and those who had once before showed repentance for apostasy.

PENALTY IN THE ISLAMIC LAW

(Cont.)

Penalty for drinking intoxicants.

By: Soliman Barakat

Islam has always pointed out that intoxicants are not becoming to a believer. They do more harm than good. Muslims were first admonished against them, then they were forbidden to drink them and a "hadd" was decreed and put into effect.

This penalty, however, is to be inflicted only upon them who drink voluntarily, knowing the breverage to be intoxicating and therefore unlawful. So, no punishment is incurred if a man takes a liquor under the pressure of necessity or compulsion, or if he is unaware of its nature.

It is unlawful in Islam to take intoxicants as a medicament or a warmer save in case no other remedy is available. So, such an act is a punishable sin in the eyes of most jurists of Islam.

The punishment of a slave is half that of a freemen.

4. Hayyat Mohammad
Mohammad Hussein Heikal
Dar Al-Marrif, 1977, Cairo.

5. The Holly Qur'an
Text, Translation and commentary
Abdullah Yusuf Ali

6. Fiqh Alsira
Dr. Mohammad Ramadan Albooty
7th., Edition, 1977.
Dar Al-Fikr, Cairo.

7. Al-Sira Al-Nabawiah
Imam Ismail Ibn Katheer
Revised by Mustafa Abdel-Wahid
Vol. 2, 1983 Edition.
Dar Al-Marrifa, Beirut.

and peace from Allah upon him) during the early month of the fifth year after Hijrah. With clear insight, there was a certain realisation that dark clouds were gathering to culminate into stormy events that would be decisive to the future of the Islamic nation. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the Muslims awaited the oncoming events with watchful concern and strategic procrastination.

Prayers and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

REFERENCES:

1. Alsira Alnabawiah
   3rd. Edition 1981
   Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
   Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
   24th. Edition 1978
   Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
   Publisher, Great Commercial Library, Cairo.

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
   Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
   Kilani Library - Cairo Printed 1980.

excell all other challenging forces. Real belief in Allah, and piety breed strength and confidance and bring out the excellence of human abilities. This very endeavour for the cause of Allah is in itself a most outstanding way of submission to Allah. To sell the glory, riches, and limelight of worldly existance for martyrhood in the cause of Allah; is the most rewarding exchange man can attain. With these principles, conceptions, understanding beliefs, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) schooled his companions from the elements of the divine revelation.

There were no major confrontations since the battle of Uhud except the siege of Bani Al-Nadhir and their expulsion from Al-Madinah. All other missions, confrontations, and armed oppositions were not of a major nature, although they remained to have their social and psychic importance. The two incidences of Al-Ragiee and Maoonah were of a trecherous nature, and inspite of Muslim Casualities, these two incidents remain a sign of Muslim intention and aim to propagate and promote the doctrines of Islam.

The Muslim-Koraysh conflict still remained to be renewed; and the Muslim-Jewish relations at Al-Madinah were still far from cordial and clear. Both these situations were the prime concern of the Prophet (prayers

peace from Allah upon him) received information that Arab tribes at Dawmat Al-Gandel were forming troops of men molesting travellers and living on robbery. These tribes also gathered to make war against Muslims at Al-Madinah. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) left in one thousand men, leaving Al-Madinah under the ministership of Sabaa Ibn Arfatah Al-Ghaffary. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his men journeyed by night and reclined by day. When Dawmat Al-Gandel was reached at the northern eastern territory near the Syrian border, the tribes there disbanded and retreated, and the Muslims were met with no confrontation. They remained there for few days to authorize their presence and then started their journey back to Al-Madinah. This mission reflects the extent of authority and influence of Muslim reaching as far north as the Syrian border. It also manifests the extreme patience and tolerance of devout Muslims to subdue themselves to severe hardship and possible death. They are motivated by their piety and belief, to proclaim that Allah is One and that the Words of Allah are supreme and are the summit above all. This remains and will always be the latent potent powers of devout Muslims that will always

and example, a specific highly developed matrial to remain as an encyclopedic corpus to the Muslim generations. The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) perceived these facts with ultimate comprehension of their importance and momentum in the syntax and texture of Islamic constitution. Besides, there were voluminous matters that remained requiring the highest concern. Such were the potential underlying hatred of the Jews at Al-Madinah, the outspoken frank open enmity of Koraysh, the neighbouring and distant Arab tribes, and the bordering nations of the two great Roman and Persian empires.

The repeated occurances of confrontations, combats, and armed missions were certainly deterring the promotion of the structural growth and stability. However, such confrontations were necessary to establish integrity, authority and dominance; and above all, they certainly achieved diffusion and expansion of Islam. Some of these confrontations were dictated and imposed upon Muslims, and on other occasions, they were deemed necessary as a process of a defence mechanism.

The mission of Dawmat Al-Gandel was carried out during the third month of the fifth year after Hijrah, the month of Rabie Al-Awal. The Prophet (prayers and

him).

The last mission during the fourth year was the final Badre, where Koraysh did not come to the prestated appointment which Abu Sufyan himself had declared at the closure, of the battle of Uhud. The failure of Koraysh to meet at Badre certainly erradicated any success that they might have achieved at Uhud; and certainly promoted the Muslim prestige. However, the confrontation berween Koraysh and Muslims was inevitable and was only postponed on the part of Koraysh to meet the Muslims under more favourable conditions in order to affect a final dominant victory over the Muslims.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) returned to Al-Madinah to watch and study surrounding events with the divine wisdom, master intellect and strategic mind. There was a whole nation to be built, the foundations and infrastructure of which was to be constituted. The social discipline and development, the code of life of Islamic society of the existing thousands at the time, and for the endless millions to follow through the ages till the day of eternity. Besides the divine revelations, there must be a substance of refrence

THE BEGINNING OF THE FIFTH YEAR

In the name
of
Allah, Most Gracious,
most Merciful

By :
Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

During the month of Shawal of the fourth year after Hijrah, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) married Um Salamah widow of the late Abu Salamah Ibn Abdel Assad Ibn Hilal Al-Makhzoumi, an early muslim, and an emigrant to Ethlopia. Her eldest son Salamah supervised and authorised her marriage to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). Abu Salamah had died much earlier during the fourth year affected by previous wounds acquired at the battle of Uhud.

During the month of Shabaan of the fourth year, Hussien Ibn Aly Ibn Abi Taleb was born to Fatimah daughter of the Prophet (prayers and peace from Allah upon

AL AZHAR
MAGAZINE

ENGLISH SECTION

الأزهر

مجلة
شهرية
جامعة

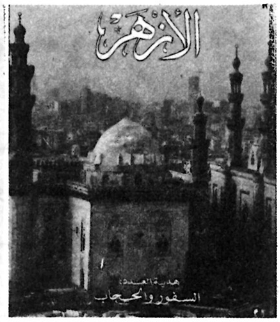
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر
فى مطلع
كل شهر عربى

رئيس التحرير
د. على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

العنوان:
إدارة الأزهر بالقاهرة
٩٠٥٤٧٣ / ٩٠٥٥٠٦

● صورة الغلاف



بسم الله الرحمن الرحيم

لن نشقى بهذه الفتوى!

كالدجاجة المصعوقة تحمل فى عنقها ختما يقول: «مذبوحة على الشريعة الاسلامية» خرجت علينا فتوى تحل للناس التعامل بالقوائم الوهمية .

تلك القوائم التى تَعِدُ حاملها بربح قدره: «عشرون ومائة وخمسة آلاف جنيه» خلال عملية حسابية معقدة التركيب لا تنزع الى عمل حلال ولا تقوم على أساس حلال .

الجزء السادس
السنة السابعة والخمسون

* جمادى الآخرة ١٤٠٥ هجرية *
* مارس ١٩٨٥ ميلادية *

لن نشقى بهذه الفتوى

وسرعان ما تلقفت العصبة الداعية الى هذه القوائم هذه الفتوى فنشرتها فى الصحف اليومية فأخذت نصف صفحة كاملا بجانب أكثر من صورة يدعى أصحابها أن هذه القوائم أزاحت همومهم وفـرجت كروبهم .

ولست أشـك فى أن صاحب هذه الفتوى لا يعلم ما وراء هذه القـوائم من تصرفات لا تمت الى الدين بصلة ، فأساء بفتواه الى الدين والى النـاس أجمعين ، قبل أن يسىء الى نفسه والى العاملين بحقل هذا الدين .

كذلك لسـت أشك فى أن فضيلة هذا المفتى قرأ الفتوى التى أصـدرها مفتى الجمهورية الرسمى الذى كانت فتواه مؤسسة على شريعة هذا الدين فيما يَحِلُّ وفيما يُحَرِّمُ فسبق الى كلمة الحق فى أمر هذه القوائم من قبـل أكثر من شهرين (١) ، وقال فضيلته :

« ان هذه القوائم عملية ابتزاز لأموال الناس ، واستيلاء عليها بطـرق غير مشروعة ، وبالتالى يكون التعامل بها غير جـائز شرعا .

وطالب فضيلة المفتى السلطات التنفيذية بالقضاء عليها (١) .

وكيف ننكر أن فيها ابتزازا ، وهى تقـوم على عمل غير مشروع وتغـرى بكسب مستحيل يتحقق ــ يوم يتحقق ــ اذا اشترى القوائم مليون شخص ، ثم تداولها من بعدهم ثلث سكان العالم ، وهو ما يستحيل تحقيقه ... وهـو ما حدث لدى الذين اشتروا هذه القوائم فخسروا أمـوالهم وتبدد طمعهم فى الثروة المرجـوة .

فهل طاف بذهن فضيلة المفتى المعقب هذا الحسبان .. ؟ .

طبعـــا : لا ..

ان الحلال بَيِّن ، والحرام بَيِّن ، وشريعة الاسلام تحل الكسب من عمـل حلال ، أو المشاركة فى عمل حلال ، وأمر الحلال المشروع لم يتوفر لهذه القوائم

---

(١) أنظر عدد ربيع الاول ١٤٠٥ هـ ــ مجلة الازهر .

مثلما توافر لها من تدبير عائلى محكم لايهام الناس بالحصول الفعلى على هذه الآلاف .

ولكم أســاءت هذه الفتوى الى العلماء حتى قالت صحيفة فى مقــال لهــا بعنوان : « عالم النصب المثير » .

« ورجال الدين تارة يؤيدون دون أســانيد مقنعــة ، وتــارة أخــرى يرفضــــــون » ..

ورجال الـــدين أبريـــاء .. !

والصحيفة كانت وقورا فى كلمتها ، ومعذورة فيها ، فقط ليتها قالت :

« وهــذا واحد من رجــال الدين يؤيد دون أســانيد مقنعة » ..

فلماذا يفعــل ... ؟

وفى الناس مغرضــون ، وهم كثير ..

فكم من مســتفت هازىء .. ؟

وكم من مستفت يريد أن يأتى المعصية بوثيقة شرعيــة .. !

وكم من مستفت رائع الدُرْبَةِ فى صياغة استفتائه بثــوب « الضرورة » حتى تبيح له « المحظور » .

وكم من مستفت يريد أن نقول له : كل « التمثيل » حلال ، وكل « الغناء » حــلال ... ! ... !

فلماذا نعطيهم دنياهم بآخرتنا .. ؟

وأين نحن حين تتمزق الوجوه وتَتَســاقَطُ أمام رسول الله ــ صلى الله عليــه وسلم ... ! ؟

قليل جدا ، أولئك الذين يستفتون ليقيموا دينهم ، ولأولئك تكــون العطية ويكــون الجــواب .

ثم بعــد .... فها نحن نرى تزايد الناس أمام آخر فتوى صــــدرت أفليس أجدر بنا ، كما تعلمنــا بين جــدران الأزهر الشريف ، ومختلف أروقته ألا نعقب على الفتوى حتى تكون الأولى مخالفة لما عليه الكتاب والسنة .. ؟

وألم نتعلم أن نقول : لعل فضيلة الشيخ أفتى ، حين أفتى ، وقد فــاته كذا ... وكذا ، فنقيم الصواب والأدب معا ... !!

لن نشقى بهذه الفتوى

وليت المعاهد الأزهرية بكل مدينة تعود الى ما كانت عليه فى هذه المدن من تخصيص لجنة مُفْتِيَة ، مثلما كان عليه الحال فى المعاهد سابقا وأعلم —

وأرجو أن أكون على صواب — أن مشيخة الأزهر الشريف لم تطلب الى المعاهد الغاء هذه اللجان التى أقبلت عليها المعاهد اسهاما منها فى التخفيف عن الناس وتفقيههم فى مشاكلهم •

حبذا لو عادت فكانت خطوة عملية فى سبيل تنظيم للفتوى لا يتطرق اليه متسلقون •

ثم بعد :

فانا نحمد الله على تبيانه الحق وأخذ الدولة به ، فعلى ضوء فتوى فضيلة مفتى الجمهورية عملت أجهزة الدولة المختلفة ، وانتهى الأمر الى مشروع أعده وزير الاقتصاد ورفع الى مجلس الدولة ليقضى على القوائم الوهمية ، وما شابهها من احتيال يستغل حاجة الناس ، ويزيدهم فقرا فى الدين وَكَلَباً على الحياة •

د. على أحمد الخطيب

دراسات قرآنية

الواحد الصمد

أكثر الناس فى القرآن الكريم

فيه شفاء للناس

الإجزاء فى معرفة الأجزاء

الواحد الصمد

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ • اللَّهُ الصَّمَدُ • لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ » •

« البيـــان »

حديثى هذا مع الـذين آمنـوا ليزدادوا ايمانا ، ومع الذين ارتابوا ليستأصلوا الريب من نفوسهم ، ويثوبوا الى رحـاب أهـل الايمان والاطمئنان •

فهى رحيبة بعيدة المدى ، تتسع لأهل الفكر الرشيد والعقل السديد ، الذين اذا ذكـروا ذكروا ، واذا أرشدوا رشدوا •

ينظر المتأمل فيرى هذا الكون الفسـيح وما فيه من جمال وجلال ، يرى من فوقه قبة زرقاء مزدانة نهارا بالشمس ترسل أشعتها على الغبراء ، فينقشع عنها ظـلام الليـل ، وتلبس حلة من النور والجمـال ، وينبعث فى أرجائها الدفء والحياة •

ويرى السماء ليلا مزدانة بمصابيح نيرات ، تهدى السـارى اذا سرى وترشـد ربان السفينة اذا مخرت ، وهى الى جـانب ذلك ذات وظائف فى الكون ، عرف بعضها العلماء ، وجهل مالا يحصى منها الباحثون •

ويرى من تحته أرضا يابسـة اذا وضـع فيها الحب وأصابها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، طعاما للآكلين ، وفاكهـة للمتفكهين ، وزهورا للمتنفسين ، وزينة لأهل الأذواق العالية ، وراحة للنفوس المكدودة •

ويرى من حوله جبالا شامخة أرسـيت بها الأرض حتى لا تميـد ، واتخذت منهـا القصور والحصون ، ورصفت بها الطـرق ، واتخـذت منها منافـع تفـوت الحصر ، ولا يحيط بها العد •

ويرى هذه اليابسـة تنتهى الى بحـار مضطربة ، تموج بها أمواج تلو أمواج ، وعلى ضفافها النسيم العليل والهواء البليل ، يلطف حرارة الجو ويريح النفـوس المكـدودة ، وينظم الأنفاس المضطربة ، وتجـرى فيهـا الزعانف والحيتان ، وحيوانات البحر الكثيرة الأنواع والألوان ، تحيـا فى جـوف الماء ، وتموت ان خرجت الى الفضاء ، بعكس سائر الحيوان ، ويكمن فى أجوافها اللؤلؤ والمرجان•

ويرى الحر اذا حمى عليـه وطيبـه ، وتصبب منه عرقه ، هب فى اثنائه نسيم عليل• أراح أنفاسه وجفف عرقه ، يرى هذا وغيره من مختلف العجائب فيقول لنفسه : هل حدث

للشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير

هذا الكون من غير محدث ؟ ، كلا فلا توجد صنعة من غير صانع ، ولا حدث بغير محدث ، !!

وهذه صنعة عظيمة فلابد لها من صانع أعظم منها ، أبدع قوانينها ، وربط مصالحها وأجزاءها ، فلم يخرج منها مقدور عن قدرته ، ولم يبعد كبير منها أو صغير عن قدرته .

ثم يقول لنفسه : ان الوجود والعدم أمران متساويان ، فلا يمكن أن يرجح الوجود على لعدم الا بمرجح ، فهل رأيت كفتى ميزان رجحت احداهما على الأخرى بدون مرجح ، فاذا قالت له كلا أجابها بأن هذا الكون كذلك ، لا يمكن أن يترجح وجوده على عدمه السابق لهذا الوجود الا بمرجح هو الذى اختار أحداثه ، وآثره على ابقائه فى حالة العدم .

واذا قلت لك ان الوجود والعدم أمران متساويان فذلك من باب التساهل معك ، والا فالحقيقة أن العدم أرجح من الوجود لسبقه عليه ، فترجيحه على العدم الذى هو أرجح منه لا يكون الا بقدرة ومشيئة قادر حكيم .

فاذا علمت هذا فماذا رأيت فى أعماقك . بعد هذا العلم ، ستقول ان كنت من المؤمنين : لقد ازددت ايمانا على ايمان .

وان كنت مرتابا فتقول : لقد كشفت لى ما كان مغطى على ، وجعلتنى موقنة بخالق هذا الكون .

تقول هذا نفس رجل ليس سادرا فى غيه ، ولا متأثرا باضلال غيره ، يستمع الى داعى الحق فى انصات ، وينفهم حججه دون التواء ودون عناء ، ويستجيب للبرهان دون لجاج ، وهذا هو الشأن فى أولى الألباب .

(وحدة الخالق)

وقد يتجه هذا المتأمل الى العالم قائلا : اتضح عندى أن لهذا الكون خالقا ، لكننى أريد أن أتبين . هل هذا الخالق واحد أم متعدد ؟.

ان الصنعة العظيمة تحتاج الى عدد من المهندسين والعمال ، لكى يحولوها من فكرة الى واقع ، وهذا الكون لا حد لعظمته ، ولا مدى لجلاله ، أفلا يحتاج الى عدد من الآلهة ومن يعاونهم ، حتى يوجد هذا الكون فى بهائه وجلاله .

فيقول له العالم : ليس الأمر كما تقول يا صاحبى ، ان صانع هذا الكون ومبدعه ليس شأنه كشأن المهندسين والعمال والمخترعين والمنفذين من طوائف البشر ، انه خالق واحد لا يحتاج الى خالق آخر يشاركه

◄

فى ابداعه ، ولا الى عمال يساعدونه فى ابراز مراده من عالم المشيئة الى عالم الوجود ، أنه يقول للشىء كن فيكون •

وان له ملائكة فى ملكه يأتمرون بأمره وينفذون مشيئته ، وليس شأنهم مع الخالق كشأن العمال مع المهندس المخترع ، فان المهندس يعجز عن تحقيق اختراعه بدون معاونة أولئك العمال الذين ليس له فى ايجادهم واتقانهم عملهم دخل •

أما الخالق فانه لا يحتاج الى هؤلاء الملائكة ، فهم من خلقه وابداعه ، خلقهم وعهد اليهم بما أراده منهم ، كمظهر من مظاهر عظمته وسلطانه •

ومن باب ربط الأسباب بالمسببات ، وفاقا لقانونه « **وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا** » ألا ترى أنه تعالى خلق هذا الكون قبل أن يخلق الملائكة ، ثم خلق الملائكة وعهد اليهم بتنفيذ مشيئته فيما كلفهم به ، تحقيقا لصفة جبروته وسلطانه على خلقه ، كما جعل الملوك حكاما على رعاياهم ، واليعسوب ملكة على النحل ، وأميرة النمل سيدة على بنات جنسها ، وغير ذلك من الطوائف •

فالكون مسلسل الطبقات ، ولكل مخلوق فيه وظيفة •

وبذلك تم ملكه على أبدع نظام وأحكم اتقان •

قال المتأمل لهذا العالم : انك تكلمت على عدم احتياج الخالق الى عمال يساعدونه ، وقد اقتنعت بذلك ، ولكنك لم تتكلم على هذا الخالق • أله شركاء يساعدونه ؟ أم أنه واحد لا يحتاج الى شريك كما لم يحتج الى عمال يساعدونه •

فيجب العالم قائلا :

أيها السائل عن الحق : ان الخالق سبحانه كما لم يحتج الى عمال يساعدونه ، فانه ليس له شريك فى ايجاد هذا الكون وتدبيره ، فان عدم احتياجه الى عمال ناشىء من استغنائه المطلق عن المعين والمساعد ، لأن قدرته ومشيئته وعلمه وحكمته ، لا يخرج عن دائرتها أى ممكن من الممكنات ، وأى مقدور من المقدورات •

ومن كان كذلك فهو بغير حاجة الى شريك يعينه ويساعده ، فلا يصح افتراض وجوده ، لأنه يكون الها وخالقا بغير عمل ، لعدم حاجة الكون اليه ، فضلا عن أنه تعالى لو كان له شريك لفسد الكون ، كما قال تعالى : « **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** » •

لأن هذا الكون العجيب لا يصح أن يكون لخالقه فيه شريك بأى حال ، ولتوضيح ما ذكرنا نقول لمن يدعى تعدد الآلهة : لا يخلو أمر هؤلاء الآلهة المتعددين من أن يكونوا مؤتلفين أو مختلفين •

فان فرض أنهم مؤتلفون وأن لكل واحد منهم قدرة وعلما ومشيئة وتدبيرا ومشيئة تماثل الآخرين ، وأن كل واحد منهم قادر على خلق هذا الكون وتدبيره وحده ، فأى حاجة الى تعددهم مع كفاية واحد منهم لذلك •

ان العقل يقتضى أن تعددهم حينئذ عبث ، والعبث على الخالق محال ، فوجب أن يكون الاله واحدا .

وان فرض أن كل واحد منهم قادر على خلق بعض هذا الكون ، ولكنه عجاز عن خلق ما فيه ، فهم يتعاونون على خلقه كله ، بأن يخلق كل منهم البعض الذى يحسنه ، ويكمل به ما يقدر عليه سواه ، وباجتماعهم يتم خلق هذا الكون .

ومثل ذلك كمثل مهندسين يقومون بانشاء مصنع ، أحدهم يقوم بالبناء وما يتصل به ، وثانيهم يقوم بانشاء آلات المصنع وتركيبها ، وثالثهم يقوم بعمل الكهرباء وبهذا يتم المصنع ؟ .

والجواب على هذا أن ابداع الكون ليس كانشاء المصنع ، فكل جزء وذرة فيه مرتبط بسواه ، بخلاف المصنع ، فالبناء فيه قائم بذاته ، وكذا الآلات والكهرباء ، ولذا يمكن أن يؤسس المصنع فى أرض بدون بناء حوله ، وأن يستعمل الكهرباء فى غير المصنع .

أما الكون كله فمرتبط بعضه ببعض ، لا يستغنى جزء فيه عن غيره ، ولذا تجد العناصر التى يتكون منها المركبات فى الكون واحدة ، والكهرباء والجاذبية فى كل جزء فيه مخلوقة معه ، ولا يمكن خلق جزء منه بغير دراية بخلق الجزء الآخر ، حتى يتم ربط بعضها ببعض بتناسب واحكام .

فمخترع الطائرة مثلا لو لم يكن قادرا على تصميمها كلها ، وعالما بخصائص كل جزء منها ، فانه لا يستطيع صنعها وتحقيق المراد منها ، لا بنفسه ولا بمساعدة من يجهل ما يعرفه هو ، كما أن الذين يقومون بتجميع أجزاء الطائرة وضم بعضها الى بعض ، لا يستطيعون ذلك الا اذا كانوا يعلمون خصائص كل جزء ، وكيفية التقائه بالجزء الآخر ، حتى يتحقق المراد من صنعها .

فاذا فرضنا فى كل اله عجزه عما يقدر عليه الآخر ، فكيف يتعاون معه وهو لا يعرف خصائص ما عنده ، وكيف تتلاءم هذه الخصائص ، وما يعرفه أحدهم لا يعرفه الآخر ، فاذا كان كل منهم يجهل ما يعرفه غيره وما دبره ، فلا يمكن تعاونهم فى ابداع أصغر مخلوق فى هذا الكون .

ويلاحظ أن أصغر جزء فى هذا الكون يحير جبابرة العقول ، فكيف بأعظمها ، ان العالم كله يدار بقوانين واحدة ، فلا يستطيع أن يخترعها وينفذها سوى اله واحد .

يعرف كل ما ينبغى لخلق كل جزء من أجزائه ، كما يعرف ارتباط أجزاء المركبات بعضها ببعض ، وارتباط الأجرام السماوية والأرضين بروابط تحفظ كيانها ، وتبقى عليها فى الفضاء بحيث لا تتهاوى ولا يحطم بعضها بعضا .

كما يعرف ما ينبغى لكل مخلوق من المادة والطاقة ، حتى يؤدى وظيفة فى هذا الكون بشكل رتيب ، حتى لا يحدث فيه خلل ، ولا يعرض غيره للفساد ، كما يعرف الوقت المناسب لخلقه وتطويره ، ويعرف الأطوار التى ينبغى أن تتعاقب عليه حتى يتم خلقه ويؤدى وظيفته ، الى غير ذلك مما لا يحصى .

الواحد الصمد

وانك لترى فى كل جزء صغير من هذا الكون طابع الوحدة وأعظم الشواهد على ما قلناه ، وحسبك الذرة التى كشف العلم فيها الكثير من العجائب التى تحير الألباب ، فانها بذلك بعظمتها على عظمة صانعها ، وأنه واحد لا شريك له .

أما التعدد فلا أثر له الا الدمار والفساد والعجز عن تحقيق المراد .

وهناك أمر ثان لا يصح وصف الاله به وهو العجز عما يصنعه سواه ، والعجز شين ينقص المخلوق فلا يصح أصلا وصف الخالق به ، فمن هنا يجب أن يكون الاله واحدا تام القدرة ، لا شريك له فى ملكه .

وان فرض كمال القدرة لكل اله ، وهم مختلفون فالخطب أعظم ، فان ذلك يفضى الى تعارضهم ، فهذا يريد أن يخلق كوكبا معينا ، وذاك لا يريده ، وهذا يريد أن يخلق انسانا وذاك لا يريد ، فهل تعتقد أنه من الممكن تحقيق هذا التعارض ، بأن يخلق الكوكب ولا يخلق ، وأن يخلق الانسان ولا يخلق .

هل تعتقد أنه يمكن اجتماع النقيضين فان قلت : كلا ، قلت اذن يستحيل وجود آلهة عديدين مختلفين ، لما يفضى اليه التعدد من التنازع وحرب كل منهم للآخر فى سبيل تحقيق مراده من الخلق والألوهية .

وهل هذا يتفق مع ما نرى عليه الكون من الكمال والنظام والاستقرار .

فمما سبق يتبين أن تعدد الاله مستحيل اتفاقا أو اختلافا ، وأنه يجب أن يكون الها واحدا تام القدرة والارادة ، لا شريك له فى ملكه بأى وجه من الوجوه .

وهذا هو الذى عرفه البدوى بفطرته ، وهو يسلك سبيله فى الصحراء ليلا ، اذ يقول : البعرة تدل على البعير ، وآثار السير على المسير ، فأرض ذات فجاج ، وسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج ، كل أولئك يدل على اله حكيم قدير عليم :

وهذا زيد بن عمرو بن نفيل رفض آلهة قومه وعبد الله وحده وقال :

تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها(١)
ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا هبلا أزور وكان ربا
لنا فى الدهر اذ حلمى صغير

وقال أمية بن أبى الصلت الشاعر الجاهلى :

البقية ص ٩٥٩

(١) يقصد بابنتها اللات ومناة .

أكثر الناس في القرآن

(٤)

للدكتور محمد محمد خليفة

وكمـا نفى الله العلم عن أكثـر الناس ، ونفى الايمان عن أكثر الناس فيما قدمنا تحت عنوان أكثر الناس فى القرآن نفى الله كـذلك الشكر عن أكثر الناس فيما يلى من الآيات :

١ ــ فضل الله على الناس عظيم ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، وقد جاء ذلك فى قصـة الذين خرجوا من ديارهم خوف المـوت حيث قال الله تعالى :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) البقرة ٢٤٣ ٠

وقد ساق الله هذه القصـة ليعتبر الناس ويتعظوا حتى يتركوا التمرد والعناد ٠

والرؤية فى قـوله : ألم تـر « علميـة » والخطاب للرسول صلى الله عليه وسـلم فى ظاهره ولا يبعـد أن يكـون لـه ولأمتـه ، والاستفهام للتقرير ٠

وتعددت الروايات فى شأن هؤلاء الـذين خرجوا من ديارهم حذر الموت :

١ ــ روى عن السدى أنهم أهل قرية نزل بها الطاعون فهرب أكثر أهلها ، وأقام بعضهم بين الوباء ثم رجع الى القرية الذين هربوا ، ثم نزل الطاعون بالقرية ثانيا فهـربوا ، ثم ناداهم ملك : أن موتوا ، فهلكـوا ، ومر بهم نبى ، فوقف يفكر ،فأوصى الله اليـه : أتريد أن أريك كيف أحييهم ، فقال : نعم ، فقيـل له :ناد أيتها العظام ان الله يأمركم أن تجتمعى فاجتمعت ثم اكتست لحما ودمـا ، ورجعت

اليهم الحياة ، ورجعوا الى قريتهم •

٢ ـ وروى عن ابن عباس : أن ملكا من بنى اسرائيل أمر عسكره بالقتال ، فخافوا القتال ، لأن الأرض التى وجههم اليها موبوءة ، وطلبوا منه أن يمهلهم حتى يزول الوباء عن تلك البلاد ، فأماتهم الله ، ثم أحياهم بعد ثمانية أيام •

٣ ـ وروى أن نبيا من بنى اسرائيل ندب قومه الى الجهاد ، فكرهوا ، فدعا الله أن يريهم آية فى أنفسهم تدل على قدرة الله ، فأماتهم الله ، ثم دعا ذلك النبى ربه أن يحييهم فأحياهم ، وعلى اختلاف الروايات فقد كان عددهم أكثر من عشرة آلاف ، لأن الألوف جمع كثرة ولا يقال فى عشرة وما دونها ألوف •

وكان حذر الموت وخوفه من أجل الطاعون المنتشر فى تلك البلاد ، أو من أجل القتال وما يقع فيه من جراح أو موت •

(**فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا**) أى أنه متى أراد ذلك لهم وقع ما أراده دون منع أو تأخير (**ثُمَّ أَحْيَاهُمْ**) بعد موتهم ليستوفوا بقية آجالهم •

(**إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ**) قد يكون المراد من الناس هنا : أولئك الألوف الذين ذكرت قصتهم وفضله عليهم أنه أحياهم وأعادهم الى الدنيا ليتوبوا ، وليتلافوا ما فاتهم فى ماضيهم قبل موتهم •

وقد يراد بالناس : العرب الذين كانوا ينكرون البعث ، وقد نبه الله اليهود الى تلك الواقعة ليذكروها للعرب المنكرين للمعاد ، لعل ذكر القصة لهم يرجعهم الى الحق وبذلك يخلصون أنفسهم من العقاب ، فذكر القصة فضل من الله عليهم حين يهديهم الى الايمان بالبعث •

(**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**) فضل الله سواء كان المراد بالناس الذين ذكروا فى القصة أو العرب الذين ينكرون البعث ، فهؤلاء وأولئك نفى الله عن أكثرهم أداء شكره على فضله عليهم •

وقد يراد بالشكر المنفى : الاعتبار والتبصر ، والمعنى : أن أكثر الناس لا يعتبرون ولا يتبصرون فى فضل الله ـ وما أكثر فضله على الناس ليقودهم الاعتبار والاتعاظ الى الحق •

***

٢ ـ اقرار يوسف بفضل الله :

أعلن يوسف لصاحبى السجن أنه يدين بملة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب ، وذلك من فضل الله حيث حكى الله قوله فى هذا الموطن :

(**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**) يوسف ٣٨ •

أعلن يوسف بهذا القول أنه من أهل بيت النبوة ، وأن أباه وجده وجد أبيه من أنبياء الله ورسله ، فهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ، ومكانة هؤلاء مشهورة معروفة فاذا عرف الناس أنه من نسل أولئك الأنبياء أكبروه ، وأثر فى

قلوبهم ما يلقيه اليهم وقوله (**وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي**) يشير الى أنه على شريعة ابراهيم وبنيه ، ثم قال : **مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ**) يشير الى أنواع الشرك كثيرة وأرباب المشركين ما أكثرها : من الأصنام والنار والكواكب والطبيعة ، فيوسف بهذه يعلن كثرة الفرق والطوائف التى تشرك بالله غيره من تلك المعبودات ، وأنه على دين الحق دين آبائه •

(وذلك) اشارة الى عدم الشرك الذى بينه فى قوله : (**مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ**) (**مِن فَضْلِ ٱللَّهِ**) ونعمته على يوسف وعلى آبائه حيث هداهم الى الحق ، واختارهم للنبوة ومن فضل الله كذلك (**عَلَى ٱلنَّاسِ**) الذين اتبعوا دينهم •

(**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**) الله على نعمة حيث أعطاهم العقول التى يفكرون بها وكان من الواجب أن تهديهم عقولهم الى الايمان برب هذه النعمة وأداء شكرها ، فأكثر الناس لا يشكرون مع أن لهم عقولهم ،ولكنهم لا يستعملونها فى الوقوف على أدلة التوحيد ، أو أن أكثر الناس لا يشكرون بمعنى أنهم لا يوحدون على الرغم من كثرة الدلائل التى تحت أبصارهم والتى تستوجب توحيده ولكنهم لا ينظرون فيها ولا يتبصرون بها ، بل يتبعون أهواءهم التى تقودهم الى الكفر وعدم الشكر •

أما القلة من الناس من أمثال يوسف وآبائه ومن على ملتهم فهم الذين يشكرون فضل الله عليهم اذ هداهم الى الايمان والعمل الصالح الذى يقتضيه هذا الايمان •

***

٣ ــ بعد أن أمر الله العباد أن يدعوه لأن فىدعائهم له اعترافا منهم بألوهيته وذلك فى قوله : (**وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ**) ثم قدم فى الآية الآتية بعض دلائل قدرته وحكمته فقال تعالى :

(**ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**) غافر ٦١ •

ان من دلائل قدرة الله وحكمته تعاقب الليل والنهار على الوجود ، فقد خلق الليل ساكنا لحصول الراحة فيه بالنوم والاستقرار، وخلق النهار مبصرا فيه أو به ليبتغوا فيه من فضل الله ما يسعدهم ومن يعولون من الأهل والاتباع •

وانه بنعمة خلق الليل والنهار وتعاقبهما وغيرهما من النعم التى لا تحصى لصاحب فضل عظيم لا يبلغه فضل غيره ، وأين فضل المرزوق وان عظم عطاؤه من فضل الرازق ؟ وعلى الرغم من كثرة أفضال الله على الخلق فان أكثر الناس لا يشكرون ، وصدق الله حين يقول : (**وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ**) •

وقد تحقق لابليس ما كان يتمنى لبنى الانسان حين قعد لهم على الصراط المستقيم يضلهم ويمنيهم ويلهيهم ويأتيهم من كل مكان حتى يثنى أكثر الناس عن شكر الله على كل فضل وقد حكى قسم ابليس وموقفه من

٥ أكثر الناس

اغواء بنى آدم فقال :

(فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) الأعراف .

وقد نفى الله عن أكثر الناس الشكر لفرط جهلهم بالمنعم ونعمه ، وفرط غفلتهم عن الاقرار بهذه النعم .

وقد كرر الله الناس فى الآية ، لأنهم على الرغم من عموم فضله عليهم جميعا فانهم اختصوا بالكفر .

***

« أكثر الناس جاحدون »

١ ــ قال تعالى :

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) الاسراء ٨٩ .

اما أن يكون المراد بالتصريف فى قوله تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) رددنا وكررنا ، وذلك فى موقف تحدى العرب الفصحاء بالقرآن المعجز : فقد تحداهم بالقرآن كله كما فى هذه الآية ، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور منه كما فى قوله تعالى : (فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ) حيث اتهموا محمدا صلى الله عليه وسلم بافتراء القرآن .

وتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة كسورة من سوره فقال : فأتوا بسورة مثله ، وتحداهم أن يأتوا بكلام من سورة واحدة يشبه كلامه فقال : فليأتوا بحديث مثله والمعنى فى كل أنهم تحداهم ، وأنهم عجزوا فى كل مرتبة من مراتب التحدى ، ومع هذا العجز فقد أصروا عنادا وأبوا الا الكفر والجحود .

ولفظ أبى فى الآية يدل على النفى والمعنى : فلم يرضوا الا كفورا .

واما أن يكون المراد بالتصريف فى الآية : الاخبار ، بمعنى انا أخبرناهم فى القرآن كثيرا عما وقع للأقوام الذين كذبوا رسل الله وأنبياءه من مثل قوم نوح وعاد وثمود من الابتلاء والتنكيل ، وعلى الرغم من كل ما رددنا وكررنا من أخبار أولئك المكذبين وما حاق بهم ، فان كفار مكة لم ينتفعوا بما أخبرنا به وظلوا مصرين على الكفر .

واما أن يكون المراد بالتعريف تكرير ذكر دلائل التوحيد فى هذا القرآن ، وذكر شبهات منكرى النبوة والبعث ، وارداقها بالدلائل الحاسمة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من أخبار البعث والحساب والجزاء .

وعلى الرغم من ذكر كل تلك الدلائل وتكرارها فان كفار مكة مازالوا يصرون على العناد والكفر .

والمراد بأكثر الناس فى قوله (فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) : أهل مكة ، فقد أصروا على جحود الحق على الرغم من ظهور أدلة ذلك الحق وتكرارها فى أكثر من موضع من القرآن والمراد بالمثل فى قوله : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ) : كل معنى

عظيم كالمثل فى الحسن والغرابة والتأثير فى النفوس .

٢ ــ وقال تعالى : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) الفرقان ٥٠ .

قال الله تعالى فى الآية السابقة على هذه :

(وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا . لِنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا)

ثم جاءت هذه الآية : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ) .

وقد اختلف فى مرجع الهاء فى قوله : (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ) :

١ ــ فقيل : يرجع الى المطر فى قوله : (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) ومعنى صرفناه على هذا :

(أ) اما أن يكون : أجريناه فى الأنهار والوديان فانتفع به فى الشرب والزراعة وكل ما يحتاج اليه .

(ب) واما أن يكون : أنزلناه فى مكان دون مكان وفى عام دون عام أى أن الله يصرفه فى الأمكنة والأزمنة حسب مشيئته .

٢ ــ وقيل : يرجع الضمير الى كل ما ذكر من الأدلة فى الآيات السابقة : من المطر والرياح والسحاب والمعنى : صرفنا البرهان وذكرنا الدليل الذى يدل على قدرة الله وعلمه وحكمته .

٣ ــ وقيل : يرجع الضمير الى القول الذى أنزل على الرسل فى الكتب والصحف ، وهو ذكر انشاء السحب وانزال المطر ، وقد صرفناه أى القول وذكرناه ليتفكر الناس ، ويستدلوا به على الصانع الحكيم ثم قال تعالى بعد أن أورد صرفناه على تلك المعانى التى تقدمت : (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) وقد يراد بالكفور هنا : جحود النعم حيث لم يتفكروا فيها ، ولم يأخذوا منها دليلا على وجود الخالق القادر .

وقد يكون المراد بالكفور : الكفر : لأنهم يرجعون انزال المطر الى الأنواء ، فهم كفروا بأن الله هو المنعم ، وأضافوا النعم الى الأفلاك والكواكب ، حيث يقولون : مطرنا نبوء كذا وكذا ، وهكذا يصف الله أكثر الناس بالجحود حين يجحدون النعم ، فلم يتفكروا ليستدلوا بها على وجود المنعم ، أو يصفهم بالكفر حين يرجعون نعمة المطر الى الأفلاك والكواكب ولا يرجعونها الى رب الأفلاك والكواكب ورب كل نعمة فى الوجود .

وما أكثر الجاحدين للنعم والكافرين برب النعم فى مختلف الدهور والأقطار وصدق الله العظيم بخلقه حين يقول : وقليل من عبادى الشكور .

تم البحث

د. محمد محمد خليفة

فيه شفاء للناس

فى كل شىء من الموجودات ، وكل جارحة من المخلوقات ، وكل ذرة من الجمادات الكثير والرائع من الدلائل والشواهد والبراهين على قدرة الحق سبحانه وتعالى وانفراده بالوحدانية ، فما أعظم قول الشاعر :

وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

******

وتتجلى آية الاعجاز فى أعظم صورها ودقيق اشارتها فى (عسل النحل) حيث جمع كل ما يحتاجه بدن الانسان من فوائد ومنافع جمة يتعذر علينا احصاؤها أو حصر عطائها لجنس البشر .

قال تعالى : « **ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ** » النحل (١٦/٦٩) .

والذى يلفت الأنظار اليه أن النحل يأكل من كل الثمرات وهذا معناه أنه يأكل المر والحامض والحلو من الأزهار ثم يتعهد ما يأخذه من عصيرها بالتحوير والتحويل الى عسل حلو المذاق ، عطرى النكهة ، جميل الطعم .

ولا ريب أن أى نفس مفطورة على أن تعاف شيئا وتقبل بشهيتها على آخر الأمر سواء فى المأكولات والمشروبات ، ولا نجد فى عالم الطبائع ما يقبل كل المأكولات أو كل المشروبات فهذا ما لم تقره دراسات أو بحوث علمية أو نفسية أو غيرها .

واختلف الناس فى قوله تعالى (**فيه شفاء للناس**) هل الضمير فى (فيه) راجع الى الشراب ، أم راجع الى القرآن ؟ على قولين :

الصحيح أنه راجع الى الشراب ، وهو قول ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأكثرين ، ولا ذكر للقرآن فى الآية ليعود الضمير اليه . والله أعلم .

(يراجع زاد المعاد ط . مؤسسة الرسالة (٤ / ٣٦) بتصرف) .

وقد توهم البعض ـ وهم مخطئون فى ذلك ـ أن له أضرارا جانبية لكنا ـ نحن الأطباء ـ نقرر أن ذلك مما لم تقم عليه حجة علمية أو دليل طبى بدراسة جادة .

راجع فى تفصيل ذلك الفخر الرازى الكبير (٢٠/٧٢) والتعليق على ذلك من مختصر ابن كثير (٢/٣٣٦) .

وقد ذكره الفراعنة فى عتيق مخطوطاتهم فى أحد قبور (طيبة) حيث وجد قربان من أقراص النحل يرجع الى الأسرة الثامنة عشرة

للدكتور السيد الجميلى

عام (٢٥٠٠) قبل ميلاد المسيح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام •

وقد سماه الفراعنة الأقدمون « شراب الآلهة » لأنه عالج كثيرا من الأمراض فى مصر القديمة ، ومزجوه بطعامهم وشرابهم واستعملوه فى تحنيط الموتى ، و حفظ الأطعمة لسكان القبور ردحا من الزمان •

راجع فتح البارى (١٢/٢٤٥) ط الحلبى سنة ١٩٥٩ م ، والمعتمد ص ٣٢٤ بتصرف وأرجو أيضا مراجعة كتاب •

Foods for Home and School, By Carlottac Greer, BOSTON, NEW YORK CHICAGO, 1950, P. (11)

محتويات العسل :

ويحتوى العسل الابيض على ٧٩٫٥٪ من المواد الكربوايدراتيه Carbohydrates أكثرها سكر الفواكه المسمى الفركتور Fructose كما أن به ٣٫٠٪ بروتينات فضلا عن ٠٫٥٪ مواد معدنية منها الحديد والبوتاسيوم والكبريت والفوسفور •

كما أنه يمد الجسم بالطاقة التى تصل الى ٣٠٥ سعرا •

فهم خاطىء :

ويحرم كثير من مرضى البول السكرى Diabetes Mellites أنفسهم من عسل النحل فترة طويلة معتقدين أن فيه خطرا على حالتهم لانه — فى نظرهم — قد يزيد معدل الجلوكوز فى الدم ولكن هذا وهم خاطىء يقع فيه الكثير منهم وهم يعزون هذا الفهم الى القياس علي العسل الاسود وهو قياس فاسد لأن العسل يحتوى على كميات كبيرة من « الجلوكوز » « والسكروز » على النقيض من العسل الابيض •

من ناحية أخرى فان القناة الهضمية للانسان لا يوجد فيها انزيم الفركتيز Fructase Enzyme المنوط به تحويل الفركتوز الى جلوكوز ، من ثم فلا خوف ولا فزع ولا خطر من استعمال العسل الابيض لمرضى البول السكرى ، وهذه النصيحة نلفت النظر اليها حتى لا يحرم الناس أنفسهم مما ساقه الله سبحانه وتعالى اليهم من الفضل والمعافاة •

غش العسل :

لكن المصيبة الكبرى تأتى من غش العسل الابيض حيث يعمد بعض التجار الى اضافة محاليل سكرية كثيرة اليه مثل محلول الدكسترين أو الجلوكوز •

فلابد أن يتحرى المريض الدقة فى اختيار البائع الأمين أو التحرى عن مصدر هذا

٧ فيه شفاء للناس

العسل من الثقاة من التجار •

ومما لفت نظرى قول الحكيم العربى الرازى عنه فى كتابه (الحاوى) عندما تحدث عن علاج حصو الكلى اذ يقول : —

« يطبخ ورق الخبازى البرى ،ويجعل فى طبيخه سمن وعسل فيشفى منه شىء كثير فى نوبة وجع الكلى ، فانه يزلق الحصى ، ويدر البول وينفع عسر البول والقولنج » أهـ •

راجع طب الرازى دراسة وتحليل لكتاب الحاوى ص ١٠٨ بتحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد عبد الحليم العقبى بتصرف •

من فوائده :

واثارة العسل النحل وغذاء الملكات للرغبة الجنسية Sexual desire أمر متطوع به ، ومسألة مجربة مما يجعله أكثر مناسبة للشيوخ وممن يعانون من العنة Impotence فى أغلب الأحوال •

المعتمد ص ٣٢٤ ط الحلبى بتصرف وزيادة•

ويقول فيه الملك المظفر : « ولا أنفع منه للبدن » أهـ •

نكهته :

ويعزو المتخصصون هذه النكهة العطرية الجميلة للعسل الابيض الى انواع الرحيق الزهرى الذى تحصل عليه النحلة ، ومن المحتمل أن تتأثر بالحرارة العالية فتقلل من درجتها وشأنها •

راجع كتاب :

FOODS, BY: Justin, Rust, and Vail, Paqe, 282, 283, 3rd edition BOSTON, NEW YORK, 1948.

الطب النبوى :

وقد أعطانا الطب النبوى بيانا شافيا وتوضيحا لا مزيد عليه لآثار العسل الابيض وفوائده العظيمة فقد قال صلى الله عليه وسلم : —

« عليكم بالشفاءين العسل والقرآن » قال ابن كثير رحمه الله :

اسناده جيد ، تفرد به ابن ماجه مرفوعا (٣٤٥٢) والحاكم (٤ / ٢٠٠) من حديث أبى اسحق ، عن ابى الاحوص ، عن عبد الله ابن مسعود وصححه ووافقه الذهبى ، وهو كما قالا الا أن غير واحد من الثقات وقفه على ابن مسعود ، وقد صحح وقفه عليه البيهقى فى دلائل النبوة •

وقد ورد عن ابن كثير فى تفسير قوله تعالى (**فيه شفاء للناس**) قوله (أى يصلح لكل من الأدواء الباردة ، لأن حار الشىء يداوى بضده) أ هـ •

ابن كثير (٢/٥٧٥) ط • الحلبى •

وقال سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « الشفاء فى ثلاثة ، فى شرطة محجم أو جرعة عسل أوكية بنار ، وما أحب أن أكتوى » •

فتح البارى السابق « ١٢/٢٤٥ » •

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها

قالت انه صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلوى والعسل .

فتح البارى السابق (١٢ / ٢٤٥) .

وقد ورد فى الصحيحين ، من حديث أبى المتوكل عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان أخى يشتكى بطنه (وفى صحيح مسلم « عرب » بطنه) وفى رواية (استطلق بطنه) فقال : اسقه عسلا ، فذهب ثم رجع ، فقال سقيته فلم يغن عنه شيئا — وفى رواية « سقيته فلم ينجع » — وفى لفظ (فلم يزده الا استطلاقا مرتين أو ثلاثا — كل ذلك يقول له : اسقه عسلا فقال له فى الثالثة أو الرابعة : صدق الله وكذب بطن أخيك) .

أخرجه البخارى (١٠ / ١١٩) فى الطب : باب الدواء بالعسل ، ومسلم (٢٢١٧) فى السلام ، باب التداوى بالعسل ، وقد أسهب القول فيه الامام ابن القيم فى كتابه زاد المعاد (٤/٣٣) ط . الرسالة .

نستطيع أن نقول بعد هذا المجمل ان فى عسل النحل كثيرا من المنافع التى لا يحتويها سفر جامع ، فهو نافع للأمراض الباطنة والظاهرة ومناسب لأمراض الجهاز الهضمى ولكثير من مرضى الصدر وموافق لمرضى القلب ، وهو عون أى عون على تقوية أعصاب الشيوخ واعادة الجدة والحيوية لأبدانهم ، كما أنه نافع ، للمحمومين والناقهين والأطفال فى سنى النمو الأولى ، والمراهقين والحوامل والمرضعات . وكثير من الأمراض الجلدية والتناسلية وأمراض العيون والقروح المختلفة ، والجراحات الغائرة تستجيب للغذاء بعسل النحل والتداوى به موضعيا لأن له تأثيرا وفاعلية مدمرة للميكروبات الضارة المؤذية ، وقانا الله شرها .

وكثير من الأمراض الفتاكة الهادمة لبنية الانسان انما تنجم عن ميكروبات لا مرئية ، وهذه أنواع وفصائل شتى مختلفة الفصائل والطبائع لكن عسل النحل يدمر كثيرا من هذه الخلايا العاتية المؤذية . وما سردناه عن فوائد عسل النحل انما هو قطرة من بحر بلا قاع ولا ساحل له ، ونرجو من قارئنا العفو عن السهو أو الخطأ أو النسيان .

ننتهى الى خلاصة جامعة موجزة وهى أن الله سبحانه وتعالى قد وسع كل شىء رحمة وعلما .

فقد خلق الانسان فى أحسن تقويم ، ومكن له فى الأرض وجعل له فى أثنائها ما يقيم كيانه ويذود عنه غوائل الفتور والخور ، وخلق أعداءه الكثير من الكائنات المتوحشة ، ومن الاكثر وحشية وفتكا من المخلوقات اللامرئية وهى لا تقل عن الأولى ضراوة وهدما وجعل لكل داء دواء وجعل لكل نائبة مخرجا ، وذلك حتى يقيم الحجة على عباده يوم القيامة اذ لولا قيوميته على مخلوقاته وتسخيره الكون وما فيه لخدمة الانسان لتعذرت عليه الحياة والسعادة . اللهم نسألك أن تنير بصائرنا وأن تلهمنا الصواب والسداد والتثبيت على جادة السواء والاستقامة .

السيد الجميلى

الإجزاء في معرفة الأجزاء

للإمام إبراهيم لابن عمر الجعبري

أجزاء ستين :

اجزاء ستين : وهى انصاف الثلاثين المعرض على أئمة الأدآء باسنادى الى الدانى عن ابى الفتح قال :

الأول بالبقرة « من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » الثانى « عما يعملون » الثالث « والله سريع الحساب » . الرابع : « وانك لمن المرسلين » .

الخامس بآل عمران : « والله عنده حسن المآب » السادس : « وما لهم من ناصرين »

السابع « ولا هم يحزنون » . الثامن : بالنساء : « وكان الله غفورا رحيما » . التاسع « على كل شيء حسيبا » . العاشر : « وكان الله شاكرا عليما » الحادى عشر بالمائدة « فانا داخلون » ص١٥١ ا أو : فلا تأس على القوم الفاسقين » . الثانى عشر : ولكن كثيرا منهم فاسقون » . الثالث عشر بالأنعام : « بآيات الله يجحدون » أو : فلا تكونن من الجاهلين : الرابع عشر : « ويذرهم فى طغيانهم يعمهون » . الخامس عشر آخر الأنعام « وانه لغفور رحيم » أو بالأعراف : « أوهم قائلون » . السادس عشر : « وأنت خير الحاكمين » . السابع عشر : « انا لا نضيع أجر المصلحين » . الثامن عشر بالانفال « نعم المولى ونعم النصير » . التاسع عشر بالتوبة : « ولو كره المشركون » . العشرون : « ألا يجدوا ما ينفقون » الحادى والعشرون بيونس : « الى صراط مستقيم » و « وضل عنهم ما كانوا يفترون » . الثانى والعشرون آخرها . وهو خير الحاكمين أو بهود « بذات الصدور » . الثالث والعشرون : « وما هى من الظالمين ببعيد » أو : « الحليم الرشيد أو : « رحيم ودود » الرابع والعشرون بيوسف : « لا يهدى كيد الخائنين » الخامس والعشرون بالرعد : « وبئس المهاد » . السادس والعشرون آخر ابراهيم : « وليذكر أولوا الألباب السابع والعشرون بالنحل : « ويفعلون ما

يؤمرون » الثامن والعشرون آخرها : « والذين هم محسنون » . التاسع والعشرون بـ « سبحان » خلقا جديدا » الثلاثون بالكهف شيئا نكرا الحادى والثلاثون بمريم : « ويأتينا فردا » أو آخرها أو : « تسمع لهم ركزا » الثانى والثلاثون آخر طه : « ومن اهتدى » . الثالث والثلاثون آخر الانبياء : « على ما تصفون » . الرابع والثلاثون آخر الحج : « ونعم النصير » . الخامس والثلاثون بالنور « تواب حكيم » أو رؤوف رحيم » . السادس والثلاثون بالفرقان : « وكان ربك بصيرا » السابع والثلاثون بالشعراء : « لهو العزيز الرحيم » أو بعدها بنوح : « فاتقوا الله وأطيعون » . الثامن والثلاثون بالنمل : « بل أنتم قوم تجهلون » .

التاسع والثلاثون بالقصص : ان الله لا يهدى القوم الظالمين » .

الأربعون بالعنكبوت : « والله يعلم ما تصنعون » . الحادى والأربعون بلقمان : « فى ضلال مبين » « ويدعوهم الى عذاب السعير » . الثانى والأربعون بالأحزاب : « وكان ذلك على الله يسيرا » . الثالث والاربعون . بسبأ وهو العلى الكبير أو ولا يستقدمون » . الرابع والأربعون بيس : « وجعلنى من المكرمين » .

الخامس والاربعون بالصافات : « الى يوم يبعثون » السادس والاربعون بالزمر : « عند ربكم تختصمون » .

السابع والأربعون بغافر : « يرزقون فيها بغير حساب » . الثامن والأربعون بفصلت : « وما ربك بظلام للعبيد » . التاسع والأربعون بالزخرف : « على آثارهم مهتدون » أو فهم به مستمسكون » أو : « فانظر كيف كان عاقبة المكذبين » .

الخمسون آخر الجاثية : « وهو العزيز الحكيم » الحادى والخمسون بالفتح : « ومن يتول يعذبه عذابا اليما » الثانى والخمسون بالذاريات : « انه هو الحكيم العليم » . الثالث والخمسون آخر القمر : « عند مليك مقتدر » الرابع والخمسون آخر الحديد : « والله ذو الفضل العظيم » .

الخامس والخمسون آخر الصف : « فأصبحوا ظاهرين » السادس والخمسون آخر التحريم : « وكانت من القانتين » . السابع والخمسون آخر نوح : « الا تبارا » . الثامن والخمسون آخر والمرسلات : « بعده يؤمنون » التاسع والخمسون آخر الطارق وأمهلهم رويدا . الستون آخر القرآن « من الجنة والناس » .

أجزاء مائة وعشرين :

وهى انصاف الستين وأرباع الثلاثين لتحرير القرآن والروايات على شيوخ الاقرا

(١) اى الاسراء .

كتاب الإجزاء فى معرفة الأجزاء .

باسنادى الى الدانى عن خلف بن ابراهيم قال محمد بن عبد الله الأصفهانى كل جزء الفان وثمانماية وسبعون حرفا الأول بالبقرة: « واياى فارهبون » . الثانى : « ما يسرون وما يعلنون » . الثالث : « فقد ضل سواء السبيل » الرابع : « يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » .

الخامس : « لفى شقاق بعيد » . السادس « واعلموا أنكم اليه تحشرون » . السابع : « وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون » . الثامن « وانك لمن المرسلين » . التاسع : « ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

العاشر بآل عمران : « فان الله سريع الحساب » . الحادى عشر : « وما لهم من ناصريين » . الثانى عشر : « وما كان من المشركين » . الثالث عشر : « والله يحب المحسنين » . الرابع عشر : « فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين » .

الخامس عشر بالنساء : « حوبا كبيرا » . السادس عشر : « خير لكم والله غفور رحيم» السابع عشر : « وندخلهم ظلا ظليلا » . الثامن عشر : « ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا » . التاسع عشر : « ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

العشرون : « ان يتخذوا بين ذلك سبيلا » . الحادى والعشرون بالمائدة « شديد العقاب » الثانى والعشرون : « انما يتقبل الله من المتقين » . الثالث والعشرون : « فأصبحوا خاسرين » . الرابع والعشرون : « أولئك أصحاب الجحيم » .

الخامس والعشرون : « عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » . السادس والعشرون بالأنعام : « ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » . السابع والعشرون : « عذاب أليم بما كانوا يكفرون » . الثامن والعشرون: « لا اله الا هو وأعرض عن المشركين » . التاسع والعشرون : « قد ضلوا وما كانوا مهتدين » الثلاثون بالأعراف : « فأولئك هم المفلحون » .

الحادى والثلاثون : « لم يدخلوها وهم يطمعون » . الثانى والثلاثون : « ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين » . الثالث والثلاثون : « اذا هم ينكثون » . الرابع والثلاثون : بما كانوا يظلمون » .

الخامس والثلاثون : « انه عليم » . السادس والثلاثون بالأنفال : « أولئك هم الخاسرون » . السابع والثلاثون آخرها : « ان الله بكل شىء عليم ». الثامن والثلاثون بالتوبة : « فذوقوا بما كنتم تكتزون » التاسع والثلاثون : « ولهم عذاب مقيم » . الأربعون قبل : « وممن حولكم » « ذلك الفوز العظيم » .

الحادى والأربعون بيونس « ان هذا لسحر مبين » . الثانى والأربعون : « فما لكم كيف تحكمون » . الثالث والأربعون : « بكل ساحر عليم » . الرابع والأربعون بهود : « والله على كل شىء وكيل » .

الخامس والأربعون : « وما نحن لك بمؤمنين » السادس والأربعون : « انى معكم رقيب » . السابع والأربعون بيوسف :

« ولكن أكثر النـاس لا يعلمون » • الثـامن والأربعون : « فعرفهم وهم له منكرون » • التاسع والأربعون : « توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » •

الخمسون بالرعد : « ولهم سوء الدار » • الحادى والخمسون بابراهيم : « ومن ورائه عذاب غليظ » • الثانى والخمسون بالحجر :

« من كل شيطان رجيم » • الثالث والخمسون بالنحل : «ولو شاء لهداكم أجمعين » الرابع والخمسون : «مسودا وهو كظيم » • الخامس والخمسون : « ولهم عذاب عظيم » السادس والخمسون بسبحان : « وكـان الانسـان عجولا » • السابع والخمسون : « وما نرسل بالآيات الا تخويفا » • الثامن والخمسون : « ونزلناه تنزيـلا » • التاسـع والخمسون بالكهف : « لأجدن خـيرا منها منقلبـا » •

الستون : « ما لم تستطع عليه صبرا » • الحادى والستون بمريم : « واتبعون هـذا صراط مستقيم » • الثانى والستون بطـه : « له الحسنى » • الثالث والستون : « مـن قومك يا موسى » • الرابع والستون بالأنبياء «فليأتنا بآية كما أرسل الأولون » •

الخامس والستون : « ان كنتم فاعلين » • السادس والستون بالحج : « ولاكتاب منير » السابع والستون : « كألف سنة مما تعدون » • الثامن والستون بالفلاح (١) : « وعليهـا وعـلى الفلك تحملون » التـاسع والستون : « وانهم لكاذبون » •

السبعون بالنور : « لهم مغفـرة ورزق كريم » • الحـادى والسبعون بعـد ذلك : فأولئك هم الفائزون » • الثانى والسـبعون بالفرقان : « ياليتنى اتخـذت مع الرسـول سبيلا » • الثالث والسبعون بالشعراء : « انا معكم مستمعون » • الرابع والسبعون بعاد: « فاتقوا الله » • الخامس والسبعون بالنمل» « لعلكم تصطلون » • السادس والسبعون : « فساء مطر المنذرين » • السابع والسبعون بالقصص : « قال هذا عـدو مضل مبين » • الثامن والسبعون : « وهو أعلم بالمهتدين » •

التاسع والسبعون بالعنكبوت : « بأعلم بما فى صدور العالمين » •

الثمانون : « وكفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون » • الحادى والثمانون بالـروم : « اذا هم يشركون » • الثـانى والثمـانون بلقمان : « لصوت الحمير » الثالث والثمانون بالأحزاب : « بما تعملون خبـيرا » الرابـع والثمانـون : « مغفرة وأجـرا عظيمـا » • الخامس والثمانون آخرها « وكان الله عفورا رحيما » السادس والثمانون بسبأ : « فأولئك فى العذاب محضرون » • السابع والثمـانون بفاطر : « وغرابيب سود » • الثامن والثلاثون بيس : « ومما لا يعلمون » التاسع والثمانون بالصافات : « أولئك لهم رزق معلوم » •

التسعون : « لهم المنصورون » • الحادى والتسـعون بص : « اذ يختصـمون » • الثانى والتسعون بالزمـر : « ذلـك جـزاء المحسنين » • الثالث والتسـعون بغـافر : «تقلبهم فى البلاد » • الرابع والتسـعون :

(١) أى المؤمنون •

« نصيبا من النار » الخامس والتسعون بفصلت : « فهم يوزعون » • السادس والتسعون بالشورى : « الله العزيز الحكيم » السابع والتسعون : « هل الى مرد من سبيل» الثامن والتسعون بالزخرف : « اذا هم منها يضحكون » التاسع والتسعون بالدخان : « ولاهم ينصرون » • المائة بالأحقاف : « وهم عن دعائهم غافلون » الحادى والمائة بمحمد ﷺ : « كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم » الثانى والمائة بالفتح : « وكنتم قوما بورا »• الثالث والمائة بالحجرات : « ان الله عليم خبير » • الرابع والمائة بالذاريات : « العذاب الأليم » • الخامس والمائة بالنجم : « ولم يرد الا الحياة الدنيا » السادس والمائة بالرحمن قبل أن يسأله « فأى آلاء ربكما تكذبان » السابع والمائة بالواقعة : « فلولا ان كنتم غير مدينين » • الثامن والمائة بالحديد آخرها : « والله ذو الفضل العظيم » • التاسع والمائة بالحشر : « أولئك هم الصادقون » •

العاشر والمائة آخر الممتحنة : « من أصحاب القبور » الحادى عشر والمائة بالتغابن : « ولهم عذاب أليم » • الثانى عشر والمائة بالتحريم « وبئس المصير » • الثالث عشر والمائة بـ « ن » « فهم يكتبون • الرابع عشر والمائة بنوح : « ويجعل لكم أنهارا » •

الخامس عشر والمائة بالمدثر : «فقتل كيف قدر » • السادس عشر والمائة بالمرسلات : « ليوم الفصل » • السابع عشر والمائة بعبس: « وصاحبته وبنيه » • الثامن عشر والمائة آخر الطارق : « فمهل الكافرين أمهلهم رويدا » • التاسع عشر والمائة باقرأ : «أو أمر بالتقوى »

العشرون والمائة آخر القرآن : « من الجنة والناس » •

اجزاء مائتين وأربعين •

وهى أنصاف مائة وعشرين وأرباع الستين وأثمان الثلاثين لتجويد القرآن على الشيوخ ولجمع مفردات القرآن والروايات والطرق عليهم باسنادى الى الدانى • الأول بالبقرة : «وهم فيها خالدون » • الثانى : « مع الراكعين » • الثالث : « بما كانوا يفسقون » الرابع قبل : « أفتطمعون » « عما تعملون »•

الخامس : « وللكافرين عذاب مهين » • السادس « والله ذو الفضل العظيم » السابع « وبئس المصير » • الثامن قبل : « سيقول السفهاء » « عما كانوا يعملون » • التاسع « وأولئك هم المهتدون » •

العاشر : « لفى شقاق بعيد » • الحادى عشر « وأنتم تعلمون » • الثانى عشر « سريع الحساب » • الثالث عشر • « والله غفور رحيم » الرابع عشر « والله يعلم وأنتم لا تعلمون » • الخامس عشر « واعلموا أن الله سميع عليم » السادس عشر : « وانك لمن المرسلين » • السابع عشر : « ولا هم يحزنون » • الثامن عشر « بما تعملون خبير » التاسع عشر : « بما يعملون عليم » •

العشرون بآل عمران : « والله عنده حسن المآب » • الحادى والعشرون : « لا يحب الكافرين » • الثانى والعشرون : « هذا صراط

مستقيم » • الثالث والعشرون : « والله ذو الفضل العظيم » ، الرابع والعشرون : « وما لهم من ناصرين » • الخامس والعشرون : « ترجع الأمور » • السادس والعشرون • : «لعلكم ترحمون » • السابع والعشرون : « والله ذو فضل على المؤمنين » الثامن والعشرون : « ولاهم يحزنون » • التاسع والعشرون : « الا متاع الغرور » • الثلاثون : « لعلكم تفلحون » الحادى والثلاثون بالنساء : « وسيصلون سعيرا » الثانى والثلاثون : «ان الله كان غفورا رحيما» الثالث والثلاثون : « عليما خبيرا » الرابع والثلاثون : « وندخلهم ظلا ظليلا » •

الخامس والثلاثون : « وكفى بالله عليما » السادس والثلاثون : « على كل شىء حسيبا » السابع والثلاثون : « عفوا غفورا » • الثامن والثلاثون : « عليك عظيما » • التاسع والثلاثون : «سميعا بصيرا » •

الأربعون : « شاكرا عليما » الحادى والأربعون : « عزيزا حكيما » الثانى والأربعون بالمائدة : « شديد العقاب » الثالث والأربعون : « فليتوكل المؤمنون » •

الرابع والأربعون : « فلا تأس على القوم الكافرين » • الخامس والأربعون : « والله على كل شىء قدير » • السادس والأربعون « من الناس لفاسقون » السابع والأربعون : « بما كانوا يصنعون » • الثامن والأربعون « ولكن كثيرا منهم فاسقون » • التاسع والأربعون : « اليه تحشرون » •

الخمسون « القوم الفاسقين » • الحادى والخمسون بالأنعام : « ما يلبسون » • الثانى والخمسون : « من الجاهلين » الثالث والخمسون : « أعلم بالظالمين » الرابع والخمسون : « الحكيم الخبير » • الخامس والخمسون : « ما كنتم تزعمون » السادس والخمسون : « فى طغيانهم يعمهون » السابع والخمسون : « فهو وليهم بما كانو يعملون » الثامن والخمسون : « انه حكيم عليم » • التاسع والخمسون : « بربهم يعدلون » •

الستون : « وانه لغفور رحيم » الحادى والستون بالأعراف : « يحسبون أنهم مهتدون » الثانى والستون : « وهم يطمعون » الثالث والستون : « قوما عمين » • الرابع والستون : « وأنت خير الحاكمين » الخامس والستون : « ساحر عليم » السادس والستون : « بلاء من ربكم عظيم » السابع والستون : « وأنت خير الغافرين » الثامن والستون : « انا لا نضيع أجر المصلحين » التاسع والستون : « لنكونن من الصالحين »

السبعون بالأنفال : « ورزق كريم » • الحادى والسبعون : «وان الله مع المؤمنين »

الثانى والسبعون : « ونعم النصير » • الثالث والسبعون : « وان الله سميع عليم » • الرابع والسبعون : « ان الله بكل شىء عليم »

الخامس والسبعون بالتوبة : « من المهتدين » السادس والسبعون : « ولو كره المشركون » • السابع والسبعون : « مع القاعدين » الثامن والسبعون : « والله عليم حكيم » التاسع والسبعون : « ولا نصير » الثمانون : « الا يجدوا ما ينفقون » •

الحادى والثمانون : « والله عليم حكيم ». الثانى والثمانون : « لعلهم يحذرون » الثالث والثمانون : بيونس « ان الحمد لله رب العالمين » الرابع والثمانون : « ما كانوا يفترون » الخامس والثمانون : « ولا يستقدمون » . السادس والثمانون : « بما كانوا يكفرون » . السابع والثمانون : « العذاب الأليم » . الثامن والثمانون : « وهو خير الحاكمين » التاسع والثمانون بهود : هم فيها خالدون » .

التسعون : « معه الا قليل » . الحادى والتسعون : « انه قريب مجيب » . الثانى والتسعون : « وما هى من الظالمين ببعيد ». الثالث والتسعون : « فعال لما يريد » . الرابع والتسعون بيوسف : « ان ربك عليم حكيم » الخامس والتسعون : « كنت من الخاطئين » السادس والتسعون : « لا يهدى كيدى الخائنين » . السابع والتسعون : « وفوق كل ذى علم عليم » الثامن والتسعون « انه هو العليم الحكيم » . التاسع والتسعون بالرعد : « لقوم يعقلون » . المائة : « وبئس المهاد » الحادى والمائة : « لايخلف الميعاد » الثانى والمائة بابراهيم : « فليتوكل المتوكلون » . الثالث والمائة

الرابع والمائة : « وليتذكر أولوا الألباب » الخامس بالحجر : « وما هم منها بمخرجين » السادس والمائة : « حتى يأتيك اليقين » السابع والمائة بالنحل : « انه لا يحب المستكبرين » . الثامن والمائة : « ويفعلون ما يؤمرون » . التاسع والمائة : « وأنتم لا تعلمون » العاشر والمائة « لعلكم تذكرون »

الحادى عشر والمائة : « أولئك هم الخاسرون » . الثانى عشر والمائة : « والذين هم محسنون » الثالث عشر والمائة بسبحان : « فتقعد مذموما مخذولا » . الرابع عشر والمائة : « لمبعوثون خلقا جديدا » الخامس عشر والمائة : « علينا به تبيعا » . السادس عشر والمائة : « لاكفورا » السابع عشر والمائة بالكهف : «من أمركم مرفقا » . الثامن عشر والمائة : « وحسنت مرتفقا » التاسع عشر والمائة : « المضلين عضدا » .

العشرون والمائة : « لقد جئت شيئا نكرا ». الحادى والعشرون والمائة : « وكان وعد ربى حقا » . الثانى والعشرون والمائة بمريم : « شيئا فريا » . الثالث والعشرون والمائة : « بكرة وعشيا » . الرابع والعشرون والمائة : « أو تسمع لهم ركزا » . الخامس والعشرون والمائة بطه : « كل شىء خلقه ثم هدى » السادس والعشرون والمائة : « وعمل صالحا ثم اهتدى » . السابع والعشرون والمائة : « به علما » الثامن والعشرون والمائة : « ومن اهتدى » التاسع والعشرون والمائة بالأنبياء : « كذلك نجزى الظالمين » .

الثلاثون والمائة « أفأنتم له منكرون » الحادى والثلاثون والمائة « فأغرقناهم أجمعين » الثانى والثلاثون والمائة :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » الثالث والثلاثون والمائة بالحج : « يفعل ما يشاء » . الرابع والثلاثون والمائة : « ولله عاقبة

الأمور » الخامس والثلاثون : « لعليم حليم » السادس والثلاثون والمائة : « ونعم النصير » السابع والثلاثون والمائة بالمؤمنون : « وما نحن له بمؤمنين » الثامن والثلاثون والمائة : « وهو خير الرازقين » التاسع والثلاثون والمائة : « الى يوم يبعثون » الأربعون والمائة بالنور : « لرؤوف رحيم » الحادى والأربعون والمائة : « وهدى موعظة للمتقين » الثانى والأربعون والمائة : « وأولئك هم الفائزون » الثالث والأربعون والمائة : « ان الله غفور رحيم » الرابع والأربعون والمائة بالفرقان : « وكان ربك بصيرا » الخامس والأربعون والمائة « من أضل سبيلا » السادس والأربعون والمائة بالشعراء قبل : « واذ نادى » « لهو العزيز الرحيم » السابع والأربعون : « ان معى ربى سيهدين » الثامن والأربعون والمائة بنوح : « فاتقوا الله وأطيعون » التاسع والأربعون والمائة بشعيب : « لهو العزيز الرحيم » الخمسون والمائة بالنمل : « كيف كان عاقبة المفسدين » الحادى والخمسون والمائة : « وأتونى مسلمين » الثانى والخمسون والمائة : « بل أنتم قوم تجهلون » الثالث والخمسون والمائة : « فهم مسلمون » الرابع والخمسون والمائة بالقصص : « وهم لا يشعرون » الخامس والخمسون والمائة : « والله على ما نقول وكيل » السادس والخمسون والمائة : « والله لا يهدى القوم الظالمين » السابع والخمسون والمائة : « ما كانوا يفترون » الثامن والخمسون والمائة بالعنكبوت : « ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون » التاسع والخمسون والمائة : « انه هو العزيز الحكيم » الستون والمائة : « والله يعلم ما تصنعون » الحادى والستون والمائة بالروم : « بلقاء ربهم لكافرون » الثانى والستون والمائة : « لآيات لقوم يؤمنون » الثالث والستون والمائة : « ولاهم يستعتبون » الرابع والستون والمائة بلقمان : « الى عذاب السعير » الخامس والستون والمائة بالمضاجع : « بل هم بلقاء ربهم كافرون » السادس والستون والمائة : « فانتظر انهم منتظرون » السابع والستون والمائة بالأحزاب : « وليا ولا نصيرا » الثامن والستون والمائة : « وكان ذلك على الله يسيرا » التاسع والستون والمائة : « وأعد لهم أجرا كريما » . السبعون والمائة : « وهو العلى الكبير » الثالث والسبعون والمائة : « انه سميع قريب » الرابع والسبعون والمائة بفاطر : « ولا ينبئك مثل خبير » الخامس والسبعون والمائة : « من ولى ولا نصير » السادس والسبعون والمائة بيس : « وجعلنى من المكرمين » السابع والسبعون والمائة « الا ما كنتم تعملون » الثامن والسبعون والمائة بالصافات : « الذى كنتم به تكذبون » التاسع والسبعون والمائة : « فما ظنكم برب العالمين » الثمانون والمائة « الى يوم يبعثون » الحادى والثمانون والمائة . بص : « وفصل الخطاب » الثانى والثمانون والمائة : « يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب » الثالث والثمانون والمائة بالزمر : « انه عليم بذات الصدور » الرابع

والثمانون والمائة : « عند ربكم تختصمون » الخامس والثمانون والمائة : « لآيات لقــوم يؤمنون » السادس والثمــانون والمــائة :

« لآيات لقوم يؤمنون » السادس والثمانون والمائة : « والحمد لله رب العالمين » السابع والثمانون والمائة بغافر « انه قوى شــديد العقاب » الثامن والثمانون والمائة : « أجرهم بغير حساب » التاسع والثمــانون والمــائة :

« فتبارك الله رب العالمين » التســـعون والمائة : « وخسر هنا لك الكافرون » الحادى والتسعون والمائة بفصلت : « بمــا كــانوا بآياتنا يجحدون » الثانى والتسعون والمائة :

« وما ربك بظلام للعبيد » الثــالث والتسعون والمائة بالشورى : « بكل شىء عليم » الرابع والتسعون والمائة : « من ولى ولا نصــير » الخامس والتسعون والمائة بالزخرف : « على آثارهم مقتدون » السادس والتسعون والمائة « هذا صراط مستقيم » السابع والتســعون والمائة بالدخــان : « انــه كــان عاليــا من المسرفين » الثامن والتسعون والمائة بالجاثية : « من رجز أليم » التاسع والتسعون والمائة : « وهو العزيز الحكيم » المائتان بالاحقــاف :

« وبما كنتم تفســقون » الحادى والمائتان بمحمد ﷺ : « كرهوا مــا أنزل الله فأحبط أعمالهم » الثانى والمائتــــان : « وكــرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم » الثالث والمائتــان بالفتح : « وســــاءت مصيرا » الرابـع

والمائتان : « عذابا أليما » الخامس والمائتان : « مغفرة وأجرا عظيما » السادس والمائتـــان بالحجرات « ان الله غفور رحيم » الســـابع والمائتان بق : « ولدينا مزيد » الثامن والمائتان بالذاريات : « انه هــو الحــكيم العليم » التاسع والمائتان بالطور : « انه هــو البــر الرحيم » • العاشر والمائتان بالنجم : « فلله الآخرة والأولى » الحــادى عشر والمائتــان بالقمر : « ذلك يوم عسير » الثــانى عشر والمائتان : « عنــد مليك مقتــدر » الثــالث عشر والمائتان بالرحمن : « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » الرابع عشر والمائتان بالواقعة « للمقوين فسبح باســم ربك العظيم » الخامس عشر والمايتان بالحــديد : « وبئس المصير » الســادس عشر والمائتان : « والله ذو الفضل العظيم » • السابع عشر والمائتان بالمجادلة « ان الله قوى عزيز » الثامن عشر والمائتان بالحشر « هم الفائزون » التاســع عشر والمائتان بالممتحنة : « والله عليم حكيم » العشرون والمائتان آخر الصف : « فأصــبحوا ظاهرين » الحــادى والعشرون والمائتـــان بالمنــــافقين : « فهم لا يعلمــون » الثانى والعشرون والمائتان بالتغـــابن « فليتــوكل المؤمنون » الثالث والعشرون والمائتان بالطلاق « بعد عسر يسرا » الرابع عشر والمائتـــان آخر التحــريم : « وكــانت من القــانتين » الخامس والعشرون والمائتان آخــر تبــارك : « بماء معين » السادس والعشرون والمائتــان بالحاقة « لا تخفى منكم خافيــة » الســابع

البقية ص ٨٥٠

مع حديث رسول الله

صلى الله عليه وسلم - وسيرته

من نفحات السنة المباركة

فريق في الجنة وفريق في السعير

من نفحات السنة المباركة

السكينة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة . وحفتهم الملائكة . وذكرهم الله فيمن عنده : رواه مسلم .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين (١) فتغشته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال : تلك السكينة تنزلت القرآن : متفق عليه .

أصل السكينة . الطمأنينة والوقار — والسكون الذى ينزله الله تعالى فى قلب عبده المؤمن عند اضطرابه من شدة الخوف فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه .

وهى من المواهب الربانية.والعطايا الألهية التى يمن بها اللطيف الخبير على عباده المؤمنين فتزيدهم ايمانا . وتسكن القلوب وتذهب عنها الخوف . وتسلت الحزن من النفوس وتؤمنها . وتذهب الهموم وتبعث نشوة العزم . وتكسب العبد مراقبة الحق سبحانه جعله واقفا عند حده من رتبة العبودية فلا يتعداها .

كذلك تكسبه محاسبة نفسه حتى تعرف مالها وما عليها فلا يدعها تسترسل فى الحقوق استرسالا فيضيعها ويهملها . لأن النفس لا تزكوا ولا تطهر الا بمحاسبتها .

فمن أعطيها فقد خلعت عليه خلع الولاية : **وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ولهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .**

ولذلك لم يجعلها الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم الا لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به .

(١) الشطن : الحبل .

للدكتور محمد محمود شعبان

وهى بذلك لا تتنزل الا على قلب نبى أو ولى لأنها من أعظم مواهب الحق سبحانه وتعالى ومن أجل عطاياه .

مواطن السكينة فى القرآن الكريم :

وقد ذكرها الله عز وجل فى القرآن الكريم فى ستة مواضع .

١ ــ قال تعالى :

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) البقرة .

٢ ــ **(ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ)** : التوبة .

٣ ــ **(ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا)** : التوبة .

٤ ــ **(هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ)** : الفتح .

٥ ــ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا : الفتح .**

٦ ــ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ)** الفتح .

ولهذا أخبر الله تبارك وتعالى عن انزالها على رسوله صلى الله عليه وسلم ــ وعلى المؤمنين فى مواضع القلق والاضطراب وذلك :

كليلة الهجرة :

اذ هو فى الغار ومعه صاحبه أبو بكر رضى الله عنه .

والعدو فوق رؤوسهم فيقول أبو بكر يارسول الله . لو نظر أحدهم الى ما تحت قدميه لرآنا : فأنزل الله سكينته عليه ليطمئن ويذهب عنه الخوف .

وكيوم حنين :

حين انقض المشركون على المسلمين فولى المسلمون الأدبار من شدة بأس الكفر لا يلوى أحد منهم على أحد ولكن الرسول صلى الله عليه وسلملم يفر بل وقف على بغلته والعباس رضى الله عنه آخذ ركابها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول :

أنا النبى لا كذب

أنا ابن عبد المطلب

فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فاجتمع شملهم وانقضوا على العدو حتى هزموهم شر هزيمة وغنموا منهم وأسروا •

ويوم الحديبية :

حين اضطربت النفوس ووجلت القلوب من تحكم الكفار عليهم ودخولهم تحت شروطهم التى لا تحملها النفس خصوصا عندما قاربوا أن يدخلوا مكة ويطوفوا بالبيت الذى اشتاقوا اليه •

وحسبك عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى ثبته الله تعالى بنزول الطمأنينة فى قلبه •

ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : كل سكينة فى القرآن فهى طمأنينة الا التى فى سورة البقرة •

سكينة التوراة :

وأما السكينة التى ورد ذكرها فى شأن بنى اسرائيل التى أعطوها فى التابوت فقد روى أهل التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء •

وعن على بن ابى طالب كرم الله وجهه : أنها ريح هفافة لها رأسان ووجه كوجه الانسان •

وعن مجاهد : أنها صورة هرة لها جناحان وعينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد فاذا سمعوا صوتها أيقنوا بالنصر

وعن وهب بن منبه : أنها روح من روح الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا فى شىء أخبرتهم ببيان ما يريدون :

وعلى هذا تكون السكينة فى نفس التابوت ويؤيد هذا عطف قوله تعالى : **(وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون)** : عليها :

وقال الكلبى وقتادة هى من السكون : أى طمأنينة من ربكم ففى أى مكان كان التابوت اطمأنوا اليه وسكنوا :

وأما التابوت فهو صندوق التوراة وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام • سخطا على بنى اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم الذين جاءوا من بعد موسى من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم : ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم يأتيكم من السماء والملائكة يحفظونه • فأتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت •

وأما بقية آل موسى وآل هرون • فهى رصاص الألواح وعصى موسى وثيابه وشىء من التوراة •

وكان هذا التابوت معجزة للأنبياء وكرامة للملوك وآية النصر تخلع قلوب الأعداء بصوتها رعبا اذا التقى الصفان للقتال :

السكينة فى الأحاديث النبوية :

ولقد وردت السكينة فى الأحاديث النبوية

كثيرا منها ما تقدم ذكره وأيضا ما رواه البخارى : عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ينقل من تراب الخندق حتى وارى التراب جلدة بطنه وهو يرتجز بكلمة عبد الله بن رواحة رضى الله عنه .

لا هم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الألى قد بغوا علينا
وان أرادوا فتنة أبينا

ولقد وردت السكينة فى الكتب المتقدمة فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى باعث نبيا أميا ليس بفظ . ولا غليظ . ولا صخاب فى الاسواق ولا متزين بالفحش . ولا قوال للخنا . أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم . ثم أجعل السكينة . لباسه . والبر شعاره . والتقوى ضميره . والعفو والمعروف خلقه . والعدل سيرته . والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه » .

معان أخر للسكينة :

وكما تكون السكينة بمعنى الطمأنينة فانها **تكون بمعنى القاء الحكمة** على لسان المحدث كما يلقى الملك الوحى على قلوب الأنبياء فهى اذن ليست شيئا يملك انما هى من لطائف صنع الله تبارك وتعالى بعبده فاذا نزلت السكينة على القلب اطمأن بها وسكنت اليها الجوارح وخشعت واكتسبت الوقار وانطقت اللسان بالحكمة والصواب وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش وكل لغو لا يليق بالعبد أن ينطق به أو يفكر فيه . ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه :

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول قد كان يكون فى الأمم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتى منهم أحد فان عمر بن الخطاب منهم : رواه مسلم .

قال ابن وهب تفسير محدثون . ملهمون : وقيل : مصيبون . وقيل تكلمهم الملائكة . وقال البخارى : يجرى الصواب على ألسنتهم وفى ذلك اثبات لكرامات الأولياء .

وعن عمر رضى الله عنه قال : وافقت ربى فى ثلاث . فى مقام ابراهيم وفى الحجاب وفى أسارى بدر : رواه مسلم .

وتكون السكينة بمعنى الوقار والهيبة :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم الا نزلت عليهم السكينة .

رواه مسلم : قال النووى : السكينة : الوقار .

وتارة تكون بمعنى الانوار الالهية :

التى تنزل بها الملائكة على قارىء القرآن

أو الرحمة والرضوان من الله تعالى كما روى عن أسيد بن حضير رضى الله عنه قال : بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده اذ جالت الفرس فسكت فسكتت . فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكتت . ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف . وكان ابنه يحيى قريبا منها فاشفق أن تصيبه فلما اجتره رفع رأسه الى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ يا ابن حضير . اقرأ يا ابن حضير . قال : فأشفقت يارسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسى فانصرفت اليه فرفعت رأسى الى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال : تدرى ماذاك ؟ قال : لا . قال تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم : متفق عليه .

أحوال للسكينة :

وتارة تكون السكينة نعاسا :

يغشى المؤمن الخائف والمضطرب حتى يطمئن ويهدأ باله ويسكن روعه كما حدث للمؤمنين يوم بدر قال تعالى : (**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ**) : الانفال .

ويوم أحد قال تعالى : (**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ**) آل عمران .

أو التثبيت والنصر :

كما حدث يوم حنين .

قال تعالى : (**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**) التوبة .

وتارة تكون بمعنى الآيات البينات :

والدلائل الساطعة والبراهين القاطعة على صدق الرسول ليزداد المؤمنون ايمانا كما قال تعالى : (**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ**) الفتح .

ولقد فرق بعض العلماء بين السكينة والطمأنينة فقال : السكينة توجد حينا بعد حين لتثبيت القلب من المخاوف .

وأما الطمأنينة فانها لا تفارق صاحبها ولهذا لما نزل القرآن الكريم وآمن به الصحابة واطمأنت به نفوسهم صاروا له حافظين وعنه مدافعين وبه مخاصمين وحاكمين . ودفعوا به الشبه ونصروا به الحق وخذلوا به الباطل . وثبت فى قلوبهم فلم ينفصل عنهم أبدا .

والسكينة صولة تورث خمود الهيبة أحيانا وأما الطمأنينة فهى سكون القلب الى الشىء

وعدم اضطرابه وقلقه ولذلك ورد فى الأثر : الصدق طمأنينة والكذب ريبة :

مشترك السكينة والطمأنينة :

وتشترك السكينة والطمأنينة فى أنهما لا ينزلان على قلب فاسق أو فاجر أو كافر قال تعالى : (**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ . يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**) البقرة .

وقوله تعالى فى شأن أهل الكتاب : (**فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ . وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**) الحشر .

السكينة والقرآن الكريم :

ولا تزال السكينة تنزل على المؤمنين الى يوم القيامة مادام القرآن الكريم موجودا لم ينزع من الصدور ولم يمح من السطور : فانها تنزل على قارئه وتاليه ابتغاء مرضاة الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم : وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم الا نزلت عليهم السكينة :

وقول الله تعالى : (**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**) : فاطر .

وقول الله تعالى : (**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**) : غافر .

وقوله تعالى : (**ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ**) : يونس.

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) : متفق عليه .

وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) رواه الحاكم .

فعلى المسلمين جميعا أن يفطنوا الى هذا وليحافظوا على كتاب ربهم بحفظه وتحفيظه والعمل بما فيه ولا يفتروا بما يزينه الشياطين لهم من التربية الفاسدة والأخلاق الرديئة .

فاللهم ثبت قلوبنا على دينك وانصرنا على أعدائك واجعلنا من الذين تنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتصلى عليهم الملائكة وتبشرهم فى الدنيا والآخرة .

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد . آمين .

فريق في الجنة وفريق في السعير

أخرج الامام مسلم بسنده عن عياض .. المجاشعى أن رسول الله صلى الله الله عليه وسلم قال فى خطبة لـه :

« الا ان ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا :

كل مال نحلته عبدا حلال .

وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وانهم أتتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ، وان الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب .

وقال : انما بعثتك لأبتليك ، وأبتلى بك ، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ، ويقظان ، وان الله أمرنى أن أحرق قريشا ، فقلت :

رب اذا يَثْلَغُوا رأسى فيدعوه خُبْزَةً ، قال : استخرجهم كما استخرجوك ، واغزهم نغزك ، وأنفق فسننفق عليك ، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك .

قال : وأهل الجنة ثلاثة :

ذو سلطان مقسط متصدق موفق .

ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم .

وعفيف متعفف ذو عيال .

قال : وأهل النار خمسة :

الضعيف الذى لا زَبْرَ له الذين هم فيكم تَبَعاً لا يبتغون أهلا ولا مالا .

والخائن الذى لا يخفى له طمع — وَإِنْ دَقَّ — إلاخانه .

ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك .

وذكر البخل ، أو الكذب .

والشِّنْظِيرُ الفحاش .

ولم يذكر غسان — أحد رواة هذا الحديث

للأستاذ محمود محمد رسلان

ـ فى حديثه : وأنفق فسننفق عليك » (١) .

***

تمهيد :

هذا الحديث من جوامع كلمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ضوئه يرى المسلم قيمة صورته وسلوكه ومستقبله ، فان وافق حاله ما يدعو اليه فأنعم به ، والا فليقوم نفسه حتى تستقر وانك لترى من قوله ـ صلى الله عليه وسلم :

« مما علمنى يومى هذا » حرصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على تبليغ أمته وحى ربه لا يكتم عنهم من أمر الله شيئا وهذا مصداق قوله تعالى : « **يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** (٢) .

قال الامام البخارى ، قال الزهرى ـ رضى الله عنهما :

من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم ، وقد شهدت له أمته بابلاغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، واستنطقهم بذلك فى أعظم المحافل فى خطبة الوداع ، وقد كان هناك من أصحابه من أربعين ألفا كما ثبت فى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فى خطبته يومئذ :

« أيها الناس انكم مسئولون عنى فما أنتم قائلون ؟ » .

قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ، ونصحت ، فجعل يرفع أصبعه الى السماء ، وينكسها اليهم ويقول :

« اللهم هل بلغت » (٣) .

وفى الحديث الشريف اشارة واضحة على أنه مما تكلم به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد الهجرة ألا ترى الى القول العظيم :

« استخرجهم كما استخرجوك ، واغزهم نغزك » .

ثم هو جامع شامل بما ألقى من ضوء على الفطرة الأصيلة التى كان عليها الناس فى الأصلاب ، وعلى حالهم وقد اجتالتهم الشياطين ، وعلى مبلغ مقت الله للشرك وأهله وفيه بيان جليل لما سبق أن كتب الله على نفسه من الرحمة بالعباد ، فان هذا المقت العظيم للشرك والمشركين لم يمنع رحمة الله أن تنظر للعباد فتهديهم آخر رسالة بعث بها المولى سبحانه على يدى خاتم رسله سيدنا ومولانا المصطفى الأمين محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) صحيح مسلم . باب الجنة .. ص ٨ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ط التحرير القاهرة ١٣٨٤ هـ ، ومسند الامام احمد بن حنبل ص ٤ ص ١٦٢ ط المكتب الاسلامى .. بيروت . بتغيير طفيف .

(٢) المائدة من الاية ٦٧ .

(٣) وقد استدل به الحافظ بن كثير عند شرحه لهذه الاية راجع تفسير القرآن العظيم حـ ٢ ص ٧٧ ط الحلبى .

والناس — من بعد القرآن العظيم — فرق : منهم أهل الجنة ، ولهم فى الحديث أمثلة وأهل النار ولهم فيه أمثلة ، نسأل الله — سبحانه — أن يمن علينا بدينه ويجعلنا من أهله أما بعد :

فقوله صلى الله عليه وسلم : « كل مال نحلته .. » أى أعطاه عبدا الخ حلال . وليس معنى نحلته رزقته .. وانما المعنى : كل ما ينتفع به ، ولم يلحقه بحرمته سبب — حلال (١) .

وقوله « **خلقت عبادى حنفاء كلهم** » أى مسلمين ، أو طاهرين من المعاصى ، أو مستقيمين منيبين لقبول الهداية (٢) .. والحنيف المائل من شر الى خير ، والصحيح الميل الى الاسلام الثابت عليه ، وفى الكليات لأبى البقاء : اذا ذكر الحنيف مع المسلم فهو الحاج كقوله تعالى : « **وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا** »(٣) ، واذا ذكر وحده فهو المسلم كقوله تعالى : « **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا** » (٤) وجمعه حنفاء من الحنفاء من كان دين ابراهيم عليه السلام فى الجاهلية (فى الحج والختان ، واعتزال الأصنام) .

والدين الحنيف : المستقيم ، الذى لا عوج فيه ، وهو الاسلام ، والحنيفية : ملة الاسلام ، ويوصف بها فيقال : ملة حنيفية .

وقوله « ... فاجتالتهم ... » أى استخفوهم فذهبوا بهم ، وأزالوهم عما كانوا عليه من الحق ، وجالوا معهم فى الباطل ، والشيطان استخف فلانا فجال معه فى الضلالة ، والقوم ، أى واستخف القوم : حولهم عن قصدهم وقوله صلى الله عليه وسلم : « فمقتهم عربهم وعجمهم .. الخ »: المقت أشد الغضب ، وفى التنزيل العزيز : « **لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ** » (٥)

والمقت وقع للأمم قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، والمراد ببقايا أهل الكتاب المتمسكون بدينهم الحق من غير تبديل .

وقوله « **انما بعثتك لأبتليك .. الخ** » . فبعثته صلى الله عليه وسلم لحكمة جليلة ، فهى بشارة ، ونذارة ، ترغيب وترهيب ، جنة ونار ، فمن تبع سنته فقد فاز وسعد فى الدنيا والآخرة ، ومن أبى أتباعه صلى الله عليه وسلم فقد رضى بالكفر والعياذ بالله وهذا هو الخسران المبين ، وهو الابتلاء ، ومن ثم جعل الله بعثته ليبتليه ... أى ليمتحنه بما يظهر منه من قيامه بما أمره الله به من تبليغ الرسالة وغيره ، « وأبتلى بك » أى من أرسلتك اليهم فمنهم من آمن ، ومنهم من كفر (٦) .

---

(١) ومن معانى النحلة .. العطاء ، والفرض ، والدين والعقيدة ، والدعوى أو النسبة بالباطل انظر شرح النووى بهامش صحيح مسلم ١٥٩/٨ وفسرت النحلة بالفرض فى قوله تعالى : **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** — النساء ٤ .

(٢) شرح النووى بهامش صحيح مسلم . السابق

(٣) آل عمران — ٦٧ .

(٤) الروم — ٣٠ .

(٥) غافر .

(٦) شرح النووى السابق .

وقوله : « كتابا لا يغسله الماء ... الخ » كناية عن كونه محفوظا فى الصدور لا يتطرق اليه الذهاب كما جاء فى القرآن الكريم : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » (١) . أى انا أوحينا هذا القرآن وقد تعهدنا بحفظه من التحريف (٢) .

وقد كانت هذه الآية العظيمة سببا فى اسلام أحد علماء اليهود ، فقد كان للمأمون .. مجلس نظر ، فدخل فى جملة الناس رجل يهودى ، حسن الثوب والوجه ، طيب الرائحة ، فتكلم ، فأحسن الكلام والعبارة ، فلما انفض المجلس دعاه المأمون ، فقال له : اسرائيلى ؟ قال : نعم . قال له : أسلم حتى أفعل بك ، وأصنع ، ووعده ، فقال : دينى ودين آبائى ! وانصرف ، فلما كان بعد سنة جاء مسلما ، فتكلم على الفقه ، فأحسن الكلام ، فلما انفض المجلس دعاه المأمون ، وقال : ألست صاحبنا بالأمس ؟ قال له : بلى . قال فما سبب اسلامك ؟ قال : انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان ، وأنت ترانى حسن الخط ، فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الكنيسة (٣) فاشتريت منى ، وعمدت الى الانجيل ، فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها البيعة (٤) فاشتريت منى ، وعمدت الى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت ، وأدخلتها الوراقين فتصفحوها ، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها ، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ ، فكان هذا سبب اسلامى (٥) .

قال يحيى بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لى : مصداق هذا فى كتاب الله عز وجل قال : قلت فى أى موضع ؟ .

قال : فى قول الله تعالى فى التوراة والانجيل : « بما استحفظوا من كتاب الله » ، فجعل حفظه اليهم فضاع ، وقال عز وجل : **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** فحفظه الله عز وجل فلم يضع (٦) .

وجملة « لا يغسله الماء .. » كناية عن تسهيل حفظه فى الصدور كما سبق ، فالمسلمون : أناجيلهم — أى قرآنهم — صدورهم ، بعكس أهل الكتاب الذين لا يستطيعون حفظ كتبهم ، فلابد لهم من القراءة فيها مباشرة .

وقوله صلى الله عليه وسلم « أن أحرق قريشا .. » ليس المراد حقيقة التحريق ، بل تغييظهم باسماعهم الحق (٧) .

و « ثَلَغَ رأسه » شدخه .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « فيدعوه

(١) الحجر ٩ .

(٢) راجع لمحمد فريد وجدى : المصحف المفسر ص ٣٣٨ . ط الشعب .

(٣) الكنيس : متعبد اليهود ، والكنيسة — متعبد اليهود والنصارى . المعجم الوسيط مادة كنس .

(٤) البيعة بكسر الباء — معبد النصارى . المعجم الوسيط مادة — باعه .

(٥) تفسير القرطبى : الجامع لاحكام القرآن . لابى عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبى حـ ٤ ص ٣٦٢١ ، ٣٦٢٢ ط الشعب .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) هامش النووى بصحيح مسلم حـ ٨ ص ١٥٩ .

خبزة » أى مكسورة كالخبزة (١) .

وقوله « نغزك » أى نعينك ، وخير شاهد على هذا ، ما جاء فى التنزيل العزيز :

« .. أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ » (٢) .

« .. إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا .. » (٣) .

فقد وعده الله النصر ، وحقق وعده سبحانه ..

من أهل الجنة :

ثم أخبر صلى الله عليه وسلم عن أهل الجنة فقال : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط الخ » من « أقسط » : أى عدل ، والقسط : العدل ، ومنه فى التنزيل العزيز :

« **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** » (٤) .

« **والمقسط** » من أسماء الله الحسنى (٥) .

ولأهمية الامام العادل فى الاسلام ، ولأن فى صلاحه صلاح المجتمع أخبر صلى الله عليه وسلم أنه من السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة فى ظله يوم لا ظل الا ظله فقال :

« امام عادل ... » (٦) فكان فى متقدمنهم .

فالامام العادل بحق قوام كل معوج .

ومن ثم جاءت الأحاديث تبين مكانة الأئمة من الرعيه ، فعن أبى يعلى معقل بن يسار رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ما من يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت ، وهو غاش لرعيته ، الا حرم الله عليه الجنة » (٧) .

وفى رواية : « فلم يحطها بنصحه (٨) ، لم يجد رائحة الجنة » .

وفى رواية لمسلم : « ما من أمير يلى أمور المسلمين ، ثم لا يجتهد لهم وينصح لهم . الا لم يدخل معهم الجنة » .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بيتى هذا :

« اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم ، فاشقق عليه ، ومن ولى من أمر أمتى

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) الانفال من الاية ٩ .
(٣) الانفال من الاية ٦٥ .
(٤) الانبياء من الاية ٤٧ .
(٥) المعجم الوسيط مادة : قسط .
(٦) الحديث فى البخارى حـ ٢ ص ٣١٧ ، ١٣/١٠٠ وفى مسلم برقم ١٨٢٩ ، وأخرجه ابو داود برقم (٢٩٢٨) راجع رياض الصالحين للامام أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الدمشقى ص ٢٩٩ تحقيق وتخريج : عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف ومراجعة الشيخ شعيب الارنؤوط والحديث برقم ٦٥٧ ط دار المأمون للتراث .
(٧) متفق عليه ، راجع البخارى ١٣/١١٢ ، ١١٣ ، ومسلم ٣/١٤٦٠ رقم حديث الباب (٢١) ، (٢٢) ورياض الصالحين برقم ٦٥٢ . ص ٢٩٧ .
(٨) « فلم يحطها .. » اى يصنها . وقوله صلى الله عليه وسلم : ثم لايجهد .. أى لايتعب . راجع رياض الصالحين ص ٢٩٧ هامش ٣ .

شيئا ، فرفق بهم ، فارفق به » (١) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان المقسطين عند الله على منابر من نور : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » (٢) .

فالسلطان العادل من أهل الجنة كما ذكر فى الحديث الذى معنا ، وأكدته الأحاديث الأخرى .

وثانى أهل الجنة فى الحديث « رجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم » فرحمة قلبه تجعله يشعر بشعورهم ، ويتألم لألمهم ، ويفرح لفرحهم ، يرحم الصغير ، ويوقر الكبير ، فهو للكبير ابنا ، وللصغير أبا ، وللقرن أخ .

أما الثالث فهو : « عفيف متعفف .. الخ نال هذه الدرجة لمشقة ما وقع فيه من بلاء وجهاد فحرص ، وهو ذو العيال ، على أن يكون عفيفا عما فى أيدى الناس ، عفيفا عن الحرام مع مشقة الجهد ومطلب العيش وحاجة الولد يحرص على الحلال ويتعفف أن يغذيهم من الحرام وهذا خامس الخلفاء الراشدين : عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فى مرضه .. فقال له : يا أمير المؤمنين :

« انك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال وتركتهم عالة ، ولابد من شىء يصلحهم ، فلو أوصيت بهم الى ، أو الى نظرائك من أهل بيتك ، لكفيتك مئونتهم ان شاء الله (٣) » .

فقال عمر : أجلسونى فأجلسوه فقال :

الحمد لله ، أبالله تخوفنى يا سلمة .. أما ما ذكرت من أنى فطمت أفواه ولدى عن هذا المال وتركتهم عالة ، فانى لم أمنعهم حقا هو لهم ، ولم أعطهم حقا هو لغيرهم . وأما ما سألت من الوصاة اليك ، أو الى نظرائك من أهل بيتى ، فان وصيتى بهم الى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين . وانما بنو عمر أحد رجلين : رجل اتقى الله ، فجعل الله له من أمره يسرا ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ورجل غير وفجر ، فلا يكون عمر أول من أعانه على ارتكابه .. ادعوا لى بنى » .

فدعوهم — وهم يومئذ اثنا عشر غلاما — فجعل يصعد بصره فيهم ، ويصوبه ، حتى اغرورقت عيناه بالدمع ثم قال : « بنفسى فتية تركتهم ، ولا مال لهم ! يابنى : انى قد تركتكم من الله بخير ، انكم لا تمرون على مسلم ولا معاهد الا ولكم عليه حق واجب ان شاء الله . يابنى : ميلت رأيى بين أن تفتقروا فى الدنيا ، وبين أن يدخل أبوكم النار ، فكان أن تفتقروا الى آخر الأبد خيرا من دخول أبيكم يوما واحدا فى النار ..

(١) رواه مسلم وهو برقم ١٨٢٨ ، وفى رياض الصالحين ص ٢٩٨ .

(٢) رواه مسلم وهو برقم ١٨٢٧ واخرجه النسائى ٢٢١/٨ ، وحم ١٦٠/٢ راجع رياض الصالحين ص ٢٩٩ .

(٣) ابن عبد الحكم : عمر بن عبد العزيز ص ٢٧ والدكتور احمد الشرباصى : خامس الراشدين — عمر بن عبد العزيز حـ ٢ ص ١٦٣ ط الشعب ١٩٥٩ .

قوموا يابنى عصمكم الله ، ورزقكم » (١) .
قالوا : فما احتاج أحد من أولاد عمر ، ولا افتقر ، لأن أباهم ضرب المثل للرجل العفيف المتعفف ..

من أهل النار :

ثم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أصناف من أهل النار ليحذر المسلم أن يكون داخلا فيهم فأولهم « الضعيف الذى لا زبر له ... » .

أى لا عقل له يعنى هو من القوم ضعفاء العقول الذين هم فيكم تبعا ، لا يطلبون أهلا ولا مالا (٢) ، فهم لا يسعون فى طلب منفعة دينية ، ولا نفسية ، ولا دنيوية ، فهم اذن من سقط المتاع ، لا يقيمون للحق وزنا ولا للعدالة صوتا وانما هم أتباع الناس يميلون معهم حيث مالوا فهم (امعة) لا يسترشدون دينا ولا عقلا ، وأمثال هؤلاء لا ينصرون دينا ولا يعمرون دنيا فالنار أولى بهم .

وثانيهم : « الخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق الاخانة » أى لا يخفى عليه طمع مهما صغر الاخانة ، لغياب صوت الحق فى قلبه وعقله ، وطمس الفطرة النقية فى قلبه وفيه وفى أمثاله يقول الله تعالى : **« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ » (٣)** .

وثالثهم : « رجل لا يصبح ولا يمسى الا وهو يخادعك .. » أى أن صفة الخداع المقوتة شغله الشاغل صباح مساء يشبع فكره المريض وقلبه الآثم بخداع الناس وتزوير الباطل لهم ، وأمثال هؤلاء فى كل مجتمع وكانوا فى عصر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم . يشككون فى دعوته صلى الله عليه وسلم وفى رسالته ، لكن الله أحبط خداعهم ، فكشف سرهم ، وأنزل فيهم سورة « المنافقون » فقال سبحانه :

« إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ . اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

ويمضى سياق السورة فى كشف أستار المنافقين ، وفضح خبايا نفوسهم ..

ومن أهل النار البخيل الذى يغل يده ويمنع الحق ويهلك أهله ، وهمه جمع المال واكتنازه ، على أى وجه ، ومثله فى النار الكذاب الحريص على الكذب .

والشنظير : السيء الخلق ، الفحاش : كثير الفحش وكلها من الصفات التى ينبغى على المسلم أن يتجنبها وينأى بنفسه عنها ،

(١) ابن عبد الحكم : عمر بن عبد العزيز ص ١١٥ ــ ١١٦ ، وخامس الراشدين : عمر بن عبد العزيز حـ ٢ ص ١٦٣ .

(٢) صحيح مسلم حـ ٨ ص ١٥٩ هامش .
(٣) محمد : ٢٤ .

لأنها من صفات أهل النار •

والحديث بعد يضع أمام المسلم تحذيرات ، وبشارات ، ليتعلم منها ما ينفعه ، ويستدرك ما فاته ، والله من وراء القصد :

يؤخذ من الحديث :

أولا : حرص المولى سبحانه أن يزيل عن العقول غشاوة الجهل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلم أمته ما جهلت •

ثانيا : أن الله سبحانه خلق عباده مسلمين طاهرين •

ثالثا : أن الشياطين تترصد لابن آدم السبل لتضله ، وتغويه حتى توردہ المهالك ، ثم تبرأ منه •

رابعا : أن الله مقت أهل الأرض جميعا الا من كان على هدى وبينة من أمر ربه •

خامسا : بعثته صلى الله عليه وسلم جهاد له ، ولمن أطاعه من أمته •

سادسا : أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله سبحانه له •

سابعا : حرص الله عز وجل على نصرة محمد صلى الله عليه وسلم ، ونصرة رسالته رغم الحاقدين والكافرين •

ثامنا : تكفل الله برزق نبيه صلى الله عليه وسلم أضعاف ما ينفق على صحابته رضى الله عنهم ، وأن مشروعية القتال انما هى بأمر من الله وليست بطلب من رسوله صلى الله عليه وسلم •

تاسعا : وضع الحديث أمام المسلم صنفان من البشر صنف من أهل الجنة وصنف من أهل النار ، ليكون المسلم على بينة من أمره ، فليس له على الله حجة بعد هذا البلاغ المبين •

محمود محمد رسلان

سيرته وشمائله

صلى الله عليه وسلم

"لابن كثير"

وسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه ، نبوته .
واقواله ، وافعاله من آياته أى من دلائل قال : وشريعته من آياته ، وأمته من

---

(١) **الحافظ ابن كثير :**

هو أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن الشيخ أبى حفص شهاب الدين عمر - خطيب قريته - بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشى البصروى الأصل الدمشقى النشأة والتربية والتعليم .

ولد بمجدل ، وهى قرية تابعة لمدينة بصرى شرق دمشق سنة ٧٠١ هـ ، ومات أبوه وهو فى الرابعة من عمره فرباه أخوه عبد الوهاب ، وانتقل الى دمشق سنة ٧٠٦ هـ وكان فى الخامسة من عمره ، وسمع بها من كبار علمائها كالقاسم بن عساكر ، وابن الشيرازى ، والمزى صاحب « تهذيب الكمال وأطراف الكتب الستة » المتوفى سنة ٧٤٢ وبه انتفع وتخرج وتزوج بابنته ، وقرأ على شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ كثيرا ولازمه وأحبه وانتفع بعلومه وعلى الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، وأجيز من مصر من عدد من كبار علمائها .

برع فى الفقه والتفسير والحديث ويراه ابن حجر من محدثى الفقهاء ، وأنه على المسامة بالحديث والعلم به « لم يكن على طريق المحدثين فى تحصيل العوالى وتمييز العالى من النازل » ويتبع الايام السيوطى رأى ابن جحر فيقول :

« العمدة فى علم الحديث على معرفة صحيح الحديث وسقيمه وعلله واختلاف طرقه ورجاله جرحا وتعديلا ، وأما العالى والنازل ونحو ذلك فهو من الفضلات لا من الأصول المهمة » ا هـ .

وله اطلاع عظيم كذلك فى « العربية » وأفتى ودرس واشتهر بالضبط والتحرير وانتهت اليه رئاسة العلم فى التاريخ والحديث والتفسير وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم يشارك فى العربية وينظم نظما وسطا وتوفى رحمة الله يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة ٧٧٤ هـ عن أربع وسبعين سنة .

وله مؤلفات عديدة فى مقدمتها : تفسير القرآن العظيم ، وله فى مقدمته منهج من أدق مناهج التفسير تبعته لجنة تفسير البحوث الاسلامية بالازهر المسمى بـ « التفسير الوسيط » وله أيضا : البداية والنهاية - فى التاريخ - و « التكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل » - و « الهدى والسنن فى أحاديث المسانيد والسنن » وهو المعروف بـ « جامع المسانيد » جمع فيه بين مسند الامام أحمد والبزار وأبى يعلى وابن أبى شيبة مع الكتب الستة : الصحيحين والسنن الأربعة ورتبه على الأبواب .. الى غير ذلك انظر للشيخ أحمد محمد شاكر ترجمته الستة للمؤلف فى « الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث » الطبعة الثانية - مطبعة محمد على صبيح ، وفرغ الشيخ شاكر من مقدمتها فى ٢٠ من ذى الحجة عام ١٩٧ .

تقديم الشيخ أحمد حسن جابر رجب

آياته ، وعلم أمته من آياته ،ودينهم من آياته ، وكرامات صالحى أمته من آياته ، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد ﷺ الى أن بعث ، ومن حين بعث الى أن مات ، وتدبر نسبه ، وبلده ، وأصله وفضله .

فانه كان من أشرف أهل الأرض نسبا من صميم سلالة ابراهيم ، الذى جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب ، لم يأت بعد ابراهيم نبى الامن ذريته وجعل الله له ابنين: اسماعيل، واسحاق ، وذكر فى التوراة هذا وهذا ، وبشر فى التوراة بما يكون من ولد اسماعيل .

ولم يكن من ولد اسماعيل من ظهر فيه ما بشرت به النبوات غيره ، ودعا ابراهيم لذرية اسماعيل بأن يبعث فيهم رسولا منهم .

ثم الرسول ﷺ من قريش صفوة بنى ابراهيم ، ثم من بنى هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أم القرى ، وبلد البيت الحرام الذى بناه ابراهيم ودعا الناس الى حجه ولم يزل محجوجا من عهد ابراهيم ، مذكورا فى كتب الأنبياء بأحسن وصف .

وكان ﷺ من أكمل الناس تربية ونشأة ، لم يزل معروفا بالصدق ، والبر ، ومكارم الأخلاق ، والعدل ، وترك الفواحش وكل وصف مذموم ، مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ، ومن آمن به ، ومن كفر بعد النبوة ، ولا يعرف له شىء يعاب به لا فى أقواله ، ولا فى أفعاله ، ولا فى أخلاقه ، ولاجرب عليه كذبة قط ، ولا ظلم ، ولا فاحشة .

وقد كان ﷺ خلقه ، وصورته من أحسن الصور ، وأتمها وأجمعها ، للمحاسن الدالة على كماله .

وكان أميا من قوم أميين ، لا يعرف هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب ، من التوراة ، والانجيل ولم يقرأ شيئا من علوم الناس ، ولا جالس أهلها ، ولم يدع نبوة الى أن أكمل الله (له) أربعين سنة فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون ، والآخرون نظيره ، وأخبر بأمر لم يكن فى بلده وقومه من يعرف مثله .

ثم اتبعه أتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس ، وكذبه أهل الرياسة وعادوه ، وسعوا فى هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم .

والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة ، فانه لم يكن عنده مال يعطيهم ، ولا جهات يوليهم اياها ولا كان له سيف ، بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه ، وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون ، لا يرتدون عن دينهم ، لما خالط قلوبهم من حلاوة الايمان والمعرفة . وكانت مكة يحجها

العرب ، من عهد ابراهيم ، فيجتمع فى الموسم قبائل العرب ، فيخرج اليهم يبلغهم الرسالة ، ويدعوهم الى الله صابرا على ما يلقاه من تكذيب المكذب ، وجفاء الجافى ، واعراض المعرض الى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا

جيران اليهود ، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبى المنتظر الذى يخبرهم به اليهود ، وكانوا سمعوا من أخباره أيضا ما عرفوا به مكانته ، فان أمره قد انتشر ، وظهر فى بضع عشرة سنة ، فآمنوا به ، وبايعوه على هجرته ، وهجرة أصحابه الى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه الى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ، ولا برهبه الا قليلا من الأنصار ، أسلموا فى الظاهر ، ثم حسن اسلام بعضهم ، ثم أذن له فى الجهاد ، ثم أمر به •

ولم يزل قائما بأمر الله على أكمل طريقة ، وأتمها ، من الصدق ، والعدل ، والوفاء ، لا يحفظ له كذبة واحدة ولا ظلم لأحد ، ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس ، وأعدلهم ، وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال ، من حرب وسلم ، وأمن وخوف ، وغنى وفقر ، وقدرة وعجز ، وتمكن وضعف ، وقلة وكثرة ، وظهور على العدو تارة ، وظهور العدو تارة •

وهو على ذلك كله لازم لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة فى جميع أرض العرب ، التى كانت مملوءة من عبادة الاوثان ، ومن أخبار الكهان ، وطاعة المخلوق فى الكفر بالخالق ، وسفك الدماء المحرمة وقطيعة الأرحام ، لا يعرفون آخرة ، ولا معادا ، فصاروا أعلم أهل الأرض ، وأدينهم ، وأعدلهم وأفضلهم حتى ان النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا : ما كان الذين صحبوا المسيح أفضل من هؤلاء وهذه آثار علمهم ، وعملهم ، فى الأرض ، وآثار غيرهم ، يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين •

وهو ﷺ مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ، وتقديمهم له على الأنفس والأموال ، مات ولم يخلف درهما ولا دينارا ، ولا شاة ولا بعيرا ، الا بغلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وسقا من شعير ابتاعها لأهله ، وكان بيده عقار ينفق منه على أهله ، والباقى يصرفه فى مصالح المسلمين ، فحكم بأنه لا يورث ، ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك •

وهو فى كل وقت يظهر من عجائب الآيات ، وفنون الكرامات ، ما يطول وصفه ، ويخبرهم بما كان وما يكون ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويشرع الشريعة شيئا بعد شىء حتى أكمل الله دينه الذى بعثه به ، وجاءت شريعته أكمل شريعة ، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف الا أمر به ، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر الا نهى عنه ، لم يأمر بشىء فقيل : ليته لم يأمر به ، ولا نهى عن شىء فقيل : ليته لم ينه عنه • وأحل لهم الطيبات لم يحرم منها شيئا كما حرم فى

شريعة غيره وحرم الخبائث لم يحل منها شيئا كما استحل غيره •

وجمع محاسن ما عليه الأمم ، فلا يذكر فى التوراة ، والانجيل ، والزبور ، نوع من الخبر عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخر الا وقد جاء به على أكمل وجه •

وأخبر بأشياء ليست فى الكتب ، وليس فى الكتب ايجاب بعدل ، وقضاء بفصل ، وندب الفضائل ، وترغيب فى الحسنات الا وقد جاء به وبما هو أحسن منه • واذا نظر اللبيب فى العبادات التى شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر له فضلها ورجحاتها ، وكذلك فى الحدود والاحكام وسائر الشرائع •

وأمته أكمل الأمم فى كل فضيلة ، واذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم ، وان قيس دينهم وعبادة غيرهم ظهر أنهم أدين من غيرهم ، واذا قيس شجاعتهم وجهادهم فى سبيل الله وصبرهم على المكاره فى ذات الله ظهر أنهم أعظم جهادا ، وأشجع قلوبا • واذا قيس سخاؤهم وبرهم وسماحة أنفسهم بغيرهم • ظهر أنهم أسخى وأكرم من غيرهم •

وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلموها ، وهو الذى أمرهم بها ، ولم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله ، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة ، فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزبور ، وبعضها من النبوات ، وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده • كالحواريين ومن بعض الحواريين وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا — لما غيروا دين المسيخ — فى دين المسيح أمورا من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح •

أمته ﷺ : —

وأما أمة محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرأون كتابا ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى ، وعيسى ، وداود والتوراة ، والانجيل ، والزبور الا من جهته ، وهو الذى أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ، ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ، ونهاهم عن أن يفرقوا بين أحد من الرسل ، فقال تعالى : فى الكتاب الذى جاء به **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**)) •

وقال تعالى : ((**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ • لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**)) الآية •

وأمته عليه الصلاة والسلام لا يستحلون أن يوجد شيئا من الدين غير ما جاء به ،

من سيرته وشمائله

ولا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله ، لكن ما قصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم اعتبروا به ، وما حدثهم أهل الكتاب موافقا لما عندهم صدقوه ، وما لم يعلم صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه وما عرفوا بأنه باطل كذبوه ، ومن أدخل فى الدين ما ليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم ، كان عندهم من أهل الالحاد والابتداع .

وهذا هو الدين الذى كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، والتابعون ، وهو الذى عليه أئمة الدين الذين لهم فى الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين ، وعامتهم ، ومن خرج عن ذلك كان مذموما مدحورا عند الجماعة وهو مذهب أهل الجماعة الظاهرين الى قيام الساعة ، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » .

وقد يتنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذى هو دين الرسل عموما ودين محمد ﷺ خصوصا ، ومن خالف هذا الأصل كان عندهم ملحدا مذموما .

ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا دينا ما قام به أكابر علمائهم وعبادهم ، وقاتل عليه ملوكهم ودان به جمهورهم ، وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح ، ولا دين غيره من الانبياء .

والله سبحانه أرسل رسله بالعلم النافع ، والعمل الصالح فمن اتبع الرسلَ حصل له سعادة الدنيا والآخرة وانما دخل فى البدع من قصر فى اتباع الأنبياء علما وعملا .

ولما بعث الله محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عنه المسلمون من أمته فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ﷺ أخذوه عن نبيهم ، كما ظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم فى جميع الفضائل العلمية والعملية ، ومعلوم أنه كل كمال فى الفرع المتعلم هو فى الأصل المُعلِّم ، وهذا يقتضى أنه عليه الصلاة والسلام كان أكمل الناس علما ودينا .

وهذه الأمور توجب العلم الضرورى بأنه كان صادقا فى قوله « **انى رسول الله اليكم جميعا** » لم يكن كاذبا مفتريا ، فان هذا القول لا يقوله الا من هو من خيار الناس وأكملهم ، ان كان صادقا أو من هو من أشر الناس وأخبثهم ان كان كاذبا ، وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل ، فتعين أنه متصف بغاية الكمال فى العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقا فى قوله « **انى رسول الله اليكم جميعا** » . لأن الذى لم يكن صادقا اما أن يكون متعمدا الكذب أو مخطئا .

والأول يوجب أنه كان ظالما غاويا .

والثانى يقتضى أنه كان جاهلا ضالا .

ومحمد ﷺ كان علمه ينافى جهله ، وكمال دينه ينافى تعمد الكذب ، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن يتعمد الكذب ولم

البقية ص ١٠١١

في الشريعة

حول موقف القرآن الكريم من حجاب المرأة

الإسلام وحقوق المرأة

الشيخ محمد أحمد شاكر

حول موقف القرآن الكريم من

حجاب المرأة

٢

انتهينا فى مقالنا السباق الى أن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بأن يغضوا من ابصارهم ويحفظن فروجهم كما أمر المؤمنات بأن يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها • أى يسترن مواضع الزينة وبعض من ذلك ما يتعذر اخفاؤه لحاجة أو ضرورة ، وقد خصه بعض الفقهاء بالوجه والكفين •

ذكرنا أن الطلب فى هذا الآيات للوجوب فى الفعل والتحريم فى النهى ، ترتيبا على قاعدة أن الأمر فى القرآن للوجوب والنهى للتحريم ، ولا يعدل عن ذلك الا بدليل وعلى رأى من يقول ان الأمر فى القرآن لا يكون للوجوب الا بدليل فقد بينا أن تسلسل الآيات يدل على أن الطلب على سبيل الالزام لا على سبيل النصح كما ذكر السيد الكاتب •

واليوم نتمم الحديث عن الآية •

قال تعالى : « **وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** » •

الخمار هو : غطاء الرأس ، والجيب هو : فتحة الصدر فى الثوب • ومعنى الآية حينئذ هو أمر المؤمنات بأن يرخين غطاء الرأس بحيث يخفى الصدر والعنق ليسترن مفاتنهن، فلا يعرضنها للأنظار •

يقول صاحب الظلال : ان الله لا يريد أن يعرض القلوب للتجربة والابتلاء فى هذا النوع من البلاء •

ان الله اللطيف بعباده الذى يعلم طبائع النفوس شرع لها ما يجملها ويزينها شرع ما شرع من ستر للزينة ، وضرب للخمار على الصدر ، وقاية للفرد والجماعة وسموا بالمجتمع الاسلامى الطاهر العفيف •

ولذلك استطردت الآية الكريمة تنهى

محمد محمد عباسى

ـ المؤمنات عن أن يعلن عما استتر من زينتهن • قال تعالى « وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ » •

فاذا أمنت الفتنة بأن كانت المرأة مع محارمها فانه يباح لها كشف زينتها كما سبق بيانه •

واذا كانت المرأة غير مرغوب فيها لكبر سن ، وكانت هى كذلك قد فرغت نفسها من الرغبة فى معاشرة الرجال فقد رفع الحرج عنها فى وضع ثوبها الخارجى مع ستر عورتها ـ على الا تكون متبرجة بزينتها قال تعالى :

« وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ » (١) •

قال الامام القرطبى (٢) :

« وانما خص القواعد بذلك لانصراف الأنفس عنهن اذ لا مذهب للرجال فيهن فأبيح لهن ما لم يبح لغيرهن ، وأزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن • ومع ذلك فخير لهن أن يتحفظن ويتسترن مثل غيرهن « وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ » •

وفى التعبير بيستعففن ما يحمل على الامتثال • فليس هناك مطمع لنفس أكثر من طلب العفة والطهر والنقاء •

والغريب أن السيد الكاتب يستنتج من هذه الآية أن النظر الى النساء كلهن ليس حراما • بدليل أن المرأة المعنسة يجوز لها أن تبرز للرجال فلا تحتشم من ذلك « فلو كان النظر اليها حراما وهى شابة ، لم يحل اذا عنست ، ولكنه أمر أفرط فيه المعتدون حد الغيرة الى سوء الخلق وضيق العطن فصار عندهم كالحق الواجب » •

وكأنه يقول أن النظر الى المرأة غير المتسترة مطلقا شابة كانت أم كبيرة ليس حراما • وذلك انطلاقا من قوله : ان الأمر بستر الزينة للمرأة انما هو للنصح (أى للندب) وليس للوجوب •

ونحن نقول له : ان الحكم قد يختلف باختلاف الأحوال ألا ترى أن شرب الخمر محرم ومع ذلك فهو بالنسبة لمن به غصة ولم يجد ما يزيل به غصة سواها فهى مباحة حينئذ فستر الزينة للشابة واجب منعا للفتنة ، وبالنسبة للكبيرة غير واجب لعدم الفتنة • وهكذا •

ونقول كذلك : ان المرأة ان كانت ساترة لزينتها ضاربة لخمارها على صدرها تلبس ثوبا لا يشف عن جسمها أو يحدد معالم الفتنة فيها فان النظر اليها لا يكون حراما

◄

(١) ٦٠ النور •

(٢) القرطبى حـ ١٢ ص ٣٠٩ •

وان كانت غير متسترة كاشفة عن زينتها فانه يحرم النظر اليها •

ونقطة الخلاف بيننا وبينه فى خروج المرأة غير المتسترة الكاشفة لزينتها هل هو حلال فيحل النظر اليها أم هو حرام فيحرم النظر اليها ؟ •

ان رفع الجناح عن القواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فى أن يضعن ثيابهن يقتضى حرمة وضع الثوب الساتر بالنسبة للشابات المرغوب فيهن لأن الجناح هو الاثم ولا يكون الا فى معصية •

ومع كل ذلك فان أمر الله بغض النظر قائم ينادى ويهتف بالانسان رجلا كان أو امرأة أن يعصم نفسه بغض بصره تزكية لنفسه وصيانة وحفظا هذا : وبعد أن أمر الله النساء بستر عوراتهن واخفاء زينتهن وضرب الخمار على صدورهن وأعناقهن ، أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم أن يأمر زوجاته وبناته ونساء المؤمنين بأن يدنين عليهن من جلابيبهن قال تعالى : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (١) •

هذا توجيه مستمر ، ودعوة متصلة لتطهير المجتمع وازالة كل أسباب الفتنة والفوضى •

وقد ذكر الكاتبما روى فى سبب نزول هذه الآية وقال : انه تفسير لها اذ قال : فقد فسرها الواجدى صاحب أفضل كتاب فى أسباب النزول بقوله : نزلت فى الزناة الذين كانوا يمشون فى طريق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن ، فيرون المرأة فيدنون منها فيغمزونها ، فان سكتت اتبعوها ، وان زجرتهم انتهوا عنها ، ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ، ولكن لم يكن يومئذ تعرف الحرةمن الأمة ، انما يخرجن فى درع وخمار ، فشكون ذلك الى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فكان فساق المدينة يخرجون ، فاذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا : هذه حرة فتركوها واذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا : هذه أمة • فكانوا يراودونها •

فحكمة الأمر هنا هى التمكين من التفرقة بين الحرائر والاماء ، وحماية الحرائر من عبث العابثين •

وهنا نقف مع الكاتب ونقول : ان ماذكره قد روى فى أسباب نزول الآية ولكنه ليس تفسيرا لها • والمفسرون يقولون : ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب •

ومع تقديرنا لما قبل فى أسباب نزول الآية الا أننا نرى أن معنى الآية أوسع مما قيل فى سبب النزول — لأن الاسلام يحرص على نظافة المجتمع وصيانته من الفواحش ، والأمة فى المجتمع الاسلامى لها ما للحرة من

(١) ٥٩ الاحزاب •

رعاية وصيانة واهتمام .

ولذا فان المرأة اذا أخطأت عوقبت حرة كانت أم أمة . ولا يعقل أن يأمر الحرة بالتستر وارخاء الثوب لتتميز عن الأمة حتى تكون الفرصة مهيأة للزناة ليجدوا بغينهم فى الاماء ونميل الى ما قيل فى تفسير الآية . بأن ارخاء الثياب وستر الجسم خليق بأن يعلن عن عفة المرأة وتحفظها فلا يجرؤ فاسق على الاقتراب منها فيؤذيها باشارة نابية أو بعبارة جارحة .

ولا يقوى الرجل على الاقدام على مغازلة المرأة الا اذا أحس بأن هناك تحريضا منها واستجابة له .

ألم تروا الى قول الله تعالى :

« يَانِسَاءَ النَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا » (١) .

فهذا نهى لنساء النبى عن الخضوع فى القول عند مخاطبة الأغراب من الرجال والخضوع هو التثنى والتكسر الذى يثير شهوات الرجال ، ويحرك غرائزهم ويطمع مرضى القلوب فيهن .

وكما يقول صاحب الظلال (٢) : ومن هن اللواتى يحذرهن الله هذا التحذير ؟

انهن أزواج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اللواتى لا يطمع فيهن طامع ولا يرف عليهن خاطر .

ولكن الله الذى خلق الرجال والنساء يعلم « ان فى صوت المرأة حين تخضع بالقول وتترفق فى اللفظ ما يثير الطمع فى القلوب .

وان القلوب المريضة التى تثار وتطمع موجودة فى كل عهد وفى كل بيئة ، وتجاه كل امرأة ، ولو كانت هى زوج النبى الكريم وأم المؤمنين . وأنه لا طهارة من الدنس ، ولا تخلص من الرجس حتى تمتنع الأسباب المثيرة من الأساس .

اذا انما يطمع الرجل فى المرأة اذا كان منها ما يحمله على ذلك . ولذلك يقول الله :

«ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » أى يعرفن بالعفة والتحفظ ، فلا يجرؤ أحد على ايذائهن » .

كل ما سبق من الأمر بستر العورة وغض البصر وحفظ الفرج وستر مواضع الزينة وارخاء للثوب عند الخروج انما هى أوامر عامة موجهة لجميع النساء وليست قاصرة على طبقة دون طبقة ولا مجتمع دون مجتمع طلبا للعفة ودعوة للطهر والنقاء ، ووقاية للمجتمع من المزالق والانحرافات .

وأما ما جاء فى حجاب المرأة بمعنى احتجابها **عن الناس وعدم خروجها الى الطريق .**

فقد ورد فيه نصان من القرآن الكريم .

الأول منهما : قول الله تعالى : **« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِىِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا**

◄

---

(١) ٣٢ الاحزاب .

(٢) حـ ٦ ص ٥٨١ .

وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا » (١) .

فقد ورد لفظ الحجاب فى قوله « **واذا سألتوهمن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب** ، والأمر بذلك متعلق بزوجات النبى ــ صلى الله عليه وسلم بأن يحتجبن عن الناس واذا كان لأحد من عامة الناس حاجة لدى بيت النبى من فتوى أو غير ذلك فليسأل عن حاجته من وراء حجاب ولا مانع من أن تجيب من فى البيت على النحو الذى ذكرته الآية .

« **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا** » .

حقيقة ان هذه الآية وان كانت نصا فى زوجات النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ الا أنها تشمل جميع النساء لأن زوجات النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قدوة لغيرهن ، ولأنه اذا كان بيت النبوة يفرض على من فيه الحجاب ، وهن زوجات النبى وأمهات المؤمنين المحرمات على الناس جميعا لأن ذلك أطهر لقلوبهن وقلوب من يريد شيئا منهن . فكيف بمن فى غيره من الثبوت ؟؟ ! وليس لهن من المنزلة والمكانة ما لأمهات المؤمنين .

يقول الامام القرطبى (٢) .

ويدخل فى ذلك جميع النساء بالمعنى ، وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة ، بدنها وصوتها ، فلا يجوز كشف ذلك الا لحاجة كالشهادة عليها أو داء يكون ببدنها أو سؤالها عما يعرض وتعين عندها .

ويقول صاحب الظلال : ان هذا الحجاب أظهر لقلوب الجميع ، فلا يقل أحد غير ما يقول الله . لا يقل أحد ان الاختلاط وازالة الحجب والترخيص فى الحديث ، واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب ، وأعف للضمائر ، وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة وعلى اشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك ، لا يقل أحد شيئا من هذا مع قول الله تعالى . اذا كان الله يقول عن نساء النبى الطاهرات أمهات المؤمنين وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ممن لا تتطاول اليهن واليهم الأعناق . وحين يقول الله قولا : ويقول خلق من خلقه قولا . فالقول لله سبحانه . وكل قول آخر هراء لا يردده الا من يجرؤ على القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقى الذى خلق هؤلاء العبيد والواقع العملى الملموس يهتف بصدق الله

(١) ٥٣ الاحزاب .

(٢) القرطبى حـ ١٤ ص ٢٢٧ .

وكذب المدعين غير ما يقول الله ، والتجارب المعروضة اليوم فى العالم مصدقة لما نقول ، وهى فى البلاد التى بلغ الاختلاط الحر أقصاه أظهر فى هذا وأقطع من كل دليل .

والآية الثانية هى قول الله تعالى : « وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » (١) .

وهذا أمر آخر لزوجات النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم بأن يلزمن بيوتهن و لايتبرجن تبرج الجاهلية الأولى . فلا يظهرن متزينات كما كانت تصنع النسوة فى الجاهلية وهل يشمل الأمر كذلك غير زوجات النبى — صلى الله عليه وسلم — ؟ .

يقول الامام القرطبى (٢) .

الأمر بلزوم البيت وان كان الخطاب لنساء النبى فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى ، هذا لو لم يرد دليل يخص النساء ، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن ، والانكفاف عن الخروج الا لضرورة .

اذا هذا أمر للنساء عامة بأن يكون البيت لهن مقاما يستقررن فيه ولا يخرجن الا لحاجة مع الاحتشام فى المظهر والمخبر .

وانما خوطب به زوجات النبى لأنهن القدوة لغيرهن. وليس ذلك تمييزا لهن عن غيرهن . واذا كان فى استقرارهن فى البيوت كما أخبر القرآن ذهاب للرجس عنهن وتطهير لهن فان ذلك فى غير زوجات النبى أولى وأحق .

هذا وليس المراد بالقرار فى البيوت عدم الخروج مطلقا . بدليل أن زوجات النبى — صلى الله عليه وسلم — وهن المخاطبات بالأمر أولا . كن يخرجن لحاجتهن وللصلاة.

وانما المراد أن يكون البيت هو الأصل فى حياتهن وهو المقر لهن . وما عداه يكون استثناء طارئا ويقدر بقدر الحاجة .

ألم تر أن الاسلام يجعل المرأة أهلا للشهادة « وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ » . ومقتضى ذلك أن نشهد على العقد بمحضر من الرجال . ومن ثم يلزمها أداء الشهادة أمام القضاء عندما يستدعى الأمر كذلك « و لاتكتموا الشهادة »

ويجعل الاسلام كذلك للمرأة ذمة مالية مستقلة فلها أن تتملك المال عن طريق الأرث والبيع والشراء . ولها أن تستثمر هذا المال فيما شرع الله بنفسها .

فخروج المرأة من بيتها متسترة غير متبرجة بزينتها لحاجة ضرورية مباح لا شىء فيه والمحرم هو أن يكون خروجها لا لشىء سوى أن تتبرج بزينتها كتبرج الجاهلية الأولى وما يروى عن تبرج الجاهلية بالقياس الى

---

(١) ٣٣ سورة الاحزاب .

(٢) القرطبى جـ ١٤ ص ١٧٨ .

تبرج المرأة اليوم يعتبر احتشاما •

وان الاحتشام والتستر لم يمنع المرأة المسلمة المتمسكة بدينها من أن تعمل فى كل مجال بل وتتفوق فيه ، فأى داع لهذه الصيحات المنكرات التى تتعالى هنا وهناك •

يقول صاحب الظلال : « ان خروج المرأة لتعمل كارثة على البيت قد تبيحها الضرورة أما أن يتطوع بها الناس وهم قادرون على اجتنابها فتلك هى اللعنة التى تصيب الأرواح والضمائر والعقول ».

ويحاول الكاتب أن يسخر من القيم الراسخة فى المجتمع الاسلامى ويقول : ارتبطت بفرض الحجاب مفاهيم تضمنتها العقائد الفاسدة أو الأحاديث المنسوبة الى النبى صلى الله عليه وسلم • ومن ذلك القول بأن المرأة فتنة •

واعتبار صوتها وغير صوتها عورة • والقول باستحالة أن يخلو الرجل والمرأة الا اذا كان الجنس شاغلهما •

ونحن نقول له • ليست المرأة وحدها فتنة ولكن الأولاد فتنة والأموال فتنة • ألم يقل الله تعالى : « **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ** » أليست هذه كلها شهوات

يقول تعالى

« **إنّما أموالكم وأولادكم فتنة** » ويقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء "متفق عليه".

وأما أن صوتها عورة فقد عرفنا فيما مضى ما ورد فى شأن الصوت « **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** » فقد جاز سماع صوت المرأة اذا كان لحاجة وكان غير منكر •

وأما غير صوتها فقد عرفنا من الآيات ما ورد فى ستر زينة المرأة ومواضعها ولا يكون الستر الا للعورة •

وأما أن خلوة الرجل بالمرأة يشغلها الجنس دائما فنحن معه فى أنه ليس بلازم أن يكون الجنس شاغلهما • بل قد يشغلها حديث علمى مثلا • ولكن ألا يجوز أن تتطور العلاقة الى الجنس • واذا جاز ذلك فى أحيان قليلة فقد وقع المحظور • والتشريع انما يهدف الى الصيانة والوقاية •

ولهذا فقد حرم الاسلام الخلوة بالأجنبية خوفا من احتمال تطورها الى الجنس •

عن ابن عباس رضى الله عنهما يقول سمعت النبى — صلى الله عليه وسلم — يخطب ويقول : « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم • ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم » • فقام رجل فقال يا رسول الله • ان امرأتى خرجت حاجة وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا • فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « انطلق فحج مع امرأتك » "متفق عليه".

وهذه قصة سيدنا يوسف عليه السلام من عبرها أن امرأة العزيز سيدة القصر تستخدم معه كل وسائل الاغراء ، فلما لم يُجْدِ معه شيء من ذلك لجأت الى التصريح بل الى الاغتصاب

ويشيع الامر فى المدينة وتتحدث النسوة منكرات أن تراود امرأة العزيز فتاها عن نفسه ويبلغها نبأ المتحدثات عنها ، فتمكر بهن وتدعوهن الى طعام وتعطى كل واحدة منهن سكينا ، ثم تطلب من يوسف أن يخرج عليهن • فيفتن به عند رؤيته • «وقلن حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم» • وتشعر زوجة العزيز بالانتصار • فتقرر أمامهن بما فعلت وتعلن أيضا اصرارها على ما تريد •• « قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ، وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ » •

وهل بعد ذلك نحسن الظن ونقول أن اجتماع الرجل والمرأة فى خلوة أمر لا شيء فيه • ولاضرر منه •

أم هل يريد السيد الكاتب أن تسود القيم التى رآها ابن بطوطة فى رحلاته واستنكرها حيث يقول : « انه دخل مدينة فى صحراء المغرب فوجد الرجل يدخل بيته فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك » •

فهل يريد السيد الكاتب أن تسود مجتمعنا تلك القيم فلا تبقى للبيوت حرمة ، ولا للاعراض كرامة ؟

ان العلماء يقولون : « ان الخلوة بالمرأة المعقود عليها تعتبر فى حكم الدخول وان لم تحصل معاشرة فيستحق بها المهر ، ويثبت بها النسب والميراث » •

وان منع الخلوة بالاجنبية فيه ابراء للذمة وبعد عن التهمة وأطهر للقلب وأصون للعرض

وختاما • فان كان يريد السيد الكاتب بالحجاب هو حجب عورة المرأة عن الانظار فقد بينا ماورد فيه من الايات • وكلها موجهة الى النساء عامة • وان كان يريد بالحجاب هو حجب المرأة عن العيون ومكثها فى دارها • فقد بينا كذلك أن النصين الكريمين وان كانا موجهين الى زوجات النبى ﷺ خاصة الا أنهما يشملان غيرهن من النساء • لان سبب فرض الحجاب على زوجات النبى ﷺ ليس تمييزا لهن على غيرهن وانما تطهير لهن وحتى لايطمع فيهن طامع • وذلك المعنى فى غيرهن أحق وأولى•

وتبين لنا أن هذه الاحكام ليست تقليدا لمجتمع سابق أو نقلا لقيم معينة وانما هى أحكام مستمدة من الله سبحانه وتعالى لقيام مجتمع فاضل يسيطر عليه الطهر والعفاف وبعد أن يقول الله فى ختام آياته :

« ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »

« هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ » « ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ »

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » فليس لأحد بعد ذلك أن يقول قولا : والله يقول الحق ويهدى السبيل هدانا الله ورزقنا الفقه فى دينه فان من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ومنحنا العون والهداية والرشاد والله ولى التوفيق •

محمد محمد عباسى

الإسلام وحقوق المرأة

وجدت قضايا المرأة فى الاسلام اهتماما لم تحظ بمثله فى أى تشريع قبله ولا فى أى فكر وضعى بعده .

وهذا الاهتمام البالغ بشأن المرأة فى التشريع الاسلامى انما يستهدف الارتقاء بشأنها وحفظ حقوقها من الضياع ، والأخذ بيدها على طريق الحياة الفاضلة .

لتكون كما أرادها الله ، مدرسة لتعليم الأجيال كل مبادىء العلم والأخلاق والفضيلة ، ونافذة تطل على الدنيا بالجيل القوى المؤمن الذى يحمل أمانة ربه ، ويتحمل مسئولية وطنه بصدق ورجولة .

ولا شك أن ما قررته الشريعة الاسلامية للمرأة يضمن تحقيق تلك المقاصد الجليلة ، ويكفل لها الوصول الى ما تتطلع اليه فى دنياها من غايات طيبة .

... كان لابد من تقرير تلك الحقائق ونحن بصدد الكلام عن اهتمام الشريعة الاسلامية بقضايا المرأة لأن عددا من خصوم الاسلام كثيرا ما يحلو لهم اثارة حفيظتها على أحكام الله ، وتأليبها على شرعه الحكيم ، رغبة منهم فى تقويض كيانها ومحو شخصيتها ، وابعادها عن حياة الصواب .

ومن العجيب أن أصحاب تلك النحل لا يدخرون وسعا فى تحقيق مآربهم ، ولا يعدمون حيله فى الوصول الى ما يقصدونه بالمرأة المسلمة ، فتراهم يلبسون دعاواهم ثياب الاصلاح ويطلقون عليها عبارات تروج لها وتجذب أفكار النساء اليها .

ومن ثم فانهم غالبا ما يبثون سمومهم تحت مسميات تستلفت نظر المرأة وتجذب انتباهها : « كالنهوض بالمرأة » مثلا ، أو كما يقولون : « المرأة العصرية » أو « المتحضرة » ، وهذه المسميات على اختلاف معانيها تدور كلها حول فكرة واحدة ترمى الى فصل المرأة عن تعاليم دينها وتعكير صفو العلاقة بينها وبين ربها ، وليس بخاف ما تنطوى عليه تلك الفكرة السيئة من خطر عليها وعلى الأبناء الذين أوكل الله أمر تربيتهم اليها .

للدكتور عبد الله مبروك النجار

وخصوم الاسلام لا يكفون عن ترصد المرأة المسلمة للايقاع بها فى شرك أفكارهم الرديئة، والوصول بها الى ما يخططون له وذلك من خلال اغرائها بالمسميات البراقة على نحو ما رأينا تارة ،أو من خلال تغيير الحقائق أمامها وتزويرها تارة أخرى ، فيوحون لها بأن أحكام الاسلام تقف عثرة أمام ما ينشدونه لها من تقدم يزعمونه ، ونهضة يرتقونها .

ولو أنصف هؤلاء الذين يصرخون فى كل وقت باسم حقوق المرأة وقضاياها ، دونما حياء يمنعهم من التطاول على أحكام الله والتهكم على شريعته ، لأمروها بالتمسك بكتاب الله الكريم ، وسنة نبيه ﷺ وطالبوها بالعودة الى أحكام الشريعة الاسلامية السمحاء .

ففيها تحقيق الخير ، كل الخير للنساء ، والأخذ بأيديهن على طريق الحياة الفاضلة التى تحفظ العرض ، وتصون الكرامة ، وتحمى مواطن العفة فى المجتمع .

ومن المؤكد أن ما يقصد الاسلام تحقيقه من خلال الأحكام التى قررها للنساء فى الكتاب

والسنة ، يعد غاية كبرى ، لا يحلم أصحاب العقول المحدودة فى الوصول اليها ، ولا يمكن لأصحاب الافكار الصغيرة أن يعوا مرماها،وهم لا يملكون ازاء جلال الاحكام التى قررها الله للمرأة ، والحقوق التى كفلتها لها الشريعة الاسلامية ، الا أن يقفوا موقف الشامت بها ، الحاقد عليها ، الراغب فى صرف الخير عنها ، أو ابعادها عنه .

ومثل قوم وصل بهم ضعف النفس الى هذا الحد ، وهو ان الفكر الى هذا المستوى لا نستبعد أن يصدر منهم ما يريدون أن يمسوا به قيمة ما قررته الشريعة الاسلامية للمرأة من حقوق ، فيهونون من شأنها ، ويقللون من قيمتها ، أو يزعمون خلافها فيقررون أن الاسلام لا يسوى بين المرأة والرجل فيفرض الحجاب عليها دونه ويجعلها فى الشهادة والميراث على النصف منه ، ولو انهم نظروا الى تلك الأحكام من زاوية الايمان لوجدوا فيها تمام الحكمة ورأوا فيها عين الصواب .

المساواة بين الرجل والمرأة :

لقد غاب عن ذهن هؤلاء الذين يتهمون الاسلام بمحاباة الرجل على حساب المرأة رغبة منهم فى تأليب المرأة على أحكامه ، أن الاسلام هو أول من قرر للمرأة حق المساواة مع الرجل، وأن الاسلام حين قرر ذلك الحق للمرأة لم يشأ أن يجعل منه شعارا أجوف يتجاهل ما فطر الله

المرأة عليه من صفات أوجدها بها ، وطبيعة خلقها معها ، لتكون مهيأة بها لرسالة مقدسة أسندها اليها ، لتؤدى من خلالها واجب العبودية لله عز وجل ، والالتزام بأحكام شريعته ، ومن ثم فالمساواة بين الرجل والمرأة فى الاسلام لا تعنى أن المرأة كالرجل فى كل شىء ، أو أن الرجل كالمرأة فى كل شىء ، والا كان فى ذلك تجاهل للفطرة البشرية التى أوجد الله الذكر والأنثى عليها ، فليس الذكر كالانثى طبعا وخلقة ، ومثل هذا الاختلاف لا يدل على أن لنوعى الجنس الانسانى أفضليته على الآخر فى القيام بمهمة التوالد وحفظ النوع البشرى من الانقراض ، ومثل الرجل والمرأة فى اختلاف نوعيهما ، وتكامل رسالتيهما كمثل الليل والنهار ، حيث يختلفان اختلافا يكمل معه كل منهما الآخر ، فالحياة لا تستقيم مسيرتها مع ليل خالص ، أو نهار دائم فالليل الخالص يعنى اضطراد نظامها على وتيرة واحدة لا تحقق الانسجام بين وجودها ، بل وتدفع به الى الهلاك وكذلك الأمر بالنسبة للنهار ، وقد ضرب الحق سبحانه مثلا على ذلك فى القرآن الكريم بقوله عز من قائل :

« **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** » (١) •

واختلاف الذكر والانثى كاختلاف الليل والنهار يقوم على التكامل والتكاتف ، لا التعاند والتعارض (٢) ، كما قال الله تعالى : « **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ • وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ • وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ • إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ** » (٣) فدل هذا القول الكريم على ان اختلاف النوعين انما يستهدف القيام بالمهمة التى أوجدها الله لها ، ومثل اختلافهما فى ذلك كمثل اختلاف الليل والنهار حيث لا يستوجب التمايز بينهما أو الاخلال بمبدأ التساوى فى حقوقهما وانما هو للتكاتف والتمازج كما رأيناه •

أساس المساواة بين الرجل والمرأة :

واختلاف نوعى الجنس البشرى بين الرجل والمرأة على نحو ما رأيناه لا يستوجب الاخلال بما كفلته الشريعة لكل منهما من حقوق ، حيث أراد الشارع سبحانه أن يعصم حقوق المرأة من الضياع ، فأرشد عباده الى الأسس التى ترتكز عليها تلك المساواة ، ليكون فى تبيانها ما يحفظ حقها ويدعو الى الرفق بها والحنو عليها ،

(١) سورة القصص ــ الايتان : ٧١ ــ ٧٢ •

(٢) راجع فى هذا المعنى : فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ــ المرأة كما ارادها الله ــ ص ٧٣٧ دار القرآن •

(٣) سورة الليل ــ الأيات من ١ ــ ٤ •

تأكيدا لمبدأ التواصى بها وحسن عشرتها ، وحتى لا تضيع حقوق المرأة فى زحام تيار من الافكار التى تدعو لاهمالها ،والفلسفات التى تتجاهل وجودها وليكون التشريع الاسلامى هو أول من سن لتلك المساواة الأسس ،ووضعلها القواعد وهذه الأسس تقوم على ركيزتين هامتين هما.

التساوى فى أصل الخلقة .

والتساوى فى أساس المسئولية بينهما ، وذلك نود أن نبينه بشىء من التفصيل :

أولا : التساوى فى أصل الخلقة :

واذا كانت بعض الأفكار الوضعية تحاول أن تتلمس للمرأة فى اصل خلقتها ما ينال من قضية المساواة بينها وبين الرجل ، فى محاولة للتقليل منها ، أو النيل من كيانها فترى ان المرأة قد خلقت من رجس ، أو من عمل الشيطان ، الى غير ذلك من النعوت التى تسفه حياتها ، وتنال من مكانتها (١) ، فان الشريعة الاسلامية هى التى دفعت عن المرأة مثل تلك المزاعم وبينت سفهها ، وردت عليها بالحجة البينة والدليل القاطع فى آية من كتاب الله تتلى على مسامع الزمان : قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً** » (٢)، حيث أشارت تلك الآية الكريمة الى وحدة الأصل الذى خلقت منه المرأة مع الرجل ، فلم يخلق الرجل من جوهر ، والمرأة من جوهر آخر، وانما خلقا جميعا من جوهر واحد هو التراب والطين والصلصال ، ومن ثم فلا وجه لأن يتميز الرجل على المرأة أو تتميز المرأة على الرجل فى طبيعة التكوين الأصلى ، وتلك الوحدة فى أصل التكوين والخلقة تستوجب بالدرجة الأولى أحقية كل من الرجل والمرأة للكرامة الانسانية بكل معانيها وحدودها التى أرادها الله لبنى آدم .

ثانيا : التساوى فى أساس المسئولية :

وثمة جانب آخر يتأسس عليه مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة ، وهو تساويهما فى أصل المسئولية أمام الله عز وجل ، عن ما كلفهما به من أحكام ، وعلى هذا فان عملهما المطلق يخضع للحساب من الله عز وجل ، قال تعالى : « مَنْ

---

(١) راجع : فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ــ نفس المرجع السابق ــ ص ٨ وما بعدها ، وتفسير المنار ــ ج ٤ ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٢) سورة النساء ــ آية ١ .

الاسلام وحقوق المرأة

عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (١).

حيث أشارت الآية الكريمة الى أن المرأة والرجل مجزيان عن عملهما أمام الله سبحانه، ويقول عز من قائل :

« وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (٢) ، ويتضح من هذا النص الكريم أن الحق سبحانه يقرر مساواة المرأة للرجل فى القيام بأحكام التكليف وما يترتب عليها من الفوز بنعيم الاخرة ، وما ذلك الا لمشابهة المرأة للرجل فى أصل المسئولية وولاية الايمان الا ما خصها به الشارع لضعفها ، وانفرادها بوظائف خاصة بها ، لا يشارك فيها الرجل ، فقد حط عنها وجوب القتال ، ورفع عنها التكليف بالصلاة والصوم فى بعض أحوالها ، وهذا من المعلوم بالضرورة من أحكام الاسلام (٣) . وقال تعالى : « **فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ** » (٤) حيث بين الحق سبحانه فى هذه الآية ان الذكر والانثى متساويان فى الجزاء ، متى كانا متساويين فى العمل ، حتى لا يغتر الرجل بقوته ورياسته على المرأة ، فيظن أنه أقرب الى الله منها ، ولا تسىء المرأة الظن بنفسها ، فتتوهم أن جعل الرجل رئيسا عليها يقتضى أن يكون أرفع عند الله منها .

وقد أشار الحق سبحانه الى علة هذه المساواة بقوله الكريم : « بعضكم من بعض » ومعناه كما يقول المفسرون والفقهاء أن الرجل مولود من المرأة ، كما أن المرأة مولودة من الرجل ، فلا فرق بينهما فى البشرية ، ولاتفاضل بينهما الا بالأعمال ، وما يترتب عليها من العلوم والاخلاق ، وأن كلا منهما صنو وزوج وشقيق الآخر أى مثله فى الطباع والأخلاق ، كأنهن مشتقات منهم ، أو لأنهن معهم ينحدرون من أصل واحد .

وفى هذا المعنى يقول الرسول صلى الله وسلم : « النساء شقائق الرجال » (٥) أى

---

(١) سورة النحل — آية ٩٧ .
(٢) سورة التوبة — الايتان ٧١ ، ٧٢ .
(٣) راجع « تفسير المنار » — ح ١٠ ص ٤٦٩ — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .
(٤) سورة آل عمران — اية ١٩٥ .
(٥) اخرجه الامام أحمد فى مسنده ، راجع « كنوز الحقائق فى كلام خير الخلائق — » لعبد الرءوف المناوى — مطبوع على هامش سبل السلام جـ ٣ — ص ١٣٢ . »

ملتهم فى أصل الخلقة والمسئولية يقول صاحب المنار : « ان الآية الكريمة فيهـ ارفع لقـدر النساء المسلمات فى أنفسهن وعـند الرجـال المسلمين ، ومـن علم أن جميع الامم كـانت تهضم حق المرأة قبل الاسلام وعلم بالأصـل الذى أدخله الاسلام على عقائد الامم وعادتها قدر الاسلام حق قدره » (١) .

مقتضيات التساوى فى المسئولية :

ومن مقتضيات التساوى فى المسئولية بين الرجل والمرأة أن يكون لكل واحد منهما حقـا على صاحبه يقابله واجب يتعلق بذمته : قـال تعالى : « **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِـنَّ بِالْمَعْـرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** » (٢) فقد سوى الله فى هذه الآية الكريمة بين ما يجب لها ومـا يجب عليها حتى لا تكون مهضومة الحق أو الطرف الضعيف الذى يقـع على كاهلـه العبء كله ، دون أن يشارك الطرف الآخر فى تحمل بعض الاعباء ، والآية قاعدة كلية ناطقة بأن المـرأة مساوية للرجل فى جميع الحقـوق الا أمـرا واحدا عبر عنه الحق سبحانه بقوله : « **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** » ، تلك الدرجة التى اقتضاها ما أودعه الله فى الرجل من زيادة القوة فى العقل والبدن ، وما يستوجبه كل ذلك مـن حسـن القيام بواجب المرأة ، والاستمرار فى رعايتها والانفاق عليها ، فهى درجة لا تنال من المرأة وانما تتقرر لحسن القيام بواجباتها ، كما قال الله تعالى : **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَـا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** (٣) فالدرجة ليست هى درجة السلطان ولا درجة القهر والسطوة ، وانما هى درجـة الرياسة البيتية ، الناشئة عن عهـد الزوجية ، وضرورة الاجتماع هى درجـة القـوامة التى أناطها الاسلام بالرجل لتزيد مسئوليته عـن مسئوليتها ، فهى ترجع عن شأنها وشأن ابنائها وشأن منزلها اليه ، تطالبه بالانفاق وتطالبه بما ليس فى قدرتها ، وما ليس لهـا مـن سـبيل اليه (٤) .

وينبنى عليها اثبات العديد من الحقوق التى بخلت عليها بها كثير من التشريعات غير الاسلام ومنها :

١ ــ للمرأة كامل الحقوق المدنية :

وعلى هذا النحو فـان المرأة فى الاسلام تتمتع بكامل حقوقها المدنية ، ولها الأهليـة الكاملة فى تحمل الالتزامات واجـراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن وهبة ووصـية ، وما الى ذلك وبحقها فى التملك تملكا مستقلا عن غيرها وبسـلطتها المطلقة فى ادارة امـوالها بنفسها .

فللمرأة فى الاسلام شخصيتها المدنية الكاملة وثروتها الخاصة المستقلتان عن شخصية أهلها وزوجها وعن ثرواتهما ، ولا يجـوز لأهلهـا ولا لغيرهم التصرف فى شىء من مالها متى كانت

---

(١) « وتفسير المنار » ــ حـ ٤ ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٢) سورة البقرة ــ اية ٢٢٨ .

(٣) سورة النساء ــ اية ٣٤ .

(٤) « الاسلام عقيدة وشريعة » ــ للامام محمود شلتوت ــ ص ١٧٥ .

رشيدة الا باذنها ، ولا يجوز لزوجها نفسه أن يبرم أى عقد أو اجراء مالى يتعلق بثروتها الا اذا أذنت له بذلك أو وكلته فى ابرامه بالنيابة عنها وفى هذه الحالة يجوز أن تلغى وكالته وتوكل غيره اذا شاءت كما لا يجوز له أن يأخذ شيئا من مالها قل ذلك الشىء أو كثر (١) ٠

وهذه المنزلة قد منحها الاسلام للمرأة باعتبارها انسانا كامل الانسانية منذ أن أشرقت الأرض بنوره ، فى حين أن المرأة الغربية فى عصر الحضارة وحقوق الانسان كما يقولون ، لم تصل الى التمتع بهذا الحق الانسانى الذى تمتعت به المرأة فى ظل الاسلام (٢) ٠

٢ ــ حق المرأة فى عقد الزواج :

واذا كان الاسلام قد منح المرأة أهلية التصرف كاملة فى سائر العقود المدنية فانه لا يتصور أن يسلبها ابداء رأيها فيمن يريد التزوج بها ، فليس من ريب أن نفسها ألصق بها من مالها ، وقد صحت الأحاديث الكثيرة فى وجوب استئذان المرأة عند زواجها وحتمت فى الثيب أن تصرح بالأذن واكتفت من البكر ترخيصا لها ، أن تجرى على عادتها فى الحياء الذى يمنعها من التصريح بأن يكتفى منها بما يدل على الرضا فالحق حقها ، والشأن شأنها ٠

وقد روى أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن » قالوا : يارسول الله وكيف اذنها ؟

قال : أن تسكت » (٣) ٠ فقد دل هذا الحديث على أنه لابد من طلب أمر الثيب (٤) فلا يعقد عليها حتى يطلب الولى الامر منها بالاذن بالعقد ، والمراد من ذلك اعتبار رضاها ، وهو معنى أحقيتها بنفسها من وليها فى الأحاديث (٥)،وبالنسبة للبكرلابدمن اذنها ٠

٣ ــ حق المرأة فى التعليم :

واذا كان الاسلام يسوى بين المرأة والرجل ليتحمل كل منهما مسئوليته أمام ربه عن ما كلفه به ، والمرأة مكلفة أمام ربها ، ومسئولة عن ما تقدمه يداها ، من خير اعدت له ، ومهمة

خلقت لها ، وما أجل رسالتها فى الحياة ! ، وما أكثر المهام التى أنيطت بها ، فهى لا تقف عند

حد القيام بضروب العبادات المختلفة وأنواع المعاملات المتعددة ، ولكنها مع كل هذه الانواع المتعددة من أحكام التشريع تنفرد بمهمة خاصة تستأثر بها ، وتقتصر عليها وهى اعداد جيل

(١) دكتور كمال جوده ابو المعاطى ــ وظيفة المرأة فى الاسلام ــ ص ١٣٣ ــ طبعة ١٩٨٠ ٠
(٢) الاسلام عقيدة وشريعة ــ ص ٢٥٣ ٠
(٣) « سبل السلام للصنعانى » حـ ٣ ص ١١٨ ٠
(٤) الثيب : هى غير البكر ٠
(٥) المرجع المكان السابقين ٠

قوى يؤمن بربه ، ويعيش لدينه ووطنه ويحب أمته ، ويعمل من أجل رعايتها والنهوض بها .

والجيل الناشىء وهو الاخر فى حاجة الى من يتعهده بالرعاية ويتولاه بالتعليم والتثقيف والتنشئة على هدى الاخلاق الاسلامية الفاضلة ومن المؤكد أن الله قد أوكل تلك المهام الجليلة الى الام فهى مطالبة على سبيل الوجوب بالقيام بأحكام التكليف ، لتفعل ما أمر الله به وتنتهى عما نهى الله عنه ، كما أنها مطالبة بتلقين أبنائها مبادىء الثقافة الراقية والاخلاق العالية وفضلا عن هذا وذاك هى زوجة وربة بيت ، ويلزمها معرفة حق زوجها عليها حتى لاتقع فى المعصية كما يلزمها معرفة المبادىء التى يمكن أن تدبر بها بيتا هى ربته ، والمسئولية عن تسيير دفة الامور فيه ، وأمور البيت متعددة بتعدد جوانب الحياة واختلاف شئونها .

ومن ثم فان موقعها فى حياة الاسرة وادارة البيت يحتاج منها أن تتزود له بما يمكن أن يكون لها من مختلف مستويات العلم فهى محتاجة الى العديد من جوانب الثقافة كالطب والاقتصاد والعلم والحياكة والتدبير وغير ذلك.

ومن المؤكد أن تلك الامور لا يمكن القيام بها الابمعرفة أركانها وشروطها ولوازمها ،وكل ذلك لا يحصل الا من خلال العلم ، وفى هذا الصدد يقرر الفقهاء أن ما لا يتأتى الواجب الا به يكون واجبا ، فاذا كان القيام بكل تلك الامور لا يتأتى الا بعد معرفة ماهيته والاحاطة بمبادئه ، يكون العلم واجبا فى حد ذاته ، على أن التخصص فى فرع معين من فروع المعرفة والتعمق فيه كالطب والصيدلة والتشريع وعلوم اللغة والادب وغيرها من فنون العلم ، قد يكون واجبا عليها على سبيل الكفاية ، اذا اقتضت ضرورة الحياة ذلك ، وتعين عليها اتقان جانب معين منه ، وفى هذه الحالة يجوز لها أن تخرج لطلب العلم حيث قرر الفقهاء ذلك بشرط أن تكون ملتزمة بآدات الشريعة ومحتشمة فى مظهرها ومسلكها ، فلا تتعمد الاثارة ولا تنشد الفتن (١) .

يقول ابن حزم : أوجبوا عليهن النفار للفقه فى الدين والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، نقول : نعم هذا واجب عليهن كوجوبه على الرجال ، وفرض على كل امرأة التفقه فى كل ما يخصها ، كما أن ذلك فرض على الرجال ففرض على ذات المال منهن معرفة أحكام الزكاة وفرض عليهن كلهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصوم ، وما يحل وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك كالرجال ولا فرق .

ولو تفقهت المرأة فى علوم الديانة للزمنا قبول نذارتها وقد كان ذلك ، فهؤلاء أزواج الرسول — عليه الصلاة والسلام — وصواحبه قد نقل عنهن أحكام الدين وقامت الحجة بنقلهن ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا فى ذلك (٢) .

◄

---

(١) راجع فى هذا المعنى : دكتور كمال جوده ابو المعاطى — المرجع السابق — ص ٩٦ وما بعدها ، والشيخ محمد متولى الشعراوى نفس المرجع ص ٤٣ وما بعدها ، والاسلام « عقيدة وشريعة » — ص ٢٢٧ .

(٢) ابن حزم — « الاحكام فى اصول الاحكام» — حـ ٢ ص ٢٥٧ — مطبعة الخازنجى .

٤ ــ حق المشاركة فى الحياة العامة :

وللمرأة فى الاسلام حق المشاركة فى الحياة العامة ، لتكون شريكة الرجل فيما يرشد مسيرة الحياة على طريق الخير والسعادة ، فهى معه تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، بل وتأثم اذا ما تقاعست عن القيام مع الرجل بهذا الواجب الذى لا يهمله الا منافق فاسق ، قال تعالى :

« الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ • وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ » (١) ، فقد دلت هاتان الآيتان الكريمتان على ان الاسلام يسوى بين الرجل والمرأة فىالقيام بواجب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالنص الصريح فى تلك المسئولية الكبيرة •

والمرأة فى الاسلام صاحبة رأى تبديه وتجادل به وتدافع عنه ، وقد حكى القرآن الكريم صورا متعددة للأخذ برأى المرأة والاعتداد به ،واحترام ما يسفر عنه اذا صادف الحق كما جاء فى أمر المرأة التى جادلت النبى ﷺ وهو ليس بخاف على أحد ، قال تعالى : « قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » (٢) •

فقد جاءت خولة بنت ثعلب زوجة أوس ابن الصامت تشكو زوجها الى النبى ﷺ لأنه ظاهر منها أى قال لها : أنت على كظهر امى ، وكان الرجل فى الجاهلية اذا قال مثل هذا لزوجته حرمت عليه ، ثم دعاها فأبت وقالت : والذى نفس خوله بيده لا تصل الى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله •

ثم أتت النبى ﷺ ، وقالت يارسول الله : ان أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فى ، فلما خلا سنى ، ونثرت بطنى جعلنى عليه كأمه ، وتركنى الى غير أحد •

فقال عليه السلام : « ما أمرت فى شأنك بشىء حتى الآن ، و مأراك الا وقد حرمت عليه » •

فقالت : ما ذكر طلاقا يا رسول الله ، وأخذت تجادله وتقول : ان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا ، وان ضممتهم الى جاعوا ، وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول : اللهم انى أشكو اليك ، اللهم فأنزل على لسان نبيك ، وما برحت حتى نزلت الآيات الأربع الاول من سورة المجادلة ، تشنع على من يقول لزوجته : « أنت على كظهر امى » وتضع طريقا للخلاص من هذا الكذب والافتراء وتجاوز حدود الله ، وتبين أن الظهار ليس طلاقا ولا موجبا للفرقة •

ويتضح من تلك القصة التى حكاها القرآن الكريم ، كيف رفع الله شأن المرأة واحترم

---

(١) سورة التوبة ــ الآيتان : ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) سورة المجادلة ــ الآية الأولى .

رأيها وجعلها مجادلة ومحاورة للرسول ، وجمعها وإياه فى خطاب واحد « **وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا** » .

وكيف قرر رأيها وجعله تشريعا عاما خالدا ، لنعلم آيات الظهار وأحكامه فى التشريع الاسلامى وان سورة المجادلة لم تكن الا أثرا من آثار الفكر النسائى واحترام الاسلام لرأى المرأة .

وكما جاء فى سورة النمل عن بلقيس ملكة سبأ حيث حكى القرآن عن رجاحة رأيها وقوة فكرها ، بما يدل عليه قوله تعالى على لسان أصحابها « **قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ** » (١)

فقد كشف هذا النص الكريم عن مدى الاعتداد برأى المرأة والأخذ به وتنفيذ ما يسفر عنه واقرارها عليه حين أعلنت اسلامها مع سليمان لله رب العالمين .

ومن أمثلة الاعتداد بالرأى عند النساء ما حكاه القرآن الكريم عن امرأة فرعون ، التى وقفت فى وجه طغيان زوجها وكفره ، وتمسكت بعقيدتها الصحيحة وصدعت برأيها القويم فى مواجهة رجل أوتى قوة قهر بها الرجال ، ولم يستطع أن يقهر امرأته وهى فى بيته وتحت امرته ، قال تعالى : « **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** (٢) » تلك أمثلة جاءت فى القرآن الكريم لتبين للناس أن رأى المرأة لا ينبغى أن يهدر بل يجب أن يحترم طالما كان موافقا للصواب ، ومتمشيا مع الحق .

والمرأة مع كونها صاحبة رأى ، هى أيضا مشيرة ، تبصر برأيها وتدل على مواطن الصواب كما حدث من أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فى صلح الحديبية ، حين دخل عليها الرسول مطرقا مهموما بعد أن عقد الصلح وأمر المسلمين أن يتحللوا من احرامهم فلم يمتثلوا ، ظنا منهم أن فى هذا الصلح عبئا شديدا عليهم .

فقالت يا رسول الله : ما خطبك؟ قال : هلك « المسلمون يا أم سلمة أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا ويتحللوا فلم يمتثلوا » .

قالت اعذرهم يا رسول الله ، فقد جاءوا على أمل أن يدخلوا المسجد الحرام مقصرين ثم منعوا وهم على بعد بسيط منه ، فهم لذلك مكروبون ، والرأى أن تخرج فتنحر وتحلق ، فاذا رأوك فعلت تبعوك ، فانشرح صدر النبى صلى الله عليه وسلم بمشورة أم سلمة ، وفعل ما أمره الله به من الهدى والنحر ، فعلم المسلمون أن الامر جد لا هزل فيه ، وفعلوا ما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فهدأت العاصفة وانتهت الزوبعة بفضل مشورة امرأة لها رأى سديد (٣) .

(١) سورة النمل — اية ٢٣ .
(٢) سورة التحريم — اية ١١ .
(٣) فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى — نفس المرجع ص ١٩ .

خصوم الاسلام وحقوق المرأة :

ذلك بعضما أقره الاسلام للمرأة منحقوق فماذا قدم خصومه لها ؟ •

لا شيء قطعا بجانب ما شرعه الاسلام غير عبارات طنانة وشعارات براقة ومع ذلك راحوا يتبارون فى التهجم عليه ، ونقد مسلكه حسدا من عند أنفسهم وحقدا عليه وعلى المرأة التى أنصفها الاسلام بتلك الحقوق ، واذا بهم يقرون أمورا هى أكبر من فهمهم ، وأوسع على مداركهم ، لا يقصدون منها الا الطعن على الاسلام وتأليب المرأة على أحكامه وهم فى كل مرة يصيحون بأن الاسلام ينال من انسانية المرأة حيث جعل ميراثها على النصف من الرجل ، وشهادتها كذلك •

وهذا هو حكم الاسلام كما جاء فى القرآن الكريم ، قال تعالى : **لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** » (١) « وقال تعالى : » **فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ** » (٢) • ولوأنهم نظروا بعين الايمان لوجدوا أن فى ذلك عين الحكمة ، وأن المرأة فى هذين الأمرين أسعد حظا من الرجلفى نظر الاسلام •

حق المرأة فى الميراث :

كفل الاسلام حق الميراث للمرأة وقد كانت قبله لا ترث لأنها لا تحمى الزمار ولا تدافع عن البيضة ، فجاء الاسلام وقرر أن لها حظا من التركة ونصيبا فى الميراث ، أما كانت أم زوجة أم بنتا أم أختا ونص القرآن على حقها فيه ، قال تعالى **وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا** » (٣) •

والاسلام حين قرر حق المرأة فى الميراث وجعلها على النصف من الرجل فيه ، لم يقصد أن ينال من انسانيتها ، أو يقلل من قيمتها بجانب الرجل ، وانما بنى الحكم فيه على أساس آخر تقتضيه حكمة الله العادلة وتتطلبه طبيعة المرأة فى الحياة العاملة ، فما قرره الشارع لها من حقوق يعوضها ذلك الجزاء وقد تتفوق به على ما يكون للرجل ، لأنه يتحمل نفقتها زوجة وبنتا وقريبة ، ويحتمل كذلك المهر الذى يقدمه لها رغبة فى الاقتران بها ، حيث أوجب لها الشارع مهرا لأحد لأكثره ، قال تعالى « **وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا** » (٤) •

وأوجب لها على الرجل النفقة والكسوة وجميع ما تحتاج اليه بالمعروف لبيئتها ، قال تعالى : « **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ** » (٥) فاذا ما طلقت وجبت لها نفقة العدة كما تجب لها المتعة وهى ما يبذله الرجل بعد طلاقها غير نفقة العدة مما تحفظ به نفسها وكيانها ، قال

(١) سورة النساء اية ١١ .
(٢) سورة البقرة اية ٢٨٢ .
(٣) سورة النساء — اية ٧ .
(٤) سورة النساء — اية ٢٠ .
(٥) سورة الطلاق — اية ٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى

١٣٨٩

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون

تعالى : « **وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** » (٣) .

كل ذلك والرجل مطالب بالانفاق على نفسه وعليها وعلى أولاده وأقاربه وعلى نوائب الحياة كلها فهو مطالب بكل شىء والمرأة لا تطالب بشىء ، ومنثم قرر لها الاسلام النصف ليكون تأمينا لحياتها اذا لم تتزوج أو لم تجد من ينفق عليها ، وهو لا ينال منها ، وانما يكشف عن عدل الله مع عباده ، ومواءمة التشريع لظروف الحياة ، بالقدر الذى لا يحط من انسانية المرأة ولا يمس كيانها بأى وجه من الوجوه .

خصوم الاسلام وشهادة المرأة :

ومن المسائل التى حاول خصوم الاسلام أن يستعملوها للوقيعة بين المرأة وأحكام ربها، مسألة شهادة المرأة على الحقوق حيث جعل الشارع شهادة اثنين تقوم مقام شهادة رجل ومن ثم راح هؤلاء الذين يتربصون بالمرأة للتغرير بها يصرخون بأن تلك محاولة للنيلمن شخصيتها والاستخفاف بعقلها !! وما لهذا جاء الحكم ، وانما تقرر على هذا النحو تكريما لها وتخفيفا عليها ، حتى لا تشغل نفسها بأمور المداينات والاشتغال بالمبايعات وأمرها قد يشق عليها فليس من شأنها الاشتغال بمثلهذا النوع من الاعمال التى قد تكون ذاكرتها فيه ضعيفة لعدم ممارستها له ، ومن ثم تكون الرحمة فى وجود امرأة معها تذكرها اذا نسيت وتنبهها اذا غفلت ، كما قال تعالى : **أَن تَضِلَّ**

(٣) سورة البقرة ــ ايه ٢٤١ .

إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى » (١) .

وقد يكون من المصـــلحة لها وللمجتمع أن تتفرغ لغير ذلك من الاعمال التى تقوى عليها وتقدر على القيام بأعبائها ومن طبـــع البشر أن يقـــوى تذكـــرهم للأمـــور التى تهمهم ويمارسونها ، ويكثر اشتغالهم بها ، والدليل على ذلك أن هناك أمورا تنفرد المرأة بالشهادة عليها ،وهى التى لا يطـــلع الرجـــال على موضوعاتها كـــالولادة والبكـــارة وعيـــوب النساء (٢) وغيرها .

ثم ان الآية جاءت لبيان الاستيثاق الافضل للحقوق لا للقضاء بها ، والافان القضاء بالحق لا يلزمه غير البينة،وقد تكون منها شهادة المرأة الواحدة أو النساء اللاتى ليس معهن رجل اذا اطمان اليها القاضى ووثق بها ومن ثم لا يكون فى هذا الحكم ما ينال من أهلية المرأة أويمس بانسانيتها ، ولعل فى بيان تلك الحقوق للمرأة ما يرد عن التشريع الاسلامى بعض المفاهيم الملتوية التى حاول خصومه أن يتقولوا بهـــا عليه ، من خلال فهمهم السقيم لأحكـــامه حقدا على الاسلام وتغريرا بالمرأة ، واللـــه متم نوره ولوكـــره الكافرون .

وبالله التوفيق ..

دكتور عبد الله مبروك النجار
المدرس بكلية الشريعة والقانون

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢ .

(٢) « الاسلام عقيدة وشريعة » ص ٢٦٢ .

فيه شفاء للناس- بقية

فوائد عسل النحل انما هو قطـــرة من بحـــر بلا قاع ولا ساحل له ، ونرجو من قارئنا العفو عن السهو أو الخطأ أو النسيان .

ننتهى الى خلاصة جامعة موجزة وهى أن الله سبحانه وتعالى قد وسع كل شىء رحمة وعلما .

فقد خلق الانسان فى أحسن تقويم ، ومكن له فى الأرض وجعل له فى أثنائها ما يقيم كيانه ويذود عنه غوائل الفتور والخور ، وخلق أعـــداءه الكثير مـــن الكائنات المتوحشـــة ، ومن الاكثـــر وحشية وفتكا من المخلوقات اللامرئيـــة وهى لا تقل عن الأولى ضراوة وهدمـــا

وجعل لكل داء دواء وجعل لكل نائبـــة مخرجا ، وذلك حتى يقيم الحجة عـــلى عباده يوم القيامة اذ لولا قيوميته على مخلوقاته وتسخيره الكـــون وما فيـــه لخدمة الانسان لتعذرت عليه الحيـــاة والسعادة . اللهم نســـألك أن تنـــير بصائرنا وأن تلهمنا الصواب والســـداد والتثبيت على جـــادة الســـواء والاســـتقامة .

السيد الجميلى

من علماء الأزهر

الشيخ محمد أحمد شاكر

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

علم من أعلام الأزهر عرف بعلمه الغزير وفقهه الدقيق وكما كان صلبا فى دينه وصلبا فى عقيدته كان صلبا فى رأيه شجاعا فى الحق لا يرهب أحدا من الناس فكانت خشيته من الله وحده يعمل لرضاه ويرجو رحمته .

عرفته المنابر خطيبا قويا يذود عن الاسلام ويرد عنه سهام أعدائه ، كذلك حرر فى الصحافة المصرية - خصوصا فى جريدة المقطم القاهرية التى كانت تصدر فى أوائل هذا القرن - العديد من المقالات وعالج فيها كثيرا من أمور المجتمع وشئون المسلمين وفضح أعداء الاسلام الذين كانوا يعملون على تقطيع أوصال المسلمين وتفريقهم دولا متناثرة تندثر ببدعة القوميات الزائفة التى ابتدعتها الصليبية الاوروبية لتفرق بها كلمة المسلمين وتضرب بعضهم ببعض ولتفتنهم عن مبدأ الاسلام السياسى والاجتماعى السليم الذى شرعه الله لهم وأمرهم باتباعه والعض عليه بالنواجذ وهو مبدأ (الجنسية الاسلامية) الذى قننه القرآن الكريم فى قوله تعالى (**إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**) (١) .

وقوله جل شأنه (**وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**) (٢) .

لذلك كانت شريعة الاسلام تجعل من المسلمين أمة واحدة نظرا لوحدة عقيدتهم التى تجمعهم حتى لو اختلفوا فى الجنس والاقليم وغير ذلك لأن عنصر العقيدة الاسلامية يغلب هذه الاختلافات ويجعل المسلمين وهم أخوة فى الدين - أمة واحدة ودولة واحدة (٣)

◄

---

(١) سورة الانبياء ٩٢ .
(٢) سورة المؤمنون ٥٢ .
(٣) كتاب أحكام الزميين والمستأمنين فى دار الاسلام المبحث الثانى عن الجنسية فى الشريعة الاسلامية تأليف الدكتور عبد الحكيم زيدان الاستاذ بكلية الآداب جامعة بغداد ونشرته الجامعة المذكورة سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

الشيخ محمد أحمد شاكر

ذلك هو المرحوم الشيخ محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر (من آل أبى علياء) ، وآل أبى العلياء أسرة معروفة من أشراف البيوتات بمدينة جرجا بمحافظة سوهاج فى الصعيد الأوسط بمصر .

كيف كانت نشأته :

ولد رحمه الله فى منتصف شهر شوال سنة ١٢٨٢ هـ الموافق مارس سنة ١٨٦٦ م ولما شب تلقى مبادىء التعليم وحفظ القرآن الكريم على علماء بلده فى مدينة جرجا ، ثم رحل الى القاهرة لينتظم بالأزهر الشريف حيث تلقى العلوم الاسلامية عن كبار الشيوخ وأفاضل العلماء فيه .

تعيينه أمينا للفتوى ثم قاضيا بالمحاكم الشرعية :

بعد أن أتم الشيخ محمد شاكر دراساته فى الأزهر الشريف عين أمينا للفتوى مع أستاذه العظيم الشيخ العباسى المهدى مفتى الديار المصرية وقتئذ وكان ذلك فى ١٥ رجب سنة ١٣٠٧ هـ الموافق ٤ مارس سنة ١٨٩٠ م ، وفى ٧ من شعبان سنة ١٣١١ هـ الموافق ١٣ من فبراير سنه ١٨٩٤ م نقل الى منصب نائب محكمة بنها الشرعية وبقى بالمحاكم الشرعية مدة خمس سنوات كشف فيها عن كثير من العوائق العالقة بها مما كان يرهق جمهور المتقاضين بسبب صعوبة اجراءاتها وما كان فى نظمها ولوائحها من تعقيدات ، وكذا سوء أمكنتها واهمال الحكومات المصرية لها تحت ضغط الاحتلال الانجليزى واعراضها عن اصلاح نظمها ولوائحها أو العناية بأمكنتها وأبنتيها (١) .

اقتراحاته لاصلاح المحاكم الشرعية :

وضع المرحوم الشيخ محمد شاكر تقريرا عن المحاكم الشرعية أبان فيه أوجه النقص والقصور فى لائحتها ونظمها وعمالها واقترح طرق اصلاحها تفصيلا ومنها :

عدم التقيد بمذهب معين .

واقتباس بعض الأحكام من مذهب الامام مالك فى التطليق للاعسار وللضرر وللغيبة الطويلة لما تبين له حين كان أمينا للفتوى أن المصلحة تقتضى ذلك (٢) .

قيام الأستاذ الامام محمد عبده بنفسه بالطواف على المحاكم الشرعية :

لما تقدم الشيخ محمد شاكر بتقريره عن اصلاح المحاكم الشرعية قام الشيخ محمد عبده بنفسه بعد تعيينه مفتيا للديار المصرية بالطواف على كثير من محاكم الوجه البحرى واطلع على سير العمل فيها

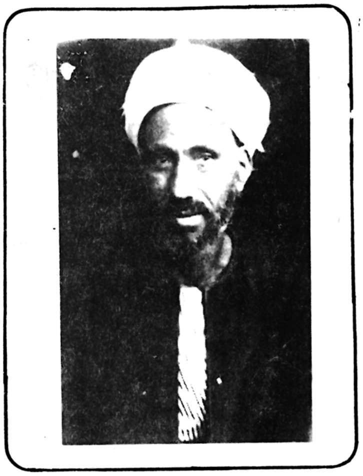
---

(١) كتاب محمد شاكر علم من أعلام العصر تأليف الشيخ احمد محمد شاكر عضو المحكمة العليا سابقا .
(٢) المرجع السابق .

ثم وضع تقريره عن اصلاح تلك المحاكم وهو التقرير المشهور الذى طبع بمطبعة المنار فى شوال سنة ١٣١٧ هـ الموافق سنة ١٩٠٠ م فاتفق رأى الأستاذ الامام محمد عبده مع رأى تلميذه فى كثير من أنواع النقد وطرق الاصلاح خصوصا فى الأخذ بشىء من أحكام المذاهب الأخرى وعدم التقيد بمذهب الامام أبى حنيفة النعمان (١) - رضى الله عنه .

تعيينه فى منصب قاضى قضاة السودان :

رأى المرحوم الأستاذ الامام محمد عبده أن يمكن للشيخ محمد شاكر للعمل فى بلاد السودان حتى يستطيع أن ينفذ آراءه فى الاصلاح مادامت عسيرة التنفيذ فى مصر فزكاه لمنصب قاضى القضاة بالسودان فسافر الى هناك اثر تعيينه مباشرة فى ١٠ من ذى القعدة سنة ١٣١٧ هـ الموافق ١١ مارس سنة ١٩٠٠م عقب انتهاء الثورة المهدية فوضع للمحاكم الشرعية بالسودان من النظم نهجا مما سبق أن اقترحه وأراده لها فى الديار المصرية واقتبس من القوانين المزمع العمل بها من جميع المذاهب الاسلامية ما كانت الحاجة ماسة اليه مما تنصره أدلة الشريعة وفقهها الصحيح خصوصا الحكم بالتطليق للغيبة والاعسار والحبس والضرار ونحوها وقد أخذت به الدولة فى مصر بعد ذلك بالقانون رقم ٢٥ سنة ١٩٢٠ ، كما وضع كثيرا من القواعد الدقيقة للاجراءات وقد اقتبس أيضا بعضها



فى مصر فى اللائحة التى صدرت للمحاكم الشرعية بها سنة ١٩١٠ فسبق السودان مصر فى بعض نواحى اصلاح تلك المحاكم وفى بعضها بعشرين سنة .

ولولا أن السياسية العامة للدولة المصرية فى التشريع والقضاء وضعها وقتئذ أناس لا علم لهم بسمو شريعة الاسلام ووقائق مقاصدها وأهدافها وضعف المسئولين أمام سطوة الاحتلال الانجليزى الذى كان جاثما بثقله على البلاد لسار القضاء الشرعى سيرة كبيرة تمكن له فى البلاد أن يكون وحده هو القضاء العام فى شئون الدولة كلها من مدنية وجنائية وشخصية ولما تأخر تطبيق شريعة الاسلام فى شئون القضاء والحكم حتى اليوم .

قيامه بالدعوة الاسلامية فى بلاد السودان

رغم انشغال الشيخ محمد شاكر بشئون

◄

(١) كتاب الشهر الامام الشيخ محمد عبده تأليف محمد صبيح نشر دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .

الشيخ محمد أحمد شاكر

القضاء فى بلاد السودان وهى ليست بالأمر الهين لم ينس أنه قبل كل شىء داعية من دعاة الاسلام تخرج من الأزهر الشريف مهد الدعوة الاسلامية العتيد ومربى الدعاة الى الله على مر العصور والاجيال لذلك كان يقوم بتعليم الناس شئون دينهم بالقاء الدروس الثقافية والخطب المنبرية والمواعظ الدينية فى مختلف المساجد والمحافل هناك كما قرأ لهم صحيح الامام البخارى كله .

نقله من بلاد السودان وتعيينه شيخا لعلماء الاسكندرية :

يبدو أن الانجليز لم تحتمل النشاط الاسلامى للشيخ محمد أحمد شاكر فى بلاد السودان لذلك نراه نقل منها فجأة حيث تم تعيينه شيخا لعلماء الاسكندرية فى ٢٦ ابريل سنة ١٩٠٤ م فبث فى محيط عمله من روحه الوثابة ما يشيع الحركة والاجتهاد واختار لعونه فى مهمته أربعة من نوابغ العلماء من رجال الأزهر وهم

١ ــ الشيخ عبد الله دراز

٢ ــ والشيخ عبد المجيد الشاذلى

٣ ــ والشيخ عبد الهادى مخلوف

٤ ــ والشيخ ابراهيم الجبالى

واختار من الكتب والمقررات الدراسية ومن العلوم الدينية والعربية وكذا من العلوم الأخرى ما يحتاج اليه طالب العلم فى ثقافته العامة مما يسميه الناس بالعلوم الحديثة وجعل دراستها اجبارية (١) .

حرصه على تحلى طالب العلم بالأخلاق الفاضلة :

كان أكثر ما يحرص عليه أن يكون طالب العلم الازهرى قوى الخلق عزيز النفس مستقل الرأى كما كان يرجو أن يخرج عالم الاسلام الى الحياة العامة مجتهدا يبث فيها من أفكاره العلمية وروحه الاسلامية حتى تستقيم أمور الأمة وتعتدل أحوال الدولة فيعود فيها للاسلام مجده ويتمكن أبناؤه من مقاومة تغلغل النفوذ الاجنبى وتسلط الاستعمار الانجليزى الذى كاد ينحرف بالامة عن دينها وعن مقومات حياتها .

احتفاله بالناجحين من الطلاب كل عام دراسى :

سن الشيخ محمد شاكر سنة حسنة لطلاب العلم اذ كان يأمر فى آخر كل عام دراسى باقامة احتفال رسمى للناجحين بمسجد العارف بالله أبى العباس المرسى بمدينة الاسكندرية تمنح لهم فيه المكافآت والهدايا من الكتب العلمية ويحضره حاكم البلاد والوزراء ورجال الادارة ويخطب فيه شيخ العلماء خطبة تناسب المقام.

---

(١) كتاب محمد شاكر علم من أعلام العصر تأليف الشيخ أحمد محمد شاكر عضو المحكمة العليا الشرعية سابقا .

رده فى احدى خطبه على المعتمد البريطانى عندما تعرض للاسلام :

كان اللورد كرومر المعتمد البريطانى وممثل الاحتلال فى مصر قد قال ــ فى بعض أحاديثه عن الاسلام : (انه يجيز الرق ويتضمن سننا وشرائع فى علاقات النساء بالرجال تناقض آراء أهل هذا العصر) فرد عليه الشيخ محمد شاكر فى خطبة ألقاها فى احتفال الخريجين بتاريخ ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٧ بشجاعته المعهودة دون أن يخشى شيئا من مكره أو جبروته أو من دولته المستعمرة وقد كان ذلك ، بحضور حسين فخرى باشا القائم برئاسة مجلس النظار وقتئذ وحضور ناظر الاشغال العمومية وناظر المالية ومحافظ الاسكندرية ورئيس الديوان الخديوى وكان مما قاله فى خطبته (يقولون ان هذا الدين يجيز الرق ونسوا أن الشرائع السماوية من قبله أباحته ، أما الاسلام فسوى بين الارقاء وبين الآباء والامهات فى الوصية بالاحسان والرفق والحنان • أليس الله تعالى يقول فى كتابه العزيز (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (١)

ان الاسلام بحمد الله لم يبح استرقاق الشعوب ولا مصادرة الأمم فى مقومات حياتها القومية والاجتماعية •

أما علاقات النساء بالرجال فليس وراء الشريعة الاسلامية غاية فى عدل ولا فى مرحمة ولا فى محافظة على الاعراض المصونة يتطلع اليها أصحاب النفوس الأبية (٢)

ندبه للقيام بأعمال منصب مشيخة الأزهر :

فى أواخر سنة ١٣٢٤ هـ كلف رحمه الله بالقيام بأعمال شيخ الازهر نيابة عن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الشربينى بالاضافة الى عمله فى مشيخة علماء الاسكندرية وكان ذلك لمدة أربعة أشهر •

وفى ٩ من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق ٢٩ أبريل عين وكيلا للأزهر فسار فيه سيرته فى الاصلاح ومهد لذلك برحلة واسعة الى بلاد الصعيد زار فيها المدن وكثيرا من القرى ليستطلع أحوال الدراسات الدينية التى كانت تقوم فى المساجد تمهيدا لانشاء المعاهد العلمية لتكون فروعا وروافد منتظمة للازهر ونتيجة لذلك تم انشاء معهدى أسيوط وقنا ثم صدر قانون النظام فى الازهر سنة ١٩١١ وتم بموجبه انشاء هيئة كبار العلماء فكان

◄

(١) سورة النساء ٣٦ •

(٢) بتصرف من خطبة للشيخ محمد شاكر القيت فى احتفال الخريجين فى يوم السبت ٢٢ من رجب ١٣٢٥ هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٩٠٧ وهى مذكورة فى التقرير الرابع من أعمال مشيخة علماء الاسكندرية ١٣٢٤ (الدراسية) •

الشيخ محمد أحمد شاكر

الشيخ محمد شاكر ضمن علمائها واستمر بها حتى تاريخ وفاته .

ومما هو جدير بالذكر أنه عند وضع الميزانية سنويا لمعهد الاسكندرية ثم لادارة الازهر كان يقرر فيها ما يستحقه العلماء والموظفون من علاوات ونحوها الا امام اسمه فكان يكتب (لا يستحق شيئا) .

تعيينه فى الجمعية التشريعية ثم اشتراكه فى ثورة سنة ١٩١٩ .

عندما أنشئت الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ م عين عضوا بها ، ولما قامت الثورة الشعبية ضد الانجليز سنة ١٩١٩ اشترك فيها خصوصا بنداءاته الشديدة لجماهير الشعب تلك النداءات التى كانت تزيد فى وقود الثورة واشتعالها ، ولما انتهت الثورة وهدأت أحوال البلاد بالغاء الحماية الانجليزية واعلان استقلال مصر عن بريطانيا نأى بنفسه عن الانضمام الى أى حزب من الاحزاب لأنه لم ير أن يسلم مقاده الى أحد من الناس كائنا من كان .

مرضه واعتزاله ثم وفاته :

ومنذ سنة ١٩٣١ اعتزل الدنيا بسبب ما ألم به من مرض أقعده فى منزله فلزم الفراش صابرا محتسبا راضيا عن ربه الى أن جاءته الدعوة الى لقائه فقبضه اليه هادئا مطمئنا وكان ذلك فى صباح الخميس ١١ من جمادى الاولى سنة ١٣٥٨ هـ الموافق ٢٩ يونيه سنة ١٩٣٩ .
(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ . فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ) (١)

محمد عزت الطهطاوى

---

(١) سورة القمر ٥٤ ، ٥٥ .

شعر وشاعر

ابتهالات وتراتيل

رجاء

ولدى

ابتهالات وتراتيل

للأستاذة جليلة رضا

يارب انى سرت فى أمسى على درب عسير
وتلفتت عيناى بين الناس فى قلق مثير
وعلى الطريق تسمرت قدماى من تعب المسير
فلقد ضللت ، ضللت ، واختلطت على عقلى الأمور

***

حتى اذا واريت عينى عن رؤاى الداجيه
ولمحت نورك ساريا أسرعت نحوك شاكية
وكشفت عن سر الدموع وعن جراحى الدامية
وعرضت مأساتى عليك ٠ سردتها لك وافية

***

ناديت : « هأنا يا الهى والفؤاد وما لدى
كلى ٠٠ موجهة اليك ، أعوذ من يأسى الشقى
من ضعف ايمانى ، ومن ضيقى ، ومن قلقى العتى
فلتغفرن ضلالتى يارب ٠٠ ولتعطف على »

***

ناديت : « هأنا أستعين بعطفك الحانى المديد
فلأقضين بقية الأيام فى أمل جديد
كى أسترد قريرة ثقتى بنفسى ، بالوجود
فلأنت خالق كل شىء ٠٠٠ من تميت ومن تعيد

رجاء

للدكتور عزت شندى موسى

هـذه الـدار ٠٠ ركنك المختـــار ؟ ٠٠ عـن قريب تجفـوه أو ٠٠ ينهـار
فاغتنم فرصـة الحيـــاة وأقبـل انمـا العمـر ليلـة ونهـار
وامض بين العيـــال وقتك بشـا انت راع ٠٠ وكلهن صـغار
لهف نفسى وقـد تحين قريبـا سـاعة البين ٠٠ ثم تنـأى الـدار

***

ذلك البـدر نـوره خـلاب جـل من صـور السـنا ٠٠ الوهاب
فاهجـر النـوم وارقب البـدر تما قبل أن يحجب الضـياء سـحاب
واجـل عينيك بالبهـاء مليـا وتأملـه فالحيـاة سراب
انمـا النـور سـاعة ثم تمضى وسـتتلوه ، فى الظلام ، حقـاب

***

أنـا ان جـد بى هـوى وذنـوب فرجـائى فى اللـه ليس يخيب
يا قـريب الدعـاء عفـوك سـؤلى أنت للسـؤل سـامع ومجيب
يافسـيح الارحـاب بابك قصدى وعن البـاب لا يـرد منيب
ياكـريم الجنـاب أنت مـلاذى أنت من مرسـل النداء ٠٠ قـريب

***

يا بديـع النجـوم والآفـاق ومقيم السـماء سـبع طبـاق
أنـا فى جـاه مصطفـاك وحسبى أننـى بين زمـرة العشـاق
ولمـن تطلب الشـفاعة آن لـم تـك للمسـتجير بالخـلاق
فتقبـل تضرعـى ودعـائى يا عظيم الحنـان والاشـفاق

ولدى

ياغائبــا لا يؤوب الدهـــر من سفر
وأى أوب لتـــائى الموت مبتعـد ؟ !

وياغريبــا ليـــوم الحشر غربتـه
أسلمتنا لعـذاب بالنـوى صـعد

تركت أمـك مـن أحـزانها انفـردت
بين الثكـالى بخطب فيـك منفـرد

وارحمتـــاه لهـا مـن حـر لوعتهـا
وللشـقيقات مـن هم ومـن نكـد

أفنين فيـك دمـوع العـين من ولـه
حتى نزفـن دمـاء القلب والكبـد

ينـدبن فيـك وحيـدا شمنه سـندا
وقـد غـدون وحيدات بـلا سـند

ويلـى اذا ما التقينــا حول مـائدة
ونحن بعـدك جمـع ناقص العـدد

أخفـى أنينى ـ لا يسـمعنه ـ بفمى
وأستر الدمع ـ لا يبصرونـه ـ بيدى

كنـا اذا غبت يـوما لا نطيـق نـوى
واليوم غيبتك الكبـرى الى الابـد

وكم بعـدت ـ فلم نصبر ـ الى أمـد
فكيف نصـبر فى بعـد بـلا أمـد ؟!

بتنـا نرى فى خطوب النـاس محنتنـا
حزنـا على كل مغتـال الشـباب ردى

نبكـى لكـل وحيـد غـاله قـدر
وذاق ماذقت مـن مـوت له رصـد

أهـل المصائب فى الدنيـا توحـدهم
أرحام خطب عـلى الاحـزان متحـد

وأتعس النـاس أم غيـل واحـدها
ووالد ريـع فجعـا فى ابنـه الوحد

للدكتور حسن جاد

لولا البنيات طفت الأرض مستحبا أهيم من بلد ناء الى بلد

***

يا طاهر القلب لم تضمر أذى أحد ولا انطويت على حقد ولا حسد
خرجت من هذه الدنيا بلا سيد يغريك من ظلها الفانى ولا لبد
أين ابتسامك وضاء يشع سنا على محياك فى لالائه الفرد ؟
وأين نور جبين كان مؤتلفا توسد الترب فى مستوحش جرد ؟
وأين عودك ريان الصبا نضرا ؟ عدا عليه البلى فانقد من أود ؟
مضيت كالطيف لم يلبث الى أجل وسرت كالضيف لم يمكث الى أمد
ورحت كالزهر فى عمر ، كأنك لم تكن ، وأصبحت ذكرى القلب والخلد
لم أدر هل أنا فى علم ؟ فقد عصفت فجاءة الخطب بالألباب والرشد
خلفتنا لجوى الذكرى وحرقتها والبيت بعدك أمسى واهى العمد
تلفه وحشة الصمت الكئيب أسى لما خلا أيكه من صوتك الفرد
نراك فى كل شىء ماثلا أبدا حتى كأنك فينا غير مفتقد

الشاعر
عبده إسماعيل الطهطاوى
وموقف نقاد الأدب منه

فى ليلة من ليالى شتاء ١٩٥١ ذهبت مع الشاعر « عبده » الى مجلة الرسالة لصاحبها أحمد حسن الزيات ، فقابلنا فى ادارتها المرحوم أنور المعداوى زميل الشاعر بكلية الآداب ، وكان يومئذ الناقد الأدبى بها والقائم على تحريرها حسب تقديرنا ولم يكن الأستاذ الزيات موجودا ، ونحن وقوف قدم اليه الشاعر الأستاذ عبده ديوانه « شقائق النعمان » وهو الديوان الأول له . وما ان قرأ الأستاذ أنور المعداوى المقدمة ، وكانت بيتين من الشعر للشاعر المخضرم « الحطيئة » وهما :

الشعر صعب وطويل سلمه
اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه
يريد أن يعربه فيعجمه

حتى أشاح بوجهه وقال :

متى نظمت هذا الشعر يا أستاذ عبده ؟ فكان الجواب : من يوم أن أصبحت أنت ناقدا أدبيا بمجلة الرسالة .

قلت وأردت صفاء الجو : مطلوب منك يا أستاذ أنور وأنت صاحب نظرية « الأداء النفسى » .

أن تطبق تلك النظرية على « شقائق النعمان » ولكنه شغل عنا بغيرنا متعمدا ، وانسحبنا دون أن نلقى السلام عليه ، وأمسك الأستاذ عبده بنسخة الديوان يريد أخذها معه ، فقلت له : انها هدية والهدايا لا رجوع فيها ، فترك الديوان على المكتب وسرنا نحو ميدان العتبة ، والتقينا بزميل آخر للشاعر هو الأستاذ كمال النجمى ، وكان يعمل بالصحافة .. فقدم اليه الشاعر نسخة من الديوان فشكره ووعده بالكتابة عنه .. وقد فعل ، كتب عنه مقالا صغيرا بمجلة الهلال — على ما أذكر — وكتبت أنا عن « شقائق النعمان » مقالين فى جريدة القاهرة التى كانت تصدر مسائية فى ذلك الزمان

ولقد ذكرت لك تلك الحادثة لأبين لك أن الشاعر عبده الطهطاوى لم ينل حظه من أقلام النقاد ، ويرجع ذلك الى أنهم تبهرهم الشهرة ولا تبهرهم الصورة الأدبية ، وشاعرنا لم يكن له حظ من القاء شعره فى المنتديات أو فى الاذاعة أو نشره فى الصحف ، ومن ثم لم يقدم النقاد على قراءة شعره وبيان جماله ، ولو قرءوا لعرفوا مدى

للأستاذ السيد حسن قرون

تجديده وتسديده نحو الأداء الرائع ويعد شاعرنا من شعراء مصر الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الثانية ، وتواريخ مؤلفاته خير شاهد على ما نقول ، فله من النثر :

من روائع اسكار وايلد آغسطس ١٩٤٩ .
وقصص من الشرق والغرب سبتمبر ١٩٥٤
أما شعره فله منه ديوانان :
شقائق النعمان يناير ١٩٥١ .
وأغانى الهوى أبريل ١٩٥٦ .

وقبل أن أخوض معك فى عرض شعره عليك أقدم لك ترجمة موجزة عنه لتوجد علاقة مودة بينك وبينه :

فقد كان سمح الطبع ،طلق الوجه ، باسم الثغر ، يعطيك الأمل بمجرد الجلوس معه ، ومجلسه مجلس الأدباء والعلماء ، والعاكفين على صناعة القول قراءة وتأليفا .

ولد عبده اسماعيل الطهطاوى بمدينة جرجا فى ١٤ سبتمبر ١٩٢١ حين كانت مصر فى مسيرة ثورة ١٩١٩ تتطلع الى مكانتها المرتقبة بين الدول الحرة فى أسرة يغلب عليها الطابع العلمى ، فكان والده يحب رجال التعليم ويعمل على راحتهم ، وخاله من أشهر أطباء مصر هو الدكتور النبوى المهندس ، ووزير الصحة فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر .

ومن تلك الأسرة أخو الشاعر الأستاذ المستشار محمد عزت الطهطاوى وله كتبه الرائدة فى مجال الأديان والعقائد .

وجرجا بلد العلم والشعر والأدب ، وقديما كانت عاصمة الاقليم الذى يطلق عليه الآن « محافظة سوهاج » فنشأ الشاعر بين تلك الأسرة وفى هذا البلد ، واتجهت ميوله من صغره نحو الأدب فأحبه وعاش له حتى كانت الجامعة فاختار كلية الآداب وقسم اللغة العربية فيها ، وتخرج سنة ١٩٤٦ فعمل بالتدريس فى وزارة المعارف العمومية « التربية والتعليم » الآن ، ولم يكتف بالليسانس ، فاستأنف الدراسة حتى حصل على الماجستير ١٩٥٢ ثم الدكتوراه من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٣ وكان موضوعها :

« اللغة العربية فى مصر منذ الفتح العربى حتى أواخر القرن السادس الهجرى » .

ولو طال به الأجل لكان أستاذا بكلية الآداب ولكن وافته المنية ١٩٧٠ فحرمت الجامعة والمدارس علمه وأدبه .

وأنا فى هذا المقال سأعيش معه فى شعره ، متنقلا بين الديوانين ، معطيا لنفسى الحرية فى العرض ، لأننى أجد بونا شاسعا بين لغة الشعر فى كل ديوان ، « فشقائق النعمان » يختلف عن « أغانى الهوى » كل الاختلاف . فالأول يضارع شعر النابغة وزهير ، والأخير

يميس فى ثياب قشيبة من نسيج العصر الحديث برفقه وشفافيته ، وكأن الشعر نظمه شاعران لا شاعر واحد ، ولكنك بقليل من التأمل تدرك أنه لشاعر واحد فالروح العامة تميز العمل الأدبى ، وقد جاء الديوان الأول شاملا لجميع أغراض الشعر من حماسة ووصف ورثاء وهجاء وشكوى وغزل الى آخر الأغراض العشرة التى نص عليها أبو تمام فى ديوان الحماسة . وتراه فيه مصورا للحياة المصرية والعربية التى كانت بعد الحرب العالمية الثانية ، ففيه الثورة الجامحة التى تطالب بالجلاء ، وفيه الحماسة الفائقة لتصوير حرب فلسطين ١٩٤٨ واعجابه ببطولة المحارب المصرى ، ولا ينسى الوقوف على أطلال الماضى فهو يتحدث عن الآثار المصرية والمجد الباذخ للفراعين فى لغة فخمة

تناسب مفاخر الماضى ووثبة الحاضر ، وما تركه شعراء العصر الحديث من ألفاظ عربية أحياها فى ذلك الديوان ، اليك نموذجا من رثائه جاء فى مقدمته :

« رثى الشاعر بهذه القصيدة محبوبته الجميلة (س . ف) التى أحبها وأحبته ، ولكن الموت لم يمهل هذا الحب ليستقيم عوده ، فذهبت ذات صباح بين دمعه وأنينه » وكان المطلع :

ناهيك من وجد عنى قاس
حطم الفؤاد فماله من آس

أشكو للفراق وغادتى قد غيبت
تحت التراب برامة الادراس

وهذا مطلع فى الرثاء عجيب ، ففى البيت الأول بكلمة « ناهيك » جعل وجده العتى بنهاه عن أى وجد آخر ، ولذا قال :

« حطم الفؤاد فما له من اس » أى معز ومصبر . وتتساءل معى لم ذكر رامة وهى اسم موضع بالبادية مضافة الى الأدراس وهى الشىء الذى عفا وأخلق ؟ لأنه يعيش فى الأدب العربى وأمكنته هى أمكنة كل من نطق بالضاد ، وكان يمكنه أن يقول : « تحت التراب بحافة المقياس » أو تحت التراب برملة الدواس » الى ما يعبر عنه بأنه درس وانتهى أمره ، ولكن « رامة » لها مكانة فى قلوب الشعراء والأدباء ، ولابد أن تجىء فى رثاء تلك المحبوبة، الدكتور طه حسين بيته اسمه « رامتان » ولكن تلك الحبيبة بهذا التعبير لا تعرف لها قبرا ، فهى تحت التراب بأرض درست تسفيها الرياح ويمشى عليها الناس ، والفجيعة فى نفسه والمعنى والهلع على عقله اختار ذلك التعبير ، ولو غيره لحبل قبرها فى جنة مصونة عن الدروس ومرور البشر ، ولكنها رامة الدارسة المقدسة هنا فى بطن الشاعر .

وأنا لا أريد للقارىء أن يبكى معه محبوبة مضى على وفاتها عهد وعهد ، ولكنى أضع صورة من شعره فى حاجة الى وضعها فى ميزان الشعر انظر الى ختام ذلك الرثاء تجده يقول :

كانت هنائى فى سعادتى التى
خلصت من الأوزار والأرجاس

لم أنس ما أولت فؤادى من هوى
ليد الحبيبة لن أكون بناس
قد عطرت قلبى وكنت بحبها
قمرى وادى الحب والأخياس
أنا ان بكيت فانما أبكى أعز
الناس ، بل أبكى جميع الناس

انه شعر يقرأ ويدرس ويقوم ، ففيه نفحة البادية ورصانة الفحولة ، والقدرة الواضحة ، سعادته خلصت من كل ما يشين لاوزر فيها ولا رجس ، ولحبيبته جميل على هداه لا ينسى ، لقد عطرت قلبه وصار قمريا يشدو فى وادى الحب والقوة لأن الأخياس مفردها خيس والخيس بكسر الخاء موضع الأسد ، ، فهو قمرى فى وادى الحب ومواضع الأسود ، حب طاهر لا يحتاج الى خوف ولا تستر . ولذا فكان بكاؤه :

أنا ان بكيت فانما أبكى أعز
الناس بل أبكى جميع الناس

وهذا الختام العجيب الذى جعلها كل الناس يتلاءم مع الوجد فى البيت الأول الذى لا يكون لغيرها فهو ينهى أن يوجد حزن لغيرها فالوجد لها لأنها كل الناس . والقصيدة كلها فى وصفها الحبيبة جسميا ونفسيا تعطيك التجربة ووحدة الشعر الفنية معا ، ولك أن تراجعها فى مظانها لتجد صدق ما نقول .

وأنا وان كنت من أعداء المديح الا أننى أقدم لك نموذجا من مدائحه ، ولكنه مديح يتصل بحياته ، يتعلق بكلية الآداب ، انه يمدح عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين حين اختير وزير المعارف .. من ذلك المديح قوله يخاطبه :

يا وزير العلوم ما قلت شعرا
فيك الا لكى أعز بيانى
ان أيامك الحسان سقتنا
نخب العلم فى طهور المبانى
معهد النور والفنون جميعا
وعلوم الأزمان والأوطان
كعبة العلم فى أعز ديار
وملاذ الأبكار والفتيان
قد شققنا بها الطريق كماة
وكشفنا محجب الأكوان

ويشرح « معهد النور » بأنه « هو كلية الآداب وقد تخرج فيها الشاعر ونال اجازة الليسانس من قسم اللغة العربية . فهذا المديح انتماء الى كلية الآداب التى كان عميدها الممدوح سنوات ، وكانت محط الأنظار وفيها كانت طلائع من الخريجات والخريجين ، والشاعر يعتز بها ، فهى معهد النور ، وهى كعبة العلم ، وملاذ الأبكار والفتيان ، كل ذلك يتدفق من قلب يملؤه حب الديار ومن كان فيها فى ألفاظ قدسية تشع بالايمان والمعرفة والعرفان .

ويعتز الشاعر بشعره ويخاطب ممدوحه أيضا بقوله :

أنا فى ميعة الصبا غير أنى
بمديح الوزير شيخ المعانى
أنت علمتنا السمو فطرنا
بجناح من عبقرى المثانى

وهذا شعر فى غاية السمو فيه اعتزاز بالنفس واعتراف بصاحب الجميل ، وأنا

يعجبنى من التلميذ أن يكون وفيا لأستاذه ذاكرا فضله ، منوها بمكانته ، ويدل هذا الشعر على شباب الشاعر الذى يهوى السمو وينتهج المعانى الكريمة التى نأتى حسب التجربة والاختبار فهو شيخ المعانى ويطير بجناح من عبقرى المثانى •

قلت ان ديوان « شقائق النعمان » يصور حال المجتمع المصرى وصلته بالمجتمع العربى والدولى فهو يسجل الأحداث ما بين ١٩٤٥ حيث انتهت الحرب العالمية الثانية و ١٩٥١ ،

من ذلك قصيدة « شهيد الفضل » وهى فى رثاء البطل الفلسطينى « عبد القادر الحسينى » اذلى لقى نحبه بين النيران فى فلسطين فى الثامن من أبريل ١٩٤٨ بعد أن أبلى بلاء حسنا فى مقاتلة اليهود ــ بدأها بقوله :

أحقا قد مضى البطل الفريد ؟
وأن بروحه أمسى يجود ؟
أشبل الأسد بالأجمات أضحى
حبيسا بالفناء ولا يعود ؟
وقد بلغ تراث بكر
وغسان ولم يدن النجيد !

ويمضى على هذا النهج فى بكائه ورثائه على بطله الذى يكر على الأعداء ويهدم حصونهم ، فيعز على العروبة أن يوارى وأن يفقد والمنايا جنوده ، انه جدير بالثناء والبكاء لبطولته وصولته ووطنيته •

أبعد الليث تختزن البرايا
دموعا للبكاء لها وجود ؟

رثاء صادق لبطل عُرفته العروبة خر صريعا فى أشد الأوقات حاجة اليه ، فهاج ذلك من الشاعر مشاعر نقية ففاضت بدموع سخية قرأناها وزنا وقافية •

والشعر كما ترى يحمل الفحولة والقوة فى ديباجة عربية ناصعة ، هكذا كان شعره فى « شقائق النعمان » حتى اذا دلفنا الى دهاليز ديوانه « أغانى الهوى » وجدنا المعايير تختلف ، والأداء يتميز برقة وصبابة وشجن • ووجدناه يكتب اهداء ومقدمة لا بالشعر وانما بالنثر •• والاهداء هو :

« الى فاتنتى الحبيبة الجميلة : كوثر قلبى ، ونعيم روحى ونفسى ، التى من أجلها غنيت وأغنى أهدى أغانى حبى » •

أما المقدمة فعنوانها « رأى ومذهب » سجل فيها آراءه فى الشعر ومذهبه فى قرضه، بين فيها حاجة الانسان الى الشعر وأثر الشعر فى تغذية حاسة الجمال وتهذيب الذوق ، أما صناعة الشعر « فيجب أن تتآخى الموسيقى الداخلية فى القصيدة مع ما تحدثه القافية الفنية العريقة ، ويجب أن تكون العناية بالألفاظ بنفس القدر الذى تلاقيه العناية بالمعانى » •

وأرى أن الشاعر العبقرى الذى منحته السماء هبة الشاعرية هو ذلك المفن المدقق المعنى بالألفاظ ، لأنه يعتبرها أداة تصوير ، وباللغة لأنه يعتبرها مظهرا للحس ، وبالموسيقى لأنه يعتبرها جوا للفكرة والمعنى ، والقصيدة التى تزخر بالأسلوب تزخر حتما

بالمعانى ، وبدون ذلك لا يكون هناك فن جميل يعبر عن الجمال » وما ذهب اليه الشاعر منهج يقره عليه نقاد العرب الأمويون ولا يرفضه المحدثون ، لأنه طبيعي ومنطقى وكشاف للأثر الأدبى والدكتور عبده لم يدخل حلبة النقاد الا بتلك المقدمة ، ولكنها كافية فى بيان نظرته للشعر ومهمة الشاعر ٠

وكان ينبغى فى نظرى أن يكون « أغانى الهوى » سابقا فى الزمن «لشقائق النعمان»، لأنه ديوان خاص بالحب والهيام والصبابة والغرام ، وهو أقرب الى « ميعة الشباب » وأحلام المراهقة ، وقد تكون الوطنية هى التى صنعت ما صنعت وقدمت وأخرت ، ولا أستطيع أن أجزم بأن الديوانين نظما معا فى زمن واحد أو متزامنين ٠

وحين ينظم ديوانا كاملا فى غرض واحد لا يكون بدعا من الشعراء ، فقد سبقه شعراء فى العصر الحاضر وشعراء فى العصر الأموى ، منهم مجنون ليلى ، وجميل بثنية وابن الدمينة ، ولولا ديوانه الأول لجعلناه فى زمرتهم ، ولكنه امتاز بشعر آخر فى ديوان آخر ، فصار من الشعراء المكثرين فى الغزل مثل كثير عزة وأبى دهبل الجمحى ، وهؤلاء جميعا شعرهم من الغزل العفيف الذى لا يخدش حياء ولا يعبث بالحرمات ٠

وأرانى ــ حسب مقتضيات المقال أو البحث ــ أكشف الغطاء عن مضمون « أغانى الهوى » بنظرة سريعة فى عنوانات الديوان تجد الشاعر قد ملكه الحب من جميع أقطاره ، وأن خواطره تموج فى بحار من اللهفة وطهارة الحرمان ، وتراه غارقا فى دوامة المعاناة ، سواء كان الشعر من انشائه الخالص أو من الترجمة ، والمترجم فى جل ما نقل من الشعر الصينى القديم ، وحين نقرأ الموضوع والمترجم لا تحس بالفارق الكبير أو الصغير ، ويخيل الى أن عواطفه تذوب فى عواطف الشاعر الصينى فلا تميز بينهما الا بمنظار دقيق يكشف بين خالجة وخالجة ، وخفقة وخفقة ،ويدعونى هذا الى أن أقدم حين التمثيل المترجم على غير المترجم ، أو بتعبير مجازى أقدم الظل على الأصل ، وذلك مستساغ اذا اتفقت معى على أن الشاعر هنا يعالج « أغانى الهوى » وأنك تريد براعته فى الأداء وقدرته على نقل عواطف غيره ولو كانت من غير لغته ، وتتنوع الأسماء التى يجعل بها شعره ، وأغلب الظن أنها واحدة بعينها ، ولم أره فى كل قصائده الا باكيا شاكيا ٠٠ انظر الى عنوانات شعره انها على التوالى : ابتسام ، الحبيب المبتعد ، انى أحبك ، على المحب السلام ، حب فى بولاق ، خمرتى ، دعوة قلب ، خمرية لشاعر صينى ، درس فى الحب ، لوعة الفراق ، حسناء قلبى ٠ آه جفا من الشعر الصينى القديم ، قطوف ٠ يا من شغلت فؤادى ، وحيدا شربت مع المر لشاعر صينى فى ضمير الليل ، جدد العهد لنا ، حرام يامنى نفسى ، الحب المر ، للشاعر الصينى « لى يو » قلبى معك لست أنسى ٠ ياغزالا ٠ ثغر حبى ، أهنئه مادنا الفه : (اوعى تبخل) شعر عامى ٠ سورة الحب ٠ فى سكون

الليل • شعر صينى • ما كنت واقعا • ثوب حسناء • جدت بالروح • هجرتنى ، مشهد السابحات فى الكابنون — بعيد عن القلب • لقاء • وأخيرا قصة « تاجر الرقيق » •

وجميع هذه القصائد تعبر عن خلجات قلبه ، وهواجس نفسه ، ومعاناته الشعورية • وما قرأت ديوان أغانى الهوى الا تذكرت أبيات الشاعر العربى القديم وهى :

وما فى الأرض أشقى من محب
وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا فى كل حين
مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكى ان نأوا شوقا اليهم
ويبكى أن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند التنائى
وتسخن عينه عند التلاقى

وديوان « أغانى الهوى » لا تخرج معطياته عن هذا القبيل ، وان بدت حارة ملتهبة تمور وتفور فى فؤاد مفطور على الحب والوفاء ، اقرأ معى للشاعر الصينى « الحب المر » واسم الشاعر « لى يو » •

فتحت من الشوق المرير(١) صباحا
حسناء نافذة بدت مصباحا
مالت لتنظر فى هدوء شامل
تغرى العيون وتفتن الأرواحا
وغدت تحرك فى الفضاء سواعدا
لدنا تثير الانس والأشباحا
واذا نظرت ترى الدموع تحدرت
فوق الخدود تصور الأتراحا (٢)
أما الحبيب فلا تراه بقربها
ولى وخلف للفتاة نواحا

فالشاعر هنا يصور حال فتاة جميلة، عندها شوق لرؤية حبيبها ، ففتحت نافذة لتراه ومالت فى هدوء شامل فى فتنة طاغية حرك ذراعا غضة لها أثرها فى الرائين ، ومع ذلك تبكى بدموع غزار على حبيب لم يعطف ، لأنه « ولى وخلف للفتاةنواحا » وشاعرنا له موقف مشابه لهذه الفتاة التى تركها حبيبها للوحدة والبكاء والنواح فقال فى قصيدة « حرام يامنى نفسى » لقد تركته يعانى ما يعانى ، ويتحدث عن الميعاد الذى أخلفته ، ولكنه صور ما جرى فى ست مقطوعات تقطر أسى وألما ، ولا أبالغ ان قلت : انها تقطر دما وندما • ففى المقطوعة الأولى خاطب قلبه هكذا :

دعاك الوجد يا قلبى
لكى تشكو من حبى
فحبى من جوى نفسى
شوى قلبى بلا ذنب
وقد ضيعنى صبرى
ولم يحفظ من الكرب
قتلت الصبر يا وجدى
وزدت النار فى قلبى

(١) المرير : الشديد • الاتراح : الاحزان

واذا بلغ الحب هذا المبلغ فمن حق القلب أن يشكو ، لأن الجوى شواه بلا ذنب ، والصبر قتله الوجد ، فازدادت النار اشتعالا بالقلب . وفى المقطوعة الثانية خاطب الحبيبة بأرق الكلمات قائلا : حرام يامنى نفسى ما أعانيه منك وليس لى ذنب الا حبك ، وأنى لا أرى نوما بعينى الدائمة البكاء و :

فؤادى بالضنا أضحى
على مهد من اللهب

وفى المقطوعة الثالثة شكا بعدها عنه وهى أمله الشهى ، وأحلامه العذبة ، وملاذها من العتب العنيف فما العمل ؟

سأقضى العمر لا أحظى
بغير الهم فى حبى

وفى المقطوعة الرابعة تجلت مخافته من اللوم ، ومن أصحابه الذين لا يعرفون منزلة الحب ، ومع ذلك فولائى لهم وعطفى عليهم :

يلوم الفارغ القلب
الذى يحيا بلا لب
ولا يعرف طعم الحب
غير العاشق الصب

وفى المقطوعة الخامسة يستعطفه بكل ما بينهما من لقاء ونزهات بالشاطىء اللجب ، وبالمواعيد التى تطيب بها الحياة ولكنها لم تستجب ولم تلب نداء الحب ، وتركته يقول فى المقطوعة الأخيرة :

حرام أن أرى نفسى
تقلب فى الجوى جنبى

وقد ذابت من الآلا
م ؛ رحما قلبك الصلب
تعال نجدد الأيا
م بالخلوات والشرب

فكأس الحب قد ملئت
لكى تشرب ياحبى

ألا ترى شاعر « أغانى الهوى » كان ينبغى له أن يسمى ذلك الديوان « أغانى الجوى » لاحتراق فؤاده ، وعذاب نفسه ، وصراخه فى طلب تجديد الأيام ليشرب مع الحبيب كأس الحب .. ولكن أنى ذلك ؟ .

ويتكرر مثل هذا فى معظم شعر الديوان ، فيقول لها :

فالام أترك فى الجوى يافتنتى ؟
عذبتنى وأطلت فى الجفوات
هلا رفقت بمن ملكت فؤاده ؟
فعطفت بالميعاد والزورات

وهكذا يصور فى شاعرية معطاءة مشاعره ووقع الهوى على وجدانه جامعا لك اللفظ والمعنى فى رشاقة وبطلاقة وابداع ، لنقف بجانبه فى هواه ، ونتلقى ما عرضه شائقا وأداه » وما أداه جدير بالاستحسان والاطراء . الا أنى آخذ عليه تهالكه فى رضا الحبيب ورقته فى نجواه ، وبكاءه الذى لا نراه الا فى الضعفاء الذين لا يتحملون ما نأتى به ◄

الحياة ، ولكنه فى الغزل مغفور عند النقاد القدماء الا بعض من يحبون القوة ولو فى الحب والحديث عنه .

ومن كلامهم : « الحب يعمى ويصم » كما أن من كلامهم « من فتش عن عيب وجده » وأنا أقع بين هذين موقعا وسطا ولأنى أحب للشاعر أن يقرأ ويجد صدى لما غناه أعرض هذه القصيدة « هجرتنى .. ثم عادت » ففيها لقى منا . ولذلك جاءت راقصة ترضى الأدب والذوق معا ، وقد اختار لها وزنا مناسبا هو نظام المقطوعة فاقرأها معى :

هجرتنى　　فاذا القلب لهيب وضرام
وجفتنى　　فاذا النور مع الصبح ظلام
لست أدرى لم غابت
عن عيونى وفؤادى
هل تراها قد تفاضت
عن أزاهير الوداد
حين ضاعت بلماها
وعبير من هواها
ثم عادت　　لقد عاد الى النفس الهناء
وتهادت　　شمس قلب كاد يطويه الفناء
سكر القلب وغنى
بأناشيد الغرام
بعد ما قبل لحنا
من جمال ومدام
قبس البدر سناه
وحوى الروض شذاه
وشكونا　　ماجنى البعد على مر الليالى
واعتنقنا　　فاذا الماضى خيال فى خيال
قد نسينا بعد عتب
حرق القلب المشوق
وقطفنا　　ورد حب
سوف يروى بالرحيق
حينما يغفو الحبيب
بين أحضان الحبيب

وسأترك للقراء تقديرهم لهذا الغناء ، فالشعر موصول يعبر عن تجربة تمثل الشعر الحديث فى أجمل أثوابه وأنضر اهابه ، وليعلم الأدباء والنقاد قصرنا فى التنويه بشاعر خليق أن يكون له مكان بين الشعراء . ولنا حديث معه فى قصة « تاجر الرقيق » .

السيد حسن قرون

الشاعر

الحضرمي علي أحمد باكثير

في ذكراه الخامسة عشرة

بقلم : أحمد مصطفى حافظ



في العاشر من نوفمبر الماضي ، أظلتنا الذكرى الخامسة عشرة لرحيل الأديب العربي الفذ ، والدعية الاسلامي الكبير : علي أحمد باكثير ، دون أن يلتفت اليها احد !؟ .. على الرغم من أنه كرس موهبته الفنية المتوهجة ، منذ نعومة أظفاره ، الى أن انتقل الى الرفيق الأعلى في العاشر من نوفمبر عام ١٩٦٩ ، للاشادة بمبادىء الدين الاسلامي الحنيف وتعاليمه في عالم التأليف القصصي والمسرحي ، نثرا ونظما .

وكما يوضح اتجاهه بقوله : « ولعلنا أبناء يعرب وأحفاد الفراعنة والبابليين والأشوريين والفنيقيين والقرطاجيين وعاد وقوم تبع ، وورثة تلك الحضارات كلها ، التي توجتها العناية الالهية بالحضارة المحمدية لتشهد منا خير أمة أخرجت للناس ، ولنكون شهداء على الأمم ـ نتعظ فيما نتعظ به من أحداث تاريخنا ، وسير رجاله وأبطاله . فهو بطرقه أبواب القصص التاريخي ، انما كان

(١) أنظر مقدمة مسرحيته الشعرية:(اخناتون ونفرتيتي) .

يحاول جاهدا أن يجلو لنـــا صــفحات ناصعة مشرقة ، من تاريخ أجدادنا الأمجاد ، لنسير على الدرب ، ونسترد ثقتنا بأنفسنا ، فــلا نغرق فى الافتتان بالحضارة الغربية ، ونسرف فى الاغتراف من منبعها ، متجاهلين منابعنــا الصافية النقية ٠٠ حتى قال شاعرنا متحسرا:

ضــيعتم الأعـــلام فى أوطــانكم
فى ذكر مـــا للغرب من أعـــلام

وصدق حسان بن ثابت رضى الله عنه حين قال :

أكرم بقــوم رســول الله شــيعتهم
اذا تفرقت الأهــواء والشـــيع
ان كان فى الناس سـباقون بعـدهم
فكل ســبق ، لأدنى سبقهم ، تبع

وقد سألت أحد الفضلاء (١) ــ وهو مــن أصل يمنى ــ عــن معنى كلمــة (باكثير) ، فأخبرنى أن الباء الممــدودة بالألف فى أول اسمه بمعنى (ابن) ، ومن ثم فان اسمـــه بهذه المعنى على أحمد بن كثير ٠ ولد فى عــام ١٩١٠ باحــدى مــدن أندونيسيــا وتــدعى (سورابايا) فى شرق جــاوة ، لأب عــربى حضرمى ، هاجر الى أندونيسيا ، ليعمل تاجرا متنقلا للأقمشة ما بين بلده الأصلى حضرموت ومقر عمله بأندونيسيا وأمضى باكثير أعوامه التسعة الأولى مع والده بمقر عمله ، الى أن عاد به والده الى موطنــه الأصلى بحضرموت لطلب العلم ، ليعيش وطنه : لغــة وعــادات وتقاليد ٠

وانتظم باكثير فى سلك طلبة مدرسة يغلب عليها الطابع الأزهرى فى أسلوب التدريس ، وذلك بالاحتفاء ــ أعظم الاحتفاء ــ بالعلوم الدينية والثقافة العربية الخالصة ٠

وبعد أن مكث بهذه المدرسة أربع سنوات ، انضم الى طلاب (مجلس العم)٠٠ وهــو مجلس مكون من حلقة من التلاميذ يلتقى بهم عمه ــ وهو من شيوخ الحلقات فى المساجــد والزوايا ــ ويلقى عليهم دروسه فى الديــن والأدب وعلوم الشريعة ، ووجــد (على) فى مكتبة عمه ، فضلا عن ذلك ، منهلا عذبــا ، ينهل منه الساعات الطوال ما تيسر مما تحويه أمهات الكتب الأدبية ودواوين فحول الشعراء ٠

واجتمعت على الشاعر بعد ذلك مصيبتان زلزلتاه ، بل ثلاث مصائب اذا انتقل والــده الى رحمة الله ، ثم فجع بعد ذلك بوفاة زوجته ، بعد موت طفلته منها غرقا ٠٠ وكما يلاحظ صديقنا الدكتور عبده بدوى ، فان باكثير فى قصيدته (نظام البردة) أو ذكرى محمد ﷺ يقول فى هذا المصاب المثلث الطعنات :

بليت فيـــه بخطب لاعــزاء لـــه
الا اللقاء بدار الخلد والســـلم
ويح الشــباب وقــد ندت أوائلــه
والحوض دونى ٠٠ وأنى لا أزال ظمى!

(١) السيد / المهندس عبد الله أحمد بازرعة ، وكيل أول الوزارة ورئيس جهاز التدريب سابقا٠

(خمس وعشرون) لم أدرك بها غرضا
مـرت على مـرور الطيف فى الحلم

وبعد غرق طفلته ورحيل زوجته ، عمـل بنصيحة الامام الشافعى ، حين قال :

سافر تجـد عوضـا عمن تفـارقه
وانصب .. فان لذيذ العيش فى النصب

فانطلق يذرع عددا من بـلاد اليمن ، ثم غادر اليمن كلها الى الصومال البريطانى ، وحاول التوجه الى مصر عام ١٩٣١ ، الا أن السلطات البريطانية حالت دون ذلك ، فاتجه الى الحبشة ، معتمدا فى أمور معيشته على من كان القائم على تجارة المرحوم والده يمده به من مال عائد التجارة ، « وهو فى كل ذلك لا يحس الطمأنينة ، ولا يقترب من هدوء نفس ومن ثم أحس أن أحزانه لن تهدأ ، وأن جروحه لن تشفى الا حين يغرق نفسه اغراقا فى هذا الجو الذى يزحم مكـة ، ويتـألق فى المدينة ، ويزدهر فى الطائف ، ويهـوم فى كل الجزيرة العربية » (١) .

فقصد الحجاز ، حيث أمضى بها عامـا تردد خلاله على مكتبات مكة والمدينة والطائف وعقد صلات فكرية وثيقة مع الأدباء هنـاك « وفى الطائف أقام فترة مارس فيها هوايته الأدبية ، فكان من نتاجها أولى مسرحياتـه « همام ــ أو فى بلاد الأحقاف » (٢) وأخيرا ، أتيح له أن يفد الى القاهرة ، ويسـتقر بـين ظهرانينا فى مصر سنة ١٩٣٤ وقال فيها :

مـن يرى مصر ولا يعشـق مصرا ؟
جنـة فى الأرض للرحمـن أخـرى

وقال من قصيدة أخرى :

فـاذا الكنـانة عـز موئلهـا
عـزت بهـا مـن يعرب الدول

ورغم الحاح عمه عليه بالمكاتبات للعـودة الى أندونيسيا ، ليقوم بادارة أعمال المرحوم والده بنفسه ، الا أنه رفض الاستجابة لهذا الالحاح ، لايثاره الاقامة الدائمـة بالقـاهرة بعد أن أتمم تعليمه بكلية الآداب ــ قسم اللغة الانجليزية ، وتخرج منها عـام ١٩٣٩ ، ثم حصل على دبلوم معهد التربية عـام ١٩٤٠ ، واشتغل بالتدريس بمدرسة الرشاد الثـانوية بالمنصورة سبع سنوات ، ثم نقل منها للعمل بمدرسة الدواوين الثانوية بالقاهرة ، لمـدة سبع سنوات أخرى .. وتوج اقامته فى مصر بالتزوج من سيدة مصرية ، والحصول عـلى الجنسية المصرية عام ١٩٤٥ . وفى كتابـه « محاضرات فى فن المسرحية » يحدثنا باكثير عن السبب فى التحاقه بقسم اللغة الانجليزية بالذات ، وكان المتوقع أن يلتحق بقسم اللغة العربية ، فيقـول : « كانت ثقـافتى الاولى عربية خالصة ، وظلت كذلك حتى حضرت الى مصر ، فعـزمت عـلى أن أدرس الأدب الانجليزى لما بلغنى أنه غنى بالشعر الرفيع ، فقد كانت غايتى اذ ذاك أن أصقل موهبـة الشعر عندى ، وأعد نفسى لأكون شـاعرا

---

(١) من بحث للدكتور عبده بدوى عن باكثير بكتاب (خمسة من شعراء الوطنية)جـ٣ ص٢٥١

(٢) (من أدباء الاسلام المعاصرين) للاستاذ على الجنبلاطى ص ٩١ . وقد قام العـلامة محب الدين الخطيب بطبعها له بمطبعة (الفتح) ونشرها عام ١٩٣٤ .

كبيرا ، وعسى أن تفتح لي هذه الدراسة آفاقا جديدة فى الشعر ، فالتحقت بقسم اللغة الانجليزية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وما أن سلخت عاما حتى وجدتني فى بلبلة نفسية من حيث نظرتى الى الشعر ، الذى كنت أنظمه وأنشره فى الصحف ، فقد غيرت هذه الدراسة من نظرى لمفهوم الأدب كله ، فأخذت أعيد النظر فى المقاييس الادبية التى كانت عندى من أثر ثقافتى العربية » ٠ « وكانت تستهوينى بنوع أخص أعمال (شكسبير) ، كنت اذ ذاك ، ومازلت ، أعتبر الشعر ميدانى الأول ــ ومن هنا اتجهت الى (شكسبير) باعتباره يجمع بين الفن القديم الذى أحبه ــ وهو الشعر ــ وبين الفن الجديد الذى بدأت أكتشف فى نفسى الاستجابة اليه، وهو : فن المسرحية » ٠

ويحدث بعد ذلك تطور كبير فى حياة باكثير الأدبية ، بل وفى تاريخ الأدب العربى الحديث أيضا ، حينما ذكر أستاذ انجليزى من مدرسيه بالجامعة أمامه ، أنه لا وجود فى اللغة العربية لما يسمى فى اللغة الانجليزية بالشعر المرسل، ولا يمكن لها أن تتسع له ٠٠ فما كان من تلميذه باكثير ، الا أن التقط القفاز ، ــ أى قبل التحدى ــ وقال لأستاذه : ــ أما أنه لا وجود له ،فهذا صحيح ، لأن لكل أمة تقاليدها الفنية ، وكان من تقاليد الشعر العربى ، التزام القافية ولكن ليس هناك ما يحول دون ايجاده فى اللغة العربية ، فهى لغة طبيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر » يقول باكثير : فأعرض عنى ، (أى الأستاذ) ، وشعرت بأن على أن أتحدى هذا الزعم ، وأدحضه بالبرهان العملى ، ورأيت أن خير ما أبدأ به هو أن أترجم فصولا من (شكسبير) على هذه الطريقة ٠ » (٢) وكان قد قام بترجمة فصول من مسرحية « الليلة الثانية عشرة » لشكسبير ، ونشرها فى مجلة الرسالة ، بالشعر الموزون المقفى ، الا أنه قام بكتابة مسرحية (اخناتون ونفرتيتى) عام ١٩٣٨ بطريقة الشعر المرسل ، بعد محاولات فى ترجمة بعض فصول مسرحية (روميو وجولييت) شكسبير ٠٠ وقال المازنى فى تقديمه لمسرحية (اخناتون ونفرتيتى) :

« انها تحفة جديرة بكبار الأدباء والمؤرخين وبشرى أيضا بظهور كوكب جديد فى عالم الشعر » ٠٠ وعن تجربة باكثير فى الشعر المرسل ، يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : « أن أوضح وأبرز وأهم محاولة فى هذا الصدد ، هى تلك التى بدأت بمحاولة الشاعر والكاتب المسرحى : على أحمد باكثير ــ رحمه الله ــ تطويع الشعر العربى للشكل والأداء المسرحيين ٠ » (٣)

وحينما أعيد طبع مسرحية اخناتون ونفرتيتى فى سنة ١٩٦٨ قال باكثير فى تقديمها أنها صارت نقطة انقلاب فى تاريخ الشعر العربى الحديث كله ، فقد قدر لها أن تكون

(١) ص ٤
(٢) فن المسرحية من خلال تجاربى ص ٥٢٤
(٣) أنظر كتابه (الشعر المعاصر فى اليمن ــ الرؤية والفن) ص ٢٣١ ٠

التجربة الأم ، فيما شاع اليوم ونسميه بالشعر الحر أو الشعر التفعيلى ، وأسميته أنا قديما : الشعر المرسل المنطلق .

تجربة انطلقت فى منيل الروضة على ضفاف النيل بالقاهرة ، ثم ظهر صداها أول ما ظهر فى العراق لدى الشاعرين المجددين الكبيرين : بدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة، بعد انطلاقها بعشرة أعوام .. لقد نظم اسعاف النشاشيبى قصيدة على منواله ، وان الشاعر السياب ــ رحمه الله ــ كان يذكر لى هذا السبق فى كلمات الاهداء ، التى كان يخطها على كتبه المهداة الى .. »

وكان أول عهد باكثير فى الدخول الى دائرة الضوء ، حينما فاز ــ مناصفة مع الروائى الصاعد فى ذلك الوقت ، وصديق عمره فيما بعد : نجيب محفوظ ــ بجائزة السيدة قوت القلوب الدمرداشية ، وقدرها ثمانون جنيها ، خصصتها لموضوع كتابة قصة أدبية ، تؤلف من صميم التراث العربى . وكان فوزه بنصف تلك الجائزة عن روايته (سلامة) ، كما فاز بنصف الجائزة الآخر الروائى نجيب محفوظ ، عن روايته : (رادوبيس) .

ومن عجب أن الأديبين التقيا مرة أخرى ، فى الفوز معا ، بجائزة وزارة (المعارف) .. باكثير بروايته (وا اسلاماه) ــ التى درست بعد ذلك فى المدارس الثانوية ــ ونجيب محفوظ بروايته (كفاح طيبة) .. ولم يكن أى من الأديبين قد عرف صاحبه بعد ، حتى ذلك الحين ، الى أن ضمتهما معا الزمالة فى لجنة النشر للجامعيين ، التى أنشأها الأستاذ عبد الحميد جودة السحار عام ١٩٤٣ : وضمت غيرهما من الكتاب ، أمثال الأساتذة : محمد عبد الحليم عبد الله ، وحسن كامل الصيرفى ، وعادل كامل وأمين يوسف غراب ، وغيرهم .

كما توثقت الصلة بينهما بعد ذلك فى الاجتماع الأسبوعى الذى كان يعقد فى (كازينو الأوبرا) بميدان العتبة بالقاهرة ، صباح الجمعة من كل أسبوع ، لمدة تناهز عشرين عاما ، « وكان باكثير أيامها أوفرهم انتاجا ، وله فى المسرح عدة أعمال ناجحة (١) » .

ونقل (٢) باكثير للعمل بمصلحة الفنون بوزارة الثقافة والارشاد القومى عام ١٩٥٥ تحت رئاسة الأديب الكبير يحيى حقى ، حيث عمل ــ أيضا ــ مع نجيب محفوظ فى مصلحة حكومية واحدة ، مع اختلاف فى طبيعة العمل ، فباكثير كان يشرف على شئون المسرح ، وكان نجيب محفوظ يشرف على شئون (السينما).

ثم عمل باكثير فى قسم الرقابة على المصنفات الفنية فترة ما ، الا أنه كان يهفو الى

◄

(١) عمود (جولة الفكر) لنعمان عاشور بعدد أخبار اليوم الصادر فى ١٩٦٩/١٢/٢٧ .
(٢) اعتمدنا فى استقاء هذه المعلومات على رسالة ماجستير ــ لم تطبع بعد ــ للاستاذة الباحثة : مديحة سلامة .

التفرغ من أعباء الوظيفة ، لابداع ملحمته الاسلامية الكبرى عن سيدنا عمر بن الخطاب ، الذى كان يعتبره مثله الأعلى ، ويستحوذ على اعجابه كله .. وساعده العقاد فى تذليل العقبات التى اعترضت سبيله ، حتى صدر له قرار التفرغ فى ١٩٦٠/٢/٢٣ ، وانفسح المجال أمام باكثير الى درجة كبيرة بعد ذلك حينما أتيح له تمثيل مصر دوليا فى العديد من المؤتمرات الدولية الثقافية ، بدول العالم المختلفة ، كفرنسا وانجلترا وتركيا والعراق ، وقد وافته المنية وهو يشغل منصب مدير المكتب الفنى للرقابة على المصنفات الفنية .

وقد أثرى باكثير الحركة الأدبية طوال الفترة التى ظل يعمل فيها ، بالوافر من القصص والمسرحيات ، التى تصور أمجاد الأمة العربية والاسلامية ، وتجسد صور البطولة فى أعمال كثيرة ، كان منها فى مجال الرواية خمس قصص طويلة ، هى (سلامة القس) و (واسلاماه) و (سيرة شجاع) و (ليلة النهر) و (الثائر الأحمر) .

وأنشأ فى مجال المسرحية احدى وثلاثين مسرحية مطبوعة ، وثلاث عشرة ما بين قصة ومسرحية لم تطبع بعد .

هذا بالاضافة الى ملحمته الاسلامية الكبرى التى وضعها فى تسعة عشر مجلدا عن سيرة سيدنا عمر بن الخطاب الشذية العطرة ، وقد طبع منها ستة فقط ، هى التى تحمل أسماء : (على أسوار دمشق) و (معركة الجسر) و (كسرى وقيصر) ، و (أبطال اليرموك) و (تراب من أرض فارس) و (رستم) . وبقيت قيد الطبع ثلاثة عشر مجلدا تبتدىء (بأبطال القادسية) وتنتهى : (بغروب الشمس) ..

ونحن نضم صوتنا لصوت أستاذنا على الجنبلاطى ، رحمه الله ، حينما يقول عن هذه المجلدات التى لم تطبع بعد : « ولعله من الوفاء للعروبة والاسلام ، وللأديب الكبير ، أن نراها بين أيدينا مع غيرها من هذا التراث ، الذى نعتقد أنه أمانة فى أعناقنا حيال الأجيال الصاعدة ، ما بقيت عروبة واسلام » (١) .

وما أحرانا أن نعى قول شاعرنا فى عام ١٩٦٧ :

غدا بنى قومى
وما أدنى غدا
اما نكون أبدا
أولا نكون أبدا

أحمد مصطفى حافظ

(١) « من أدباء الاسلام المعاصرين » ص ٩٥ .

التصوف.. فى ضوء تحقيق العلماء

وحدة الوجود

التصوف فى مصر قبل القرن السابع الهجرى

الرمز فى الأدب الصوفى

فتوى صاحب الفضيلة المفتى الأسبق

وحدة الوجود

١ — نريد أن نبدأ مباشرة بملاحظة تزيل — بصورة غير متوقعة — حدة المناقشة فى هذا الموضوع ، وذلك أننا بصدد « وحدة الوجود» ولسنا بصدد وحدة الموجود .

والموجود متعدد : سماء ، وأرض ، جبال ، وبحار ، أشجار وأناسى الخ ، وهو مختلف صلابة وهشاشة ، لونا ورائحة وطعما ، متفاوت ثقلا وخفة الخ .

ولم يقل أحد من الصوفيين الحقيقين — ومنهم ابن عربى والحلاج — بوحدة الموجود .

وما كان لمؤمن ، ولا يتأتى لمؤمن ، أن يقول بوحدة الموجود وما كان للصوفية — وهم الذروة من المؤمنين — أن يقولوا — وحاشاهم — بوحدة الموجود .

وقد تتساءل : من أين اذن أتت الفكرة الخاطئة التى يعتقدها كثير من الناس : من أن الصوفية يقولون بوحدة الموجود ؟ !

وتفسير ذلك لا عسر فيه :ان فريقا من الفلاسفة فى الأزمنة القديمة وفى الازمنة الحديثة يقولون بوحدة الموجود ، بمعنى أن الله — سبحانه وتعالى عن افكهم — هو والمخلوقات شىء واحد .

قال بذلك هيراقليطس فى العهد اليونانى : والله عنده نهار وليل ، صيف وشتاء ، وفرة وقلة ، جامد وسائل ، انه — على حد تعبيره — كالنار المعطرة ، تسمى باسم العطر الذى يفوح منها ، تقدس سبحانه وتنزه عما يقول .

والله سبحانه وتعالى ، فى رأى « شلى » فى العصور الحديثة ، هو هذه البسمة الجميلة على شفتى طفل جميل باسم ، وهو هذه النسائم العليلة التى تنعشنا ساعة الأصيل ، وهو هذه الاشراقة المتألقة بالنجم الهادى فى ظلمات الليل ، وهو هذه الورود اليانعة تتفتح وكأنها ابتسامات شفاه جميلة : انه الجمال أينما وجد ، ولكنه أيضا — سبحانه وتعالى — القبح أينما كان : وكما يكون طفلا فيه نضرة ، وفيه وسامة ،يكون جثة ميت ، ويكون دودة تتغذى من جسد ميت ، ويكون قبرا يضم بين جدرانه هذه الجثة وهذا الدود ، أستغفرك ربى وأتوب اليك .

ولوحدة الوجود — بمعنى وحدة الموجود — أنصار فى كل زمان .

ولما قال الصوفية « بالوجود الواحد » شرح خصومهم الوجود الواحد بالفكرة

للإمام الأسبق الدكتور
عبد الحليم محمود

الفلسفية عن وحدة الوجود بمعنى وحدة الموجود وفرق كبير بينهما ، ولكن الخصومة كثيرا ما ترضى عن التزييف وعن الكذب فى سبيل الوصول الى هدم الخصم ، والغاية تبرر الوسيلة كما يقولون .

وشىء آخر فى غاية الأهمية كان له أثر كبير فى الخطأ فى فهم فكرة الصوفية عن «الوجود الواحد» ، وهو أن الامام الاشعرى رضى الله عنه ، رأى فى فلسفته الكلامية ، أن الوجود هو عين الموجود ، ولم يوافقه الصوفية على هذه الفكرة الفلسفية ، ولم يوافقه الكثير من مفكرى الاسلام وفلاسفته على رأيه . وهو رأى فلسفى يخطىء فيه أبو الحسن الأشعرى أو يصيب ، وما مثله فى آرائه الفلسفية الا مثل غيره فى هذا الميدان يخطىء تارة ويصيب أخرى .

ورأى مخالفوه : أن الوجود غير الموجود ، وأنه ما به يكون وجود الموجود ، ولما قال الصوفية بالوجود الواحد ، شرح خصومهم فكرتهم فى ضوء رأى الأشعرى ، دون أن يراعوا مذهبهم ،ولا رأيهم : ففسروا قولهم : بالوجود الواحد على أنه قول بالموجود الواحد .

وهذا التفسير بهذه الطريقة يسحب الثقة فى آراء هؤلاء الخصوم .

وأمر ثالث ، يجب ألا نعيره أدنى التفات ، لأنه أتفه ــ فى منطق البحث ــ من أن نعيره التفاتا ، وهو هذه الكلمات التى تناثرت هنا وهناك ، مخترعة ملفقة ، مزيفة ، ضالة ، فى معناها ، تافهة فى قيمتها الفلسفية ، غريبة على الجو الاسلامى ، تنادى بصورتها ومعناها : أنها اخترعت تضلبلا وافتياتا .

انها هذه الكلمات التى يعزونها الى الحلاج، رضوان الله عليه ، أو الى غيره : لا توجد فى كتاب من كتبه ، ولم يخطها قلمه ... لقد اخترعوها اختراعا ، ثم وضعوها أساسا تدور عليه أحكامهم بالكفر والضلال .

ويكفى أن يتشبث بها انسان فيكون فى منطق البحث غير أهل للثقة .

٢ ــ الوجود الواحد :

وهل فى الوجود الواحد من شك ؟ انه وجود الله المستغنى بذاته عن غيره ، وهو الوجود الحق الذى أعطى ومنح الوجود لكل كائن وليس لكائن غيره ، سبحانه الوجود من نفسه انه سبحانه الخالق وهو البارىء وهو المصور: هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء .

ومن بعض معانى هذا التصوير قوله تعالى:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ . ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ

أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

وصلة الله بالانسان اذن : هى أنه سبحانه يمنحه الوجود الذى يريده له فى كل لحظة من اللحظات المتتابعة ، فتتشكل حياته فى كل لحظة بصورة أمده الله سبحانه وتعالى بها .

وصلة الله بكل كائن : انما هى على هذا النمط : انه سبحانه مثلا : « يُمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده » انه يمسكهما وجودا ، ويمسكهما تدبيرا ، ويمسكهما تماسكا وتناسقا ... انه يمسك فيهما الكيف والكم ، واذا ما سحب امداده عنهما تلاشتا كما وكيفا .

ان الله سبحانه وتعالى : محيط بالكون ، مهيمن عليه ، قيوم السموات والأرض ، قائم على كل نفس بما كسبت ، وقائم على كل ذرة من كل خلية ، وقائم على كل ما هو أصغر من ذلك وما هو أكبر بحيث لا يعزب عن هيمنته وعن قيوميته مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء .

هذه القيومية : أخذ القرآن والسنة يتحدثان عنها فى استفاضة مستفيضة لتهز الانسان هزة عنيفة تجعله لا يخلد الى الارض ولا يتبع هواه ، وانما يرتفع ببصره ويستشرف بكيانه الى الملأ الأعلى مستخلصا نفسه من عبودية المادة : ليوحد الله سبحانه وتعالى فى عبودية خالصة له ، وفى اخلاص لا يشوبه شرك من هوى ، أو شرك من سيطرة المادة أو الغرائز .

٢ — ونريد الآن أن نصور بعض مواقف القرآن فى هذا الصدد : ان الله سبحانه وتعالى : يوجه نظرنا فى سورة الواقعة الى مسائل نحن عنها فى العادة غافلون .

« أفرأيتم ما تمنون ؟ ! أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » ! ...

« أفرأيتم ما تحرثون ؟ ! أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟ » ! ...

« أفرأيتم الماء الذى تشربون ؟ ! أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ! ..

« أفرأيتم النار التى تورون ، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » ؟ ...

وعلى العكس من ذلك : لو شاء الله لما خلق هذا الفرد ، ولجعل الزرع حطاما ، ولما أنزل الماء من المزن ، ولما أنشأ شجرة النار ، انه سبحانه ، بيده الأمر سلبا وايجابا ، وبيده أمر الخلق ايجادا واعداما ..

أرأيت الى هذه الرمية التى ترميها : انك ما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى ..

أرأيت الى الانتصار فى الجهاد ؟ ان هذا الانتصار من عند الله ، أما القتلى : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » .

ورزق الانسان هذا وطعامه :

« فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقاً ، فأنبتنا فيها

« حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ . . »

٤ ـ هذه الهيمنة ، وهذه القيومية ، يمر بها قوم فلا يعيرونها التفاتا ، انهم يمرون بها مرور الحيوانات بما لا تدرك ولا تعقل : ان الله سبحانه وتعالى ، لا يحتل من شعورهم درجة أيا كانت ، وهمهم كل همهم مصبحين ممسين ، انما هو ملء البطن ، أو كنز الذهب والفضة ، أو النزاع على جاه ، أو العمل لتثبيت سلطان : انهم يمرون بآيات الله فلا يشهدونها ، وتحيط بهم آثاره ، فلا ينظرون اليها ، وتغمرهم نعماؤه وآلاؤه فلا يوجههم ذلك الى الحمد ولا الى الشكر ، ان الله سبحانه وتعالى : لا يحتل فى قلوبهم ولا فى تفكيرهم ، ولا فى بيئتهم ، ولا فى حياتهم ، قليلا ولا كثيرا . . .

والطرف الآخر المقابل لهذا : هو هؤلاء الذين انغمسوا حقا فى محيط الالهية : سبحوا فى بحارها ، واستنشقوا نسائمها الندية ، وغمرهم لألاؤها وضياؤها ، لقد بدءوا بحمد الله وشكره على نعمائه وآلائه التى تحيط بهم من جميع أقطارهم ، فزادهم الله نعما وآلاء :

« لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . »

لقد اتقوا الله حق تقاته فعلمهم الله :

لقد اكتفوا بالله هاديا ونصيرا ، فهداهم الله الى صراطه المستقيم ، ونصرهم على أنفسهم وعلى أعدائهم ، وأخذوا شيئا فشيئا ، يحاولون تحقيق التوحيد : قولا ، وعقيدة ، وتذوقا ، وتحققا ، وأخذوا يرون فى « أشهد أن لا اله الا الله » معانى لا يتطلع اليها غيرهم .

وبدأ معنى الشرك يتضح لهم فى صورة لا تخطر على بال اللاهين ، الذين شغلتهم أموالهم وأهلوهم ، وبدءوا يحطمون الشرك : يحطمون أصنامه وأوثانه . من النفس ، والهوى ، والشيطان ، ومن الغرائز الحيوانية ، والغرائز الانسانية ، وانهار الشرك حتى من همسات الفؤاد : لقد انهار الشرك الواضح ، وانهار الشرك الخفى ، وثبت فى أذواقهم واستقر فى أحوالهم ومقاماتهم : أن « لا اله الا الله » وأنه « أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ » .

وأينما كانوا فالله معهم ، وهو أقرب اليهم من حبل الوريد ، وهو أقرب اليهم من جلسائهم ومعاشريهم : انه يغمر كيانهم فلا يرون غيره سبحانه ، لا يرون غيره ، قيوم السموات والأرض ، ولا يرون غيره مصرفا لليسير من الأمور ، وللعظيم منها ، ولا يرون غيره مالكا للملك : يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء .

لقد أصبحوا ربانيين ، وأصبح الله فى بصرهم وسمعهم وجوارحهم وفى قلبهم من قبل ذلك ومن بعده : يشغله كله فلا يدع فيه مكانا للاغيار .

٥ ـ وأخذ هؤلاء الصوفية يوجهون أفراد هذا القطيع من البشر الى الله تعالى : أخذوا فى محاولة جاهدة مستمرة ـ لانتزاع الانسان من الاخلاد الى المادة ليتطلع الى السماء :

لقد حاولوا أن يوجهوا نظر الناس الى الله ، عن طريق آلائه التى تغمرهم وعن طريق

وحدة الوجود

صنعه ، وقد احسن كل شيء خلقه ، سبحانه .
أخذوا يوجهون نظر الناس الى الله تعالى: فى الزهرة تتفتح ، وفى الزرع ينبت ، [illegible] ما الى السماء ، وفى الشمس تشرق ، وفى القمر يتألق وفى مواقع النجوم ومداراتها ...

وفى كل هذا الابداع السارى فى الكون !
أخذوا يشرحون معنى تلك الآيات الكريمة:

(تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ . الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ)

وكانت تعبيراتهم تعبيرات متذوقين ، وليست التعبيرات الجافة لعلماء الكلام أو الفلاسفة ، وهم — فى تعبيراتهم — يشرحون : أن الله سبحانه وتعالى ، الممد الوجود لكل موجود : انه يمد القائم بالقيام ، ويمد الماشى بالمشى ، والمتحرك بالحركة ..

انه — على حد تعبير أهل السنة والأشاعرة: الذى يقطع ، وليست السكين هى التى تقطع ، وهو الذى يحرق ، وليست النار هى التى تحرق ، وهو الذى حينما يريد ، يقول للنار كونى بردا وسلاما ، فتكون بردا وسلاما .

ومهما عبر الصوفية ، فى هذا الميدان ، عن الوجود الواحد ، فقالوا فى ذلك ، وزعم الناس أنهم أسرفوا ، واشتطوا ، فانهم : سوف لا يبلغون المدى الذى بلغته تلك الآية الكريمة التى تمثل فى روعة رائعة ، الهيمنة المهيمنة ، والاستغراق القاهر ، والجلال الشامل ، والتى لا تعنى وحدة متحدة ولا اتحادا متطابقا بين الخالق والمخلوق أو العابد والمعبود والآية هى :

« هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ » .

وهذه الآيات القرآنية التى ذكرناها انما هدفها أن تدفعنا دفعا الى الشعور بقيومية الله سبحانه وتعالى ، مهيمنة وهيمنته مسيطرة ، والى الشعور بتوجيهه سبحانه وتعالى للانسان أن يفر الى الله فى كل أمر من أموره ، وأن يسمو بنفسه حتى يتحقق بأن :

« لا اله الا الله » .

وما فعل الصوفية أكثر من ذلك ، انهم مهدون بهدى القرآن والسنة ، يريدون للانسان : أن يكون ربانيا ، فاذا ما استمر الكثير من الناس يخلدون الى الارض ، وينظرون دائما الى أسفل ، فليس ذلك ذنب الصوفية ، فقد أدوا واجبهم نحو التوجيه الى الله ، خير أداء .

أما اذا لم يكتف بعض الأفراد بالاخلاد الى الارض وبالنظر الى أسفل ، وانما أخذوا يهاجمون من يدعوهم للتطلع الى السماء ، ويوجههم الى الله ، تعالى ، فهؤلاء : انما يحاربون الله ورسوله ، وجزاؤهم معروف .

٦ — وقد تتساءل : فيم اذن حوكم الحلاج وقضى عليه بالقتل ! ؟

ان أمر هذه القضية : قضية الحلاج: معروف

سرها ، وما كان سرها خافيا فى يوم من الايام.

لقد كان الحلاج قوة جارفة كان مركزا للجاذبية لا يضارع ، يلتف حوله الناس أينما حل ، ويسيرون معه أينما ارتحل .

وكان — ككل صوفى — : يحب آل البيت لأنه كان يحب الرسول ، ﷺ ، وكان آل البيت اذ ذاك يطمحون فى أن تكون الدولة لهم ، وما كان بنو العباس يطمئنون الى شخصية كشخصية الحلاج المحبة لآل البيت، نسل رسول الله ، صلوات الله عليه وسلامه .

ومادام الحلاج دعاية قوية تسير فى كل مكان ، وتتجه الى كل بلد، فيجب — حفاظا على أمن الدولة وتحصينا لاستقرارها — : أن ينكل بالحلاج .

وما كان مقتل الحلاج دينيا قط ، كلا ، وانما كان سياسيا بحتا . ومن السهل على الملوك المستبدين أن يزيفوا القضايا ، أن يأتوا بشهود الزور ، وأن يعدوا القضاة بالمال والترقية ، وأن ينفذوا أهواءهم .

فكان ما كان من قضية ومن قتل .. والدين من كل ذلك براء والألفاظ التى ينسبونها للحلاج ليست فى كتاب من كتبه ، — وبعضها موجود — لاتسند خصومه ولا تؤيدهم .

هذا ما كان من أمر الحلاج . وبقيت كلمة :

ان المنطق الصحيح : ألا يفتى المهندس فى أبحاث الاطباء ، وألا يحكم الأديب باعتباره أديبا ، فى أعمال المهندسين .

ومن العدالة — على هذا الوضع — : ألا يحكم على هذه القمم الشامخة ابن عربى ، الحلاج ، ابن الفارض ، من لم يبلغ مداهم أو يقاربه .

لقد قيل مرة لأحد شيوخنا الصالحين الأجلاء : ان فلانا ، ينتقد ابن عربى فى المجلات ، فقال ، رضوان الله عليه : وهل من حق الخنافس أن تحكم على أعمال الأسد ، ان الخنافس لا تحكم على أعمال السباع ، وليس من حقها أن تتحدث فيما تفعله السباع، ومنطقها دائما منطق الخنافس .

أما الامام الشافعى — رضوان الله عليه — فانه يقول عن خصوم سيدنا محيى الدين : « ان حكمهم حكم ناموسة نفخت على جبل تريد ازالته من مكانه وتذهب الريح بأمم من الناموس ، وتبقى الجبال شوامخ راسيات ، بها تثبت الارض ، وبها يحفظ ميزان الدنيا » اهـ .

والرأى الذى لا يتأتى غيره من المنصف ، الرأى الحق ، هو ما قاله الامام الشعرانى عن الصوفية عامة ، وعن سيدنا محيى الدين خاصة : « ولعمرى » ان عباد الأوثان لم يجرؤوا على أن يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا : ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى، فكيف يظن بأولياء الله أن يدعوا الاتحاد الحق سبحانه ، هذا محال فى حقهم ، رضوان الله عليهم » ا . هـ

فلابد أن يبلغ الانسان المستوى ، أو يقارب المستوى ، وحينئذ سيقول كما قال أسلافنا الذين بلغوا المستوى أو قاربوه : رضى الله عن سيدنا محيى الدين ، ورضى الله عن الحلاج ، وعن ابن الفارض ، ونفعنا بهم ، وبكتبهم ، هذا وبالله التوفيق .

التصوف في مصر

قبل القرن السابع الهجرى

٤ ـ واذا أردنا أن نبحث عن الزهد والتصوف فى مصر ـ ميدان البحث ـ وجدنا جذورهما ضاربة فى أعماق التاريخ فالزهد لم يكن ـ فى تصورى ـ غريبا على مصر التى (شاعت فيها الدعوة الى عبادة الآلهة والاستخفاف بمباهج الحياة والحرص على نعيم الآخرة منذ عهد الفراعنة) (٢) والتنسك لم يكن بعيدا عن أهلها فلقد عرفت مصر نظام الرهبنة ، (وكانت الأديرة المسيحية منتشرة فى أماكن مختلفة) (٣) وكان الرهبان والمتبتلون يعمرون هذه الأديرة وكانت لهم صومعاتهم الخاصة التى يعتكفون فيها وكان الدير لا يخلو من (الحياة النسكية والعبادات والطقوس الدينية) (٤) .

ولما أشرق الاسلام على مصر جاء اليها كثير من الصحابة ، والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ معرفون بالزهد والورع منهم عمرو ابن العاص الفاتح الزاهد الذى مات (ولم يترك الا سبعة دنانير) (١) ومثل ابنه عبد الله ابن عمرو بن العاص ومثل المقداد بن الأسود وغيرهم . عرفت مصر الزهد بمفهومه الاسلامى وشاركت فى حركته منذ البداية على يد مجموعة من الزهاد كان على رأسهم سليم ابن عتر التجيبى (ت/سنة ٥٧ هـ) الذى يضعه السيوطى على رأس قائمة زهاد مصر والذى يقول عنه الذهبى كان (قاضى مصر

---

(١) مدخل الى التصوف الاسلامى/د . ابو الوفا الغنيمى التفتازانى ص ١١١/١١٢ ط دار الثقافة بمصر سنة ١٩٧٤ م .

(٢) التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى / د . توفيق الطويل/ص ٣٦/ط الاعتماد بمصر سنة ١٩٤٦ م .

(٣) الحياة الفكرية والادبية بمصر من الفتح حتى آخر الدولة الفاطمية/د . محمد كامل حسين ص ٧٣ ط النهضة .

(٤) الديارات/ابو الحسن على بن محمد الشابشتى/ص ٣١/ط المعارف ببغداد سنة ١٩٧١ تحقيق كوركيس عواد .

(٥) الولاة والقضاة/د ١ ص ٣٤ .

للدكتور غريب محمد على
بآداب قنا

وقاصها وناسكها)(١) ، وقد كان سليم ـ كما يقول الكندى ـ (يختم القرآن كل ثلاث مرات) (٢) ٠

ومن الزهاد الذين عرفتهم مصر فى القرن الأول الهجرى عبد الرحمن بن حجيرة (ت سنة ٨٣ هـ) الذى كان (من أفقه الناس) (٣)

ومنهم أبو تميم الجيشانى (ت سنة ٧٧ هـ) الذى يقول عنه الذهبى (كان من عباد أهل مصر وزهادهم) (٤) ولم تسعفنا المصادر التى بين أيدينا بأبيات شعرية صدرت عن هؤلاء الزهاد تدل على منازع ومناحى اتجاههم الزهدى بيد أنها أعطت صورة لهؤلاء النفر الذين عاشوا فى عبادة ونسك زاهدين فى الحياة ومتاعها بعيدين عن زخرفها وبهرجها مع غلبة النزعة الوعظية عليهم والدعوة الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ٠

وفى القرن الثانى الهجرى ازدادت موجة الزهد والنسك قوة فلقد كثر الزاهدون ووصلت الينا منهم قصائد ومقطعات من نظمهم تصور اتجاه تلك الموجة ومشاربها ونذكر من هؤلاء الزهاد على سبيل المثال :

الليث بن سعد (ت سنة ١٧٥ هـ) فقيه مصر وامامها فى الحديث والذى تحكى (عنه قصص كثيرة فى الكرامات)(٥) ونددر منهم السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على ابن ابى طالب (ت سنة ٢٠٨ هـ) التى جاءت الى مصر وكانت ـ كما يقول السيوطى ـ (عابدة زاهدة كثيرة الخيرات)(٦) ومن زهاد هذا القرن أيضا حيوة بن شريح (ت سنة ١٥٨ هـ) والقاضى المفضل بن فضالة (ت سنة ١٨١ هـ) ويذكر الذهبى أن كلا من حيوة والمفضل كان زاهدا وكان مجاب الدعوة (٧) ومن هؤلاء الزهاد فى هذا القرن الحسن بن الخليل بن مرة الذى شغلته العبادة كما يذكر ابن الجوزى (٨) ٠

◄

---

(١) العبر/الذهبى/جـ ١ ص ٨٦ ـ تحقيق صلاح المنجد جـ ١ سنة ١٩٦١ م ٠
(٢) الولاة والقضاة/جـ ١ ص ٣٠٧ ٠
(٣) الولاة والقضاة/جـ ١ ص ٣١٤ ٠
(٤) العبر/جـ ١ ص ٨٨ ٠
(٥) صفوة الصفوة/ابن الجوزى/جـ ٤ ص ٢٨١ /ط دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد ـ الدكن ـ الهند سنة ١٣٥٦ هـ ٠
(٦) حسن المحاضرة /السيوطى/جـ ١ ص ٢٤٣ حـ الموسوعات سنة ١٣٢١ هـ ٠
(٧) انظر العبر/جـ ١ ص ٢٢٩/٢٨٢ ٠
(٨) انظر صفوة الصفوة جـ ٤ ص ٢٩٣ ٠

ولا يمكن أن ندع هذا القرن دون ذكر شخصية كبيرة اشتهرت بالزهد والعفاف بالاضافة الى الفقه وهى شخصية الامام الشافعى (ت سنة ٢٠٥ هـ وقيل ٢٠٤ هـ)

الذى يمكن أن نقول عنه انه يمثل صورة الزهد فى هذا القرن عبادة ونسكا وأدبا فله من الأقوال والأبيات الشعرية ماينم عن اتجاه زهدى مواكب لحركة الزهد فى الأمصار الاسلامية الأخرى ومن ذلك قوله :

ان لله عبادا فطنا
تركوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحى وطنا

جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا (١)

ففى هذه الأبيات يرى الشافعى أن الاذكياء حقا هم عباد الله الذين هجروا الدنيا وما فيها وتركوا مباهجها لأنهم يعلمون أنها دار فناء ، لا بقاء فيها لحى وأن الدار الآخرة هى الحيوان والخلود ، وهذا ديدن الصالحين دائما وعادة الزاهدين أبدا ولذلك نرى الشافعى كثير الذم لهذه الدنيا الحقيرة ومن ثم فاننا نلمس فى زهده القناعة والرضا كما نلمس نزعة التوكل على الله وهذا يتضح فى قوله :

رأيت القناعة رأس الغنى
فصرت بأذيالها ممسكا

فلا ذا يرانى على بابه
ولاذا يرانى به منهمكا

ويظهر فى قوله :

توكلت فى رزقى على الله خالقى
وأيقنت أن الله لاشك رازقى

سيأتى به الله العظيم بفضله
ولو لم يكن منى اللسان بناطق

ففى أى شىء تذهب النفس حسرة
وقد قسم الرحمن رزق الخلائق (٣)

ونحس فى شعر الشافعى أيضا النزعة الوعظية التى تدعو الى ترك المعاصى وطرح الدنيا جانبا وتحث على تهذيب النفس وتدعو الى الصبر وعدم الجزع من حادثات الزمن وهذا يتمثل فى قوله :

دع الايام تفعل ما تشاء
وطب نفسا بما حكم القضاء

(١) ديوان الشافعى ص ١٧١ جمع وتحقيق هدى يكن ط دار الريحانى بيروت سنة ١٩٦٢ م.

(٢) ديوان الشافعى/ص ١٤٢ .
(٣) ديوان الشافعى/ص ١٣٧ .

ولاتجزع لحادثة الليالي
فما لحوادث الدنيا بقاء (١)

ونراه فى قوله :

صن النفس واحملها على ما يزينها
تعش سالما والقول فيك جميل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد
عسى نكبات الدهر عنك تزول (٢)

وهو فى خلال كل ذلك يصدر أبياتا تحمل مزيدا من الاقناع مثل قوله :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استوثقت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج (٣)

ومع هذه النزعة الوعظية نشعر بلمحات صوفية مثل الحديث عن العارفين وشرابهم وعن أحوالهم وغير ذلك ويجد الباحث مثل ذلك فى قوله :

فلله در العارف الندب انه
تسمح لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم اذا ما الليل مد ظلامه
على نفسه من شدة الخوف مأتما
يقول : حبيبى أنت سؤلى وغايتى
كفى بك للراجين سؤلا ومغنما (٤)

ونرى ذلك متمثلا فى قوله حين يستحلف ربه أن يمن عليه بجذبة قرب وشربة أنس لا يظمأ ولا يضام بعدها أبدا :

بأسمائك الحسنى التى بعض وصفها
لعزتها يستغرق النثر والنظما
بعهد قديم من « ألست بربكم »
بمن كان مجهولا فعرفته الأسما
أذقنا شراب الأنس يا من اذا سقى
محبا شرابا لا يضام ولا يظمأ (٥)

ويمكن القول فى نهاية الحديث عن الشافعى انه كان أكثر الزهاد شهرة فى هذا القرن وكان (امام المتصوفة العمليين أو زهاد الفقهاء فى قرض الشعر وانشاده فى الزهد والحكمة) (٦) ويمكن أن يعد زهد الشافعى الباب الذى ولج منه التصوف الاسلامى فى مصر ويعد المقدمة الحقيقية له لما به من لمحات عرفانية واشراقات صوفية مبشرة بالتصوف واذا سار الباحث مع رحلة الزهد والتصوف فى مصر فانه سيجد فى القرن الثالث الهجرى مجموعة من الزهاد والمتصوفة أكثر عددا وأغزر انتاجا ويبدو أن الاتجاه الصوفى قد غلب فى هذا القرن فما ان بدأ حتى (وجد بمصر و لاسيما بالاسكندرية طائفة عرفوا بالصوفية وكانوا يدعون الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكانت لهم مشاركة فى الاضطرابات السياسية

(١) ديوان الشافعى/ص ١٩ .
(٢) ديوان الشافعى/ص ٧٠ .
(٣) ديوان الشافعى/ص ٦٦ .
(٤) ديوان الشافعى/ص ١٦٠/١٦١ .
(٥) ديوان الشافعى/ص ١٥٩ .
(٦) الادب الصوفى فى مصر فى القرن السابع الهجرى/د . على صافى حسين/ص ١٢٦ ط المعارف سنة ١٩٦٦ م .

التى كانت بمصر أنذاك) (١) ووجدت جماعة صوفية أخرى كانت تحيط بعيسى بن المنكدر وكانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أيضا (٢) .

ونذكر من صوفيه هذا القرن القاضى بكار ابن قتيبة (ت سنة ٢٧٠ هـ) الذى كان (أحد البكائين التالين لكتاب الله عز وجل) (٣) وأبا بكر أحمد بن نصر الدقاق الكبير الذى كان (من أقران الجنيد وأكابر مشايخ مصر) (٤) ونذكر منهم أيضا أبا الحسن بنان بن محمد الحمال (ت سنة ٣١٦ هـ) الذى تحكى عنه كرامات كثيرة والذى يقول :

لحانى العاذلون فقلت : أهلا
فانى لا أرى فى الحب عارا
وقالوا : قد خلعت فقلت لسنا
بأول خالع خلع العذارا (٥)

ومن صوفية هذا القرن (الربيع بن سليمان ابن عبد الجبار المرادى) (ت سنة ٢٧٠ هـ) الذى يؤثر عنه قوله :

صبرا جميلا ما أسرع الفرجا
من صدق الله فى الامور نجا
من خشى الله لم ينله أذى
ومن رجا الله كان حيث رجا (٦)

ولا يمكن أن يغفل الباحث فى هذا القرن صوفيا كان من أكثرهم نظما ان لم يكن أكثرهم على الاطلاق ذلك هو (منصور بن اسماعيل) الشاعر المصرى الضرير (ت سنة ٣٠٦ هـ) الذى يقول :

قد قلت ـ اذ مدحوا الحياة فأكثروا :
للموت ألف فضيلة لاتعرف
منها أمان لقائه بلقائه
وفراق كل مصاحب لا ينصف (٧)

ويقول :

ياشامتا بى لئن هلكت
لكل حى مدى ووقت
وللمنايا وان تناءت
بالموت ياذا الشمات بغت (٨)

فالحياة فى رأيه حقيرة ذميمة وان كان لها فضيلة واحدة فالموت له ألف فضيلة ولذلك فانه يعلن حبه للموت وكرهه للحياة ودائما يذكر المنايا ويعمل من أجل الآخرة وهو فوجل شديد وخوف بالغ وتلك مسحة صوفية وحال من أحوالهم التى يعيشونها فى دنياهم .

ولعل أهم ما يميز الشاعر هنا اصطناعه (أسلوب التعليل الفلسفى والاقتناع المنطقى) (٩) وربما يرجع ذلك الى انه كان

(١) دراسات فى الشعر فى عصر الايوبيين / د . محمد كامل حسين/ص ٥٢/ط دار الفكر سنة ١٩ م .
(٢) أنظر دراسات فى الشعر فى عصر الايوبيين/ ص ٥٢/الولاة والقضاة ص ٤٤٠ .
(٣) وفيات الاعيان/حـ ١ ص ٢٥٣ تحقيق محيى الدين .
(٤) حسن المحاضرة/حـ ١ ص ٢٤٣ .
(٥) شذرات الذهب/حـ ٢ ـ ص ٢٧٢ .
(٦) طبقات الشافعية/السبكى حـ ١ ـ ص ٢٦٠ .
(٧) طبقات الشافعية/حـ ٢ ص ٣٢٠ ط اولى الحسينية .
(٨) طبقات الشافعية/حـ ٢/ص ٣١٩ .
(٩) الادب الصوفى فى مصر فى القرن السابع الهجرى/ص ١٢٨ .

فقيها وللفقهاء أسلوبهم الذى يتميز بايراد الادلة والبراهين ويتسم بالتعليل والتبرير دفعا لحجة الخصوم وجلبا لاقناع السامعين. وغير هؤلاء الصوفية أعداد وفيرة بيد أن واحدا منهم كان ظاهرة لافتة فى هذا القرن ويمكن القول بأنه المؤسس الحقيقى لمدرسة التصوف المصرى وأقصد به ذا النون المصرى (ت سنة ٢٤٥ هـ) (العارف الناطق بالحقائق الفائق للطرائق) (١) وهو لدى كثير من كتاب التراجم فى الطبقة الاولى من طبقات الصوفية وفى رأى معظم الباحثين (أحق رجال الصوفية على الاطلاق بأن يطلق عليه اسم واضع أسس التصوف) (٢) لانه فى نظرهم — كما هو فى اعتقاد الباحث أول من تكلم (فى ترتيب الأحوال فى مقامات الاولياء) (٢) .

ويقوم تصوف ذى النون المصرى على أربعة محاور هى (حب الجليل وبغض القليل واتباع التنزيل وخوف التحويل (٤) وقد عنى بالحديث عن الحب والمعرفة عناية خاصة وركز عليهما كثيرا من أقواله وليس هذا فحسب بل كان « أول من تكلم من الصوفية عن المعرفة بكلام دقيق) (٥) وله فى ذلك قوله المشهور بين جمهور الصوفية (عرفت ربى بربى ولولا ربى ما عرفت ربى) (٦) وكان من أوائل الصوفية الذين تحدثوا عن الحب الالهى ولكن لم يكن — فى ظنى — أول من أنشد شعر الحب الالهى كما ذهب الى ذلك د . على صافى حسين (٧) ومن شعره الذى يفيض وجدا وحبا للذات الالهية قوله : —

أموت وما ماتت اليك صبابتى
ولاقضيت من صدق حبك أوطارى
مناى المنى كل المنى أنت لى منى
وأنت الغنى كل الغنى عند افتقارى
وأنت مدى سؤلى وغاية رغبتى
وموضع شكواى ومكنون اضمارى
تحمل قلبى فيك مالا أبثه
وان طال سقمى فيك أوطال اضرارى (٨)

وهو فى حبه يذوب وجدا ويذرف العبرات مدرارة كيما يطفىء لهيب ذلك الحب ويتمنى من الله أن يحله محل الأنس ويرفعه الى بساط القرب وحينما يتم له ذلك فانه لا يبالى شيئا من أمور الحياة ولا يعبأ بسفاسفها ولذلك نراه يقول :

وان طرقتنى عبرة بعد عبرة
تجرعتها حتى اذا عيل تصبارى
أفضت دموعا جمة مستهلة
أطفى بها حرا تضمن اسرارى
فيا منتهى سؤل المحبين كلهم
أبحنى محل الأنس مع كل زوارى

(١) الكواكب الدرية/عبد الرؤوف المنادى/حـ ١ ص ٢٢٣ ط الانوار سنة ١٩٣٨ م .
(٢) فى التصوف الاسلامى وتاريخه/رينولد ١ . نيكلسون/ص ٧ ط لجنة التاليف والترجمة سنة ١٩٦٩ م .
(٣) الكواكب الدرية / حـ ١ ص ٢٢٣ .
(٤) الرسالة القشيرية / ص ٩ .
(٥) مدخل الى التصوف الاسلامى / ص ١٢٠ .
(٦) الرسالة القشيرية / ص ١٥٦ .
(٧) الادب الصوفى فى مصر / ص ١٩٦ .
(٨) طبقات المشايخ/السلمى/لوحة ٨ — مصور جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٣٢ .

ولست أبالى فائتا بعد فائت
اذا كنت فى الدارين ياواجدى جارى(١)

وأساس الحب الالهى عند ذى النون المصرى – كما يتضح من أقواله – طاعة الله ومتابعة رسول الله ﷺ وهذا ما يكشف عنه قوله (من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله ﷺ فى أفعاله وأوامره وسننه)(٢)

وخلاصة القول فى ذى النون أنه أول صوفى مصرى تحدث فى المقامات والأحوال والحب الالهى والمعرفة ، ولم يكن الرائد الاول للتصوف فى مصر فحسب (بل فى العالم الاسلامى لانه استطاع أن يخطط الطريق وأن يؤسس أصول المعرفة والمحبة وكان أثره بعيدا فى معاصريه ومن أتى بعده) (٣) .

وفى القرن الرابع الهجرى يلقانا كثير من الصوفية أيضا لعل أهمهم اثنان هما :

أبو الحسن على بن محمد بن سهل الصائغ الدينورى الزاهد (ت سنة ٣٣٠ هـ) وأبو على الروذبارى (ت سنة ٣٢٢ هـ) والاول كان من كبار المشايخ وكان كثير الحديث عن المحبة والمريدين والأحوال والدليل على ذلك قوله (محبتك لنفسك هى التى تهلكها) (٤) وقوله (من تعرض لمحبة الله تعالى جاءته المحن والبلايا والآفات من سائر الاقطار) (٥) وقوله عن الاحوال انها (كالبروق فاذا ثبتت فهو حديث النفس وملازمة الطبع) (٦) .

وأما الثانى فهو أكثر شهرة وأبعد أثرا فى التصوف المصرى وقد كان من تلاميذ الجنيد – رأس الطائفة – لانه عندما سئل عن أستاذه قال : (استاذى فى التصوف الجنيد) (٧) وللروذبارى من الاقوال المأثورة والتعريفات المشهورة فى علم التصوف الشىء الكثير ويكفى أن نذهب الى القول بأنه يعد – فى تصورى – أدق من وضع تعريفا جامعا شاملا للصوفى (٨) .

وله من الشعر ما يحمل أدق المعانى الصوفية وألصقها بالمتصوف مثل الكشف والوجد والمشاهدة والمناجاة ويتضح ذلك فى حديثه عن روحه التى ذابت شوقا وحنينا الى بارئها وعن أمله فى أن ينعم الله عليه بنظرة لطف كيما تتمتع روحه بمجالى الحقيقة الالهية وتسبح فى ملكوت وجلال ربها يقول مناجيا ربه :

روحى اليك بكلها قد أجمعت
لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكى اليك بكلها عن كلها
حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر اليها نظرة فلطالما
متعتها من نعمة فتمتعت (٩)

(١) صفوة الصفوة/حـ ٤/ص ٢٩٢ .
(٢) الرسالة القشيرية/ص ٩ .
(٣) نشأة التصوف الاسلامى/د . ابراهيم بسيونى/ص ١١٦ – ط المعارف بمصر سنة ١٩٦٩ م .
(٤) الطبقات الكبرى/عبد الوهاب الشعرانى حـ ١/ص ١١٣ – ط ثانية دار الطباعة بمصر سنة ١٢٨٦ هـ .
(٥) الطبقات الكبرى / حـ ١ ص ١١٣ .
(٦) الرسالة القشيرية/ص ٢٧ .
(٧) حسن المحاضرة/حـ ١ ص ١٨٦ .
(٨) أنظر ٧١٧ من البحث بمجلة الازهر – جمادى الاولى ١٤٠٥ :
(٩) طبقات المشايخ / لوحة ٨٢ م .

ويمضى شعره على هذه الشاكلة مسجلا ألفاظ الصوفية واصطلاحاتهم وأحاديثهم عن البوارق واللوائح وكتمان الوجد وشدة الشوق.

ولعلى لاأذهب بعيدا اذا قلت أن الروذبارى يعد بحق ممثلا التصوف الاسلامى فى مصر خلال القرن الرابع الهجرى هذا القرن الذى شهد قرب اكتمال التصوف الاسلامى ونضوجه حيث بدأ الصوفية يتحدثون عن معان لم تكن موجودة من قبل وحيث دقت تعريفاتهم وعمقت عباراتهم والتوت أساليبهم وتأثر تصوفهم الى حد ما ببعض المعانى الفلسفية والكلامية .

فى القرن الخامس :

واذا خطونا مع رحلة التصوف عبر القرن الخامس الهجرى فى مصر وجدنا أن موجته قد انكسرت حدتها والنشاط الصوفى قد تقلص كثيرا وتراجع خطه البيانى كما وكيفا : فأعداد الصوفية قليلة بالنسبة للقرن السابق وأقوالهم شحيحة كما أن المصادر لم تسعفنا بشعر لهم الا قليلا واكتفت بأن سجلت أسماءهم مشيرة الى ان هذا كان ورعا أو تقيا وذلك كان زاهدا أو صوفيا :

ومن صوفية هذا القرن الذين احتفظت المصادر باسمهم محمد بن الحسين بن على الغزى المعروف بابن الترجمان (ت. سنة ٤٤٨ هـ) الذى كان (شيخ الصوفية بديار مصر) (١) ولعل هذا اللقب الذى لم يطلق من قبل على أحد من الصوفية يدفع الباحث الى القول بأن الصوفية بدأوا ينظمون أنفسهم فى جماعات ويتخذون لهم طرقا معينة وتقاليد خاصة يتبعونها ويسيرون عليها ويدفع الباحث الى القول بأن هذا (نظام جديد اتبع وهو اختيار شيخ للصوفية) (٢) ينضوون تحت لوائه ويأتمرون بأمره وممن يلقانا من صوفية هذا القرن أبو الحسن طاهر بن بابشاذ (ت سنة ٤٦٩ هـ) الذى (تزهد ورغب عن الخدمة واستغنى بالله ولزم بيته) (٣) وممن يلقانا أيضا أبو عبد الله بن سلامه القضاعى (ت سنة ٤٥٤ هـ) الذى (طارت شهرته فى عصره بالزهد والتصوف) (٤) .

ولعل تقلص النشاط الصوفى فى هذا القرن يرجع فى ظنى الى أن (المصريين شغلوا طوال العصر الفاطمى بالدعوة الشيعية الاسماعيلية التى كان يدعو لها الحاكمون) (٥) ويعملون جاهدين على نشر مذهبهم وبسط عقيدتهم الشيعية بكل وسيلة وكان ذلك همهم الاكبر ومن ثم فاننا لاننتظر منهم تشجيعا للتصوف أو اهتماما بالمتصوفة .

(١) العبر ج ٣ ص ٢١٧ ، حسن المحاضرة ـ جـ ١ ص ٢٤٥ .
(٢) التراث الروحى فى التصوف الاسلامى فى مصر ص/د محمد عبد المنعم خفاجى ص ٦١ ط أولى دار المعهد بدون تاريخ .
(٣) الشذرات / جـ ٣ / ص ٣٣٤ .
(٤) التراث الروحى للتصوف الاسلامى فى مصر / ص ٦٢ .
(٤) دراسات فى الشعر فى العصر الايوبى ـ ص ٥٧ .

فى القرن السادس

ولكن هذا التصوف الذى تقلصت حدته فى القرن الخامس عاد الى نشاطه وازدادت موجته قوة فى القرن السادس الهجرى فلقد كثرت أعداد المتصوفة سواء من كان منهم مصريا خالص المصرية أو وافدا على مصر وصارت لهم أقوالهم وآراؤهم بجانب رياضاتهم ومجاهداتهم وبدأ بعضهم ينتظم فى سلك جماعات وفرق لها طابعها الخاص .

ومن صوفية هذا القرن الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق القرشى (ت سنة ٥٦٤ هـ) الذى انتهت اليه تربية المريدين الصادقين بمصر والذى كان يكثر من الحديث عن المعرفة وكان يرى أن « الطريق الى معرفة الله تعالى وصفاته التفكر والاعتبار بحكمه وآياته ولا سبيل للألباب الى معرفة كنه ذاته » (٢) .

ومن صوفية هذا القرن أيضا الشيخ عبد الرحيم بن احمد بن حجون القنائى (ت سنة ٥٩٢ هـ) الذى (تخرج به جماعة من أعيان الصالحين) (٣) ، وكان كثير المجاهدة والرياضة جامعا بين الحقيقة والشريعة وله بعض الأقوال المأثورة فى المقامات والأحوال ومن ذلك قوله عن مقام العابد الحق (ظهور مقام العبد بعدم الالتفات الى السوى) (٤) .

ومن هؤلاء المتصوفة أيضا — الذين يذكرهم كتاب التراجم أبو العباس أحمد الملثم (ت فى حدود الستمائة هـ) الذى كانت (له مكاشفات عجيبة) (٥) وهو — فى ظنى — أول صوفى فى مصر نلمح عنده حديثا عن المملكة الصوفية بأقطابها وأوتادها وأبدالها وأوليائها حيث يقول (لم تكن الأقطاب أقطابا والأوتاد أوتادا والأولياء الا بتعظيمهم رسول الله ﷺ ومعرفتهم به واجلالهم لشريعته) (٦) .

ومن أكثر صوفية هذا القرن شأنا صوفيان :

أولهما : محمد بن ابراهيم بن ثابت المعروف بابن الكيزانى (ت سنة ٥٦٢ هـ) الذى كانت (له طائفة ينسبون اليه ويعتقدون مقالته) (٧) ويبدو أن ابن الكيزانى كان له من قوة الشخصية وكثرة الاتباع ما جعل الفاطميين يجلونه (ويكرمونه ويعيرونه هو وأتباعه أكبر عناية وأعظم تقدير) (٨) على الرغم مما هو معروف عن الفاطميين من عدم اهتمامهم

---

(١) الطبقات الكبرى / الشعرانى / حـ ١ ص ١٦٦ .
(٢) الطبقات الكبرى / حـ ١ ص ١٦٦ .
(٣) حسن المحاضره / حـ ١ ص ٢٤٥ .
(٤) الطبقات الكبرى / حـ ١ ص ١٧٣ .
(٥) الطبقات الكبرى / حـ ١ ص ١٧٤ .
(٦) الطبقات الكبرى / حـ ١ ص ١٧٤ .
(٧) وفيات الاعيان / حـ ٤ ص ١٨٦ .
(٨) ابن الكيزانى / د . على صافى حسين / ص ٥١ — ط دار المعارف بمصر بدون تاريخ .

بالتصوف والمتصوفة قدر عنايتهم بالتشيع ومحاولة نشره بكل سبيل .

وقد جمع ابن الكيزانى بين الجانبين العملى والفلسفى وكانت له مجاهداته ورياضاته وآراؤه الصوفية وخاصة فى الحب الالهى الذى كان عنده بمثابة (حاله القرب أو مقام المعرفة أو مرتبة التحقق) (١)

ولابن الكيزانى قصائد ومقطعات شعرية تقارب ثلاثمائة وأربعين بيتا يمتلىء معظمها بالحديث عن الحب الالهى والحب الصوفى وما يتصل بذلك من ألفاظ مثل الانس والقرب والشرب والوجد والسهد والصبابة والهوى والسقم والشوق والصبر وغيرها ومن ذلك قوله على سبيل المثال :

أما واشتياقى نحوكم ودموعى
عليكم وذلى فيكم وخضوعى
لئن كان جسمى عنكم متخلفا
لقد سرتم يوم النوى بهجوعى
ولا غرو أفنيت روحى صبابة
اذا لم تمنوا منكم برجوع
لعل نسيم الريح ان حل أرضكم
يكون بتبليغ السلام شفيعى (٢)

والصوفى الآخر هو أبو الحسن على بن أحمد المعروف بابن الصباغ القوصى (ت سنة ٦١٣ هـ) أحد تلاميذ الشيخ عبد الرحيم القنائى وأحد (كبار مشايخ مصر المشهورين وأعيان العارفين) (٣) وقد كان الشيخ عبد الرحيم يثنى على ابن الصباغ ثناء بالغا لدرجة أنه قال عنه (دخل أبو الحسن من باب ما دخلنا منه) (٤) .

ويبدو أن ابن الصباغ كان من أصحاب الطرق الذين كثروا فى هذا القرن فلقد (انتمى اليه جماعة من أرباب الاحوال .. واجتمع عنده جمع من الفقهاء والفقراء) (٥) كما يذكر الشطنوبى .

ويتلخص تصوف ابن الصباغ فى جانب سلوكى على متمثل فى العبادة والمجاهدة وفى جانب نظرى متمثل فى القول (بالحب الالهى والقول بوحدة الوجود والاتحاد) (٦) والفناء فى الذات الالهية فناء يجد فيه بقاءه ويتضح ذلك فى قوله :

بقائى فناء فى بقائى من الهوى
فيا ويح قلب فى فناء بقاؤه

◄

((١) ابن الكيزانى / ص ٤٧ .
((٢) ابن الكيزانى / ص ١٢١ (مأخوذ عن الخريدة — المعاد — جـ ٢ ص ٢) .
(٣) بهجة الاسرار ومعدن الانوار / على بن يوسف الشطنوفى / ص ٣١٨ ط اولى سنة ١٣٠٤ بتونس .
(٤) بهجة الاسرار ص ٣١٩ .
(٥) بهجة الاسرار ص ٣١٩ .
(٦) ابن الصباغ القوصى / د. على صافى حسين / ص ٩٧ ط دار المعارف بدون تاريخ .

وجـودى فنـاء فى فنـاء فـاننى
مـع الانس يـأتينى هنيئـا بـلاؤه
فيـا من دعـا المحبـوب سرا لسره
أتـاك المنى يـوما ، أتـاك فناؤه (١)

وخلاصة القول : ان التصوف فى هذا القرن شهد تطورا كبيرا • فأعداد الصـوفية قـد كثرت كثـرة لافتة وصـارت لهم مـذاهبهم وآراؤهم واتجـاهاتهم وتنـوعت هـذه الاتجاهات وكثرة أقوالهم وأشعارهم وتمثـل فيها كثير من النظريات الصوفية مثـل الحب الالهى ووحدة الوجود والفناء والمعرفة •

وكان هذه النظريات لم تكن بمثل العمـق الذى نراه لدى متصوفى القرن التالى ، وشهد هذا القرن وجود وأموالهم فرق صوفية كانت بمثابة بذرة للطـرق التى شـهدها القرن السابع ، كما شهد تعدد المشـايخ وكثـرة المريدين والأتباع ولعل ذلك راجع الى ضعف الدولة الفاطمية ثم زوالها فيما بعد وراجع الى قيام الدولة الايوبية السـنية التى لم تدخر جهدا فى سبيل القضاء على المذهب الشـيعى وكان التصوف أحد الأسـلحة الفتـاكة التى استخدمها الايوبيون فى تلك المعركة الفكريـة الساخنة •

د• غـريب محمد على
مـرس الأدب والنقـد
بآداب قنـا

(١) بهجة الاسرار ص ٣٢٠ •

الرمز في الأدب الصوفي

٢

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

تطور الرمز عند الصوفية (١) :

لقد آثر الصوفية أولا كتمان ما كانوا يشعرون به من حب للذات الالهية ، ولم يحدثوا بما كان يشرق في نفوسهم من معارف ومدركات ، وقد جعلهم هذا الكتمان يتجاوبون مع ما يسمعون تجاوبا صادقا ، قوامه فهم ما تشير اليه العبارة الواردة على أسماعهم من أذواق تنبىء عن أحوالهم ومقاماتهم ولو لم تكن عبارة غزلية .

وظل هذا التجاوب مع السماع ظاهرة ملموسة في الجو الصوفي حتى بعد أن تجرءوا على التعبير عن مكنونات أنفسهم صراحة أو رمزا .

واستشهد بمثال على وجود هذا التجاوب وفهم ما يشير اليه من معنى خاص عند السامع . روى « ابن عربي » في كتابه « محاضرة الأبرار » : ماشيت بعضهم بقرطبة أمام دار السلطان ، فاذا جماعة من الأجناد خرجوا من الدار يقول بعضهم لبعض : جاءت الرسل من قلعة رباح . فاهتز من كان معي وجدا وشوقا . وقال : يا أخي أما تسمع لهؤلاء الأجناد ما يقولون ؟ قلت : وما قالوا : قال : قالوا جاءت الرسل عليهم السلام يقولون : من قلع عن معصيته ربح ما عند الله .

ومثال آخر يرويه الرندي في شرحه لحكمة

◄

---

(١) نشر الجزء الأول من هذا البحث بمجلة الأزهر ــ صفر ١٤٠٥ ص (٢٧٩) والمجلة تضع بين أيدي القراء تتمة البحث ليروا اتجاه الرمز لدى بعض الصوفية ، وحتى تتم لهم المعرفة من جانبيها : الشرعي والأدبي نقد الحقت فتوى استاذنا الجليل فضيلة الشيخ حسنين مخلوف بها ، وهي ، أحدث فتاوى شيخنا الجليل التي أخذها عنه مندوب المجلة يوم الاثنين ٧ من جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ

ابن عطاء الله السكندرى : « العبارات قوت لعائلة المستمعين وليس لك الا ما أنت له آكل » يقول الرندى : ربما تقرع أسماع بعض الناس العبارة من بعض الأشخاص فيفهم منها معنى لم يقصده المتكلم ويتأثر باطنه بذلك تأثرا عجيبا ، وقد يقع ذلك لجملة من الناس فيفهم كل واحد منهم مالا يفهمه الآخر • أخبرنا الامام تقى الدين القشيرى رحمه الله قال : كان ببغداد فقيه يقال له الجوزى يقرأ اثنى عشر علما ، فخرج يوما قاصدا المدرسة فسمع منشد يقول:

اذا العشرون من شعبان ولت
فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار
فان الوقت جل عن الصغار

فخرج هائما على وجهه الى مكة ولم يزل مجاورا بها حتى مات •

لقد فهم هذا الشيخ من هذين البيتين معنى لم يخطر على بال غيره • فاذا كان المسموح شعرا غزليا كان له فى نفوسهم وقع شديد حتى يخرجوا عن طورهم أحيانا فيرميهم من يرميهم بالجنون أو شبه الجنون ، وهذا تعليل اقبالهم على « السماع » وتواجدهم عليه فان لهم فى فهمه معانى وتأويلات •

والرمز فى الأشعار التى يسمعها هؤلاء لم يكن مقصودا فى ذاته ولكن هذه الأشعار تحولت عندهم الى رموز بحسب فهمهم وتذوقهم • ومن هذا القبيل مارواه « الطوسى » فى كتابه « اللمع » من أن « ذا النون المصرى » سمع منشدا يقول :

صغير هواك عذبنى
فكيف به اذا احتنكا
وأنت جمعت فى قلبى
هوى قد كان مشتركا
أما ترثى لمكتئب
اذا ضحك الخلى بكى ؟

فقام يتواجد حتى سقط على وجهه •

أما « أبو الحسين النورى » فقد أخرجه فهمه لبيت سمعه عن طوره حتى أورده حتفه ، لأنه فهم منه معنى طابق حاله ، وذلك البيت هو :

مازلت أنزل من ودادك منزلا
تتحير الألباب عند نزوله

فقد هام على وجهه حين سمع هذا البيت ، فوقع فى أجمة قصب قد كسحت وبقيت أصولها مثل السيوف ، فأقبل يمشى عليها ويعيد البيت الى الغداة ، والدم يسيل من رجليه ، ثم ورمت قدماه وساقاه وعاش أياما قلائل ومات •

ثم لم يلبث شعراء الصوفية أن أخذوا ينسجون على منوال أشعار الغزل والخمريات رامزين بذلك الى مشاعرهم ومعارفهم ومدركاتهم — بعد أن وجدوا أن التصريح بما يشعرون به من حب أو يشاهدون من آثار أثار ثائرة الفقهاء ضدهم •

واستعاروا فى التعبير عن الذات الالهية التى هاموا بها وجدا وحبا أسماء العذريات من العرب، على حد تعبير أحدهم :

أسميك لبنى فى نسيبى تارة
وآونة سعدى وآونة ليلى
حذارا من الواشين أن يفطنوا لنا
والافمن لبنى ـ فدتك ـ ومن ليلى ؟

وربما كان فى استعارتهم أسماء فتيات الشعراء العذريين تعليل فطن اليه بعض الأدباء ، وهو الالتقاء بالايمان والفكرة والمثل الأعلى ، فالمحب العذرى أفنى ذاته فى محبوبته ووقف نفسه عليها ، وكذلك محب الله وقف نفسه على حب الله لم يشرك فى قلبه سواه ، وقد وصف الدكتور زكى مبارك فى كتابه «التصوف وأثره فى الأدب والأخلاق» الشعراء العذريين بأنهم صوفيون لذلك ، كما استعار الفارسيون قصة مجنون ليلى وحولوها الى مثل من المثل العليا ، ورمزوا بهذه القصة الى معنى صوفى جميل ، وتمثلت ليلى فى نظرهم على أنها رمز للمحبوب الأعلى ، وصاغ شعراء الفرس الصوفيون اسمها فى كثير من ألحانهم الرائعة ، كما احتل المجنون فى نفوسهم منزلة خاصة لما قام به من تضحية فى سبيل حب العظيم .

معانى الشعر :

وهناك تشابه كبير بين معانى الشعر العذرى والشعر الصوفى استشهد عليه بهذه الأبيات المنسوبة الى المجنون وقد تأثر بأشجان الطير فتحركت خواطره وثار حنينه فقال :

ألا يا حمام الأيك مالك باكيا
أفارقت الفا أم جفاك حبيب ؟
دعاك الهوى والشوق لما ترنمت
هتوف الضحا بين الغصون طروب
تجاوب ورق كم أحن لصوتها
فكل لكل مسعد ومجيب

فقد تأثر « ابن عربى » بهذا المعنى فقال :

أطارح كل هاتفة بأيك
على فنن بأفنان الشجون
فتبكى الفها من غير دمع
ودمع العين يهمل من جفونى
أقول لها وقد سمحت جفونى
بأدمعها تخبر عن شئونى
أعندك بالذى أهواه علم
وهل قالوا بأفياء الغصون ؟

واذا تحدث الشعراء الصوفية عن الحنين الذى يثيره « الصوت الحسن » فهم يتخذون من ذلك رمزا الى مقام الروح الأول الذى فارقته منذ كانت فى عالم الذر الذى تشير اليه الآية الكريمة « **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا** » .

فيقول بعضهم : ان الأرواح التى أخذ عليها العهد كانت كالذر الذى لا يكاد يرى ، وقد سعدت الأرواح حينئذ بخطاب ربها ، فهى ما تلبث تحن الى هذا العالم الأول وتتوق اليه لتسعد بالخطاب والمناجاة ، وهم لذلك فهموا قضية الموت فهما فلسفيا عاليا ، فهموه على أنه نهاية لهذا السجن وانطلاق الى فضاء لا نهائى تعود فيه الروح الى تطلعاتها الأولى ، ويقول « السهروردى » فى هذا المعنى :

٧

لا ترعكم سكرة المـوت فمـا
هـى الا نقلـة من هـا هنـا
أنا عصـفور وهـذا قفصى
طـار عنـه فتخلى رهنـا
فاخلعوا الأنفس عن أجسادها
فتـرون الحـق حقـا بينـا

ويسوق الدكتور « ابراهيم بسـيونى » فى كتابه « نشأة التصوف » أمثلة على التقـاء أشعار المحبين العذريين مع أشعار الصوفية وانتقال أشعار العذريين الى الجو الصوفى ، ومن بين ذلك ما يقوله المجنون :

ترحلت يا ليلى ولم أقض أوطارى
ومازلت محزونـا أحن الـى دارى

فقد فهمه الصوفية على أن الدار هنا رمـز للمصدر الأول الذى كانت تقيم فيه الروح قبل حلولها فى البدن ، وحلولها فى البدن انما هو تذكار من ذلك الحبيب الذى يحنون اليـه ، ولذلك يقول « الشبلى » مشـيرا الى هـذا المعنى الأخير مستعملا رمز الدار اسـتعمالا آخر فيه نزعة تفاؤل وشعور بالقرب الصوفى المعروف :

أليس من السـعادة أن دارى
مجاورة لـدارك فى البـلاد ؟

وهذه المجاورة هى التى تشعل الحب وتضرم ناره وتبعثه على الزيادة والتوقد .

شـعر الخمـر :

أما شعر الخمر فى نظرهم فهو يشـير الى ذلك الحب المتبادل بين العبد وربه « **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ** » « **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** » وهم ينظرون الى الأثر الذى يقول : كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلـق فبى عرفونى (١) . وهذه المحبة الالهية هى أصل فى وجود الخلق .

وعلى ذلك فيجب أن تكون الخمر التى هـى الرمز لتلك المحبة قديمة ، وكلما تنـاهت فى القدم دلت دلالة وافية على تلك المحبة التـى يهدف اليها الصوفية ويتطلعون الى أن يكونوا أهلالها ، وقد كان « ابن الفارض » بارعا فى ذلك حين قال :

شربنـا على ذكر الحبيب مـدامة
سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وذكر الخمر يحرك أشجان الصوفية ويثير خواطرهم نحو هذا المعنى القديم ، وربمـا أمكن فهم هذا من قول الشـاعر « عفيف التلمسانى » :

الى الراح هبوا حين تدعـوا المثالث
فما الراح لـلأرواح الا بواعث
هى الجوهر الفرد القديم وان بدا
لها حبب زينت به فهـو حـادث
حلفت لها ما كأسـها غير ذاتها
فقيل : اتئد فيهـا فانك حانث

ومن الواضح هنا أن « التلمسانى » يشـير الى قـدم الذات التى تعرفت الى الخلق الذى

(١) حديث موضوع .. مجلة الأزهر

شبهه بالحبيب ، كما أنه فى البيت الثالث أشار الى ما يعرف بوحدة الوجود •

الرمز الصوفى بين الوضوح والغموض :

هناك أشعار تقرأ فتدرك دون عناء ، ذلك لأنها من قبيل الرمز الواضح لم يبهم فيه الشاعر ولم يجنح الى الغموض • وقد استعملت فيها ألفاظ الخمر أو الفاظ الغزل الحسى ، ويمكن أن نقرأ فى ذلك أشعارا وردت عن « ابن الفارض » أو « ابن عربى » أو غيرهما ، ومن ذلك الأبيات التالية « لابن العربى » وقد رمز بالمحبوبة العريقة الأصل التى جمعت فى ذاتها بين الأضداد والمتناقضات الى ما يريده من معانى روحية :

طال شوقى لطفلة ذات نثر
ونظام ومنبر وبيان
من بنات الملوك عن دار فرس
من أجل البلاد من أصبهان
هى بنت العراق بنت امامى
وأنا ضدها سليل يمانى
هل رأيتم ياسادتى أو سمعتم
أن ضدين قط يجتمعان ؟

ومن أمثال قول « ابن الفارض » يرمز بالعامرية الى محبوبه الأعلى والى ما يتوق اليه من منازل ومطالعات :

الا هل لهجر العامرية اقصار
فتقضى من الوجد المبرح أوطار ؟
ويشفى غليل من عليل موله
له النجم والجوزاء ، فى الليل سمار
عسى ما مضى من خفض عيش على الحمى
يعود فلى منه نجوم وأقمار

ولكن هناك أشعارا نلمس فيها الغموض والابهام ، ومرجع ذلك قد يكون فى الجنوح الى المغالاة فى الأوصاف الحسية التى يتأبى معها الانسياق فى التأويل والتفسير على نحو مقبول • فكيف نفسر قول « ابن الفارض » مثلا :

ما أطيب ما بتنا معا فى برد
اذ لاصق خده اعتناقا خدى
حتى رشحت من عرق وجنته
ــ لازال نصيبى منه ماء الورد • ؟

أم كيف نفسر قوله :

أهواه مهفهفة ثقيل الردف
كالبدر يجل حسنه عن وصف ؟

ولكن الظن أن ينصرف ذلك فى وجدانه الى تصوير الجمال المعنوى الذى يستشعره فى أى مثال حسى جميل تقع عليه عينه أو يجول فى خاطره دون أن يقصد الى تشبيه وتمثيل ، فالشاعر الصوفى الذائق يصطنع ما شاء من الألفاظ المادية فى التعبير عن المعانى الروحية ، لأن العبرة عنده ليست باللفظ ولا بالمعنى الذى يدل عليه اللفظ دلالة عادية ، وانما العبرة ــ كما يقول الدكتور محمد مصطفى حلمى فى كتابه عن ابن الفارض ــ بالمعنى الروحى الذى ينطوى عليه ويؤول اليه اللفظ الحسى ، فيتأثر به السامع تأثرا خاصا ملائما لطبيعة عاطفته من ناحية وبطبيعة أذواقه ومواجيده اذا كان من أصحاب الأذواق والمواجيد من ناحية أخرى » وقد حاول كل من البورينى والنابلسى القاء الضوء على أمثال هذا الشعر وتفسيره ومن قبيل الرموز

الرمز فى الأدب الصوفى

المبهمة التى تحتاج الى اعمال فكر فى فهمها قول الشاعر المصرى « أبى الحسن الصباغ » :

• تسرمد وقتى فهو فيك مسرمد
وأفنيتنى عنى فعدت مجددا
وكل بكل الكل وصل محقق
حقائق حق فى دوام تخلدا
تفرد أمرى فانفردت بغربتى
فصرت غريبا فى البرية أوحدا

والغموض الذى يكتنف الرمز هنا مرده الى تكرار الالفاظ والى وجود بعض المصطلحات الصوفية الواردة بها كالفناء والتفريد • وسأحاول ــ آن شاء الله تعالى ــ القاء الضوء على بعض هذه المصطلحات التى أصبحت تمثل وسيلة من وسائل الرمز فى الأسلوب الصوفى والتى لابد من فهمها حتى يمكن فهم مايريده الشاعر الصوفى •

عبد الحفيظ فرغلى القرنى

تصويب

وقع خطأ مطبعى فى الفقرة التالية من مقال فضيلة الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير «التثليث ينافى التوحيد» المنشور بعدد ربيع الاخر ووقع الخطأ ص ٤٩٦ بالسطر الخامس النهر الأول •

وهذه هى الفقرة الصحيحة

ومن هذه النصوص نعلم أن يسوع « المسيح » عليه السلام لم يكن راضيا عن صلبه المزعوم ، ولهذا كان يعتب على الله ويسائله : لماذا تركتنى لمن يعذبوننى ويسخرون منى ويقتلوننى وأنه ليس ربا خالقا كما زعموا ولهذا لم يستطع أن يخلص نفسه من أعدائه ، وأنه غير الله تعالى ، وليس (ابنا) له كما اعتقدوا ، ولا (متحدا) معه كما زعموا ، وانما هو « بشر » فحسب •

فتوى صاحب الفضيلة المفتى الأسبق

الشيخ حسنين محمد مخلوف

فى بعض

الرمز فى الأدب الصوفى

لما كانت ذات المولى عز وجل لها المحل الأسمى من الاعزاز والتقدير ، لا يسمو اليها من ذوات خلقه شىء كان لابد من الحيطة الحساسة الدقيقة فيما يتعلق بذكره جل وعلا ، فلا يقال : ان للأديب أن يتناول موضوعه بفن القول ووجدانه على ما يشاء ، فليست هناك قواعد مطلقة ، والأديب عليه — فى ذات الله — التزام ، يلتزم بما ينبغى — فى ذات الله — من اجلال وتقديس ، ومن قال : ان الأديب لا يلتزم ليس له من فهم الأدب ذوق ولا نصيب ، فان الأديب ملتزم بطبعه وفنه وصياغة هذا الفن ، قد لا يلتزم الأدب موضوعا لكن الأديب يلتزم .

ولما كان لله — سبحانه — كل عزة ، وله منا ما يرضاه لذاته عرضت — مجلة الأزهر — النص الوارد فى هذه المقالة هذا النص القائل : « واستعازوا فى التعبير عن الذات الالهية التى هاموا بها وجدا وحبا أسماء العذريات من العرب .. الخ » — عرضته على فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى مصر الأسبق — أطال الله عمره ونفعنا بعلمه — ليقول فيه كلمة الشرع ، فوافانا فضيلته بالفتوى التالية ، ننشر نصها تاما ، ونعقبه بصورة (فوتوغرافية) له .

قال فضيلته :

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . وبعد : فقد اقتضت رحمة الله تعالى لعباده أن يبعث الرسل لهم بالحق والهدى والعلم والنور ، وأمرهم بعبادته وحمده وشكره ، وأنزل اليهم كتبا عظيمة قيمة جليلة بما يسعدهم فى حياتهم ويجعلهم مواضع مرضاته ودعاة دينه الذى ارتضاه لعباده دينا قيما ودعوة حق للعلم الصحيح والأدب القويم والعرفان بما يسعدهم فى اولاهم واخراهم .

وقد اشتمل كتاب الله : القرآن المجيد الذى أنزله على خاتم رسله وأفضل أنبيائه

٥

وبين فيه ما يجب على العباد من العبادة لله تعالى والايمان بما جاء به والعبادة الحقه فى كل حين وحال ، وذكر فيه لهم من الآيات ما يجب عليهم اتباعه والعمل به فى كل حال .

ومما أوجبه تعالى احسان القول فى حقه تعالى وما يدعى به ، وما يجب عليهم أن يعلموه لعباده فى كل حال . وانه يجب عليهم ذكره تعالى ودعاؤه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وان يتجنبوا كل ما يحرم وصفه تعالى به ، وكل ما يخل بعظمته وجلاله كما عبر عنه الأنبياء والرسل فيما بلغوه للعباد تعليما وارشادا ونصوا على حرمة وصفه بما لا يجوز عقلا ولا شرعا وصفه به والتعبير عنه بما يأباه العقل السليم والكمال البالغ ويحرمه العقل الرشيد .

لذلك أجمع المسلمون على وجوب وصفه تعالى بما يدل على العزة والكرامة والفضل العظيم ، وعلى حرمة وصفه بما لا يليق بكماله وعصمته بلا خلاف فى ذلك .

لهذا يجب على المسلمين ألا يصفوا رب العالمين جل وعلا بما لايليق وصفه به .

وفى كتب السنة والتصوف والأدب الرفيع أوصاف للخالق جل وعلا يجب التعبير بها فى كل حال . وهناك أوصاف يحرم وصفه بها ودعاؤه بها . ويجب علينا أن نتأدب فى حقه تعالى بما جاء به القرآن من أوصاف البارى جل وعلا ، ويحرم علينا التعبير بما فيه اشارة الى مالا يليق بعظمته وجلاله ولا خلاف بين المسلمين فى ذلك .

وقد دل القرآن الكريم — وهو كلام الله تعالى — على صفاته العلية ، وأسمائه الحسنى ، فلا يجوز وصفه تعالى بما يأباه القرآن والحديث ، وتأباه الآداب العامة بين الناس .

ومن يتجرأ على ذلك فقد ضل ضلالا قبيحا ، وارتكب اثما عظيما ، وعملا يحرمه كل عاقل رشيد ويأباه كل عبد مؤمن بالله تعالى .

وأقرب مثال لذلك القرآن الكريم ، وهو كلام رب العالمين كله من مبدئه الى منتهاه فلينظر العبد المسلم الى الآيات القرآنية التى جاءت فى القرآن فى جميع آياته وسوره ليتأدب بالآداب الرفيعة التى أوجبها الاسلام فى الدعاء والرجاء لرب العالمين فى كل حال وحين .

فهل يجد المسلم فى آيات القرآن كلها غير ما يدل على تعظيم الخالق وعلى التعبير عنه بما يليق بجلاله وعظمته وكبريائه ؟ .

وكيف يبيح عبد لنفسه أن يصف الله — تعالى — بما لا يجوز أن يصفه به ؟ .

وأن ينسب اليه مالا يجوز نسبته اليه ؟ .

وأن يعبر عن الله تعالى بآية عبارة تمس جلاله وعظمته وكبرياءه ، وتشير الى مالا يليق بجلاله وعظمته .

وندعو فى هذه المقالة الى تلاوة القرآن الكريم والسيرة النبوية المروية عن خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ليعلم العبد أنه مسلم حقا حريص على أن يكون عبدا صالحا محبوبا قائما بحق المولى — جل وعلا —

منزها عما لا يليق قوله أو اعتقاده بالنسبة اليه تعالى ، وهو رب العالمين .

انظر الى أسمائه الحسنى البالغة عددا كبيرا ، وقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم : « من أحصاها دخل الجنة » وأحصاها : حفظا وتلاوة ودعاء وذكرا لجلال الله وعظمته لائقا بمقامه وعظمته وأفعاله لعباده .

واحرص على أن نشرح أسماءه الحسنى التى قال رسوله : « ان من أحصاها وذكره بها دخل الجنة » ، وانظر الى تعبير الرسل والأنبياء فى كل الكتب المنزلة كيف التزموا بالآداب العالية فى حق المولى الجليل العظيم.

وليعلم كل مؤمن أن فى القرآن العظيم ، وفى الأحاديث النبوية الأدلة القوية على وجوب التأدب فى حق المولى - جل وعلا - فيما يتعلق بأسمائه وصفاته وخطاباته لعباده فى الكتب المنزلة على أنبيائه منه تعالى ، وهو العلى الكريم السميع لكل ما يقوله عباده عنه :

فان أحسنوا برهم وجزاهم خيرا عظيما .

وان أساءوا أجيبوا بالعذاب الأليم لجهلهم وجراءتهم على رب العالمين وما الله بغافل عما يعملون .

ولنعلم يقينا أن الله - تعالى - يؤاخذ عباده على كل ما يصدر عنهم : اعتقادا وقولا وفكرا ودعوة ، فمن شاء فليؤمن لينال الجزاء الأوفى من رب العالمين ، ومن ضل وغوى وارتكب الفواحش باء بالخسران المبين والعذاب الأليم فى جهنم وبئس القرار .

وقد قال : (اعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيم) .

(مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا) .

وعذاب الآخرة مؤكد لكل من غوى وضل .

ونعيم الآخرة لكل من أحسن عملا واعتقادا وقولا ودعاء .

فكونوا - أيها الاخوان - موضع الرحمة من البارى - جل وعلا ، واحذروا أن تكونوا فى الضالين الجاهلين المفترين الكاذبين الضالين ..

واتلوا آيات القرآن الكريم ففيها كل الخير والفلاح والصلاح والنجاة والوقاية من أضداد ذلك كلها (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) والله تعالى ليس بغافل عن شىء ، يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما تكنه الصدور ، ويجازى عن الاحسان مهما قل ويعاقب على الفحش والضلال والكذب والعدوان أعظم الجزاء .

وما ربك بظلام للعبيد ، وهو على كل شىء قدير ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ويعلم السر والنجوى . وفقنا الله جميعا لما فيه النجاة والسعادة يوم الدين وكفى هذا اليوم والسلام على المؤمنين العابدين المتقين

راجى عفو ربه الرءوف حسنين محمد مخلوف

فى ٧ من جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ .

صورة الفتوى

(١) الفتوى بخط الشيخ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد فقد اقتضت رحمة الله
تعالى بالعباد أن يبعث الرسل إليهم بالحق والهدى والعلم والنذر وأمرهم بعبادته وحمده وشكره
وأنزل إليهم كتبا عظيمة فيها جلائل بما يسعدهم في حياتهم وبعد مماتهم من أصول فرضياته ودعائم
دينه الذي ارتضاه للعباد دينا قيما وحدد فيه حقه للمسلم الصحيح والآداب الكريمة والمحرمات بما يسعدهم
في أولاهم وأخراهم.

وقد بين [illegible] لنا به القرآن المجيد الذي أنزله على خاتم رسله وأفضل أنبيائه وبين فيه ما يجب على العباد اجمالا وذكر
من [illegible] له تعالى والإيمان بما جاء به والعبادة لحقه في كل حين وحال وذكر فيه لهم من الآداب
ما يجب عليهم اتباعه والعمل به في كل حال

ومما أوجبه تعالى احترام القرآن في حقه تعالى وما يدعى به وما يجب عليهم أن يلتزموا العباد في كل حال وأنه
يجب عليهم ذكره تعالى ودعاؤه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأن يتجنبوا كل ما يحرم وصفه تعالى به وكل
ما يخل بالعظمة وجلاله كما عبر عنه الأنبياء والرسل فيما بلغوه للعباد تعليما وإرشادا ولعقوا على [illegible] وصفه بما لا يجوز
عقلا ولا شرعا وصفه به والتنزه عنه بما بانت العقل السليم في كمال البالغ وحرمه العقل الرشيد
فذلك أحسب المسلم عليه وحرت وصفه تعالى بما يدل على العزة والكرامة والفضل العظيم وعلى حرمة وصفه بما لا
يليق بكماله وعظمته بالإحالات في ذلك. لهذا يجب على المسلمين أن لا يقصدوا بالذات جل وعلا بما لا يليق وصفه به
وفي كتب اللغة والصرف والأدب الرفيعة أوصاف للحق جل وعلا يجب التنزه عنها في حال [illegible] ومنها أوصاف محرم
وصفه بها [illegible] ويجب علينا أن ننبه وصفه تعالى بما جاء به القرآن من أوصاف الباري جل جلاله
ويحرم علينا التنزه عنه بما فيه إشارة إلى ما لا يليق بعظمته وجلاله ولا خلاف بين المسلمين في ذلك

وقد دل القرآن الكريم وهو كلام الله تعالى على صفاته العليا وأسمائه الحسنى فلا يجوز وصفه تعالى بما يأباه القرآن والحديث
وما يأباه الآداب المعتادة بين الناس

ومن يتجرأ على ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا وارتكب إثما عظيما وعملا يحرمه كل عاقل رشيد ويأباه كل عبد مؤمن بالله تعالى
وأقرب مثال لذلك القرآن الكريم وهو كلام رب العالمين كله من بدايته إلى منتهاه فليسلط العبد المسلم إلى الآيات
القرآنية التي جاءت في القرآن في جميع آياته وسوره ليتأدب بالآداب الرفيعة التي أدبه الإسلام في الدعاء والمناجاة
العالمين في كل حال وحين

فعلى كل مسلم في آيات القرآن كلها وغيرها ما يدل على تعظيم الحق جل وعلا وعلى التنزه عنه بما لا يليق بجلاله وعظمته وكبريائه
وكيف يليق بعبد لنفسه أن يصف ربه تعالى بما لا يجوز أن يصفه به وأن ينسب إليه ما لا يجوز نسبته إليه وأن يعبره

صورة الفتوى

المقال رقم ١٩

الله تعالى سامية عباراته [illegible] جلاله العظيمة وكبريائه ، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله وعظمته

وقد [illegible] في هذه المقالة [illegible] القرآن الكريم والسنة النبوية المروية عن خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام [illegible]

انه مسلم حقا حريص على ان يكون عبدا صالحا [illegible] فانما يخاف الله جل جلاله [illegible] قولا او اعتقادا بالنسبة له

تعالى الله رب العالمين .

انظر الى ما [illegible] الحسنى البالغة عدد ٩٩ [illegible] (من احصاها دخل الجنة) واحصاها حفظا وترديدا ودعاء وتذكيرا لجلال الرسول

الله وعظمته [illegible] وعظمته والتفاته لعباده ، واحرص على ان تشرح اسماء الحسنى التي قال (ان من احصاها

وذكره بها دخل الجنة) وانظر الى التعبير [illegible] وكل الكتب المنزلة [illegible] الرحمن [illegible] الجليل العظيم

العليم كل ما [illegible] في القرآن العظيم في الاحاديث النبوية [illegible] الرحمن جل جلاله

مما يتعلق باسمائه وصفاته [illegible] لعباده في الكتب المنزلة على انبيائه [illegible] تعالى [illegible] الجميع [illegible]

[illegible] فان احسنوا [illegible] وجزاهم خيرا عظيما وان اساءوا اصيبوا بالعذاب الاليم لجهلهم وجرأتهم

على رب العالمين [illegible] على العالمين

ولنعلم [illegible] ان الله تعالى [illegible] عباده على كل ما يصدر منهم اعتقادا وقولا وفكرا [illegible] الجزاء

الاوفى من رب العالمين ومن ضل وغوى وارتكب [illegible] بالخسران المبين والعذاب الاليم في جهنم وبئس القرار

وقد قال (اعملوا صالحا اني بما تعملون عليم) (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) وعذاب

الآخرة [illegible] لكل من [illegible] وضل [illegible] الآخرة [illegible] اعتقادا وقولا وعملا [illegible] الرحمة

[illegible] الكافرين الضالين

وانظر آيات القرآن الكريم [illegible] كل الخير والصلاح والفلاح والنجاة والرخاء [illegible]

(من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) [illegible] يعلم السر واخفى ويعلم ما تكن الصدور

[illegible] الجزاء وما ربك بظلام للعبيد

وهو على كل شيء قدير [illegible] يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ويعلم السر والنجوى [illegible] الى يوم الدين

وآخر [illegible] والسلام على الرسل [illegible]

راجي عفو ربه [illegible] حسن [illegible]

[illegible] ١٤٠٥ هـ

طرائف

« بنى الاسلام : اعداما »

بنى الاســــلام اقــداما
كفــى دعــة واحجـــاما
هلمــوا نرفــع الهـــاما
أنقضى الـــدهر نـــواما ؟
لـكم مــن دينـكم طــرق
تبث النـــور أعـــلاما
سلوا القــوم الألــى ذهبــوا
بأيـــة قـــوة غلبـــوا
أقـــاموا الحــق فانتـــدبوا
لأهــل الأرض حكـــاما

« أحمد محرم »

أهل الفتوى الأولون

قــال ابن القيم فى « أعـــلام الموقعين » (١ : ٩) :

الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحـاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مـائة ونيف وثلاثون نفسا ما بين رجل وامرأة .

وكان الكثرون منهم سـبعة : عمـر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وعبـد الله بن مسعود ، وعائشة أم المؤمنين ، وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر .

قال أبو محمد بن حزم : ويمكن أن يجمـع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم .

قال : وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى ابن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمـون فتيـا عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهمـا ــ فى عشرين كتابا ، وأبو بكر محمد المذكور أحـد أئمة الاسلام فى العلم الحديث .

البـلاغـة

قيل للفارسى : ما البلاغة ؟ قال : معـرفة الفصل من الوصل .

وقيل لليونانى : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلامُ .

وقيل للرومى : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة وحسن الاشـارة .

إعداد :
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

مواقف

وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة .

ثم قال : ومن البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الافصاح بها الى الكتابة عنها ، اذا كان الافصاح أوعر طريقة .

وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ فى الدرك ، وأحق بالظفر .

ثلاثة أصناف

قال دهب بن الورد : بلغنا أن أبليس تمثل ليحيى بن زكريا على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام .

فقال : انى أريد أن أنصحك !

قال : لا حاجة لى فى نصيحتك ، ولكن أخبرنى عن بنى آدم ؟ .

قال : هم عندنا ثلاثة أصناف :

أما صنف منهم : وهم أشد الأصناف علينا ، نقبل على أحدهم حتى نفتنه ، ونتمكن منه ، فيفزع الى الاستغفار والتوبة ، فيفسد علينا كل شىء ، ثم نعود فيعود ، فلا نحن نيأس منه ، ولا نحن ندرك منه حاجتنا .

وأما الصنف الآخر : فهو فى الدنيا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم نقلبهم كيف شئنا ، وقد كفونا أنفسهم .

وأما الصنف الثالث : فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شىء .

" قالوا .. "

*** كن عبدا للحق ، فان عبد الحق حر .**

*** اظهر لأهلك أنك منهم ، ولأصحابك أنك لهم ولرعيتك أنك بهم .**

*** ان عليك من الله عيونا تراك .**

*** أو فى الناس : الخليل .**

وأكرمهم : الصديق .

وأقواهم : الأمين .

وسيدهم : من لا يفتخر .

طرائف ... ومواقف

* الهجـرة فى ابانهـا : من شـجاعة الشجعان .

والهجرة فى غير ابانها : فرار من الميدان . عالم ذو همة يحيى أمة !! .

* جالسوا التوابين فانهم أرق أفئـدة .

* اياك والكسل والضجر ، فانك اذا كسلت لم تؤد حقا ، واذا ضجرت لم تصـبر على حق .

" حـقـا "

« ان اللغة العربية ، لغة الصحراء ، هى اللغة الوحيدة التى عرفهـا النـاس فى دور الكمال ، ولايعـرف لهـا التـاريخ طفـولة ولا شيخوخة » .

« أرنست رينان »

" حقيـقة "

ليس كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقـال جـاء أوانـه ، ولا كـل ما جـاء أوانه حضر أهله .

" دعـاء "

اللهم انى أسالك ثواب الشاكرين ، ونـزل المقربين ، ومرافقة النبيين ، ويقين الصديقين وذلة المتقين ، واخبات الموقنين .

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الإلاجزاء فى معرفة الأجزاء - بقيـة

والعشرون والمائتان بسأل : « خلقناهم ممـا يعلمون » الثامن والعشرون والمائتان آخر نون « الا تبارا »التاسـع والعشرون والمـائتان بالمزمل :.« كثيبا مهيلا » الثلاثون والمائتـان آخر المدثر : « وأهـل المغفـرة » الحـادى والثلاثون والمائتان بالانسان: « لؤلؤا منثورا» الثانى والثلاثون والمائتان آخر والمرسلات :

« بعده يؤمنـون » الثالث والثلاثون والمائتان

بالنازعات : « لكم ولأنعامكم » الرابـع والثلاثون والمائتـان آخـر التكوير : « رب العالمين » .

الخامس والثلاثون والمائتان آخـر المطففين : « ما كانوا يفطون » السادس والثلاثون والمائتان آخـر الطـارق : « أمهلهم رويدا » السابع والثـلاثون والمائتان آخر الفجر « وأدخلى جنتى » الثامن والثلاثون والمائتان آخر الليل : « ولسـوف يرضى » التاسع والثلاثون والمائتان . آخر الزلزلة : « شرا يره » الاربعون والمائتان آخر القرآن : « من الجنة والناس » .

يتبـع

ابراهيم عطوه

مع العلوم الكونية

الغلاف الجوي

الميكروبات والحياة

الغلاف الجوى

يطلق لفظ الغلاف الجوى على مجموعة الغازات التى تحيط بالكرة الأرضية ، ونظرا لأهمية دراسة التركيب الكيماوى للغلاف الجوى وعلاقته بالتغيرات التى تحدث فى مناخ الكوكب الذى نعيش فوقه وعلاقته أيضا باستمرارية الحياة على سطح الأرض وكذلك فى داخل المحيطات والبحار والأنهار .. الخ ، فانه من المناسب أن نخصص هذه المقالة لالقاء الضوء على التركيب الكيماوى للغلاف الجوى .

تنقسم الغازات المكونة للغلاف الجوى الى مجموعات طبقا لعدة معايير ، وأحد هذه التقسيمات يعتمد أساسا على فكرة فترة بقاء الغاز وهى متوسط الفترة الزمنية التى تتواجد فيها جزئيات هذا الغاز فى الغلاف الجوى ، وللمكونات الغازية ـ بما فى ذلك الغازات التى يكون تركيزها غير متغير ـ دورة فى الغلاف الجوى : أى أن جزئياتها تستبدل دائما تحت تأثير تفاعل المصادر والمنافذ (المخرجات) .

تعرف فترة بقاء أية غاز على أنها النسبة بين كتلة هذا الغاز ومعدل تكونه ، وفى حالة التوازن يكون معدل تكون الغاز مساويا لمعدل نفاذه .

أى أنه فى حالة التوازن تكون فترة بقاء

$$\text{الغاز} = \frac{\text{كتلة هذا الغاز}}{\text{معدل تكونه}} = \frac{\text{كتلة هذا الغاز}}{\text{معدل نفاذه}}$$

ويمكن تقسيم الغازات المكونة للغلاف الجوى (باستخدام معيار فترة بقاء الغاز) على النحو التالى . ـ

أولا ـ غازات دائمة :

وهى الغازات التى تكون فترة بقائها فى الغلاف الجوى طويلة جدا (عادة تزيد على

بقلم الدكتور ربيع سيد فولى

ألف عام) ونوضحها تفصيلا فى هذا الجدول :

اسم الغاز	نسبة تواجده ٪	جزء فى المليون	فترة بقاء الغاز
النتروجين N_2	٧٨ر٠٨٤		حوالى مليون سنة
الأوكسجين O_2	٢٠ر٩٤٦		حوالى خمسة آلاف سنة
الأرجـون Ar	٠ر٩٣٤		—
النيون Ne		١٨ر١٨	—
الهيليوم He		٥ر٢٤	حوالى عشرة ملايين سنة
الكريبتون Kr		١ر١٤	—
Xenon Xe		٠ر٠٨٧	—

ونلاحظ فى الجدول السابق أنه تم التعبير عن تركيز الغاز أو نسبة تواجده فى الغـلاف الجوى باحدى طريقتين :

اما بالنسبة المئوية لحجم الغاز (فى حـالة الغازات ذى التركيز العالى) .

أو باستخدام وحدات جزء فى المليون وهى عدد جزئيات الغاز الموجود فى مليون جـزىء من الهواء (أى أن النسبة الحجميـة واحـد فى المائة تعادل عشرة آلاف جزء فى المليون)، وقد استخدمت وحـدات جـزء فى المليون بالنسبة للغازات ذى التركيز المنخفض جدا .

ويلاحظ أيضا أن بعض الغازات النـادرة ليس لها مصادر أو منافذ ، وبالتالى لا تكون لها دورة فى الغلاف الجوى ، وفى هذه الحالة

لا تكون فترة بقـاء هذه الغازات معـروفة ولذلك لم نكتب قيم فترات بقاء هذه الغازات فى الجدول السـابق .

ثانيا ــ غازات متغيرة :

وهى الغازات التى تكون فترة بقائها بضع سنوات أو عقـود (عشرات السـنوات) ونوضحها تفصيلا فى الجدول الآتى :

فترة بقاء الغاز	تركيزه (جزء فى المليون)	اسم الغاز
حوالى خمسة عشر عاما	٣٢٠	ثانى أكسيد الكربون CO_2
حوالى خمس سنوات	١ر٤	الميثان CH_4
حوالى سبع سنوات	٠ر٥	الهيدروجين H_2
حوالى ثمان سنوات	٠ر٤	أكسيد النتروجين الثنائى N_2O
حوالى سنتين	صفر ٥ر٠ر٠	الأوزون O_3

ثالثا ــ غازات متغيرة جدا :

وهى الغازات التى تقل فترة بقائها لتصل الى بضع أسابيع أو بضع أيام (عموما تقل عن عام) ونوضحها تفصيلا فى الجدول الآتى :

فترة بقاء الغاز	تركيزه (جزء فى المليون)	اسم الغاز
حوالى عشرة أيام	(٠ر٤ ٤٠٠) × ١٠٠	بخار الماء H_2O
حوالى نصف عام	٠ر٢ أو	أول أكسيد الكربون CO
حوالى ستة أيام	(٠ر٥ ٥) × ١٠ ٣	ثان أكسيد النتروجين NO_2
حوالى سبعة أيام	٠ر٠٠٦	الأمونيا NH_3
حوالى ثلاثة أيام	(٠ر١ ١) × ١٠ ٣	ثان أكسيد الكبريت SO_2
حوالى يومين	٠ر٢ × ١٠ ٣	كبريتيد الهيدروجين H_2S

هذا ومن الممكن أيضا تقسيم الغازات المكونة للغلاف الجوى الى مجموعات طبقا لنسب تواجدها ، فمثلا الغازات الرئيسية المكونة للغلاف الجوى وهى الأوكسجين والنتروجين والأرجون (وكما يتضح من جدول الغازات الدائمة : تكون هذه الغازات

الرئيسية حوالى ٩٩٫٩٦٤٪ من حجم الغلاف الجوى) يكون تركيز كل من هذه الغـازات الرئيسية مساويا تقريبا أو يزيد على واحـد فى المائة (١٫٠٪) ، والغازات التى يقل تركيزها كثيرا عن الواحد فى المائة تسمى الغـازات ضئيلة التركيز (*) ، ويجب أن نؤكد هنـا أن تركيز الغازات الأخيرة (فيما عدا الغازات النادرة منها) يكون متغيرا وتكون فترة بقائها قصيرة نسبيا •

وقد تجلت قدرة الخالق سبحانه وتعـالى فى أن جعل غاز الأوكسجين أساسـا للحيـاة على سطح الكرة الأرضية فعند استنشـاق غاز الأوكسجين من هواء الشهيق يجدد نقـاء الدم فى الكائنات الحية ويكسبها القدرة على العمل ويخرج غاز ثانى اكسيد الكربـون مع هواء الزفير ، كما أن غاز الأوكسجين يسـاعد على الاشتعال وينتج غاز ثانى أكسيد الكربون عن جميع عمليات الاحتراق•

ومن ناحية أخرى فان غـاز ثانى أكسـيد الكربون الذى يتكون فى الغلاف الجوى تمتصه النباتات والأعشـاب البـرية والبحـرية فى عمليات التمثيل الضوئى ثم تعيده الى الغلاف الجوى « أوكسجين » خالصا وهكـذا تتكرر الدورة المستمرة لهذا الغاز فى الغلاف الجوى•

ومن فضـل الله علينـا أن جعـل غـاز الأوكسجين أثقل قليـلا من الهـواء ، وهـو قليل الذوبان فى الماء ، ولذوبان الأوكسجين فى الماء أهمية كبرى اذ أن الحيوانات والنبـاتات المائية تستمد ما يلزمها من الأوكسجين المذاب فى الماء للتنفس • أى أن غاز الأوكسـجين يعتبر أساسا للحياة•

ونظرا لأن الغازات الرئيسية المكونة للهواء الجوى (النتروجين والأوكسجين والأرجون) لا يتغير تركيزها فان التغيرات التى قد تحدث فى الهواء الجوى وبالتالى تؤثر على المنـاخ وأنشطة الانسـان المختلفة تتوقف على تركيز الغازات المتغيرة (ثانى أكسيد الكربون وبخار الماء والأوزون) والجسيمات العالقة بالجو •

وتتكون الجسيمات العالقة بالجو نتيجـة للتفاعلات « الكيماوية والفوتوكيماوية » التى تتم بين الغازات المختلفة الموجودة فى الغلاف الجوى وعلى الأخص الغازات سريعة التغير وهى ثانى أكسيد الكبريت وثـانى أكسـيد النتروجين وكبريتيد الهيدروجين والأمونيـا ، ولذلك كان من الضرورى مراقبة التغيرات التى تحدث فى تركيز هذه الغازات •

ويرتبط تكون وتوزيع السـحب والأمطـار ارتباطا وثيقا بطبيعة الجسـيمات العالقـة بالجو وتركيزها ، ويتعين الاتزان الحرارى — وهو الذى يحكم الدورة العـامة للريـاح — بطبيعة الغازات والجزيئات المتلفة الموجودة فى الغلاف الجوى وكميتها ، وتحـدث أيضـا الظواهر الجوية المختلفـة (مثل العواصـف الرملية أو الترابية ، الضباب أو الشـابورة ••• الخ) وتتوقف فترات حـدوث كـل من هذه الظواهر الجوية على تركيب الغـلاف الجوى وخاصة الطبقة الدنيا من الغـلاف الجوى : أى طبقة الغلاف الجوى القريبة من سطح الأرض •

وسوف نتحـدث عن هذه الموضـوعات فى مقالات مقبلة باذن الله تعالى •

د / ربيع سيد فولى

الميكروبات والحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » ٣ ، ٤ الجاثية .

ان النباتات والحيوانات التى نراها من حولنا ليست كل ما يوجد من كائنات حية فى هذا العالم فهناك كائنات أخرى عديدة لا تستطيع العين أن تراها لصغرها وتسمى هذه الكائنات « الميكروبات » .

و « الميكروبات » أنواع كثيرة :

منها الميكروبات الحيوانية وهى حيوانات دقيقة جدا بعضها يعيش فى المياه الراكدة ، أو فى الأرض الرطبة وقد يعيش بعضها داخل جسم الانسان أو الحيوان مسببة أمراضا خطيرة مثل الملاريا والدوسنتاريا الاميبية .

ومنها الميكروبات النباتية : وتنقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية :

هى الطحالب وهى تعيش فى الماء العذب أو الماء الملح أو الأرض الرطبة .

ومنها الفطريات : وهى كائنات نباتية دقيقة لا تحتوى على المادة الخضراء وبعضها نافع وبعضها ضار .

والقسم الثالث من اقسام الميكروبات النباتية « البكتيريا » وهى من أهم الميكروبات النباتية وتوجد بأعداد هائلة على سطح الأرض وفى التربة وفى الهواء وفى الماء ، وفى الغذاء وهى أنواع عديدة وتصيب الانسان بالكثير من الامراض مثل الدفتيريا والسل وبعضها نافع تقوم عليه بعض الصناعات . وسوف نتعرض بمشيئة الله لبعض المظاهر الرائعة فى تأثير هذا الكائن الدقيق جدا على حياتنا لندرك أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق أى شىء مهما صغر شأنه الا لحكمة بالغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

انتشار « الميكروبات » :

« الميكروبات » تتعلق بذرات الاتربة

للمهندس محمد إبراهيم حسين

المنتشرة فى أى مكان وأحيانا تنتشر فى الهواء بمفردها دون الاستعانة بذرات التراب نظرا لصغر حجمها ووزنها . فالعالم كله ميدانها .. الهواء الذى تستنشقه .. الطعام الذى تأكله .. الماء الذى تشربه والادوات التى تستعملها. وهى تعيش فى الملابس والفم والامعاء وتتسلل دون أن نراها الى كل مقومات حياتنا بل وتصاحبنا من المهد الى اللحد لا تتركنا ونحن أحياء ولا تبقى على أى كائن حى عندما يموت. لا تخلو بقعة أرض منها فى أعالى الجبال تجمدها وفى أقطاب الأرض تعيش وفى أعماق البحار والمحيطات تنتظر الضحايا حتى فى المناجم وفى آبار البترول تعيش وتتكاثر .

ما أعظم هذا الاعجاز فى الخلق وهذه القدرة الالهية على (تأقلم) الكائنات على جميع أنواع البيئات وفى جميع الظروف !!

ويختلف انتشار (الميكروبات) باختلاف الأماكن التى تعيش فيها فهى كثيرة فى المدن التى يثار غبارها قليلة فى الريف وفى أعالى الجبال وفى الهواء الذى يأتى من جهة البحار والمحيطات .

وقد أجرى بعض العلماء عزلا للميكروبات التى تنتشر فى الهواء لاحصاء هذه الميكروبات فوجدوا أن كل متر مكعب من هواء المدن ينتشر فيه ما بين ألفين ٢٠٠٠ الى ستة آلاف ٦٠٠٠ ميكروب بكتيرى فقط . أما اذا كانت حركة المدنية صاخبة غبارها دائم الاثارة فان العدد يرتفع الى حوالى مليونين فى كل متر مكعب من هوائها . والأتربة التى تتراكم فى الشوارع تموج بالميكروبات وجراثيمها فلو أخذنا كيلو جراما واحدا من هذا التراب لوجدنا فيه عددا رهيبا قد يصل الى حوالى ٥٠ الف مليون كائن دقيق من تلك الميكروبات !!

والانسان فى المتوسط يستنشق حوالى ثلث قدم مكعب من الهواء كل دقيقة وتتوقف جرعة الميكروبات التى يستنشقها على المكان الذى يعيش فيه حيث يتراوح ما بين ميكروب واحد كل عشرين دقيقة الى ٦٠ ألف ميكروب فى كل شهيق فى الأماكن المغلقة .

ومع كل هذه الاعداد فاننا لا نحس دائما بتدمير هذه الميكروبات نظرا لأن بعضها غير ضار وكذلك بسبب الجهاز الرائع الذى زود الله به أنف الانسان مما جعله من أكفأ أجهزة الترشيح حيث يستطيع التصميم البديع فى الانف أن ينقى الهواء الذى نستنشقه مما به من ميكروبات وهو يعمل كمرشح دقيق حتى لا تصاب الحنجرة أو القصبة الهوائية أو الرئتان بالتهابات مزمنة اذ لا تتحمل أنسجة الرئتين الحساسة غزو هذه الميكروبات .

ولكن أخطر ما نخشاه من هذه الميكروبات

المیکروبات والحیاة

أنواع تخصصت فى اصابة أعضاء خاصة من الجسم بأمراض خطيرة منها السل والكوليرا وغيرها وكلها تدخل عن طريق الطعام أو الشراب أو الهواء الذى نستنشقه

ولكن رحمة الله عز وجل بعباده تظهر دائما جنبا الى جنب مع مظاهر قدرته جل وعلا فقد خلق لنا الله سبحانه داخل الجسم خطوطا دفاعية من نوع فريد وحرس خاص يتجول بالليل وبالنهار بالملايين يتربص الغزو الذى يأتيه من البكتيريا المستعمرة للاجسام ودائما يحدث صراع بين القوتين فان ضعف الجسم غزته الميكروبات وتغلبت عليه ولكن رحمة الخالق بعباده لم تقف عند هذا السلاح الأول فقط وانما حبته بخط دفاعى آخر يستطيع جسم الانسان أن ينشئه اذا حدث الغزو وهو ما يطلق عليه اسم « الأجسام المضادة » وهى سلاح يختلف باختلاف نوع الميكروب المهاجم للجسم فلكل نوع أجسام مضادة معينة تبقى فى الجسم بعد ذلك لتكسبه مناعة دائمة •

وهكذا يتضح لنا قدرة الخالق العظيم

بعض فوائد الميكروبات :

ليست كل الميكروبات ضارة فلبعضها فوائد فبعض أنواع البكتيريا يشترك فى صناعة الأسمدة حيث يكون لـ « نتروجين » الهواء الطليق ميكروب متخصص يتلف غاز (النتروجين) من الهواء ويحبسه على هيئة مركبات (نتروجينية) بسيطة تبنى بها بعد هذا (بروتيناتها) ثم تموت وتتحلل بواسطة أنواع أخرى من البكتيريا لتضيف الى التربة خصوبة تستفيد بها النباتات

وتستفيد النباتات ببعض الفيتامينات التى لا تستطيع أن تصنعها لنفسها ولكن الميكروب يستطيع هذا ويتركها لجذور النبات بين حبيبات التربة فيمتصها ويستفيد بها بصورة نقية وتزيد من محصوله ومن أمثلة ذلك فيتامين (ب ١٢) وفيتامين (ب ٢) •

وتشارك الميكروبات ـ مشاركة فعالة ـ النباتَ والحيوانَ فى الامداد بغاز ثانى أكسيد الكربون وهو حجر من أحجار البناء فى النبات فهو الذى يدخل مع الماء فى عملية تصنيع ضخمة تنتج منها المواد السكرية والنشوية وغيرها مواد عضوية ولكن نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الغلاف الهوائى محدودة (٠٣ر٪) وقد ينضب اذا لم تشاركنا الميكروبات فى اطلاق سراحه من المواد العضوية التى تعود الى الأرض كبقايا أحياء •

وقد قدر ما ينطلق من ثانى أكسيد الكربون بواسطة الميكروبات التى تعيش فى فدان واحد من الأرض الزراعية بحوالى ٣ ملايين لتر فى العام الواحد • اذن فالأرض ليست ميتة كما يظن البعض ولكنها تزخر بالنشاط والحياة !!

ما أروع هذا الخلق الدقيق العظيم كل له مهام محددة يقوم بها على خير وجه وفى أدق صورة وتوقيت ورغم ذلك فاننا لا نراه بالعين المجردة •

ترى : كيف يطمع الكافرون أن يروا الله جهرة ، وقد عجز تكوينهم عن رؤية أبسط خلقه •

من التراث

مجلة الأزهر من خمسين عاما :

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

أثر الثقافة الإسلامية في تطور النهضة الفكرية

للأستاذ صادق إبراهيم عرجون
رحمه الله

الثقافة مطلب كل عاقل ، وأمل كل ناشد للمعرفة ، وغاية من يريد الرقى بعقله وفكره :

والثقافة فى الأصل حرة مطلقة لاتحدها حدود · ولا تمنعها حواجز · وهى نتاج التفكير الراقى المنظم ، ومحصلة البحث الحر النزيه ·

والثقافة الاسلامية ركيزة وأساس للثقافة العامة ، هى الأم التى تغذيها بلبان الاستقامة · والبعد عن الجنوح · وتظل هكذا ما لم تطعم بفكر معين أو (أيدولوجية تمليها اعتبارات حزبية عندئذ يكون الاسلام بريئا مما شابها ومن هنا ترى أن الثقافة الاسلامية عاشت ومازالت تعيش فى معظم أفكار العالم الاسلامى نظيفة لا تشوبها شائبة لأنها تنهل من معين كتاب الله وسنة رسوله ·

فما أسرع نقاءها من الدخيل وما أكثر عطاءها وسعتها فقد شملت نواحى الحياة الانسانية وبحثت أدق أمورها وتناولت أخص شئونها · وغاصت فى أعماق النفس فألهمت المفكر والفيلسوف والعالم والفنان ورسمت لهم الطريق السليم لانتاج كل ما ينفع ويفيد ، وكان لها أثر عظيم فى امداد المسلمين بكل جديد طريف وما ذلك الا لأن الثقافة الاسلامية نشأت مستقلة لا تخضع لتوجيه أو رقيب لأن أصولها من السماء وما كان من السماء لا يطاوله أو يدانيه ما يعلق بالأرض ·

قال الأستاذ الشيخ صادق عرجون ـ رحمه الله ··

إعداد وتقديم
عبد الفتاح حسين الزيات

اذا حدثت فصدقك التاريخ الصحيح ، ارتفعت درجة حديثك الى رتبة الحقائق الصادقة البينة ، وكان مشمولا بالقبول ممن والاك أو خالفك فى الرأى أو فى العقيدة ، وكنت فى هذا الحديث « صادقا » منصفا تقول الحق وتهدى السبيل .

اذ التاريخ شاهد صدق وحكم عدل ، لا يبقى فى كتابه مسطورا تحت عنوان « الحق » الا ما كان ثابتا ثبوتا يرتاح اليه العقل النير ، وتؤمن به الفطر السليمة ، وتطمئن الى الحديث عنه القلوب الطاهرة .

أفلست تراه يدأب على كشف القناع عن وجه كثير من الأساطير كانت نازلة منزل اليقين عند كثير من الأمم ، فيجعلها تبدو كما هى خيالات لا تلبث اذا شع عليها قبس من نور البرهان أن تذهب بددا ؟؟ . أو لست تراه يحفظ فى ثنايا سطوره حقائق لم تصل العقول الى غورها ، فبقيت ثابتة رغم ما عصف عليها من عواصف الفكر وتقلبات الزمن ؟؟ وذا هو العلم يكشف عنها الستار فتبدو ناصعة جلية .

فاذا تحدثنا عن الثقافة الاسلامية وأثرها فى النهضة العلمية وتطور الفكر الانسانى ، فانما نعتمد على رواية التاريخ الصحيح ، ليستبين للناظر هذا الأثر الذى أنكره بعض من جفوا الاسلام ، وتجاهله شباب المسلمين أو جهلوه ، فراحوا يترسمون خطى قوم استخف بهم الغرور واستحوذ عليهم ما ألموا به من بعض تعاليم الغرب ، المامة لم تصادف من قلوبهم عقيدة راسخة ، ولم تلق فى أفئدتهم يقينا قويا ، ولم تجد من نفوسهم ايمانا بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فضربوا فى مهاوى الشك والاستهتار بالعقائد والآداب والأخلاق والعلم النافع ، فكانوا من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

الثقافة :

ثقافة كل أمة ما تستمسك به من دين وأدب وأخلاق وعادات ، وتعاليم حكمية أو سياسية أو اجتماعية ، تأخذها عن فلاسفتها وعلمائها وذوى الرأى فيها .

فلليونان ثقافة تجدها فى تعاليم « سقراط (١) » و « أفلاطون » و « أرسطوطاليس » و « فيثاغورس » وغيرهم من حكماء هذه الأمة .

وللمصريين الأولين ثقافة تنبئك عنها هذه الهياكل والمقابر الهرمية .

وللأشوريين والبابليين ثقافة تحدثك بها الاستكشافات الأثرية .

وللهند ثقافة تقرؤها فى طقوس «برهما(٢)» و « بوذا » الدينية .

وللصين ثقافة تراها فى تعاليم حكيمهم « كونفشيوس (٣) » ومن أخذ عنه ، وللفرس

ثقافة تحويها كتب « زرادشت (٤) » و « مانى (٥) » •

وللرومان ثقافة أبعدها أثرا فى الحياة علم الحقوق والتشريع الوضعى على أساس ألواحهم المعروفة •

وللسريانيين والكلدانيين ثقافة عرفت فى تاريخ حكمائهم وآثارهم •

وللعبرانيين ثقافة أساسها التوراة ومايتصل بها من شرح أو تأليف •

وللعرب قبل الاسلام ثقافة تظهر فيما نقل عنهم من علم التطبيب وسير النجوم ومعرفة الأنساب وقص الأثر وقصص السير وغيرها مما اقتضته حياتهم البدوية ، ومما أصابه (المناذرة — والغساسنة) من حضارة الفرس والرومان بمقتضى الجوار •

هذه كلها أمم يحدثنا التاريخ عن ثقافاتها وثقافات غيرها ، وأنها كانت حينا من الدهر تتنازع قيادة الفكر ، وتستبق الفضل فى الحضارة ، وتدعو الى استنارة العقول ، ومهما يكن من أمر اصابتها لهدف الحقيقة فيما تثقفت به أو عدم توفيقها ، فانا نتساءل أين هى هذه الثقافات ، وأين هو أثرها فى نهضة العلم وتطور الفكر ؟؟ •

البقاء أمارة الحياة ، واستمراره دليل قوتها ، فلا بقاء فى هذا العالم الا لموجود يحمل بين جنبيه قوة معنوية ،وروحا قوية ، تدافع أعاصير الحياة وغير الزمن ، فلو أن هذه الثقافات الغابرة كانت بهذه المثابة من القوة والحياة ، اذن لبقيت واستمرت مع تطور الحياة ، ولكنها كانت قليلة الحظ من هذه القوة فذهبت مع الذاهبين كأن لم تغن بالأمس ! •

الثقافة الاسلامية :

الثقافة الاسلامية موضوع بعيد الغور واسع الأرجاء متعدد النواحى ، ليس فى استطاعة أحد كائنا من كان أن يحصرها فى شأن من شئون الحياة ، فهى كما عنيت بالشئون الدينية التهذيبية والأدبية والعلمية، واقامتها على دعائم ثابتة وأصول قوية ، كذلك عنيت بالنواحى المدنية التعميرية والاجتماعية النظامية ، فأسستها على أركان من العدل والعمل الصالح المثمر والجهد المستقيم •

والذى أحاول التحديث عنه هو ما يقصه علينا التاريخ من أثر هذه الثقافة الاسلامية ، فى تغذية الفكر الانسانى ، ومسايرة التطور العلمى ، فأجلو صفحة من الحقيقة أضعها أمام نظر اخوانى من شباب المسلمين تبصرة وذكرى ، عساها أن تحرك فيهم العزة والشمم ، وتدفعهم الى النظر فى تاريخ أسلافهم الأكرمين ، فيعلموا أنهم فيما يدرسون من سير غير سير أبطال الاسلام وحكمائه وعلمائه مخدعون أريدوا على البعد عن هذا الخير ، فكانوا أسلس قيادا فى أيدى الزائغين منهم فى أيدى الناصحين الراشدين•

سطع « نور الاسلام » على وجه المعمورة فلم يلف من ثقافات الأمم الغابرة شيئا مذكورا ، الا أمشاجا من حكمة اليونان ، وآداب الرومان ، وتعاليم المسيحية على

ما أصابها من تحريف . لجأت الى مدرسة الاسكندرية على أثر حملة عنيفة حملها الملك (غوستنيان) على الفلاسفة والحكماء انتصارا منه لآراء الكنيسة الغربية التى كان من قواعدها يومئذ اضطهاد العلم والعلماء ، والقسوة على الحكمة والحكماء ، ففر من وجه العسف الرومانى جم غفير من الفلاسفة ، أم بعضهم الاسكندرية ، وأرغمتهم طبيعة الحوادث على ولوج معمعة النزاع الكنيسى ، فاستعملوا النظريات الفلسفية للدفاع عن آراء فريق من المسيحيين ، حتى امتزجت نظرياتهم بهذه الآراء وكان منهما مذهب (الأفلاطونية الجديدة) وهو مذهب كنيسى أكثر منه فلسفى ؛ وهكذا أخذ أثر الثقافة القديمة يتضاءل أمام جور المتعسفين من حكام الرومان ، وقتلهم العلماء والحكماء بغير حق ، والفرس والرومان هما الدولتان اللتان بقيتا تتذوقان طعم الحياة الى ذلك الحين .

قام بناء الاسلام الشامخ فى أقل من ربع قرن ، أكمل الله فيه على خير أمة أخرجت للناس دينها ، وأنزل على نبيها الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى يوم الحج الأكبر قوله تعالى : **﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾** ايذانا منه جل شأنه بأن هذا الخير ليس بعده من لدن السماء خير من استمسك بعروته الوثقى رشد واهتدى ،ومن تفلت عنه ضل وغوى ، فكان ذلك حافزا لأصحاب رسول الله ﷺ على استظهار القرآن الكريم ـ وهو المنبع الفياض بأسرار الكون ـ واستنباط ما حوى من حكم وأحكام ، مسترشدين بسنة النبى عليه الصلاة والسلام بأذهان سيالة وقلوب واعية ، فنبغ فيهم العلماء والحكماء ، وظهر من بينهم القواد والأبطال ، ونهد فى صفوفهم الساسة الذادة ، وأشرف على حياتهم أئمة قادة ، فكانوا ـ وهم نيفومائة ألف ـ شمس الدنيا وريحانة الحياة الفاضلة .

للثقافة الاسلامية مرحلتان :

المرحلة الأولى

تبتدىء المرحلة الأولى للثقافة الاسلامية من مشرق « نور الاسلام » ، وتنتهى بقيام الدولة العباسية ، وفى هذه المرحلة تتجلى عظمة الاسلام ، وتبدو ثقافة تستمد نورها من مشكاة الذكر الحكيم .

امتازت هذه المرحلة بشىء يعده الباحثون من أعظم ما سجل التاريخ . ذلك أنه فى زمن لا يتجاوز عشرين عاما وضع رسول الله ﷺ أساسا قويا للدولة الاسلامية من الأمة العربية ، التى كانت متفرقة شيعا وأحزابا ، فوحد أفخاذها وجمع شمل قبائلها تحت راية القرآن الخفاقة ، حتى كانت منهم أمة حملت علم الثقافة وضربت فى الأرض تؤدى الأمانة ، وتبلغ العالم أجمع رسالة الرسول الأعظم خاتم النبيين ، ففتح الله عليها من الممالك والأقطار فى قليل من الزمن ما على مثله تحطمت سيوف الأكاسرة والقياصرة ، ولا تنس هنا أن تذكر السر فى هذا النصر المبين ،

وتقارن بين معاملة المسلمين للأمم المغلوبة على أمرها من الرفق والرحمة والحرية التامة ، وبين ما لطخ به التاريخ وجه المسيحية القاسية أيام (دواوين التفتيش) وفظائعها التى تتقشعر منها الجلود ، وأيام الحروب الصليبية من القسوة المرة والفظاعة الوحشية ، وهذا مما يعترف به المنصفون من علمائهم ومؤرخيهم •

قال الكونت « هنرى دى كسترى » فى كتابه (الاسلام ـ سوانح وخواطر) : (ان أتباع محمد « ﷺ » هم وحدهم الذين استطاعوا الجمع بين الرفق فى معاملة مغلوبيهم والرغبة فى انتشار دينهم ، وهذه الرغبة هى التى دفعت العرب الى الفتوحات العظيمة فنشر القرآن رايته خلف جيوشه المظفرة ولم يخلفوا فى طريقهم أثرا للجور) •

وقال فيلسوف فرنسا « غوستاف لوبون »: (من ينظر الى أخبار معاملة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لأهل بيت المقدس يعلم علم اليقين أن العرب كانوا يبالغون فى حسن معاملة مغلوبيهم ، وهذا يباين تمام المباينة معاملة الصليبيين للمسلمين فى بيت المقدس أيام الحروب الصليبية) •

وقد تجلت فى هذا العصر العبقرية الحربية: وهى ضرب من ضروب الثقافة عند الأمم الحية، فأنجبت جيوش المسلمين ـ وهى مدارسهم العسكرية ـ أبطالا فخاما وقوادا باسلين ، وحسبك فى الحديث عنهم فخر الاسلام وسيف الله أبو سليمان خالد بن الوليد ، وبطل القادسية سعد بن أبى وقاص ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح ، وحب رسول الله ﷺ أسامة بن زيد ، وفاتح مصر عمرو بن العاص وغيرهم من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم ، وقد قارن هذه النهضة الحربية نهضة أدبية •

والأدب مقياس حضارة الأمة وميزان رقيها ـ فنبغ من المسلمين الخطباء المصاقع والشعراء المبدعون والكتاب المجيدون ، وكان هذا العصر للغة العربية ميدان فضلها ومظهر أسرارها وثوب جدتها ، وهذه نهضة أحدثها القرآن العظيم ، لأن العرب لم يأتهم الله من الفضائل على كثرتها فيهم أفضل من الفصاحة اللسانية والقوة الخطابية ، فكان أسمى شىء اعتزوا به وتسابقوا للمفاضلة فى حلبته انما هو الحياة اللغوية ، وللمفاخر فيها والتفنن فى أساليبها أقاموا مدارس (عكاظ وذى المجاز) وسواهما ، فما جاءهم القرآن الكريم بأسلوبه الفخم ولفظه الجذل واعجاز تراكيبه حتى شعروا أنهم أمام كتاب لا عهد لهم بأسلوبه ولا طاقة لهم ببلاغته على عظم ما وصلوا اليه فى هذا المضمار ، وأدركوا أن القرآن أتى ببلاغة تسمو على متناول ألسنتهم فقنعوا بالاقتباس منه ، وفطنوا الى موضع العبرة فيه والاستفادة من علو انسجامه وفصاحة نظمه ، والاغتراف من منهله العذب ومعينه الذى لا ينضب ، فاتجهت اللغة العربية اتجاها جديدا ودخلت فى دور التأليف والتدوين ووضعت فى قواعد علومها الكتب والدواوين ، وتذاكر الناس النحو والصرف وعلوم البلاغة

والأدب ، فأينما توجهت وفى أى بلد اسلامى حللت شعرت أنك فى جامعة أدبية علمية زاهرة •

وظهر فى فجر هذه المرحلة نوع من الثقافة الاجتماعية لم يشهد التاريخ بمثله لأمة من الأمم ، نعنى به ذلك النظام الذى ابتدعه الاسلام ورمى من ورائه الى بث روح المساواة والوحدة العالمية التى جاء بها القرآن الحكيم ، فقال تعالى : (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**)•

وغرسها النبى ﷺ فى نفوس الأمة حتى كانت الوصية بها فى آخر مواقفه العامة فى خطبة الوداع ، حيث يقول : (أيها الناس كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى) •

وكانت أولى خطوات الصديق رضى الله عنه فى أول خطبة خطب بها المسلمين بعد ارتقائه أريكة الخلافة اذ يقول : (أيها الناس انى وليت أمركم ولست بخيركم) ،وكان مظهرا أسمى لها حياة الفاروق ثانى الخلفاء وأول الأمراء عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى نفخ فى الأمة الاسلامية أفرادا وجماعات روح الاعتداد بالنفس ، بقوله فى احدى خطبه وهو أمير المؤمنين : (من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه) ، فقام اليه رجل وقال : (والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا) فحمد الله الفاروق على أن جعل فى أمة محمد ﷺ من يقوم اعوجاج أميرها لو رآه •

وهل ذكر التاريخ فى جميع عصوره أن المرأة أوتيت قسطا من العلم والحرية تقف بهما فى وجه الخليفة تحاجه وهو يخطب فى تخفيف مهور النساء ، حتى يقول على مرأى ومسمع من عامة المسلمين (أخطأ رجل وأصابت امرأة) ؟؟ لعمر الحق ان هذا ضرب من التربية النفسية — لم يقصص التاريخ أن أمة تعاطته فى حياتها — نشأهم عليه القرآن العظيم تنشئة سادوا بها الأرض وغادوا الممالك ، ولم يحدثنا التاريخ من مبدأ الخليقة الى عصرنا هذا الذى يتشدق فيه المتلقفون لقشور الغرب بما سموه (الديمقراطية) أن سيدا مطاعا وأميرا معظما وخليفة اذا قال فعل ، ملك شرق الأرض وغربها بجيوشه المظفرة كسيدنا عمر بن الخطاب يخطب رعيته بهذا القول الذى يبعث فيها حياة العزة والكرامة ، ويجعل لكل فرد منها مهما صغر مقامه حق الملاحظة على الخليفة وحق نقد أعماله وتصرفاته • هذا هو الكمال الاجتماعى الذى يجب أن تتربى به الأمم التى تريد بحق أن تتبوأ مكانتها تحت السماء •

ومن مفاخر الاسلام فى عصره الأول هذه التربية الفاضلة التى تربت عليها المرأة المسلمة فكانت المثل الأعلى فى الكمال النسائى ، يجد منها الزوج شريكة فى الحياة صالحة ، ويجد فيها الأولاد أما رؤما ، تغذيهم بالعلم وتثقفهم بالأدب ، يحيط بها سرادق العفاف ويزينها الحياء • يطالعنا التاريخ بالحالة السيئة التى كانت عليها المرأة قبل

الاسلام فى جميع الأمم .

فلما جاء الاسلام أفسح للمرأة مكانتها فى الحياة وفتح لها باب العلم على مصراعيه ، وأشركها مع الرجل فى خطاب التكليف بما يتفق مع تركيبها الجثمانى ، بل صرح القرآن الكريم بأنها هى والرجل سواسية فى الحقوق والواجبات فقال : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) ، وهذه الدرجة هى درجة القوامة بالانفاق والحماية المذكورة فى آية أخرى : الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) وهذا ارفاق بها ورحمة ، وقد فهم المسلمون تقدير القرآن لمقام المرأة فكانوا يعاملونها بمنتهى الرقة والعطف مادامت حافظة للغيب بما حفظ الله قائمة على حدود الدين والفضيلة ، حتى أن ابن عباس رضى الله عنهما كان يقول : (انى أحب أن أتزين لامرأتى كما أحب أن تتزين لى) ، فهل رأيت اخلاصا للمرأة واحتراما لها مثل هذا الصنيع ؟؟ .

شعرت المرأة المسلمة بوجودها فى الحياة وقدرت انسانيتها ، وشاركت الرجل فى العلوم والآداب ، حتى نبغ من النساء المسلمات كثيرات كن مرجعا للعلماء والأدباء أما أم المؤمنين (الحميراء) السيدة عائشة رضى الله عنها فهذه واحدة الدنيا علما وفضلا ، فما أشكل على المسلمين شىء من القرآن والحديث وأدب العرب وسير الماضين الا وجدوا عندها به علما . وأما ذات النطاقين السيدة أسماء أختها فما قامت النساء على مثلها يقينا وحزما وصرامة فى الحق ، فهل سمعت عن امرأة يدخل عليها ولدها وقرة عينها ليتعرف صبرها على فقده اذ يقول لها : (يا أمه خذلنى الناس حتى أهلى وولدى ولم يبق معى الا من لا دفع عنده الا صبر ساعة من النهار ، وقد أعطانى القوم ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟؟) ، فتقول له أخرج الى القتال ان كنت تعتقد أنك على الحق ، والله لضربة بسيف فى عز أحب الى من ضربة بسوط فى ذل ، فيقول لها : أخشى أن يمثلوا بى بعد قتلى ، فتقول له : يابنى ان الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ ؟؟ . تلك هى أسماء بنت أبى بكر الصديق وابنها عبد الله بن الزبير ، وهل سمعت بامرأة ينعى اليها أولادها خرجوا ليجاهدوا فى سبيل الله فتقول : الحمد لله الذى شرفنى بشهادتهم فى سبيل الله ؟؟ تلك هى الخنساء شاعرة العرب وأديبة المسلمات ، هذه مثل من نفوس رباها الاسلام ، فهل علم المجددون أنهم عن الصراط السوى ناكبون ؟؟.

وأجل ما لهذه المرحلة من المحامد أن الثقافة الاسلامية فيها كانت كذلك فحسب ، وبعبارة أدق أنها كانت اسلامية المنشأ عربية التفكير والتربية ، فلم يكن للمسلمين عهدئذ مورد يستقون منه ثقافتهم غير القرآن الحكيم وما علمهم النبى ﷺ من الحكمة ، ولم يكن قادة الفكر يومئذ غير العرب أو المستعربين الذين درجوا فى أحضان تعاليم الاسلام

ولم يرتضوا لسواه بديلا ولم يأخذوا عن غيره أدبا ، فهو أصدق العصور للتعبير عن الثقافة الاسلامية ،وهو الدليل الناهض على أن للاسلام ثقافة مبتكرة مستقلة تستمد نورها من وحى القرآن الكريم والسنة المطهرة ، دون أن يكون لأية أمة من أمم الأرض على المسلمين يد فيها ، اذ لم يكن قد فتح على المسلمين باب النقل والترجمة عن علوم الغابرين ، فكان للمسلمين فقه اسلامى أوسع ما عرف فى علوم التشريع والاجتهاد ، وأصحه نظرا وأصدقه مخرجا ، وها هى مؤلفاتهم شاهد ناطق على صفاء أذهانهم واستنارة أفكارهم .

فهل قرأت فى « مدونة » مالك بن أنس رضى الله عنه ، وعرفت كيف كان نظر أئمة المسلمين فى المسائل وتخريج أحكامها بما ينطبق على مصلحة المجتمع ونظام الحياة ؟؟ وهل نظرت فى كتاب « الخراج » لأبى يوسف صاحب أبى حنيفة رحمه الله ، وعلمت الى أى حد وصل المسلمون الأولون من سعة العلم وقوة الادراك ؟؟ وهل اطلعت على كتاب « الأم » للشافعى رحمة الله عليه ، فتطمئن الى الايمان بعظمة علماء الاسلام ، ويظهر لك سخف ما يزعمه خصوم الاسلام من أن الفقه الاسلامى أخذ شيئا من مبادىء الفقه الرومانى . لندع فقهاء الشام والعراق ومصر ، وننظر الى فقهاء الحجاز فى القرنين الأولين ، فمن أى طريق وصل الفقه الرومانى الى المدينة المنورة فأخذ عنه الامام مالك وأصحابه هذا التشريع البديع ؟ ومن أى السبل انتهى هذا الفقه الى فقهاء مكة المكرمة فاستفادوا منه كما يزعم الزاعمون ؟؟ اللهم ان هذه فرية ما فيها مرية ، وأقاويل يذيعها الذين نفسوا على الاسلام فضائله ومزاياه .

عبد الفتاح حسين الزيات

---

(١) المجلد الاول .

(١) فيلسوف يونانى كان ينهج فى بحثه طريقة المحاورة . وأفلاطون أجل تلاميذه . وأرسطو طاليس أفضل تلاميذ افلاطون . أما فيثاغورس فهو فيلسوف عظيم كان يعيش فى القرن الخامس قبل الميلاد وهو الذى استخرج بذكائه علم الالحان وتأليف النغم ومن حكمته اقتبس سقراط .

(٢) اليه تنسب الديانة الهندية القديمة المعروفة وفى بعض الكتب أنه اسم من أسماء الله تعالى باللغة السنسكريتية وكتابه المقدس عند أتباعه يسمى (الفيدا) . وبوذا لقب لمؤسس الديانة البوذية ومعناه بلغتهم العالم الكامل .

(٣) عالم صينى وفيلسوف قديم .

(٤) حكيم الفرس ومؤسس ديانتهم القديمة . قال الشهرستانى : وكان أبوه من (أذربيجان) وأمه من (الرى) . وفى زمنه خلاف كثير والأرجح عند رجال التاريخ أنه كان يعيش فى القرن السادس قبل الميلاد ، وله كتاب مقدس عند الفرس يسمى (أبستاق) وهو عبارة عن مجموع عدة كتب تنقسم الى ثلاثة أقسام . الاول : فى العقائد والعبادات . والثانى : فى المعاملات . والثالث : فى الفلسفة والعلوم .

(٥) مانى بن فاتك الذى ظهر فى زمان شابور بن أزدشير ، وقتله بهرام بن هرمز بن شابور ومذهبه خليط من النصرانية والمجوسية .

من نوادر مخطوطات مكتبة الأزهر

كتاب الإعلام فى فوائد عمدة الأحكام "١" لابن الملقن

قبل أن نتكلم عن كتاب ــ الاعلام ، فى فوائد عمدة الأحكام ،يجدر بنا أن نشير الى كتاب (العمدة فى الأحكام) فى معالم الحلال والحرام ، عن خير الأنام للامام (٢) الحافظ تقى الدين أبو محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور ، المعروف بالجماعيلى ، المقدسى الدمشقى الحنبلى .

ولد فى (جماعيل) سنة (٥٤١ هـ ١١٤٦ م) وتوفى بمصر سنة ٦٠٠ هـ ١٢٠٣ م .

وهو حافظ للحديث من العلماء برجاله له مؤلفات منها .

« الكمال فى أسماء الرجال » و « الدرة المضيئة فى السيرة النبوية » و « المصباح » ثمانية وأربعون جزءا .

وقال الشيخ العالم تقى الدين الجماعيلى ، قدس الله روحه ونور ضريحه فى مقدمة كتابه « العمدة » « الحمد لله الملك الجبار ، الواحد القهار ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، رب السموات والأرض وما بينهما، العزيز الغفار ، وصلى الله وسلم على النبى المصطفى المختار ، وآله وصحبه الأطهار .

أما بعد : فان بعض اخوانى سألنى اختصار جملة من أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الامامان محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى ومسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى ، فأجبته الى سؤاله رجاء المنفعة

وأسأل الله أن ينفعنا به ومن كتبه أو سمعه أو حفظه أو نظر فيه ، وأن يجعله خالصا لوجهه وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبدأه بقوله (كتاب الطهارة) .

أما كتاب (الاعلام فى فوائد عمدة الاحكام) فهو شرح (للعمدة فى الأحكام) لابن الملقن وهو (٣) العالم عمر بن على بن أحمد

---

(١) النسخة بمكتبة الأزهر برقم خاص ٣١٤٩ عام ٤٢١٨١ علم الحديث مكتبة الشيخ العروسى.

(٢) الاعلام للزركلى ٤٥ ص ١٦٠ .

(٣) الاعلام للزركلى حـ ٥ ص ٢١٨ .

للأستاذ محمد عميرة على

الأنصاري الشافعي ، سراج الدين ، أبو حفص بن النحوى ، المعروف بابن الملقن : من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال • أصله من وادى آش (بالاندلس) ومولده ووفاته فى القاهرة •

فقد ولد سنة ٧٢٣ هـ (١٣٢٣ م) •

وتوفى سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ م) له نحو ثلاثمائة مصنف ، منها •

« اكمال تهذيب الكمال فى أسماء الرجال » و « التذكرة فى علوم الحديث » و « الاعلام فى فوائد عمدة الأحكام » و « ايضاح الارتياب فى معرفة ما يشتبه ويتصحف من الاسماء والأنساب » و « التوضيح لشرح الجامع الصحيح » و « خلاصة البدر المنير » فى تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعى ، و « خلاصة الفتاوى فى تسهيل أسرار الحاوى » و « المقنع فى علم الحديث » و « شرح زوائد مسلم على البخارى » •

وقال عنه الضوء اللامع جزء ٦ ص ١٠٠ : وممن أخذ عنه (البرهان الحلبى) قال فيه انه كان فريد وقته فى التصنيف وعبارته فيها جلبه جيدة ، وغرائبه كثيرة وشكالته حسنة ، وكذا خلقه مع التواضع ، والاحسان ، لازمته مدة طويلة فلم أره منحرفا قط وذكر أنه رافقه فى رحلته الى دمشق وأنه كان منقطعا عن الناس ، لا يركب الا الى درس أو نزهة ، وكان يعتكف كل سنة بالجامع الحاكم ، ويحب أهل الخير والفقر ويعظمهم •

وقال عنه الحلبى انه كان مديد القامة حسن الصورة يحب المزاح والمداعبة مع ملازمة الاشتغال والكتابة حسن المحاضرة جميل الاخلاق كثير الانصاف ، شديد القيام مع أصحابه موسعا عليه فى الدنيا مشهورا بكثرة التصانيف ، وكان عنده من الكتب مالا يدخل تحت الحصر منها ما هو ملكه ومنها ما هو من أوقاف المدارس سيما الفاضلية ثم انها احترقت مع أكثر مسوداته فى أواخر عمره ففقد أكثرها وتغير حاله بعدها فحجبه ولده الى أن مات •

وقال فى معجمه انه قبل احتراق كتبه كان مستقيم الذهن ، وأنشده أحد الشعراء من نظمه مخاطبا له :

لا يزعجنك ياسراج الدين ان
لعبت بكتبك ألسن النيران
لله قد قربتها فتقبلت
والنار مسرعة الى القربان

وقال ابن الملقن مفتتحا شرحه بقوله :

الحمد لله الذى أتم الحمد وأكمله ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة هى للفوز محصلة ، وللنجاة متكفلة ، وأن محمدا عبده ورسوله خير الخلق آخره وأوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، صلاة زاكية دائمة بكل زمن متصلة وبعد : فهذه نبذة مهمة على كتاب « عمدة الأحكام » فى

٥

أحاديثه عليه أفضل الصلاة والسلام ، خصصت الكلام عليها وحصرت الكلام فى خمسة أقسام :

الاول : التعريف بمن ذكر من رواة الحديث وبيان حاله وضبط نسبه ومولده ووفاته على وجه الاختصار ،فانى أوردت هذا بالتصنيف وسميته (العدة فى معرفة رجال العمدة) •

الثانى : فى التنبيه على أحاديث وقعت فى الكتاب من أفراد الصحيحين •

الثالث : بيان ما وقع فيه من المبهمات وقد ظفرت بغالبه ولله الحمد •

الرابع : فى ضبط لفظه وبيان اعراب ما يشكل وغريبه •

الخامس : وهو المهم الاشارة الى بعض ما يستنبط من الحديث ومن الأصول والفروع والآداب وغيرها حسبما يتيسر بفضل الله ، ومنه مالا يجتمع فى غيره ، والجمع بين مختلفها ، وايضاح ما فيه من الناسخ والمنسوخ والعام والخاص ، والمبين والمجمل وتبيين المذاهب الواقعة فيه ، وذكر وجهها ، وما يظهر منها على وجه الانصاف وما لا يظهر ، وأعرض عما فعله بعض الشراح من ايراد مالا يستدرك من ألفاظ الحديث ، كمن يأتى الى حديث جواز مسح الخف مثلا فيأتى ذلك الباب من غير أن تكون مستنبطة من الحديث الذى تكلم عليه ، وان أمكن فبطريق مستبعد واعراض أيضا عما فعله قوم من الاسترشاد فى وجوه الاستنباط ، فان تعرضت له نبهت على بعده وعدم ظهوره ، وأنبه مع ذلك على ما وقع للشراح من المؤاخذات الى غير ذلك من الفوائد والفرائد •

وتكلم فى نسب النبى صلى الله عليه وسلم لشرف الكتاب به ولمعرفته ، وذكر نبذة مختصرة عن حال مصنف هذا الكتاب المبارك الذى عم النفع به ، وكم من قاصد تحداه فلم ينل شيئا من مرتبته ، وهذا مما يدلك على صدق نية مؤلفه وعلو منزلته ، وتكلم ابن الملقن فشرح خطبة الجماعيلى على طريق الاختصار •

وبدأ المصنف بكتاب الطهاره لان أشرف أركان الدين بعد الشهادتين الصلاة ، ولابد لها من الطهارة فاستحقت التقديم ، ولأنها أحد شروطها ومفتاحها ، فأول ما يبدأ به المكلف من الشروط ، ثم ان الطهارة قد تكون بالماء فالتراب ، والماء هو الاصل فلهذا قدمه على التيمم والبخارى رضى الله عنه بدأ بالوحى •

ومالك بالصلاة ، ومنهم من بدأ بالايمان ، ومنهم من بدأ بالوضوء ، ومنهم من بدأ بالاستنجاء ، ثم ذكر المصنف فى الباب ثلاثة عشر حديثا •

الحديث الاول : عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « انما الاعمال بالنية وفى رواية بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أوامرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه •

وقال الكلام عليه من وجوه يحضرنا منها

اثنتان وثلاثون وجها :

أحدها : بدأ المصنف بهذا الحديث لأمور .

أحدها أنه قدم كتاب الطهارة لاشتماله على النيه التى هى شرطها .

ثانيها : اقتدى بقول الأئمة كما نقلـــه الخطابى عنهم ينبغى لمن صـنف كتابـا أن يبتدىء بهذا الحـديث تنبيها للطـالب على تصحيح النية .

وقال ابن مهدى الحافظ من أراد أن يصنف كتابا فليبدأ بهذا الحدث وقال لو صنفت كتابا لبدأت فى كل باب منه بهذا الحديث :

ثالثها :اقتدى بفعلهم فان البخارى وغيره من المصنفين ابتدأوا به ، وقد ذكر البخـارى فى سبعة مواضع من صحيحه فى أول كتابه ، ثم فى الايمان ، ثم فى العتق ، ثم فى الهجرة ، ثم

فى النكاح ، ثم فى الأيمان والنذور ، ثم فى ترك الحيل .

وتقديم البخارى لـــه فى أول صـحيحه لا مناسبة له على ما ترجمه فى باب بدأ الوحى ، وانما قصد به اصلاح النية فى تأليفه وامتثالا لقول ـــ عبد الرحمن بن مهدى السالف فجعله فاتحة كتابه وأقامه مقام الخطبة لأبوابه .

ثانيها : فى التعريف براويه قبل الكلام عليه هو أمير المؤمنين أبو حفص ؓ وأول من كناه بذلك رسول الله ﷺ كما رواه ابن الجوزى عنه ، والحفص فى اللغة « الأسد » عمر بـــن الخطاب بن نفيل بضم النون وفتح الفـــاء عبد العدى بن رباح بكسر الدال .. الخ .

الوجه الثالث : فى من وافق اسم رواية من الرواة وينبغى أن يعلم أن فى الرواة عمر بـــن الخطاب سبعة ـــ أولهم أمير المؤمنين هـــذا

وثانيهم ـــ كـوفى روى عنـــه خـــالد بن عبد الله الواســطى ، وثالثهم ـــ راسى روى عنه سويد بن أبى حاتم .

ورابعهم سـكندرى حـدث عن ضمام بن اسماعيل ، وخامسهم ـــ عنبرى روى عن ابيه عن يحيى بن سعيد الانصارى .

وسادسهم ـــ سجستانى روى عن محمـــد العديانى .

وسابعهم ـــ سدوينى بصرى روى عن معمر ابن سليمان الى آخر ما ذكر من الأوجه التى أشرنا اليها .

وقال فى كتاب الصلاة (بــاب المواقيت) أصلها فى اللغة : « الدعاء » بخير على مـــا صححه الأكثرون ، والمواقيت جمـع ميقات والأصل (موقات) لانه من الوقت لميعـــاد . وميزان من الوعـد والوزن . سـكنت الواو وانكسر ما قبلها فقلبت ـــ ياء ـــ

قال الجوهرى وهو الوقت المضروب للفعل والموضع . يقال هذا ميقـــات أهل الشـــام للموضع الذى يحرمون فيه . وذكر المصنف فى الباب أحاديث الاول عن أبى عمر والشيبانى واسمه سعد بن اياس قال : حدثنى صاحب هذه الدار وأشار بيده الى دار عبد الله بـــن مسعود قال سألت النبى ﷺ أى العمل أحب الى الله .

قال : « الصلاة لوقتها » قلت ثم أى .

قال « بر الوالدين » قلت ثم أى ؟

قال : « الجهاد فى سبيل اللـــه » قـــال : حدثنى بهن رســول الله ﷺ ولو استزدته

نزادنى . والكلام عليه من وجوه .

أحدها : أبو عمر هذا له ادراك فقط قال : أذكر أنى سمعت وأنا أرعى ابلا لأهلى بكاظمة حرج بتهامة فهو تابعى مخضرم ، وقد عد

مسلم التابعين المخضرمين عشرين نفسا وأهمل جماعة منهم الأحنف بن قيس . وأبو مسلم الخولانى وعاش أبو عمر مائة وعشرين سنة. وكان يقرىء القرآن فى المسجد الأعظم قرأ عليه عاصم بن بهذله وهو مجمع على ثقته قال ابن حبان كأنه مات سنة احدى ومائة .

وقال أبو عمر سنة خمس وتسعين .

وقال الذهبى يقال سنة ثمان وتسعين .

ثانيها . الشيبانى . بالشين المعجمه نسبة الى : شيبان بن تعلبة وتشتبه هذه النسبة بخمسة أشياء ذكرتها فى « مشتبه النسبة » فراجعها منه .

ثالثها : فى الرواة عمر اثنان هذا والنحوى الكبير وفى الرواة أيضا أبو عمر السسانى وهو والد يحيى أبى زرعه ... الخ

وقال فى باب الاعتكاف فى ختام كتابه هو فى اللغة لزوم الشىء وحبس النفس عليه خيرا

كان أو شرا ،قال تعالى : « **فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ** » الآية وقال « والهدى معكوفا » أى

محبوسا مكروما ، وانظر الى الهدى الذى ظللت عليه عاكفا « أى مقيما ملازما » .

وقال « **وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِى الْمَسَاجِدِ** » أى ملازمون .

وفى الشرع اقامة مخصوصة ويسمى جوازا أيضا كما هو ثابت فى الاحاديث الصحيحة والاعتكاف من الشرائع القديمة قال تعالى « **وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ** » وذكر المصنف فى **الباب أربعة أحاديث منها :**

الحديث الاول : عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ، ثم اعتكف أزواجه بعده . وفى لفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فى كل رمضان فاذا صلى الغداة جاء مكانه الذى اعتكف فيه ،الكلام عليه من وجوه .

أحدها ــ فيه استحباب الاعتكاف وتأكده حيث واظب عليه حتى توفى رسول الله ﷺ والاجماع قائم على استحبابه ، وأنه غير واجب ، وأنه مؤكد فى العشر الأواخر من رمضان لأنه خاتمة الصيام ، ولعله يصادف ليلة القدر ، وقد أشعرتا كذا استحبابه بقولها ثم اعتكف أزواجه بعده ، وبقولها فى كل رمضان .

الثانى : فيه استواء الرجل والمرأة فى شرعية الاعتكاف ، نعم ان كانت من وجه فلا يجوز الا باذن الزوج بالاجماع ، فلو أذن لها ثم منعها فقال : الشافعى وأحمد وداود له

البقية ص ١٠٠٨

في اللغة والأدب والنقد

الوقف على الساكن والمتحرك غير المهموز

المنهج الابداعي للآمدي الناقد

نظرات في بلاغة الفعل

أبو حيان التوحيدي

الوقف على الساكن

و

المتحرك غير المهموز

أما الساكن فلا يوقف عليه الا بالسكون .

قال الرضى : وان كان آخر الكلمة ساكنا نحوكم ، ومن : فلا يجوز معه وجه من وجوه الوقف : بل تقف بالسكون أ هـ .

والمتحرك حركة عارضة فى حكم الساكن ، لأنها لا تكون الا فى الوصل . فاذا وقفنا عليه ذهبت الحركة العارضة وعاد الموقوف عليه الى السكون فتعين الوقف عليه بالسكون، وذلك نحو : وقالت اخرج (ومن يشأ الله يضلله) . (ولقد استهزىء) فالحركة فى (قالت) و (يشأ) و (لقد) عارضة لالتقاء الساكنين فاذا وقفنا عليها ــ وقفنا بالسكون : لأنه الأصل .

أما المتحرك حركة أصلية ــ فلك فى الوقف عليه خمسة أوجه ــ عند تحقق الشروط ، وهى ، الاسكان ، الروم ، الاشمام ، التضعيف ، النقل .

الاسكان : هو عدم الحركة : وعلامته (ﺧ) فوق الحرف الموقوف عليه وهى حرف أول لفظ خفيف ، لأن الاسكان تخفيف (وقد رسمت فى كتاب سيبويه هكذا ــ خ ــ) ، ولذلك جاز فى كل متحرك الا فى المنون المنصوب فى لغة غير ربيعة ، أما ربيعة فقد عرفت أنهم يسكنون آخر المنون المنصوب عند الوقف .

وذهب الجمهور الى أن الوقف بالاسكان متعين دون غيره عند الوقف على هاء التأنيث ، وميم الجمع ، والحركة العارضة ، وقد أجاز بعضهم الروم والاشمام فى الثلاثة ، كما أجاز الاسكان ، وقد نسب لمكى من القراء جواز

للأستاذ الدكتور
عبد العظيم الشناوى

الروم والاشمام فى ميم الجمع — راجع الشاطبية .

الروم : بفتح الراء — هو الاتيان بالحركة خفية لبيان الحركة التى تحرك بها آخر الكلمة فى الوصل — وذلك : اما حركات اعراب ، وهم بشأنها أعنى ، لدلالتها على المعانى فى الأصل ، واما حركات بناء كأين ، وأمس ، وقبل .

وعلامة الروم خط بين يدى الحرف هكذا (خالد ـ) ،وسمى روما لأنك تروم الحركة مختلسا لها ولا تتمها ، ويدركه الأعمى الصحيح السمع ، اذا استمع لأن فى آخر الكلمة صويتا خفيفا . أ هـ شرح الشافية جـ ٢ ص ٢٧٥ .

والغرض منه بيان الفرق بين ما كان سكونه أصليا وما كان سكونه عارضا للوقف .

قال سيبويه (جـ٢ ص ٢٨٢) وأما الذين راموا الحركة فانهم دعاهم الى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه اسكان على كل حال وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال أهـ .

ويجىء الروم فى المضموم والمكسور : أما المفتوح فان كان منونا فلا خلاف فى أنه لا يجوز فيه الروم الا على لغة ربيعة التى تحذف التنوين وتقف بالسكون واذا لم يكن منونا : نحو رأيت الرجل ، وأحمد — فمذهب الفراء من النحاة أنه لايجوز روم الفتح فيه ، لأن الفتح لا جزء له لخفته ، وجزؤه كله ، وعند سيبويه وغيره من النحاة يجوز فيه الروم كما فى المرفوع والمجرور . أهـ الشافية جـ٢ ص ٢٧٥ .

قال سيبويه : وأما ما كان فى موضع نصب أو جر فانك تروم فيه الحركة وأما روم الحركة فقولك : رأيت الحارث ومررت بخالد (١) . أ هـ جـ ٢ ص ٢٨٣ .

الاشمام : هو ضم الشفتين بعد الاسكان فى المرفوع والمضموم للاشارة للحركة من غير صوت ، ولذلك لا يدركه الأعمى .

وعلامته نقطة بين يدى الحرف هكذا (خالد .) لأنه أضعف من الروم اذ لا ينطق فيه بشىء من الحركة بخلاف الروم ، والنقطة أخف من الخط ولا يكون الا فى المضموم والمرفوع . نحو ، من قبل ، وجاء خالد .

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٣) : فأما الاشمام فليس اليه (الى ما كان فى موضع نصب أو جر) سبيل ، وانما كان ذا فى الرفع ؛ لأن الضمة من الواو فأنت تقدر أن تضع لسانك فى أى موضع من الحروف (الموقوف عليها) شئت ثم تضم شفتيك ، لأن ضمك

(١) ووضع فوق التاء علامتى الاسكان والروم ولم يضع علامة الروم بين يدى الحرف كما يفعل النحويون ، مع أنه قال : ولروم الحركة خط بين يدى الحرف .

شفتيك كتحريكك بعض جسدك واشمامك فى الرفع للرؤية وليس بصوت للأذن ألا ترى أنك لو قلت : هذا معن ، فأشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها اذا لم تشمم فأنت تقدر على أن تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية (١) الصوت ثم تضم شفتيك ولا تقدر على أن تفعل ذلك ثم تحرك موضع الألف والياء ، فالنصب والجر لا يوافقان الرفع فى الاشمام ، وهو قول العرب ويونس والخليل أ هـ •

وخلاصة هذا الكلام أنك تستطيع أن تصور بشفتيك الضمة من غير صوت لأنهما آلة الضمة ولا تستطيع أن تصور بشفتيك الكسرة لأنها جزء الياء التى مخرجها وسط اللسان — ولا الفتحة لأنها جزء الألف التى مخرجها الحلق وهما محجوبان بالشفتين والسن فلا يمكن المخاطب ادراك تهيئة المخرجين

وأما ما عزى الى الكوفيين من تجويزهم الاشمام فى الجر والنصب فمحمول على الروم لأن بعض الكوفيين يسمى الروم اشماما ولا مشاحة فى الاصطلاح أ هـ أشمونى •

هذا ، والغرض من الاشمام هو الغرض من الروم الا أن الروم أتم فى البيان من الاشمام لأنه يدركه الأعمى والبصير والاشمام لا يدركه الا البصير •

التضعيف : تشديد الحرف الذى يوقف عليه •

والغرض منه : الاعلام بأن هذا الحرف متحرك فى الأصل بحركة اعرابية أو بنائية — كالروم والاشمام ، فالثلاثة الغرض منها واحد •

قال الرضى : فالذى أشم نبه عليه بهيئة الحركة ، والذى رام نبه عليه بصويت ضعيف فهو أقوى فى التنبيه على تحرك الحرف من الاشمام ، والذى ضعف فهو أقوى تبينا لتحرك الحرف فى الوصل ممن رام • لأنه نبه عليه بالحرف ، وذاك ببعض الحركة — أ هـ •

شافية جـ ٢ ص ٣١٥ ، وسيبويه جـ ٢ ص ٢٨٢ •

وعلامة التضعيف الشين على الحرف ، وهو أول « شديد » :

وهو أقل استعمالا من الروم والاشمام ، لأنه اتيان بالحرف فى موضع يحذف فيه الحركة ، فهو تثقيل فى موضع التخفيف ولذلك لم يرد فى القرآن الا فى كلمة «مستطر» فى سورة القمر عن عاصم — كما فى الهمع للسيوطى عن أبى حيان والتضعيف عند الوقف لا يجوز الا بشروط •

الأول : أن يكون الحرف الذى قبل آخر الكلمة متحركا ، وذلك لأن المقصود بالتضعيف بيان كون الحرف الأخير متحركا فى الوصل ، واذا كان ما قبله ساكنا علم كونه متحركا فى الوصل لئلا يلتقى ساكنان ، فلا يحتاج الى التنبيه على ذلك •

قال سيبويه (جـ ٢ ص ٢٨٣) • فان كان الحرف الذى قبل آخر حرف ساكنا لم يضعفوا

---

(١) التزجية — الدفع برفق .

نحو عمرو وزيد وأشباه ذلك لأن الذى قبله لا يكون ما بعده ساكنا لأنه ساكن أ هـ .

الثانى : ألا يكون الحرف الموقوف عليه همزة ، اذ هى وحدها مستثقلة ولم يرد تضعيفها عن العرب الا اذا كانت عينا نحو : سآل ، واجتنبت تضعيفها فى غير ذلك ، وعلى هذا لا يوقف بالتضعيف على نحو : خطأ ، ومستهزىء ، وهزؤ (١) .

الثالث : ان يكون الموقوف عليه حرفا صحيحا ، اذ يستثقل تضعيف العلة لثقله ، والوقف للاستراحة . فلا يجوز الوقف بالتضعيف فى نحو : رضى وسرو ومثل بعضهم ، بالقاضى والفتى ، واعترض عليه بأن الكلام فى المحرك وهما ساكنان .

والتضعيف يكون فى المرفوع والمجرور مطلقا .

وأما فى المنصوب ، فان كان منونا فليس فيه الا قلب التنوين ألفا الا على لغة ربيعة ، فانهم يجوزون حذف التنوين فلا منع اذا عندهم من التضعيف ، وان لم يكن منونا : نحو رأيت الرجل ، ولن نجعل ، ورأيت أحمد ، فلا كلام فى جواز تضعيفه كما فى الرفع والجر أ هـ .

شافيه جـ ٢ ص ٣١٦ .

النقل : وهو نقل الحركة من الحرف الأخير للساكن الصحيح قبله : وهو قليل كقلة التضعيف الا فى الهمزة (٢) ولذلك لم يرد فى القرآن الكريم الا ما روى عن أبى عمرو أنه وقف على قوله تعالى « **وتواصوا بالصبر** » بكسر الباء — وما روى عن سلام — أنه قرأ « والعصر » بكسر الصاد — وعلل الرضى لقلته بأنه يلزم عليه تغير بناء الكلمة فى الظاهر بتحرك العين الساكن ، مرة بالضم ، ومرة بالفتح ، ومرة بالكسر ، وان كانت الحركة عارضة (٣) ، وأيضا انتقال الاعراب الذى حقه أن يكون على الأخير الى الوسط .

ثم قال : وانما سهل لهم ذلك الفرار من التقاء الساكنين والضن بالحركة الاعرابية الدالة على المعنى ، ولو ثبت ذلك فى نحو « منذ » من المبنيات فالمسهل الفرار من الساكنين فقط (٤) أ هـ ش جـ ٢ ص ٣٢١ .

والنقل ثابت فى . المرفوع والمجرور اتفاقا ، وأما فى النصب : فان كان الاسم منونا فلا يثبت الا فى لغة ربيعة لحذفهم الفتحة أيضا ، وان لم يكن منونا فقد منعه سيبويه وقال : لا يقال رأيت البكر ، بناء على أن اللام عارضة ، والأصل التنوين ، فالمعرف باللام فى حكم المنون ، وغير سيبويه جوزه ، لكونه مثل المرفوع والمجرور سواء فى وجوب اسكان اللام (٥) — أ هـ شرح الشافية جـ ٢

(١) مثل بعضهم : بسماء ، وبناء — وهذا لايجوز تضعيفه وان لم يكن فى آخره همزة لان ما قبل الاخر ساكن — وقال الرضى: وأجاز عبد القاهر تضعيف الحرف اذا كان قبله مدة ، كسعيد وثمود نظرا الى امكان اجتماع اللين والمضعف الساكن بعده : ويدفعه السماع والقياس — ا هـ ش جـ ٢ ص ٣١٥ .

(٢) سنعقد فصلا خاصا للوقف على المهموز الآخر .

(٣) اعرابية لانها غير ثابتة لتأثرها بالعوامل .

(٤) لأن الضمة فى منذ للبناء لا للاعراب ،ونقل حركة البناء فيها خلاف .

(٥) هذا الخلاف فى غير المهموز .. أما المهموز فسيأتى أن النقل فيه متفق عليه .

ص ٣٢١ .

قال سيبويه « هذا باب الساكن الذى قبل آخر الحروف فيحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين » (٢) .

وذلك قول بعض العرب : هذا بكر — بضم الكاف — ومن بكر — بكسرها — ولم يقولوا : رأيت البكر — بفتح الكاف — لأنه فى موضع التنوين وقد يلحق ما يبين حركته (٣) والمجرور والمرفوع لا يلحقهما ذلك فى كلامهم .

ومن ثم قال الراجز (بعض السعديين) :

*** أنا ابن ماوية اذ جد النقر (٤) ***

أراد النقر — باسكان القاف — ولا يقال فى الكلام (٥) الا النقر . باسكان القاف فى الرفع وغيره — أ هـ .

والنقل لا يتحقق الا بشروط :

الأول : أن يكون الحرف الذى قبل الآخر ساكنا . نحو : الصبر ، والحمل ، والقفل فان كان متحركا فلا يجوز النقل اليه ، لأن المتحرك لا يقبل الحركه فلا يجوز الوقف بالنقل فى مثل : أسد ، وعضد ، وفخذ .

الثانى : ألا يكون هذا الساكن مما يتعذر تحريكه أو يستثقل .

فالأول : نحو ، باب ، وكتاب .

والثانى : نحو قنديل ، وعصفور ، فانه لا يمكن تحريك الألف ، وتستثقل الحركة على الواو والياء ولا يجوز النقل فى المدغم نحو ، يغز ، ويعض ، ويمر لأنه يؤدى الى فك الادغام فيما امتنع فيه الفك — وكون هذا من المتعذر ، أو من المتعسر خلاف لا يترتب عليه شىء .

الثالث : ألا تكون الحركة فتحة فى غير المهموز : وقد تقدم أن هذا الشرط موضع خلاف — وذكر الرضى أن الخلاف فى غير المنون (١) أما المنون فلا نقل فيه الا على لغة ربيعة — ولكن ابن مالك جعل الخلاف فى المنون وغيره وتبعه الأشمونى .

قال ابن مالك :

ونقل فتح من سوى المهموز لا
يراه بصرى وكوف نقلا

وقال الأشمونى : يعنى أن البصريين منعوا نقل الفتحة اذا كان المنقول عنه غير همزة فلا يجوز عندهم : رأيت بكر ، ولا ضربت الضرب بالنقل — لما يلزم على النقل حينئذ فى المنون من حذف ألف التنوين ، وحمل غير المنون عليه ، وأجاز ذلك الكوفيون ونقل عن الجرمى أنه أجازه (٢) . وعن الأخفش أنه أجازه فى المنون على لغة من قال : رأيت بكر (١) أ هـ

---

(٢) أى السكون الذى قبل الآخر والسكون العاض للوقف .

(٣) أى أن اللام عارضة والأصل فيه التنوين وقد يحق المنون الالف المبينة للفتحة فلسنا فى حاجة الى انقل لبيان الحركة ، أما المرفوع والمجرور فلا يلحقها ما يبين حركتهما فنقلنا فيهما لبيان الحركة .

(٤) قال الاعلم : الشاهد فيه القاء حركة الراء على القاف للوقف — والنقر — صويت يسكن به الفرس عند احتمائه وشدة حركته أى أنا الشجاع البطل اذا احتمت الخيل عند اشتداد الحرب ا هـ .

(٥) أى فى الوصل .

(١) فذكر أن سيبويه يمنعه والنحاه يجيزونه .

(٢) أى مطلقا كالكوفيين . ا هـ صبان .

(١) يعلم منه أنه يجيزه فى غير المنون لانتفاء المحذور فيه — ا هـ صبان .

وقال ابن هشام فى التوضيح : وأجاز ذلك (النقل فى الفتحة) الكوفيون والأخفش .

وبعد هذا الاضطراب فى النقل يكفينا أن نعرف أن نقل الفتحة فيه خلاف — وأن هذا الخلاف فى غير المهموز — أما المهموز فالنقل فيه جائز — كما سيأتى :

الرابع : أن يكون الحرف المنقول عنه صحيحا فلا ينقل من نحو ظبى ، ودلو .

قالوا : لأن النقل يؤدى الى تلو الياء ضمة . وكون الآخر واوا قبلها ضمة فى المرفوع ، وقلب الواو ياء لوقوعها بعد كسرة فى المخفوض ، وحمل اليائى المخفوض على غيره أ هـ صبان .

الخامس : ألا يؤدى النقل فى غير المهموز الى بناء مهمل فى العربية أو نادر .

فلا يصح نقل ضم الى ما قبله كسر نحو هذا بشر : لأنه يؤدى الى وزن مهمل (٢) ولا يجوز نقل كسرة الى ما قبله ضم نحو ، انتفعت بقفل : لأنه يؤدى الى وزن نادر (٣).

وأصحاب النقل لما رأوا أن النقل فى مثل ما ذكرنا يؤدى الى عدم النظير أتبعوا العين الفاء فى حركتها — وكأنهم بذلك يحرصون على التخلص من التقاء الساكنين :

قال الرضى : فلم يقولوا : هذا عدل — بكسر فضم — ولا من قفل — بضم فكسر ، بل من كان ينقل فى نحو بكر اذا اتفق له مثل عدل وقفل أتبع العين الفاء فى الرفع والنصب والجر ، فيقول : هذا العدل والقفل ، ورأيت العدل والقفل ، ومررت بالعدل والقفل — بكسر العين والدال . وضم القاف والفاء فى الجميع لأنه لما لزمه تسوية الرفع والجر فيهما لئلا يؤدى الى الوزن المرفوض أتبعهما المنصوب . وجعل الأحوال الثلاث متساوية أ هـ ج ٢ ص ٣٢٢ » .

واليك ما قاله سيبويه بعد هذا العرض الواضح قال (ج ٢ ص ٢٨٤) .

وقالوا : هذا عدل وفسل فأتبعوها الكسرة الأولى (١) ولم يفعلوا ما فعلوا بالأول (٢) لأنه ليس من كلامهم فعل — بكسر فضم — فشبهوها بمنتن — بضم التاء تبعا للميم أتبعوها الأول .

وقالوا : « فى البسر » — بضمتين — ولم يكسروا فى الجر (٣) لأنه ليس فى الأسماء فعل — بضم فكسر — فاتبعوها الأول .

وقالوا : رأيت العكم (٤) — بكسرتين — فلم يفتحوا الكاف كما لم يفتحوا كاف البكر ، وجعلوا الضمة اذ كانت قبلها بمنزلتها اذا كانت بعدها وهو قولك : رأيت الحجر — بضمتين — وانما ذلك فى هذا . لأنهم لما جعلوا ما قبل الساكن فى الرفع والجر مثله

---

(٢) وهو فعل بكسر فضم .

(٣) وهو فعل بضم فكسر .

(١) أى أتبعوا العين كسرة الفاء ، فكسروهما فى عدل وفسل عند الوقف والعدل بكسر الاول : المثل والفسل ، بالكسر ، الأحمق .

(٢) أى لم ينقلوا حركة الاعراب الى العين .

(٣) أى لم ينقلوا حركة الراء المجرورة الى السين لأن هذا النقل يؤدى الى « فعل » بضم فكسر وهو ليس من كلامهم .

(٤) العكم ، بالكسر ، العدل ، بكسر العين . وماعكم به المتاع ، يقال : عكم المتاع من باب ضرب شده والعكم والعكام الخيط الذى يعكم به .

بعده صار فى النصب كأنه بعد الساكن (٥) .

واعلم أن المتقدمين من النحاة لم يجيزوا النقل الا فى الحركات الاعرابية .

قالوا : لأن حرصهم على معرفة حركة البناء ليس كحرصهم على معرفة حركة الاعراب لشرفها وذهب بعض المتأخرين الى جواز نقل حركة البناء .

قالوا : لأن الحرص على حركة البناء آكد ، لأن حركة الاعراب لها ما يدل عليها وهو العامل (١) اه أشمونى .

ومع هذا : أجازوا نقل حركة هاء المذكر الى الساكن قبلها لخفائها .

قال الشاعر (وهو زياد الأعجم) :

عجبت والدهر كثير عجبه

من عنزى سبنى لم أضربه (٣)

وقال أبو النجم :

*** فقر بن هذا وهذا أزحله * (١)**

ثم قال : وسمعنا بعض بنى تميم من بنى عدى يقولون : قد ضربته وأخذته كسروا (التاء) (٢) حيث أرادوا أن يحركوها لبيان الساكن الذى بعدها ، لا لاعراب يحدثه شىء قبلها كما حركوا بالكسر اذا وقع بعدها ساكن يسكن فى الوصل ، فاذا وصلت أسكنت جميع هذا لأنك تحرك الهاء فتبين وتتبعها واوا ، كما أنك تسكن فى الهمزة اذا وصلت فقلت : هذا وثء (٣) كما ترى لأنها تبين ، وكذلك قد ضربته فلانة ، وعنه أخذت فتسكن كما تسكن اذا قلت : عنها أخذت ، وفعلوا هذا بالهاء ، لأنها فى الخفاء نحو الهمزة أ هـ جـ ٢ ص ٢٨٧ .

وقد لخص أبو سعيد السيرافى ما قاله سيبويه فى اللغتين تلخيصا واضحا فقال انما اختاروا تحريك ما قبل الهاء فى الوقف اذا كان ساكنا ، لأنهم اذا وقفوا أسكنوا الهاء ، وما قبلها ساكن فيجتمع ساكنان ، والهاء خفية ولا تبين اذا كانت ساكنة وقبلها ساكن فحركوا ما قبلها لتبين الهاء ولا تخفى ، فأكثر العرب يضمون ما قبلها بالقاء حركتها على ما قبلها (وهو ما حكاه سيبويه أولا) وبعض ، وهم بنو عدى لما اجتمع الساكنان فى الوقف وأرادوا أن يحركوا ما قبل الهاء لبيان الهاء حركة بالكسر كما يكسر الحرف الأول لاجتماع الساكنين كقولنا : لم يقم الرجل ، وذهبت الهندات ــ أ هـ .

---

(٥) مجمل هذا الكلام : انه لما كانت الحركة التى قبل الساكن بمنزلة الحركة التى بعده فى كونه يحرك بها عند الوقف . صارت الحركة التى قبل الساكن فى حجر بمنزلة الحركة بعده فكأنه مرفوع وكذلك الحركة التى قبل الساكن فى العكم بمنزلة الحركة بعده فكأنه مجرور ، ومن ثم جاز فى كليهما تحريك العين وان كانا فى محل نصب .

(١) فالنقل عند الوقف على نحو مضى أمس وعلى نحو منذ يمنعه المتقدمون ويجيزه بعض المتأخرين .

(٣) قال الأعلم : الشاهد فيه نقل حركة الهاء الى الباء من قوله ــ أضربه ، ليكون أبين لها فى الوقف لأن مجيئها ساكنة بعد ساكن اخفي لها ، وعنزة ، قبيلة من ربيعة بن نزار وهم عنزة بن أسد بن ربيعة ، وزياد الاعجم من عبد القين وانما سمى الاعجم للكنة كانت فيه .

(١) قال الاعلم : الشاهد فيه نقل حركة الهاء الى اللام وعلته كعلة الذى قبله ومعنى أزحله أبعده ومنه سمى زحل لبعده .

(٢) أى تاء التأنيث التى كانت ساكنة قبل الوقف .. حركوها بالكسر كحركة التخلص من التقاء الساكنين .

(٣) عيب يصيب اللحم .

الفضلة بعد الوصف

للأستاذ / أحمد حسن عبد العواض هلالى (١)

الاسم الفضلة الذى يتلو الوصف العامل المستوفى شروط العمل يجوز نصبه به على المفعولية وهو الارجح لانه الاصل ، ويجوز جره بالاضافة للتخفيف ، نحو اقبل المجاهد شاهر اسلامه طالبا ثاره من عدوه بالنصب ، أو شاهر سيفه وطالب ثاره بالجر من غير تنوين للاضافة ، ان لم يكن ضميراً متصلا ، والا تعين جره (أى اعتباره فى محل جر) بالاضافة ، نحو • هذا مكرمك ، وسليمان ابراهيم معينه على فعل الخير وقد قرىء بالوجهين فى السبع قوله تعالى : (ان الله بالغ أمره) ، وقوله سبحانه (هل هن كاشفات ضره) بنصب أمره وضره على المفعولية وجرهما بالاضافة ، والجر فى الاية الاولى قراءة حفص : والنصب فيها قراءة الباقين ، والنصب فى الثانية قراءة أبى عمرو بن العلاء والجر قراءة باقى السبعة •

وأما الفضلة غير المباشر للوصف أى غير التالى له مباشرة فيتعين نصبه لتعذر الاضافة للفصل بينه وبين الوصف الذى يصلح للاضافة نحو ، هذا معطى الغلام درهما،الرئيس حامل على عاتقه مسئولية ثقيلة ، واسماعيل معلم بكر عمر قادما ، ومنه قوله تعالى : (انى جاعل بكرا عمرا قادما ، ومنه قوله تعالى : **(انى جاعل فى الأرض خليفة)** ، فخليفة منصوب على المفعولية بالوصف (جاعل) لا غير للفصل بين الوصف ومعموله بالجار والمجرور •

أما تالى الوصف غير العامل الذى فقد شروط العمل فيتعين جره بالاضافة ليس غير متى كان فضلة ، نحو ، طالب العون مجاب الطلب ، وكان سائل العفو من الله طامعا فى نيل سؤله ، أما ان كان هذا التالى عمدة أى فاعلا للوصف فيتعين رفعه ، نحو ، هذا غائب أخوه وحاضر غلامه ، ولا يجوز ، هذا غائب

◄

(١) توفى — رحمه الله — سحر الجمعة — الثامن عشر من جمادى الاولى ١٤٠٥هـ — ٨ من فبراير ١٩٨٥ م ، تقبله الله قبولا حسنا • « مجلة الازهر »

أخيه وحاضر غلامه بالاضافة أما غير التالى للوصف غير العامل فيتعين نصبه واحدا كان أو أكثر ، نحو هذا معطى أمس الفقير درهما ، وهذا معلم بكر أمس خالدا ناجحا ، والناصب له حينئذ فعل مضمر تقديره ، أعطاه أمس درهما ، وأعلمه أمس خالدا ناجحا .

وأجاز السيرافى أن ينصب غير التالى للوصف به ، لأنه اكتسب بالاضافة الى الاول شبها بالمقترن بأل من حيث امتناع تنوينه والمقترن بأل يعمل ولو كان بمعنى الماضى واكتسب شبها بالمنون من حيث امتناع اضافة ثانية ، ولكن تلك العلة الثانية لا أثر ولا ثمرة لها وينبغى ألا يلتفت اليها ، لأن اسم الفاعل المنون ان كان بمعنى الماضى لا ينصب المفعول بل يجب ترك تنوينه واضافته لما بعده فمشابهته للمنون لا تقتضى عمله النصب ، ولا يجوز أن يعمل الوصف فى غير التالى له الجر ، لأن الاضافة الى الأول تمنع الاضافة الى غيره فيتعين اذا النصب ، اما بفعل مضمر أو بالوصف غير العامل نفسه للضرورة .

تابع المجرور بالوصف العامل

اذا أتبع الاسم الفضلة المجرور باضافة الوصف العامل اليه ،بأحد التوابع الخمسة المعروفة فانه يجوز جر هذا التابع مراعاة للفظ المتبوع وهو الأرجح ، ويجوز نصبه مراعاة لمحله ولو كان اعرابه تقديريا نحو على مكرم الفتى وصاحبه ، وذلك مثل قول الناظم:

كمبتغى جاه ومالا من نهض ، ويجوز أن تقول هذا مبتغى جاه ومال ، وقول الشاعر :

هل أنت باعث دينار لحاجتنا
أو عبد رب أخاعون بن مخراق (١)

فقد نصب عبد رب عطفا على محل دينار المجرور بالوصف العامل وهو باعث وناصبه هو الوصف نفسه المضاف الى المعطوف عليه ، ولا حاجة لتقدير ناصب آخر غيره وهذا هو مذهب الكوفيين وجماعة من البصريين ووافقهم ابن مالك ، وأما سيبويه فانه يرى ضرورة ناصب آخر غير الوصف المضاف ، فعلا كان المقدر لأنه الأصل فى العمل ، أو وصفا منونا وهو الأولى ليطابق الوصف المقدر الملفوظ به، ولأن حذف المفرد أخف من حذف الجملة .

ذلك لأن شرط جواز العطف على المحل عند سيبويه وجود الطالب لذلك المحل وهو غير موجود هنا ، لأن اسم الفاعل انما يعمل النصب اذا كان منونا أو مقترنا بأل أو مضافا الى أحد مفعولية أو مفاعيله ، فضارب مثلا فى قولك : ضارب كعب وسعيد ليس طالبا لنصب كعب بل لجره لأنه غير عامل لكونه فقد أحد شرطى العمل وهو الاعتماد على ما يقربه من شبه الفعل .

ويجوز جر عبد رب فى البيت بالعطف على لفظ دينار المجرور بل هو الأرجح .

أما تابع المنصوب بالوصف العامل فيتعين نصبه نحو شعبان موافق صديقه المخلص فى

(١) باعث دينار : مرسله رسولا لقضاء حاجتنا ودينار ، اسم رجل ، وكذا عبد رب ، وعون .

رأيه ، ونحو الموقف الراهن جامع العرب والمسلمين على نهج واحد ، فلا يجوز فى المخلص والمسلمين التابعين لصديقه والعرب الا النصب ، ولا يجوز فيهما الجر مراعاة لمحل المعطوف عليه خلافا لنحاة بغداد ، لأن شرط العطف على المحل أن يكون بالأصالة ، والأصل فى الوصف المستوفى شروط العمل أن يعمل النصب فيما بعده لا لحاقه بالفعل .

فان كان الوصف غير عامل متعين الاضافة لما بعده ثم نصب تابع ما بعده فان نصبه حينئذ يكون باضمار فعل مناسب للوصف من مادته ، مثل قوله تعالى :

« وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا » فالشمس ليس منصوبا بالعطف على محل الليل ، لأن الوصف (جاعل) غير عامل وانما الشمس اذا منصوب على اعتبار أنه مفعول أول لفعل مضمر ينصب مفعولين ، والقمر معطوف على الشمس ، وحسبانا المفعول الثانى ، والتقدير ، وجعل الشمس والقمر حسبانا ، فلا يجوز أن يكون منصوبا باضمار وصف منون مطابق للمذكور لأنه مثله وهو غير عامل كما ذكرنا ولا بالعطف على محل المجرور باضافة الوصف لأن الوصف لا يعمل فيه النصب الا اذا قصد حكاية الحال الماضية ، فيجوز حينئذ نصب الشمس باضمار وصف منون أو بالعطف على محل الليل ، لأن جاعل على هذا التقدير عامل لكونه صار بمعنى يجعل

واذا كان الوصف (اسم الفاعل) مفيدا للاستمرار فى جميع الأزمنة ففى اضافته اعتباران : **أولهما** ، أنها اضافة محضة ومعنوية مراعاة لمعنى المضى فيه ، وبهذا الاعتبار يقع صفة للمعرفة ولا يعمل ، نحو قولك : هذا الفريق هازم الأعداء ثانيهما ، أنها اضافة لفظية غير محضة باعتبار معنى الحال والاستقبال فيه ، وبهذا الاعتبار يقع صفة للنكرة ويعمل فيما أضيف اليه نحو ذلك فارس شاهر السلاح فى مواجهة الأعداء، ويجوز أن تقول شاهر سلاحه بقطعه عن الاضافة وتنوينه فعلى هذا يجوز أن يكون الشمس معطوفا على محل الليل باعتبار عمل جاعل فيه لصدقه على الحال والاستقبال ، وأن يكون منصوبا باضمار فعل ماض باعتبار عدم عمل الوصف النصف فيما أضيف اليه لصدقه على الماضى فقط فلا يصح العطف عليه بالنصب ، وعلى هذا يحمل ما ذهب اليه الزمخشرى من جواز عطف الشمس بالنصب على محل الليل .

اسم الفاعل . واسم المفعول

يفترق اسم المفعول القاصر ، وهو المصوغ من المتعدى لواحد عن اسم الفاعل فى أن اسم المفعول هذا اذا قصد به الثبوت والدوام يرفع معموله السببى على الفاعلية لاعلى النيابة عن الفاعل كالفعل المبنى للمجهول ، ويخفضه باضافته اليه ، وينصبه على التشبيه بالمفعول به ان كان معرفة وعلى التمييز ان كان نكرة الحاقا له بالصفة المشبهة ، نحو حسين محمود خصاله أو محمود الخصال أو خصالا وجمال ممدوح خلقه أو ممدوح الخلق أو خلقا ، وعادل مشكور صنيعه أو مشكور الصنيع أو صنيعا

٥

حكم الاسم

على حد قولهم : حسن وجهه ، وحسن الوجه، وحسن الوجه وحسن وجها • أما بالنسبة لاسم الفاعل ففي شأنه تفصيل ، خلاصته أن اسم الفاعل المصوغ من اللازم وقصد ثبوت معناه حكمه حكم اسم المفعول في جواز اضافته لمرفوعه اتفاقا نحو ، عدى صارم الحديث ، واضح الصوت ناضج العقل ثاقب الفكر معتدل القامة ضامر البطن مكتنز العضلات مشرق الوجه وان صيغ من متعد لأكثر من مفعول واحد ، نحو ، أنا سائل الله العفو ، ومحمد مانح المحتاجين معونة قيمة وابراهيم كاس فقراء حيه ثيابا فشبيه وجاعل أبامهم سعيدة فانه لايعامل كاسم المفعول ، وتمتنع اضافته لمرفوعه اتفاقا ، فلا يجوز أن تقول هشام معطى أبيه العافين احسانا جزيلا •

وان كان مصوغا من المتعدى لواحد ففيه خلاف : فابن مالك يرى وفاقا لأبى على الفارسى جواز اضافته لمرفوعه عند أمن التباس اضافته الى الفاعل بالاضافة الى المفعول به مع جواز ذكر المنصوب بعد المضاف اليه ، نحو حاتم راحم الاخوة الضعفاء ، أى أن اخوته يرحمون الضعفاء ، فان لم يؤمن اللبس لم تجز الاضافة ، والجمهور يمنعون اضافته مطلقا كالمأخوذ من المتعدى لأكثر من مفعول واحد • وفصل قوم منهم ابن عصفور وابن أبى الربيع فقالوا : ان حذف مفعوله اقتصارا جازت اضافته لمرفوعه لأنه يصير حينئذ كاللازم والا فلا تجوز الاضافة ، والسماع يؤيد هذا وشاهده من اللازم قول عبد الله بن رواحة :

فيارب انى من عذابك خائف
وانى اليك تائب النفس باخع

فتائب اسم فاعل من تاب وهو لازم وقد أضيف الى مرفوعه معنى ، وهو النفس وشاهده من المتعدى لواحد قول الشاعر :

ما الراحم القلب ظلاما وان ظلما
و لاالكريم بمناع (٢) وان حرما

فالراحم اسم فاعل من رحم وهو متعد لواحد وقد أضيف الى فاعله ، وهو القلب بعد أن حذف مفعوله اقتصارا • وابن مالك والفارسى يجيزان هذا بشرط أمن اللبس والجمهور على منعه سواء أمن اللبس أو لم يؤمن ويلحقونه بالمتعدى لأكثر من واحد كما سلف •

أحمد حسن عبد العواض هلالى

---

(١) تائب النفس : تاب من ذنبه يتوب توبا وتوبة أقلع عنه وتركه ، باخع بخع نفسه ، قتلها من وجد أو غيظ •

(٢) ظلاما : منسوبا الى الظلم ، أى ذا ظلم ، كقوله تعالى « وما ربك بظلام للعبيد » • وليس المراد المبالغة ، وكذا قوله : بمناع : أى بذى منع •

النهج الابداعي للآمدي الناقد

بقلم الاستاذ الدكتور
عبد الحميد محمد العنبيسى

« وما أحسن المعنى الصحيح اذا أتى به الطبع النقى ، وكان قائله مخبرا بالأمر على ما هو » ..

(الحسن بن بشر الآمدى)

يأتى هذا البحث على طريق تأصيل الفكر النقدى والبلاغى عند العرب والمسلمين .

وفى تقديرى أن أهمية الحديث عن « النهج الابداعى للآمدى الناقد » — من خلال رؤية علمية محايدة منصفة — تعود الى مجموعة من الدوافع أبرزها :

١ — أن الآمدى الناقد أصدق تعبيرا عن الأصالة العربية والاسلامية فى دراسته النقدية ، اذ هو معلم من معالم القرن الرابع الهجرى — العصر الذهبى للفكر الحضارى والنقدى عند العرب والمسلمين — ولقد ظل الآمدى محتفظا بثقافته وذاتيته العربية ، مع حذقه الثقافة الأجنبية المترجمة الى العربية وقتئذ ، فما فتنه بريق تلك الثقافة الوافدة ، وماذاب كما ذاب معاصره (قدامة بن جعفر سنة ٣٣٧ هـ) صاحب « نقد الشعر » فى خضم النقد الاغريقى والأرسطى !! .

٢ — أن الآمدى يمثل ظاهرة فريدة بين نقاد القرن الرابع الهجرى ، بما ابتكره من جعل الموازنة الأدبية » منهجا نقديا بعد أن كانت اتجاها أدبيا ، تلك الموازنة التى تعتبر بحق أرقى المناهج النقدية وأدقها فى القديم والحديث والمعاصر على سواء ..

٣ — أنه على الرغم من اجماع النقاد العرب المحدثين على سمو مكانته العلمية والنقدية ، اذ هو أعظم نقاد الأدب العربى ، بل هو زعيم النقد العربى الذى لا يدافع (١)،

(١) مندور : د . محمد (النقد المنهجى عند العرب ص ٩٨) .

النهج الإبداعى

فانه مع الأسف الشديد ـ قد ظهر اتجاه مؤخرا عند بعض (٢) دعاة المناهج الغربية فى النقد ، على صفحات مجلة النقد الأدبى : « فصول » ـ يطعن فى قيمة هذا الناقد المنهجى العملاق ، ويهون من شأنه !!

٤ ـ أن الآمدى كان يجعل القرآن الكريم مثله الأعلى ، ومقياسه الأسمى ، فعمد الى اجراء الموازنات (٣) بين القرآن وبين الانتاج الأدبى والشعرى ، ليبين أن القرآن فى مستوى (٤) يرتفع على كل أدب وشعر ، وأنه لا يمكن مجاراته أو اللحاق به ، اذ القرآن قمة البلاغة وذروتها ، تلك البراعة المتناهية التى هى مناط اعجازه !!●

٥ ـ أن الآمدى قد وعى الارتباط الوثيق بين موضوعية النقد ، وحتمية الذوق ، فى العمل النقدى ، واضعا المقياس الأدبى ميزانه للشعر ، ومعياره فى المفاضلة بين أبى تمام والبحترى !! ●

٦ ـ أن معايشتى الطويلة للآمدى فى قاعات الدروس ، وأروقة البحث ، قد جعلتنى أكثر ايمانا بأن هذا الرجل لم يأخذ حقه من الدراسة المتأنية العميقة المستقصية لجوانبه الابداعية فى النقد ، وأنه كلما تصفحت « الموازنة » تراءت أمامى صور مشرقة متألقة جديدة ، تدل على نفاذ البصر ، وقوة البصيرة عند ناقدنا الكبير ، فازداد تشبثا بكتاب « الموازنة » وعكوفا عليه ، لأكتشف عن مكنونات هذا السفر الرائع !! ●

٧ ـ أن « الموازنة » كما وسمها الآمدى نفسه : « رسالة » (٥) ، ومن ثم آمن بها ، وارتكز فيها على أصول بلاغية ، مما جعلها دراسة تطبيقية عملية للصورة الفنية فى شعر الطائيين وغيرهما ، فاكتسبت تلك « الرسالة » منزلة رفيعة بين كتب التراث النقدى التطبيقى التحليلى ، كما تبوأ الآمدى بها موقع الريادة على طريق النقد التطبيقى العربى بعامة والنقد البيانى بخاصة !! ●

٨ ـ أن « الموازنة » أول وأضخم كتاب عربى فى فن «الموازنة الأدبية» كمنهج نقدى ، بعد أن كانت تلك الموازنة فنا أدبيا خالصا !!●

٩ ـ أن « الموازنة » ترجمة حية صادقة لتلك المشاركة الايجابية التى هرع اليها ناقدنا العظيم ، ليحسم خصومة قد تفاقمت ، وصراعا قد استبد وطال بين أنصار القديم من الحافظين وبين أنصار الحديث من المجددين وبخاصة فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى ، حين تصاعدت تلك الخصومة حول الطائيين : (أبو تمام والبحترى) « أيهما أشعر » ؟ فلا بدع أن يكون الآمدى قاضى هذا النزاع فى نزاهة تجافى الهوى والتحزب ، وحيدة تنبذ الشطط والتعصب !!●

١٠ ـ أن أسلوب « الموازنة » القائم على

---

(٢) القط : د . عبد القادر (بحث النقد العربى القديم والمنهجية) عدد ٣ ص ١٣/١٤ .

(٣) اسماعيل : د . عز الدين (الأسس الجمالية فى النقد العربى) بتصرف ص ١٨٩ .

(٤) الآمدى : الحسن بن بشر (انظر .. الموازنة حـ ١ ص ١٤ / ١٦ ، ص ٢٦٨ / ٢٦٩ . ص ٣٩٢) .

(٥) المصدر السابق : حـ ١ ص ٥٧ .

الحوار ، والحكمة ، والشمول ترك الحكم النهائى للقارىء الحصيف ، تنمية للملكات النقدية عند القارئين ، ونبذا للتقليد والمقلدين ، فيأتى الجواب معبرا عن ارادة الدارسين : « أى الرجلين أشعر ؟ » ..

أن هذا الأسلوب - بلاشك - هو ارساء لأسس جديدة (٦) ، نراها لأول مرة فى الساحة النقدية العربية ، وقد أخذ بها المعاصرون فيما يسمونه « علم النقد الأدبى المقارن » ، وهو فن حادث - كما هو متعالم - فى دنيا النقد الغربى المعاصر !! .

هذا وقد حددت منهجى فى هذا البحث ، فأقمته على تمهيد ، وفصول ثلاثة ، وخاتمة :

ففى التمهيد :

تعريف موجز واف بالآمدى الناقد ، وثقافته ، وظهور فن الموازنات الأدبية العربية ، وموقع الآمدى منها .

وفى الفصل الأول : توضيح لمنهجه النقدى بعامة ، وفى الموازنة بخاصة .

وفى الفصل الثانى : تناول شاف لمقاييسه الابداعية فى النقد .

وفى الفصل الثالث : استجلاء لوجوه النقد البيانى عنده .

وفى الخاتمة : صورة مضيئة للجوانب البارزة فى هذا البحث .

تمهيد :

الآمدى
(أ) حياته وثقافته

هو أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى الأصل ، البصرى المنشأ ، النحوى الكاتب ، الشاعر الناقد ، ولد فى «البصرة» قبل نهاية القرن الثالث الهجرى بسنوات ، اعتمادا على رواية وردت فى أخباره أنه قد أخذ العلم وتلقاه عن أبى موسى الحامض سنة ٣٠٥ هـ .

أما تحديد مولده بالضبط فأمر لا يقطع به ، لعدم وروده ، وقد توفى رحمه الله بالبصرة سنة ٣٧٠ هـ أو سنة ٣٧١ هـ .

ولقد كانت نشأته بين (بغداد) و (البصرة) ، فلما شب عن الطوق قصد (بغداد) ، واختلف الى مجالس العلماء والنقاد ، فدرس اللغة والنحو والأدب ناهلا من هذه المجالس ، ثم رجع الى (البصرة) ، ليتولى الكتابة للقضاة من (بنى عبد الواحد) ، ثم تفوق فى فن الأدب ، واكتسب شهرة ذائعة فيه ، وانتهت اليه رواية الشعر القديم ، واستقرت فى رحابه .

وكان يكتب ببغداد لأبى جعفر بن هارون ابن محمد الضبى .

وفيه يقول (ياقوت) : « كان حسن الفهم ، جيد الدراية والرواية ، سريع

(٦) العبيسى: د . عبد الحميد « فى نقد الأدب عند العرب ص ٨٤ » .

الادراك (٧) » ، وكان يعرف الشعر ويقوله ، وهذه مدحة من مدائحه :

ياواحـــدا كـان فى الزمـــان
لا من يجـــاريه أو يــدانى
دعنى مـــن نائـــل جـــزيل
يعجز عن شـكره لســـانى
فلســت والله مســـتميحا
ولا أخـــا مطمـع تــرانى
وهب اذا كنت لى وهـــوبا
من بعض أخلاقك الحســـان

وقد أفـــاد كثيرا من أساتذته : الحامض ، والزجـــاج ، والأخـفش ، وابن السراج ، وابن دريد ،ونفطويه ــ وهم أعـلام اللغـــة والنحو والأدب ــ كما تأثر بهم أيما تأثر ، مع ســعة اطلاع ، ورجاحة عقل ، وصفاء ذهن ، ونضج فكر ••

ومن هنا كانت ثقافته لغوية أدبية نقدية ، ولقد تجلت فيما قدمه للمكتبة النقدية والأدبية من آثار بلغت أكثر من أربعة عشر مؤلفـــا ، أبرزها : الموازنة ، والمؤتلف والمختلف •

وهذه الآثار فى مجملها نقدية أدبية ، ممـــا يدل على تخصصــه الدقيـــق فى الفن الأدبى ونقده ، « فهو مليح التصنيف ، جيد التأليف ، متعاط مذهب الجـــاحظ فيمـــا يعملـــه مـــن الكتب (٨) •• » •

(ب) ظهور الموازنات وموقع الآمدى منها :

لقد عرف أدبنا العربى فن الموازنات كلـــون أدبى منذ العصر الجـــاهلى ، لـــدى حـكومة (أم جندب) زوج أمير الجاهليين (امـــرىء القيس) ، حين قضت بينه وبين (علقمة بن عبدة التميمى الفحل) ابن عمها ، حيث قـــال امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها (٩) :

خليلى مـــرا بى على أم جنـــدب
نقض لبـــانات الفـــؤاد المعـــذب

ثم أعقبه علقمة بقصيدته التى مطلعهـــا :

ذهبت من الهجران فى غير مذهب
ولم يك حقـــا كل هـــذا التجنب

فهذه المعارضة أو الموازنة قد اعتمدت على وحدة الموضوع والقافية والـــروى ، وهى ــ فيما أعلم ــ باكورة الموازنات العربية (١٠)••

وفى عصر صدر الاسلام ظهرت مـــوازنات أدبية كانت ثمرة لقاء المشركين بالمسلمين ، بل برزت معارضات شـــعرية وخطـــابية كثيرة ، وبخاصة فى عام الوفود (١١) ••

وفى العصر الأموى اتسعت هذه الموازنات ، وتلك المعارضات ، لعل فى « النقائض » التى كانت محصلة الهجائين الثـــلاثة : جـــرير ،

---

(٧) الحموى : ياقوت « معجم الأدباء » حـ ٨ ص ٧٥

ثم راجع فى ترجمته بروكلمال : كارل (تاريخ الأدب العربى) حـ ٢ ص ١٧٦ •

(مترجم) ، والقفطى : جمال الدين (انبـــاه الرواة) حـ ١ ص ٢٦٥ •

(٨) ابن النديم : الفهرست ص ٢٢٧

(٩) الدينورى : ابن قتيبة (الشعر والشعراء) حـ ١ ص ٢١٨ ، ص ٢١٩

(١٠) العبيسى : د • عبد الحميد (النقـــد الأدبى العربى) ص ٤١/٤٣

(١١) العبيسى : د / عبد الحميد (دراســـات فى الأدب والنقد) ص ٤١

والفرزدق والأخطل — أصدق دليل على اتساع دائرة هذه المعارضات ، لدوافع أهمها العصبية ، وحب الذات ، وتسلط الأنانية ، والبعد عن روح الاسلام ..

ولم يقف الأمر عند موازنة أو معارضة بين نص وآخر ، وانما تعداه الى الحديث عن مذاهب الشعراء فى فنون القول ، واتجاهاتهم فى تصرف معانيه ، فقد جمعوا بين شعراء المذهب الواحد ، ولاحظوا ما عسى أن يكون بينهم من تناسب وارتباط ، فالشاعر (العرجى) مثلا يسلك عندهم مسالك (عمر بن أبى ربيعة) ، ويترسم خطاه ، والشاعر (ذو الرمة) من روح الجاهلية ، وعلى طريقتها فى الشعر ..

ولقد اعتمد النقاد من تلك الفترة فى باب الموازنات على ملاحظة المذهب الشعرى ، واتحاد المعنى أو تقاربه ، فوضعوا بذلك اطارا للموازنات لا ينبغى تخطيه (١٢) » .

فلما جاء العصر العباسى وقد ازدهرت الحياة النقدية والأدبية فى ظلاله رأينا الموازنات تدخل طورا جديدا يتسم بميزتين أساسيتين :

أولاهما : الدراسة العميقة والدقيقة للنصوص التى تكون مجالا للموازنة من جوانبها اللغوية ، والنحوية ، والبلاغية ، والذوقية ..

ثانيتهما : عرض آراء فى النقد تتصل بتحديد مقياس الجودة أو الرداءة فى الشعر .

ومن أجل هاتين السمتين اعتبرت الموازنات العباسية جديدة فى أسلوبها ، وان أشبهت فى مضمونها موازنات نقاد « النقائض » ، ولقد كان الأصمعى الراوية الناقد الألمعى واحدا ممن وضعوا أسسا فى تلك الموازنات على نحو ما تقدم من مراعاة المذهب الشعرى ، انظر اليه مثلا فى موازنته التى تناقلتها كتب التراث الأدبى والنقدى بين (بشار بن برد) ، وبين (مروان بن أبى حفصة) ، حين سئل الأصمعى :

أبشار أشعر أم مروان ؟ .

فقال : بشار أشعرهما ، قال :

وكيف ذلك ؟ .

قال : لأن مروان سلك طريقا كثر سلاكه ، فلم يلحق بمن تقدمه ، (أى اتبع نهج السابقين الأقدمين فى بناء الشعر وصياغته ، أما بشار فقد سلك طريقا لم يسلكه أحد .

وهو مذهب البديع ، والصنعة الزخرفية ، فانفرد به ، وأحسن فيه ، وهو أكثر فنون شعر ، وأقوى على التصرف ، وأغزر وأكثر بديعا ، ومروان آخذ بمسالك الأوائل (١٣) » .

فأنت ترى الأصمعى — من خلال هذه الموازنة — يميل الى الجديد وينصره ، معتمدا

(١٢) عثمان : د . عبد الرحمن (مذاهب النقد وقضاياه) ص ٢٥٣/٢٥٤ « بتصرف »

(١٣) المرزبانى : محمد بن عمران (الموشح) ص ٣٩٢ « بتصرف »

● النهج الإبداعى

فيها على مجموعة من المعايير الموضوعية التى ارتضاها ، لعل أبرزها استقلال الأديب ، وذاتيته البارزة فى نتاجه ، ومدى ابتكاره ، وبعده عن التقليد ، مع الاقتدار على التصرف فى فنون الشعر ، والافتنان الذى يظهر فى قدرة الأديب أو الشاعر على إجادة استعمال البديع كمذهب صياغى فى القريض (١٤) ..

ومن الوضوح بمكان أن هذه المقاييس النقدية ستنمو ، وسيكون لها أثرها فى المعارك النقدية اللاحقة لها ، وما خصومة أبى تمام والبحترى الا ترجمة للصراع بين القديم والجديد ، وهذا ما يبدو لنا جليا عند النظر فى رسالة (ابن المعتز) الناقد الشاعر سنة ٢٩٦ هـ فى « شعر أبى تمام واستحسانه » ، و « أخبار أبى تمام » للصولى سنة ٣٣٦ هـ وهى فى الدفاع عنه ، والتعصب لمذهبه ، لكن تلك الجهود كلها تتضاءل كلها فى وجود كتاب « الموازنة » بين الطائيين موضوع دراستنا هذه ، فانك سترى أن « الموازنة » يأتى فى المرتبة الأولى بين تلك الكتب جميعها ، فقد ألفه ناقد ذواقة اجتمع فيه من المزايا العلمية الموضوعية ، والذوقية ما لم يجتمع لغيره ، فى تجرد عن الهوى ، ونبذ للتعصب ، وقد كان وقوفه على تفاصيل التراث النقدى الذى وصل اليه خير معوان له على مهمته الكبرى ، فى الوقت الذى درس فيه بعمق ديوانى الشاعرين دراسة فاحصة متأنية مستقصية ، ثم نظر فى تلك الآراء التى أثيرت من حولها ، مستخلصا لنفسه مسلكا لم يسلكه أحد من نقاد الموازنات العباسية أو غيرها ..

فلا عجب أن تكون له اليد الطولى ، والقدح المعلى فى ابتكار منهج الموازنة الأدبية كمنهج نقدى رفيع .

فما منهج الآمدى فى النقد والموازنة ؟ هذا موضوع المقال التالى اذا شاء الله تعالى ..

(يتبع)

أ . د / عبد الحميد محمد حسن العبيسى

(١٤) العبيسى : د ; عبد الحميد (النقد الأدبى المعربى) ص ٨٠

نظرات فى بلاغة الفعل

للأستاذ عبد الله سليمان محمد
موجه اللغة الانجليزية

للفعل فى لغة القرآن الكريم تفوق رائع وراسخ على نظرائه فى سائر ألسنة البشر ، مرجعه الى عظمة النحو والصرف وفنون الأسلوب فى العربية •

وقد نمت علوم العربية واستوفت بما لا يكاد يدع زيادة لمستزيد •

غير أن ثمة قصورا واضحا فى مناهجنا ودراساتنا وأبحاثنا يتعلق بالمنظورين • النفسى والمعنوى ، لخصائص المفردات والتراكيب العربية ، ومنها الفعل •

ولست أزعم أن الحقل بكر أو أن الميدان خال ، ففى ذلك جحود أى جحود وجهالة أى جهالة •

وانما أنعى قلة الرعاة والدعاة ، وندرة المتفسحين والنازحين ، وان الأرض لواسعة ، وان المجال لثرى •

ولا أدعى أن هذا بحث ، ان هو الا عرض منوع لكرائم خصائص الفعل فى العربية ، تبيانا لها ، وبرهانا على جدارتها بالتقدير واستحقاقها لكشف غطاء التعتيم عنها ، واقتدارها على انماء علوم العربية والانسان العربى •

من هذه الخصائص ما هو جلى بين بذاته ، ومنها ما يدل عليه سياق الكلام الذى ما كان ليستقيم لولاها وبغير مواءمتها وتكيفها •

ذلك أن هذه الخصائص تشبه الخواص النحوية للكلمة ، وتضارع الخواص الطبيعية والكيميائية للمادة ، وتوازى صفة التكيف عند الكائن الحى ، فى اجتماعها على الامكان ، حال مكونها ، وانفرادها بالعمل حال وجود مرجح البروز أو علة التفاعل

فلا تأسر الخاصية الواحدة الفعل فى جميع أحواله ومواقعه ، ولا يحتكر الفعل الواحد الخاصية المعينة فى جميع مواجدها •

١ ــ فمن زاوية تعلق الفعل بالمسند اليه ، تتألق فى أعيننا الاشعاعات الآتية :

١ ــ الخصوصية ، فالفعل صفة مميزة للمسند اليه معينة له ، حتى ليذكر الواحد

◄

منهما بمجرد ذكر صاحبه ، مثال ٠

« اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى » (الرعد) ٠

« قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ » (المؤمنون) ٠

« وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى » (الليل) ٠

« فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ » (الأعراف)٠

« فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ » (المؤمنون) ٠

(ب) العمومية ، فالفعل متاح لكل فاعل ، والفاعل قادر عليه وعلى سواه ، مثال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم » (الحج) ٠

« وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ » (الحشر)٠

(جـ) الارادة ، مثال :

« وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ » (التوبة) ٠

(د) التلقائية ، أو الوظيفية ، مثال :

« كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ » (البقرة)

« وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ » (هود) ٠

(هـ) الاستجابة ، أو رد الفعل ، مثال :

« قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللَّهِ » (المجادلة) ٠

« وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ » (البقرة) ٠

(و) الكف ، أو السلبية ، مثال :

« يَاوَيْلَتِى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْءَةَ أَخِى » (المائدة) ٠

(ز) الاحسان ، مثال :

« قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ » (الأنبياء) ٠

« أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّه فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِه » (الأنعام) ٠

(ح) القبح ، مثال :

« رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ » (التوبة) ٠

« رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا » (نوح) ٠

(ط) قيام الفعل بالمسند اليه ، مثال :

« الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى » (الأعلى) ٠

« غُلِبَتِ الرُّومُ » (الروم) ٠

٢ — ومن المنظور النفسى يطالعنا من الفعل ما يلى :

(أ) الوجدان ، مثال :

« زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ » (آل عمران)٠

« لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » (التوبة) ٠

« إِنِّى آنَسْتُ نَارًا » (طه) .

« كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ » (القيامة) .

« وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا (هود) .

(ب) النزوع ، مثال :

« لَعَلِّى آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى » (طه) .

(جـ) السلوك ، مثال :

« فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِى الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ » (الجمعة) .

(د) التفكير ، مثال :

« هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ »[1] (المائدة) .

« وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً » (البقرة) .

« وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِى الْأَرْضِ » (الجن) .

« وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا » (الكهف) .

(هـ) العادة ، مثال :

« كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ » (البقرة) .

« وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا » الفرقان

(و) الدوافع السوية ، مثال :

« تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا » (الفتح) .

(ز) الدوافع غير السوية ، مثال :

« قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ » (غافر) .

٣ ــ وفى المبنى ، يضوء الفعل بما يأتى :

(أ) البساطة ، مثال :

« وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى » (طه) .

(ب) التركيب ، أو الهول ، مثال :

« فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » (الشمس) .

(حـ) الجزئية من مركب ، مثال :

« وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ » (يوسف) .

(د) الاكتمال ، مثال :

« قَالَ اللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ » (المائدة) .

« فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا » (الأنعام) .

« قُضِىَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ » (يوسف) .

(هـ) النقص ، مثال :

« فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّا إِبْلِيسَ » (الحجر) .

٤ ــ وفى الموضوعية ، نجد من الفعل :

(أ) الحقيقة ، مثال :

(١) التفكير ، أى من جانب الاتباع الحواريين

« وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ » (الأعراف) .

« يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا » (الحج) .

(ب) الوهم ، مثال :

« وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى » (الحج) .

« قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا » (الأحقاف) .

(جـ) التوقف ، مثال :

« تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِين » (الصافات) ، « لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا » (الرعد) .

(د) الثبات ، مثال :

« كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ » (البقرة) .

« إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَاد » (آل عمران) .

« اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِر » (الرعد) .

(هـ) التحول ، مثال :

« يَابَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » (البقرة) .

(و) الزوال ، مثال :

« وَسَكَنتُمْ فِى مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ » (١) (ابراهيم) .

(ز) الامتناع ، مثال :

« لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » (الأنبياء) .

(ح) ترتب الأثر ، مثال :

« خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ » (البقرة) ، أى ولذلك فلن يؤمنوا .

« ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ » (الحجر) ، أى ففى ذلك سوء مصيرهم .

(ط) الكفاية ، مثال :

« إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا » (الحج) .

(ى) القصور ، مثال :

« أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ؟ » (الحج) .

(ك) الظهور ، أو الشهادة ، مثال :

« مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ » (الرحمن) .

« وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ » (النحل) .

(ل) الخفاء ، أو الغيب ، مثال :

« قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ » (السجدة) .

« يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً . فَادْخُلِى فِى عِبَادِى وَادْخُلِى جَنَّتِى » (الفجر) .

(١) .. فالذين ظلموا انفسهم زالوا وانتم تعلمون .

(م) المجاز ، مثال :

« أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ • وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ • الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ • وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ » (الشرح) •

« وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا » (النساء) •

(ن) اليسر ، مثال :

« لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا »

(البقرة) •

« وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ » (الشورى) •

« وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » (الزخرف) •

(س) العسر ، مثال .

« قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْأَلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا » (الكهف) •

« فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ » (فصلت) •

(ص) الاعجاز ، مثال :

« سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » (الاسراء) •

« وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ » (البقرة) •

« وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ »

(البقرة) •

٥ — وفى الخبرية ، تتجلى من الفعل خصائصه التالية :

(ا) الصدق ، مثال :

« لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ »

(الاخلاص) •

« إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ » (محمد) •

(ب) التمثيل ، مثال :

« إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ » (الحج) •

« وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ » (ابراهيم) •

(جـ) الكذب ، مثال :

« يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ » (يوسف) •

(د) اللبس ، مثال :

« أخرقتها لتغرق أهلها ؟ لقد جئت شيئا آمرا » (الكهف) •

(هـ) الاحتمال ، أو الامكان ، مثال :

« وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ » (عبس) •

« إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن

فيكون » (يس) .

(و) الايحاء ، مثال :

« فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون »

(الأعراف) .

(ز) التحديد ، مثال :

« وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا » (١)

(الأحزاب) .

(ح) النمطية ، مثال :

« وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم » (الحج) .

(ط) المغايرة ، مثال :

« واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » (١)

(الطور) .

(ى) الايغال ، مثال :

« يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم » (البقرة) .

« ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (الاسراء) .

(ك) الاعلام بمتوقع :

« ويومئذ يفرح المؤمنون » (الروم) ،

« كلما دخلت أمة لعنت أختها » (الأعراف) .

« فإذا جاء وعد ربى جعله دكا » (الكهف) .

(ل) التأبيد ، مثال :

« فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (الأعراف) .

(م) التوبيخ ، مثال :

« وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء »

(الفتح) .

(ن) الاضطرار ، مثال :

« سيهزم الجمع ويولون الدبر » (القمر) .

« « وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا »

(الزمر) .

(س) التيئيس ، مثال :

« فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال »

(غافر) .

٦ ــ وفى التردد ، أى تكرارية الحدث ، يتبين لنا ما يلى :

(أ) الأحادية ، أى وقوع الحدث وانتهاؤه من مرته ، أو وقوعه ثم بقاؤه دون حاجة الى تكراره مثال :

« قتل أصحاب الأخدود » (البروج) .

« أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم »

(آل عمران) .

« فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها

---

(١) .. أى على الله وحده .

(١) يريد والله أعلم أنك ــ يامحمد ــ ترى منهم الاهمال وعندنا مايغايره من حفظ لك ورعايته .

أُنثَى » (آل عمران) .

«هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْل » (الحج) .

(ب) مناسبة اسم المرة أو المفعول المطلق لمقتضى الكلام ، مثال :

« فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُوم » (الصافات) .

« فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ » (القصص) .

(جـ) التكرار منتظما أو مقترنا بمتكرر ، مثال :

« تُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ » (آل عمران) .

« كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا » (مريم) .

(د) التكرار بدون نظام لازم ، من ذات الفاعل أو من سواه ، مثال :

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ » (محمد) .

« وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ » (النحل) .

٧ — وفى مفهوم المدى يلمع الفعل بما يلى :

(أ) الموقوت ، مثال :

« كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ » (البقرة) .

(ب) المتقطع ، مثال :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا » (النساء) .

(حـ) الطارىء ، مثال :

« وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ » (الشعراء) .

(د) المتصل ، مثال :

(فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا » (الكهف) .

(هـ) التنامى — أو — الاستطراد ومثال :

« اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى » (النازعات) .

(و) الملازم ، مثال :

« لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ » (المائدة) .

(ز) المتكامل ، مثال :

« الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ » (الحج) .

(ح) الدائم ، مثال :

« يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا » (البقرة) .

(ط) القصير ، مثال :

« إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ » (الصافات) .

(ى) المنقطع ، مثال :

« وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » (البقرة) .
أى على عالم زمانكم .

٨ ــ وفى الانتشار والمساحة الانسانية نلمح فى يسر :

(أ) الامتداد المكانى ، مثال :

« تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ » (يونس) .

(ب) الطابع الاجتماعى ، مثال :

« وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ » (المجادلة) .

(ج) العزلة ، مثال :

« فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا » (مريم) .

« فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ » (الكهف) .

(د) التلازم ، مثال :

« وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ » (هود) .

(هـ) النمو الاجتماعى ، مثال :

« وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا » (النصر) .

(و) الانقراض ، مثال :

« فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ » (القصص) ،
« وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ » (الذاريات) .

(ز) الاستمرار ، مثال :

« لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا » (القصص) .

وبعد ، فلست أجرؤ على القول بأنى وفيت أو صفيت ، وانما حسبى أن أكون وفقت بفضل من الله الى رسم سهم يشير الى مورد طيب مبارك .

وعلى الله قصد السبيل ..

عبد الله سليمان محمد

نظرات فى مسيرة العمل الاسلامى

تأليف : الأستاذ عمر عبيد حسنة

عرض وتعليق
د. طه مصطفى أبو كريشه

نظرات فى مسيرة العمل الاسلامى

عنوان كتاب الأمة الذى صدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية فى دولة قطر ، وهو الكتاب الثامن فى سلسلة الكتب التى صدرت عن طريق هذه الرئاسة ، وهو من تأليف الأستاذ عمر عبيد حسنة مدير تحرير مجلة « الأمة » . والمؤلف من المعنيين بشئون الفكر والتشريع الاسلامى من منطلق ثقافته الفقهية الاسلامية .

والكتاب مجموعة من المقالات التى كان يفتتح بها الكاتب مجلة الأمة فى مطلع كل شهر عربى ، وقد شاء أن يجعل مسيرة « العمل الاسلامى » مركزا تدور حوله سلسلة هذه المقالات ، وهى فى مجموعها تمثل رؤية المؤلف لما يدور فى أفق العمل الاسلامى ولما يعكسه هذا الأفق من آراء متعددة لكل من يتصدى بالتوجيه الفكرى فى هذا الميدان ، الذى يشهد صحوة ملموسة فى كل مكان فى الأمة الاسلامية . وسوف نقف عند بعض المقالات الوثيقة الصلة بالعنوان الذى جعله موضوعا يضم شتات هذه المقالات .

— ١ —

** تحت عنوان :

الالتزام بالمنهج ضرورة لسلامة الطريق .

يتحدث المؤلف عن ضرورة السير على صراط الله المستقيم ، وعدم الانحراف بعيدا عن هذا الصراط ، حتى لا نقع فى التيه والضلال ، والمنهج فى ذلك هو قول الله تبارك وتعالى :

« وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ » الأنعام ١٥٣ .

وصراط الله المستقيم يتمثل فى الاسلام

نظرات فى مسيرة العمل

الذى ارتضاه الله لعباده ، وهو يمثل مرحلة الرشد الانسانى بعد هذه الرحلة الطويلة من ميراث النبوة من لدن آدم عليه السلام وحتى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وتحضير الجنس البشرى لاستقبال المنهج الأخير .

ومن طبيعة الرسالة الخاتمة أن تستمر بعيدة عن التحريف والتأويل والنقص والضياع ، ومن حق الأجيال المتعاقبة أن تتلقى رسالة السماء كما أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذلك كانت كفالة الله تعالى للرسالة الخاتمة بالحفظ « **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** » الحجر ٩ ، بينما أوكل حفظ الرسالات السابقة لأهلها « **بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ** » المائدة ٤٤ .

ولكى تستمر الرسالة بعيدة عن أى تحريف أو تأويل ، فاننا نرى فى القرآن الكريم تحذيرا واضحا من علل التدين التى أصابت الأمم السابقة حتى لا نقع فيها ، وهو تحذير يأتى فى ثنايا قص أخبار هذه الامم وما أصابها من نكسات ، وما وقع عليها من عقاب نتيجة لانحرافها بعيدا عن منهج الله . ومما استشهد به المؤلف فى هذا المجال قول اللهتعالى « **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ** » المائدة ١٣ .

وقوله تعالى « **إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ** » التوبة ٣٤ .

ويشير المؤلف الى أن عالم المسلمين اليوم قد تسللت اليه بعض علل التدين التى حذر منها القرآن الكريم ، وهى علل تتخلص فى تحريف الغلاة الذين يتشكلون فى الأمة بسبب من ردود الفعل أو ضغوط المجتمع غير المسلم من حولهم .. وفى انتحال أهل الباطل الذين يريدون أن يطوعوا الاسلام لتصوراتهم الباطلة .. وفى تأول الجاهلين الذين يجرؤن على الفتوى واصدار الأحكام بدون امتلاك الأداة التى تؤهلهم لذلك .

وهنا يدعو المؤلف الى ضرورة اخضاع هذه العلل للدراسة والتحليل ومعرفة الأسباب . ثم معالجتها من خلال المنهج الاسلامى نفسه ، الذى يقوم على تأكيد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وعلى أن الأسوة الحسنة مكفولة فى النبى صلى الله عليه وسلم **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** » الأحزاب ٢١ .

وعلى أن طاعة المخلوق انما تكون فى دائرة ما يوافق طاعة الله سبحانه وتعالى ..

— ٢ —

** وتحت عنوان :

تأملات فى مسيرة العمل الاسلامى .

يتحدث المؤلف فى مقالين عن وسائل العمل الاسلامى ، محاولا التأكيد على أنها وسائل وليست غايات ، فليست غاية الدعوة الى الله

والعمل الاسلامى بصوره المختلفة الأساسية ، الوصول الى الحكم والسلطة بأشخاصه وبمختلف الطرق الشرعية وغير الشرعية » وينتهى الأمر ، وانما الحكم فى حد ذاته لا يعدو فى نظر المسلم أن يكون من وسائل تحقيق معنى العبودية ، ونشر الدعوة وحمايتها فى مدى أوسع ومساحة أشمل ومن هنا يفترق منهج العمل الاسلامى عن المناهج الأرضية كافة ، التى تنحصر أهدافها وتتحقق عند الوصول الى السلطة ، وتكون أقصى غاياتها الاحتفاظ بها •• أما العمل الاسلامى فانه يتابع سيره ، ويأخذ على عاتقه مسئوليات جديدة يسعى الى تحقيقها وتثبيتها والى ذلك تشير الآية الكريمة « **ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ** » الحج ٤١ •

واذا كان الأمر كذلك فان هذه الوسائل هى أمور اجتهادية تخضع لقانون التغيير والاستبدال وليست لها صفة القداسة والثبات ذلك لأن الأهداف الاسلامية من الثوابت ، والوسائل لتحقيق هذه الأهداف من المتغيرات، بشرط واحد ، هو أن تكون أوعية هذه الوسائل شرعية ، ومحكومة بضوابط الشريعة أيضا ، فالغاية لا تبرر الوسيلة ، كما بدا لأصحاب الاجتهاد المريض والرؤية القاصرة •• وكذلك فان الجمود على وسائل بعينها فى العمل ، وعدم القدرة على تجاوزها انما هو حرب فى غير معركة وانتصار بغير عدو ، ويخشى أن يكون مضيعة للعمر والأجر معا !!

والى جانب هذا ، فان تحويل الوسائل الى غايات ، يؤدى الى اتخاذ الدعوة الى الاسلام حرفة ، والاحتراف بالاسلام ، وتوظيفه لمآرب شخصية يشوه وجه العاملين لهذا الدين ، ويقيم جدارا نفسيا يحول دون وصول دعوة الله • واستنقاذ البشر مما هم فيه ، لدرجة قد تساهم مساهمة سلبية فى ايذاء الدعوة ، والتنفير من الدعاة •

ويرى المؤلف أن هناك أخطاء شابت مسيرة العمل الاسلامى وأن هذه الأخطاء لم تقابل فى كثير من الأحيان بالنقد والمناصحة خشية حدوث خلل فى الصف الاسلامى ، وكان هذا شيئا خطيرا لأن التسويغ وتوقف المناصحة ، وتعطيل الحوار ، وعدم دراسة جوانب التقصير ، لا يقتصر على تثبيت هذه الأخطاء فحسب ، وانما يؤدى الى تكرارها ، وهو تكرار يؤدى بالأمة الى العجز ، والى تضييع القوت الذى كان يمكن أن ينتفع به فى بناء جديد ، يتجنب أخطاء البناء القديم ، بل ويتجنب تكرار اللدغ من الجحر الواحد أو الجحور المماثلة !!

— ٣ —

** وتحت عنوان :

« **حتى نكون على مستوى المسئولية** » **يذكر** المؤلف أن الدعوة الاسلامية استطاعت والى حد بعيد الانتصار فى المعركة الأساسية ، وهى تحقيق الذات الاسلامية ، وتحديد معالم الشخصية

◄

نظرات فى مسيرة العمل

الاسلامية .. كذلك فان الدعوة الاسلامية استطاعت الانتصار فى معركة التحدى الحضارى والصراع الفكرى وتخليص الجماهير المسلمة من مركب النقص أمام الحضارة الأوربية الغازية المتفوقة ماديا .. والى جانب هذا فان الدعوة الاسلامية الحديثة استطاعت الاحتفاظ بشعور المسلمين بوحدة العالم العربى والاسلامى ، واقناعهم بأن ذلك دين لا يمكن التفريط فيه ، قال تعالى « **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** » الأنبياء ٩٢ .

كل هذا رغم واقع التجزئة الذى جاء به الاستعمار الحديث ليثأر لهزيمة الحروب الصليبية ، بعد أن أجمع على تقطيع أوصال دولة الخلافة ، مستخدما كل النزعات القبلية والعشائرية والعائلية والجنسية والقومية ، لتكون حواجز فى وجه الأمة الواحدة على شكل لم يحدث له مثيل فى العالم .

يضاف الى هذه الجوانب التى انتصرت فيها الدعوة الاسلامية أنها استطاعت أيضا أن تعيد الجماهير المسلمة الى الاعتزاز بالاسلام والاستعلاء بالايمان ، وتجديده الأمل بقدرة هذا الدين على مواجهة المشكلات المعاصرة له بما له من تاريخ وتجربة حضارية .

لكن هذا كله لا يعنى أن العمل الاسلامى أدى مهمته ، فالخطورة كل الخطورة تكمن فى عملية التوقف عند حدود هذه الخطوة ، خطوة الاكتفاء بالاسلام من حيث المبادىء والمثل ، ثم الاسترخاء وخداع النفس بالأمانى والاستسلام لنوم عميق .

ان المسئولية الجديدة التى تقع على عاتق العاملين فى مسيرة العمل الاسلامى هى الانتقال من مرحلة المبادىء الى مرحلة البرامج ، والانتقال من مرحلة الخطب وزعامة المنابر الى مرحلة الخطط ودراسة الاحتمالات ، ووضع الحسابات الدقيقة بكل حركة ، وذلك لأن المبادىء أثبتت مصداقيتها تاريخيا ، فالتوقف بها عند مرحلة الآراء ، وتركها حبيسة الكتب ، أو معلقة على المنابر ، دون تنزيلها الى واقع المسلمين يحمل من الخطورة الكثير ، الى درجة قد نسهم نحن فيها فى تعطيل هذه المبادىء اذا عجزنا عن تمثلها ، وبذلك لا نختلف عن غيرنا فى كل جانب من جوانب حياتنا .

انها مسئولية تحويل الأقوال الى أفعال ، وترجمة النوايا الصادقة الى أعمال صالحة .

— ٤ —

* وتحت عنوان « **المسلم ومسئولية البلاغ المبين** » يتحدث المؤلف عن أبرز مسئوليات المسلم ، التى تتمثل فى الأمانة التى قبل حملها عندما رضى بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، الذى كانت الغاية من ارساله ومن رسالته الحاق الرحمة بالعالمين ، قال تعالى « **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** » الأنبياء ١٠٧ ، فكانت مهمته الأولى البلاغ

المبين « وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ » النـور ٥٤ •

وهذه الأمانة تقتضى من المسلم أن يدعو الى الله سبحانه وتعالى وأن يعمل على تخليص الناس من كل ألوان العبودية ، واخراجهم من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة •

ومن يكون له شرف سلوك هذا الطريق ، فان عليه أن يبدأ بتنمية نفسه وتزكيتها بالاسلام ليكون على مستوى خطاب التكليف قال تعالى « قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا • وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » الشمس ٩ — ١٠ •

وعليه كذلك أن يطور وسائله فى الدعوة الى الله ليكون فى مستوى المهمة التى يتطلبها اسلامه وعصره على حد سواء ، قال تعالى« أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » النحل ١٢٥ •

وليس معنى العكوف على تربية الذات الانقطاع عن الحياة ، وترك التعامل معها والانسحاب من المجتمع ، اذ أن ميدان تربية الذات أكبر من ذلك بكثير ، انه الحياة بكل ما فيها من جوانب الخير والشر وهو المعاناة اليومية ، التى تواجه التحديات المحيطة ، بعدم الذوبان والسقوط أمامها •

وأولى ثمرات هذه التربية الميدانية هى عملية البلاغ المبين ، تلك المهمة التى ابتعث من أجلها النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا فانه محل الأسوة والقدوة بالنسبة للمسلم الذىيدعو الى الله سبحانه وتعالى •

وعلى الداعية أن يحسن اختيار الوسيلة ، فهو مطالب دائما أن يجادل بالتى هى أحسن ، وأن يدفع بالتى هى أحسن ، وأن يواجه وسائل الاعلام التى تحاصره صباح مساء ، مواجهه فيها وعى وتبصرة وذكاء حتى تكون لديه القدرة على حماية الصورة الاسلامية الصحيحة •

ان مسئولية البلاغ المبين تقتضينا اعادة النظر فى وسائلنا التى نتخذها فى الدعوة الى الله ، وتقتضى منا كذلك أن نعيد المسلم الى صورته الحقيقية التى جاء بها الاسلام ، وأن نقيم الدليل على أن الاسلام دين الرحمة والحب للانسان ، وليس هو الاسلام الذى صنعت صورته المخيفة وسائل الاعلام المعادية •

••• وبعد • فهذا هو المحور العام الذى تدور حوله بعض هذه المقالات ، التى ضمها الكتاب ، وهو محور يحاول أن يلقى الضوء حول مسئولية العمل الاسلامى والدعوة الى الله سبحانه وتعالى •

وفى مقالات أخرى يتعرض المؤلف لبعض جوانب القصور التى يقع فيها من يتصدرون للدعوة الى الله ، ولبعض العقبات التى تبرز أو توضع فى طريقهم ••• وهذا موضوع مقالنا القادم ان شاء الله تعالى •

— يتبع —

أ•د طه مصطفى أبو كريشة

أبو حيّان التوحيدي

رجل جنى عليه فكره

مصادر علمه وأدبه

لقد عاش أبو حيان التوحيدى – أو أريد له أن يعيش – حياة الضنك والكفاف ، لكنه كان على مقدرة بحيث راض نفسه على أن يكونها تكوينا يجعله متفردا أو متميزا بين معاصريه ، تنوعا فى المعارف ، وتبحرا فى الرواية والدراية وسموا فى الأفكار ، مع حضور بديهة وشدة ذكاء .

والذى لا ريب فيه أن للباحث عن مصادر تكوين التوحيدى طرائق ومنادح . سوف نجترىء منها : بشيوخه الذين أخذ عنهم . وبهم تأثر .

ثم بحرفة النسخ التى أجادها رغم بغضه لها ، وذمه اياها ، فان فى هذين المصدرين كفاية وغناء ، ولكن لمن يتقنهما عالما بخطرهما ، كعلم أبى حيان واتقانه

مشـايخه :

لقد كان صاحبنا أحرص من عرف بالحرص على الأخذ والتلقى . وأقدر من عرف بالمقدرة على التسجيل والتقييد . وأن حرصه هذا لم يكن قاصرا على فن دون غيره من الفنون . فقد ارتحل مبعدا . وجاب الآفاق موغلا ، يجالس العلماء ويناقش ويحاور . وقد أمدته فطرته وصفاء ذاكرته بالوعى والفقه فى أقصر زمن ، حتى صار واحد العصر . وفرد الدهر الذى لا نظير له – كما يسميه العارفون –

ونحن و جعلنا وكدنا أن نستقصى من جلس اليهم . وأفاد منهم ، لبعدت علينا الشقة . وآدتنا المشقة . لأنا حين نسرح البصر فى

عن شيوخ التوحيدى راجع : طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ، والانساب للمعانى . والفهرست لابن النديم . ووفيات الاعيان لابن خلكان ، والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ومعجم الادباء لياقوت الحموى . وشذرات الذهب لابن العماد ، وتتمة صوان الحكمة للبيهقى ، وراجع كتب التوحيدى . خصوصا : الصداقة والصديق والامتاع والمؤانسة . والبصائر والذخائر ، والمقابسات .

للدكتور حامد إبراهيم الخطيب

ثنايا نتاجه نخاله لم يغادر واحدا من العلماء دون أن يحاوره ويسائله . فكان لزاما ان نقتصر على من تعدهم المصادر له أساتذة ومعلمين :

تذكر هذه المصادر أنه قد تفقه على القاضى أبى حامد المروروذى وهذا القاضى يعدونه من كبار القضاة الشافعيين بالبصرة . ومن رفعاء المذاهب وعظمائه . ويؤكدون أن التوحيدى كان من أخصائه وتلامذته . وهو الذى عنه يقول :

« وانما أولع بذكر ما يقول هذا الرجل . لأنه أنبل من شاهدت فى عمرى . وكان بحرا يتدفق حفظا للسير . وقياما بالأخبار . واستنباطا للمعانى . وكان ذا عارضة عريضة . ولسن بين . وقلب ذكى » (١) .

وتذكر المصادر أن أباحيان سمع من أبى بكر الشافعى القفال الشاشى . وقد كان هذا الشيخ فقيها محدثا . وأصوليا بارعا . وأديبا شاعرا . وكان أحد أئمة الدنيا فى التفسير والحديث . وفى الفقه واللغة .

وعن أبى سعيد السيرافى أخذ حديث رسول الله ﷺ . وعنه وعن على بن عيسى الرمانى أخذ اللغة والنحو . وكلا الرجلين كان عالم علماء . وأستاذ أساتيذ .

أما السيرافى فعلم كبير بين أعلام النحاة واللغويين ، وكان ممن حدثوا ودرسوا الحديث ببغداد ، وكان التوحيدى من أشد المترددين على مجالسه حرصا . ومن أكثرهم فهما وتقديرا . فلا غرو أن يشيد بمقدرته ، فيقول :

« انه كان يجيد كثيرا من العلوم . وأنه كان عالم العالم . وشيخ الدنيا . ومقنع أهل الأرض . تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله الى آخره . بغريبه وأمثاله . وشواهده وأبياته .

والتوحيدى كان يتعصب لهذا الشيخ . وقد قرأ عليه عديدا من الأسفار الأصول ، وسجل فى كتابه « الامتاع والمؤانسة » محاورة السيرافى المتعة مع متى بن يونس القنائى حول المفاضلة بين نحو العرب ومنطق اليونان (٢) .

وفى يقينى أن تلك المساجلة جديرة بالدراسة الواعية المتأنية من كل من يعنيه الاعتناء بالتراث العظيم .

أما الرمانى — أحد أساتذته — فانه امام فى علم العربية ، علامة فى الأدب ، يعدونه فى طبقة أبى سعيد السيرافى ، وكان متكلما على مذهب المعتزلة ، يقول عنه أبو حيان :

---

١ — ٣٠٥/١ الامتاع والمؤانسة ، ٢١٧/٣ البصائر والذخائر .

٢ — ١٢٩/١ ، ١٣٣ ، ٢٢٢ الامتاع والمؤانسة .

أبو حيان التوحيدى

لم أر مثله علما بالنحو ، وغزارة فى الكلام ، وبصرا بالمقالات ، واستخراجا للعويص ، وايضاحا للمشكل ، مع تأله وتنزه ، ودين ويقين ، وفصاحة وفقاهة ، وعفافة ونظافة (١) .

وعن جعفر الخلدى أخذ التوحيدى التصوف ، وقد كان هذا الشيخ من كبار شيوخ الصوفية ورؤسائهم ، وكان من كبار رجال الحديث ، وانما شغله عن طول النظر فى الحديث والاشتهار كغيره أنه جعل من نفسه ملجأ وملاذا لكل المتصوفين ، ولقد أفصح عن ذلك بقوله : لو تركنى الصوفية لجئتكم باسناد الدنيا (٢) .

ولقد كان أبو حيان من المختلفة الى دروس يحيى بن عدى المنطقى ، وهذا الشيخ قد انتهت اليه رياسة أصحابه فى زمنه ، وهو من قبل ذلك كان يأخذ عن أبى نصر الفارابى ، وابى بشر متى بن يونس القنائى ، وحسبك بهذين شيخين .

كذلك كان أبو حيان من رواد مجلس أبى سليمان المنطقى مصنف كتاب « صوان الحكمة » وانه لشيخ معدود بين كبار علماء بغداد ، بل من أكبر علمائها آنذاك فى المنطق والحكمة والفلسفة ، وغير ذلك من العلوم (٣) .

من هؤلاء على مختلف معارفهم وتجاربهم ، ومن غير هؤلاء ممن التقى بهم صاحبنا فى ترحاله وقابسهم وساجلهم ، كان يستمد أفكاره ، ويصوغ مباحثه ، فتارة يسجل ما يسمع ، وأخرى يعقب فقط ويذيل ، ولكنه تعقيب من يجمع الشوارد ، ويكشف عن الغوامض ، ومرة تجده يلجأ الى اختصار ما يسمع فيأتينا بعصارته وخلاصته فاذا سجل رائع نتاجه وشهى أفكاره ، كان قمة شامخة تشرئب اليها الأعناق وتتطلع الأبصار (٤) .

ذلك هو مصدر تكوينه الأول ، ونعم به مصدرا ، فان التلقى عن الشيوخ هو النهج الذى نهج السلف ، فخلف لنا مفاخر لاتبارى ولا تجارى ، وانه للمنهج الذى سار عليه الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى التلقى عن ربه — تعالى — ثم تلقى أصحابه عنه — رضى الله عنهم .

النسخ :

أما مصدر تكوينه الثانى فهو « النسخ » — كما أشرنا — ولعله لايقل عن سابقه قوة أثر وتأثير — ان لم يفقه — فعلى الرغم من أن « النسخ » حرفة الشؤم — كما يسميها — فانه قد أجادها أيما اجادة ، واعتنى بها أيما أعتناء وأوضح دليل على صدق ذلك تلك الرسالة التى وضعها فى علمى الخط والكتابة (٥) .

فمن خلالها يمكن الوقوف على مدى وقوفه على خبايا تلك الحرفة ثم كيف توفر له مايجعلها مستقيمة متمايزة

---

١ — ١٣٠/٣ وما بعدها . المرجع السابق .
٢ — ٢٢٦/٧ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى .
٣ — ٣/ ٣٣ الامتاع والمؤانسة ، ٣٦٩ فهرست ابن النديم .
٤ — سيتضح ذلك ويصدق متى طالعنا نماذجه فى كتبه المختلفة .
٥ — انظر ثلاث رسائل لابى حيان التوحيدى — تحقيق د/ابراهيم الكيلانى .

وذلك كله يضع يدنا على سعة معارف التوحيدى ، ثم درايته بما يعرف .

وتجويد أبى حيان للخطوط (١) العربية ، وبصره بأقلامها ، حدابه الى أن يجيد فى صحة نقله ، وتقييد خطه ، وسلامته من التصحيف والتحريف (٢) وأسلم به ذلك أيضا الى طول النظر ، وتدقيق التفكير ، فحفظ أكثر منقوله من أمهات الكتب ، وفقه ما حفظ . فتكونت فيه من ثم شخصية فلسفية طلعة ، تستخلص الأسئلة من كل مايقع أمامها ، سواء كانت المسائل خلقية ، أواجتماعية ، او لغوية . أو اقتصادية ، أو نفسية ، فتراه فيلسوفا مع الفلاسفة ، متكلما مع المتكلمين ، ولغويا مع اللغويين ، ومتصوفا مع المتصوفة ، وفكها مع المتفكهين ، وتراه كذلك كثير التحصيل للعلوم فى كل فن حفظه ، متسع الرواية ، دقيق الدراية (٣) وتلك — بلاريب — نتائج حتمية لحرفة الشؤم — فى رأيه لا رأينا فانها كانت — فى رأينا سلاحا ماضيا ذاحدين ، أسعده أحدهما اسعادا ، وأشقاه الآخر اشقاء ، ولدنيا أن اسعاده كان أجل وأجدى . برغم رؤيته هو التى تصادم مانراه . فلقد أوصلته الى كبار عصره ، ينسخ لهم ويكتب ، وكان له مع بعض منهم شأن عظيم ، ذلك أمر سوف نختصه — أن شاء الله — بحديث .

ذلك ، ومن شاقه التوحيدى اللغوى النحوى ، المتنقل بين الأفنان فلينظره فى سفره الضخم « البصائر والذخائر » .

ومن راقه أن يرى التوحيدى الفيلسوف المفكر ، فليصطحبه فى كتابيه « المقابسات » « والهوامل والشوامل » .

فاذا أحب رؤيته زاهدا ، ومنيبا واعظا ، ومتصوفا أوابا ، فعليه بالصبر والتأنى فى دراسته لكتابه « الاشارات الالهية » .

أما أبو حيان المؤرخ ، والمصور الرسام بالحروف والكلمات ، والناقد الفكه ، الخبير بكل مظهر وما يتخفى تحته من مخبر ، فانه يبدو جليا فى كتابه « الامتاع والمؤانسة » .

وأما أبو حيان العليم بفكر معاصريه ، الملم بنتاج سابقيه ، والذى عرف عن كثب وتجربة كنه الصاحب وحقيقة الصديق ، وما يستتبع ذلك من كلفة وواجب ، فانه يتجلى فى كتابه « الصداقة والصديق » .

ومن خلال كتابه « مثالب الوزيرين » أو « أخلاق الوزيرين » — على اختلاف التسمية بين المحققين — يظهر التوحيدى الثائر الساخط ، والهجاء المقذع ، والمفحش السليط .

ولسنا نفتقده فى جل كتبه مفسرا ، ومحدثا ، وفقيها — وانه بدا مقلا فى هذا العام الأخير .

وسوف يرى فى كل أعماله ذا روح مرحة ، ولفظة موحية ، وتعبير محكم ورصين ، يبدو ذلك حتى فى تخيره لما ينقله عن الماضين أو المعاصرين .

---

١ — يجدر العلم بأن الخط العربى تطور تطورا هائلا على أيدى اعلامه المجودين ، حتى لقد اخذ اشكالا هندسية بالغة الدقة والروعة ، وما تزال تلك الروائع بادية على جدر العمران الاسلامية المختلفة .

٢ — ١٥/١٣ معجم الادباء .

٣ — راجع مقدمة الهوامل والشوامل للاستاذ سيد صقر وأحمد أمين ، وانظر — أبو حيان التوحيدى د/زكريا ابراهيم .

أبو حيان التوحيدى

ونسوق اليك نفثة ينفس بها عن ألم مخبوء ، وبغض مضطرم يكنه للصاحب بن عباد ، فيقول :

...ومن أظلم ممن يصف السفيه بالحصافة واللئيم بالكرم ، والمتعجرف بالأناة ، والعاجز بالكفاية ، والناقص بالزيادة ، والمتأخر بالسبق ، والعنيف بالرفق ، والبخيل بالسخاء ، والوضيع بالعلاء ، والوقاح بالحياء ، والجبان بالغناء ، ٥٧ مثالب الوزيرين .

ونختم باشراقات من كتابه « الاشارات الالهية » اذ يقول :

« اللهم انا حضرناك دنسين فطهرنا ، وسألناك محتاجين فأجبنا ، ولذنا بك عاجزين فقونا وخفناك لاجرامنا فآمنا ، وتكشفنا عندك فاسترنا .. اللهم أنت بنا أبصر ، ونحن عن مصالحنا أقصر ، فرقنا بكرمك الى حظيرة القدس ، واسقنا بكأس القبول شراب الأنس فانك ان فعلت ذلك بنا لم نظمأ بعده أبدا ، ولم نؤثر عليك أحدا .

آه على أقدام كانت تستثقل حمل دقيق النعال ، كيف تطيق غدا ثقل القيود والأنكال.

آه على جنوب كانت تستخشن لين الحرير، كيف تصبر غدا على مقاساة لهب السعير .

آه على خدود فى ظلال الترف تتدلل ناعمة ، كيف تكون غدا فى أطباق الثرى ساهمة راغمة.

آه على أجساد فى حلل الدنيا مصونة ، اذا أصبحت غدا فى أثناء الجنادل مهينة مدفونة.

آه على من تذ غدا فى ضروب المعاصى مشتبكا ، كيف يكون اذا وقف بين يدى المليك لجبار مرتبكا « ٣٧٠ الاشارات الالهية » . يتبع

د / حامد ابراهيم الخطيب

الواحد الصمد - بقية

اله العالمين وكل أرض
ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعا شدادا
بلا عمد يرين ولا رجال
وسواها وزينها بنور
من الشمس المضيئة والهلال
ومن شهب تلألأ فى دجاها
مراميها أشد من النصال
وشق الأرض فانبجست عيونا
وأنهارا من العذب الزلال
وبارك فى نواحيها وزكى
بها ما كان من حرث ومال
وكل معمر لابد يوما
وذى دنيا يصير الى زوال
وسبق المجرمون وهم عراة
الى ذات المقامع والنكال
وحل المتقون بدار صدق
وعيش ناعم تحت الظلال
لهم ما يشتهون وما تمنوا
من الأفراح فيها والكمال

أيها الأخ المؤمن . الى المقال التالى حيث نتمم تفسير سورة الاخلاص ، وبالله التوفيق .

مصطفى محمد الحديدى الطير

الفتاوى

إعداد الاستاذ
عبد الحميد السيد شاهين

« الزواج بغير ولى »

س : من السيد / ع ٠ م ٠ البحراوى
سيدة عاقلة بالغة زوجت نفسها بدون ولى ٠ فما حكم هذا الزواج شرعا ؟

ج : يجوز للمرأة العاقلة أن تزوج نفسها بدون ولى ، وذلك على مذهب الامام الأعظم أبى حنيفة رضى الله عنه ، وحيث انها تزوجت فزواجها صحيح شرعا ٠

« قبول التعويض أم العفو »

س : من السيد / ع ٠ م ــ عزب الشرقية ٠
صدم أخى « موتوسيكل » ومات فى الحال ، ثم حكمت المحكمة على الجانى بدفع مبلغ من المال دية له ٠ فهل أقبل التعويض أم العفو أفضل ؟

ج : لا مانع من أخذ التعويض الذى حكمت به المحكمة ، ولورثته الخيار بين أخذ التعويض أو تركه ٠

« جمع التبرعات فى المسجد لبناء مدرسة »

س : من السيد / خ ٠ م ٠ ابراهيم الغربية ٠
هل يجوز تحويل مبلغ ألف جنيه جمعت لمسجد فى قريتنا لبناء مدرسة آيلة للسقوط فى البلد نفسه ؟ ٠ وهل يجوز جمع النقود فى المسجد للمدرسة ؟

ج : هذا المبلغ وهو الألف جنيه ان كان سينفق على رفاهية المسجد كدهنه بالزيت أو زخرفته فيجوز صرفه الى بناء المدرسة ٠٠ أما اذا كان المسجد فى حاجة اليه لتكميل بنائه فلا يجوز دفعه الى المدرسة ٠

ولا مانع من وضع صناديق لجمع التبرعات للمدرسة على أبواب المسجد ، ولا يجوز تخطى رقاب المصلين لجمع النقود للنهى عن ذلك ٠

« فى الطـلاق »

س : من السيدة / ك ٠ ح ٠ سعد طلقت من زوجى بتاريخ ٢ من شهر صفر سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ٢٧ من أكتوبر سنة ١٦٨٤ م طلقة ثانية على الابراء ٠ فمتى يحل فى الزواج بآخر ؟

ج : لا يحل لهذه المرأة التزوج بآخر الا بعد أن تنتهى عدتها من مطلقها ٠٠ فان كانت حاملا فمضى عدتها بوضع الحمل ٠٠ ، واذا بلغت سن اليأس وهو خمس وخمسون سنة ، أو كانت لا تحيض مطلقا فبمضى ثلاثة أشهر ٠٠

وتنقضى عدتها بثلاث حيضات سوى الحيضة التى طلقت فيها ان كانت من ذوات الحيض ٠

ولا تصدق فى انقضاء عدتها فى أقل من ستين يوما ٠

فان ادعت الحمل لا يحل لها أن تتزوج الا بعد مضى سنة قمرية ٠

« حكم دفن الرجال مع النساء »

س : من السيد / جابر زكريا ٠
هل يجوز دفن المرأة الأجنبية مع الرجل الأجنبى فى مكان واحد لضيق المكان ؟

وهل يجوز أن تجمع عظام الموتى بأكفانهم بعد مدة ودفنهم فى حفرة واحدة تحت ما يسمى « بالفسقية » مدفن العائلة لضيق المكان أيضا ؟

ج : يجوز أن تجمع عظام الموتى وتدفن فى مكان واحد وتغطى بالتراب ، ثم يدفن فوقها ٠ كما يجوز دفن المرأة مع أجنبى للضرورة كضيق المكان على أن يكون بينهما حائل من رمل مثلا ٠

س : من السيد ع ٠ ع ٠ موافى طلقت زوجتى مرتين متفرقتين بقولى لها : أنت طالق ، وراجعتها فى كل مرة أثناء العدة ثم طلقتها مرة ثالثة قلت لها : على الطلاق اذا خرجت من المنزل تكونين طالقا وخرجت ــ وأنا أريد الطلاق ــ فما الحكم ؟

ج : بالنسبة لطلاقك زوجتك مرتين فقد وقع بكل منهما طلاق فيكونان طلقتين ، وحيث انك راجعتها فى كل مرة أثناء العدة فان الرجعة صحيحة شرعا فى كل مرة ٠٠٠

أما الطلاق الثالث فانه يمين معلق ، وحيث أن الحالف كان يريد به الطلاق لو خرجت ، وحيث أنها خرجت ، فيقع به طلاق ٠٠٠

وبهذه الطلقة الثالثة تكون الزوجة قد بانت من زوجها بينونة كبرى لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويدخل بها دخولا حقيقيا ، فاذا طلقها الزوج الثانى أو مات عنها وانقضت عدتها منه ، حلت للزوج الأول بعقد ومهر جديدين وبرضاها ٠

« فى الميراث »

س : من السيدة / ن ٠ س ٠ على ــ القاهرة

توفى رجل عن : زوجـــة ، عم لأم ، بنتى عم لأم ٠ فمن يرث وما نصيبه ؟

ج : للزوجة الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، ومادام الموجودون من ذوى الأرحام فان الباقى بعد نصيب الزوجة يكـــون للعم لأم ، ولا شىء لبنتى العم لأم لحجبهم بالعم ، لأنه أقرب درجة والأقرب يحجب الأبعـــد ٠٠

والله أعلم ٠٠

عبد الحميد السيد شـاهين

من سيرته وشمائله ﷺ بقية

يكن جاهلا يكذب بلا علم ، واذا انتفى هـــذا وذاك تعين أنه كان صادقا عالما بأنه صـــادق ٠ ولهذا نزهه الله عن هـــذين الأمـــرين يقـــول تعالى : **« وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ٠ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ٠ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ــ إِنْ هُـــوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى »** ٠

وقال تعالى عن الملك الـــذى جاء به **« إِنَّهُ لَقَـــوْلُ رَسُـــولٍ كَرِيمٍ ٠ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ــ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ »** ٠

ثم قال عنه : **« وَمَا صَـــاحِبُكُم بِمَجْنُـــونٍ ٠ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ٠ وَمَا هُـــوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَـــيْطَانٍ رَّجِيمٍ ــ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ــ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ »** ٠

وقال تعالى : **« وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٠ نَزَلَ بِهِ الـــرُّوحُ الْأَمِينُ ٠ عَلَى قَلْبِـــكَ لِتَكُـــونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ٠ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ، الى قـــوله : **« هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ٠ تَنَـــزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٠ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَـــرُهُمْ كَاذِبُونَ »** ٠

يبين سبحانه أن الشـــيطان انما يتنزل على من يناسبه ليحصل به غرضه ، فان الشـــيطان يقصد الشر ، وهـــو الكـــذب والفجـــور ولا يقصـــد الصـــدق والعدل ، فـــلا يقتـــرن الا بمن فيه كذب [illegible] ٠

فان رســـول الله ﷺ بـــرىء من تنـــزل الشياطين عليه فى العمد والخطأ ٠

بخلاف غير الرسول ﷺ ، فانه قـــد يخطىء ، ويكون خطؤه مغفورا له ، فاذا لم يعرف له خبر أخبر بـــه كـــأن فيـــه مخطئا ولا امر أمر به كان فيه فاجرا ، علم أن الشيطان لم ينزل عليه وانمـــا ينزل عليه ملك كريم ، ولهذا قال فى الآية الأخرى عن النبى ﷺ « إِنَّـــهُ لَقَـــوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ٠ وَلَا بِقَـــوْلِ كَـــاهِنٍ قَلِيـــلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٠ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » ٠

أنباء وآراء

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
عاطف شحاته زهران

فى المؤتمر الخامس عشر لوزراء الخارجية

أوصى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى عقد فى صنعاء عاصمة اليمن الشمالى بضرورة جمع الصف الاسلامى وتوحيد كلمة الأمة الاسلامية لمواجهة التحديات التى تقابل العالم الاسلامى وبخاصة العدو الاسرائيلى .

ودعا المؤتمر الى ضرورة القيام بعمل اسلامى جاد لاستعادة القدس وتحرير المسجد الأقصى من أيدى الصهاينة .. كما دعا المؤتمر الى ضرورة وقف الحرب العراقية الايرانية التى تستنزف موارد دولتين اسلاميتين ولا تخدم أى طرف من أطراف العالم الاسلامى .

وقد ناقش المؤتمر امكان ارسال لجنة مصالحة اسلامية لوقف الحرب وتعويض الطرفين عن خسائرهما التى نجمت عن الحرب التى دخلت عامها الرابع .

ودعا المؤتمر الى جلاء القوات السوفيتية عن أفغانستان الجريحة وتحقيق الحد الأدنى من التعاون الاقتصادى بين ديار الاسلام خاصة فى الوقت الذى تتعرض فيه بعض الدول الاسلامية لموجات من الجفاف الذى اجتاح أكثر من دولة من دول الأمة الاسلامية ..

وقال الدكتور عصمت عبد المجيد وزير خارجية مصر فى كلمته التى ألقاها بالمؤتمر « ان الأمة بحاجة الى نبذ الخلافات وتحقيق الاجماع الاسلامى الذى يخدم مستقبل أمتنا الاسلامية » .

أمانة عامة للدفاع عن مصالح المسلمين

عقد المجلس الاسلامى الأوربى مؤتمرا فى العاصمة الفرنسية باريس لبحث أحوال العمال المسلمين فى أوربا . وحضر المؤتمر مندوبون عن الجاليات الاسلامية فى عدد كبير من الدول الأوربية كذلك حضر المؤتمر شخصيات بارزة مثل المفكر الفرنسى المسلم رجاء جارودى ونجم الدين بامات أحد كبار المسئولين السابقين فى منظمة اليونسكو .

المشكلة التى تواجه ستة ملايين مسلم فى أوربا معظمهم من المهاجرين هى رغبتهم أن يحيوا حياة كريمة أقرب ما تكون الى تعاليم دينهم .

إعداد: أحمد عبد الرحيم السايح
عبد الفتاح السيد عبد السلام
أحمد عبد الله باجور

وقد أيد الحاضرون باجماع كبير انشاء امانة دائمة يمكنها العمل قدر الامكان لتحقيق هذه الرغبة ٠

رابطة للأدب الاسلامى

أعلن فى الهند آخيرا عن تأسيس « رابطة الأدب الاسلامى » برئاسة الداعية الاسلامى المعروف أبو الحسن الندوى ٠

وتهدف الرابطة الى بلورة المنهج الاسلامى فى المجالات الأدبية والنقدية بعد سيطرة الأدب الغربى ومفاهيمه المادية على عقول الأدباء الاسلاميين٠ والعمل على تأصيل نظرية الأدب الاسلامى مع اظهار صلة الأدب بالاسلام فى المجتمعات الاسلامية ٠

« محطة » (تليفزيونية) اسلامية

قامت حركة التوحيد الاسلامى فى طرابلس بشمال لبنان فى تشغيل محطة التليفزيون الخاصة التى أنشأتها مؤخرا وبدأت تبث برامج تليفزيونية فى نطاق مدينة طرابلس وضواحيها

وتقتصر برامج تليفزيون « التوحيد » على الفقرات الدينية من أناشيد وتوجيهات وتعليقات بالاضافة الى عرض مقاطع مصورة من خطب وأقوال لبعض القيادات الاسلامية فى مناسبات مختلفة » ٠

انشاء ثمانية آلاف مدرسة اسلامية

قامت هيئة التعليم الاسلامى بالهند بانشاء ثمانية آلاف مدرسة اسلامية ابتدائية بالهند فى خمسة وأربعين مديرية بالولايات المختلفة وذلك لتعليم أبناء المسلمين الذين يدرسون فى المدارس الحكومية أصول الدين الاسلامى وتحفيظهم القرآن الكريم ٠

وتعتبر هذه المدارس مستقلة عن نظام التعليم الحكومى ، وتعتمد على تبرعات المسلمين هناك ولا تقبل مساعدات حكومية ٠

قال ظهير أنوار القاسمى مدير المدارس : ان انشاء هذه المدارس الاسلامية يهدف الى العناية بتعليم القرآن الكريم وعلومه وتفسيره وتعليم اللغة العربية واقامة مراكز تحفيظ القرآن الكريم الى جانب التعريف بالاسلام فى مختلف المناطق ، ونشر الوعى الدينى بين أبنائه ٠

طفل سوفيتى من كل ستة أطفال مشوه

أكدت أكاديمية العلوم السوفيتية فى تقرير سرى أن ادمان الخمور فى الاتحاد السوفيتى يؤدى الى ولادة طفل معتوه أو مصاب بعاهة

أنباء وآراء

من كل ستة أطفال ٠

قال التقرير الذى تسربت مقتطفات منه الى وكالة الأنباء الفرنسية : ان عدد مدمنى الخمور عام ١٩٨٠ بلغ ٤٠ مليون مواطن ومواطنة أى ١٦٪ من عدد السكان ٠

(الصحوة الاسلامية) فى السنغال

صدرت فى السنغال جريدة اسلامية بعنوان « الصحوة الاسلامية » التى توقفت عن الصدور لمدة ثلاثين عاما على أثر العقبات التى قابلت الصحيفة فى السنغال ٠

تصدر الصحيفة شهرية فى اثنتى عشرة صفحة ٠ ويتصدر صفحتها الأولى قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وجريدة « الصحوة الاسلامية » جريدة هادفة تعالج كثيرا من قضايا المسلمين ، وتعرض الحلول المناسبة للمشاكل التى تعترض المسلمين فى صحوتهم الواعية ٠

انشاء مصرف اسلامى دولى

تعتزم عدة مؤسسات اسلامية تأسيس مصرف اسلامى دولى برأسمال قدره خمسمائة مليون دولار بحلول عام ١٩٨٦ م ٠ وقد تم الاكتتاب بحوالى نصف رأس المال ٠ وتم تقديم طلب للحكومة الكويتية للحصول على ترخيص لاقامة المصرف كوحدة أو مشروع ٠

ووصفت بعض المصادر هذا المصرف بأنه سيكون « مصرف المصارف الاسلايمة » اذ سيكون بامكان المصارف الاسلامية ايداع أموالها الفائضة فى هذا المصرف كاستثمار وسحبها اذا مادعت الحاجة ٠

نظام المعاملات الاسلامية

بدأت باكستان فى تطبيق نظام المعاملات الاسلامية فى (مصارفها) وذلك فى اطار خطة تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية التى يتبعها الرئيس محمد ضياء الحق ٠ وأعلنت السلطات الباكستانية أن هذاالنظام سيطبق على المصارف الوطنية والأجنبية ٠ وقد منحت الحكومة لهذه المصارف مهلة ستة أشهر كفترة انتقالية يتم بعدها تطبيق النظام الجديد تطبيقا كاملا ٠

وصرح غلام اسحاق خان وزير المالية الباكستانى : بأن نظام الودائع فى المصارف سيقوم على أساس المشاركة فى الأرباح والخسائر ٠ وذلك خلافا لنظام الفوائد الثابتة التى تتبعه المصارف الغربية ٠

وقال وزير المالية : أن النظام الاسلامى سيمتد ليشمل ستة آلاف فرع لخمسة مصارف وطنية باكستانية ٠ وأن أكثر من عشرين فرعا للمصارف الأجنبية قد وافقت على اتباع النظام الجديد ٠

حكم قضائى برفض الربا

رفضت محكمة استئناف القاهرة برئاسة المستشار محمود هريدى ، وعضوية السيد

نور الدين الشحات ، والسيد فوزى لمعى ــ الحكم بصرف الفوائد لمخالفتها للشريعة الاسلامية ٠

قالت المحكمة فى حيثياتها :

((انه لما كان القضاة هم الذين يرتكبون اثم من يحكم بغير ما أنزل الله ويتحملون وزره ، فان المحكمة لا تتردد فى أن تحكم بما أنزل الله وتقضى برفض الحكم بالفوائد تأسيساً على بطلانه لمخالفته الشريعة الاسلامية التى تسمو على كل قانون وضعى)) ٠

لجان تقنين الشريعة الاسلايمة

كلف الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب المستشار أحمد موسى وكيل مجلس الشعب بدراسة نتائج أعمال لجان تقنين الشريعة الاسلامية خلال الفترة الماضية ، وذلك تمهيدا لتقييم هذا النشاط فى ضوء مطالبات الأعضاء المكثفة داخل مجلس الشعب بتطبيق الشريعة الاسلامية ٠

من نوادر مخطوطات - بقية

ذلك فى زوجته وأمته فى اعتكاف التطوع

واخراجهما منه ومنعهما مالك اذا دخلا فيه ٠ ووجه أبو حنيفه فى الأمة دون الزوجة ٠

الثالث ــ فيه أن الاعتكاف لا يصح الا فى المسجد وأن كونه فيه شرط لصحته حيث اعتكف عليه الصلاة والسلام وأزواجه فيه مع المشقة فى ملازمته ومخالفة العادة فى الاختلاط بالناس لا سيما النساء . فلوجار الاعتكاف فى البيوت لما خولف المقتضى لعدم الاختلاط بالناس فى المسجد . وتحمل المشقة فى الخروج كعوارض الحلقة وهذا مذهب مالك والشافعى وأحمد وداود والجمهور ٠

وقال أبو حنيفة يصح اعتكاف المرأة فى مسجد بيتها وهو الموضع المهيأ للصلاة دون الرجل وهو قول قديم للشافعى ، ونقله البندنيجى عن الجديد، وجوزه بعض أصحاب مالك وأصحاب الشافعى للرجل أيضا لان الاعتكاف تطوع وتطوعه فى البيت أفضل الى آخر ما ذكر فى هذا الباب ٠ والنسخةموجودة بمكتبة الازهر فى مجلد بقلم معتاد سنة ١١٢٥ هـ فى ٣٨٠ ورقة ومسطرتها مختلفة وتوجد نسخة أخرى فى مجلد بقلم معتاد بأولها وآخرها نقص فى ١٥٠ ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا ٠

نسأل الله الكريم أن نستزيد من فضل هؤلاء العلماء وثمرة جهدهم حتى تكون لدينا الحصيلة الوافيةالنافعة لنشر ثمراتها لنفع الاسلام والمسلمين ٠

والله ولى التوفيق

((محمد عميره على))

أنباء وآراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث الشريف الذى جمع فأوعى

عن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ
فقال : يارسول الله : جئت أسألك عما يغنيني فى الدنيا والآخرة فقال رسول الله
ﷺ : سل عما بدا لك

قال : أريد أن أكون أعلم الناس . فقال : ﷺ	اتق الله تكن أعلم الناس
قال : أريد أن أكون أغنى الناس . فقال ﷺ	كن قانعا تكن أغنى الناس
قال : أحب أن أكون أعدل الناس . فقال : ﷺ	أحب للناس ما تحب لنفسك تكن أعدل الناس
قال : أحب أن أكون خير الناس . فقال : ﷺ	كن نافعا للناس تكن خير الناس
قال : أحب أن أكون أخص الناس إلى الله . فقال : ﷺ	أكثر ذكر الله تكن أخص الناس إلى الله
قال : أحب أن يكمل إيمانى . فقال : ﷺ	حسن خلقك يكمل إيمانك
قال : أحب أن أكون من المحسنين . فقال ﷺ	أعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك تكن من المحسنين
قال : أحب أن أكون من المطيعين فقال ﷺ	أد فرائض الله تكن من المطيعين
قال : أحب أن ألقى الله نقيا من الذنوب فقال ﷺ	إغتسل من الجنابة متطهرا تلقى الله نقيا من الذنوب
قال : أحب أن أحشر يوم القيامة فى النور . فقال : ﷺ	لا تظلم أحدا تحشر يوم القيامة فى النور
قال : أحب أن يرحمنى ربى يوم القيامة . فقال : ﷺ	إرحم نفسك وارحم عباده يرحمك ربك يوم القيامة
قال : أحب أن تقل ذنوبى . فقال : ﷺ	أكثر من الإستغفار تقل ذنوبك
قال : أحب أن أكون أكرم الناس . فقال : ﷺ	لا تشكو من أمرك شيئا إلى الخلق تكن أكرم الناس
قال : أحب أن أكون أقوى الناس . قال : ﷺ	توكل على الله تكن أقوى الناس
قال : أحب أن يوسع الله علىّ فى الرزق . قال : ﷺ	دم على الطهارة يوسع الله عليك فى الرزق
قال : أحب أن أكون من أحباب الله ورسوله قال : ﷺ	أحب ما أحبه الله ورسوله تكن من أحبابهم
قال : أحب أن أكون آمنا من سخط الله يوم القيامة . قال : ﷺ	لا تغضب على أحد من خلق الله تكن آمنا من سخط الله يوم القيامة
قال : أحب أن تستجاب دعوتى . قال : ﷺ	إجتنب أكل الحرام تستجاب دعوتك
قال : أحب أن يسترنى ربى يوم القيامة . قال : ﷺ	أستر عيوب إخوانك يسترك الله يوم القيامة
قال : ما الذى ينجى من الذنوب ؟ أو قال من الخطايا ؟ . قال : ﷺ	الدموع والخضوع والأمراض
قال : أى حسنة أعظم عند الله تعالى ؟ . قال : ﷺ	حسن الخلق والتواضع والصبر على البلاء
قال : أى سيئة أعظم عند الله تعالى ؟ . قال : ﷺ	سوء الخلق والشح المطاع
قال : ما الذى يسكن غضب الرب فى الدنيا والآخرة ؟ . قال : ﷺ	الصدقة الخفية وصلة الرحم
قال : ما الذى يطفىء نار جهنم يوم القيامة ؟ . قال : ﷺ	الصبر فى الدنيا على البلاء والمصائب

قال الإمام المستغفرى : ما رأيت حديثا أعظم وأشمل لمحاسن الدين وأنفع من هذا الحديث أجمع فأوعى

رواه الإمام أحمد بن حنبل

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسـلام على أشرف المرسلين ، وبعـد

فان الحديث السابق قامت بطبعه وتوزيعه على المواطنين بعض الشركات ، وعزته الى الامام أحمد بن حنبـل من روايـة خـالد بن الوليد ، ولم تبين مصدره من كتب الامام أحمد بن حنبـل .

وقد رجعت الى أحاديث خالد بن الوليد فى مسند الامام ، والى كتاب الزهد له ، والى كتاب المناقب : مناقب خالد ــ فى مجمع الزوائد للهيثمى فلم أعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ ولكن بعد البحث وجدت الحديث فى الجامع الكبير للامام السيوطى الجزء الثانى ص ٣٨٢ « قسم المسانيد » مسند خالد النسخة المصورة عن مخطوطه دار الكتب المصرية رقم (٩٠) .

ولم يعزه الامام السيوطى الى الامام أحمد ، وانما عزاه لغـيره بلفظ : وجدت بخط الشيخ / شمس الدين بن القماح فى مجموعة له عن أبى العبـاس المستغرى قال : قصدت مصر أريد طلب العلم من الامام أبى حـامد المصرى ، والتمست منه حديث خالد بن الوليد ، فأمرنى بصوم سنة ، ثم عاودته فى ذلك ، فأخبرنى باسناده عن مشايخه الى خالد بن الوليد قال : جاء رجـل الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : انى سائلك عما فى الدنيا والآخرة فقال له : سـل عمـا بدا لك ؟ .

قال يانبى الله : أحب أن أكون أعلم الناس .. الخ .

والناظر الى هذا الحديث بهذا الطول يجد أن الكثير منه ورد فى السـنة النبوية فى مناسبات مختلفة كقوله : اعبـد الله كأنك تراه .. (١) الخ .

وكقـوله : أحب الناس الى الله تعالى انفعهم للناس (٢) .

وكقـوله : أحب للنـاس ما تحب لنفسـك .. (٣) الخ .

ولكن الحديث بهـذه الصـورة المجموعة على هـذا النسق هو من جمع القصاص الذين يفعلون ذلك للتأثير على الناس ، وهـو كذلك من الأحـاديث المدلس بها على الامام أحمد حسب المصادر المتوفرة لدينا ، وكذلك عزوه لسيدنا خالد من الأمور التى تدعو الى الشك فيه وتؤيد أنه من عمل القصاص ، لتأخر

---

(١) البخارى كتاب الايمان ج (ص ٢٠ (٢) انظر مجمع الزوائد للهيثمى ج ٤ ص ٧٠ ، ج ٢ ص ٣١٠ (٣) المصدر .

أنبـــاء وآراء

اسلام خـــالد (١) ، ولقلة روايته للحديث لاشتغاله بالحروب أخرج أبو يعلى عن قيس — يعنى ابن حازم قال : قال خالد بن الوليد : « لقد منعنى كثيرا مـــن القراءة الجهاد فى سبيل الله » قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح (٢) .

هذا بجانب أن الحديث لا سند له ولم نعثر على مجموع الشـــيخ شمس الدين القماح فى المراجع المتوفرة لدينا ، وهذا يؤيد ما ندعو اليه وهو ان هـــذا الحـــديث بهذا الشكل من عمل القصـــاص ، والله أعلم .

احمد عبد الله باجور

• • •

THE
Copts

CHRISTIANS OF EGYPT

NON PROFIT ORG.
U S POSTAGE
PAID
PERMIT No 140
JERSEY CITY N J

ISSN 0360 — 649X

PUBLISHED BY: THE AMERICAN AND CANADIAN COPTIC ASSOC.
AND AUSTRALIAN COPTIC COMMISSION
P.O. BOX 9119 G.L.S. — JERSEY CITY, N.J. 07304 U.S.A.

VOL. II, NO. 1 and 2, JUNE, 1984.

FROM HOUDAIBA TO CAMP DAVID TO THE LEBANESE-ISRAELI AGREEMENT

أصدر بعض الأقبـــاط المصريين صحيفة : « الأقباط : نصارى مصر » تنشرهـــا رابطة اقباط كندا وامريكا وبعثة أقباط استراليا » بمدينة جرسى — بولاية نيو جرسى الأمريكية . نأمل أن تكون هذه الصحيفة عاملا من عوال الوحدة المصرية وعمادا لأمانى مصر ونهضتها .

---

(١) أسلم سنة سبع بعد خيبر الاصابة ج ٣ ص ٧٠ رقم ١٤٤٧ طبع مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) مجمع الزوائد كتاب المناقب — مناقب خالد — ج ٩ ص ٣٥٠ .

من خير ما كتب :

فضيلة الامام الاكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر

نداء من شيخ الأزهر لانقاذ منكوبى الجفاف فى افريقيا

وجه فضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر نداء لوسائل الاعلام المختلفة الى دعوة المواطنين خاصة وسائر الناس كافة فى جميع أنحاء العالم للاسهام فى اغاثة ومساعدة منكوبى الجفاف فى افريقيا ..

هذا نصه :

الحمد لله الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهو الغنى الحميد ، سبحانه لا مانع لما يعطى ، ولا معطى لما يمنع ، وقد أعطى وأرضى ، والصلاة على رسول الله محمد الجواد الكريم ، صلى الله عليه وسلم : وبعد :

فقد حملت الأنباء أخبار الجفاف والمجاعة التى وقعت فى كثير من البلاد الافريقية وان الآلاف من الرجال والنساء والأطفال قد ماتوا ويموتون فريسة الجوع وأن مصر التى حباها الله بالخيرات وحماها من هول المجاعات كانت ـ دائما ـ تسارع الى نجدة الملهوف واطعام الجائع وكساء العارى . وكانت مصر ـ وستظل بحول الله ـ سباقة الى الخير مستجيبة لقول الله سبحانه :

(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) .

ولقوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ، الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .

ولقوله تعالى :

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .

آيات كثيرة فى القرآن وأحاديث وفيرة فى السنة الشريفة تأمر المسلمين ، بل كل بنى الانسان بأن يؤدوا حقوق الفقراء والمنكوبين ، وأن يهبوا الى غوث الجائعين واطعامهم ، ورفع ما وقع عليهم من قحط . ان الله سبحانه فرض فى أموالنا حقوقا فقال :

(وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) .

وقال :

(وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشح والبخل فقال : (واتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) .

أو ليس الجائع محروما تجب اغاثته حفاظا على حياته ؟

أيها المواطنون : **وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ..** فقدموا ما يدخر لكم عند ربكم ، ويعين اخوانكم فى الانسانية ويحفظ عليهم حياتهم ويضع عنهم اصرهم .

ان على كل منا أن يقدم ولو طعام يوم واحد ، اغاثة لهؤلاء الذين نزل بهم فهؤلاء الجوعى اخوتنا وجيراننا ، حتم علينا ألا نتركهم أرضا خصبة لأفكار وافدة عليهم يفقدون بها دينهم وأوطانهم .

كما أدعو وسائل الاعلام المختلفة الى دعوة مستمرة للمواطنين خاصة وسائر الناس كافة فى أنحاء العالم للاسهام فى أغاثة هؤلاء المنكوبين لتحفظ عليهم حياتهم . واننى لأدعو وزارة الشئون الاجتماعية أن تقود حملة لجمع وتلقى التبرعات العينية والنقدية وأن توجه كافة الجهات الخيرية والجمعيات لهذه المهمة العاجلة الانسانية بالاعتبار العام كونوا أيها المواطنون ممن قال الله فيهم :

(.. وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ..) .

الدكتور / عبد الودود شلبى ـ الأمين العام للجنة العليا للدعوة بالأزهر

دعاة العلمانية .. وحقيقة أهدافهم

اذا كانت (العلمانية) بمعناها الاصطلاحى الذى يكتبه بعض (فلاسفتنا) تعنى الانفتاح على العالم ، والنظر فى ملكوت الله وخلقه والاعتبار بما فى كون الله ـ سمائه وأرضه ـ فالاسلام قد دعا الى هذا قبل غيره (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) .

واذا كانت (العلمانية) مأخوذة من العلم كما يفسرون ذلك ، فالعلم فى الاسلام فريضه من فرائضه ، وركن من أركانه .. وحسبنا أن أول ما أنزل من القرآن كان عن العلم ، وعن القراءة ، وعن القلم الذى هو أداة العلم ووسيلته الى التأليف والبحث .

فالعلم فى الاسلام . فريضة من فرائضه ، وهو علم أعم من العلم الدينى الذى تقوم به طائفة من الأمة .. انه علم يشمل كل ما فيه اصلاح الحياة ، واستمرارها وتنمية مواردها والحفاظ على شخصية الأمة من كل أسباب الانهيار والضعف ، والعمل على النهوض بها لتكون عزيزة الجانب : فى مجال الفكر ، وفى مجال الاقتصاد ، وفى مجال القوة بكل عناصرها المختلفة .

ولكن (العلمانية) التى نرفضها هى تلك التى تسعى لاجهاض شخصية الأمة ومقوماتها ، تحت شعارات غربية (وافدة) لا صلة لها بعقيدة الأمة ، ولا صلة لها بثقافتها ولا حضارتها

ولا تاريخها . والا ففيم هذا الاصرار ـ باسم (العلمانية) على محاربة قيمنا الاسلامية الراسخة . وعلى محو شخصيتنا الاسلامية الواضحة وعلى الانسلاخ من جميع الفضائل والاخلاق التى تميز بها المسلمون عن غيرهم من الامم السابقة واللاحقة :

ان دعاة العلمانية لا يفصحون عن حقيقة أهدافهم خوفا من ردود الفعل ، ولكنهم يستدرجون المجتمع المسلم الى اهدافهم فى دهاء غافلين عن حقائق الحياة والتجربة فى شعوب أخرى ، ابتليت بأشباههم .

الأخبار ـ ١١/١/١٩٨٥

الأستاذ / أحمد بهاء الدين . .

يوميات ..

هل تريد اسرائيل حقا الانسحاب من لبنان ؟

.. لا أظن !

فمنذ جاءت حكومة شيمون بيريز الى الحكم وهى تعلن عن نيتها بشأن الانسحاب الجزئى من طرف واحد وبعد كل هذه الشهور أعلن أن مجلس الوزراء الاسرائيلى وافق بعد مناقشات طويلة على خطة (اسحق رابين) وزير الدفاع للانسحاب الجزئى من جانب واحد من نهر (الأولى) الى (نهر الليطانى) فى فترة من الآن وحتى تاريخ غير محدد الا بأنه (الخريف القادم) .

أى الانسحاب حوالى ثلاثين كيلو مترا .. فى خلال سنة كاملة ! أى بمعدل ثلاثة كليو مترات كل شهر ! أى مائة متر كل يوم ! أى أربعة أمتار كل ساعة .

هل هذا كلام جاد ؟ .

كلا . ولكن اسرائيل تبيع سلعة غير حقيقية ، وهى الظهور بمظهر المرونة والتساهل حتى توجد جوا يسمح لها بتحسين العلاقات مع مصر . وتأجيل البحث فى القضية الفلسطينية ، والحصول على طلباتها المالية الاضافية من الولايات المتحدة ، وهو الأهم وبعد سنة (يحلها ربنا) وتتجدد الاعذار للبقاء أو الجلاء حسب الظروف .

وبعد هذا كله .. ومع فرض ان هذا سيتم .. فيبقى تحت يد اسرائيل : الجنوب اللبنانى من نهر الليطانى حتى حدود اسرائيل ، وهو الجزء الاهم بالنسبة لها .. وسيبقى ربع مليون لبنانى تحت الاحتلال ، وستبدو كريمة فى نفس الوقت لأنها (تنسحب من جانب واحد) بأبطأ خطة جلاء عرفها التاريخ ، حتى ايام كانت الجيوش تسير على أقدامها أو تركب الابل والأفيال ! ..

وقد صدمنى ـ واعترف بذلك ـ ان قرأت فى الملحق الاسبوعى لجريدة (جيروزاليم بوست) عنوانا ضخما هو (الضفة الجنوبية) عن الجنوب الشيعى اللبنانى .

(فالضفة الغربية) تقع شرق اسرائيل ولكنها تسمى (غربية) لأنها غرب نهر الاردن و (الضفة الجنوبية) شمال اسرائيل ولكنهم سموها (جنوبية) لأنها جنوب نهر الليطانى والعنوان لدراسة عن « كيفية اخضاع الجنوب اللبنانى » بنفس النجاح الذى تم به اخضاع الضفة الغربية وقطاع غزة .

الأهرام ـ ١٨ /١/١٩٨٥ م

أنباء وآراء

الصين تنبذ الماركسية

الحقت الصين الشعبية ضربة قاسية بالمذهب الشيوعى بنقدها اللاذع للماركسية واللينينية ، وذلك فى مقال نشرته جريدة الشعب التى تمثل نظر الحكومة والحزب الشيوعى الصينى الحاكم •

وجاء فى المقال أن أفكار كارل ماركس (١٨١٨ — ١٨٨٣ م) أصبحت بالية ، ولم تعد صالحة لهذا العصر ، فقد تغير العصر الذى وضع فيه ماركس فكرته ، فلا تصلح للوضع السائد اليوم ، كذلك أفكار فريدرك هيجل أو ولاديرلينين ، لأنهم لم يواجهوا المشاكل التى نواجهها ، ومن ثم لا يصلح أن ننظر الى أفكارهم وتجاربهم كحل لمشاكل حياتنا المعاصرة •

ووصف المقال بعنوان (الماركسية والتطبيق) التمسك بأفكار ماركس بدون — تفكير ونظر — سخافة ومحاقة وعقبة فى سبيل انجاز برامج طامحة لوضع البلاد على قواعد حديثة • وأضاف التعليق الذى نشرته الجريدة الرسمية قائلا :

يجب ألا نتعصب لمبادىء ماركس ولينين ، فان الظروف تتغير بسرعة ، فاذا تشبثنا بمبادىء معينة لماركس ، فان التنمية التاريخية التى تحدث فى البلاد ستتوقف •

وحذر المقال بأن الصين اذا لم تترك المذهب الماركسى فانها لا تستطيع أن تساير ركب الحياة المعاصرة أو تنجز مشاريع التنمية ، وتدعم الاقتصاد الوطنى •

***

وصدر هذا المقال أثر اجراءات واسعة فى مجالات الاقتصاد ، والتجارة ، والحياة الاجتماعية والسياسية ، فرفع الحظر الذى كان مفروضا على التجارة الحرة ، وشراء الكماليات كما يجرى فى الصين حملة تصفية للعناصر المتحفظة التى تدافع عن الخط الشيوعى القديم • ويرى الخبراء أن هذا الاتجاه الجديد دليل على فشل الثورة الماركسية واللينية فى تحقيق وعودها — وبناء المجتمع الجديد ، فقد مرت الصين بمعاناة انسانية ذهب ضحيتها ألوف من الناس وقد أدركت القيادة الجديدة سفاهة هذه التجربة وستكون للتطورات الأخيرة آثار ملحوظة فى الدول الشيوعية الأخرى التى لا تزال تعيش فى أوهامها أو انها تدرك فشلها وتريد الخروج من هذا المأزق ، لكنها تخشى المدافع السوفيتية ودبابات حلف وارسو •

مجلة الرائد الهندية

ملاحظة :

لا يعنى الهجوم الصينى على أفكار ماركس ولينين أن الصين تجردت عنهما لتميل الى اليمين ، وتحالف « الدين » وفى مقدمته « دين الاسلام » فلا تزال الصين تذيق المسلمين مر العذاب حتى لتذهب الى قتل أطفالهم ، وليس يغيب عنا ما حدث للمسلمين فى غرب الصين ابان فرار « الدلاى لاما » الى الهند ، فقد نكل بالملايين منهم حتى أسلموا الروح ، ولقد تذهب مبادىء ماركس ولينين — فى الصين

ــ الى الجحيم ، ولكن ليحل محلها مبــادىء تتحرك ونصب عينها عداء الــدين ٠٠٠ مجلــة الأزهر ٠

الأستاذ / أحمد بهجت

المجــاهدون

أحيانا يحس الكاتب بصراع نفسى يؤدى به الى أزمة ٠٠ حين يقارن بين كلماته ورصــاص الرشاشات ٠

ذلك ٠٠ ان الحياة الانســانية تؤدى الى مواقف تحتاج ادارتها الى القتال ٠٠ وهنا تبدو الكلمات باهتة شاحبة فقيرة جوار الجهد الآخر الذى يقوم به رجال لا نعرف أســماءهم أو لا نعرف أماكنهم ، وان كنــا نعــرف من وهج بنادقهم انهم هناك ، هؤلاء المجاهدون ٠٠

وهم كثير على سطح الأرض وقليلون أيضا فى نفس الوقت ٠٠ انهم هناك فى أفغانســتان ٠٠ وفى جنوب لبنان ٠٠ وفى أماكن أخرى كثيرة ٠٠ والمجاهدون أنواع :

فيهم من يجاهد من أجل عقيدة ســياسية ، وفيهم من يقاتل من أجل قيمة انسانية ، وفيهم من يقاتل دفاعا عن عقيدته الدينية ٠

هذا القتال الذى يكون فى سبيل الله هو أرفع أنواع الجهاد ٠٠ هذا الاســبوع اعتــرف دبلومــاسى امريكى فى الامم المتحــدة بــأن السوفييت لا يستطيعون ضرب المجــاهدين الأفغانيين ٠٠ قال ان المجاهدين قد أظهــروا شجاعة تتجاوز الســلاح السوفيتى المتطور ٠٠

ســئل : هل يرى نهاية لهذا الصراع ؟

قــال ان مستقبل أفغانستان يتحــدد الآن بشجاعة المجاهدين الخارقة ٠٠ وبسبب القتــال العنيف الذى يشنه المجاهدون أصبح الوضــع كالتالى فى أفغانستان : ان المجاهدين يسيطرون على ٧٠٪ من مساحة الأرض الأفغانية ، ونحن نعتقــد طبقــا لمعلوماتنــا ان الســوفييت لا يتحكمون الا فى المدن ، وأثناء النهار فقط ٠٠

أما الليل فيحكمه المجاهدون تماما ٠٠

حتى فى كابول ٠٠ اذا جاء الليــل لم تعــد المدينة مأمونة الجانب بالنسبة لأحد حتى قوات الاتحاد السوفيتى لا تأمن جــانب الليــل فى عاصمة أفغانستان ٠

هذا اعتراف دبلوماسى أمــريكى بمــوقف المجاهدين ٠٠ وثمة مــوقف يشــبهه ــ وان اختلفت الظروف ــ فى جنوب لبنان ٠

ان ما يقوم به الرجال والأطفال والنســاء والشيوخ من مقاومة رائعة للعــدو شىء فــوق قدرة الكلمات على الوصف ٠ ان أساطير عــن الشجاعة تجرى اليوم فى جنوب لبنــان ٠ ان الليل فى الجنوب يحكمه المجاهدون ٠٠ تحية الى الليــل ٠٠ ليل المجاهدين فى أفغانستان وجنوب لبنان وكل بقعة يثور فوقها للحق رجــال ٠

الأهرام ــ ٢٤//١٩٨٥١

الأستاذ / مصطفى أمين

فــكرة

أرفض الظلم ٠ أرفضه لأصدقائى وخصومى على حد سواء ٠ أرفضه لأبناء بلدى وبلاد الدنيا كلها ٠ فالظلم مرض معد ينتقل من بلد الى آخر كالوباء ٠

ومصيبة الظالم أنه لا يحس بظلمه ، بــل

هو أحيانا يتلذذ به ويستمتع ومنظر السيف فى يده وهو يقطع به رقاب الأبرياء يجعله يشعر بنشوة وكأنه يعانق أجمل امرأة فى العالم • ولقد بحثت عن عقوبات أطالب باضافتها للقوانين لمعاقبة الظالمين ، ووجدت أن عقوبة الموت هى أقل كثيرا من جزاء جريمة الطغيان • واذا بالأيام تكشف لى عن حقيقة غريبة :

ما من ظالم الا وعاقبه الله فى الدنيا على الذنب جناه . واذا كان الله يمهل عباده ، فلا يحاسبهم الا يوم القيامة ، فانه يستثنى الظالمين من هذه القاعدة ويقدم موعد حسابهم الى الحياة نفسها •

ولا أعرف اذا كان الظالمون يندمون على ما فعلوا أو لا يندمون •ولكنى أعرف أن المصائب التى تنزل على رءوسهم والأهوال التى تنهال عليهم كالصواعق ، هى عقوبات الهية ليس فى قدرة مظلوم أن يوقعها على ظالمه •

بعضهم يموت وهو على قيد الحياة يمشى فى الشوارع خائفا فزعا • يتصور أن كل يد تحمل خنجرا تريد أن تغمده فى ظهره • يرى العيون فيحسبها فوهات مدافع موجهة اليه البسمة على الشفاه يترجمها على أنها سخرية به والتحيه المجردة تسقط على وجهه وكأنها بصفة • المدينة مزدحمة وهو وحيد فيها • أصدقاؤه يجهلونه • أقاربه يتهربون منه • أعوانه يتخلون عنه • أصبح غريبا فى وطنه ويتمنى ان ينساه الناس . ولكن مصيبته أنه يرى الأصابع متجهة اليه بالاتهام • أشجار الطريق تتحول الى سهام • أعمدة النور تبدو كأنها أعواد المشانق التى علق فيها الأبرياء •

وفى بعض الأحوال يتصور الظالم انه أفلت من عقاب الدنيا • لم تصل اليه يد الله • واذا به يرى الانتقام يمتد الى أولاده وبناته فيخلقون مشوهين ، مخبولين ويضطر بعضهم ان يضع أولاده فى أقفاص كالحيوانات ، ويراهم كل يوم فى هذه الصورة المؤلمة فيتذكر ما فعله بالأبرياء الذين ملأ بهم السجون ، ويتذكر الخصوم الذين علقهم من أرجلهم فى سقف الزنازين وانهال عليهم بالسياط !

أيها المظلوم ! اطمئن ان الله ينتقم من كل ظالم ومستبد وجبار • انتقامه أكبر الف مرة من قدرتك •• ومن خيالك •

الأخبار — ٢٤ /١/١٩٨٥

الأستاذ / محمود عبد المنعم مراد

شكرا للدكتور عبد السلام عبد الغفار وزير التربية والتعليم ، لاعترافه الصريح بالامر الواقع ، المتصل بمشكلات التعليم فى مصر ، ففى المؤتمر الشعبى الذى عقد أول أمس فى مدينة بنى سويف •

تحدث الوزير بشجاعة وصراحة عن الحالة المؤسفة التى وصلت اليها مدارسنا . اذ قال عنها انها تحولت الى مخازن للأطفال . لا تؤدى دورها فى العملية التعليمية ، نظرا لضيق الأمكنة ، وجلوس بعض التلاميذ على الأرض •

كما قال ان نظام التعليم على فترتين لا يصلح فى مصر ، فما بالنا بالفترات الثلاث فى بعض المدارس ، وهو ما نلجأ اليه أحيانا نظرا الى أن المبانى المدرسية لم تعد كافية ، كما أن هيئات التدريس تعانى نقصا شديدا ، وهو ما دفع الوزير الى تشكيل ٣٥ لجنة لبحث مشكلات التعليم . واجراء دراسة لتحديد اعداد المدرسين اللازمين لمدارسنا حتى عام ألفين •

وكم تحدث الكثيرون عن مشكلة التعليم وأوضحوا أنها من أخطر المشاكل التى تواجهنا الآن • ولكننا كنا نواجه بردود تتحدث عن ضخامة الاعداد التى تضمها مدارسنا ، رغم أن الجميع يعرفون أن الكثيرين من أبنائنا لا يجدون لهم أماكن فى المدارس ، سواء الحكومية منها أو الخاصة • ثم ان العدد ليس هو المقياس الوحيد • ولكن مستوى التعليم نفسه أصبح فى منحدر لا يمكن أن ينكره أحد • وليس من باب المغالاة أن نقول :

ان الحاصل على الشهادة الابتدائية فى الزمان الذى مضى يقارب خريج الجامعة فى الوقت الحاضر . تحصيلا للمعلومات العامة والثقافة اللازمة أو معرفة اللغات الأجنبية أيضا • ومشكلات التعليم كثيرة ومتشعبة ومتشابكة • ولكنها جميعا تحتاج الى أموال طائلة • والخطوة الأولى التى يجب البدء بها هى تشجيع الجهود الذاتية الرامية الى بناء المدارس الجديدة فى القرى والمدن بتبرعات من القادرين ، ومساعدة من المحافظين بقدر الامكان • ولست أظن أن الدولة قادرة وحدها على بناء ما تحتاج اليه من مدارس جديدة ،ثم ان الكثيرين من المواطنين يرغبون رغبة أكيدة فى التبرع بجانب من أموالهم فى حل المشكلة ، ولا ينقصهم الا التشجيع •

أما أن نظل نرمى على اكتاف الحكومة عبئا حل هذه المشكلة ، مع التمسك بشعار مجانية التعليم ، وأنه حق مضمون ، وأنه كالماء والهواء ، فذلك ضرب من الدعوة الى استمرار المشكلة ، بل الى تفاقمها ، ولن تجدى سوى الصراحة والشجاعة فى اتخاذ القرار ، ومشاركة المواطنين أنفسهم فى ايجاد الحلول ، بقدر ما يستطيعون •

الأخبار ــ ١٩٨٥/١/٢٣ م

فهرس العدد

THE BELIEVER IGNORES THE ENVIOUS

By: Sonia Hill

I have often seen hounds pass by dogs and curs, that always overdo barking at them and chasing them, as if envious of the splendour they live in and the regard they enjoy. On the other hand, hounds ignore them altogether, rising above throwing a glance at them, and giving them a deaf ear.

So, it seems to me as though hounds and dogs were two races apart. Dogs are unrefined in structure and graceless in behaviour, whereas hounds are handsome in appearance and pleasing in manners. A hound guards its master's game for fear of his punishing it, or out of gratitude for his generous bestows on it.

I dare say, therefore, that genteel manners and pleasant society usually go along with fine structure and clear conscience. So, a wise believer may as well disregard them who envy him, and look down upon them as non-entities. Indeed, believers and the envious belong to two distinct worlds. It is for this life that the envious belong, while believers are strivers for the Hereafter. How great, then, is the distance that separates the two sorts.

ious of great responsibilities authorized to him as a true subject of Allah.

A final extremely important fact is that muslims, in addition to believing in what had been revealed in the holy Qur'an; are also asked to believe in what had been revealed to other prophets before Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) for guidance and salvation of mankind. This crucial prerequisite puts both Christians and Jews fac. to face with their open denial of the Holy Quran, and superimposes Islam. It is necessary for everyone to conduct the way of righteousness, it is the only drawn line to success both in the worldly life and in the Hereafter. One has to break through inspite of the thorns interspersed. A happy beautiful end had been prepared for those who struggle for it. They are the holders of the keys to Paradise. By their good deeds and good intentions they have been shown its course. We can have the pleasure to be in their company if we are true to ourselves. They are the shining stars we are to observe, their principles and teachings they are those we are to follow, respect and defend unhesitantly.

presence of Allah. In His sublime presence, generosity, grace benevolence, and mercy are certainly attainable.

Therefore, it is vital to keep performing these five prayers in their fixed times. By doing so, our souls become provided with the divine energy all along its long but exciting journey through the life. In this way a muslim is shielded against evils; he is made ready to accept, satisfactorily, what has been predestined for him. Here, a serious problem emerges: In his spiritual relation to his Creator, is man detached from aspiring his secular,

mental needs?. Of course not, man is not bound to his spiritual world, in spite of his working hard for it. Man is ordered to satisfy his physical, as well as intellectual needs. Wealth owned by a righteous man is but a means to an end, it is considered a gift from Allah, and

man is advised to spend it generously to the poor and miserable preferrably in secret, also in the cause of dignifying Allah's principles. Within the context of

this definition of wealth, everything into man's possession is apt for spending; God-given gifts, such as hearing, sight and mind, occupy an entire priority. A

righteous man has to direct and teach his companions, provide help to the disabled. This conception of possession provides a humanitarian as well as an economic meaning . Islam lays emphasis on such characters because

giving is undoubtedly a positive action far from being negative, neutral or negligent. He ranks with the higher class of humanity because he is completely consc-

other world does not restrict our expectations into a limited, narrow, mortal world. On the other hand, it helps your hopes remain shining. For the poor, this world is an essence, because he is promised that his portion is many times doubled on the Day of Judgement, if he patiently leads a righteous life. The rich, too, are not left to satisfy their own ambitions; they are saved from being a prey to their own greed. They are warned of being selfish or egocentric. They are encouraged to be helpful characters. Man's life on Earth, in this world is bounded;its seconds and minutes, days and nights, months and years are accurately counted. The struggle for a better life in the hereafter becomes a great concern for these who understand and achieve logic.

It is obvious that righteous people are after high goals. They have been inspired to make use of their lives in acquiring an infinite correct tranquil life.

They are not extremists, they are balanced, neither very sorrowful for what they have lost, nor very joyful for what they have gained. But how can an integral character like this live amid this intricate material world? How are good qualities within him promoted? This is done by following Allah's do's and avoiding His donots. It is necessary to be committed to your rituals., the most important of which is to perform and keep on performing prayers, an exquisite opportunity to be in the presence of Allah five time a day. Through ablution, he restores his pure, sincere, faithful character to attend in the

the way to Allah as indicated in the sacred revelations; and still more important to put these instructions into practice. Without application we are plunged into meaningless argument, self arrogance, and stagnant diversity.

Each substance, element or morsel of the expansive universe around us loudly proclaim greatness, highness, majesty and sovereignty of Allah. All world of animals, birds, plants and insects, even the inanimate world declare the omniscience of Allah. Deliberate denial of this immortal fact is not in keeping with proper function of mind and brain. Satan runs through our bodies just as blood does through veins and arteries. We should faithfully try to block the way in the face of that vicious cursed enemy. This is easy to do, by advocating what is right and virtue, and by adherent obedience to the words of Allah. The belief in the hereafter comes next. The day of judgement, reward or punishment. It is an immaterial world about which none is allowed to talk except Allah. Yet, man has to subject in absolute belief.

It is inevitable to answer a question put forward by both pagants and non-believers: Is it useful to believe in the invisible realm of Allah? In other words, what dimensions will this kind of an unknown world add to the world we are living in now? Believing in the

mity, "Yaum-ul-Taghabun", i.e. the Day of Mutual Accusation, "Al-Qari'a", i.e. the Striking Calamity, "Al-Ghashia", i.e. the overwhelming disaster, "A-s- Saakhah", i.e. the Deafening Catastrophe, "A-t-Tammah", i.e. the Predominating Cataclysm, "Al-Haqqah", i.e. the Truth Establishing Affliction, and "Al-Waqi'ah", i.e. the Great Event.

Man's stay, and most probably the wearing away of his body, in the grave, is termed the "Barzakh" stage, that is the period that intervenes between death and the Great Doomsday.

Still, Resurrection is applied to several meanings. There are at least three types of resurrection: the great which is the rising up of all people for reckoning; the medium, which stamps out a whole generation or even a whole nation; and the minor in which each individual meets his end on earth. For the Prophet (be upon him peace from Allah) is reported to have said, "Men are comatose; and it is with death that they awake".
As for the Great Resurrection, it is preceded by Israphil's blowing the Trumpet, which is, in its turn, followed by everybody in the Heavens and on Earth being thunderstruck and stunned, except for those whom Allah exempts.

In addition, the word is often used metaphorically in the Holy Qur'an, as when man is guided from unbelief to the blessedness of Islam, and when land, bare of vegetation, is stirred by rain to produce different kinds of plant.

Resurrection involves the entire destruction of the

was created from earth. Man starts as a drop of sperm safely enshrouded and firmly secured in his mother's womb, where silently and unseen he matures his fetal stage. Last he is born to live the term and test appointed for him. Similarly, his spiritual life has three stages. First, his experience is very limited on earth, so that most people are unbelievers. Then death comes to him, and back to earth he goes, where he practices a sort of existence medium between this life and the Hereafter. An unprecedented consciousness causes the righteous to be happy and the unbelievers, and the evildoers to lament over the duties they neglected towards Allah. Last, men are raised on the Doomsday to enjoy or suffer the interminable fulfilment of their deserved reward.

It is noteworthy that the Qur'an, and the Sunna, give several names to Resurrection, and speak of two paradises and two hells. As for the names of Resurrection, these are the following. "Yaumul-Qiyamah", i.e., the day of the great rising, "A-s-sa'ah", i.e. the hour, "Al-Yaum-ul-Akher", i.e. the last day, "Al-Akherah",i.e. the future and last life, "Yaum-ud-Din", i.e. the day of Judgement, "Yaum-ul-Fasl", i.e. the Day of Decision, "Yaum-ul-Hisab", i.e. the Day of Reckoning, "Yaum-ul - Fath", i.e. the Day of Fate, "Yaum-ul-Talaqi", i.e. the Day of Meeting, "Yaum-ul-Jam", i.e. the Day of Gathering, "Yaum-ul-Khulud", i.e. the Day of Everlasting Abode, "Yaum-ul-Khuruj", i.e. the Day of Coming forth from Graves, "Yaum-ul-Baith", i.e. the Day of Being Raised to life, "Yaum-ul-Hasrah", i.e. the Day of Lamentation, or Woe, "Yaum-ul-Tanadi",i.e. the Day of Calling forth, "Yaum-ul-Azifah", i.e. the Day of the Near Drawing Cala-

THE WAY OF THE RIGHTEOUS PEOPLE

By:
Magdy Abdel Hamid Basheer

Everybody, on reciting verses of the Holy Qur'an is taken by the wonderful ethical life style involved in the words of Allah. This is felt when one reads through the intimate memorable words revealed to the Prophet (Allah's prayers and peace be upon him) in the exposition of righteousness, its meaning and significance, its aspects and fruitful results.

It is clear to every muslim that righteousness is the road that leads its supporters to the Promised Paradise. It may appear difficult for many people to plant such a great tree when its good soil is thought to be out of hand. Contrary to that false imagination, it should be known that this good soil is within your reach. It is nearest and dearest to you. It is your heart when attached to Allah. Through His directive guidance care and patronage, seeds of righteousness can be planted chershed and sustained. Therefore, it is important to know

world and its laws, natural and man made like. However, this is the end of a stage, that eternity starts. In no way does this imply that man's phase of life on earth has no aim beyond delaying his other life in the Garden. Or, the creation, for the service of man, of all that is in the universe would be empty of significance. In fact life has an aim.

It is the belief in Allah that ennobles man's life and endows him with its highest impulses and purest aspirations. Almost on a par with it, is the idea of Resurrection, because it introduces a seriousness into man's life which cannot be otherwise attained. It is to fulfil a higher object and live a higher life that man is put to test and then shifted through death to the Hereafter.

Both good and evil must have their deserved reward. Hence the belief in Resurrection does not serve for a theoretical dogma or a quintessence of hope to idle away one's life in expectation of it. On the contrary, it is a wonderful principle which guides the workings of man's mind and conscience.

The idea of a life after death may seem strange to some minds, even among scientists. No wonder, then, that the Qur'an and the Sunna very often revert to it in terms of confirmation, promise and warning. One and universal is the idea that runs through all the Verses and Traditions bearing on that future life, i.e. the whole universe is bound to give place to an entirely different and superior order. This is quite consistent with man's scientific knowledge of the universe, which turns around evolution, order and sublimation.

LIFE AFTER DEATH

By: Soliman Barakat

Belief in Resurrection is a basic principle of Islam. According both to the Holy Qur'an and to the Traditions of the Prophet (be upon him peace from Allah) death does not bring an end to life. On the other hand, it is the door to advancement in an everlasting abode. Rather, it is a transition period between this life and Resurrection. There is no point, however, in putting in a remark that countless generations of various creatures will inevitably differ in the duration of their stay in the realm of death. Indeed, man's consciousness of time after death is very different, so that the unbelievers will swear to have been tarrying for a mere hour or even less.

Immeasurable as is the difference between this life and the Hereafter, it is in the former that the seeds of the latter are sown. Connection is not at all missing between the two lives; spiritual realities are in fact hidden from human eyes by reason of material limitations, so only a few people find the ecstasy of its uplift.

A figurative parallelism can be drawn between man's existence on the earth and his life after death. Adam

were certainly at a disadvantage, few in number, caring and responsible for the inhabitants of Al-Madinah, guardful of the Hypocrites and Bani Quraiza, and trenched in confrontation of the massive belligerent, combatant forces with indignant hatred and bitterness. However, the final word from Allah was still to come, and the Muslims dominated by peace and stability of belief, and coherent obedience and supreme respect to the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) were steadfast with resolute determination. They were with confident patience awaiting and watchful for events.

Prayer and peace from Allah upon our magnanimous Prophet.

(To be continued)

References:

1. Alsira Alnabawiah
3rd. Edition 1981
Abu Alhassan Aly Alhusni Alnadawi
Publisher, Dar Al-Sharook, Jeddah.

2. Nur Alyakin Fi Sirat Sayed Almursaleen
24th, Edition 1978
Sheikh Mohammad Alkhodary Bey
Publisher, Great Commercial Library, Cairo.

3. Mashahid Min Alsira Alatirah
Dr. Mohammad Abdel Monem Khafagy
Kilani Library - Cairo Printed 1980

Madinah, constitued a very crucial and problematic situation to the Muslims. All conditions were antagonistic and unfavourable. Food was running short both to the Muslim forces, and to the inhabitants of Al-Madinah of women, children, and the elderly. When the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) received the news of the betrayal of Bani Quraiza, he sent Muslamah Ibn Aslam in two hundred men, and Zaid Ibn Haritheh in three hundred men, to guard Al-Madinah from the interior; and sent Alzubier Ibn Al-Awam to obtain more detailed information on the situation. The information received was that Bani Quraiza became very hostile to Muslims and openly declarled their new allegiance with the Confederates. At this stage, the morale and temperament of the Muslims was very low indeed, and only the firm adherent rock solid belief in Allah, and their hightened confidence in the Prophet (prayers and peace from Allah upon him)kept them patient, resistant, and with unfailing resolution. In an attempt to relieve the situation from the sharp acuity of conditions, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) suggested to compromise terms with Uyainah Ibn Hesn leader of Ghatafan to give him third of Al-Madinah crop and fruit harvest in return of his withdrawal from the Confederate forces. The Ansars refused and said that Ghatafan got nothing from Al-Madinah before Islam; now that they were more confident and strong by being Muslims should be all the reason that Ghatafan should get nothing. Now the confrontations was at its peak and Summit. The Confederates were certainly at an advantage now that Bani Quraiza inside Al-Madinah sided with them; however, matters must escalate rapidly to achieve a final quick victory over Muslims. The Muslims

and the situation was certainly very favourable to the confederate forces.

The chaning patterns of political intrigue and the betrayal of Bani Quraiza to their agreements with Muslims at Al-Madinah, made the Muslims face a very crtical situation. The hypocrites among the Muslims took this chance to add to the depressive situation by claiming that they must retreat to defend their homes. At this situation, the position of the Muslims was certainly very critical indeed.

"Behold, they came on you from above you
And from below you, and behold the eyes
became dim, and the hearts gaped
up to the throats, and ye imagined
various thoughts about Allah.
In this situation, were the believers tried:
They were shaken as by a tremendous shaking

"And behold, the Hypocrites and those in
whose hearts is a disease say: "God
and his Apostle promised us nothing but delusions.

Behold, A party of them said "Ye men of Yathrib
Ye cannot stand the attack, therefore go back"
And a band of them ask for leave of the Prophet,
Saying "Truely our houses are bare and exposed"
Though they were not exposed: They intended
Nothing but to run away.

"Surat Al-Ahzab, XXXIII, 10-13"

The siege around Al-Madinah by the Confederate forces, and the betrayal of Bani Quraiza present inside Al-

to all their expectations. The cold winter nights added to the difficultes confronting the colossal masses; this tog ther with the shortening supplies coerced the leaders of the confederate forces to reconsider their situation and the outcome of the existing status. This confrontation with Muslims across a trench may prolong for months with the Muslims on their own ground and camped very near their own homes. The heterogenous attitudes of the tribes constituting the confederates forces, and the variations in the cause and aim of their presence, had its adverse effect on the unanimity of opinion among the leaders of the tribes. This again added to the unfavourable situation of the confederates. Their potential strength, however, remained in the important fact that this was a very rare chance that such great powers gathered to defeat the Muslims and Mohammad (prayers and peace from Allah upon him) once and for all. Huaii Ibn Al-Akhtab of Bani Al-Nadhir closely watched the mental and psychological turbulence and hesitation of the confederate forces when faced with the adverse situation. He informed their leaders that Bani Quraiza living inside Al-Madinah will ally with the confederate forces, severe their agreement with Muslims and open their sector of Al-Madinah for the confederate forces to enter the city and establish an occupation. This certainly pleased Abu Sufyan and the other leaders. Huaii Ibn Akhtab hurried to meet with Kaab Ibn Assad the head of Bani Quraiza,and remained to convince him to side with the Confedrates and discard all agreements with the Muslims. Huaii insistantly made Kaab agree to his demands, and refute the neutrality of Bani Quraiza with Muslims at Al-Madinah. At this turning point, the odds were against the Muslims,

Ansar. The bitter cold nights of the winter, the severe hunger, and the parching thirst constituted adverse conditions and added to the torment and seriousness of the situation. With adamant intention and purpose, the trench was completed in six days, in the northern sector of the city between the East and West Harrah; a sector exposed to the valley with no mountaineous surroundings. The Muslim army gathered and camped with their back to the plateau of Salei with the trench between them and the Confederate armies of ten thousand strong who camped the Asyal at the north side of Al-Madinah from the mountain of Uhud. The Muslim army totaled three thousand, the banner of the Muhagereen with Zaid Ibn Harithah, and the banner of the Ansar with Saad Ibn Ubadah.

The Confederate army marched believing to meet the Muslim at Uhud, and were surprised to find no body there. They were surprised to a much greater extent to discover the trench between them and the Muslims, a war strategy not known to the Arabs at the time. Few days passed with only sporadic arrow throws between the two opponent parties. Some horsemen from the Confederate army ran out of patience and forced their horses through the trench; among these were Amre Ibn Abd-Wod, Ekrimah Ibn Abi-Gahle, and Dirar Ibn Al-Khatab. Some men with Ali Ibn Abi-Taleb came out, confronted them, and closed their exit passage through the trench. Amre Ibn Abd Wod was struck dead by Aly Ibn Abi Taleb; and the other two retreated forcing their way back across the trench and escaping. Abu Sufyan and the other leaders of the confederate forces were not ready to spent time infront of the trench. They came to achieve a rapid quick speedy victory and return triumphantly; but the situation as it was proved contrary

were under signed agreement with the Muslims, but whose loyality to that agreement was uncertain similar to previous conduct of the other two Jewish clans of Bani Qainuqaa and Bani Al-Nadhir. The confederate arab armies gathered at the outskirts of Al-Madinah awaiting the final move to erase Muslim existance. Ten thousand men with pomp and power, with malice and dark hatred in their hearts, with jealousy and prejudice, with phobia and neurosis to the new faith of Islam and the man that represents this new faith, the Prophet (prayers and peace from Allah upon him). The confederate armies were in consortium ready to stampede Al-Madinah and defeat any Muslim resistance in a final victory. This was in Shawal of fifth year after Hijrah.

The Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and the Muslims at Al-Madinah consulted upon the strategy of how to face these overwhelming numbers of enemy forces. They decided to remain inside Al-Madinah, and the famous Sahabi Salman Al-Farsi advised to dig a trench around the vulnerable pregnable part of the city, and reinforce inside. This became the grand command, and every muslim including the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) himself in person was busy digging the trench. Arduous laborious strenеous hard work continued nights and days, digging and carrying dust and stones; driven by faith, and to defend the cause of Truth, and to establish the word of Allah as supreme. During the grinding struggle and severe exertion and drudgery, Muslims were chanting encouraging verses, and the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) joined their words by saying: There is no reward except that of the Hereafter, may Allah bless the Muhagereen and

from the basic doctrines of their own creed.

The leaders of Bani Al-Nadhir contrived to move Koraysh and other Arab tribes into massive armed confrontation against Muslims to deal a final fatal blow to the new creed of Islam, and to get rid of the Prophet (prayers and peace from Allah upon him) and his followers by achieving a final victory. In order to excute their plan several of them including Huaii Ibn Al-Akhtab, Salaam Ibn Abi-Al-Huqiq, Kenanah Ibn Abi-Al-Huqiq, and several others from Bani Wail Hawzah Ibn Qais went to Macca to meet with leaders of Koraysh, and made them understand that paganism and idol worship was superior to the belief of Muslims. Koraysh must gather with the help of other Arab tribes, and the Jews of Bani Quraiza at Al - Madinah to defeat the Muslims in a final overwhelming victory. Islam must be eradicated. The Jewish leaders also met with other Arab tribes of Ghatafan, Bani Murrah, Ashgaa, Sulaim, Bani Saad, and Bani Assad. They motivated all to gather in a massive consortium of powers to attain a final defeat of the Muslims at Al-Madinah.

The masses of these tribes moved in confederate forces, Koraysh headed by Abu Sufyan Ibn Harb in four thousand men, five hundred horsemen, and fifteen hundred camel riders, with their banner in the hands of Osman Ibn Talhah. Ghatafan gathered in one thousand horsemen under Uyainah Ibn Hesn; Bani Ashgaa under Meisser Ibn Rukhailah and Bani Murrah under Al-Harith Ibn Aoof; both in thousand men. Bani Sulaim in thousand men under Sufyan Ibn Abd-Shams. The men from these tribes moved to join Sufyan Ibn Harb in a total of ten thousand men. There were also the Jews of Bani Quraiza resident at Al-Madinah who

THE CONFEDERATES

In the name of Allah most Gracious most Merciful.

By : Dr. ANAS MOUSTAFA EL-NAGGAR M.D.PHD

The clans of Koraysh in Macca, the tribes of Ghatafan, Huzail and others, and the Jews of Bani Quraiza; were all awaiting the suitable opportunity to subdue and crush the Muslims by violence, brute force and intrigue. They rejected to accept the man who left Macca in Hijrah to Al-Madinah five years previously, dominated by a true faith and belief in Allah; become the core and master of such growing strengthening community. The most intense hatred to Muslims came from the Jews, contrary to all expectations. The Jews have always been advocates of monotheism according to the true original teachings of Moses, however, their hatred to Muslims made them disloyal and untrue to their own faith. They opposed Islam the faith that calls for total monotheism with adamant proof that reaches the depth of the human self, and ascends man to angelic levels. Yet, in their bitter malignant enmity to Muslims, the Jews betrayed and intentionally deviated

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION